المكتوبات

للإمام العالم الرباني المجدد للألف الثاني

أحمد الفاروقي السرهندي



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم   بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

الجزء الأول من معرب المكتوبات الشريفة الموسوم بالدرر المكنونات
النفيسة للفقير المحتاج الي لطف رب العباد محمد مراد المنزلوى
تودا المكى توطنا عربتها رجاء ان ينتفع بها اخوان طريقتنا الذين
لا معرفة لهم باللغة الفارسية التى هى أصلها والتركية
التى هى ترجمتها وأسأل الله سبحانه ان يجعل
خالصا لوجهه الكريم وأن يجيرنى
به من العذاب الأليم
انه رؤوف رحيم حليم

للمؤلف المعرب اللا شيء

أموت ويبلى اعظمى فى المقابر * وسوف أرى ما قد حوته دفاترى فرمت ادخارا بعد موتى
من الدعاء * فأبقيت تذكارا انتاج خواطرى

فى أخر الكتاب

(ترجمة أحوال الأمام الربانى للمعرب المذكور ويليه كتاب الرحمة الهابطة فى تحقيق
الرابطة للشيخ حسين الدوسرى رحمه الله)



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي عَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ ذَاتِهِ * وَتَحَيَّرَتْ فُهُومُ الْفُحُولِ فِي مَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ * أَبْدَعَ الْعَالَمَ وَأَجْلَى عَجَائِبَ صُنْعِهِ فِي مَجَالِي مَصْنُوعَاتِهِ * وَخَلَقَ نَوْعَ الْإِنْسَانِ وَأَوْدَعَ فِيهِ جَمِيعَ مَا فِي مُكَوَّنَاتِهِ * وَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِخِلَافَتِهِ وَفَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ بَرِيَّاتِهِ * وَصَيَّرَهَا سَبَبًا لِنَجَاتِهِ * وَإِنْجَاحِ حَاجَاتِهِ وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِ * وَسُلَّمًا لِعُرُوجَاتِهِ * إِلَى أَوْجِ الْقُرْبِ وَأَقْصَى غَايَاتِهِ. وَلَآلِي الصَّلَوَاتِ وَجَوَاهِرُ التَّسْلِيمَاتِ وَفَوَائِدُ التَّحِيَّاتِ عَلَى أَشْرَفِ مَخْلُوقَاتِهِ * وَأَكْرَمِ مَوْجُودَاتِهِ * وَالْمَظْهَرِ الْأَتَمِّ لِظُهُورَاتِهِ * سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، الْمُرَادِ مِنْ خَلْقِ الْكَوْنَيْنِ وَالْعِلَّةِ الْغَائِيَّةِ لِإِفَاضَةِ فُيُوضَاتِهِ * وَبَثِّ بَرَكَاتِهِ * وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ حَازُوا نِعْمَةَ صُحْبَاتِهِ * وَفَازُوا بِالتَّطَفُّلِ فِي سَائِرِ كَمَالَاتِهِ * وَعَلَى جَمِيعِ أَوْلِيَاءِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ بَذَلُوا جُهْدَهُمْ فِي إِحْيَاءِ مِلَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَاقْتِفَاءِ سِيرَتِهِ فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ * فَأَبَاحَ اللهُ لَهُمْ مَوَائِدَ نِعَمِهِ * وَقَلَّدَهُمْ لَطَائِفَ مِنَنِهِ * وَزَيَّنَ ظَوَاهِرَهُمْ وَبَوَاطِنَهُمْ بِمَكَارِمِ شِيَمِهِ * وَنَوَّرَ قُلُوبَهُمْ مِنْ لَوَاقِحِ الْأَنْوَارِ * وَمَلَأَ أَسْرَارَهُمْ بِفُصُوصِ الْحِكَمِ وَجَوَاهِرِ الْأَسْرَارِ * وَكَحَلَ أَبْصَارَ بَصَائِرِهِمْ بِكُحْلِ الْعِنَايَةِ وَالِاسْتِبْصَارِ * وَأَشَمَّهُمْ عَوَارِفَ الْمَعَارِفِ وَمَنَحَهُمْ قُوتَ الْقُلُوبِ وَأَطْلَعَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَلَى مَكْنُونَاتِهِ *

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذِهِ دُرَرٌ مَكْنُونَاتٌ مُنِيفَةٌ * بَرَزَتْ مِنْ أَصْدَافِ عِبَارَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ الشَّرِيفَةِ * لِلْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ * وَالْغَوْثِ الصَّمَدَانِيِّ * وَالْقُطْبِ السُّبْحَانِيِّ * وَالْعَارِفِ الرَّحْمَانِيِّ * نُقْطَةِ دَائِرَةِ الْإِرْشَادِ * رِحْلَةِ الْأَبْدَالِ وَالْأَوْتَادِ * قُدْوَةِ الْكُمَلَاءِ الْأَفْرَادِ * وَاقِفِ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ * كَاشِفِ دَقَائِقِ الْمُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ * بُرْهَانِ الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ * سَمِيِّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَأَفْضَلِ الْبَرِيَّةِ * بِالِاسْمِ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ * سَيِّدِنَا وَسَنَدِنَا وَمَوْلَانَا وَوَسِيلَتِنَا إِلَى اللهِ الْقَدِيمِ الْكَرِيمِ الْأَحَدِ الْأَبَدِيِّ * الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْأَحَدِ السَّرْهَنْدِيِّ * مَحْتِدًا * الْفَارُوقِيِّ نَسَبًا * النَّقْشَبَنْدِيِّ مَشْرَبًا * الْحَنَفِيِّ مَذْهَبًا * الشَّهِيرِ عِنْدَ الْأَقَاصِي وَالْأَدَانِي * بِمُجَدِّدِ الْأَلْفِ الثَّانِي * قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وَرَوَّحَ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ * وَجَعَلَ لَنَا نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ جَمِيعِ مَقَامَاتِهِ * بِحُرْمَةِ أَشْرَفِ الْعِبَادِ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ * وَكَانَتْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ تَصْدُرُ مِنْ لُجَجِ مَكْشُوفَاتِهِ وَمَعْلُومَاتِهِ قُدِّسَ سِرُّهُ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى مُرُورِ الْأَوْقَاتِ وَالْحِجَجِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ * مِنْ بِدَايَةِ كَمَالِهِ إِلَى حِينِ مَمَاتِهِ * عَلَى مِقْدَارِ اسْتِعْدَادِ كُلِّ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ * حَسْبَ مَا يَظْهَرُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ لَدَيْهِ * بَعْضُهَا فِي ذَمِّ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ * وَبَعْضُهَا فِي الْحَثِّ وَالتَّحْرِيضِ عَلَى مَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ وَدَرَجَاتِهَا الْعَلِيَّةِ * وَبَعْضُهَا فِي النَّصَائِحِ وَالْمَوَاعِظِ الْبَهِيَّةِ وَلِلْقَبُولِ حَرِيَّةٌ * وَبَعْضُهَا فِي التَّرْغِيبِ فِي تَرْوِيجِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ * وَأَكْثَرُهَا فِي بَيَانِ أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ * وَتَحْقِيقِ حَقَائِقِهَا * وَحَلِّ رُمُوزِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْأَحْمَدِيَّةِ وَكَشْفِ دَقَائِقِهَا * مُقْتَبَسَةً مِنْ أَنْوَارِ مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ * مُقْتَطَفَةً مِنْ أَشْجَارِ اقْتِفَاءِ السِّيرَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ * وَمُلْتَقَطَةً مِنْ مَوَائِدِ فَوَائِدِ التَّأَدُّبِ بِالْآدَابِ النَّبَوِيَّةِ * مِصْدَاقَ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ"، وَفِي رِوَايَةٍ "إِلاَّ الْعُلَمَاءُ بِاللهِ فَإِذَا قَالُوهُ"، وَفِي رِوَايَةٍ: "تَكَلَّمُوا"، وَفِي رِوَايَةٍ: "نَطَقُوا بِهِ لاَ يُنْكِرُهُ إِلاَّ أَهْلُ الْغِرَّةِ بِاللهِ" [1]. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" [2]

يَعْنِي: مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ مِنْ أَحَدٍ وَلاَ أَخْذٍ مِنَ الْكِتَابِ * بَلْ بِمُجَرَّدِ فَتْحِ الْبَابِ * مِنْ طَرَفِ حَكِيمٍ عَلِيمٍ وَهَّابٍ * وَهُوَ عِلْمُ الْوِرَاثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّذِي وَرِثَهُ الأَوْلِيَاءُ مِنْ بَاطِنِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسَانِيدِ الإِلْهَامِ * وَنَقَلَةِ الْكَشْفِ التَّامِّ * وَصَفَاءِ السَّرِيرَةِ وَصِدْقِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ اللهِ تَعَالَى دُونَ غَيْرِهِمْ لِحَدِيثٍ رَوَاهُ الْقَسْطَلاَنِيُّ فِي الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ * وَغَيْرُهُ فِي كُتُبِ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ * مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَسَأَلَنِي رَبِّي فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ بِلاَ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَحْدِيدٍ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا فَأَوْرَثَنِي عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَعَلَّمَنِي عُلُومًا شَتَّى فَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ ؛ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيهِ، وَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ فَكَانَ جِبْرِيلُ يُذَكِّرُنِي بِهِ وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ إِلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ" [3] اهـ *

---

(1) حديث: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في " الأربعين في التصوف " من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وتمامه: " إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ، لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعَالَى، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يَجْهَلْهُ إِلاَّ أَهْلُ الاغْتِرَارِ بِاللهِ تَعَالَى، فَلاَ تُحَقِّرُوا عَالِمًا آتَاهُ اللهُ تَعَالَى عِلْمًا مِنْهُ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُحَقِّرْهُ إِذْ آتَاهُ إِيَّاهُ " والحديث رواه أيضا: الديلمي في مسند الفردوس عن علي بن أبي طالب، وابن شاهين، وذكره الفَتَّنِيُّ في " تذكرة الموضوعات " وذكره الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء وضعف سنده. **والمراد بأهل الغرة بالله**: أهل الغفلة الذين ركنوا إلى الدنيا، ويستفاد من هذا الحديث: التنبيه على طالب العلم ألا ينكر ما لا يفهم من مقالات أهل الإشراق الخفية وأحوالهم الغريبة ؛ إذ كل ميسر لما خلق له. انظر: المتقي الهندي: كنز العمال: حديث ٢٨٩٤٢، القِنَّوْجِيّ: أبجد العلوم: ٢٤٧٢٤٨/١، ١٥٣/٢، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٥١/١ ٥٢.

(2) **حديث ضعيف وله شواهد تؤيد معناه**: الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بن مالك وأشار إلى ضعفه، وكذلك ضعفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، والفَتَّنِيُّ في تذكرة الموضوعات. وللحديث شواهد تؤيد معناه، ومن ذلك:

ما أخرجه الترمذي من عن يزيد بن سلمة الجعفي أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا، وَأَخَافُ أَنْ يُنْسِيَنِي أَوَّلَهُ آخِرُهُ، فَحَدِّثْنِي بِكَلِمَةٍ تَكُونُ جِمَاعًا، قَالَ: اتَّقِ اللهَ فِيمَا تَعْلَمُ" وكذلك ما أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس مرفوعا: " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا فَعَمِلَ بِهِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعَلِّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ". وما أخرجه أبو يعقوب البغدادي في كتاب " رواية الكبار عن الصغار " عن سفيان قال: "مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وُفِّقَ إِلَى مَا لاَ يَعْلَمُ"

(3) هذا الحديث المشهور بحديث اختصام الملأ الأعلى، والحديث أخرجه أحمد في مسنده، والترمذي في السنن في تفسير سورة ص حديث ٣٢٣١ وحسنه، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة، وابن جرير في تفسيره، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ أَيْ رَبِّ... ! قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، قَالَ: فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قَالَ: قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ. قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْمَجَالِسُ فِي الْمَسَاجِدِ خِلاَفَ الصَّلَوَاتِ، وَإِبْلاَغُ الْوُضُوءِ أَمَاكِنَهُ فِي الْمَكْرُوهِ، فَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ وَرَاءَ الْعِلْمِ الَّذِي أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ إِلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ عِلْمَيْنِ آخَرَيْنِ، بَلْ عُلُومًا شَتَّى كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا حَقٌّ: أَمَّا الْعِلْمُ الْمَأْمُورُ بِكِتْمَانِهِ فَهُوَ عِلْمُ النُّبُوَّةِ إِذْ لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي خُيِّرَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عِلْمُ الْوِلَايَةِ وَهُوَ عِلْمُ بَاطِنِ الشَّرِيعَةِ وَحَقِيقَتِهَا وَأَسْرَارِهَا الْمَخْزُونَةِ الْمَكْنُونَةِ الَّتِي أَسَرَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَوَاصِّ أَصْحَابِهِ كَمَا خَصَّ بِإِعْلَامِ الْمُنَافِقِينَ حُذَيْفَةَ [1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُمْ أَسَرُّوهَا إِلَى خَوَاصِّ أَصْحَابِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُؤْخَذُ وَتُتَلَقَّى بِالْأَحْوَالِ الصَّادِقَةِ وَالْعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمَصْحُوبَةِ بِالْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ الْخَالِصَةِ وَمُلَازَمَةِ الذِّكْرِ وَمُدَاوَمَةِ الْفِكْرِ وَمُرَاقَبَةِ الْحُضُورِ مَعَ اللهِ تَعَالَى كَذَا قَالَ خَاتِمَةُ الْمُحَقِّقِينَ الْعَارِفُ بِاللهِ الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيُّ [2] قُدِّسَ سِرُّهُ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [3] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [1] فِي صَحِيحِهِ: " حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَبَثَثْتُهُ،

يَعِشْ بِخَيْرٍ وَيَمُتْ بِخَيْرٍ وَيَكُنْ فِي خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فَبَذْلُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَلَّمُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ " وأخرجه كذلك الطبراني عن أبي رافع مرفوعا.

(1) حذيفة بن اليمان: حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي حليف بني عبد الأشهل من الأنصار، أسلم حذيفة وأبوه وشهدا أحدا واستشهد فيها اليمان قتله المسلمون خطأ فوهب حذيفة لهم دمه، كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله مناقب كثيرة، مات بالمدائن سنة ست وثلاثين.

(2) الشيخ عبدالغني النابلسي: هو الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي الحنفي النقشبندي القادري المعروف بالنابلسي، عالم أديب صوفي، تولى الإفتاء والتدريس، مشارك في أنواع من العلوم، ولد في دمشق في الخامس من ذي الحجة سنة: ١٠٥٠هـ١٦٤١م وتوفي بها أيضا في الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة: ١١٤٣هـ ١٧٣١م، من مكثرين في التصنيف، ومن مصنفاته: إطلاق الوجود على الحق المعبود، أنوار السلوك في أسرار الملوك إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، بقية الله خير بعد الفناء وغيرها كثير. انظر ترجمته في: المرادي: سلك الدرر: ٣٠٣٨/٣، الجبرتي: عجائب الآثار: ١/ ١٥٤، البغدادي: هدية العارفين: ٥٩٠/٥، الزركلي: الأعلام: ١٥٨١٥٩/٤، الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات: ١٥٠١٥٢/٢، جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: ٣٢٤/٣، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين: ١٧٦١٧٨/٢.

(3) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي: على الراجح من اسمه حافظ الصحابة على الإطلاق ووعاء السنة اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولا، أرجحها عند الأكثر عبد الرحمن بن صخر، مات سنة ٥٩ هـ، وقيل: قبلها بسنة أو سنتين، قال الحاكم أبو أحمد بعد أن حكى الاختلاف في اسمه بعض ما تقدم كان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وألزمهم له صحبة على شبع بطنه فكانت يده مع يده يدور معه حيث دار إلى أن مات، ولذلك كثر حديثه، وأخرج البخاري في صحيحه: ٣٤/٥ فتح، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءً مسكينا، ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما: " لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا "، فبسطت نمرة ليس عليَّ ثوبٌ غيرها، حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما

وَأَمَّا ٱلآخَرُ: فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا ٱلْبُلْعُومُ"(٢). يَعْنِي: لَقَتَلُونِي لِحُكْمِهِمْ بِكُفْرِي حَيْثُ لَمْ يَفْهَمُوا مَا أُشِيرُ إِلَيْهِ فِي كَلَامِي مِنْ حَقَائِقِ ٱلْمَعَانِي وَأَسْرَارِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلْمُطَهَّرَةِ، كَمَا وَقَعَ لِلإِمَامِ حُجَّةِ ٱلإِسْلَامِ أَبِي حَامِدٍ

نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدثتكم شيئا أبدا: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات إلى قوله : ﴿ الرحيم ﴾، انظر: الإصابة: ٤٢٢/٧، التهذيب: ٤٧٩/٦، الكاشف للذهبي: ٣٨٥/٣

(١) الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي: حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الجامع الصحيح، ولد سنة ١٩٤ه في بخارى ونشأ يتيما، طلب الحديث مبكرا ورحل في طلبه سنة ٢١٠ه إلى الأمصار فكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر، وسمع من نحو ألف شيخ وجمع نحو ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو، قال عنه الحافظ في التقريب: " جبل الحفظ وإمام الدنيا ". من تصانيفه الكثيرة: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، الأسماء والكنى، الرد على الجهمية وخلق أفعال العباد، رفع اليدين في الصلاة، توفي، أفردت في ترجمته المصنفات منها: أخبار البخاري للذهبي، ترجمة البخاري للدولابي، الفوائد الدراري للعجلوني، مناقب البخاري للعيدروسي وللبسكري، حياة البخاري للقاسمي، تاريخ الإمام البخاري للمباركفوري. انظر في ترجمته: طبقات الفقهاء للشيرازي:، طبقات الحنابلة: ٢٧١/٢٧٩/١، صفة الصفوة: ٣٥٤/٢، مقدمة هدي الساري:، تهذيب التهذيب: ٣٣٣٨/٥، المنهج الأحمد: ١٣٣/١، شذرات الذهب: ١٣٤/٢، النجوم الزاهرة:، هدية العارفين: ١٦/٢، الأعلام: ٣٤/٦، معجم المؤلفين: ١٣٠/٣، ضحى الإسلام: ١١٠،١١٩/٢، بروكلمان: ١٦٣/٣، تاريخ التراث العربي: ١٧٣/١ وفي هذا الأخير طعن متهافت لا وزن له وتعصب على الإمام البخاري وصحيحه فزعم صاحبه بعد دراسة ناقدة عميقة اتضح له منها !! أن الكتاب صادف حظا كبيرا أن معلقات البخاري إنما هي أسانيد ناقصة في ربع مادتها وأنه " بهذا يفقد كتاب البخاري كثيرا من شهرته بالجمع والشمول " ولا يكون البخاري بهذه المعلقات الـ.ـمَ الذي طور الإسناد إلى الكمال، بل هو أول من بدأ معه انهيار الإسناد !! وحال هذا كما قيل:

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَافَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ.

ومثل هذا النقد يكشف عن جهل مركب وسَوْءَةٍ علمية لصاحبه بعلوم أهل الحديث واصطلاحهم بله أن يدرس صحيح البخاري دراسة ناقدة عميقة حيث لم يفرق بين صحيح البخاري وبين المعلقات في صحيح البخاري، وبينهما فرق ؛ فإن معلقات البخاري لا تأخذ حكم الأحاديث الموصولة، بل هي كما قيل فنه الإمام البخاري في صحيحه، لا أنها هي الصحيح نفسه، وهذه المعلقات على مراتب: فمنها المرفوع منها الموقوف، ومنها الصحيح الذي على شرط البخاري وما ليس على شرطه ومنها الحسن ومنها أيضا الضعيف الذي يتقوى بغيره ولبسط القول فيها يراجع: هدي الساري مقدمة فتح الباري: ١٩٧٧، تغليق التعليق: ٢٨٠/١، ٢/+، قواعد التحديث: ١٢٤.

(٢) حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب حفظ العلم حديث ١٢٠، وقول أبي هريرة: قطع هذا البلعوم: كناية عن قتله، وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة على الأحاديث التي فيها أسامي أمراء السوء وأحوال زمانهم ؛ ومن الدليل على هذا التأويل أن أبا هريرة كان يكني عن بعض ما سيحدث من الفتن ولا يصرح به خوفا على نفسه كقوله: " أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان " يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، ويدل عليه أيضا قول ابن عمر: " لو حدثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم: كذب أبو هريرة ". انظر: تفسير القرطبي: ١٨٦/٢، فتح الباري: ٢٦٣/١، منهاج السنة النبوية: ١٣٨/٨.

الْغَزَالِيّ[1] حِينَ أَظْهَرَ بَعْضَ أَسْرَارِ مُعَامَلَةِ الدِّينِ حَيْثُ رَمَوْهُ بِالزَّنْدَقَةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الدِّينِ، فَلاَ بُدَّ مِنْ كِتْمَانِهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَى أَنْ يَجِيءَ وَقْتُ ظُهُورِهِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ الأُمُورَ مَرْهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا.

(شِعْرٌ)

وَلِلْمَرْءِ أَحْوَالٌ وَلِلْحَالِ فُرْصَةٌ *** وَلِلدَّهْرِ أَوْقَاتٌ وَلِلْوَقْتِ حَادِثٌ

كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَلَى مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ: " لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُوا عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْهَا حِينَ بَنَتِ الْكَعْبَةَ فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي لأُرِيَكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ "[3] الْحَدِيثَ.

فَانْظُرْ: كَيْفَ تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرًا مَشْرُوعًا مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ فِي زَمَنِهِ، وَأَشَارَ إِلَى جَوَازِ فِعْلِ غَيْرِهِ ذَلِكَ الأَمْرَ فِي وَقْتٍ آخَرَ لِعَدَمِ تَوَقُّعِ الْفِتْنَةِ، فَلاَحَ مِنْ هَذَا وَجْهُ بَثِّ الْمُتَأَخِّرِينَ عُلُومَ الأَسْرَارِ بِالتَّآلِيفِ وَالتَّصَانِيفِ مَعَ سَتْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَكَتْمِهِمْ إِيَّاهَا، عَلَى أَنَّ قَصْدَهُمْ فِي ذَلِكَ إِفَادَةُ أَهْلِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مَقَاصِدُ أُخْرَى حَسَنَةٌ يُعْلَمُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْمَكْتُوبَاتِ، (ع) **فَيَالَهَا قِصَّةٌ فِي شَرْحِهَا طُولٌ** *

وَلَمَّا كَثُرَتْ تِلْكَ الْمَكَاتِيبُ وَانْتَشَرَتْ وَفِي أَقْطَارِ الأَرْضِ انْتَثَرَتْ * قَامَ بِجَمْعِهَا ثَلاَثَةٌ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِهِ حَسَبَ الإِشَارَةِ وَالأَمْرِ * فَجَمَعُوهَا فِي ثَلاَثَةِ مُجَلَّدَاتٍ وَأَوْدَعُوهَا فِي دُولاَبِ الدَّهْرِ * فَبَقِيَتْ عَلَى

---

[1] أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي، زين الدين حجة الإسلام أبو حامد، ولد سنة: (٤٥٠هـ ١٠٥٨م) وتوفي سنة: (٥٠٥هـ ١١١١م) حكيم متكلم فقيه أصولي صوفي مشارك في كثير من العلوم، ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان، تلمذ لإمام الحرمين الجويني وحضر مجلس نظام الملك، من تصانيفه الكثيرة: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الوجيز في فروع الشافعية، المستصفى في أصول الفقه، وغيرها كثير. انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٣٤٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥٨٦٥٨٨/١، السبكي: طبقات الشافعية: ١٠١١٨٢/٤، ابن الجوزي: المنتظم: ١٦٩/٩، ابن الأثير: اللباب: ١٧٠/٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ١٧٣/١٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٠١٣/٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢٠٣/٥.

[2] أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسه، الصديقة بنت الصديق، أمها أم رومان بنت عامر، خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وبنى عليها في شوال سنة ثنتين من الهجرة، كناها النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن الزبير، كانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين، ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة. انظر: ابن حجر: الإصابة: ٣٢٨٣٢٩/٨.

[3] حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها، وأحمد في مسند عائشة، والنسائي: كتاب مناسك الحج باب بناء الكعبة حديث ٢٨٩٣، والترمذي: أبواب الحج والعمرة حديث: ٨٧٦ جميعهم من حديث عائشة وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَارَةِ الْفَارِسِيَّةِ زَمَانًا طَوِيلاً * فَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ لِسَانِهَا فَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ يَدِ خَرَائِدِهَا شَرَابًا سَلْسَبِيلاً * وَيُزَيِّنُونَ بِفَرَائِدِهَا تِيجَانًا وَأَكَالِيلاً * وَيُدَاوُونَ بِعَقَاقِيرِهَا مَنْ سَقَطَ مَرِيضًا وَعَلِيلاً * وَأَمَّا الَّذِينَ خَالَفَتْهَا لُغَاتُهُمْ فَلَمْ يَكَادُوا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ سَبِيلاً * وَلَمْ يَجِدُوا فِي وِصَالِهَا عَلَيْهِمْ دَلِيلاً * وَلاَ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِ عَوِيلاً * فَطَالَمَا امْتَدَّتْ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الأَشْوَاقِ * وَاشْتَدَّ صُدُودُهَا عَلَى الْعُشَّاقِ * وَهِيَ مُحَجَّبَةٌ بِأَسِنَّةِ أَبْطَالِ الْعِبَارَاتِ الْفَارِسِيَّةِ * وَالإِقْدَامُ عَلَيْهَا أَشَدُّ وَأَصْعَبُ مِنِ اقْتِحَامِ وَقْعَةِ الْقَادِسِيَّةِ * وَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ تَطْلاَبِ الْمُشْتَاقِينَ إِيَّاهَا * وَتَطَوُّفَ الْعَاشِقِينَ حَوْلَ حِمَاهَا * وَسُقُوطَ الْهَائِمِينَ بِهَا صَرْعَى مَا بَيْنَ رُبَاهَا * وَرَأَيْتُ الْمَيْدَانَ عَنْ فُرْسَانِ هَذَا الشَّأْنِ خَالِيًا * وَالزَّمَانَ مَاضِيًا * وَهِيَ عَلَى صُدُودِهَا كَمَا هِيَا * اخْتَلَجَ فِي صَدْرِي أَنْ أُلْقِيَ لإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ فِي حُدُودِ بَحْرِهَا الْفَارِسِيِّ الْمَرَاسِيَا * وَأَقْطَعَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ مَهَامِهَ وَرَوَاسِيَا * لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالأُلْفَةِ مِنْ صِغَرِ السِّنِّ * إِلَى أَنْ نَاهَزَ الْعُمُرُ الآنَ الثَّلْثِينَ * وَلَكِنِ امْتَنَعْتُ عَنْ ذَلِكَ لِعَدَمِ الاسْتِطَاعَةِ وَقِلَّةِ الْبِضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ * وَقُصُورِ الْبَاعِ وَقِلَّةِ الاطِّلاَعِ عَلَى الْفُنُونِ الأَدَبِيَّةِ * وَعَيَّرَتْ نَفْسِي أَشَدَّ تَعْيِيرٍ * قَائِلاً: أَنَّى لَكَ هَذَا ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ فِي الْعِيرِ وَلاَ فِي النَّفِيرِ * وَهَبْ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مَعْرِفَةً مَا وَلَكِنْ أَيْنَ فِيكَ حَلاَوَةُ التَّعْبِيرِ * فَإِنَّكَ لَمْ تَلِدْكَ يَعْرُبُ وَإِيَادُ * وَلَمْ تَنْشَأْ فِي كُوفَةَ وَلاَ بَغْدَادَ * مَعَ أَنَّ رِجَالَ هَذَا الشَّأْنِ قَدْ لَعِبَتْ بِهِمْ أَيْدِي النَّوَائِبِ فَرَكِبُوا غَارِبَ الاغْتِرَابِ * وَصَاحَ عَلَى أَوْطَانِهِمُ الْبُومُ وَالْغُرَابُ * وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ إِقْلِيمِ الزَّوَالِ وَالأُفُولِ * وَسَحَبَ الذُّلُّ وَالْمَهَانَةُ عَلَى بَقَايَاهُمُ الذُّيُولَ * فَحَمَلُوا حُمُولَهُمْ عَلَى زَوَايَا الاسْتِتَارِ وَالْخُمُولِ * فَكُلُّ مَنْ جَاءَ حَوْلَ خِيَامِهِمْ يَحُولُ * يَقُومُ رَاهِبُ دَيْرِهِمْ وَيَقُولُ:

(شِعْرٌ)

إِنَّ الْخِيَامَ الَّتِي قَدْ جِئْتَ تَطْلُبُهَا *** بِالأَمْسِ كَانُوا هُنَا وَالآنَ قَدْ رَحَلُوا

فَيَرْجِعُ بَاكِيًا مُشَبِّكًا عَشْرَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَمُنْشِدًا:

لاَ وَالَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ *** مُسْتَقْبِلِينَ الرُّكْنَ مِنْ بَطْحَائِهَا

مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلَةٍ *** إِلاَّ بَكَيْتُ أَحِبَّتِي بِفِنَائِهَا

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ *** وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ ذَلِكَ تَأَكَّدَ مَا هَجَسَ فِي الْخَاطِرِ الْفَاتِرِ هُنَالِكَ بِوُقُوعِ الإِشَارَةِ * مِمَّنْ إِشَارَتُهُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَنْوَاعِ اللُّطْفِ وَالْبِشَارَةِ * فَاسْتَخَرْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعْدَ هَذِهِ الإِشَارَةِ * وَكَرَّرْتُ الاسْتِخَارَةَ * فَانْشَرَحَ صَدْرِي * لِمَا قَصَدْتُهُ مِنْ أَمْرِي * وَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَلاَ بُدَّ وَأَنْ يَقَعَ حَسْبَمَا أَرَادَ * وَلَكِنَّ مُرُورَ الأَزْمَانِ مِنْ شُرُوطِ ظُهُورِ الْمُرَادِ * فَتَوَجَّهْتُ مُتَرَجِّلاً تِلْقَاءَ مَدْيَنَ الْمَآرِبِ* رَاجِيًا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أَكُونَ

رَابِعُهُمْ[1] كُلُّهُمْ بِتَطَفُّلِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَشَارِبِ * وَسَلَكْتُ فِي النَّقْلِ مِنْ طَرِيقَيِ التَّرْجَمَةِ الْمَسْلَكَ الثَّانِيَ * أَعْنِي رِعَايَةَ جَانِبِ الْمَعَانِي لِكَوْنِهِ أَجْوَدَ، مَعَ رِعَايَةِ الْأَوَّلِ، أَعْنِي: رِعَايَةَ جَانِبِ اللَّفْظِ مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الشُّبْهَةِ وَأَحْمَدُ * فَإِنْ أَتَيْتُ بِبَعْضِ أَلْفَاظٍ لَيْسَ فِي الْمَنْقُولِ عَنْهُ مَا يُرَادِفُهَا مِنْ نَحْوِ إِظْهَارِ الْمُضْمَرِ وَتَفْسِيرِ الْمُجْمَلِ وَتَبْدِيلِ الْجَمْعِ بِالْمُفْرَدِ وَعَكْسِهِ وَتَغْيِيرِ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ وَالتَّكَلُّمِ وَعَكْسِهِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ هَذَا الْمَسْلَكِ فَإِنَّ تَغَايُرَ اللُّغَتَيْنِ وَتَبَايُنَ الْاِصْطِلَاحَيْنِ مُقْتَضِيَانِ لِذَلِكَ وَمَا أَظُنُّكَ تَجِدُهُ إِلَّا قَلِيلاً * فِيمَا لَمْ أَجِدْ إِلَى الْعُدُولِ عَنْهُ سَبِيلاً * وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ أَيْضًا مُقْتَبَسٌ مِنْ ذَلِكَ النِّبْرَاسِ * لِإِزَاحَةِ الْاِلْتِبَاسِ * وَدَفْعِ الْوَسْوَاسِ * لَا أَخْذٌ بِالتَّخْمِينِ وَالْقِيَاسِ * وَالْتَزَمْتُ إِيرَادَ جَمِيعِهَا، وَإِنْ وَقَعَ مُكَرَّرًا فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ وَأَفْيَدُ * وَالْمَرْجُوُّ مِنَ النَّاظِرِينَ أَهْلِ الْإِنْصَافِ * الْمُتَبَاعِدِينَ عَنِ الْاِعْتِسَافِ * إِغْضَاؤُهُمْ عَمَّا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الزَّلَلِ * وَإِصْلَاحُهُمْ مَا ظَهَرَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْخَلَلِ * فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبَى أَنْ يَصِحَّ إِلَّا كِتَابُهُ. (شِعْرٌ)

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا *** كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

وَعَدَمُ الْاِسْتِعْجَالِ * بِإِطْلَاقِ سِهَامِ الْمَلَامِ وَنِبَالِ الْمَقَالِ * فَإِنَّ الْاِشْتِغَالَ بِرُؤْيَةِ عُيُوبِ الرِّجَالِ مِنْ عَادَةِ السَّفَلَةِ وَدَيْدَنِ الْأَرْذَالِ.

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحًا *** وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

خُصُوصًا إِذَا انْجَرَّ ذَلِكَ إِلَى طَعْنِ الْأَكَابِرِ وَسُوءِ الظَّنِّ فِيهِمُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ سَهْمَهُمْ صَائِبٌ وَلَحْمَهُمْ مَسْمُومٌ * وَمُعَارِضَهُمْ مَشْئُومٌ * وَقَتِيلَهُمْ لَا يَحْيَى وَصَرِيعَهُمْ لَا يَقُومُ. (شِعْرٌ)

دَخَلْتَ غَابَ أُسُودٍ غَابَ عَنْكَ حِجًى *** وَأَنْتَ تَحْسَبُهَا دَهْنَاءَ غِزْلَانِ

فَإِنْ حَصَلَتْ لَكَ الْقَنَاعَةُ بِمَا فِيهِ وَانْتَفَعْتَ بِهِ فَيُبَارَكُ فِيكَ * وَإِلَّا: "فَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ"[2] وَسَلِّمِ الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ ؛ فَإِنَّ ﴿ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[3]. (شِعْرٌ)

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعْهُ *** وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

فَإِنَّ لِكُلِّ مَيْدَانٍ رِجَالاً * وَلِكُلِّ رِجَالٍ مَقَالاً وَأَحْوَالاً * "السَّيْفُ لِلضَّارِبِ" مَثَلٌ مَشْهُورٌ وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ.

---

(١) يعني رابع الذين جمعوا هذه المكتوبات كما مر بقوله قام بجمعها ثلاثة من كبار أصحابه او ستة عفي عنه. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(٢) اقتباس من حديث صحيح رواه أحمد في مسنده عن أنس، والنسائي عن الحسن بن علي، والطبراني في معجمه الكبير عن وابصة بن معبد والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من حديث ابن عمر، وابن قانع في معجم الصحابة عن الحسن.

(٣) جزء من الآية: من سورة النساء.

وَمَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ بِغَيْرِ قَلْبٍ *** وَلَمْ يَطْرَبْ فَلاَ يَلُمِ الْمُغَنِّي

وَغَلَبَتْ الاتِّعَاظُ بِمَا وَعَظَنِي بِهِ الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيُّ رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ حَيْثُ قَالَ: "وَاحْذَرْ مِنَ الطَّعْنِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ وَاعْتِقَادِ مُخَالَفَتِهِ لِمَا عَلِمْتَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكَ بِهِمَا * وَأَكْثَرُ فَهْمًا مِنْكَ وَمِنْ أَمْثَالِكَ لِمَعَانِيهِمَا * لِتَنَوُّرِ عُقُولِهِمْ بِنُورِ مَعْرِفَةِ اللهِ وَزِيَادَةِ الاطِّلاَعِ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ وَاتِّصَافِهِمْ بِالإِخْلاَصِ وَالْيَقِينِ". وَأَنْتَ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الْمِسْكِينُ تَعْرِفُ حِصَّةً مِنْ كَيْفِيَّةِ الأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ اسْتَخْلَصْتَ مَعْرِفَتَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اشْتِغَالِكَ بِشَهَوَاتِ بَطْنِكَ وَفَرْجِكَ فَأَنْتَ فَرْحَانُ بِهَا تَظُنُّ أَنَّكَ بِسَبَبِهَا صِرْتَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ * وَسَاوَيْتَ الْمُتَقَدِّمِينَ أُولِي الأَبْصَارِ وَالاسْتِبْصَارِ * فَاعْمَلْ بِمَا بَدَا لَكَ إِنْ أَرَدْتَ النَّصِيحَةَ، وَلاَ تَدْخُلْ فِي أَعْمَالِ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْكَ مِنْ أُولِي الْهِمَمِ الصَّحِيحَةِ، " وَمِنْ أَيْنَ لِلْعُصْفُورِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ مَأْكَلِ النُّسُورِ " فَإِنَّ حَوْصَلَتَهُ الْمُعْتَادَةَ عَلَى الْحَبَّاتِ الصِّغَارِ لاَ تُشَابِهُ حَوْصَلَةَ النُّسُورِ الَّتِي لاَ يُقِيتُهَا غَيْرُ اللُّقَمِ الْكِبَارِ: ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾(١) يَعْنِي عُذُوبَةً وَأُجَاجًا " وَ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(٢).

انْتَهَى مُلَخَّصًا وَجُلُّ الْمَقْصُودِ مِنِ ارْتِكَابِ هَذَا الأَمْرِ الْجَسِيمِ وَالْخَطْبِ الْعَظِيمِ أَدَاءُ بَعْضِ خِدْمَةِ عَتَبَةِ مَنْ طَوَّقَنِي قَلاَئِدَ مِنَحٍ جَزِيلَةٍ * وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِجَلاَئِلِ نِعَمٍ جَسِيلَةٍ * مُرْشِدِ السَّالِكِينَ * وَمُرَبِّي الطَّالِبِينَ * وَقُدْوَةِ الْوَاصِلِينَ * وَزُبْدَةِ الْعَارِفِينَ * شَيْخِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ * وَإِمَامِ الْمَقَامَيْنِ الْمُنِيفَيْنِ * حَامِي مَهْجَةِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ * وَحَافِظِ السُّنَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ الْمُجَدِّدِيَّةِ * سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا وَمُرْشِدِنَا وَوَسِيلَتِنَا إِلَى اللهِ سَيِّدِي الشَّيْخِ الْجَلِيلِ * وَالسَّيِّدِ النَّبِيلِ * أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّوَاوِيِّ * عَامَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ وَلُطْفِهِ الْحَاوِي * آمِينَ، بِحُرْمَةِ جَدِّهِ الَّذِي نَزَلَ إِلَيْهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. وَلْيَكُنْ هَذَا أَوَانَ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ * مُسْتَعِينًا بِمُفِيضِ الْخَيْرِ وَالْجُودِ.

قَالَ جَامِعُ الْمَكَاتِيبِ رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ مَا تَيَمَّنَ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَضْعَافَ مَا حَمِدَهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى * وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ وَكُلَّمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ وَيَحْرَى * وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ النَّقِيِّ التُّقَى.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ هَذَا الْمُجَلَّدَ الأَوَّلَ مِنَ الْمَكْتُوبَاتِ الْقُدْسِيَّةِ لِحَضْرَةِ غَوْثِ الْمُحَقِّقِينَ * قُطْبِ الْعَارِفِينَ * بُرْهَانِ الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ * حُجَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ * شَيْخِ الإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ شَيْخِنَا وَإِمَامِنَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْفَارُوقِيِّ النَّقْشَبَنْدِيِّ سَلَّمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاهُ. جَمَعَهُ هَذَا الْحَقِيرُ قَلِيلُ الْبِضَاعَةِ أَقَلُّ الْقَاعِدِينَ عَلَى

---

(١) جزء من الآية: ٦٠ من سورة البقرة.

(٢) جزء من الآية: ٤٨ من سورة المائدة.

تُرَابِ أَعْتَابِ تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ يَارْ مُحَمَّدٌ الْجَدِيدُ الْبَدَخْشِيُّ الطَّالَقَانِيُّ وَأَوْرَدَهُ فِي قَيْدِ التَّحْرِيرِ رَجَاءَ وُصُولِ النَّفْعِ مِنْهُ إِلَى طَالِبِي الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا وَالْمَسْئُولُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ:

(١) اَلْمَكْتُوبُ الْأَوَّلُ فِي بَيَانِ الْأَحْوَالِ الَّتِي لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِالْاِسْمِ الظَّاهِرِ وَبَيَانِ ظُهُورِ الْقِسْمِ الْخَاصِّ مِنَ التَّوْحِيدِ وَبَيَانِ الْعُرُوجَاتِ الْوَاقِعَةِ فَوْقَ الْمُحَدَّدِ وَانْكِشَافِ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ وَظُهُورِ مَرَاتِبِ بَعْضِ أَهْلِ اللهِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ وَهُوَ الشَّيْخُ الْكَامِلُ الْمُكَمِّلُ الْوَاصِلُ إِلَى دَرَجَاتِ الْوِلَايَةِ الْهَادِي إِلَى طَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ مُؤَيِّدُ الدِّينِ الرَّضِيِّ شَيْخُنَا وَإِمَامُنَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْبَاقِي النَّقْشَبَنْدِيُّ الْأَحْرَارِيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْأَقْدَسَ وَبَلَّغَهُ إِلَى أَقْصَى مَا يَتَمَنَّاهُ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ إِلَى ذِرْوَةِ الْعَرْضِ يَعْرِضُ أَحْوَالَهُ الْمُتَفَرِّقَةَ اجْتِرَاءً مِنْهُ حَسَبَ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ: قَدْ تَشَرَّفْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ بِتَجَلِّي الْاِسْمِ الظَّاهِرِ تَجَلِّيًا كُلِّيًّا بِحَيْثُ ظَهَرَ لِي فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ بِتَجَلٍّ خَاصٍّ عَلَى حِدَةٍ عَلَى حِدَةٍ وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي كِسْوَةِ النِّسَاءِ بَلْ فِي أَجْزَائِهِنَّ عَلَى حِدَةٍ عَلَى حِدَةٍ، فَصِرْتُ مُنْقَادًا لِتِلْكَ الطَّائِفَةِ عَلَى وَجْهٍ لَا أَقْدِرُ عَلَى عَرْضِهِ وَكُنْتُ مُضْطَرًّا فِي ذَلِكَ الْاِنْقِيَادِ. وَهَذَا الظُّهُورُ الَّذِي حَصَلَ فِي هَذَا الْمَحَلِّ لَمْ يَكُنْ فِي مَحَلٍّ آخَرَ، وَمَا أُرِيتُ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ اللَّطَائِفِ وَمُحَسِّنَاتِ الْعَجَائِبِ فِي هَذَا اللِّبَاسِ لَمْ يَظْهَرْ فِي مَظْهَرٍ مَا أَصْلًا، قَدْ ذُبْتُ بِالتَّمَامِ وَجَرَيْتُ كَالْمَاءِ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ. وَكَذَلِكَ تَجَلَّى لِي فِي كُلِّ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَكِسْوَةٍ عَلَى حِدَةٍ عَلَى حِدَةٍ وَمَا كَانَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْحُسْنِ فِي الطَّعَامِ اللَّذِيذِ الْمُتَكَلَّفِ فِيهِ لَمْ يَكُنْ فِي غَيْرِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ وَالْمِلْحِ بَلْ كَانَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حُلْوٍ شَيْءٌ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ الْكَمَالِ عَلَى تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ عَلَى حِدَةٍ عَلَى حِدَةٍ وَلَا يُمْكِنُ عَرْضُ خُصُوصِيَّاتِ هَذَا التَّجَلِّي بِالتَّحْرِيرِ، فَإِنْ كُنْتُ فِي الْمُلَازَمَةِ الْعَلِيَّةِ لَعَرَضْتُهَا * وَلَكِنْ كُنْتُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ التَّجَلِّيَاتِ مُشْتَاقًا إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَى مَا سِوَاهُ مَهْمَا أَمْكَنَ بَيْدَ أَنِّي لَمَّا صِرْتُ مَغْلُوبًا لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الْاِلْتِفَاتِ، وَفِي ذَلِكَ الْأَثْنَاءِ صَارَ مَعْلُومًا لِي أَنَّ هَذَا التَّجَلِّيَ لَا يُنَافِي تِلْكَ النِّسْبَةَ التَّنْزِيهِيَّةَ ؛ فَإِنَّ الْبَاطِنَ مُتَعَلِّقٌ بِتِلْكَ النِّسْبَةِ، لَا الْتِفَاتَ لَهُ إِلَى الظَّاهِرِ أَصْلًا وَإِنَّمَا الْمُتَشَرِّفُ بِهَذَا التَّجَلِّي هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي هُوَ خَالٍ وَمُعَطَّلٌ عَنْ تِلْكَ النِّسْبَةِ، وَالْحَقُّ أَنِّي وَجَدْتُ الْبَاطِنَ غَيْرَ مُبْتَلًى بِزَيْغِ الْبَصَرِ، بَلْ هُوَ مُعْرِضٌ عَنْ جَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ وَالظُّهُورَاتِ وَلَمَّا كَانَ الظَّاهِرُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْكَثْرَةِ وَالْاِثْنَيْنِيَّةِ اسْتَسْعَدَ بِهَذَا التَّجَلِّي * ثُمَّ أَخَذَتْ هَذِهِ التَّجَلِّيَاتُ فِي الْاِخْتِفَاءِ وَالْاِسْتِتَارِ بَعْدَ زَمَانٍ وَبَقِيَتْ نِسْبَةُ الْحَيْرَةِ وَالْجَهَالَةِ بِحَالِهَا وَصَارَتْ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا. ثُمَّ عُرِضَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْفَنَاءِ الْخَاصِّ وَكَانَ ذَلِكَ التَّعَيُّنُ الْعِلْمِيُّ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ عَوْدِ التَّعَيُّنِ انْعَدَمَ فِي هَذَا الْفَنَاءِ * وَلَمْ يَبْقَ أَثَرٌ مِنْ مَظَانِّ أَنَا * وَفِي هَذَا الْوَقْتِ شَرَعَ آثَارُ الْإِسْلَامِ وَعَلَامَةُ انْهِدَامِ مَعَالِمِ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ فِي الظُّهُورِ وَكَذَلِكَ رُؤْيَةُ الْقُصُورِ فِي الْأَعْمَالِ وَالْفُتُورِ وَاتِّهَامُ النِّيَّاتِ

وَالْخَوَاطِرِ وَالْخُطُورِ، وَبِالْجُمْلَةِ ظَهَرَ بَعْضُ أَمَارَاتِ الْعُبُودِيَّةِ وَالِاضْمِحْلَالِ. بَلَّغَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِبَرَكَةِ تَوَجُّهِكُمْ مَقَامَ حَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْعُرُوجَاتُ إِلَى مَا فَوْقَ الْمُحَدَّدِ تَقَعُ كَثِيرًا. (وَلَمَّا وَقَعَ) الْعُرُوجُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى وَوَصَلْتُ إِلَى مَا فَوْقَ الْمُحَدَّدِ بَعْدَ طَيِّ الْمَسَافَةِ وَصَارَ الْخُلْدُ مَعَ مَا تَحْتَهُ مَشْهُودًا خَطَرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أُشَاهِدَ هُنَالِكَ مَقَامَاتِ بَعْضِ الرِّجَالِ. وَلَمَّا تَوَجَّهْتُ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى مَقَامَاتِهِمْ وَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصَ فِي تِلْكَ الْمَحَالِّ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ مَكَانًا وَمَكَانَةً وَذَوْقًا وَشَوْقًا.

ثُمَّ وَقَعَ الْعُرُوجُ فِي مَرْتَبَةٍ ثَانِيَةٍ وَصَارَتْ مَقَامَاتُ الْمَشَايِخِ الْعِظَامِ وَأَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْكِرَامِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ لِلْأَنَامِ * وَالْمَقَامُ الْخَاصُّ بِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ * وَكَذَلِكَ مَقَامَاتُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الْفِخَامِ * عَلَى التَّفَاوُتِ، وَمَقَامَاتُ الْمَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَشْهُودَةً فَوْقَ الْمُحَدَّدِ. وَوَقَعَ مِنَ الْعُرُوجِ فَوْقَ الْمُحَدَّدِ مِقْدَارُ مَا بَيْنَ مَرْكَزِ الْأَرْضِ وَالْمُحَدَّدِ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَى مَقَامِ حَضْرَةِ الْخَوَاجَةِ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِ [1] قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وَكَانَ فَوْقَ ذَلِكَ الْمَقَامِ عِدَّةٌ مِنَ الْمَشَايِخِ الْعِظَامِ، بَلْ فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْمَقَامِ بِفَوْقِيَّةٍ يَسِيرَةٍ مِثْلُ الشَّيْخِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ [2] وَالشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَرَّازِ [3] وَمَقَامَاتُ الْمَشَايِخِ الْبَاقِينَ بَعْضُهَا فِيمَا تَحْتَهُ وَبَعْضُهَا فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْمَقَامِ. فَأَمَّا الَّذِينَ فِي الْمَقَامِ التَّحْتَانِيِّ فَمِثْلُ الشَّيْخِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ السِّمْنَانِيِّ [4] وَالشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ الْكُبْرَى [1]، وَالَّذِينَ هُمْ فِي الْمَقَامِ الْفَوْقَانِيِّ فَأَئِمَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَا

---

(1) بهاء الدين النقشبندي: محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ ه وتوفي سنة ٧٩١ ه، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، حياة السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ١٧٣/٦، كحالة: معجم المؤلفين: ٧١/٣.

(2) معروف الكرخي: أبو محفوظ، القدوة الزاهد، صاحب الأحوال والكرامات، توفي سنة ٢٠٠ ه، كان من موالي علي بن موسى الرضي، كان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبهم فقال له: إن الله ثالث ثلاثة، فقال: بل هو الله أحد، فضربه فهرب وأسلم على يد علي بن موسى الرضي ورجع إلى أبويه فأسلما، واشتهرت بركاته واستجابة دعوته، كان معروف الكرخي من المحدِّثين، ومن جوامع كلمه: " مقت الله للعبد أن يراه مشتغلا بما لا يعنيه من أمر نفسه "، ومن أقواله أيضا: " طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق ". انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١/ ٣٦٠.

(3) أبو سعيد الخراز: أحمد بن عيسى المتوفى سنة: ٢٧٧، وقيل سنة: ٢٨٦ ه ٨٩٩ م، الخراز: نسبة إلى خرز الجلود، الزاهد الكبير، شيخ الصوفية، أحد المشاهير بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، له في ذلك التصانيف منها كتاب الصدق أو الطريق إلى الله، وكتاب الصيام، له كرامات وأحوال وصبر على الشدائد، قال الجنيد: " لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه الخراز لهلكنا "، روى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم، ومن جيد كلامه: " إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم "، وقال: " العافية تستر البر والفاجر، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال ". انظر في ترجمته: ابن كثير: البداية والنهاية: ٦٢/١١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٩٢/٢، ابن الأثير: اللباب: ٣٥١/١، هدية العارفين: ٥٥/٥، الزركلي: الأعلام: ١٩١/١، كحالة: معجم المؤلفين: ١/ ٢٢١.

(4) الشيخ علاء الدولة السمناني: هو الشيخ ركن الدين، علاء الدولة محمد بن أحمد السمناني، المالكي، المتوفى سنة: ٧٣٦ ه ١٣٣٦ م، عالم مشارك في عدة علوم، سكن تبريز وبغداد، حدّث؛ سمع صحيح مسلم، وأجاز له جماعة، اختصر شرح السنة للبغوي،

وَمَا فَوْقَهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَقَامَاتُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَتْ عَلَى طَرَفٍ مِنْ مَقَامِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ مَقَامَاتُ الْمَلَائِكَةِ الْعُلْوِيِّينَ كَانَتْ عَلَى طَرَفٍ آخَرَ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَكَانَ لِمَقَامِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَوْقِيَّةٌ وَأَصَالَةٌ بِالنِّسْبَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ كُلِّهَا.

(وَيَقَعُ الْعُرُوجُ) بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ كُلَّمَا أَرَدْتُهُ، وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ وَيُشَاهِدُ أَشْيَاءَ أُخَرَ وَتَتَرَتَّبُ الْآثَارُ أَيْضًا فِي بَعْضِ الْعُرُوجَاتِ وَيَكُونُ أَكْثَرُهَا مَنْسِيًّا، وَكُلَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ بَعْضَ الْحَالَاتِ لِأَتَذَكَّرَ وَقْتَ الْعَرْضِ لَا يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُرَى حَقِيرًا فِي النَّظَرِ بَلْ هُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُسْتَغْفَرَ مِنْهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ أَكْتُبَهُ، وَكَانَ بَعْضٌ مِنْهَا فِي الْخَاطِرِ فِي أَثْنَاءِ إِمْلَاءِ الْعَرِيضَةِ وَلَكِنَّهُ مَا وَفَّى أَخِيرًا أَنْ أَكْتُبَهُ. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِسَاءَةُ الْأَدَبِ وَحَالُ مُلَّا قَاسِمِ عَلِي أَحْسَنُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الِاسْتِهْلَاكُ وَالِاسْتِغْرَاقُ وَجَاوَزَ جَمِيعَ مَقَامَاتِ الْجَذْبَةِ وَوَضَعَ قَدَمَهُ فَوْقَهَا وَكَانَ أَوَّلًا يَرَى الصِّفَاتِ مِنَ الْأَصْلِ وَالْآنَ يَرَى تِلْكَ الصِّفَاتِ مَعَ وُجُودِهَا مُبَايِنَةً لِنَفْسِهِ وَيَجِدُ نَفْسَهُ خَالِيًا مَحْضًا، بَلْ يَرَى النُّورَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ مُبَايِنًا لِنَفْسِهِ أَيْضًا، وَيَجِدُ نَفْسَهُ فِي طَرَفٍ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ، وَأَحْوَالُ الْأَصْحَابِ الْبَاقِينَ فِي التَّرَقِّي يَوْمًا فَيَوْمًا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَهَا بِالتَّفْصِيلِ فِي عَرِيضَةٍ أُخْرَى إِنْ شَاءَ اللهُ الْعَزِيزُ.

(٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي فِي بَيَانِ حُصُولِ التَّرَقِّيَاتِ وَالْمُبَاهَاتِ بِعِنَايَاتِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ قُدِّسَ سِرُّهُ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ عَلَى ذِرْوَةِ الْعَرْضِ أَنَّ مَوْلَانَا شَاهْ مُحَمَّدٌ بَلَّغَ الْأَمْرَ بِالِاسْتِخَارَةِ مُتَّصِلًا بِشَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ فَلَمْ أَجِدْ فُرْصَةً أَنْ أَتَشَرَّفَ بِاسْتِلَامِ الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ فَلَا جَرَمَ سَلَّيْتُ نَفْسِي

له مصنفات كثيرة في التفسير والتصوف وغيرها حتى قيل: إنها تزيد على الثلاثمائة، من مؤلفاته: آداب الخلوة، فوائد العقائد، المدارك والمعارج، المكاشفات، إتمام القراءة في تأويلات القرآن. انظر في ترجمته: الحافظ ابن حجر: الدرر الكامنة: ١/ ٢٥٠، ٢٥١، ابن العماد: شذرات الذهب: ٦/١٢٥، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٤٢، ١٢٩٩، ١٦٤٠، ١٨١١، ١٩٣٠، البغدادي: إيضاح المكنون: ١/ ٢٠٥.

(١) الشيخ نجم الدين الكبرى: أحمد بن عمر بن محمد الرازيّ البغدادي الخَيْوَقِيُّ أبو الجناب وقيل أبو الجنان، الشيخ الشيخ نجم الدين الكبرى صوفي مفسر فقيه محدّث، ولد بخيوق إحدى قرى خُوَارِزمَ سنة: (٥٤٠ ه ١١٤٥م) واستشهد في ربيع الأول سنة: ٦١٨ ه ١٢٢١م له عدة تصانيف، منها: أصول العشرة رسالة الخائف الهائم من لومة اللائم، سر الحدس، رسالة الطرق، طوالع التنوير، عين الحياة في تفسير القرآن في اثني عشر مجلدا، فواتح الجمال وفوائح الجلال باللغة الفارسية وغيرها. انظر في ترجمته: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ٥/٧٩ – ٨٠، حاجي خليفة: كشف الظنون: (٤٥٩، ٨٧٦، ١١٨١)، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين: ٥/٩٠.

بِمُضِيِّ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ بِالضَّرُورَةِ وَمَاذَا أَعْرِضُ عَلَى حَضْرَتِكُمْ مِنْ عِنَايَاتِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ الَّتِي تُفَاضُ وَتُصَبُّ عَلَى التَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمُ الْعَلِيَّةِ (شِعْرٌ).

كَأَنِّي رَوْضَةٌ فِيهَا سَحَابُ ال *** رَّبِيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلاَلاً

فَلَوْ لِي أَلْفُ أَلْسِنَةٍ وَأُثْنِي *** بِهَا مَا ازْدَدْتُ إِلاَّ انْفِعَالاً

وَإِنْ كَانَ إِظْهَارُ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْأَحْوَالِ مُوهِمًا لِلْجَرَاءَةِ وَتَرْكِ الْأَدَبِ وَمُشْعِرًا بِالِافْتِخَارِ وَالْمُبَاهَاتِ.

(شِعْرٌ) وَلَكِنْ سَيِّدِي أَعْلَى مَقَامِي *** فَفُقْتُ بِهِ نُجُومًا وَالْهِلاَلاَ

ابْتَدَأَ الشُّرُوعُ فِي عَالَمِ الصَّحْوِ وَالْبَقَاءِ مِنْ أَوَاخِرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ. وَأَتَشَرَّفُ إِلَى الْآنَ فِي كُلِّ مُدَّةٍ بِبَقَاءٍ خَاصٍّ يُحَاءُ بِي أَوَّلاً مِنَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ الْمَنْسُوبِ إِلَى الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ قُدِّسَ سِرُّهُ إِلَى الصَّحْوِ ثُمَّ يُذْهَبُ بِي إِلَى السُّكْرِ وَيَحْصُلُ وَقْتَ الْعُرُوجِ وَالنُّزُولِ عُلُومٌ غَرِيبَةٌ وَمَعَارِفُ عَجِيبَةٌ وَأَتَشَرَّفُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالشُّهُودِ الْخَاصِّ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ بِمَا يُنَاسِبُ لِبَقَاءِ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَقَدْ شُرِّفْتُ فِي سَادِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِبَقَاءٍ وَإِحْسَانٍ لاَ أَقْدِرُ عَلَى عَرْضِهِ وَأَظُنُّ أَنَّ نِهَايَةَ الِاسْتِعْدَادِ لاَ تَتَجَاوَزُ ذَلِكَ وَتَيَسَّرَ هُنَا الْوَصْلُ الْمُنَاسِبُ لِلْحَالِ وَتَمَّتِ الْآنَ جِهَةُ الْجَذْبَةِ بِالتَّمَامِ وَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِي السَّيْرِ فِي اللهِ الَّذِي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الْجَذْبَةِ وَكُلَّمَا كَانَ الْفَنَاءُ أَتَمَّ يَكُونُ الْبَقَاءُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ أَكْمَلَ وَكُلَّمَا كَانَ الْبَقَاءُ أَكْمَلَ كَانَ الصَّحْوُ أَكْثَرَ وَكُلَّمَا كَانَ الصَّحْوُ أَكْثَرَ تَقَعُ الْعُلُومُ مُوَافِقَةً لِلشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ ؛ فَإِنَّ كَمَالَ الصَّحْوِ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْمَعَارِفُ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْهُمْ هِيَ الشَّرَائِعُ وَالْعَقَائِدُ الَّتِي بَيَّنُوهَا فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَمُخَالَفَةُ ظَاهِرِهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ بَقِيَّةِ سُكْرِ الْحَالِ وَالْمَعَارِفُ الَّتِي تُفَاضُ عَلَى هَذَا الْفَقِيرِ أَكْثَرُهَا تَفْصِيلُ الْمَعَارِفِ الشَّرْعِيَّةِ وَبَيَانُهَا يُصَيِّرُ الْعِلْمَ الِاسْتِدْلاَلِيَّ كَشْفِيًّا وَضَرُورِيًّا وَالْمُجْمَلَ مُفَصَّلاً (ع) **يَطُولُ إِذَا حَرَّرْتُ تَفْصِيلَ شَرْحِهِ** * وَإِنِّي خَائِفٌ وَوَجِلٌ مِنْ أَنْ يَنْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى إِسَاءَةِ الْأَدَبِ.

(٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ فِي بَيَانِ تَوَقُّفِ الْأَصْحَابِ فِي مَقَامٍ مَخْصُوصٍ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ

الْمَعْرُوضُ: أَنَّ الْأَصْحَابَ الْكَائِنِينَ هُنَا وَكَذَلِكَ الْأَصْحَابُ السَّاكِنُونَ هُنَاكَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَحْبُوسٌ فِي مَقَامٍ، وَإِخْرَاجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ مُتَعَسِّرٌ. وَلاَ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْقُدْرَةِ مَا يُنَاسِبُ لِذَلِكَ الْمَقَامِ وَيُوَافِيهِ، رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ التَّرَقِّيَ بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمُ الْعَلِيَّةِ. وَقَدْ جَاوَزَ وَاحِدٌ مِنْ أَقْرِبَائِي ذَلِكَ الْمَقَامَ وَوَصَلَ إِلَى مُقَدِّمَاتِ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَحَالُهُ حَسَنٌ جِدًّا يَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى قَدَمِ الْفَقِيرِ. وَأَرْجُو ذَلِكَ فِي حَقِّ الْآخَرِينَ أَيْضًا وَبَعْضُ الْإِخْوَانِ لَيْسَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِطَرِيقِ الْمُقَرَّبِينَ، بَلِ الْمُوَافِقُ لِحَالِهِمْ طَرِيقُ الْأَبْرَارِ وَمَا حَصَّلُوهُ مِنَ الْيَقِينِ فِي الْجُمْلَةِ فَهُوَ أَيْضًا غَنِيمَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ الطَّرِيقِ، (ع) **لِكُلٍّ مِنَ الْإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ** *

وَلَمْ أَجْتَرِئْ بِتَفْصِيلِ أَسَامِيهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْكُمْ وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ خُرُوجٌ عَنْ طَوْرِ الْأَدَبِ وَرَأَى الْمِيرُ السَّيِّدُ شَاهُ حُسَيْنٌ يَوْمَ تَحْرِيرِ الْعَرْضِ فِي مَشْغُولِيَّتِهِ كَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَابٍ عَظِيمٍ، وَيُقَالُ لَهُ إِنَّ هَذَا بَابُ الْحَيْرَةِ، وَقَالَ: "لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى دَاخِلِهِ رَأَيْتُ فِيهِ حَضْرَةَ الشَّيْخِ وَأَنْتَ مَعَهُ وَكُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَ نَفْسِي هُنَاكَ لاَ تُسَاعِدُنِي رِجْلِي"

(٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ فِي بَيَانِ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ وَبَيَانِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الْخُدَّامِ: أَنَّهُ قَدْ طَالَتِ الْمُدَّةُ وَلَمْ أَطَّلِعْ عَلَى أَحْوَالِ خِدْمَةِ الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْمُفَاوَضَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْمُرَاسَلَةِ الْمُنِيفَةِ وَنَنْتَظِرُ الْآنَ قُدُومَ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ وَلِهَذَا الشَّهْرِ مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الْحَاوِي لِجَمِيعِ الْكَمَالاَتِ الذَّاتِيَّةِ وَالشُّئُونِيَّةِ الدَّاخِلِ فِي دَائِرَةِ الْأَصْلِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ الظِّلِّيَّةُ أَصْلاً وَالْقَابِلِيَّةُ الْأُولَى ظِلُّهُ. وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ وَقَعَ نُزُولُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** [(١)] مُصَدِّقٌ لِهَذَا الْقَوْلِ وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ كَانَ هَذَا الشَّهْرُ جَامِعًا لِجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ. وَكُلُّ بَرَكَةٍ وَخَيْرٍ يَصِلُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ كَانَ فِي تَمَامِ السَّنَةِ إِنَّمَا هُوَ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ الَّذِي لاَ نِهَايَةَ لَهُ، وَالْجَمْعِيَّةُ فِي هَذَا الشَّهْرِ سَبَبٌ لِلْجَمْعِيَّةِ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ، وَالتَّفْرِقَةُ فِيهِ سَبَبٌ لِلتَّفْرِقَةِ فِي كُلِّ السَّنَةِ، فَطُوبَى لِمَنْ مَضَى عَلَيْهِ هَذَا الشَّهْرُ الْمُبَارَكُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ هُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ، فَمُنِعَ مِنَ الْبَرَكَاتِ وَحُرِمَ الْمَبَرَّاتِ وَالْخَيْرَاتِ (وَأَيْضًا) يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ سُنِّيَّةِ خَتْمِ الْقُرْآنِ بِوَاسِطَةِ تَحْصِيلِ جَمِيعِ الْكَمَالاَتِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْبَرَكَاتِ الظِّلِّيَّةِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا يُرْجَى أَنْ لاَ يُحْرَمَ بَرَكَاتِهِ وَلاَ يُمْنَعَ مِنْ خَيْرَاتِهِ، وَإِنَّ الْبَرَكَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِأَيَّامِ هَذَا الشَّهْرِ لاَ تُشَابِهُ غَيْرَهَا، وَالْخَيْرَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِلَيَالِيهِ لاَ يُقَاسُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا وَلَعَلَّ سِرَّ الْحُكْمِ بِأَوْلَوِيَّةِ تَعْجِيلِ الْإِفْطَارِ وَتَأْخِيرِ السُّحُورِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ لِيَحْصُلَ تَمَامُ الْامْتِيَازِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْوَقْتَيْنِ، وَالْقَابِلِيَّةُ الْأُولَى الَّتِي ذَكَرْتُ آنِفًا، وَالْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ عَلَى مَظْهَرِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْهَا لَيْسَتْ هِيَ قَابِلِيَّةَ الذَّاتِ لِلْاتِّصَافِ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ كَمَا حَكَمَ بِهَا الْبَعْضُ، بَلْ هِيَ قَابِلِيَّةُ الذَّاتِ عَزَّ سُلْطَانُهَا لِلْاعْتِبَارِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِجَمِيعِ الْكَمَالاَتِ الذَّاتِيَّةِ وَالشُّئُونِيَّةِ، وَهُوَ حَاصِلُ حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ. وَقَابِلِيَّةُ الْاتِّصَافِ الَّتِي هِيَ مُنَاسَبَةٌ لِمَوْطِنِ الصِّفَاتِ وَبَرْزَخٌ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ هِيَ حَقَائِقُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. وَتِلْكَ الْقَابِلِيَّةُ مَعَ مُلاَحَظَةِ الْاعْتِبَارَاتِ الْمُنْدَرِجَةِ فِيهَا صَارَتْ حَقَائِقَ مُتَعَدِّدَةً. وَالْقَابِلِيَّةُ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ فِيهَا ظِلِّيَّةٌ لَكِنْ لَمْ يَمْتَزِجْ بِهَا لَوْنُ الصِّفَاتِ وَلَمْ يَحْصُلْ فِي الْبَيْنِ حَائِلٌ أَصْلاً.

---

(١) الآية: ١٨٥ من سورة البقرة.

وَحَقَائِقُ جَمَاعَةٍ مُحَمَّدِيِّي الْمَشْرَبِ قَابِلِيَّاتُ الذَّاتِ لِلاعْتِبَارِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ تِلْكَ الْكَمَالاتِ. وَالْقَابِلِيَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الذَّاتِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْقَابِلِيَّاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ. وَإِنَّمَا حَكَمَ ذَلِكَ الْبَعْضُ بِمَا ذُكِرَ بِوَاسِطَةِ أَنَّ لَهَا مَوْضِعَ قَدَمٍ فَقَطْ فِي مَوْطِنِ الصِّفَاتِ. وَنِهَايَةُ عُرُوجِ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ إِلَى تِلْكَ الْقَابِلِيَّةِ فَلا جَرَمَ نَسَبَهَا إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا كَانَتْ قَابِلِيَّةُ الاتِّصَافِ غَيْرَ مُرْتَفِعَةٍ أَصْلاً حَكَمَ ذَلِكَ الْبَعْضُ بِالضَّرُورَةِ بِأَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ حَائِلَةٌ دَائِمًا وَإِلاَّ فَالْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ عَلَى مَظْهَرِهَا الصَّلاةُ وَالتَّحِيَّةُ الَّتِي هِيَ مُجَرَّدُ اعْتِبَارٍ فِي الذَّاتِ يُمْكِنُ ارْتِفَاعُهَا عَنِ النَّظَرِ بَلْ هُوَ وَاقِعٌ. وَقَابِلِيَّةُ الاتِّصَافِ وَإِنْ كَانَتِ اعْتِبَارِيَّةً أَيْضًا لَكِنَّهَا أَخَذَتْ لَوْنَ الصِّفَاتِ، وَوَصْفَهَا بِوَاسِطَةِ الْبَرْزَخِيَّةِ. وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ، وَارْتِفَاعُهَا خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ الإِمْكَانِ، فَلا جَرَمَ حَكَمَ بِوُجُودِ ذَلِكَ الْحَائِلِ دَائِمًا. وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْعُلُومِ الَّتِي مَنْشَأُهَا الْجَامِعِيَّةُ بَيْنَ الأَصَالَةِ وَالظِّلِّيَّةِ وَارِدَةٌ كَثِيرٌ، وَأَكْثَرُهَا أَكْتُبُهُ فِي الأَوْرَاقِ. وَمَقَامُ الْقُطْبِيَّةِ مَنْشَأُ دَقَائِقِ عُلُومِ مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ وَمَرْتَبَةُ الْفَرْدِيَّةِ وَاسِطَةُ وُرُودِ مَعَارِفِ دَائِرَةِ الأَصْلِ، وَالإِمْتِيَازُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالأَصْلِ لا يَتَيَسَّرُ بِدُونِ اجْتِمَاعِ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ، وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ بَعْضُ الْمَشَايِخِ بِزِيَادَةِ الْقَابِلِيَّةِ الأُولَى الَّتِي يُقَالُ لَهَا التَّعَيُّنُ الأَوَّلُ عَلَى الذَّاتِ، وَزَعَمُوا شُهُودَ تِلْكَ الْقَابِلِيَّةِ تَجَلِّيًا ذَاتِيًّا. وَالْحَقُّ مَا حَقَّقْتُ وَالأَمْرُ مَا أَوْضَحْتُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. وَالرِّسَالَةُ الَّتِي كُنْتُ مَأْمُورًا بِتَسْوِيدِهَا لَمْ أُوَفَّقْ إِلَى الآنَ لإِتْمَامِهَا بَلْ بَقِيَتْ مُسَوَّدَةً كَمَا هِيَ وَلَمْ أَدْرِ فِي هَذَا التَّوَقُّفِ مَا الْحِكْمَةُ الإِلَهِيَّةُ. وَزِيَادَةُ الْجَرَاءَةِ بَعِيدَةٌ عَنِ الأَدَبِ.

(٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ فِي تَفْوِيضِ الْخَوَاجَةِ بُرْهَانَ الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُخْلِصِينَ مَعَ بَيَانِ بَعْضِ أَحْوَالِهِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الْخُدَّامِ أَنِّي قَدْ كَتَبْتُ رِسَالَةً فِي بَيَانِ طَرِيقَةِ خَوَاجَكَانَ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَرْسَلْتُهَا نَحْوَ الْجَنَابِ الْعَالِي لَعَلَّهَا تَكُونُ مَنْظُورَةً بِالنَّظَرِ الْمُبَارَكِ وَلَكِنَّهَا مُسَوَّدَةٌ فَقَطْ لَمْ أَجِدْ فُرْصَةً لِنَقْلِهَا إِلَى الْبَيَاضِ بِسَبَبِ عَجَلَةِ الْخَوَاجَةِ بُرْهَانَ فِي التَّوَجُّهِ، وَلاحْتِمَالِ أَنْ يَلْحَقَ بِهَا عُلُومٌ أُخَرُ. وَلَمَّا وَقَعَ نَظَرِي يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ عَلَى رِسَالَةِ سِلْسِلَةِ الأَحْرَارِ خَطَرَ فِي الْخَاطِرِ الْفَاتِرِ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكُمْ لِتَكْتُبُوا شَيْئًا فِي بَيَانِ بَعْضِ عُلُومِهَا، أَوْ تَأْمُرُوا الْفَقِيرَ لأَكْتُبَ شَيْئًا فِيهَا وَقَوِيَ هَذَا الْخَاطِرُ وَبَيْنَا أَنَا فِي هَذَا الْخَاطِرِ إِذْ فَاضَتْ عُلُومُ هَذِهِ الْمُسَوَّدَةِ فَكَتَبْتُهَا وَبَيَّنْتُ بَعْضَ عُلُومِ تِلْكَ الرِّسَالَةِ فِي ضِمْنِ مَا كَتَبْتُ فِي هَذِهِ الْمُسَوَّدَةِ فِي الْجُمْلَةِ. فَإِنْ جُعِلَتْ هَذِهِ الْمُسَوَّدَةُ تَكْمِلَةً لِتِلْكَ الرِّسَالَةِ فِيهَا، وَإِلاَّ فَإِنِ انْتُخِبَ بَعْضُ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبَةِ لَهَا مِنْهَا، وَأُلْحِقَ بِهَا فَلَهُ وَجْهٌ. وَزِيَادَةُ الإِنْبِسَاطِ خُرُوجٌ عَنِ الأَدَبِ وَالْخَوَاجَةُ بُرْهَانُ فَعَلَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ فِعْلاً حَسَنًا وَأَمْرًا مُسْتَحْسَنًا وَنَالَ نَصِيبًا مِنَ السَّيْرِ الثَّالِثِ الَّذِي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الْجَذْبَةِ وَصَارَ الآنَ بِوَاسِطَةِ مُهِمِّ مَدَدِ مَعَاشٍ

صُوبَةَ الْمَأْلُوهِ مُشَوَّشَ الْحَالِ وَمُشَتَّتَ الْبَالِ، وَقَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْجَنَابِ الْمُعَلَّى وَكُلُّ شَيْءٍ أَمْرُودُ بِهِ يَكُونُ مُبَارَكًا.

(٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ فِي بَيَانِ حُصُولِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَتَحْصِيلِ التَّرْبِيَةِ بِصِفَتَيِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَبَيَانِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَبَيَانِ عُلُوِّ نِسْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُحْتَرَمِ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ: أَنَّهُ قَدْ أَكْرَمَنِي الْمُرْشِدُ عَلَى الإِطْلَاقِ جَلَّ شَأْنُهُ بِبَرَكَةِ التَّوَجُّهِ الْعَالِي بِتَرْبِيَةِ طَرِيقَيِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَرَبَّانِي بِصِفَتَيِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَالْآنَ صَارَ الْجَلَالُ عَيْنَ الْجَمَالِ، وَالْجَمَالُ عَيْنَ الْجَلَالِ، وَقَدْ حَرَّفُوا هَذِهِ الْعِبَارَةَ فِي بَعْضِ حَوَاشِي الرِّسَالَةِ الْقُدْسِيَّةِ عَنْ مَفْهُومِهَا الصَّرِيحِ، وَحَمَلُوهَا عَلَى الْمَفْهُومِ الْمَوْهُومِ. وَالْحَالُ أَنَّ الْعِبَارَةَ مَحْمُولَةٌ عَلَى ظَاهِرِهَا غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ، وَعَلَامَةُ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ التَّحَقُّقُ بِالْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ، وَلَا إِمْكَانَ لِحُصُولِهَا بِدُونِ التَّحَقُّقِ بِهَا. وَالْمَحَبَّةُ الذَّاتِيَّةُ عَلَامَةُ الْفَنَاءِ، وَالْفَنَاءُ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْيَانِ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى. فَمَتَى لَمْ تَزُلِ الْعُلُومُ عَنْ سَاحَةِ الصَّدْرِ بِالتَّمَامِ وَلَمْ يَحْصُلِ التَّحَقُّقُ بِالْجَهْلِ الْمُطْلَقِ لَا نَصِيبَ مِنَ الْفَنَاءِ أَصْلاً وَهَذَا الْجَهْلُ دَائِمِيٌّ لَا إِمْكَانَ لِزَوَالِهِ لَا أَنَّهُ يَحْصُلُ أَحْيَانًا وَيَزُولُ أُخْرَى. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّهُ قَبْلَ الْبَقَاءِ جَهَالَةٌ مَحْضَةٌ، وَبَعْدَ الْبَقَاءِ يَجْتَمِعُ الْجَهَالَةُ وَالْعِلْمُ مَعًا. فَفِي عَيْنِ الْجَهَالَةِ شُعُورٌ، وَفِي عَيْنِ الْحَيْرَةِ حُضُورٌ. وَهَذَا مَوْطِنُ حَقِّ الْيَقِينِ الَّذِي لَا يَكُونُ فِيهِ كُلٌّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَيْنِ حِجَابًا لِلْآخَرِ، وَالْعِلْمُ الْحَاصِلُ قَبْلَ مِثْلِ هَذِهِ الْجَهَالَةِ خَارِجٌ مِنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ مَعَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ عِلْمٌ فَفِي النَّفْسِ، وَإِنْ كَانَ شُهُودٌ فَفِي النَّفْسِ، وَإِنْ مَعْرِفَةٌ أَوْ حَيْرَةٌ فَفِي النَّفْسِ أَيْضًا. وَمَا دَامَ النَّظَرُ فِي الْخَارِجِ لَا حَاصِلَ فِيهِ وَإِنْ كَانَ النَّظَرُ فِي النَّفْسِ يَعْنِي فِي الْجُمْلَةِ بَلِ اللَّائِقُ أَنْ يَنْقَطِعَ النَّظَرُ عَنِ الْخَارِجِ بِالْكُلِّيَّةِ، قَالَ الْخَوَاجَةُ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: "وَكُلُّ مَا يَرَاهُ أَهْلُ اللهِ بَعْدَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ يَرَوْنَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَكُلُّ مَا يَعْرِفُونَ يَعْرِفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَحَيْرَتُهُمْ تَكُونُ فِي وُجُودِ أَنْفُسِهِمْ". وَفُهِمَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا صَرِيحًا أَنَّ الشُّهُودَ وَالْمَعْرِفَةَ وَالْحَيْرَةَ فِي النَّفْسِ فَحَسْبُ، لَيْسَ فِي الْخَارِجِ شَيْءٌ مِنْهَا وَمَا دَامَ وَاحِدٌ مِنْهَا، فِي الْخَارِجِ لَا حَظَّ مِنَ الْفَنَاءِ وَلَا نَصِيبَ، وَإِنْ كَانَ بَعْضٌ مِنْهَا فِي الْخَارِجِ فَأَيْنَ الْبَقَاءُ بَعْدُ. وَنِهَايَةُ الْمَرَاتِبِ فِي الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ هِيَ هَذِهِ وَهَذَا هُوَ الْفَنَاءُ الْمُطْلَقُ، وَمُطْلَقُ الْفَنَاءِ أَعَمُّ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ وَالْبَقَاءُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى مِقْدَارِ الْفَنَاءِ وَلِهَذَا يَكُونُ لِبَعْضِ أَهْلِ اللهِ شُهُودٌ فِي الْخَارِجِ بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَلَكِنْ نِسْبَةُ هَؤُلَاءِ الْأَعِزَّةِ يَعْنِي: النَّقْشَبَنْدِيِّينَ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ. (شعر)

وَهَيْهَاتَ مَا كُلُّ النَّسِيمِ حِجَازِيًّا *** وَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِيًّا

فَإِذَا تَشَرَّفَ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ مِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ بَعْدَ قُرُونٍ كَثِيرَةٍ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ فَمَاذَا يَقُولُونَ فِي سَلَاسِلَ أُخَرَ وَهَذِهِ نِسْبَةُ خَوَاجَهْ عَبْدِ الْخَالِقِ الْغُجْدُوَانِي[١] قُدِّسَ سِرُّهُ وَمُتَمِّمُهَا وَمُكَمِّلُهَا شَيْخُ الشُّيُوخِ، أَعْنِي: حَضْرَةَ الْخَوَاجَهْ بَهَاءِ الدِّينِ الْمَعْرُوفِ بِالنَّقْشَبَنْدِ قُدِّسَ سِرُّهُ وَتَشَرَّفَ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ مِنْ خُلَفَائِهِ الْخَوَاجَهْ عَلَاءُ الدِّينِ الْعَطَّارُ قُدِّسَ سِرُّهُ، (ع):

وَتِلْكَ سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ !

وَالْعَجَبُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ حَيْثُ كَانَ كُلُّ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ وَاقِعَةٍ بَاعِثَةً عَلَى السُّرُورِ وَالْفَرَحِ أَوَّلاً وَكُنْتُ أَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، وَكُلَّمَا فَاتَنِي شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا كَانَ يَطِيبُ بِهِ قَلْبِي، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى مِثْلَهُ وَلَمَّا أُنْزِلْتُ الْآنَ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ وَوَقَعَ نَظَرِي عَلَى عَجْزِي وَافْتِقَارِي صَارَ يَحْصُلُ لِي نَوْعُ حُزْنٍ بِحُصُولِ ضَرَرٍ يَسِيرٍ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنْ زَالَ بِسُرْعَةٍ وَلَمْ يَبْقَ أَصْلاً وَكَذَا إِذَا دَعَوْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ لِدَفْعِ بَلَاءٍ أَوْ مُصِيبَةٍ مَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ رَفْعَ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ بَلْ لِأَجْلِ الْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ: " اُدْعُوا ". وَالْآنَ صَارَ الْمَقْصُودُ مِنَ الدُّعَاءِ رَفْعَ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَاءِ وَقَدْ رَجَعَ الْخَوْفُ وَالْحُزْنُ اللَّذَانِ قَدْ زَالَا مِنْ قَبْلُ وَصَارَ مَعْلُومًا لِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ السُّكْرِ.

وَأَمَّا فِي الصَّحْوِ فَكُلُّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي عَوَامِّ النَّاسِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْإِفْتِقَارِ وَالْخَوْفِ وَالْحُزْنِ وَالْغَمِّ وَالْفَرَحِ مَوْجُودٌ فِي صَاحِبِ الصَّحْوِ وَفِي الْإِبْتِدَاءِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ مِنَ الدُّعَاءِ رَفْعَ الْبَلَاءِ وَلَكِنْ مَا كَانَ قَلْبِي يَطِيبُ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّ الْحَالَ كَانَ غَالِبًا عَلَيَّ. وَكَانَ أَوَّلاً يَخْطُرُ فِي الْبَالِ أَنَّ دَعَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ اسْتِدْعَاءِ حُصُولِ الْمُرَادِ. وَلَمَّا شُرِّفْتُ الْآنَ بِتِلْكَ الْحَالَةِ صَارَتْ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ وَاضِحَةً، وَعَلِمْتُ أَنَّ دَعَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْعَجْزِ وَالْإِفْتِقَارِ وَالْخَوْفِ وَالْإِنْكِسَارِ، لَا لِمُجَرَّدِ امْتِثَالِ الْأَمْرِ.

وَتَصْدُرُ الْجَرَاءَةُ أَحْيَانًا بِعَرْضِ بَعْضِ الْأُمُورِ الْوَاقِعَةِ حَسْبَ الْأَمْرِ.

(٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ فِي بَيَانِ بَعْضِ أَحْوَالِهِ الْغَرِيبَةِ مَعَ بَعْضِ اسْتِفْسَارَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ: أَنَّ الْمَقَامَ الَّذِي كَانَ فَوْقَ الْمُحَدَّدِ وَجَدْتُ رُوحِي هُنَاكَ بِطَرِيقِ الْعُرُوجِ، وَكَانَ لِهَذَا الْمَقَامِ اخْتِصَاصٌ بِحَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدِ قُدِّسَ سِرُّهُ الْأَقْدَسُ ثُمَّ وَجَدْتُ بَدَنِي الْعُنْصُرِيَّ هُنَاكَ

---

(١) عبد الخالق بن عبد الجميل الملطي الغجدواني ثم البخاري الصوفي: من خلفاء يوسف الهمداني، توفي سنة ٥٧٥ هـ، له الوصايا في التصوف. انظر: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٥٠٩/٥.

بَعْدَ زَمَانٍ، وَخُيِّلَ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ بِتَمَامِهِ مِنَ الْعُنْصُرِيَّاتِ وَالْفَلَكِيَّاتِ نَازِلٌ إِلَى التَّحْتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ اسْمٌ وَلاَ رَسْمٌ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ إِلاَّ بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ الْكِبَارِ، وَالْآنَ أَجِدُ تَمَامَ الْعَالَمِ شَرِيكًا لِي فِي الْمَحَلِّ وَالْمَقَامِ.

حَصَلَتِ الْحَيْرَةُ بِأَنَّهُ مَعَ وُجُودِ الْأَجِبَّةِ التَّامَّةِ أَرَى نَفْسِي مَعَهُمْ. وَالْحَاصِلُ: تَظْهَرُ أَحْيَانًا حَالَةٌ لاَ أَبْقَى فِيهَا أَنَا وَلاَ الْعَالَمُ وَلاَ يَظْهَرُ شَيْءٌ لاَ فِي النَّظَرِ وَلاَ فِي الْعِلْمِ. وَتِلْكَ الْحَالَةُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى الْآنَ وَوُجُودُ الْعَالَمِ مُحْتَجِبٌ عَنِ النَّظَرِ وَالْعِلْمِ، ثُمَّ ظَهَرَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ قَصْرٌ عَالٍ قَدْ وُضِعَ فِيهِ سَلاَلِمُ فَطَلَعْتُ فِيهِ ثُمَّ تَنَزَّلَ ذَلِكَ الْمَقَامُ أَيْضًا بِالتَّدْرِيجِ مِثْلَ الْعَالَمِ وَوَجَدْتُنِي صَاعِدًا سَاعَةً فَسَاعَةً فَصَلَّيْتُ اتِّفَاقًا رَكْعَتَيْ شُكْرِ الْوُضُوءِ، فَظَهَرَ مَقَامٌ عَالٍ جِدًّا، فَرَأَيْتُ فِيهِ الْأَكَابِرَ الْأَرْبَعَةَ [1] النَّقْشَبَنْدِيِّينَ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَكَانَ فِيهِ أَيْضًا مَشَايِخُ آخَرُونَ مِثْلَ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ بَعْضٌ مِنَ الْمَشَايِخِ فَوْقَ ذَلِكَ الْمَقَامِ، وَلَكِنْ كَانُوا قَاعِدِينَ آخِذِينَ بِقَوَائِمِهِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ تَحْتَهُ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي بَعِيدًا عَنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ جِدًّا، بَلْ لَمْ أَرَ فِي نَفْسِي مُنَاسَبَةً بِهَذَا الْمَقَامِ. فَحَصَلَ لِي مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ اضْطِرَابٌ تَامٌّ حَتَّى كِدْتُ أَكُونُ مَجْنُونًا وَيَخْرُجُ رُوحِي مِنْ بَدَنِي مِنْ فَرْطِ الْحُزْنِ وَالْأَسَفِ فَمَرَّتْ عَلَى هَذِهِ النَّهْجِ أَوْقَاتٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ نَفْسِي أَخِيرًا مُنَاسِبًا لِذَلِكَ الْمَقَامِ بِتَوَجُّهَاتِكُمُ الْعَلِيَّةِ. وَوَجَدْتُ رَأْسِي أَوَّلاً مُحَاذِيًا لِذَلِكَ الْمَقَامِ، ثُمَّ صَعِدْتُ تَدْرِيجًا وَقَعَدْتُ فَوْقَهُ، ثُمَّ خَطَرَ فِي بَالِي بَعْدَ التَّوَجُّهِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَقَامَ مَقَامُ التَّكْمِيلِ التَّامِّ يُوصَلُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَمَامِ السُّلُوكِ وَلاَ حَظَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ لِمَجْذُوبٍ لَمْ يُتِمَّ السُّلُوكَ، وَخُيِّلَ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ الْوُصُولَ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ مِنْ نَتَائِجِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ الَّتِي كُنْتُ رَأَيْتُهَا حِينَ كَوْنِي فِي مُلاَزَمَتِكُمْ، وَهِيَ أَنِّي رَأَيْتُ سَيِّدَنَا عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَدْ جَاءَ وَقَالَ: "جِئْتُكَ لِأُعَلِّمَكَ عِلْمَ السَّمَوَاتِ" إلخ. وَلَمَّا أَمْعَنْتُ النَّظَرَ وَجَدْتُ ذَلِكَ الْمَقَامَ مَخْصُوصًا بِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ [2] كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْمَعْرُوضُ ثَانِيًا: أَنَّهُ يَظْهَرُ لِي أَنَّ الْأَخْلاَقَ السَّيِّئَةَ تَرْتَفِعُ سَاعَةً فَسَاعَةً بَعْضُهَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَدَنِ مِثْلَ الْخَيْطِ وَبَعْضُهَا مِثْلَ الدُّودِ، وَيُخَيَّلُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَنَّ كُلَّهَا قَدْ زَالَتْ ثُمَّ يَظْهَرُ فِي وَقْتٍ آخَرَ. وَثَالِثًا: أَنَّ التَّوَجُّهَ لِدَفْعِ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ وَالشَّدَائِدِ هَلْ هُوَ مَشْرُوطٌ بِأَنْ يَعْلَمَ رِضَا الْحَقِّ سُبْحَانَهُ أَوَّلاً أَوْ لاَ ؟ وَالظَّاهِرُ مِنْ عِبَارَةِ الرَّشَحَاتِ الْمَنْقُولَةِ عَنْ حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ يَعْنِي: عُبَيْدَ اللهِ أَحْرَارَ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْأَقْدَسَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَرْطٍ فَبِمَاذَا تَحْكُمُونَ فِي هَذَا الْبَابِ، مَعَ أَنَّ التَّوَجُّهَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ يَعْنِي: عِنْدَهُ. وَرَابِعًا: أَنْ بَعْدَ تَحَقُّقِ

---

(1) لعله أراد بهم الخواجه عبد الخالق الغجدواني والخواجه محمد بهاء الدين النقشبند والخواجه علاء الدين العطار والخواجه عبيد الله أحرار قدس سرهم لمؤلفه عفي عنه.

(2) أبو الحسن علي بن أبي طالب: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبي طالب عبد مناف، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت، ويكنى أبا الحسن وأبا تراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، وشهد المشاهد كلها، ولم يتخلف إلا في تبوك ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله، وكان غزير العلم مرجعا في الفتوى والقضاء حتى قيل: " فتوى ولا أبا الحسن لها "، توفي بالمدينة سنة خمسين. انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٥٦/١، ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١٦٢/١، الشيخ يس السنهوري النقشبندي ت (١٤١٦هـ): الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية: ٢١.

اَلْحُضُورِ فِي الطَّالِبِينَ، هَلْ يَلْزَمُ الْمَنْعُ مِنَ الذِّكْرِ وَالْأَمْرُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْحُضُورِ أَوْ لَا ؟ ثُمَّ أَيُّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْحُضُورِ لَا ذِكْرَ فِيهَا مَعَ أَنَّ الْبَعْضَ لَمْ يَتْرُكِ الذِّكْرَ مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى الْآخِرِ وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنَ الذِّكْرِ أَصْلاً حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى النِّهَايَةِ. فَمَا حَقِيقَةُ الْأَمْرِ فِيهِ؟ وَبِمَاذَا تَأْمُرُونَ؟ وَخَامِسًا: أَنَّ حَضْرَةَ الْخَوَاجَةِ، يَعْنِي: عُبَيْدَ اللهِ أَحْرَارَ، قَالَ فِي الْفِقْرَاتِ: " وَيَأْمُرُونَ أَخِيرًا بِالذِّكْرِ فَإِنَّ بَعْضَ الْمَقَاصِدِ لَا يَتَيَسَّرُ إِلَّا بِهِ وَمَا هَذِهِ الْمَقَاصِدُ فَعَيِّنُوهُ. وَسَادِسًا: أَنَّ بَعْضَ الطَّالِبِينَ يَطْلُبُونَ تَعْلِيمَ الطَّرِيقَةِ إِيَّاهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَحْتَاطُونَ فِي اللُّقْمَةِ، وَمَعَ عَدَمِ الْإِحْتِيَاطِ قَدْ حَصَّلُوا حُضُورًا وَنَحْوًا مِنَ الْإِسْتِغْرَاقِ، فَإِنْ أَكَّدْنَا عَلَيْهِمْ بِالْإِحْتِيَاطِ فِي اللُّقْمَةِ يَتْرُكُونَ الْكُلَّ، يَعْنِي: يَخْتَارُونَ تَرْكَ الطَّرِيقَةِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ ضَعْفِ الطَّلَبِ. فَمَا الْحُكْمُ فِي هَذَا الْبَابِ؟ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَطْلُبُونَ مُجَرَّدَ الْإِتِّصَالِ بِهَذِهِ السِّلْسِلَةِ الشَّرِيفَةِ بِطَرِيقِ الْإِرَادَةِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ تَعْلِيمِ الذِّكْرِ وَهَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ أَوْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ يَجُوزُ فَمَا طَرِيقُهُ وَزِيَادَةُ الْإِنْبِسَاطِ خُرُوجٌ مِنَ الْأَدَبِ.

(٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ فِي بَيَانِ الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَرْتَبَةِ الْبَقَاءِ وَالصَّحْوِ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ: أَنِّي لَمَّا أُخْرِجْتُ إِلَى الصَّحْوِ وَشُرِّفْتُ بِالْبَقَاءِ أَخَذَ تَظْهَرُ الْعُلُومُ الْغَرِيبَةُ وَالْمَعَارِفُ غَيْرُ الْمُتَعَارَفَةِ وَتُفَاضُ عَلَى التَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي وَأَكْثَرُهَا لَا يُوَافِقُ بَيَانَ الْقَوْمِ وَاصْطِلَاحَهُمُ الْمُتَدَاوَلَ. وَكُلُّ مَا بَيَّنُوهُ فِي مَسْأَلَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَقَالُوا بِهِ قَدْ شُرِّفْتُ بِهِ فِي أَوَائِلِ الْحَالِ وَتَيَسَّرَ شُهُودُ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ، ثُمَّ تَرَقَّيْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ بِعِنَايَةِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ إِلَى مَا فَوْقَهُ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَفَاضَ عَلَيَّ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ أَنْوَاعُ الْعُلُومِ وَلَكِنْ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْقَوْمِ مِصْدَاقُ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ، وَمِصْدَاقُ هَاتِيكَ الْمَعَارِفِ وَالْمَقَالَاتِ صَرِيحًا. وَفِي كَلَامِ بَعْضِ الْأَكَابِرِ إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ إِجْمَالِيَّةٌ فِيهَا، وَلَكِنَّ الشَّاهِدَ الْعَدْلَ لِصِحَّتِهَا مُوَافَقَتُهَا لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِحَيْثُ لَا تُخَالِفُ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ فِي شَيْءٍ وَلَا تُوَافِقُ أَقْوَالَ الْفَلَاسِفَةِ وَأُصُولَهُمُ الْمَعْقُولَةَ، بَلْ لَا تُوَافِقُ أُصُولَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ لَهُمْ مُخَالَفَةٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ. وَقَدِ انْكَشَفَ أَنَّ الْإِسْتِطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ وَأَنْ لَا قُدْرَةَ قَبْلَ الْفِعْلِ، بَلْ تَحْصُلُ الْقُدْرَةُ مُقَارِنًا بِالْفِعْلِ، وَالتَّكْلِيفُ مُسْتَنِدٌ إِلَى سَلَامَةِ الْأَسْبَابِ وَالْأَعْضَاءِ كَمَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَجِدُنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَى قَدَمِ الْخَوَاجَةِ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِ قُدِّسَ سِرُّهُ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَكَانَ لِحَضْرَةِ الْخَوَاجَةِ عَلَاءِ الدِّينِ الْعَطَّارِ نَصِيبٌ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْمَقَامِ وَمِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةِ عَبْدُ الْخَالِقِ الْغُجْدُوَانِيُّ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ الْأَقْدَسَ وَمِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ الشَّيْخُ مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَحَبِيبٌ الْعَجَمِيُّ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ الْمُقَدَّسَةَ. وَحَاصِلُ هَذِهِ كُلِّهَا كَمَالُ الْبُعْدِ وَالْوَحْشَةِ وَقَدْ جَاوَزَ الْأَمْرُ الْمُعَالَجَةَ وَمَا دَامَتِ الْحُجُبُ مَسْدُولَةً كَانَ لِلسَّعْيِ وَالْإِهْتِمَامِ لِرَفْعِهَا مَجَالٌ، وَالْآنَ كَانَتْ عَظَمَةُ الْأَمْرِ

حِجَابًا لَهُ (ع) فَلاَ طَبِيبَ لَهَا وَلاَ رَاقِ * وَكَأَنَّهُمْ سَمُّوا كَمَالَ الْوَحْشَةِ وَعَدَمَ الْمُنَاسَبَةِ وَصْلاً وَاتِّصَالاً هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! وَهَذَا الْبَيْتُ مُوَافِقٌ لِلْحَالِ. (شعْر)

إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَدَعْوَى وِصَالِهِ *** أَيْنَ الْحَضِيضُ مِنَ السِّمَاكِ الْأَعْزَلِ

أَيْنَ الشُّهُودُ، وَمَنِ الشَّاهِدُ وَمَا الْمَشْهُودُ، (ع) * وَمَتَى يُرَى لِلْخَلْقِ نُورُ جَمَالِهِ *

مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ وَإِنَّمَا لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ نَفْسَهُ مَخْلُوقًا غَيْرَ قَادِرٍ، وَكَذَلِكَ لَهُ أَنْ يَعْتَقِدَ جَمِيعَ الْعَالَمِ كَذَلِكَ، وَأَنْ يُذْعِنَ أَنَّ الْخَالِقَ وَالْقَادِرَ هُوَ الْحَقُّ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَثْبُتُ نِسْبَةٌ غَيْرَ هَذَا أَصْلاً. فَأَيْنَ الْعَيْنِيَّةُ وَالْمِرْآتِيَّةُ ؟ (ع) وَبِأَيِّ مِرْآةٍ غَدَا مُتَصَوَّرًا ؟

وَعُلَمَاءُ الظَّاهِرِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَإِنْ كَانُوا مُقَصِّرِينَ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ، وَلَكِنْ يَظْهَرُ فِي النَّظَرِ أَنَّ لِكَمَالِ صِحَّةِ عَقَائِدِهِمْ مِنَ النُّورَانِيَّةِ مَا يَضْمَحِلُّ فِيهِ تَقْصِيرَاتُهُمْ وَتَتَلاَشَى. وَلاَ يُوجَدُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ لِعَدَمِ كَمَالِ صِحَّةِ عَقِيدَتِهِمْ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ وُجُودِ الرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ. وَقَدْ حَصَلَتْ لِي مَحَبَّةٌ كَثِيرَةٌ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعُلُومِ وَتُسْتَحْسَنُ لِي سِيرَتُهُمْ، وَأَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ فِي زُمْرَتِهِمْ، وَنَتَذَاكَرُ مَعَ طَلَبَةِ الْعُلُومِ "التَّوْضِيحَ وَالتَّلْوِيحَ" مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الْأَرْبَعِ وَنُبَاحِثُ مَعَهُمْ وَنَقْرَأُ "الْهِدَايَةَ" أَيْضًا مِنَ الْفِقْهِ.

وَأُشَارِكُ الْعُلَمَاءَ أَيْضًا فِي الْقَوْلِ بِالْإِحَاطَةِ وَالْمَعِيَّةِ الْعِلْمِيَّتَيْنِ.

وَكَذَلِكَ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ عَيْنَ الْعَالَمِ وَلاَ مُتَّصِلاً بِهِ وَلاَ مُنْفَصِلاً عَنْهُ، وَلاَ مَعَ الْعَالَمِ وَلاَ مُفَارِقًا عَنْهُ وَلاَ مُحِيطًا بِهِ وَلاَ سَارِيًا فِيهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الذَّوَاتَ وَالصِّفَاتِ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ لَهُ تَعَالَى، لاَ أَنَّ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ صِفَاتٌ لَهُ تَعَالَى وَأَفْعَالَهَا أَفْعَالُهُ سُبْحَانَهُ؛ بَلْ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُؤَثِّرَ فِي الْأَفْعَالِ إِنَّمَا هُوَ قُدْرَتُهُ تَعَالَى لاَ تَأْثِيرَ لِقُدْرَةِ الْمَخْلُوقِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ عُلَمَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ. وَكَذَلِكَ أَعْلَمُ أَنَّ الصِّفَاتِ السَّبْعَ مَوْجُودَةٌ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ مُرِيدٌ، وَأَتَصَوَّرُ الْقُدْرَةَ بِمَعْنَى صِحَّةِ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ بِيَقِينٍ، لاَ بِمَعْنَى إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْ، وَلاَ أَقُولُ إِنَّ الشَّرْطِيَّةَ الثَّانِيَةَ مُمْتَنِعَةُ الْوُقُوعِ كَمَا قَالَ بِهِ الْحُكَمَاءُ، يَعْنِي الْفَلاَسِفَةَ السُّفَهَاءَ وَبَعْضَ الصُّوفِيَّةِ ؛ فَإِنَّ هَذَا يَنْجَرُّ إِلَى الْقَوْلِ بِالْإِيجَابِ وَيُوَافِقُ أُصُولَ الْحُكَمَاءِ وَأَعْتَقِدُ مَسْأَلَةَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى طَوْرِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّ لِلْمَالِكِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلاَ أَرَى لِلْقَابِلِيَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ دَخْلاً أَصْلاً ؛ فَإِنَّهُ يَنْجَرُّ إِلَى الْإِيجَابِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُخْتَارٌ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ. وَلَمَّا كَانَ عَرْضُ الْأَحْوَالِ مِنْ جُمْلَةِ الضَّرُورِيَّاتِ اجْتَرَأْنَا بِعَرْضِهَا بِالضَّرُورَةِ (ع) عَلَى الْمَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَلَ الدَّهْرَ طَوْرَهُ *

(٩) الْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ فِي بَيَانِ الْأَحْوَالِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَقَامِ النُّزُولِ

كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ

عريضة المدبر الأسود الوجه المقتصر سيء الخلق مغرور الوقت والحال الكامل الإجتهاد في مخالفة المولى * العامل بترك العزيمة والأولى * مزين موقع نظر الخلق * ومخرب محل نظر الحق * تعالى وتقدس مقصور الهمة في تزيين الظاهر * منحرف الباطن من هذه الجهة نحو الأغيار قاله مناف لحاله * وحاله مبني على خياله * فماذا يحصل من هذا المنام والخيال * وماذا ينكشف من هذا القال والحال * نقد الوقت الادبار والخسارة * والبضاعة الغباوة والضلالة * ونفسه مبدأ الشر والفساد * ومنشأ الظلم ومعصية رب العباد * وبالجملة أنه ذنوب مجسمة * وعيوب مجتمعة * خيراته لائقة باللعن والرد * وحسناته مستحقة للطعن والطرد * "رب قارئ القرآن والقرآن يلعنه"(١) شاهد عدل في حقه "وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ والجوع"(٢) شاهد صدق في شأنه * فويل لمن كان هذا حاله ومنزلته وكماله ودرجته * استغفاره ذنب كسائر الذنوب بل أشد * وتوبته معصية كسائر المعاصي بل أقبح * كل ما يفعله القبيح قبيح، مصداق هذا القول (ع) من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا *

مرضه ذاتي لا يقبل العلاج وداؤه أصلي لا ينفعه الدواء كفاسد المزاج ما بالذات لا ينفك عن الذات، (شعر):

أنى يزول من الحبوش سوادها *** إن السواد بأصله هو لونها

ماذا نصنع: ﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾(٤) نعم الخير المحض يستدعي شريرا محضا ؛ لتظهر حقيقة الخيرية، الأشياء إنما تتبين بضدها فالخير والكمال إذا كانا مهيأين يلزمهما الشر والنقص فإن الحسن والجمال لا بد لهما من المرآة والمرآة لا تكون إلا في مقابلة شيء فلا جرم

---

(١) لا أصل له: ذكره الغزالي في الإحياء من قول أنس بن مالك رضي الله عنه وسكت عنه مخرجوا أحاديثه قاطبة.

[2] اخرجه ابن ماجة والنسائي بلفظ رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع وفي بعض طرقه الا العطش وذكر ابن حجر عن النسائي وابن ماجة بلفظ كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وفي رواية الدارمي كم من صائم ليس له من صيامه الا الظماء (قزان رحمة الله عليه)

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام، باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، والنسائي، والدارمي: كتاب الرقاق باب: المحافظة على الصوم، بلفظ: " رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع "؛ وفي بعض طرقه إلا العطش وذكره ابن حجر عن النسائي وابن ماجه بلفظ: " كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش " وفي رواية الدارمي: " كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظما "، وعند أحمد في باقي مسند المكثرين وعند الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه بلفظ: " رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر " وصححه السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم: ٤٤٠٤، وانظر كذلك كشف الخفا مزيل الألباس للعجلوني: (ح ١٣٦٥)، تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي كتاب أسرار الصيام حديث: ٣، وكنز العمال للمتقي الهندي: (ح ٧٤٩٠)، وأخرجه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ليس له من صيامه إلا الجوع " أي: ليس لصومه قبول عند الله ؛ فلا ثواب له، قال الغزالي: قيل: هو الذي يفطر على حرام، أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام، وانظر: فيض القدير للمناوي الموضع السابق.

(٤) الآية: ٣٣ من سورة النحل.

كَانَ الشَّرُّ مِرْآةً لِلْخَيْرِ وَالنَّقْصُ مِرْآةً لِلْكَمَالِ. فَمَا زَادَ فِيهِ النَّقْصُ وَالشَّرُّ يَكُونُ الْكَمَالُ فِيهِ أَزْيَدَ وَالْخَيْرُ أَوْفَرَ وَالْعَجَبُ أَنَّ هَذَا الذَّمَّ كَشَفَ عَنْ وَجْهِ مَعْنَى الْمَدْحِ وَصَارَ الشَّرُّ وَالنُّقْصَانُ مَحَلاً لِلْخَيْرِ وَالْكَمَالِ. فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مَقَامُ الْعَبْدِيَّةِ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى أَتَمُّ وَأَكْمَلُ فِي مَقَامِ الْعَبْدِيَّةِ وَإِنَّمَا يَتَشَرَّفُ بِهَذَا الْمَقَامِ الْمَحْبُوبُونَ وَتَلَذُّذُ الْمُحِبِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِذَوْقِ الشُّهُودِ وَالإِلْتِذَاذُ بِالْعَبْدِيَّةِ وَالأُنْسُ بِهَا مُخْتَصَّانِ بِالْمَحْبُوبِينَ. أُنْسُ الْمُحِبِّينَ فِي مُشَاهَدَةِ الْمَحْبُوبِ وَأُنْسُ الْمَحْبُوبِينَ فِي عُبُودِيَّةِ الْمَحْبُوبِ. فَهُمْ يَتَشَرَّفُونَ فِي هَذَا الأُنْسِ بِتِلْكَ الدَّوْلَةِ وَالنِّعْمَةِ. وَفَارِسُ هَذَا الْمَيْدَانِ عَلَى الإِطْلاَقِ هُوَ سَيِّدُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَسَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا. فَإِنْ أُرِيدَ إِيصَالُ شَخْصٍ إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِمَحْضِ الْفَضْلِ يُجْعَلُ أَوَّلاً مُتَحَقِّقًا بِكَمَالِ مُتَابَعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، ثُمَّ يُرْفَعُ بِتِلْكَ الْمُتَابَعَةِ إِلَى ذِرْوَةِ الْعُلاَ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١).

وَالْمُرَادُ مِنَ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ الْعِلْمُ الذَّوْقِيُّ بِهِمَا لاَ الإِتِّصَافُ بِهِمَا، وَصَاحِبُ هَذَا الْعِلْمِ مُتَخَلِّقٌ بِأَخْلاَقِ اللهِ تَعَالَى شَأْنُهُ وَتَقَدَّسَ وَهَذَا الْعِلْمُ مِنْ جُمْلَةِ ثَمَرَاتِ ذَلِكَ التَّخَلُّقِ. فَكَيْفَ يَكُونُ لِلشَّرِّ وَالنَّقْصِ مَجَالٌ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ سِوَى تَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِهِمَا. وَهَذَا الْعِلْمُ إِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ الشُّهُودِ التَّامِّ لِلْخَيْرِ الْمَحْضِ الَّذِي يُرَى الْكُلُّ فِي جَنْبِهِ شَرًّا. وَهَذَا الشُّهُودُ بَعْدَ نُزُولِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ إِلَى مَقَامِهَا وَلِذَلِكَ مَا دَامَ الْعَبْدُ لَمْ يُسْقِطْ حَظَّ نَفْسِهِ وَلَمْ يَضْرِبْ بِهِ الأَرْضَ وَلَمْ يَبْلُغْ أَمْرُهُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ لاَ نَصِيبَ لَهُ مِنْ كَمَالِ مَوْلاَهُ جَلَّ شَأْنُهُ فَكَيْفَ إِذَا اعْتَقَدَ نَفْسَهُ أَنَّهُ عَيْنُ مَوْلاَهُ وَصِفَاتِهِ صِفَاتُهُ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا وَهَذَا الإِعْتِقَادُ إِلْحَادٌ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَأَرْبَابُهُ دَاخِلُونَ فِي زُمْرَةِ مِصْدَاقِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾(٢) وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ تَقَدَّمَتْ جَذْبَتُهُ عَلَى سُلُوكِهِ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ وَلَكِنَّ تَقَدُّمَ الْجَذْبَةِ شَرْطٌ فِي الْمَحْبُوبِيَّةِ نَعَمْ فِي كُلِّ جَذْبَةٍ نَوْعٌ مِنْ مَعْنَى الْمَحْبُوبِيَّةِ. فَإِنَّ الْجَذْبَ لاَ يَكُونُ بِدُونِهِ وَذَلِكَ الْمَعْنَى حَصَلَ فِيهِمْ بِسَبَبِ عَارِضٍ مِنَ الْعَوَارِضِ لاَ ذَاتِيٍّ، وَالذَّاتِيُّ غَيْرُ مُعَلَّلٍ بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ أَلاَ تَرَى أَنَّ كُلَّ مُنْتَهٍ تَتَيَسَّرُ لَهُ الْجَذْبَةُ أَخِيرًا مَعَ كَوْنِهِ دَاخِلاً فِي زُمْرَةِ الْمُحِبِّينَ ظَهَرَ فِيهِ مَعْنَى الْمَحْبُوبِيَّةِ بِوَاسِطَةِ عَارِضٍ وَهُوَ لاَ يَكْفِي فِيهِ يَعْنِي "حُصُولُ هَذَا الْمَعْنَى لاَ يَكْفِي فِي كَوْنِ السَّالِكِ مَحْبُوبًا"، وَذَلِكَ الْعَارِضُ هُوَ التَّزْكِيَةُ وَالتَّصْفِيَةُ، وَيَكُونُ الْبَاعِثُ عَلَى حُصُولِ هَذَا الْمَعْنَى لِبَعْضِ الْمُبْتَدِئِينَ فِي الْجُمْلَةِ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ بَلِ الْبَاعِثُ عَلَيْهِ فِي الْمُنْتَهِي أَيْضًا هُوَ الاتِّبَاعُ فَقَطْ، وَظُهُورُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الذَّاتِيِّ وَالْفَضْلِيِّ فِي الْمَحْبُوبِينَ أَيْضًا مَنُوطٌ بِاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى الذَّاتِيَّ بِوَاسِطَةِ الْمُنَاسَبَةِ الذَّاتِيَّةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالاسْمَ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ وَاقِعٌ مُنَاسِبًا لِلاسْمِ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ تِلْكَ الْخُصُوصِيَّةِ

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) الآية: ١٨٠ من سورة الأعراف.

وَبِهَذَا السَّبَبِ اكْتُسِبَ هَذِهِ السَّعَادَةُ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ وَاللهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

(١٠) الْمَكْتُوبُ الْعَاشِرُ فِي حُصُولِ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ وَالْفَرْقِ وَالْوَصْلِ بِمَعَانٍ غَيْرِ مُتَعَارَفَةٍ مَعَ بَعْضِ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبِ لِذَلِكَ الْمَقَامِ كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الْخَدَمَةِ: أَنَّهُ قَدْ طَالَتِ الْمُدَّةُ وَلاَ اطِّلاَعَ لِي عَلَى أَحْوَالِ خَدَمَةِ تِلْكَ الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ مَعَ كَثْرَةِ الاِنْتِظَارِ،

(شِعْرٌ):

وَلاَ عَجَبَ إِنْ عَادَ رُوحِي إِذَا أَتَى *** سَلاَمٌ مِنَ الْخِلِّ الْوَفِيِّ الْمُفَارِقِ

(غَيْرُهُ) عَلِمْتُ بِأَنِّي غَيْرُ لاَحِقِ رَكْبِهِ *** فَيَكْفِي سَمَاعِي مِنْ وَرَاهُ نِدَائَهُ

وَأَعْجَبُ بِأَمْرٍ حَيْثُ سَمَّوْا نِهَايَةَ الْبُعْدِ قُرْبًا وَغَايَةَ الْفِرَاقِ وَصْلاً وَكَأَنَّهُمْ أَشَارُوا فِي ضِمْنِ ذَلِكَ إِلَى نَفْيِ الْقُرْبِ وَالْوِصَالِ،

(شِعْرٌ):

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا *** قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفٌ

فَلاَ جَرَمَ كَانَ الْحُزْنُ الأَبَدِيُّ وَالْفِكْرُ الدَّائِمِيُّ مُمِدًّا وَمُعِينًا، وَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي آخِرِ الأَمْرِ مُرِيدًا أَيْضًا بِإِرَادَتِهِ وَالْمَحْبُوبُ مُحِبًّا وَمُبْتَلَى بِمَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ. وَهَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ وُجُودِ مَقَامِ الْمُرَادِيَّةِ وَالْمَحْبُوبِيَّةِ صَارَ مُرِيدًا وَمُحِبًّا فَلاَ جَرَمَ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِهِ "بِأَنَّهُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاصِلَ الْحُزْنِ دَائِمَ الْفِكْرِ"[١] وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ"[٢].

وَالْمُحِبُّونَ هُمُ الْمُتَحَمِّلُونَ لِثِقَلِ الْمَحَبَّةِ، وَحَمْلُ هَذَا الثِّقَلِ عَسِيرٌ عَلَى الْمَحْبُوبِينَ.

(ع) فَيَا لَهَا قِصَّةً فِي شَرْحِهَا طُولٌ (ع) وَقِصَّةُ الْعِشْقِ مِمَّا لاَ انْفِصَامَ لَهُ.

---

(١) هذا طرف من حديث طويل في شمائل حليته صلى الله عليه وسلم عزاه السيوطي في جمع الجوامع إلى ابن سعد والترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل والشعب ،الطبراني في الكبير والروياني وابن عساكر عن الحسن ابن علي عن خاله ابن أبي هالة بلفظ كان متواصل الأحزان دائم الفكر ولا عبرة بإنكار المنكر بمجرد عقله بعد ثبوته بنقل الثقات وتقرير العلماء الإثبات اه. قلت: ويؤيده ما أخرجه سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ".

(٢) أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن جابر رضه بلفظ ما أوذي أحد ما أوذيت وأخرجه أحمد والترمذي وابن حبان عن أنس مرفوعا لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وأخفت في الله وما يخاف أحد.

وَحَامِلُ الْعَرِيضَةِ الشَّيْخُ اَللَّهْ بَخْشْ قَدْ حَصَلَ لَهُ نَوْعٌ مِنَ الْجَذْبِ وَالْمَحَبَّةِ وَقَدْ صَارَ بَاعِثًا عَلَى كِتَابَةِ كَلِمَاتٍ إِلَى خِدْمَتِكُمْ بِالْإِبْرَامِ. وَحَاصِلُ الْمَرَامِ أَنَّهُ أَظْهَرَ شَوْقَ الْمُلَازَمَةِ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ تِلْكَ الْحُدُودِ وَقَدْ كَانَ أَوَّلًا أَظْهَرَ بَعْضَ الْإِرَادَاتِ وَلَمَّا فَهِمَ مِنْ هَذَا الْفَقِيرِ تَقَاعُدًا فِيهِ وَتَأَخُّرًا عَنْ إِنْجَاحِهِ رَضِيَ بِمُجَرَّدِ الْمُلَاقَاةِ فَكَتَبْنَا لِأَجْلِ ذَلِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَزِيَادَةُ الْاِنْبِسَاطِ بَعِيدَةٌ عَنْ طَوْرِ الْأَدَبِ.

(١١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِيَ عَشَرَ فِي بَيَانِ بَعْضِ الْكُشُوفِ وَحُصُولِ مَقَامِ رُؤْيَةِ قُصُورِ نَفْسِهِ وَاتِّهَامِهَا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَظُهُورِ مَعْنَى الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ لِلشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ أَبِي الْخَيْرِ وَسِرِّهَا وَبَيَانِ أَحْوَالِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ: أَنَّ الْمَقَامَ الَّذِي كُنْتُ رَأَيْتُنِي فِيهِ سَابِقًا وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى عُبُورِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ مِنْهُ بَعْدَ الْمُلَاحَظَةِ حَسْبَ الْأَمْرِ الشَّرِيفِ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ مَقَامٌ وَاسْتِقْرَارٌ لَمْ أَرَهُمْ فِيهِ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ كَمَا أَنَّهُ لَا اسْتِقْرَارَ فِيهِ وَلَا ثَبَاتَ لِأَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ غَيْرَ الْإِمَامَيْنِ[1] وَالْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَلَكِنْ وَقَعَ لَهُمُ الْعُبُورُ مِنْهُ وَيُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِدِقَّةِ النَّظَرِ. وَأَمَّا وَجْهُ رُؤْيَةِ نَفْسِي أَوَّلًا غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِهَذَا الْمَقَامِ فَعَدَمُ الْمُنَاسَبَةِ عَلَى نَوْعَيْنِ: **أَحَدُهُمَا** عَدَمُ ظُهُورِ طَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ فَلَوْ أُرِيتُ الطَّرِيقَ لَزَالَ عَدَمُ الْمُنَاسَبَةِ. **وَثَانِيهِمَا** عَدَمُ مُنَاسَبَةٍ مُطْلَقًا. وَهَذَا لَا يَقْبَلُ الزَّوَالَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ. وَالطَّرِيقُ الْمُوصِلُ لِذَلِكَ الْمَقَامِ اثْنَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، أَعْنِي أَنَّهُ لَا يَظْهَرُ فِي النَّظَرِ طَرِيقٌ غَيْرَ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ: **أَحَدُهُمَا** رُؤْيَةُ النَّقْصِ وَالْقُصُورِ وَاتِّهَامُ النِّيَّاتِ فِي الْخَيْرَاتِ مَعَ قُوَّةِ الْجَذْبِ. **وَثَانِيهِمَا** صُحْبَةُ مُكَمِّلٍ مَجْذُوبٍ قَدْ أَتَمَّ السُّلُوكَ.

وَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ عَلَى قَدْرِ الْاِسْتِعْدَادِ بِيُمْنِ عِنَايَتِكُمُ الْعَلِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَصْدُرُ عَنِّي مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ إِلَّا أَتَّهِمُ فِيهِ نَفْسِي بَلْ لَا أَسْتَرِيحُ وَلَا يَسْتَقِرُّ قَلْبِي إِلَى أَنْ أَتَّهِمَ فِيهِ نَفْسِي، وَأَرَانِي كَأَنَّهُ لَمْ

---

(١) يعني الإمام الحسن والإمام الحسين ابني علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم جميعا .

(٢) الإمام زين العابدين علي بن الحسين: أمه اسمها غزالة، وهو علي الأصغر، وأما الأكبر فإنه قُتِل مع أبيه الحسين عليهما السلام، وكان علي هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضا نائما على فراش فلم يقتل، وكان يكنى أبا الحسين وقيل أبا محمد طرف من مناقب زين العابدين علي بن الحسين عن عبدالرحمن بن حفص القرشي قال: كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟!

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعل الناس يقولون له: يا ابن رسول الله النار، يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها ؟ فقال: ألهتني عنها النار الأخرى.

انظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٢/٦٦، الشيخ عبد المجيد بن محمد بن محمد الخاني الشافعي النقشبندي: الكواكب الدرية على الحدائق الوردية: ١١٧، الشيخ يس السنهوتي النقشبندي: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية: ٣٢.

يَصْدُرُ عَنِّي عَمَلٌ قَابِلٌ لِكِتَابَةِ مَلَكِ الْيَمِينِ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ صَحِيفَةَ يَمِينِي خَالِيَةٌ عَنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ كَتَبَتُهَا مُعَطَّلُونَ مِنَ الْكِتَابَةِ فَكَيْفَ أَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِقَبُولِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ . وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي الْعَالَمِ مِنْ كُفَّارِ الافرنج وَالزَّنَادِقَةِ وَالْمَلاَحِدَةِ أَفْضَلُ مِنِّي بِوُجُوهٍ، وَشَرُّ الْجَمِيعِ أَنَا. وَجِهَةُ الْجَذْبَةِ وَإِنْ تَمَّتْ بِتَمَامِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَلَكِنْ كَانَ بَعْضُ لَوَازِمِهِ وَتَوَابِعِهِ بَاقِيًا وَتَمَّ الآنَ ذَلِكَ الْبَاقِي أَيْضًا فِي ضِمْنِ الْفَنَاءِ الَّذِي وَقَعَ فِي مَرْكَزِ مَقَامِ السَّيْرِ فِي اللَّهِ وَكُنْتُ كَتَبْتُ أَحْوَالَ ذَلِكَ الْفَنَاءِ فِي الْعَرِيضَةِ السَّابِقَةِ بِالتَّمَامِ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْفَنَاءِ الْوَاقِعِ فِي كَلاَمِ الْخَوَاجَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَحْرَارٍ[١] قُدِّسَ سِرُّهُ حَيْثُ قَالَ:"قَالَ الأَكَابِرُ: نِهَايَةُ هَذَا الأَمْرِ الْفَنَاءُ" هُوَ ذَلِكَ الْفَنَاءُ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بَعْدَ التَّجَلِّي الذَّاتِي وَالتَّحَقُّقِ بِالسَّيْرِ فِي اللَّهِ وَفَنَاءُ الإِرَادَةِ مِنْ جُمْلَةِ شُعَبِ ذَلِكَ الْفَنَاءِ،

(شِعْرٌ):

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا *** فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيلٌ

وَالَّذِينَ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهُمْ بِهَذَا الْمَقَامِ فَهُمْ فِي النَّظَرِ طَائِفَتَانِ طَائِفَةٌ مُتَوَجِّهُونَ إِلَيْهِ وَطَالِبُونَ لِطَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى لاَ الْتِفَاتَ لَهُمْ إِلَيْهِ وَلاَ تَوَجُّهَ فِيهِمْ نَحْوَهُ، وَتَوَجُّهُ الْحَضْرَةِ يَعْنِي شَيْخَهُ أَشَدُّ ظُهُورًا مِنَ الطَّرِيقِ الثَّانِي مِنْ طَرِيقَيِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَتَظْهَرُ مُنَاسَبَتُهُ لِهَذَا الطَّرِيقِ، وَحَيْثُ كُنْتُ مَأْمُورًا مِنْ جَانِبِ حَضْرَتِكُمْ تَتَجَاسَرُ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الأُمُورِ امْتِثَالاً لِلأَمْرِ وَإِلاَّ فَأَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ الأَمْسِ لَمْ أَتَغَيَّرْ أَصْلاً. (وَالْمَعْرُوضُ ثَانِيًا) أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ فِي أَثْنَاءِ مُلاَحَظَةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ مَرَّةً ثَانِيَةً مَقَامَاتٌ أُخَرُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي فَوْقَ الْمَقَامِ السَّابِقِ بَعْدَ التَّوَجُّهِ بِالإِنْكِسَارِ وَإِظْهَارِ الإِفْتِقَارِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ مَقَامُ حَضْرَةِ ذِي النُّورَيْنِ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلِلْخُلَفَاءِ الْبَاقِينَ عُبُورٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ. وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ،

وَكَذَلِكَ الْمَقَامَانِ اللَّذَانِ يُذْكَرَانِ بَعْدُ. ثُمَّ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى مَقَامٍ فَوْقَهُ وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ مَقَامُ حَضْرَةِ الْفَارُوقِ[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِلْخُلَفَاءِ الْبَاقِينَ عُبُورٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ. ثُمَّ ظَهَرَ فَوْقَهُ مَقَامُ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَوَصَلْتُ إِلَيْهِ أَيْضًا وَوَجَدْتُ الْخَوَاجَةَ بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدَ[١] قُدِّسَ سِرُّهُ رَفِيقًا لِي

---

(١) الشيخ العارف بالله خواجه ناصر الدين عبيد الله بن محمود بن شهاب الدين أحمد الشاشي السمرقندي النقشبندي: الزاهد الملقب بالأحرار المتوفى في سلخ ربيع الأول من سنة ٨٩٥ هـ، في قرية كمان كشان ودفن بسمرقند، من مصنفاته: أنيس السالكين في التصوف، العروة الوثقى لأرباب الارتقا.

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، ولي الخلافة بعد عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ، استشهد سنة ٣٥ هـ، انظر صفة الصفوة (١٢٣/١).

(٣) عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو حفص، أول من لقب بأمير المؤمنين، كان إسلامه عزا ظهر به الإسلام هاجر مع الأولين، وشهد المشاهد، ولي الخلافة بعد أبي بكر، فمصر الأمصار ودون الدواوين، توفي رضي الله عنه مقتولا سنة ٢٣ هـ، انظر الاستيعاب (+)، صفة الصفوة (١١٣١٢٣/١).

(٤) أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة، أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال، والصاحب في الهجرة، شهد بدرا والمشاهد، له من المناقب والفضائل الكثير، والصحابة مجمعون على أنه أفضل هذه الأمة بعد النبي، استخلف على المسلمين في

مِنْ بَيْنِ الْمَشَايِخِ فِي جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَلِسَائِرِ الْخُلَفَاءِ عُبُورٌ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ. لاَ تَفَاوُتَ إِلاَّ فِي الْعُبُورِ وَالْمَقَامِ وَالْمُرُورِ وَالثَّبَاتِ. وَلاَ يُرَى فَوْقَهُ مَقَامٌ أَصْلاً إِلاَّ مَقَامَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَتَمُّهَا وَظَهَرَ فِي مُحَاذَاةِ مَقَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَقَامٌ آخَرُ نُورَانِيٌّ عَالٍ جِدًّا لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، وَكَانَ لَهُ ارْتِفَاعٌ يَسِيرٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ كَمَا إِذَا رَفَعُوا اللَّوْحَ مِنَ الأَرْضِ وَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ مَقَامُ الْمَحْبُوبِيَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَقَامُ مُزَيَّنًا وَمُنَقَّشًا فَوَجَدْتُ نَفْسِي أَيْضًا مُزَيَّنًا وَمُنَقَّشًا مِنِ انْعِكَاسِهِ ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ لَطِيفًا فِي تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ وَرَأَيْتُنِي مُنْتَشِرًا فِي الآفَاقِ مِثْلَ الْهَوَاءِ وَقِطْعَةِ السَّحَابِ حَتَّى اسْتَوْعَبْتُ بَعْضَ الأَطْرَافِ، وَحَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدُ فِي مَقَامِ الصِّدِّيقِ وَأَجِدُنِي فِي الْمَقَامِ الْمُحَاذِي لَهُ بِكَيْفِيَّةٍ مَعْرُوضَةٍ.

(وَالْمَعْرُوضُ ثَالِثًا) أَنَّهُ لاَ يُرَى تَرْكُ الإِشْتِغَالِ بِهَذَا الْعَمَلِ مَرْضِيًّا كَيْفَ وَالْعَالَمُ عَلَى شَرَفِ الْغَرَقِ فِي لُجَّةِ الضَّلاَلَةِ وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ قُوَّةَ الإِخْرَاجِ مِنْ تِلْكَ اللُّجَّةِ كَيْفَ يَسُوغُ لَهُ أَنْ يُسَامِحَ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَمْرٌ آخَرُ أَمَامَهُ، وَلَكِنَّ الإِشْتِغَالَ بِهَذَا الْعَمَلِ ضَرُورِيٌّ وَمَرْضِيٌّ بِشَرْطِ الْتِزَامِ الاِسْتِغْفَارِ مِنْ بَعْضِ الْوَسَاوِسِ وَالْهَوَاجِسِ الَّذِي يَحْصُلُ فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْعَمَلِ وَبِهَذَا الشَّرْطِ يَكُونُ دَاخِلاً تَحْتَ الرِّضَا وَأَمَّا بِدُونِ مُلاَحَظَةِ هَذَا الشَّرْطِ فَلاَ، بَلْ يَبْقَى أَدْوَنَ. وَأَمَّا الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدُ[1] وَالْخَوَاجَهْ عَلاَءُ الدِّينِ الْعَطَّارُ[2] قُدِّسَ سِرُّهُمَا فَهَذَا الْعَمَلُ مَرْضِيٌّ مِنْهُمَا مِنْ غَيْرِ مُلاَحَظَةِ هَذَا الشَّرْطِ.

وَأَمَّا عَمَلُ هَذَا الْفَقِيرِ فَأَحْيَانًا دَاخِلٌ فِي الرِّضَا مِنْ غَيْرِ مُلاَحَظَةِ هَذَا الشَّرْطِ وَأَحْيَانًا يَبْقَى أَدْوَنَ.

(وَرَابِعًا) أَنَّهُ ذُكِرَ فِي النَّفَحَاتِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيدٍ أَبَا الْخَيْرِ قَالَ: "إِذَا لَمْ يَبْقَ الْعَيْنُ فَأَيْنَ يَبْقَى الأَثَرُ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ" وَقَدْ أَشْكَلَ عَلَيَّ هَذَا الْكَلاَمُ فِي أَوَّلِ النَّظَرِ فَإِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِيَ الدِّينِ[3] وَأَتْبَاعَهُ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ زَوَالَ الْعَيْنِ الَّذِي هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ مَعْلُومَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ، وَإِلاَّ لاَنْقَلَبَ الْعِلْمُ جَهْلاً. فَإِذَا لَمْ يَزُلِ الْعَيْنُ أَيْنَ

سقيفة بني ساعدة ومكث في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال، قضى على الردة، توفي سنة ١٣ ه، نظر: الاستيعاب (٢/ ٢٣٤٢٤٨)، وفيات الأعيان (٦٤/٣)، صفة الصفوة (١١٣/١-١٠٠).

(١) بهاء الدين النقشبندي: محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ ه وتوفي سنة ٧٩١ ه، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، هدية السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ١٧٣/٦، كحالة: معجم المؤلفين: ٧١/٣.

(٢) هو الشيخ محمد بن محمد علاء الدين البخاري الخوارزمي العطار: ولد ونشأ في حجر والده ن ولما توفي والده ترك ثلاثة أجمال فخرج من ميراثه لأخويه واختار التجرد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى نبغ في عديد من الفنون، وأخذ الطريق على يد الشاه نقشبند، فهو الذي تولى تربيته وزوجه ابنته – وفي ذلك قصة طريفة ينظر: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للشيخ يس السنهوتي ص١٤٥، ١٤٦.

(٣) محيي الدين ابن عربي: الشيخ الأكبر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المرسي المعروف بابن عربي، حكيم، صوفي، متكلم، فقيه، مفسر، أديب، شاعر، مشارك في علوم أخرى، ولد في مرسية بالأندلس في رمضان، وانتقل إلى إشبيلية، وسمع من ابن بشكوال، ورحل إلى مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم، أنكر عليه أهل مصر آراءه ؛ فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحبس فسعى في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا واستقر بدمشق وتوفي بها في ٢٢ ربيع الآخر سنة [٦٣٨ه، ١٢٤٠م]، ودفن بسفح قاسيون.

يَذْهَبُ الْأَثَرُ؟! وَقَدْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ مُتَمَكِّنًا فِي الذِّهْنِ بِهَذَا الْوَجْهِ فَلَمْ يَنْحَلَّ كَلَامُ الشَّيْخِ أَبِي سَعِيد قَطُّ. ثُمَّ كَشَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ وَجْهِ سِرِّ هَذَا الْكَلَامِ بَعْدَ التَّوَجُّهِ التَّامِّ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا يَبْقَى الْعَيْنُ وَلَا الْأَثَرُ. وَوَجَدْتُ هَذَا الْمَعْنَى فِي نَفْسِي أَيْضًا فَلَمْ يَبْقَ الْإِشْكَالُ أَصْلاً. وَقَدْ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى مَقَامِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا رَأَيْتُهُ عَالِيًا جِدًّا فَوْقَ الْمَقَامِ الَّذِي بَيَّنَهُ الشَّيْخُ وَأَتْبَاعُهُ وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَبْحَثَيْنِ؛ فَإِنَّ أَحَدَهُمَا مِنْ مَقَامٍ وَالْآخَرَ مِنْ مَقَامٍ آخَرَ. وَتَفْصِيلُهُ فِي الْعَرِيضَةِ مُوجِبٌ لِلتَّطْوِيلِ وَالْمَلَالِ. (وَقَدْ ظَهَرَ) أَيْضًا مَا قَالَهُ الشَّيْخُ يَعْنِي أَبَا سَعِيد أَبَا الْخَيْرِ مِنْ دَوَامِ هَذَا الْحَدِيثِ[١] وَأَنَّ الْحَدِيثَ عِبَارَةٌ عَنْ مَاذَا وَدَوَامَهُ مَاذَا، وَوَجَدْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي نَفْسِي دَائِمًا وَلَوْ كَانَ مِنَ النَّوَادِرِ. (وَأَيْضًا) لَا يَمِيلُ قَلْبِي إِلَى مُطَالَعَةِ الْكُتُبِ وَلَا يَطِيبُ بِهِ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ مَنَاقِبِ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ الْعَالِيَةِ وَأَحْوَالِهِمُ السَّامِيَةِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمَقَامَاتِ فَيَسْتَحْسِنُ لِي مُطَالَعَةُ أَمْثَالِ ذَلِكَ. وَأَحْوَالُ الْمَشَايِخِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَكْثَرُ رَغْبَةً فِيهَا. وَلَا أَقْدِرُ عَلَى مُطَالَعَةِ كُتُبِ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ خُصُوصًا كَلِمَاتِ تَوْحِيدِ الْوُجُودِ وَتَنَزُّلَاتِ الْمَرَاتِبِ، وَأَرَانِي فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَ الْمُنَاسَبَةِ لِلشَّيْخِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ[٢] وَمُتَّفِقًا مَعَهُ فِي الذَّوْقِ وَالْحَالِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ السَّابِقَ لَا يَتْرُكُنِي[٣] لِإِنْكَارِهَا وَالتَّشْدِيدِ عَلَى أَرْبَابِهَا يَعْنِي كَمَا صَدَرَ مِنَ الشَّيْخِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ.

(وَأَيْضًا) قَدْ وَقَعَ التَّوَجُّهُ لِدَفْعِ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ مَرَّاتٍ وَظَهَرَ أَثَرُهُ، وَكَذَلِكَ ظَهَرَتْ أَحْوَالُ بَعْضِ الْمَوْتَى الَّتِي هِيَ مِنْ عَالَمِ الْبَرْزَخِ، وَوَقَعَ التَّوَجُّهُ أَيْضًا لِدَفْعِ الْآلَامِ وَالشَّدَائِدِ عَنْهُمْ. وَلَكِنْ لَمْ تَبْقَ الْآنَ قُدْرَةُ التَّوَجُّهِ فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَجْمَعَ نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِسَبَبِ أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ بَعْضُ الْمُصَادَرَاتِ وَالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فِي حَقِّ الْفَقِيرِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ، وَحَمَلُوا عَلَى الشَّدَائِدِ وَظَلَمُوا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ مُتَعَلِّقِي هَذَا الْجَانِبِ وَجَلَّوْهُمْ عَنِ الْوَطَنِ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَقَعِ الْغُبَارُ عَلَى الْخَاطِرِ وَلَمْ يَتَطَرَّقِ الْكُلْفَةُ وَالتَّضَجُّرُ إِلَى الْقَلْبِ أَصْلاً فَضْلاً عَنْ صُدُورِ قَصْدِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ. وَاكْتَسَبَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ شُهُودًا وَمَعْرِفَةً فِي مَقَامِ الْجَذْبَةِ وَلَمْ يَضَعُوا إِلَى الْآنَ قَدَمًا فِي مَنَازِلِ السُّلُوكِ. وَأَنَا أَذْكُرُ نُبْذَةً مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَعْرِضُهَا عَلَى حَضْرَتِكُمْ عَسَى اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُشَرِّفَهُمْ بِدَوْلَةِ السُّلُوكِ بَعْدَ تَمَامِ جِهَةِ الْجَذْبَةِ فَأَقُولُ: إِنَّ الشَّيْخَ نُورًا مَرْبُوطٌ وَمَحْبُوسٌ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ وَلَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلَى نُقْطَةٍ فَوْقَانِيَّةٍ مِنْ مَقَامِ الْجَذْبَةِ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَلَا يُمَيِّزُ

---

(١) وهذه القصة مذكورة في النفحات قال فيه أن الشيخ أبا سعيد أبا الخير قال لأستاذه أبي علي الدقاق أن هذا الحديث يكون دائما قال الأستاذ لا فاطرق الشيخ مليا ثم رفع رأسه وقال أن هذا الحديث كان دائما فقال الأستاذ لا فأطرق الشيخ ثانيا ثم رفع رأسه وقال أيها الأستاذ إن هذا الحديث يدوم قال الأستاذان كان دائما يكون نادرا فصفق الشيخ وقال هذا من تلك النوادر أهو المراد من هذا الحديث عند الإمام الرباني قدس سره وعلى ما بينه في محل آخر التجلي الذاتي البرقي وهو دائمي عنده وإن كان برقيا بالنسبة إلى غيره كما سيبينه في بعض مكاتيبه اه. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(٢) الشيخ علاء الدولة السمناني، تقدمت ترجمته.

(٣) يريد أنه مع كونه في مشرب الشيخ ركن الدولة علاء الدين السمناني في تلك المعرفة لا ينكر أهل معارف وحدة الوجود لحصولها له قبل ذلك. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَبَائِحِ فَوَقَعَ أَمْرُهُ فِي التَّوَقُّفِ بِلاَ اخْتِيَارٍ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ التَّوَقُّفُ فِي أُمُورِ أَكْثَرِ الْأَصْحَابِ بِوَاسِطَةِ عَدَمِ رِعَايَةِ الْآدَابِ. وَأَنَا حَيْرَانُ فِي هَذَا الْبَابِ فَإِنَّهُ لاَ إِرَادَةَ لِلتَّوَقُّفِ مِنْ هَذَا الطَّرَفِ بَلِ الْإِرَادَةُ لِتَرَقِّيهِمْ، وَيَقَعُ الْمُكْثُ فِي أُمُورِهِمْ بِلاَ اخْتِيَارٍ وَإِلاَّ فَالطَّرِيقُ أَقْرَبُ. وَنَزَلَ مَوْلاَنَا الْمَعْهُودُ إِلَى النُّقْطَةِ الْأَخِيرَةِ وَأَتَمَّ أَمْرَ الْجَذْبَةِ وَوَصَلَ إِلَى بَرْزَخِيَّةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَأَوْصَلَ الْفَرْقَ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى النِّهَايَةِ قَدْ رَأَى الصِّفَاتِ أَوَّلاً بَلِ النُّورَ الْقَائِمَةَ بِهِ الصِّفَاتُ مُفَارِقًا عَنْ نَفْسِهِ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ شَبَحًا خَالِيًا، ثُمَّ رَأَى الصِّفَاتِ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّاتِ وَوَصَلَ بِهَذِهِ الرُّؤْيَةِ مِنْ مَقَامِ الْجَذْبَةِ إِلَى الْأَحَدِيَّةِ وَالْآنَ قَدْ ذَهَلَ عَنِ الْعَالَمِ وَعَنْ نَفْسِهِ بِحَيْثُ لاَ يَقُولُ بِالْإِحَاطَةِ وَلاَ بِالْمَعِيَّةِ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى أَبْطَنِ الْبُطُونِ بِحَيْثُ لاَ حَاصِلَ لَهُ غَيْرَ الْحَيْرَةِ وَالْجَهَالَةِ.

وَوَصَلَ السَّيِّدُ شَاهْ حُسَيْنٌ أَيْضًا إِلَى قُرْبِ النُّقْطَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ مَقَامِ الْجَذْبَةِ عَلَى وَجْهٍ وَصَلَ رَأْسُهُ إِلَى النُّقْطَةِ وَكَذَلِكَ وَجَدَ الصِّفَاتِ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّاتِ وَلَكِنْ يَجِدُ الذَّاتَ الْأَحَدَ فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَيَحْتَظُّ بِالظَّاهِرِ. وَكَذَلِكَ مِيَانْ جَعْفَرْ وَصَلَ إِلَى قُرْبِ النُّقْطَةِ الْأَخِيرَةِ وَكَثِيرًا مَا يَظْهَرُ بِالشَّوْقِ وَالْوَلَهِ وَقَرِيبٌ مِنَ الشَّاهِ حُسَيْنٍ. وَيَظْهَرُ التَّفَاوُتُ أَيْضًا فِي بَقِيَّةِ الْأَصْحَابِ. وَقَدْ وَصَلَ مِيَانْ شَيْخَنْ وَالشَّيْخُ عِيسَى وَالشَّيْخُ كَمَالٌ إِلَى النُّقْطَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ مِنْ مَقَامِ الْجَذْبَةِ وَالشَّيْخُ كَمَالٌ أَيْضًا مُتَوَجِّهٌ إِلَى النُّزُولِ وَوَصَلَ الشَّيْخُ نَاكُورِيٌّ تَحْتَ النُّقْطَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ وَلَكِنْ أَمَامَهُ مَسَافَةٌ كَثِيرَةٌ وَبَلَغَ مِنَ الْأَصْحَابِ الْكَائِنِينَ هُنَا ثَمَانِيَةٌ أَوْ تِسْعَةٌ بَلْ عَشَرَةُ أَشْخَاصٍ تَحْتَ النُّقْطَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ وَبَلَغَ بَعْضُهُمُ النُّقْطَةَ وَبَعْضُهُمْ تَهَيَّأَ لِلنُّزُولِ وَبَعْضُهُمْ قَرِيبٌ مِنْهَا وَبَعْضُهُمْ بَعِيدٌ عَنْهَا. وَيَجِدُ الشَّيْخُ مِيَانْ مُزَّمِّلُ نَفْسَهُ مَعْدُومًا وَيَرَى الصِّفَاتِ مِنَ الْأَصْلِ وَيَجِدُ الْمُطْلَقَ فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَيَرَى الْأَشْيَاءَ كَالسَّرَابِ عَدِيمَ الْإِعْتِبَارِ بَلْ لاَ يَرَى شَيْئًا. وَيَظْهَرُ: مَوْلاَنَا الْمَعْهُودُ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى وَجْهٍ يَكُونُ إِجَازَتُهُ لِتَعْلِيمِ الطَّالِبِينَ مِنَ الْمَرْضِيَّاتِ لَكِنْ إِجَازَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِلْجَذْبَةِ، وَإِنْ بَقِيَ بَعْضُ الْأُمُورِ اللاَّزِمَةِ الْإِسْتِفَادَةِ وَلَكِنَّهُ اسْتَعْجَلَ فِي الذَّهَابِ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْحُضُورِ الْأَقْدَسِ تَأْمُرُونَهُ بِمَا فِيهِ صَلاَحُ أَمْرِهِ. وَمَا هُوَ فِي عِلْمِ الْفَقِيرِ فَقَدْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ وَالْحُكْمُ عِنْدَكُمْ.

وَكَانَ الْخَوَاجَهْ ضِيَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ هُنَا أَيَّامًا وَاكْتَسَبَ الْحُضُورَ وَالْجَمْعِيَّةَ فِي الْجُمْلَةِ ثُمَّ لَمْ يَقْدِرْ آخِرَ الْأَمْرِ أَنْ يَجْمَعَ خَاطِرَهُ مِنْ قِلَّةِ أَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْعَسْكَرِ، وَوَلَدُ مَوْلاَنَا شِيرْ مُحَمَّدٍ مُتَوَجِّهٌ نَحْوَكُمْ لِلْمُلاَزَمَةِ وَلَهُ حُضُورٌ وَجَمْعِيَّةٌ فِي الْجُمْلَةِ وَلَمْ يَتَرَقَّ كَمَا يَنْبَغِي بِوَاسِطَةِ بَعْضِ الْمَوَانِعِ. وَزِيَادَةُ الْإِنْبِسَاطِ بَعِيدَةٌ عَنِ الْأَدَبِ، (ع) **عَلَى الْمَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَلَ الدَّهْرَ طَوْرَهُ** *

ثُمَّ عَرَضَتْ بَعْدَ تَحْرِيرِ الْعَرِيضَةِ كَيْفِيَّةٌ وَحَالَةٌ لاَ يُمْكِنُ بَيَانُهَا بِالتَّحْرِيرِ، وَتَحَقَّقَ فِي هَذَا الْمَحَلِّ فَنَاءُ الْإِرَادَةِ كَمَا أَنَّ تَعَلُّقَ الْإِرَادَةِ بِالْمُرَادَاتِ انْعَدَمَ سَابِقًا وَبَقِيَ أَصْلُ الْإِرَادَةِ كَمَا عَرَضْتُهُ فِي الْعَرِيضَةِ. وَالْآنَ انْقَطَعَ عِرْقُ الْإِرَادَةِ بِالْكُلِّيَّةِ فَحِينَئِذٍ لاَ مُرَادَ وَلاَ إِرَادَةَ وَظَهَرَتْ صُورَةُ هَذَا الْفَنَاءِ أَيْضًا فِي النَّظَرِ وَفَاضَ بَعْضُ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبِ لِهَذَا الْمَقَامِ

وَلَمَّا كَانَ فِي تَحْرِيرِ تِلْكَ الْعُلُومِ تَعَسُّرٌ بِوَاسِطَةِ ضِيقِ الْوَقْتِ وَغُمُوضِ الْعُلُومِ لاَ جَرَمَ صَرَفْنَا عِنَانَ الْقَلَمِ عَنْ تَحْرِيرِهَا وَحِينَ التَّحَقُّقِ بِهَذَا الْفَنَاءِ وَفَيَضَانِ الْعُلُومِ وَقَعَ نَظَرٌ خَاصٌّ عَلَى مَا وَرَاءَ الْوَحْدَةِ وَإِنْ كَانَ عَدَمُ النَّظَرِ إِلَى مَا وَرَاءَ الْوَحْدَةِ أَمْرًا مُقَرَّرًا بَلْ لاَ نِسْبَةَ فِيهِ أَصْلاً لَكِنْ كُلَّمَا أَجِدُهُ أَعْرِضُهُ وَلاَ أَتَجَاسَرُ بِكِتَابَتِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ مَرْتَبَةَ الْيَقِينِ وَأَرَى صُورَةَ ذَلِكَ الْمَقَامِ فِي مَا وَرَاءَ الْوَحْدَةِ كَأَكْرَةٍ وَرَاءَ دَهْلِي. وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ شُبْهَةٌ قَطُّ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي النَّظَرِ وَحْدَةٌ وَلاَ مَا وَرَاءَهَا وَلاَ مَقَامٌ آخَرُ أَعْرِفُهُ بِعُنْوَانِ الْحَقِيَّةِ أَوْ أَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ وَرَاءَهُ وَالْحَيْرَةُ وَالْجَهَالَةُ عَلَى صِرَافَتِهِمَا وَلَمْ تَتَفَاوَتَا بِسَبَبِ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ فَلاَ أَدْرِي مَاذَا أَعْرِضُ فَإِنَّ الْكُلَّ تَنَاقُضٌ فِي تَنَاقُضٍ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُورَدَ فِي قَيْدِ الْقَالِ وَإِنْ كَانَ الْحَالُ مُتَحَقِّقًا بِلاَ شُبْهَةٍ. أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ وَأَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللّٰهُ قَوْلاً وَفِعْلاً خَاطِرًا وَنَاظِرًا. وَأَيْضًا تَبَيَّنَ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّ مَا ظَنَنْتُهُ سَابِقًا مِنْ فَنَاءِ الصِّفَاتِ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ فَنَاءَ خُصُوصِيَّاتِ الصِّفَاتِ وَمَا بِهِ امْتِيَازُهَا لَمَّا انْدَرَجَتِ الصِّفَاتُ فِي ضِمْنِ الْوَحْدَةِ ارْتَفَعَتِ الْخُصُوصِيَّاتُ وَتُوُهِّمَ مِنْ ذَلِكَ فَنَاءُهَا. وَالْآنَ قَدِ اضْمَحَلَّ أَصْلُ الصِّفَاتِ وَانْمَحَى وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْدِمَاجِ وَالْإِنْدِرَاجِ وَلَمْ يَتْرُكْ قَهْرُ الْأَحَدِيَّةِ شَيْئًا قَطُّ، وَلَمْ يَبْقَ التَّمْيِيزُ الَّذِي حَصَلَ مِنْ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ الْإِجْمَالِيِّ أَوِ التَّفْصِيلِيِّ، وَصَارَ النَّظَرُ إِلَى الْخَارِجِ بِالتَّمَامِ كَانَ اللّٰهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْآنَ -كَمَا كَانَ- مُطَابِقٌ لِلْحَالِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَكَانَ سَابِقًا الْعِلْمُ بِمَضْمُونِ هَذَا الْحَدِيثِ دُونَ الْحَالِ وَالْمَرْجُوُّ حُصُولُ التَّنْبِيهِ عَلَى الصِّحَّةِ وَالسُّقْمِ. وَقَدْ يُرَى لِمَوْلاَنَا الْقَاسِمِ عَلَى نَصِيبٌ مِنْ مَقَامِ التَّكْمِيلِ، وَكَذَلِكَ يُرَى مِنْ هَذَا الْمَقَامِ نَصِيبٌ لِبَعْضِ الْأَصْحَابِ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

(١٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ فِي بَيَانِ حُصُولِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَظُهُورِ الْوَجْهِ الْخَاصِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَحَقِيقَةِ السَّيْرِ فِي اللّٰهِ وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ الْبَرْقِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ يُنْهِي إِلَى ذِرْوَةِ الْعَرْضِ أَنَّهُ مَا يَدْرِي مَاذَا يَعْرِضُ مِنْ تَقْصِيرَاتِهِ مَا شَاءَ اللّٰهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. اَلْعُلُومُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَقَامِ الْفَنَاءِ فِي اللّٰهِ وَالْبَقَاءِ بِاللّٰهِ كَشَفَ عَنْهَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِعِنَايَتِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَا الْوَجْهُ الْخَاصُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَا مَعْنَى السَّيْرِ فِي اللّٰهِ وَمَا التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الْبَرْقِيُّ وَمَنْ مُحَمَّدِيُّ الْمَشْرَبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ يَقَعُ الْإِطِّلاَعُ فِي كُلِّ مَقَامٍ عَلَى لَوَازِمِ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَضَرُورِيَّاتِهِ ثُمَّ يَقَعُ الْعُبُورُ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ أَوْلِيَاءُ اللّٰهِ تَعَالَى غَيْرَ نُبْذَةٍ يَسِيرَةٍ إِلاَّ وَقَدْ أُرِيتُهُ وَأُعْلِمْتُهُ قَبْلُ مِنْ قَبْلُ بِلاَ عِلَّةٍ، وَكَذَلِكَ أَرَى ذَوَاتَ الْأَشْيَاءِ مَجْعُولَةً وَأَرَى أَصْلَ الْقَابِلِيَّاتِ وَالْإِسْتِعْدَادَاتِ مَجْعُولَةً وَمَصْنُوعَةً وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِمَحْكُومِ الْقَابِلِيَّاتِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ وَلْنَتْرُكْ زِيَادَةَ الْإِنْبِسَاطِ، (ع) **عَلَى الْمَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَلَ الدَّهْرَ طَوْرَهُ** *

(١٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ فِي بَيَانِ عَدَمِ نِهَايَةِ الطَّرِيقِ وَمُطَابَقَةِ عُلُومِ الْحَقِيقَةِ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ

اَلْمَعْرُوضُ مِنْ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ آهْ أَلْفَ آهْ مِنْ عَدَمِ نِهَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ مَعَ هَذِهِ السُّرْعَةِ فِي السَّيْرِ وَكَثْرَةِ الْإِرَادَاتِ وَالْعِنَايَاتِ وَمِنْ هَهُنَا قَالَ الْمَشَايِخُ: "إِنَّ السَّيْرَ إِلَى اللهِ مَسَافَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" وَكَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1] إِيمَاءٌ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَلَمَّا انْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى الْيَأْسِ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ لَزِمَ الْإِسْتِمْسَاكُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾[2] وَكَانَ قَدْ وَقَعَ السَّيْرُ فِي الْأَشْيَاءِ مُنْذُ أَيَّامٍ وَلَمَّا غَالَ الْمُسْتَرْشِدُونَ وَأَلَحُّوا ثَانِيًا شَرَعْتُ فِي أُمُورِهِمْ فِي الْجُمْلَةِ وَلَكِنْ لَا أَجِدُ نَفْسِي قَابِلاً لِذَلِكَ الْمَقَامِ. وَلَكِنْ أُعَلِّمُهُمْ شَيْئًا عَلَى مُقْتَضَى الْمُرُوءَةِ وَالْحَيَاءِ لِإِكْثَارِهِمْ فِي الْإِلْحَاحِ وَالْإِبْرَامِ، وَقَدْ كُنْتُ فِي مَسْأَلَةِ تَوْحِيدِ الْوُجُودِ مُتَوَقِّفًا سَابِقًا كَمَا حَرَّرْتُهُ مُكَرَّرًا وَكُنْتُ أَنْسُبُ الْأَفْعَالَ وَالصِّفَاتِ إِلَى الْأَصْلِ وَلَمَّا صَارَ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ مَعْلُومًا تَرَكْتُ التَّوَقُّفَ وَوَجَدْتُ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْكُلَّ مِنْهُ أَحْسَنَ وَرَأَيْتُ الْكَمَالَ فِيهِ أَزْيَدَ مِنْهُ فِي الْقَوْلِ بِأَنَّ الْكُلَّ هُوَ، وَعَلِمْتُ الْأَفْعَالَ وَالصِّفَاتِ بِلَوْنٍ آخَرَ يَعْنِي بِوَجْهٍ آخَرَ وَرَأَيْتُ الْكُلَّ وَاحِدًا وَاحِدًا وَجُوزِيَ بِي إِلَى الْفَوْقِ وَلَمْ يَبْقَ رَيْبٌ وَلَا شُبْهَةٌ أَصْلاً، وَجَاءَتِ الْكَشْفِيَّاتُ كُلُّهَا مُطَابِقَةً لِلشَّرِيعَةِ لَا مُخَالَفَةَ فِيهَا لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَمَا بَيَّنَهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ مِنَ الْكَشْفِيَّاتِ الْمُخَالِفَةِ لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَهُوَ إِمَّا مِنَ السَّهْوِ أَوْ مِنَ السُّكْرِ، وَإِلَّا فَلَا مُخَالَفَةَ بَيْنَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ. وَالْمُخَالَفَةُ إِنَّمَا تَعْرِضُ لِلنَّظَرِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَيَحْتَاجُ إِلَى التَّوَجُّهِ وَالْجَمْعِ، وَأَمَّا الْمُنْتَهِي الْحَقِيقِيُّ فَإِنَّهُ يَجِدُ الْبَاطِنَ مُوَافِقًا لِظَاهِرِ الشَّرْعِيَّةِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ وَمَعْرِفَةِ الْمَشَايِخِ الْكِرَامِ هُوَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ يَعْرِفُونَ بِالْإِسْتِدْلَالِ وَالْعِلْمِ وَالْمَشَايِخَ بِالْكَشْفِ وَالذَّوْقِ وَأَيُّ دَلِيلٍ أَدَلُّ عَلَى صِحَّةِ حَالِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْمُطَابَقَةِ: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾[3] ضَاقَ الْوَقْتُ وَلَا أَدْرِي مَاذَا أَعْرِضُ وَقَدْ كُنْتُ مُوَفَّقًا لِتَسْوِيدِ بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَلَا يُمْكِنُ تَحْرِيرُهُ فِي الْعَرَائِضِ وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ حِكْمَةً وَالْمَسْئُولُ أَنْ لَا تَحْرِمُوا هَذَا الْمَحْرُومَ الْمَهْجُورَ مِنَ التَّوَجُّهِ الَّذِي هُوَ لِلْغُرَبَاءِ مَبْذُولٌ وَأَنْ لَا تَتْرُكُوهُ فِي الطَّرِيقِ، (شِعْرٌ):

وَأَنْتَ لِهَذَا الْقَوْلِ قَدْ كُنْتَ مَبْدأً *** فَإِنْ فِيهِ إِطْنَابٌ فَمِنْكَ مُسَبَّبٌ

وَزِيَادَةُ الْإِنْبِسَاطِ جَرَاءَةٌ، (ع) عَلَى الْمَرْءِ أَنْ لَا يَجْهَلَ الدَّهْرَ طَوْرَهُ *

---

(١) الآية: ٤ من سورة المعارج.

(٢) الآية: ٢٨ من سورة الشورى.

(٣) الآية: ١٣ من سورة الشعراء.

(١٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ فِي بَيَانِ حُصُولِ الْوَقَائِعِ الَّتِي عُرِضَتْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ وَبَيَانِ أَحْوَالِ بَعْضِ الْمُسْتَرْشِدِينَ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ أَحْمَدَ أَنَّ التَّجَلِّيَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي مَرَاتِبِ الْأَكْوَانِ وَقَدْ كُنْتُ عَرَضْتُ بَعْضَهَا فِي الْعَرِيضَةِ السَّابِقَةِ ظَهَرَتْ بَعْدَهَا مَرْتَبَةُ الْوُجُوبِ الَّتِي هِيَ جَامِعَةٌ لِلصِّفَاتِ الْكُلِّيَّةِ، وَتَمَثَّلَتْ فِي صُورَةِ امْرَأَةٍ دَمِيمَةٍ مُسْوَدَّةِ اللَّوْنِ ثُمَّ تَجَلَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ مَرْتَبَةُ الْأَحَدِيَّةِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ طَوِيلٍ قَائِمٍ عَلَى جِدَارٍ رَقِيقٍ غَيْرِ مُرْتَفِعٍ، وَظَهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ التَّجَلِّيَيْنِ بِعُنْوَانِ الْحَقَّانِيَّةِ بِخِلَافِ التَّجَلِّيَاتِ السَّابِقَةِ فَإِنَّهَا مَا كَانَتْ بِهَذَا الْعُنْوَانِ. وَعُرِضَ لِي فِي ذَلِكَ الْأَثْنَاءِ تَمَنِّي الْمَوْتِ وَخُيِّلَ لِي كَأَنِّي قَائِمٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ لِأَرْمِيَ فِيهِ نَفْسِي وَلَكِنِّي مَرْبُوطٌ بِالْحَبْلِ عَلَى وَرَائِي فَلَا يُمْكِنُ الدُّخُولُ فِي الْبَحْرِ، وَصَارَ مَعْلُومًا لِي أَنَّ ذَلِكَ الْحَبْلَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْبَدَنِ، فَتَسَبَّبَتْ انْقِطَاعُ ذَلِكَ التَّعَلُّقِ. ثُمَّ عُرِضَتْ كَيْفِيَّةٌ خَاصَّةٌ فَوَجَدْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِطَرِيقِ الذَّوْقِ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَلْبِ مُقْتَضٍ غَيْرُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى الصِّفَاتِ الْكُلِّيَّةِ الْوُجُوبِيَّةِ الَّتِي اكْتَسَبَتِ الْخُصُوصِيَّاتِ بِاعْتِبَارِ الْمَحَالِّ وَالْمَظَاهِرِ، ثُمَّ سَقَطَتِ الْخُصُوصِيَّاتُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّمَامِ وَلَمْ تَبْقَ الصِّفَاتُ إِلَّا بِعُنْوَانِ الْكُلِّيَّةِ الْوُجُودِيَّةِ، وَوَقَعَ النَّظَرُ أَيْضًا عَلَى صُورَةِ تَجَرُّدِهَا عَنِ الْخُصُوصِيَّاتِ. وَحِينَئِذٍ صَارَ مَعْلُومًا أَنَّ الصِّفَاتِ قَدْ أُعْطِيَتِ الْآنَ لِلْأَصْلِ حَقِيقَةً وَقَبْلَ تَجَرُّدِهَا عَنِ الْخُصُوصِيَّاتِ لَمْ يَكُنْ مَعْنًى لِإِعْطَائِهَا الْأَصْلَ اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ عَلَى طَرِيقِ التَّجَوُّزِ كَمَا هُوَ حَالُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي الصُّورِيِّ. وَتَحَقَّقَ الْفَنَاءُ الْحَقِيقِيُّ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَبَعْدَ التَّحَقُّقِ بِهَذِهِ الْحَالَةِ وَجَدْتُ الصِّفَاتِ الَّتِي فِيَّ وَفِي غَيْرِي عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ وَارْتَفَعَ امْتِيَازُ الْمَحَالِّ، وَتَيَسَّرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ التَّخَلُّصُ عَنْ بَعْضِ دَقَائِقِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ فَلَمْ يَبْقَ حِينَئِذٍ الْعَرْشُ وَلَا الْفَرْشُ وَلَا الْمَكَانُ وَلَا الزَّمَانُ وَلَا الْجِهَاتُ وَلَا الْحُدُودُ. فَإِنْ تَفَكَّرْتُ فَرْضًا سِنِينَ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِأَنَّ ذَرَّةً مِنَ الْعَالَمِ مَخْلُوقَةٌ. ثُمَّ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى تَعَيُّنِ نَفْسِي وَالْوَجْهِ الْخَاصِّ الَّذِي فِيَّ وَكَانَ التَّعَيُّنُ فِي صُورَةِ ثَوْبٍ بَالٍ مُتَمَزِّقٍ مَلْبُوسٍ لِشَخْصٍ وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ هُوَ الْوَجْهُ الْخَاصُّ لَكِنْ لَمْ يُتَصَوَّرْ ذَلِكَ بِعُنْوَانِ الْحَقَّانِيَّةِ، ثُمَّ تَعَلَّقَ النَّظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ بِجِلْدٍ رَقِيقٍ فَوْقَ ذَلِكَ الشَّخْصِ مُتَّصِلًا بِهِ، ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي عَيْنَ ذَلِكَ الْجِلْدِ وَرَأَيْتُ ذَلِكَ الثَّوْبَ الَّذِي هُوَ التَّعَيُّنُ أَجْنَبِيًّا لِنَفْسِي يَعْنِي مُفَارِقًا وَمُنْفَكًّا عَنْهُ وَوَقَعَ النَّظَرُ عَلَى نُورٍ فِي الْجِلْدِ ثُمَّ غَابَ ذَلِكَ النُّورُ بَعْدَ سَاعَةٍ عَنِ النَّظَرِ وَارْتَفَعَ الْجِلْدُ وَالثَّوْبُ أَيْضًا عَنِ النَّظَرِ وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْجَهَالَةُ السَّابِقَةُ. وَالْغَرَضُ تَعْبِيرُ صُورَةِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى مَا بَلَغَهُ عِلْمِي لِيُعْلَمَ صِحَّتُهُ وَسَقَمُهُ وَهُوَ أَنَّ الصُّورَةَ الْمَذْكُورَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَيْنِ الثَّابِتِ كَالْبَرْزَخِ بَيْنَ الْوُجُوبِ وَالْإِمْكَانِ حَيْثُ افْتَرَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ طَرَفَيْهِ عَنِ الْآخَرِ وَتَحَقَّقَ بِكَمَالِ الْفَرْقِ وَالْجِلْدُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الثَّوْبِ وَالنُّورِ بَرْزَخٌ بَيْنَ

الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ وَوِجْدَانُ نَفْسِي عَيْنَ ذَلِكَ الْجِلْدِ أَخِيرًا إِشَارَةٌ إِلَى وُصُولِي إِلَى الْبَرْزَخِيَّةِ، وَقَدْ كُنْتُ وَجَدْتُنِي سَابِقًا فِي الْوَقَائِعِ بَرْزَخًا بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ،

وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآفَاقِ وَهَذَا بِالنَّظَرِ إِلَى النَّفْسِ وَقَدْ ظَهَرَ فِي ذَلِكَ فَرْقٌ آخَرُ أَيْضًا، وَلَكِنِّي نَسِيتُهُ وَقْتَ الْكِتَابَةِ هَذَا وَمَا هُوَ الْحَاصِلُ دَائِمًا هُوَ النَّكَارَةُ وَالْجَهَالَةُ وَيَظْهَرُ أَحْيَانًا مِثْلُ هَذِهِ الشَّعْبَذَةِ ثُمَّ يَنْعَدِمُ وَتَبْقَى مَعْرِفَتُهُ. وَأَعْجِزُ عَنْ تَعْبِيرِ بَعْضِ الْوَقَائِعِ وَالَّذِي يَقَعُ فِي الْخَاطِرِ مِنْ تَعْبِيرِهِ لَا أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ. وَبِهَذَا السَّبَبِ أَتَجَاسَرُ فِي الْعَرَائِضِ رَجَاءَ حُصُولِ الْيَقِينِ بِتَنْبِيهِ الْحَضْرَةِ. وَالْمَرْجُوُّ تَيَسُّرُ النَّجَاةِ عَنِ التَّعَلُّقَاتِ الدَّنِيَّةِ بِتَوَجُّهَاتِكُمُ الْعَلِيَّةِ وَإِلَّا فَالْأَمْرُ مُشْكِلٌ جِدًّا، (شِعْرٌ):

مَنْ لَمْ يُعِنْهُ مُهَيْمِنٌ وَخَوَاصُّهُ *** لَاسْوَدَّ صَفْحَتُهُ وَلَوْ هُوَ مِنْ مَلَكْ

وَالشَّيْخُ طَهَ ابْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ النِّيَازِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ مَشَايِخِ سَمَرْقَنْدَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَاجِّ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَوَدَّةٌ تَامَّةٌ اسْتَدْعَى تَقْبِيلَ الْأَقْدَامِ الْمُبَارَكَةِ وَفِيهِ دَاعِيَةُ الْإِنَابَةِ وَالدُّخُولِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَالْتَجَأَ إِلَيَّ بِالصِّدْقِ وَالْإِنْكِسَارِ فَأَمَرْتُهُ بِالْإِسْتِخَارَةِ وَلَهُ مُنَاسَبَةٌ فِي الظَّاهِرِ وَالْأَصْحَابُ الَّذِينَ أَخَذُوا الذِّكْرَ هُنَا مُشْتَغِلُونَ بِطَرِيقِ الرَّابِطَةِ فِي الْأَكْثَرِ يَجِيءُ بَعْضُهُمْ بِأَخْذِ الرَّابِطَةِ بِالرُّؤْيَةِ فِي الْوَاقِعَاتِ. وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ رَابِطَةٌ قَبْلَ الْمَجِيءِ مِنْ دَهْلِي يَذْهَبُونَ أَوَّلًا بِالْحُضُورِ وَالْإِسْتِغْرَاقِ وَبَعْضٌ مِنْهُمْ يُعْطَى الصِّفَاتِ الْأَصْلَ يَعْنِي يَرَاهَا مِنْهُ وَبَعْضُهُمْ لَا. وَلَكِنْ لَا يَذْهَبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقِ تَوْحِيدِ الْوُجُودِ وَالْأَنْوَارِ وَالْكُشُوفِ وَوَصَلَ الْمُنْلَا قَاسِمُ عَلِي وَالْمُنْلَا مَوْدُودُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ الْمُؤْمِنِ ظَاهِرًا إِلَى نُقْطَةٍ فَوْقَانِيَّةٍ مِنْ مَقَامِ الْجَذْبَةِ وَلَكِنَّ الْمُنْلَا قَاسِمُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى النُّزُولِ. وَنُزُولُ الْبَاقِينَ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ وَالشَّيْخُ نُورٌ [1] أَيْضًا قَرِيبٌ مِنَ النُّقْطَةِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا بَعْدُ وَالْمُنْلَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا قَرِيبٌ مِنَ النُّقْطَةِ وَلَكِنْ فِي الْبَيْنِ مَسَافَةٌ قَلِيلَةٌ، وَحَصَلَ لِلْمُنْلَا عَبْدِ الْهَادِي فِيهِ حُضُورٌ مَعَ الْإِسْتِغْرَاقِ وَهُوَ يَقُولُ: "أُشَاهِدُ الْمُطْلَقَ الْمُنَزَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ فِي الْأَشْيَاءِ بِصِفَةِ التَّنْزِيهِ وَأَرَى الْأَفْعَالَ أَيْضًا مِنْهُ تَعَالَى، وَمَا يُفَاضُ عَلَى الطَّالِبِينَ وَالْمُسْتَعِدِّينَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ دَوْلَتِكُمْ وَلَيْسَ لِهَذَا الْفَقِيرِ نَصِيبٌ فِي إِفَاضَتِهِ. (ع) أَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ لَمْ أَكُنْ مُتَغَيِّرًا * وَقَدْ قُلْتُمْ يَوْمًا فِيمَا بَيْنَ وَاقِعَةٍ مِنَ الْوَقَائِعِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعْنَى الْمَحْبُوبِيَّةِ لَوَقَعَ تَوَقُّفٌ كَثِيرٌ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصِدِ، وَيَتِمُّ الْمَحْبُوبِيَّةُ أَيْضًا بِعِنَايَتِكُمْ. وَلِي مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ رَجَاءٌ تَامٌّ، وَهَذِهِ الْجَرَاءَةُ كُلُّهَا مِنْ ذَلِكَ.

(١٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسَ عَشَرَ فِي بَيَانِ الْأَحْوَالِ الَّتِي لَهَا مُنَاسَبَةٌ لِمَقَامِ الْهُبُوطِ وَالنُّزُولِ مَعَ بَعْضِ الْأَسْرَارِ الْمَكْنُونَةِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ أَيْضًا

---

(١) هو العلامة الصالح الشيخ المولوي نور محمد، وجه أقصى اهتمامه بالرياضات والخلوات حتى من الله تعالى عليه بالفتح، حتى كان بحرا زاخرا في كثير من العلوم. انظر: السنهوري: الأنوار القدسية ٢٢٣.

عَرِيضَةُ الْحَاضِرِ الْغَائِبِ الْوَاجِدِ الْفَاقِدِ الْمُقْبِلِ الْمُعْرِضِ أَنَّهُ طَلَبَهُ مُدَّةً مَدِيدَةً فَوَجَدَ نَفْسَهُ ثُمَّ انْجَرَّ أَمْرُهُ إِلَى مَرْتَبَةٍ لَوْ طَلَبَ نَفْسَهُ وَجَدَهُ وَالْآنَ فَقَدَهُ وَوَجَدَ نَفْسَهُ وَمَعَ فِقْدَانِهِ وَغَيْبَتِهِ لاَ يَطْلُبُهُ وَلاَ يَسْتَخْبِرُ عَنْهُ. فَمِنْ حَيْثُ الْعِلْمِ حَاضِرٌ وَوَاجِدٌ وَمُقْبِلٌ وَمِنْ جِهَةِ الذَّوْقِ غَائِبٌ وَفَاقِدٌ وَمُعْرِضٌ. ظَاهِرُهُ بَقَاءٌ وَبَاطِنُهُ فَنَاءٌ فَفِي عَيْنِ الْبَقَاءِ فَانٍ، وَفِي عَيْنِ الْفَنَاءِ بَاقٍ، وَلَكِنَّ الْفَنَاءَ عِلْمِيٌّ وَالْبَقَاءَ ذَوْقِيٌّ. وَتَقَرَّرَ أَمْرُهُ عَلَى الْهُبُوطِ وَالنُّزُولِ وَامْتَنَعَ عَنِ الصُّعُودِ وَالْعُرُوجِ فَكَمَا رَفَعُوهُ عَنِ الْقَلْبِ إِلَى مُقَلِّبِ الْقَلْبِ كَذَلِكَ أَنْزَلُوهُ مِنْ مُقَلِّبِ الْقَلْبِ إِلَى مَقَامِ الْقَلْبِ. وَمَعَ تَخَلُّصِ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ وَخُرُوجِ النَّفْسِ بَعْدَ الْإِطْمِئْنَانِ مِنْ غَلَبَاتِ أَنْوَارِ الرُّوحِ جَعَلُوهُ جَامِعًا لِجِهَتَيِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ وَشَرَّفُوهُ بِبَرْزَخِيَّةِ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ وَأَعْطَوْهُ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ فَوْقٍ وَالْإِفَادَةَ إِلَى سُفْلٍ مَعًا بِسَبَبِ هَذِهِ الْبَرْزَخِيَّةِ، فَفِي عَيْنِ الْإِسْتِفَادَةِ مُفِيدٌ وَفِي عَيْنِ الْإِفَادَةِ مُسْتَفِيدٌ،

(شِعْرٌ):

فَيَا لَهَا قِصَّةٌ فِي شَرْحِهَا طُولٌ *** وَكَمْ يَرَاعٍ إِذَا حَرَّرْتُ يَنْكَسِرُ

ثُمَّ الْمَعْرُوضُ: أَنَّ الْيَدَ الْيُسْرَى عِبَارَةٌ عَنْ مَقَامِ الْقَلْبِ الْحَاصِلِ قَبْلَ الْعُرُوجِ إِلَى مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ وَأَمَّا مَقَامُ الْقَلْبِ الَّذِي يَكُونُ النُّزُولُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْهُبُوطِ مِنْ فَوْقٍ فَهُوَ مَقَامٌ آخَرُ فَإِنَّهُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الشِّمَالِ وَالْيَمِينِ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَرْبَابِهِ وَالْمَجْذُوبُونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ سُلُوكٌ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَالْوُصُولُ إِلَى مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ مَرْبُوطٌ بِالسُّلُوكِ وَتَعَلُّقُ مَقَامٍ بِشَخْصٍ كِنَايَةٌ عَنْ حُصُولِ شَأْنٍ خَاصٍّ لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ وَلَهُ امْتِيَازٌ عَلَى حِدَةٍ مِنْ أَرْبَابِ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ الْإِمْتِيَازِ سَبْقَةُ الْإِنْجِذَابِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ وَالْبَقَاءُ الْخَاصُّ الَّذِي كَانَ مَنْشَأً لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ الْمَقَامِ وَتَحْقِيقُ عُلُومِ مَقَامِ الْقَلْبِ وَحَقِيقَةُ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مَكْتُوبَةٌ فِي الرِّسَالَةِ الْمَوْعُودَةِ بِالتَّفْصِيلِ وَتَوَجَّهَ السَّيِّدُ شَاهْ حُسَيْنٌ بِالْإِضْطِرَابِ وَالْعَجَلَةِ فَلَمْ تَكُنْ فُرْصَةٌ لِنَقْلِهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَتَتَشَرَّفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْفَوْرِ بِمُطَالَعَتِكُمْ وَالْعَزِيزُ الْمُتَوَقِّفُ نَزَلَ مِنْ فَوْقٍ مِنْ مَقَامِ الْجَذْبَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ وَجْهُهُ إِلَى الْعَالَمِ بَلْ تَوَجُّهُهُ إِلَى جِهَةِ الْفَوْقِ وَلَمَّا كَانَ عُرُوجُهُ إِلَى الْجِهَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ بِالْقَسْرِ كَانَتْ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِالطَّبْعِ لِلْجَذْبَةِ وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ شَيْئًا يَسِيرًا وَقْتَ نُزُولِهِ مِنْ فَوْقٍ وَبِضَاعَةُ نِسْبَتِهِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ تَوَجُّهِ الْقَاسِرِ وَكَانَ الْعُرُوجُ إِثْرَ ذَلِكَ التَّوَجُّهِ بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنَ فِي نِسْبَةِ الْجَذْبَةِ كَالرُّوحِ فِي الْجَسَدِ وَكَالنُّورِ فِي الظُّلْمَةِ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْجَذْبَةَ غَيْرُ جَذْبَةِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ بَلْ هِيَ جَذْبَةٌ وَصَلَتْ إِلَى الْخَوَاجَهْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَحْرَارٍ[1] قُدِّسَ سِرُّهُ مِنْ آبَائِهِ الْكِرَامِ[2] وَكَانَ الشَّأْنُ الْخَاصُّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الطَّالِبِينَ فِي الْوَاقِعَةِ أَنَّ ذَلِكَ الْعَزِيزَ الْمُتَوَقِّفَ أَكَلَ الْخَوَاجَهْ يَعْنِي الْمَذْكُورَ آنِفًا بِالتَّمَامِ وَظُهُورُ أَثَرِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَلَيْسَ لِهَذِهِ الْجَذْبَةِ مُنَاسَبَةٌ لِمَقَامِ الْإِفَادَةِ فَإِنَّ التَّوَجُّهَ فِي مَقَامِ هَذِهِ الْجَذْبَةِ إِلَى جِهَةِ الْفَوْقِ دَائِمًا وَالسُّكْرُ الدَّائِمِيُّ لاَزِمُهُ وَبَعْضُ مَقَامَاتِ الْجَذْبَةِ مُنَافِيَةٌ

---

(١) الشيخ عبيد الله احرار، تقدمت ترجمته.

(٢) يعني أجداده من طرف أمه كالشيخ عمر الباغستاني وأولاده وأقربائه كما هو مذكور في الرشحات لمؤلفه علي عنه.

لِلسُّلُوكِ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِ وَبَعْضٌ آخَرُ لَيْسَ بِمُنَافٍ لَهُ بَلْ يَتَوَجَّهُونَ لِأَجْلِ السُّلُوكِ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِ وَهَذِهِ الْجَذْبَةُ مُنَافِيَةٌ لِلسُّلُوكِ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِ وَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ وَقْتَ تَحْرِيرِ الْعَرِيضَةِ وَظَهَرَ بَعْضُ دَقَائِقِهِ وَلَا يَتَيَسَّرُ التَّوَجُّهُ مِنْ غَيْرِ بَاعِثٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ وَقَدْ نَزَلَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ مُنْذُ أَشْهُرٍ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَاخِلاً فِي مَقَامِ الْجَذْبَةِ الْمَذْكُورَةِ بِالتَّمَامِ وَالْمَانِعُ عَدَمُ الْعِلْمِ بِشَأْنِ ذَلِكَ الْمَقَامِ مَعَ التَّوَجُّهَاتِ الْمُوَاجِبَةِ لِلتَّفْرِقَةِ وَتَشَتُّتِ الْبَالِ وَعَسَى أَنْ يَتَيَسَّرَ الدُّخُولُ فِيهِ بِالتَّمَامِ وَقْتَ مُطَالَعَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ غَيْرِ الْمُرْتَبِطَةِ وَلَعَلَّهُ يَنْزِلُ بَعْدَ ذَلِكَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةِ بِالتَّمَامِ.

(١٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ فِي بَيَانِ أَحْوَالِ الْعُرُوجِ وَالنُّزُولِ وَغَيْرِهَا

كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ أَيْضًا.

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الطَّلَبَةِ أَنَّ مَوْلَانَا عَلَاءَ الدِّينِ قَدْ بَلَّغَ الْمَكْتُوبَ الْمُشْتَمِلَ لِلِالْتِفَاتِ وَقَدْ جَعَلْتُ فِي كَشْفِ كُلٍّ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الْمَذْكُورَةِ مُسَوَّدَةً عَلَى مُقْتَضَى الْوَقْتِ وَكَانَ بَعْضُ مُتَمِّمَاتِ تِلْكَ الْعُلُومِ الْمَسْطُورَةِ وَمُكَمِّلَاتِهَا مَحْظُورًا أَيْضًا، وَلَكِنْ لَمْ تُوجَدْ فُرْصَةٌ لِتَحْرِيرِهِ لِتَوَجُّهِ حَامِلِ الْعَرِيضَةِ نُرْسِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى خِدْمَتِكُمْ سَرِيعًا. وَقَدْ أَرْسَلْتُ الْآنَ رِسَالَةً أُخْرَى قَدْ نُقِلَتْ إِلَى الْبَيَاضِ، وَكُنْتُ جَمَعْتُهَا بِالْتِمَاسِ بَعْضِ الْأَصْحَابِ. فَإِنَّهُمْ الْتَمَسُوا مِنِّي أَنْ أَكْتُبَ لَهُمْ نَصَائِحَ تَكُونُ نَافِعَةً فِي الطَّرِيقَةِ وَيَعْمَلُونَ بِمَضْمُونِهَا. وَالْحَقُّ أَنَّهَا رِسَالَةٌ عَدِيمَةُ النَّظِيرِ كَثِيرَةُ الْبَرَكَةِ وَكَانَ بَعْدَ تَحْرِيرِهِ مَعْلُومًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَضَرَ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنْ مَشَايِخِ أُمَّتِهِ وَفِي يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةُ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُقَبِّلُهَا مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ وَيُرِيهَا الْمَشَايِخَ وَيَقُولُ: يَنْبَغِي أَنْ يَحْصُلَ مِثْلُ هَذِهِ الْمُعْتَقَدَاتِ، وَالْجَمَاعَةُ الَّذِينَ اسْتَسْعَدُوا بِهَذِهِ الْعُلُومِ نُورَانِيُّونَ وَمُمْتَازُونَ وَعَزِيزُو الْوُجُودِ قَائِمُونَ فِي مُقَابَلَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْحَاصِلُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ هَذَا الْفَقِيرَ بِإِشَاعَةِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَإِظْهَارِهَا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، (ع) **لَا عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الْكِرَامِ** *

وَحِينَ جِئْتُ مِنَ الْمُلَازَمَةِ لَمْ تَكُنْ فِيَّ مُنَاسَبَةٌ كَثِيرَةٌ لِمَقَامِ الْإِرْشَادِ بِوَاسِطَةِ وُجُودِ الْمَيْلِ إِلَى جِهَةِ الْفَوْقِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْعُدَ فِي زَاوِيَةٍ أَوْقَاتًا. وَظَهَرَ النَّاسُ فِي النَّظَرِ مِثْلَ النَّمِرِ وَالْأَسَدِ وَكَانَ عَزْمُ الْعُزْلَةِ وَالِانْزِوَاءِ مُصَمَّمًا، وَلَكِنْ لَمْ تَقَعِ الْإِسْتِخَارَةُ مُوَافِقَةً لِلْمَطْلُوبِ، وَالْعُرُوجُ إِلَى غَايَةِ غَايَاتِ مَدَارِجِ الْقُرْبِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهَا غَايَةٌ قَدْ تَيَسَّرَ، وَلَا يَزَالُ يَتَيَسَّرُ، وَالْأَحْوَالُ فِي التَّقَلُّبِ دَائِمًا "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ"، وَتَحُوزِيَ بِي مَقَامَاتِ جَمِيعِ الْمَشَايِخِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ

(شِعْرٌ):

وَتَدَاوَلَتْ أَيْدِي الْكِرَامِ وَرْدَةً *** حَتَّى إِلَى الْعَالِي الْجَنَابِ تَرَقَّتْ

فَإِنْ عَدَدْتُ تَوَسُّطَ رُوحَانِيَّةِ الْمَشَايِخِ فِي ذَلِكَ يَنْجَرُّ إِلَى الإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ. وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ جُوزِيَ بِي مِنْ جَمِيعِ مَقَامَاتِ الأَصْلِ كَمُجَاوَزَتِي مَقَامَاتِ الظِّلِّ، فَمَاذَا أُبَيِّنُ مِنَ الْعِنَايَاتِ الْعَدِيمَةِ الْغَايَاتِ قَبْلَ مَنْ قَبْلَ بِلاَ عِلَّةٍ وَعُرِضَ عَلَيَّ مِنْ وُجُوهِ الْوِلاَيَاتِ وَكَمَالاَتِهَا مَا لاَ يُمْكِنُ تَحْرِيرُهُ. وَأُنْزِلْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ إِلَى مَقَامِ الْقَلْبِ مِنْ مَدَارِجِ النُّزُولِ وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ، وَلَكِنْ لاَ بُدَّ مِنْ أَشْيَاءَ لِتَتْمِيمِ هَذَا الْمَقَامِ وَتَكْمِيلِهِ وَمَتَى يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ وَالأَمْرُ لَيْسَ بِسَهْلٍ وَمَعَ وُجُودِ الْمُرَادِيَّةِ يُقْطَعُ مِنَ الْمَنَازِلِ مَا لَوْ أُعْطِيَ الْمُرِيدُونَ عُمْرَ نُوحٍ لاَ يُعْلَمُ تَيَسُّرُهُ بَلْ هَذِهِ الْوُجُوهُ مَخْصُوصَةٌ لِلْمُرَادِينَ وَلاَ مَحَلَّ هُنَا لِلْمُرِيدِينَ، وَنِهَايَةُ عُرُوجِ الأَفْرَادِ إِلَى بِدَايَةِ مَقَامِ الأَصْلِ فَحَسْبُ، وَلاَ مُجَاوَزَةَ لِلأَفْرَادِ مِنْهَا؛ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١) وَهَذَا هُوَ وَجْهُ التَّوَقُّفِ فِي مَرَاتِبِ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ وَعَدَمُ النُّورَانِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ ظُهُورِ نُورِ ظُلْمَةِ الْغَيْبِ لاَ شَيْءٍ آخَرَ، وَقَدْ يَعْجِنُ النَّاسُ فِي مُتَخَيَّلاَتِهِمْ أَشْيَاءَ لاَ يَنْبَغِي اعْتِبَارُهَا،

(شِعْرٌ)

كَيْفَ يَدْرِي الأَغْبِيَا حَالَ الْكِرَامِ *** فَاقْصُرِ الأَقْوَالَ وَاسْكُتْ وَالسَّلاَمُ

وَاحْتِمَالُ الضَّرَرِ غَالِبٌ فِي تَخَيُّلِ مِثْلِ هَذِهِ الظُّنُونِ.

فَيَنْبَغِي أَمْرُ هَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةِ بِإِغْمَاضِ نَظَرِ خَيَالاَتِهِمْ عَنْ أَحْوَالِ هَذَا الْمَكْسُورِ الْبَالِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا النَّظَرِ لَهُ مَجَالٌ فِي مَحَالٍّ أُخْرَى كَثِيرَةٍ؛ (شِعْرٌ):

من كم شده أم مرا مجو بيد *** باكم شد كان سخن مكوييد

(تَرْجَمَةٌ):

كُفُّوا الْمَلاَمَ عَنِ الَّذِي أَفْنَى وُجُو *** دَهُ فِي الإِلَهِ وَاحْذَرُوا مِنْ بَأْسِهِ

يَنْبَغِي التَّفَكُّرُ فِي غَيْرَةِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ فَإِنَّ التَّكَلُّمَ وَالتَّقَوُّلَ فِي تَنْقِيصِ أَمْرٍ يُرِيدُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ كَمَالَهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ جِدًّا بَلْ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُعَارَضَتُهُ تَعَالَى. وَالنُّزُولُ فِي مَقَامِ الْقَلْبِ الْمَارِّ ذِكْرُهُ آنِفًا نُزُولٌ فِي مَقَامِ الْفَرْقِ فِي الْحَقِيقَةِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الإِرْشَادِ. وَالْفَرْقُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ عِبَارَةٌ عَنِ امْتِيَازِ النَّفْسِ عَنِ الرُّوحِ وَالرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ بَعْدَ دُخُولِ النَّفْسِ فِي نُورِ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ الْجَمْعُ وَمَا فُهِمَ مِنَ الْجَمْعِ وَالْفَرْقِ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السُّكْرِ فَإِنَّ رُؤْيَةَ الْحَقِّ مُفَارِقًا وَمُنْفَكًّا عَنِ الْخَلْقِ الَّتِي يَزْعُمُونَهَا مَقَامَ الْفَرْقِ لاَ حَقِيقَةَ لَهَا بَلْ يَزْعُمُونَ الرُّوحَ الْمَذْكُورَةَ حَقًّا وَيَزْعُمُونَ رُؤْيَةَ مُفَارَقَتِهَا وَامْتِيَازَهَا عَنِ النَّفْسِ رُؤْيَةَ مُفَارَقَةِ الْحَقِّ وَامْتِيَازِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَنِ الْخَلْقِ. وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ أَكْثَرُ عُلُومِ أَرْبَابِ السُّكْرِ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الأَمْرِ مَفْقُودَةٌ ثَمَّةَ وَالأَمْرُ

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

عِنْدَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ. وَقَدْ حَرَّرْتُ عُلُومَ أَرْبَابِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَحَقِيقَةَ كُلٍّ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ بِالتَّفْصِيلِ فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى. وَسَتُشَرَّفُ بِوُقُوعِ النَّظَرِ الشَّرِيفِ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى.

(١٧) الْمَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ فِي الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعُرُوجِ وَالنُّزُولِ

كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الْخَدَمَةِ أَنَّ الْعَزِيزَ الَّذِي كَانَ مُتَوَقَّعًا مُنْذُ أَوْقَاتٍ ظَهَرَ يَوْمَ التَّحْرِيرِ أَنَّهُ عَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ بِنَحْوٍ مِنَ الْعُرُوجِ وَنَزَلَ التَّحْتَ وَلَكِنَّهُ مَا نَزَلَ بِالتَّمَامِ. وَالْبَقَايَا الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ هَذَا الْمَقَامِ عَرَجُوا أَيْضًا وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ النُّزُولِ مِنْ طَرِيقِ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْفَوْقَانِيِّ. وَكُلُّ كَيْفِيَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ هَذَا نَعْرِضُهَا فَإِنْ كَتَبَ صَاحِبُ الْمُعَامَلَةِ شَيْئًا بَعْدَ انْكِشَافِ حَالِهِ لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ. وَلَمَّا كَانَ حُدُوثُ قَضِيَّةِ هَذَا النُّزُولِ قَوِيًّا وَدَفْعِيًّا، وَقَدْ طَرَأَ عَلَى الْفَقِيرِ ضَعْفٌ بِوَاسِطَةِ تَنَاوُلِ الْجُلَّابِ لَمْ أَشْتَغِلْ بِأَمْرِ هَذَا النُّزُولِ وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى مَآلِهِ وَسَيَظْهَرُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى.

(١٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي التَّمْكِينِ الَّذِي يَحْصُلُ بَعْدَ التَّلْوِينِ وَبَيَانِ مَرَاتِبِ الْوِلَايَاتِ الثَّلَاثِ وَبَيَانِ أَنَّ وُجُودَ الْوَاجِبِ تَعَالَى زَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى وَغَيْرِ ذَلِكَ

كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ ذِي التَّقْصِيرِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْأَحَدِ أَنَّهُ مَا دَامَتِ الْأَحْوَالُ وَارِدَةً كُنَّا نَتَجَاسَرُ بِعَرْضِهَا وَلَمَّا حَرَّرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ رِقِّيَّةِ الْأَحْوَالِ بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمُ الْعَلِيَّةِ، وَشَرَّفَ بِالتَّمْكِينِ بَعْدَ التَّخْلِيصِ مِنَ التَّلْوِينِ مَا بَقِيَ فِي الْيَدِ حَاصِلُ الْأَمْرِ غَيْرُ الْحَيْرَةِ وَالْعَجْزِ، وَمَا حَصَلَ مِنَ الْوَصْلِ سِوَى الْهَجْرِ وَالْفَصْلِ، وَمِنَ الْقُرْبِ غَيْرُ الْبُعْدِ، وَلَمْ يَزِدْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ غَيْرُ النَّكِرَةِ وَمِنَ الْعِلْمِ غَيْرُ الْجَهْلِ، فَلَا جَرَمَ وَقَعَ التَّوَقُّفُ فِي تَقْدِيمِ الْعَرَائِضِ. وَلَمْ أَتَجَاسَرْ بِمُجَرَّدِ عَرْضِ أَحْوَالِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ وَمَعَ ذَلِكَ قَدِ اسْتَوْلَتِ الْبُرُودَةُ عَلَى الْقَلْبِ عَلَى نَهْجٍ لَا مَيْلَ فِيَّ إِلَى أَمْرٍ مَا أَصْلًا وَلَا شَوْقَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى الْإِشْتِغَالِ بِعَمَلٍ كَمَا هُوَ دَيْدَنُ أَرْبَابِ الْبَطَالَةِ،

(شِعْرٌ) وَإِنِّي لَا شَيْءٌ وَمِنْ ذَاكَ أَنْقَصُ *** وَمَنْ هُوَ لَا شَيْءٌ يَكُونُ مُعَطَّلًا

وَلْنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الْمَقْصُودِ وَنَقُولُ: وَالْعَجَبُ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ قَدْ شَرَّفَنِي الْآنَ بِمَقَامِ حَقِّ الْيَقِينِ الَّذِي لَيْسَ الْعِلْمُ وَالْعَيْنُ فِيهِ بَعْضُهُ حِجَابًا عَنْ بَعْضٍ. وَالْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ مُجْتَمِعَانِ فِيهِ وَفِي عَيْنِ الْحَيْرَةِ وَفِقْدَانِ الْأَمَارَةِ عِلْمٌ وَشُعُورٌ، وَفِي نَفْسِ الْغَيْبَةِ أُنْسٌ وَحُضُورٌ، وَمَعَ وُجُودِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ لَا يَحْصُلُ سِوَى ازْدِيَادِ الْجَهْلِ وَالنَّكِرَةِ،

(ع) ألا فاعْجَبُوا مِنْ وَاصِلٍ مُتَحَيِّرِ *

وَقَدْ رَزَقَ اللّٰهُ تَعَالَى بِمَحْضِ عِنَايَتِهِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا نِهَايَةٌ فِي مَدَارِجِ الْقُرْبِ وَالْكَمَالاَتِ تَرَقِّيَاتٍ بِلاَ نِهَايَةٍ فَفَوْقَ مَقَامِ الْوِلاَيَةِ مَقَامُ الشَّهَادَةِ. وَنِسْبَةُ الْوِلاَيَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ كَنِسْبَةِ التَّجَلِّي الصُّورِيِّ إِلَى التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ، بَلْ بُعْدُ مَا بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ بُعْدِ مَا بَيْنَ هٰذَيْنِ التَّجَلِّيَيْنِ كَذَا مَرَّةً. وَفَوْقَ مَقَامِ الشَّهَادَةِ مَقَامُ الصِّدِّيقِيَّةِ. وَالتَّفَاوُتُ فِيمَا بَيْنَ هٰذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِإِشَارَةٍ وَلَيْسَ فَوْقَهُ مَقَامٌ إِلاَّ مَقَامُ النُّبُوَّةِ عَلَى أَهْلِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقَامٌ بَيْنَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَالنُّبُوَّةِ بَلْ هُوَ مُحَالٌ. وَهٰذَا الْحُكْمُ أَعْنِي الْحُكْمَ بِالإِسْتِحَالَةِ عُلِمَ بِكَشْفٍ صَرِيحٍ صَحِيحٍ، وَمَا أَثْبَتَهُ بَعْضُ أَهْلِ اللّٰهِ مِنَ الْوَاسِطَةِ بَيْنَ هٰذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ وَسَمَّوْهَا بِمَقَامِ الْقُرْبِ قَدْ شُرِّفْتُ بِهِ أَيْضًا، وَاطَّلَعْتُ عَلَى حَقِيقَتِهِ بَعْدَ تَوَجُّهٍ كَثِيرٍ وَتَضَرُّعٍ غَزِيرٍ ظَهَرَ أَوَّلاً عَلَى طَوْرٍ بَيَّنَهُ بَعْضُ الأَكَابِرِ، ثُمَّ صَارَتْ حَقِيقَةُ الأَمْرِ مَعْلُومَةً. نَعَمْ إِنَّ حُصُولَ هٰذَا الْمَقَامِ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ حُصُولِ مَقَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ وَقْتَ الْعُرُوجِ. وَلٰكِنَّ كَوْنَهُ وَاسِطَةً مَحَلُّ تَأَمُّلٍ. وَسَنَعْرِضُ حَقِيقَةَ الأَمْرِ بِالتَّفْصِيلِ بَعْدَ حُصُولِ الْمُلاَزَمَةِ الصُّورِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى.

وَذٰلِكَ الْمَقَامُ عَالٍ جِدًّا وَلاَ يُعْلَمُ فِي مَنَازِلِ الْعُرُوجِ مَقَامٌ فَوْقَهُ وَيَظْهَرُ فِي هٰذَا الْمَقَامِ زِيَادَةُ الْوُجُودِ عَلَى ذَاتِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا هُوَ الْمُقَرَّرُ عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ شَكَرَ اللّٰهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ وَيَبْقَى الْوُجُودُ هُنَا أَيْضًا فِي الطَّرِيقِ وَيَقَعُ الْعُرُوجُ فَوْقَهُ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْمَكَارِمِ رُكْنُ الدِّينِ عَلاَءُ الدَّوْلَةِ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ: "وَفَوْقَ عَالَمِ الْوُجُودِ عَالَمُ الْمَلِكِ الْوَدُودِ" وَمَقَامُ الصِّدِّيقِيَّةِ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَقَاءِ الَّتِي هِيَ نَاظِرَةٌ إِلَى الْعَالَمِ وَأَسْفَلُ [1] مِنْهُ مَقَامُ النُّبُوَّةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ وَهُوَ مَقَامُ كَمَالِ الصَّحْوِ وَالْبَقَاءِ، وَلَيْسَ لِمَقَامِ الْقُرْبِ لِيَاقَةُ الْبَرْزَخِيَّةِ بَيْنَ هٰذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ فَإِنَّهُ نَاظِرٌ إِلَى التَّنْزِيهِ الصِّرْفِ، وَتَمَامِ الْعُرُوجِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، (شِعْرٌ):

قَدْ أَمْسَكُونِي وَرَاءَ الْمَرْئِيِّ كَدُرَّتِهِمْ *** أَقُولُ مَا قَالَ لِي أُسْتَاذِي الأَزَلِيُّ

وَقَدْ صَارَتِ الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ الإِسْتِدْلاَلِيَّةُ ضَرُورِيَّةً كَشْفِيَّةً لاَ مُخَالَفَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُصُولِ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ الإِجْمَالِيَّةُ تَفْصِيلِيَّةً وَأُخْرِجَتْ مِنَ النَّظَرِيَّةِ إِلَى الضَّرُورِيَّةِ. سُئِلَ الْخَوَاجَهْ الأَعْظَمُ يَعْنِي بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدَ قُدِّسَ سِرُّهُ أَنَّهُ مَا الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلُوكِ؟ فَقَالَ: "الْمَقْصُودُ مِنْهُ كَوْنُ الْمَعْرِفَةِ الإِجْمَالِيَّةِ تَفْصِيلِيَّةً وَالإِسْتِدْلاَلِيَّةِ كَشْفِيَّةً" وَلَمْ يَقُلْ حُصُولُ عُلُومٍ سِوَاهَا نَعَمْ يَظْهَرُ فِي الطَّرِيقِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَمَعَارِفُ غَزِيرَةٌ وَلٰكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَهَا، وَمَا دَامَ السَّالِكُ لَمْ يَصِلْ إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَاتِ الَّتِي هِيَ مَقَامُ الصِّدِّيقِيَّةِ لاَ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هٰذِهِ الْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الْيَقِينِيَّةِ. فَيَا لَيْتَ شِعْرِي إِنَّ

---

(١) يعني في مراتب النزول والبقاء ولهذا قال وهو في الحقيقة أعلى منه فافهم سند (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه).

مِنْ أَهْلِ اللَّهِ الْقَائِلِينَ بِحُصُولِ هَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِعُلُومِ هَذَا الْمَقَامِ وَمَعَارِفِهِ فَمَا وَجْهُهُ: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}(١).

وَاطَّلَعْتُ أَيْضًا عَلَى سِرِّ مَسْأَلَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَعَلِمْتُهَا عَلَى نَهْجٍ لاَ تَقَعُ الْمُخَالَفَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُصُولِ ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ مُبَرَّأَةً وَمُنَزَّهَةً عَنْ نَقْصِ الإِيجَابِ وَشَائِبَةِ الْجَبْرِ وَفِي الظُّهُورِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالْعَجَبُ مَا وَجْهُ إِخْفَائِهَا مَعَ عَدَمِ مُخَالَفَتِهَا أُصُولَ الشَّرِيعَةِ فَلَوْ كَانَتْ فِيهَا شَائِبَةُ الْمُخَالَفَةِ لَكَانَ لِلسَّتْرِ وَالإِخْفَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ: {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}(٢).

(شِعْرٌ) وَمَنِ الَّذِي فِي فِعْلِهِ يَتَكَلَّمُ *** دُونَ الرِّضَا يَا صَاحِ وَالتَّسْلِيمِ

وَتُفَاضُ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ مِثْلَ فَيَضَانِ الْمَطَرِ مِنْ سَحَابِ الرَّبِيعِ بِحَيْثُ تَعْجِزُ الْقُوَّةُ الْمُدْرِكَةُ عَنْ تَحَمُّلِهَا وَإِطْلاَقُ الْقُوَّةِ الْمُدْرِكَةِ مُجَرَّدُ تَعْبِيرٍ وَإِلاَّ فَلاَ يَحْمِلُ عَطَايَا الْمَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ وَقَدْ كَانَ فِي الأَوَائِلِ شَوْقُ قَيْدِ هَذِهِ الْعُلُومِ الْغَرِيبَةِ بِالْكِتَابَةِ وَلَكِنِّي لَمْ أُوَفَّقْ لِذَلِكَ وَكَانَ لِي تَحَرُّجٌ وَثِقَلٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَسَلَّيْتُ آخِرَ الأَمْرِ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ إِفَاضَةِ هَذِهِ الْعُلُومِ حُصُولُ الْمَلَكَةِ لاَ حِفْظُهَا كَمَا أَنَّ طَلَبَةَ الْعُلُومِ يُحَصِّلُونَ الْعُلُومَ لِيَنَالُوا مَلَكَةَ الْمَوْلَوِيَّةِ لاَ أَنَّهُمْ يُحَصِّلُونَهَا لِأَجْلِ حِفْظِ أُصُولِ الصَّرْفِ وَالنَّحْوِ وَغَيْرِهِمَا وَلْنَتَعَرَّضْ بَعْضَ الْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٣) أَوَّلُ هَذَا الْكَلاَمِ إِثْبَاتُ التَّنْزِيهِ الْمَحْضِ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٤) مُتَمِّمٌ وَمُكَمِّلٌ لِلتَّنْزِيهِ.

وَبَيَانُهُ أَنَّ ثُبُوتَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلْمَخْلُوقِ لَمَّا كَانَ مُوهِمًا لِثُبُوتِ الْمُمَاثَلَةِ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُمُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ لِدَفْعِ هَذَا الْوَهْمِ يَعْنِي أَنَّ السَّمِيعَ وَالْبَصِيرَ هُوَ تَعَالَى لَيْسَ إِلاَّ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ الْمَوْجُودَتَانِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ لَهُمَا مَدْخَلٌ فِي السَّمَاعِ وَالرُّؤْيَةِ فَكَمَا أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلَقَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ كَذَلِكَ يَخْلُقُ السَّمَاعَ وَالرُّؤْيَةَ بَعْدَ خَلْقِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِطَرِيقِ جَرْيِ الْعَادَةِ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيرٍ لِصِفَاتِهِمْ وَلَوْ قُلْنَا بِالتَّأْثِيرِ فَالتَّأْثِيرُ فِيهَا أَيْضًا مَخْلُوقٌ فَكَمَا أَنَّ ذَوَاتَهُمْ جَمَادٌ مَحْضٌ كَذَلِكَ صِفَاتُهُمْ أَيْضًا جَمَادٌ مَحْضٌ مَثَلاً إِذَا خَلَقَ الْقَادِرُ بِمَحْضِ قُدْرَتِهِ كَلاَمًا فِي الْحَجَرِ لاَ يُقَالُ إِنَّ الْحَجَرَ مُتَكَلِّمٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنَّ لَهُ صِفَةَ الْكَلاَمِ وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ كَمَا أَنَّ الْحَجَرَ جَمَادٌ كَذَلِكَ هَذِهِ الصِّفَةُ لَوْ فُرِضَ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِيهِ أَيْضًا جَمَادٌ لاَ مَدْخَلَ لَهُ أَصْلاً فِي ظُهُورِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ

وَجَمِيعُ الصِّفَاتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ لَمَّا كَانَتْ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِمَا خَصَّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْيِهِمَا وَيَكُونُ لُزُومُ نَفْيِ الْبَوَاقِي مِنْهَا بِالطَّرِيقِ الأَوْلَى. وَخَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْنِي فِي

---

(١) الآية: ٦٧ من سورة يوسف.

(٢) الآية: ٢٣ من سورة الأنبياء.

(٣) الآية: ١١ من سورة الشورى.

(٤) الآية: ١١ من سورة الشورى.

الْمَخْلُوقِ أَوَّلاً صِفَةَ الْعِلْمِ ثُمَّ خَلَقَ تَوَجُّهَهُ نَحْوَ الْمَعْلُومِ ثُمَّ خَلَقَ تَعَلُّقَهَا بِهِ ثُمَّ جَعَلَ ذَلِكَ الْمَعْلُومَ مُنْكَشِفًا لَهُ ثُمَّ خَلَقَ الإِنْكِشَافَ فِيهِ بَعْدَ خَلْقِ صِفَةِ الْعِلْمِ بِمُجَرَّدِ جَرْيِ الْعَادَةِ فَعُلِمَ أَنْ لاَ مَدْخَلَ لِلْعِلْمِ فِي الإِنْكِشَافِ وَكَذَلِكَ خَلَقَ فِيهِ أَوَّلاً صِفَةَ السَّمْعِ ثُمَّ خَلَقَ الإِصْغَاءَ وَالتَّوَجُّهَ إِلَى الْمَسْمُوعِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاعَ ثُمَّ خَلَقَ إِدْرَاكَ الْمَسْمُوعِ وَكَذَلِكَ خَلَقَ فِيهِ الْبَصَرَ أَوَّلاً ثُمَّ تَقْلِيبَ الْحَدَقَةِ وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَ الْمَرْئِيِّ ثُمَّ الرُّؤْيَةَ ثُمَّ إِدْرَاكَ الْمَرْئِيِّ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ سَائِرُ الصِّفَاتِ وَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ إِنَّمَا هُوَ مَنْ يَكُونُ مَبْدَأً سَمَاعِهِ وَرُؤْيَتِهِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ وَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِسَمِيعٍ وَلاَ بَصِيرٍ. فَتَحَقَّقَ أَنَّ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ جَمَادَاتٌ كَذَوَاتِهِمْ. فَالْمَقْصُودُ مِنْ آخِرِ الْكَلاَمِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُمْ رَأْسًا لاَ أَنَّ لَهُمْ صِفَاتٍ. وَتِلْكَ الصِّفَاتُ ثَابِتَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ حَتَّى يَكُونَ جَمْعًا بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّشْبِيهِ بَلْ تَمَامُ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ لإِثْبَاتِ التَّنْزِيهِ وَنَفْيِ الْمُمَاثَلَةِ رَأْسًا.

وَالْعِلْمُ الأَوَّلُ، أَعْنِي إِثْبَاتَ صِفَاتِ هَؤُلاَءِ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَاعْتِقَادَ ذَوَاتِهِمْ جَمَادًا مَحْضًا وَزَعْمَهَا فِي ظُهُورِ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْهُمْ مِثْلَ الدَّنِّ وَالْكُوزِ فِي ظُهُورِ الْمَاءِ مِنْهُمَا مِنَ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَقَامِ الْوَلاَيَةِ. وَالْعِلْمُ الثَّانِي، أَعْنِي وِجْدَانَ صِفَاتِ هَؤُلاَءِ مِثْلَ الْجَمَادَاتِ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ لاَ شُعُورَ لَهُمْ كَالأَمْوَاتِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾(١) مِنَ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَقَامِ الشَّهَادَةِ. وَمِنْ هُنَا أَيْضًا يُعْلَمُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ. الْقَلِيلُ يَدُلُّ عَلَى الْكَثِيرِ وَالْقَطْرَةُ تُنْبِئُ عَنِ الْغَدِيرِ (ع) **وَعَامُ الرُّخْصِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعٍ ***

وَكَذَلِكَ يَجِدُ أَرْبَابُ هَذَا الْمَقَامِ الْعَالِي أَفْعَالَ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْمَيِّتِ وَالْجَمَادِ لاَ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَ أَفْعَالَهُمْ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَقُولُونَ إِنَّ فَاعِلَ هَذِهِ الأَفْعَالِ هُوَ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا مَثَلاً إِذَا حَرَّكَ شَخْصٌ حَجَرًا لاَ يُقَالُ إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ مُتَحَرِّكٌ بَلْ هُوَ مُوجِدٌ لِلْحَرَكَةِ فِي الْحَجَرِ وَالْمُتَحَرِّكُ إِنَّمَا هُوَ الْحَجَرُ وَكَمَا أَنَّ الْحَجَرَ جَمَادٌ مَحْضٌ كَذَلِكَ حَرَكَتُهُ جَمَادٌ صِرْفٌ فَإِنْ هَلَكَ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ فَرْضًا شَخْصٌ لاَ يُقَالُ إِنَّهُ قَتَلَهُ حَجَرٌ بَلْ يُقَالُ قَتَلَهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي حَرَّكَ الْحَجَرَ. وَقَوْلُ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ شَكَرَ اللهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ، مُوَافِقٌ لِهَذَا الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَفْعُولَ الْمَخْلُوقَاتِ مَصْنُوعُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَعَ وُجُودِ صُدُورِ الأَفْعَالِ عَنْهُمْ بِالإِرَادَةِ وَالإِخْتِيَارِ وَلاَ مَدْخَلَ لأَفْعَالِهِمْ فِي مَصْنُوعِيَّتِهِ وَأَفْعَالُهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ حَرَكَاتٍ شَتَّى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي مَجْعُولِيَّةِ الْمَعْمُولِ (فَإِنْ قِيلَ) فَعَلَى هَذَا يَكُونُ جَعْلُ أَفْعَالِهِمْ مَنَاطًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ غَيْرَ مَعْقُولٍ وَيَكُونُ كَتَكْلِيفِ حَجَرٍ بِأَمْرٍ وَتَرْتِيبِ ذَمٍّ وَمَدْحٍ عَلَى فِعْلِهِ (قُلْتُ) فَرْقٌ بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْمُكَلَّفِينَ فَإِنَّ مَنَاطَ التَّكْلِيفِ الْقُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالْحَجَرُ لاَ قُدْرَةَ فِيهِ وَلاَ إِرَادَةَ بِخِلاَفِ الْمُكَلَّفِينَ فَإِنَّ فِيهِمْ إِرَادَةً وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ إِرَادَتُهُمْ أَيْضًا مَخْلُوقَةً لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيرٍ لَهَا فِي حُصُولِ الْمُرَادِ، كَانَتْ تِلْكَ الإِرَادَةُ أَيْضًا كَالْمَيِّتِ وَفَائِدَتُهَا إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ الْمُرَادِ مَخْلُوقًا بَعْدَ تَحَقُّقِهَا بِطَرِيقِ جَرْيِ الْعَادَةِ. وَلَوْ قِيلَ إِنَّ قُدْرَةَ الْمَخْلُوقِ مُؤَثِّرَةٌ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ. فَذَلِكَ التَّأْثِيرُ أَيْضًا مَخْلُوقٌ فِيهَا كَمَا هِيَ مَخْلُوقَةٌ

---

(١) الآية: ٣٠ من سورة الزمر.

بنفسها فهي تأثيرها لاَ اختيار لَهُ أصلاً فيكونُ تأثيرُها أيضًا كالجماد. مَثلاً إذَا رأى شخصٌ حجرًا نازلاً مِنْ فوقٍ بتحريكِ مُحرِّكٍ وأهلكَ حيوانًا فكمَا أنَّ ذَلكَ الشخصَ يعتقدُ أنَّ هذَا الحجرَ جمادٌ كذَلكَ يعتقدُ أنَّ فعلَهُ الذي هُوَ حركتُهُ جمادٌ ويعتقدُ أنَّ الأثرَ المُترتِّبَ لذَلكَ الفعلِ أعني الهلاكَ أيضًا جمادٌ. فالذَّواتُ والصِّفاتُ والأفعالُ كلُّهَا جماداتٌ محْضَةٌ وأمواتٌ صِرْفَةٌ. فهُوَ الحيُّ القيُّومُ وهُوَ السَّميعُ البصيرُ وهُوَ العليمُ الخبيرُ وهُوَ الفعَّالُ لمَا يُريدُ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١) وقدْ كثُرتْ إساءَةُ الأدبِ وجاوزَ الانبساطُ الحدَّ فمَاذَا أصنعُ فإنَّ جمالَ الكلامِ الذي هُوَ منَ الجميلِ المُطلقِ أوْرَدَنِي مَوْرِدَ أنْ يُظنَّ أنَّ الكلامَ كلَّمَا يطولُ يزدادُ حُسنًا وكلَّمَا يُقالُ حاكيًا عنْهُ يكونُ مِنَ اللذَّةِ والحلاوةِ في المقامِ الأسنَى، مَعَ أنِّي لاَ أجدُ في نفسي مُناسبةً لأنْ أتكلَّمَ مِنْ ذَلكَ الجنابِ أوْ أتفوَّهَ باسْمِهِ، (شعْرٌ):

غسلْتُ بماءِ الوَرْدِ والمِسْكِ الفَ مَ *** رَّةٍ فِيَّ بَعْدُ لسْتُ أهْلاً لذِكْرِهِ

(ع) علَى المرْءِ أنْ لاَ يجْهلَ الدَّهرَ طَوْرَهُ * والمرْجُوُّ بذْلُ التوجُّهِ والعنايَةِ ومَاذَا أعرِضُ مِنْ سُوءِ أحْوالِي وكلُّ مَا أجدُ في نفْسي فهُوَ مِنْ عناياتِ مبْدَأ ذَلكَ التوجُّهِ العالي وإلاَّ (ع) أنَا ذَاكَ أحْمَدُ لَمْ أكُنْ متغيِّرًا * وظهَرَ للْمِيَانْ شاهْ حُسَيْنٍ طريقُ التوحيدِ فهُوَ الآنَ محْظُوظٌ بهِ ويخْطُرُ في البالِ إخراجُهُ مِنْهُ ليبْلُغَ الحيْرةَ فإنَّهَا مقْصُودَةٌ. ومُحمَّدٌ صادقٌ لاَ يقدرُ أنْ يضْبطَ نفسَهُ لصِغرِهِ فإنْ كانَ رفيقًا في السَّفرِ ينالُ ترقِّياتٍ كثيرةً.

وقدْ كانَ في سيْرِ سفْحِ الجبلِ رفيقًا فنالَ ترقِّيًا كثيرًا وتجرَّعَ مِنْ بحْرِ الحيرةِ فلَهُ مُناسبةٌ تامَّةٌ للفقيرِ في الحيرةِ. والشَّيخُ نُورٌ أيضًا في ذَلكَ المقامِ وقدْ ترقَّى ترقِّيًا كثيرًا. ومِنْ أقرباءِ هذَا الفقيرِ غُلامٌ لَهُ حالٌ عالٍ جدًّا قريبٌ مِنَ التجلِّياتِ البرقيَّةِ بلْ مُستَسْعِدٌ بهَا.

(١٩) المكتُوبُ التَّاسعَ عَشَرَ في تفْويضِ بعْضِ أرْبابِ الحوائجِ كَتَبَهُ إلَى شيْخِهِ المُكرَّمِ أيضًا

عريضَةُ أحقرِ الخدَمَةِ أنَّهُ جاءَ شخصٌ مِنَ العسكرِ وأخبرَ أنَّ مبْلغَ أرْبابِ وظائفِ فُقراءِ دَهْلي وسَرْهَنْد يعْني وظائفَهُمْ قدْ مُنِعَ وأُحيلَ علَى مُلازمي العتبَةِ العليَّةِ مِنْ أجْلِ مادَّةِ فصْلِ الخريفِ المارِّ ليُوصِلُوا إلَى المُستحقِّينَ بعْدَ التحْقيقِ الحقيقِ فبناءً علَى ذَلكَ صدرَ الجراءَةُ فإنْ كانَ هذَا الخبرُ صدْقًا يُحالُ علَى حاملِ العريضَةِ ألفُ دِرْهَمٍ فِضِّيَّةٍ باسْمِ الشَّيخِ الحافظِ أبي الحسنِ وهُوَ مِنْ أهْلِ العلْمِ وألفُ دِرْهَمٍ فِضِّيَّةٍ

---

(١) الآية: ١٠٨ من سورة الكهف.

باسْمِ الشَّيْخِ الْحَافِظِ شَاهْ مُحَمَّدٍ مِنْ وُكَلاَءِ الشَّيْخِ نَوَّابِ الْمُقَرَّرَةِ وَهُمَا حَيَّانِ قَائِمَانِ لَيْسَ فِيهِمَا شَائِبَةُ الْإِشْتِبَاهِ وَقَدْ أَرْسَلَ كُلٌّ مِنْهُمَا وَكِيلَهُ الْمُعْتَمَدَ وَالْمُشَارُ إِلَيْهِمَا فِي سَرْهَنْدَ.

(٢٠) اَلْمَكْتُوبُ الْعِشْرُونَ فِي تَفْوِيضِ بَعْضِ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الْخَدَمَةِ أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ مِنَّا تَشْوِيشُ أَوْقَاتِ خَادِمِي الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ مُكَرَّرًا فِي بَابِ وَظَائِفِ وَالِدَةِ حَبِيبِ اللهِ السَّرْهَنْدِيِّ وَمَنْكُوحَتِهِ وَمَخَادِيمَ أُخْرَى مِمَّنْ ذُكِرُوا فِي ضِمْنِ الْعَرِيضَةِ. فَإِنْ كَانَ مَبْلَغُ وَظَائِفِ الْمُشَارِ إِلَيْهِمْ فِي دَهْلِي فَأْمُرُوا مَوْلاَنَا عَلِيًّا بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ بِطَرِيقِ الْوَكَالَةِ وَبَعْضُهُمْ بِطَرِيقِ الْأَصَالَةِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَبْلَغُهُمْ فِي دَهْلِي فَالْمُشَارُ إِلَيْهِمْ أَحْيَاءٌ قَائِمُونَ يَلْتَمِسُونَ تَصْحِيحَ حِصَصِهِمْ وَالزِّيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ انْبِسَاطٌ.

(٢١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ دَرَجَاتِ الْوَلاَيَةِ لاَ سِيَّمَا الْوَلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَمَدْحِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلِهَا وَعُلُوِّ نِسْبَتِهِمْ وَفَضْلِهَا عَلَى نِسَبِ سَائِرِ الطُّرُقِ أَرْسَلَهُ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيِّ ابْنِ الْحَاجِّ مُوسَى الْقَارِي اللاَّهُورِيِّ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ اللَّطِيفُ إِلَى الْعَبْدِ الضَّعِيفِ النَّحِيفِ. عَظَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَتَقَبَّلَ عُذْرَكُمْ، بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا. (اِعْلَمُوا إِخْوَانِي) أَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي قَبْلَ الْمَوْتِ الْمُعَبَّرَ عَنْهُ بِالْفَنَاءِ عِنْدَ أَهْلِ اللهِ مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ لَمْ يَتَيَسَّرِ الْوُصُولُ إِلَى جَنَابِ الْقُدْسِ بَلْ لَمْ يُمْكِنِ النَّجَاةُ عَنْ عِبَادَةِ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ الْآفَاقِيَّةِ وَالْآلِهَةِ الْهَوَائِيَّةِ الْأَنْفُسِيَّةِ فَلَمْ يَتَحَقَّقْ حَقِيقَةُ الْإِسْلاَمِ وَلَمْ يَتَيَسَّرْ كَمَالُ الْإِيمَانِ فَكَيْفَ يَحْصُلُ الدُّخُولُ فِي زُمْرَةِ الْعُبَّادِ وَالْوُصُولُ إِلَى دَرَجَةِ الْأَوْتَادِ مَعَ أَنَّ هَذَا الْفَنَاءَ قَدَمٌ أَوَّلُ يُوضَعُ فِي أَطْوَارِ الْوَلاَيَةِ وَكَمَالٌ أَسْبَقُ يَحْصُلُ فِي الْبِدَايَةِ. فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ مِنْ أَوَّلِ الْوَلاَيَةِ حَالُ آخِرِهَا. وَمِنْ بِدَايَتِهَا دَرَجَةُ نِهَايَتِهَا وَلَنِعْمَ مَا قِيلَ.(ع) **وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي** *. وَغَيْرُهُ * **وَعَامُ الرُّخْصِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعِ** *.وَلِلْوَلاَيَةِ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. إِذْ عَلَى قَدَمِ كُلِّ نَبِيٍّ وَلاَيَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ وَأَقْصَى دَرَجَاتِهَا هِيَ الَّتِي عَلَى قَدَمِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَيْمَنُهَا إِذِ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الَّذِي حِينَئِذٍ لاَ اعْتِبَارَ فِيهِ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ لاَ بِالْإِيجَابِ وَلاَ بِالسَّلْبِ مَخْصُوصٌ بِوَلاَيَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَخَرْقُ

جَمِيعِ الْحُجُبِ الْوُجُودِيَّةِ وَالْإِعْتِبَارِيَّةِ عِلْمًا وَعَيْنًا يَتَحَقَّقُ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ الْوَصْلُ عُرْيَانًا وَيَتَحَقَّقُ الْوَجْدُ حَقِيقَةً لَا حُسْبَانًا. وَلِلْكُمَّلِ مِنْ مُتَابِعِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ نَصِيبٌ كَامِلٌ وَحَظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَزِيزِ وُجُودُهُ. فَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتُمْ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ الْقُصْوَى وَتَكْمِيلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا وَهَذَا التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ بَرْقِيٌّ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمَشَايِخِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى يَعْنِي أَنْ خَرْقَ الْحُجُبِ عَنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ جَلَّ سُلْطَانُهُ يَكُونُ فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ كَالْبَرْقِ ثُمَّ تُسْدَلُ حُجُبُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَيَسْتَتِرُ سَطَوَاتُ أَنْوَارِ الذَّاتِ تَعَالَى فَيَكُونُ الْحُضُورُ الذَّاتِيُّ لَمْحَةً كَالْبَرْقِ، وَالْغَيْبَةُ الذَّاتِيَّةُ كَثِيرَةً جِدًّا. وَعِنْدَ أَكَابِرِ الْمَشَايِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ هَذَا الْحُضُورُ الذَّاتِيُّ دَائِمِيٌّ. وَلَا عِبْرَةَ عِنْدَهُمْ لِلْحُضُورِ الزَّائِلِ الْمُتَبَدِّلِ بِالْغَيْبَةِ فَيَكُونُ كَمَالُ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ فَوْقَ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ وَنِسْبَتُهُمْ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ كَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَاتِهِمْ: "إِنَّ نِسْبَتَنَا فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ" وَأَرَادُوا بِالنِّسْبَةِ الْحُضُورَ الذَّاتِيَّ الدَّائِمِيَّ. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ النِّهَايَةَ فِي طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ الْكُمَّلِ مُنْدَرِجَةٌ فِي الْبِدَايَةِ وَاقْتِدَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَكَرَّمَ فَإِنَّهُمْ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَالُوا مَا يَتَيَسَّرُ فِي النِّهَايَةِ وَذَلِكَ بِانْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ، فَكَمَا كَانَتْ وَلَايَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ وَلَايَاتِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ كَذَلِكَ كَانَتْ وَلَايَةُ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ فَوْقَ جَمِيعِ وَلَايَاتِ الْأَوْلِيَاءِ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ كَيْفَ وَإِنَّ وَلَايَتَهُمْ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ نَعَمْ لِأَفْرَادٍ مِنْ كُمَّلِ الْمَشَائِخِ قَدْ حَصَلَتْ هَذِهِ النِّسْبَةُ لَكِنْ بِاقْتِبَاسٍ مِنَ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ كَمَا أَخْبَرَ أَبُو سَعِيدٍ عَنْ دَوَامِ هَذَا الْحَدِيثِ وَقَدْ وَصَلَتْ حُبَّةُ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ كَمَا نَقَلَ صَاحِبُ النَّفَحَاتِ. وَالْغَرَضُ مِنْ إِظْهَارِ بَعْضِ كَمَالَاتِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ تَرْغِيبُ الطُّلَّابِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَإِلَّا فَمَا لِي وَلِشَرْحِ كَمَالَاتِهَا قَالَ الْمَوْلَوِيُّ فِي الْمَثْنَوِيِّ، (شِعْرٌ):

لَمْ يُنَاسِبْ شَرْحُهُ لِلْخَلْقِ بَلْ *** حَقَّ أَنْ يَخْفَى كَعِشْقٍ فِي الْمَثَلِ

غَيْرَ أَنِّي صِفْتُهُ كَيْ يَرْغَبُوا *** فِيهِ قَبْلَ الْفَوْتِ كَيْلَا يَحْزَنُوا

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى [1].

(٢٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ أُرْسِلَ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمُفْتِي اللَّاهُورِيِّ فِي بَيَانِ وَجْهِ التَّعَلُّقِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ وَبَيَانِ عُرُوجِهِمَا وَنُزُولِهِمَا وَبَيَانِ الْفَنَاءِ الْجَسَدِيِّ وَالرُّوحِيِّ وَبَقَائِهِمَا وَبَيَانِ مَقَامِ الدَّعْوَةِ وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْمُسْتَهْلَكِينَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالرَّاجِعِينَ إِلَى الدَّعْوَةِ

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَقَرَنَ اللاَّمَكَانِيَّ الْمُبَرَّيَ عَنِ الْجِهَةِ مَعَ الْمَكَانِيِّ الْحَاصِلِ فِي الْجِهَةِ فَحُبِّبَتِ الظُّلْمَةُ إِلَى النُّورِ فَعَشِقَ بِهَا وَامْتَزَجَ مَعَهَا بِكَمَالِ الْمَحَبَّةِ لِيَزْدَادَ بِهَذَا التَّعَلُّقِ جَلاَؤُهُ وَيَكْمُلَ بِمُجَاوَرَةِ الظُّلْمَةِ صَفَاؤُهُ كَالْمِرْآةِ إِذَا أُرِيدَ صِقَالَتُهَا وَقُصِدَ ظُهُورُ لَطَافَتِهَا تُرِبَتْ أَوَّلاً لِيَظْهَرَ بِمُجَاوَرَةِ الظُّلْمَةِ التُّرَابِيَّةِ صَفَاؤُهَا وَيَزْدَادَ بِتَعَلُّقِ الْكَثَافَةِ الطِّينِيَّةِ بَهَاؤُهَا فَنَسِيَ ذَلِكَ النُّورُ مَا حَصَلَ لَهُ أَوَّلاً مِنْ شُهُودِهِ الْقُدْسِيِّ بَلْ جَهِلَ نَفْسَهُ وَتَوَابِعَهُ الْوُجُودِيَّةَ لِإِسْتِغْرَاقِهِ فِي شُهُودِ مَعْشُوقِهِ الظُّلْمَانِيِّ وَتَعَلُّقِهِ بِالْهَيْكَلِ الْهَيُولاَنِيِّ فَصَارَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ فِي مُصَاحَبَتِهِ وَضَاعَ مِنْ كَرَامَاتِ الْمَيْمَنَةِ فِي مُجَاوَرَتِهِ فَإِنْ بَقِيَ فِي مَضِيقِ هَذَا الإِسْتِغْرَاقِ وَلَمْ يَتَخَلَّصْ إِلَى فَضَاءِ الإِطْلاَقِ فَالْوَيْلُ لَهُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ وَضَاعَ جَوْهَرُ اسْتِعْدَادِهِ فَضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا وَإِنْ سَبَقَتْ لَهُ الْحُسْنَى وَأَدْرَكَتْهُ الْعِنَايَةُ الْقُصْوَى رَفَعَ رَأْسَهُ وَتَذَكَّرَ مَا ضَلَّ عَنْهُ فَرَجَعَ الْقَهْقَرَى قَائِلاً (شِعْرٌ):

إِلَيْكَ يَا مُنْيَتِي حَجِّي وَمُعْتَمَرِي *** إِنْ حَجَّ قَوْمٌ عَلَى تُرْبٍ وَأَحْجَارِ

وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الإِسْتِغْرَاقُ ثَانِيًا فِي شُهُودِ الْمَطْلُوبِ الأَقْدَسِ عَلَى أَحْسَنِ طُرُقٍ وَتَيَسَّرَ لَهُ التَّوَجُّهُ إِلَى الْجَنَابِ الْمُقَدَّسِ بِأَكْمَلِ وُجُوهٍ تَبِعَتْهُ الظُّلْمَةُ ج وَانْدَرَجَتْ فِي غَلَبَاتِ أَنْوَارِهِ، فَإِذَا بَلَغَ هَذَا الإِسْتِغْرَاقُ إِلَى أَنْ نَسِيَ الْمُتَعَلَّقَ الظُّلْمَانِيَّ رَأْسًا وَجَهِلَ نَفْسَهُ وَتَوَابِعَ وُجُودِهِ كُلِّيَّةً فَاسْتَهْلَكَ فِي مُشَاهَدَةِ نُورِ الأَنْوَارِ، وَحَصَلَ لَهُ حُضُورُ الْمَطْلُوبِ وَرَاءَ الأَسْتَارِ، شُرِّفَ بِالْفَنَاءِ الْجَسَدِيِّ وَالرُّوحِيِّ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْبَقَاءُ بِذَلِكَ الْمَشْهُودِ أَيْضًا بَعْدَ الْفَنَاءِ فِيهِ فَقَدْ تَمَّتْ لَهُ جِهَتَا الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَصَحَّ ج إِطْلاَقُ اسْمِ الْوِلاَيَةِ عَلَيْهِ. فَحِينَئِذٍ لاَ يَخْلُو حَالُهُ مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الإِسْتِغْرَاقُ فِي الْمَشْهُودِ بِالْكُلِّيَّةِ وَالإِسْتِهْلاَكُ فِيهِ عَلَى الدَّوَامِ، وَإِمَّا الرُّجُوعُ إِلَى دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ عَزَّ سُلْطَانُهُ بِأَنْ يَصِيرَ بَاطِنُهُ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَظَاهِرُهُ مَعَ الْخَلْقِ فَيَتَخَلَّصُ النُّورُ حِينَئِذٍ مِنَ الظُّلْمَةِ الْمُنْدَرِجَةِ فِيهِ الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى الْمَطْلُوبِ، وَيَصِيرُ بِهَذَا التَّخَلُّصِ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَمِينٌ وَلاَ شِمَالٌ لَكِنَّ الْيَمِينَ أَوْلَى بِحَالِهِ وَأَنْسَبُ لِكَمَالِهِ، لِجَامِعِيَّتِهِ الْجِهَةَ الْخَيْرِيَّةَ مَعَ اشْتِرَاكِهِمَا فِي الْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِهِ عَزَّ شَأْنُهُ "كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ"[1] وَتَنْزِلُ تِلْكَ الظُّلْمَةُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ فِي مَقَامِ الْعِبَادَةِ وَأَدَاءِ الطَّاعَةِ. وَنَعْنِي بِالنُّورِ اللاَّمَكَانِيِّ الرُّوحَ بَلْ خُلاَصَتَهُ وَبِالظُّلْمَةِ الْمُقَيَّدَةِ بِالْجِهَةِ النَّفْسَ. وَكَذَا الْمُرَادُ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ (فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ): إِنَّ لِلأَوْلِيَاءِ الْمُسْتَهْلَكِينَ أَيْضًا شُعُورًا بِالْعَالَمِ وَتَوَجُّهًا إِلَيْهِ وَاخْتِلاَطًا مَعَ بَنِي نَوْعِهِمْ فَمَا مَعْنَى الإِسْتِهْلاَكِ وَالتَّوَجُّهِ عَلَى الدَّوَامِ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَرْجُوعِينَ إِلَى الْعَالَمِ لِلدَّعْوَةِ ؟

(قُلْنَا) إِنَّ الإِسْتِهْلاَكَ وَالتَّوَجُّهَ بِالْكُلِّيَّةِ عِبَارَةٌ عَنْ تَوَجُّهِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ مَعًا بَعْدَ انْدِرَاجِ النَّفْسِ فِي أَنْوَارِ الرُّوحِ كَمَا مَرَّتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ. وَالشُّعُورُ بِالْعَالَمِ وَنَحْوِهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْحَوَاسِّ وَالْقُوَى وَالْجَوَارِحِ الَّتِي هِيَ

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله ابن عمرو والترمذي عن أبي هريرة بلفظ وكلتا يدى ربي يمين مباركة. (القزاني رحمة الله عليه)

كَالتَّفَاصِيلِ لِلنَّفْسِ، فَالْمُجْمَلُ الْمُتَخَصِّصُ مُسْتَهْلَكٌ فِي ضِمْنِ أَنْوَارِ الرُّوحِ فِي مُطَالَعَةِ الْمَشْهُودِ وَتَفْصِيلُهُ بَاقٍ عَلَى الشُّعُورِ السَّابِقِ مِنْ غَيْرِ تَطَرُّقِ فُتُورٍ إِلَيْهِ، بِخِلَافِ الْمَرْجُوعِ إِلَى الْعَالَمِ فَإِنَّ نَفْسَهُ بَعْدَ كَوْنِهَا مُطْمَئِنَّةً تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَارِ لِلدَّعْوَةِ وَتَحْصُلُ لَهُ الْمُنَاسَبَةُ حِينَئِذٍ مَعَ الْعَالَمِ فَتَقَعُ الدَّعْوَةُ بِتِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ فِي مَعْرِضِ الْإِجَابَةِ.

(وَأَمَّا) بَيَانُ أَنَّ النَّفْسَ مُجْمَلَةٌ وَالْحَوَاسَّ وَنَحْوَهَا تَفَاصِيلُهَا ; فَلِأَنَّ النَّفْسَ لَهَا تَعَلُّقٌ بِالْقَلْبِ الصَّنَوْبَرِيِّ، وَهُوَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالرُّوحِ بِتَوَسُّطِ الْحَقِيقَةِ الْجَامِعَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْفُيُوضُ الْوَارِدَةُ مِنَ الرُّوحِ تَرِدُ إِجْمَالاً أَوَّلاً عَلَيْهَا ثُمَّ بِتَوَسُّطِهَا إِلَى سَائِرِ الْقُوَى وَالْجَوَارِحِ تَفْصِيلاً فَخُلَاصَتُهَا مَوْجُودَةٌ فِي النَّفْسِ إِجْمَالاً فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الطَّائِفَةَ الْأُولَى مِنْ أَرْبَابِ السُّكْرِ، وَالثَّانِيَةَ مِنْ أَرْبَابِ الصَّحْوِ. وَالشَّرَافَةُ لِلْأُولَى وَالْفَضِيلَةُ لِلْأُخْرَى. وَالْمَقَامُ الْأَوَّلُ مُنَاسِبٌ لِلْوِلَايَةِ وَالثَّانِي لِلنُّبُوَّةِ. شَرَّفَنَا اللهُ تَعَالَى بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَثَبَّتَنَا عَلَى كَمَالِ مُتَابَعَةِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْعِبَادِ الصَّالِحِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ آمِينَ. الْمُحَرِّرُ الدَّاعِي وَإِنْ لَمْ يُحْسِنِ الْعَرَبِيَّةَ لِعُجْمِيَّتِهِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَكْتُوبُهُمُ الشَّرِيفُ مُحَرَّرًا بِالْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ أَمْلَى الْقِرْطَاسَ عَلَى نَحْوِ إِمْلَائِهِمْ وَالسَّلَامُ خِتَامُ الْكَلَامِ.

(٢٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ أُرْسِلَ إِلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمُشْتَهِرِ بِخَانِ خَانَانَ[1] فِي جَوَابِ كِتَابِهِ فِي الْمَنْعِ عَنْ أَخْذِ الطَّرِيقِ مِنَ النَّاقِصِ وَبَيَانِ مَضَرَّتِهِ وَالْمَنْعِ عَنِ الْأَلْقَابِ الشَّبِيهَةِ بِأَهْلِ الْكُفْرِ

نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ الْمَقَالِ * الْخَالِي عَنِ الْحَالِ * وَالْعِلْمِ الْمُعَرَّى عَنِ الْأَعْمَالِ * بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ * الْمَبْعُوثِ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ * عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا * وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا * بَلَّغَ رِسَالَتَكُمُ الْأَخُ الصَّالِحُ الصَّادِقُ تَبْلِيغًا * وَحَكَى عَنْ جَنَابِكُمْ بِلِسَانِ التُّرْجُمَانِ مَا حَكَى * فَأَنْشَدْتُ (شِعْرٌ)

أَهْلاً لِسُعْدَى وَالرَّسُولِ وَحَبَّذَا *** وَجْهُ الرَّسُولِ لِحُبِّ وَجْهِ الْمُرْسِلِ

(اعْلَمْ) أَيُّهَا الْأَخُ الْقَابِلُ لِظُهُورِ الْكَمَالَاتِ أَظْهَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِعْلَكُمْ مِنَ الْقُوَّةِ: أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَزْرَعْ فِيهَا وَعَطَّلَ أَرْضَ الْاِسْتِعْدَادِ وَأَضَاعَ بَذْرَ الْأَعْمَالِ. **وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ**: أَنَّ إِضَاعَةَ الْأَرْضِ وَتَعْطِيلَهَا إِمَّا بِأَنْ لَا يَزْرَعَ فِيهَا شَيْئًا، أَوْ أَنْ يُلْقِيَ فِيهَا بَذْرًا خَبِيثًا فَاسِدًا وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ

(١) تراجع ترجمة الشيخ حبيب الله خان خانان في الأنوار القدسية ص ٢٠٢.

الْإِضَاعَةَ أَشَدُّ مَضَرَّةً وَأَكْثَرُ فَسَادًا مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، كَمَا لَا يَخْفَى وَخُبْثُ الْبَذْرِ وَفَسَادُهُ بِأَنْ يَأْخُذَ الطَّرِيقَ مِنَ السَّالِكِ النَّاقِصِ وَيَسْلُكَ مَسْلَكَهُ لِأَنَّ النَّاقِصَ صَاحِبُ هَوًى مُتَّبَعٍ وَمَا يَشُوبُ بِالْهَوَى لَا يُؤَثِّرُ وَإِنْ أَثَّرَ أَعَانَ عَلَى الْهَوَى، فَيَحْصُلُ ظُلْمَةٌ عَلَى ظُلْمَةٍ لِأَنَّ النَّاقِصَ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الطُّرُقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ الطُّرُقِ الَّتِي لَا تُوَصِّلُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ إِذْ هُوَ غَيْرُ وَاصِلٍ قَطُّ، وَكَذَا لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْإِسْتِعْدَادَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ لِلطَّلَبَةِ وَإِذَا لَمْ يُمَيِّزْ طُرُقَ الْجَذْبَةِ عَنْ طُرُقِ السُّلُوكِ فَرُبَّمَا يَكُونُ اسْتِعْدَادُ الطَّالِبِ مُنَاسِبًا لِطَرِيقِ الْجَذْبَةِ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِطَرِيقِ السُّلُوكِ ابْتِدَاءً وَالنَّاقِصُ لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِ بَيْنَ الطُّرُقِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعْدَادَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ يَسْلُكُهُ طَرِيقَ السُّلُوكِ ابْتِدَاءً فَأَضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ كَمَا ضَلَّ. فَالشَّيْخُ الْكَامِلُ الْمُكَمِّلُ إِذَا أَرَادَ تَرْبِيَةَ هَذَا الطَّالِبِ وَتَسْلِيكَهُ احْتَاجَ أَوَّلًا إِلَى إِزَالَةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ السَّالِكِ النَّاقِصِ وَإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ بِسَبَبِهِ، ثُمَّ أَلْقَى الْبَذْرَ الصَّالِحَ الْمُنَاسِبَ لِإِسْتِعْدَادِهِ فِي أَرْضِ الْإِسْتِعْدَادِ فَيَنْبُتُ نَبَاتًا حَسَنًا ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [1]، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [2] فَصُحْبَةُ الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ، نَظَرُهُ دَوَاءٌ وَكَلِمَاتُهُ شِفَاءٌ، وَبِدُونِهَا خَرْطُ الْقَتَادِ وَثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ إِذْ هُوَ مِلَاكُ الْأَمْرِ وَمَدَارُ النَّجَاةِ وَمَنَاطُ السَّعَادَةِ وَلَنِعْمَ مَا قِيلَ بِالْفَارِسِيَّةِ، (شِعْرٌ):

محمد عربي كابروى هرد وسراست *** كسيكه خاك درش نيست خاك برسراو

(تَرْجَمَتُهُ) مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ مِنْ عَرَبٍ *** تَعْسًا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَابِهِ التُّرَبَا

وَلْنَخْتِمِ الْمَقَالَةَ عَلَى صَلَوَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَتَسْلِيمَاتِهِ وَتَحِيَّاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ (التَّتِمَّةُ) وَالْعَجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ أَنَّ الْأَخَ الصَّادِقَ قَدْ نَقَلَ أَنَّ مِنْ جُلَسَائِهِمْ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْفُضَلَاءِ مَنْ يُلَقَّبُ فِي الشِّعْرِ بِالْكُفْرِيِّ وَالْحَالُ أَنَّهُ مِنَ السَّادَاتِ الْعِظَامِ وَالنُّقَبَاءِ الْكِرَامِ. فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَا حَمَلَهُ عَلَى اخْتِيَارِ هَذَا الْإِسْمِ الشَّنِيعِ الْبَيِّنِ شَنَاعَتُهُ. وَالْمُسْلِمُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ هَذَا الْإِسْمِ زِيَادَةَ مَا يَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ الْمُهْلِكِ، وَيَكْرَهُهُ كُلَّ الْكَرَاهَةِ لِأَنَّ هَذَا الْإِسْمَ وَمُسَمَّاهُ مَبْغُوضَانِ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ مَأْمُورُونَ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ فَالتَّحَاشِي عَنْ مِثْلِ هَذَا الْإِسْمِ الْقَبِيحِ وَاجِبٌ، وَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَاتِ [3]بَعْضِ الْمَشَائِخِ قُدِّسَ سِرُّهُمْ فِي غَلَبَاتِ السُّكْرِ مِنْ مَدْحِ الْكُفْرِ وَالتَّرْغِيبِ فِي شَدِّ الزُّنَّارِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ، فَمَصْرُوفٌ عَنِ الظَّاهِرِ وَمَحْمُولٌ عَلَى التَّأْوِيلِ. فَإِنَّ كَلَامَ السُّكَارَى يُحْمَلُ وَيُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِرِ الْمُتَبَادِرِ فَإِنَّهُمْ مَعْذُورُونَ بِغَلَبَةِ السُّكْرِ فِي ارْتِكَابِ هَذِهِ الْمَحْظُورَاتِ، مَعَ أَنَّ كُفْرَ الْحَقِيقَةِ أَنْقَصُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِسْلَامِ الْحَقِيقَةِ عِنْدَ أَكَابِرِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَغَيْرُ السُّكَارَى غَيْرُ مَعْذُورٍ فِي تَقْلِيدِهِمْ لَا عِنْدَهُمْ وَلَا عِنْدَ أَهْلِ الشَّرْعِ لِأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَوْسِمًا وَوَقْتًا خَاصًّا صَلُحَ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ وَقَبُحَ فِي مَوْسِمٍ آخَرَ، وَالْعَاقِلُ لَا

---

(١) الآية: ٢٦ من سورة إبراهيم.

(٢) الآية: ٢٤ من سورة إبراهيم.

[3] كقول الحلاج شعر كفرت بدين الله والكفر واجب * لدي وعند المسلمين قبيح.

يَقِيسُ أَحَدَهُمَا عَلَى الآخَرِ فَالْمُسَمَّوْهُ مِنْ قِبَلِي أَنْ يُغَيِّرَ هَذَا الإِسْمَ وَيُبَدِّلَهُ بِاسْمٍ خَيْرٍ مِنْهُ وَيُلَقَّبَ بِالإِسْلاَمِيِّ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِحَالِ الْمُسْلِمِ وَمَقَالِهِ، وَانْتِسَابٌ إِلَى الإِسْلاَمِ الَّذِي هُوَ الدِّينُ الْمَرْضِيُّ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَعِنْدَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَاجْتِنَابٌ عَنِ التُّهْمَةِ الَّتِي أُمِرْنَا بِاتِّقَائِهَا " اِتَّقُوا مَوَاضِعَ التُّهَمِ ". كَلاَمٌ صَادِقٌ لاَ غُبَارَ عَلَيْهِ قَالَ سُبْحَانَهُ: **وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ** (١) وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

(٢٤) **الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ أُرْسِلَ إِلَى مُحَمَّدْ قِلِيجْ خَانْ فِي بَيَانِ أَنَّ الصُّوفِيَّ كَائِنٌ بَائِنٌ وَأَنَّ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ لاَ يَكُونُ بِأَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ وَأَنَّ ظُهُورَ الْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ اسْتِوَاءَ الإِيلاَمِ وَالإِنْعَامِ مِنَ الْمَحْبُوبِ وَالْفَرْقِ بَيْنَ عِبَادَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَعِبَادَةِ الأَبْرَارِ وَكَذَا بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ الْمُسْتَهْلَكِينَ وَبَيْنَ الأَوْلِيَاءِ الْمَرْجُوعِينَ إِلَى دَعْوَةِ الْخَلْقِ**

سَلَّمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" (٢) فَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَبْقَ لِقَلْبِهِ حُبًّا إِلاَّ مَعَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ وَجْهَهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فَيَكُونُ هُوَ مَعَ اللهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهِ مَعَ الْخَلْقِ وَاشْتَغَلَ بِهِمْ صُورَةً. وَهُوَ شَأْنُ الصُّوفِيِّ الْكَائِنِ الْبَائِنِ أَيِ الْكَائِنِ مَعَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَالْبَائِنِ مِنَ الْخَلْقِ حَقِيقَةً، أَوِ الْمُرَادُ الْكَائِنُ مَعَ الْخَلْقِ صُورَةً وَالْبَائِنُ مِنْهُمْ حَقِيقَةً وَالْقَلْبُ لاَ تَتَعَلَّقُ مَحَبَّتُهُ بِأَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ فَمَا لَمْ يَزُلِ التَّعَلُّقُ الْحُبِّيُّ بِذَلِكَ الْوَاحِدِ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِمَا سِوَاهُ مَحَبَّتُهُ وَمَا يُرَى مِنْ كَثْرَةِ مُرَادَاتِهِ وَتَعَلُّقِ مَحَبَّتِهِ بِالأَشْيَاءِ الْمُتَكَثِّرَةِ كَالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْمَدْحِ وَالرِّفْعَةِ عِنْدَ النَّاسِ فَثَمَّةَ أَيْضًا لاَ يَكُونُ مَحْبُوبُهُ إِلاَّ وَاحِدًا وَهُوَ نَفْسُهُ وَمَحَبَّةُ هَؤُلاَءِ فَرْعُ مَحَبَّتِهِ لِنَفْسِهِ. فَإِنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ لاَ يُرِيدُهَا إِلاَّ لِنَفْسِهِ لاَ لأَنْفُسِهِمْ. فَإِذَا زَالَتْ مَحَبَّتُهُ لِنَفْسِهِ زَالَتْ مَحَبَّتُهُمْ بِالتَّبَعِيَّةِ أَيْضًا، فَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ الْحِجَابَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ هُوَ نَفْسُ الْعَبْدِ لاَ الْعَالَمُ، فَإِنَّ الْعَالَمَ فِي نَفْسِهِ غَيْرُ مُرَادٍ لِلْعَبْدِ حَتَّى يَكُونَ حِجَابًا

---

(١) الآية: ٢٢١ من سورة البقرة.

(٢) متفق عليه: وأخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: علامة حب الله عز وجل، ومسلم في كتاب البر والصلة باب: المرء مع من أحب، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب: إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، من حديث عبد الله بن مسعود. وأخرجه الدارمي في كتاب المقدمة من سننه: باب في اجتناب الأهواء موقوفا على علي بن أبي طالب أنه قال: " كُونُوا فِي النَّاسِ كَالنَّحْلَةِ فِي الطَّيْرِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَضْعِفُهَا وَلَوْ يَعْلَمُ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنَ الْبَرَكَةِ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِهَا خَالِطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ وَزَايِلُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ فَإِنَّ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ". وأخرج الترمذي وابن حبان وابن مردويه عن صفوان بن عسال رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يناديه بصوت له جهوري: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْنَا: وَيْحَكَ ! اُخْفُضْ مِنْ صَوْتِكَ ؛ فَإِنَّكَ قَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا، قَالَ: لاَ وَاللهِ حَتَّى أُسْمِعَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَاؤُمْ، قَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً يُحِبُّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ: " الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ".

وإنما مرادُ العبدِ هو نفسُه فلا جرمَ يكونُ الحجابُ هو العبدَ لا غيرُ. فما لم يخلُ العبدُ عن مرادِ نفسِه كلِّيةً لا يكونُ الربُّ مرادَه ولا يسعُ قلبُه محبّةَ سبحانَه وتعالى. وهذه الدولةُ القصوى لا تتحقّقُ إلّا بعدَ الفناءِ المطلقِ المشروطِ بالتجلّي الذاتيّ، فإنّ رفعَ الظلماتِ رأسًا لا يتصوّرُ إلّا بطلوعِ الشمسِ بازغةً.

فإذا حصلتْ تلك المحبّةُ المعبَّرُ عنها بالمحبّةِ الذاتيّةِ استوى عندَ المحبِّ إنعامُ المحبوبِ وإيلامُه فحينئذٍ حصلَ الإخلاصُ فلا يعبدُ ربَّه إلّا له لا لأجلِ نفسِه من طلبِ الإنعامِ ودفعِ الإيلامِ لأنّهما عندَه سواءٌ. وهذه مرتبةُ المقرّبين فإنّ الأبرارَ إنّما يعبدونَ اللهَ خوفًا وطمعًا وهما راجعانِ إلى أنفسِهم لعدمِ فوزِهم بسعادةِ المحبّةِ الذاتيّةِ فلا جرمَ يكونُ حسناتُ الأبرارِ سيّئاتِ المقرّبين فحسناتُ الأبرارِ حسناتٌ من وجهٍ وسيّئاتٌ من وجهٍ وحسناتُ المقرّبين حسناتٌ محضةٌ نعم من المقرّبين من يعبدُ اللهَ خوفًا وطمعًا أيضًا بعدَ تحقّقِهم بالفناءِ الأكملِ ونزولِهم بعالمِ الأسبابِ لكنّ خوفَهم وطمعَهم غيرُ راجعينِ إلى أنفسِهم بل إنّما يعبدونَ طمعًا في رضائِه سبحانَه وخوفًا من سخطِه تعالى.

وكذا إنّما يطلبونَ الجنّةَ لأنّها محلُّ رضائِه تعالى لا لحظوظِ أنفسِهم، وإنّما يستعيذونَ من النارِ لأنّها محلُّ سخطِه تعالى لا لدفعِ الإيلامِ عن أنفسِهم لأنّ هؤلاءِ الأكابرَ محرَّرونَ عن رقّيّةِ الأنفسِ وصاروا خالصينَ للهِ سبحانَه. وهذه المرتبةُ أعلى مراتبِ رتبِ المقرّبين ولصاحبِ هذه المرتبةِ نصيبٌ تامٌّ من كمالاتِ مقامِ النبوّةِ بعدَ تحقّقِه بمرتبةِ الولايةِ الخاصّةِ، ومن لم ينزلْ إلى عالمِ الأسبابِ فهو من الأولياءِ المستهلكين، فلا نصيبَ له من كمالاتِ مقامِ النبوّةِ فلا يكونُ أهلًا للتكميلِ بخلافِ الأوّلِ. رزقنا اللهُ سبحانَه محبّةَ هؤلاءِ الأكابرِ بحرمةِ سيّدِ البشرِ عليه وعلى آلِه وأتباعِه من الصلواتِ أفضلُها ومن التسليماتِ أكملُها فإنّ المرءَ مع من أحبَّ.

(٢٥) المكتوبُ الخامسُ والعشرونَ أُرسلَ إلى خواجة جهان في التحريضِ على متابعةِ سيّدِ المرسلين ومتابعةِ الخلفاءِ الراشدين عليه وعليهم من الصلواتِ أكملُها ومن التسليماتِ أتمُّها

سلّمَ اللهُ تعالى قلبَكم وشرحَ صدورَكم وزكّى أنفسَكم والآنَ حظّكم كلُّ ذلك بل جميعُ كمالاتِ الروحِ والسرِّ والخفيِّ والأخفى منوطٌ بمتابعةِ سيّدِ المرسلين عليه وعلى آلِه من الصلواتِ أفضلُها ومن التسليماتِ أكملُها فعليكم بمتابعتِه ومتابعةِ خلفائِه الراشدين الهادين المهديّين من بعدِه فإنّهم نجومُ الهدايةِ وشموسُ الولايةِ، فمن شُرِّفَ بمتابعتِهم فقد فازَ فوزًا عظيمًا ومن حملَ على مخالفتِهم فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا. البقيّةُ من المقصودِ إظهارُ الاضطرارِ وضيقُ المعيشةِ لابنِ المرحومِ الشيخِ سلطانَ فالملتمسُ

مِنْ جَنَابِكُمْ مَدَدُهُمْ وَإِعَانَتُهُمْ فَإِنَّكُمْ حَرِيُّونَ بِذَلِكَ، بَلْ مُوَفَّقُونَ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ طُرًّا زَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْفِيقَكُمْ وَجَعَلَ الْخَيْرَ رَفِيقَكُمْ. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (١).

(٢٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ أُرْسِلَ إِلَى الشَّيْخِ الْعَالِمِ مَوْلَانَا الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ اللَّاهُورِيِّ(٢) فِي بَيَانِ أَنَّ الشَّوْقَ يَكُونُ لِلْأَبْرَارِ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ مَعَ عُلُومٍ تُنَاسِبُ هَذَا الْمَقَامَ

ثَبَّتَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ. وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ " أَلَا طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي وَأَنَا إِلَيْهِمْ لَأَشَدُّ شَوْقًا "(٣).

أَثْبَتَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الشَّوْقَ لِلْأَبْرَارِ لِأَنَّ الْمُقَرَّبِينَ الْوَاصِلِينَ لَا شَوْقَ لَهُمْ، لِأَنَّ الشَّوْقَ يَقْتَضِي الْفَقْدَ وَالْفَقْدُ فِي حَقِّهِمْ مَفْقُودٌ، أَلَا يُرَى أَنَّ الشَّخْصَ لَا يَشْتَاقُ إِلَى نَفْسِهِ مَعَ إِفْرَاطِهِ فِي حُبِّهِ لِعَدَمِ تَحَقُّقِ الْفَقْدِ فِي حَقِّهِ فَالْمُقَرَّبُ الْوَاصِلُ الْبَاقِي بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ الْفَانِي عَنْ نَفْسِهِ حُكْمُهُ كَحَالِ الشَّخْصِ مَعَ نَفْسِهِ. فَلَا جَرَمَ لَا يَكُونُ الْمُشْتَاقُ إِلَّا الْأَبْرَارَ لِأَنَّهُ مُحِبٌّ فَاقِدٌ. وَنَعْنِي بِالْأَبْرَارِ غَيْرَ الْمُقَرَّبِ الْوَاصِلِ سَوَاءٌ كَانَ فِي الْإِبْتِدَاءِ أَوْ فِي الْوَسَطِ، وَلَوْ بَقِيَ مِنْهُ مِقْدَارُ خَرْدَلَةٍ وَلَنِعْمَ مَا قِيلَ فِي الشِّعْرِ الْفَارِسِيِّ:

فراق دوست اكراند كست اندك نيست *** درون ديده اكرنيم موست بسيارست

(يَعْنِي) مَا قَلَّ هِجْرَانُ الْحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا *** قَلِيلاً وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي الْعَيْنِ ضَائِرٌ

نُقِلَ عَنِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى قَارِئًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَبْكِي فَقَالَ: هَكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُنَا. هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ. وَسَمِعْتُ شَيْخِي قُدِّسَ سِرُّهُ يَقُولُ: إِنَّ الْمُنْتَهِي الْوَاصِلَ رُبَّمَا يَتَمَنَّى الشَّوْقَ وَالطَّلَبَ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ. وَلِرَفْعِ الشَّوْقِ مَقَامٌ آخَرُ أَكْمَلُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَتَمُّ وَهُوَ مَقَامُ الْيَأْسِ وَالْعَجْزِ عَنِ الْإِدْرَاكِ فَإِنَّ الشَّوْقَ يُتَصَوَّرُ فِي الْمُتَوَقَّعِ، فَحَيْثُ لَا تَوَقُّعَ لَا شَوْقَ. وَإِذَا رَجَعَ هَذَا

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن جمعة اللاهوري: صنف مبهج النفوس ومبلج العبوس في نوادر الحكايات، فرغ من جمعه وكتابته سنة: ١١٢٥ ه.

(٣) لا أصل له: ذكره في الإحياء بلفظ لقد طال شوق الأبرار الخ قال العراقي في تخريجه: لم أجد له أصلاً إلا أن صاحب الفردوس ذكره من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس سنده، وقال الشيخ الأكبر في موضع من فتوحاته: " وقد ورد خبر لا علم لي بصحته أن الله ذكر المشتاقين إليه وقال عن نفسه: إنه أشد شوقاً إليهم " ولا علم لي به من الكشف ولا من رواية صحيحة إلا أنه مذكور مشهور " انتهى ملخصاً، ولكن معناه صحيح مطابق لحديث: " من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً " الحديث.

الْكَامِلُ الْبَالِغُ نِهَايَةَ الْكَمَالِ إِلَى الْعَالَمِ رُجُوعَ الْقَهْقَرَى، لاَ يَعُودُ إِلَيْهِ الشَّوْقُ أَيْضًا مَعَ وُجُودِ الْفَقْدِ بِالرُّجُوعِ لأَنَّ زَوَالَ شَوْقِهِ مَا كَانَ لِزَوَالِ الْفَقْدِ بَلْ لِحُصُولِ الْيَأْسِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ بَعْدَ الرُّجُوعِ أَيْضًا بِخِلاَفِ الْكَامِلِ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ يَعُودُ إِلَيْهِ الشَّوْقُ بِرُجُوعِهِ إِلَى الْعَالَمِ لِحُصُولِ الْفَقْدِ الَّذِي زَالَ مِنْ قَبْلُ. فَحِينَ وُجِدَ الْفَقْدُ بِالرُّجُوعِ حَصَلَ الشَّوْقُ الَّذِي زَالَ بِزَوَالِهِ. (لاَ يُقَالُ) إِنَّ مَرَاتِبَ الْوُصُولِ لاَ تَنْقَطِعُ أَبَدَ الآبِدِينَ فَيُتَوَقَّعُ بَعْدَ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ فَيُتَصَوَّرُ الشَّوْقُ؛ (لأَنَّا نَقُولُ) عَدَمُ انْقِطَاعِ مَرَاتِبِ الْوُصُولِ مَبْنِيٌّ عَلَى السَّيْرِ التَّفْصِيلِيِّ الْوَاقِعِ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالإِعْتِبَارَاتِ. وَهَذَا السَّالِكُ لاَ يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ نِهَايَةٌ وَلاَ يَزُولُ عَنْهُ الشَّوْقُ أَبَدًا. وَمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ هُوَ الْمُنْتَهِي الْوَاصِلُ الَّذِي قَطَعَ تِلْكَ الْمَرَاتِبَ بِطَرِيقِ الإِجْمَالِ، وَانْتَهَى إِلَى مَا لاَ يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ وَلاَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِإِشَارَةٍ. فَلاَ يُتَصَوَّرُ ثَمَّةَ تَوَقُّعٌ أَصْلاً، فَلاَ جَرَمَ يَزُولُ عَنْهُ الشَّوْقُ وَالطَّلَبُ. وَهَذَا حَالُ الْخَوَاصِّ مِنَ الأَوْلِيَاءِ لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ عَرَجُوا عَنْ ضِيقِ الصِّفَاتِ وَوَصَلُوا إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، بِخِلاَفِ السَّالِكِينَ فِي الصِّفَاتِ مُفَصَّلاً وَالسَّائِرِينَ فِي الشُّئُونَاتِ مُرَتَّبًا فَإِنَّهُمْ مَحْبُوسُونَ فِي التَّجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ أَبَدَ الآبِدِينَ. وَمَرَاتِبُ الْوُصُولِ فِي حَقِّهِمْ لَيْسَتْ إِلاَّ الْوُصُولَ إِلَى الصِّفَاتِ. وَالْعُرُوجُ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ لاَ يُتَصَوَّرُ إِلاَّ بِالسَّيْرِ الإِجْمَالِيِّ فِي الصِّفَاتِ وَالإِعْتِبَارَاتِ. وَمَنْ وَقَعَ سَيْرُهُ فِي الأَسْمَاءِ بِالتَّفْصِيلِ حُبِسَ فِي الصِّفَاتِ وَالإِعْتِبَارَاتِ وَلَمْ يَزَلْ مِنْهُ الشَّوْقُ وَالطَّلَبُ وَلَمْ يُفَارِقْ عَنْهُ الْوَجْدُ وَالتَّوَاجُدُ فَأَصْحَابُ الشَّوْقِ وَالتَّوَاجُدِ لَيْسُوا إِلاَّ أَصْحَابَ التَّجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَلَيْسَ مِنَ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ لَهُمْ نَصِيبٌ مَا دَامُوا فِي الشَّوْقِ وَالْوَجْدِ. (فَإِنْ قَالَ) قَائِلٌ: مَا مَعْنَى الشَّوْقِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَفْقُودٌ شَيْئًا؟ قُلْتُ: ذِكْرُ الشَّوْقِ هَهُنَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ صَنْعَةِ الْمُشَاكَلَةِ وَذِكْرُ الشِّدَّةِ فِيهِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ كُلَّ مَا يُنْسَبُ إِلَى الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ فَهُوَ شَدِيدٌ وَغَالِبٌ عَلَى مَا يُنْسَبُ إِلَى الْعَبْدِ الضَّعِيفِ. هَذَا الْجَوَابُ عَلَى طَرِيقَةِ الْعُلَمَاءِ. وَلِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ فِي جَوَابِهِ وُجُوهٌ أُخَرُ تُنَاسِبُ طَرِيقَةَ الصُّوفِيَّةِ. وَلَكِنَّ تِلْكَ الأَجْوِبَةَ تَقْتَضِي نَحْوًا مِنَ السُّكْرِ وَبِدُونِ السُّكْرِ لاَ تُسْتَحْسَنُ بَلْ لاَ تَجُوزُ، لأَنَّ السُّكَارَى مَعْذُورُونَ وَأَرْبَابَ الصَّحْوِ مَسْئُولُونَ. وَحَالِي الآنَ الصَّحْوُ الصِّرْفُ فَلاَ يَلِيقُ بِحَالِي ذِكْرُهَا هَذَا. الْحَمْدُ للهِ أَوَّلاً وَآخِرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى نَبِيِّهِ دَائِمًا وَسَرْمَدًا.

(٢٧) الْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ إِلَى خَوَاجَهْ عَمْكْ فِي بَيَانِ مَدْحِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَعُلُوِّ نِسْبَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ

الْحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَرَدَ مَكْتُوبُكُمُ الْمُرْسَلُ إِلَى هَذَا الْمُخْلِصِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ وَصَارَ بَاعِثًا عَلَى الإِبْتِهَاجِ وَالسُّرُورِ، وَالْمَرْجُوُّ سَلاَمَتُكُمْ وَلاَ أُرِيدُ أَنْ أُصَدِّعَكُمْ بِغَيْرِ مَدْحِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ.

(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ الْمُكَرَّمُ)، قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَاتِ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ "أَنَّ نِسْبَتَنَا فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ" وَأَرَادُوا بِتِلْكَ النِّسْبَةِ الْحُضُورَ وَالشُّعُورَ. وَالْحُضُورُ الْمُعْتَبَرُ عِنْدَهُمْ إِنَّمَا هُوَ حُضُورٌ بِلاَ غَيْبَةٍ. وَقَدْ عَبَّرُوا عَنْهُ بِيَادْدَاشْتْ. فَتَكُونُ نِسْبَةُ هَؤُلاَءِ الْأَعِزَّةِ عِبَارَةً عَنْ يَادْدَاشْتْ وَيَادْدَاشْتْ الَّذِي تَقَرَّرَ فِي فَهْمِ هَذَا الْفَقِيرِ الْقَاصِرِ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ، وَهُوَ أَنَّ التَّجَلِّيَ الذَّاتِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ. وَحُضُورِهِ تَعَالَى بِلاَ مُلاَحَظَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ. وَقَالُوا لِهَذَا التَّجَلِّي تَجَلِّيًا بَرْقِيًّا، يَعْنِي يَتَحَقَّقُ ارْتِفَاعُ الشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ لَمْحَةً يَسِيرَةً ثُمَّ تُسْدَلُ حُجُبُ الشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ وَتَتَوَارَى حَضْرَةُ الذَّاتِ. فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لاَ يُتَصَوَّرُ حُضُورٌ بِلاَ غَيْبَةٍ بَلِ الْحُضُورُ لَمْحَةٌ يَسِيرَةٌ وَالْغَيْبَةُ دَائِمَةٌ وَكَائِنَةٌ فِي أَغْلَبِ الْأَوْقَاتِ فَلاَ تَكُونُ هَذِهِ النِّسْبَةُ مُعْتَبَرَةً عِنْدَ هَؤُلاَءِ الْأَعِزَّةِ، وَالْحَالُ قَدْ قَالَ مَشَايِخُ السَّلاَسِلِ الْأُخَرِ لِهَذَا التَّجَلِّي نِهَايَةَ النِّهَايَةِ، فَإِذَا دَامَ هَذَا الْحُضُورُ وَلَمْ يَقْبَلِ الْإِحْتِجَابَ وَالْإِسْتِتَارَ أَصْلاً، وَتَجَلِّي الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِلاَ حُجُبِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ دَائِمًا كَانَ حُضُورًا بِلاَ غَيْبَةٍ. فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ تَفَاوُتُ مَا بَيْنَ نِسْبَةِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ وَنِسَبِ الْآخَرِينَ بِهَذَا الْقِيَاسِ، وَأَنْ يَعْتَقِدَهَا فَوْقَ الْكُلِّ بِلاَ تَحَاشٍ وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْحُضُورِ وَإِنْ كَانَ مُسْتَبْعَدًا عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ وَلَكِنْ لاَ بُعْدَ فِيهَا عِنْدَ أَرْبَابِهَا، (شِعْرٌ):

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا *** وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَقَدْ عَرَضَتْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ غَرَابَةٌ عَلَى نَهْجٍ لَوْ حَكَيْتُهَا فَرْضًا عِنْدَ أَرْبَابِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّأْنِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهُمْ فِي مَقَامِ الْإِنْكَارِ وَلاَ يُصَدِّقُوهَا، وَالنِّسْبَةُ الَّتِي كَانَتْ مُتَعَارَفَةً الْآنَ عِنْدَ أَرْبَابِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ عِبَارَةٌ عَنْ حُضُورِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَشُهُودِهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهٍ يَكُونُ مُنَزَّهًا عَنْ وَصْفِ الشَّاهِدِيَّةِ وَالْمَشْهُودِيَّةِ وَعَنِ التَّوَجُّهِ الْمُعَرَّى عَنِ الْجِهَاتِ السِّتِّ الْمُتَعَارَفَةِ وَإِنْ تُوُهِّمَتْ جِهَةُ الْفَوْقِ وَظُنَّ دَوَامُهَا بِحَسَبِ الظَّاهِرِ. وَهَذِهِ النِّسْبَةُ يَعْنِي الْمَذْكُورَةَ الْمُتَعَارَفَةَ الْآنَ تَتَحَقَّقُ أَيْضًا فِي مَقَامِ الْجَذْبَةِ فَقَطْ وَلاَ يَظْهَرُ وَجْهُ كَوْنِهَا فَائِقَةً لِنِسَبِ سَائِرِ الطُّرُقِ بِخِلاَفِ يَادْدَاشْتْ بِالْمَعْنَى السَّابِقِ، فَإِنَّ حُصُولَهَا إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ تَمَامِ جِهَةِ الْجَذْبَةِ وَمَقَامَاتِ السُّلُوكِ، وَعُلُوُّ دَرَجَتِهَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ. فَإِنْ كَانَ خَفَاءٌ فَإِنَّمَا هُوَ فِي حُصُولِهَا فَقَطْ فَإِنْ أَنْكَرَ حَاسِدٌ بِسَبَبِ حَسَدِهِ وَجَحَدَ نَاقِصٌ لِنُقْصَانِهِ فَهُوَ مَعْذُورٌ، (شِعْرٌ):

إِنْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا *** بَرَأَتْ سَاحَتُهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الْكَلِمِ

هَلْ يَقْطَعُ الثَّعْلَبُ الْمُحْتَالُ سِلْسِلَةً *** قُيِّدَتْ بِهَا أُسُدُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهِمْ. وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(٢٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ أُرْسِلَ أَيْضًا إِلَى خَوَاجَهْ عَمَكْ فِي بَيَانِ عُلُوِّ الْحَالِ لَكِنْ بِعِبَارَةٍ مُوهِمَةٍ لِلتَّنَزُّلِ وَالتَّبَاعُدِ

قَدِ ابْتَهَجْتُ بِوُرُودِ مَكْتُوبِكُمُ الْمُرْسَلِ إِلَى هَذَا الْمُخْلِصِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ، وَتَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَتِهِ، فَمَا أَعْظَمَ نِعْمَةَ تَذَكُّرِ الْأَحْرَارِ الْمَأْسُورِينَ وَمَا أَجَلَّ دَوْلَةَ اهْتِمَامِ الْوَاصِلِينَ بِحَالِ الْمَهْجُورِينَ، وَالْمَهْجُورُ الْعَاجِزُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ نَفْسَهُ أَهْلًا لِلْوِصَالِ اخْتَارَ الْخُمُولَةَ فِي زَاوِيَةِ الْهِجْرَانِ بِالضَّرُورَةِ وَهَرَبَ مِنَ الْقُرْبِ وَاطْمَأَنَّ بِالْبُعْدِ وَسَكَنَ إِلَى الْإِنْفِصَالِ عَنِ الْإِتِّصَالِ وَلَمَّا رَأَى أَسْرًا فِي اخْتِيَارِ الْحُرِّيَّةِ اخْتَارَ الْأَسْرَ بِالْمَمْنُونِيَّةِ، (شعْرٌ):

چون طمع خواهد زمن سلطان دين *** خاك برفرق قناعت بعدا زين

(يَعْنِي) إِذَا مَا أَرَادَ الطَّمَعَ مِنِّي مَالِكِي *** لَقُلْتُ عَلَى رَأْسِ الْقَنَاعَةِ أَحْجَارٌ

وَبِمَاذَا أُصَدِّعُكُمْ بِأَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ بِعِبَارَاتٍ غَيْرِ مُرْتَبِطَةٍ وَإِشَارَاتٍ غَيْرِ مُنْتَظِمَةٍ. ثَبَّتَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

(٢٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ صَدَرَ إِلَى الشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ التَّانِيسَرِيِّ فِي التَّرْغِيبِ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَرِعَايَةِ السُّنَنِ وَالْآدَابِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاتِ فِي أَدَاءِ النَّافِلَةِ فِي جَنْبِ الْفَرَائِضِ وَالْمَنْعِ عَنْ أَدَاءِ الْعِشَاءِ فِي النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ وَالْمَنْعِ عَنْ تَجْوِيزِ شُرْبِ الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي الْوُضُوءِ وَالْمَنْعِ عَنْ تَجْوِيزِ سَجْدَةِ الْمُرِيدِينَ يَعْنِي لِشَيْخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِ

عَصَمَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ التَّعَصُّبِ وَالتَّعَسُّفِ وَنَجَّانَا وَإِيَّاكُمْ عَنِ التَّلَهُّفِ وَالتَّأَسُّفِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمَنْفِيِّ عَنْهُ زَيْغُ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا. (وَاعْلَمْ) أَنَّ مُقَرِّبَاتِ الْأَعْمَالِ إِمَّا فَرَائِضُ وَإِمَّا نَوَافِلُ فَالنَّوَافِلُ لَا اعْتِبَارَ لَهَا فِي جَنْبِ الْفَرَائِضِ أَصْلًا، فَإِنَّ أَدَاءَ فَرْضٍ مِنَ الْفَرَائِضِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَاءِ النَّوَافِلِ أَلْفَ سَنَةٍ وَإِنْ أُدِّيَتْ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ أَيَّ نَفْلٍ كَانَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ رِعَايَةَ سُنَّةٍ مِنَ السُّنَنِ وَأَدَبٍ مِنَ الْآدَابِ حِينَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ لَهَا ذَلِكَ الْحُكْمُ أَيْضًا [1]. نُقِلَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى يَوْمًا صَلَاةَ الصُّبْحِ بِجَمَاعَةٍ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْقَوْمِ وَتَفَقَّدَهُمْ فَلَمْ يَرَ فِيهِمْ شَخْصًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَمْ يَحْضُرِ الْفُلَانُ الْجَمَاعَةَ ؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَسْهَرُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَلَبَهُ النَّوْمُ فِي هَذَا الْوَقْتِ. فَقَالَ:"لَوْ نَامَ تَمَامَ اللَّيْلِ وَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ الْجَمَاعَةِ لَكَانَ أَوْلَى وَأَفْضَلَ"[2]. فَرِعَايَةُ الْأَوْلَى وَالْإِجْتِنَابُ عَنِ الْمَكْرُوهِ وَإِنْ كَانَ تَنْزِيهِيًّا أَوْلَى مِنَ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالتَّوَجُّهِ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَكْرُوهُ تَحْرِيمِيًّا نَعَمْ إِنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأُمُورَ مَعَ هَذِهِ الرِّعَايَةِ وَالْإِجْتِنَابِ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَبِدُونِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ. فَكَمَا أَنَّ تَصَدُّقَ دَانِقٍ مَثَلًا فِي حِسَابِ الزَّكَاةِ أَفْضَلُ مِنْ تَصَدُّقِ مِقْدَارِ جِبَالٍ عِظَامٍ مِنْ ذَهَبٍ بِطَرِيقِ النَّفْلِ بِمَرَاتِبَ، كَذَلِكَ رِعَايَةُ أَدَبٍ فِي

---

(١) يعني رعاية سنة أو أدب وقت أداء الفرائض تزيد وتفضل على أداء النفل بكذا مرة. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(٢) المسئول عنه سليمان ابن أبي حثمة والحديث رواه مالك في الموطأ. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

تَصَدُّق ذَلِكَ الدَّانِقِ كَانَ يُعْطِيهِ إِلَى فَقِيرٍ مُسْتَحِقٍّ أَفْضَلُ مِنْهُ أَيْضًا بِمَرَاتِبَ، فَتَأْخِيرُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ وَجَعْلُ ذَلِكَ التَّأْخِيرِ وَسِيلَةً إِلَى قِيَامِ اللَّيْلِ مُسْتَنْكَرٌ جِدًّا ؛ فَإِنَّ أَدَاءَ الْعِشَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَكْرُوهٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْكَرَاهَةَ التَّحْرِيمِيَّةَ فَإِنَّهُمْ أَبَاحُوا أَدَاءَ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ وَبَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ قَالُوا بِكَرَاهَتِهِ وَالْمَكْرُوهُ الْمُقَابِلُ لِلْمُبَاحِ مَكْرُوهٌ تَحْرِيمِيٌّ. وَعِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ لَا يَجُوزُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَدَاءُ الْعِشَاءِ رَأْسًا. فَارْتِكَابُ هَذَا الْأَمْرِ بِوَاسِطَةِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَحُصُولِ الْأَذْوَاقِ وَالْجَمْعِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُسْتَنْكَرَةٌ جِدًّا، وَيَكْفِي لِهَذَا الْغَرَضِ تَأْخِيرُ الْوِتْرِ أَيْضًا وَذَلِكَ التَّأْخِيرُ مُسْتَحَبٌّ فَيُؤَدِّي الْوِتْرَ فِي وَقْتٍ مُسْتَحَبٍّ وَيَتَيَسَّرُ الْغَرَضُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَالسَّهَرِ، فَيَنْبَغِي تَرْكُ هَذَا الْعَمَلِ وَقَضَاءُ الصَّلَوَاتِ الْفَائِتَةِ فَإِنَّ الْإِمَامَ الْأَعْظَمَ أَبَا حَنِيفَةَ[1] الْكُوفِيَّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَضَى صَلَاةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِوَاسِطَةِ تَرْكِ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ الْوُضُوءِ. (وَأَيْضًا) لَا يَجُوزُ شُرْبُ الْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ لِإِزَالَةِ الْحَدَثِ أَوْ بِنِيَّةِ الْقُرْبَةِ. فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ نَجِسٌ مُغَلَّظٌ عِنْدَ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ وَمَنَعَ الْفُقَهَاءُ مِنْ شُرْبِ ذَلِكَ الْمَاءِ وَكَرِهُوهُ. نَعَمْ قَالُوا: "إِنَّ شُرْبَ بَقِيَّةِ الْوُضُوءِ شِفَاءٌ" فَإِنْ طَلَبَ شَخْصٌ ذَلِكَ بِالْاِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ فَأَعْطِ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ وَقَعَ لِلْفَقِيرِ مِثْلُ هَذَا الْاِبْتِلَاءِ فِي دَهْلِي فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ بِسَبَبِ أَنَّ بَعْضَ الْأَصْحَابِ قَدْ رَأَى فِي الْوَاقِعَةِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ الْمُسْتَعْمَلَ فِي وُضُوءِ هَذَا الْفَقِيرِ وَإِلَّا يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ عَظِيمٌ، وَكُلَّمَا دَفَعْتُهُ لَمْ يَنْدَفِعْ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، فَرَاجَعْتُ الْكُتُبَ الْفِقْهِيَّةَ فَوَجَدْتُ مَخْلَصًا مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ قَالُوا: "إِنَّ الْمُتَوَضِّئَ لَوْ لَمْ يَنْوِ الْقُرْبَةَ بَعْدَ تَثْلِيثِ الْغُسْلِ لَا يَكُونُ الْمَاءُ مُسْتَعْمَلًا فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ" فَكُنْتُ أُعْطِيهِ مَا أَغْسِلُ بِهِ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ بِلَا نِيَّةِ الْقُرْبَةِ لِيَشْرَبَهُ تَجْوِيزًا لَهُ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ. (وَأَيْضًا) قَدْ نَقَلَ رَجُلٌ مُعْتَمَدٌ أَنَّ مُرِيدِي بَعْضِ خُلَفَائِكُمْ يَسْجُدُونَ لَهُ وَلَا يَكْتَفُونَ بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ. وَشَنَاعَةُ هَذَا الْفِعْلِ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ فَامْنَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ بِالتَّأْكِيدِ، فَإِنَّ الْاِجْتِنَابَ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْفِعْلِ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ خُصُوصًا مِمَّنْ تَصَدَّى لِاقْتِدَاءِ الْخَلْقِ بِهِ فَإِنَّ الْاِجْتِنَابَ لَهُ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْفِعْلِ مِنْ أَشَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ لِأَنَّ الْمُقَلِّدِينَ يَقْتَدُونَ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ فَيَقَعُونَ فِي بَلَاءٍ وَابْتِلَاءٍ وَأَيْضًا إِنَّ عُلُومَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عُلُومُ الْأَحْوَالِ وَالْأَحْوَالُ مَوَارِيثُ الْأَعْمَالِ فَيَكُونُ الْمِيرَاثُ مِنْ عُلُومِ الْأَحْوَالِ لِشَخْصٍ قَدْ صَحَّحَ الْأَعْمَالَ وَقَامَ بِحَقِّهَا فِي كُلِّ حَالٍ. وَتَصْحِيحُ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ إِذَا عُرِفَ الْأَعْمَالُ وَعُلِمَ كَيْفِيَّةُ كُلٍّ مِنْهَا بِلَا إِهْمَالٍ، وَذَلِكَ عِلْمُ أَحْكَامِ الشَّرْعِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَسَائِرِ الْفَرَائِضِ، وَعِلْمُ الْمُعَامَلَاتِ كَالنِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ وَالْمُبَايَعَاتِ، وَعِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ أَوْجَبَهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُكَلَّفِ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ. وَهَذِهِ الْعُلُومُ اكْتِسَابِيَّةٌ لَا بُدَّ مِنْ تَعَلُّمِهَا لِكُلِّ أَحَدٍ وَالْعِلْمُ بَيْنَ الْمُجَاهَدَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا فِي طَلَبِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَثَانِيَتُهُمَا الْمُجَاهَدَةُ فِي

---

(١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي، إمام المذهب الحنفي، ولد سنة ٨٠ ﻫ وتوفي سنة ١٥٠ ﻫ، أراده الخليفة المنصور على القضاء فامتنع ورعا فحبسه الخليفة إلى أن مات، له المسند في الحديث وغيره، وأفردت التصانيف في أخباره وفضائله منها: أخبار أبي حنيفة لابن عقدة، ولابن همام الشيباني، وكذلك للمرزباني، انظر: النجوم الزاهرة (٢/١٢)، البداية والنهاية (١٠/١٠٧).

اسْتِعْمَالِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ فَكَمَا أَنَّهُ يُذْكَرُ فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ مِنْ كُتُبِ التَّصَوُّفِ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ فِيهِ مِنَ الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ. وَالْكُتُبُ الْفِقْهِيَّةُ بِالْعِبَارَةِ الْفَارِسِيَّةِ كَثِيرَةٌ مِثْلَ مَجْمُوعَةِ خَانِي وَعُمْدَةِ الْإِسْلَامِ وَالْكَنْزِ الْفَارِسِيِّ، بَلْ لَا ضَرَرَ أَصْلًا إِنْ لَمْ يُذْكَرْ مِنْ كُتُبِ التَّصَوُّفِ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْوَالِ لَا دَخْلَ لَهُ فِي الْقَالِ. وَعَدَمُ مُذَاكَرَةِ الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ مُحْتَمِلٌ لِلضَّرَرِ، وَزِيَادَةُ الْإِطْنَابِ مُوجِبَةٌ لِلْمَلَالِ. الْقَلِيلُ يَدُلُّ عَلَى الْكَثِيرِ.

وَبَثَثْتُ عِنْدَكَ مِنْ خَفِيِّ ضَمَائِرِ *** نُبَذًا وَخِفْتُ سَآمَةً مِنْ كَثْرَةِ

رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَالَ مُتَابَعَةِ حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٣٠) الْمَكْتُوبُ الثَّلَاثُونَ فِي بَيَانِ الشُّهُودِ الْآفَاقِيِّ وَالْأَنْفُسِيِّ وَفَرْقِ مَا بَيْنَ الشُّهُودِ الْأَنْفُسِيِّ وَالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَبَيَانِ عُلُوِّ شَأْنِ مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ وَمُطَابَقَةِ عُلُومِ ذَلِكَ الْمَقَامِ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ قَالَ الْمُلَّا مُحَمَّدٌ صِدِّيقٌ [1] مِنْ جُمْلَةِ خَدَمَتِهِ الْمُتَقَدِّمِينَ: إِنَّ هَذَا الْمَكْتُوبَ أَيْضًا أُرْسِلَ إِلَى الشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ التَّانِيسَرِيِّ.

شَرَّفَكُمُ اللَّهُ بِكَمَالِ الْإِتِّبَاعِ الْمُحَمَّدِيِّ وَزَيَّنَكُمْ بِزِيِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَوِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا. مَا أَدْرِي مَاذَا أَكْتُبُ فَإِنْ تَكَلَّمْتُ مِنْ جَنَابِ قُدْسِ مَوْلَايَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَكُونُ كَذِبًا صَرِيحًا وَافْتِرَاءً مَحْضًا فَإِنَّ جَنَابَ كِبْرِيَائِهِ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهِ مِثْلِي فَإِنَّ الْمُكْتَنِفَ بِالْكَيْفِ كَيْفَ يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ مِمَّنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْكَيْفِ وَمَاذَا يُرِيدُ وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِكُ الْمُحْدَثُ مِنَ الْقَدِيمِ، وَإِلَى مَتَى يَجْرِي الْمَكَانِيُّ وَيَعْدُو فِي لَا مَكَانٍ مِسْكِينٌ، لَا خَبَرَ لَهُ عَمَّا فِي خَارِجِ نَفْسِهِ وَلَا مَمَرَّ لَهُ فِيمَا وَرَاءَهُ،

(شِعْرٌ):

ذره كربس نيك وربس بديود *** كر چه عمرى تك زند درخو دبود

(يَعْنِي) وَلَوْ سَعَتْ ذَرَّةٌ فِي عُمْرِهَا طَلَبًا *** خَيْرًا وَشَرًّا تَنَلْ فِي نَفْسِهَا اكْتِمَانَا

وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا يَتَيَسَّرُ فِي السَّيْرِ الْأَنْفُسِيِّ الَّذِي يَتَيَسَّرُ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ.

قَالَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: إِنَّ أَهْلَ اللَّهِ كُلَّمَا يَرَوْنَ بَعْدَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ يَرَوْنَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَكُلَّمَا يَعْرِفُونَهُ يَعْرِفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَحَيْرَتُهُمْ إِنَّمَا تَكُونُ فِي وُجُودِهِمْ: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا

---

(١) الشيخ محمد صديق: ولد سنة ١٠٥٧ ﻫ، وبرع في تحصيل العلوم على يد ووالده، وخصه الله بالترقي في جميع المقامات العالية، وحج البيت الحرام وحصل له بفضل الله تعالى قبول عظيم في هذه الأماكن المطهرة، فأقام هناك، ثم انقلب إلى أهله مسرورا، وبنى رباطا بمدينة دهلي، وتصدى لهداية العالمين ؛ فقصده الفقراء والأمراء وازدحم على بابه العلماء والشرفاء، وكان ذا علم وحلم وتواضع وأخلاق حسنة، توفي -- رضي الله عنه -- سنة ١١٣٠ ﻫ في دهلي، ونقل إلى سرهند.انظر: السنهوري: الأنوار القدسية: ٢٠٠.

تُبصِرُونَ﴾ [١] وَكُلُّ سَيْرٍ قَبْلَ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي السَّيْرِ الْآفَاقِيِّ الَّذِي حَاصِلُهُ مِمَّا لَا حَاصِلَ فِيهِ وَإِطْلَاقُ لَفْظِ لَا حَاصِلَ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَصْلِ الْمَطْلَبِ وَإِلَّا فَهُوَ أَيْضًا مِنْ جُمْلَةِ الشَّرَائِطِ وَالْمُعِدَّاتِ. **(وَلَا يَتَوَهَّمَنَّ)** أَحَدٌ مِنَ الشُّهُودِ الْأَنْفُسِيِّ أَنَّهُ مِثْلُ التَّجَلِّي الصُّورِيِّ الَّذِي فِي نَفْسِ الْمُتَجَلَّى لَهُ وَلَا يَتَخَيَّلْ ذَلِكَ حَاشَا وَكَلَّا فَإِنَّ التَّجَلِّيَ الصُّورِيَّ دَاخِلٌ فِي السَّيْرِ الْآفَاقِيِّ بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ وَحَاصِلٌ فِي مَرْتَبَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ، وَالشُّهُودُ الْأَنْفُسِيُّ كَائِنٌ فِي مَرْتَبَةِ حَقِّ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ نِهَايَةُ مَرَاتِبِ الْكَمَالِ. وَإِطْلَاقُ لَفْظِ الشُّهُودِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ ضِيقِ مَيْدَانِ الْعِبَارَةِ، وَإِلَّا فَكَمَا أَنَّ مَطْلَبَهُمْ مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَيْفِيَّةِ، كَذَلِكَ نِسْبَتُهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَطْلَبِ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَيْفِيَّةِ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْمُتَكَيِّفِ إِلَى الْمُنَزَّهِ عَنِ الْكَيْفِ. قَالَ فِي الْمَثْنَوِيِّ، (شِعْرٌ):

هست رب الناس رابا جان ناس *** اتصالى بى تكيف بى قياس

ليك كفتم ناس رانسناس نه *** ناس غير ازجان جان اسناس نه

يَعْنِي:

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ *** اتِّصَالًا دُونَ كَيْفٍ وَقِيَاسٍ

قُلْتُ نَاسًا دُونَ نَسْنَاسِ الْفَلَا *** لَيْسَ نَاسٌ غَيْرَ رُوحٍ فِي الْمَلَا

وَمَنْشَأُ تَوَهُّمِ اتِّحَادِ الشُّهُودِ الْأَنْفُسِيِّ بِالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ الْمَذْكُورِ، هُوَ حُصُولُ بَقَاءِ شَخْصٍ فِي كِلَا الْمَقَامَيْنِ. فَإِنَّ التَّجَلِّيَ الصُّورِيَّ لَيْسَ بِمُغْنٍ يَعْنِي لِلْمُتَجَلَّى لَهُ وَهُوَ وَإِنْ رَفَعَ قَيْدًا مِنَ الْقُيُودِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُوصِلُ إِلَى حَدِّ الْفَنَاءِ فَفِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ وُجُودِ السَّالِكِ.

وَالسَّيْرُ الْأَنْفُسِيُّ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْفَنَاءِ الْأَتَمِّ وَالْبَقَاءِ الْأَكْمَلِ، فَلَا جَرَمَ يَصْعُبُ تَفْرِقَةُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْبَقَاءَيْنِ لِقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ. فَيَحْكُمُونَ بِالْاتِّحَادِ بِالضَّرُورَةِ، فَإِنْ عَلِمُوا أَنَّ الْبَقَاءَ الثَّانِيَ مُعَبَّرٌ عِنْدَهُمْ بِالْبَقَاءِ بِاللهِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْوُجُودَ يُقَالُ لَهُ الْوُجُودُ الْمَوْهُوبُ الْحَقَّانِيُّ فَعَسَى أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ ذَلِكَ التَّوَهُّمِ.

(وَلَا يُقَالُ) هُنَا إِنَّ الْبَقَاءَ بِاللهِ عِبَارَةٌ عَنْ وِجْدَانِ السَّالِكِ نَفْسَهُ عَيْنَ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فَإِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ. فَإِنِ اسْتُفِيدَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ بَعْضِ عِبَارَاتِ الْقَوْمِ. أُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ: أَنَّ هَذَا الْبَقَاءَ يَتَيَسَّرُ لِلْبَعْضِ فِي مَقَامِ الْجَذْبَةِ بَعْدَ الْإِسْتِهْلَاكِ وَالْإِضْمِحْلَالِ الْمُتَشَابِهِ بِالْفَنَاءِ.

وَأَكَابِرُ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ يُعَبِّرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِوُجُودِ الْعَدَمِ، وَهَذَا قَبْلَ حُصُولِ الْفَنَاءِ وَيُتَصَوَّرُ لَهُ الزَّوَالُ، بَلْ هُوَ وَاقِعٌ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا يُؤْخَذُ السَّالِكُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَغِيبُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ أَحْيَانًا يَعْنِي تَرْتَفِعُ عَنْهُ الصِّفَاتُ الْبَشَرِيَّةُ ثُمَّ يُعْطَاهَا ثَانِيًا وَالْبَقَاءُ الَّذِي بَعْدَ الْفَنَاءِ الْأَتَمِّ مَصُونٌ عَنِ الزَّوَالِ وَمَحْفُوظٌ مِنَ الْخَلَلِ. وَفَنَاءُ أَرْبَابِ هَذَا الْبَقَاءِ فَنَاءٌ دَائِمِيٌّ فَهُمْ فَانُونَ فِي عَيْنِ الْبَقَاءِ وَبَاقُونَ فِي عَيْنِ الْفَنَاءِ. فَإِنَّ الْفَنَاءَ وَالْبَقَاءَ اللَّذَيْنِ يَتَطَرَّقُ

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الذاريات.

إليهما الزوال من جملة تلوينات الأوقات والأحوال، ولا كذلك فيما نحن بصدد بيانه. قال الخواجة بهاء الدين النقشبند قدس سره "إن وجود العدم يعود إلى وجود البشرية وأما وجود الفناء فلا يعود إلى وجود البشرية".

فلا جرم يكون وقتهم دائمًا وحالهم سرمديًا البتة بل لا وقت لهم ولا حال ، شغلهم مع موقت الأوقات ومعاملتهم مع محول الأحوال، فصار قبول الزوال مخصوصًا بالوقت والحال ومن تخلص عن الوقت والحال فقد صار ما يعرض له محفوظًا من الزوال ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[1].

(ولا يزعم) الزاعم: أن إطلاقهم دوام الوقت، وقولهم به إنما هو باعتبار بقاء أثر ذلك الوقت ودوامه من التعين وغيره. فإن الأمر ليس كذلك، بل الدوام لنفس الوقت والاستمرار لعين الحال

﴿ إن الظن لا يغني من الحق شيئًا ﴾[2]

بل نقول: ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾[3].

(قد طال) الكلام، فلنرجع إلى أصل المرام ونقول: إذا لم يكن في فضاء قدسه تعالى مجال للكلام فلنتكلم في مقام عبوديتنا وذلنا وانكسارنا. إن المقصود من الخلقة الإنسانية إنما هو أداء وظائف العبودية. ومن أعطي العشق والمحبة في الوسط والابتداء فالمقصود منه قطع التعلق من غير جناب قدسه جل شأنه . وليس العشق والمحبة من المقاصد بل هو لحصول مقام العبودية فإن السالك إنما يكون عبد الله تعالى إذا تخلص عن أسر غيره تعالى وعبوديته بالتمام، وليس فائدة العشق سوى أن يكون وسيلة الانقطاع عن غيره سبحانه ; ولهذا كانت نهاية مراتب الولاية مقام العبدية، وليس في درجات الولاية مقام فوق مقام العبدية ولا يجد السالك في هذا المقام مناسبة بينه وبين مولاه تعالى إلا الاحتياج من جانبه والاستغناء الأتم ذاتًا وصفة من جانب المولى تعالى وتقدس لا أنه يجد ذاته مناسبًا لذاته وصفاته لصفاته وأفعاله لأفعاله عز سلطانه ولو بوجه من الوجوه حتى أنه يتنزه ويتبرأ عن إطلاق الظلية لكونها من جملة المناسبات، بل يعتقد أنه سبحانه خالقه وهو مخلوق له تعالى ولا يجترئ بغير ذلك بشيء. والتوحيد الفعلي الذي يظهر لجمع في أثناء الطريق بأن لا يجدوا فاعلاً غير الحق سبحانه يقول هؤلاء الأكابر ويعتقدون أن خالق هذه الأفعال واحد لا أن مباشرها واحد، فإن هذا الكلام يكاد يوصل قائله إلى الزندقة.

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) الآية: ٣٦ من سورة يونس.

(٣) الآية: ١٢ من سورة الحجرات.

وَلْتُوضَحْ ذَلِكَ بِمِثَالٍ وَهُوَ أَنَّ الْعَارِفَ بِالشَّعْبَذَةِ إِذَا قَعَدَ وَرَاءَ الْحِجَابِ وَحَرَّكَ بِشَعْبَذَتِهِ صُوَرَ جَمَادَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَظْهَرَ مِنْهَا أَفْعَالاً عَجِيبَةً غَرِيبَةً فَالَّذِينَ فِيهِمْ حِدَّةُ الْبَصَرِ يَعْرِفُونَ أَنَّ جَاعِلَ هَذِهِ الأَفْعَالِ فِي تِلْكَ الصُّوَرِ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الْقَاعِدُ وَرَاءَ الْحِجَابِ وَلَكِنْ مُبَاشِرُ هَذِهِ الأَفْعَالِ هُوَ هَذِهِ الصُّوَرُ. وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ الصُّورَةَ مُتَحَرِّكَةٌ دُونَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ صَاحِبَ الشَّعْبَذَةِ مُتَحَرِّكٌ. وَهُمْ مُحِقُّونَ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ. وَشَرَائِعُ الأَنْبِيَاءِ نَاطِقَةٌ بِذَلِكَ، وَالْحُكْمُ بِوَحْدَةِ الْفَاعِلِ مِنْ جُمْلَةِ السُّكْرِيَّاتِ، بَلِ الْحَقُّ الصَّرِيحُ أَنَّ الْفَاعِلَ مُتَعَدِّدٌ وَخَالِقَ الأَفْعَالِ وَاحِدٌ، وَهَكَذَا الْعُلُومُ الَّتِي بَيَّنُوهَا فِي تَوْحِيدِ الْوُجُودِ مَبْنَاهَا عَلَى السُّكْرِ وَغَلَبَةِ الْحَالِ وَعَلامَةُ صِحَّةِ الْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ مُطَابَقَتُهَا لِصَرِيحِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنْ جَاوَزَهَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَخَالَفَهَا فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فَهُوَ مِنَ السُّكْرِ وَالْحَقُّ مَا حَقَّقَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ يَعْنِي مِمَّا يُخَالِفُهُ إِمَّا زَنْدَقَةٌ وَإِلْحَادٌ، أَوْ سُكْرُ وَقْتٍ وَغَلَبَةُ حَالٍ مُفْضِيَةٍ إِلَى الْقَوْلِ بِالاتِّحَادِ. وَهَذِهِ الْمُطَابَقَةُ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ فِي مَقَامِ الْعَبْدِيَّةِ، وَفِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ يَتَحَقَّقُ فِيهِ نَحْوٌ مِنَ السُّكْرِ.

(ع) فيا لَهَا قِصَّةً فِي شَرْحِهَا طُولٌ.*

سُئِلَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينِ قُدِّسَ سِرُّهُ أَنَّهُ مَا الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلُوكِ ؟ فَقَالَ لِتَصِيرَ الْمَعْرِفَةُ الإِجْمَالِيَّةُ تَفْصِيلِيَّةً وَالِاسْتِدْلَالِيَّةُ كَشْفِيَّةً ضَرُورِيَّةً وَلَمْ يَقُلْ لِيَحْصُلَ مَعْرِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَعَارِفَ شَرْعِيَّةٍ وَإِنْ حَصَلَ فِي الطَّرِيقِ أُمُورٌ زَائِدَةٌ. لَكِنْ إِذَا بَلَغَ الأَمْرُ نِهَايَتَهُ تَكُونُ تِلْكَ الأُمُورُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَتَصِيرُ الْمَعَارِفُ الشَّرْعِيَّةُ مَعْلُومَةً عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَتَخْرُجُ مِنْ مَضِيقِ الِاسْتِدْلَالِ إِلَى فَضَاءِ إِطْلَاقِ الْكَشْفِ. يَعْنِي كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْخُذُ هَذِهِ الْعُلُومَ مِنَ الْوَحْيِ كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرُ يَأْخُذُونَهَا بِطَرِيقِ الإِلْهَامِ مِنَ الأَصْلِ. وَالْعُلَمَاءُ بَيَّنُوا هَذِهِ الْعُلُومَ أَخْذًا لَهَا مِنَ الدَّلَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ بِطَرِيقِ الإِجْمَالِ. فَكَمَا أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ كَانَتْ حَاصِلَةً لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَفْصِيلًا، كَذَلِكَ تَكُونُ تِلْكَ الْعُلُومُ حَاصِلَةً لَهُمْ كَشْفًا عَلَى هَذَا النَّهْجِ. وَالأَصَالَةُ وَالتَّبَعِيَّةُ قَائِمَتَانِ فِي الْبَيْنِ، وَإِنَّمَا يُنْتَخَبُ لِمِثْلِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْكَمَالِ بَعْضٌ مِنْ كُمَّلِ الأَوْلِيَاءِ بَعْدَ قُرُونٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَأَزْمِنَةٍ مُتَبَاعِدَةٍ. وَقَدْ كَانَ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أَكْتُبَ مَسْأَلَةً إِجْمَالِيَّةً وَاسْتِدْلَالِيَّةً عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ لَكِنْ تَمَّتِ الصَّحِيفَةُ وَلَمْ يَبْقَ مَحَلٌّ لِكِتَابَتِهَا وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ حِكْمَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالسَّلَامُ.

(٣١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ فِي بَيَانِ ظُهُورِ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَقُرْبِهِ تَعَالَى وَمَعِيَّتِهِ الذَّاتِيَّيْنِ وَمُجَاوَزَةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ مَعَ بَعْضِ الأَسْئِلَةِ وَالأَجْوِبَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا الْمَقَامِ أَرْسَلَهُ إِلَى الشَّيْخِ صُوفِيٍّ

ثَبَّتَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا: قَدْ نَقَلَ مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِكُمُ الشَّرِيفِ أَنَّ شَخْصًا مِنْ مُرِيدِي الشَّيْخِ مِيَانْ نِظَامِ الدِّينِ التَّانِيسَرِيِّ ذَكَرَ هَذَا الْفَقِيرَ وَقَالَ إِنَّهُ يُنْكِرُ وَحْدَةَ الْوُجُودِ، وَالْتَمَسَ نَاقِلُ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ هَذَا الْفَقِيرِ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى خُدَّامِكُمْ مَا هُوَ الْحَقِيقَةُ فِي هَذَا الْبَابِ لِئَلَّا يَقَعَ النَّاسُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فِي سُوءِ الظَّنِّ فَإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ. فَتَجَرَّأْتُ عَلَى تَصْدِيعِكُمْ بِكَلِمَاتٍ إِجَابَةً لِمَسْئُولِهِ

(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ الْمُكَرَّمُ): إِنَّ مُعْتَقَدَ الْفَقِيرِ مِنَ الصِّغَرِ كَانَ مَشْرَبَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَعْنِي تَوْحِيدَ الْوُجُودِ وَكَانَ وَالِدُ الْفَقِيرِ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي ذَلِكَ الْمَشْرَبِ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ وَكَانَ مَشْغُولاً بِهَذَا الطَّرِيقِ عَلَى سَبِيلِ الدَّوَامِ مَعَ وُجُودِ حُصُولِ التَّوَجُّهِ التَّامِّ بِحَسَبِ الْبَاطِنِ إِلَى جَانِبِ الْمَرْتَبَةِ اللاَّكَيْفِيَّةِ. وَبِحُكْمِ " ابْنُ الْفَقِيهِ نِصْفُ الْفَقِيهِ " كَانَ لِلْفَقِيرِ أَيْضًا حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا الْمَشْرَبِ بِحَسَبِ الْعِلْمِ وَحَصَلَتْ لِي مِنْهُ لَذَّةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى أَنْ أَوْصَلَنِي اللّٰهُ بِمَحْضِ كَرَمِهِ إِلَى جَنَابِ حَضْرَةِ مَعْدِنِ الْإِرْشَادِ مَظْهَرِ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ شَيْخِنَا وَمَوْلَانَا وَقِبْلَتِنَا مُحَمَّدٍ الْبَاقِي قَدَّسَنَا اللّٰهُ تَعَالَى بِسِرِّهِ. فَعَلَّمَ الْفَقِيرَ الطَّرِيقَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةَ وَبَذَلَ التَّوَجُّهَ الْبَلِيغَ فِي حَقِّ هَذَا الْمِسْكِينِ، فَانْكَشَفَ التَّوْحِيدُ الْوُجُودِيُّ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ بَعْدَ مُمَارَسَةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ، وَعُرِضَ لِي غُلُوٌّ فِي هَذَا الْكَشْفِ، وَظَهَرَ شَيْءٌ وَافِرٌ مِنْ عُلُومِ هَذَا الْمَقَامِ وَمَعَارِفِهِ وَلَمْ تَبْقَ دَقِيقَةٌ مِنْ دَقَائِقِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ غَيْرَ مُنْكَشِفَةٍ، وَلَاحَتْ دَقَائِقُ عُلُومِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ وَمَعَارِفِهِ، وَشُرِّفْتُ بِالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ الَّذِي بَيَّنَهُ صَاحِبُ الْفُصُوصِ (١) وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ نِهَايَةُ الْعُرُوجِ، وَقَالَ فِي حَقِّهِ: "وَمَا بَعْدَ هَذَا إِلاَّ الْعَدَمُ الْمَحْضُ" وَحَصَلَ لِي عُلُومُ ذَلِكَ التَّجَلِّي وَمَعَارِفُهُ الَّتِي قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ إِنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِخَاتَمِ الْوِلَايَةِ بِالتَّفْصِيلِ، وَبَلَغَ سُكْرُ الْوَقْتِ وَغَلَبَةُ الْحَالِ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ حَدًّا كَتَبْتُ إِلَى حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ يَعْنِي شَيْخَهُ فِي بَعْضِ الْعَرَائِضِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْمَمْلُوَّيْنِ بِأَلْفَاظِ السُّكْرِ، (شِعْرٌ):

أى دريغا كاين شريعت ملت أعماء يست *** ملت ما كافرى ، لة ترساء يست

---

(١) فصوص الحكم: للشيخ محي الدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة، وله كتاب النقوش وهو نقوش الفصوص على منواله لكنه مختصر، أوله الحمد لله منزل الحكم على قلوب الكلم الخ وهو على سبعة وعشرين فصا ترتيبها هكذا: ١ فص حكمة الهية في الكلمة آدمية. ٢ نفثية في شيثية. ٣ سبوحية في نوحية. ٤ قدوسية في ادريسية. ٥ مهيمية في ابراهيمية. ٦ حقية في اسحاقية. ٧ علية في اسماعيلية. ٨ روحية في يعقوبية. ٩ نورية في يوسفية. ١٠ احادية في هودية. ١١ فاتحية في صالحية. ١٢ قلبية في شعيبية. ١٣ ملكية في لوطية. ١٤ قدرية في عزيرية. ١٥ نبوية في عيسوية. ١٦ رحمانية في سليمانية. ١٧ وجودية في داودية. ١٨ نفسية في يونسية. ١٩ غيبية في ايوبية. ٢ جلالية في يحياوية. ٢١ مالكية في زكرياوية. ٢٢ ايناسية في الياسية. ٢٣ احسانية في لقمانية. ٢٤ امامية في هارونية. ٢٥ علوية في موسوية. ٢٦ صمدية في خالدية. ٢٧ فردية في محمدية. قال في خطبته اما بعد فاني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم لسنة ٦٢٧ سبع وعشرين وستمائة بدمشق وبيده كتاب فقال لي: " هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به الى الناس ينتفعون به فقلت السمع والطاعة " انتهى. انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢/١٢٦١.

كفر إيمان زلف وروى آن پرى زيبا يست *** كفر وإيمان هردواندر راه مايكتأيست

(يعني) الا انّ هٰذَا الشَّرْعَ مِلَّةُ مَنْ عَمِيَ *** وَمِلَّتُنَا كُفْرٌ وَمِلَّةُ جَاحِدِ

ذَوَائِبُ مَنْ أَهْوَاهُ كُفْرٌ وَوَجْهُهُ *** انْقِيَادُهُمَا عِنْدِي عَلَى حَدٍّ وَاحِدِ

وَامْتَدَّ هٰذَا الْحَالُ إِلَى مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ وَانْجَرَّ الْأَمْرُ مِنَ الشُّهُورِ إِلَى سِنِينَ عَدِيدَةٍ ثُمَّ بَرَزَتْ عِنَايَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ الَّتِي لَا غَايَةَ لَهَا مِنْ كُوَّةِ الْغَيْبِ وَجَاءَتْ إِلَى عَرْصَةِ الظُّهُورِ وَانْسَدَلَ نِقَابُ اللَّاكَيْفِيِّ وَاللَّاكَيْفِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْمَطْلُوبِ الْمَذْكُورِ وَتَوَجَّهَتِ الْعُلُومُ السَّابِقَةُ الَّتِي كَانَتْ مُنْبِئَةً عَنِ الْإِتِّحَادِ وَوَحْدَةِ الْوُجُودِ نَحْوَ الزَّوَالِ وَالْفُتُورِ وَاسْتَتَرَتِ الْإِحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالْقُرْبُ وَالْمَعِيَّةُ الذَّاتِيَّاتُ الَّتِي كَانَتْ مُنْكَشِفَةً فِي ذٰلِكَ الْمَقَامِ الْمَسْطُورِ وَصَارَ مَعْلُومًا بِيَقِينٍ يَقِينٍ أَنَّ هٰذِهِ النِّسَبَ الْمَذْكُورَةَ لَيْسَتْ بِثَابِتَةٍ لِلصَّانِعِ جَلَّ شَأْنُهُ مَعَ الْعَالَمِ بَلْ إِحَاطَتُهُ وَقُرْبُهُ تَعَالَى بِحَسَبِ الْعِلْمِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ شَكَرَ اللّٰهُ سَعْيَهُمْ وَهُوَ تَعَالَى لَيْسَ بِمُتَّحِدٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ. هُوَ هُوَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَالْعَالَمُ عَالَمٌ، وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَيْفِيَّاتِ وَالْعَالَمُ مُتَّسِمٌ بِمِيسَمِ الْكَيْفِ مِنَ الْفَرْقِ إِلَى الْقَدَمِ. وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْمُنَزَّهَ عَنِ الْكَيْفِ عَيْنُ الْمُكَيَّفِ بِالْكَيْفِ وَانَّ الْوَاجِبَ عَيْنُ الْمُمْكِنِ وَلَا يَكُونُ الْقَدِيمُ عَيْنَ الْحَادِثِ وَمُمْتَنِعُ الْعَدَمِ عَيْنَ جَائِزِ الْعَدَمِ أَصْلًا. فَإِنَّ انْقِلَابَ الْحَقَائِقِ مُحَالٌ عَقْلًا وَشَرْعًا وَصِحَّةُ حَمْلِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ مَفْقُودَةٌ لِكَوْنِهِ مُمْتَنِعًا أَصْلًا وَرَأْسًا. وَالْعَجَبُ مِنَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ وَتَابِعِيهِ حَيْثُ يَقُولُونَ لِذَاتِ الْوَاجِبِ مَجْهُولَةٌ مُطْلَقَةٌ، وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِمَحْكُومَةٍ بِحُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ قَطْعًا. وَمَعَ ذٰلِكَ يُثْبِتُونَ الْإِحَاطَةَ وَالْقُرْبَ وَالْمَعِيَّةَ الذَّاتِيَّاتِ وَمَا هٰذَا إِلَّا حُكْمٌ عَلَى الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَالصَّوَابُ مَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْقُرْبِ وَالْإِحَاطَةِ الْعِلْمِيَّيْنِ.

وَكَانَ لِلْفَقِيرِ اضْطِرَابٌ تَامٌّ وَقْتَ حُصُولِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْمُنَافِيَةِ لِمَشْرَبِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ لِظَنِّي بِأَنْ لَيْسَ وَرَاءَ هٰذَا التَّوْحِيدِ أَمْرٌ آخَرُ عَالٍ وَكُنْتُ أَدْعُو اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّضَرُّعِ وَالْإِنْكِسَارِ أَنْ لَا يُزِيلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَنِّي هٰذِهِ الْمَعْرِفَةَ يَعْنِي مَعْرِفَةَ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ إِلَى أَنِ ارْتَفَعَتِ الْحُجُبُ عَنْ وَجْهِ الْأَمْرِ بِالتَّمَامِ وَانْكَشَفَ حَقِيقَةُ الْحَالِ وَجَلِيَّةُ الْمَرَامِ كَمَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ، وَصَارَ مَعْلُومًا أَنَّ الْعَالَمَ وَإِنْ كَانَ مَرَايَا لِلْكَمَالَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَمَجَالِيَ لِلظُّهُورَاتِ الْأَسْمَائِيَّةِ، وَلٰكِنَّ الْمَظْهَرَ لَيْسَ عَيْنَ الظَّاهِرِ وَالظِّلُّ لَيْسَ نَفْسَ الْأَصْلِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ.

(وَلْنُوَضِّحْ) هٰذَا الْمَبْحَثَ بِمِثَالٍ: وَهُوَ أَنَّ عَالِمًا ذَا فُنُونٍ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ كَمَالَاتِهِ الْمُتَنَوِّعَةَ إِلَى عَرْصَةِ الظُّهُورِ وَأَنْ يُورِدَ خَفَايَاهَا الْمُسْتَحْسَنَةَ فِي مَعْرِضِ الْإِيضَاحِ لِأَمْثَلِ الشُّعُورِ فَأَوْجَدَ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ يَعْنِي بِالتَّكَلُّمِ وَأَظْهَرَ كَمَالَاتِهِ الْمَخْفِيَّةَ فِي مَرَايَا تِلْكَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ. فَفِي هٰذِهِ الصُّورَةِ لَا يُقَالُ: إِنَّ هٰذِهِ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ الَّتِي كَانَتْ مَجَالِيَ وَمَرَايَا لِتِلْكَ الْكَمَالَاتِ أَنَّهَا عَيْنُ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ أَوْ مُحِيطَةٌ بِتِلْكَ الْكَمَالَاتِ بِالذَّاتِ أَوْ قَرِيبَةٌ مِنْهَا كَذٰلِكَ بِالذَّاتِ أَوْ لَهَا مَعِيَّةٌ بِهَا كَذٰلِكَ بَلْ بَيْنَهُمَا نِسْبَةُ الدَّالِّيَّةِ وَالْمَدْلُولِيَّةِ

فَقَطْ، وَلَيْسَ لِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ نَصِيبٌ وَوَظِيفَةٌ سِوَى الدَّلَالَةِ عَلَى تِلْكَ الْكَمَالَاتِ، وَأَمَّا تِلْكَ الْكَمَالَاتُ فَعَلَى صَرَافَةِ إِطْلَاقِهَا. وَتِلْكَ النِّسْبَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ وَإِلَّا فَلَا شَيْءَ مِنْهَا ثَابِتٌ فِي الْحَقِيقَةِ.

وَلَكِنْ لَمَّا تَحَقَّقَتْ بَيْنَ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ وَالْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ مُنَاسَبَةُ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْمَظْهَرِيَّةِ وَالدَّالِّيَّةِ وَالْمَدْلُولِيَّةِ صَارَتْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ بَاعِثَةً عَلَى تَوَهُّمِ حُصُولِ تِلْكَ النِّسَبِ الْوَهْمِيَّةِ لِلْبَعْضِ بِوَاسِطَةِ بَعْضِ الْعَوَارِضِ، وَإِلَّا فَتِلْكَ الْكَمَالَاتُ مُعَرَّاةٌ وَمُبَرَّاةٌ عَنْ جَمِيعِ النِّسَبِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَفِيمَا نَحْنُ فِيهِ لَا شَيْءَ سِوَى عَلَاقَةِ الدَّالِّيَّةِ وَالْمَدْلُولِيَّةِ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَالْمَظْهَرِيَّةِ أَيْضًا فَإِنَّ الْعَالَمَ عَلَمٌ لِصَانِعِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَمَظْهَرٌ لِظُهُورِ كَمَالَاتِهِ الْأَسْمَائِيَّةِ وَالصِّفَاتِيَّةِ. وَهَذِهِ الْعَلَاقَةُ رُبَّمَا تَكُونُ بَاعِثَةً عَلَى إِثْبَاتِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ الْوَهْمِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَعْضِ بِوَاسِطَةِ بَعْضِ الْعَوَارِضِ.

(وَقَدْ يُورِدُ) الْبَعْضَ إِلَى هَذَا الْمَوْرِدِ يَعْنِي مَوْرِدَ إِثْبَاتِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ كَثْرَةُ مُرَاقَبَةِ التَّوْحِيدِ وَالْأَحَدِيَّةِ لِانْتِقَاشِ صُورَةِ تِلْكَ الْمُرَاقَبَاتِ فِي الْقُوَّةِ الْمُتَخَيِّلَةِ. وَيُورِثُ الْبَعْضَ نَحْوًا مِنْ ذَوْقِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ مُمَارَسَةُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَتَكْرَارُهُ وَهَذَانِ الْقِسْمَانِ مِنَ التَّوْحِيدِ يَعْنِي الْوُجُودِيَّ مَعْلُولَانِ وَدَاخِلَانِ فِي دَائِرَةِ الْعِلْمِ لَا مَسَاسَ لَهُمَا بِالْحَالِ.

وَيَكُونُ مَنْشَأُ تَوَهُّمِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ غَلَبَةَ الْمَحَبَّةِ ؛ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْتَتِرُ عَنْ نَظَرِ الْمُحِبِّ غَيْرُ مَحْبُوبِهِ بِوَاسِطَةِ اسْتِيلَاءِ حُبِّ مَحْبُوبِهِ عَلَيْهِ فَلَا يَرَى غَيْرَ مَحْبُوبِهِ لَا إِنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ غَيْرُ مَحْبُوبِهِ فَإِنَّهُ مُخَالِفٌ لِحُكْمِ الْحِسِّ وَالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، وَتَصِيرُ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ أَحْيَانًا بَاعِثَةً عَلَى الْحُكْمِ بِالْإِحَاطَةِ وَالْقُرْبِ الذَّاتِيَّيْنِ. (وَهَذَا الْقِسْمُ) مِنَ التَّوْحِيدِ أَعْلَى مِنَ الْقِسْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَدَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الْحَالِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِنَفْسِ الْأَمْرِ وَمُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ وَتَطْبِيقُهُ عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَنَفْسُ الْأَمْرِ تَكَلُّفٌ مَحْضٌ مِثْلُ التَّكَلُّفَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ الْبَارِدَةِ، حَيْثُ أَنَّ إِسْلَامِيَّهُمْ يُرِيدُونَ تَطْبِيقَ أُصُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ عَلَى قَوَانِينِ الشَّرِيعَةِ، وَكِتَابُ "إِخْوَانُ الصَّفَا" وَغَيْرِهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ لِلْخَطَأِ الْكَشْفِيِّ حُكْمَ الْخَطَأِ الْاجْتِهَادِيِّ فِي ارْتِفَاعِ الْمَلَامِ وَالْعِتَابِ عَنْ صَاحِبِهِ، بَلْ تَتَحَقَّقُ فِيهِ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ الصَّوَابِ وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ بَيْنَهُمَا أَنَّ لِمُقَلِّدِي الْمُجْتَهِدِ حُكْمَ الْمُجْتَهِدِ وَلَهُمْ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ الصَّوَابِ عَلَى تَقْدِيرِ الْخَطَأِ بِخِلَافِ مُقَلِّدِي أَهْلِ الْكَشْفِ **فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْذُورِينَ، بَلْ هُمْ مَحْرُومُونَ عَنْ نَيْلِ دَرَجَةِ الصَّوَابِ عَلَى تَقْدِيرِ الْخَطَأِ، فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْإِلْهَامِ وَالْكَشْفِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ لِلْغَيْرِ، وَقَوْلُ الْمُجْتَهِدِ حُجَّةٌ لِلْغَيْرِ، فَتَقْلِيدُ الْأَوَّلِ لَا يَجُوزُ عَلَى تَقْدِيرِ احْتِمَالِ الْخَطَأِ وَتَقْلِيدُ الثَّانِي جَائِزٌ عَلَى تَقْدِيرِ احْتِمَالِ الْخَطَأِ أَيْضًا بَلْ وَاجِبٌ.**

(وَشُهُودُ) بَعْضِ السَّالِكِينَ الَّذِي هُوَ فِي مَرَايَا التَّعَيُّنَاتِ الْكَوْنِيَّةِ أَيْضًا مِنْ قَبِيلِ الْأَحْكَامِ السَّابِقَةِ وَيُسَمُّونَ هَذَا الشُّهُودَ شُهُودَ الْوَحْدَةِ وَشُهُودَ الْأَحَدِيَّةِ فِي الْكَثْرَةِ فَإِنَّ(١) الْوَاجِبَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَيْفِيَّاتِ لاَ تَسَعُهُ مَرَايَا الْمُكَيَّفِ أَصْلاً وَلاَ مَجَالِي الْمُتَكَمِّمِ قَطْعًا لاَ يَحْصُلُ اللاَّمَكَانِيُّ فِي الْمَكَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ الْمُنَزَّهَ عَنِ الْكَيْفِ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الْمُكَيَّفِ، وَأَنْ يَبْتَغِيَ اللاَّمَكَانِيَّ فِيمَا وَرَاءَ الْمَكَانِ. وَكُلَّمَا يُشَاهِدُهُ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ فَهُوَ مِنْ آيَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ. قَالَ قُطْبُ دَائِرَةِ الْوَلاَيَةِ يَعْنِي حَضْرَةَ الْخَوَاجَهْ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدْ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ : كُلَّمَا كَانَ مَشْهُودًا أَوْ مَسْمُوعًا أَوْ مَعْلُومًا فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالَى يَنْبَغِي نَفْيُهُ فِي الْحَقِيقَةِ بِكَلِمَةِ لاَ، (شِعْرٌ):

در تنكناى صورت معنى كونه چكنجد *** در كلبهء كدايان سلطان جه كاردارد

صورت پرست غافل معنى جه داندآخر *** كويا جمال جانان پنهان جه كاردارد

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَاتِ كَثِيرٍ مِنْ مَشَائِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ صَرِيحًا وَحْدَةُ الْوُجُودِ وَالْقُرْبُ الذَّاتِيُّ وَالْمَعِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ وَشُهُودُ الْوَحْدَةِ وَالْأَحَدِيَّةُ فِي الْكَثْرَةِ. أُجِيبَ: أَنَّ تِلْكَ الْأَحْوَالَ إِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُمْ فِي تَوَسُّطِ الْأَحْوَالِ، ثُمَّ تَرَقَّوْا بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ، كَمَا كَتَبَ هَذَا الْفَقِيرُ عَنْ أَحْوَالِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ.

(وَجَوَابٌ آخَرُ) أَنَّ جَمْعًا مِنَ السَّالِكِينَ مَعَ وُجُودِ التَّوَجُّهِ التَّامِّ فِيهِمْ إِلَى جَانِبِ الْأَحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ بِبَاطِنِهِمْ تَتَشَرَّفُ ظَوَاهِرُهُمُ الَّتِي هِيَ مُشَاهِدَةٌ لِلْكَثْرَةِ بِتِلْكَ الْأَحْكَامِ وَالشُّهُودِ فَهُمْ بِحَسَبِ الْبَاطِنِ مُتَوَجِّهُونَ إِلَى الْأَحَدِيَّةِ وَفِي الظَّاهِرِ مُشَاهِدُونَ لِلْمَطْلُوبِ فِي الْكَثْرَةِ، كَمَا أَخْبَرْتُ عَنْ حَالِ وَالِدِي فِي أَوَائِلِ هَذَا الْمَكْتُوبِ. وَتَفْصِيلُ تَحْقِيقِ هَذَا الْجَوَابِ مَسْطُورٌ فِي الرِّسَالَةِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي تَحْقِيقِ مَرَاتِبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، وَلاَ يَتَحَمَّلُ هَذَا الْمَقَامُ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ.

(لاَ يُقَالُ): إِذَا كَانَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وُجُودَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ قُرْبٌ ذَاتِيٌّ وَإِحَاطَةٌ ذَاتِيَّةٌ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودُ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ يَكُونُ حُكْمُ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ كَاذِبًا ; لِكَوْنِهِ غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ (لِأَنَّا نَقُولُ): إِنَّ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرَ إِنَّمَا حَكَمُوا عَلَى مِقْدَارِ شُهُودِهِمْ مِثْلَ مَنْ يَحْكُمُ بِرُؤْيَةِ صُورَةِ زَيْدٍ فِي الْمِرْآةِ، وَهَذَا الْحُكْمُ مَعَ كَوْنِهِ غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرَ فِي الْمِرْآةِ صُورَةَ زَيْدٍ أَصْلاً لِأَنَّهُ لاَ صُورَةَ فِي الْمِرْآةِ قَطْعًا حَتَّى تُرَى، لاَ يُقَالُ لِهَذَا الشَّخْصِ فِي الْعُرْفِ إِنَّهُ كَاذِبٌ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِنَفْسِ الْأَمْرِ فَهُوَ مَعْذُورٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ، وَعَلاَمَةُ الْكَذِبِ الْكَذِبِ مُرْتَفِعَةٌ عَنْهُ كَمَا مَرَّ سَابِقًا. وَالْمَقْصُودُ مِنْ إِظْهَارِ الْأَحْوَالِ اللاَّزِمَةِ الْإِخْفَاءِ وَالسَّتْرِ هُوَ الْإِيذَانُ وَالْإِعْلاَمُ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَّا قَبُولُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ فَهُوَ مِنْ طَرِيقِ الْكَشْفِ لاَ عَلَى وَجْهِ التَّقْلِيدِ، وَإِنْ وُجِدَ مِنَّا إِنْكَارٌ فَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْإِلْهَامِ، فَلاَ مَجَالَ إِذًا لِلْإِنْكَارِ يَعْنِي عَلَى هَذَا الْإِنْكَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِلْهَامُ حُجَّةً عَلَى الْغَيْرِ.

---

(١) علة لقوله من قبيل الأحكام السابقة سند عفي عنه. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(وَجَوَابٌ) آخَرُ لِدَفْعِ شُبْهَةِ الْكَذِبِ: أَنَّ لِأَفْرَادِ الْعَالَمِ اشْتِرَاكًا مَعَ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَامْتِيَازًا فِي بَعْضٍ آخَرَ، وَهَكَذَا اشْتِرَاكُ الْمُمْكِنِ مَعَ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ الْعُرْفِيَّةِ يَعْنِي فِي مُجَرَّدِ الْإِسْمِ وَالصُّورَةِ وَإِنْ كَانَا مُمْتَازَيْنِ بِالذَّاتِ امْتِيَازًا كُلِّيًّا، فَرُبَّمَا يَخْتَفِي مَا بِهِ الْإِمْتِيَازُ عَنْ نَظَرِ السَّالِكِ عَلَى تَقْدِيرِ غَلَبَةِ الْمَحَبَّةِ عَلَيْهِ، وَيَظْهَرُ مَا بِهِ الْإِشْتِرَاكُ لِنَظَرِهِ فَعَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لَوْ حَكَمُوا بِعَيْنِيَّةِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ لَكَانَ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، فَلَا يَبْقَى مَجَالٌ لِلْكَذِبِ أَصْلًا. فَيَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ الْإِحَاطَةَ الذَّاتِيَّةَ وَنَظَائِرَهَا عَلَى ذَلِكَ وَالسَّلَامُ.

(٣٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ أُرْسِلَ إِلَى الْمِرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ فِي بَيَانِ الْكَمَالِ الْمَخْصُوصِ بِالْأَصْحَابِ الْكِرَامِ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَأَنَّهُ قَدْ تَشَرَّفَ بِهِ قَلِيلٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَدْ وَرَدَ مَكْتُوبُكُمُ الْمُرْسَلُ عَلَى وَجْهِ الْإِلْتِفَاتِ. لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى مَا لَمْ يَصِرِ الْمَهْجُورُونَ مَنْسِيِّينَ بَلْ ذُكِرُوا مَعَ الْمَذْكُورِينَ وَلَوِ اسْتِطْرَادِيًّا (ع) **دَعُونَا نُسَلِّي بِالْأَمَانِي قُلُوبَنَا** *

قَدِ انْدَرَجَ فِي كِتَابِكُمُ الشِّكَايَةُ مِنْ فِقْدَانِ نِسْبَةِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ الْخَاصَّةُ بِهِ وَعَدَمِ وِجْدَانِهَا وَالْإِسْتِفْسَارُ عَنْ سَبَبِهِ. أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: إِنَّ شَرْحَ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بِطَرِيقِ التَّحْرِيرِ بَلْ بِالتَّقْرِيرِ غَيْرُ مُنَاسِبٍ فَإِنَّهُ لَا يُدْرَى مَاذَا يَحْصُلُ فِي فَهْمِ إِنْسَانٍ، وَمَاذَا يَأْخُذُ مِنْهُ بَلِ اللَّازِمُ الْحُضُورُ بِشَرْطِ حُسْنِ الظَّنِّ أَوْ طُولِ الصُّحْبَةِ عَلَى أَيِّ نَهْجٍ كَانَ وَبِدُونِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ، (شِعْرٌ):

أُرِيدُ صَفْوَ لَيَالٍ مَعَ ضِيَا قَمَرٍ *** حَتَّى أُحَدِّثَ أَنْوَاعَ الْحِكَايَاتِ

وَلَكِنْ بِحُكْمِ: لِكُلِّ سُؤَالٍ جَوَابٌ أَظْهَرَ هَذَا الْقَدْرُ أَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ عُلُومًا وَمَعَارِفَ عَلَى حِدَةٍ وَأَحْوَالًا وَمَوَاجِيدَ مُتَمَايِزَةً فَفِي مَقَامٍ يُنَاسِبُ الذِّكْرُ وَالتَّوَجُّهُ وَفِي مَقَامٍ يُنَاسِبُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةُ وَمَقَامٌ مَخْصُوصٌ بِالْجَذْبَةِ وَمَقَامٌ بِالسُّلُوكِ وَمَقَامٌ مُمْتَزِجٌ بِهَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ وَمَقَامٌ خَالٍ عَنْ جِهَتَيِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ بِحَيْثُ لَا مَسَاسَ لَهُ بِالْجَذْبَةِ وَلَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالسُّلُوكِ وَهَذَا الْمَقَامُ عَالٍ جِدًّا وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا مُمْتَازُونَ بِهَذَا الْمَقَامِ وَمُشَرَّفُونَ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ وَلِصَاحِبِ هَذَا الْمَقَامِ امْتِيَازٌ تَامٌّ عَنْ أَرْبَابِ الْمَقَامَاتِ الْأُخَرِ وَالْمُشَابَهَةُ بَيْنَ أَرْبَابِ هَذَا الْمَقَامِ قَلِيلَةٌ بِخِلَافِ أَرْبَابِ مَقَامَاتٍ أُخَرَ فَإِنَّ لَهُمْ مُشَابَهَةَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَلَوْ بِوَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ وَهَذِهِ النِّسْبَةُ تَظْهَرُ بَعْدَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَقَلَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ مِنْ مَشَائِخِ الطَّبَقَاتِ فَكَيْفَ التَّكَلُّمُ مِنْ عُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ**

يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1] غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ الْعَزِيزَةَ الْوُجُود كَانَتْ تَظْهَرُ فِي الصَّحَابَةِ فِي أَوَّلِ الْقَدَمِ، ثُمَّ تَبْلُغُ مَرْتَبَةَ الْكَمَالِ بِمُرُورِ الزَّمَانِ، وَأَمَّا غَيْرُ الصَّحَابَةِ فَإِنْ أُرِيدَ تَشْرِيفُهُ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ وَتَرَتُّبُهُ عَلَى قَدَمِ نِسْبَةِ الصَّحَابَةِ إِنَّمَا يُسْتَسْعَدُ بِهَا بَعْدَ قَطْعِ مَنَازِلِ الْجَذْبَةِ وَمَرَاتِبِ السُّلُوكِ وَطَيِّ عُلُومِ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ وَمَعَارِفِهِمَا. وَظُهُورُ هَذِهِ النِّسْبَةِ الشَّرِيفَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ كَانَ مَخْصُوصًا بِبَرَكَةِ صُحْبَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَالْبَرَكَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَلَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَشَرَّفَ بِهَذِهِ الْبَرَكَةِ بَعْضُ مُتَابِعِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكُونُ صُحْبَتُهُ أَيْضًا سَبَبًا لِظُهُورِ هَذِهِ النِّسْبَةِ الْعَلِيَّةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ يَعْنِي فِي ابْتِدَاءِ الْحَالِ قَبْلَ قَطْعِ مَنَازِلِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ، (شِعْرٌ):

لَوْ كَانَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ الْقُدُسِ مِنْ مَدَدٍ * لِغَيْرِ عِيسَى لَيَصْنَعُ مِثْلَ مَا صَنَعَا**

وَفِي هَذَا الْوَقْتِ يَتَحَقَّقُ فِي هَذِهِ النِّسْبَةِ انْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ أَيْضًا كَمَا هُوَ مُتَحَقِّقٌ فِي صُورَةِ تَقَدُّمِ الْجَذْبَةِ عَلَى السُّلُوكِ وَلَا مُسَاعَدَةَ لِلزِّيَادَةِ عَلَى هَذَا، (شِعْرٌ):

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا مَا يَدِقُّ بَيَانُهُ * وَمَا كَتْمُهُ أَحْظَى لَدَيَّ وَأَجْمَلُ**

(**فَإِنْ وَقَعَت**) الْمُلَاقَاةُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأُحِسَّتْ مَظِنَّةُ حُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ مِنْ جَانِبِ الْمُسْتَمِعِينَ، تَرِدُ نُبْذَةٌ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ فِي مَعْرِضِ الظُّهُورِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ.

(**وَقَدْ حَرَّرْتُمْ**) كَلِمَاتٍ فِي حَقِّ بَعْضِ الْأَصْحَابِ فَالْفَقِيرُ قَدْ عَفَوْتُ زَلَّاتِهِمْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَلَكِنْ يَنْبَغِي نَصِيحَةُ الْأَصْحَابِ لِئَلَّا يَكُونُوا فِي مَقَامِ الْإِيذَاءِ فِي الْحُضُورِ وَالْغَيْبَةِ وَلَا يُغَيِّرُوا أَوْضَاعَهُمْ: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾**[2]. وَكَتَبْتُمْ فِي حَقِّ الشَّيْخِ الْهَدَادِ خُصُوصًا لَا مُضَايَقَةَ فِي حَقِّ الْفَقِيرِ أَصْلًا، وَلَكِنَّ النَّدَامَةَ عَلَى تَغَيُّرِ الْوَضْعِ لَازِمَةٌ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ: "النَّدَمُ تَوْبَةٌ وَالْإِسْتِشْفَاعُ فَرْعُ النَّدَامَةِ"[3]. وَالْفَقِيرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي مَقَامِ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ وَجَانِبِهِ، وَأَمَّا الْجَانِبُ الْآخَرُ فَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَمَا يَلْزَمُ فِيمَا هُنَالِكَ. (**وَأَيْضًا**) يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَتَصَوَّرُوا سَرْهَنْدَ مَنْزِلَ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّ عَلَاقَةَ الْمَحَبَّةِ وَنِسْبَةَ أُخُوَّةِ الطَّرِيقَةِ لَيْسَتْ مِمَّا يَنْقَطِعُ بِسَبَبِ أُمُورٍ عَارِضِيَّةٍ. وَمَاذَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ. وَنَخُصُّ الْمَخَادِيمَ وَسَائِرَ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالدُّعَاءِ وَبَعْدَ تَسْوِيدِ هَذِهِ الرُّقَيْمَةِ وَقَعَ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أَكْتُبَ فِي بَابِ زَلَّاتِ الْإِخْوَانِ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ كَلَامًا أَوْضَحَ مِنَ الْأَوَّلِ فَإِنَّ فِي الْإِجْمَالِ إِبْهَامًا. وَمَاذَا يُفْهَمُ مِنْهُ.

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) الآية: ١١ من سورة الرعد.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس رضي الله عنه قال المناوي أنه حديث صحيح وقال الحافظ ابن حجر في الفتح أنه حسن سند (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه).

(فَاعْلَمْ) أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: أَنَّ الْعَفْوَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ وَيُطْلَبُ عَلَى تَقْدِيرِ اعْتِرَافِ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ بِسُوءِ تِلْكَ الْأَوْضَاعِ وَالنَّدَامَةِ عَلَى فِعْلِهَا، وَإِلَّا فَلَا مَسَاغَ لِلْعَفْوِ. وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا فَوَّضَ هَذَا الْمَقَامَ إِلَى الشَّيْخِ الْهَدَّادِ بِشَهَادَةِ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا الْكَلَامُ يَسْتَدْعِي بَيَانًا. فَإِنْ كَانَ التَّفْوِيضُ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَخْدُمُ الْفُقَرَاءَ وَالْوَارِدِينَ وَالصَّادِرِينَ وَيَكُونُ مُسْتَخْبِرًا عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَذَلِكَ مُسَلَّمٌ لَا نِزَاعَ فِيهِ لِأَحَدٍ. وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُرَبِّي جَمَاعَةً مِنَ الطَّالِبِينَ وَيَجْلِسُ فِي مَقَامِ الْمَشِيخَةِ فَمَمْنُوعٌ. فَإِنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا قَالَ لِلْفَقِيرِ فِي آخِرِ مُلَاقَاتِنَا: مَا تَقُولُ فِي الشَّيْخِ الْهَدَّادِ لَوْ عَلَّمَ بَعْضَ الطَّالِبِينَ الْمَشْغُولِيَّةَ مِنْ جَانِبِنَا وَبَلَّغَ أَحْوَالَ بَعْضِهِمْ إِلَيْنَا فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لِي الْآنَ بِإِحْضَارِهِمْ وَتَعْلِيمِ الْمَشْغُولِيَّةِ وَالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ. فَكَانَ الْفَقِيرُ مُتَوَقِّفًا فِي هَذَا الْبَابِ أَيْضًا، وَلَكِنْ لَمَّا اقْتَضَتِ الضَّرُورَةُ ذَلِكَ جَوَّزْتُ هَذَا الْقَدْرَ فِيمَا هُنَالِكَ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ مِنَ التَّبْلِيغِ مِنْ جِنْسِ السِّفَارَةِ الْمَحْضَةِ خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى الضَّرُورَةِ، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا. فَتَكُونُ تِلْكَ السِّفَارَةُ مَخْصُوصَةً بِزَمَنِ حَيَاةِ شَيْخِنَا وَيَكُونُ تَعْلِيمُ الْمَشْغُولِيَّةِ لِلطَّالِبِينَ وَسُؤَالُ أَحْوَالِهِمْ بَعْدَ ارْتِحَالِهِ دَاخِلًا فِي الْخِيَانَةِ. (وَكَتَبْتُمْ) أَيْضًا: أَنَّ نِسْبَةَ حَضْرَةِ شَيْخِنَا تَكُونُ بَاقِيَةً الْبَتَّةَ يَعْنِي لَا تَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ بِمُرُورِ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ. (اعْلَمْ) أَيُّهَا الْمَخْدُومُ أَنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَلَاحُقِ الْأَفْكَارِ. أَلَا تَرَى أَنَّ عِلْمَ النَّحْوِ الَّذِي وَضَعَهُ سِيبَوَيْهِ[1] زَادَتْهُ أَفْكَارُ الْمُتَأَخِّرِينَ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا. فَإِنَّ بَقَاءَ الشَّيْءِ عَلَى مَرْتَبَتِهِ عَيْنُ النَّقْصِ. فَإِنَّ النِّسْبَةَ الَّتِي كَانَتْ لِخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدِ مَا كَانَتْ فِي زَمَنِ الْخَوَاجَهْ عَبْدِ الْخَالِقِ الْغُجْدُوَانِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُمَا وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ يَعْنِي "سَائِرَ الْأَحْوَالِ" وَعَلَى الْخُصُوصِ كَانَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا فِي صَدَدِ تَكْمِيلِ هَذِهِ النِّسْبَةِ وَكَانَ غَيْرَ قَائِلٍ بِتَمَامِيَّتِهَا فَإِنْ وَفَّقَهُ حَيَاتُهُ زَادَهَا بِإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَى مَا شَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ. فَالسَّعْيُ فِي عَدَمِ زِيَادَتِهَا لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ وَهَذَا الْفَقِيرُ مَا يَدْرِي عَلَى أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ بَقَاؤُهَا فَإِنْ كَانَ نِسْبَةً عَلَى حِدَةٍ لَا مُسَاسَ لَهَا بِنِسْبَةِ الْآخَرِينَ، وَكَانَ هَذَا الْكَلَامُ مُشَخَّصًا يَعْنِي مُعَيَّنًا فِي حُضُورِهِ مُكَرَّرًا، وَالشَّيْخُ الْهَدَّادُ الْمِسْكِينُ مِنْ أَيْنَ يَعْرِفُ أَنَّ النِّسْبَةَ مَا هِيَ وَإِنَّمَا لَهُ نَحْوٌ مِنْ حُضُورِ الْقَلْبِ. وَمَعْلُومٌ لِلْآخَرِينَ أَنَّ الْحَالَةَ مَا هِيَ، وَمَنْ قَيِّمُ تِلْكَ النِّسْبَةِ وَمُرَبِّيهَا أَخْبِرُونِي عَنْهُ حَتَّى أَكُونَ مُمِدًّا وَمُعَاوِنًا لَهُ. وَلَا يَنْبَغِي اعْتِبَارُ الْوَاقِعَةِ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا خَيَالِيَّةٌ غَيْرُ صَادِقَةٍ. وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ قَوِيٌّ وَالْأَمْنُ مِنْ تَسْوِيلَاتِهِ مُتَعَسِّرٌ إِلَّا لِمَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى. (وَكَتَبْتُمْ) أَيْضًا فِي حَقِّ سَلْبِ النِّسْبَةِ الْمُكْتَسَبَةِ فَاعْلَمْ أَيُّهَا

---

(١) أبو بشر (أو أبو الحسن) عمرو بن عثمان بن قنبر: (على وزن جعفر)، لقب بسيبويه (رائحة التفاح) لاحمرار في وجنتيه وقيل لأن أمه كانت ترقصه بذلك، ولد في البيضاء قرب شيراز ونشأ بالبصرة، رغب أولا في تعلم الحديث والفقه إلى أن لحقه التأنيب من شيخه حماد بن سلمة للحنه في حديث فلزم الخليل وغيره، تلمذ للخليل ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر وغيرهم، كان سيبويه إمام النحاة وأشهر علماء العربية قاطبة، أول من بسط علم النحو وألف " الكتاب " أقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي كافة، لم يزد المتأخرون على كتابه شيئا ذا بال، وزعم السيوطي أنه سمى كتابه " قرآن النحو "، توفي سنة ١٨٠ه على الراجح. انظر: مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي: ٦٥، طبقات الزبيدي: ٦٦، أخبار النحويين البصريين: ٤٨، ٥٠، إنباه الرواة: ٢/٣٤٦، شذرات الذهب: ١/٢٥٢، النجوم الزاهرة: ٢/٩٩، المزهر: ٢/٤٠٥، بروكلمان: ٢/١٣٤، معجم المؤلفين: ٢/٥٨٤، الأعلام: ٥/٨١، سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصف: ٦٤ وما بعدها، نشأة النحو: ٤٧، المدارس النحوية: ٥٧٩٣.

الْمَعْلُومُ أَنَّ ذَلِكَ السَّلْبَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِالإِخْتِيَارِ كَمَا ذُكِرَ فِي الْحُضُورِ. وَالآنَ هَذَا السَّلْبُ بِحَالَةٍ وَمِنَ الْخَيَالِ تَصَوُّرُ زَوَالِهِ. وَالصَّوْتُ الْمَسْمُوعُ مِنَ الْقَلْبِ لاَ تَعَلُّقَ لَهُ بِتِلْكَ الْحَالَةِ، أَلاَ تَرَى أَنَّ الرَّمَادَ الَّذِي زَالَتْ عَنْهُ النَّارُ وَصَارَ بَارِدًا يَصْدُرُ عَنْهُ صَوْتٌ بَعْدَ صَبِّ الْمَاءِ فِيهِ، وَلاَ يُقَالُ إِنَّ النَّارَ مَكْنُونَةٌ فِيهِ بَعْدُ، وَلاَ اعْتِبَارَ لِلْوَقَائِعِ فَإِنْ كَانَ هَذَا الْكَلاَمُ مَخْفِيًّا الْيَوْمَ يَظْهَرُ صِدْقُهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى. وَلَمَّا كَانَ كِتَابُكُمْ مُشْتَمِلاً عَلَى الْمُبَالَغَةِ صَدَرَ فِي جَوَابِهِ كَلِمَاتٌ وَإِلاَّ لاَ يَتَيَسَّرُ الْكَلاَمُ بِلاَ دَاعٍ.

(٣٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ صَدَرَ إِلَى الْحَاجِّ الْمُلاَّ مُحَمَّدٍ اللاَّهُورِيِّ فِي بَيَانِ مَذَمَّةِ عُلَمَاءِ السُّوءِ الَّذِينَ هُمْ فِي أَسْرِ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَمَدْحِ الْعُلَمَاءِ الزُّهَّادِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ عَنِ الدُّنْيَا

إِنَّ مَحَبَّةَ الدُّنْيَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَرَغْبَتَهُمْ فِيهَا كَلَفٌ عَلَى وَجْهِ جَمَالِهِمْ وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ مِنْهُمْ فَوَائِدُ لِلْخَلاَئِقِ لَكِنْ لاَ يَكُونُ عِلْمُهُمْ نَافِعًا فِي حَقِّهِمْ. وَإِنْ كَانَ تَأْيِيدُ الشَّرِيعَةِ وَتَقْوِيَةُ الْمِلَّةِ مُرَتَّبًا عَلَيْهِمْ لَكِنْ لاَ اعْتِبَارَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ التَّأْيِيدَ وَالتَّقْوِيَةَ يَحْصُلُ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ وَأَرْبَابِ الْفُتُورِ أَحْيَانًا كَمَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ عَنْ تَأْيِيدِ الْفَاجِرِ حَيْثُ قَالَ: "إِنَّ اللّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ"[٢] وَهُمْ كَحَجَرِ الْفَارِسِ حَيْثُ أَنَّ كُلَّمَا يَلْصَقُ بِهِ مِنَ الشَّيْءِ الأَمْلَسِ وَالْحَدِيدِ يَكُونُ ذَهَبًا وَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَجَرِيَّتِهِ وَكَالنَّارِ الْمُودَعَةِ فِي الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ مِنْهَا مَنَافِعُ لِلْعَالَمِ وَلَكِنْ لاَ نَصِيبَ لِلْحَجَرِ وَالشَّجَرِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ الْمُودَعَةِ فِي بَاطِنِهِمَا بَلْ أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ مُضِرٌّ فِي حَقِّهِمْ لأَنَّهُ بِهِ تَمَّتِ الْحُجَّةُ

---

[1] اخرجه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه والترمذي عن انس رضي الله عنه والطبراني في الكبير وابو نعيم في الحلية وابن عدي في الكامل بالفاظ مختلفة (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأحمد في المسند، باقي مسند المكثرين، والدارمي في سننه في كتاب المقدمة، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، جميعهم أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه والطبراني في المعجم الكبير من حديث النعمان بن عبد الله بن مقرّن وأبو نعيم في الحلية وابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة. شرح الحديث: " إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين " أي: الدين المحمدي ؛ بدليل قوله في الخبر الآتي: " إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " واللام للعهد، والمعهود: الرجل المذكور، أو للجنس، ولا يعارضه خبر مسلم: " إنَّا لاَ نَستَعِينُ بِمُشْرِكٍ " ؛ لأنه خاص بذلك الوقت، وحجة النسخ شهود صفوان بن أمية حنيناً مشركاً كما قال ابن المنير فلا يُتَخَيَّلُ في إمام أو سلطان فاجر إذا حمى بيضة الإسلام أنه مطروح النفع في الدين لفجوره ؛ فيجوز الخروج عليه وخلعه لأن الله تعالى قد يؤيد به دينه وفجورُهُ على نفسه ؛ فيجب الصبر عليه وطاعته في غير إثم، ومنه جَوَّزُوا الدعاء للسلطان بالنصر والتأييد مع جَوْرِهِ، وهذا قاله لمّا رأى في غزوة حنين رجلاً يدَّعِي الإسلام يقاتل شديداً: " هذا من أهل النار " فجرح فقتل نفسه من شدة وجعه، فذكره.والمراد بالفاجر: الفاسق إن كان الرجل مسلماً حقيقة أو الكافر إن كان منافقاً أي الإمام الجائر أو العالم الفاسق أو المجاهد في سبيل الله. انظر: المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير: (ح١٧٩٠).

عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ"[1] (٢) فَكَيْفَ لَا يَكُونُ مُضِرًّا فَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَشْرَفُ الْمَوْجُودَاتِ جَعَلُوهُ وَسِيلَةً لِجَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَحْبَابِ، وَالْحَالُ أَنَّ الدُّنْيَا ذَلِيلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقِيرَةٌ وَأَبْغَضُ الْمَخْلُوقَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِذْلَالُ مَا هُوَ عَزِيزٌ عِنْدَ اللَّهِ وَإِعْزَازُ مَا هُوَ ذَلِيلٌ عِنْدَهُ فِي غَايَةِ الْقَبَاحَةِ، بَلْ هُوَ مُعَارَضَةٌ مَعَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الْحَقِيقَةِ. وَالتَّدْرِيسُ وَالْإِفْتَاءُ إِنَّمَا يَكُونَانِ نَافِعَيْنِ إِذَا كَانَا خَالِصَيْنِ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَالِيَيْنِ مِنْ شَائِبَةِ حُبِّ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَطَمَعِ حُصُولِ الْمَالِ وَالرِّفْعَةِ. وَعَلَامَةُ خُلُوِّهِمَا عَنْ تِلْكَ الْمَذْكُورَاتِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَعَدَمُ الرَّغْبَةِ فِيهَا. فَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ مُبْتَلَوْنَ بِهَذَا الْبَلَاءِ وَمَأْسُورُونَ فِي أَسْرِ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا فَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ وَشِرَارُ النَّاسِ وَلُصُوصُ الدِّينِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنْفُسَهُمْ مُقْتَدًى بِهِمْ فِي الدِّينِ وَأَفْضَلَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (٣) رَأَى وَاحِدٌ مِنَ الْأَكَابِرِ الشَّيْطَانَ قَاعِدًا فَارِغَ الْبَالِ عَنِ الْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ. فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ قُعُودِهِ بِفَرَاغِ الْبَالِ. فَقَالَ اللَّعِينُ: إِنَّ عُلَمَاءَ السُّوءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ قَدْ أَمَدُّونِي فِي أَمْرِي مَدَدًا عَظِيمًا وَتَكَفَّلُوا لِي بِالْإِضْلَالِ حَتَّى جَعَلُونِي فَارِغَ الْبَالِ وَالْحَقُّ أَنَّ كُلَّ ضَعْفٍ وَوَهْنٍ وَقَعَ فِي أُمُورِ الشَّرِيعَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَكُلَّ فُتُورٍ ظَهَرَ فِي تَرْوِيجِ الْمِلَّةِ وَتَقْوِيَةِ الدِّينِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ شُؤْمِ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَفَسَادِ نِيَّاتِهِمْ. نَعَمْ إِنْ كَانَ الْعُلَمَاءُ رَاغِبِينَ عَنِ الدُّنْيَا وَمُتَحَرِّرِينَ مِنْ أَسْرِ حُبِّ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَطَمَعِ الْمَالِ وَالرِّفْعَةِ فَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلَائِقِ وَهُمُ الَّذِينَ يُوزَنُ[4] مِدَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فِي

---

[1] هذا الحديث اخرجه ابن عساكر عن ابي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني ايضا في الصغير والبيهقي في الشعب عنه وابن عدي والحاكم في مستدركه ايضا بالفاظ مختلفة (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(٢) شرح الحديث: ترتب على عصيان العالم هذا الوعيد الشديد " لأن عصيانه عن علم ؛ ولذا كان المنافقون في الدرك الأسفل لكونهم جحدوا بعد العلم، وكان اليهود شراً من النصارى لكونهم أنكروا بعد المعرفة. قال عبد الحق: " ومفهوم الحديث أن أعظمهم ثواباً عالم ينفعه علمه. قال الغزالي: فالعلم لا يُهْمِل العالم، بل يهلكه هلاك الأبد، أو يحييه حياة الأبد، فمن لم ينفعه علمه لا ينجو منه رأساً برأس. هيهات فخطره عظيم وطالبه طالب النعيم المؤبد أو العذاب السرمد، لا ينفك عن الملك أو الهلك، فهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم تتفق له الإصابة لم يطمع في السلامة اهـ. وزعم بعض الصوفية أنه إنما كان أشد الناس عذاباً لأن عذابه مضاعف فوق عذاب مفارقة الجسد بقطعه عن اللذات الحسية المألوفة وعدم وصوله إلى ما هو أكمل منها لعدم انفتاح عين بصيرته مع عذاب الجحيم عن مشاهدة الحق تعالى، فعذاب الحجاب إنما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله في الجملة ولم يتوجهوا إلى تحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك، وأما غيرهم فلا يعذب هذا العذاب الحجابي الذي هو أعظم من عذاب الجحيم لعدم تصورهم له بالكلية وعدم ذوقهم له رأساً.

(٣) الآية: ٢٠ من سورة المجادلة.

[4] رواه ابو نعيم في الحلية والعسكري في الامثال مرفوعا بلفظ جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها قال السيوطي رواه البيهقي عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا وهو المحفوظ قال ابن عدي وهو المعروف اهـ. (القزاني رحمة الله عليه)

سَبِيلِ اللهِ فَيَتَرَجَّحُ مِدَادُهُمْ "(١). "وَنَوْمُ الْعَالِمِ عِبَادَةٌ" (٢) مُتَحَقِّقٌ فِي حَقِّهِمْ وَهُمُ الَّذِينَ اسْتَحْسَنَ فِي نَظَرِهِمْ جَمَالُ الْآخِرَةِ وَنَضَارَتُهَا وَظَهَرَتْ قَبَاحَةُ الدُّنْيَا وَشَنَاعَتُهَا، فَنَظَرُوا إِلَى الْآخِرَةِ بِنَظَرِ الْبَقَاءِ وَرَأَوُا الدُّنْيَا مُتَّسِمَةً بِسِمَةِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ ; فَلَا جَرَمَ هَرَبُوا مِنَ الْفَانِي وَأَقْبَلُوا عَلَى الْبَاقِي. وَشُهُودُ عَظَمَةِ الْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ ثَمَرَةُ شُهُودِ الْجَلَالِ الْيَزَالِيِّ، وَإِذْلَالُ الدُّنْيَا وَتَحْقِيرُ مَا فِيهَا مِنْ لَوَازِمِ شُهُودِ عَظَمَةِ الْآخِرَةِ ; لِأَنَّ(٣) الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ضَرَّتَانِ إِنْ رَضِيَتْ إِحْدَاهُمَا سَخِطَتِ الْأُخْرَى. فَإِنْ كَانَتِ الدُّنْيَا عَزِيزَةً فَالْآخِرَةُ حَقِيرَةٌ وَإِنْ كَانَتِ الدُّنْيَا حَقِيرَةً فَالْآخِرَةُ عَزِيزَةٌ، وَجَمْعُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ قَبِيلِ جَمْعِ الْأَضْدَادِ (ع) **مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَوِ اجْتَمَعَا** * نَعَمْ قَدِ اخْتَارَ جَمْعٌ مِنَ الْمَشَائِخِ الَّذِينَ تَخَلَّصُوا عَنْ أَسْرِ نُفُوسِهِمْ وَمُقْتَضَيَاتِ طَبَائِعِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ صُورَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِوَاسِطَةِ نِيَّاتٍ حَقَّانِيَّةٍ تَرَاهُمْ فِي الظَّاهِرِ رَاغِبِينَ فِيهَا وَلَكِنْ لَا عَلَاقَةَ لَهُمْ بِهَا فِي الْحَقِيقَةِ أَصْلًا، بَلْ هُمْ فَارِغُونَ عَنِ الْكُلِّ وَمُتَخَلِّصُونَ عَنِ الْجَمِيعِ ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ (٤) فَلَا يَمْنَعُهُمُ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، فَهُمْ فِي عَيْنِ التَّعَلُّقِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ غَيْرُ مُتَعَلِّقِينَ بِشَيْءٍ. قَالَ

---

(١) قوله: " يوزن... " الخ إشارة إلى حديث ذكره الغزالي في الإحياء مرفوعا ولفظه: " يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء " أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه) قاله العراقي قال شارحه: " وأخرجه الشيرازي في الألقاب من طريق أنس بزيادة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء أخرجه المرهبي في فضل العلم عن عمران ابن الحصين، وابن الجوزي في العلل عن النعمان ابن بشير، والديلمي عن ابن عمر اه بقدر المقصود والكلام عليه مستوفى في الشرح المذكور.

قلت: ورواه المنجنيقي في " رواية الأكابر عن الأصاغر " عن الحسن البصري مقطوعا، وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن ابن عمر مرفوعا: " وُزِنَ حِبْرُ الْعُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فَرَجَحَ عَلَيْهِمْ " وفي سنده محمد بن جعفر متهم بالوضع، ومن ثَمَّ قال الخطيب موضوع، ورواه الديلمي عن نافع بلفظ: " يُوزَنُ حِبْرُ الْعُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ، فَيَرْجَحُ ثَوَابُ حِبْرِ الْعُلَمَاءِ عَلَى ثَوَابِ دَمِ الشُّهَدَاءِ، ومن أحسن ما قيل في ذلك:

يَا طَالِبِي عِلْمَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * مَا أَنْتُمْ وَسِوَاكُمْ بِسَوَاءِ
فَمِدَادُ مَا تَجْرِي بِهِ أَقْلَامُكُمْ * أَزْكَى وَأَرْجَحُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ

(٢) لا أصل له: قوله نوم العالم عبادة كأنه تلميح إلى حديث مرفوع ذكره الغزالي في الإحياء وبعده: " وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ " قال العراقي المعروف فيه الصائم بدل العالم ذكره المخرج، قلت ولا يضر ذلك فإنه قد ثبت فضل العالم على الصائم القائم بل على مطلق العابد بمراتب كثيرة في أحاديث عديدة. (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(٣) قوله لأن الدنيا والآخرة الخ إشارة إلى ما ورد في الحديث من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ذكره في الإحياء عن أبي موسى الأشعري مرفوعا قال العراقي رواه أحمد والبزار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين قلت وهو منقطع بين المطلب بن عبد الله وبين أبي موسى اه قال شارحه قلت سبقه إلى ذلك الذهبي وقد رواه كذلك القضاعي في مسند الشهاب والبيهقي في الشعب وقال المنذري رجال أحمد ثقاة وعند بعضهم إلا فآثروا بزيادة إلا للتنبيه اه وقلت وذكر في الإحياء في موضع آخر من قول علي كرم الله وجهه بلفظ الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي أحديهما تسخط الأخرى وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضه قال من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة فأضروا بالفاني للباقي انتهى وهذا الحديث كثير الدوران في هذا الكتاب بألفاظ مختلفة فليتنبه المطالع (القزاني رحمة الله عليه)

(٤) الآية: ٣٧ من سورة النور.

الْخَوَاجَهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ "رَأَيْتُ فِي سُوقِ مِنَى تَاجِرًا اتَّجَرَ بِمِقْدَارِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ تَقْرِيبًا وَلَمْ يَغْفُلْ قَلْبُهُ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لَحْظَةً".

(٣٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ أُرْسِلَ إِلَى الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ اللاَّهُورِيِّ أَيْضًا فِي بَيَانِ الْجَوَاهِرِ الْخَمْسَةِ الأَمْرِيَّةِ بِطَرِيقِ الْبَسْطِ وَالتَّفْصِيلِ مَهْمَا أَمْكَنَ

اعْلَمْ: أَنَّ نَقْدَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَرْبُوطٌ بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا. وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ عَيْنُ بَصِيرَةِ الْفَلْسَفِيِّ مُكَحَّلَةً بِكُحْلِ مُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ صَارَتْ فِي غَمَايَةٍ عَنْ حَقِيقَةِ عَالَمِ الأَمْرِ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شُعُورٌ عَنْ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَنَظَرُهُ الْقَاصِرُ مَقْصُورٌ عَلَى عَالَمِ الْخَلْقِ وَلَيْسَ بِتَامٍّ فِيهِ أَيْضًا. وَمَا أَثْبَتُوهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْخَمْسَةِ كُلُّهَا فِي عَالَمِ الْخَلْقِ. وَمِنْ جَهَالَتِهِمْ عَدُّوا الْعَقْلَ وَالنَّفْسَ مِنَ الْمُجَرَّدَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ هِيَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ الْمُحْتَاجَةُ إِلَى التَّزْكِيَةِ وَهِمَّتُهَا بِالذَّاتِ فِي السَّفَالَةِ وَالدَّنَاءَةِ، فَمَا الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَالَمِ الأَمْرِ، وَأَيُّ نِسْبَةٍ لَهُ بِالتَّجَرُّدِ، وَالْعَقْلُ لاَ يُدْرِكُ مِنَ الْمَعْقُولاَتِ إِلاَّ الأُمُورَ الَّتِي لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِالْمَحْسُوسَاتِ بَلْ لاَ يُدْرِكُ إِلاَّ مَا لَهُ حُكْمُ الْمَحْسُوسَاتِ وَأَمَّا الأُمُورُ الَّتِي لاَ مُنَاسَبَةَ لَهَا بِالْمَحْسُوسَاتِ وَلَيْسَ لَهَا شِبْهٌ وَمِثَالٌ فِي الْمُشَاهَدَاتِ، فَلاَ سَبِيلَ لإِدْرَاكِ الْعَقْلِ إِلَيْهَا وَلاَ يُفْتَحُ بِمِفْتَاحِ الْعَقْلِ مُغْلَقَاتُهَا. وَلِهَذَا كَانَ نَظَرُهُ قَاصِرًا فِي أَحْكَامِ اللاَّكَيْفِيِّ وَضَالاًّ مَحْضًا عَنِ الطَّرِيقِ فِي إِدْرَاكِ الْغَيْبِ وَذَلِكَ عَلاَمَةُ كَوْنِهِ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ. وَمَيْلُ عَالَمِ الأَمْرِ إِلَى اللاَّكَيْفِيِّ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى مَا تَنَزَّهَ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ وَابْتِدَاءُ عَالَمِ الأَمْرِ مِنْ مَرْتَبَةِ الْقَلْبِ وَفَوْقَ الْقَلْبِ الرُّوحُ وَفَوْقَ الرُّوحِ السِّرُّ وَفَوْقَ السِّرِّ الْخَفِيُّ وَفَوْقَ الْخَفِيِّ الأَخْفَى.

فَإِنْ قِيلَ: لِهَذِهِ الْخَمْسَةِ الأَمْرِيَّةِ جَوَاهِرُ خَمْسَةٌ فَلَهُ وَجْهٌ. وَمِنْ قُصُورِ نَظَرِهِمُ الْتَقَطُوا عِدَّةً مِنْ قِطْعَاتِ الْخَذَفِ وَظَنُّوهَا جَوَاهِرَ. وَإِدْرَاكُ هَذِهِ الْجَوَاهِرِ الْخَمْسَةِ الأَمْرِيَّةِ وَالاطِّلاَعُ عَلَى حَقَائِقِهَا إِنَّمَا هُوَ نَصِيبُ كُمَّلِ تَابِعِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّا كَانَ مَا فِي الْعَالَمِ الصَّغِيرِ الَّذِي هُوَ الإِنْسَانُ أُنْمُوذَجًا مِمَّا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، كَانَ أُصُولُ هَذِهِ الْجَوَاهِرِ الْخَمْسَةِ أَيْضًا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، فَالْعَرْشُ الْمَجِيدُ مَبْدَأُ هَذِهِ الْجَوَاهِرِ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ كَالْقَلْبِ فِي الْعَالَمِ الصَّغِيرِ، وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ يُقَالُ لِلْقَلْبِ عَرْشُ اللَّهِ تَعَالَى أَيْضًا. وَالْمَرَاتِبُ الْبَاقِيَةُ مِنْ جَوَاهِرِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ الْخَمْسَةِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الْخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ بِمَثَابَةِ قَلْبِ الإِنْسَانِ حَيْثُ أَنَّهُ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الْخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ فِي الْعَالَمِ الصَّغِيرِ، وَالْقَلْبُ وَالْعَرْشُ وَإِنْ كَانَا ظَاهِرَيْنِ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ لَكِنَّهُمَا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَلَهُمَا نَصِيبٌ مِنَ اللاَّكَيْفِيِّ وَاللاَّكَمِّيِّ. وَالإِطِّلاَعُ عَلَى حَقِيقَةِ هَذِهِ الْجَوَاهِرِ الْخَمْسَةِ مُسَلَّمٌ لِكُمَّلِ أَفْرَادِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ أَتَمُّوا مَرَاتِبَ السُّلُوكِ بِالتَّفْصِيلِ وَبَلَغُوا نِهَايَةَ النِّهَايَاتِ. شِعْرٌ:

هر كداى مرد ميدان كى شود *** پشهء آخر سليمان كى شود

تَرْجَمَةٌ

هَلْ كُلُّ مَنْ خِلْتَ رَجُلاً رَجُلُ مَعْرَكَةٍ *** أَوَكُلُّ مَنْ صَارَ ذَا مُلْكٍ سُلَيْمَانُ

فَإِنْ تَنْفَتِحْ نَظَرُ بَصِيرَةِ صَاحِبِ دَوْلَةٍ بِتَفْصِيلِ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ عَلَى حَسَبِ الْإِمْكَانِ بِمَحْضِ فَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُطَالِعُ أُصُولَ هٰذِهِ الْجَوَاهِرِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَتَصِيرُ هٰذِهِ الْجَوَاهِرُ الصُّغْرَوِيَّةُ وَالْكُبْرَوِيَّةُ فِي عَيْنِ الاضْمِحْلاَلِ لِتِلْكَ الْجَوَاهِرِ الْحَقِيقِيَّةِ (ع) وَهٰذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ * ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [1]

وَالْمَنْعُ مِنْ إِظْهَارِ حَقَائِقِ عَالَمِ الْأَمْرِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ دِقَّةِ تِلْكَ الْمَعَانِي الْمَكْنُونَةِ، وَمَاذَا يُدْرِكُ مِنْهَا قَاصِرُوا النَّظَرِ، وَالرَّاسِخُونَ الْمُشَرَّفُونَ بِشَرَفِ خِطَابِ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [2] لَهُمُ اطِّلاَعٌ عَلَى مَا هُنَالِكَ (ع) هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا؛ (شِعْرٌ):

وَلَيْسَ فِي بَثِّ الْأَسْرَارِ مَصْلَحَةٌ *** وَإِنْ ظَهَرْنَ لَنَا كَالشَّمْسِ فِي فَلَكٍ

﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [3] وَالْتِزَامِ مُتَابَعَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ أَتَمُّهَا وَأَدْوَمُهَا (وَأَيْضًا) قَدْ وَقَعَ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أُحَرِّرَ نُبْذَةً مِنْ بَيَانِ الْجَوَاهِرِ الْمُقَدَّسَةِ الْعُلْيَا. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ ابْتِدَاءَ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ مِنَ الصِّفَاتِ الْإِضَافِيَّةِ الَّتِي هِيَ كَالْبَرْزَخِ بَيْنَ الْوُجُوبِ وَالْإِمْكَانِ وَفَوْقَهَا صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلِلرُّوحِ نَصِيبٌ مِنْ تَجَلِّيَاتِهَا وَلِلْقَلْبِ تَعَلُّقٌ بِالصِّفَاتِ الْإِضَافِيَّةِ وَهُوَ مُشَرَّفٌ بِتَجَلِّيَاتِهَا. وَبَقِيَّةُ الْجَوَاهِرِ الْعُلْيَا الَّتِي فَوْقَ الصِّفَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ دَاخِلَةٌ فِي دَائِرَةِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَلِهٰذَا يُقَالُ لِتَجَلِّيَاتِ هٰذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلاَثَةِ تَجَلِّيَاتٌ ذَاتِيَّةٌ. وَلاَ مَصْلَحَةَ فِي التَّكَلُّمِ وَرَاءَ ذَلِكَ (ع) بَلَغَ الْيَرَاعُ إِلَى هُنَا فَتَكَسَّرَا *

(٣٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ فِي بَيَانِ الْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي يَسْتَوِي فِي هٰذَا الْمَقَامِ الْإِنْعَامُ وَالْإِيلاَمُ كَتَبَهُ إِلَى الْحَاجِّ مِيَانْ مُحَمَّدٍ اللاَّهُورِيِّ أَيْضًا

نَجَّانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. (اعْلَمْ) أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ وَتَطْهِيرُهَا حَتَّى يَتَيَسَّرَ النَّجَاةُ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) الآية: ٨٥ من سورة الإسراء.

(٣) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الْبَاطِلَة النَّاشِئَة عَنِ الْهَوَى النَّفْسَانِيِّ وَلاَ تَبْقَى قِبْلَةُ التَّوَجُّهِ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرَ الْمَعْبُودِ الْوَاحِدِ الْحَقِيقِيِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَلاَ يُخْتَارُ عَلَيْهِ مَقْصِدٌ مَا أَصْلاً سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ أَوْ مِنَ الْمَطَالِبِ الدُّنْيَاوِيَّةِ. وَالْمَقَاصِدُ الدِّينِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَكِنَّهَا مِنْ شُغْلِ الْأَبْرَارِ، وَالْمُقَرَّبُونَ يَرَوْنَهَا سَيِّئَةً وَلاَ يَعُدُّونَ سِوَى الْوَاحِدِ مِنَ الْمَقَاصِدِ. وَحُصُولُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَنُوطٌ بِحُصُولِ الْفَنَاءِ وَتَحَقُّقِ الْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الْإِنْعَامُ وَالْإِيلاَمُ، وَيَحْصُلُ مِنَ الْإِلْتِذَاذِ مِنَ التَّعْذِيبِ مِثْلُ مَا يَحْصُلُ مِنَ التَّنْعِيمِ، فَإِنْ أَرَادُوا الْجَنَّةَ إِنَّمَا يُرِيدُونَهَا لِكَوْنِهَا مَحَلَّ رِضَائِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَفِي طَلَبِهَا مَرْضَاهُ سُبْحَانَهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذُوا مِنَ النَّارِ إِنَّمَا يَسْتَعِيذُونَ مِنْهَا لِكَوْنِهَا مَحَلَّ سَخَطِهِ تَعَالَى، لاَ أَنَّ مَقْصُودَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ اسْتِيفَاءُ الْحُظُوظِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلاَ فِرَارُهُمْ مِنَ النَّارِ لِخَوْفِ الْأَلَمِ وَالْأَذِيَّةِ. فَإِنَّ كُلَّمَا يَحْصُلُ مِنَ الْمَحْبُوبِ فَهُوَ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ مَحْبُوبٌ وَمَرْغُوبٌ وَعَيْنُ الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّ كُلَّمَا يَفْعَلُهُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ وَهَهُنَا تَتَيَسَّرُ حَقِيقَةُ الْإِخْلاَصِ وَيَحْصُلُ الْخَلاَصُ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ وَتَصِحُّ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَبِدُونِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ. وَالْأَمْرُ مِنْ غَيْرِ حُصُولِ الْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ الْحَاصِلَةِ بِلاَ مُلاَحَظَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَبِلاَ تَوَسُّطِ إِنْعَامِ الْمَحْبُوبِ وَإِكْرَامِهِ لاَ يَخْلُو مِنَ الْخَلَلِ، وَالْفَنَاءُ الْمُطْلَقُ لاَ يَحْصُلُ بِدُونِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ الْمُحْرِقَةِ الْمُبْطِلَةِ لِلشِّرْكَةِ، (شِعْرٌ):

مَا الْعِشْقُ إِلاَّ شُعْلَةٌ قَدْ أَحْرَقَتْ *** كُلَّ الْوَرَى غَيْرَ الْحَبِيبِ الْبَاقِي

قَدْ هَزَّ فِي قَتْلِ السِّوَى صَمْصَامُ لاَ *** فَانْظُرْ إِلَى مَا بَعْدَ لاَ مَا الْبَاقِي

بُشْرَاكَ يَا صَاحِ قَدِ احْتَرَقَ الْوَرَى *** لَمْ يَبْقَ غَيْرُ إِلَهِنَا الْخَلاَّقِ

(٣٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ فِي بَيَانِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ مُتَكَفِّلَةٌ بِجَمِيعِ السَّعَادَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالطَّرِيقَةَ وَالْحَقِيقَةَ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ إِلَى الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ اللاَّهُورِيِّ

حَقَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ بِحَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا. (اعْلَمْ): أَنَّ لِلشَّرِيعَةِ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ وَالْإِخْلاَصُ. وَمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ كُلٌّ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ الثَّلاَثَةِ لاَ تَتَحَقَّقُ الشَّرِيعَةُ، وَمَتَى تَحَقَّقَتِ الشَّرِيعَةُ فَقَدْ تَحَقَّقَ رِضَا الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ فَوْقَ جَمِيعِ السَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ، فَكَانَتِ الشَّرِيعَةُ مُتَكَفِّلَةً بِجَمِيعِ السَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ مَطْلَبٌ يَقَعُ فِيهِ الْإِحْتِيَاجُ إِلَى مَا وَرَاءَ الشَّرِيعَةِ. (وَالطَّرِيقَةُ) وَالْحَقِيقَةُ اللَّتَانِ امْتَازَتْ بِهِمَا الصُّوفِيَّةُ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ فِي تَكْمِيلِ جُزْئِهَا الثَّالِثِ الَّذِي هُوَ الْإِخْلاَصُ فَالْمَقْصُودُ مِنْ تَحْصِيلِ كُلٍّ مِنْهُمَا تَكْمِيلُ الشَّرِيعَةِ لاَ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ الشَّرِيعَةِ. وَالْأَحْوَالُ وَالْمَوَاجِيدُ وَالْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ الَّتِي تَحْصُلُ لِلصُّوفِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ لَيْسَتْ مِنَ الْمَقَاصِدِ بَلْ هِيَ أَوْهَامٌ وَخَيَالاَتٌ تُرَبَّى بِهَا أَطْفَالُ الطَّرِيقَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَأَنْ يَصِلَ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا الَّذِي هُوَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ السُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ. فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ

طيِّ منازل الطريقة والحقيقة ليس هو شيء غير تحصيل الإخلاص المستلزم لحصول مقام الرضا ويوصل إلى دولة الإخلاص. ومقام الرضا واحد من ألوف بعد العبور به من التجليات الثلاثة ومشاهدات العارفين. (والقاصرون) هم الذين يعدّون الأحوال والمواجيد من المقاصد ويظنون المشاهدات والتجليات من المطالب فلا جرم يبقون في حبس الوهم والخيال ويحرمون كمالات الشريعة بهذا الإعتقاد **كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**[1].

نعم إنَّ حصول مقام الإخلاص والوصول إلى مرتبة الرضا منوط بطيِّ هذه الأحوال والمواجيد ومربوط بتحقق هذه العلوم والمعارف فتكون هذه الأشياء معدّات للمطلوب ومقدمات للمقصود. وحقيقة هذا المعنى اتضحت للفقير بعد الإشتغال بهذا الطريق عشر سنين بالتمام ببركة حبيب الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام والتحلي شاهد الشريعة كما ينبغي. وفيما قبل وإن لم يكن لي تعلق بالأحوال والمواجيد ولم يكن في نظري مطلب غير التحقق بحقيقة الشريعة، ولكن ظهرت حقيقة الأمر بعد عشرة كاملة ظهورًا بيّنًا والحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه مباركًا عليه. وخبر موت المغفور له الشيخ ميان جمال باعث على حزن جميع الإسلام وتفرقة خواطرهم. والملتمس تعزية أولاد المرحوم المتوفى وقراءة الفاتحة من جانب الفقير والسلام.

(٣٧) المكتوب السابع والثلاثون صدر إلى الشيخ محمد الجتري في التحريض على متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية والترغيب في تحصيل النسبة النقشبندية العلية قدس سرهم

قد حصل السرور والإبتهاج بمطالعة المكتوب الشريف الذي صدر على وجه الكرم، وقد اندرج فيه بيان استقامتكم وثباتكم على هذه الطريقة النقشبندية والحمد لله سبحانه على ذلك يكرمكم الله سبحانه بترقيات غير متناهية ببركة أكابر هذه الطريقة العلية، وطريقهم كبريت أحمر مبني على متابعة السنة السنية على مصدرها الصلاة والسلام والتحية. ويكتب هذا الفقير بيانًا لنقد وقته. وحاصله أن العلوم والمعارف والأحوال والمقامات قد أفيضت عليَّ مدة مديدة مثل مطر الربيع، وكلما يلزم فعله فقد فعل بعناية الله تعالى والآن ما بقي تمنٍّ غير إحياء سنة من السنن المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية والأحوال والمواجيد إنما هي منظورة لأرباب الذوق ينبغي أن يعمر الباطن بنسبة خواجكان قدس الله أسرارهم وأن يحلي الظاهر بالكلية بمتابعة السنن الظاهرة (ع) **هذا هو الشغل والباقي خيالات** *

---

(١) الآية: ١٣ من سورة الشورى.

وَيَنْبَغِي أَنْ تُؤَدُّوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِهَا غَيْرَ الْعِشَاءِ وَقْتَ الشِّتَاءِ فَإِنَّ تَأْخِيرَهَا إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ مُسْتَحَبٌّ. وَالْفَقِيرُ مُضْطَرٌّ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَا أُرِيدُ تَأْخِيرَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَالْعَجْزُ الْبَشَرِيُّ مُسْتَثْنًى.

(٣٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ صَدَرَ أَيْضًا إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْجَتْرِيِّ فِي بَيَانِ التَّعَلُّقِ بِالذَّاتِ الْبَحْتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ الْمُنَزَّهِ عَنِ اعْتِبَارِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ وَفِي مَذَمَّةِ النَّاقِصِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا الْمُنَزَّهَ عَنِ الْمِثْلِ مِثْلِيًّا وَاللَّاكَيْفِيَّ كَيْفِيًّا فَتَعَلَّقُوا بِهِ وَافْتُتِنُوا وَبَيَانِ تَفَاوُتِ الْأَقْدَامِ فِي الْفَنَاءِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَيْهِ تَفَاوُتُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ

قَدْ أَوْرَثَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ بِوُصُولِهِ فَرَحًا كَثِيرًا جَعَلَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مَعَهُ دَائِمًا وَلَا يَتْرُكُنَا بِغَيْرِهِ لَحْظَةً، وَكُلُّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَاتِهِ الْبَحْتِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِالْغَيْرِ وَالسِّوَى وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ، وَمَا قَالَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ أَنَّ صِفَاتِهِ تَعَالَى لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ لَهُ مَعْنًى آخَرُ فَإِنَّهُمْ أَرَادُوا بِالْغَيْرِ الْغَيْرَ الْمُصْطَلَحَ وَنَفَوُا الْغَيْرِيَّةَ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا بِالْمَعْنَى الْمُطْلَقِ، وَنَفْيُ الْخَاصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْعَامِّ، وَلَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنِ الذَّاتِ بِغَيْرِ السُّلُوبِ وَكُلُّ إِثْبَاتٍ فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ إِلْحَادٌ، وَأَفْضَلُ التَّعْبِيرَاتِ وَأَجْمَعُ الْعِبَارَاتِ فِيهَا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] وَمَعْنَاهُ بِالْفَارِسِيَّةِ: (بي چون وبي چه گونه) وَلَا سَبِيلَ لِلْعِلْمِ وَالشُّهُودِ وَالْمَعْرِفَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، كُلُّ مَا تَرَاهُ الْعُيُونُ أَوْ وَعَاهُ الْآذَانُ أَوْ حَوَاهُ الظُّنُونُ فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالَى. وَالتَّعَلُّقُ بِهِ تَعَلُّقٌ بِالْغَيْرِ فَيَلْزَمُ نَفْيُهُ بِكَلِمَةِ لَا إِلَهَ وَإِثْبَاتُ الذَّاتِ الْمُنَزَّهَةِ عَنِ الْمِثْلِ بِكَلِمَةِ إِلَّا اللَّهُ وَهَذَا الْإِثْبَاتُ يَكُونُ أَوَّلًا بِالتَّقْلِيدِ ثُمَّ يَنْقَلِبُ أَخِيرًا إِلَى التَّحْقِيقِ. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَرْبَابِ السُّلُوكِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا نِهَايَةَ الْأَمْرِ الْمِثْلِيَّ وَالْمُكَيَّفَ عَيْنَ الْمُنَزَّهِ عَنِ الْمِثْلِ وَالْكَيْفِ وَقَالُوا بِإِمْكَانِ تَطَرُّقِ الشُّهُودِ وَالْمَعْرِفَةِ إِلَيْهِ. وَأَرْبَابُ التَّقْلِيدِ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ بِمَرَاتِبَ، فَإِنَّ تَقْلِيدَهُمْ مُقْتَبَسٌ مِنْ مِشْكَاةِ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَا سَبِيلَ لِلْخَطَإِ إِلَيْهِ، وَمُقْتَدَى هَؤُلَاءِ الْقَاصِرِينَ الْكَشْفُ غَيْرُ الصَّحِيحِ. (ع) وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا * وَهَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةُ مُنْكِرُونَ لِلذَّاتِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ أَثْبَتُوا شُهُودَ الذَّاتِ، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ نَفْسَ الْإِثْبَاتِ هُنَا هُوَ عَيْنُ الْإِنْكَارِ، وَقَدْ قَالَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ الْكُوفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: "سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَلَكِنْ عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ" وَعَدَمُ أَدَاءِ حَقِّ الْعِبَادَةِ ظَاهِرٌ، وَأَمَّا حُصُولُ حَقِّ الْمَعْرِفَةِ فَمَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ نِهَايَةَ

---

(١) الآية: ١١ من سورة الشورى.

الْمَعْرِفَة فِي الذَّاتِ تَعَالَى شَأْنُهَا لَيْسَتْ إِلاَّ مَعْرِفَتُهَا بِعُنْوَانِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١) وَلاَ يَظُنُّ الأَبْلَهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْمُبْتَدِئَ وَالْمُنْتَهِي مُتَسَاوُوا الأَقْدَامِ فِي هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لِلْمُبْتَدِئِ وَالْمَعْرِفَةَ لِلْمُنْتَهِي وَهِيَ لاَ تَحْصُلُ بِدُونِ الْفَنَاءِ وَلاَ تَتَيَسَّرُ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِغَيْرِ الْفَانِي. قَالَ الْمَوْلَوِيُّ فِي الْمَثْنَوِي.

شِعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا *** فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيلٌ

فَتَكُونُ الْمَعْرِفَةُ إِذًا وَرَاءَ الْعِلْمِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ وَرَاءَ الْعِلْمِ وَالإِدْرَاكِ الْمُتَعَارَفِ أَمْرًا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْمَعْرِفَةِ وَيُقَالُ لَهُ الإِدْرَاكُ الْبَسِيطُ أَيْضًا، (شِعْرٌ):

خَلِيلِي مَا هَذَا بِهَزْلٍ وَإِنَّمَا *** حَدِيثٌ عَجِيبٌ مِنْ بَدِيعِ الْغَرَائِبِ

غَيْرُهُ مِنَ الْمَثْنَوِي (شِعْرٌ):

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ *** اتِّصَالاً دُونَ كَيْفٍ وَقِيَاسٍ

قُلْتُ نَاسًا دُونَ نَسْنَاسِ الْفَلاَ *** لَيْسَ نَاسٌ غَيْرَ رُوحٍ فِي الْمَلاَ

وَلَمَّا كَانَتِ الأَقْدَامُ مُتَفَاوِتَةً فِي الْفَنَاءِ لاَ جَرَمَ وُجِدَ التَّفَاوُتُ فِي الْمَعْرِفَةِ بَيْنَ الْمُنْتَهِينَ، فَمَنْ كَانَ فَنَاؤُهُ أَتَمَّ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ أَكْمَلَ، وَمَنْ كَانَ دَوْلَتُهُ فِي الْفَنَاءِ يَكُونُ دَوْلَتُهُ فِي الْمَعْرِفَةِ. وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ سُبْحَانَ اللَّهِ انْجَرَّ الْكَلاَمُ مِنْ أَيْنَ إِلَى أَيْنَ بَلْ كَانَ اللاَّئِقُ بِحَالِي أَنْ أَكْتُبَ مِنْ عَدَمِ حَاصِلِي وَعَدَمِ حُصُولِ مُرَادِي وَعَدَمِ ثَبَاتِي وَاسْتِقَامَتِي وَطَلَبِ الْمَعُونَةِ وَالْمَدَدِ مِنَ الأَحْبَابِ وَأَيُّ مُنَاسَبَةٍ لِي بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ. شِعْرٌ:

مَنْ لَمْ يَكُنْ خَبَرٌ لَهُ عَنْ نَفْسِهِ *** هَلْ يَقْدِرُ الاخْبَارَ مِنْ هَذَا وَذَا

وَلَكِنَّ الْهِمَّةَ الْعَالِيَةَ وَالطِّينَةَ السَّامِيَةَ لاَ تَتْرُكُنِي أَنْ أَقْنَعَ بِضَاعَةٍ دَنِيَّةٍ وَدُعَابَةٍ رَدِيَّةٍ، فَلاَ جَرَمَ أَتَرَقَّى عَنْ مَرْتَبَتِي فَإِذَا قُلْتُ فَمِنْهُ أَقُولُ وَإِنْ كَانَ لاَ شَيْئًا، وَإِذَا طَلَبْتُ فَإِيَّاهُ أَطْلُبُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ لِي حَاصِلٌ فَهُوَ حَاصِلِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا وَإِنْ كُنْتُ وَاصِلاً فَإِلَيْهِ وُصُولِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي حُصُولٌ. وَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَاتِ بَعْضِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ مِنَ الشُّهُودِ الذَّاتِي لاَ يَظْهَرُ مَعْنَاهُ لِغَيْرِ أَرْبَابِ الْكَمَالِ وَفَهْمُهُ مُحَالٌ لِلنَّاقِصِينَ وَالْقَاصِرِينَ. شِعْرٌ

لَيْسَ يَدْرِي الأَغْبِيَا حَالَ الْكِرَامِ *** فَاقْصِرِ الأَقْوَالَ وَاسْكُتْ وَالسَّلاَمُ

---

(١) الآية: ١١ من سورة الشورى.

وَقَدْ حُرِّرَ فِي عُنْوَانِ الْمَكْتُوبِ كَلِمَةُ "هُوَ الظَّاهِرُ هُوَ الْبَاطِنُ" أَيُّهَا الْمَخْدُومُ إِنَّ هُوَ الظَّاهِرُ هُوَ الْبَاطِنُ صَحِيحٌ، وَلَكِنَّ هَذَا الْفَقِيرَ لاَ يَفْهَمُ مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ مَعْنَى التَّوْحِيدِ يَعْنِي الْوُجُودِيَّ مِنْ مُدَّةٍ بَلْ أَنَا مُتَّفِقٌ بِالْعُلَمَاءِ فِي فَهْمِ مَعْنَاهُ وَمُوَافِقُهُمْ فِي صِحَّتِهِ فَإِنَّ صِحَّةَ كَلاَمِهِمْ قَدْ صَارَتْ مَعْلُومَةً لَدَيَّ فَوْقَ صِحَّةِ قَوْلِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ "كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ" (١) (ع) لِكُلٍّ مِنَ الإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ *

وَمَا يَلْزَمُ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ بُدَّ لَهُ مِنْهُ وَهُوَ مُكَلَّفٌ بِهِ امْتِثَالُ الأَوَامِرِ وَالإِنْتِهَاءُ عَنِ الْمَنَاهِي ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٢) وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مَأْمُورًا بِالإِخْلاَصِ، وَالإِخْلاَصُ لاَ يُتَصَوَّرُ بِدُونِ الْفَنَاءِ وَالْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ لاَ جَرَمَ يَنْبَغِي أَنْ يُحَصِّلَ مُقَدِّمَاتِ الْفَنَاءِ الَّتِي هِيَ الْمَقَامَاتُ الْعَشَرَةُ وَالْفَنَاءُ وَإِنْ كَانَ نَفْسُهُ مَوْهِبَةً مَحْضَةً وَلَكِنَّ مُقَدِّمَاتِهِ وَمَبَادِيَهُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْكَسْبِ، وَإِنْ تَشَرَّفَ الْبَعْضُ بِحَقِيقَةِ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ تَجَشُّمِ كَسْبٍ مِنْهُ فِي مُقَدِّمَاتِهِ وَتَصْفِيَةِ حَقِيقَتِهِ بِالرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ وَحِينَئِذٍ لاَ يَخْلُو حَالُهُ مِنْ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ. إِمَّا أَنْ يُوقَفَ فِي مَوْقِفِ الْوَاقِفِينَ، أَوْ يُرْجَعَ إِلَى الْعَالَمِ لِتَكْمِيلِ النَّاقِصِينَ. فَعَلَى التَّقْدِيرِ الأَوَّلِ لاَ يَقَعُ سَيْرُهُ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَلاَ يَكُونُ لَهُ خَبَرٌ عَنْ تَفَاصِيلِ التَّجَلِّيَاتِ الأَسْمَائِيَّةِ وَالصِّفَاتِيَّةِ. وَعَلَى التَّقْدِيرِ الثَّانِي يَقَعُ سَيْرُهُ فِي تَفَاصِيلِ الْمَقَامَاتِ حِينَ رُجُوعِهِ إِلَى الْعَالَمِ وَيَتَشَرَّفُ بِتَجَلِّيَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ وَتَكُونُ لَهُ صُورَةُ الْمُجَاهَدَةِ، وَلَكِنْ هُوَ فِي كَمَالِ الذَّوْقِ وَاللَّذَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ بِالظَّاهِرِ فِي الرِّيَاضَاتِ وَبِالْبَاطِنِ فِي التَّنَعُّمِ وَاللَّذَّاتِ (ع) وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ *

(لاَ يُقَالُ) إِنَّ الإِخْلاَصَ إِذَا كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَأْمُورَاتِ الْوَاجِبَةِ الإِمْتِثَالِ وَلَمْ تَتَحَقَّقْ حَقِيقَتُهُ بِدُونِ الْفَنَاءِ يَكُونُ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ وَالأَخْيَارُ عَاصِينَ بِتَرْكِ الإِخْلاَصِ لِعَدَمِ تَشَرُّفِهِمْ بِحَقِيقَةِ الْفَنَاءِ لأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: {فأما من أعطى واتقى}، ومسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله، عن علي رضي الله عنه قال: " كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } ".

والحديث أخرجه أيضا: عبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، وابن جرير الطبري في تفسيره (حديث: ٢٥٤١٥).

شرح الحديث: قال الطِّيبيُّ: " الجواب من الأسلوب الحكيم منعهم عن ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية وزجرهم عن التصرف في الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار بل هي علامات فقط ".

وقال الحافظ في فتح الباري: " وفي الحديث أن الأقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة "

(٢) الآية: ٧ من سورة الحشر.

نَفْسَ ٱلإِخْلَاصِ حَاصِلٌ لَهُمْ وَلَوْ فِي ضِمْنِ بَعْضِ أَفْرَادِ ٱلإِخْلَاصِ، وَٱلْمُتَوَقِّفُ عَلَى الْفَنَاءِ إِنَّمَا هُوَ كَمَالُ ٱلإِخْلَاصِ الَّذِي يَشْمَلُ جَمِيعَ أَفْرَادِ ٱلإِخْلَاصِ وَلِهَذَا قِيلَ لاَ يَحْصُلُ حَقِيقَةُ ٱلإِخْلَاصِ بِدُونِ الْفَنَاءِ دُونَ أَنْ يُقَالَ نَفْسُ ٱلإِخْلَاصِ.

(٣٩) ٱلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ صَدَرَ أَيْضًا إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْجَتْرِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ مَدَارَ ٱلأَمْرِ عَلَى الْقَلْبِ وَأَنَّهُ لاَ يُفْتَحُ شَيْءٌ مِنْ مُجَرَّدِ ٱلأَعْمَالِ الصُّورِيَّةِ وَالْعِبَادَاتِ الرَّسْمِيَّةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ٱلإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ وَٱلإِقْبَالَ عَلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُحَرَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. اعْلَمْ أَنَّ مَدَارَ ٱلأَمْرِ عَلَى الْقَلْبِ. فَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ مَفْتُونًا وَمُتَعَلِّقًا بِغَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَذَلِكَ الْقَلْبُ خَرَابٌ وَأَبْتَرُ وَلاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ مِنْ مُجَرَّدِ ٱلأَعْمَالِ الصُّورِيَّةِ وَالْعِبَادَاتِ الرُّسُومِيَّةِ بَلْ لاَ بُدَّ فِي كُلٍّ مِنْ سَلَامَةِ الْقَلْبِ مِنَ ٱلِالْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ تَعَالَى وَٱلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْبَدَنِ الَّتِي أَمَرَ الشَّرْعُ بِفِعْلِهَا، وَدَعْوَى سَلَامَةِ الْقَلْبِ بِدُونِ إِتْيَانِ ٱلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَاطِلَةٌ كَمَا أَنَّ وُجُودَ الرُّوحِ بِلاَ بَدَنٍ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ وَحُصُولُ ٱلأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ مِنْ غَيْرِ حُصُولِ ٱلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْقَالَبِيَّةِ مُحَالٌ. وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُلْحِدِينَ يَدَّعُونَ هَذِهِ الدَّعْوَى فِي هَذَا الزَّمَانِ. نَجَّانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ مُعْتَقَدَاتِهِمُ السَّيِّئَةِ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ.

(٤٠) ٱلْمَكْتُوبُ ٱلأَرْبَعُونَ صَدَرَ أَيْضًا إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْجَتْرِيِّ فِي بَيَانِ تَحْصِيلِ ٱلإِخْلَاصِ الَّذِي هُوَ جُزْءٌ مِنَ ٱلأَجْزَاءِ الثَّلَاثَةِ لِلشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ وَأَنَّ الطَّرِيقَةَ وَالْحَقِيقَةَ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ فِي تَكْمِيلِ هَذَا الْجُزْءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ وَنُسَلِّمُ. أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: قَدْ صَارَ مَعْلُومًا لِي بَعْدَ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَقَطْعِ مَقَامَاتِ الْجَذْبَةِ، أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ تَحْصِيلُ مَقَامِ ٱلإِخْلَاصِ الْمَرْبُوطِ حُصُولُهُ بِفَنَاءِ ٱلآلِهَةِ ٱلآفَاقِيَّةِ وَٱلأَنْفُسِيَّةِ. وَهَذَا ٱلإِخْلَاصُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الشَّرِيعَةِ فَإِنَّ لِلشَّرِيعَةِ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ وَٱلإِخْلَاصُ. فَالطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ فِي تَكْمِيلِ جُزْءِ ٱلإِخْلَاصِ وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ ٱلأَمْرِ، وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ فَهْمَ كُلِّ أَحَدٍ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ خَلْقِ الْعَالَمِ قَدِ اطْمَأَنُّوا بِالْمَنَامِ وَالْخَيَالِ وَاكْتَفَوْا بِالْجَوْزِ وَالْمَوْزِ، فَمَاذَا يُدْرِكُونَ مِنْ كَمَالَاتِ الشَّرِيعَةِ وَأَنَّى يَصِلُونَ إِلَى حَقِيقَةِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ، فَيَزْعُمُونَ الشَّرِيعَةَ قِشْرًا وَالْحَقِيقَةَ

لُبًا وَلاَ يَدْرُونَ مَا حَقِيقَةُ الْمُعَامَلَةِ بَلْ يَغْتَرُّونَ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَيَفْتَتِنُونَ بِالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ السُّفْلِيَّةِ، هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الطَّرِيقِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ.

(٤١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى الشَّيْخِ دَرْوِيش فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَبَيَانِ أَنَّ الطَّرِيقَةَ وَالْحَقِيقَةَ مُتَمِّمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّحَلِّيَ وَالتَّزَيُّنَ بِمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْبُوبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَكُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ وَمَرْغُوبٍ فَهُوَ لِأَجْلِ الْمَطْلُوبِ وَالْمَحْبُوبِ ; وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كَلاَمِهِ الْمَجِيدِ ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [١] وَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَيْضًا ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٢] وَقَالَ أَيْضًا ﴿أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [٣] فَسَمَّى مِلَّتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَجَعَلَ مَا سِوَاهَا دَاخِلاً فِي السُّبُلِ وَمَنَعَ عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِظْهَارًا لِلشُّكْرِ وَإِعْلاَمًا لِلْخَلْقِ وَهِدَايَةً لَهُمْ "خَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ" [٤] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَيْضًا "أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي" [٥] وَالْبَاطِنُ مُتَمِّمٌ لِلظَّاهِرِ وَمُكَمِّلٌ لَهُ لاَ مُخَالَفَةَ بَيْنَهُمَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ، مَثَلاً عَدَمُ التَّكَلُّمِ بِالْكَذِبِ شَرِيعَةٌ وَنَفْيُ الْكَذِبِ عَنِ الْخَاطِرِ طَرِيقَةٌ وَحَقِيقَةٌ. فَإِنْ ذَلِكَ النَّفْيُ لَوْ كَانَ بِالتَّعَمُّلِ وَالتَّكَلُّفِ فَطَرِيقَةٌ وَإِلاَّ فَحَقِيقَةٌ فَكَانَ الْبَاطِنُ الَّذِي هُوَ الطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ مُتَمِّمًا وَمُكَمِّلاً فِي الْحَقِيقَةِ لِلظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ الشَّرِيعَةُ، فَإِنْ ظَهَرَ لِسَالِكِي سُبُلِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِمْ أُمُورٌ مُخَالِفَةٌ لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَأَظْهَرُوا ذَلِكَ فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى سُكْرِ الْوَقْتِ وَغَلَبَةِ الْحَالِ، فَإِنْ جَاوَزُوا ذَلِكَ الْمَقَامَ وَخَرَجُوا مِنْ مَضِيقِ السُّكْرِ إِلَى فَضَاءِ الصَّحْوِ، تَرْتَفِعُ تِلْكَ الْمُنَافَاةُ بِالْكُلِّيَّةِ وَتَكُونُ تِلْكَ الْعُلُومُ الْمُتَضَادَّةُ هَبَاءً مَنْثُورًا، مَثَلاً قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ السُّكْرِ بِالْإِحَاطَةِ الذَّاتِيَّةِ وَرَأَوْا أَنَّ الْحَقَّ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ بِالذَّاتِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَهَذَا الْحُكْمُ مُخَالِفٌ لِآرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ; فَإِنَّهُمْ قَائِلُونَ بِإِحَاطَةٍ عِلْمِيَّةٍ، وَآرَاءُ

---

(١) الآية: ٤ من سورة القلم.

(٢) الآية: ٣ من سورة يس.

(٣) الآية: ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٤) قوله: " وخير الهدى هدى محمد " أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

وأخرجه البخاري موقوفا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب: الأدب، باب: في الهدي الصالح.

(٥) قوله: " أدبني ربي فأحسن تأديبي " أخرجه ابن السمعاني في أدب الاملاء والاستملاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ورمز السيوطي في الجامع الصغير برمز الصحة قال السخاوي سنده ضعيف ومعناه صحيح وهو كذلك. (القزاني رحمة الله عليه)

العلماء أقرب إلى الصواب في الحقيقة، وإذا قال هؤلاء الصوفية بنفسهم بأن ذات الحق سبحانه وتعالى لا يحكم عليها بحكم يكون الحكم عليها بالإحاطة والسريان مخالفا لهذا القول. والحق أن ذاته تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾[1] لا سبيل لحكم من الأحكام إليها أصلا، بل في ذلك الموطن الحيرة الصرفة والجهالة المحضة فكيف يتطرق السريان والإحاطة إليها ويمكن الإعتذار من جانب الصوفية القائلين بهذه الأحكام بأن مرادهم بالذات هو التعين الأول فإنهم لما لم يقولوا بزيادة ذلك التعين على المتعين قالوا بذلك التعين عين الذات وذلك التعين الأول المعبر عنه بالواحدية سار في جميع الممكنات فحينئذ يصح الحكم بالإحاطة الذاتية. (وههنا) دقيقة ينبغي أن يعلم أن ذات الحق تعالى وتقدس عند علماء أهل الحق منزهة عن المثل والكيف وكل ما سواها زائد عليها حتى ان ذلك التعين لو كان ثابتا عندهم لكان زائدا على الذات وخارجا عن دائرة اللامثلية واللاكيفية، فلا يقال إحاطته إحاطة ذاتية. فكان نظر العلماء أعلى من نظر هؤلاء الصوفية ؛ فإن الذات عندهم كانت داخلة فيما سواها عند العلماء. وعلى هذا القياس القرب والمعية الذاتيان وموافقة المعارف الباطنية لعلوم ظاهر الشريعة بتمامها وكمالها بحيث لا يبقى مجال المخالفة في النقير والقطمير، إنما هي في مقام الصديقية الذي هو فوق مقام الولاية وفوق مقام الصديقية مقام النبوة. والعلوم الحاصلة للنبي بطريق الوحي منكشفة للصديق بطريق الإلهام وليس بين هذين العلمين فرق سوى كون حصول أحدهما بالوحي والآخر بالإلهام، فكيف يكون للمخالفة مجال فيه وفي كل مقام دون مقام الصديقية نحو من السكر.

والصحو التام إنما هو في مقام الصديقية فحسب وفرق آخر بين هذين العلمين أن في الوحي قطعا وفي الإلهام ظنا فإن الوحي بتوسط الملك والملائكة معصومون ليس فيهم احتمال الخطأ، والإلهام وإن كان له المحل العلي والمنزل الأعلى الذي هو القلب الذي هو من عالم الأمر لكن للقلب نحو من التعلق بالعقل والنفس، والنفس وإن صارت مطمئنة بالتزكية لكنها لا ترجع عن صفاتها أصلا باطمئنانها فكان للخطأ مجال في ذلك الميدان.

ومما ينبغي أن يعلم: أن لبقاء صفات النفس مع وجود اطمئنانها منافع كثيرة وفوائد عديدة فإنه لو كانت النفس منتزعة عن ظهور صفاتها بالكلية لكان طريق الترقي مسدودا ولظهر في الروح صفة الملك بحيث تصير محبوسة في مقامها فإن ترقيها إنما هو بواسطة مخالفتها النفس، فإن لم تبق في النفس مخالفة فمن أين يحصل الترقي ولما رجع سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات من الجهاد مع الكفار مرة قال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"[2] فقال للجهاد مع النفس

---

(١) الآية: ١١ من سورة الشورى.

(٢) قال السيوطي روى الخطيب في تاريخه من حديث جابر قال قدم النبي عليه السلام من غزاة لهم فقال النبي عليه السلام قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال مجاهدة العبد هواه انتهى من موضوعات علي

"جِهَادًا أَكْبَرَ" وَمُخَالَفَةُ النَّفْسِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ إِنَّمَا تَكُونُ بِتَرْكِ أَدْنَى عَزِيمَةٍ بَلْ بِإِرَادَتِهَا ذَلِكَ التَّرْكَ مَهْمَا أَمْكَنَ لِعَدَمِ تَصَوُّرِ تَحَقُّقِ التَّرْكِ فِيهِ. وَيَحْصُلُ بِهَذِهِ الْإِرَادَةِ مِنَ النَّدَامَةِ وَالْخَجَالَةِ وَالْاِلْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ مَا يَتَيَسَّرُ بِهَا فَوَائِدُ أُمُورِ سَنَةٍ مَثَلًا فِي سَاعَةٍ لَطِيفَةٍ.

(وَلْنَرْجِعْ) إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ وَنَقُولُ: كُلَّمَا يُوجَدُ فِيهِ شَمَائِلُ الْمَحْبُوبِ وَأَخْلَاقُهُ يَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ أَيْضًا مَحْبُوبًا بِتَبَعِيَّةِ الْمَحْبُوبِ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (١) بَيَانٌ لِهَذَا الرَّمْزِ فَالسَّعْيُ فِي مُتَابَعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجُرُّ إِلَى الْمَحْبُوبِيَّةِ فَعَلَى كُلِّ عَاقِلٍ ذِي لُبٍّ السَّعْيُ فِي كَمَالِ اتِّبَاعِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَقَدِ انْجَرَّ الْكَلَامُ إِلَى التَّطْوِيلِ وَالْمَأْمُولُ مُسَامَحَتُكُمْ وَجَمَالُ الْكَلَامِ إِذَا كَانَ مِنَ الْجَمِيلِ الْمُطْلَقِ يَزْدَادُ حُسْنًا كُلَّمَا يَزْدَادُ طُولًا ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (٢) وَلْنَنْقُلِ الْكَلَامَ إِلَى مَحَلٍّ آخَرَ وَنَقُولُ: إِنَّ حَامِلَ هَذِهِ الرُّقَيْمَةِ مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ حَافِظٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَكَثِيرُ الْعِيَالِ وَبِسَبَبِ قِلَّةِ أَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْعَسْكَرِ فَإِنْ بَذَلْتُمْ فِي حَقِّهِ الْعِنَايَةَ وَالْاِلْتِفَاتَ وَكَلَّمْتُمُ الرَّئِيسَ الْمَنْصُورَ الْأَمِيرَ النَّقِيبَ السَّيِّدَ الشَّيْخَ جِيُو لِتَحْصِيلِ الْوَظِيفَةِ أَوِ الْإِمْدَادِ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ يَكُونُ عَيْنَ الْكَرَمِ وَلَا نُصْدِعُ بِأَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ.

(٤٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الْمَصَاقِيلِ لِإِزَالَةِ صَدَاءِ مَحَبَّةِ مَا سِوَى الْحَقِّ مِنَ الْحَقِيقَةِ الْجَامِعَةِ الْقَلْبِيَّةِ مُتَابَعَةُ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ

سَلَّمَكُمُ اللَّهُ وَأَبْقَاكُمْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ مُتَلَوِّثًا بِدَنَسِ التَّعَلُّقَاتِ الشَّتَّى مَحْرُومٌ وَمَهْجُورٌ وَلَا بُدَّ مِنْ تَصْقِيلِ مِرْآةِ الْحَقِيقَةِ الْجَامِعَةِ مِنْ صَدَاءِ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَفْضَلُ الْمَصَاقِيلِ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ الصَّدَاءِ مُتَابَعَةُ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ، وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى رَفْعِ الْعَادَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَدَفْعِ الرُّسُومِ الظُّلْمَانِيَّةِ فَطُوبَى لِمَنْ تَشَرَّفَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى وَوَيْلٌ لِمَنْ حُرِمَ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقُصْوَى وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ أَنَّ أَخِي الْأَعَزَّ مِيَانْ مُظَفَّرَ ابْنَ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ كَهُورَنْ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَأَوْلَادِ

القاري قلت روى السيوطي في جامعة الكبير بعد هذا الحديث أحاديث يعضده منها: " المجاهد من جاهد نفسه " أخرجه الترمذي وابن حبان عن فضالة ابن عبيد ومنها: " أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه " أخرجه ابن النجار عن أبي ذر، ونسبه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء إلى البيهقي من حديث جابر (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(١) الآية: ٣١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية: ١٠٨ من سورة الكهف.

الأَكَابِرِ وَحَوْلَهُ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِه جَمْعٌ كَثِيرٌ فَهُوَ مَحَلُّ التَّرَحُّمِ فَمَاذَا نُصَدِّعُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (١).

(٤٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ إِلَى السَّيِّدِ النَّقِيبِ الشَّيْخِ فَرِيدِ الْبُخَارِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ التَّوْحِيدَ عَلَى قِسْمَيْنِ شُهُودِيٌّ وَوُجُودِيٌّ وَأَنَّ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ هُوَ الشُّهُودِيُّ الْمَرْبُوطُ بِهِ الْفَنَاءُ وَأَنَّهُ فِي مَرْتَبَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ وَمَا فَوْقَهُ فَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ مِنَ الأَسْئِلَةِ وَالأَجْوِبَةِ وَالتَّمْثِيلاَتِ الْمُوَضِّحَةِ

سَلَّمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَصَمَكُمْ عَمَّا يَصِمُكُمْ وَصَانَكُمْ عَمَّا شَانَكُمْ وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي يَظْهَرُ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ عَلَى قِسْمَيْنِ: تَوْحِيدٌ شُهُودِيٌّ، وَتَوْحِيدٌ وُجُودِيٌّ. فَالتَّوْحِيدُ الشُّهُودِيُّ هُوَ مُشَاهَدَةُ الْوَاحِدِ يَعْنِي لاَ يَكُونُ مَشْهُودُ السَّالِكِ غَيْرَ وَاحِدٍ. وَالتَّوْحِيدُ الْوُجُودِيُّ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ السَّالِكُ وَيَعْتَقِدَ الْمَوْجُودَ وَاحِدًا وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَوْ يَظُنَّ غَيْرَهُ مَعْدُومًا وَأَنْ يَزْعُمَ الْغَيْرَ مَعَ اعْتِقَادِ عَدَمِيَّتِهِ مَجَالِيَ ذَلِكَ الْوَاحِدِ وَمَظَاهِرَهُ. فَكَانَ التَّوْحِيدُ الْوُجُودِيُّ مِنْ قَبِيلِ عِلْمِ الْيَقِينِ وَالتَّوْحِيدُ الشُّهُودِيُّ مِنْ قَبِيلِ عَيْنِ الْيَقِينِ وَهُوَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ هَذَا الطَّرِيقِ. فَإِنَّ الْفَنَاءَ لاَ يَتَحَقَّقُ بِدُونِهِ وَلاَ يَتَيَسَّرُ عَيْنُ الْيَقِينِ بِلاَ تَحَقُّقِهِ، فَإِنَّ مُشَاهَدَةَ الأَحَدِيَّةِ بِاسْتِيلاَئِهَا مُسْتَلْزِمَةٌ لِعَدَمِ رُؤْيَةِ مَا سِوَاهُ بِخِلاَفِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ فَإِنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ حَاصِلٌ بِدُونِ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ ؛ لأَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ لَيْسَ بِمُسْتَلْزِمٍ لِنَفْيِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِ عِلْمِ مَا سِوَاهُ وَقْتَ غَلَبَةِ عِلْمِ ذَلِكَ الْوَاحِدِ وَاسْتِيلاَئِهِ مَثَلاً إِذَا حَصَلَ لِشَخْصٍ يَقِينٌ بِوُجُودِ الشَّمْسِ فَاسْتِيلاَءُ هَذَا الْيَقِينِ غَيْرُ مُسْتَلْزِمٍ لِلْعِلْمِ بِأَنَّ النُّجُومَ مُنْتَفِيَةٌ وَمَعْدُومَةٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَكِنْ حِينَ رُؤْيَتِهِ الشَّمْسَ لاَ يَرَى النُّجُومَ الْبَتَّةَ وَلاَ يَكُونُ مَشْهُودُهُ غَيْرَ الشَّمْسِ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي لاَ يَرَى فِيهِ النُّجُومَ يَعْلَمُ أَنَّ النُّجُومَ لَيْسَتْ بِمَعْدُومَةٍ بَلْ يَعْلَمُ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّهَا مَسْتُورَةٌ وَفِي تَشَعْشُعِ نُورِ الشَّمْسِ مَغْلُوبَةٌ، وَهَذَا الشَّخْصُ فِي مَقَامِ الإِنْكَارِ لِجَمَاعَةٍ يَنْفُونَ وُجُودَ النُّجُومِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَيَرَى أَنَّ تِلْكَ الْمَعْرِفَةَ غَيْرُ وَاقِعِيَّةٍ. فَالتَّوْحِيدُ الْوُجُودِيُّ الَّذِي هُوَ نَفْيُ مَا سِوَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، بِخِلاَفِ التَّوْحِيدِ الشُّهُودِيِّ فَإِنَّهُ لاَ مُخَالَفَةَ فِي مُشَاهَدَةِ الْوَاحِدِ وَنَفْيِ النُّجُومِ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مَثَلاً، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا مَعْدُومَةٌ مُخَالِفٌ لِلْوَاقِعِ، وَأَمَّا عَدَمُ رُؤْيَةِ النُّجُومِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَلاَ مُخَالَفَةَ فِيهِ أَصْلاً بَلْ هَذَا إِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ غَلَبَةِ ظُهُورِ نُورِ الشَّمْسِ وَضَعْفِ بَصَرِ الرَّائِي فَإِنِ اكْتَحَلَ بَصَرُ الرَّائِي بِنُورِ الشَّمْسِ تَحْصُلُ لَهُ قُوَّةٌ يَرَى بِهَا أَنَّ النُّجُومَ مُمْتَازَةٌ مِنَ الشَّمْسِ وَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ يَعْنِي رُؤْيَةَ النُّجُومِ مُمْتَازَةً مِنَ الشَّمْسِ فِي مَرْتَبَةِ حَقِّ الْيَقِينِ. وَأَقْوَالُ بَعْضِ الْمَشَائِخِ الَّتِي تُرَى مُخَالِفَةً لِظَاهِرِ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الشَّرِيعَةِ الْحَقَّةِ وَنَزَّلَهَا بَعْضُ النَّاسِ إِلَى التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ مِثْلَ قَوْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجِ[1]: أَنَا الْحَقُّ وَقَوْلِ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ[2]: سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي. وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. فَالْأَوْلَى وَالْأَنْسَبُ تَنْزِيلُهَا إِلَى التَّوْحِيدِ الشُّهُودِيِّ وَإِبْعَادُ الْمُخَالَفَةِ عَنْهَا فَإِنَّهُمْ لَمَّا اخْتَفَى مَا سِوَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ عَنْ نَظَرِهِمْ تَكَلَّمُوا بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي غَلَبَةِ ذَلِكَ الْحَالِ وَلَمْ يُثْبِتُوا غَيْرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ. وَمَعْنَى: أَنَا الْحَقُّ. أَنَّهُ الْحَقُّ دُونَ أَنَا فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يَرَ نَفْسَهُ لَمْ يُثْبِتْهُ، لَا أَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ وَقَالَ إِنَّهُ الْحَقُّ فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ.

(لَا يُقَالُ) إِنَّ عَدَمَ الْإِثْبَاتِ مُسْتَلْزِمٌ لِلنَّفْيِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ الْوُجُودِيُّ بِعَيْنِهِ لِأَنَّا نَقُولُ: لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الْإِثْبَاتِ النَّفْيُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ حَيْرَةً بِحَيْثُ قَدْ سَقَطَتِ الْأَحْكَامُ فِيهِ بِالتَّمَامِ وَفِي قَوْلِ: سُبْحَانِي أَيْضًا تَنْزِيهُ الْحَقِّ لَا تَنْزِيهُ الْقَائِلِ نَفْسَهُ فَإِنَّ نَفْسَهُ قَدِ ارْتَفَعَ عَنْ نَظَرِهِ بِالْكُلِّيَّةِ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حُكْمٌ أَصْلًا. وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَظْهَرُ مِنَ الْبَعْضِ فِي مَقَامِ عَيْنِ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الْحَيْرَةِ، فَإِذَا تَرَقَّوْا مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَبَلَغُوا مَرْتَبَةَ حَقِّ الْيَقِينِ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ أَمْثَالِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ وَلَا يَتَعَدَّوْنَ عَنْ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ. وَقَدْ أَشَاعَ التَّوْحِيدَ الْوُجُودِيَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُتَزَيِّينَ بِزِيِّ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ الْكَمَالَ فِيمَا وَرَاءَهُ وَيَقْنَعُونَ مِنَ الْعَيْنِ بِالْعِلْمِ وَيُنْزِلُونَ أَقْوَالَ الْمَشَائِخِ إِلَى مُتَخَيَّلَاتِهِمْ وَيَجْعَلُونَهَا مُقْتَدًى بِهَا لِأَوْقَاتِهِمْ وَسَنَدًا لِأَحْوَالِهِمْ وَيُرَوِّجُونَ سُوقَهُمُ الْكَاسِدَ بِهَذِهِ التَّخَيُّلَاتِ. وَلَئِنْ وَقَعَ فِي عِبَارَاتِ بَعْضِ الْمَشَائِخِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَرْضًا أَلْفَاظٌ صَرِيحَةٌ فِي التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ كَانَ يَنْبَغِي حَمْلُهَا عَلَى أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي الْإِبْتِدَاءِ حِينَ كَوْنِهِمْ فِي مَقَامِ عِلْمِ الْيَقِينِ، ثُمَّ تَرَقَّى حَالُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَجَاوَزُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْعَيْنِ أَخِيرًا.

لَا يُقَالُ هُنَا إِنَّ أَرْبَابَ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ كَمَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْوَاحِدَ فَقَطْ كَذَلِكَ هُمْ لَا يَرَوْنَ إِلَّا الْوَاحِدَ فَقَطْ فَكَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ عَيْنِ الْيَقِينِ أَيْضًا. (**لِأَنَّا نَقُولُ**) إِنَّ أَرْبَابَ هَذَا التَّوْحِيدِ إِنَّمَا يَرَوْنَ صُورَةَ

---

(١) **الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث**: الفارسي البغدادي الصوفي، توفي مصلوبا ببغداد سنة ٣٠٩ ه، له من التصانيف: بستان المعرفة، تفسير سورة الإخلاص، كتاب الأبد، كتاب الأحرف المحدثة والأزلية والأسماء الكلية، كتاب الأمثال، كتاب التوحيد، كتاب الجيم الأصغر، كتاب الجيم الأكبر، كتاب حمل النور والحياة والأرواح، كتاب خزائن الخيرات ويعرف أيضا بالإلف المألوف، كتاب خلق الإنسان والبيان، كتاب خلق خلائق القرآن والاعتبار، كتاب الذاريات ذروا، كتاب سر العالم والمبعوث، كتاب السمري وجوابه، كتاب السياسة إلى حسين بن حمدان، كتاب السياسة والخلفاء والأمراء، كتاب شخص الظلمات، كتاب الصدق والإخلاص، كتاب الصلاة والصلوات، كتاب الصيهور، كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة الزيتونة النورية، كتاب الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية، كتاب العدل والتوحيد، كتاب علم البقاء والفناء، كتاب الغريب والفصيح، كتاب ق: { إن الذي أنزل عليك القرآن لرادك إلى معاد }، كتاب قرآن القرآن والفرقان، كتاب القيامة والقيامات، كتاب الكبر والعظمة، كتاب الكبريت الأحمر، كتاب كيد الشيطان وأمر السلطان، كتاب الكيفية بالمجاز، كتاب الكيفية والحقيقة، كتاب كيف كان وكيف يكون، كتاب لا كيف، كتاب المتجليات، كتاب مدح النبي والمثل الأعلى، كتاب مواجيد العارفين، كتاب النجم إذا هوى، كتاب نور النور، كتاب الوجود الأول، كتاب الوجود الثاني، كتاب هو هو، كتاب الها كل والعالم والعالم، كتاب اليقظة وبدو الخلق، كتاب اليقين.

(٢) **أبو يزيد البسطامي**: طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي بن سروشان أبو يزيد البسطامي، الزاهد المشهور، توفي سنة ٢٦٤ ه له من التصانيف: معارج التحقيق في التصوف، ورسائل أخر.

التَّوْحِيد الشُّهُودِيّ الْمِثَالِيَّة لاَ إِنَّهُمْ تَحَقَّقُوا بِذَلِكَ التَّوْحِيد. وَلاَ مُنَاسَبَةَ لِلتَّوْحِيد الشُّهُودِيّ بِهَذِهِ الصُّورَة الْمِثَالِيَّة فِي الْحَقِيقَة لأَنَّ وَقْتَ حُصُول ذَلِكَ التَّوْحِيد وَقْتُ حَيْرَة لاَ حُكْمَ بِشَيْءٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ، وَصَاحِبُ التَّوْحِيد الْوُجُودِيّ مَعَ شُهُودِهِ لِصُورَة التَّوْحِيد الشُّهُودِيّ الْمِثَالِيَّة مِنْ أَرْبَاب الْعِلْم فَإِنَّهُ يَنْفِي مَا سِوَى الْوَاحِد، وَالنَّفْيُ حُكْمٌ مِنَ الأَحْكَام وَهُوَ مِنْ مَقُولَة الْعِلْم، وَالْعِلْمُ لاَ يَجْتَمِعُ مَعَ الْحَيْرَة، فَثَبَتَ أَنَّ صَاحِبَ التَّوْحِيد الْوُجُودِيّ لاَ حَظَّ لَهُ مِنْ مَقَام عَيْنِ الْيَقِين. نَعَمْ إِذَا وَقَعَ لِصَاحِب التَّوْحِيد الشُّهُودِيّ التَّرَقِّي مِنْ مَقَام الْحَيْرَة يَبْلُغُ مَقَامَ الْمَعْرِفَة الَّتِي هُوَ مَقَامُ حَقِّ الْيَقِين فَيَجْتَمِعُ الْعِلْمُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ مَعَ الْحَيْرَة وَالْعِلْمُ الْحَاصِلُ قَبْلَ الْحَيْرَة وَمَعَ الْحَيْرَة هُوَ عِلْمُ الْيَقِين. (وَيَتَّضِحُ) هَذَا الْجَوَابُ بِمِثَالٍ وَهُوَ أَنَّ شَخْصًا رَأَى نَفْسَهُ مَثَلاً سُلْطَانًا فِي الْمَنَام بِوَاسِطَة مُنَاسَبَة تَتَعَلَّقُ بِمَقَام السَّلْطَنَة، وَوَجَدَ فِي نَفْسِه لَوَازِمَ السَّلْطَنَة، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ لَمْ يَصِرْ سُلْطَانًا بَعْدُ بِهَذِه الرُّؤْيَة بَلْ رَأَى نَفْسَهُ فِي صُورَة السَّلْطَنَة الْمِثَالِيَّة وَلاَ مُنَاسَبَةَ فِي الْحَقِيقَة لِلسَّلْطَنَة بِصُورَتِهَا الْمِثَالِيَّة أَصْلاً، إِلاَّ أَنَّ هَذَا الشُّهُود وَلَوْ كَانَ لِصُورَة مِثَالِيَّة يُؤْذِنُ بِوُجُود الإِسْتِعْدَاد فِي ذَلِكَ الشَّخْصِ لِلتَّحَقُّق بِحَقِيقَة هَذِه الصُّورَة، بِحَيْثُ لَوِ اجْتَهَدَ بِغَايَة جُهْدِه وَكَانَتْ عِنَايَةُ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ شَامِلاً حَالَهُ لَبَلَغَ مَقَامَ السَّلْطَنَة. وَفَرْقٌ مَا بَيْنَ الْقُوَّة وَالْفِعْل كَثِيرٌ، وَكَمْ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ قَابِلِيَّةٌ لأَنْ يَكُونَ مِرْآةً لاَ يَصِلُ إِلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ حَتَّى يَصِيرَ مِرْآةً بِالْفِعْلِ وَلاَ يَحْصُلُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ جَمَالِهِمْ أَيْنَ وَقَعَتْ إِلاَّ أَنِّي أَقُولُ: إِنَّ سَبَبَ تَحْرِير هَذِه الْعُلُوم الْغَامِضَة هُوَ أَنَّ أَكْثَرَ أَبْنَاء هَذَا الزَّمَان قَدْ تَمَسَّكَ بِذَيْلِ التَّوْحِيد الْوُجُودِيّ بَعْضُهُمْ بِالتَّقْلِيد، وَبَعْضُهُمْ بِمُجَرَّد الْعِلْم، وَبَعْضُهُمْ بِالْعِلْم الْمَمْزُوجِ بِالذَّوْق وَلَوْ فِي الْجُمْلَة، وَبَعْضُهُمْ بِالإِلْحَاد وَالزَّنْدَقَة. وَصَارُوا يَرَوْنَ الْكُلَّ مِنَ الْحَقِّ بَلْ يَرَوْنَ الْكُلَّ حَقًّا، وَطَفِقُوا يُخْرِجُونَ رِقَابَهُمْ بِهَذِه الْحِيلَة مِنْ رِبْقَة الإِسْلاَم وَتَكَالِيف الشَّرِيعَة وَيَخْتَرِعُونَ أَنْوَاعَ الْمُدَاهَنَات فِي الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة، وَيَفْرَحُونَ بِهَذِه الْمُعَامَلاَت الْغَيْر الْمَرْعِيَّة. وَلَئِنِ اعْتَرَفُوا بِإِتْيَان الأَوَامِر الشَّرْعِيَّة إِنَّمَا يَعْتَرِفُونَ بِه بِالتَّبَعِيَّة وَيَتَخَيَّلُونَ الْمَقْصُودَ الأَصْلِيَّ وَرَاءَ الشَّرِيعَة الْعَلِيَّة حَاشَا وَكَلاَّ ثُمَّ حَاشَا وَكَلاَّ نَعُوذُ بِاللّٰه سُبْحَانَهُ مِنْ هَذَا الإِعْتِقَاد السُّوء ; فَإِنَّ الطَّرِيقَة وَالشَّرِيعَة كُلٌّ مِنْهُمَا عَيْنُ الآخَر لاَ مُخَالَفَةَ بَيْنَهُمَا مِقْدَارَ شَعْرَة، وَإِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِالإِجْمَال وَالتَّفْصِيل وَالإِسْتِدْلاَل وَالْكَشْف وَكُلَّمَا هُوَ مُخَالِفٌ لِلشَّرِيعَة فَهُوَ مَرْدُودٌ. وَكُلُّ حَقِيقَة رَدَّتْهُ الشَّرِيعَةُ فَهُوَ زَنْدَقَةٌ. وَطَلَبُ الْحَقِيقَة مَعَ الإِسْتِقَامَة فِي الشَّرِيعَة حَالُ أَهْلِ الْكَمَال مِنَ الرِّجَال. رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الإِسْتِقَامَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَى مُتَابَعَة سَيِّد الْبَشَر عَلَيْه وَعَلَى آلِه الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَكَانَ الْعَارِفُ بِاللّٰه حَضْرَةُ شَيْخِنَا وَقِبْلَتِنَا قَدَّسَ اللّٰهُ سِرَّهُ فِي مَشْرَب التَّوْحِيد الْوُجُودِيّ زَمَانًا، وَبَيَّنَهُ فِي رَسَائِلِه وَمَكَاتِيبِه، ثُمَّ رَزَقَهُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ التَّرَقِّيَ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَام أَخِيرًا وَوَجَّهَهُ نَحْوَ الطَّرِيق الأَعْظَم وَخَلَّصَهُ مِنْ مَضِيق هَذِه الْمَعْرِفَة. نَقَلَ الشَّيْخُ مِيَانُ عَبْدُ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَة مُخْلِصِيه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِه بِجُمُعَة: **إِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي مَعْلُومًا بِيَقِين يَقِين أَنَّ التَّوْحِيدَ الْوُجُودِيَّ سِكَّةٌ صَغِيرَةٌ وَالطَّرِيقَ الأَعْظَمَ غَيْرُهُ،** وَقَدْ كُنْتُ عَلِمْتُ هَذَا سَابِقًا وَلَكِنَّ الآنَ قَدْ حَصَلَ لِي يَقِينٌ آخَرُ ". وَكَانَ هَذَا الْفَقِيرُ أَيْضًا فِي مَشْرَب التَّوْحِيد مُدَّةً حِينَ كُنْتُ فِي مُلاَزَمَة شَيْخِي وَحُضُورِه وَلاَحَتْ لِي مُقَدِّمَاتٌ كَشْفِيَّةٌ فِي تَأْيِيد هَذَا الطَّرِيق

وَتَوْفِيقِه كَثِيرًا، ثُمَّ جَاوَزْتُ ذَلِكَ الْمَقَامَ بِعِنَايَةِ اللهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَشَرَّفَنِي اللهُ سُبْحَانَهُ بِمَقَامٍ أَرَادَهُ لِي. وَلْنَكْتَفِ بِهَذَا الْقَدْرِ فَإِنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ مُوجِبٌ لِلْإِطْنَابِ. وَالشَّيْخُ مِيَانْ زَكَرِيَّا لاَ يَزَالُ يَكْتُبُ فِي شَأْنِ مَنْصِبِه وَيُظْهِرُ الْإِلْتِجَاءَ إِلَى عَتَبَتِكُمُ الْعَلِيَّةِ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْخَوْفِ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ وَجَعَلَ مَلْجَأَهُ وَمُعْتَصَمَهُ فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ جَنَابَ قُدْسِكُمْ وَلَيْسَ لَهُ مَلَاذٌ وَمَلْجَأٌ فِي الظَّاهِرِ سِوَى تَوَجُّهَاتِكُمُ الْعَلِيَّةِ، فَكَمَا سَبَقَ الْتِفَاتُكُمْ إِلَيْهِ كَذَلِكَ يَرْجُو أَنْ تُعِينُوهُ وَتَحْفَظُوهُ مِنْ ذِئَابِ الْحَوَادِثِ، وَهُوَ لاَ يَتَجَاسَرُ أَنْ يَعْرِضَ أَحْوَالَهُ عَلَيْكُمْ بِنَفْسِه لِكَمَالِ رِعَايَةِ الْأَدَبِ مَعَكُمْ ؛ وَلِهَذَا يَتَوَسَّلُ بِالْفَقِيرِ إِلَيْكُمْ فِي إِظْهَارِ أَحْوَالِه وَالْمَرْجُوُّ أَنْ يَقْتَرِنَ مَسْئُوْلُهُ بِالْإِجَابَةِ.

(٤٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي مَدْحِ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَيَانِ أَنَّ مُصَدِّقِيهِ مِنْ خَيْرِ الْأُمَمِ وَمُكَذِّبِيهِ مِنْ أَشْرَارِ بَنِي آدَمَ وَفِي التَّرْغِيبِ فِي مُتَابَعَةِ سُنَّتِه السَّنِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ

وَرَدَ مَكْتُوبُكُمُ الشَّرِيفُ فِي أَعَزِّ الْأَزْمِنَةِ وَتَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَتِه اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَالْمِنَّةُ عَلَى مَا حَصَّلْتُمْ مِنْ مِيرَاثِ الْفَقْرِ الْمُحَمَّدِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ، وَمَحَبَّةُ الْفُقَرَاءِ وَالْإِرْتِبَاطُ بِهِمْ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ الْفَقْرِ، وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا أَكْتُبُ فِي جَوَابِه سِوَى أَنْ أُحَرِّرَ فِقْرَاتٍ بِعِبَارَةٍ عَرَبِيَّةٍ مَأْثُورَةٍ فِي فَضَائِلِ جَدِّكُمُ الْأَعْظَمِ خَيْرِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا، وَأَجْعَلَ هَذَا الْمَكْتُوبَ وَسِيلَةً لِلنَّجَاةِ أُخْرَوِيَّةً لاَ أَنِّي أَمْدَحُ بِهِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلْ أَمْدَحُ بِهِ مَقَالِي، (شعر):

مَا إِنْ مَدَحْتُ مُحَمَّدًا بِمَقَالَتِي *** لَكِنْ مَدَحْتُ مَقَالَتِي بِمُحَمَّدِ

فَأَقُولُ وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ "سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ" (١)، وَأَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَى اللهِ(٢) وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ (٣) وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لَهُ وَحَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ (٤) وَهُوَ الَّذِي قَالَ عَلَيْهِ

---

(١) قوله أن محمدا رسول الله سيد ولد آدم الخ هذا حديث بين الناس مشهور وفي ألسنتهم مذكور وفي سائر الكتب مسطور روى من طرق متعددة بألفاظ مختلفة وممن رواه مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

(٢) قوله أكرم الأولين الخ رواه الترمذي والدارمي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قوله أول من ينشق الخ هو في حديث مسلم وأبي داود.

(٤) قوله لواء الحمد بيدي الخ الترمذي والدارمي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (القزاني رحمة الله عليه)

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "وَنَحْنُ الآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١)، "وَإِنِّي قَائِلٌ قَوْلاً غَيْرَ فَخْرٍ وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَأَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلاَ فَخْرَ" (٢)،

"وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا فَأَنَا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا وَأَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا" (٣)

"وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا نَصَتُوا وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا وَلِوَاءُ الْكَرَمِ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَلِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وُلْدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ (٤) وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ"

لَوْلاَهُ لَمَا خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْخَلْقَ (٥) وَلَمَا أَظْهَرَ الرُّبُوبِيَّةَ، وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ (٦)، (شِعْرٌ):

مَنْ كَانَ هَذَا مُقْتَدَاهُ بِأَمْرِهِ *** لَنْ يَبْقَ فِي قَيْدِ الذُّنُوبِ وَأَسْرِهِ



(١) قوله نحن الآخرون الخ الدارمي من حديث عمرو بن قيس رضي الله عنه. (القزاني رحمة الله عليه)

(٢) قوله وأنا قائد أخرجه الدارمي من حديث جابر رضي الله عنه. (القزاني رحمة الله عليه)

(٣) قوله وأنا أول الناس خروجا الخ أخرجه الترمذي والدرامي من حديث أنس رضي الله عنه سند. (القزاني رحمة الله عليه)

(٤) قوله وإذا كان يوم القيامة الخ الترمذي وأحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه سند. (القزاني رحمة الله عليه)

(٥) قوله لولاه لما خلق الله الخ إشارة إلى ما رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول الله " وعزتي وجلالي لولاك لما خلقت الدنيا ولولاك لما خلقت الجنة " وأورده في المواهب معزيا إلى ابن ظفربك بلفظ " لولاه ما خلقتك خطابا لادم عليه السلام " ولا خلقت سماء ولا أرضا " ثم قال ويشهد هذا ما رواه الحاكم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أن آدم رأى اسم محمد مكتوبا على العرش وأن الله قال لآدم " لولا محمد ما خلقتك " قال الزرقاني روى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما " أوحى الله إلى عيسى أمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار " الحديث وأقره السبكي في شفاء الأسقام والبلقيني في فتاواه ومثله لا يقال رأيا وعند الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه " أتاني جبريل فقال أن الله يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار " قلت معنى هذا الحديث لا شبهة في صحته ومطابقته لنفس الأمر عند كافة الصوفية وعامة من سواهم فهو صحيح إن شاء الله سند. (القزاني رحمة الله عليه)

(٦) قوله وكان نبيا وآدم بين الماء والطين إشارة إلى حديث مشتهر في الألسنة " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " قال السخاوي نقلا عن ابن حجرانه قوى بهذا القدر. وقال السيوطي لا أصل له بهذا اللفظ ولكن في الترمذي متى كنت " نبيا قال وآدم بين الروح والجسد " وفي صحيح ابن حبان والحاكم " إني لمكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته والحاصل هذا الحديث كثير الدوران بين الناس خصوصا عند الصوفية. (القزاني رحمة الله عليه)

فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُصَدِّقُ مِثْلِ هَذَا الرَّسُولِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خَيْرَ الأُمَمِ الْبَتَّةَ، وَيَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [١] نَقْدَ وَقْتِهِمْ وَوَصْفَ حَالِهِمْ وَيَكُونُ مُكَذِّبُوهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شَرَّ بَنِي آدَمَ وَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [٢] عَلاَمَةَ حَالِهِمْ، فَيَا سَعَادَةَ مَنْ يُشَرَّفُ بِدَوْلَةِ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ وَمُتَابَعَةِ شَرِيعَتِهِ الْمَرْضِيَّةِ، وَالْيَوْمَ يُقْبَلُ الأَمْرُ الْيَسِيرُ الْمَقْرُونُ بِتَصْدِيقِ حَقِّيَّةِ دِينِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَكَانَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ وَلاَ غَرْوَ فِيهِ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ نَالُوا مَا نَالُوا مِنَ الدَّرَجَاتِ بِوَاسِطَةِ حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْهِجْرَةُ وَالْفِرَارُ عَنْ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَى بِسَبَبِ نُورِ الْيَقِينِ الإِيمَانِيِّ وَقْتَ اسْتِيلاَءِ الْمُعَانِدِينَ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ الْعَسْكَرَ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُمْ حَرَكَةٌ يَسِيرَةٌ حِينَ غَلَبَةِ الأَعْدَاءِ وَاسْتِيلاَءِ الْمُخَالِفِينَ تَكُونُ مِنَ الْقَبُولِ وَالإِعْتِبَارِ بِمَرْتَبَةٍ لاَ تَبْلُغُهَا أَضْعَافُ تِلْكَ الْحَرَكَةِ وَقْتَ الأَمْنِ وَالإِطْمِئْنَانِ. وَأَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ مَحْبُوبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ جَرَمَ يَبْلُغُ أَتْبَاعُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْتَبَةَ الْمَحْبُوبِيَّةِ بِسَبَبِ الْمُتَابَعَةِ; فَإِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ شَمَائِلِ مَحْبُوبِهِ عِنْدَ شَخْصٍ يُحِبُّ ذَلِكَ الشَّخْصَ بِالضَّرُورَةِ لِمُلاَبَسَتِهِ بِشَمَائِلِ مَحْبُوبِهِ وَأَخْلاَقِهِ. وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ حَالَ الْمُخَالِفِينَ، (شعر):

رَئِيسُ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ *** عَلَى رَأْسِ أَعْدَاهُ حَصًى وَتُرَابٌ

فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرِ الْهِجْرَةُ الظَّاهِرِيَّةُ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى الْهِجْرَةَ الْبَاطِنِيَّةَ بِكَمَالِهَا، وَأَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ يَعْنِي مَعَ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ دُونَهُمْ يَعْنِي فِي الْبَاطِنِ * وَلَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا. وَقَدْ أَتَى مَوْسِمُ النَّيْرُوزِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ مُتَفَرِّقِي الْبَالِ وَمُتَشَتِّتِي الْحَالِ فَإِذَا سَاعَدَتْ إِرَادَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَتَيَسَّرُ الْمُلاَقَاةُ بَعْدَ مُضِيِّ تِلْكَ الأَحْوَالِ. وَزِيَادَةُ الإِطْنَابِ مُوجِبَةٌ لِلْمَلاَلِ. ثَبَّتَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الْكِرَامِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(٤٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ كَتَبَهُ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا إِظْهَارًا لِشُكْرِ تَقْوِيَتِهِ الظَّاهِرِيَّةِ أُمُورَ فُقَرَاءِ الْخَانْقَاهْ بَعْدَ ارْتِحَالِ شَيْخِهِ وَبَيَّنَ فِيهِ أَيْضًا كَوْنَ جَامِعِيَّةِ الإِنْسَانِ سَبَبًا لِنُقْصَانِهِ كَكَوْنِهَا سَبَبًا لِكَمَالِهِ مَعَ ذِكْرِ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

ثَبَّتَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الْكِرَامِ وَسَلَّمَكُمْ عَنْ مُوجِبَاتِ التَّلَهُّفِ وَالتَّأَسُّفِ عَلَى مُرُورِ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ تَعَالَى بِحُكْمِ "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" مَعَ اللهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَالتَّعَلُّقُ

---

(١) الآية: ١١٠ من سورة آل عمران.

(٢) الآية: ٩٧ من سورة التوبة.

بالبدن نوع من موانع تلك النعمة والإتصال. وأما بعد الإنفصال من هذا المقر الهيولاني والمفارقة عن الهيكل الظلماني فقرب في قرب واتصال في اتصال. الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب بيان لهذا المعنى، وفي قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ (١) تسلية للمشتاقين ورمز من ذلك البيان، ولكن أحوال العاجزين الذين أخرتهم العلائق والعوائق بلا دولة الحضور عند أكابر الدين خراب وأبتر، والإستفاضة من روحانيات الأكابر قدس الله أسرارهم مشروطة بشرائط لا مجال لكل شخص في إيفائها، ولكن الحمد لله سبحانه ذي الإنعام والمنة على أن جعل مربي هؤلاء الفقراء العاجزين ومعينهم وقت ظهور هذه الحادثة الهائلة والواقعة الموحشة المفزعة من أهل بيت النبوة على صاحبها الصلاة والسلام والتحية. فصار سببا لإنتظام هذه السلسلة العلية، وواسطة لجمعية النسبة النقشبندية، ولا غرو في ذلك فإن هذه النسبة العلية لما كانت في هذه الديار غريبة جدا وكان أهلها في هذه المسلكة قد جاوزوا في القلة حدا كنسبة أهل البيت بين سائر النسب، ناسب أن يكون مربيها وحاميها من أهل البيت وكان تقويتها منهم أولى وأحرى ؛ لئلا يلزم تكميل تلك الدولة العظمى بالغير. فكما أن شكر هذه النعمة القصوى لازم للفقراء، كذلك شكر هذه الدولة الأسمى (٢) لازم لذمتهم. وكما أنه يحتاج إلى الجمعية الباطنية كذلك يحتاج إلى الجمعية الظاهرية بل هذا الاحتياج مقدم على ذلك الإحتياج. وأحوج الخلائق هو الإنسان وشدة احتياجه إنما هي بواسطة جامعيته فإنه يلزمه وحده ما يلزم الكل وله تعلق بكل ما يحتاج إليه فتعلقاته أكثر من تعلقات الكل، وكل تعلق مستلزم للإعراض عن جناب قدسه تعالى، فكان الإنسان أشد الخلائق وأكثرهم حرمانا من هذه الحيثية، (شعر):

وَمَرْتَبَةُ الْإِنْسَانِ فِي آخِرِ الْوَرَى *** لِذَلِكَ عَنْ عِزِّ الْحُضُورِ تَأَخَّرَا

فَإِنْ لَمْ يَعُدْ مِنْ بُعْدِهِ وَاغْتِرَابِهِ *** فَلَا شَيْءَ مَحْرُومٌ كَإِنْسٍ مِنَ الْوَرَى

والحال أن سبب أفضليته من جميع الخلائق كان أيضا من جهة جامعيته ؛ ولهذا كان مرآته أتم فكلما يظهر في مرايا جميع الخلائق فهو لائح في مرآة واحدة منه، فكان أفضل الخلائق من هذه الجهة هو الإنسان، وشر جميع الموجودات من تلك الجهة هو الإنسان إذ منهم محمد عليه الصلاة والسلام ومنهم أبو جهل اللعين. ولا شك أنكم كفيل بجمعية هؤلاء الفقراء في الظاهر بتوفيق الله عز وجل، وبحكم: الولد سر أبيه. الرجاء تام بحصول الجمعية الباطنية أيضا بسببكم. ولما ورد مكتوبكم الشريف في شهر رمضان المبارك خطر في الخاطر القاصر أن أكتب نبذة من فضائل هذا الشهر العظيم القدر. ينبغي أن يعلم أن شهر رمضان شهر عظيم، وكل عبادة نافلة من الصلاة والذكر والصدقة وأمثالها في هذا الشهر تساوي أداء فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن فطر فيه

---

(١) الآية: ٥ من سورة العنكبوت.

(٢) يعني يلزمهم أيضا أن يشكروا على من قام بتربيتهم وتقوية نسبتهم لوجوب شكر المنعم واجب وهو المكتوب إليه السيد فريد البخاري منه عفي عنه.

صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ. "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ أَطْلَقَ كُلَّ أَسِيرٍ وَأَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ" [١]. وَمَنْ وُفِّقَ لِلْخَيْرَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ التَّوْفِيقُ رَفِيقَهُ فِي تَمَامِ هَذِهِ السَّنَةِ. وَإِذَا مَرَّ هَذَا الشَّهْرُ عَلَى تَفْرِقَةٍ يَكُونُ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ عَلَى تَفْرِقَةٍ. فَيَنْبَغِي فِيهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ الْجَمْعِيَّةِ مَهْمَا أَمْكَنَ مُغْتَنِمًا لِهَذَا الشَّهْرِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْتِقُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِيهَا أُلُوفًا مِمَّنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ [٢]. وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَتُسَلْسَلُ الشَّيَاطِينُ وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ. وَتَعْجِيلُ الْإِفْطَارِ [٣] وَتَأْخِيرُ السُّحُورِ [٤] مِنَ السُّنَنِ. قَدْ بَالَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ وَيُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ مُبَالَغَةً لِإِظْهَارِ احْتِيَاجِهِ الْمُنَاسِبِ لِمَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ. وَالْإِفْطَارُ بِالتَّمْرِ سُنَّةٌ [٥]. وَيَقْرَأُ وَقْتَ الْإِفْطَارِ هَذَا الدُّعَاءَ: "ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" [٦]. وَأَدَاءُ التَّرَاوِيحِ وَخَتْمُ الْقُرْآنِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مِنَ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ [٧] وَمُثْمِرٌ لِنَتَائِجَ كَثِيرَةٍ.

وَفَّقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَبَقِيَّةُ الْكَلَامِ أَنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ وَرَدَتْ فِي وَسَطِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَإِلَّا مَا كُنْتُ أُسَامِحُ نَفْسِي فِي التَّأْخِيرِ عَنِ امْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَالتَّكَلُّمُ مِمَّا بَعْدَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ حُكْمٌ بِالْغَيْبِ، وَمَبْنِيٌّ عَلَى طُولِ الْأَمَلِ. وَبِالْجُمْلَةِ يَكُونُ مَا هُوَ مَرْضَاكُمْ وَلَا أَكُونُ فِي صَوْنِ نَفْسِي بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ فَإِنَّ حُقُوقَكُمْ ثَابِتَةٌ فِي ذِمَّتِنَا نَحْنُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. قَالَ حَضْرَةُ قِبْلَتِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ إِنَّ حُقُوقَ الشَّيْخِ حَيْو ثَابِتَةٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا وَمُقَرَّرَةٌ لَدَيْكُمْ فَإِنَّهُ هُوَ الْبَاعِثُ عَلَى هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ وَفَّقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعًا دَائِمًا لِلْأَعْمَالِ الْمَرْضِيَّةِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ تَصْدِيعٌ تَامٌّ.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه بلفظ: "من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه " الخ مشكاة وفسر الشراح الخير بقولهم: " أي " من أنواع النوافل " رواه البيهقي عن ابن عباس مشكاة. (القزاني رحمة الله عليه)

(٢) رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة بألفاظ متقاربة كما في المشكاة. (القزاني رحمة الله عليه)

(٣) قال الله تعالى: " أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا " الترمذي عن أبي هريرة مشكاة. (القزاني رحمة الله عليه)

(٤) عن زيد بن ثابت أنه قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله علية وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قال أنس كم كان قدر ذلك قال قدر خمسين آية سند. (القزاني رحمة الله عليه)

(٥) عن سلمان بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمرة ؛ فإن فيه بركة " رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي، مشكاة وعن أنس رضي الله عنه قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات " الحديث رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب. (القزاني رحمة الله عليه)

(٦) رواه أبو داود عن أنس مشكاة. (القزاني رحمة الله عليه)

(٧) يعني من سنن الخلفاء الراشدين فإنها يقال لها أيضا سنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ". (القزاني رحمة الله عليه)

(٤٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ وُجُودَ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَكَذَلِكَ وَحْدَانِيَّتَهُ بَلْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِسَالَتَهُ وَجَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ كُلُّهَا بَدِيهِيٌّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى فِكْرٍ وَدَلِيلٍ وَذُكِرَ فِي إِيضَاحِ ذَلِكَ مُقَدِّمَاتٌ كَثِيرَةٌ

ثَبَّتَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الْكِرَامِ عَلَى أَوَّلِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ أَوَّلاً وَعَلَى بَوَاقِيهِمْ ثَانِيًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وَاعْلَمْ) أَنَّ وُجُودَ الْبَارِي تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَكَذَلِكَ وَحْدَانِيَّتَهُ سُبْحَانَهُ بَلْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ جَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ بَدِيهِيٌّ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ وَدَلِيلٍ عَلَى تَقْدِيرِ سَلَامَةِ الْقُوَّةِ الْمُدْرِكَةِ مِنَ الْآفَاتِ الرَّدِيَّةِ وَالْأَمْرَاضِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالنَّظَرُ وَالْفِكْرُ فِيهَا مَقْصُورٌ عَلَى زَمَنِ وُجُودِ الْعِلَّةِ وَثُبُوتِ الْآفَةِ، وَأَمَّا بَعْدَ النَّجَاةِ مِنَ الْمَرَضِ الْقَلْبِيِّ وَزَوَالِ الْغِشَاوَةِ الْبَصَرِيَّةِ فَلاَ شَيْءَ سِوَى الْبَدَاهَةِ ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ الصَّفْرَاوِيَّ مَثَلاً مَا دَامَ مُبْتَلًى بِعِلَّةِ الصَّفْرَاءِ يَحْتَاجُ إِثْبَاتُ حَلَاوَةِ السُّكَّرِ وَالْعَسَلِ عِنْدَهُ إِلَى الدَّلِيلِ، وَلَكِنْ إِذَا تَخَلَّصَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَّةِ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ أَصْلاً، وَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ احْتِيَاجِهِ إِلَى الدَّلِيلِ النَّاشِئِ عَنْ وُجُودِ الْآفَةِ وَبَيْنَ بَدَاهَتِهِ يَعْنِي فِي ذَاتِهِ أَلاَ تَرَى أَنَّ الْأَحْوَلَ يَرَى الْوَاحِدَ اثْنَيْنِ وَيَحْكُمُ بِعَدَمِ وَحْدَتِهِ، فَهُوَ مَعْذُورٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ. وَلاَ يُخْرِجُ حُكْمُهُ هَذَا النَّاشِئُ مِنَ الْآفَةِ فِيهِ وَحْدَةَ ذَلِكَ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَدَاهَةِ، وَلاَ يُدْخِلُهَا فِي النَّظَرِيَّةِ. وَمِنَ الْمُحَقَّقِ أَنَّ مَيْدَانَ الْإِسْتِدْلَالِ ضَيِّقٌ جِدًّا وَحُصُولَ الْيَقِينِ مِنْ طَرِيقِ الدَّلِيلِ وَالنَّظَرِ وَالْفِكْرِ مُتَعَذِّرٌ ؛ فَكَانَ فِكْرُ إِزَالَةِ الْمَرَضِ الْقَلْبِيِّ لِتَحْصِيلِ الْإِيمَانِ الْيَقِينِيِّ ضَرُورِيًّا كَمَا أَنَّ إِزَالَةَ عِلَّةِ الصَّفْرَاءِ فِي تَحْصِيلِ الْيَقِينِ بِحَلَاوَةِ السُّكَّرِ أَشَدُّ ضَرُورَةً مِنْ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى حَلَاوَةِ السُّكَّرِ، وَكَيْفَ يَحْصُلُ الْيَقِينُ بِهِ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ مَعَ حُكْمِ وِجْدَانِهِ بِمَرَارَتِهِ بِسَبَبِ عِلَّةِ الصَّفْرَاءِ الْقَائِمِ بِهِ، وَهَكَذَا الْحُكْمُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ فَإِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ مُنْكِرَةٌ لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالذَّاتِ وَحَاكِمَةٌ بِتَنَاقُضِهَا بِالطَّبْعِ،

فَتَحْصِيلُ الْيَقِينِ بِحَقِّيَّةِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الصَّادِقَةِ مِنْ طَرِيقِ الدَّلِيلِ مَعَ وُجُودِ إِنْكَارِ وِجْدَانِ الْمُسْتَدِلِّ عَلَيْهِ عَسِيرٌ جِدًّا، فَكَانَتْ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ ضَرُورِيَّةً لِتَعَسُّرِ حُصُولِ الْيَقِينِ اللاَّزِمِ الْحُصُولِ بِدُونِهَا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [1] فَتَقَرَّرَ أَنَّ مُنْكِرَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْبَاهِرَةِ وَالْمِلَّةِ الطَّاهِرَةِ الظَّاهِرَةِ مَعْلُولٌ بِعِلَّةٍ مِثْلَ مُنْكِرِ حَلَاوَةِ السُّكَّرِ وَلَكِنْ، (شِعْرٌ):

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْأُفُقِ طَالِعَةً *** أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

فَالْمَقْصُودُ مِنَ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ هُوَ إِزَالَةُ الْآفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [2] لِتَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ، فَإِنْ وُجِدَ الْإِيمَانُ مَعَ وُجُودِ

(١) الآية: ٩، ١٠ من سورة الشمس.

(٢) الآية: ١٠ من سورة البقرة.

هَذِهِ ٱلآفَاتِ فَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ فَقَطْ لأَنَّ وِجْدَانَ النَّفْسِ ٱلأَمَّارَةِ حَاكِمٌ بِخِلافِهِ وَهِيَ مُصِرَّةٌ عَلَى كُفْرِهَا، وَمَثَلُ هَذَا ٱلإِيمَانِ الصُّورِيِّ مَثَلُ إِيمَانِ الصَّفْرَاوِيِّ بِحَلاوَةِ السُّكَّرِ فِي كَوْنِ وِجْدَانِهِ حَاكِمًا وَشَاهِدًا بِخِلافِهِ، فَكَمَا أَنَّ ٱلْيَقِينَ ٱلْحَقِيقِيَّ بِحَلاوَةِ السُّكَّرِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بَعْدَ زَوَالِ مَرَضِ الصَّفْرَاءِ، كَذَلِكَ حَقِيقَةُ ٱلإِيمَانِ يَعْنِي بِحَقِّيَّةِ ٱلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَصِدْقِهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بَعْدَ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَاطْمِئْنَانِهَا، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ ٱلإِيمَانُ وِجْدَانِيًّا وَهَذَا الْقِسْمُ مِنْ أَقْسَامِ ٱلإِيمَانِ مَحْفُوظٌ مِنَ الزَّوَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) صَادِقٌ فِي شَأْنِ صَاحِبِهِ. شَرَّفَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِشَرَفِ هَذَا ٱلإِيمَانِ الْكَامِلِ الْحَقِيقِيِّ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

(٤٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَٱلأَرْبَعُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي الشِّكَايَةِ مِنْ ضَعْفِ أَهْلِ ٱلإِسْلاَمِ وَغَلَبَةِ الْكُفَّارِ وَتَرْغِيبِ السَّلاَطِينِ فِي تَرْوِيجِ الدِّينِ وَتَقْوِيَةِ الْمُسْلِمِينَ

ثَبَّتَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الْكِرَامِ عَلَى أَفْضَلِهِمْ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ أَوَّلاً وَعَلَى بَوَاقِيهِمْ ثَانِيًا الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ وَالسَّلاَمُ. اعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَالَمِ بِمَثَابَةِ الْقَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَدَنِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَكَمَا أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ صَالِحًا يَكُونُ الْبَدَنُ صَالِحًا وَإِذَا كَانَ فَاسِدًا يَكُونُ الْبَدَنُ فَاسِدًا، كَذَلِكَ صَلاَحُ السُّلْطَانِ صَلاَحُ الْعَالَمِ وَفَسَادُهُ فَسَادُهُ، أَلاَ تَرَى أَنَّهُ مَاذَا جَرَى عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فِي الْقَرْنِ السَّابِقِ وَفِي ابْتِدَاءِ ٱلإِسْلاَمِ مَعَ كَمَالِ غُرْبَتِهِ وَعَجْزِ أَهْلِهِ وَقِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ لَمْ يُورِثْ ذَلِكَ وَلَمْ يُوجِبْ شَيْئًا سِوَى أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى دِينِهِمْ وَالْكُفَّارُ عَلَى كُفْرِهِمْ يَعْنِي لَمْ يَقْدِرِ الْكُفَّارُ أَنْ يُغَيِّرُوا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا وَأَنْ يُجْرُوا عَلَيْهِمْ أَحْكَامَ الْكُفْرِ مَعَ قُوَّتِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٢) بَيَانٌ لِذَلِكَ.

وَأَمَّا فِي الْقَرْنِ الْمَاضِي فَقَدْ أَجْرَى الْكُفَّارُ أَحْكَامَهُمْ فِي دَارِ ٱلإِسْلاَمِ عَلَى الْمَلأِ بِطَرِيقَةِ الْغَلَبَةِ وَٱلإِسْتِيلاَءِ، حَتَّى عَجَزَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ إِظْهَارِ أَحْكَامِ ٱلإِسْلاَمِ بِحَيْثُ مَنْ أَظْهَرَهُ قَتَلُوهُ، وَا وَيْلاً وَيَا مُصِيبَتَا وَيَا حَسْرَتَا وَيَا حُزْنَا عَلَى مَا صَارَ مُصَدِّقُو مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْبُوبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَذِلاَّءَ حَقِيرِينَ عَدِيمِي الْمِقْدَارِ، وَمُنْكِرُوهُ فِي غَايَةِ الْعِزِّ وَٱلإِعْتِبَارِ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي تَعْزِيَةِ ٱلإِسْلاَمِ مَعَ قُلُوبٍ مَجْرُوحَةٍ، وَالْمُعَانِدُونَ يَرُشُّونَ الْمِلْحَ عَلَى جِرَاحَاتِهِمْ بِالسُّخْرِيَةِ وَٱلإِسْتِهْزَاءِ، وَشَمْسُ الْهِدَايَةِ مَسْتُورَةٌ تَحْتَ أُفُقِ الضَّلاَلَةِ وَنُورُ الْحَقِّ مُنْزَوٍ وَمُنْعَزِلٌ فِي حُجُبِ الْبَاطِلِ. وَقَدْ وَصَلَ الآنَ زَوَالُ مَانِعِ ظُهُورِ ٱلإِسْلاَمِ وَبِشَارَةُ جُلُوسِ سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى سَرِيرِ السَّلْطَنَةِ إِلَى مَسَامِعِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ. فَيَنْبَغِي لأَهْلِ ٱلإِسْلاَمِ أَنْ يَعُدُّوا

---

(١) الآية: ٦٢ من سورة يونس.

(٢) الآية: ٦ من سورة الكافرون.

مُعَاوَنَةَ السُّلْطَانِ وَإِمْدَادَهُ لَازِمَةٌ لِذِمَّتِهِمْ، وَأَنْ يَدُلُّوهُ عَلَى تَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ وَتَقْوِيَةِ الْمِلَّةِ ; وَهَذَا الْإِمْدَادُ وَالتَّقْوِيَةُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَنْ يَكُونَ بِالْيَدِ. وَأَسْبَقُ الْإِمْدَادِ بِاللِّسَانِ وَأَفْضَلُهُ هُوَ تَبْيِينُ الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ وَإِظْهَارُ الْعَقَائِدِ الْكَلَامِيَّةِ عَلَى طِبْقِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ النَّبَوِيَّةِ لِئَلَّا يَظْهَرَ فِي الْبَيْنِ ضَالٌّ وَمُبْتَدِعٌ فَيَسُدَّ الطَّرِيقَ، وَيَنْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى الْفَسَادِ. وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْإِمْدَادِ مَخْصُوصٌ بِعُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ الْمُقْبِلِينَ عَلَى الْآخِرَةِ، فَإِنَّ عُلَمَاءَ الدُّنْيَا الَّذِينَ هِمَّتُهُمُ التَّهَافُتُ عَلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا وَجَمْعِ حُطَامِهَا صُحْبَتُهُمْ سَمٌّ قَاتِلٌ وَفَسَادُهُمْ فَسَادٌ مُتَعَدٍّ،

(شِعْرٌ): إِذَا كَانَ ذُو عِلْمٍ أَسِيرًا بِنَفْسِهِ *** فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو بِهِ مِنْ غَوَايَتِهِ

وَكُلُّ بَلَاءٍ ظَهَرَ فِي الْقَرْنِ الْمَاضِي إِنَّمَا ظَهَرَ بِسَبَبِ شَآمَةِ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا السُّلْطَانَ مِنَ الطَّرِيقِ الْحَقَّةِ، بَلْ لَيْسَتْ فِرْقَةٌ مِنِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً إِلَّا وَمُقْتَدَاهُمْ فِي اخْتِيَارِ طَرِيقِ الضَّلَالَةِ هُمُ الْعُلَمَاءُ السُّوءُ وَقَلَّ مَنْ تَتَعَدَّى ضَلَالَتُهُ إِلَى الْغَيْرِ اخْتَارَ الضَّلَالَةَ غَيْرَ الْعُلَمَاءِ السُّوءِ وَأَكْثَرُ الْجُهَلَاءِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالصُّوفِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَهُمْ حُكْمُ الْعُلَمَاءِ السُّوءِ أَيْضًا، فَإِنَّ فَسَادَهُمْ فَسَادٌ مُتَعَدٍّ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَقْصُرُ فِي الْإِمْدَادِ مَعَ وُجُودِ الْإِسْتِطَاعَةِ فِيهِ أَيَّ نَوْعٍ كَانَ مِنَ الْإِمْدَادِ وَوَقَعَ الْفُتُورُ عَلَى أُمُورِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَكُونُ مُعَاتَبًا.

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا يُرِيدُ هَذَا الْفَقِيرُ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ إِلَى مَيْدَانِ مُمِدِّي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَيَجْتَهِدَ فِيهِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ فَبِحُكْمِ " مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ "(١) يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَاجِزُ عَدِيمَ الْإِسْتِطَاعَةِ دَاخِلًا فِي زُمْرَةِ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ. وَإِنَّ مَثَلِي مَثَلُ عَجُوزٍ جَاءَتْ بِغَزْلِهَا فِي سُوقِ مُشْتَرِي يُوسُفَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِتَشْتَرِيَهُ بِهِ، وَالْمَرْجُوُّ أَنْ أَتَشَرَّفَ بِشَرَفِ الْحُضُورِ عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمُتَوَقَّعُ مِنْ جَنَابِ شَرَفِكُمْ حَيْثُ يَسَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَكَ الْإِسْتِطَاعَةَ وَقُرْبَ السُّلْطَانِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ أَنْ تَجْتَهِدَ فِي تَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ، وَإِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُرْبَةِ، وَالْإِسْلَامِ مِنَ الْغُرْبَةِ فِي خَلْوَةٍ وَجَلْوَةٍ. وَلِحَامِلِ الرَّقِيمَةِ مَوْلَانَا حَامِدٍ وَظِيفَةٌ مُقَرَّرَةٌ مِنَ الْأَمِيرِ صَاحِبِ الْإِقْبَالِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَخَذَهَا فِي الْعَامِ الْمَاضِي فِي حُضُورِكُمْ، وَجَاءَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا بِهَذَا الرَّجَاءِ. يَسَّرَ لَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الدَّوْلَةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالْمَجَازِيَّةَ.

(٤٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي التَّحْرِيضِ عَلَى تَعْظِيمِ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعُلُومِ الَّذِينَ هُمْ حَمَلَةُ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ

---

(١) هذا حديث أخرجه أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا بزيادة ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به. اه سند عفي عنه.

نصركم الله سبحانه على الأعداء بحرمة سيد الأنبياء عليه وعليهم الصلوات والتسليمات والتحيات.
قد تشرفت بمطالعة مكتوبكم الشريف المرسل على وجه الإلتفات إلى الفقراء وحرر مولانا محمد قليج موفق في الكتاب أنه قد أرسل شيئا من الخراج لأجل طلبة العلوم والصوفية وقد حسن تقديم طلبة العلوم على الصوفية في نظر الهمة جدا، وبحكم الظاهر عنوان الباطن نرجو أن يحصل تقديم هؤلاء الجماعة في الباطن أيضا. (ع) وكل إناء بالذي فيه ينضح * وفي تقديم طلبة العلوم ترويج الشريعة لأنهم حملة الشريعة النبوية، والملة المصطفوية قائمة بهم، والناس إنما يسألون يوم القيامة عن الشريعة دون التصوف، وكل من دخول الجنة وتجنب النار مربوط بإتيان الشريعة، والأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات الذين هم أفضل الكائنات إنما دعوا الخلق إلى الشرائع وجعلوا مدار النجاة عليها. والمقصود من بعثة هؤلاء الأكابر هو تبليغ الشرائع. فأعظم الخيرات إذا هو السعي في ترويج الشريعة وإحياء حكم من أحكامه خصوصا في الزمان الذي انهدمت فيه شعائر الإسلام بحيث لو أنفق ألوفا في سبيل الله لا يساوي ذلك ترويج مسألة من المسائل الشرعية فإن في هذا الفعل اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم أعظم المخلوقات ومشاركة لهؤلاء الأكابر، ومن المقرر أن أكمل الحسنات مسلم لهم وإنفاق الألوف ميسر لغير هؤلاء الأكابر أيضا. وفي إقامة الشريعة والعمل بأحكامها مخالفة النفس أيضا لأن الشريعة وردت على خلاف النفس، وفي إنفاق الأموال موافقة النفس أحيانا. نعم إن كان الإنفاق لتأييد الشريعة وترويج الملة فله درجة عليا وإنفاق فلس بهذه النية يساوي إنفاق ألوف في سائر الأمنية فإن قيل: إن طالب علم أسير في يد نفسه فكيف يقدم على صوفي تخلص من رقية نفسه؟ (أجيب) أن هذا القائل لم يفهم بعد حقيقة الكلام ولم يطلع على أصل المرام، فإن طالب علم سبب لنجاة الخلائق مع وجود أسره في يد نفسه، فإن تبليغ الأحكام الشرعية منوط به وإن لم ينتفع هو نفسه بها. والصوفي مع وجود تخلصه إنما خلص نفسه فقط لا التفات له إلى الخلائق. وأفضلية من تعلقت به نجاة كثير وجم غفير ممن انحصرت النجاة عليه أمر مقرر. نعم إذا رجع الصوفي إلى العالم لدعوة الخلق بعد الفناء والبقاء والسير عن الله وبالله وحصل له نصيب من مقام النبوة، فهو داخل في مبلغي الشريعة وله حكم العلماء الأشراف ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (١).

(٤٩) المكتوب التاسع والأربعون إلى المذكور أيضا في التحريض على الجمع بين دولتي تحلية الظاهر بإتيان الأحكام الشرعية وتخلية الباطن عن علاقة ما سواه تعالى

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

أَسْعَدَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِدَوْلَةٍ صُورِيَّةٍ وَسَعَادَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ. وَالدَّوْلَةُ الصُّورِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ كَوْنُ الظَّاهِرِ مُحَلًّى بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ. وَالسَّعَادَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ هِيَ تَخَلُّصُ الْبَاطِنِ وَخُلُوُّهُ عَنْ عَلَاقَةِ مَا سِوَاهُ وَالْإِرْتِبَاطِ بِغَيْرِهِ تَعَالَى. فَيَا فَوْزَ مَنْ تَشَرَّفَ بِهَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ.(ع) **هَذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ** * وَالزِّيَادَةُ تَصْدِيعٌ

(٥٠) اَلْمَكْتُوبُ الْخَمْسُونَ فِي مَذَمَّةِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِلَى السَّيِّدِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا

أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْحُرِّيَّةِ مِنْ رِقِّيَّةِ مَا سِوَاهُ وَجَعَلَكُمْ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالتَّمَامِ وَمَشْغُوفًا بِهِ عَلَى الدَّوَامِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُحَرَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اعْلَمْ: أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا حُلْوٌ فِي الظَّاهِرِ وَلَهَا طَرَاوَةٌ صُورِيَّةٌ، وَلَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ سَمٌّ قَاتِلٌ وَمَتَاعٌ بَاطِلٌ، وَلَيْسَ فِي التَّعَلُّقِ وَالْإِرْتِبَاطِ بِهَا طَائِلٌ، مَقْبُولُهَا مَخْذُولٌ وَمَفْتُونُهَا مَجْنُونٌ، وَحُكْمُهَا حُكْمُ نَجَاسَةٍ طُلِيَتْ بِالذَّهَبِ، وَمَثَلُهَا مَثَلُ سَمٍّ مَخْلُوطٍ بِالسُّكَّرِ، وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي لَا يَغْتَرُّ بِمِثْلِ هَذَا الْمَتَاعِ الْكَاسِدِ وَلَا يَتَعَلَّقُ بِمِثْلِ هَذَا الشَّيْءِ الْفَاسِدِ ; وَلِهَذَا قَالَ الْفُقَهَاءُ لَوْ أَوْصَى بِمَالِهِ لِلْعُقَلَاءِ فَهُوَ لِلزُّهَّادِ لِأَنَّهُمْ يَرْغَبُونَ عَنِ الدُّنْيَا، وَرَغْبَتُهُمْ عَنْهَا تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِهِمْ وَفِطْنَتِهِمْ. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِطْنَابٌ وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ أَنَّ الشَّيْخَ زَكَرِيَّا مُبْتَلًى بِمَنْصِبِ اسْتِيفَاءِ الْخَرَاجِ فِي هَذَا السِّنِّ وَأَنَّهُ مَعَ وُجُودِ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ خَائِفٌ دَائِمًا مِنَ الْمُحَاسَبَةِ الْعَاجِلَةِ الَّتِي هِيَ فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُحَاسَبَةِ الْآجِلَةِ، وَيَرَى رَبْقَتَهُ الْعُظْمَى فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ تَوَجُّهَكُمُ الشَّرِيفَ، وَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ كَوْنُهُ مِنْ خَدَمَةِ الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ ظَاهِرًا فِي الدِّيوَانِ الْجَدِيدِ أَيْضًا يَعْنِي مَعْلُومًا عِنْدَ أَرْبَابِهَا، (شِعْرٌ):

أَلَا أَعْطِنِي قَلْبًا تَرَى مِنْ جَسَارَةِ الْأَ * سُودِ وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي قَبْلُ ثَعْلَبًا**

يَسَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الدَّوْلَةَ الصُّورِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٥١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي التَّرْغِيبِ فِي تَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ تَقْوِيَ أَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ وَرَوَاجَ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ بِتَوَسُّلِ وُجُودِ سُلَالَةِ الْعِظَامِ الشَّرِيفَةِ. (ع) **هَذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ** * وَالنَّجَاةُ لِغُرَبَاءِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ لُجَّةِ بَحْرِ الضَّلَالَةِ إِنَّمَا تُرْجَى مِنْ سَفِينَةِ أَهْلِ بَيْتِ خَيْرِ الْبَشَرِ مَعْدِنِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ

رَكِبَهَا نَجَى وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ" [١]. فَيَنْبَغِي صَرْفُ الْهِمَّةِ الْعُلْيَا فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ السَّعَادَةِ الْعُظْمَى. وَقَدْ تَيَسَّرَ لَكُمْ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْجَاهُ وَالْجَلَالُ وَالْعَظَمَةُ وَالشَّوْكَةُ كُلُّهَا، فَإِنِ انْضَمَّتْ هَذِهِ الْعِلَاوَةُ إِلَى هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ مَعَ وُجُودِ الشَّرَفِ الذَّاتِيِّ، فَقَدْ أَحْرَزْتُمْ قَصَبَ السَّبْقِ فِي مَيْدَانِ السَّعَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الْأَقْرَانِ وَهَذَا الْفَقِيرُ مُتَوَجِّهٌ نَحْوَكُمْ بِإِرَادَةِ إِظْهَارِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي تَأْيِيدِ الشَّرِيعَةِ الْحَقَّةِ وَتَرْوِيجِهَا. وَرَأَوْا هِلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي دَهْلِي وَفَهِمَ غَرَضِي حَضْرَةُ الْوَالِدَةِ فِي التَّوَقُّفِ فَتَوَقَّفْتُ بِالضَّرُورَةِ لِاسْتِمَاعِ خَتْمِ الْقُرْآنِ. وَالْأَمْرُ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْمَرْجُوُّ مِنَ اللهِ حُصُولُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

(٥٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ إِلَى السَّيِّدِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي مَذَمَّةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ وَبَيَانِ مَرَضِهَا الذَّاتِيِّ وَبَيَانِ عِلَاجِ إِزَالَةِ ذَلِكَ الْمَرَضِ

قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَةِ مَكْتُوبِ الْأَخِ الْمُكَرَّمِ الَّذِي جَعَلَ هَذَا الدَّاعِيَ الْمُخْلِصَ مُمْتَازًا بِهِ عَلَى وَجْهِ الشَّفَقَةِ وَالرَّأْفَةِ عَظَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ بِحُرْمَةِ جَدِّكُمُ الْأَمْجَدِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مُتَابَعَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا. وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ فِقْرَاتٍ فِي الشِّكَايَةِ مِنْ صَاحِبِ السُّوءِ وَالنَّدِيمِ السَّيِّءِ الْخُلُقِ. فَالْمَرْجُوُّ الْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ بِسَمْعِ الْقَبُولِ فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ الْمُكَرَّمُ: أَنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَجَمِيعُ هِمَّتِهَا التَّرَفُّعُ عَلَى جَمِيعِ الْأَقْرَانِ، وَمُتَمَنَّاهَا بِالذَّاتِ أَنْ يَكُونَ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا وَمُنْقَادِينَ إِلَى أَوَامِرِهَا وَنَوَاهِيهَا وَلَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ هِيَ مُحْتَاجَةً إِلَى الشَّيْءِ وَمَحْكُومَةً لِأَحَدٍ أَبَدًا، وَهَذِهِ كُلُّهَا هِيَ دَعْوَى الْأُلُوهِيَّةِ مِنْهَا وَالشَّرِكَةُ مَعَ خَالِقِهَا الْمُنَزَّهِ عَنِ الْمِثْلِ وَالشِّبْهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ ، بَلْ هِيَ الْبَعِيدَةُ عَنِ السَّعَادَةِ غَيْرُ رَاضِيَةٍ بِالشَّرِكَةِ بَلْ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ هِيَ الْحَاكِمَةَ فَقَطْ لَا غَيْرُ وَيَكُونُ الْكُلُّ تَحْتَ حُكْمِهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ "عَادِ نَفْسَكَ فَإِنَّهَا انْتَصَبَتْ لِمُعَادَاتِي" [٢] فَتَرْبِيَةُ النَّفْسِ بِإِعْطَاءِ مُرَادَاتِهَا مِنَ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَالتَّرَفُّعِ وَالتَّكَبُّرِ، إِمْدَادُهَا فِي الْحَقِيقَةِ لِعَدَاوَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْوِيَتُهَا لِذَلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُدْرِكَ شَنَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ جِدًّا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ "الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ فِي نَارِي وَلَا أُبَالِي" [٣] وَإِنَّمَا كَانَتِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةُ مَبْغُوضَةً عِنْدَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَلْعُونَةً بِسَبَبِ أَنَّ حُصُولَهَا مُمِدٌّ وَمُعَاوِنٌ فِي حُصُولِ مُرَادَاتِ النَّفْسِ، فَمَنْ أَمَدَّ

---

(١) أخرجه البزار عن ابن عباس وابن الزبير والحاكم عن أبي ذر سند. (القزان رحمة الله عليه)

(٢) قيل هذا من قدسيات داود عليه السلام. (القزان رحمة الله عليه)

(٣) (وقوله والكبرياء الحديث) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجه عن ابن عباس أيضا سند. إشارة لما ورد فيه من الأحاديث سند. (القزان رحمة الله عليه)

الْعَدُوُّ لاَ جَرَمَ يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ وَالطَّرْدَ. وَإِنَّمَا صَارَ الْفَقْرُ فَخْرًا مُحَمَّدِيًّا [١] عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّ فِي الْفَقْرِ عَدَمَ حُصُولِ مُرَادِ النَّفْسِ وَحُصُولَ عَجْزِهَا. وَالْمَقْصُودُ مِنْ بِعْثَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْحِكْمَةُ فِي التَّكْلِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ تَعْجِيزُ هَذِهِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ وَتَخْرِيبُهَا، وَقَدْ وَرَدَتِ الشَّرَائِعُ لِرَفْعِ الْهَوَى النَّفْسَانِيِّ.

وَكُلَّمَا يُعْمَلُ شَيْءٌ بِمُقْتَضَى الشَّرِيعَةِ يَزُولُ مِنَ الْهَوَى النَّفْسَانِيِّ بِقَدْرِهِ وَلِهَذَا كَانَ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ أَفْضَلَ فِي إِزَالَةِ الْهَوَى النَّفْسَانِيِّ مِنْ رِيَاضَاتِ أَلْفِ سَنَةٍ وَمُجَاهَدَاتِهَا الَّتِي كَانَتْ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ، بَلْ هَذِهِ الرِّيَاضَاتُ وَالْمُجَاهَدَاتُ الَّتِي لَمْ تَقَعْ عَلَى مُقْتَضَى الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ مُؤَيِّدَةٌ وَمُقَوِّيَةٌ لِلْهَوَى النَّفْسَانِيِّ. وَلَمْ تُقَصِّرِ الْبَرَاهِمَةُ وَالْجُوكِيَّةُ فِي الرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ شَيْئًا، وَلَكِنَّهَا لَمَّا لَمْ تَكُنْ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا أَصْلاً وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ غَيْرُ تَقْوِيَةِ النَّفْسِ وَتَرْبِيَتِهَا. فَمَنْ صَرَفَ مَثَلاً دَانِقًا بِنِيَّةِ أَدَاءِ الزَّكَاةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الشَّرْعُ فَهُوَ أَنْفَعُ فِي تَخْرِيبِ النَّفْسِ مِنْ صَرْفِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ أَكْلُ الطَّعَامِ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ أَنْفَعُ فِي دَفْعِ الْهَوَى مِنْ صِيَامِ سِنِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَأَدَاءُ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ مَعَ الْجَمَاعَةِ الَّتِي هِيَ سُنَّةٌ مِنَ السُّنَنِ أَفْضَلُ مِنْ قِيَامِ تَمَامِ اللَّيْلَةِ بِالنَّافِلَةِ مَعَ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ فِي الْفَجْرِ. وَبِالْجُمْلَةِ: أَنَّ النَّفْسَ مَا لَمْ تَتَزَكَّ مِنْ خُبْثِ مَالِيخُولِيَا دَعْوَى السِّيَادَةِ وَالرِّفْعَةِ فَالنَّجَاةُ مُحَالٌ، فَفِكْرُ إِزَالَةِ هَذَا الْمَرَضِ ضَرُورِيٌّ كَيْلاَ يُفْضِيَ إِلَى الْمَوْتِ الأَبَدِيِّ، وَكَلِمَةُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الَّتِي وُضِعَتْ لِنَفْيِ الآلِهَةِ الآفَاقِيَّةِ وَالأَنْفُسِيَّةِ أَنْفَعُ فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَأَنْسَبُ لِتَطْهِيرِهَا، وَاخْتَارَ أَكَابِرُ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ لِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ،

(شِعْرٌ): مَا دُمْتَ لَمْ تَضْرِبْ بِلاَ عُنُقَ السِّوَى *** فِي قَصْرِ إِلاَّ اللهُ لَسْتَ بِوَاصِلِ

وَمَا دَامَتِ النَّفْسُ فِي مَقَامِ الْبَغْيِ وَالْعِنَادِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَالْفَسَادِ يَنْبَغِي أَنْ يُجَدَّدَ الإِيمَانُ بِتَكْرَارِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ " جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِقَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ " بَلْ لاَ بُدَّ مِنْ تَكْرَارِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ فِي مَقَامِ الْخُبْثِ دَائِمًا. وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَضَائِلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ حَدِيثُ "لَوْ وُضِعَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِفَّةِ

---

(١) (قوله وإنما صار الفقر الخ) إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله صلى الله عليه وسلم (الفقر فخري) قال ابن حجر وابن تيمية أنه باطل لا أصل له وقد ذكره في الشفاء عن علي كرم الله وجهه في حديث طويل بهذا اللفظ على ما في بعض نسخه وبلفظ والعجز فخري في بعض آخر. قال القاري في شرحه بعد الكلام فيه الحكم بوضعه وبطلانه باعتبار السنة لا باعتبار مبناه المطابق معناه للكتاب يعني قوله تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء) انتهى ملخصا سند عفي عنه.

لَتَرَجَّحَتْ هَذِهِ الكِفَّةُ عَلَى الأُخْرَى" (١) وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٢) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ الأَكْمَلُ وَالسَّلاَمُ الأَوْفَى.

(٥٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ إِلَى السَّيِّدِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ اخْتِلاَفَ عُلَمَاءِ السُّوءِ مُوجِبٌ لِفَسَادِ الْعَالَمِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

ثَبَّتَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الْكِرَامِ. قَدْ سَمِعْتُ أَنَّ سُلْطَانَ الإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ أَمَرَ جَنَابَكُمْ مِنْ حُسْنِ نَشْأَتِهِ الإِسْلاَمِيَّةِ الَّتِي أُودِعَتْ فِي جِبِلَّتِهِ أَنْ تَنْتَخِبَ أَرْبَعَةَ أَنْفَارٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَدَيِّنِينَ لِيُلاَزِمُوهُ وَيُبَيِّنُوا لَهُ الْمَسَائِلَ الشَّرْعِيَّةَ حَتَّى لاَ يَقَعَ أَمْرٌ عَلَى خِلاَفِ الشَّرِيعَةِ. اَلْحَمْدُ لِلهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَمَاذَا يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ أَحْسَنَ بِشَارَةً مِنْ ذَلِكَ وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ لأَهْلِ الْمَاتَمِ أَشَدَّ تَسْلِيَةً مِمَّا هُنَاكَ. وَلَكِنَّ الْفَقِيرَ حَيْثُ كُنْتُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ جَنَابِكُمُ الْعَالِي بِوَاسِطَةِ هَذَا الْغَرَضِ كَمَا أَظْهَرْتُ ذَلِكَ مُكَرَّرًا لاَ أُسَامِحُ نَفْسِي وَلاَ أُرَخِّصُ لَهَا فِي السُّكُوتِ وَالْقُعُودِ عَنِ الْكِتَابَةِ فِي هَذَا الْبَابِ بِالضَّرُورَةِ، فَالْمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ إِيَّايَ فَإِنَّ صَاحِبَ الْغَرَضِ مَجْنُونٌ وَالْمَعْرُوضُ الآنَ هُوَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُتَدَيِّنِينَ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ وَهُمُ الَّذِينَ جَاوَزُوا حُبَّ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَخَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَقْصِدٌ وَمَطْلَبٌ سِوَى تَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ وَتَأْيِيدِ الْمِلَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِيهِمْ حُبُّ الْجَاهِ يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَرَفًا مِمَّا يُلاَئِمُ مَرَامَهُ وَيَتَمَسَّكُ بِهِ وَيُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ أَفْضَلِيَّتَهُ وَيُورِدُ الإِخْتِلاَفَاتِ وَيُوقِعُ الْخِلاَفِيَّاتِ فِي الْبَيْنِ وَيَجْعَلُ ذَلِكَ وَسِيلَةً لِقُرْبِ السُّلْطَانِ فَيَكُونُ مُهِمُّ الدِّينِ لاَ مَحَالَةَ أَبْتَرَ وَأَقْطَعَ، وَاخْتِلاَفَاتُ الْعُلَمَاءِ هِيَ الَّتِي أَلْقَتِ الْعَالَمَ إِلَى الْبَلاَءِ فِي الْقَرْنِ السَّابِقِ فَإِذَا كَانَ هَذَا الدَّاءُ مُسْتَمِرًّا وَتِلْكَ الصُّحْبَةُ دَائِمَةً مِنْ أَيْنَ يُرْجَى تَرْوِيجُ الشَّرِيعَةِ. وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَجَالُ لِتَأْيِيدِ الْمِلَّةِ ؛ بَلْ يَكُونُ بَاعِثًا عَلَى التَّخْرِيبِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْعُلَمَاءِ السُّوءِ، فَإِنِ انْتَخَبْتُمْ لِهَذَا الْغَرَضِ عَالِمًا وَاحِدًا فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ، فَإِنْ تَيَسَّرَ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَاءِ الآخِرَةِ فَنِعْمَتِ السَّعَادَةُ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ فَاخْتَارُوا أَفْضَلَ هَذَا الْجِنْسِ بَعْدَ التَّأَمُّلِ الصَّحِيحِ مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ. وَلاَ أَدْرِي مَاذَا أَكْتُبُ. فَكَمَا أَنَّ نَجَاةَ الْخَلاَئِقِ مَرْبُوطَةٌ بِوُجُودِ الْعُلَمَاءِ كَذَلِكَ خُسْرَانُ الْعَالَمِ أَيْضًا مَنُوطٌ بِهِمْ. وَأَفْضَلُ الْعُلَمَاءِ أَفْضَلُ الْعَالَمِ وَشَرُّهُمْ شَرُّ الْخَلاَئِقِ قَدْ نِيطَتِ الْهِدَايَةُ وَالضَّلاَلَةُ بِهِمْ رَأَى وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ قَاعِدًا عَلَى الْفَرَاغِ عَلَى خِلاَفِ عَادَتِهِ فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ يَعْنِي مُتَعَجِّبًا فَقَالَ اللَّعِينُ: إِنَّ عُلَمَاءَ هَذَا

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة وصححه الحاكم عن أبي سعيد مرفوعا قلت في المشكاة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال موسى يا رب علمني شيأ أذكرك به أو أدعوك به فقال يا موسى قل لا إله إلا الله فقال يا رب كل عبادك يقول هذا إنما أريد شيأ تخصني به قال يا موسى لو أن السموات وعامرهن غيري والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله) شرح السنة اه سند. (القزاني رحمة الله عليه)

(٢) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الوَقْتِ قَدْ كَفَوْنِي مُؤْنَتِي وتَكَفَّلُوا لِي بِالْإِغْوَاءِ، وَالْإِضْلَالِ وَالْغَرَضُ إِقْدَامُكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَشُرُوعُكُمْ فِيهِ بَعْدَ رِعَايَةِ الْفِكْرِ الصَّحِيحِ وَالتَّأَمُّلِ الصَّادِقِ فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْيَدِ لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ. وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُسْتَحْيِيًا مِنْ إِظْهَارِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لِأَرْبَابِ الْفَطَانَةِ الصَّحِيحَةِ وَلَكِنْ لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ وَسِيلَةٌ لِلسَّعَادَةِ الْعُظْمَى كُنْتُ بَاعِثًا عَلَى التَّصْدِيعِ.

(٥٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ إِلَى السَّيِّدِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ الْإِجْتِنَابَ مِنْ صُحْبَةِ الْمُبْتَدِعِ لَازِمٌ وَأَنَّ ضَرَرَ صُحْبَتِهِمْ فَوْقَ ضَرَرِ صُحْبَةِ الْكُفَّارِ وَأَنَّ شَرَّ الْفِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ الشِّيعَةُ الشَّنِيعَةُ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

عَظَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ الْأَوْفَى وَالسَّلَامُ الْأَوْفَرُ. قَدْ وَرَدَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، فَشُكْرُ إِحْسَانَاتِكُمْ لَازِمٌ لَنَا فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَوَّلًا سَبَبًا لِجَمْعِيَّةِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا، فَطَلَبْنَا الْحَقَّ سُبْحَانَهُ بِبَرَكَتِكُمْ فِي تِلْكَ الْجَمْعِيَّةِ وَنِلْنَا حَظًّا وَافِرًا مِنْ تِلْكَ الْأُمْنِيَّةِ. وَلَمَّا بَلَغَتِ النَّوْبَةُ هَذِهِ الطَّبَقَةَ بِحُكْمِ: كَبُرْتُ بِمَوْتِ الْكُبَرَاءِ كُنْتُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً وَاسِطَةَ اجْتِمَاعِ الْفُقَرَاءِ وَبَاعِثًا عَلَى انْتِظَامِ نِظَامِ الطَّالِبِينَ الْغُرَبَاءِ فَجَزَاكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، (شعر):

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ * لِسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرًا**

وَالْمَأْمُولُ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِحُرْمَةِ جَدِّكُمْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

وَقَدْ بَعُدَ هَذَا الْفَقِيرُ عَنْ صُحْبَتِكُمْ وَنَأَى وَلَا أَدْرِي أَنَّ أَيَّ قِسْمٍ مِنَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِكُمُ الشَّرِيفِ وَمَنْ أَنِيسُكُمْ وَجَلِيسُكُمْ فِي مَحْفِلِكُمُ الْمُنِيفِ،

(شعر):

مِنْ مُقْلَتِي طَارَ الْمَنَامُ تَفَكُّرًا * مَنْ كَانَ مِنْ نُدَمَائِكُمْ وَضَجِيعِكُمْ**

وَأَيْقِنُوا أَنَّ فَسَادَ صُحْبَةِ الْمُبْتَدِعِ أَزْيَدُ مِنْ فَسَادِ صُحْبَةِ الْكَافِرِ، وَأَخْبَثُ جَمِيعِ الْمُبْتَدِعِينَ وَأَخَسُّهُمْ طَائِفَةٌ يُبْغِضُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لِهَؤُلَاءِ الطَّائِفَةِ كُفَّارًا حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) وَالْمُبَلِّغُونَ لِلْقُرْآنِ وَالشَّرِيعَةِ هُمُ الْأَصْحَابُ،

فَإِنْ كَانَ الْأَصْحَابُ مَطْعُونًا فِيهِمْ يَلْزَمُ الطَّعْنُ فِي الْقُرْآنِ وَالشَّرِيعَةِ، وَالْقُرْآنُ جَمَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ(١) عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ فَإِنْ كَانَ عُثْمَانُ مَطْعُونًا فِيهِ كَانَ الْقُرْآنُ مَطْعُونًا فِيهِ أَعَاذَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِمَّا يَعْتَقِدُهُ الزَّنَادِقَةُ وَالْاِخْتِلَافُ الْوَاقِعُ بَيْنَ الْأَصْحَابِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَكَذَا الْجِدَالُ وَالْقِتَالُ لَيْسَ بِمَحْمُولٍ عَلَى الْهَوَى النَّفْسَانِيِّ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ تَزَكَّتْ فِي صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ وَتَخَلَّصَتْ مِنْ وَصْفِ الْأَمَّارِيَّةِ، وَلَكِنَّ الَّذِي نَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْحَقَّ كَانَ فِي طَرَفِ عَلِيٍّ(٢) كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَالْخَطَأَ فِي طَرَفِ مُخَالِفِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا الْخَطَأَ خَطَأٌ اجْتِهَادِيٌّ وَهُوَ لَا يَبْلُغُ حَدَّ الْفِسْقِ بَلْ لَا مَجَالَ لِلْمَلَامَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ وَلِلْمُخْطِئِ فِيهِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الثَّوَابِ. وَيَزِيدُ الْبَعِيدُ عَنِ السَّعَادَةِ لَيْسَ مِنَ الْأَصْحَابِ فَلَا كَلَامَ لِأَحَدٍ فِي كَوْنِهِ بَعِيدًا عَنْ سَاحَةِ السَّعَادَةِ فَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي فَعَلَهُ هُوَ لَا يَفْعَلُهُ كُفَّارُ إِفْرَنْجٍ، وَقَدْ تَوَقَّفَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي لَعْنِهِ لَا لِكَوْنِهِ رَاضِيًا عَنْهُ أَوْ بِفِعْلِهِ بَلْ رِعَايَةً لِاحْتِمَالِ رُجُوعِهِ وَتَوْبَتِهِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُقْرَأَ فِي الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ كُلَّ يَوْمٍ شَيْءٌ مِنْ كُتُبِ قُطْبِ الزَّمَانِ مَخْدُومِ الْعَالَمِ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ كَيْفَ مَدَحَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْآدَابِ ذَكَرَهُمْ حَتَّى يَكُونَ الْمُخَالِفُونَ مَحْجُوبِينَ وَمَخْذُولِينَ. وَقَدْ غَالَى هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْبَاغِيَةُ الطَّاغِيَةُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ غُلُوًّا كَبِيرًا وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا وَانْتَشَرُوا فِي الْآفَاقِ وَالْأَكْنَافِ.

فَكَتَبْنَا فِي بَيَانِ فَسَادِهِمْ كَلِمَاتٍ بِهَذَا السَّبَبِ ; لِئَلَّا تَتَطَرَّقَ هَذِهِ الطَّائِفَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ وَكَيْلَا يَكُونَ لَهُمُ اعْتِبَارٌ فِي ذَلِكَ الْمَحْفَلِ الْمُنِيفِ.

ثَبَّتَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَرْضِيَّةِ.

---

(١) هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أبو عمرو، أمير المؤمنين ذي النورين – رضي الله عنه – تزوج ابنتي النبي صلى اله عليه وسلم رقية وأم كلثوم واحدة بعد الأخرى، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر و عمر – رضي الله عنهما – وروى عنه أولاده: أبان، وسعيد، وعمرو، وغيرهم، وهو أول من هاجر إلى الحبشة، ولم يشهد بدرا لتخلفه على تمريض زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم،وشهد المشاهد بعدها، مناقبه وفضائله كثيرة وشهيرة توفي رضي الله عنه في أيام التشريق سنة ٣٥ ه. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٩١ ترجمة ٥١٩٠.

(٢) – هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة، كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا تراب، أمه فاطمة بنت أسد أسلمت وماتت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، شهد بدرا وأحدا والمشاهد بعدها، وأبلى بلاء حسنا في بدر وأحد، والخندق، وخيبر، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في كثير من المشاهد، وما تخلف إلا عن غزوة تبوك، خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة، وقال له أنت مني بمنزلة هارون وموسى إلا أنه لا نبي بعدي، فضائله كثيرة –رضي الله عنه توفي رضي الله عنه – مقتولا ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/٢١١ ترجمة ٥٤٦٧.

(٥٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ إِلَى السَّيِّدِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبُخَارِيِّ(١)

فِي إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ

قَدْ ظَهَرَتْ فِي قَلْبِي مَحَبَّةٌ لِجَنَابِكُمْ مِنْ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ غَيْرَ الْإِرْتِبَاطِ الَّذِي تَحَقَّقَ سَابِقًا، فَنَحْنُ مَشْغُولُونَ بِدُعَائِكُمُ الْخَيْرِ مِنْ ظَهْرِ الْغَيْبِ بِلَا اخْتِيَارٍ. بِنَاءً عَلَى تِلْكَ الْمَحَبَّةِ وَحَيْثُ وَرَدَ مِنْ سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ وَمَفْخَرِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ "مَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْ إِيَّاهُ" (٢) رَأَيْتُ أَنَّ إِظْهَارَ حُبِّي أَوْلَى وَأَنْسَبُ، وَبِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَقْرِبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَلَ فِي الْيَدِ حَبْلُ الرَّجَاءِ التَّامِّ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٥٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَيْضًا

فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ مِنَ السَّادَاتِ

إِنَّ جَنَابَ قُدْسِ السَّادَاتِ كَثِيرُ الْبَرَكَاتِ بِوَاسِطَةِ الْجُزْئِيَّةِ مِنْ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُبَيِّنَ مَنْقَبَتَهُمْ وَمَحْمَدَتَهُمْ بِاللِّسَانِ إِلَّا أَنْ نَجْتَرِئَ فِي هَذَا الْبَابِ لِيَكُونَ مَدْحُهُمْ سَبَبًا لِسَعَادَتِنَا بَلْ إِنَّمَا نَمْدَحُ أَنْفُسَنَا فِي ضِمْنِهِ وَنُظْهِرُ الْمَوَدَّةَ الَّتِي أَمَرَنَا اللهُ بِهَا اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَحَامِلُ الْعَرِيضَةِ هَذِهِ السَّيِّدُ أَحْمَدُ مِنْ زُمْرَةِ السَّادَاتِ وَمِنْ جُمْلَةِ طَلَبَةِ الْعُلُومِ وَمِنْ جَمَاعَةِ الصَّالِحِينَ. وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ الْحُدُودِ مِنْ جِهَةِ ضِيقِ الْمَعِيشَةِ، فَإِنْ كَانَ فِي الْبَابِ الْعَالِي مَجَالٌ فَالْمُشَارُ إِلَيْهِ لَائِقٌ بِالنَّظَرِ وَالْإِمْدَادِ، وَمُسْتَحِقٌّ فِي الْغَايَةِ، وَإِلَّا فَيَنْبَغِي تَفْوِيضُهُ إِلَى شَخْصٍ مِنَ الْمُخْلِصِينَ لِيَجْعَلَهُ مُطْمَئِنًّا مِنْ جِهَةِ الْمَعِيشَةِ، وَلَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنَّ لِجَنَابِكُمْ تَوَجُّهًا أَتَمَّ فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي إِمْدَادِ السَّادَاتِ الْعِظَامِ أَقْدَمْنَا عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ وَالْمَذْكُورُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَسْعِدْ وَقْتَ الذَّهَابِ بِسَعَادَةِ الرُّخْصَةِ إِلَّا أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي زُمْرَةِ الْمُخْلِصِينَ. رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِقَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ فِي مَحَبَّتِهِمْ. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ انْبِسَاطٌ.

(٥٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدْ يُوسُفَ فِي النَّصِيحَةِ

---

(١) عبد الوهاب بن السيد أحمد الملتاني: جلال الدين شريف الله البخاري ثم الملتاني الهندي الحنفي الصوفي المتوفى سنة: ٩٣٢ ه، له: تفسير القرآن.

(٢) أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي في الزهد وابن حبان والحاكم وصححه عن المقدام بن معد يكرب وابن حبان عن أنس والبخاري في الأدب عن رجل من الصحابة بلفظ (إذا أحب أحدكم أخاه فليعلم أنه يحبه) شرح الجامع الصغير. (القزاني رحمة الله عليه)

رَزَقَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الْكِرَامِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (اعْلَمْ) أَنَّ السُّؤْدَدَ وَالرِّيَاسَةَ وَالْحَشْمَةَ مَوْرُوثَةٌ فِي جَمَاعَتِكُمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَعِيشَتُكُمْ وَمُعَاشَرَتُكُمْ عَلَى نَهْجٍ يَتَيَسَّرُ لَكُمُ اسْتِحْقَاقُ هٰذِهِ الْوِرَاثَةِ، أَعْنِي تَحْلِيَةَ الظَّاهِرِ بِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَتَزْيِينَ الْبَاطِنِ بِبَاطِنِهَا الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ الطَّرِيقَةَ وَالْحَقِيقَةَ عِبَارَتَانِ عَنْ حَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ، وَالطَّرِيقَةُ هِيَ نَفْسُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ لَا أَنَّ الشَّرِيعَةَ أَمْرٌ وَالطَّرِيقَةَ وَالْحَقِيقَةَ أَمْرَانِ آخَرَانِ مُغَايِرَانِ لَهَا، فَإِنَّ اعْتِقَادَ ذٰلِكَ إِلْحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ. وَظَنُّ الْفَقِيرِ بِكُمْ حَسَنٌ جِدًّا وَاجْعَلْ بَعْضَ الْوَقَائِعِ شَاهِدًا لِهٰذَا الْمَعْنَى وَقَدْ أَظْهَرْتُ نُبْذَةً مِنْ ذٰلِكَ لِوَالِدِكُمُ الْمَاجِدِ وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْغَنِيِّ رَجُلٌ مُحَلًّى بِالصَّلَاحِ وَحُسْنِ الشِّيمَةِ، فَإِنْ رَاجَعَ جَنَابَكُمْ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَالْمَرْجُوُّ مِنْكُمْ بَذْلُ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ وَالسَّلَامُ وَالْإِكْرَامُ.

(٥٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ إِلَى السَّيِّدِ مَحْمُودٍ فِي بَيَانِ أَنَّ هٰذَا الطَّرِيقَ كُلَّهُ سَبْعُ خُطُوَاتٍ وَأَنَّ مَشَائِخَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ بِخِلَافِ مَشَائِخِ السَّلَاسِلِ الْأُخَرِ وَأَنَّ طَرِيقَ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ هُوَ طَرِيقُ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ وَمَا يُنَاسِبُ ذٰلِكَ

قَدْ وَرَدَ مَكْتُوبُكُمُ الشَّرِيفُ وَلَمَّا فَهِمْتُ مِنْهُ شَوْقَكُمْ إِلَى اسْتِمَاعِ كَلِمَاتِ هٰؤُلَاءِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ بِالضَّرُورَةِ كَلِمَاتٍ إِجَابَةً لِلْمَسْئُولِ وَتَرْغِيبًا فِي الْمَأْمُولِ. أَيُّهَا الْمَخْدُومُ إِنَّ هٰذَا الطَّرِيقَ الَّذِي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِهِ كُلُّهُ سَبْعُ أَقْدَامٍ بِعَدَدِ اللَّطَائِفِ السَّبْعِ الْإِنْسَانِيَّةِ: قَدَمَانِ مِنْهَا فِي عَالَمِ الْخَلْقِ يَتَعَلَّقَانِ بِالْقَالَبِ أَعْنِي الْبَدَنَ الْعُنْصُرِيَّ وَالنَّفْسَ وَخَمْسَةٌ مِنْهَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ مَرْبُوطَةٌ بِالْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالسِّرِّ وَالْخَفِيِّ وَالْأَخْفَى، وَفِي كُلِّ قَدَمٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَقْدَامِ السَّبْعِ تَرْتَفِعُ عَشَرَةُ آلَافِ حِجَابٍ نُورَانِيَّةً كَانَتْ تِلْكَ الْحُجُبُ أَوْ ظُلْمَانِيَّةً "إِنَّ لِلّٰهِ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ"[1] فَفِي الْقَدَمِ الْأُولَى الَّتِي تُوضَعُ فِي عَالَمِ الْأَمْرِ يَظْهَرُ التَّجَلِّي الْأَفْعَالِيُّ، وَفِي الثَّانِيَةِ التَّجَلِّي الصِّفَاتِيُّ، وَيَقَعُ الشُّرُوعُ فِي التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ فِي الثَّالِثَةِ ثُمَّ وَثُمَّ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِهَا، وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ مِنَ الْخُطُوَاتِ السَّبْعِ يَبْعُدُ السَّالِكُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَقْرُبُ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ حَتَّى يَتِمَّ الْقُرْبُ بِتَمَامِ هٰذِهِ الْأَقْدَامِ، فَحِينَئِذٍ يَتَشَرَّفُ بِالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَيَبْلُغُ دَرَجَةَ

---

(١) الحديث رواه في المشكاة من قول جبريل كان بيني وبينه سبعون ألف حجاب وترك البياض ثم ألحق بعض الشراح روى ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر وقال ابن حجر انه صحيح ثم ذكر من الصحابة جبيرا بن مطعم وأن تعقب عليه علي القاري بأن ذكر العد غير صحيح ونفس الحجاب في صحيح مسلم من رواية أبي موسى مرفوعا حجاب من النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه قلت الحديث الذي في المشكاة غير الذي أخرجه مسلم والذي في المشكاة أورده السيوطي في حديث طويل جدا وعزاه إلى ابن زنجوية عن علي بن يزيد الهلالي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامه مرفوعا بلفظ يا محمد لقد دنوت من الله دنوا ما دنوت مثله قط فكان بيني وبينه سبعون ألف حجاب من نور الحديث بطوله ثم قال حم القاسم بن عبد الرحمن حدث عن علي بن يزيد باعا عجيب ما أراها إلا من قبل القاسم اه سند عفي عنه .

الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ. وَاخْتَارَ مَشَائِخُ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ ابْتِدَاءَ هَذَا السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ وَهُمْ يَقْطَعُونَ مَسَافَةَ عَالَمِ الْخَلْقِ أَيْضًا فِي ضِمْنِ هَذَا السَّيْرِ، بِخِلَافِ مَشَائِخِ سَلَاسِلَ أُخَرَ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ وَلِهَذَا كَانَ طَرِيقُ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ أَقْرَبَ الطُّرُقِ.

فَلَا جَرَمَ صَارَتْ نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ (ع) يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الرُّمَّانِ رَبِيعُهُ * وَطَرِيقُ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ هُوَ بِعَيْنِهِ طَرِيقُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّ مَا حَصَلَ لِلْأَصْحَابِ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ قَلَّمَا يَحْصُلُ لِكُمَّلِ الْأَوْلِيَاءِ فِي النِّهَايَةِ، وَلِهَذَا كَانَ الْوَحْشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلَ مِنْ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ[2] الَّذِي هُوَ خَيْرُ التَّابِعِينَ لِنَيْلِهِ صُحْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً. سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ[3]: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ[4] أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ[1]؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَلْغُبَارُ الَّذِي دَخَلَ أَنْفَ فَرَسِ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

---

(١) حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن عبد كلاب بن مرة، يكنى أبا عمارة، وكان له من الولد: يعلى وعامر وبنت وهي التي اختصم لها زيد وجعفر وعلي واسمها أمامة، كان إسلام حمزة عزة للإسلام والمسلمين ؛ قال محمد بن كعب القرظي: قال أبو جهل في رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك حمزة، فدخل المسجد مغضبا فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته، وأسلم حمزة فعزَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد دخول الرسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم (أخرجه الطبراني مرسلا عن محمد بن كعب القرظي)، وقال يزيد بن رومان المدني: وأول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لحمزة. انظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١/٢٩٥.

(٢) أويس القرني: أويس بن عامر القرني المرادي، والقرني بفتح القاف والراء نسبة إلى قرن بن رومان، سيد التابعين، ذكر الصريفيني أن مسلما أخرج حديث أويس، والذي في مسلم ذكر أويس وحكاية كلامه، لا ذكر روايته ؛ قلاال ابن عدي: ليس لأويس من الرواية شيء، إنما له حكايات ونتف في زهده، وقد شك قوم فيه، ولا يجوز أن يُشكَّ فيه لشهرته، ولا يتهيأ أن يحكم عليه بالضعف، بل هو ثقة صدوق، قال: ومالك ينكر أويسا ويقول: لم يكن. انظر: الحافظ ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١/٢٤٤.

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح من أهل مرو: ولد سنة ثمان عشرة ومائة، عالم فقيه مفسر محدث مؤرخ نحوي لغوي، قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأت عيناي أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك، له رحلات عديدة ومن تصانيفه الكثيرة: كتاب الزهد، السنن في الفقه، كتاب التفسير، البر والصلة، كتاب الجهاد، مات ب " هيت " منصرفا من الغزو في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة. انظر: المعارف: ٥١١، طبقات الفقهاء للشيرازي: ١٠٧، صفة الصفوة: ٢/٣٣٠، تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٤٧، شذرات الذهب: ١/٢٩٥، النجوم الزاهرة: ٢/١٠٣، هدية العارفين: ١/٤٣٨، الأعلام: ٤/١١٥، معجم المؤلفين: ٢/٢٧١، بروكلمان: ٣/١٥٣، تاريخ التراث العربي: ١/١٣٧.

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن الأموي، أسلم يوم الفتح وقيل: قبل ذلك، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وأخته أم حبيبة أم المؤمنين، وروى عنه: جرير بن عبد الله البجلي والسائب بن يزيد الكندي وابن عباس ومعاوية بن خديج وغيرهم، له في صحيح البخاري ثمانية أحاديث، ولاه عمر على الشام بعد أخيه يزيد، وأقره عثمان عليها مدة خلافته، ثم ولي الخلافة، قال ابن إسحاق: " كان معاوية أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة "، توفي معاوية رضي الله عنه في رجب لأربع بقين من سنة ٦٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب: ٥/٤٧٨، هدي الساري لابن حجر: ٥٠٠، رجال صحيح البخاري للكلاباذي: ٢/٧٠٣، رجال صحيح مسلم لابن منجويه: ٢/٢٢٨.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَذَا مَرَّةً (٢)، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِدَايَةُ جَمَاعَةٍ بِحَيْثُ انْدَرَجَتْ فِيهَا نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مَاذَا تَكُونُ نِهَايَتُهُمْ ؟! وَكَيْفَ يَسَعُهَا إِدْرَاكُ الْآخَرِينَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (٣)

(شِعْرٌ):

لَوْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا *** بَرَأْتُ سَاحَتَهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الْكَلِمِ

هَلْ يَقْطَعُ الثَّعْلَبُ الْمُحْتَالُ سِلْسِلَةً *** قُيِّدَتْ بِهَا أُسُدُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهِمْ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مَحَبَّةَ هَؤُلَاءِ الطَّائِفَةِ الْعَزِيزِي الْوُجُودِ. وَالْوَرَقَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُحَقَّرَةً وَلَكِنَّهَا قَدِ انْدَرَجَتْ فِيهَا مَعَارِفُ عَالِيَةٌ وَحَقَائِقُ سَامِيَةٌ، فَيَنْبَغِي إِعْزَازُهَا يَعْنِي مِنْ أَجْلِهَا .

(٥٩) الْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ إِلَى السَّيِّدِ مَحْمُودٍ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي حُصُولِ النَّجَاةِ مِنْ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ وَأَنَّهَا لَا تُتَصَوَّرُ بِدُونِ اتِّبَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَنَّ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ مُتَعَلِّقَانِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْإِخْلَاصَ مَنُوطٌ بِسُلُوكِ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَالْإِقْبَالَ عَلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِالْكُلِّيَّةِ. وَقَدْ وَرَدَتِ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى الْمُفَاوَضَةِ الْمُنِيفَةِ فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلْفَرَحِ، وَاتَّضَحَتِ الْمُقَدِّمَاتُ الْمُنْبِئَةُ عَنْ مَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ وَالْإِخْلَاصِ لِهَؤُلَاءِ الطَّائِفَةِ الْغُرَبَاءِ، اللَّهُمَّ زِدْ. وَانْدَرَجَ فِيهَا أَيْضًا طَلَبُ الْفَوَائِدِ فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ. وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ حَتَّى تَتَيَسَّرَ النَّجَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ وَالْإِخْلَاصُ.

وَالْعِلْمُ عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الْعَمَلُ وَقَدْ تَكَفَّلَ بِبَيَانِهِ عِلْمُ الْفِقْهِ.

---

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان: يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي وعمر بن العزيز رضي الله عنهم، وقال الإمام أحمد بن حنبل: يروى في الحديث: " إن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها " فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبدالعزيز، ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي. وعن الضحاك بن عثمان قال: لما انصرف عمر بن عبدالعزيز عن قبر سليمان بن عبدالملك صُفَّتْ له مراكب سليمان، فقال: ولولا التقى ثم النهى خشية الردي لعاصيت في حب الصبا كل زاجرِ قضى ما قضى فيما قضى ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالي الغوابر انظر في ترجمة عمر بن عبدالعزيز: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٢/٨٠.

(٢) في الفتاوى الحديثية لابن حجر من مائة وواحد مثل ابن عبد العزيز اه سند.

(٣) الآية: ٣١ من سورة المدثر.

وَقِسْمٌ الْمَقْصُودُ مِنْهُ مُجَرَّدُ الإِعْتِقَادِ وَالْيَقِينِ الْقَلْبِيِّ وَذُكِرَ هَذَا الْقِسْمُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ بِالتَّفْصِيلِ عَلَى مُقْتَضَى آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ. وَلَا إِمْكَانَ لِلنَّجَاةِ وَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِيهَا بِدُونِ اتِّبَاعِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ فَإِنْ وَقَعَتِ الْمُخَالَفَةُ لَهُمْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ فَالْأَمْرُ فِي خَطَرٍ أَيِّ خَطَرٍ. وَهَذَا الْكَلَامُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الصِّحَّةِ مَرْتَبَةَ الْيَقِينِ بِالْكَشْفِ الصَّحِيحِ وَالإِلْهَامِ الصَّرِيحِ أَيْضًا لَا احْتِمَالَ فِيهِ لِلتَّخَلُّفِ. فَطُوبَى لِمَنْ وُفِّقَ لِمُتَابَعَتِهِمْ وَتَشَرَّفَ بِتَقْلِيدِهِمْ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُمْ وَاعْتَزَلَهُمْ وَرَفَضَ أُصُولَهُمْ وَخَرَجَ مِنْ زُمْرَتِهِمْ فَضَلَّ وَأَضَلَّ وَأَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ وَالشَّفَاعَةَ وَخَفِيَ عَلَيْهِ فَضِيلَةُ الصُّحْبَةِ وَفَضْلُ الصَّحَابَةِ وَحُرِمَ مَحَبَّةَ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ وَمَوَدَّةَ أَوْلَادِ الْبَتُولِ[1] فَمُنِعَ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ نَالَهَا أَهْلُ السُّنَّةِ. وَاتَّفَقَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الصَّحَابَةِ-: اضْطَرَّ النَّاسُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَجِدُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَوَلَّوْهُ رِقَابَهُمْ وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْهُ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الصِّدِّيقِ فَيَكُونُ إِجْمَاعًا عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ قَطْعِيًّا لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ. وَأَهْلُ بَيْتِ الرَّسُولِ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ أَصْحَابَهُ كَالنُّجُومِ[3] وَبِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ. وَشَبَّهَ أَهْلَ بَيْتِهِ بِسَفِينَةِ نُوحٍ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ رَاكِبَ السَّفِينَةِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رِعَايَةِ النُّجُومِ لِيَأْمَنَ مِنَ الْهَلَاكِ وَبِدُونِ رِعَايَةِ النُّجُومِ النَّجَاةُ مُمْتَنِعَةٌ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الإِنْكَارَ عَلَى بَعْضٍ إِنْكَارٌ عَلَى جَمِيعِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِي فَضِيلَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ مُشْتَرِكُونَ، وَفَضِيلَةُ الصُّحْبَةِ فَوْقَ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ، وَلِهَذَا لَمْ يَبْلُغْ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ الَّذِي هُوَ خَيْرُ التَّابِعِينَ مَرْتَبَةَ أَدْنَى مِنْ صَحِبَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَا تَعْدِلُ بِفَضِيلَةِ الصُّحْبَةِ شَيْئًا كَائِنًا مَا كَانَ، فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ بِبَرَكَةِ الصُّحْبَةِ وَشُهُودِ نُزُولِ الْوَحْيِ صَارَ شُهُودِيًّا. وَلَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ بَعْدَ الصَّحَابَةِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ مِنَ

---

(١) يعني السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الشافعي المطلبي القرشي إمام الأئمة مجدد القرن الثاني يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، الإمام الأعظم والحبر المكرم أحد الأئمة المجتهدين الأعلام ركن الإسلام أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنتسب الشافعية، ومذهبه ينحو إلى التوفيق بين مذهب أهل الحديث الذي سار عليه مالك ومذهب أهل الرأي الذي أخذ به أبو حنيفة، ولد سنة ١٥٠ ه وتوفي بالقرافة الصغرى بمصر سنة ٢٠٤ ه، أول من دون علم أصول الفقه، له الرسالة في أصول الفقه، الأم في الفقه، جماع العلم، أفرد العلماء ترجمته بالتصنيف منها: مناقب الشافعي لابن أبي حاتم والبيهقي والرازي ومنها معالي التأسيس للحافظ ابن حجر، الشافعي حياته وعصره لأبي زهرة، انظر: تاريخ بغداد: ٥٦/٢، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٦٠، طبقات الشافعية لابن هداية: ١٨٥، صفة الصفوة: ٤٨٢/١، طبقات الحنابلة: ٢٨٠/١، المنهج الأحمد: ٦٣/١، تهذيب التهذيب: ٥/ ٢٠، شذرات الذهب: ٩/٢، النجوم الزاهرة: ١٧٦/٢، هدية العارفين: ٩/٢، الأعلام: ٢٦/٦، معجم المؤلفين: ١١٦/٣، بروكلمان: ٢٩٢/٣، تاريخ التراث العربي: ١٦٥/٢.

(٣) (أشارة إلى ما هو المشهور على الألسنة من قول أصحابي كالنجوم الخ) والحديث متكلم فيه وقد اخرج المسلم عن أبي موسى الأشعرى بلفظ النجوم أمنة أهل السماء فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي بما يوعدون اه سند عفي عنه.

الإيمان، والأعمالُ متفرّعةٌ على الإيمان كمالُها بحسب كمال الإيمان، وما جرى بينهم من المشاجرات والمنازعات فمحمولٌ على محاملَ صالحة وحِكَمٍ بالغة ما كانت عن هوى وجهلٍ ولكن عن اجتهاد وعلمٍ، فإن أخطأ بعضُهم في الاجتهاد فللمخطئ أيضًا درجةٌ عند الله سبحانه. هذا هو الطريقُ الوسطُ بين الإفراط والتفريط الذي اختاره أهلُ السنّة والجماعة وهو الطريقُ الأسلمُ والسبيلُ الأحكمُ. وبالجملة أنّ العلمَ والعملَ مستفادان من الشريعة، وتحصيلُ الإخلاص الذي هو بمنزلة الروح للعلم والعمل مربوطٌ بسلوك طريقة الصوفيّة.

وما لم يقطع السالكُ مسافةَ السير إلى الله ولم يتحقّق له السيرُ في الله فهو بعيدٌ من حقيقة الإخلاص ومحرومٌ من كمالات المخلَصين أهل الاختصاص. نعم قد يتحقّقُ الإخلاصُ في بعض الأعمال لعامّة المؤمنين بالتعمّل والتكلّف ولو في الجملة ولكنّ الإخلاصَ الذي نحن في صدد بيانه هو الإخلاصُ في جميع الأفعال والأقوال والحركات والسكنات من غير تعمّلٍ وتكلّفٍ فيه. وحصولُ هذا الإخلاص منوطٌ بانتفاء الآلهة الآفاقيّة والأنفسيّة الذي هو مربوطٌ بالفناء والبقاء.

والوصولُ بالولاية الخاصّة والإخلاصِ الذي يحتاج فيه إلى التعمّل والتكلّف لا يكون له دوامٌ، ولا بدّ من سقوط التكلّف في حصول الدوام الذي هو مرتبةُ حقّ اليقين. وأولياءُ الله تعالى كلّما يفعلونه يفعلونه لله جلّ وعلا لا لحظوظ نفوسهم فإنّ نفوسهم كانت فداءَ الحقّ سبحانه ولا حاجةَ لهم إلى تصحيح النيّة في حصول الإخلاص فإنّ نيّتهم قد صحّت بالفناء في الله والبقاء بالله، فإنّ شخصًا مثلاً إذا كان أسيرًا في يد نفسه فكلّما يفعله، يفعله لحظّ نفسه نوى أو لم ينو، ومتى زال تعلّقُه بنفسه وتخلّص من ربقة رقّيتها وحصل بدله التعلّقُ بالحقّ جلّ وعلا فلا جرم يفعل كلّما يفعله لله نوى أو لم ينو فإنّ النيّة إنّما يحتاج إليها في المحتمل، وأمّا المتعيّنُ فلا حاجةَ فيه إلى التعيين ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [(١)]

وصاحبُ الإخلاص الدائم هو من المخلَصين بفتح اللام ومن لا دوامَ في إخلاصه بل هو في كسب الإخلاص دائمًا فهو من المخلِصين بكسر اللام وشتّان ما بينهما. والنفعُ الذي يحصل في العلم والعمل من طريق الصوفيّة هو أن تكون العلومُ الكلاميّةُ الاستدلاليّةُ كشفيّةً، وأن يحصل اليسرُ التامُّ في أداء الأعمال وأن يزول الكسلُ الناشئُ من جانب النفس والشيطان. (ع) **وهذي سعاداتٌ تكونُ نصيبَ مَنْ** * والسلامُ أولاً وآخرًا.

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٦٠) اَلْمَكْتُوبُ السِّتُّونَ إِلَى السَّيِّدِ مَحْمُودٍ أَيْضًا فِي بَيَانِ نَفْيِ الْخَوَاطِرِ وَدَفْعِ الْوَسَاوِسِ الْكُلِّيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

شَرَّفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِدَوَامِ التَّعَلُّقِ بِجَنَابِ قُدْسِهِ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْحُرِّيَّةِ إِنَّمَا هِيَ فِي ذَلِكَ التَّحَقُّقِ، وَمَنْعُ الْخَوَاطِرِ، وَدَفْعُ الْوَسَاوِسِ حَاصِلٌ فِي طَرِيقَةِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ، حَتَّى جَلَسَ بَعْضُ مَشَائِخِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْأَرْبَعِينَ لِمُلَاحَظَةِ خُطُورِ الْخَوَاطِرِ وَمَنْعِهَا عَنْ سَاحَةِ صَدْرِهِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا، قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةُ عُبَيْدُ اللهِ أَحْرَارْ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِعَدَمِ خُطُورِ الْخَوَاطِرِ وَدَفْعِهَا هِيَ الْخَوَاطِرُ الَّتِي تَكُونُ مَانِعَةً مِنْ دَوَامِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَطْلُوبِ لَا دَفْعُ الْخَوَاطِرِ مُطْلَقًا يَقُولُ وَاحِدٌ مِنْ مُخْلِصِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ مُخْبِرًا عَنْ حَالِهِ بِحُكْمِ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [1]: إِنَّ نَفْيَ الْخَوَاطِرِ عَنِ الْقَلْبِ يَبْلُغُ حَدًّا لَوْ أُعْطِيتُ عُمْرَ نُوحٍ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرْضًا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِي شَيْءٌ مِنَ الْخَوَاطِرِ، لَا أَنَّهُ مُتَكَلِّفٌ فِي هَذَا الدَّفْعِ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ حُصُولُهُ بِالتَّكَلُّفِ فَهُوَ مُؤَقَّتٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَامَ بَلْ لَوْ تَكَلَّفَ فِي إِتْيَانِ الْخَوَاطِرِ وَإِيقَاعِهَا سِنِينَ لَا يَتَيَسَّرُ أَصْلًا، وَتَعْيِينُ الْأَرْبَعِينَ يُنْبِئُ عَنِ التَّكَلُّفِ. وَالتَّكَلُّفُ إِنَّمَا هُوَ فِي مَرْتَبَةِ الطَّرِيقَةِ، وَأَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ التَّخَلُّصُ مِنَ التَّعَمُّلِ وَالتَّكَلُّفِ يَادْكَرْدْ فِي الطَّرِيقَةِ وَيَادْدَاشْتْ فِي الْحَقِيقَةِ، فَتَحَقَّقَ أَنَّ دَوَامَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَطْلُوبِ عَلَى تَقْدِيرِ تَحَقُّقِ مَنْعِ الْخَوَاطِرِ الْمُؤَقَّتِ بِوَقْتٍ مِنَ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ مُحَالٌ لِمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ التَّكَلُّفَ فِي مَرْتَبَةِ الطَّرِيقَةِ وَالدَّوَامَ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِي الطَّرِيقَةِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ، وَذَلِكَ لِعَدَمِ مَجَالٍ لِلتَّكَلُّفِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ، فَوُرُودُ الْخَاطِرِ وَخُطُورُهُ فِي مَرْتَبَةِ التَّكَلُّفِ يَكُونُ مَانِعًا مِنْ دَوَامِ التَّوَجُّهِ. وَالَّذِي يَحْصُلُ لِقُلُوبِ مُبْتَدِئِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ مِنْ دَوَامِ التَّوَجُّهِ فَهُوَ أَمْرٌ آخَرُ. وَمَا نَحْنُ بِصَدَدِ بَيَانِهِ فَعِبَارَةٌ عَنْ يَادْدَاشْتْ الَّذِي هُوَ نِهَايَةُ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ. قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةُ عَبْدُ الْخَالِقِ قُدِّسَ سِرُّهُ لَيْسَ وَرَاءَ يَادْدَاشْتْ غَيْرُ الْأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ يَعْنِي لَيْسَ وَرَاءَهُ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى وَالْمَقْصُودُ مِنْ إِظْهَارِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ هُوَ تَرْغِيبُ طَالِبِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ وَإِنْ لَمْ يَزِدْ لِلْمُنْكِرِينَ غَيْرَ الْإِنْكَارِ شَيْئًا ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [2].قَالَ فِي الْمَثْنَوِيِّ، (شِعْرٌ): خَابَ الَّذِي قَدْ يَرَى ذَا الْقُبْحِ كَالْحُسْنِ *** وَفَازَ مَنْ كَانَ فِيهِ حِدَّةُ الْبَصَرِ

النِّيلُ كَانَ دَمًا لِلْقِبْطِ وَلِبَنِي *** يَعْقُوبَ مَاءً وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ* وَالسَّلَامُ وَالْإِكْرَامُ.

(٦١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالسِّتُّونَ إِلَى السَّيِّدِ مَحْمُودٍ أَيْضًا فِي التَّحْرِيضِ عَلَى صُحْبَةِ الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ وَالْإِجْتِنَابِ عَنْ صُحْبَةِ النَّاقِصِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

---

(١) الآية: ١١من سورة الضحى.

(٢) الآية: ٢٦ من سورة البقرة.

رَزَقَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الزِّيَادَةَ فِي طَلَبِهِ وَالْإِجْتِنَابَ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي الْوُصُولَ إِلَى الْمَطْلَبِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُحَرَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. قَدْ شَرَّفَ مَكْتُوبُكُمُ الشَّرِيفُ بِوُصُولِهِ، وَلَمَّا كَانَ مُنْبِئًا عَنِ الطَّلَبِ وَالشَّوْقِ وَمُشْعِرًا بِوُجُودِ الْهِيَامِ وَالظَّمَأِ وَالذَّوْقِ، كَانَ لَدَى النَّظَرِ مُسْتَحْسَنًا جِدًّا فَإِنَّ وُجُودَ الطَّلَبِ مُبَشِّرٌ بِحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَحُصُولَ الْهِيَامِ مُقَدِّمَةُ الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ. وَقَالَ أَحَدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ: إِنْ طَلَبْتَ تُعْطَى وَإِنْ لَمْ تُعْطَ تُرَادُ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ حُصُولُ دَوْلَةِ الطَّلَبِ نِعْمَةً عُظْمَى، وَأَنْ يُحْتَرَزَ مِنْ كُلِّ مَا يُنَافِيهَا لِئَلَّا يَتَطَرَّقَ الْفُتُورُ إِلَيْهَا مِنْ غَيْرِ شُعُورٍ وَكَيْلَا تُؤَثِّرَ الْبُرُودَةُ فِي تِلْكَ الْحَرَارَةِ. وَمُعْظَمُ أَسْبَابِ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا هُوَ الْقِيَامُ بِشُكْرِ حُصُولِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** (١) وَدَوَامُ الْإِلْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ حَتَّى لَا يُصْرَفَ وَجْهُ طَلَبِهِ عَنْ كَعْبَةِ جَمَالِهِ الْيَزَالِيِّ، فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ حَقِيقَةُ الْإِلْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَقْصُرَ فِي صُورَةِ الْإِلْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ "فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا" بَيَانٌ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَهَذِهِ الْمُحَافَظَةُ إِنَّمَا هِيَ إِلَى زَمَانِ الْوُصُولِ إِلَى الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ ثُمَّ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ سِوَى تَفْوِيضِ جَمِيعِ مُرَادَاتِهِ إِلَيْهِ وَكَوْنِهِ كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَسَّالِ لَدَيْهِ.

وَالْفَنَاءُ الْأَوَّلُ هُوَ الْفَنَاءُ فِي الشَّيْخِ، وَيَكُونُ هَذَا الْفَنَاءُ وَسِيلَةَ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ، (شِعْرٌ):

مِنْ أَجْلِ كَوْنِكَ فِي الْبِدَايَةِ أَحْوَلاً * لَا بُدَّ مِنْ شَيْخٍ يَقُودُكَ أَوَّلاً**

فَإِنَّ طَرِيقَ الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى وُجُودِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

وَالطَّالِبُ لَا بُدَّ لَهُ أَوَّلاً مِنْ بَرْزَخٍ ذِي جِهَتَيْنِ لِكَوْنِهِ فِي الْإِبْتِدَاءِ فِي غَايَةِ الدَّنَاءَةِ وَنِهَايَةِ الْخَسَاسَةِ وَعَدَمِ مُنَاسَبَتِهِ أَصْلاً لِجَنَابِ قُدْسِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ، وَذَلِكَ الْبَرْزَخُ هُوَ الشَّيْخُ الْكَامِلُ الْمُكَمِّلُ. وَأَقْوَى أَسْبَابِ وُقُوعِ الْفُتُورِ عَلَى طَلَبِ الطَّالِبِ هُوَ الْإِنَابَةُ إِلَى الشَّيْخِ النَّاقِصِ، وَهُوَ الَّذِي جَلَسَ عَلَى مَسْنَدِ الْمَشْيَخَةِ بِدُونِ إِتْمَامِ أَمْرِهِ بِالسُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ، فَصُحْبَتُهُ سُمٌّ قَاتِلٌ لِلطَّالِبِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ مَرَضٌ مُهْلِكٌ. وَمِثْلُ هَذِهِ الصُّحْبَةِ تُورِثُ الْإِنْحِطَاطَ وَالتَّنَزُّلَ لِلْإِسْتِعْدَادِ الْعَالِي، بَلْ تَرْمِيهِ مِنَ الذِّرْوَةِ إِلَى الْحَضِيضِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَرِيضَ إِذَا أَكَلَ مَثَلاً دَوَاءً مِنْ طَبِيبٍ نَاقِصٍ فِي الطِّبِّ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ ذَلِكَ سَعْيًا وَاجْتِهَادًا مِنْهُ فِي زِيَادَةِ مَرَضِهِ وَتَضْيِيعِ قَابِلِيَّةِ إِزَالَةِ مَرَضِهِ، وَهَذَا الدَّوَاءُ وَإِنْ أَوْرَثَ تَسْكِينَ الْوَجَعِ وَتَخْفِيفَ مَا فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ عَيْنُ الْمَضَرَّةِ، فَإِنْ وَصَلَ هَذَا الْمَرِيضُ فَرْضًا إِلَى طَبِيبٍ حَاذِقٍ يَجْتَهِدُ هَذَا الطَّبِيبُ أَوَّلاً فِي إِزَالَةِ تَأْثِيرِ ذَلِكَ الدَّوَاءِ وَيُعَالِجُهُ بِالْمُسَهِّلَاتِ يَعْنِي لِإِخْرَاجِهِ ثُمَّ يَشْرَعُ فِي مُعَالَجَةِ إِزَالَةِ الْمَرَضِ بَعْدَ زَوَالِ ذَلِكَ التَّأْثِيرِ.

وَمَدَارُ طَرِيقِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ عَلَى الصُّحْبَةِ لَا يَحْصُلُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَالسَّمَاعِ الْعَارِي عَنِ الْأَحْوَالِ بَلْ يُورِثُ ذَلِكَ فُتُورًا فِي طَلَبِ التَّرَقِّي إِلَى مَدَارِجِ الْقُرْبِ وَالْكَمَالِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَقَعَ السَّيْرُ إِلَى

---

(١) الآية: ٧ من سورة إبراهيم.

جانب دهلي وأكره بعد أيام فإن أوصلت نفسك هناك واستفدت بالمشافهة شيئًا ثم رجعت بلا تأخير يكون حسنًا. والزيادة على ذلك تصديع.

وأجوبة بقية الأسئلة أن الشيخ تاجا صاحب المعارف والإبتهاج مغتنم في ذلك الطرف فإنه رجل محتشم وعظيم الشأن جدًا ولكن استعدادك إلى طريقه قليلة جدًا، وحصول المطلوب من غير رابطة المناسبة متعسر، والأمر مفوض إليكم فإن كتبتم من أحوالكم شيئًا في بعض الأحيان لنكتب من هذا الجانب في جوابه شيئًا لكان مناسبًا فإن تلك الحيثية تكون باعثة على تحريك سلسلة الإخلاص دائمًا.

(٦٢) المكتوب الثاني والستون إلى جناب المرزا حسام الدين أحمد في بيان أن الجذبة التي هي قبل السلوك ليست من المقاصد بل هي وسيلة لقطع منازل السلوك بالسهولة والجذبة التي من المقاصد إنما هي بعد السلوك وما يناسب ذلك

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اعلم أن طريق الوصول مركب من جزأين: جذبة وسلوك. وبعبارة أخرى تصفية وتزكية، والجذبة التي هي مقدمة على السلوك ليست من المقاصد، والتصفية التي قبل التزكية ليست من المطالب.

والجذبة المقصودة والتصفية المطلوبة إنما هما الحاصلتان بعد تمام السلوك، وحصول التزكية التي هي في السير في الله. وفائدة الجذبة والتصفية السابقتين للسلوك والتزكية إنما هي تسهيل مسالك السلوك فإن الأمر لا يحصل بدون السلوك، وجمال المطلوب لا يتجلى من غير قطع المنازل. والجذبة الأولى كالصورة للجذبة الثانية لا مناسبة بينهما في الحقيقة يعني سوى هذا المراد باندراج النهاية في البداية كما ورد ذلك في عبارات مشائخ هذه السلسلة العلية هو اندراج صورة النهاية في البداية وإلا فالبداية لا تسع حقيقة النهاية ولا مناسبة بين النهاية والبداية. وتحقيق هذا المبحث مذكور بالتفصيل في الرسالة التي حررتها لتحقيق حقيقة الجذبة والسلوك وأمثالها. والحاصل أن العبور من الصورة إلى الحقيقة ضروري والإكتفاء من الحقيقة بالصورة مهجوري. حققنا الله سبحانه بالحقيقة الحقة وجنبنا عن الصورة الباطلة بحرمة النبي المختار وآله الأبرار عليه وعليهم من الصلوات أكملها ومن التحيات أفضلها.

(٦٣) المكتوب الثالث والستون إلى السيد النقيب الشيخ فريد في بيان أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون في أصول الدين واختلافهم إنما هو في الفروع وبيان بعض كلماتهم المتفقة

ثَبَّتَنَا اللّٰهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الْكِرَامِ عَلَى أَفْضَلِهِمْ أَصَالَةً وَعَلَى بَوَاقِيهِمْ مُتَابَعَةً الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاعْلَمْ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللّٰهِ تَعَالَى وَتَسْلِيمَاتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى جَمِيعِهِمْ عُمُومًا وَعَلَى أَفْضَلِهِمْ خُصُوصًا كُلُّهُمْ رَحَمَاتٌ مِنَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ اسْتَسْعَدَ الْعَالَمُ بِتَوَسُّطِ هٰؤُلَاءِ الْعِظَامِ بِالنَّجَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَتَخَلَّصُوا مِنَ الْبَلِيَّاتِ السَّرْمَدِيَّةِ فَلَوْلَا وُجُودُهُمُ الشَّرِيفُ لَمَا أَخْبَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ الَّذِي هُوَ الْغَنِيُّ الْمُطْلَقُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ عَنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَلَمَا دَلَّ عَلَيْهَا أَحَدًا وَلَمَا أَهْدَى إِلَى مَعْرِفَتِهِ شَخْصًا أَبَدًا وَلَمَا كَلَّفَ عِبَادَهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ مَنَاهِيهِ سَرْمَدًا اللَّذَيْنِ كَلَّفَهُمْ بِهِمَا بِمَحْضِ كَرَمِهِ لِنَفْعِهِمْ وَلَمَا امْتَازَتْ مَرْضِيَّاتُهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ مَرْضِيَّاتِهِ، فَشُكْرُ هٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى بِأَيِّ لِسَانٍ يُؤَدِّي وَلِمَنْ يَكُونُ مَجَالُ الْخُرُوجِ عَنْ عُهْدَتِهِ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَجَعَلَنَا مِنْ مُصَدِّقِي الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهٰؤُلَاءِ الْعِظَامُ مُتَّفِقُونَ فِي الْأُصُولِ وَكَلِمَتُهُمْ مُتَّحِدَةٌ فِي ذَاتِ الْحَقِّ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَفِي الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَنُزُولِ الْمَلَكِ وَوُرُودِ الْوَحْيِ وَنَعِيمِ الْجَنَّةِ وَعَذَابِ الْجَحِيمِ بِطَرِيقِ الْخُلُودِ وَالتَّأْبِيدِ، وَاخْتِلَافُهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِفُرُوعِ الدِّينِ وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ أَرْسَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ إِلَى أَنْبِيَاءِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ بَعْضَ الْأَحْكَامِ الْمُنَاسِبَةِ لِذٰلِكَ الزَّمَانِ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ، وَكَلَّفَهُمْ بِأَحْكَامٍ مَخْصُوصَةٍ، وَالنَّسْخُ وَالتَّبْدِيلُ دَائِرَانِ عَلَى حِكَمٍ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَصَالِحَ وَكَثِيرًا مَا وَرَدَتْ إِلَى نَبِيٍّ صَاحِبِ شَرِيعَةٍ يَعْنِي مُسْتَقِلَّةٍ أَحْكَامٌ مُتَضَادَّةٌ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بِطَرِيقِ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمُ الْمُتَّحِدَةِ وَعِبَارَاتِهِمُ الْمُتَّفِقَةِ نَفْيُ عِبَادَةِ غَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَنْعُ الْإِشْرَاكِ مَعَهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَمَنْعُ الْمَخْلُوقَاتِ عَنِ اتِّخَاذِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ. وَهٰذَا الْحُكْمُ مَخْصُوصٌ بِالْأَنْبِيَاءِ وَلَمْ يُشَرَّفْ بِهٰذِهِ الدَّوْلَةِ غَيْرُ مُتَابِعِيهِمْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهٰذَا الْكَلَامِ أَحَدٌ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ. وَالَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَإِنْ أَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلٰكِنَّ حَالَهُمْ غَيْرُ خَالٍ عَنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا تَقْلِيدُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَإِمَّا التَّوْحِيدُ فِي وُجُوبِ الْوُجُودِ فَقَطْ دُونَ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَعْنِي اتِّبَاعَ الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ فَإِنَّهُمْ يُوَحِّدُونَهُ سُبْحَانَهُ فِي وُجُوبِ الْوُجُودِ وَفِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِنُطْقِ كَلِمَةِ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ نَفْيُ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ وَإِثْبَاتُ الْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ، وَمِمَّا يَخْتَصُّ بِهٰؤُلَاءِ الْعِظَامِ اعْتِقَادُ أَنْفُسِهِمْ بَشَرًا مِثْلَ سَائِرِ النَّاسِ وَاعْتِقَادُ أَنَّ الْإِلٰهَ الْمَعْبُودَ هُوَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَدَعْوَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهُهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَنِ الْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ. وَمُنْكِرُو النُّبُوَّةِ لَيْسُوا كَذٰلِكَ بَلْ رُؤَسَاؤُهُمْ يَدَّعُونَ الْأُلُوهِيَّةَ وَيُثْبِتُونَ حُلُولَ الْحَقِّ فِي أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَتَحَاشَوْنَ مِنْ دَعْوَى اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ وَإِطْلَاقِ اسْمِ الْأُلُوهِيَّةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. فَلَا جَرَمَ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَخْلَعُونَ رِبْقَةَ الْعُبُودِيَّةِ عَنْ رِقَابِهِمْ وَيَقَعُونَ فِي مُنْكَرَاتِ الْأَفْعَالِ وَمُسْتَقْبَحَاتِ الْأَعْمَالِ وَيَسْلُكُونَ سَبِيلَ الْإِبَاحَةِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ اللّٰهَ غَيْرُ مَمْنُوعٍ مِنْ شَيْءٍ أَصْلًا وَكُلَّمَا يَقُولُونَهُ يَحْسَبُونَهُ صَوَابًا وَكُلَّمَا يَفْعَلُونَ يَزْعُمُونَهُ مُبَاحًا ضَلُّوا فَأَضَلُّوا فَوَيْلٌ لَهُمْ وَلِأَتْبَاعِهِمْ وَلِأَشْيَاعِهِمْ. وَمِمَّا اتُّفِقَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحُرِمَهُ مُنْكِرُوهُمْ وَصَارُوا لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ هٰذِهِ الدَّوْلَةِ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَائِلُونَ بِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الَّذِينَ هُمْ مَعْصُومُونَ مُطْلَقًا مِنَ الْآثَامِ وَلَيْسَ فِيهِمْ تَلَوُّثٌ وَتَعَلُّقٌ بِالْأَثَامِ وَمُعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أُمَنَاءُ الْوَحْيِ وَحَمَلَةُ كَلَامِ اللّٰهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَعْنِي إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الْعِظَامِ فَكُلُّ مَا يَقُولُهُ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ يَقُولُونَهُ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُلَّمَا يُبَلِّغُونَ يُبَلِّغُونَهُ مِنْهُ تَعَالَى،

وأحكامُهمُ الاجتهاديَّةُ أيضًا مؤيَّدةٌ بالوَحْي فإنْ وقعَتْ منهُمْ زلَّةٌ فرضًا تداركَها اللهُ سبْحانَهُ في الحالِ بالوَحْي القاطِع. ورؤساءُ المُنكرينَ الَّذينَ يدَّعونَ الأُلوهيَّةَ كلُّ ما يقولُونَ يقولُونَهُ منْ قبَلِ أنفُسهمْ ويحْسَبُونَهُ صوابًا بواسطَةِ زعْمِ الأُلوهيَّةِ، فيَنْبغي الإنْصافُ لوْ أنَّ شخصًا زعَمَ نفسَهُ منْ كمالِ قلَّةِ العقْلِ إلهًا مُستحقًّا للعبادةِ وبهذا الزَّعْمِ الفاسدِ يرْتكبُ أفعالاً قبيحةً، أيُّ اعتبارٍ يكونُ في كلامِهِ وما الباعثُ والمدارُ على اتِّباعه (ع) وكلُّ إناءٍ بالَّذي فيه ينْضَحُ* وإيرادُ أمثالِ هذه الكلماتِ إنَّما هُوَ لزيادةِ الإيضاحِ، وإلاَّ فالحقُّ مُمتازٌ عنِ الباطلِ والنُّورُ مُباينٌ ومُغايرٌ للظُّلمةِ ﴿جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهُوقًا﴾ (١) اللَّهُمَّ ثبِّتنا على مُتابعةِ هؤلاءِ الأكابرِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ أوَّلاً وآخرًا.

وبقيَّةُ المقصُودِ أنَّ جنابَكُمْ أعلَمُ بالسَّيِّدِ ميانْ بيرْ كمالْ فما الحاجةُ إلى الكتابةِ في هذا البابِ ولكنْ نكْتُبُ هذا القدْرَ أنَّ الفقيرَ محْظوظٌ بمودَّتِه منْ مُدَّةِ أزمانٍ وفيه اشتياقُ تقبيلِ العتبةِ العليَّةِ منْ مُدَّةٍ مديدةٍ ولكنْ الآنَ طرأَ عليْهِ الضَّعْفُ بحسَبِ الأبْدانِ حتَّى صارَ صاحبَ فراشٍ منذُ أزمانٍ، وبعْدَ القيامِ يتوجَّهُ نحْوَ ذلكَ الجانبِ العالي راجيًا العنايةَ منْ حضْرتِكُمْ محطِّ الآمالِ والأماني.

(٦٤) المكتُوبُ الرَّابعُ والسِّتُّونَ إلى السَّيِّدِ النَّقيبِ الشَّيْخِ فريد في بيانِ اللَّذَّةِ والألَمِ الجسْمانيَّيْنِ والرُّوحانيَّيْنِ والتَّحْريضِ على تحمُّلِ المصائبِ والآلامِ الجسْمانيَّةِ وما يُناسبُ ذلكَ

سلَّمكُمُ اللهُ سبْحانَهُ وعافاكُمْ في الدَّارينِ بحُرْمةِ سيِّدِ الثَّقلَيْنِ عليْهِ وعلى آلِه الصَّلَواتُ والتَّسْليماتُ واعلَمْ: أنَّ لذَّةَ الدُّنيا وألمَها على قسمَيْنِ: جسْمانيٌّ وروحانيٌّ، وكلُّ شيْءٍ فيه لذَّةٌ للجسْمِ فيه ألمٌ للرُّوحِ وكلُّ شيْءٍ فيه ألمٌ للجسْمِ فيه التذاذٌ للرُّوحِ، فالرُّوحُ والجسْمُ ضدَّانِ، وفي هذه النَّشأةِ الَّتي تنزَّلَتِ الرُّوحُ فيها إلى مقامِ الجسْمِ وتعلَّقَتْ به اكتسبَتْ حكْمَ الجسْمِ فصارَتْ تتلذَّذُ بتلذُّذِه وتتألَّمُ بتألُّمِه، وهذا هُوَ مرتبةُ العوامِّ كالأنعامِ وقولُهُ تعالى ﴿ثُمَّ رددْناهُ أسفلَ سافلينَ﴾ (٢) صادقٌ في شأنِهمْ فآهًا ألفُ آهٍ لوْ لمْ تتخلَّصِ الرُّوحُ منْ هذا التَّعلُّقِ ولمْ ترْجعْ إلى وطنِها الأصْليِّ. (شعرٌ):

وَمَرْتبَةُ الإنْسانِ في آخرِ الوَرَى *** لذلكَ منْ عزِّ الحُضُورِ تأخَّرا
فلَوْ لمْ يعُدْ منْ بُعْده واغْترابِه *** فلاَ شيْءَ محْرُومٌ كالْبَسِ منَ الوَرَى

(١) الآية: ٨١ من سورة الإسراء.

(٢) الآية: ٥ من سورة التين.

وَالرُّوحُ مِنْ مَرَضِهَا تَزْعُمُ أَلَمَهَا لَذَّةً وَتَظُنُّ لَذَّتَهَا أَلَمًا وَمَثَلُهَا مَثَلُ الصَّفْرَاوِيِّ حَيْثُ يَجِدُ الْحُلْوَ بِوَاسِطَةِ عِلَّةِ الصَّفْرَاءِ مُرًّا، فَالْفِكْرُ فِي إِزَالَةِ هَذَا الْمَرَضِ لَازِمٌ لِلْعُقَلَاءِ حَتَّى يَغْشَاهُمُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ فِي الْآلَامِ وَالْمَصَائِبِ الْجِسْمَانِيَّتَيْنِ

(شِعْرٌ):

مِنْ أَجْلِ هَذَا الْعَيْشِ وَالْمَعِيشَةِ * لَا بُدَّ مِنْ شَقِّ الْمَرَائِرِ يَا فَتَى**

فَإِنْ لُوحِظَ مُلَاحَظَةً جَيِّدَةً لَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَلَمُ وَالْمُصِيبَةُ وَالْمَرَضُ فِي الدُّنْيَا لَمَا تُسَاوِي بِشَعِيرَةٍ فَإِنَّ الْوَقَائِعَ وَالْحَوَادِثَ هِيَ الَّتِي تُزِيلُ ظُلْمَتَهَا، وَمَرَارَةُ الْحَوَادِثِ مِثْلُ مَرَارَةِ الدَّوَاءِ النَّافِعِ الْمُزِيلِ لِلْمَرَضِ. وَكَانَ مَحْسُوسًا لِلْفَقِيرِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُهَيِّئُونَ الطَّعَامَ لِدَعْوَةٍ عَامَّةٍ وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُصَحِّحُوا النِّيَّةَ وَأَنْ يُخَلِّصُوهَا عَنْ شَائِبَةِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، فَيَشْرَعُ فِي ذَلِكَ الْأَثْنَاءِ طَائِفَةٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ فِي ذَلِكَ الْمَجْمَعِ وَالْآكِلِينَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ فِي ذَمِّ صَاحِبِ الطَّعَامِ وَمَنْقَصَتِهِ وَمَنْقَصَةِ طَعَامِهِ، فَيَحْصُلُ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ انْكِسَارُ الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَبِهَذَا الْإِنْكِسَارِ تَرْتَفِعُ ظُلْمَةُ الطَّعَامِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ خُلُوصِ النِّيَّةِ، وَيَقَعُ فِي مَعْرِضِ الْقَبُولِ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَكْوَى هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ وَذَمُّهُمْ وَلَمْ يَحْصُلْ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ انْكِسَارُ الْقَلْبِ بِسَبَبِهِ لَكَانَ الطَّعَامُ مَمْلُوءًا بِالظُّلْمَةِ وَالْكُدُورَةِ، فَكَيْفَ الْمَسَاغُ لِاحْتِمَالِ الْقَبُولِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ. فَكَانَ مَدَارُ الْأَمْرِ إِذًا عَلَى الْإِنْكِسَارِ وَالْعَجْزِ وَالْإِفْتِقَارِ. وَالْأَمْرُ مُشْكِلٌ عَلَى أَمْثَالِنَا أَرْبَابِ التَّرْبِيَةِ وَطَالِبِي الْعَيْشِ الْحَسَنِ وَالتَّنَعُّمِ **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** (١) نَصٌّ قَاطِعٌ.

وَالْعِبَادَةُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّذَلُّلِ وَالْإِنْكِسَارِ فَالْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ هُوَ التَّذَلُّلُ خُصُوصًا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُتَدَيِّنِينَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُهُمْ وَطَلَبُ الْعَيْشِ الْحَسَنِ فِي السِّجْنِ بَعِيدٌ مِنْ طَوْرِ الْعَقْلِ، فَلَا بُدَّ إِذًا لِلْإِنْسَانِ مِنْ تَحَمُّلِ الْمَشَقَّةِ وَالْمِحْنَةِ، وَلَا مَنْدُوحَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ التَّحَمُّلِ.

أَكْرَمَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِحُرْمَةِ جَدِّكُمُ الْأَمْجَدِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَيْمَنُهَا.

(٦٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالسِّتُّونَ إِلَى الْخَانِ الْأَعْظَمِ فِي التَّأَسُّفِ وَالتَّلَهُّفِ عَلَى ضَعْفِ الْإِسْلَامِ وَعَجْزِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّحْرِيضِ عَلَى تَقْوِيَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِغْرَاءِ عَلَى إِجْرَاءِ أَحْكَامِ الدِّينِ

(١) الآية: ٥٦ من سورة الذاريات.

أَيَّدَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَنَصَرَكُمْ عَلَى أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي إِعْلَاءِ الْأَحْكَامِ قَالَ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا (١) : "اَلْإِسْلَامُ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" وَقَدْ بَلَغَتْ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ حَدًّا يَطْعَنُ الْكُفَّارُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَ مَلَإٍ وَيَذُمُّونَ الْمُسْلِمِينَ وَيُجْرُونَ أَحْكَامَ الْكُفْرِ بِلَا تَحَاشٍ وَيَمْدَحُونَ أَهْلَهُ فِي الْأَزِقَّةِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْمُسْلِمُونَ عَاجِزُونَ مَمْنُوعُونَ مِنْ إِجْرَاءِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَمَطْعُونٌ فِيهِمْ فِي إِتْيَانِ أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ اللِّئَامِ،

(شِعْرٌ):

مَلِيحٌ عَدِيمُ الْمِثْلِ مَرْمِيٌّ وَصِدُّهُ * يُقَبَّلُ مِنْهُ الْخَدُّ وَالْعَيْنُ وَالْفَمُ**

سُبْحَانَ اللّٰهِ وَبِحَمْدِهِ وَقَدْ قِيلَ: اَلشَّرْعُ تَحْتَ السَّيْفِ وَجُعِلَ رَوْنَقُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مَرْبُوطًا بِالْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَالْآنَ قَدِ انْعَكَسَتِ الْقَضِيَّةُ وَانْقَلَبَتِ الْمُعَامَلَةُ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَا حَسْرَتَا وَا نَدَامَتَا وَا وَيْلَتَا. وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَعُدُّ وُجُودَكُمُ الشَّرِيفَ مُغْتَنَمًا وَلَا نَدْرِي مَنِ الْمُبَارِزُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الضَّعِيفَةِ الْمُنْكَسِرَةِ غَيْرَكُمْ، وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ يَكُونُ مُؤَيِّدَكُمْ وَنَاصِرَكُمْ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَالْبَرَكَاتُ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ "لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ مَجْنُونٌ" وَهَذَا الْجُنُونُ الَّذِي مَبْنَاهُ عَلَى فَرْطِ غَيْرَةِ الْإِسْلَامِ مَحْسُوسٌ فِي شِيمَتِكُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى ذَلِكَ. وَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمٌ يُقْبَلُ فِيهِ عَمَلٌ قَلِيلٌ بِالْاِعْتِبَارِ التَّامِّ عَلَى أَجْرٍ جَزِيلٍ وَلَا يُعْلَمُ وُقُوعُ عَمَلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ سِوَى هِجْرَتِهِمْ وَفِرَارِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، مَعَ هَذَا الْاِعْتِبَارِ فِيهِمْ وَالْاِشْتِهَارِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَسَاكِرَ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُمْ خِدْمَةٌ يَسِيرَةٌ وَإِقْدَامٌ قَلِيلٌ وَقْتَ غَلَبَةِ الْأَعْدَاءِ يَنَالُونَ بِهَا اعْتِبَارَاتٍ كَثِيرَةً وَإِنْعَامَاتٍ جَزِيلَةً، بِخِلَافِ وَقْتِ الْأَمْنِ وَسُكُونِ الْأَعْدَاءِ. وَهَذَا الْجِهَادُ الْقَوْلِيُّ الَّذِي تَيَسَّرَ لَكُمُ الْيَوْمَ يَنْبَغِي أَنْ تَغْتَنِمَهُ وَتَقُولَ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ مُعْتَقِدًا أَنَّ هَذَا الْجِهَادَ الْقَوْلِيَّ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْقِتَالِ، وَأَمْثَالُنَا الْعَاجِزُونَ الْمُقْعَدُونَ مَقْطُوعُو الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مَحْرُومُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ، (شِعْرٌ): **هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا *** وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ**

(آخَرُ) **وَأَبْدَيْتُ مِنْ كَنْزِ الْمَرَامِ عَلَامَةً *** وَأَرْجُولَكَ أَنْ تَحْظَى بِهِ إِنْ تُحَاوِلُ**

قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ عُبَيْدُ اللّٰهِ أَحْرَارْ قَدَّسَ اللّٰهُ سِرَّهُ: وَلَوْ كُنْتُ فِي مَقَامِ الْمَشْيَخَةِ وَالْإِرْشَادِ لَمَا وَجَدَ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ الْعَالَمِ مُرِيدًا وَلَكِنْ أُمِرْتُ بَعْثِي مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ بِأَمْرٍ آخَرَ وَهُوَ تَرْوِيجُ الشَّرِيعَةِ وَتَأْيِيدُ الْمِلَّةِ

---

(١) (قوله الإسلام) الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجه عن ابن مسعود وأنس رضي الله عنه والطبراني عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس رضي الله عنهم اه سند. (القزاني رحمة الله عليه)

٢ قالوا لم يوجد هذا اللفظ ولكن معناه صحيح وقد ورد اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ولا يقال له مجنون الا لمخالفته سائر الناس ولا يخالفهم الا لكمال ايمانه فصح ان كمال الايمان منشأ هذا القول وقد ورد ايضا خيار امتي احدؤهم الحديث وهذا الكلام يكثر وقوعه في هذا الكتاب وقد نقل معناه في ١٦٤ المكتوب وفسر الجنون فراجعه فان فيه شفاء منه.

فَلاَ جَرَمَ اخْتَارَ صُحْبَةَ السَّلاَطِينِ وَجَعَلَهُمْ مُنْقَادِينَ إِلَيْهِ بِتَصَرُّفِهِ وَرَوَّجَ الشَّرِيعَةَ بِوَاسِطَتِهِمْ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَلاَمَكُمْ مُؤَثِّرًا وَأَوْدَعَ فِيهِ تَأْثِيرًا بِبَرَكَةِ مَحَبَّتِكُمْ لأَكَابِرِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَظَهَرَتْ عَظَمَةُ إِسْلاَمِيَّتِكُمْ فِي نَظَرِ الأَقْرَانِ، فَالْمُلْتَمَسُ سَعْيُكُمْ فِي هَذَا الْبَابِ وَلَوْ لِهَدْمِ أَكْبَرِ أَحْكَامِ الْكُفْرِ الَّذِي لَهُ شُيُوعٌ تَامٌّ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلاَمِ حَتَّى يَكُونَ أَهْلُ الإِسْلاَمِ مَحْفُوظِينَ مِنْ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ جَزَاكُمُ اللهُ عَنَّا وَعَنْ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ. وَقَدْ فُهِمَ الْعِنَادُ لِلدِّينِ الْمُصْطَفَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي السَّلْطَنَةِ الأُولَى وَلَيْسَ هَذَا الْعِنَادُ ظَاهِرًا فِي هَذِهِ السَّلْطَنَةِ، فَإِنْ كَانَ فَمَبْنِيٌّ عَلَى عَدَمِ الْعِلْمِ، وَنَحْنُ فِي خَوْفٍ مِنْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ هُنَا أَيْضًا إِلَى الْعِنَادِ فَتَصِيرَ الْمُعَامَلَةُ ضَيِّقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ. (ع) **وَمَا خَوْفِي لِشَيْءٍ غَيْرِ دِينِي***

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

وَالْفَقِيرُ قَدْ جِئْتُ هُنَا بِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ وَلَمْ أَسْتَصْوِبْ أَنْ لاَ أُطْلِعَكُمْ عَلَى مَجِيئِي وَأَنْ لاَ أَكْتُبَ بَعْضَ كَلِمَاتٍ نَافِعَةٍ وَأَنْ لاَ أُخْبِرَ عَنْ مَحَبَّةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِوَاحِدٍ مِنَ الأَعِزَّةِ بِحَسَبِ الْمُنَاسَبَةِ الْفِطْرِيَّةِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "مَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ" وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى جَمِيعِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

(٦٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي مَدْحِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَبَيَانِ مُنَاسَبَةِ هَذَا الطَّرِيقِ بِطَرِيقِ الأَصْحَابِ الْكِرَامِ وَبَيَانِ فَضِيلَةِ الأَصْحَابِ الْعِظَامِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ أُوَيْسًا الْقَرَنِيَّ أَوْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَرْوَانِيَّ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اعْلَمْ: أَنَّ طَرِيقَ حَضَرَاتِ خَوَاجَكَانَ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةِ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي الْبِدَايَةِ وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَابِ الْكِرَامِ بِعَيْنِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَا يَتَيَسَّرُ لِسَائِرِ أَوْلِيَاءِ الأُمَّةِ نُبْذَةٌ مِنْهُ فِي نِهَايَةِ النِّهَايَةِ، وَلِهَذَا كَانَ وَحْشِيٌّ قَاتِلُ حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَفْضَلَ مِنْ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ الَّذِي هُوَ خَيْرُ التَّابِعِينَ وَذَلِكَ لِتَشَرُّفِهِ بِشَرَفِ صُحْبَةِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي بِدَايَةِ إِسْلاَمِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَمَا حَصَلَ لِوَحْشِيٍّ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لأُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ فِي الاِنْتِهَاءِ بِتِلْكَ الْخُصُوصِيَّةِ، فَلاَ جَرَمَ كَانَ خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنَ الأَصْحَابِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَأُخِّرَتْ كَلِمَةُ ثُمَّ أَمْرَ الآخَرِينَ وَأَشَارَتْ إِلَى بُعْدِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ.

سُئِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ قَالَ: الْغُبَارُ الَّذِي دَخَلَ أَنْفَ فَرَسِ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَذَا مَرَّةً. فَلاَ جَرَمَ كَانَتْ سِلْسِلَةُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ سِلْسِلَةَ الذَّهَبِ.

وَكَوْنُ مَزِيَّةِ هَذَا الطَّرِيقِ الْعَالِي عَلَى سَائِرِ الطُّرُقِ كَمَزِيَّةِ قَرْنِ الْأَصْحَابِ عَلَى سَائِرِ الْقُرُونِ صَارَ مُبَرْهَنًا، وَالْإِطِّلَاعُ عَلَى حَقِيقَةِ جَمَاعَةٍ ذَاقُوا فِي أَوَّلِ شُرْبٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَامِ مِنْ كَمَالِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ مُتَعَذِّرٌ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّ نِهَايَتَهُمْ فَوْقَ نِهَايَةِ الْآخَرِينَ. (ع) وَعَامُ الرُّخْصِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعِ *

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١).

قَالَ حَضْرَةُ الْخَواجَةِ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: نَحْنُ الْمُفَضَّلُونَ جَعَلَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مُحِبِّي هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَمُتَابِعِي آثَارِهِمْ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الْقُرَشِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا.

(٦٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ إِلَى خَانِ خَانَانْ فِي تَفْوِيضِ مُحْتَاجٍ

ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا قَدْ اضْطَرَّنِي إِلَى تَصْدِيعِكُمْ أَمْرَانِ أَهَمَّانِ: أَحَدُهُمَا إِظْهَارُ رَفْعِ مَظِنَّةِ الْأَذَى بَلْ إِظْهَارُ حُصُولِ الْمَوَدَّةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَثَانِيهِمَا الْإِنْهَاءُ إِلَى احْتِيَاجِ مُحْتَاجٍ مُتَحَلٍّ بِالْفَضِيلَةِ وَالصَّلَاحِ وَمُتَزَيِّنٍ بِالْمَعْرِفَةِ، وَالشُّهُودِ كَرِيمٍ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ شَرِيفٍ مِنْ جِهَةِ الْحَسَبِ. أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: إِنَّ فِي إِظْهَارِ الْحَقِّ نَوْعًا مِنَ الْمَرَارَةِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً بِحَسَبِ الشِّدَّةِ وَالضَّعْفِ. فَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَأْكُلُ هَذِهِ الْمَرَارَةَ مِثْلَ الْعَسَلِ وَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. وَتَلْوِينَاتُ الْأَحْوَالِ مِنْ لَوَازِمِ صِفَةِ الْإِمْكَانِ، حَتَّى أَنَّ طَائِفَةً بَلَغُوا مَرْتَبَةَ التَّمْكِينِ لَمْ يَتَخَلَّصُوا مِنَ التَّلْوِينِ فَإِنَّ الْمُمْكِنَ الْمِسْكِينَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَغْلُوبَ سُلْطَانِ الصِّفَاتِ الْجَلَالِيَّةِ أَوْ يَكُونَ مَغْلُوبَ الصِّفَاتِ الْجَمَالِيَّةِ، أَوْ يَكُونَ وَقْتًا مَحَلًّا لِلْقَبْضِ وَوَقْتًا مَوْطِنًا لِلْبَسْطِ، وَلِكُلِّ مَوْسِمٍ أَحْكَامٌ عَلَى حِدَةٍ كَانَ بِالْأَمْسِ ذَلِكَ وَالْيَوْمَ هَذَا " قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ "(٢) وَالسَّلَامُ.

(٦٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ التَّوَاضُعَ يُسْتَحْسَنُ مِنْ أَرْبَابِ الْغِنَى وَالْإِسْتِغْنَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْفَقْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَلْخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ. شِعْرٌ:

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) أخرج مسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء مشكاة).

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ الْبَلاَغِ أَقُولُهُ *** فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا نَاصِحًا أَوْ مَلاَلَةً

التَّوَاضُعُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ أَرْبَابِ الْغِنَى وَالإِسْتِغْنَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الْفَقْرِ، لأَنَّ الْمُعَالَجَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالأَضْدَادِ، وَلَمْ يُفْهَمْ مِنْ مَكَاتِيبِكُمُ الثَّلاَثَةِ شَيْءٌ غَيْرَ الإِسْتِغْنَاءِ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُكُمُ التَّوَاضُعَ وَكَانَ فِي الْمَكْتُوبِ الأَخِيرِ مَسْطُورًا بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلاَةِ فَلْيُعْلَمْ إِلَخْ: يَنْبَغِي أَنْ يُلاَحَظَ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً حَتَّى يَظْهَرَ أَنَّهَا إِلَى أَيْنَ يُكْتَبُ وَإِلَى مَنْ تُرْسَلُ. نَعَمْ، قَدْ خَدَمْتُمُ الْفُقَرَاءَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّ رِعَايَةَ الأَدَبِ أَيْضًا ضَرُورِيَّةٌ لِتَتَرَتَّبَ الثَّمَرَةُ عَلَيْهَا وَبِدُونِهَا خَرْطُ الْقَتَادِ. نَعَمْ إِنَّ أَتْقِيَاءَ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيئُونَ مِنَ التَّكَلُّفِ وَلَكِنَّ التَّكَبُّرَ مَعَ الْمُتَكَبِّرِينَ صَدَقَةٌ. قَالَ شَخْصٌ لِحَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ إِنَّهُ مُتَكَبِّرٌ فَقَالَ فِي جَوَابِهِ: إِنَّ تَكَبُّرِي مِنْ كِبْرِيَائِهِ تَعَالَى لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ " رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ "(١) حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، شِعْرٌ:

بَثَثْتُ قَلِيلاً مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ *** تَمَلُّوا وَإِلاَّ فَالْكَلاَمُ كَثِيرٌ

وَيَنْبَغِي لِمُحِبِّيكُمُ الأَعِزَّةِ وَمُخْلِصِيكُمُ الأَجِلَّةِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الْمُلاَحَظَةِ الْمُطَابِقَةِ لِنَفْسِ الأَمْرِ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا إِلَيْكَ كُلَّ مَا هُوَ وَاقِعٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَأَنْ يَنْظُرُوا فِي كُلِّ مَشْوَرَةٍ إِلَى مَا فِيهِ صَلاَحُكُمْ لاَ إِلَى مَا فِيهِ صَلاَحُ أَنْفُسِهِمْ فَإِنَّهُ خِيَانَةٌ، وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الْعِلَلِ الْغَائِيَّةِ لِهَذَا السَّفَرِ إِفَادَةُ مَا فِيهِ بَعْضُ مَنَافِعِكُمْ وَلَكِنْ مُحِبُّوكُمْ لَمْ يَتْرُكُونِي لأَنْ أُلاَقِيَكُمْ فَلاَ تَنْسُبُوا التَّقْصِيرَ إِلَى هَذَا الطَّرَفِ. وَهَذِهِ الْمُقَدِّمَاتُ وَإِنْ كَانَتْ مُرًّا فِي الظَّاهِرِ وَلَكِنَّ مَنْ يَمْدَحُكُمْ وَيَسْتَمِيلُكُمْ كَثِيرٌ، فَاكْتَفُوا بِهِمْ.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ مَوَدَّةِ الْفُقَرَاءِ وَمَحَبَّتِهِمُ الإِطِّلاَعُ عَلَى الْعُيُوبِ الْمَكْنُونَةِ وَظُهُورُ الرَّذَائِلِ الْمَخْزُونَةِ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ إِظْهَارَ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الإِيذَاءِ بَلْ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحَةِ وَحُرْقَةِ الْقَلْبِ. وَأَيْقِنْ أَنَّ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ صِدِّيقْ لَوْ تَقَدَّمَ يَوْمًا وَاحِدًا لأَوْصَلَ هَذَا الْفَقِيرُ نَفْسَهُ إِلَيْكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَكِنَّهُ لَقِيَ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِ سَرْهَنْدْ فَالْمَأْمُولُ مُسَامَحَتُكُمْ. اَلْخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ.

(٦٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ التَّوَاضُعَ مُوجِبٌ لِلرِّفْعَةِ فِي الدَّارَيْنِ وَأَنَّ النَّجَاةَ مَرْبُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ

اَلْحَمْدُ للهِ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ. وَصَلَ مَكْتُوبُكُمُ الشَّرِيفُ صُحْبَةَ الأَخِ مَوْلاَنَا مُحَمَّدْ صِدِّيقْ وَلَقَدْ أَكْرَمْتُمْ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَحَيْثُ إِنَّكُمْ رَاعَيْتُمُ الأَدَبَ مَعَ الْفُقَرَاءِ وَسَلَكْتُمْ

---

(١) مسلم وأحمد عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة.

الْكَلَامَ بِالتَّوَاضُعِ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّنَزُّلُ بِحُكْمِ "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ"(١) مُوجِبًا لِلرِّفْعَةِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ بَلْ كَانَ كَذَلِكَ بُشْرَى لَكُمْ، وَحَيْثُ أَوْرَدْتُمُ الْكَلَامَ فِي الْبَيْنِ مِنَ الْإِنَابَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ فَنَتَصَوَّرُ أَنَّ هَذِهِ الْإِنَابَةَ قَدْ وَقَعَتْ عَلَى يَدِ دَرْوِيشٍ مِنَ الدَّرَاوِيشِ، وَكُنْ مُتَرَصِّدًا لِنَتَائِجِهِ وَثَمَرَاتِهِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُرَاعِيَ حُقُوقَهُ مَهْمَا أَمْكَنَ وَايْشَ نَكْتُبُ مِنَ الْوَصَايَا وَالنَّصَائِحِ وَمَاذَا نُبَيِّنُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُجْتَهِدِينَ وَالصُّوفِيَّةَ الْمُحَقِّقِينَ شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُمْ لَمْ يُقَصِّرُوا فِي بَسْطِ الْكَلَامِ وَتَفْصِيلِهِ. وَأَظُنُّ أَنَّ بَعْضَ الْأَصْحَابِ أَوْصَلَ بَعْضَ مُسَوَّدَاتِ هَذَا الْفَقِيرِ قَلِيلِ الْبِضَاعَةِ إِلَى خِدْمَتِكُمْ وَلَعَلَّ نَظَرَكُمُ الشَّرِيفَ وَقَعَ عَلَيْهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: انَّ طَرِيقَ النَّجَاةِ هُوَ مُتَابَعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ كَثَّرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَفِي الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ ; فَإِنَّهُمْ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ وَمَا سِوَاهُمْ مِنَ الْفِرَقِ فَإِنَّهُمْ فِي مَعْرِضِ الزَّوَالِ وَشَرَفِ الْهَلَاكِ عَلِمَهُ الْيَوْمَ وَاحِدٌ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَأَمَّا غَدًا فَيَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَلَا يَنْفَعُ. اَللَّهُمَّ نَبِّهْنَا قَبْلَ أَنْ يُنَبِّهَنَا الْمَوْتُ. وَالسَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ مَنْسُوبٌ إِلَى تِلْكَ الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ مِنْ قَدِيمِ الْأَيَّامِ وَمُنْتَظِمٌ فِي سِلْكِ الدُّعَاةِ، فَاللَّازِمُ لِذِمَّةِ الْكِرَامِ أَنْ يُعِينُوهُ وَيَأْخُذُوا بِيَدِهِ حَتَّى يُخَلِّصُوهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْفَقْرِ وَالْعَجْزِ لِيَحْصُلَ لَهُ فَرَاغُ الْخَاطِرِ وَيَشْتَغِلَ بِدُعَاءِ سَلَامَةِ الدَّارَيْنِ وَالسَّلَامُ.

(٧٠) الْمَكْتُوبُ السَّبْعُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ جَامِعِيَّةَ الْإِنْسَانِ سَبَبٌ لِبُعْدِهِ كَمَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِقُرْبِهِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

ثَبَّتَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا اعْلَمْ: أَنَّ جَامِعِيَّةَ الْإِنْسَانِ كَمَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِقُرْبِهِ وَتَكْرِيمِهِ وَتَفْضِيلِهِ كَذَلِكَ هِيَ سَبَبٌ أَيْضًا لِبُعْدِهِ وَتَجْهِيلِهِ وَتَضْلِيلِهِ، أَمَّا قُرْبُهُ فَبِوَاسِطَةِ أَتَمِّيَّةِ مِرْآتِهِ وَقَابِلِيَّتِهِ لِظُهُورِ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بَلْ لِلتَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَمَا وَرَدَ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ "لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ"(٢) رَمْزٌ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ.

---

(١) أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال العزيزي واسناده حسن. (الغزاني رحمة الله عليه)

(٢) ذكر الغزالي في الإحياء بلفظ (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عنبسة الخولاني رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أن لله آنية من الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين) قال المخرج رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله وأخرج أحمد في الزهد عن وهب ابن منبه أن الله فتح لحزقيل حتى نظر العرش فقال (سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله تعالى السموات والأرض ضعفن أن يسعنني ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين) قال شارح الإحياء بعد أن رد على من أنكر الصوفية روايتهم لهذا الحديث وبعد أن ذكر هذين الطريقين وهذا القدر يكفي للصوفي ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة والإنصاف من أوصاف المؤمنين اه منه. (الغزاني رحمة الله عليه)

وَأَمَّا بُعْدُهُ فَبِسَبَبِ احْتِيَاجِهِ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِ الْعَالَمِ " فَإِنَّ لَهُ احْتِيَاجًا إِلَى كُلِّ مَا فِي الْعَالَمِ ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١) فَبِوَاسِطَةِ هَذَا الِاحْتِيَاجِ لَهُ تَعَلُّقٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَهَذَا التَّعَلُّقُ هُوَ الَّذِي صَارَ سَبَبًا لِبُعْدِهِ وَضَلَالِهِ، (شِعْرٌ):

وَمَرْتَبَةُ الْإِنْسَانِ فِي آخِرِ الْوَرَى *** لِذَلِكَ عَنْ عِزِّ الْحُضُورِ تَأَخَّرَا

فَإِنْ لَمْ يَعُدْ مِنْ بُعْدِهِ وَاغْتِرَابِهِ *** فَلَا شَيْءَ مَحْرُومٌ كَإِنْسٍ مِنَ الْوَرَى

فَكَانَ الْإِنْسَانُ أَشْرَفَ الْمَوْجُودَاتِ وَشَرَّ الْكَائِنَاتِ أَيْضًا إِذْ مِنْهُ مُحَمَّدٌ حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَمِنْهُ أَبُو جَهْلٍ اللَّعِينُ عَدُوُّ رَبِّ الْأَرَضِينَ وَالسَّمَوَاتِ، فَلَا جَرَمَ كَانَ الْأَمْرُ مُشْكِلًا جِدًّا مَا لَمْ يَتَيَسَّرِ النَّجَاةُ مِنْ جَمِيعِ التَّعَلُّقَاتِ الشَّتَّى وَلَمْ يَحْصُلْ تَعَلُّقٌ بِوَاحِدٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الْوَحْدَةِ أَيْضًا وَلَكِنْ بِمُقْتَضَى " مَا لَا يُدْرَكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ " يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَزِمَ كَوْنَ الْمُعَامَلَةِ وَالْمَعِيشَةِ فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ عَلَى وَفْقِ السُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ، فَإِنَّ التَّخَلُّصَ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَالْفَوْزَ بِالتَّنَعُّمَاتِ السَّرْمَدِيَّةِ مَرْبُوطَةٌ بِسَعَادَةِ هَذَا الِاتِّبَاعِ، فَيَنْبَغِي أَدَاءُ الزَّكَاةِ مِنَ الْأَمْوَالِ النَّامِيَةِ وَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ كَمَا هُوَ حَقُّهَا وَأَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ وَسِيلَةً لِقَطْعِ التَّعَلُّقِ عَنِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْعَامِ، وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ حَظُّ النَّفْسِ مَلْحُوظًا وَمَنْظُورًا إِلَيْهِ فِي أَكْلِ الْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ وَلُبْسِ الْأَلْبِسَةِ النَّفِيسَةِ، بَلِ اللَّائِقُ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ أَنْ لَا يَنْوِيَ شَيْئًا غَيْرَ حُصُولِ الْقُوَّةِ لِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ، وَفِي لُبْسِ الثَّوْبِ النَّفِيسِ يَنْبَغِي أَنْ يَنْوِيَ التَّزَيُّنَ الْمَأْمُورَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٢) أَيْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَأَنْ لَا يَشُوبَهُ نِيَّةٌ أُخْرَى. فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ حَقِيقَةُ النِّيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّفَ فِيهَا " فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا " وَأَنْ يَلْتَجِئَ وَيَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ دَائِمًا لِتَتَيَسَّرَ حَقِيقَةُ النِّيَّةِ وَلِيَتَخَلَّصَ مِنَ التَّكَلُّفِ.

وَلَعَلَّ يَقْبَلُ دَمْعِيَ الْمُتَقَاطِرَ *** مَنْ كَانَ يَخْلُقُ لُؤْلُؤًا مِنْ قَطْرَةٍ

وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ يَنْبَغِي أَنْ يُعَامِلَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ بِمُقْتَضَى فَتَاوَى الْعُلَمَاءِ الْمُتَدَيِّنِينَ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْعَزِيمَةَ وَاجْتَنَبُوا الرُّخْصَةَ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ ذَلِكَ وَسِيلَةً لِلنَّجَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (٣).

(٧١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْمِيرْزَا دَارَابْ بْنِ خَانْ خَانَانْ فِي بَيَانِ أَنَّ شُكْرَ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَحُصُولَ الشُّكْرِ إِنَّمَا هُوَ

---

(١) الآية: ٢٩ من سورة البقرة ٢.

(٢) الآية: ٣١ من سورة الأعراف.

(٣) الآية: ١٤٧ من سورة النساء.

بإتيان أحكام الشريعة لا غير

أيدكم الله سبحانه ونصركم اعلم أن شكر المنعم واجب على المنعم عليه عقلاً وشرعًا ومن المعلوم أن وجوب الشكر على قدر وصول النعمة، فكلما كان وصول النعمة أكثر كان وجوب الشكر أزيد وأوفر، فكان الشكر على الأغنياء على تفاوت درجاتهم بأضعاف ما يجب على الفقراء، ولهذا ورد في الخبر "إن فقراء هذه الأمة يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام"(١) والشكر لله المنعم تعالى وتقدس إنما يكون بتصحيح العقائد أولاً على مقتضى آراء الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وإتيان الأحكام الشرعية العملية ثانيًا على وفق بيان مجتهدي هذه الفرقة العلية، والتصفية والتزكية ثالثًا على طبق سلوك الصوفية العلية من هذه الفرقة الناجية السنية، ووجوب هذه الركن الأخير استحساني بخلاف الركنين السابقين. فإن أصل الإسلام مربوط بذينك الركنين وإنما المنوط بالركن الأخير هو كمال الإسلام لا أصله، والعمل المخالف لهذه الأركان الثلاثة ولو كان من جنس الرياضات الشاقة والمجاهدة الشديدة فهو داخل في المعصية والبغي والطغيان على المنعم جل سلطانه . ولم يقصر براهمة الهند وفلاسفة اليونان في الرياضات والمجاهدات شيئًا ولم يفوتوا فيها دقيقة، ولكن لما لم تكن تلك الرياضات والمجاهدات على وفق شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا مردودين وصاروا من النصيب الأخروي محرومين، فعليكم بمتابعة سيدنا ومولانا وشفيع ذنوبنا وطبيب قلوبنا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومتابعة خلفائه الراشدين المهديين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

(٧٢) المكتوب الثاني والسبعون إلى الخواجة جهان في بيان أن جمع الدين مع الدنيا متعسر وما يناسب ذلك

سلمكم الله سبحانه وعافاكم (ع) ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا * والجمع بين الدين والدنيا من قبيل الجمع بين الأضداد، فلا بد إذًا لطالب الآخرة من ترك الدنيا. وحيث كان تركها حقيقة متعسرًا في هذه الأوان ينبغي أن يلتزم تركها حكمًا بالضرورة. والترك الحكمي عبارة عن أن يكون محكومًا بمقتضى حكم الشريعة الغراء في الأمور الدنيوية، وأن يراعي حدود الشرع في المطاعم والمشارب والمساكن غير مجوز لمجاوزتها، وأن يؤدي الزكاة المفروضة في الأموال النامية والأنعام السائمة. فإذا

---

(١) روى مسلم عن عبد الله ابن عمرو (وأن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا) وروى ابن ماجة عن أبي سعيد بلفظ (أن الفقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة) وما ذكره الإمام فهو في رواية الترمذي عن أبي هريرة (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام مقدار نصف يوم) سند. (القزان رحمة الله عليه)

تَيسَّرَ التَّحَلِّي بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَقَدْ حَصَلَتِ النَّجَاةُ مِنْ مَضَرَّةِ الدُّنْيَا وَاجْتَمَعَتِ الدُّنْيَا حِينَئِذٍ بِالآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يَتَيسَّرْ لَهُ هَذَا الْقِسْمُ أَيْضًا مِنَ التَّرْكِ فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَبْحَثِ وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمُنَافِقِ وَصُورَةُ الإِيمَانِ الَّتِي فِيهِ لاَ تَنْفَعُهُ فِي الآخِرَةِ وَإِنَّمَا نَتِيجَتُهَا عِصْمَةُ الدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا، (شِعْرٌ):

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ الْبَلاَغِ أَقُولُهُ * فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا نَافِعًا أَوْ مَلاَلَةً**

وَأَيُّ صَاحِبِ دَوْلَةٍ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ الْحَقَّةَ بِسَمْعِ الْقَبُولِ مَعَ هَذِهِ الزَّمْزَمَةِ الدُّنْيَاوِيَّةِ وَالْخَدَمِ وَالْحَشَمِ وَالأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ وَالأَلْبِسَةِ الْفَاخِرَةِ،

(شِعْرٌ):

فِي أُذْنِهِ مِنْ أَنَّتِي صَمَمٌ فَلاَ * يَرْضَى سَمَاعَ نَصِيحَتِي وَبُكَائِيَا**

وَفَّقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ لِمُتَابَعَةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ: أَنَّ الشَّيْخَ مِيَانْ زَكَرِيَّا كَانَ سَابِقًا مُسْتَوْفِيَ الْخَرَاجِ وَهُوَ عَالِمٌ وَفَاضِلٌ وَقَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مَدِيدَةٌ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فِي السِّجْنِ بِشُؤْمِ أَعْمَالِهِ، وَقَدْ عَجَزَ الآنَ بِوَاسِطَةِ ضَعْفِ الْهَرَمِ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ وَتَمَادَتْ مُدَّةُ حَبْسِهِ. وَقَدْ كَتَبَ إِلَى الْفَقِيرِ يَطْلُبُ حُضُورِي فِي الْعَسْكَرِ فَأَسْعَى فِي تَخْلِيصِهِ، وَلَكِنْ كَثْرَةَ مَسَافَةِ الطَّرِيقِ كَانَتْ مَانِعَةً مِنْ ذَلِكَ. وَلَمَّا أَرَادَ أَخِي الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ صَادِقْ التَّوَجُّهَ إِلَى خِدْمَتِكُمْ كُنْتُ سَبَبًا لِلتَّصْدِيعِ بِتَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ بِالضَّرُورَةِ فَالْمَرْجُوُّ رِعَايَةُ التَّوَجُّهِ الْعَالِي فِي حَقِّ ذَلِكَ الضَّعِيفِ فَإِنَّهُ عَالِمٌ وَشَيْخٌ كَبِيرٌ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(٧٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ إِلَى قَلِيجِ اللَّهِ ابْنِ قَلِيجْ خَانْ فِي مَذَمَّةِ الدُّنْيَا وَأَبْنَائِهَا وَتَرْكِ تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْغَيْرِ النَّافِعَةِ وَالإِجْتِنَابِ عَنْ فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ وَالتَّحْرِيضِ عَلَى الْخَيْرَاتِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ الإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ الأَبَدِيَّةُ السَّرْمَدِيَّةُ أَيُّهَا الْوَلَدُ إِنَّ الدُّنْيَا مَحَلُّ الإِمْتِحَانِ وَالإِبْتِلاَءِ ظَاهِرُهَا مُمَوَّهٌ وَمُزَيَّنٌ بِأَنْوَاعِ الْمُزَخْرَفَاتِ وَصُورَتُهَا مُنَقَّشَةٌ وَمُلَوَّنَةٌ بِالْخِيلاَنِ وَالْخُطُوطِ وَالذَّوَائِبِ وَالْخُدُودِ الْمَوْهُومَةِ حُلْوَةٌ فِي بَادِي النَّظَرِ مُتَخَيَّلَةٌ بِالطَّرَاوَةِ وَالنَّضَارَةِ فِي الْبَصَرِ وَلَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ جِيفَةٌ مَرْشُوشٌ عَلَيْهَا الْعِطْرُ وَمَزْبَلَةٌ مَلْآنَةٌ بِالذُّبَابِ وَالدُّودِ، سَرَابٌ يُرَى كَالشَّرَابِ وَسُمٌّ فِي صُورَةِ سُكَّرٍ بَاطِنُهَا خَرَابٌ وَأَبْتَرُ وَمُعَامَلَتُهَا مَعَ أَبْنَائِهَا مَعَ وُجُودِ هَذِهِ الذَّمَامَةِ وَالْوَقَاحَةِ شَرٌّ مِنْ جَمِيعِ مَا يُقَالُ وَيُذْكَرُ، عَاشِقُهَا سَفِيهٌ وَمَسْحُورٌ وَمَفْتُونُهَا مَجْنُونٌ وَمَخْدُوعٌ، كُلُّ مَنِ افْتُتِنَ بِظَاهِرِهَا فَقَدِ اتَّسَمَ بِسِيمَةِ الْخَسَارَةِ الأَبَدِيَّةِ، وَكُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَى حَلاَوَتِهَا وَطَرَاوَتِهَا كَانَ نَصِيبُهُ

النَّدَامَةَ السَّرْمَدِيَّةَ. قَالَ سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " مَا الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ إِلاَّ ضَرَّتَانِ إِنْ رَضِيَتْ إِحْدَاهُمَا سَخِطَتِ الأُخْرَى فَمَنْ أَرْضَى الدُّنْيَا فَقَطْ أَسْخَطَ الآخِرَةَ عَلَى نَفْسِهِ " فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الآخِرَةِ أَعَاذَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مَحَبَّتِهَا وَمَحَبَّةِ أَهْلِهَا.

(أَيُّهَا الْوَلَدُ) هَلْ تَدْرِي مَا الدُّنْيَا، كُلُّ مَا يُعَوِّقُكَ وَيَحْجُبُكَ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ النِّسَاءِ وَالأَوْلَادِ وَالأَمْوَالِ وَالْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالإِشْتِغَالِ بِمَا لاَ يَعْنِي فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الدُّنْيَا، وَالْعُلُومُ الَّتِي لاَ دَخْلَ لَهَا فِي أُمُورِ الآخِرَةِ فَهِيَ أَيْضًا مِنَ الدُّنْيَا، فَلَوْ نَفَعَ تَحْصِيلُ عِلْمِ النُّجُومِ وَالْمَنْطِقِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْحِسَابِ وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي لاَ طَائِلَ فِيهَا لَكَانَتِ الْفَلَاسِفَةُ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " عَلَامَةُ إِعْرَاضِهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ اشْتِغَالُهُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ "(٢).

(شِعْرٌ):

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ خَرْدَلَةٍ * سِوَى هَوَى الْحَقِّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَرَضٌ**

وَمَا قَالُوا مِنْ أَنَّ مَعْرِفَةَ عِلْمِ النُّجُومِ لاَزِمَةٌ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مَعْرِفَةَ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ لاَ تُمْكِنُ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ عِلْمِ النُّجُومِ، بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ أَحَدُ طُرُقِ مَعْرِفَةِ الأَوْقَاتِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لاَ خَبَرَ لَهُمْ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ وَمَعَ ذَلِكَ يَعْرِفُونَ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ أَزْيَدَ مِنْ عُلَمَاءِ عِلْمِ النُّجُومِ، وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ الْوُجُوهُ الَّتِي ذَكَرُوهَا فِي تَحْصِيلِ الْمَنْطِقِ وَالْحِسَابِ وَأَمْثَالِهِمَا مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي لَهَا دَخْلٌ فِي الْجُمْلَةِ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ. وَبِالْجُمْلَةِ لاَ يَظْهَرُ وَجْهُ جَوَازِ الإِشْتِغَالِ بِهَذِهِ الْعُلُومِ إِلاَّ بَعْدَ تَمَحُّلَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَذَلِكَ أَيْضًا بِشَرْطِ أَنْ لاَ يَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا غَيْرَ مَعْرِفَةِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَتَقْوِيَةِ الأَدِلَّةِ الْكَلَامِيَّةِ، وَإِلاَّ فَلاَ يَجُوزُ الإِشْتِغَالُ بِهَا أَصْلاً. يَنْبَغِي الإِنْصَافُ أَنَّ الأَمْرَ الْمُبَاحَ إِذَا كَانَ الإِشْتِغَالُ بِهِ مُسْتَلْزِمًا لِفَوَاتِ أَمْرٍ وَاجِبٍ هَلْ يَخْرُجُ مِنَ الإِبَاحَةِ أَوْ لاَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الإِشْتِغَالَ بِهَذِهِ الْعُلُومِ مُسْتَلْزِمٌ لِفَوَاتِ الإِشْتِغَالِ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ. **(أَيُّهَا الْوَلَدُ)** إِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ قَدْ رَزَقَكَ مِنْ كَمَالِ عِنَايَتِهِ الَّتِي لاَ غَايَةَ لَهَا التَّوْفِيقَ لِلتَّوْبَةِ فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ وَوَفَّقَكَ لِلإِنَابَةِ عَلَى يَدِ وَاحِدٍ مِنْ دَرَاوِيشِ السِّلْسِلَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَ أَهْلِهَا وَلاَ أَدْرِي هَلْ لَكَ عَلَى تِلْكَ التَّوْبَةِ ثَبَاتٌ أَوْ أَغْوَتْكَ عَنْهَا النَّفْسُ بِأَنْوَاعِ الْمُزَخْرَفَاتِ، وَأَرَى الإِسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا مُشْكِلَةً، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ عُنْفُوَانُ الشَّبَابِ وَمَتَاعُ الدُّنْيَا مُتَيَسِّرُ الأَسْبَابِ وَأَكْثَرُ الْقُرَنَاءِ غَيْرُ مُنَاسِبٍ فِي هَذَا الْبَابِ.

---

[1] روى احمد والحاكم وصححه والطبراني وابن حبان من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد مر التفصيل في ص ٥٦. (القزاني رحمة الله عليه)

(٢) قال ابن حجر في شرح الأربعين من علامات أعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه أنه من قول الحسن. وروى الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ورواه ابن ماجة وحسنه النووي بل وصححه ابن عبد البر قال المخرج ذكر على المتقي في جوامع الكلم مرفوعا بلفظ الشيخ اه. (القزاني رحمة الله عليه)

(أيها الولد) إن الأمر والحزم هو الإجتناب عن فضول المباحات والإكتفاء بقدر الضرورة، وأن يكون هو أيضا بنية حصول القوة والجمعية لأداء وظائف العبودية، فإن المقصود من الأكل مثلا هو حصول القوة على أداء الطاعة ومن لبس اللباس ستر العورة ودفع الحر والبرد، وعلى هذا القياس سائر المباحات الضرورية. واختار أكابر النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية العمل بالعزيمة واجتنبوا من الرخصة مهما أمكن ومن جملة العزائم الإكتفاء بقدر الضرورة فإن لم تتيسر هذه الدولة ينبغي أن لا يخرج من دائرة المباحات إلى حد المشتبهات والمحرمات، ولقد أباح الله سبحانه بكمال كرمه تنعمات كثيرة على الوجه الأتم وجعل دائرة هذه التنعمات واسعة جدا، ومع قطع النظر عن هذه التنعمات أي عيش يساوي رضا مولى العبد بأفعاله وأي جفاء يشبه بسخط سيده على أعماله رضاء الله في الجنة خير من الجنة وسخط الله في النار شر من النار والإنسان عبد محكوم بحكم لم يجعله المولى ولده ولم يتركه سدى حتى يتهافت على كل ما يشاء فينبغي التفكر وإعمال القلب، ولا يحصل غدا شيء غير الندامة والخسارة، وقت العمل إنما هو عهد الشباب، والعاقل من لا يضيع هذا الوقت ويغتنم الفرصة فإن الأمر مبهم فعساه أن لا يبقى إلى زمن الشيخوخة ولئن بقي فلعله لا تتيسر له الجمعية ولئن تيسرت فلعله لا يقدر على العمل في أوان استيلاء الضعف والعجز. والحال أن أسباب الجمعية كلها متيسرة الآن ووجود الوالدين أيضا من إنعامات الحق سبحانه فإن هم معيشتك على ذمتهم والموسم موسم الفرصة وزمان القوة والإستطاعة فبأي عذر يمكن أن يؤخر شغل اليوم إلى غد ويختار التسويف قال عليه الصلاة والسلام : "هلك المسوفون"[1]

نعم إذا أخرت المهمات الدنيوية الدنية إلى غد لأجل الإشتغال بأمور الآخرة في اليوم يكون مستحسنا جدا كما أن عكسه مستقبح جدا، وفي هذا الوقت الذي هو عنفوان الشباب ووقت استيلاء أعداء الدين من النفس والشيطان لعمل قليل من الإعتبار ما ليس ذلك في غير هذا الوقت لأضعاف مضاعفة، كما أن في القاعدة العسكرية للعساكر "الشجعان أقوياء الجنان" اعتبار زائد وقت استيلاء الأعداء حتى يعتبر منهم في ذلك الوقت عمل يسير وثبات قليل ويكون ذلك منظورا، ولا يكون مثل هذا الإعتبار وقت الأمن من شر الأعداء.

(أيها الولد) إن المقصود من خلق الإنسان الذي هو خلاصة الموجودات ليس هو اللهو واللعب ولا الأكل والنوم، وإنما المقصود منه أداء وظائف العبودية والذل والإنكسار والعجز والإفتقار ودوام الإلتجاء والتضرع إلى جناب قدس الغفار جل سلطانه والعبادات التي الشرع المحمدي ناطق بها المقصود من أدائها منافع العباد ومصالحهم ولا يعود منها شيء إلى جناب قدسه عز شأنه، فينبغي إذا أداؤها بغاية

---

[1](قوله هلك المسوفون) قيل لم يوجد بهذا اللفظ وقد روى الديلمي فى مسند الفردوس عن عبد الرحمن ابن عوف بلفظ التسويف شعار الشيطان يلقيه فى قلوب المؤمنين وعن ابن عباس رض بلفظ اياك والتسويف بالتوبة والبخارى فى التاريخ عن عكرمة مرسلا والخطيب عن ابى هريرة رض بلفظ لعن الله المسوفات. (القزانى رحمة الله عليه)

الْمَمْنُونِيَّةِ وَأَنْ يَسْعَى وَيَجْتَهِدَ فِي انْقِيَادِ الْأَوَامِرِ وَامْتِثَالِهَا وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَنَاهِي وَامْتِنَاعِهَا وَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ بِالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي مَعَ وُجُودِ غِنَاهُ الْمُطْلَقِ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي امْتِثَالِ أَحْكَامِهَا بِكَمَالِ الْمَمْنُونِيَّةِ. (اعْلَمْ) أَيُّهَا الْوَلَدُ، لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا الَّذِينَ تَحَقَّقُوا بِشَوْكَةٍ ظَاهِرِيَّةٍ وَجَاهٍ صُورِيٍّ أَنْعَمَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ مُتَعَلِّقِيهِ بِخِدْمَةٍ يَرْجِعُ مِنْهَا نَفْعٌ لِلْآمِرِ بِهَا أَيْضًا كَيْفَ يَعُدُّهَا عَزِيزَةً وَيَقُولُ إِنَّ شَخْصًا عَظِيمَ الْقَدْرِ أَمَرَنِي بِهَذِهِ الْخِدْمَةِ فَيَنْبَغِي لِي الْقِيَامُ بِهَا بِغَايَةِ الْمَمْنُونِيَّةِ، فَأَيُّ بَلَاءٍ نَزَلَ وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ. هَلْ كَانَتْ عَظَمَةُ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ فِي النَّظَرِ أَقَلَّ مِنْ عَظَمَةِ هَذَا الشَّخْصِ حَيْثُ لَا يَجْتَهِدُ فِي امْتِثَالِ أَحْكَامِ الْحَقِّ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحِيَ وَأَنْ يَتَنَبَّهَ مِنْ نَوْمِ الْأَرْنَبِ. وَعَدَمُ امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُكَذِّبَ الْإِخْبَارَاتِ الشَّرْعِيَّةَ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَظَمَةُ أَمْرِ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَحْقَرَ مِنْ عَظَمَةِ أَمْرِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يُلَاحِظَ شَنَاعَةَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ. (أَيُّهَا الْوَلَدُ) لَوْ أَنَّ شَخْصًا قَدْ جُرِّبَ كَذِبُهُ مِرَارًا، أَخْبَرَ بِأَنَّ الْأَعْدَاءَ فِي صَدَدِ الْهُجُومِ بِاللَّيْلِ لِإِسْتِيلَاءٍ تَامٍّ عَلَى قَوْمٍ كَذَا لَاجْتَهَدَ عُقَلَاءُ ذَلِكَ الْقَوْمِ فِي الْمُحَافَظَةِ وَفِكْرِ دَفْعِ تِلْكَ الْبَلِيَّةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ الْمُخْبِرَ مُتَّهَمٌ بِالْكَذِبِ لِكَوْنِ الْإِحْتِرَازِ عَمَّا يُتَوَهَّمُ فِيهِ الْخَطَرُ لَازِمًا. وَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِتَمَامِ الْمُبَالَغَةِ عَنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا مِنْهُ أَصْلًا، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَأَثَّرُوا لَانْزَعَجُوا وَتَفَكَّرُوا فِي دَفْعِهِ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ عَرَفُوا عِلَاجَ دَفْعِهِ بِبَيَانِ الْمُخْبِرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَبِئْسَ الْإِيمَانُ الَّذِي لَا يَكُونُ لِخَبَرِ الْمُخْبِرِ الصَّادِقِ اعْتِبَارٌ عِنْدَ صَاحِبِهِ مِثْلَ اعْتِبَارِ خَبَرِ الْكَاذِبِ. وَصُورَةُ الْإِسْلَامِ لَا تَنْفَعُ مِنَ النَّجَاةِ شَيْئًا بَلْ لَا بُدَّ لِحُصُولِ النَّجَاةِ مِنْ تَحْصِيلِ الْيَقِينِ وَأَيْنَ الْيَقِينُ بَلْ لَا ظَنَّ وَلَا وَهْمَ أَيْضًا فَإِنَّ الْعُقَلَاءَ يَعْتَبِرُونَ الْوَهْمَ فِي أُمُورٍ فِيهَا خَطَرٌ وَخَوْفٌ وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ **(وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ الْقَبِيحَةَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ لَوْ أَحَسُّوا اطِّلَاعَ شَخْصٍ حَقِيرٍ عَلَى أَعْمَالِهِمْ لَمَا عَمِلُوا حِينَئِذٍ عَمَلًا شَنِيعًا أَصْلًا. فَحَالُ هَؤُلَاءِ لَا يَخْلُو عَنْ أَحَدِ الْحَالَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُكَذِّبُوا خَبَرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَعْتَبِرُوا اطِّلَاعَهُ تَعَالَى. فَمِثْلُ هَذَا الْعَمَلِ هَلْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْ مِنَ الْكُفْرِ فَيَلْزَمُ لِذَلِكَ الْوَلَدِ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" (١) وَأَنْ يُعِيدَ تَوْبَةً نَصُوحًا مِنْ أُمُورٍ لَا يَرْضَى بِهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَنْ يَجْتَنِبَ عَنْ أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ مَنْهِيَّةٍ عَنْهَا وَأَنْ يُؤَدِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَإِنْ تَيَسَّرَ قِيَامُ اللَّيْلِ وَصَلَاةُ التَّهَجُّدِ فَنِعْمَتِ السَّعَادَةُ، وَأَدَاءُ زَكَاةِ الْأَمْوَالِ أَيْضًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَدَائِهَا الْبَتَّةَ. وَأَسْهَلُ طُرُقِ أَدَائِهَا أَنْ يَعْزِلَ حَقَّ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْمَالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِنِيَّةِ الزَّكَاةِ فَيَحْفَظَهُ عِنْدَهُ وَيَصْرِفَهُ فِي مَصَارِفِ الزَّكَاةِ فِي تَمَامِ السَّنَةِ، فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا يَلْزَمُ تَجْدِيدُ

---

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الإيمان سيخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فسلو الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) الطبراني في الكبير كذا في الأمم لإيقاظ الهمم للكوراني وفي رواية أحمد والحاكم في المستدرك بلفظ من قول لا إله إلا الله قال العزيزي إسناده صحيح.

نِيَّة أداء الزَّكاة في كُلِّ مَرَّةٍ بَلْ تكفي النِّيَّةُ وقتَ العَزْلِ مرَّةً واحدةً. وَمِن المَعْلوم أنَّهُ كَمْ يصرفُ إلى الفُقَرَاء والمُستحقِّينَ في جميعِ السَّنَة ولَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بِنِيَّة أداء الزَّكاة لَمْ يَكُنْ مَحْسُوبًا مِنْهَا، وَفِي الصُّورَة المَذْكُورَة تَسْقُطُ الزَّكاةُ مِنَ الذِّمَّة ويَحْصُلُ التَّخلُّص أيضًا مِنَ الحَرَج مِنْ غَيْرِ مُضَايقَةٍ، فإنْ لَمْ يَصْرِفْ للفقراء في تَمامِ السَّنَة مِقْدَارَ الزَّكاة بَلْ بَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ يَنْبَغي أنْ يَحْفَظَهَا كَذَلِكَ مَعْزُولَةً عَنْ سَائرِ الأَمْوَال، فإنَّ مِثْلَ هَذَا العَمَلِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَمَتَى كَانَ مَالُ الفُقَرَاء مُمْتَازًا وَمَعْزُولاً فَعَسَى أَنْ يَحْصُلَ التَّوْفِيقُ لإنْفَاقِه غَدًا وَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ اليَوْمَ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ النَّفْسَ بَخِيلَةٌ بِالذَّاتِ وَهَارِبَةٌ مِن امْتِثَالِ الأَحْكَامِ الإلَهِيَّة جَلَّ سُلْطَانُهُ فَلاَ جَرَمَ يَصْدُرُ الكَلاَمُ بالرِّفْقِ وَاللِّينِ وَإِلاَّ فَالأَمْوَالُ وَالأَمْلاَكُ كُلُّهَا حَقُّ اللهِ تَعَالَى، فَأَيْنَ المَجَالُ لِلْعَبْدِ فِي المُكْث وَالتَّوَقُّف فِيهِ بَلْ يَنْبَغِي أَدَاؤُهَا بِالمَمْنُونِيَّة التَّامَّة، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَتَسَاهَلَ فِي أَدَاء العِبَادَات بِاتِّبَاعِ هَوَى النَّفْس وَأَنْ يَسْعَى فِي أَدَاء حُقُوق العِبَاد سَعْيًا بَلِيغًا وَأَنْ يَبْذُلَ الجُهْدَ فِيهِ حَتَّى لاَ يَبْقَى لأَحَدٍ حَقٌّ فِي الذِّمَّة فَإِنَّ أَدَاءَ الحَقِّ هُنَا يَعْنِي فِي الدُّنْيَا سَهْلٌ بِحَيْثُ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِالمُلاَيَمَة وَالتَّمَلُّق، وَأَمَّا فِي الآخِرَة فَالأَمْرُ مُشْكِلٌ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْعِلاَجِ.

(وَيَنْبَغِي) الإسْتِفْسَارُ عَنِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَالإسْتِفْتَاءُ فِيهَا مِنْ عُلَمَاء الآخِرَة فَإِنَّ لِكَلاَمِهِمْ تَأْثِيرًا فَعَسَى أَنْ يَحْصُلَ التَّوْفِيقُ لِلْعَمَلِ بِهَا بِبَرَكَة أَنْفَاسِهِمْ. وَيَنْبَغِي الإجْتِنَابُ عَنْ عُلَمَاء الدُّنْيَا الَّذِينَ جَعَلُوا العِلْمَ وَسِيلَةً لِلْجَاه إِلاَّ أَنْ لاَ يُوجَدَ العُلَمَاءُ المُتَّقُونَ فَيُرْجَعُ إِلَيْهِمْ بِالضَّرُورَة بِقَدْرِ الضَّرُورَة. وَالحَاجُّ مِيَانْ مُحَمَّدٌ الأَتْرَةُ مِنَ العُلَمَاء المُتَدَيِّنِينَ هُنَاكَ وَالشَّيْخُ عَلِيٌّ الأَتْرَةُ مِنْ أَحْبَابِكُمْ وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ مُغْتَنَمٌ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِمَا فِي تَحْقِيقِ المَسَائِلِ الشَّرْعِيَّة أَنْسَبُ. (أَيُّهَا الوَلَدُ) مَا لَنَا وَلأَبْنَاء الدُّنْيَا وَأَيَّةُ مُنَاسَبَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَتَّى نَتَكَلَّمَ فِي خَيْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ، وَقَدْ وَرَدَتِ النَّصَائِحُ الشَّرْعِيَّةُ فِي هَذَا البَابِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ. وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الوَلَدُ رَاجِعًا إِلَى الفُقَرَاء وَمَنْسُوبًا إِلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقِ الإنَابَة كَانَ لِلْقَلْبِ تَوَجُّهٌ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَات إِلَى أَحْوَالِه، وَكَانَ هَذَا التَّوَجُّهُ بَاعِثًا عَلَى القِيلِ وَالقَالِ. (وَاعْلَمْ) أَنَّ أَكْثَرَ هَذِه النَّصَائِحِ وَالمَسَائِلِ قَدْ بَلَغَهُ وَقَرَعَ سَمْعَهُ وَلَكِنَّ المَقْصُودَ هُوَ العَمَلُ لاَ مُجَرَّدُ العِلْم، أَلاَ تَرَى أَنَّ مَرِيضًا إِذَا كَانَ عَالِمًا بِدَاء مَرَضِه لاَ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ الدَّوَاء وَلاَ يَحْصُلُ الشِّفَاءُ بِدُونِ أَكْلِ الدَّوَاء. وَكُلُّ هَذَا الإبْرَامِ وَالمُبَالَغَة لأَجْلِ العَمَلِ فَإِنَّ العِلْمَ العَارِيَ عَنِ العَمَلِ يُقِيمُ الحُجَّةَ عَلَى صَاحِبِه قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَة عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِه".

وَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ الوَلَدُ ان الإنَابَةَ السَّابِقَةَ وَإِنْ لَمْ تُثْمِرْ بِوَاسِطَة قِلَّة صُحْبَة أَرْبَابِ الجَمْعِيَّة وَلَكِنَّهَا تُنْبِئُ عَنْ نَفَاسَة جَوْهَرِ اسْتِعْدَادِه. وَالمَرْجُوُّ أَنْ يُوَفِّقَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَرْضِيَّاتِه بِبَرَكَة تِلْكَ الإنَابَة وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أَهْلِ النَّجَاة. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَفْلِتَ حَبْلُ مَحَبَّة هَذِه الطَّائِفَة، وَأَنْ يَجْعَلَ الإلْتِجَاءَ وَالتَّضَرُّعَ إِلَى هَؤُلاَء

الْقَوْمِ شِعَارًا وَأَنْ يَنْتَظِرَ تَشْرِيفَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِمَحَبَّتِهِ بِسَبَبِ مَحَبَّةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَجَذْبِهِ إِلَيْهِ بِالتَّمَامِ وَتَخْلِيصِهِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالْأَوْسَاخِ بِالْكُلِّيَّةِ، (شِعْرٌ):

مَا الْعِشْقُ إِلاَّ شُعْلَةٌ قَدْ أَحْرَقَتْ *** كُلَّ الْوَرَى إِلاَّ الْحَبِيبَ الْبَاقِي

(٧٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْمِرْزَا بَدِيعِ الزَّمَانِ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ وَعَلَى اتِّبَاعِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

قَدْ وَرَدَتِ الرُّقْعَةُ الشَّرِيفَةُ وَالنَّمِيقَةُ اللَّطِيفَةُ حَمْدًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ يُفْهَمُ مِنْ فَحْوَاهُ مَحَبَّةُ الْفُقَرَاءِ وَالتَّوَجُّهُ إِلَى الدَّرَاوِيشِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَالِ السَّعَادَةِ لِأَنَّهُمْ جُلَسَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ،[1] وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ[2] بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي شَأْنِهِمْ " رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ " وَقَدِ انْدَرَجَتْ فِي الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ فِقْرَةُ حَدِيثِ التَّشَائُنِ وَهَذِهِ لُغَةٌ مَخْصُوصٌ إِطْلاَقُهَا بِحَضْرَةِ وَاجِبِ الْوُجُودِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَكَيْفَ يَسُوغُ لِعَبْدٍ مَمْلُوكٍ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ أَنْ يَبْتَغِيَ الْمُشَارَكَةَ بِاللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَأَنْ يَسْعَى وَيَعْدُوَ فِي طَرِيقِ الْإِسْتِقْلاَلِ خُصُوصًا فِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ فِيهَا الْمَالِكِيَّةُ وَالْمَلَكِيَّةُ سَوَاءٌ كَانَتْ بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ أَوْ بِطَرِيقِ الْمَجَازِ بِمَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَيَوْمَئِذٍ يُنَادِي الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَيَقُولُ "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" يَقُولُ فِي جَوَابِهِ بِنَفْسِهِ "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ"، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْءٌ سِوَى الْهَوْلِ وَالدَّهْشَةِ وَالنَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عَنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَغَايَةِ اضْطِرَابِ الْخَلاَئِقِ حَيْثُ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى "إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" (شِعْرٌ)

عَنِ الْفِعْلِ لاَ قَوْلٍ بِذَا الْيَوْمَ تُسْأَلُ *** قُلُوبُ ذَوِي الْأَلْبَابِ تُشْوَى وَتَذْبُلُ

وَيُدْهَشُ فِيهِ الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ *** فَمَا عُذْرُ ذَنْبٍ فِيكَ أَمْ كَيْفَ تَفْعَلُ

وَبَقِيَّةُ النُّصْحِ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنِ اتِّبَاعِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنَّ النَّجَاةَ بِدُونِهِ مُحَالٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ يَلْتَفِتَ إِلَى زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَأَنْ لاَ يَعْتَنِيَ بِوُجُودِهَا وَعَدَمِهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لاَ قَدْرَ لَهَا عِنْدَهُ تَعَالَى، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَدَمُهَا خَيْرًا مِنْ وُجُودِهَا عِنْدَ الْعِبَادِ. وَعَدَمُ وَفَائِهَا وَسُرْعَةُ

---

[1] (قوله) وهم قوم لا يشقى جليسهم اخرجه مسلم فى حديث طويل عن ابى هريرة رض. (القزانى رحمة الله عليه)

[2] (قوله وكان رسول الله يستفتح الحديث) رواه الطبرانى فى الكبير وابو نعيم عن امية ابن عبد الله ابن خالد بن اسيد ذكره الحافظ فى الاصابة وقال المنذرى فى الترغيب رواه الطبرانى ورواته رواة الصحيح وهو مرسل. (القزانى رحمة الله عليه)

زَوَالُهَا مَشْهُورَةٌ بَلْ مَشْهُودَةٌ، فَاعْتَبِرُوا بِأَبْنَائِهَا الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلُ. وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٧٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْمِرْزَا بَدِيعِ الزَّمَانِ أَيْضًا فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِتَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ أَوَّلًا وَتَعَلُّمِ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ ثَانِيًا وَمَا يُنَاسِبُهُ

سَلَّمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ اعْلَمْ أَنَّ نَقْدَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ عَلَى نَهْجٍ بَيَّنَهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَذَلِكَ بِتَصْحِيحِ الْإِعْتِقَادِ أَوَّلًا عَلَى مُقْتَضَى آرَاءِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ، وَبِتَحْصِيلِ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْمُبَاحِ وَالْمُشْتَبِهِ ثَانِيًا. وَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى هَذَا الْعِلْمِ. وَبَعْدَ حُصُولِ هَذَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ الْاعْتِقَادِيِّ وَالْعَمَلِيِّ إِذَا سَبَقَتِ الْعِنَايَةُ الْأَزَلِيَّةُ بِحُصُولِ السَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ يَتَيَسَّرُ الطَّيَرَانُ نَحْوَ عَالَمِ الْقُدْسِ، وَبِدُونِهَا خَرْطُ الْقَتَادِ. وَالدُّنْيَا الدَّنِيَّةُ لَيْسَتْ مِمَّا يَخْفَى فِعْلُهَا حَتَّى تُعَدَّ مِنَ الْمَطَالِبِ، وَيُظَنَّ حُصُولُ آمَالِهَا وَجَاهِهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الْهِمَّةِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا يَجِدُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَجِدُهُ بِالْوَسِيلَةِ، فَيَنْبَغِي إِذَا طَلَبَ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ تَعَالَى. (ع) هَذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ * وَحَيْثُ طَلَبَتِ الْهِمَّةُ مِنْ كَمَالِ الْإِلْتِفَاتِ فَبُشْرَى لَكَ تَرْجِعُ سَالِمًا وَغَانِمًا، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرَاعِيَ شَرْطًا وَاحِدًا وَهُوَ تَوْحِيدُ قِبْلَةِ التَّوَجُّهِ، فَإِنَّ جَعْلَ قِبْلَةِ التَّوَجُّهِ مُتَعَدِّدَةً إِلْقَاءُ السَّالِكِ نَفْسَهُ إِلَى التَّفَرِقَةِ. وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَشْهُورَةِ أَنَّ الْمُقِيمَ فِي مَحَلٍّ فِي كُلِّ مَحَلٍّ، وَالْمُتَرَدِّدَ بَيْنَ الْمَحَالِّ لَيْسَ فِي مَحَلٍّ أَصْلًا. رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى [1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

(٧٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ إِلَى قَلِيجْ خَانْ فِي بَيَانِ أَنَّ التَّرَقِّيَ مَرْبُوطٌ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى وَفِي التَّحْرِيضِ عَلَى تَرْكِ فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

عَصَمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِمُكُمْ وَصَانَكُمْ عَمَّا شَانَكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمَنْفِيِّ عَنْهُ زَيْغُ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا. قَالَ اللهُ تَعَالَى "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" فَكَانَ مَدَارُ النَّجَاةِ عَلَى جُزْأَيْنِ: امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَنَاهِي. وَمُعْظَمُ هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ هُوَ الْجُزْءُ الْأَخِيرُ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى. ذُكِرَ رَجُلٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

بعبادة واجتهاد فيها وذكر آخر برعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تعدل بالرعة شيئا" يعني الورع وقال أيضا عليه من الصلوات أتمها ومن التسليمات أكملها: "ملاك دينكم الورع" وفضيلة الإنسان على الملك إنما هي بسبب هذا الجزء، والترقي في مدارج القرب أيضا من هذا الجزء، فإن الملائكة أيضا مشاركون في الجزء الأول والترقي مفقود فيهم. فكانت رعاية جزء الورع والتقوى من أهم مهام الإسلام وأشد ضروريات الدين، ورعاية هذا الجزء الذي مداره على الإجتناب من المحارم إنما تتيسر على وجه الكمال إذا حصل الإجتناب عن فضول المباحات واكتفى منها بقدر الضرورة فإن إرخاء عنان النفس في ارتكاب المباحات يجر إلى المشتبهات، والمشتبه قريب من المحرم ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فلا بد إذا في حصول كمال الورع والتقوى من الإكتفاء بقدر الضرورة من المباحات، وهو أيضا مشروط بنية تحصيل القوة على أداء وظائف العبودية، وإلا فهذا القدر أيضا وبال ولقليله حكم الكثير. ولما كان الإجتناب عن فضول المباحات بالكلية في جميع الأوقات خصوصا في هذا الزمان متعسرا وعزيز الوجود، لزم الإجتناب عن المحرمات وتضييق دائرة ارتكاب فضول المباحات مهما أمكن، وأن يكون نادما على هذا الإرتكاب ومستغفرا منه دائما، وأن يلتجئ ويتضرع إلى الله تعالى في جميع الأوقات معتقدا أن هذا الإرتكاب لفضول المباحات فتح باب الدخول حوالي المحرمات. فعسى أن تقوم هذه الندامة والإستغفار والإلتجاء والتضرع مقام الإجتناب عن فضول المباحات، وأن تسد مسده، وأن تدفع آفاتها وتحفظ عنها. قال واحد من أعزة الأكابر: انكسار العاصين أحب إلى الله تعالى من صولة المطيعين.

والإجتناب عن المحرمات على قسمين: قسم يتعلق بحقوق الله سبحانه وتعالى، وقسم يتعلق بحقوق العباد. ورعاية القسم الثاني أهم من رعاية القسم الأول، فإن الحق سبحانه غني على الإطلاق وأرحم الراحمين، والعباد فقراء محتاجون وبخلاء ولئام بالذات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: "أتدرون من المفلس ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك

---

[1] رواه الترمذي عن جابر واسناده حسن والرعة مصدر ورع يرع رعة بكسر الراء في الثلاثة كذا في مختار الصحاح. (القزاني رحمة الله عليه)

[2] اخرجه ابو الشيخ والديلمي عن ابي هريرة بلفظ ملاك الدين الورع وروى الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل العبادة الفقه وافضل الدين الورع. (القزاني رحمة الله عليه)

[3] اخرجه الشيخان من حديث نعمان بن بشير. (القزاني رحمة الله عليه)

[4] رواه البخاري عن ابي هريرة. (القزاني رحمة الله عليه)

[5] رواه مسلم عن ابي هريرة. (القزاني رحمة الله عليه)

دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. **(وَنَقُولُ)** إِظْهَارًا لِمَحْمَدَتِكُمْ وَشُكْرًا عَلَى صَنِيعِكُمْ: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ صَارَ مُرَوَّجًا فِي بَلْدَةِ لَاهُورَ بِوُجُودِكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ وَحَصَلَتْ تَقْوِيَةُ الدِّينِ وَتَرْوِيجُ الْمِلَّةِ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ وَهَذِهِ الْبَلْدَةُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الْهِنْدِ كَقُطْبِ الْإِرْشَادِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَخَيْرُ هَذِهِ الْبَلْدَةِ وَبَرَكَاتُهَا سَارَ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْهِنْدِ فَإِذَا حَصَلَ هُنَاكَ تَرْوِيجٌ يَتَحَقَّقُ نَحْوٌ مِنَ التَّرْوِيجِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُؤَيِّدَكُمْ وَنَاصِرَكُمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَزَالُ[1] طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ". وَلَمَّا كَانَ حَبْلُ ارْتِبَاطِكُمُ الْحُبِّيِّ بِحَضْرَةِ مَعْدِنِ الْمَعَارِفِ شَيْخِنَا وَقِبْلَتِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ مُحْكَمًا قَوِيًّا، كُنْتُ بَاعِثًا عَلَى تَحْرِيكِ ذَلِكَ الْإِرْتِبَاطِ الْحُبِّيِّ بِتَسْوِيدِ الْأَوْرَاقِ وَتَحْرِيرِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِطْنَابٌ. وَحَامِلُ رَقِيمَةِ الدُّعَاءِ رَجُلٌ صَالِحٌ ذُو نَسَبٍ طَيِّبٍ وَقَدْ وَقَعَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى جَنَابِكُمْ فَالْمَرْجُوُّ رِعَايَةُ التَّوَجُّهِ الشَّرِيفِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْجَاحُ حَاجَتِهِ. رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الدَّوْلَةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالسَّعَادَةَ السَّرْمَدِيَّةَ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ

(٧٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ إِلَى جَبَّارِي خَانْ فِي بَيَانِ أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مَتَى تَكُونُ مُيَسَّرَةً وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (شِعْرٌ):

وَمَا عَبَدُوا غَيْرَ الْإِلَهِ فَبَاطِلٌ * فَيَا وَيْلَ مَنْ يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطِلاً**

وَعِبَادَةُ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا تَخَلَّصَ الْعَبْدُ عَنْ رِقِّيَّةِ سِوَاهُ جَلَّ سُلْطَانُهُ بِالتَّمَامِ، وَلَمْ تَبْقَ قِبْلَةُ التَّوَجُّهِ غَيْرَ الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةِ. وَمِصْدَاقُ هَذَا التَّوَجُّهِ اسْتِوَاءُ إِنْعَامِهِ وَإِيلَامِهِ تَعَالَى، بَلْ يَكُونُ الْإِيلَامُ أَرْغَبَ فِيهِ مِنَ الْإِنْعَامِ فِي ابْتِدَاءِ حُصُولِ هَذَا الْمَقَامِ، وَإِنِ انْجَرَّ الْأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى التَّفْوِيضِ وَكَانَ كُلَّمَا يَصِلُ وَيَحْصُلُ هُوَ الْأَوْلَى وَالْأَنْسَبَ. وَالْعِبَادَةُ الَّتِي مَنْشَؤُهَا الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ فَتِلْكَ الْعِبَادَةُ هِيَ عِبَادَةُ النَّفْسِ فِي الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا إِمَّا حُصُولُ نَجَاةِ النَّفْسِ أَوْ سُرُورُهَا؛

(شِعْرٌ): مَا دُمْتَ مَفْتُونًا بِنَفْسِكَ يَا خَلِي * دَعْوَى الْمَحَبَّةِ مِنْكَ دَعْوَى كَاذِبٍ**

---

[1] رواه حاكم عن عمر وكذا حاكم وابن ماجة عن ابى هريرة وابن ماجة عن مغيرة بن شعبة وابو داود عن عمر ان بن حصين مع اختلاف فى اللفظ ومعناه واحد . وقال المخرج رواه مسلم وابن ماجة والترمذى من حديث ثوبان رضى الله عنه. (القزانى رحمة الله عليه)

وَحُصُولُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَنُوطٌ بِالْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ. وَهَذَا التَّوَجُّهُ مِنْ نَتِيجَةِ الْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ، وَمُقَدِّمَةُ ظُهُورِ الْوَلاَيَةِ الْخَاصَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَحُصُولُ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى مَوْقُوفٌ عَلَى كَمَالِ اتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا فَإِنَّ شَرِيعَةَ كُلِّ نَبِيٍّ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ مُنَاسِبَةٌ لِوَلاَيَتِهِ، فَإِنَّ التَّوَجُّهَ فِي الْوَلاَيَةِ إِلَى الْحَقِّ بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِذَا نَزَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مَقَامِ النُّبُوَّةِ يَنْزِلُ بِذَلِكَ النُّورِ وَيَجْمَعُ ذَلِكَ الْكَمَالَ مَعَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْخَلْقِ. وَسَبَبُ حُصُولِ كَمَالاَتِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ هُوَ ذَلِكَ النُّورُ أَيْضًا (وَلِهَذَا قِيلَ) وَلاَيَةُ النَّبِيِّ أَفْضَلُ مِنْ نُبُوَّتِهِ، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ شَرِيعَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مُنَاسِبَةً لِوَلاَيَتِهِ وَاتِّبَاعُ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ الْوَلاَيَةِ. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ بَعْضَ مَنْ يَتَّبِعُ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ نَصِيبَ لَهُ مِنْ وَلاَيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ هُوَ عَلَى قَدَمِ نَبِيٍّ آخَرَ وَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ وَلاَيَتِهِ. (أُجِيبَ) إِنَّ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ، وَالْكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ. فَاتِّبَاعُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ كَأَنَّهُ اتِّبَاعٌ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ، فَمَنْ لَهُ مُنَاسَبَةٌ لِنَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَأْخُذُ نَصِيبًا مِنْ وَلاَيَتِهِ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ وَلاَ مَحْذُورَ فِيهِ. بَلْ أَقُولُ إِنَّ وَلاَيَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَاوِيَةٌ لِوَلاَيَاتِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. فَالْوُصُولُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْوَلاَيَاتِ وُصُولٌ إِلَى جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ هَذِهِ الْوَلاَيَةِ الْخَاصَّةِ، وَسَبَبُ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ الْوَلاَيَةِ الْقُصُورُ فِي كَمَالِ مُتَابَعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، وَلِلْقُصُورِ دَرَجَاتٌ. فَلاَ جَرَمَ حَصَلَ التَّفَاوُتُ فِي دَرَجَاتِ الْوَلاَيَةِ، وَلَوْ تَيَسَّرَ كَمَالُ الإِتِّبَاعِ لأَمْكَنَ الْوُصُولُ إِلَى تِلْكَ الْوَلاَيَةِ، وَالإِعْتِرَاضُ إِنَّمَا يَرِدُ إِذَا حَصَلَتِ الْوَلاَيَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لِمُتَابِعِي شَرَائِعِ الأَنْبِيَاءِ الأُخَرِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَلَيْسَ فَلَيْسَ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدِّينِ الْقَوِيمِ. وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ الْمَتِينِ وَالشَّرْعِ الْمُبِينِ (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دَلِيلٌ لِهَذَا الْمَعْنَى رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَالَ اتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِحُرْمَةِ كُمَّلِ أَتْبَاعِهِ وَمُعْظَمِ أَوْلِيَائِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ آمِينَ. وَحَامِلُ رَقِيمَةِ الدُّعَاءِ لَمَّا كَانَ فِي صَدَدِ التَّوَجُّهِ إِلَى تِلْكَ الْحُدُودِ صَارَ بَاعِثًا عَلَى تَحْرِيكِ سِلْسِلَةِ الْمَحَبَّةِ بِتَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَدَيْكُمْ.

(٧٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ إِلَى جَبَّارِي خَانْ أَيْضًا فِي بَيَانِ مَعْنَى السَّفَرِ فِي الْوَطَنِ وَالسَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ وَأَنَّ حُصُولَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَوْقُوفٌ عَلَى اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْحَقَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ. قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مِنَ الْعَوْدِ مِنْ سَفَرِ دَهْلِي وَأَكْرَهُ إِلَى الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ وَنَفْدُ الْوَقْتِ الْآنَ حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ فَإِنْ وَقَعَ السَّفَرُ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْوَطَنِ فَهُوَ فِي نَفْسِ الْوَطَنِ فَإِنَّ السَّفَرَ فِي الْوَطَنِ مِنَ الْأُصُولِ الْمُقَرَّرَةِ عِنْدَ أَكَابِرِ الطَّائِفَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللّٰهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ. وَيَحْصُلُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ذَوْقٌ مِنْ هَذَا السَّفَرِ فِي الْإِبْتِدَاءِ بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ، وَيُجْعَلُ جَمْعٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الطَّائِفَةِ مَجْذُوبِينَ سَالِكِينَ إِذَا أُرِيدَ ذَلِكَ، وَيَرْمُونَ أَوَّلًا فِي السَّيْرِ الْآفَاقِي ثُمَّ يُجْذَبُونَ إِلَى السَّيْرِ الْأَنْفُسِي بَعْدَ تَمَامِ السَّيْرِ الْآفَاقِي. وَالسَّفَرُ فِي الْوَطَنِ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا السَّيْرِ الْأَنْفُسِي (ع) **وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ** * (آخَرُ) **هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا** *. وَالْوُصُولُ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى مَنُوطٌ بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَفْضَلُهَا. وَمَا لَمْ يَمْنِ السَّالِكُ نَفْسَهُ فِي الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَتَحَلَّ بِحُلَا امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَنَاهِي لَا تَصِلُ رَائِحَةٌ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ إِلَى مَشَامِّ رُوحِهِ، فَإِنْ حَصَلَتْ لَهُ الْأَحْوَالُ وَالْمَوَاجِيدُ فَرْضًا مَعَ وُجُودِ مُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ، وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي الْإِسْتِدْرَاجِ تَفْضَحُهُ أَخِيرًا، وَلَا إِمْكَانَ لِلْخَلَاصِ بِدُونِ اتِّبَاعِ مَحْبُوبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَصْرِفَ حَيَاةَ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ فِي مَرْضِيَّاتِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَيُّ صَفَاءٍ فِي عَيْشٍ وَأَيَّةُ لَذَّةٍ فِي مَعِيشَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَوْلَى الْعَبْدِ رَاضِيًا عَنْ أَفْعَالِهِ وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى الْأَحْوَالِ الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ وَحَاضِرٌ وَنَاظِرٌ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. فَإِنَّهُ لَوْ ظُنَّ اطِّلَاعُ مَخْلُوقٍ عَلَى الْعُيُوبِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ لَمَا صَدَرَتْ حِينَئِذٍ قَبِيحَةٌ وَلَا عَيْبٌ قَطْعًا وَلَا يُرَادُ إِطِّلَاعُهُ عَلَى الْعُيُوبِ الْبَتَّةَ، فَأَيُّ بَلَاءٍ وَقَعَ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَتَّقُونَ وَلَا يَنْقَبِضُونَ وَلَا يُبَالُونَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِحُضُورِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَاطِّلَاعِهِ عَلَى الضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ فَأَيُّ إِسْلَامٍ هَذَا حَيْثُ لَا اعْتِبَارَ لِلْحَقِّ عِنْدَهُمْ مِثْلَ اعْتِبَارِ هَذَا الْمَخْلُوقِ. نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَبِحُكْمِ: جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِقَوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ يَنْبَغِي أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي كُلِّ آنٍ بِهَذَا الْقَوْلِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ، وَأَنْ يَتُوبَ إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ وَيُنِيبَ إِلَيْهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي رُبَّمَا تَكُونُ الْفُرْصَةُ لِلتَّوْبَةِ فِي وَقْتٍ آخَرَ هَلَكَ الْمُسَوِّفُونَ. حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

(وَيَنْبَغِي) أَنْ يَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ وَيَصْرِفَهَا فِي مَرْضَاتِهِ تَعَالَى وَالتَّوْفِيقُ لِلتَّوْبَةِ مِنْ عِنَايَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ هَذَا الْمَعْنَى دَائِمًا، وَأَنْ يَطْلُبَ الْهِمَّةَ مِنَ الدَّرَاوِيشِ الَّذِينَ لَهُمْ قَدَمٌ رَاسِخٌ فِي الشَّرِيعَةِ وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ مِنْ عَالَمِ الْحَقِيقَةِ، وَأَنْ يَسْتَمِدَّ مِنْهُمْ حَتَّى تَظْهَرَ عِنَايَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ بَابِهِمْ فَتَنْجَذِبَ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى بِالتَّمَامِ فَلَا تَبْقَى حِينَئِذٍ مُخَالَفَةٌ أَصْلًا، فَإِنَّهُ لَوْ وُجِدَتْ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ فَالْأَمْرُ فِي خَطَرٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ سَدِّ سُبُلِ الْمُخَالَفَةِ بِالتَّمَامِ، (شِعْرٌ):

---

[1] (قوله حب الوطن من الايمان) والمشهور انه حديث قال السخاوى لم اقف عليه ومعناه صحيح من المخرج قلت يذكره الصوفية كثيرا وله عندهم معنى آخر. (القزان رحمة الله عليه)

وَمِنَ الْمُحَالِ الْمَشْيُ فِي طُرُقِ الصَّفَا *** يَا سَعْدُ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ الْمُصْطَفَى

صَلَوَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. وَلاَ يَنْبَغِي الْإِعْتِرَاضُ عَلَى أَهْلِ اللهِ خُصُوصًا إِذَا تَحَقَّقَ فِي الْبَيْنِ اسْمُ الْمُرْشِدِيَّةِ وَالْمُرِيدِيَّةِ، وَكَانَ طَرِيقُ الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ مَفْتُوحًا. وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَهُ سَمًّا قَاتِلاً. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِطْنَابٌ.

وَقَدْ حَرَّرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بِسَبَبِ ارْتِبَاطِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِخْلاَصِ. فَالْمَرْجُوُّ أَنْ لاَ تَكُونَ مُوجِبَةً لِلْمَلاَلِ ثُمَّ إِنَّ الْمُلاَّ عُمَرَ وَشَاهْ حُسَيْنًا كِلَيْهِمَا مِنْ أَوْلاَدِ الْكِبَارِ يُرِيدَانِ مُلاَزَمَتَكُمْ، فَالْمَرْجُوُّ إِدْخَالُهُمَا فِي زُمْرَةِ الْمُلاَزِمِينَ الْمَخْصُوصِينَ وَجَاءَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ أَيْضًا بِهَذِهِ الْإِرَادَةِ وَلَوْ كَانَ رَاجِلاً فَالْمَأْمُولُ أَنْ يَحْتَظَّ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَهُ. وَلْنَكْتَفِ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنْ زِيَادَةِ التَّصْدِيعِ وَالسَّلاَمُ وَالْإِكْرَامُ.

(٧٩) الْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْغَرَّاءَ جَامِعَةٌ لِلشَّرَائِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْإِتْيَانَ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الشَّرِيعَةِ إِتْيَانٌ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتَ وَالْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَجَعَلَكُمْ مُتَوَجِّهًا إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الْكَمَالاَتِ الْأَسْمَائِيَّةِ وَالصِّفَاتِيَّةِ وَمَظْهَرُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِدَالِ، وَالْكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ خُلاَصَةُ جَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ، وَأَيْضًا إِنَّ الشَّرِيعَةَ الَّتِي أُعْطِيَهَا زُبْدَةُ الشَّرَائِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَالْأَعْمَالُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْحَقَّةِ مُنْتَخَبَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرَائِعِ، بَلْ مِنْ أَعْمَالِ الْمَلاَئِكَةِ أَيْضًا صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. فَإِنَّ بَعْضَ الْمَلاَئِكَةِ مَأْمُورُونَ بِالرُّكُوعِ وَبَعْضَهُمْ بِالسُّجُودِ وَبَعْضَهُمْ بِالْقِيَامِ، وَكَذَلِكَ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ كَانَ بَعْضُهُمْ مَأْمُورِينَ بِصَلاَةِ الصُّبْحِ وَبَعْضُهُمْ بِصَلاَةٍ أُخْرَى. وَوَرَدَ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ بِإِتْيَانِ الْأَعْمَالِ الْمُنْتَخَبَةِ مِنْ خُلاَصَةِ أَعْمَالِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَالْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَزُبْدَتِهَا. فَالتَّصْدِيقُ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ تَصْدِيقٌ بِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا عَمَلٌ بِمُقْتَضَيَاتِ تِلْكَ الشَّرَائِعِ، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُصَدِّقُوا هَذِهِ الشَّرِيعَةِ خَيْرَ الْأُمَمِ، وَكَذَلِكَ تَكْذِيبُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ تَكْذِيبٌ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِمُوجَبِهَا تَرْكُ الْعَمَلِ بِمُوجَبِ سَائِرِ الشَّرَائِعِ، وَكَذَلِكَ إِنْكَارُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْكَارٌ لِجَمِيعِ الْكَمَالاَتِ الْأَسْمَائِيَّةِ وَالصِّفَاتِيَّةِ، وَتَصْدِيقُهُ تَصْدِيقٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُنْكِرُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُكَذِّبُ شَرِيعَتِهِ شَرَّ الْأُمَمِ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى "الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا"، (شِعْرٌ):

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ مِنْ عَرَبٍ *** تَعْسًا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَابِهِ تُرَبًا

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ذِي الْإِنْعَامِ وَالْمِنَّةِ قَدْ صَارَ حُسْنُ الْإِعْتِقَادِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِالشَّرِيعَةِ وَصَاحِبِهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ مَشْهُودًا فِيكَ بِأَحْسَنِ الْوُجُوهِ، وَكَانَتِ النَّدَامَةُ عَلَى الْأَوْضَاعِ الْمَذْمُومَةِ مُمِدَّتَكَ وَمُعِينَتَكَ دَائِمًا زَادَهُمَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثُمَّ إِنَّ حَامِلَ رَقِيمَةِ الدُّعَاءِ الشَّيْخَ مِيَانْ مُصْطَفَى مِنْ نَسْلِ الْقَاضِي شُرَيْحٍ وَقَدْ كَانَتْ أَسْلَافُهُ الْأَكَابِرُ مِنْ كُبَرَاءِ هٰذِهِ الدِّيَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ وَظَائِفُ كَثِيرَةٌ وَأَسْبَابُ مَعِيشَةٍ وَافِرَةٌ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ إِلَى الْعَسْكَرِ بِسَبَبِ ضِيقِ الْمَعِيشَةِ وَمَعَهُ إِسْنَادُهُ وَمَنْشُورُهُ. فَالْمَرْجُوُّ حُصُولُ الْجَمْعِيَّةِ لَهُ بِوَاسِطَتِكُمْ. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذٰلِكَ مُوجِبَةٌ لِلتَّصْدِيعِ، وَيَنْبَغِي تَفْوِيضُ الْمُشَارِ إِلَيْهِ إِلَى الصُّدُورِ الْعِظَامِ عَلَى نَهْجٍ يَتَيَسَّرُ لَهُ الْأَمْرُ فَيَكُونُ سَبَبًا لِجَمْعِيَّةِ أَرْبَابِ التَّفْرِقَةِ وَالسَّلَامُ وَالْإِكْرَامُ.

(٨٠) اَلْمَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ إِلَى الْمِيرْزَا فَتْحِ اللّٰهِ الْحَكِيمِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ مِنْ بَيْنِ الْفِرَقِ الثَّلَاثَةِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَفِي الْمَنْعِ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْفِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْإِخْتِلَاطِ مَعَهُمْ وَمَا يُنَاسِبُ ذٰلِكَ

رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ (ع) هٰذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ * وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرَقِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِلشَّرِيعَةِ وَيَجْزِمُونَ بِكَوْنِهِمْ نَاجِينَ "كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" مِصْدَاقُ حَالِهِمْ وَنَقْدُ وَقْتِهِمْ؛

وَأَمَّا الدَّلِيلُ الَّذِي بَيَّنَهُ النَّبِيُّ الصَّادِقُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا عَلَى تَمْيِيزِ فِرْقَةٍ نَاجِيَةٍ مِنْ تِلْكَ الْفِرَقِ الْمُتَعَدِّدَةِ فَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "اَلَّذِينَ هُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"[1] وَذِكْرُ الْأَصْحَابِ مَعَ وُجُودِ الْكِفَايَةِ بِذِكْرِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ فِي ذٰلِكَ الْمَحَلِّ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلْإِيذَانِ بِأَنَّ طَرِيقِي هُوَ طَرِيقُ الْأَصْحَابِ، وَطَرِيقُ النَّجَاةِ مَنُوطٌ بِاتِّبَاعِ طَرِيقِهِمْ فَحَسْبُ. كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى "وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ" فَكَانَ إِطَاعَةُ الرَّسُولِ عَيْنَ إِطَاعَةِ اللّٰهِ تَعَالَى وَخِلَافُ إِطَاعَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنَ مَعْصِيَتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِ جَمَاعَةٍ زَعَمُوا طَاعَتَهُ تَعَالَى خِلَافَ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَحَكَمَ بِكُفْرِهِمْ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ "يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ" اَلْآيَةَ. فَدَعْوَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدُونِ اتِّبَاعِ طَرِيقِ الْأَصْحَابِ رِضْوَانُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ دَعْوَى بَاطِلٌ، بَلْ ذٰلِكَ الْإِتِّبَاعُ فِي الْحَقِيقَةِ عَيْنُ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ

[1] (قوله الذين هم على ما انا عليه الحديث) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ . فَأَيْنَ الْمَجَالُ لِطَمَعِ النَّجَاةِ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ "يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ" مُطَابِقَةً لِحَالِهِمْ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الْفِرْقَةَ الْمُلْتَزِمَةَ لِاتِّبَاعِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَكَرَ اللّٰهُ سَعْيَهُمْ فَهُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، فَإِنَّ الطَّاعِنِينَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالشِّيعَةِ وَالْخَوَارِجِ مَحْرُومُونَ مِنِ اتِّبَاعِهِمْ. وَلِلْمُعْتَزِلَةِ مَذْهَبٌ عَلَى حِدَةٍ مُحْدَثٌ وَرَئِيسُهُمْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ حَسَنٍ الْبَصْرِيِّ ثُمَّ اعْتَزَلَ مَجْلِسَهُ وَصَارَ يَقُولُ بِإِثْبَاتِ الْوَاسِطَةِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ. فَقَالَ الْحَسَنُ: اعْتَزَلَ عَنَّا وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ سَائِرُ الْفِرَقِ. وَالطَّعْنُ فِي الْأَصْحَابِ طَعْنٌ فِي رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَقِيقَةِ. مَا آمَنَ بِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ، فَإِنَّ خُبْثَهُمْ يَنْجَرُّ إِلَى خُبْثِ صَاحِبِهِمْ نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ السُّوءِ.

(**وَأَيْضًا**) إِنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ إِنَّمَا وَصَلَتْ بِتَوَسُّطِ نَقْلِهِمْ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلاَءِ مَطْعُونًا فِيهِمْ يَكُونُ نَقْلُهُمْ أَيْضًا مَطْعُونًا فِيهِ. وَهَذَا النَّقْلُ لَيْسَ مَخْصُوصًا بِبَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، بَلْ كُلُّهُمْ فِي الْعَدَالَةِ وَالصِّدْقِ وَالتَّبْلِيغِ سَوَاءٌ. فَالطَّعْنُ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَيِّ وَاحِدٍ كَانَ طَعْنًا فِي الدِّينِ وَالْعِيَاذُ بِاللّٰهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ.

(**فَإِنْ**) قَالَ الطَّاعِنُونَ فِي الْأَصْحَابِ: نَحْنُ أَيْضًا نُتَابِعُهُمْ وَلَكِنْ لاَ يَلْزَمُ فِي تَحَقُّقِ الْمُتَابَعَةِ مُتَابَعَةُ الْجَمِيعِ بَلْ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِتَنَاقُضِ آرَائِهِمْ وَاخْتِلاَفِ مَذَاهِبِهِمْ. (**أُجِيبَ**) أَنَّ مُتَابَعَةَ الْبَعْضِ إِنَّمَا تَنْفَعُ إِذَا لَمْ يُوجَدْ إِنْكَارُ الْبَاقِينَ، وَمَتَى تَحَقَّقَ إِنْكَارُ الْبَعْضِ لاَ يَتَحَقَّقُ مُتَابَعَةُ الْبَعْضِ الْآخَرِ. فَإِنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ كَانَ يُوَقِّرُ الْخُلَفَاءَ الثَّلاَثَةَ وَيُعَظِّمُهُمْ رِضْوَانُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَبَايَعَهُمْ عَالِمًا بِاسْتِحْقَاقِهِمُ الْإِقْتِدَاءَ بِهِمْ. فَدَعْوَى مُتَابَعَتِهِ مَعَ وُجُودِ إِنْكَارِهِمْ افْتِرَاءٌ مَحْضٌ وَادِّعَاءٌ صِرْفٌ، بَلْ إِنْكَارُهُمْ إِنْكَارٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ وَرَدٌّ صَرِيحٌ لِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَتَجْوِيزُ احْتِمَالِ التُّقَاةِ فِي حَقِّ أَسَدِ اللّٰهِ مِنْ غَايَةِ سَخَافَةِ الْعَقْلِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ الصَّحِيحَ لاَ يُجَوِّزُ إِضْمَارَ بُغْضِ الْخُلَفَاءِ الثَّلاَثَةِ لِأَسَدِ اللّٰهِ قَرِيبًا مِنْ مُدَّةِ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَإِظْهَارَ خِلاَفِهِ وَصُحْبَتَهُ مَعَهُمْ عَلَى النِّفَاقِ أَصْلاً. فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا النِّفَاقِ لاَ يُتَصَوَّرُ مِنْ أَدْنَى أَهْلِ الْإِسْلاَمِ. فَيَنْبَغِي التَّأَمُّلُ وَالتَّفَكُّرُ فِي شَنَاعَةِ هَذَا الْفِعْلِ فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ نِسْبَةَ ضَعْفٍ كَبِيرٍ وَوَهْنٍ كَثِيرٍ وَخَدِيعَةٍ شَنِيعَةٍ إِلَى أَسَدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ فَلَئِنْ جَوَّزْنَا التُّقَاةَ فِي حَقِّ أَسَدِ اللّٰهِ عَلَى سَبِيلِ فَرْضِ الْمُحَالِ فَمَاذَا يَقُولُونَ فِي تَعْظِيمِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخُلَفَاءِ الثَّلاَثَةِ، وَتَوْقِيرِهِ إِيَّاهُمْ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ، فَإِنَّهُ لاَ مَسَاغَ فِيهِ لِلتُّقَاةِ، لِأَنَّ تَبْلِيغَ مَا هُوَ الْحَقُّ وَاجِبٌ عَلَى الرَّسُولِ وَتَجْوِيزُ التُّقَاةِ هُنَاكَ يَنْجَرُّ إِلَى الزَّنْدَقَةِ. قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ" قَالَ الْكُفَّارُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُظْهِرُ مِنَ الْوَحْيِ مَا يُوَافِقُهُ وَيُخْفِي مِنْهُ مَا يُخَالِفُهُ وَمِنَ الْمُقَرَّرِ أَنَّ تَقْرِيرَ النَّبِيِّ عَلَى الْخَطَإِ غَيْرُ جَائِزٍ وَإِلاَّ يَتَطَرَّقُ الْخَلَلُ إِلَى شَرِيعَتِهِ، فَإِذَا لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلاَفُ تَعْظِيمِ الْخُلَفَاءِ الثَّلاَثَةِ، وَلَمْ يَظْهَرْ مَا يُنَافِي تَوْقِيرَهُمْ، عُلِمَ أَنَّ تَعْظِيمَهُ وَتَوْقِيرَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ مَصُونٌ عَنِ الْخَطَإِ وَمَحْفُوظٌ عَنِ الزَّوَالِ.

(وَلْنَرْجِعْ) إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ وَنُبَيِّنْ جَوَابَ اعْتِرَاضِهِمْ يَعْنِي شُبْهَتَهُمْ أَوْضَحَ مِمَّا سَبَقَ وَأَنْقَحَ فَنَقُولُ: إِنَّ مُتَابَعَةَ جَمِيعِ الْأَصْحَابِ وَاجِبَةٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ فَإِنَّهُ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي الْأُصُولِ وَإِنَّمَا اخْتِلَافُهُمْ فِي الْفُرُوعِ فَقَطْ، فَالَّذِي يَطْعَنُ فِي بَعْضِهِمْ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ مُتَابَعَةِ جَمِيعِهِمْ وَكَلِمَةُ الْأَصْحَابِ وَإِنْ كَانَتْ فِي نَفْسِهَا مُتَّفِقَةً وَلَكِنَّ شُؤْمَ الْإِنْكَارِ لِأَكَابِرِ الدِّينِ يُخْرِجُهَا مِنَ الْإِتِّفَاقِ إِلَى الْإِخْتِلَافِ، بَلْ يَجُرُّ إِنْكَارُ الْقَائِلِ إِلَى إِنْكَارِ الْمَقُولِ، وَأَيْضًا إِنَّ مُبَلِّغِي الشَّرِيعَةِ جَمِيعُ الْأَصْحَابِ كَمَا مَرَّ، لِأَنَّ الْأَصْحَابَ كُلَّهُمْ عُدُولٌ وَبَلَّغَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ إِلَيْنَا، وَكَذَلِكَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ أَخْذًا مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ آيَةً فَمَا فَوْقَهَا. فَإِنْكَارُ الْبَعْضِ إِنْكَارٌ لِمُبَلِّغِي الْقُرْآنِ، فَلَا يَتَحَقَّقُ الْإِتْيَانُ بِجَمِيعِ الشَّرِيعَةِ فِي حَقِّ الْمُنْكِرِ، فَكَيْفَ النَّجَاةُ وَالْفَلَاحُ. قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ" الْآيَةَ. مَعَ أَنَّا نَقُولُ: إِنَّ جَامِعَ الْقُرْآنِ عُثْمَانُ بَلْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَمَا جَمَعَهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ وَمَا حَوَاهُ فَهُوَ سِوَى هَذَا الْقُرْآنِ. فَيَنْبَغِي التَّأَمُّلُ وَالتَّفَكُّرُ، فَإِنَّ إِنْكَارَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ يَنْجَرُّ إِلَى إِنْكَارِ الْقُرْآنِ فِي الْحَقِيقَةِ عِيَاذًا بِاللّٰهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ.

(سَأَلَ) شَخْصٌ مُجْتَهِدَ أَهْلِ التَّشَيُّعِ يَعْنِي فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ جَمَعَهُ عُثْمَانُ. فَمَا اعْتِقَادُكَ فِي حَقِّ هَذَا الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ: لَا أَرَى الْمَصْلَحَةَ فِي إِنْكَارِهِ فَإِنَّ بِإِنْكَارِهِ يَنْهَدِمُ الدِّينُ بِالتَّمَامِ وَأَيْضًا إِنَّ الْعَاقِلَ[1] لَا يُجَوِّزُ اجْتِمَاعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرٍ بَاطِلٍ قَبْلَ مُرُورِ يَوْمٍ مِنْ رِحْلَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنَ الْمُقَرَّرِ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَ رِحْلَتِهِ مِقْدَارَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَبَايَعَ كُلُّهُمْ الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ بِالطَّوْعِ وَالْإِخْتِيَارِ، وَاجْتِمَاعُ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى الضَّلَالَةِ مِنْ جُمْلَةِ الْمُحَالَاتِ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالَةِ"[2]

وَتَأَخُّرُ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ يَعْنِي: مِنَ الْبَيْعَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ لَيْسَ إِلَّا لِعَدَمِ دَعْوَتِهِمْ إِيَّاهُ إِلَى الْمَشْوَرَةِ كَمَا قَالَ بِنَفْسِهِ: مَا غَضِبْنَا إِلَّا لِتَأَخُّرِنَا عَنِ الْمَشْوَرَةِ وَإِلَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَيْرٌ مِنَّا إِلَخْ وَعَدَمُ دَعْوَتِهِمْ إِيَّاهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى مَصْلَحَةٍ كَتَسْلِيَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِقُعُودِهِ عِنْدَهُنَّ فِي الصَّدْمَةِ الْأُولَى مِنَ الْمُصِيبَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَالْإِخْتِلَافُ الْوَاقِعُ بَيْنَ الْأَصْحَابِ لَيْسَ مَنْشَأُهُ الْهَوَى النَّفْسَانِيَّ، فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ تَزَكَّتْ وَتَخَلَّصَتْ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَمَّارَةً بِالسُّوءِ وَصَارَتْ مُطْمَئِنَّةً وَكَانَتْ أَهْوَاؤُهُمْ تَابِعَةً لِلشَّرِيعَةِ، بَلْ كَانَ مَبْنَاهُ عَلَى الْإِجْتِهَادِ

---

[1] اشار به الى ان مجرد العقل كاف فى ذلك فكيف اذا انضم اليه الديانة وحسن الظن باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيره. (القزانى رحمة الله عليه)

[2] رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما بلفظ ان الله لا يجمع امتى الخ. قال السخاوى وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو اسانيد كثيرة وشواهد متعددة فى المرفوع وغيره اه. وقال السيوطى لا يجتمع امتى على ضلالة رواه ابن ابى عاصم فى السنة من حديث انس بهذا اللفظ اه. (القزانى رحمة الله عليه)

وَإِعْلَاءِ الْحَقِّ، فَلِلْمُخْطِئِ مِنْهُمْ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلِلْمُصِيبِ عَشْرُ دَرَجَاتٍ. فَيَنْبَغِي إِذًا حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ أَذَاهُمْ وَجَفَاهُمْ وَأَنْ يَذْكُرَ كُلًّا مِنْهُمْ بِخَيْرٍ.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللَّهُ أَيْدِيَنَا عَنْهَا فَلْنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلْسِنَتَنَا. وَقَالَ أَيْضًا: اُضْطُرَّ النَّاسُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَجِدُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَوَلَّوْهُ رِقَابَهُمْ. وَهَذَا الْقَوْلُ تَصْرِيحٌ مِنْهُ بِنَفْيِ التَّقَاةِ وَرِضَاءِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَيْعَةَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (بَقِيَّةُ) الْمَقْصُودِ أَنَّ الْمِيَانَ سَنْبَدَنْ وَلَدَ الشَّيْخِ مِيَانْ أَبِي الْخَيْرِ مِنْ أَوْلَادِ الْكِبَارِ، وَقَدْ سَافَرَ إِلَى دَكْنْ فِي رِفَاقَتِكُمْ فَيُرْجَى فِي حَقِّهِ الْتِفَاتُكُمْ وَعِنَايَتُكُمْ وَأَيْضًا أَنَّ مَوْلَانَا مُحْسِنًا عَارِفًا طَالِبُ عِلْمٍ وَمِنْ أَوْلَادِ الْكِبَارِ وَكَانَ أَبُوهُ عَالِمًا وَقَدْ جَاءَ لِأَجْلِ الْإِسْتِمْدَادِ فِي أَمْرِ الْمَعَاشِ فَيُرْجَى التَّوَجُّهُ إِلَيْهِ وَالسَّلَامُ وَالْإِكْرَامُ.

(٨١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالثَّمَانُونَ إِلَى لَالَا بَكْ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى تَرْوِيجِ الْإِسْلَامِ وَبَيَانِ حُصُولِ الْوَهَنِ وَالضَّعْفِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَاسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ الْأَشْرَارِ وَغَلَبَتِهِمْ

زَادَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ حَمِيَّةَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ بَلَغَتْ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ مُنْذُ قَرْنٍ وَاحِدٍ مَبْلَغًا، وَغَايَةً لَا يَرْضَى أَهْلُ الْكُفْرِ بِمُجَرَّدِ إِجْرَاءِ أَحْكَامِ الْكُفْرِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، بَلْ يُرِيدُونَ إِزَالَةَ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَرَفْعَهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي إِعْدَامِ أَثَرِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَبَلَغَ الْأَمْرُ حَدًّا لَوْ أَظْهَرَ مُسْلِمٌ شَيْئًا مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ يُذِيقُونَهُ الْقَتْلَ. وَذَبْحُ الْبَقَرَةِ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ، وَلَعَلَّ الْكُفَّارَ يَرْضَوْنَ بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ وَلَا يَرْضَوْنَ بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ أَصْلًا.

فَإِنْ حَصَلَ الرَّوَاجُ وَالْقُوَّةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِعْتِبَارُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي ابْتِدَاءِ السَّلْطَنَةِ فِيهَا، وَإِلَّا فَالْأَمْرُ مُشْكِلٌ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ جِدًّا الْغِيَاثَ الْغِيَاثَ ثُمَّ الْغِيَاثَ الْغِيَاثَ. وَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَسْتَسْعِدُ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ، وَيَا إِقْبَالَ بَازٍ يَصِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [1] ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَالسَّلَامُ.

(٨٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ إِلَى إِسْكَنْدَرْ خَانْ اللُّودِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ سَلَامَةَ الْقَلْبِ لَا تُتَصَوَّرُ بِدُونِ نِسْيَانِ مَا سِوَى الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا وَهَذَا النِّسْيَانُ مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِالْفَنَاءِ

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

جَعَلَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ عَلَى الدَّوَامِ وَلاَ يَتْرُكُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الأَنَامِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ . وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ لَنَا وَلَكُمْ سَلاَمَةُ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذِهِ السَّلاَمَةُ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مُرُورٌ وَخُطُورٌ عَلَى الْقَلْبِ، وَعَدَمُ مُرُورِ الْغَيْرِ مَنُوطٌ بِنِسْيَانِ ذَلِكَ الْغَيْرِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالْفَنَاءِ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ. وَيَبْلُغُ ذَلِكَ النِّسْيَانُ مَبْلَغًا لَوْ أَرَادُوا إِخْطَارَ الْغَيْرِ بِالْبَالِ وَإِيقَاعَهُ فِي الْقَلْبِ بِالتَّكَلُّفِ فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ أَبَدًا وَلاَ يَقَعُ سَرْمَدًا، وَمَا لَمْ يَبْلُغِ النِّسْيَانُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ فَسَلاَمَةُ الْقَلْبِ مُحَالٌ. وَهَذِهِ النِّسْبَةُ يَعْنِي نِسْيَانَ السِّوَى بِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ صَارَتِ الآنَ كَعَنْقَاءِ الْمَغْرِبِ، بَلْ لاَ يُصَدَّقُ بِهَا إِنْ أُخْبِرَ عَنْهَا، (شِعْرٌ):

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا * وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ**

وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(٨٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ إِلَى بَهَادِرْ خَانْ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ جَمْعِيَّتَيِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مَعَ الإِسْتِقَامَةِ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ

رَزَقَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ النَّجَاةَ مِنْ تَعَلُّقَاتِ شَتَّى وَجَعَلَكُمْ مُقْبِلاً عَلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِالْكُلِّيَّةِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا، (شِعْرٌ):

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ * سِوَى هَوَى الْحَقِّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَرِضٌ**

وَتَحْلِيَةُ الظَّاهِرِ بِالشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ، وَرَبْطُ الْبَاطِنِ عَلَى الدَّوَامِ بِاللّٰهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ. أَيُّ صَاحِبِ دَوْلَةٍ يُشَرَّفُ بِهَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، بَلِ الإِسْتِقَامَةُ عَلَى ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ عَزِيزُ الْوُجُودِ جِدًّا، بَلْ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ. رَزَقَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ كَرَامَةَ الإِسْتِقَامَةِ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

(٨٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ إِلَى السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْقَادِرِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ كُلاًّ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ عَيْنُ الآخَرِ وَأَنَّ عَلاَمَةَ الْوُصُولِ إِلَى مَرْتَبَةِ حَقِّ الْيَقِينِ مُطَابَقَةُ عُلُومِ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَمَعَارِفِهَا بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَعَارِفِهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ وَجَعَلَ جَمِيعَ هِمَّتِكُمُ التَّوَجُّهَ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ وَأَخَذَكَ عِنْدَهُ بِالتَّمَامِ وَيَسَّرَ لَكَ وَلَنَا الإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ بِالْكُلِّيَّةِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُقَدَّسِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ آمِينَ. (ع) وَأَحْسَنُ مَا

يُمْلَى حديثُ الأحبَّة * وكُلَّمَا قيلَ عَنِ الحبيبِ وإنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِه، ولَكِنْ لَمَّا كَانَ لِهَذَا الكَلَامِ نَوْعُ مُنَاسبَةٍ بجنابِه تعالَى وتقدَّسَ نغتنمُ هذَا المعْنَى المُنَاسِبَ ونجترئُ فِي إطالَةِ اللِّسَانِ فِي ذَلِكَ البَابِ المَقْصُودِ: أنَّ كُلًّا مِنَ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ عَيْنُ الآخَرِ لا تَمَايُزَ بَيْنَهُمَا فِي الحَقِيقَةِ غَيْرَ الإجْمَالِ والتَّفْصِيلِ والإسْتِدْلَالِ والكَشْفِ والغَيْبَةِ والشَّهَادَةِ والتَّعَمُّلِ وزَوَالِهِ، فَإنَّ الأحْكَامَ والعُلُومَ الَّتِي صَارَتْ مَعْلُومَةً بِمُوجَبِ بَيَانِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ تَنْكَشِفُ تِلْكَ العُلُومُ والأحْكَامُ بِعَيْنِهَا تَفْصِيلًا بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِحَقِيقَةِ حَقِّ اليَقِينِ، وتَخْرُجُ مِنَ الغَيْبَةِ إلَى الشَّهَادَةِ ويَرْتَفِعُ تَجَشُّمُ الكَسْبِ وتَسَحُّلُ العَمَلِ مِنَ البَيْنِ وعَلَامَةُ الوُصُولِ إلَى مَرْتَبَةِ حَقِّ اليَقِينِ مُطَابَقَةُ عُلُومِ ذَلِكَ المَقَامِ ومَعَارِفِهِ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ ومَعَارِفِهَا، فَلَوْ بَقِيَتِ المُخَالَفَةُ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الوُصُولِ إلَى حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ وكُلَّمَا وَقَعَ مِنْ مَشَائِخِ الطَّرِيقَةِ مِمَّا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ مِنْ عِلْمٍ أوْ عَمَلٍ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى سُكْرِ الوَقْتِ. وسُكْرُ الوَقْتِ لا يَقَعُ إلَّا فِي أثْنَاءِ الطَّرِيقِ. وحَالُ المُنْتَهِينَ إلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ كُلُّهُ صَحْوٌ، والوَقْتُ مَغْلُوبٌ فَعَالِهِمْ والحَالُ والمَقَامُ تَابِعَانِ لِكَمَالِهِمْ، (شعر):

صُوفِيٌّ ابْنُ الوَقْتِ آمِدٌ فِي المِثَالِ *** كُلُّ صَافٍ فَارِغٌ عَنْ كُلِّ حَالِ

فَتَحَقَّقَ مِنْ ذَلِكَ أنَّ مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ عَلَامَةُ عَدَمِ الوُصُولِ إلَى حَقِيقَةِ الأمْرِ. ووَقَعَ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ المَشَائِخِ أنَّ الشَّرِيعَةَ قِشْرُ الحَقِيقَةِ والحَقِيقَةَ لُبُّ الشَّرِيعَةِ، وهَذَا الكَلَامُ وإنْ كَانَ مُنْبِئًا عَنْ عَدَمِ اسْتِقَامَةِ قَائِلِهِ ولَكِنْ يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِهِ أنَّ المُجْمَلَ حُكْمُهُ بِالنِّسْبَةِ إلَى المُفَصَّلِ كَحُكْمِ القِشْرِ بِالنِّسْبَةِ إلَى اللُّبِّ، والإسْتِدْلَالَ فِي جَنْبِ الكَشْفِ كَالقِشْرِ فِي جَنْبِ اللُّبِّ. وأمَّا الأكَابِرُ المُسْتَقِيمُوا الأحْوَالِ فَلَا يُجَوِّزُونَ التَّكَلُّمَ بِأمْثَالِ هَذِهِ العِبَارَةِ المُوهِمَةِ لِلْمُخَالَفَةِ، ولَا يُثْبِتُونَ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا غَيْرَ الإجْمَالِ والتَّفْصِيلِ والإسْتِدْلَالِ والكَشْفِ. سَألَ سَائِلٌ الخَوَاجَةَ بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدَ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأقْدَسَ أنَّهُ مَا المَقْصُودُ مِنَ السَّيْرِ والسُّلُوكِ؟ فَقَالَ: كَوْنُ المَعْرِفَةِ الإجْمَالِيَّةِ تَفْصِيلِيَّةً والإسْتِدْلَالِيَّةِ كَشْفِيَّةً رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتَ والإسْتِقَامَةَ عَلَى الشَّرِيعَةِ عِلْمًا وعَمَلًا صَلَوَاتُ اللهِ وسَلَامُهُ عَلَى صَاحِبِهَا. وبَقِيَّةُ التَّصْدِيعِ: أنَّ حَامِلَ رَقِيمَةِ الدُّعَاءِ الشَّيْخَ مُصْطَفَى الشَّرْيَحِيَّ مِنْ نَسْلِ القَاضِي شُرَيْحٍ وكَانَ آبَاؤُهُ وأجْدَادُهُ مِنَ الأكَابِرِ وأصْحَابِ وَظَائِفَ وَفِيرَةٍ ومَعَائِشَ كَثِيرَةٍ وقَدْ تَوَجَّهَ إلَى العَسْكَرِ بِسَبَبِ اضْطِرَارِهِ مِنْ فِقْدَانِ أسْبَابِ المَعِيشَةِ، وأخَذَ مَعَهُ إسْنَادَهُ ومَنْشُورَهُ. والمَأْمُولُ التِفَاتُكُمْ وتَوَجُّهُكُمْ إلَى حَالِهِ عَلَى نَهْجٍ يَكُونُ سَبَبًا لِحُصُولِ الجَمْعِيَّةِ ويَنْجُو مِنَ الإضْطِرَابِ والتَّفْرِقَةِ. ولْنَكْتَفِ بِهَذَا القَدْرِ مِنْ زِيَادَةِ التَّصْدِيعِ.

(٨٥) اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ إلَى المِرْزَا فَتْحِ اللهِ الحَكِيمِ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى إتْيَانِ الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ خُصُوصًا عَلَى أدَاءِ الصَّلَوَاتِ بِالجَمَاعَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَفَّقَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِمَرْضِيَّاتِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الإِنْسَانَ كَمَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَصْحِيحِ الإِعْتِقَادَاتِ، كَذَلِكَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ إِتْيَانِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ. وَأَجْمَعُ الْعِبَادَاتِ وَأَقْرَبُ الطَّاعَاتِ هُوَ أَدَاءُ الصَّلاَةِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "اَلصَّلاَةُ عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ" وَمَنْ وُفِّقَ لِمُوَاظَبَةِ أَدَاءِ الصَّلاَةِ فَقَدِ امْتَنَعَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى "إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ" مُؤَيِّدٌ لِهَذَا الْكَلاَمِ، وَالصَّلاَةُ الَّتِي لَيْسَتْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ يَعْنِي لَمْ تَمْنَعْ صَاحِبَهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَهِيَ صُورَةُ الصَّلاَةِ لاَ حَقِيقَةَ لَهَا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تُتْرَكَ الصُّورَةُ إِلَى أَنْ تَحْصُلَ الْحَقِيقَةُ فَإِنَّ مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ، وَلاَ يُسْتَبْعَدُ اعْتِبَارُ أَكْرَمِ الأَكْرَمِينَ الصُّورَةَ وَأَنْ يَقْبَلَهَا مَكَانَ الْحَقِيقَةِ. فَعَلَيْكُمُ الْمُوَاظَبَةُ عَلَى أَدَاءِ الصَّلاَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَعَ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ فَإِنَّهَا سَبَبُ النَّجَاةِ وَالْفَلاَحِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ".

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ مَعَ وُجُودِ الْخَطَرِ يَعْنِي الرَّدَّ أَلاَ تَرَى أَنَّ الْعَسَاكِرَ يَحْصُلُ لَهُمُ اعْتِبَارٌ كَثِيرٌ فِي مُقَابَلَةِ حَرَكَتِهِمُ الْيَسِيرَةِ وَمُنَاضَلَتِهِمُ الْقَلِيلَةِ وَقْتَ غَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ صَلاَحُ الشُّبَّانِ لأَنَّهُمُ اخْتَارُوا الصَّلاَحَ وَكَلَّفُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ مَعَ وُجُودِ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ النَّفْسَانِيَّةِ فِيهِمْ، وَقَدْ نَالَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ جَمِيعَ تِلْكَ الْحِشْمَةِ وَالْعَظَمَةِ وَالرُّتْبَةِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالَى بِسَبَبِ هِجْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُخَالِفِي الدِّينِ. وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "عِبَادَةٌ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ" فَكَانَ الْمُنَافِي عَيْنَ الْبَاعِثِ فِي الْحَقِيقَةِ. وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ. وَصُحْبَةُ الْفُقَرَاءِ غَيْرُ مَرْغُوبَةٍ فِيهَا لَدَى وَلَدِي بَهَاءِ الدِّينِ، بَلْ مَيْلُهُ وَانْجِذَابُهُ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْغِنَا وَأَرْبَابِ النِّعَمِ وَالإِسْتِغْنَاءِ، وَلاَ يَدْرِي أَنَّ صُحْبَتَهُمْ سَمٌّ قَاتِلٌ وَلُقْمَتَهُمُ السَّمِينَةَ يَعْنِي أَطْعِمَتَهُمُ اللَّذِيذَةَ زَائِدَةٌ فِي ظُلْمَةِ الْبَاطِنِ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ. اَلْحَذَرَ الْحَذَرَ ثُمَّ الْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْهُمْ. وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَلَى مَصْدَرِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "مَنْ تَوَاضَعَ لِلْغَنِيِّ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ" فَوَيْلٌ لِمَنْ تَوَاضَعَهُمْ لِغِنَاهُمْ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ.

(٨٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ إِلَى شَخْصٍ مِنْ حُكَّامِ بَعْضِ الْقَصَبَةِ فِي بَيَانِ سَلاَمَةِ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى

رَزَقَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الإِسْتِقَامَةَ عَلَى حَدِّ الإِعْتِدَالِ وَمَرْكَزِ الْعَدَالَةِ بِجَاهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا ، وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ لَنَا وَلَكُمْ سَلاَمَةُ الْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِمَا سِوَى الْحَقِّ تَعَالَى. وَهَذِهِ السَّلاَمَةُ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ عَلَى تَقْدِيرِ عَدَمِ بَقَاءِ خُطُورِ غَيْرِهِ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ بِحَيْثُ لَوِ امْتَدَّتِ الْحَيَاةُ إِلَى أَلْفِ سَنَةٍ فَرْضًا لاَ يَقَعُ الْغَيْرُ فِي الْقَلْبِ بِوَاسِطَةِ نِسْيَانِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى الْحَاصِلِ لِلْقَلْبِ، (ع) **هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْهَوَسِ ***

وَقَدْ قُلْتُمْ وَقْتَ الْمُلاَقَاةِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ إِنَّهُ إِذَا وَقَعَ أَمْرٌ مُهِمٌّ لاَزِمُ الرُّجُوعِ فِيهِ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبُوهُ إِلَيْنَا فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ اجْتَرِئُ عَلَى التَّصْدِيعِ: أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ الصُّوفِيَّ مِنَ الصُّلَحَاءِ وَقَدْ رَكِبَهُ الدَّيْنُ بِسَبَبِ أَدَاءِ بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَالْمَرْجُوُّ حُصُولُ الْمَدَدِ لَهُ مِنْكُمْ فِي تَخْلِيصِ ذِمَّتِهِ وَالسَّلاَمُ.

(٨٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ إِلَى بَهْلَوَانْ مَحْمُودٍ فِي بَيَانِ سَعَادَةِ مَنْ قَبِلَهُ أَوْلِيَاءُ اللهِ تَعَالَى

ثَبَّتَكُمُ اللهُ وَثَبَّتَكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. أَوَّلُ بِشَارَاتِ جَمَاعَتِكُمْ قُدُومُ الشَّيْخِ مِيَانْ مُزَّمِّلٍ وَمَاذَا أُبَيِّنُ مِنْ بَرَكَاتِ صُحْبَتِهِ، وَأَيُّ سَعَادَةٍ أَفْضَلُ مِنْ قَبُولِ أَوْلِيَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَخْصًا، فَكَيْفَ لَوِ امْتَازَ بِمَحَبَّتِهِمْ وَقُرْبِهِمْ هُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ وَبِالْجُمْلَةِ يَنْبَغِي اغْتِنَامُ صُحْبَتِهِمْ، حَتَّى تَكُونَ مُؤَثِّرَةً. وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(٨٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ الشَّيْبِ فِي الإِيمَانِ وَالصَّلاَحِ وَلُزُومِ غَلَبَةِ الْخَوْفِ فِي عَهْدِ الشَّبَابِ وَالرَّجَاءِ فِي الشَّيْخُوخَةِ

جَعَلَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ عَلَى الدَّوَامِ. أَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنَ الشَّيْبِ فِي الإِيمَانِ وَالصَّلاَحِ وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ غُفِرَ لَهُ " يَنْبَغِي بَعْدَ الشَّيْبِ أَنْ يُرَجِّحَ جَانِبَ الرَّجَاءِ وَأَنْ يُغَلِّبَ ظَنَّ الْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّ الْخَوْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَزْيَدَ فِي عَهْدِ الشَّبَابِ، وَأَمَّا فِي سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ فَلاَ يَنْبَغِي إِلاَّ تَرْجِيحُ الرَّجَاءِ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(٨٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ إِلَى الْمِرْزَا عَلِي جَانْ فِي التَّعْزِيَةِ

رَزَقَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ بُدَّ لِلإِنْسَانِ مِنَ الْمَوْتِ تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" فَطُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَكَثُرَ عَمَلُهُ. وَالْمَوْتُ هُوَ الَّذِي يَتَسَلَّى بِهِ الْمُشْتَاقُونَ، وَجُعِلَ وَسِيلَةً لِوُصُولِ الْحَبِيبِ إِلَى الْحَبِيبِ "مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ" نَعَمْ إِنَّ أَحْوَالَ الْعَاجِزِينَ الْمَحْرُومِينَ مِنْ دَوْلَةِ الْحُضُورِ، وَالْوُصُولِ إِلَى مَطْلَبِ الْوَاصِلِينَ الْمُتَجَرِّدِينَ مِنْ رِقْبَةِ السِّوَى خَرَابٌ وَأَبْتَرُ. وَقَدْ كَانَتِ الْمَرْحُومَةُ وَلِيَّةُ نِعْمَتِكُمْ مُغْتَنَمَةً لَكُمْ فِي هَذِهِ الأَوَانِ جِدًّا، وَاللاَّزِمُ لَكُمُ الآنَ مُكَافَأَةُ الإِحْسَانِ بِالإِحْسَانِ، وَالإِمْدَادُ بِالدُّعَاءِ وَالصَّدَقَةِ سَاعَةً فَسَاعَةً، فَإِنَّ الْمَيِّتَ كَالْغَرِيقِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً مُلْحِقَةً مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ صَدِيقٍ. (وَأَيْضًا) يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْتَبِرُوا مِنْ مَوْتِهَا

وَتَذَكَّرُوا مَوْتَكُمْ وَأَنْ تُقْبِلُوا عَلَى مَرْضِيَّاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَنْ لَا تَعُدُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَوِيَّةَ غَيْرَ مَتَاعِ الْغُرُورِ، فَإِنْ كَانَ لِلتَّمَتُّعَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنَ الْإِعْتِبَارِ لَمَا مُنِحَ بِهَا الْكُفَّارُ وَلَمَا أُعْطِيَهَا الْأَشْرَارُ. رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَالْإِقْبَالَ عَلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَالسَّلَامُ وَالْإِكْرَامُ.

(٩٠) اَلْمَكْتُوبُ التِّسْعُونَ إِلَى الْخَوَاجَهْ قَاسِمٍ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَبَيَانِ أَنَّ حُصُولَ هٰذِهِ الدَّوْلَةِ مَوْقُوفٌ فِي هٰذَا الْوَقْتِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِهٰذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللّٰهُ أَسْرَارَهُمْ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ

جَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ حَقِيرَةَ الْمِقْدَارِ عَدِيمَةَ الْإِعْتِبَارِ فِي نَظَرِ هِمَّتِكُمْ، وَجَعَلَ جَمَالَ الْآخِرَةِ مُحَلًّى وَمُزَيَّنًا فِي مِرْآةِ بَصِيرَتِكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا . قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُكُمُ الشَّرِيفُ الْمُرْسَلُ عَلَى وَجْهِ الْإِلْتِفَاتِ مَعَ الْهَدَايَا الْمُحْتَرَمَةِ جَزَاكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كَرَمِكُمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ. وَالنَّصِيحَةُ الَّتِي يَنْصَحُ بِهَا الْمُحِبُّونَ وَالْمُخْلِصُونَ هُوَ التَّرْغِيبُ فِي السَّعْيِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي تَحْصِيلِ الْإِقْبَالِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ عَزَّ شَأْنُهُ. (ع) **هٰذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ** *

وَحُصُولُ هٰذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى مَوْقُوفٌ فِي هٰذَا الْوَقْتِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ. فَإِنَّ الَّذِي يَحْصُلُ فِي صُحْبَتِهِمُ الْوَاحِدَةِ لَا يَتَيَسَّرُ بِالرِّيَاضَاتِ الشَّدِيدَةِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّاقَّةِ فِي مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ فِي طَرِيقِ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ انْدِرَاجَ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ بِحَيْثُ يُعْطَى فِي أَوَّلِ صُحْبَتِهِمْ مَا يَقَعُ فِي يَدِ الْمُنْتَهِينَ فِي نِهَايَتِهِمْ. وَطَرِيقُ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ هُوَ طَرِيقُ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ فَإِنَّهُ كَانَ يَحْصُلُ لَهُمْ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ مَا يَنْدُرُ حُصُولُهُ لِأَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ فِي النِّهَايَةِ، وَهٰذَا طَرِيقُ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ فَعَلَيْكُمْ بِصُحْبَةِ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ فَإِنَّهَا مِلَاكُ الْأَمْرِ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٩١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالتِّسْعُونَ إِلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ فِي بَيَانِ أَنَّ تَصْحِيحَ الْعَقَائِدِ وَإِتْيَانَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كِلَيْهِمَا جَنَاحَانِ لِلطَّيَرَانِ إِلَى عَالَمِ الْقُدْسِ وَأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْوَالِ الْحَقِيقَةِ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةُ الْقَلْبِ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الإِسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَاعْلَمْ: أَنَّ الَّذِي لاَ بُدَّ مِنْهُ هُوَ تَصْحِيحُ الإِعْتِقَادِ أَوَّلاً عَلَى وَفْقِ آرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمْ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ ثُمَّ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَى الأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ ثَانِيًا فَإِذَا حَصَلَ هَذَانِ الْجَنَاحَانِ الإِعْتِقَادِيُّ وَالْعَمَلِيُّ يَنْبَغِي أَنْ يُقْصَدَ الطَّيَرَانُ إِلَى عَالَمِ الْقُدْسِ (ع) هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ *وَالْمَقْصُودُ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْوَالِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةُ الْقَلْبِ وَمَا لَمْ تَتَزَكَّ النَّفْسُ لاَ تَحْصُلُ السَّلَامَةُ لِلْقَلْبِ، وَلاَ يَحْصُلُ الإِيمَانُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي بِهِ نِيطَتِ النَّجَاةُ. وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ إِنَّمَا تُتَصَوَّرُ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ مَا سِوَاهُ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ أَصْلاً بِحَيْثُ لَوْ مَضَى أَلْفُ سَنَةٍ مَثَلاً لاَ يَقَعُ الْغَيْرُ فِي الْقَلْبِ وَلاَ يَمُرُّ عَلَيْهِ قَطْعًا لأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلْقَلْبِ حِينَئِذٍ نِسْيَانُ السِّوَى بِالْكُلِّيَّةِ، بِحَيْثُ لَوْ ذَكَّرُوهُ بِالتَّكَلُّفِ لَمَا يَتَذَكَّرُ. وَهَذِهِ الْحَالَةُ هِيَ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْفَنَاءِ وَأَوَّلُ قَدَمٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَالسَّلَامُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(٩٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ اطْمِئْنَانَ الْقَلْبِ إِنَّمَا هُوَ بِالذِّكْرِ لاَ بِالإِسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١). وَطَرِيقُ اطْمِئْنَانِ الْقَلْبِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى دُونَ النَّظَرِ وَالإِسْتِدْلَالِ، (شِعْرٌ):

أَقْدَامُ أَرْبَابِ الْحِجَى كَالْخَزَفِ * وَمَا الَّذِي تَمْكِينُهُ بِا أَسَفِي**

فَإِنَّ فِي الذِّكْرِ اكْتِسَابَ الْمُنَاسَبَةِ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً يَعْنِي فِي الْحَقِيقَةِ مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ وَلَكِنْ يَحْصُلُ بَيْنَ الذَّاكِرِ وَالْمَذْكُورِ نَوْعٌ مِنَ الارْتِبَاطِ وَالْعَلَاقَةِ الْمُوجِبَةِ لِلْمَحَبَّةِ، فَإِذَا اسْتَوْلَتِ الْمَحَبَّةُ عَلَى الذَّاكِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ سِوَى الإِطْمِئْنَانِ أَصْلاً، وَإِذَا بَلَغَ الأَمْرُ اطْمِئْنَانَ الْقَلْبِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ الأَبَدِيَّةُ نَقْدَ الْوَقْتِ،

(شِعْرٌ):

عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ الْحَقِّ دَوَامًا فَإِنَّهُ *** جَلَاءُ الْقُلُوبِ وَالْغِذَاءُ لِلأَرْوَاحِ

وَالسَّلَامُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(٩٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ إِلَى اسْكَنْدَرْ خَانْ اللُّودِي فِي التَّحْرِيضِ عَلَى صَرْفِ الأَوْقَاتِ إِلَى ذِكْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) الآية: ٢٨ من سورة الرعد.

يَنْبَغِي: صَرْفُ الْأَوْقَاتِ إِلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَأَدَاءِ السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ، وَأَنْ لاَ يَشْتَغِلَ بِغَيْرِهِ سَوَاءٌ كَانَ وَقْتَ الْأَكْلِ أَوِ النَّوْمِ أَوِ الْمَشْيِ. وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ طَرِيقُ الذِّكْرِ، فَيَنْبَغِي الْإِشْتِغَالُ بِهِ بِهَذَا الطَّرِيقِ الْمَعْهُودِ.

فَإِنْ طَرَأَ الْفُتُورُ عَلَى الْجَمْعِيَّةِ يَنْبَغِي الْبَحْثُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ الْفُتُورِ وَتَعْيِينُهُ وَتَشْخِيصُهُ أَوَّلاً، ثُمَّ التَّشَبُّثُ بِأَسْبَابِ تَلاَفِي التَّقْصِيرِ ثَانِيًا. وَيَنْبَغِي التَّوَجُّهُ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْإِلْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ التَّامِّ، وَأَنْ يَسْأَلَهُ سُبْحَانَهُ دَفْعَ ظُلْمَةِ الْفُتُورِ وَالتَّقْصِيرِ وَأَنْ يَتَوَسَّلَ بِالشَّيْخِ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ الذِّكْرَ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُيَسِّرُ كُلَّ عَسِيرٍ وَالسَّلَامُ.

(٩٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ إِلَى حَضْرِ خَانَ اللُّودِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّهُ لاَبُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ وَإِتْيَانِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَطِيرَ بِهَذَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ إِلَى الْعَالَمِ الْحَقِيقَةِ

رَزَقَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ. وَالَّذِي لاَ بُدَّ مِنْهُ لِلْإِنْسَانِ هُوَ تَصْحِيحُ الْعَقَائِدِ أَوَّلاً عَلَى مُقْتَضَى آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الصَّائِبَةِ الَّذِينَ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، وَإِتْيَانُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ثَانِيًا بِمُوجَبِ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ. فَإِنْ سَاعَدَ التَّوْفِيقُ الْإِلَهِيُّ بَعْدَ تَعَلُّمِ أَحْكَامِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَحُصُولِ هَذَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ الْإِعْتِقَادِيِّ وَالْعَمَلِيِّ، يُمْكِنُ الطَّيَرَانُ نَحْوَ عَالَمِ الْحَقِيقَةِ، وَبِدُونِ حُصُولِ هَذَيْنِ السَّاعِدَيْنِ يَسْتَحِيلُ الطَّيَرَانُ نَحْوَهَا،

(شِعْرٌ):

وَمِنَ الْمُحَالِ السَّيْرُ فِي طُرُقِ الصَّفَا *** يَا سَعْدُ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ الْمُصْطَفَى

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ.

(٩٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ إِلَى السَّيِّدِ بِجَوَارَهْ فِي بَيَانِ أَنَّ الْإِنْسَانَ نُسْخَةٌ جَامِعَةٌ وَقَلْبُهُ أَيْضًا مَخْلُوقٌ عَلَى وَصْفِ الْجَامِعِيَّةِ وَتَوْجِيهَاتِ أَقْوَالِ بَعْضِ الْمَشَايِخِ الْوَاقِعَةِ حَالَةَ السُّكْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اِعْلَمْ: أَنَّ الْإِنْسَانَ نُسْخَةٌ جَامِعَةٌ، وَكُلُّمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ مُتَفَرِّقًا مَوْجُودٌ فِي الْإِنْسَانِ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ مِنْ عَالَمِ الْإِمْكَانِ بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، وَمِنْ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ بِطَرِيقِ الصُّورَةِ "إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى

صورته" [1] وهذه الجامعية ثابتة لقلب الإنسان فإن جميع ما هو في كلية الإنسان فهو موجود في القلب وحده، ولهذا يقال له الحقيقة الجامعة. ومن حيثية هذه الجامعية أخبر بعض المشايخ عن وسعة القلب بقوله: لو ألقي العرش وما فيه في زاوية قلب العارف لما أحس به أصلاً فإن القلب جامع للعناصر والأفلاك والعرش والكرسي والعقل والنفس وشامل للمكاني واللامكاني فلا جرم لا يكون للعرش مقدار في جنب القلب بواسطة شموله للإمكانية لأن العرش وما فيه مع وجود الوسعة فيه داخل في دائرة الإمكان، والمكاني وإن كان وسيعًا في حد ذاته لكنه ضيق في جنب الإمكاني لا مقدار له بالنسبة إليه. ولكن أرباب الصحو من المشايخ قدس الله أسرارهم يعلمون أن هذا الحكم مبني على السكر ومحمول على عدم التمييز بين حقيقة الشيء وبين أنموذجه، فإن العرش المجيد الذي هو محل الظهور التام أجل وأرفع من أن يكون له حصول في القلب، والذي يرى في القلب من العرش فهو أنموذج العرش لا حقيقته، ولا شك أنه لا مقدار لهذا الأنموذج في جنب القلب، فإنه جامع لأنموذجات غير متناهية. ولا يقال للمرآة التي ترى فيها السموات مع هذه الوسعة والكبر بأشياء أخر إنها أكبر من السموات. نعم إن تمثال السموات الذي هو في المرآة أصغر من المرآة لا حقيقة السموات. (ولنوضح) هذا المبحث بمثال وهو أن أنموذجًا من عنصر كرة الأرض مكمون في بدن الإنسان، ولا يقال: إن بدن الإنسان أكبر وأوسع من كرة الأرض نظرًا إلى جامعية الإنسان، بل لا مقدار لبدن الإنسان في جنب كرة الأرض أصلاً. ومنشأ هذا الحكم إنما هو توهم الجزء الحقير للشيء بل الأنموذج الحقير للشيء نفس ذلك الشيء ومن هذا القبيل كلام بعض المشايخ الذي صدر عنهم وقت غلبة السكر كقولهم: إن الجمع المحمدي أجمع من الجمع الإلهي جل سلطانه فإنهم لما زعموا أن محمدًا عليه الصلاة والسلام جامع لحقيقة الإمكان ومرتبة الوجوب حكموا بأن جامعية محمد عليه الصلاة والسلام أجمع من جامعية الله تعالى شأنه، وهنا أيضًا زعموا الصورة حقيقة فحكموا بذلك فإن محمدًا عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات جامع لصورة مرتبة الوجوب دون حقيقتها، والله سبحانه وتعالى وتقدس واجب الوجود على الحقيقة. فلو فرقوا بين حقيقة الوجوب وصورته لما حكموا به حاشا وكلا من أمثال هذه الأحكام السكرية. فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبد مخلوق متناه محدود والله سبحانه غير متناه وغير محدود.

(وينبغي) أن يعلم أن كلما هو من الأحكام السكرية فهو من مقام الولاية، وكلما هو من أحكام الصحو فله تعلق بمقام النبوة، ولكمل أتباع الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات نصيب من هذا المقام بواسطة الصحو بطريقة التبعية. والبسطامية يفضلون السكر على الصحو ولهذا قال الشيخ أبو يزيد البسطامي قدس سره : لوائي أرفع من لواء محمد. أراد بلوائه لواء الولاية وبلواء محمد عليه الصلاة والسلام لواء النبوة. ويرجح لواء الولاية الذي هو ناظر إلى السكر على لواء النبوة الذي هو ناظر إلى الصحو.

([1]) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: " خلق الله آدم على صورته ".

(وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ) قَوْلُ بَعْضِهِمْ: اَلْوِلاَيَةُ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِنْ أَنَّ التَّوَجُّهَ فِي الْوِلاَيَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَفِي النُّبُوَّةِ إِلَى الْخَلْقِ. وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى الْحَقِّ أَفْضَلُ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْخَلْقِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي تَوْجِيهِ هَذَا الْكَلاَمِ: إِنَّ وِلاَيَةَ النَّبِيِّ أَفْضَلُ مِنْ نُبُوَّتِهِ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّوَابِ عِنْدَ هَذَا الْفَقِيرِ، فَإِنَّ التَّوَجُّهَ فِي النُّبُوَّةِ لَيْسَ إِلَى الْخَلْقِ فَقَطْ، بَلْ فِيهَا تَوَجُّهٌ إِلَى الْحَقِّ أَيْضًا مَعَ وُجُودِ هَذَا التَّوَجُّهِ، فَإِنَّ بَوَاطِنَهُمْ مَعَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَظَوَاهِرَهُمْ مَعَ الْخَلْقِ. وَأَمَّا الَّذِينَ تَوَجُّهُهُمْ إِلَى الْخَلْقِ فَقَطْ فَهُمْ مِنَ الْمُعْرِضِينَ الْمُدْبِرِينَ، وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ أَفْضَلُ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَلَهُمْ مُسَلَّمٌ أَفْضَلُ الدَّوْلاَتِ، وَالْوِلاَيَةُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ وَمُنْدَرِجَةٌ فِيهَا وَالنُّبُوَّةُ كُلٌّ شَامِلٌ لَهَا، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ النُّبُوَّةُ أَفْضَلَ مِنَ الْوِلاَيَةِ سَوَاءٌ كَانَتْ وِلاَيَةَ نَبِيٍّ أَوْ وِلاَيَةَ غَيْرِهِ. فَكَانَ الصَّحْوُ أَفْضَلَ مِنَ السُّكْرِ، وَالسُّكْرُ مُنْدَرِجٌ فِي الصَّحْوِ انْدِرَاجَ الْوِلاَيَةِ فِي النُّبُوَّةِ، وَالصَّحْوُ الْخَالِي عَنِ السُّكْرِ الَّذِي هُوَ لِلْعَوَامِّ خَارِجٌ عَنِ الْمَبْحَثِ، وَلاَ مَعْنَى لِتَرْجِيحِ ذَلِكَ، وَالصَّحْوُ الْمُتَضَمِّنُ لِلسُّكْرِ أَفْضَلُ مِنَ السُّكْرِ أَلْبَتَّةَ. وَالْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي مَصْدَرُهَا النُّبُوَّةُ نَاشِئَةٌ كُلُّهَا مِنْ كَمَالِ الصَّحْوِ وَمَا يُخَالِفُهَا كَائِنًا مَا كَانَ مِنَ السُّكْرِ، وَصَاحِبُ السُّكْرِ مَعْذُورٌ. وَمَا يَسْتَحِقُّ التَّقْلِيدَ وَالإِسْتِمْسَاكَ بِهِ هُوَ عُلُومُ مَقَامِ الصَّحْوِ لاَ عُلُومُ حَالَةِ السُّكْرِ. ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى تَقْلِيدِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ يَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا. وَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ حَيْثُ وَرَدَ لاَ يَسَعُنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فَالْمُرَادُ بِهِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ سَعَةُ صُورَةِ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ لاَ حَقِيقَتِهَا، فَإِنَّ الْحُلُولَ مُحَالٌ هُنَاكَ كَمَا تَقَدَّمَ، فَظَهَرَ أَنَّ شُمُولَ الْقَلْبِ لِلإِمْكَانِيَّةِ بِاعْتِبَارِ الصُّورَةِ لاَ الْحَقِيقَةِ حَتَّى لاَ يَكُونَ لِلْعَرْشِ وَمَا حَوَاهُ مِقْدَارٌ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا الْحُكْمَ مَخْصُوصٌ بِحَقِيقَةِ اللاَّمَكَانِيَّةِ.

(٩٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ إِلَى مُحَمَّدْ شَرِيفْ فِي الْمَنْعِ وَالزَّجْرِ عَنِ التَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ وَفِي التَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ الشَّرِيعَةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ وَمَا يُنَاسِبُهُ

أَيُّهَا الْوَلَدُ: هَذَا الْوَقْتُ الَّذِي هُوَ أَوَانُ الْفُرْصَةِ وَتَيَسُّرُ أَسْبَابِ الْجَمْعِيَّةِ كُلِّهَا لاَ مَجَالَ فِيهِ لِلتَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ أَصْلاً، يَنْبَغِي صَرْفُ أَشْرَفِ الأَوْقَاتِ الَّذِي هُوَ زَمَانُ عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ فِي أَفْضَلِ الأَعْمَالِ الَّذِي هُوَ طَاعَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعِبَادَتُهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. وَيَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ يَلْتَزِمَ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَعَ الْجَمَاعَةِ مُجْتَنِبًا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ الشَّرْعِيَّةِ. وَأَدَاءُ الزَّكَاةِ عَلَى تَقْدِيرِ وُجُودِ النِّصَابِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الإِسْلاَمِ أَيْضًا، فَيَنْبَغِي إِذَا أَدَاؤُهَا بِكَمَالِ الرَّغْبَةِ بَلْ بِقَبُولِ الْمِنَّةِ. وَقَدْ عَيَّنَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ كَرَمِهِ لِلْعِبَادَةِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَةَ أَوْقَاتٍ وَعَيَّنَ مِنَ الأَمْوَالِ النَّامِيَةِ وَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ رُبْعَ الْعُشْرِ تَخْفِيفًا وَتَقْرِيبًا لأَجْلِ الْفُقَرَاءِ، وَوَسَّعَ مَيْدَانَ تَصَرُّفِ الْمُبَاحَاتِ، وَالتَّكَاسُلُ فِي صَرْفِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَرْبَعٍ

وَعِشْرِينَ سَاعَةً فِي طَاعَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالْبُخْلُ بِأَدَاءِ سَهْمٍ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَعِينَ سَهْمًا إِلَى الْفُقَرَاءِ وَوَضْعُ الْقَدَمِ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الْمُبَاحِ الْوَسِيعَةِ الْفَضَاءِ الْبَعِيدَةِ الْإِرْجَاءِ وَالْوُقُوعُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ مِنْ غَايَةِ عَدَمِ الْإِنْصَافِ. وَفِي مَوْسِمِ الشَّبَابِ الَّذِي هُوَ أَوَانُ غَلَبَةِ سُلْطَانِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ وَقَهْرَمَانِ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ يُعْطَى عَلَى عَمَلٍ قَلِيلٍ أَجْرٌ جَزِيلٌ، فَإِذَا بَلَغْتَ غَدًا أَرْذَلَ الْعُمُرِ وَضَعُفَتِ الْحَوَاسُّ وَالْقُوَى وَتَشَتَّتَتْ أَسْبَابُ الْجَمْعِيَّةِ: لَا يَحْصُلُ غَيْرُ النَّدَامَةِ وَالتَّأَسُّفِ، وَرُبَّمَا لَا تَبْقَى إِلَى غَدٍ فَلَا تَتَيَسَّرُ فُرْصَةُ النَّدَامَةِ وَالتَّأَسُّفِ الَّتِي هِيَ نَوْعُ تَوْبَةٍ. وَالْعَذَابُ الْأَبَدِيُّ وَالْعِقَابُ السَّرْمَدِيُّ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ الصَّادِقُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَحَذَّرَ عَنْهُ الْعُصَاةَ أَمَامَنَا لَا يَتَخَلَّفُ أَبَدًا، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يُلْقِي الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ فِي التَّسْوِيفِ وَالْغُرُورِ وَالْمُدَاهَنَةِ بِإِظْهَارِ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَأْمُرُ بِالْمَعَاصِي اتِّكَاءً بِعَفْوِهِ تَعَالَى.

(يَنْبَغِي) أَنْ يَتَنَبَّهَ وَيَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ الْمِحْنَةِ وَالْبَلَاءِ امْتَزَجَ فِيهَا الْأَعْدَاءُ وَالْأَحِبَّاءُ وَاشْتَبَهَ الْأَمْرُ، وَشَمِلَتْ رَحْمَتُهُ تَعَالَى الْكُلَّ كَمَا يُشْعِرُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" وَأَمَّا يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي هُوَ دَارُ الْجَزَاءِ فَيَمْتَازُ فِيهِ الْأَعْدَاءُ وَالْأَحِبَّاءُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ "وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ" وَتَخْرُجُ قُرْعَةُ الرَّحْمَةِ يَوْمَئِذٍ بِاسْمِ الْأَحْبَابِ، وَتَصِيرُ الْأَعْدَاءُ مَحْرُومِينَ مُطْلَقًا وَمَلْعُونِينَ مُحَقَّقًا كَمَا يَشْهَدُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى "فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" فَخَصَّ الْكَرَمَ وَالرَّحْمَةَ فِي الْآخِرَةِ بِالْأَبْرَارِ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ الْأَخْيَارِ. نَعَمْ إِنَّ لِمُطْلَقِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ نَصِيبًا مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى تَقْدِيرِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَنَجَاةً مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَلَوْ بَعْدَ أَزْمِنَةٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَبْقَى نُورُ الْإِيمَانِ مَعَ تَرَاكُمِ ظُلُمَاتِ الْمَعَاصِي، وَكَيْفَ يَتْرُكُ عَدَمُ الْمُبَالَاتِ بِالْأَحْكَامِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا بِالسَّلَامَةِ، وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْإِصْرَارُ عَلَى الصَّغِيرَةِ يُفْضِي إِلَى الْكَبِيرَةِ وَالْإِصْرَارُ عَلَى الْكَبِيرَةِ يُفْضِي إِلَى الْكُفْرِ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، (شِعْرٌ):

بَثَثْتُ قَلِيلًا مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ *** تَمَلُّوا وَإِلَّا فَالْكَلَامُ كَثِيرٌ

وَفَّقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِمَرْضِيَّاتِهِ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبَقِيَّةُ الْمَقْصُودِ أَنَّ حَامِلَ الْكِتَابِ مَوْلَانَا إِسْحَاقُ مِنْ أَحْبَابِ الْفَقِيرِ وَمُخْلِصِيهِ، وَلَهُ حَقُّ الْجِوَارِ مِنَ الْقَدِيمِ فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى الْإِعَانَةِ وَالْإِمْدَادِ يَنْبَغِي رِعَايَةُ التَّوَجُّهِ فِي حَقِّهِ، وَلَهُ اطِّلَاعٌ عَلَى فَنِّ الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ وَمُمَارَسَةٌ فِيهِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ وَالسَّلَامُ.

(٩٧) الْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ إِلَى الشَّيْخِ دَرْوِيشٍ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْعِبَادَةِ هُوَ تَحْصِيلُ الْيَقِينِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

شَرَّفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمْثَالَنَا الْمُفْلِسِينَ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا. وَكَمَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ أَدَاءُ الْعِبَادَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا، كَذَلِكَ الْمَقْصُودُ مِنْ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ تَحْصِيلُ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" رَمْزٌ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّ كَلِمَةَ (حَتَّى) كَمَا أَنَّهَا تَكُونُ لِلْغَايَةِ تَكُونُ لِلْعِلَّةِ أَيْضًا، أَيْ لِأَجْلِ أَنْ يَأْتِيَكَ وَكَانَ الْإِيمَانُ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى أَدَاءِ الْعِبَادَةِ صُورَةَ الْإِيمَانِ لَا حَقِيقَتَهُ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِالْيَقِينِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ شَأْنُهُ:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا " أَيْ الَّذِينَ آمَنُوا صُورَةً آمِنُوا حَقِيقَةً بِأَدَاءِ وَظَائِفِ الْعِبَادَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا.

وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ اللَّذَيْنِ الْوِلَايَةُ عِبَارَةٌ عَنْ حُصُولِ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ هُوَ هَذَا الْيَقِينُ فَحَسْبُ، فَإِنْ أَرَادُوا بِالْفَنَاءِ فِي اللَّهِ وَالْبَقَاءِ بِاللَّهِ مَعْنًى آخَرَ يُوهِمُ بِالْحَالِيَّةِ وَالْمَحَلِّيَّةِ، فَهُوَ عَيْنُ الْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ. وَيَظْهَرُ فِي أَثْنَاءِ غَلَبَةِ الْحَالِ وَسُكْرِ الْوَقْتِ شَيْئًا يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَهَا أَخِيرًا وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ مِنْهَا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ الَّذِي هُوَ مِنْ مَشَائِخِ الطَّبَقَاتِ قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ: عِلْمُ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ يَدُورُ عَلَى إِخْلَاصِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَصِحَّةِ الْعُبُودِيَّةِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَمَغَالِيطُ وَزَنْدَقَةٌ وَالْحَقُّ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَقَوْلُهُ هَذَا يُنْبِئُ عَنِ اسْتِقَامَتِهِ

فَإِنَّ الْفَنَاءَ فِي اللَّهِ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَنَاءِ فِي مَرْضِيَّاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ. وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ وَالسَّيْرُ فِي اللَّهِ وَنَحْوُهُمَا.

(وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ) أَنَّ الشَّيْخَ مِيَانَ اللَّهِ بَخْشَ رَجُلٌ مُتَّصِفٌ بِالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْفَضِيلَةِ، وَقَدِ ارْتَبَطَ بِهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى الْمَعُونَةِ فِي مَادَّةٍ مِنَ الْمَوَادِّ فَالْمَرْجُوُّ رِعَايَةُ التَّوَجُّهِ الشَّرِيفِ فِي حَالِهِ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

(٩٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ إِلَى عَبْدِ الْقَادِرِ وَلَدِ الشَّيْخِ زَكَرِيَّا فِي التَّحْرِيضِ عَلَى الرِّفْقِ وَتَرْكِ الْعُنْفِ بِإِيرَادِ الْأَحَادِيثِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

نَسْأَلُ اللَّهَ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى مَرْكَزِ الْعَدَالَةِ. وَلْنُورِدْ أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةً عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا الْوَارِدَةَ فِي بَابِ التَّذْكِيرِ وَالْوَعْظِ وَالنَّصِيحَةِ يَسَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبَوَيْهَا: عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. وَقَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ

أَيْضًا: مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا: مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: اَلْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ. إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَحْشَاءَ الْبَذِيءَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحَرَّمُ عَلَى النَّارِ وَبِمَنْ يُحَرَّمُ النَّارُ عَلَيْهِ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ. الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ إِنْ قِيدَ انْقَادَ وَإِنْ اسْتُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ إِنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا. قَالَ: لَا تَغْضَبْ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ إِنَّ الْغَضَبَ لَيُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبِرُ الْعَسَلَ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وَفِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ حَتَّى لَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلْبٍ وَخِنْزِيرٍ.

قَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : يَا رَبِّ مَنْ أَعَزُّ عِبَادِكَ ؟ قَالَ: مَنْ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَقَالَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ عَنْهُ اللَّهُ عَذَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى اللَّهِ قَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهُ.

وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا: أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلَا تُكْثِرِي. فَكَتَبَتْ: سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ" صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ التَّوْفِيقَ لِلْعَمَلِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ وَالسَّلَامُ. وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَإِنْ كُتِبَتْ بِدُونِ تَرْجَمَةٍ وَلَكِنْ تُفْهَمُ مَعَانِيهَا بِالرُّجُوعِ إِلَى الشَّيْخِ جَيِّدٌ.

وَيَنْبَغِي السَّعْيُ وَالْاِجْتِهَادُ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا بَقَاءُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ جِدًّا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ شَدِيدٌ فِي الْغَايَةِ وَدَائِمٌ فَعَلَيْكُمُ اسْتِعْمَالُ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ وَأَنْ لَا يَغْتَرَّ بِطَرَاوَةِ الدُّنْيَا الْخَالِيَةِ عَنِ الْحَلَاوَةِ، فَإِنْ كَانَتِ الْعِزَّةُ وَالْأَفْضَلِيَّةُ

بِسَبَبِ الدُّنْيَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْكُفَّارُ الَّذِينَ لَهُمْ حَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الدُّنْيَا أَعَزَّ وَأَفْضَلَ مِنَ الْكُلِّ، وَالْإِنْخِدَاعُ بِظَاهِرِ الدُّنْيَا مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ وَإِنَّمَا اللاَّئِقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَغْتَنِمَ فُرْصَةَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي تِلْكَ الْفُرْصَةِ الْيَسِيرَةِ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاتِ اللهِ تَعَالَى وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ التَّعْظِيمَ لِأَمْرِ اللهِ وَالشَّفَقَةَ عَلَى خَلْقِ اللهِ كِلَيْهِمَا أَصْلاَنِ عَظِيمَانِ لِأَجْلِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، وَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ فَهُوَ مُطَابِقٌ لِنَفْسِ الْأَمْرِ لَيْسَ بِالْهَزْلِ وَلاَ بِالْهَذَيَانِ، فَإِلَى مَتَى يَمْتَدُّ نَوْمُ الْغَفْلَةِ وَالْغُرُورِ! أَلَيْسَ آخِرُهُ وَعُقْبَاهُ إِلَى الْفَضِيحَةِ وَالْحِرْمَانِ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ" وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ وَقْتَكَ لاَ يَقْتَضِي اسْتِمَاعَ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لِكَوْنِكَ فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ، وَالتَّنَعُّمَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ مُيَسَّرَةٌ وَالْحُكُومَةُ وَالتَّسَلُّطُ عَلَى الْخَلْقِ حَاصِلَةٌ، وَلَكِنَّ الشَّفَقَةَ عَلَى أَحْوَالِكَ كَانَتْ بَاعِثَةً عَلَى هَذَا الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَلَمْ يَفُتْ إِلَى الْآنِ شَيْءٌ مِنَ الْفُرْصَةِ، وَالْوَقْتُ قَابِلٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالشَّرْطُ الْبَلاَغُ (ع) **كَفَى الْحَرْفُ لَوْ فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ إِنْسَانٌ** *

(٩٩) الْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ إِلَى الْمُلاَّ حَسَنٍ الْكَشْمِيرِيِّ فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ دَوَامِ الْحُضُورِ وَاجْتِمَاعِهِ مَعَ النَّوْمِ الَّذِي هُوَ مَعْدِنُ الْغَفْلَةِ

قَدْ شَرَّفَ مَكْتُوبُكُمُ الشَّرِيفُ بِوُصُولِهِ، وَمَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْاسْتِفْسَارِ عَنْ كَيْفِيَّةِ دَوَامِ الْحُضُورِ وَاجْتِمَاعِهِ مَعَ حَالَةِ النَّوْمِ الَّتِي هِيَ حَالَةُ الْغَفْلَةِ وَتَعَطُّلِ الْقُوَى وَالْإِدْرَاكِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، كَمَا أَخْبَرَ بَعْضُ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ بِحُصُولِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعَظِيمَةِ. (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ): إِنَّ حَلَّ هَذَا الْمُشْكِلِ مَبْنِيٌّ وَمَوْقُوفٌ عَلَى تَمْهِيدِ مُقَدِّمَةٍ لاَ بُدَّ مِنْ بَيَانِهَا. فَأَقُولُ: إِنَّ طَرِيقَ التَّرَقِّي وَالْعُرُوجِ كَانَ مَسْدُودًا لِلرُّوحِ الْإِنْسَانِيَّةِ قَبْلَ تَعَلُّقِهَا بِهَذَا الْجِسْمِ الْهَيُولاَنِيِّ، وَكَانَتْ مُقَيَّدَةً وَمَحْبُوسَةً فِي حَبْسِ: وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَلَكِنْ كَانَتْ قَدْ أُودِعَتْ فِي طَبْعِهَا جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ وَهِيَ الْإِسْتِعْدَادُ لِلْعُرُوجِ وَالتَّرَقِّي بِشَرْطِ النُّزُولِ، وَكَانَتْ مَزِيَّتُهَا عَلَى الْمَلَكِ مُقَرَّرَةً مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، فَجَمَعَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ ذَلِكَ الْجَوْهَرَ النُّورَانِيَّ بِهَذَا الْجِسْمِ الظُّلْمَانِيِّ فَسُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَقَرَنَ الْأَمْرَ بِالْخَلْقِ. وَلَمَّا كَانَ كُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ وَاقِعًا فِي مُقَابَلَةِ الْآخِرِ وَنَقِيضًا لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ، أَعْطَى الْحَكِيمُ الْمُطْلَقُ جَلَّ سُلْطَانُهُ لِلرُّوحِ نِسْبَةَ التَّعَشُّقِ وَالتَّعَلُّقِ بِالنَّفْسِ تَحْقِيقًا لِهَذَا الْإِجْتِمَاعِ وَتَقْرِيرًا لِهَذَا الْإِنْتِظَامِ، وَجَعَلَ هَذَا التَّعَلُّقَ سَبَبًا لِلْاِنْتِظَامِ. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" رَمْزٌ إِلَى هَذَا الْبَيَانِ، وَهَذَا التَّنْزِيلُ لِلرُّوحِ وَتَعَلُّقُهَا مِنْ قَبِيلِ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ فِي الْحَقِيقَةِ، فَتَهَافَتَتِ الرُّوحُ إِلَى عَالَمِ النَّفْسِ بِالتَّمَامِ وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهَا بِوَاسِطَةِ تِلْكَ النِّسْبَةِ الْحُبِّيَّةِ وَجَعَلَتْ نَفْسَهَا تَابِعَةً لَهَا، بَلْ نَسِيَتْ نَفْسَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً وَصَارَتْ تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهَا بِالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ. وَهَذِهِ لَطَافَةٌ أُخْرَى لِلرُّوحِ حَيْثُ أَنَّهَا تَأْخُذُ حُكْمَ كُلِّ شَيْءٍ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مِنْ كَمَالِ لَطَافَتِهِ، فَإِذَا نَسِيَتْ نَفْسَهَا فَلاَ جَرَمَ أَنَّهَا نَسِيَتْ أَيْضًا حُضُورَهُ السَّابِقَ مَعَ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ

تَعالَتْ وَتَقَدَّسَتْ بِالضَّرُورَةِ، وَتَوَغَّلَتْ فِي الغَفْلَةِ بِالتَّمامِ وَأَخَذَ حُكْمَ الظُّلْمَةِ، فَبَعَثَ اللهُ مِنْ كَمالِ كَرَمِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَى عِبادِهِ الأَنْبِياءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَدَعاهُمْ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ بِواسِطَةِ هَؤُلاءِ الأَكابِرِ، وَأَمَرَهُمْ بِمُخالَفَةِ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ مَعْشُوقَةُ الرُّوحِ، فَمَنْ رَجَعَ القَهْقَرَى فَقَدْ فازَ فَوْزًا عَظِيمًا، وَمَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ وَاخْتارَ الخُلُودَ إِلَى الأَرْضِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا هَذا وَلْنَرْجِعْ إِلَى الجَوابِ عَنِ الإِشْكالِ وَنَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ فُهِمَ مِنْ هَذِهِ المُقَدِّمَةِ مِنِ اجْتِماعِ الرُّوحِ بِالنَّفْسِ، أَنَّ فَناءَ الرُّوحِ فِي النَّفْسِ وَبَقاءَها بِها فَحَسْبُ، فَلا جَرَمَ تَكُونُ غَفْلَةُ الظّاهِرِ عَيْنَ غَفْلَةِ الباطِنِ ما دامَ هَذا الإِجْتِماعُ وَالإِنْتِظامُ مَوْجُودًا، وَيَكُونُ النَّوْمُ الَّذِي هُوَ غَفْلَةُ الظّاهِرِ عَيْنَ غَفْلَةِ الباطِنِ. فَإِذا طَرَأَ الخَلَلُ عَلَى هَذا الإِنْتِظامِ وَأَعْرَضَ الباطِنُ عَنْ مَحَبَّةِ الظّاهِرِ وَأَقْبَلَ عَلَى مَحَبَّةِ أَبْطَنِ البُطُونِ وَزالَ الفَناءُ وَالبَقاءُ اللَّذانِ كانا لِلرُّوحِ قَبْلُ، وَحَصَلَ لَها الفَناءُ فِي الباقِي الحَقِيقِيِّ وَالبَقاءُ بِهِ تَعالَى وَتَقَدَّسَ فَلا تُؤَثِّرُ غَفْلَةُ الظّاهِرِ حِينَئِذٍ فِي حُضُورِ الباطِنِ. وَكَيْفَ تُؤَثِّرُ؟ فَإِنَّ الباطِنَ قَدْ أَدْبَرَ عَنِ الظّاهِرِ بِالتَّمامِ وَجَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَلَمْ يَبْقَ لِلظّاهِرِ سَبِيلٌ إِلَى الباطِنِ أَصْلاً فَيَجُوزُ حِينَئِذٍ أَنْ يَكُونَ الظّاهِرُ غافِلاً وَالباطِنُ حاضِرًا وَلا مَحْذُورَ فِيهِ أَلا تَرَى أَنَّ دُهْنَ اللَّوْزِ مَثَلاً مادامَ مُمْتَزِجًا بِاللَّوْزِ حُكْمُهُ حُكْمُ اللَّوْزِ فَإِذا مُيِّزَ عَنِ اللَّوْزِ ظَهَرَ التَّغايُرُ وَالتَّمايُزُ فِي الأَحْكامِ. فَإِذا أَرادَ اللهُ سُبْحانَهُ إِرْجاعَ مِثْلِ صاحِبِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ إِلَى العالَمِ لِتَخْلِيصِ أَهْلِهِ مِنَ الظُّلُماتِ النَّفْسانِيَّةِ بِتَوَسُّطِ شَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَها، يَنْزِلُ إِلَى العالَمِ بِطَرِيقِ السَّيْرِ عَنِ اللهِ بِاللهِ فَيَكُونُ تَوَجُّهُهُ إِلَى العالَمِ بِالتَّمامِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ بِهِمْ لِأَنَّهُ عَلَى تَعَلُّقِهِ السّابِقِ يَعْنِي بِجَنابِ القُدْسِ وَإِنَّما أُورِدَ إِلَى هَذا العالَمِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيارٍ مِنْهُ، فَهَذا المُنْتَهِي لَهُ شَرِكَةٌ صُورِيَّةٌ مَعَ سائِرِ المُبْتَدِئِينَ فِي الإِعْراضِ عَنْ جَنابِ قُدْسِهِ تَعالَى وَتَقَدَّسَ وَالإِقْبالِ عَلَى الخَلْقِ. وَلَكِنْ لا مُناسَبَةَ بَيْنَهُما فِي الحَقِيقَةِ، فَإِنَّ بَيْنَ التَّعَلُّقِ وَعَدَمِ التَّعَلُّقِ تَفاوُتًا فاحِشًا. (وَأَيْضًا) الإِقْبالُ عَلَى الخَلْقِ فِي حَقِّ هَذا المُنْتَهِي بِلا اخْتِيارٍ مِنْهُ لا رَغْبَةَ لَهُ فِيهِ، وَإِنَّما ذَلِكَ لِكَوْنِ رِضاءِ اللهِ تَعالَى فِي ذَلِكَ الإِقْبالِ وَفِي حَقِّ المُبْتَدِئِ ذاتِيٌّ، وَمَعَ الرَّغْبَةِ لَهُ فِيهِ وَلَيْسَ فِيهِ رِضا الحَقِّ سُبْحانَهُ وَتَعالَى.

(وَفَرْقٌ آخَرُ) أَنَّ المُبْتَدِئَ يُمْكِنُ لَهُ الإِعْراضُ عَنِ الخَلْقِ وَالإِقْبالُ عَلَى الحَقِّ تَعالَى وَتَقَدَّسَ، وَذَلِكَ مُحالٌ فِي المُنْتَهِي فَإِنَّ دَوامَ الإِقْبالِ إِلَى الخَلْقِ لازِمٌ لِمَقامِهِ وَمَرْتَبَتِهِ. إِلاَّ أَنْ يَتِمَّ أَمْرُ دَعْوَتِهِ وَارْتَحَلَ مِنْ دارِ الفَناءِ إِلَى دارِ البَقاءِ، فَيَكُونُ نِداءُ اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى حِينَئِذٍ نَقْدَ وَقْتِهِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ مَشائِخُ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرارَهُمْ فِي تَعْيِينِ مَقامِ الدَّعْوَةِ. فَقالَ جَماعَةٌ مِنْهُمْ: إِنَّهُ مَقامُ الجَمْعِ بَيْنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الخَلْقِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الحَقِّ، وَالإِخْتِلافُ فِيهِ مَبْنِيٌّ عَلَى الإِخْتِلافِ فِي الأَحْوالِ وَالمَقاماتِ. وَقَدْ أَخْبَرَ كُلُّ شَخْصٍ عَنْ مَقامِهِ وَالأَمْرُ عِنْدَ اللهِ تَعالَى. وَما قالَ سَيِّدُ الطّائِفَةِ جُنَيْدٌ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ مِنْ أَنَّ النِّهايَةَ هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى البِدايَةِ مُوافِقٌ لِمَقامِ الدَّعْوَةِ الَّذِي حُرِّرَ فِي هَذِهِ المُسَوَّدَةِ. فَإِنَّ الوَجْهَ وَالتَّوَجُّهَ فِي البِدايَةِ إِلَى الخَلْقِ بِالتَّمامِ.

(وَحَدِيثُ): تَنَامُ عَيْنَايَ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي الَّذِي حَرَّرْتُمُوهُ لَيْسَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى دَوَامِ الْحُضُورِ، بَلْ هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ عَدَمِ الْغَفْلَةِ عَمَّا يَجْرِي عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَعَمَّا يَصْدُرُ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَحْوَالِ ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ نَوْمُهُ نَاقِضًا لِوُضُوئِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ مِثْلَ الرَّاعِي فِي حِفْظِ أُمَّتِهِ لَمْ تَكُنِ الْغَفْلَةُ لاَئِقَةً لِمَنْصِبِ نُبُوَّتِهِ. وَحَدِيثُ لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لاَ يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى التَّجَلِّي الْبَرْقِيِّ الذَّاتِيِّ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ. وَأَيْضًا إِنَّ هَذَا التَّجَلِّي لَيْسَ بِمُسْتَلْزِمٍ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، بَلْ هُوَ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ الأَقْدَسِ لاَ صُنْعَ فِيهِ لِلْمُتَجَلَّى لَهُ، بَلْ هُوَ مِنْ قَبِيلِ سَيْرِ الْمَعْشُوقِ فِي الْعَاشِقِ لِشَبَعِ الْعَاشِقِ مِنَ السَّيْرِ،

(شِعْرٌ):

لاَ الْكَوْنُ فِي الْمِرْآةِ مِنْ حَرَكَاتِهَا *** لَكِنَّهَا قَبِلَتْ لَهُ لِصَفَائِهَا

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْحُجُبَ الْمُرْتَفِعَةَ لاَ تَعُودُ عَلَى تَقْدِيرِ الرُّجُوعِ، بَلْ مَعَ وُجُودِ ارْتِفَاعِ الْحُجُبِ يَكُونُ الْمُنْتَهِي مَشْغُولاً بِالْخَلْقِ لاِرْتِبَاطِ فَلاَحِ الْخَلْقِ بِهِ. وَمَثَلُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ كَمَثَلِ شَخْصٍ لَهُ كَمَالُ التَّقَرُّبِ مِنَ الْمَلِكِ بِحَيْثُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا حَائِلٌ وَمَانِعٌ أَصْلاً لاَ صُورَةً وَلاَ مَعْنًى. وَمَعَ ذَلِكَ شَغَلَهُ الْمَلِكُ بِقَضَاءِ حَاجَاتِ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ وَخِدْمَاتِهِمْ، وَهَذَا فَرْقٌ آخَرُ أَيْضًا بَيْنَ الْمُبْتَدِي وَالْمُنْتَهِي الْمَرْجُوعِ. فَإِنَّ الْمُبْتَدِي مَحْجُوبٌ بِخِلاَفِ ذَلِكَ الْمُنْتَهِي. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

(١٠٠) الْمَكْتُوبُ الْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ حَسَنٍ الْكَشْمِيرِيِّ أَيْضًا فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْيَمَنِيِّ: "إِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِعَالِمِ الْغَيْبِ"

قَدْ شَرَّفَنَا الْمَكْتُوبُ بِوُصُولِهِ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فِيهِ بِأَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَأُصُولِهِ، وَمِمَّا انْدَرَجَ فِيهِ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْكَرِيمِ الْيَمَنِيَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِعَالِمِ الْغَيْبِ.

(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) لاَ طَاقَةَ لِلْفَقِيرِ بِاسْتِمَاعِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَصْلاً، وَيَتَحَرَّكُ عِرْقِي الْفَارُوقِيُّ مِنِ اسْتِمَاعِهَا بِلاَ اخْتِيَارٍ، بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى مَجَالُ التَّأَمُّلِ وَفُرْصَةُ التَّأْوِيلِ وَالتَّوْجِيهِ، سَوَاءٌ كَانَ قَائِلُهَا الشَّيْخَ عَبْدَ الْكَبِيرِ الْيَمَنِيَّ أَوِ الشَّيْخَ الأَكْبَرَ الشَّامِيَّ،

وَإِنَّمَا اللاَّزِمُ لَنَا اتِّبَاعُ كَلاَمِ مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ دُونَ كَلاَمِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ وَصَدْرِ الدِّينِ الْقُونَوِيِّ[1] وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ الْكَاشِيِّ نَحْنُ نَتَمَسَّكُ بِالنُّصُوصِ لاَ بِالْفُصُوصِ، وَقَدْ أَغْنَانَا الْفُتُوحَاتُ

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي (صدر الدين) صوفي مشارك في بعض العلوم، أخذ عن محي الدين بن عربي، وتوفي بقونية سنة ٦٧٢ه من أهم مصنفاته: إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن، الفكوك في مستندات.

السَّادِسَةُ عَنِ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ فِي كَلَامِهِ الْمَجِيدِ بِعَالِمِ الْغَيْبِ، وَأَطْلَقَهُ عَلَى نَفْسِهِ. فَنَفْيُ عِلْمِ الْغَيْبِ عَنْهُ تَعَالَى مُسْتَقْبَحٌ وَمُسْتَكْرَهٌ جِدًّا، بَلْ هُوَ تَكْذِيبٌ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِرَادَةُ مَعْنًى آخَرَ مِنَ الْغَيْبِ لَا يُخْرِجُ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الشَّنَاعَةِ "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ". (فَيَا لَيْتَ) شِعْرِي مَا حَمَلَهُمْ عَلَى التَّفَوُّهِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الصَّرِيحَةِ فِي خِلَافِ الشَّرِيعَةِ. وَابْنُ الْمَنْصُورِ مَعْذُورٌ فِي قَوْلِهِ: أَنَا الْحَقُّ وَكَذَلِكَ الْبِسْطَامِيُّ[1] فِي قَوْلِهِ: "سُبْحَانِي" لِكَوْنِهِمَا مَغْلُوبَيِ الْحَالِ. وَأَمَّا أَمْثَالُ هَذَا الْكَلَامِ فَلَيْسَ بِمَبْنِيَّةٍ عَلَى غَلَبَةِ الْأَحْوَالِ، بَلْ هِيَ صَادِرَةٌ بِعَمَلٍ عَنْ صَاحِبِهَا وَمُسْتَنِدَةٌ إِلَى التَّأْوِيلِ. فَلَيْسَتْ بِقَابِلَةٍ لِلْعُذْرِ، وَلَا يُقْبَلُ فِي هَذَا الْمَقَامِ تَأْوِيلٌ أَصْلًا. وَإِنَّمَا يُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِرِ كَلَامُ السُّكَارَى لَا غَيْرُ. فَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ إِظْهَارِ هَذَا الْكَلَامِ مَلَامَةَ الْخَلْقِ إِيَّاهُ وَنَفْرَتَهُمْ عَنْهُ، فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَكْرَهٌ وَمُسْتَهْجَنٌ ؛ فَإِنَّ طُرُقَ تَحْصِيلِ مَلَامَةِ الْخَلْقِ كَثِيرَةٌ، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ تَدْعُو إِلَى أَنْ يَرْتَكِبَ مَا يُوصِلُ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ. وَحَيْثُ تَكَلَّمْتُمْ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْكَلَامِ وَاسْتَفْسَرْتُمْ عَنْهُ فَبِحُكْمِ لِكُلِّ سُؤَالٍ جَوَابٌ نَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْبَابِ بِالضَّرُورَةِ: وَعِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَمَا قِيلَ: إِنَّ الْغَيْبَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعْدُومًا وَالْمَعْدُومُ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْدُومِ مَعْنَاهُ أَنَّ الْغَيْبَ لَمَّا كَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَعْدُومًا مُطْلَقًا وَلَا شَيْئًا مَحْضًا لَا مَعْنَى لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِهِ، فَإِنَّ مَعْلُومِيَّتَهُ تُخْرِجُهُ عَنْ مَعْدُومِيَّتِهِ الْمُطْلَقَةِ وَاللَّاشَيْئِيَّةِ الْمَحْضَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُقَالُ: إِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِشَرِيكِهِ، فَإِنَّ شَرِيكَهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ أَصْلًا بَلْ هُوَ لَا شَيْءٌ صِرْفٌ. نَعَمْ يُمْكِنُ تَصَوُّرُ مَفْهُومِ الْغَيْبِ وَالشَّرِيكِ، وَلَكِنَّ الْكَلَامَ لَيْسَ فِي مَفْهُومِهِمَا بَلْ فِي مِصْدَاقِهِمَا، وَمِثْلُ هَذَا حَالُ جَمِيعِ الْمُحَالَاتِ، فَإِنَّ مَفْهُومَاتِهَا مُمْكِنَةُ التَّصَوُّرِ وَمَصَادِقَهَا مُمْتَنِعَةُ التَّصَوُّرِ. فَإِنَّ الْمَعْلُومِيَّةَ تُخْرِجُ عَنِ الْاِسْتِحَالَةِ وَلَا أَقَلَّ مِنْ إِعْطَائِهَا الْوُجُودَ الذِّهْنِيَّ. وَالْاِعْتِرَاضُ الَّذِي أَوْرَدْتَهُ عَلَى تَوْجِيهِ مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الرُّوجِي[2] صَحِيحٌ فَإِنَّ نَفْيَ النِّسْبَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي مَرْتَبَةِ الْأَحَدِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِ مُطْلَقِ الْعِلْمِ، وَلَا

حكم النصوص لابن عربي، اللمعة النورانية في حل مشكلات الشجرة النعمانية، وغير ذلك. انظر: السبكي: طبقات الشافعية: ١٩/٥، الصفدي: الوافي: ٢/٢٠٠، الزركلي: الأعلام: ٦/٢٥٤، كحالة: معجم المؤلفين ١٢٣/٣.

(١) أبو يزيد البسطامي تقدمت ترجمته.

(٢) هو الشيخ شمس الدين محمد الروجي، ولد في روج – وهي قرية على تسعة فراسخ من هراة – ليلة نصف شعبان عام ٨٢٠ ه، وكان لأمه ولد نجيب فمات وهو ابن خمس سنين فحزنت عليه ؛ فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها لا تحزني فسوف يعطيك الله تعالى ولداً طويل العمر ذا دولة فأتاها هذا العزيز فكانت تقول له: أنت الذي بشرني بك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب الخلوة في صغر سنه فسمع مرة من والدته أن من قرأ كذا يرى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقرأ ونام، فرأى أنه على باب البيت وأمه على دكة الباب تقول له أين كنت فإني بانتظارك لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى بيتي فهلم نذهب إليه، قال: فأخذت بيدي إليه صلى الله عليه وسلم فرأيته جالساً وحوله ناس قياماً وقعوداً، وهو يبعث بالرسائل إلى البلدان، فقدمتني أمي إليه وقالت يا رسول الله هذا الذي وعدتني به أم غيره، فنظر إلي وتبسم وقال هو هذا، وأمر الكاتب فكتب لي ورقة نحو ثلاثة أسطر وتحتها أسماء الشهود وقرأها وأعطانيها، قال ثم أفقت فرأيت والدتي على الباب وبيدها شمعة فقالت لي هل رأيت شيئا ؟ قلت نعم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لي وأنا كذلك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلنا رأيت، وقد تتلمذ الشيخ الروجي على الشيخ صدر الدين الرواسي وغيره، وتوفي رضي الله عنه – سنة ٩٠٤ ه. انظر: السمهوني: الأنوار القدسية: ١٥٣، ١٥٤.

وَجْهَ لِتَخْصِيصِ النَّفْيِ بِعِلْمِ الْغَيْبِ. وَالْإِشْكَالُ الْآخَرُ عَلَى تَوْجِيهِ مَوْلَانَا أَنَّ النِّسْبَةَ الْعِلْمِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ مُنْتَفِيَةً فِي مَرْتَبَةِ الْأَحَدِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ وَلَكِنْ عَالِمِيَّتُهُ تَعَالَى قَائِمَةٌ عَلَى حَالِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِالذَّاتِ لَا بِالصِّفَاتِ لِكَوْنِ الصِّفَاتِ مُنْتَفِيَةً فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ رَأْسًا يَقُولُونَ إِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ مَعَ سَلْبِهِمُ الصِّفَاتِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَيَقُولُونَ إِنَّ الْإِنْكِشَافَ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَى الصِّفَاتِ يَتَرَتَّبُ عَلَى الذَّاتِ. وَكَذَا هُنَا. وَالتَّوْجِيهُ الَّذِي يَنْتَشِمُوهُ مِنْ إِرَادَةِ غَيْبِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ بِالْغَيْبِ وَعَدَمِ تَجْوِيزِ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِهِ فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ عِلْمَ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فَهُوَ أَقْرَبُ التَّوْجِيهَاتِ وَلَكِنْ فِي عَدَمِ جَوَازِ تَعَلُّقِ عِلْمِ الْوَاجِبِ تَعَالَى بِذَاتِهِ الْبَحْتِ سُبْحَانَهُ بَحْثٌ لِلْفَقِيرِ، فَإِنَّ الْوَجْهَ الَّذِي بَيَّنُوهُ فِي عَدَمِ الْجَوَازِ هُوَ اقْتِضَاءُ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ لِإِحَاطَةِ الْمَعْلُومِ، وَالذَّاتُ الْمُطْلَقَةُ تَعَالَتْ مُقْتَضِيَةٌ لِعَدَمِ الْإِحَاطَةِ فَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي هَذَا التَّعَلُّقِ (وَهَهُنَا) مَحَلُّ خَدْشَةٍ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى يَعْنِي اقْتِضَاءَ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ لِإِحَاطَةِ الْمَعْلُومِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ لِحُصُولِ صُورَةِ الْمَعْلُومِ فِيهِ فِي الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَأَمَّا فِي الْعِلْمِ الْحُضُورِيِّ فَلَا يَلْزَمُ هَذَا الْمَعْنَى أَصْلًا. وَالْعِلْمُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ حُضُورِيٌّ لَا حُصُولِيٌّ فَلَا مَحْذُورَ فَإِنَّ تَعَلُّقَ عِلْمِ الْوَاجِبِ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْحُضُورِيِّ لَا بِطَرِيقِ الْحُصُولِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَبَارَكَ وَسَلَّمَ وَالسَّلَامُ أَوَّلًا وَآخِرًا.

(١٠١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا حَسَنٍ الْكَشْمِيرِيِّ أَيْضًا فِي الرَّدِّ عَلَى جَمَاعَةٍ تَعَرَّضُوا لِأَهْلِ الْكَمَالِ وَأَطَالُوا اللِّسَانَ فِي حَقِّهِ بِأَنْوَاعِ الْمَقَالِ

أَحْسَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَالَكُمْ وَأَصْلَحَ بَالَكُمْ قَدْ أَوْصَلَ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ صِدِّيقٍ [(١)] الْمُفَاوَضَةَ الشَّرِيفَةَ حَمْدًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ لَمْ تَنْسَوُا النَّائِينَ الْمَهْجُورِينَ وَالْخِطَابَاتُ الَّتِي صَدَرَتْ لِلنَّفْسِ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ صَارَتْ وَاضِحَةً فِي الْجُمْلَةِ. نَعَمْ كُلُّ اعْتِرَاضٍ عَلَى النَّفْسِ مُسَلَّمٌ وَقْتَ كَوْنِهَا أَمَّارَةً، وَأَمَّا بَعْدَ حُصُولِ الْإِطْمِئْنَانِ لَهَا فَلَا مَجَالَ لِلِاعْتِرَاضِ أَصْلًا ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ رَاضِيَةٌ عَنِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ رَاضٍ عَنْهَا فَهِيَ إِذًا مَرْضِيَّةٌ وَمَقْبُولَةٌ، وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَى الْمَرْضِيِّ الْمَقْبُولِ، وَكَيْفَ فَإِنَّ مُرَادَهَا حِينَئِذٍ مُرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ. فَإِنَّ حُصُولَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ إِنَّمَا هُوَ زَمَنُ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَاحَةُ قُدْسِهِ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنِ اعْتِرَاضِ أَمْثَالِنَا وَضَيِّعِي الْفِطْرَةِ وَعَدِيمِي الْقُدْرَةِ بَلْ كُلُّ مَا تَقُولُ عَائِدٌ إِلَيْنَا،

(شِعْرٌ): مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ نَفْسِهِ ذَا خِبْرَةٍ *** هَلْ يَقْدِرُ الْإِخْبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

---

(١) الملا محمد صديق: تقدمت ترجمته.

وَمِنْ جَاهِلٍ يَتَصَوَّرُ النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ مِنْ كَمَالِ جَهْلِهِ أَمَّارَةً وَيُجْرِي أَحْكَامَ الأَمَّارَةِ عَلَى الْمُطْمَئِنَّةِ كَمَا زَعَمَ الْكُفَّارُ الأَشْرَارُ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِثْلَ سَائِرِ الْبَشَرِ، وَأَنْكَرُوا كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ أَعَاذَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ إِنْكَارِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَإِنْكَارِ مُتَابِعِيهِمْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

(١٠٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ مُظَفَّرٍ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمُحَرَّمَ فِي الْقَرْضِ مَعَ الْفَيْضِ يَعْنِي الرِّبَا مَجْمُوعُ الْمَبْلَغِ لاَ الزِّيَادَةُ فَقَطْ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ قُلْتُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِنَّ الرِّبَا فِي الْقَرْضِ بِالْفَيْضِ هُوَ الْفَضْلُ فَقَطْ، وَالْمُحَرَّمُ فِي قَرْضِ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ بِاثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا هُوَ الدِّرْهَمَانِ الزَّائِدَانِ عَلَى الْقَرْضِ. وَلَمَّا رَاجَعْتُ بَعْضَ الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ ظَهَرَ أَنَّ كُلَّ عَقْدٍ فِيهِ فَضْلٌ فَهُوَ رِبًا فِي الشَّرِيعَةِ، فَيَكُونُ هَذَا الْعَقْدُ مُحَرَّمًا بِالضَّرُورَةِ. وَكُلُّ مَا يُفْضِي إِلَى تَحْصِيلِ الْمُحَرَّمِ يَكُونُ مُحَرَّمًا. فَتَكُونُ الدَّرَاهِمُ الْعَشَرَةُ أَيْضًا مُحَرَّمَةً. وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ إِرْسَالِ كِتَابِ جَامِعِ الرُّمُوزِ وَرِوَايَاتِ كِتَابِ إِبْرَاهِيمَ الشَّاهِيِّ إِظْهَارَ هَذَا الْمَعْنَى وَبَقِيَ صُورَةُ الإِحْتِيَاجِ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ حُرْمَةَ الرِّبَا ثَابِتَةٌ بِنَصٍّ قَطْعِيٍّ شَامِلٍ لِلْمُحْتَاجِ وَغَيْرِ الْمُحْتَاجِ، فَاسْتِثْنَاءُ الْمُحْتَاجِ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ نَسْخٌ لِذَلِكَ الْحُكْمِ الْقَطْعِيِّ، وَرِوَايَةُ الْقُنْيَةِ لَيْسَتْ فِي مَرْتَبَةٍ تَنْسَخُ الْحُكْمَ الْقَطْعِيَّ. وَقَدْ قَالَ مَوْلاَنَا جَمَالُ اللاَّهُورِيُّ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ عُلَمَاءِ لاَهُورَ: إِنَّ كَثِيرًا مِنْ رِوَايَةِ الْقُنْيَةِ لاَ يَسْتَحِقُّ الإِعْتِمَادَ عَلَيْهِ لِكَوْنِهَا مُخَالِفَةً لِرِوَايَةِ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ وَلَوْ سُلِّمَ صِحَّةُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُنَزَّلَ الإِحْتِيَاجُ إِلَى حَالَةِ الإِضْطِرَارِ وَالْمَخْمَصَةِ لِيَكُونَ مُخَصِّصَ ذَلِكَ الْحُكْمِ الْقَطْعِيِّ قَوْلُهُ تَعَالَى "فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ" الآيَةَ، فَإِنَّهُ مِثْلُهُ فِي الْقُوَّةِ (ع) وَقَاتِلْ رُسْتُمُ أَمْثَالَ رُسْتُمَ.* (وَأَيْضًا) لَوْ أُخِذَ الْمُحْتَاجُ أَعَمَّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلٍّ لاَ يَظْهَرُ فِيهِ حُكْمُ حُرْمَةِ الرِّبَا ; وَإِلاَّ فَكُلُّ مَنْ يَقْبَلُ إِعْطَاءَ الزِّيَادَةِ إِنَّمَا يَقْبَلُهُ بِعِلَّةِ الإِحْتِيَاجِ الْبَتَّةَ، فَإِنَّهُ لاَ يَقْدَمُ أَحَدٌ عَلَى ضَرَرِ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ، فَلاَ يَبْقَى لِهَذَا الْحُكْمِ الْمُنَزَّلِ مِنَ الْحَكِيمِ الْحَمِيدِ مَزِيدُ فَائِدَةٍ، تَعَالَى كِتَابُهُ الْعَزِيزُ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا التَّوَهُّمِ. وَلَوْ سُلِّمَ عُمُومُ الإِحْتِيَاجِ وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ فَرْضِ الْمُحَالِ. فَأَقُولُ: إِنَّ الإِحْتِيَاجَ مِنْ جُمْلَةِ الضَّرُورَاتِ، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ النَّاسَ مِمَّا اسْتَقْرَضَ بِالْفَيْضِ لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي الإِحْتِيَاجِ فَإِنَّهُ لاَ تَعَلُّقَ لِلضَّرُورَةِ بِهِ، وَلِهَذَا يُسْتَثْنَى مِنْ تَرِكَةِ الْمَيِّتِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي تَجْهِيزِهِ وَقَصَرُوهُ فِي الْكَفَنِ وَالدَّفْنِ. وَلَمْ يَجْعَلُوا إِطْعَامَ الطَّعَامِ لِرُوحِهِ دَاخِلاً فِي الإِحْتِيَاجِ مَعَ أَنَّهُ أَحْوَجُ إِلَى الصَّدَقَةِ يَعْنِي مِنَ الدَّفْنِ وَالْكَفَنِ فَيَنْبَغِي الْمُلاَحَظَةُ فِي الصُّورَةِ الْمُتَنَازَعِ فِيهَا هَلِ الْمُسْتَقْرِضُونَ بِالْفَيْضِ مُحْتَاجُونَ أَوْ لاَ، وَعَلَى تَقْدِيرِ الإِحْتِيَاجِ هَلْ يَحِلُّ لِغَيْرِهِمُ الأَكْلُ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يَطْبُخُونَهُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ أَوْ لاَ، وَجَعْلُ الضِّيَافَةِ وَإِجْرَاءُ الرَّسْمِ وَالْعَادَةِ حِيلَةَ الإِحْتِيَاجِ وَالْقَرْضِ بِالْفَيْضِ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَاعْتِقَادُ ذَلِكَ جَائِزًا وَحَلاَلاً بَعِيدٌ عَنِ التَّدَيُّنِ وَالدِّيَانَةِ. يَنْبَغِي رِعَايَةُ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمَنْعُ جَمَاعَةٍ

ابْتُلُوا بِهَذَا الْبَلاءِ، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى عَدَمِ صِدْقِ هَذِهِ الْحِيلَةِ وَعَدَمِ جَوَازِهَا، وَكَيْفَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ اخْتِيَارُ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الابْتِلاءِ بِارْتِكَابِ مَحْظُورٍ.

فَإِنَّ أَسْبَابَ الْمَعَاشِ كَثِيرَةٌ لَيْسَتْ بِمَحْصُورَةٍ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ. وَحَيْثُ أَنَّكُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلاحِ وَالتَّقْوَى أَرْسَلْنَا لَكُمْ رِوَايَةَ الطِّيبِ فِي الْأَكْلِ. وَكَتَبْتُمْ أَنَّ الْخَالِيَ عَنِ الشُّبْهَةِ لاَ يُوجَدُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَهَذَا الْكَلامُ صَحِيحٌ وَلَكِنْ يَنْبَغِي الاحْتِرَازُ مِنَ الشُّبْهَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الزِّرَاعَةَ بِلاَ طَهَارَةٍ مُنَافِيَةٌ لِلطِّيبِ، وَالاجْتِنَابُ عَنْ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ فِي بِلادِ الْهِنْدِ "لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا" وَلَكِنَّ تَرْكَ أَكْلِ طَعَامِ الرِّبَا فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ، وَاعْتِقَادُ الْحَلالِ حَلالاً وَالْحَرَامِ حَرَامًا إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَلالِ وَالْحَرَامِ الْقَطْعِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ يُكَفَّرُ جَاحِدُهُمَا، وَفِي الظَّنِّيَّاتِ لَيْسَ كَذَلِكَ. وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ مُبَاحَةٍ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ غَيْرُ مُبَاحَةٍ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَبِالْعَكْسِ. فَفِيمَا نَحْنُ فِيهِ إِذَا تَوَقَّفَ شَخْصٌ فِي حِلِّيَّةِ الْقَرْضِ بِالْقَبْضِ لِمَنْ يَشُكُّ فِي احْتِيَاجِهِ لِكَوْنِهِ مُخَالِفًا فِي الظَّاهِرِ حُكْمَ النَّصِّ الْقَطْعِيِّ لاَ يَنْبَغِي تَضْلِيلُهُ وَتَكْفِيرُهُ بِاعْتِقَادِ حِلِّيَّتِهِ، بَلِ الرَّاجِحُ أَنَّ الصَّوَابَ فِي جَانِبِهِ، بَلْ هَذَا مُتَيَقَّنٌ وَمُخَالِفُهُ فِي خَطَرٍ.

(وَنُقِلَ) بَعْضُ أَصْحَابِكُمْ أَنَّ مَوْلاَنَا عَبْدَ الْفَتَّاحِ قَالَ يَوْمًا فِي حُضُورِكُمْ: لَوْ وُجِدَ قَرْضٌ بِلاَ قَبْضٍ فَهُوَ حَسَنٌ فَلِمَاذَا يَسْتَقْرِضُ الْإِنْسَانُ بِالْقَبْضِ فَزَجَرْتُمُوهُ قَائِلاً لاَ تُنْكِرُ الْحَلالَ.

(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ)، إِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَهَا مَسَاغٌ وَمَجَالٌ فِي الْحَلالِ الْقَطْعِيِّ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مَشْكُوكًا فِي حِلِّيَّتِهِ فَلاَ شَكَّ أَنَّ تَرْكَهُ أَوْلَى.

وَأَهْلُ الْوَرَعِ لاَ يَأْمُرُونَ بِالرُّخْصَةِ بَلْ يَدُلُّونَ عَلَى الْعَزِيمَةِ، وَقَدْ أَفْتَى عُلَمَاءُ لاهُورَ بِالْحِلِّيَّةِ بِعِلَّةِ الاحْتِيَاجِ وَذَيْلُ الاحْتِيَاجِ وَاسِعٌ بِحَيْثُ لَوْ مُدَّ لاَ يَبْقَى رِبًا أَصْلاً، وَيَكُونُ الْحُكْمُ الْقَطْعِيُّ بِحُرْمَةِ الرِّبَا عَبَثًا كَمَا سَبَقَ آنِفًا، وَكَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ مُلاحَظَةُ أَنَّ إِطْعَامَ الْغَيْرِ أَيُّ قِسْمٍ هُوَ مِنِ احْتِيَاجِ الْمُسْتَقْرِضِ بِالْقَبْضِ، وَرِوَايَةُ الْقُنْيَةِ مُجَوِّزَةٌ لِلاسْتِقْرَاضِ بِالْقَبْضِ بَعْدَ اللَّتَيَّا، وَالَّتِي فِي حَقِّ الْمُحْتَاجِ نَفْسِهِ فَقَطْ لاَ فِي حَقِّ الْغَيْرِ.

فَإِنْ قِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَطْبُخَ الْمُحْتَاجُ هَذَا الطَّعَامَ لِلإِطْعَامِ بِنِيَّةِ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ أَوِ الظِّهَارِ أَوْ غَيْرِهِمَا وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَدَاءِ هَذِهِ الْكَفَّارَاتِ. (أَقُولُ): إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ اسْتِطَاعَةُ الإِطْعَامِ يَصُومُ لَهَا لاَ إِنَّهُ يَسْتَقْرِضُ بِالْقَبْضِ وَيُكَفِّرُ عَنْهَا. وَكُلُّ مَا يَظْهَرُ مِنْ أَقْسَامِ الاحْتِيَاجِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَنْدَفِعُ بِأَدْنَى تَأَمُّلٍ وَتَوَجُّهٍ بِبَرَكَةِ التَّقْوَى " وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ " وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِطْنَابٌ وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

(١٠٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْمِائَةُ إِلَى السَّيِّدِ فَرِيدٍ فِي بَيَانِ مَعْنَى الْعَافِيَةِ وَطَلَبِ الْقَاضِي لِبَلَدِ سَرْهَنْدَ

رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْعَافِيَةَ وَالْمُرَادُ بِالْعَافِيَةِ الْمَطْلُوبَةِ مَا كَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ يَدْعُو اللّٰهَ سُبْحَانَهُ دَائِمًا وَيَتَمَنَّى مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ عَافِيَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ. فَسَأَلَهُ شَخْصٌ أَنَّ جَمِيعَ هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي تَمُرُّ عَلَيْكَ أَلَيْسَتْ تَمُرُّ عَلَيْكَ عَلَى عَافِيَةٍ؟ قَالَ بَلْ أُرِيدُ أَنْ يَمُرَّ عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَرْتَكِبُ فِيهِ مَعْصِيَةً مِنْ مَعَاصِي اللّٰهِ تَعَالَى مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَقَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَلَيْسَ فِي سَرْهَنْدَ قَاضٍ وَيَقَعُ إِجْرَاءُ بَعْضِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِهٰذَا السَّبَبِ فِي التَّوَقُّفِ مَثَلًا أَنَّ لِي ابْنَ أَخٍ وَبَقِيَ لَهُ مِيرَاثٌ مِنْ أَبَوَيْهِ وَلَيْسَ لَهُ وَصِيٌّ وَالتَّصَرُّفُ فِي ذٰلِكَ الْمَالِ بِلَا إِذْنٍ شَرْعِيٍّ غَيْرُ جَائِزٍ فَإِنْ كَانَ هُنَا قَاضٍ لَأَمْكَنَ التَّصَرُّفُ فِيهِ بِإِذْنِهِ.

(١٠٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْمِائَةُ إِلَى قُضَاةِ بَعْضِ الْقَصَبَةِ فِي التَّعْزِيَةِ

اعْلَمُوا أَنَّ مُصِيبَةَ فَوْتِ الْمَغْفُورِ لَهُ وَإِنْ كَانَتْ شَدِيدَةً جِدًّا وَمُسْتَصْعَبَةً وَلٰكِنْ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنَ الرِّضَا بِفِعْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَإِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِلْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا بَلْ لِلْعَمَلِ فَيَنْبَغِي السَّعْيُ فِي الْعَمَلِ، فَإِنْ ذَهَبَ الْمَرْحُومُ بِعَمَلِهِ لَا ضَيْرَ فِيهِ بَلْ هُوَ مَلَكُ الْمَوْتِ جِسْرٌ يُوصِلُ الْحَبِيبَ إِلَى الْحَبِيبِ ثَابِتٌ فِي شَأْنِهِ لَيْسَتِ الْمُصِيبَةُ لِلْفَوْتِ بَلْ لِحَالِ الْقَادِمِ إِلَى الْحَبِيبِ أَنَّهُ كَيْفَ يُعَامَلُ بِهِ، فَيَنْبَغِي الْإِمْدَادُ بِالدُّعَاءِ وَالْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّصَدُّقِ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الْمَيِّتُ إِلَّا كَالْغَرِيقِ الْمُتَغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ فَإِذَا لَحِقَتْهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَيُدْخِلُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَإِنَّ هَدِيَّةَ الْأَحْيَاءِ إِلَى الْأَمْوَاتِ اسْتِغْفَارٌ لَهُمْ. وَبَلَغَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ وَالْهَوَاءُ الْبَارِدُ شَدِيدٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ جِدًّا وَإِلَّا مَا كُنْتُ أَتَأَخَّرُ وَكَتْبُ التَّفْوِيضِ مُؤَكَّدًا يَنْفَعُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذٰلِكَ تَصْدِيعٌ وَالدَّعَوَاتُ الْكَثِيرَةُ مَبْذُولَةٌ لِلْقَاضِي حَسَنٍ وَسَائِرِ الْأَعِزَّةِ وَلْيَكُونُوا رَاضِينَ بِفِعْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَشَاكِرِينَ عَلَيْهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ.

(١٠٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْمِائَةُ إِلَى الْحَكِيمِ عَبْدِ الْقَادِرِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَرِيضَ مَا لَمْ يَصِحَّ وَلَمْ يَبْرَأْ لَا يَنْفَعُهُ غِذَاءٌ أَصْلًا وَمَا يُنَاسِبُهُ

قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ الْمَرِيضَ مَا دَامَ مَرِيضًا لَا يَنْفَعُهُ غِذَاءٌ أَصْلًا وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعَزِّ الْأَكْلِ وَأَحْسَنِهِ، بَلْ هُوَ مُقَوٍّ لِمَرَضِهِ (ع) **أَلَا كُلُّ مَا نَالَ الْعَلِيلُ عَلِيلُ ***

فَيَشْتَغِلُونَ أَوَّلًا بِفِكْرِ إِزَالَةِ مَرَضِهِ ثُمَّ يَجْتَهِدُونَ فِي تَحْصِيلِ الْقُوَّةِ بِأَغْذِيَةٍ مُنَاسِبَةٍ لِمِزَاجِهِ وَحَالِهِ بِالتَّدْرِيجِ، فَكَذٰلِكَ الْإِنْسَانُ مَا دَامَ مُبْتَلًى بِمَرَضِ الْقَلْبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" لَا تَنْفَعُهُ عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ أَصْلًا بَلْ هِيَ مَضَرَّةٌ لَهُ "رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ" حَدِيثٌ مَعْرُوفٌ "وَرُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ مِنْ

صيامه الا الجوع والظمأ" خبر صحيح فأطباء القلوب أيضا يأمرون أولاً بإزالة المرض وذلك المرض عبارة عن تعلق القلب بغير الحق سبحانه وتعالى بل هو تعلق الإنسان بنفسه، فإن الإنسان كلما يحبه ويطلبه إنما يحبه ويطلبه لنفسه، فإن أحب أولاده يحبهم لنفسه وكذلك الأموال والرياسة والجاه، فمعبوده في الحقيقة هو نفسه.

فما دام الإنسان لم يتخلص من هذا التعلق والإرتباط لا وجه لرجاء النجاة فتفكر إزالة هذا المرض لازم للعلماء أولي الألباب والحكماء ذوي الأبصار (ع) **ويكفي من له فهم إشارة***

(١٠٦) المكتوب السادس والمائة إلى محمد صادق الكشميري في بيان أن محبة هذه الطائفة المتفرعة على معرفتهم من أجل نعم الله جل شأنه

قد وصل المكتوب المرغوب المنبئ عن فرط المحبة وكمال المودة لله سبحانه المنة على ذلك فإن محبة هذه الطائفة التي هي متفرعة على معرفتهم من أجل نعم الله سبحانه، ويا سعادة من يتشرف بها.

قال شيخ الإسلام الهروي قدس سره : إلهي ما هذا الذي جعلت أولياءك على وجه: من عرفهم وجدك وما لم يجدك لم يعرفهم، وبغض هذه الطائفة سم قاتل والطعن فيهم موجب للحرمان الأبدي. نجانا الله سبحانه وإياكم من هذا الإبتلاء. وقال شيخ الإسلام أيضا: إلهي كل من أردت سقوطه فأسقطه علينا يعني أوقعه بغيبتنا وملامتنا (شعر)

ومن لم يغنه مهيمن وخواصه * الأمر في خطر ولو هو من ملك**

وهذه الإنابة التي أنعم الله عليك بتجديدها، ينبغي لك أن تعتقدها نعمة عظيمة وأن تسأل الله سبحانه الإستقامة عليها. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾[1] والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

(١٠٧) المكتوب السابع والمائة إلى محمد صادق الكشميري أيضا في أجوبة أسئلته التي كتبها إليه وفيه فوائد ضرورية نافعة في التسليم لهذه الطائفة

أسعدنا الله سبحانه بسعادة الإيمان بهذه الطائفة. قد وصل الكتاب الذي أرسلته مشتملاً على أسئلة، والسؤال الذي فيه رائحة التعنت والتعصب وإن كان لا يستحق الجواب ولكن نتصدى على جوابه على

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

سَبِيلِ التَّنَزُّلِ فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْ شَخْصًا لَعَلَّهُ يَنْفَعُ آخرَ. (اَلسُّؤَالُ اْلأَوَّلُ) مَا السَّبَبُ فِي كَثْرَةِ ظُهُورِ الْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَقِلَّةِ ظُهُورِهَا مِنْ أَكَابِرِ هَذَا الزَّمَانِ ؟ فَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ نَفْيَ أَكَابِرِ هَذَا الزَّمَانِ بِوَاسِطَةِ قِلَّةِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ مِنْهُمْ، كَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ فَحْوَى الْعِبَارَةِ فَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ تَسْوِيلاَتِ الشَّيْطَانِ. فَإِنَّ ظُهُورَ الْخَوَارِقِ لَيْسَ مِنْ أَرْكَانِ الْوِلاَيَةِ وَلاَ مِنْ شَرَائِطِهَا بِخِلاَفِ الْمُعْجِزَةِ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّهَا مِنْ شَرَائِطِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّ ظُهُورَ الْخَوَارِقِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى شَائِعٌ ذَائِعٌ قَلَّمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُمْ. وَلَكِنَّ كَثْرَةَ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ لاَ تَدُلُّ عَلَى الأَفْضَلِيَّةِ، فَإِنَّ التَّفَاضُلَ هُنَاكَ بِاعْتِبَارِ دَرَجَاتِ الْقُرْبِ الإِلَهِيِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ ، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ظُهُورُ الْخَوَارِقِ مِنَ الْوَلِيِّ الأَقْرَبِ أَقَلَّ وَمِنَ الأَبْعَدِ أَكْثَرَ. أَلاَ تَرَى أَنَّ الْخَوَارِقَ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَمْ يَظْهَرْ عُشْرُ عَشِيرِهِ مِنَ الأَصْحَابِ الْكِرَامِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَعَ أَنَّ أَفْضَلَ الأَوْلِيَاءِ لاَ يَبْلُغُ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الصَّحَابَةِ. فَالنَّظَرُ إِلَى ظُهُورِ الْخَوَارِقِ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ وَدَلِيلٌ عَلَى قُصُورِ الإِسْتِعْدَادِ التَّقْلِيدِيِّ، وَالْمُسْتَحِقُّ لِقَبُولِ فُيُوضِ النُّبُوَّةِ وَالْوِلاَيَةِ جَمَاعَةٌ غَلَبَ فِيهِمُ الإِسْتِعْدَادُ التَّقْلِيدِيُّ عَلَى قُوَّتِهِمُ النَّظَرِيَّةِ وَالصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ اسْتِعْدَادِهِ التَّقْلِيدِيِّ لَمْ يَحْتَجْ فِي تَصْدِيقِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى قَوْلِ "لِمَ" أَصْلاً وَأَبُو جَهْلٍ اللَّعِينُ بِوَاسِطَةِ قُصُورِ هَذَا الاِسْتِعْدَادِ فِيهِ لَمْ يَتَشَرَّفْ بِتَصْدِيقِ النُّبُوَّةِ مَعَ وُجُودِ ظُهُورِ آيَاتٍ بَاهِرَةٍ وَمُعْجِزَاتٍ قَاهِرَةٍ وَقَالَ اللَّهُ فِي شَأْنِ هَؤُلاَءِ الْمُنْكِرِينَ الْمَحْرُومِينَ "وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" عَلَى أَنَّا نَقُولُ: إِنَّ ظُهُورَ الْخَوَارِقِ لَمْ يُنْقَلْ مِنْ أَكْثَرِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي طُولِ عُمْرِهِمْ أَزْيَدُ مِنْ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةِ خَوَارِقَ حَتَّى أَنَّ الْجُنَيْدَ سَيِّدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لَمْ يُدْرَ هَلْ نُقِلَ عَنْهُ عَشَرَةُ خَوَارِقَ أَوْ لاَ، وَلَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِ كَلِيمِهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ" وَمِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ عَدَمُ ظُهُورِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْخَوَارِقِ مِنْ مَشَائِخِ هَذَا الْوَقْتِ بَلْ لأَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مُتَقَدِّمِيهِمْ وَمُتَأَخِّرِيهِمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ظُهُورُ خَوَارِقَ يَعْرِفُهَا الْمُدَّعِي أَمْ لاَ، (شِعْرٌ):

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفُقِ طَالِعَةً * أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ**

(وَالثَّانِي) أَنَّهُ هَلْ يَكُونُ لإِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ دَخْلٌ فِي كَشْفِ الطَّالِبِينَ الصَّادِقِينَ وَشُهُودِهِمْ فَإِنْ كَانَ فَبِمَاذَا يُعْلَمُ وَيَتَّضِحُ أَنَّهُ كَشْفٌ شَيْطَانِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَمَا السَّبَبُ فِي وُجُودِ الْغَلَطِ فِي بَعْضِ الأُمُورِ الْمُلْهَمَةِ **(وَالْجَوَابُ) اللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ** لاَ أَحَدَ مَحْفُوظٌ مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ كَيْفَ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مُتَصَوَّرًا فِي الأَنْبِيَاءِ بَلْ مُتَحَقِّقًا فَبِالطَّرِيقِ الأَوْلَى أَنْ يَكُونَ فِي الأَوْلِيَاءِ وَمَنْ هُوَ الطَّالِبُ الصَّادِقُ بَعْدُ. (غَايَةُ) مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ يُنَبَّهُونَ عَلَى هَذَا الإِلْقَاءِ وَيُمَيِّزُ الْبَاطِلُ مِنَ الْحَقِّ قَوْلُهُ تَعَالَى (**فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**) تَنْبِيهٌ دَالٌّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى وَلَيْسَ هَذَا التَّنْبِيهُ بِلاَزِمٍ فِي الأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ تَابِعُونَ لِلنَّبِيِّ فَكُلَّمَا وَجَدُوهُ

على خلاف ما جاء به النبي يردونه ويرون بطلانه وأما في صورة سكتت عنها الشريعة ولم تحكم بإثباتها ونفيها فامتياز الحق عن الباطل فيها بطريق القطع مشكل فإن الإلهام ظني ولكن لا يتطرق القصور إلى الولاية بسبب عدم ذلك الإمتياز أصلاً فإن إتيان أحكام الشريعة ومتابعة النبي متكفل بنجاة الدارين والأمر المسكوت عنه زائد على الشريعة ونحن لم نكلف بالأمور الزائدة. ومما ينبغي أن يعلم: أن الغلط في الكشف غير منحصر في إلقاء شيطاني فإنه ربما يتخيل أحكام غير صادقة في القوة المتخيلة لا مدخل للشيطان فيها أصلاً ومن هذا القبيل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام والأخذ عنه بعض الأحكام مما الحق في الحقيقة خلاف تلك الأحكام والحال أن إلقاء الشيطان غير متصور في تلك الصورة فإن مختار العلماء أن الشيطان لا يتمثل بصورة خير البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام على أي صورة يرى فليس في تلك الصورة إلا تصرف المتخيلة بإلقاء غير الواقعي واقعيًا (والثالث) أن التصرف بطريق الكرامة والتصرف بطريق الإستدراج متساويان في بادي النظر فكيف يعرف المبتدي أن هذا ولي صاحب كرامة وذاك مدع كذاب صاحب استدراج (الجواب) والله أعلم بالصواب أن الدليل في هذه التفرقة واضح للطالب المبتدي وهو وجدانه الصحيح فإنه إن وجد قلبه مائلاً ومنجذبًا إلى الحق سبحانه وحاضرًا معه تعالى في صحبته فليعلم أنه ولي صاحب كرامة وإن وجد خلاف ذلك فليتيقن أنه مدع كذاب صاحب استدراج فإن كان في ذلك خفاء فإنما هو بالنسبة إلى العوام كالأنعام دون الطالبين والخفاء على العوام ساقط عن حيز الإعتبار عند الخواص فإن منشأه مرض القلب وغشاوة البصر. وكم من شيء خفيت على العوام عليتها أشد ضرورة من إدراك هذه التفرقة (ولنختم) هذا المكتوب ببعض المعارف الذي ينفعك في إزالة مثل هذه الشكوك والشبهات (اعلم) أن التخلق بأخلاق الله الذي هو مأخوذ في الولاية يعني داخلاً فيها هو أن يحصل للأولياء صفات مناسبة لصفات الواجب تعالى ولكن تكون المناسبة في الإسم والمشاركة في عموم الصفات لا في خواص المعاني فإن ذلك محال ومستلزم لقلب الحقائق (قال) الخواجة محمد پارسا قدس سره في تحقيقاته في مقام بيان "تخلقوا بأخلاق الله": (والصفة الأخرى) الملك ويعني الملك المتصرف في الكل والسالك، وإن كان متصرفًا في نفسه وقادرًا على قهرها وكان تصرفه نافذًا في القلوب يكون موصوفًا بهذه الصفة (والصفة الأخرى) السميع فإن سمع السالك الكلام الحق وقبله من كل أحد من غير استنكاف وفهم الأسرار الغيبية والحقائق اللاريبية بسمع روحه يكون موصوفًا بهذه الصفة (والصفة الأخرى) البصير فإن كان بصر بصيرة سالك الطريق بصيرًا ورأى جميع عيوب نفسه بنور الفراسة وشاهد كمال غيره يعني اعتقد أن كل أحد أفضل منه وكان كون الحق سبحانه بصيرًا منظورًا في نظره بحيث يعمل كلما يعمله على وجه يكون موجبًا لقبول الحق سبحانه يكون موصوفًا بهذه الصفة (والصفة الأخرى) المحيي فإن قام سالك الطريق بإحياء السنة المتروكة يكون موصوفًا بهذه الصفة (والصفة الأخرى) المميت فإن منع السالك البدعات التي استعملوها مكان السنة

يكُونُ مَوْصُوفًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ سَائِرُ الصِّفَاتِ. وَفَهِمَ الْعَوَامُّ فِي مَعْنَى "تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ" شَيْئًا آخَرَ فَلَا جَرَمَ وَقَعُوا فِي تِيهِ الضَّلَالَةِ وَزَعَمُوا أَنَّ الْوَلِيَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْجَسَدِ الْمَيِّتِ وَأَنْ يَنْكَشِفَ لَهُ أَكْثَرُ الْمُغَيَّبَاتِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَهُوَ كَمَا تَرَى مِنَ الظُّنُونِ الْفَاسِدَةِ أَنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ **(وَأَيْضًا)** إِنَّ الْخَوَارِقَ غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ فِي الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ فَإِنَّ الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ الْإِلْهَامِيَّةَ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ وَأَرْفَعِ الْخَوَارِقِ وَلِهَذَا كَانَ مُعْجِزُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَقْوَى وَأَبْقَى فِي سَائِرِ الْمُعْجِزَاتِ (يَنْبَغِي) أَنْ يُمْعَنَ النَّظَرُ مِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ هَذِهِ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ الَّتِي تُفَاضُ كَمَطَرِ الرَّبِيعِ وَهَذِهِ الْعُلُومُ مَعَ كَثْرَتِهَا مُوَافِقَةٌ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ بِالتَّمَامِ لَا مُخَالَفَةَ بَيْنَهُمَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ عَلَامَةُ صِحَّةِ الْعُلُومِ وَقَدْ كَتَبَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ أَنَّ عُلُومَكَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ وَلَكِنْ مَا الْفَائِدَةُ فَإِنَّ كَلَامَ حَضْرَةِ شَيْخِنَا لَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ مُنْقَادُونَ إِلَى الشَّيْخِ وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَأَسْئِلَتُكَ هَذِهِ وَإِنْ كَانَتْ ثَقِيلَةً أَوَّلًا وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ بَاعِثَةً عَلَى ظُهُورِ هَذِهِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ كَانَتْ حَسَنَةً فِي الْآخِرِ (شِعْرٌ):

هيج زشتى نيست كورا خوبئى همراه نيست * زنكى شب رنك راندندان چودر كو هرست**

(تَرْجَمَةٌ) **وَمَا مِنْ قَبِيحٍ لَيْسَ فِيهِ مَلَاحَةٌ *** أَلَمْ تَرَ سِنَّ الزِّنْجِ كَالشُّهُبِ فِي الدُّجَى**

وَالْعَجَبُ أَنَّكَ أَظْهَرْتَ فِي الْمَكْتُوبِ السَّابِقِ إِخْلَاصًا كَثِيرًا وَزَعَمْتَ أَنَّ سَبَبَهُ ظُهُورُ وَاقِعَتَيْنِ مُتَعَاقِبَتَيْنِ وَكَتَبْتَ أَنَّ أَثَرَهُمَا يُوجَدُ فِي الْإِقَامَةِ أَيْضًا عَلَى حِدَةٍ تَحَقَّقَتِ النَّدَامَةُ عَلَى الْوَضْعِ السَّابِقِ بِالتَّمَامِ وَالْتَجَأْتُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَتَجْدِيدِ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَمْضِ عَلَى ذَلِكَ شَهْرٌ وَاحِدٌ حَتَّى فُهِمَ مِنْكَ التَّغَيُّرُ عَنْ هَذَا الْوَضْعِ وَحَصَلَ الْاِنْتِقَالُ وَالتَّحَوُّلُ إِلَى الْوَضْعِ السَّابِقِ بِرُجُوعِ الْقَهْقَرَى حَتَّى صِرْتَ فِي أَبَدًا وَجْهٌ لِهَاتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ يَنْجَرُّ إِلَى أَنَّهُمَا كَانَتَا بِإِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ أَوْ بِغَلَطِ الْكَشْفِ فَمَا ذَاكَ وَمَا هَذَا،

(شِعْرٌ):

تَقُولُ فُلَانٌ يَفْعَلُ الشَّرَّ قُلْتُ لَا * يَضُرُّ عَلَيْنَا بَلْ عَلَيْهِ وَبَالُهُ**

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

(١٠٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْمِائَةُ إِلَى السَّيِّدِ أَحْمَدَ فِي بَيَانِ أَنَّ النُّبُوَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْوَلَايَةِ عَلَى عَكْسِ مَا قِيلَ إِنَّ الْوَلَايَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ

ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا قَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ وَقْتَ السُّكْرِ: **إِنَّ الْوَلَايَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَأَرَادَ بَعْضُهُمْ**

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

بِهَذِهِ الْوِلاَيَةِ وِلاَيَةَ النَّبِيِّ لِيَرْتَفِعَ وَهْمُ أَفْضَلِيَّةِ الْوَلِيِّ مِنَ النَّبِيِّ وَلَكِنَّ الأَمْرَ عَلَى الْعَكْسِ فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ نُبُوَّةَ نَبِيٍّ أَفْضَلُ مِنْ وِلاَيَتِهِ وَفِي الْوِلاَيَةِ إِنَّمَا لاَ يُمْكِنُ التَّوَجُّهُ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ وَفِي النُّبُوَّةِ تَمَامُ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِحَيْثُ لاَ يَكُونُ التَّوَجُّهُ إِلَى الْحَقِّ مَانِعًا مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْخَلْقِ وَلاَ التَّوَجُّهُ إِلَى الْخَالِقِ مَانِعًا مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ التَّوَجُّهُ فِي النُّبُوَّةِ إِلَى الْخَلْقِ فَقَطْ حَتَّى تَتَرَجَّحَ الْوِلاَيَةُ بِسَبَبِهِ عَلَيْهَا لِكَوْنِ التَّوَجُّهِ فِيهَا إِلَى الْحَقِّ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ فَإِنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى الْخَلْقِ وَحْدَهُ مَرْتَبَةُ الْعَوَامِّ كَالأَنْعَامِ وَشَأْنُ النُّبُوَّةِ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ وَفَهْمُ هَذَا الْمَعْنَى إِنْ كَانَ عَسِيرًا فَإِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَرْبَابِ السُّكْرِ وَأَمَّا الأَكَابِرُ مُسْتَقِيمُو الأَحْوَالِ فَهُمْ مُمْتَازُونَ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ (ع) هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا *

وَبَقِيَّةُ الْمَقْصُودِ أَنَّ الشَّيْخَ مِيَانْ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الشَّيْخِ مِيَانْ عَبْدِ الرَّحِيمِ لَهُ قَرَابَةٌ قَرِيبَةٌ لِهَذَا الْفَقِيرِ وَكَانَ وَالِدُهُ مُلاَزِمًا لِبَهَادِرْ خَانْ مُدَّةً كَثِيرَةً وَلَهُ احْتِيَاجٌ وَهُوَ مَعْذُورٌ عَاجِزٌ عَنِ الْكَسْبِ لِكَوْنِهِ ضَرِيرًا وَقَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ لِيَكُونَ عِنْدَ بَهَادِرْ خَانْ فَإِنْ صَدَرَتْ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ أَيْضًا إِشَارَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ لَكَانَ حَسَنًا وَالسَّلاَمُ.

(١٠٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْمِائَةُ إِلَى الْحَكِيمِ صَدْرٍ فِي بَيَانِ سَلاَمَةِ الْقَلْبِ وَنِسْيَانِهِ مَا دُونَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ

اِعْلَمْ: أَنَّ أَهْلَ اللَّهِ أَطِبَّاءُ الأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ وَإِزَالَةُ الْعِلَلِ الْبَاطِنِيَّةِ مَنُوطَةٌ بِتَوَجُّهِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ، كَلاَمُهُمْ دَوَاءٌ وَنَظَرُهُمْ شِفَاءٌ هُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ وَهُمْ جُلَسَاءُ اللَّهِ بِهِمْ يُمْطَرُونَ وَبِهِمْ يُرْزَقُونَ وَرَأْسُ الأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ وَرَئِيسُ الْعِلَلِ الْبَاطِنِيَّةِ هُوَ تَعَلُّقُ الْقَلْبِ وَارْتِبَاطُهُ بِمَا دُونَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا لَمْ يَتَيَسَّرِ التَّخَلُّصُ مِنْ هَذَا التَّعَلُّقِ بِالتَّمَامِ فَالسَّلاَمَةُ مُحَالٌ فَإِنَّهُ لاَ مَجَالَ لِلشَّرِكَةِ فِي جَنَابِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ فَكَيْفَ إِذَا جُعِلَ الشَّرِيكُ غَالِبًا وَجُعِلَ مَحَبَّةُ غَيْرِ الْحَقِّ غَالِبَةً عَلَى مَحَبَّتِهِ تَعَالَى عَلَى نَهْجٍ تَكُونُ مَحَبَّتُهُ تَعَالَى مَعْدُومَةً فِي جَنْبِهَا أَوْ مَغْلُوبَةً غَايَةَ الْوَقَاحَةِ وَنِهَايَةَ عَدَمِ الْحَيَاءِ وَلَعَلَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحَيَاءِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ "اَلْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ" هُوَ هَذَا الْحَيَاءُ وَعَلاَمَةُ عَدَمِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِمَا سِوَاهُ تَعَالَى نِسْيَانُهُ إِيَّاهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَذُهُولُهُ عَنْهُ جُمْلَةً عَلَى وَجْهٍ لَوْ كُلِّفَ بِتَذَكُّرِ الأَشْيَاءِ لَمَا تُذُكِّرَ فَكَيْفَ يَكُونُ لِتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالأَشْيَاءِ مَجَالٌ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَهَذِهِ الْحَالَةُ مُعَبَّرَةٌ عَنْهَا عِنْدَ أَهْلِ اللَّهِ بِالْفَنَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ قَدَمٍ يُوضَعُ فِي الطَّرِيقَةِ وَمَبْدَأُ ظُهُورِ أَنْوَارِ الْقِدَمِ وَمَنْشَأُ وُرُودِ الْمَعَارِفِ وَالْحِكَمِ وَبِدُونِهَا خَرْطُ الْقَتَادِ.

(١١٠) اَلْمَكْتُوبُ الْعَاشِرُ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ أَدَاءُ وَظَائِفِ السُّلُوكِ وَكَمَالُ الإِقْبَالِ عَلَى جَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

بَلَّغَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُنْتَهَى نِهَايَةِ أَرْبَابِ الْكَمَالِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ هُوَ أَدَاءُ وَظَائِفِ الْعُبُودِيَّةِ وَدَوَامُ الْإِقْبَالِ عَلَى جَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا الْمَعْنَى لاَ يَتَيَسَّرُ بِدُونِ التَّحَقُّقِ بِكَمَالِ اتِّبَاعِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَيْمَنُهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَالَ مُتَابَعَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلاً وَفِعْلاً ظَاهِرًا وَبَاطِنًا عَمَلاً وَاعْتِقَادًا آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، (شِعْرٌ):

وَمَا اتَّخَذُوا غَيْرَ الْإِلَهِ فَبَاطِلٌ *** فَتَعْسًا لِمَنْ يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطِلاً

وَكُلُّ مَا هُوَ مَطْلُوبٌ غَيْرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْصُودٌ فَهُوَ مَعْبُودٌ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ النَّجَاةُ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِذَا لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْحَقِّ مَقْصُودٌ جَلَّ وَعَلاَ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَتَنَعُّمَاتِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ الْمَقَاصِدَ الْأُخْرَوِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحَسَنَاتِ لَكِنَّهَا عِنْدَ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ جُمْلَةِ السَّيِّئَاتِ فَإِذَا كَانَ حَالُ أُمُورِ الْآخِرَةِ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ مَا تَقُولُ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَاوِيَّةِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا وَحُبُّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَطُلاَّبُهَا مُسْتَحِقُّونَ لِلطَّرْدِ وَاللَّعْنِ: "الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ وَمَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللّٰهِ تَعَالَى"[١] نَجَّانَا اللّٰهُ تَعَالَى مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(١١١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ السُّنْبُهْلِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ التَّوْحِيدَ عِبَارَةٌ عَنْ تَخْلِيصِ الْقَلْبِ عَمَّا دُونَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا يُنَاسِبُهُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (اعْلَمْ) أَنَّ التَّوْحِيدَ عِبَارَةٌ عَنْ تَخْلِيصِ الْقَلْبِ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى مَا دُونَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَا دَامَ الْقَلْبُ مُتَعَلِّقًا بِمَا سِوَاهُ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ قَلِيلٍ لاَ يَكُونُ صَاحِبُهُ مِنْ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ وَمُجَرَّدُ قَوْلِ التَّوْحِيدِ وَاعْتِقَادِ التَّوْحِيدِ مِنَ الْفُضُولِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْفَضَائِلِ نَعَمْ لاَ بُدَّ مِنَ الْقَوْلِ بِالتَّوْحِيدِ وَاعْتِقَادِ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مُعْتَبَرٌ فِي التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ لَكِنَّهُ بِمَعْنًى آخَرَ وَالْفَرْقُ بَيْنَ لاَ مَعْبُودَ إِلاَّ اللّٰهُ وَبَيْنَ لاَ مَوْجُودَ إِلاَّ اللّٰهُ بَيِّنٌ وَتَصْدِيقُ الْإِيمَانِ عِلْمِيٌّ وَالْإِدْرَاكُ الْوِجْدَانِيُّ حَالَةٌ وَالتَّكَلُّمُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِ الْحَالِ مَحْظُورٌ وَتَكَلُّمُ طَائِفَةٍ مِنَ الْمَشَائِخِ فِي هَذَا الْبَابِ لاَ يَخْلُو عَنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْذُورُونَ لِكَوْنِهِمْ تَحْتَ غَلَبَةِ الْحَالِ مَسْتُورِينَ أَوْ كَانَ مَقْصُودُهُمْ مِنْ كِتَابَةِ الْأَحْوَالِ وَإِظْهَارِهَا كَوْنَهَا

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه عن أبي هريرة وزاد وما والاه وعالم أو متعلم وأخرجه أبو نعيم والضياء المقدسي من حديث جابر بلفظ إلا ما كان منها لله عز وجل وإسناده حسن والأول رواه الطبراني أيضا من حديث ابن مسعود ولفظه عالما ومتعلما ورواه البزار أيضا من هذا الطريق بلفظ إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكر الله ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بلفظ إلا ما ابتغي به وجه الله قال منذر إسناده لا بأس به من شرح الإحياء مختصرا.

مَحَطًّا وَمِعْيَارًا لِأَحْوَالِ غَيْرِهِمْ لِيَعْرِفُوا بِهَا اسْتِقَامَةَ أَحْوَالِهِمْ وَاعْوِجَاجَهَا وَإِلاَّ فَإِنْشَاءُ الْأَسْرَارِ بِدُونِ حُصُولِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَمْنُوعٌ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ نُبْذَةً مِنْ أَحْوَالِ أَرْبَابِ الْكَمَالِ نَصِيبًا لِأَمْثَالِنَا الْمُدْبِرِينَ وَرَزَقَنَا الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

وَبَقِيَّةُ التَّصْدِيعِ أَنَّ حَامِلَ رَقِيمَةِ الدُّعَاءِ الشَّيْخَ الْحَافِظَ مِيَانْ عَبْدَ الْفَتَّاحِ مِنْ أَوْلَادِ الْكِبَارِ وَكَثِيرُ الْعِيَالِ خُصُوصًا الْبَنَاتِ وَاضْطَرَّتْهُ قِلَّةُ أَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ إِلَى أَنْ يُوَصِّلَ نَفْسَهُ إِلَى بَابِ الْكِرَامِ وَالْمَرْجُوُّ وُصُولُهُ إِلَى مَا قَصَدَهُ وَرَامَ يَعْنِي بِيُمْنِ الْتِفَاتِكُمُ الْخَاصِّ بِهِ وَالْعَامِّ وَالزِّيَادَةُ عَنْ ذَلِكَ تَصْدِيعٌ.

(١١٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْجَلِيلِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَدَارَ فِي التَّحْقِيقِ عَلَى عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِلَخْ

حَقَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَأْنُهُ وَأَمْثَالَنَا الْمُفْلِسِينَ بِحَقِيقَةِ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ يَعْنِي أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَجَعَلَ التَّوْفِيقَ لِلْأَعْمَالِ الْمَرْضِيَّةِ نَقْدَ الْوَقْتِ وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالْأَحْوَالِ الَّتِي هِيَ ثَمَرَاتُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَجَذَبَهُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِالتَّمَامِ وَالْكَمَالِ (ع) **هَذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ** * فَإِنَّ الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ الْحَاصِلَةَ بِدُونِ التَّحَقُّقِ بِمُعْتَقَدَاتِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ لَا أَعُدُّهَا شَيْئًا سِوَى الْإِسْتِدْرَاجِ وَمَا أَظُنُّهَا غَيْرَ الْخِذْلَانِ وَالْحِرْمَانِ فَإِنْ أُعْطِينَا مَعَ دَوْلَةِ الْإِتِّبَاعِ لِهَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ شَيْئًا نَكُنْ مَمْنُونِينَ وَنَجْتَهِدُ فِي أَدَاءِ شُكْرِهِ وَإِنْ أُعْطِينَا هَذَا الْإِتِّبَاعَ فَقَطْ وَلَمْ نُعْطَ الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ أَصْلًا لَا نَغْتَمُّ وَلَا نَحْزَنُ بَلْ نَرْضَى بِهِ وَنَقُولُ هَذَا أَوْلَى وَأَحْسَنُ.

وَمَا ظَهَرَ مِنْ بَعْضِ الْمَشَائِخِ قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ وَقْتَ غَلَبَةِ الْحَالِ وَالسُّكْرِ مِنْ بَعْضِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْمُنَافِيَةِ لِآرَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ الصَّائِبَةِ لَمَّا كَانَ مَنْشَؤُهَا كَشْفًا فَهُمْ مَعْذُورُونَ فِي ذَلِكَ وَنَرْجُو أَنْ لَا يُؤَاخَذُوا بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَلْ لَهُمْ حُكْمُ الْمُجْتَهِدِ الْمُخْطِئِ فَيَكُونُ لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالْحَقُّ فِي جَانِبِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ فَإِنَّ عُلُومَ الْعُلَمَاءِ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ الْمُؤَيَّدَةُ بِالْوَحْيِ الْقَطْعِيِّ وَمُسْتَنَدُ مَعَارِفِ الصُّوفِيَّةِ الْكَشْفُ وَالْإِلْهَامُ اللَّذَانِ لِلْخَطَأِ سَبِيلٌ فِيهِمَا وَعَلَامَةُ صِحَّةِ الْكَشْفِ وَالْإِلْهَامِ مُطَابَقَتُهُمَا بِعُلُومِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنْ وَقَعَتِ الْمُخَالَفَةُ وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ فَخَارِجٌ مِنْ دَائِرَةِ الصَّوَابِ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ وَالْحَقُّ الصَّرِيحُ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ.

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا عَمَلًا وَاعْتِقَادًا عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا **وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.**

(١١٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ حُسَيْنٍ فِي بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ جَذْبَةِ الْمُبْتَدِئِ وَبَيْنَ جَذْبَةِ الْمُنْتَهِي وَأَنَّ مَشْهُودَ الْمَجْذُوبِينَ فِي الْإِبْتِدَاءِ لَيْسَ إِلاَّ الرُّوحُ الَّتِي هِيَ فَوْقَ مَقَامِ الْقَلْبِ وَأَنَّهُمْ يَتَخَيَّلُونَ أَنَّ ذَلِكَ الشُّهُودَ شُهُودُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ الْإِنْجِذَابَ وَالْإِنْجِرَارَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ إِلَى مَقَامٍ هُوَ فَوْقَ مَقَامِ السَّالِكِ لاَ إِلَى مَا فَوْقَ مَقَامِهِ وَكَذَا الْحَالُ فِي الشُّهُودِ وَنَحْوِهِ فَلَيْسَ لِلْمَجْذُوبِينَ الَّذِينَ لاَ سُلُوكَ لَهُمْ بَعْدُ بَلْ لَهُمْ فِي مَقَامِ الْقَلْبِ انْجِذَابٌ إِلَى مَقَامِ الرُّوحِ الَّذِي فَوْقَ مَقَامِ الْقَلْبِ وَالْإِنْجِذَابُ الْإِلَهِيُّ إِنَّمَا هُوَ فِي جَذْبَةِ الْمُنْتَهِي الَّتِي لاَ مَقَامَ فَوْقَهَا وَأَمَّا جَذْبَةُ الْبِدَايَةِ فَلَيْسَ الْمَشْهُودُ فِيهَا إِلاَّ الرُّوحُ الْمَنْفُوخُ يَعْنِي فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلَمَّا كَانَتِ الرُّوحُ مَخْلُوقَةً عَلَى صُورَةِ أَصْلِهِ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ اعْتَقَدُوا شُهُودَ الرُّوحِ شُهُودَ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَحَيْثُ كَانَتْ لِلرُّوحِ مُنَاسَبَةٌ قَلِيلَةٌ مَعَ عَالَمِ الْأَجْسَامِ أَطْلَقُوا عَلَى ذَلِكَ الشُّهُودِ أَحْيَانًا شُهُودَ الْأَحَدِيَّةِ فِي الْكَثْرَةِ وَأَحْيَانًا قَالُوا بِالْمَعِيَّةِ وَشُهُودُ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ لاَ يُتَصَوَّرُ بِدُونِ حُصُولِ الْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ فِي نِهَايَةِ السُّلُوكِ، (شِعْرٌ):

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا *** فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيلٌ

وَلَيْسَ لِهَذَا الشُّهُودِ مَسَاسٌ بِالْعِلْمِ أَصْلاً وَالْفَرْقُ بَيْنَ الشُّهُودَيْنِ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِالْعَالَمِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ فَلَيْسَ هُوَ شُهُودَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِنِ انْتَفَتِ الْمُنَاسَبَةُ أَصْلاً فَهُوَ عَلاَمَةُ الشُّهُودِ الْإِلَهِيِّ جَلَّ وَعَلاَ وَإِطْلاَقُ الشُّهُودِ هُنَا إِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ ضِيقِ الْعِبَارَةِ وَإِلاَّ فَالنِّسْبَةُ لاَ مِثْلِيَّةٌ وَلاَ كَيْفِيَّةٌ كَالْمُنْتَسَبِ إِلَيْهِ لاَ يَحْمِلُ عَطَايَا الْمَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ.

(١١٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى الصُّوفِيِّ قُرْبَانَ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ

شَرَّفَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَمْثَالَنَا الْمُفْلِسِينَ الْعَاجِزِينَ الْمُقْعَدِينَ بِدَوْلَةِ اتِّبَاعِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ الَّذِي أَبْرَزَ كَمَالاَتِهِ الْأَسْمَائِيَّةَ وَالصِّفَاتِيَّةَ فِي طُفَيْلِ مَحَبَّتِهِ إِلَى عَرْصَةِ الظُّهُورِ وَجَعَلَهُ أَفْضَلَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَرَزَقَنَا الْإِسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَرَّةً مِنْ هَذِهِ الْمُتَابَعَةِ الْمَرْضِيَّةِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ التَّلَذُّذَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالتَّنَعُّمَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ وَالْفَضِيلَةُ مَنُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ سُنَّتِهِ وَالْمَزِيَّةُ مَرْبُوطَةٌ بِإِتْيَانِ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَالنَّوْمُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ مَثَلاً الْوَاقِعُ عَلَى وَجْهِ هَذِهِ الْمُتَابَعَةِ أَفْضَلُ مِنْ إِحْيَاءِ أُلُوفٍ مِنَ اللَّيَالِي الْوَاقِعِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمُتَابَعَةِ

وكذلك الإفطار في يوم عيد الفطر الذي أمرت الشريعة به أفضل من صيام أبد الآباد الذي لم يؤخذ من الشريعة وإعطاء حبل بأمر الشارع أفضل من إنفاق جبل من الذهب من قبل نفسه صلى عمر رضي الله عنه مرة صلاة الصبح بالجماعة ثم تفقد الأصحاب رضي الله عنهم فلم ير فيهم شخصا منهم فسألهم عنه فقيل: إنه يحيي الليالي كلها ولعل النوم غلب عليه في هذا الوقت. فقال: لو نام الليل كله وصلى صلاة الصبح بجماعة لكان أفضل ألا ترى أن أهل الضلالة مع ارتكابهم الرياضات الكثيرة والمجاهدات الشديدة ليس لهم اعتبار أصلا بل هم أذلاء يعني عند الله تعالى وذلك لعدم موافقة أعمالهم الشريعة الحقة فإن ترتب أجر على تلك الأعمال الشاقة فهو مقصور على بعض المنافع الدنيوية وما جميع الدنيا وكلها حتى يعتبر بعضها ومثلهم مثل الكناس رياضته أزيد من رياضة الكل وأجرته أقل من أجرة الكل ومثل متابعي الشريعة مثل جماعة يعملون في الجواهر النفيسة بالماسات لطيفة عملهم في نهاية القلة وأجرهم في غاية الرفعة حتى أن عمل ساعتهم يساوي أجر مائة ألف والسر في ذلك أن العمل إذا وقع موافقا للشريعة فهو مرضي الحق سبحانه وخلافها غير مرضيه تعالى فكيف يكون غير المرضي محلا للثواب بل هو موقع العقاب والشاهد لهذا المعنى في هذا العالم المجازي واضح يظهر بأدنى التفات،

(شعر):

كل ما نال العليل علة *** والذي مال النبيل ملة

فرأس جميع السعادات وأصلها متابعة السنة وهيولى جميع الشقاوات ومادتها مخالفة الشريعة ثبتنا الله سبحانه وإياكم على متابعة سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات والسلام.

(١١٥) المكتوب الخامس عشر والمائة إلى الشيخ عبد الحق الدهلوي في بيان أن الطريق الذي نحن في صدد قطعه كله سبعة أقدام

(ع) وأحسن ما يملى حديث الأحبة *

اعلم أن الطريق الذي نحن في صدد قطعه سبعة أقدام قدمان في عالم الخلق وخمسة أقدام في عالم الأمر ففي أول قدم توضع في عالم الأمر يظهر التجلي الأفعالي وفي الثانية التجلي الصفاتي وفي الثالثة يقع الشروع في التجليات الذاتية ثم وثم على تفاوت درجات الكمالات كما لا يخفى على أربابها كل ذلك منوط بمتابعة سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها ومن التسليمات أفضلها وما قيل إن هذا الطريق خطوتان فالمراد بهما عالم الخلق وعالم الأمر على سبيل الإجمال تسهيلا للأمر في نظر الطالبين وحقيقة الأمر ما حققته بتوفيق الله سبحانه هذا.

(١١٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ عَبْدِ الْوَاحِدِ اللاَّهُورِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ سَلاَمَةَ الْقَلْبِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى نِسْيَانِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى وَزَوَالِهِ مِنَ الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَّةِ وَفِي الْمَنْعِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ لِئَلاَّ تَحْصُلَ الرَّغْبَةُ فِيهَا

وَصَلَ مَكْتُوبُكُمُ الْمَرْغُوبُ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فِيهِ مِنْ بَيَانِ سَلاَمَةِ الْقَلْبِ نَعَمْ إِنَّ سَلاَمَةَ الْقَلْبِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى نِسْيَانِ الْغَيْرِ وَزَوَالِهِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى حَدٍّ لَوْ كُلِّفَ تَذَكُّرَهُ لاَ يَتَذَكَّرُ فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لاَ مَعْنَى لِخُطُورِ الْغَيْرِ وَهَذِهِ الْحَالَةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بِفَنَاءِ الْقَلْبِ وَأَوَّلُ قَدَمٍ تُوضَعُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَمُبَشِّرَةٌ بِكَمَالاَتِ مَرَاتِبِ الْوِلاَيَةِ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِ الْإِسْتِعْدَادَاتِ.

(يَنْبَغِي) لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الْهِمَّةِ وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بِالْجَوْزِ وَالْمَوْزِ[1] إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْهِمَمِ وَفِي كَثْرَةِ الْإِشْتِغَالِ بِأُمُورٍ دُنْيَاوِيَّةٍ خَوْفُ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الدَّنِيَّةِ وَلاَ تَغْتَرَّ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنْ سَلاَمَةِ الْقَلْبِ فَإِنَّ لِلرُّجُوعِ إِمْكَانًا فَلاَ يَنْبَغِي الْإِقْدَامُ عَلَى الْاشْتِغَالاَتِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَهْمَا أَمْكَنَ لِئَلاَّ تَظْهَرَ الرَّغْبَةُ فِيهَا فَتَقَعَ فِي الْخَسَارَةِ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ. اَلْكُنَاسَةُ فِي الْفَقْرِ أَفْضَلُ مِنَ الْقُعُودِ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ فِي الْغِنَى يَنْبَغِي صَرْفُ جَمِيعِ الْهِمَّةِ فِي أَنْ يَخْتَارَ مَعِيشَةَ أَيَّامٍ فِي الْفَقْرِ وَالْبَأْسِ فِرَّ مِنَ الْغِنَى وَأَرْبَابِهِ أَكْثَرَ مِمَّا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ وَالسَّلاَمُ.

(١١٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ يَارْ مُحَمَّدِ الْبَدَخْشِيِّ الْقَدِيمِ فِي أَنَّ الْقَلْبَ تَابِعٌ لِلْحِسِّ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَلاَ تَبْقَى تِلْكَ التَّبَعِيَّةُ فِي الْإِنْتِهَاءِ

لَعَلَّ مَوْلاَنَا يَارْ مُحَمَّدْ لَمْ يَنْسَ أَنَّ الْقَلْبَ تَابِعٌ لِلْحِسِّ مُدَّةً فَلاَ جَرَمَ كُلُّ مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْحِسِّ يَكُونُ بَعِيدًا عَنِ الْقَلْبِ وَحَدِيثُ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ عَيْنَهُ فَلَيْسَ الْقَلْبُ عِنْدَهُ وَارِدٌ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ. فَإِذَا لَمْ تَبْقَ تَبَعِيَّةُ الْقَلْبِ لِلْحِسِّ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ لاَ يُؤَثِّرُ بُعْدُ الشَّيْءِ عَنِ الْحِسِّ فِي بُعْدِهِ عَنِ الْقَلْبِ بَلْ يَكُونُ الشَّيْءُ قَرِيبًا بِحَسَبِ الْقَلْبِ وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا بِحَسَبِ الْحِسِّ وَلِهَذَا لَمْ يُجَوِّزْ مَشَائِخُ الطَّرِيقَةِ مُفَارَقَةَ الْمُبْتَدِئِ وَالْمُتَوَسِّطِ صُحْبَةَ الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ وَبِالْجُمْلَةِ بِحُكْمِ مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَى هَذَا

---

[1] (قوله ان الله يحب الحديث) اورده السيوطي في الجامع الكبير عن ابن حبان والطبراني والخرائطي وابن عساكر والضياء المقدسي عن سهل بن سعد بلفظ ان الله يحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها والخرائطي ايضا عن طلحة بن عبيد بن كريز والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير والاوسط بلفظ ان الله يحب معالي الامور الخ والحاكم عن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي ان رسول الله قال ان الله كريم يحب الكرم ومعالي الامور ويبغض او قال يكره سفسافها وذكر في انهى الغرباء بلفظ ان الله يحب معالي الهمم ويبغض سفسافها ولم يذكر له مخرجا ولا راويا والله اعلم (الفرات رحمة الله عليه)

الطَّرِيقِ وَأَنْ تَجْتَنِبَ عَنْ صُحْبَةِ غَيْرِ الْجِنْسِ عَلَى أَبْلَغِ الْوُجُوهِ وَأَنْ تَغْتَنِمَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ مِيَانْ مُزَمِّلِ مُعْتَقِدًا قُدُومَهُ مُقَدِّمَةَ السَّعَادَةِ وَكُنْ فِي صُحْبَتِهِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّهُ عَزِيزُ الْوُجُودِ جِدًّا وَالسَّلَامُ.

(١١٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا قَاسِمْ عَلِي الْبَدَخْشِي فِي بَيَانِ خَسَارَةِ جَمَاعَةٍ يَعْتَرِضُونَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ

قَدْ وَصَلَ الْكِتَابُ الَّذِي أَرْسَلَهُ مُحِبُّنَا مَوْلَانَا الْقَاسِمُ عَلِيٌّ وَاتَّضَحَ مَضْمُونُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) وَقَالَ الْخَوَاجَةُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ: إِلَهِي إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُهْلِكَ أَحَدًا فَأَطْرَحْهُ عَلَيْنَا،

(شِعْرٌ):

أَخَافُ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْقَوْمِ يَضْحَكُو *** نَ أَنْ يُسْلَبَ الْإِيمَانُ عَنْهُمْ وَيُطْرَدُوا

حَفِظَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَافَّةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ إِنْكَارِ الْفُقَرَاءِ وَالطَّعْنِ فِي الدَّرَاوِيشِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١١٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِيرِ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ فِي التَّرْغِيبِ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ وَبَيَانِ أَنَّ الْكُمَلَاءَ يُجِيزُونَ بَعْضَ مُرِيدِيهِمُ النَّاقِصِينَ بِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ أَحْيَانًا بِوَاسِطَةِ بَعْضِ نِيَّاتٍ صَالِحَةٍ وَأَغْرَاضٍ صَحِيحَةٍ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ مِنْ جَانِبِ جَلَالَةِ الْمِيرِ هَذَا الطَّرِيقُ يُنَاسِبُ لَهُ الْجُنُونُ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ "لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ مَجْنُونٌ" (١) فَمَا كَانَتْ بِهِ جِنَّةٌ كَانَ فَارِغًا مِنْ تَدْبِيرِ أُمُورِ النَّاسِ وَالْأَوْلَادِ وَتَيَسَّرَتْ لَهُ الْجَمْعِيَّةُ مِنَ التَّفَكُّرِ فِي كَذَا وَكَذَا وَهَذَا الْجُنُونُ مَوْدُوعٌ فِي جِبِلَّتِكُمْ وَلَكِنَّكُمْ تَدْفُنُونَهُ وَتَكْتُمُونَهُ بِعَوَارِضَ لَا طَائِلَ فِيهَا فَإِذَا نَفْعَلُ وَنَفْهَمُ فِي هَذَا الْكَسْبِ عَدَمُ الْمُنَاسَبَةِ جِدًّا يَنْبَغِي أَنْ تَدَارَكَهُ سَرِيعًا وَأَنْ تَرْفَعَ الْبُعْدَ الصُّورِيَّ مُعْتَقِدًا عَدَمَ الْإِسْتِطَاعَةِ فَإِنَّ جَمْعِيَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَرَاءَ جَمْعِيَّةِ سَائِرِ الْخَلْقِ وَأَسْبَابُ جَمْعِيَّةِ الْخَلْقِ بَاعِثَةٌ عَلَى تَفْرِقَةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ فَيَنْبَغِي التَّشَبُّثُ بِأَسْبَابِ تَفْرِقَةِ الْخَلْقِ حَتَّى تَحْصُلَ الْجَمْعِيَّةُ فَإِنْ أُعْطِيتَ هَذِهِ

---

(١) قالوا لم يوجد بهذا اللفظ ولكن معناه صحيح، وقد ورد: " أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون " ولا يقال له مجنون إلا لمخالفته سائر الناس، ولا تخالفهم إلا لكمال إيمانه فاتضح أن كمال الإيمان منشأ لهذا القول، وقد ورد أيضا: " خيار أمتي أحداؤهم " الحديث، وهذا الكلام يكثر وقوعه في هذا الكتاب وقد نقل معناه عن بعض الأعزة في المكتوب وفسر الجنون فراجعه فإن فيه شفاء منه.

الطَّائِفَةُ جَمْعِيَّةٌ فِي جَمْعِيَّةِ سَائِرِ الْخَلْقِ يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَ مِنْهَا وَأَنْ يَلْتَجِئَ إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لِئَلَّا تَكُونَ تِلْكَ الْجَمْعِيَّةُ آفَةَ الرُّوحِ وَلَا يَنْبَغِي الْقِيَاسُ عَلَى أَحْوَالِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَإِنَّ قَبْلَ التَّمَامِ كُلَّهُ مَرَاتِبُ النُّقْصَانِ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا (ع) وَلَا تَسْتَقِلَّ صَاحِ فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ * وَإِعْطَاءُ الْإِجَازَةِ لِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ بَعْضَ الْمُرِيدِينَ قَبْلَ بُلُوغِ دَرَجَةِ الْكَمَالِ مِنْ عَادَةِ مَشَائِخِ الطَّرِيقَةِ قَالَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ لِمَوْلَانَا يَعْقُوبَ الْجَرْخِيِّ بَعْدَ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَتَسْلِيكِهِ بَعْضَ الْمَنَازِلِ: يَا يَعْقُوبُ، كُلُّ مَا وَصَلَ مِنَّا إِلَيْكَ أَوْصِلْهُ إِلَى الْخَلْقِ وَالْحَالُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ تَكُونُ بَعْدِي فِي خِدْمَةِ عَلَاءِ الدِّينِ وَاشْتَغَلَ هُوَ بِأَكْثَرِ أَمْرِهِ فِي خِدْمَةِ الْخَوَاجَةِ عَلَاءِ الدِّينِ حَتَّى عَدَّهُ مَوْلَانَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَامِيُّ فِي النَّفَحَاتِ فِي عِدَادِ مُرِيدِي الْخَوَاجَةِ عَلَاءِ الدِّينِ أَوَّلًا ثُمَّ نَسَبَهُ إِلَى الْخَوَاجَةِ النَّقْشَبَنْدِ ثَانِيًا وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ عِلَاجَ هَذِهِ التَّفْرِقَةِ هُوَ صُحْبَةُ أَرْبَابِ الْجَمْعِيَّةِ وَقَدْ كَتَبُوا مُكَرَّرًا وَمُؤَكَّدًا وَسَمِعْنَا أَيْضًا أَنَّ مَوْلَانَا مُحَمَّدْ صِدِّيقْ اخْتَارَ الْعَسْكَرِيَّةَ وَتَرَكَ وَضْعَ الْفُقَرَاءِ وَطَوْرَهُمْ الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ يَنْحَطُّ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ وَحَالُهُ لَا يَخْلُو عَنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُعْطَى الْجَمْعِيَّةَ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ أَوْ لَا فَإِنْ أُعْطِيَهَا فَشَرٌّ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ فَأَشَدُّ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * وَالسَّلَامُ.

(١٢٠) الْمَكْتُوبُ الْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ أَيْضًا فِي التَّحْرِيضِ عَلَى صُحْبَةِ أَرْبَابِ الْجَمْعِيَّةِ

كَأَنَّهُ طَرَأَ النِّسْيَانُ عَلَى الْمِيرِ حَتَّى لَا يَتَذَكَّرَ بِسَلَامٍ وَتَحِيَّةٍ الْفُرْصَةُ قَلِيلَةٌ وَصَرْفُهَا إِلَى أَهَمِّ الْمُهَامِّ ضَرُورِيٌّ وَهُوَ صُحْبَةُ أَرْبَابِ الْجَمْعِيَّةِ لَا تَعْدِلُ بِالصُّحْبَةِ شَيْئًا أَيًّامَا كَانَ أَلَا تَرَى أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ فُضِّلُوا بِالصُّحْبَةِ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ سِوَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنْ كَانَ أُوَيْسًا قَرَنِيًّا أَوْ عُمَرَ مَرْوَانِيًّا مَعَ بُلُوغِهِمَا نِهَايَةَ الدَّرَجَاتِ وَوُصُولِهِمَا غَايَةَ الْكَمَالَاتِ سِوَى الصُّحْبَةِ فَلَا جَرَمَ كَانَ خَطَأُ مُعَاوِيَةَ خَيْرًا مِنْ صَوَابِهِمَا بِبَرَكَةِ الصُّحْبَةِ وَسَهْوُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَفْضَلَ مِنْ صَحْوِهِمَا لِمَا أَنَّ إِيمَانَ هَؤُلَاءِ الْكُبَرَاءِ صَارَ شُهُودِيًّا بِرُؤْيَةِ الرَّسُولِ وَحُضُورِ الْمَلَكِ وَشُهُودِ الْوَحْيِ وَمُعَايَنَةِ الْمُعْجِزَاتِ وَمَا اتَّفَقَ لِمَنْ عَدَاهُمْ هَذِهِ الْكَمَالَاتُ الَّتِي هِيَ أُصُولُ سَائِرِ الْكَمَالَاتِ كُلِّهَا وَلَوْ عَلِمَ أُوَيْسٌ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ بِهَذِهِ الْخَاصِّيَّةِ لَمْ يَمْنَعْهُ مَانِعٌ مِنَ الصُّحْبَةِ وَمَا آثَرَ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ عَلَى هَذِهِ الْفَضِيلَةِ ؛ ﴿وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١)

(شِعْرٌ): سكندر رانمى بخشند آبي *** بزور وزر ميسر نيست اينكار

تَرْجَمَةٌ: وَذُو الْقَرْنَيْنِ لَمْ يَظْفَرْ بِمَاءٍ *** بِهِ الْمَحْيَا بِمَالٍ أَوْ بِقُوَّةْ

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

اللّهُمّ وَإنْ لَمْ تَخلُقنَا فِي هَذهِ النّشأةِ فِي قَرْنِ هَؤُلاَءِ الأكابرِ فَاجعَلنَا فِي النّشأةِ الآخِرَةِ مَحشُورِينَ فِي زُمرَتِهِمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَالتَّسلِيمَاتُ وَالسَّلاَمُ.

(١٢١) اَلمَكتُوبُ الحَادي وَالعِشرُونَ وَالمِائَةُ إلَى المِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ أَيضًا فِي بَيَانِ أَنَّ هَذا الطَّرِيقَ تَقرَّرَ كُلُّهُ عَلَى سَبْعَةِ أَقْدَامٍ وَأَنَّهُ قَدْ وَصَلَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إلَى القَدَمِ السَّادِسَةِ

لِيَعلَمْ حِدمَةُ المِيرِ بَعْدَ مُطَالَعَةِ الدَّعوَاتِ الوَافِرَةِ أَنّهُ قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَلَمْ يُطّلَعْ عَلَى أَحْوَالِهِ وَلَمْ يَسْتَخبِرْ عَنْ أَحْوَالِ فُقَرَاءِ هَذهِ الجِهَةِ لِلّهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ انّ الفُقَرَاءَ مُرَفَّهُو الأحْوَالِ وَلْنُبَيِّنْ نُبْذَةً مِنْ أَطْوَارِهِمْ أَيُّهَا المُحِبُّ الصَّادِقُ إنَّ هَذَا الطَّرِيقَ تَقَرَّرَ كُلُّهُ عَلَى سَبْعَةِ أَقْدَامٍ. وَقَدْ أَوْصَلَ جَمْعٌ مِنَ الإخْوَانِ أَمْرَهُمْ إلَى سِتَّةِ أَقْدَامٍ وَالبَعْضُ الآخَرُ إلَى خَمْسَةٍ وَطَائِفَةٌ إلَى أَرْبَعَةٍ وَفِرْقَةٌ إلَى ثَلاَثَةٍ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ وَأَصْحَابُ الأقْدَامِ الثَّلاَثِ أَيْضًا يَقْدِرُونَ إفَادَةَ النَّاسِ يَعْنِي الطَّرِيقَةَ فَكَيْفَ جَمَاعَةٌ لَهُمْ سَبْعَةُ القَدَمِ يَنْبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهِمَّةِ دُونَ أَنْ يَكْتَفِيَ بِكُلِّ حَقِيرٍ وَنَقِيرٍ وَلَمْ يَسَعِ الوَقْتُ الزِّيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ.

(١٢٢) اَلمَكتُوبُ الثَّانِي وَالعِشرُونَ وَالمِائَةُ إلَى المُلاَّ طَاهِرِ البَدَخْشِيِّ فِي التَّحرِيضِ عَلَى عُلُوِّ الهِمَّةِ وَعَدَمِ الاِكتِفَاءِ بِكُلّمَا يَتَيَسَّرُ

انَّ مَوْلاَنَا طَاهِرًا مَعْذُورٌ وَمَوْلاَنَا يَارْ مُحَمَّدْ يُبَيِّنُ وَجْهَ الإنْتِقَالِ وَحَيْثُ انَّ إرَادَةَ السَّفَرِ إلَى جَانِبِ الهِنْدِ مُصَمَّمَةٌ فَلْيَذْهَبْ وَلْيَسْتَخبِرْ عَنِ الأهْلِ وَالعِيَالِ البَاقِي عِنْدَ التَّلاَقِي مَثَلٌ مَشْهُورٌ وَدَوَامُ الحُضُورِ وَالإجْتِنَابُ عَنِ الإختِلاَطِ بِالأغْيَارِ ضَرُورِيٌّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهِمَّةِ دُونَ أَنْ يَقْنَعَ بِكُلّمَا يَتَيَسَّرُ،

(شِعْرٌ): ما ازپى نوريكه بود مشرق أنوار *** از مغربي وكوكب ومشكاة كذشتيم

تَرْجَمَةٌ: وَمِنْ أَجْلِ نُورٍ مُشْرِقٍ كُلَّ أَنْوُرٍ *** تَجَاوَزْتُ مِشْكَاةً وَغَرْبًا وَكَوْكَبَا

وَأَكْثَرُ فُقَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ يُقِيمُونَ فِي مَقَامِ الرَّيِّ وَالاِكْتِفَاءِ يَعْنِي بِشَيْءٍ يَسِيرٍ فَصُحْبَتُهُمْ سَمٌّ قَاتِلٌ فِرَّ مِنْهُمْ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأسَدِ وَكُنْ مُلاَزِمًا لِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَيْسَ لِلوَاقِعَاتِ كَثِيرًا اعْتِبَارٌ فَإنَّ مَيْدَانَ التَّأْوِيلِ وَاسِعٌ فَلاَ يَنْبَغِي الإنْخِدَاعُ بِالمَنَامِ وَالخَيَالِ

(شِعْرٌ): كَيْفَ الوُصُولُ إلَى سُعَادَ وَدُونَهَا *** قُلَلُ الجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ. وَالسَّلاَمُ.

(١٢٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ طَاهِرِ الْبَدَخْشِي أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ أَدَاءَ النَّفْلِ وَإِنْ كَانَ حَجًّا دَاخِلٌ فِيمَا لاَ يَعْنِي إِذَا اسْتَلْزَمَ فَوْتَ فَرْضٍ مِنَ الْفَرَائِضِ

قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِي الْأَرْشَدِ لاَزَالَ كَأْسُهُ طَاهِرًا عَنْ دَنَسِ التَّعَلُّقَاتِ أَيُّهَا الْأَخُ .

قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَلاَمَةُ إِعْرَاضِ اللّٰهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ اشْتِغَالُهُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ وَالْإِشْتِغَالُ بِنَفْلٍ مِنَ النَّوَافِلِ مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنْ فَرْضٍ مِنَ الْفَرَائِضِ دَاخِلٌ فِيمَا لاَ يَعْنِي فَلَزِمَكَ تَفْتِيشُ أَحْوَالِكَ لِتَعْلَمَ أَنَّ اشْتِغَالَكَ بِأَيِّ شَيْءٍ بِنَفْلٍ أَوْ بِفَرْضٍ وَكَمْ مِنْ مَحْظُورٍ يُرْتَكَبُ فِي أَدَاءِ الْحَجِّ النَّفْلِ فَيَنْبَغِي أَنْ تُلاَحِظَ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً الْعَاقِلُ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى رُفَقَائِكُمْ.

(١٢٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ الْإِسْتِطَاعَةَ شَرْطٌ لِوُجُوبِ الْحَجِّ وَالْحَجَّ مَعَ عَدَمِ الْإِسْتِطَاعَةِ دَاخِلٌ فِي تَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ

قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِي الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ طَاهِرِ الْبَدَخْشِي لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ لَمْ يَتَطَرَّقِ الْفُتُورُ إِلَى إِخْلاَصِهِ لِلْفُقَرَاءِ وَمَحَبَّتِهِمْ مَعَ وُجُودِ تَمَادِي أَيَّامِ الْمُهَاجَرَةِ وَهَذِهِ عَلاَمَةُ سَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ (أَيُّهَا الْمُحِبُّ) لَمَّا طَلَبْتَ الْإِذْنَ يَعْنِي لِسَفَرِ الْحَجِّ وَصَمَّمْتَ الْعَزْمَ لِلسَّفَرِ قَدْ ذَكَرْتُ وَقْتَ الْوَدَاعِ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي هَذَا السَّفَرِ وَلَكِنْ كُلَّمَا قَصَدْتُ لَمْ تُوَافِقِ الْإِسْتِخَارَاتُ وَلَمْ يُفْهَمِ التَّجْوِيزُ فِي هَذَا الْبَابِ فَاخْتَرْتُ التَّقَاعُدَ بِالضَّرُورَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَهَابِكُمْ صَلاَحُ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْأَوَّلِ وَلَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ شَوْقَكُمْ لَمْ أَمْنَعْ صَرِيحًا وَالْإِسْتِطَاعَةُ شَرْطُ الدُّخُولِ فِي الطَّرِيقِ يَعْنِي طَرِيقَ الْحَجِّ وَبِدُونِ الْإِسْتِطَاعَةِ تَضْيِيعٌ لِلْأَوْقَاتِ وَالْإِشْتِغَالُ بِأَمْرٍ غَيْرِ ضَرُورِيٍّ تَارِكًا لِلْأَمْرِ الْأَهَمِّ لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا الْمَضْمُونَ مُكَرَّرًا وَصَلَ إِلَيْكُمْ أَوَّلاً وَالْقَوْلُ هُوَ هَذَا وَأَنْتُمُ الْمُخَيَّرُ.

(١٢٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِيرْ صَالِحِ النَّيْسَابُورِي فِي بَيَانِ أَنَّ الْعَالَمَ كَبِيرَهُ وَصَغِيرَهُ مَظَاهِرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ تَعَالَى شَأْنُهُ وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ تَعَالَى أَصْلاً سِوَى الْمَخْلُوقِيَّةِ وَالْمَظْهَرِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَللّٰهُمَّ أَرِنَا حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ اعْلَمْ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ كَبِيرَهُ وَصَغِيرَهُ مَظَاهِرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ تَعَالَى شَأْنُهُ وَمَرَايَا شُئُونَاتِهِ وَكَمَالاَتِهِ الذَّاتِيَّةِ وَكَانَ عَزَّ سُلْطَانُهُ كَنْزًا مَخْفِيًّا وَسِرًّا مَكْنُونًا فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْرِضَ كَمَالاَتِهِ مِنَ الْخَلاَءِ إِلَى الْمَلاَءِ وَأَنْ يُورِدَهَا مِنَ الْإِجْمَالِ إِلَى التَّفْصِيلِ فَخَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى نَهْجٍ يَكُونُ دَالاًّ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فَلَيْسَ لِلْعَالَمِ نِسْبَةٌ مَعَ صَانِعِهِ أَصْلاً إِلاَّ أَنَّهُ مَخْلُوقُهُ

تعالى ودالٌّ على أسمائه وشئوناته تعالى والحكمُ بالإتحاد والعينيَّة ونسبة الإحاطة والسريان والمعيَّة الذاتيات هناك من غلبة الحال وسكر الوقت والأكابرُ المستقيمو الأحوال الذين لهم شربٌ من قدح الصحو لا يثبتون للعالم نسبةً مع صانعه إلاّ المخلوقيّة والمظهريّة ويقولون بالإحاطة والسريان والمعيَّة العلميّات على طبق قول علماء أهل الحق شكر الله سعيهم والعجبُ من بعض الصوفيّة حيث يثبتون بعض النسبة الذاتيّة كالإحاطة والمعيّة مثلاً مع اعترافهم بسلب جميع النسب عن الذات حتّى الصفات الذاتيّة فهل هذا إلاّ تناقضٌ وإثباتُ المراتب في الذات لدفع هذا التناقض تكلّفٌ مثل التدقيقات الفلسفيّة وأربابُ الكشف الصحيح لا يشهدون الذات إلاّ بسيطاً حقيقيًّا ويعدّون ما وراءه كائنًا ما كان داخلاً في الأسماء، (شعرٌ):

وما قلّ هجرانُ الحبيب وإن غدا *** قليلاً ونصفُ الشعر في العين ضائرٌ

ولْنُبيِّن مثالاً لتحقيق هذا المبحث أراد عالمٌ نحريرٌ متفنّنٌ مثلاً إظهار كمالاته المكنونة وإبرازها في عرصة الظهور فأوجد الحروف والأصوات ليجلو كمالاته في حجاب تلك الحروف والأصوات ففي تلك الصورة لا نسبة لتلك الحروف والأصوات الدوالّ مع تلك المعاني المخزونة إلاّ أنّ هذه الحروف والأصوات مظاهرُ تلك المعاني المخفيّة ومرايا الكمالات المخزونة ولا معنى لأن يقال إنّ الحروف والأصوات عينُ تلك المعاني المخفيّة وكذلك الحكمُ بالإحاطة والمعيّة في هذه الصورة غيرُ مطابقٍ للواقع بل المعاني على صرافته المخزونة لم يتطرّق التغيّرُ إليها لا في ذاتها ولا في صفاتها أصلاً ولكن لمّا كان بين تلك المعاني وبين الحروف والأصوات الدالّة نوعُ مناسبةٍ من الدالّيّة والمدلوليّة يتخيّل منه بعضُ المعاني الزائدة وتلك المعاني المخزونة منزّهةٌ ومبرّأةٌ في الحقيقة عن تلك المعاني الزائدة وهذا هو معتقدنا في هذه المسألة وإثباتُ الأمر الزائد على المظهريّة والمرآتيّة من الاتحاد والعينيّة والإحاطة والمعيّة من السكر وذاته تعالى في الحقيقة معرّاةٌ عن النسبة ومبرّأةٌ عن المناسبة ما للتراب وربّ الأرباب وبهذا القدر من مناسبة الظاهريّة والمظهريّة يقال بوحدة الوجود أوّلاً بل في الواقع وجوداتٌ متعدّدةٌ لكن بطريق الأصالة والظلّيّة والظاهريّة والمظهريّة لا أنّ [1] الموجود واحدٌ وما سواه أوهامٌ وخيالاتٌ فإنّ هذا المذهب بعينه مذهبُ السوفسطائي وإثباتُ الحقيقة في العالم لا يخرجه من كونه أوهامًا وخيالات كما هو مقصودُ السوفسطائي، (شعرٌ):

وإذا عرفته أنت من هو أوّلاً *** ونسبت نفسك نحو حضرته العلي

وعلمت أنّك ظلّ من يا من درى *** كن فارغًا حيًّا وميّتا من ملا

---

[1] هذا القول منسوخ بما يأتي بعد مرة من ان العالم واقع في مرتبة الوهم والخيال وابدأ الفرق بين مذهب السوفسطائي وبين مذهب الصوفية المعول على ما هنالك لا على ما هنا (القزاني رحمة الله عليه)

(١٢٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِيرْ صَالِح النِّيسَابُورِيّ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ اَلْإِهْتِمَامُ فِي نَفْيِ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ آفَاقِيَّةً كَانَتْ أَوْ أَنْفُسِيَّةً وَإِثْبَاتِ الْمَعْبُودِ عَلَى الْحَقِّ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

أَيُّهَا السَّيِّدُ النَّقِيبُ يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ اَلْإِهْتِمَامُ فِي نَفْيِ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ آفَاقِيَّةً كَانَتْ أَوْ أَنْفُسِيَّةً وَكُلُّ مَا يَدْخُلُ فِي حَوْصَلَةِ الْفَهْمِ وَحِيطَةِ الْوَهْمِ وَقْتَ إِثْبَاتِ الْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ يَنْبَغِي أَنْ يُدْخِلَهُ تَحْتَ النَّفْيِ أَيْضًا وَأَنْ يَكْتَفِيَ بِمَوْجُودِيَّةِ الْمَطْلُوبِ (ع) هُوَ الْمَوْجُودُ لاَ شَيْءَ سِوَاهُ * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَسَاغٌ لِلْوُجُودِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ أَيْضًا بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَهُ مِنْ مَا وَرَاءَ الْوُجُودِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ بِزِيَادَةِ وُجُودِ الْوَاجِبِ تَعَالَى عَلَى ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَالْقَوْلُ بِعَيْنِيَّةِ الْوُجُودِ مَعَ الذَّاتِ وَعَدَمِ إِثْبَاتِ شَيْءٍ وَرَاءَ الْوُجُودِ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ (قَالَ) الشَّيْخُ عَلاَءُ الدَّوْلَةِ فَوْقَ عَالَمِ الْوُجُودِ عَالَمُ الْمَلِكِ الْوَدُودِ وَلَمَّا تَرَقَّى هَذَا الدَّرْوِيشُ مِنْ مَرْتَبَةِ الْوُجُودِ كَانَ مَغْلُوبَ الْحَالِ أَوْقَاتًا وَوَجَدَ نَفْسَهُ عَلَى وَجْهِ الذَّوْقِ وَالْوِجْدَانِ مِنْ أَرْبَابِ التَّعْطِيلِ وَلَمْ يَحْكُمْ بِوُجُودِ الْوَاجِبِ فَإِنَّهُ كَانَ تَرَكَ الْوُجُودَ فِي الطَّرِيقِ وَلَمْ يَجِدْ لِلْوُجُودِ مَجَالاً فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ وَكَانَ إِسْلاَمُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقْلِيدِيًّا لاَ تَحْقِيقِيًّا وَبِالْجُمْلَةِ اَنَّ كُلَّ مَا يَحْصُلُ فِي حَوْصَلَةِ الْمُمْكِنِ يَكُونُ مُمْكِنًا بِالطَّرِيقِ الْأَوْلَى فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ سَبِيلاً اِلاَّ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَلاَ يَظُنَّنَّ أَحَدٌ مِنْ حُصُولِ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ وَالْبَقَاءِ بِاللَّهِ اَنَّ الْمُمْكِنَ يَصِيرُ وَاجِبًا حَاشَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مُحَالٌ مُسْتَلْزِمٌ لِقَلْبِ الْحَقَائِقِ فَإِذَا لَمْ يَصِرِ الْمُمْكِنُ وَاجِبًا لاَ يَكُونُ نَصِيبُهُ غَيْرَ الْعَجْزِ، (شِعْرٌ):

وَلاَ أَحَدَ يَصْطَادُ عَنْقَاءَ فَاطَّرِحْ *** الْفَخَاخَ وَاِلاَّ دَامَ فِيكَ الْمَتَاعِبُ

وَعُلُوُّ الْهِمَّةِ يَطْلُبُ مَطْلَبًا لاَ يَحْصُلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلاَ يَبْدُو مِنْهُ اِسْمٌ وَلاَ رَسْمٌ وَطَائِفَةٌ يَطْلُبُونَ شَيْئًا يَجِدُونَهُ عَيْنَهُمْ وَيُثْبِتُونَ لَهُ قُرْبًا وَمَعِيَّةً (ع) لِكُلٍّ مِنَ الْإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ * وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(١٢٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ صَفَرْ أَحْمَدْ الرُّومِيّ فِي بَيَانِ أَنَّ خِدْمَةَ الْوَالِدَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَكِنَّهَا فِي جَنْبِ تَحْصِيلِ الْمَطْلَبِ الْحَقِيقِيِّ لاَ شَيْءٌ مَحْضٌ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَدْ وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الْمَرْغُوبُ وَالْعُذْرُ الَّذِي ذَكَرْتَهُ فِي بَابِ التَّوَقُّفِ صَحِيحٌ يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ أَزْيَدَ مِمَّا وَقَعَ وَأَنْ تَعْتَقِدَ نَفْسَكَ مُقَصِّرًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَيْضًا (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ فُضُولٌ مَحْضٌ فِي

حَسْبَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلَبِ الْحَقِيقِيِّ بَلْ فِي جَنْبِ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلُوكِ أَيْضًا تَعْطِيلٌ صِرْفٌ وَقَدْ سَمِعْتَ أَنَّ حَسَنَاتِ [1] الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ، (شِعْرٌ):

كُلُّمَا دُونَ هَوَى الْحَقِّ وَلَوْ * أَكْلَ قَنْدٍ فَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ**

وَحَقُّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مُقَدَّمٌ عَلَى حُقُوقِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فَإِنَّ أَدَاءَ حُقُوقِ الْخَلَائِقِ إِنَّمَا هُوَ لِامْتِثَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى وَإِلَّا لِمَنْ يَكُونُ مَجَالُ تَرْكِ خِدْمَتِهِ وَالْإِشْتِغَالِ بِخِدْمَةِ غَيْرِهِ فَخِدْمَةُ الْخَلَائِقِ بِهَذَا السَّبَبِ مِنْ جُمْلَةِ خِدْمَاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ خِدْمَةٍ وَخِدْمَةٍ كَثِيرٌ أَلَا تَرَى أَنَّ أَرْبَابَ الْحَرْثِ وَأَصْحَابَ الزَّرْعِ كُلَّهُمْ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَلَكِنْ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ خِدْمَتِهِمْ وَخِدْمَةِ الْمُقَرَّبِينَ حَتَّى أَنَّ إِجْرَاءَ اسْمِ الزِّرَاعَةِ وَالْحِرَاثَةِ عَلَى اللِّسَانِ هُنَاكَ مَعْصِيَةٌ وَأَجْرُ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مِقْدَارِ ذَلِكَ الْأَمْرِ فَأَهْلُ الْحِرَاثَةِ يَأْخُذُونَ دِرْهَمًا وَاحِدًا عَلَى خِدْمَةِ يَوْمٍ كَامِلٍ مَعَ غَايَةِ الْمِحْنَةِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْمُقَرَّبُونَ يَسْتَحِقُّونَ الْأُلُوفَ عَلَى سَاعَةِ خِدْمَةِ الْحُضُورِ.

وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَعَلُّقَ لَهُمْ بِتِلْكَ الْأُلُوفِ وَغَايَةُ مَرَامِهِمْ إِنَّمَا هِيَ قُرْبُ السُّلْطَانِ فَحَسْبُ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَفَرْخُ حُسَيْنٍ مُوَفَّقٌ جِدًّا يَعْنِي لِلتَّرَقِّي وَالْإِجْتِهَادِ وَلْيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ مِنْ طَرَفِهِ مَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلَامُ.

(١٢٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَةِ مُقِيمٍ فِي التَّرْغِيبِ فِي عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَعَدَمِ الْإِكْتِفَاءِ بِغَيْرِ الْمَطْلَبِ الْحَقِيقِيِّ

إِنَّ الْخَوَاجَةَ مُقِيمٌ لَا يَنْسَى النَّائِينَ الْمَهْجُورِينَ بَلْ يَرَاهُمْ قَرِيبًا لَا بَعِيدًا الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ الْمَسْلَكُ فِي غَايَةِ الطُّولِ وَالْمَطْلَبُ فِي كَمَالِ الرِّفْعَةِ وَالْهِمَمُ فِي نِهَايَةِ النُّقْصَانِ وَالْمَنَازِلُ الْوُسْطَانِيَّةُ فِي شِبْهِ الْمَطْلَبِ كَالسَّرَابِ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ظَنِّ الْوَسَطِ نِهَايَةً وَغَيْرِ الْمَقْصِدِ مَقْصِدًا وَتَصَوُّرِ الْمِثَالِيِّ وَالْكَيْفِيِّ مُنَزَّهًا عَنِ الْمِثَالِ وَالْكَيْفِ وَالتَّوَقُّفِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلَبِ الْحَقِيقِيِّ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الْهِمَّةِ وَأَنْ لَا يَقْنَعَ بِكُلِّ مَا يَحْصُلُ وَيَتَيَسَّرُ وَأَنْ يَطْلُبَ الْمَطْلُوبَ مِمَّا وَرَاءَ الْوَرَاءِ وَحُصُولُ مِثْلِ هَذِهِ الْهِمَّةِ مَوْقُوفٌ عَلَى تَوَجُّهِ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ وَتَوَجُّهُهُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى قَدْرِ إِخْلَاصِ الْمُرِيدِ الْمُقْتَدِي وَمَحَبَّتِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

(١٢٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى السَّيِّدِ نِظَامٍ فِي بَيَانِ أَنَّ جَامِعِيَّةَ الْإِنْسَانِ بَاعِثَةٌ عَلَى تَفَرُّقَتِهِ كَمَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِجَمْعِيَّتِهِ كَمَاءِ نِيلٍ مَاءٌ لِلْمَحْبُوبِينَ

[1] هو من كلام ابي سعيد الخراز. (القزاني رحمة الله عليه)

وَبَلاءٌ لِلْمَحْجُوبِينَ

قَدْ وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ (اعْلَمْ) أَنَّ الإِنْسَانَ جَمْعُ الْمَوْجُودَاتِ وَلَهُ تَعَلُّقٌ وَارْتِبَاطٌ بِالْمَوْجُودَاتِ الْمُتَكَثِّرَةِ بِوَاسِطَةِ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ فَكَانَتْ جَامِعِيَّتُهُ بَاعِثَةً عَلَى زِيَادَةِ بُعْدِهِ مِنْ جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ عَلَى بُعْدِ الْكُلِّ وَتَعَلُّقَاتُهُ الْمُتَعَدِّدَةُ كَانَتْ سَبَبًا لِزِيَادَةِ حِرْمَانِهِ عَلَى حِرْمَانِ مَا سِوَاهُ فَإِنْ جَمَعَ نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ التَّعَلُّقَاتِ الْمُتَشَتِّتَةِ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ شَأْنُهُ وَرَجَعَ بِقَهْقَرَى فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَإِلاَّ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا فَكَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ أَفْضَلُ الْمَوْجُودَاتِ بِوَاسِطَةِ الْجَامِعِيَّةِ كَذَلِكَ هُوَ شَرُّ الْمَخْلُوقَاتِ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْجَامِعِيَّةِ وَمِرْآتُهُ أَتَمُّ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْجَامِعِيَّةِ فَإِنْ جَعَلَ وَجْهَهَا نَحْوَ الْعَالَمِ فَهِيَ أَشَدُّ تَكَدُّرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ وَجَّهَ وَجْهَهَا نَحْوَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فَأَشَدُّ صَفَاءً وَإِرَاءَةً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَكَمَالُ حُرِّيَّةِ الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ التَّعَلُّقَاتِ مِنْ خَوَاصِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَقِيَّةِ الأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الأَوْلِيَاءِ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى أَتْبَاعِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ النَّجَاةَ مِنْ هَذِهِ التَّعَلُّقَاتِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمَمْدُوحِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ مُوجِبَةٌ لِلْمَلاَلِ وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

(١٣٠) الْمَكْتُوبُ الثَّلاَثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ فِي بَيَانِ أَنْ لاَ اعْتِبَارَ بِتَلْوِينَاتِ الأَحْوَالِ بَلْ يَنْبَغِي تَحْصِيلُ مَطْلَبٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ

لَيْسَ لِتَلْوِينَاتِ الأَحْوَالِ كَثِيرُ اعْتِبَارٍ يَنْبَغِي عَدَمُ الاِلْتِفَاتِ إِلَيْهَا سَوَاءٌ كَانَ ذَهَابًا أَوْ مَجِيئًا أَوْ تَكَلُّمًا أَوْ سَمَاعًا فَإِنَّ الْمَقْصُودَ غَيْرُ ذَلِكَ وَهُوَ مُبَرَّأٌ وَمُنَزَّهٌ عَنِ التَّكَلُّمِ وَالسَّمَاعِ وَالرُّؤْيَةِ وَالشُّهُودِ وَإِنَّمَا يُتَسَلَّى بِجَوْزِ الْحَالِ وَمَوْزِهِ أَطْفَالُ الطَّرِيقَةِ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الْهِمَّةِ فَإِنَّ الأَمْرَ وَرَاءَ ذَلِكَ وَكُلُّ ذَلِكَ مَنَامٌ وَخَيَالٌ وَمَنْ رَأَى نَفْسَهُ أَنَّهُ صَارَ سُلْطَانًا فِي الْمَنَامِ لَيْسَ هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ هَذَا الْمَنَامَ يُورِثُ رَجَاءً وَطَمَعًا لِصَاحِبِهِ لاَ اعْتِبَارَ لِلْوَقَائِعِ الْمَنَامِيَّةِ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَهَذَا الْبَيْتُ مَسْطُورٌ فِي كُتُبِهِمُ الْعَلِيَّةِ،

(شِعْرٌ):

وَإِنِّي غُلاَمُ الشَّمْسِ أَرْوِي حَدِيثَهَا * وَمَالِي وَلِلَّيْلِ فَأَرْوِي حَدِيثَهُ**

فَإِنْ حَصَلَ حَالٌ مِنَ الأَحْوَالِ أَوْ زَالَ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَحَلٍّ لِلسُّرُورِ وَلاَ هَذَا بِمُوجِبٍ لِلْغَمِّ وَالاِنْفِعَالِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُنْتَظِرًا لِلْمَقْصُودِ الْمُنَزَّهِ عَنِ الْكَيْفِ وَالْمِثَالِ وَالسَّلاَمُ.

(١٣١) المَكْتُوبُ الْحَادِي وَالثَّلاَثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَةِ مُحَمَّدْ أَشْرَفْ الْكَابِلِيِّ فِي بَيَانِ عُلُوِّ شَأْنِ طَرِيقَةِ حَضَرَاتِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ وَالشِّكَايَةِ مِنْ جَمَاعَةٍ أَحْدَثُوا فِيهَا إِحْدَاثَاتٍ وَاعْتَقَدُوهَا تَكْمِلَةً لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَلْيَعْلَمْ أَخِي الْأَرْشَدُ الْخَوَاجَةُ مُحَمَّدْ أَشْرَفْ شَرَّفَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِتَشْرِيفَاتِ أَوْلِيَائِهِ الْكِرَامِ أَنَّ طَرِيقَةَ حَضَرَاتِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ أَقْرَبُ الطُّرُقِ الْمُوَصِّلَةِ وَنِهَايَةُ سَائِرِ الْمَشَائِخِ مُنْدَرِجَةٌ فِي بِدَايَةِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ وَنِسْبَتُهُمْ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ كُلُّ ذَلِكَ الْمَزَايَا لِوُجُودِ الْتِزَامِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْإِجْتِنَابِ عَنِ الْبِدْعَةِ الشَّنِيعَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ الْعَمَلَ بِالرُّخْصَةِ وَإِنْ وَجَدُوهَا نَافِعَةً لِأَمْرِ الْبَاطِنِ فِي الظَّاهِرِ وَلاَ يُفَارِقُونَ الْعَمَلَ بِالْعَزِيمَةِ وَإِنْ يَرَوْنَهَا مُضِرَّةً فِي السَّيْرَةِ بِحَسَبِ الصُّورَةِ يَجْعَلُونَ الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ تَابِعَةً لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْأَذْوَاقَ وَالْمَعَارِفَ خَادِمَةٌ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلاَ يُبَدِّلُونَ جَوَاهِرَ الشَّرِيعَةِ النَّفِيسَةَ مِثْلَ الْأَطْفَالِ بِجَوْزِ الْوَجْدِ وَمَوْزِ الْحَالِ وَلاَ يَغْتَرُّونَ بِتُرُّهَاتِ جَهَلَةِ الصُّوفِيَّةِ وَلاَ يُفْتَتَنُونَ بِأَبَاطِيلِهِمْ وَلاَ يَتْرُكُونَ النُّصُوصَ بِالْفُصُوصِ وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ تَارِكِينَ لِلْفُتُوحَاتِ الْمَدَنِيَّةِ حَالُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ وَوَقْتُهُمْ مُسْتَمِرٌّ وَمُسْتَدَامٌ وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الْبَرْقِيُّ الَّذِي هُوَ كَالْبَرْقِ لِغَيْرِهِمْ دَائِمٌ لِهَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ وَالْحُضُورُ الَّذِي تَعْقُبُهُ الْغَيْبَةُ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الْإِعْتِبَارِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ (**رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**) وَلَكِنْ لاَ يَصِلُ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَى مَذَاقِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ بَلْ يَكَادُ يُنْكِرُ قَاصِرُوا هَذِهِ الطَّرِيقَةِ عَلَى بَعْضِ كَمَالاَتِهِمْ:

(شِعْرٌ):

لَوْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا *** بَرَأْتُ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَشِ الْكَلِمِ

(**نَعَمْ**) قَدْ أَحْدَثَ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِحْدَاثَاتٍ فِيهَا وَضَيَّعَ أَصْلَ سِيرَةِ الْأَكَابِرِ وَزَعَمَ جَمْعٌ مِنْ مُرِيدِيهِ أَنَّهُمْ كَمَّلُوا الطَّرِيقَةَ بِتِلْكَ الْمُحْدَثَاتِ حَاشَا وَكَلاَّ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ بَلْ هُمْ سَعَوْا فِي تَخْرِيبِهَا وَتَضْيِيعِهَا يَا أَسَفًا كُلَّ الْأَسَفِ عَلَى مَا أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بَعْضَ بِدَعٍ لاَ وُجُودَ لَهُ فِي سَلاَسِلَ أُخَرَ أَصْلاً حَيْثُ يُصَلُّونَ صَلاَةَ التَّهَجُّدِ بِجَمَاعَةٍ وَيَجْتَمِعُ النَّاسُ مِنَ الْأَطْرَافِ وَالْجَوَانِبِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِصَلاَةِ التَّهَجُّدِ وَيُؤَدُّونَهَا بِجَمْعِيَّةٍ تَامَّةٍ وَهَذَا الْعَمَلُ مَكْرُوهٌ كَرَاهَةً تَحْرِيمِيَّةً وَالَّذِينَ اشْتَرَطُوا التَّدَاعِيَ لِتَحَقُّقِ الْكَرَاهَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ قَيَّدُوا جَوَازَ التَّنَفُّلِ بِجَمَاعَةٍ بِأَدَائِهَا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحَقُّقِ الْكَرَاهَةِ إِنْ زَادُوا عَلَى ثَلاَثَةٍ (**وَأَيْضًا**) إِنَّ هَؤُلاَءِ الْمُحْدِثِينَ يَعْتَقِدُونَ التَّهَجُّدَ بِهَذَا الْوَضْعِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً فَيُصَلُّونَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً قَائِمِينَ وَرَكْعَتَيْنِ قَاعِدِينَ زَاعِمِينَ أَنَّ لَهُمَا حُكْمَ رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ فَتَكُونُ بِهَا ثَلاَثَ

عَشْرَةَ رَكْعَةً وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا فَإِنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ [1] يُصَلِّي أَحْيَانًا ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَأَحْيَانًا إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً وَأَحْيَانًا تِسْعَ رَكَعَاتٍ وَأَحْيَانًا سَبْعًا وَالْفَرْدِيَّةُ إِنَّمَا عُرِضَتْ لِلتَّهَجُّدِ بِصَلَاةِ الْوِتْرِ لَا أَنَّهُ أُعْطِيَ لِرَكْعَتَيِ الْقُعُودِ حُكْمُ رَكْعَةِ الْقِيَامِ وَمَنْشَأُ أَمْثَالِ هَذَا الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَدَمُ تَتَبُّعِ السُّنَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَالْعَجَبُ مِنْ رَوَاجِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمُحْدَثَاتِ فِي بِلَادِ الْعُلَمَاءِ وَمَأْوَى الْمُجْتَهِدِينَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ مَعَ أَنَّ أَمْثَالَنَا الْفُقَرَاءَ يَسْتَفِيضُونَ الْعُلُومَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُلْهِمُ لِلصَّوَابِ.

(شِعْرٌ):

بَثَثْتُ لَدَيْكُمْ مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ *** تَمَلُّوا وَإِلَّا فَالْكَلَامُ كَثِيرٌ * وَالسَّلَامُ.

(١٣٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدٍ صِدِّيقٍ الْبَدَخْشِيِّ فِي التَّحْذِيرِ عَنْ صُحْبَةِ أَرْبَابِ الْغِنَى وَالتَّرْغِيبِ فِي صُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. أَيُّهَا الْأَخُ الطَّاهِرُ إِنَّكَ مَلَلْتَ مِنْ صُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ وَاخْتَرْتَ صُحْبَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَبِئْسَ مَا صَنَعْتَ فَإِنْ كَانَ عَيْنُكَ مُغْمَضَةً الْيَوْمَ سَتَنْكَشِفُ غَدًا فَلَا تَرَى فَائِدَةً غَيْرَ النَّدَامَةِ، وَالشَّرْطُ الْخَيْرُ.

(أَيُّهَا الْمُهَوَّسُ) إِنَّ حَالَكَ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ تَنَالَ الْجَمْعِيَّةَ فِي مَجْلِسِ الْأَغْنِيَاءِ أَوْ لَا فَإِنْ تَنَلْ فَشَرٌّ وَإِلَّا فَأَشَدُّ شَرًّا فَإِنَّكَ إِنْ تَنَلْهَا فَهِيَ اسْتِدْرَاجٌ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ تَنَلْ فَمِصْدَاقُ الْحَالِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ كُنَاسَةُ الْفُقَرَاءِ أَفْضَلُ مِنْ قُعُودِ الْأَغْنِيَاءِ فِي الصَّدْرِ وَهَذَا الْكَلَامُ يَكُونُ مَعْقُولًا عِنْدَكَ الْيَوْمَ أَوَّلًا وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَسَيَصِيرُ لَكَ مَعْلُومًا وَلَكِنَّهُ لَا يُفِيدُ وَإِنَّمَا أَوْقَعَكَ فِي هَذَا الْبَلَاءِ اشْتِهَاءُ الْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْأَلْبِسَةِ الْفَاخِرَةِ وَلَمْ يَفُتِ الْأَمْرُ الْآنَ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ فِي أَصْلِ الْأَمْرِ وَالْفِرَارُ مِنْ كُلِّ مَا يَكُونُ مَانِعًا عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالْحَذَرُ مِنْهُ مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ عَدُوٌّ قَوْلُهُ تَعَالَى (**إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**) نَصٌّ قَاطِعٌ وَقَدِ اقْتَضَتْ رِعَايَةُ حُقُوقِ الصُّحْبَةِ أَنْ أَنْصَحَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً تَعْمَلُ بِهَا أَوْ لَا وَقَدْ كُنْتُ عَرَفْتُ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ حِينَ شَاهَدْتُ فُضُولِيَّاتِكَ أَنَّ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الْفَقْرِ عَسِيرَةٌ بِهَذَا الْوَضْعِ،

(شِعْرٌ):

---

[1] (قوله كان يصلي الخ) اخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة وعن مسروق سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبع وتسع واحدى عشرة سوى ركعتي الفجر رواه البخاري (الفزاني رحمة الله عليه)

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا *** إِنَّا إِلَى اللهِ رَاجِعُونَا

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾(١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَقَدْ كُنْتُ مُتَوَقِّعًا مِنْ فِطْرَتِكَ وَاسْتِعْدَادِكَ شَيْئًا آخَرَ فَأَنْتَ رَمَيْتَ الْجَوْهَرَ النَّفِيسَ فِي السِّرْقِينِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

(١٣٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدْ صِدِّيقْ أَيْضًا فِي بَيَانِ اغْتِنَامِ الْفُرْصَةِ وَعَدَمِ تَضْيِيعِ الْوَقْتِ

قَدْ وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ يَنْبَغِي اغْتِنَامُ الْفُرْصَةِ وَعَدَمُ تَضْيِيعِ الْوَقْتِ وَلَا يَحْصُلُ شَيْءٌ مِنَ الرُّسُومِ وَالْعَادَاتِ وَلَا يَزِيدُ شَيْءٌ مِنَ التَّمَحُّلِ وَالتَّعَلُّلِ غَيْرَ الْخَسَارَةِ وَقَدْ قَالَ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا "هَلَكَ الْمُسَوِّفُونَ" وَصَرْفُ نَقْدِ الْعُمْرِ الْمُحَقَّقِ الْمَوْجُودِ إِلَى الْأَمْرِ الْمَوْهُومِ وَحِفْظُ الْمَوْهُومِ لِلْمَوْجُودِ مُسْتَنْكَرَةٌ جِدًّا فَإِنَّ نَقْدَ الْوَقْتِ يَنْبَغِي أَنْ يُصْرَفَ فِي الْأَمْرِ الْأَهَمِّ وَالنَّسِيئَةُ تَسْتَدْعِي أَنْ تَدَّخِرَ لِمَا لَا يَعْنِي مِنَ الْمُزَخْرَفَاتِ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ ذَرَّةً مِنْ لَذَّةِ الطَّلَبِ وَعَدَمِ الْقَرَارِ وَالسُّكُونَةِ حَتَّى تَتَيَسَّرَ النَّجَاةُ مِنَ السُّكُونِ إِلَى مَا سِوَاهُ تَعَالَى وَلَا حَاصِلَ فِي الْقِيلِ وَالْقَالِ وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ سَلَامَةُ الْقَلْبِ يَنْبَغِي الْفِكْرُ فِي الْأَصْلِ وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا لَا يَعْنِي بِالتَّمَامِ.

(شِعْرٌ):

كُلُّ مَا دُونَ هَوَى الْحَقِّ وَلَوْ *** أَكْلَ قَنْدٍ فَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ

وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ(٢).

(١٣٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدْ صِدِّيقْ أَيْضًا فِي الْمَنْعِ عَنِ التَّسْوِيفِ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عُرُوجَاتٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ فِي مَدَارِجِ قُرْبِهِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ (أَيُّهَا) الْمُحِبُّ إِنَّ الْوَقْتَ سَيْفٌ قَاطِعٌ وَلَا يُدْرَى أَنَّهُ هَلْ تُعْطَى الْفُرْصَةُ غَدًا أَوْ لَا

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(٢) الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

فَيَنْبَغِي تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَتَأْخِيرُ غَيْرِ الْأَهَمِّ إِلَى غَدٍ وَهَذَا حُكْمُ الْعَقْلِ وَمُقْتَضَاهُ وَلاَ أُرِيدُ بِالْعَقْلِ عَقْلَ الْمَعَاشِ بَلْ عَقْلَ الْمَعَادِ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ.

(١٣٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُخْلِصِ الصِّدِّيقِ مُحَمَّدْ صِدِّيقْ فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الْوَلاَيَةِ عَامَّةً كَانَتْ أَوْ خَاصَّةً مَعَ بَعْضِ خَوَاصِّ الْخَاصَّةِ

اعْلَمْ أَنَّ الْوَلاَيَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَهِيَ إِمَّا عَامَّةٌ وَإِمَّا خَاصَّةٌ وَنَعْنِي بِالْعَامَّةِ مُطْلَقَ الْوَلاَيَةِ وَبِالْخَاصَّةِ الْوَلاَيَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ وَالتَّحِيَّةِ، اَلْفَنَاءُ فِيهَا أَتَمُّ وَالْبَقَاءُ أَكْمَلُ وَمَنْ شُرِّفَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى فَقَدْ لاَنَ جِلْدُهُ لِلطَّاعَةِ وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ لِلْإِسْلاَمِ وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ فَرَضِيَتْ عَنْ مَوْلاَهَا وَرَضِيَ مَوْلاَهَا عَنْهَا وَسَلِمَ قَلْبُهُ لِمُقَلِّبِهِ وَتَخَلَّصَتْ رُوحُهُ كُلِّيَّةً إِلَى مُكَاشَفَاتِ حَضْرَةِ صِفَاتِ اللاَّهُوتِ وَشَاهَدَ سِرُّهُ مَعَ مُلاَحَظَةِ الشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ شُرِّفَ بِالتَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ الْبَرْقِيَّةِ وَتَحَيَّرَ خَفِيُّهُ لِكَمَالِ التَّنَزُّهِ وَالتَّقَدُّسِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَاتَّصَلَ أَخْفَاهُ اتِّصَالاً بِلاَ تَكَيُّفٍ وَضَرْبٍ مِنَ الْمِثَالِ هَذَا (ع) هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا *

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الْوَلاَيَةَ الْخَاصَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ سَائِرِ مَرَاتِبِ الْوَلاَيَةِ فِي طَرَفِ الْعُرُوجِ وَالنُّزُولِ أَمَّا فِي طَرَفِ الْعُرُوجِ فَلِأَنَّ فَنَاءَ الْأَخْفَى وَبَقَاءَهُ مُخْتَصَّانِ بِتِلْكَ الْوَلاَيَةِ الْخَاصَّةِ وَعُرُوجَ سَائِرِ الْوَلاَيَاتِ إِلَى الْخَفِيِّ فَقَطْ مَعَ تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا يَعْنِي أَنَّ عُرُوجَ بَعْضِ أَرْبَابِ الْوَلاَيَاتِ إِلَى مَقَامِ الرُّوحِ وَعُرُوجَ الْبَعْضِ إِلَى السِّرِّ وَعُرُوجَ الْبَعْضِ الْآخَرِ إِلَى الْخَفِيِّ وَهُوَ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْوَلاَيَةِ الْعَامَّةِ وَأَمَّا فِي طَرَفِ النُّزُولِ فَلِأَنَّ لِأَجْسَادِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ نَصِيبًا مِنْ كَمَالاَتِ دَرَجَاتِ تِلْكَ الْوَلاَيَةِ لِمَا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِالْجَسَدِ [1] إِلَى مَا شَاءَ اللهُ وَعُرِضَ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ مَا أُوحِيَ وَشُرِّفَ [2] ثَمَّةَ بِالرُّؤْيَةِ الْبَصَرِيَّةِ وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْمِعْرَاجِ مَخْصُوصٌ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْأَوْلِيَاءُ الْمُتَابِعُونَ لَهُ كَمَالَ الْمُتَابَعَةِ السَّالِكُونَ تَحْتَ قَدَمِهِ لَهُمْ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْمَخْصُوصَةِ (ع) وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبٌ *

---

[1] (قوله بالجسد الخ) قال على القارى والحق الذى عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بجسده فمن طالعها وبحث عنها لا يعدل عن الظاهر ولا استحالة فى حملها على ظاهرها حتى يحتاج الى التأويل اه (الغزانى رحمة الله عليه)

[2] (قوله وشرف ثمة بالرؤية البصرية) وهذا ايضا ما عليه الجمهور من المحققين وفى مسند الامام احمد اريه فى اليقظة بعينه ولو كان فى المنام لما انكرت قريش ولا ارتدت جماعة اه. قلت التعليل هذا اولى لكون المعراج بالجسد فان استبعادهم اياه اكثر من استبعاد رؤية الله تعالى بالبصر كما لا يخفى من حالهم وجهلهم بالله (الغزانى رحمة الله عليه)

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ وُقُوعَ الرُّؤْيَةِ فِي الدُّنْيَا مَخْصُوصٌ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْحَالَةُ الَّتِي حَصَلَتْ لِلْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ تَحْتَ قَدَمِهِ لَيْسَتْ بِرُؤْيَةٍ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرُّؤْيَةِ وَتِلْكَ الْحَالَةِ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ وَالشَّخْصِ وَالظِّلِّ وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا عَيْنَ الْآخَرِ.

(١٣٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ مُحَمَّدْ صِدِّيقْ أَيْضًا فِي الْمَنْعِ عَنِ التَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ الْحَقِيقِيِّ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الْمَرْغُوبُ وَحَيْثُ أَنَّ الْقَاصِدَ وَصَلَ فِي أَوَاخِرِ الْعَشْرِ الْمُتَبَرِّكِ كُنْتُ بَعْدَ مُضِيِّهِ مَشْغُولاً بِكِتَابَةِ جَوَابَاتِ الْمَكَاتِيبِ وَقَدْ كُتِبَ جَوَابُ مَكْتُوبِ خَانْ خَانَانْ وَمَكْتُوبِ الْخَوَاجَهْ عَبْدِ اللهِ أَيْضًا وَأُرْسِلاَ إِلَيْهِمَا يَنْبَغِي مُطَالَعَتُهُمَا بِالْمُلاَحَظَةِ وَذَهَابُكَ إِلَى الْعَسْكَرِ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ لَيْسَ بِمَعْقُولٍ لِلْفَقِيرِ وَمَا الْحِكْمَةُ فِيهِ وَالْأَمْرُ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ يَنْبَغِي الْمُلاَحَظَةُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَعْطَاكَ قُوتَ الْيَوْمِ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ فَاللاَّئِقُ بِكَ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِكَ مُغْتَنِمًا ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَجْعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى تَحْصِيلِ قُوتِ يَوْمٍ آخَرَ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَرُّ حِينَئِذٍ إِلَى التَّسَلْسُلِ وَطُولُ الْأَمَلِ كُفْرٌ فِي طَرِيقِ الْفَقْرِ وَالتَّخَلُّصُ مِنْ مُعَامَلَةِ الْقَرْضِ لاَ يُدْرَى أَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ طَرَفِ خَوَاجَكِي أَوْ لاَ فَإِنْ كَانَ فِيهِ اشْتِبَاهٌ فَاكْتُبْ إِلَى خَوَاجَكِي كِتَابًا مُنَقَّحًا صَرِيحًا فَإِنْ كَتَبَ فِي جَوَابِهِ مُنَقَّحًا وَفُهِمَ مِنْهُ الْوَعْدُ الْمُؤَكَّدُ فَاذْهَبْ بِهَذِهِ النِّيَّةِ وَلَكِنْ مَاذَا يَكُونُ عِلاَجُ التَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ وَكُلُّ شَيْءٍ تَخْتَارُهُ وَتَفْعَلُهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْتَعْجِلَ فِيهِ فَإِنَّ الْفُرْصَةَ غَنِيمَةٌ جِدًّا.

(١٣٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْحَاجِّ خِضْرِ الْأَفْغَانِيِّ فِي بَيَانِ عُلُوِّ شَأْنِ الصَّلاَةِ الْمَنُوطِ كَمَالُهَا بِالْوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الْمَرْغُوبُ وَاتَّضَحَ مَا فِيهِ اعْلَمْ أَنَّ الْإِلْتِذَاذَ بِالْعِبَادَةِ وَارْتِفَاعَ الْكُلْفَةِ فِي أَدَائِهَا مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خُصُوصًا فِي أَدَاءِ الصَّلاَةِ فَإِنَّهُ لاَ يَتَيَسَّرُ فِيهَا لِغَيْرِ الْمُنْتَهِي خُصُوصًا فِي أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْفَرْضِيَّةِ فَإِنَّ الْإِبْتِدَاءَ لاَ الْتِذَاذَ فِيهِ إِلاَّ بِالنَّوَافِلِ وَأَمَّا فِي النِّهَايَةِ فَتَكُونُ تِلْكَ النِّسْبَةُ مَنُوطَةً بِالْفَرَائِضِ وَيُرَى فِيهَا الْإِشْتِغَالُ بِالنَّوَافِلِ تَعْطِيلاً وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ لِلْمُنْتَهِي هُوَ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ فَقَطْ (ع) وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ * وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْإِلْتِذَاذَ الَّذِي يَحْصُلُ حِينَ أَدَاءِ الصَّلاَةِ لاَ حَظَّ لِلنَّفْسِ فِيهِ أَصْلاً بَلْ هِيَ عَيْنُ ذَلِكَ الْإِلْتِذَاذِ فِي الْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ سُبْحَانَ اللهِ أَيُّ رُتْبَةٍ هَذَا (ع) هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا * وَالتَّكَلُّمُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ وَسَمَاعُنَا إِيَّاهُ أَيْضًا غَنِيمَةٌ لِأَمْثَالِنَا الْمَهُوسِينَ (ع) دَعُونَا نُسَلِّي بِالْأَمَانِي قُلُوبَنَا (وَاعْلَمْ) أَيْضًا أَنَّ رُتْبَةَ

الصَّلاة مثلُ رُتْبَة الرُّؤْيَةِ في الآخرة فنهايةُ القُرْبِ في الدُّنْيَا إِنَّمَا هِيَ في الصَّلاة ونهايةُ القُرْبِ في الآخرة في عَيْنِ الرُّؤْيَةِ وأيضًا إنّ سائرَ العباداتِ وسائلُ للصَّلاةِ والصَّلاةُ من المقاصدِ والسَّلامُ والإكرامُ.

(١٣٨) المَكْتُوبُ الثَّامِنُ والثَّلاثُونَ والمائةُ إلى الشَّيْخِ بَهاءِ الدِّينِ السَّرْهَنْدِيِّ في مَذَمَّةِ الدُّنْيَا والتَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ أَرْبَابِهَا

لا يكوننَّ ولدُ الأرشدِ مغرورًا ومسرورًا بهذه الدُّنيَّة المبغوضِ عليها ولا يُضَيِّعَنَّ بضاعةَ الإقبالِ إلى جنابِ قُدْسِ الحقِّ جلَّ سلطانُه ينبغي التَّفكُّرُ أيُّ شيءٍ يباعُ وأيُّ شيءٍ يُشترى تبديلُ الآخرةِ بالدُّنيا والامتناعُ من طلبِ الحقِّ بالخلقِ من السَّفاهةِ والجهالةِ والجمعُ بين الدُّنيا والآخرةِ من قبيلِ الجمعِ بين الأضدادِ (ع) ما أحسنَ الدِّينَ والدُّنْيَا لو اجتمعا * فاخترْ ما شئتَ من هذينِ الضِّدَّينِ وبِعْ نفسَك من أيِّهما شئتَ، عذابُ الآخرةِ أبديٌّ ومتاعُ الدُّنيا قليلٌ والدُّنيا مبغوضٌ عليها عند الحقِّ سبحانه والآخرةُ مرضيَّةٌ له تعالى وتقدَّسَ (شعرٌ):

عِشْ ما شئتَ فإنّكَ ميتٌ *** والزمْ ما شئتَ فإنّكَ مُفارِقٌ

ولا بُدَّ من تركِ العيالِ والأولادِ أخيرًا وتفويضِهم إلى الحقِّ سبحانه فينبغي لك أن تحسبَ نفسَك اليومَ ميّتًا وأن تفوِّضَهم إلى الله تعالى إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم نصٌّ قاطعٌ وقد سمعتَ مكرّرًا أنّ نومَ الأرنبِ يعني الغفلةَ والغرورَ إلى متى يمتدُّ فلا بُدَّ من التَّنبُّهِ والتَّيقُّظِ واعلمْ أنّ صحبةَ أهلِ الدُّنيا والاختلاطَ بهم سمٌّ قاتلٌ وقتيلُ هذا السُّمِّ ميّتٌ بالموتِ الأبديِّ العاقلُ تكفيه الإشارةُ فكيفَ التَّصريحُ مع هذه المبالغةِ والتَّأكيدِ وطعامُ الملوكِ وإن كانَ لذيذًا ولكنّه يُزيدُ مرضَ القلبِ فكيفَ يُرجى الفلاحُ والنَّجاةُ الحذرَ الحذرَ الحذرَ، (شعرٌ):

وما هو من شرطِ البلاغِ أقولُه *** فخُذْ منهُ نُصحًا خالصًا أو مَلالَةً

فرَّ من صحبتِهم أكثرَ ممّا تفرُّ من الأسدِ فإنّ الفرارَ منهم وإن أوجبَ الموتَ الدُّنيويَّ ولكنّه قد يُفيدُ في الآخرةِ واختلاطُ الملوكِ يُوجبُ الهلاكَ الأبديَّ والخسارَ السَّرمديَّ فإيّاكَ وصحبتَهم وإيّاكَ ولقمتَهم وإيّاكَ ومحبّتَهم وإيّاكَ ورؤيتَهم وقد وردَ في الخبرِ الصَّحيحِ "من تواضعَ لغنيٍّ لغناه ذهبَ ثُلثا دينِه" ينبغي لك الملاحظةُ أنّ كلَّ ذلك التَّواضعِ والملاينةِ هل هو من جهةِ غناهم أو من جهةِ شيءٍ آخرَ ولا شكَّ في أنّه من جهةِ غناهم ونتيجتُه ذهابُ ثُلثَي الدِّينِ فأينَ أنتَ من الإسلامِ وأينَ أنتَ من النَّجاةِ وكلُّ هذه المبالغةِ والإبرامِ ليعلمَ ولدي أنّ لقمةَ غيرِ الجنسِ وصحبتَهم محجِّبٌ قلبَه عن تذكُّرِ المواعظِ وتعقُّلِ النَّصائحِ فلا يكادُ يتأثَّرُ من الكلمةِ والكلامِ فالحذرَ الحذرَ من صحبتِهم والحذرَ الحذرَ من رؤيتِهم والله سبحانه الموفِّقُ

نَجَّانَا اللّٰهُ وَإِيَّاكُمْ عَمَّا لَا يَرْضَى عَنْهُ رَبُّنَا الْمُتَعَالِي بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمَمْدُوحِ بِمَا زَاغَ الْبَصَرُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَالسَّلَامُ.

(١٣٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى جَعْفَرْ بَكْ التِّهَانِي فِي بَيَانِ جَوَازِ هَجْوِ جَمَاعَةِ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ يَطْعَنُونَ فِي أَهْلِ اللّٰهِ وَفِي اسْتِحْسَانِ ذَمِّهِمْ

قَدْ شَرَّفَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ بِوُرُودِهِ سَلَّمَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَيْثُ تَتَفَقَّدُونَ أَحْوَالَ الْفُقَرَاءِ وَتَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْحُضُورَ وَالْغَيْبَةَ سِيَّانِ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمَّا بَالَغُوا فِي هَجْوِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَسَبِّهِمْ مِنْ غَايَةِ خِذْلَانِهِمْ وَكَمَالِ حِرْمَانِهِمْ عَنِ السَّعَادَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ [1] عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِهَجْوِ الْكُفَّارِ الْأَشْرَارِ فَكَانَ الشَّاعِرُ الْمَأْمُورُ يَصْعَدُ الْمِنْبَرَ فِي حُضُورِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَيَهْجُو الْكُفَّارَ فِي مَلَاءٍ بِإِنْشَادِ الْأَشْعَارِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَهُ مَا دَامَ يَهْجُو الْكُفَّارَ" وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَلَامَةَ وَإِيذَاءَ الْخَلْقِ مِنْ مُغْتَنَمَاتِ أَرْبَابِ الْعِشْقِ اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

(١٤٠) اَلْمَكْتُوبُ الْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدْ مَعْصُومْ الْكَابِلِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ الْأَلَمَ وَالْمِحْنَةَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَحَبَّةِ

أَيُّهَا الْمُحِبُّ إِنَّ الْأَلَمَ وَالْمِحْنَةَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَحَبَّةِ وَلَا بُدَّ مِنَ الْأَلَمِ وَالْغَمِّ لِمَنِ اخْتَارَ الْفَقْرَ، (شِعْرٌ):

أَلَا إِنَّ قَصْدِي مِنْ هَوَاكَ التَّأَلُّمُ * وَإِلَّا فَأَسْبَابُ التَّنَعُّمِ وَافِرَةٌ**

وَالْمَحْبُوبُ يُرِيدُ وَلَهَ الْمُحِبِّ بِهِ وَعَدَمَ سُكُونِهِ إِلَى مَنْ سِوَاهُ لِيَحْصُلَ الْإِنْقِطَاعُ عَنْ غَيْرِهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَالْإِطْمِئْنَانُ هُنَا فِي عَدَمِ الْإِطْمِئْنَانِ وَاللَّذَّةُ فِي الْحُرْقَةِ وَالْقَرَارُ فِي عَدَمِ الْقَرَارِ وَالرَّاحَةُ فِي الْجِرَاحَةِ وَطَلَبُ الْفَرَاغَةِ فِي هٰذَا الْمَقَامِ إِلْقَاءُ نَفْسِكَ إِلَى الْفِتْنَةِ يَنْبَغِي تَفْوِيضُ نَفْسِكَ إِلَى الْمَحْبُوبِ بِالتَّمَامِ وَأَنْ تَرْضَى بِكُلِّ

---

[1] (قوله امر النبي عليه السلام بعض الشعراء الخ) اخرج الشيخان عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك واخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الباب احاديث كثيرة مذكورة في تفسير الخازن وغيره وفي هذا القدر كفاية (القزاني رحمة الله عليه)

ما يَجيءُ مِنْهُ وَأَنْ يَقْبَلَهُ مِنْ غَيْرِ إِعْرَاضٍ وَاعْتِرَاضٍ وَهَذَا الْوَضْعُ هُوَ طَرِيقُ الْمَعِيشَةِ وَعَلَيْكَ بِالْإِجْتِهَادِ فِي تَحْصِيلِ الْإِسْتِقَامَةِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ وَإِلاَّ فَالْفُتُورُ فِي الْقَفَا وَقَدْ كَانَ اشْتِغَالُكَ جَيِّدًا وَلَكِنَّهَا ضَعُفَتْ قَبْلَ حُصُولِ الْقُوَّةِ وَلَكِنْ لاَ بَأْسَ فِيهِ وَلاَ هُوَ مِمَّا يُهْتَمُّ بِهِ فَإِنَّكَ لَوْ تَشَبَّثْتَ بِأَسْبَابِ الْجَمْعِيَّةِ مِنْ هَذِهِ التَّرَدُّدَاتِ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنَ الْأَوَّلِ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ أَسْبَابَ هَذِهِ التَّفْرِقَةِ هِيَ عَيْنُ أَسْبَابِ الْجَمْعِيَّةِ حَتَّى تَقْدِرَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا وَالسَّلاَمُ.

(١٤١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ مُحَمَّدْ قَلِيجْ فِي بَيَانِ أَنَّ الْعُمْدَةَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْمَحَبَّةُ وَالْإِخْلاَصُ

أَنْعَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِالتَّرَقِّيَاتِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ أَيُّهَا الْمُحِبُّ إِنَّكَ لاَ تَكْتُبُ مِنْ أَحْوَالِ الْقَلْبِ شَيْئًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ حَتَّى نَطَّلِعَ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ وَلاَ بُدَّ لَكَ مِنْ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا أَلْبَتَّةَ فَإِنَّهُ مُوجِبٌ لِلتَّوَجُّهِ الْغَائِبِيِّ وَعُمْدَةُ هَذَا الْأَمْرِ هِيَ الْمَحَبَّةُ وَالْإِخْلاَصُ وَلاَ غَمَّ إِنْ لَمْ يُفْهَمِ التَّرَقِّي فَإِنَّهُ إِذَا بَقِيَتِ الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى الْإِخْلاَصِ تَيَسَّرَ أُمُورُ سِنِينَ فِي سَاعَاتٍ وَالسَّلاَمُ.

(١٤٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ عَبْدِ الْغَفُورِ السَّمَرْقَنْدِيِّ فِي بَيَانِ اسْتِكْثَارِ قَلِيلٍ مِنْ نِسْبَةِ الْأَكَابِرِ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِلْتِفَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ مَحَبَّةُ الْفُقَرَاءِ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَسْئُولُ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالْمَرْجُوُّ مِنْهُ تَعَالَى الْإِسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ وَوَصَلَتِ الْهَدِيَّةُ الْمُرْسَلَةُ إِلَى الْفُقَرَاءِ أَيْضًا وَقُرِأَ فَاتِحَةُ السَّلاَمَةِ وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَخَذْتَهَا وَوَصَلَتْ مِنْهَا نِسْبَةٌ كَثِيرَةٌ لَمْ يُذْكَرْ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَقُولَةِ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ تَطَرُّقِ الْفُتُورِ إِلَيْهَا. (شعر)

خَيَالُهُ طَرْفَةُ الْعَيْنِ لَدَى نَظَرِي * قَدْ فَاقَ وَصْلَ الْغَوَانِي مُدَّةَ الْعُمْرِ**

فَإِنْ حَصَلَ شَيْءٌ مِنْ نِسْبَةِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَكْثِرَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِقَلِيلٍ لِأَنَّ نِهَايَةَ الْآخَرِينَ مُنْدَرِجَةٌ فِي بِدَايَتِهِمْ (ع) **وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي** * وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تَغْتَمَّ مِنْ هَذَا الْفُتُورِ إِذَا كَانَتْ مَحَبَّةُ جُمْلَةِ هَذِهِ النِّسْبَةِ قَوِيَّةً وَقَدْ أَرْسَلَ الثَّوْبُ الَّذِي كَانَ مَلْبُوسًا مُكَرَّرًا فَالْبَسْهُ أَحْيَانًا وَاحْفَظْهُ بِكَمَالِ الْأَدَبِ فَإِنَّهُ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ وَكُلَّمَا تَلْبَسُهُ تَلْبَسُهُ عَلَى الْوُضُوءِ وَتَشْتَغِلُ بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ فَعَسَى أَنْ تَحْصُلَ

الْجَمْعِيَّةُ التَّامَّةُ وَكُلَّمَا كَتَبْتَ شَيْئًا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكْتُبَ أَوَّلاً مِنْ أَحْوَالِ بَاطِنِكَ فَإِنَّ أَحْوَالَ الظَّاهِرِ بِدُونِ أَحْوَالِ الْبَاطِنِ سَاقِطَةٌ عَنْ حَيِّزِ الإِعْتِبَارِ (ع) وَأَحْسَنُ مَا يُمْلَى حَدِيثُ الأَحِبَّةِ * ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا (ع) هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ *

(١٤٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ شَمْسِ الدِّينِ فِي بَيَانِ اغْتِنَامِ مَوْسِمِ الشَّبَابِ وَعَدَمِ صَرْفِهِ إِلَى مَا لاَ يَعْنِي مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

كَانَ مُحِبُّ الْفُقَرَاءِ مَوْلاَنَا شَمْسُ الدِّينِ مُوَفَّقًا وَمُغْتَنِمًا لِمَوْسِمِ الشَّبَابِ مُمْتَنِعًا مِنْ صَرْفِهِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَتَعْرِيضِهِ بِالْجَوْزِ وَالْمَوْزِ وَإِلاَّ لاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ أَخِيرًا غَيْرَ النَّدَامَةِ وَالتَّأَسُّفِ وَلاَ يُجْدِي شَيْئًا وَالشَّرْطُ الإِخْتِيَارُ وَيَنْبَغِي أَدَاءُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِالْجَمَاعَةِ وَتَمْيِيزُ الْحَلاَلِ مِنَ الْحَرَامِ وَطَرِيقُ النَّجَاةِ الأُخْرَوِيَّةِ هُوَ مُتَابَعَةُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ تَكُونَ التَّلَذُّذَاتُ الْفَانِيَةُ وَالتَّنَعُّمَاتُ الْهَالِكَةُ مَنْظُورًا إِلَيْهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ لِلْخَيْرَاتِ.

(١٤٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْحَافِظِ مَحْمُودٍ اللاَّهُورِيِّ فِي بَيَانِ مَعْنَى السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ وَبَيَانِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَالسَّيْرِ فِي اللَّهِ وَالسَّيْرَيْنِ الآخَرَيْنِ

رَزَقَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَرَقِّيَاتٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالاَتِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ الْمُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ الْبَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ (ع) وَأَحْسَنُ مَا يُمْلَى حَدِيثُ الأَحِبَّةِ* اعْلَمْ أَنَّ السَّيْرَ وَالسُّلُوكَ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ مَقُولَةِ الْكَيْفِ وَلاَ مَجَالَ هُنَا لِلْحَرَكَةِ الأَيْنِيَّةِ فَالسَّيْرُ إِلَى اللَّهِ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ ذَاهِبًا مِنَ الْعِلْمِ الأَدْنَى إِلَى الْعِلْمِ الأَعْلَى وَمِنْ هَذَا إِلَى أَعْلَى آخَرَ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى عِلْمِ الْوَاجِبِ تَعَالَى بَعْدَ طَيِّ عُلُومِ الْمُمْكِنَاتِ كُلِّهَا وَزَوَالِهَا بِأَسْرِهَا وَهَذِهِ الْحَالَةُ هِيَ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْفَنَاءِ. وَالسَّيْرُ فِي اللَّهِ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي مَرَاتِبِ الْوُجُوبِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالإِعْتِبَارَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ وَالتَّنْزِيهَاتِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى مَرْتَبَةٍ لاَ يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ وَلاَ يُشَارُ إِلَيْهَا بِإِشَارَةٍ وَلاَ تُسَمَّى بِاسْمٍ وَلاَ يُكْنَى عَنْهَا بِكِنَايَةٍ وَلاَ يَعْلَمُهَا عَالِمٌ وَلاَ يُدْرِكُهَا مُدْرِكٌ وَهَذَا السَّيْرُ يُسَمَّى بِالْبَقَاءِ وَالسَّيْرُ عَنِ اللَّهِ بِاللَّهِ الَّذِي هُوَ السَّيْرُ الثَّالِثُ أَيْضًا عِبَارَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ نَازِلاً مِنَ الْعِلْمِ الأَعْلَى إِلَى الْعِلْمِ الأَدْنَى وَمِنَ الأَدْنَى إِلَى الأَدْنَى وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمُمْكِنَاتِ رُجُوعَ الْقَهْقَرَى وَيَنْزِلَ

عُلُوم مَرَاتِب الْوُجُوب كُلّهَا وَهُوَ الْعَارِفُ الَّذِي نَسِيَ اللّٰهَ بِاللّٰهِ وَرَجَعَ عَنِ اللّٰهِ مَعَ اللّٰهِ وَهُوَ الْوَاجِدُ الْفَاقِدُ وَالْوَاصِلُ الْمَهْجُورُ وَهُوَ الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ وَالسَّيْرُ الرَّابِعُ الَّذِي هُوَ السَّيْرُ فِي الْأَشْيَاءِ عِبَارَةٌ عَنْ حُصُولِ عُلُومِ الْأَشْيَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا بَعْدَ زَوَالِ تِلْكَ الْعُلُومِ كُلّهَا فِي السَّيْرِ الْأَوَّلِ فَالسَّيْرُ الرَّابِعُ مُقَابِلٌ لِلسَّيْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّيْرُ الثَّالِثُ لِلثَّانِي كَمَا تَرَى وَالسَّيْرُ إِلَى اللّٰهِ وَالسَّيْرُ فِي اللّٰهِ لِتَحْصِيلِ نَفْسِ الْوِلَايَةِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالسَّيْرُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ لِحُصُولِ مَقَامِ الدَّعْوَةِ الَّذِي هُوَ مَخْصُوصٌ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَى جَمِيعِهِمْ عُمُومًا، وَعَلَى أَفْضَلِهِمْ خُصُوصًا، وَلِلْمُتَابِعِينَ الْكَامِلِينَ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ مَقَامِ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (**قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّٰهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**) الْآيَةَ هٰذَا هُوَ حَدِيثُ الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِهِ تَنْوِيهُ شَأْنِهِ وَتَشْوِيقُ الطُّلَّابِ إِلَيْهِ. (شعر)

وَتَهَافَتُوا فِي سُكْرٍ يَا أَهْلَ صَفْرَاءَ لِأَجْلِ تَغَافُلِ السَّوْدَاوِيِّ

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾(١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

(١٤٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُفْتِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ فِي بَيَانِ أَنَّ مَشَايِخَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللّٰهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ وَبَيَانِ سِرِّ عَدَمِ تَأَثُّرِ بَعْضِ مُبْتَدِئِي هٰذِهِ الطَّرِيقَةِ بِسُرْعَةٍ

ثَبَّتَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اللّٰهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا. اعْلَمْ أَنَّ مَشَايِخَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللّٰهُ أَسْرَارَهُمْ اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ وَصَارُوا يَقْطَعُونَ مَسَافَةَ عَالَمِ الْخَلْقِ فِي ضِمْنِهِ بِخِلَافِ مَشَايِخِ سَائِرِ الطُّرُقَاتِ فَإِنَّ ابْتِدَاءَ سَيْرِهِمْ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَبَعْدَ طَيِّ مَسَافَةِ عَالَمِ الْخَلْقِ يَضَعُونَ الْقَدَمَ فِي عَالَمِ الْأَمْرِ وَيَصِلُونَ إِلَى مَقَامِ الْجَذْبَةِ وَلِهٰذَا كَانَ طَرِيقُ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ أَقْرَبَ الطُّرُقِ فَلَا جَرَمَ صَارَتْ نِهَايَةُ الْآخَرِينَ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ (ع) **وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي** * وَمَعَ كَوْنِ ابْتِدَاءِ سَيْرِهِمْ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ لَا يَتَأَثَّرُ بَعْضُ الطَّالِبِينَ مِنْ هٰذِهِ الطَّرِيقَةِ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَجِدُونَ الْحَلَاوَةَ وَلَا التَّلَذُّذَ الَّذِي هُوَ مِنْ مُقَدِّمَةِ الْجَذْبَةِ بِالسُّهُولَةِ وَوَجْهُ ذٰلِكَ أَنَّ لَطَائِفَ عَالَمِ الْأَمْرِ ضَعِيفَةٌ فِيهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَالَمِ الْخَلْقِ وَهٰذَا الضَّعْفُ هُوَ الَّذِي صَارَ سَدًّا فِي طَرِيقِ التَّأْثِيرِ وَالتَّأَثُّرِ وَامْتِدَادُ زَمَانِ بُطْءِ التَّأَثُّرِ إِلَى أَنْ يُقَوِّيَ لَطَائِفَ عَالَمِ الْأَمْرِ فِيهِمْ وَتَغْلِبَ عَلَى عَالَمِ الْخَلْقِ وَأَنْ يَنْعَكِسَ الْأَمْرُ وَعِلَاجُ هٰذَا الضَّعْفِ بِحَيْثُ يَكُونُ مُنَاسِبًا لِهٰذِهِ الطَّرِيقَةِ هُوَ التَّصَرُّفُ التَّامُّ مِنْ صَاحِبِ التَّصَرُّفِ وَالْعِلَاجُ الْمُنَاسِبُ لِسَائِرِ الطُّرُقِ تَقْدِيمُ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَالرِّيَاضَاتِ الشَّدِيدَةِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّاقَّةِ الْوَاقِعَةِ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ عَلَى

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بُطْءَ التَّأَثُّرِ لَيْسَ مِنْ عَلَامَةِ نُقْصَانِ الْإِسْتِعْدَادِ وَكَمْ مِنْ طَائِفَةٍ تَامِّي الْإِسْتِعْدَادِ يُبْتَلُونَ بِهَذَا الْبَلَاءِ وَالسَّلَامُ.

(١٤٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ فِي النَّصِيحَةِ بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ

وَصَلَ مَكْتُوبُ وَلَدِي شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَسْعِدٌ بِسَعَادَةِ تَذَكُّرِ الْفُقَرَاءِ وَلْيُعَمِّرِ الْأَوْقَاتَ بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ الَّذِي أَخَذَهُ وَلَا يُفَوِّتَنَّ الْفُرْصَةَ مُنْخَدِعًا بِالشَّأْنِ وَالشَّوْكَةِ الْفَانِيَةِ مُغْتَنِمًا لِلْحَيَاةِ الْقَلِيلَةِ، (شعر):

همه اندر زمن بتوانست *** كه توطفلی وخانه رنكينست

وَنِعْمَ النِّعْمَةُ إِكْرَامُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ عَبْدَهُ بِتَوْفِيقِ التَّوْبَةِ فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِالْإِسْتِقَامَةِ عَلَيْهَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ جَمِيعَ التَّنَعُّمَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِي جَنْبِ تِلْكَ النِّعْمَةِ لَهَا حُكْمُ النَّدَى فِي جَنْبِ الْبَحْرِ الْعَمِيقِ فَإِنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ مُوجِبَةٌ لِرِضَا الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ الَّذِي هُوَ فَوْقَ جَمِيعِ النِّعَمِ دُنْيَوِيَّةً كَانَتْ أَوْ أُخْرَوِيَّةً وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾(١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ أَتَمُّهَا وَأَكْمَلُهَا.

(١٤٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَهْ أَشْرَفِ الْكَابِلِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ الْإِنْقِطَاعَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْإِتِّصَالِ وَبِالْعَكْسِ

رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ التَّرَقِّيَاتِ عَلَى مَدَارِجِ الْكَمَالِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ مَشَائِخِ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ بِتَقَدُّمِ الْإِنْفِصَالِ وَالْإِنْقِطَاعِ عَلَى الْإِتِّصَالِ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ قَدَّمُوا الْإِتِّصَالَ عَلَى الْإِنْقِطَاعِ وَالْإِنْفِصَالِ وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ فِيهِ (قَالَ) أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ قُدِّسَ سِرُّهُ مَا لَمْ تَنْقَطِعْ لَا تَجِدْ وَ مَا لَمْ تَجِدْ لَا تَنْقَطِعْ وَلَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَقْدَمُ يَقُولُ رَاقِمُ هَذِهِ السُّطُورِ: إِنَّ الْإِنْقِطَاعَ وَالْإِتِّصَالَ يَتَحَقَّقَانِ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْفَكَّ الْإِنْقِطَاعُ عَنِ الْإِتِّصَالِ وَأَنْ يَحْصُلَ الْإِتِّصَالُ بِدُونِ الْإِنْقِطَاعِ وَالْإِنْفِصَالِ.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْخَفَاءَ إِنْ تَحَقَّقَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي التَّقَدُّمِ الذَّاتِيِّ وَتَعَيَّنَ عِلِّيَّةُ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ وَاخْتَارَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ الْمَذْهَبَ الثَّانِيَ قَائِلًا بِأَنَّ السَّبْقَةَ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ أَحْسَنُ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

بتقدّم الانفصال على الاتصال لا ينكرون هذه السبقة أيضا ومرادهم من الاتصال الظهور التامّ وهو لا ينافي الظهور المطلق فيكون الظهور المطلق مقدّما على الانفصال والظهور التامّ مؤخّرا عنه فعلى هذا التحقيق يكون نزاعهم راجعا إلى اللفظ ولكنّ نظر الطائفة الأولى عال حيث لا يعتبرون القليل وينبغي أن يعلم أنّ على هذا التوجيه قد حصل التقدّم الزماني أيضا فافهم والله سبحانه الملهم للصواب وعلى كلّ حال ينبغي أن يكون مظهرا للانفصال والاتصال فإنّ مرتبة الولاية منوط بهاتين المرتبتين وبدونهما خرط القتاد. والمرتبة الأولى مربوطة بالسّير إلى الله والثانية بالسّير في الله وبمجموع هذين السّيرين يوصل إلى المرتبة الولاية والكمال على تفاوت درجاتها والسّيران الباقيان لتحصيل مرتبة التكميل والوصول إلى درجة الدّعوة، (شعر):

ناديت غير مرّة *** لو كان في الأحياء حيّ

(١٤٨) المكتوب الثامن والأربعون والمائة إلى الملاّ صادق الكابليّ في بيان ذمّ صاحب الرّي وعدم الاغترار بتوسّط روحانية المشائخ وإمداداتهم

وصل المكتوبان متّصلا بعضهما ببعض كان الأوّل منبئا عن الحصول والرّيّ والثاني عن العطش وعدم الحصول الحمد لله سبحانه العبرة بالخاتمة إنّ صاحب الرّيّ ليس له حاصل والّذي يرى نفسه لا حاصل له فهو الواصل وقد قيل لك مكرّرا أن لا تغترّ بتوسّط روحانية المشائخ وإمداداتهم فإنّ صور هؤلاء المشائخ الّتي تراها وتشاهدها هي لطائف الشّيخ المقتدى به في الحقيقة ظهرت بهذه الصورة وتوحيد قبلة التوجّه من الشّروط وتفريق التوجّه موجب للخسران عياذا بالله سبحانه (وأيضا) إنّي كنت قلت لك مكرّرا ومؤكّدا أن قلّل الأشغال ليحصل المقصود بسرعة فإنّ ترك الأمر الضروريّ والاشتغال بما لا طائل فيه بعيد عن طور العقل ولكنّك معتقد لرأي نفسك فلما يؤثّر فيك كلام غيرك وأنت تعلم ﴿وما على الرّسول الاّ البلاغ﴾[1].

(١٤٩) المكتوب التاسع والأربعون والمائة إلى الملاّ صادق الكابليّ أيضا في بيان عدم قصر النّظر على سبب معيّن

---

(١) الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

وَالْعَجَبُ مِنْ أَخِي مَوْلاَنَا مُحَمَّدْ صَادِق حَيْثُ سَلَّمَ نَفْسَهُ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ وَإِنْ جَعَلَ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ الْأَشْيَاءَ مُرَتَّبَةً عَلَى الْأَسْبَابِ وَلَكِنْ مَا الْحَاجَةُ إِلَى نَصْبِ الْعَيْنِ عَلَى سَبَبٍ مُعَيَّنٍ، (شعر):

وَلاَ تَحْزَنْ إِذَا مَا سُدَّ بَابٌ *** فَإِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابِ

وَهَذَا الْقِسْمُ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ يُنْبِئُ عَنْ غَايَةِ عَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ وَمُسْتَهْجَنٌ مِنْ أَمْثَالِكَ جِدًّا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي حَالِكَ سَاعَةً تَفْهَمُ هَذِهِ الشَّنَاعَةَ وَكُلُّ هَذَا الْإِضْطِرَابِ فِي كِسْوَةِ الْفَقْرِ تَحْصِيلُ مَا هُوَ مَبْغُوضٌ عَلَيْهِ لَدَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَا أَشَدَّهُ قَبَاحَةً وَبِئْسَ الْبَلاَءُ الْمُسْتَنْكَرُ وَالْعَجَبُ أَنَّهُ كَيْفَ زُيِّنَ هَذَا الشَّيْءُ الْمُسْتَنْكَرُ فِي نَظَرِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْعَى وَتَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ وَصَرْفُ جَمِيعِ الْهِمَّةِ إِلَيْهِمَا وَتَضْيِيعُ تَمَامِ الْعُمْرِ فِي تَحْصِيلِهَا سَفَاهَةٌ مَحْضَةٌ الْفُرْصَةُ غَنِيمَةٌ جِدًّا وَالْأَسَفُ كُلُّ الْأَسَفِ عَلَى حَالِ مَنْ يَصْرِفُهَا إِلَى تَحْصِيلِ عُلُومٍ لاَ طَائِلَ فِيهَا وَالشَّرْطُ هُوَ الْإِخْبَارُ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ**[1] وَلاَ تَحْزَنْ مِنْ مَقَالاَتِ النَّاسِ فِيكَ فَإِنْ نَسَبُوا إِلَيْكَ شَيْئًا لَيْسَ فِيكَ مِنْهَا شَيْءٌ فَلاَ غَمَّ نِعْمَتِ الدَّوْلَةُ أَنْ يَرَى النَّاسُ شَخْصًا شَرًّا وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ الْأَخْيَارِ فَإِنْ تَحَقَّقَ عَكْسُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فَقَدْ عَظُمَ الْخَطَرُ وَالسَّلاَمُ.

(١٥٠) الْمَكْتُوبُ الْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ قَاسِمْ فِي بَيَانِ أَنْ لاَ مُسْتَحِقَّ لِلْمَطْلُوبِيَّةِ غَيْرُ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ

وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِينَا الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ الْقَاسِمْ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ وَلاَ تُضَيِّقْ صَدْرَكَ مِنْ تَشَتُّتِ الْأَوْضَاعِ الدُّنْيَاوِيَّةِ وَتَفَرُّقِ الْأَحْوَالِ الصُّورِيَّةِ فَإِنَّهَا لاَ تَسْتَحِقُّ لِذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ النَّشْأَةَ فِي مَعْرِضِ الْفَنَاءِ بَلْ يَنْبَغِي السَّعْيُ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَوَاءٌ كَانَ فِيهَا عُسْرٌ أَوْ يُسْرٌ وَلاَ مُسْتَحِقَّ لِلْمَطْلُوبِيَّةِ غَيْرُ ذَاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ جَلَّ شَأْنُهُ خُصُوصًا لِأَمْثَالِكُمُ الْأَعِزَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ لَوْ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِخِدْمَةٍ وَأَمْرٍ نَجْتَهِدُ فِي تَحْصِيلِهَا بِالْمَمْنُونِيَّةِ وَالسَّلاَمُ.

(١٥١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِيرْ مُؤْمِنِ الْبَلْخِيِّ فِي بَيَانِ عُلُوِّ شَأْنِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَ أَهْلِهَا الْعَلِيَّةَ وَبَيَانِ مَعْنَى يَادْدَاشْتْ الْمَخْصُوصِ بِهِمْ

---

(١) الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

(ع) وَأَحْسَنُ مَا يُمْلَى حَدِيثُ ٱلْأَحِبَّةِ * (اِعْلَمْ) أَنَّ "يَادْدَاشْتْ" عِبَارَةٌ فِي طَرِيقِ حَضَرَاتِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ عَنْ حُضُورٍ بِلاَ غَيْبَةٍ أَعْنِي دَوَامَ حُضُورِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْرِ تَخَلُّلِ الْحُجُبِ الشُّئُونِيَّةِ وَٱلْإِعْتِبَارِيَّةِ

فَإِنْ وُجِدَ حُضُورٌ فِي وَقْتٍ وَغَيْبَةٌ فِي وَقْتٍ بِأَنْ تَرْتَفِعَ الْحُجُبُ فِي وَقْتٍ بِالتَّمَامِ وَانْسَدَلَتْ فِي وَقْتٍ آخَرَ كَمَا يَكُونُ فِي التَّجَلِّي الْبَرْقِيِّ الذَّاتِي حَيْثُ أَنَّ الْحُجُبَ تَرْتَفِعُ فِيهِ عَنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ كَالْبَرْقِ ثُمَّ تَحْتَجِبُ بِحُجُبِ الشُّئُونِ وَٱلْإِعْتِبَارَاتِ بِسُرْعَةٍ فَهُوَ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الْإِعْتِبَارِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ ٱلْأَكَابِرِ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ حَاصِلَ الْحُضُورِ بِلاَ غَيْبَةٍ هُوَ دَوَامُ التَّجَلِّي الْبَرْقِيِّ الذَّاتِي الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ حَضْرَةِ الذَّاتِ بِدُونِ تَوَسُّطِ الشُّئُونِ وَٱلْإِعْتِبَارَاتِ وَيَتَيَسَّرُ ذَلِكَ فِي نِهَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَيَثْبُتُ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْفَنَاءُ ٱلْأَكْمَلُ وَلاَ رُجُوعَ فِيهِ لِلْحُجُبِ أَصْلاً فَإِنَّهَا لَوْ رَجَعَتْ لَتَبَدَّلَ الْحُضُورُ بِالْغَيْبَةِ وَلاَ يُقَالُ لَهُ يَادْدَاشْتْ فَتَحَقَّقَ أَنَّ شُهُودَ هَؤُلاَءِ ٱلْأَكَابِرِ عَلَى الْوَجْهِ ٱلْأَتَمِّ وَٱلْأَكْمَلِ وَأَكْمَلِيَّةُ الْفَنَاءِ وَأَتَمِّيَّةُ الْبَقَاءِ عَلَى قَدْرِ أَتَمِّيَّةِ الشُّهُودِ وَأَكْمَلِيَّتِهِ (ع) **وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي** *

(١٥٢) ٱلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى السَّيِّدِ فَرِيدٍ فِي بَيَانِ أَنَّ إِطَاعَةَ الرَّسُولِ عَيْنُ إِطَاعَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [1] فَجَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِطَاعَةَ الرَّسُولِ عَيْنَ إِطَاعَتِهِ فَإِطَاعَةُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ بِدُونِ إِطَاعَةِ الرَّسُولِ لَيْسَ بِإِطَاعَةٍ لَهُ سُبْحَانَهُ وَلِذَلِكَ أَوْرَدَ كَلِمَةَ "قَدْ" تَأْكِيدًا لِهَذَا الْمَعْنَى وَتَحْقِيقًا لَهُ لِئَلاَّ يُفَرِّقَ مُهَوِّسٌ بَيْنَ هَاتَيْنِ الطَّاعَتَيْنِ وَيَخْتَارَ احْدَيهُمَا دُونَ ٱلْأُخْرَى وَقَدْ وَبَّخَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي مَحَلٍّ آخَرَ جَمَاعَةً فَرَّقُوا بَيْنَ هَاتَيْنِ ٱلْإِطَاعَتَيْنِ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ (**يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ**) ٱلْآيَةَ.

نَعَمْ قَدْ صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ الْمَشَائِخِ وَقْتَ غَلَبَةِ الْحَالِ وَالسُّكْرِ كَلِمَاتٌ مُؤْذِنَةٌ بِالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ هَاتَيْنِ ٱلْإِطَاعَتَيْنِ وَمُشْعِرَةٌ بِاخْتِيَارِ مَحَبَّةِ احْدَيهِمَا عَلَى ٱلْأُخْرَى كَمَا نُقِلَ أَنَّ السُّلْطَانَ مَحْمُودًا الْغَزْنَوِيَّ لَمَّا نَزَلَ مَرَّةً فِي أَيَّامِ سَلْطَنَتِهِ فِي قُرْبِ قَرْيَةِ خَرْقَانَ أَرْسَلَ وَاحِدًا مِنْ وُكَلاَئِهِ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْخَرْقَانِيِّ وَالْتَمَسَ مِنْهُ الْحُضُورَ عِنْدَهُ وَقَالَ لِرَسُولِهِ إِذَا فَهِمْتَ تَوَقُّفًا مِنَ الشَّيْخِ فَاقْرَأْ هَذِهِ ٱلْآيَةَ: {**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ**} فَلَمَّا فَهِمَ الرَّسُولُ تَوَقُّفًا مِنَ الشَّيْخِ قَرَأَ ٱلْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ فِي جَوَابِهِ: إِنِّي مَشْغُولٌ بِإِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَيْثُ لَمْ أَفْرُغْ مِنْهَا بَعْدُ لِإِطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ فَكَيْفَ لِإِطَاعَةِ أُولِي ٱلْأَمْرِ

---

(١) الآية ٨٠ من سورة النساء.

فَجَعَلَ حَضْرَةُ الشَّيْخِ إِطَاعَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ غَيْرَ إِطَاعَةِ الرَّسُولِ وَهَذَا الْكَلاَمُ بَعِيدٌ عَنِ الاسْتِقَامَةِ وَالْمَشَائِخُ الْمُسْتَقِيمُو الأَحْوَالِ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْكَلاَمِ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ إِطَاعَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِطَاعَةَ رَسُولِهِ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ إِطَاعَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي غَيْرِ إِطَاعَةِ رَسُولِهِ عَيْنُ الضَّلاَلَةِ .

(وَنُقِلَ) أَيْضًا أَنَّ شَيْخَ بَلْدَةِ مِهْنَةَ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيدِ أَبَا الْخَيْرِ عَقَدَ مَجْلِسًا وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَاحِدٌ مِنْ أَجِلَّةِ سَادَاتِ خُرَاسَانَ فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الأَثْنَاءِ اتِّفَاقًا مَجْذُوبٌ مَغْلُوبُ الْحَالِ فَقَدَّمَهُ الشَّيْخُ عَلَى السَّيِّدِ الأَجَلِّ فَلَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ لِلسَّيِّدِ فَقَالَ الشَّيْخُ لِلسَّيِّدِ: إِنَّ تَعْظِيمَكَ بِوَاسِطَةِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمَ هَذَا الْمَجْذُوبِ بِوَاسِطَةِ مَحَبَّةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالأَكَابِرُ الْمُسْتَقِيمُو الأَحْوَالِ لاَ يُجَوِّزُونَ أَيْضًا هَذَا الْقِسْمَ مِنَ التَّفْرِقَةِ وَيَرَوْنَ غَلَبَةَ مَحَبَّةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ عَلَى مَحَبَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ سُكْرِ الْحَالِ وَلاَ يَعْتَقِدُونَهَا شَيْئًا غَيْرَ الْفُضُولِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ هَذَا الْقَدْرُ أَنَّ مَحَبَّةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ غَالِبَةٌ فِي مَقَامِ الْكَمَالِ الَّذِي هُوَ مَرْتَبَةُ الْوِلاَيَةِ وَمَحَبَّةُ الرَّسُولِ غَالِبَةٌ فِي مَقَامِ التَّكْمِيلِ الَّذِي هُوَ نَصِيبٌ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِطَاعَةِ الرَّسُولِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ إِطَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

(١٥٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ مِيَانْ مُزَمِّلٍ فِي بَيَانِ الْخَلاَصِ التَّامِّ مِنْ رِقِّيَّةِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى الْمَرْبُوطِ بِالْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الْمُرْسَلُ الْحَمْدُ للهِ ذِي الإِنْعَامِ وَالْمِنَّةِ قَدْ جَعَلَ طَالِبِيهِ فِي قَلَقٍ وَاضْطِرَابٍ وَنَجَّاهُمْ بِذَلِكَ الإِضْطِرَابِ مِنَ السُّكُونِ إِلَى غَيْرِهِ وَلَكِنَّ الْخَلاَصَ التَّامَّ مِنْ رِقِّيَّةِ الأَغْيَارِ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ إِذَا حَصَلَ التَّشَرُّفُ بِالْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ وَزَالَتِ النُّقُوشُ الْكَوْنِيَّةُ مِنْ مِرْآتِ الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَمْ يَبْقَ التَّعَلُّقُ الْعِلْمِيُّ وَالْحُبِّيُّ بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ وَلَمْ يَكُنْ مَقْصُودٌ وَمُرَادٌ غَيْرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَدُونَهُ خَرْطُ الْقَتَادِ. وَرُبَّمَا يُظَنُّ انْتِفَاءُ التَّعَلُّقِ وَلَكِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (ع) وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ * وَالتَّعَلُّقُ بِالأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ تَعَلُّقٌ بِالْغَيْرِ فَمَا تَقُولُ فِي التَّعَلُّقِ بِأَشْيَاءَ أُخَرَ،

(شِعْرٌ):

دَعْ مَا يَصُدُّكَ عَنْ وَصْلِ الْحَبِيبِ وَمَا *** يُلْهِيكَ عَنْهُ قَبِيحًا كَانَ أَوْ حَسَنَا

وَقَدِ انْجَرَّتْ مُدَّةُ غُرْبَتِكَ إِلَى التَّطْوِيلِ وَالْفُرْصَةُ غَنِيمَةٌ فَإِنْ كَانَ الأَصْحَابُ وَالأَحْبَابُ مِنْ أَهْلِ الرُّخْصَةِ فَمَا وَجْهُ التَّوَقُّفِ وَإِلاَّ فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى الرُّخْصَةِ. يَنْبَغِي أَنْ يُلاَحَظَ مَرْضِيُّ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، رَضِيَ أَهْلُ الْعَالَمِ أَمْ لاَ؟ وَمَاذَا يَكُونُ عَدَمُ رِضَاهُمْ (ع) وَكُلُّ الْقَصْدِ مِنْ تَبَعِ الْحَبِيبِ * يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ الْمَقْصُودَ

هُوَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ فَإِنِ اجْتَمَعَ مَعَ مَحَبَّتِهِ شَيْءٌ فَنَافِعٌ وَإِلاَّ فَضَارٌّ (ع) أَثَرُ نَوَالِي وَرْدٌ وَذَا وَجْهِي زَاهِرٌ * وَالسَّلاَمُ.

(١٥٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى مِيَانْ مُزَّمِّلٍ أَيْضًا فِي بَيَانِ ضَرُورِيَّةِ تَرْكِ النَّفْسِ وَالسَّيْرِ إِلَيْهَا

جَعَلَنَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مَعَهُ وَلاَ يَتْرُكُ مَعَ غَيْرِهِ لَحْظَةً اَللّٰهُمَّ لاَ تَكِلْنَا إِلَى نَفْسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ فَنَهْلِكَ وَلاَ أَقَلَّ مِنْهَا فَنَضِيعَ وَكُلُّ بَلاَءٍ وَقَعَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالنَّفْسِ فَإِذَا حَصَلَ الْخَلاَصُ مِنْ يَدِ النَّفْسِ فَقَدْ حَصَلَ الْخَلاَصُ مِمَّا دُونَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ حَتَّى إِنَّ مَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ إِنَّمَا يَعْبُدُ نَفْسَهُ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) (ع) إِذَا مَا تَرَكْتَ النَّفْسَ أَلْفَيْتَ رَاحَةً * دَعْ نَفْسَكَ وَتَعَالَ وَكَمَا أَنَّ تَرْكَ النَّفْسِ وَالتَّجَاوُزَ مِنْهَا فَرْضٌ كَذَلِكَ السَّيْرُ وَالْمَشْيُ إِلَى النَّفْسِ لاَزِمٌ فَإِنَّ الْوِجْدَانَ إِنَّمَا هُوَ فِيهَا وَلاَ وِجْدَانَ فِي خَارِجِهَا، (شِعْرٌ):

وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ سَيْرَكَ لَمْ يَكُنْ *** إِلاَّ إِلَيْكَ إِذَا بَلَغْتَ الْمَنْزِلاَ

اَلسَّيْرُ الْآفَاقِيُّ بُعْدٌ فِي بُعْدٍ وَالسَّيْرُ الْأَنْفُسِيُّ قُرْبٌ فِي قُرْبٍ فَإِنْ كَانَ شُهُودٌ فَهُوَ فِي النَّفْسِ وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةٌ فَهِيَ أَيْضًا فِي النَّفْسِ وَإِنْ كَانَتْ حَيْرَةٌ فَهِيَ أَيْضًا فِيهَا لاَ مَجَالَ لِلْقَدَمِ فِي خَارِجِ النَّفْسِ إِلَى أَيْنَ وَصَلَ الْكَلاَمُ وَلاَ يَفْهَمَنَّ الْأَبْلَهُ مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ حُلُولاً وَاتِّحَادًا فَيَقَعَ فِي وَرْطَةِ الضَّلاَلَةِ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِالْحُلُولِ كُفْرٌ وَكَذَلِكَ الْإِتِّحَادُ وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ قَبْلَ التَّحَقُّقِ بِهَذَا الْمَقَامِ مَمْنُوعٌ رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَرْضِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكْتُبَ مِنْ أَحْوَالِكَ فَإِنَّ لَهُ دَخْلاً تَامًّا وَعَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ حُرًّا مَعَ وُجُودِ الْعَلاَئِقِ الصُّورِيَّةِ وَأَنْ تَعْتَقِدَ وُجُودَهَا وَعَدَمَهَا سِيَّانِ وَالسَّلاَمُ وَالْإِكْرَامُ.

(١٥٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ مُزَّمِّلٍ أَيْضًا فِي التَّحْرِيضِ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ

(شِعْرٌ) وَمَا عَبَدُوا غَيْرَ الْإِلٰهِ فَبَاطِلٌ *** فَبِئْسَ الَّذِي يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطِلاً

قَدْ تَشَرَّفْتُ بِزِيَارَةِ مَشَاهِدِ دَهْلِي فِي غُرَّةِ جُمَادَى الْأُولَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمُحَمَّدٌ صَادِقٌ مَعِي وَبَعْدَ إِقَامَةِ أَيَّامٍ هُنَا نَتَوَجَّهُ إِلَى طَرَفِ الْوَطَنِ الْأَصْلِيِّ إِنْ وَافَقَتْ إِرَادَتُنَا إِرَادَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ خَبَرٌ مَشْهُورٌ أَيْنَ يَذْهَبُ الْعَاجِزُ الْمِسْكِينُ وَنَاصِيَتُهُ فِي يَدِهِ تَعَالَى مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَأَيْنَ الْمَفَرُّ إِلاَّ أَنْ يَفِرَّ مِنْهُ إِلَيْهِ قَائِلاً فَفِرُّوا إِلَى اللّٰهِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ الْأَصْلَ أَصْلاً وَالْفَرْعَ تَبَعًا لَهُ وَأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْأَصْلِ، (شِعْرٌ):

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ *** سِوَى هَوَى الْحَقِّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَرَضٌ

(١٥٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي التَّحْرِيضِ عَلَى صُحْبَةِ أَهْلِ اللّٰهِ

وَصَلَ الْكِتَابُ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ مَعَ قَاضِي زَادَهْ الْجَالَنْدَرِيّ فِي دَهْلِي لِلّٰهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى مَا كَانَتْ مَحَبَّةُ الْفُقَرَاءِ نَقْدَ الْوَقْتِ وَأَنَّهُ مَعَهُمْ بِحُكْمِ الْمَرْءِ[1] مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَشَهْرُ رَجَبٍ وَإِنْ كَانَ بِحَسَبِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ قَرِيبًا وَلٰكِنَّهُ بَعِيدٌ جِدًّا، (شِعْرٌ):

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْءُهَا * قَرِيبٌ وَلٰكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدٌ**

وَحَيْثُ أَنَّكَ اخْتَرْتَ هٰذَا الْمَعْنَى الَّذِي اخْتَرْتَ بِوَاسِطَةِ رِعَايَةِ حُقُوقِ أَرْبَابِ الْحُقُوقِ فَاسْتَقِمْ عَلَيْهِ وَعَسَى الْفَقِيرُ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا هُنَا إِلَى رَجَبٍ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَعَ الْفُقَرَاءِ فِي أَيَّامِ عُمْرٍ قَصِيرٍ (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) نَصٌّ قَاطِعٌ فِي ذٰلِكَ حَيْثُ أَمَرَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ حَبِيبَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ: إِلٰهِي مَا هٰذَا الَّذِي جَعَلْتَ أَوْلِيَاءَكَ عَلَى وَجْهٍ: "مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَكَ وَمَنْ لَمْ يَجِدْكَ لَمْ يَعْرِفْهُمْ" رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مَحَبَّةَ هٰذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

(١٥٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْحَكِيمِ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي بَيَانِ لُزُومِ إِظْهَارِ التَّوَاضُعِ وَالْإِحْتِيَاجِ عِنْدَ حُضُورِ الْأَكَابِرِ وَبَيَانِ لُزُومِ تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ

اعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ هُنَا وَآلَمْتَ قَدَمَكَ وَانْصَرَفْتَ مُسْرِعًا حَتَّى لَمْ تَجِدْ فُرْصَةً لِأَدَاءِ بَعْضِ حُقُوقِ الصُّحْبَةِ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْمُلَاقَاةِ وَالْإِجْتِمَاعِ إِمَّا الْإِفَادَةُ وَإِمَّا الْإِسْتِفَادَةُ فَإِذَا خَلَا الْمَجْلِسُ مِنْ كِلَا هٰذَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْإِعْتِدَادِ بِهِ وَيَنْبَغِي لِمَنْ يَحْضُرُ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنْ هٰذِهِ الطَّائِفَةِ أَنْ يَحْضُرَ خَالِيًا لِيَرْجِعَ مَلْآنَ وَأَنْ يُظْهِرَ عِنْدَهُمُ الْعَجْزَ وَالْإِفْلَاسَ لِيَكُونَ مَحَلًّا لِشَفَقَتِهِمْ وَمُسْتَحِقًّا لِإِفَاضَتِهِمْ وَلَا مَعْنَى فِي الْمَجِيءِ وَالْإِنْصِرَافِ رَيَّانَ وَلَا شَيْءَ فِي الْإِمْتِلَاءِ غَيْرَ الْعِلَّةِ وَلَا فِي الْإِسْتِغْنَاءِ دُونَ الطُّغْيَانِ قَالَ الْخَوَاجَهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: لَا بُدَّ أَوَّلًا مِنْ تَضَرُّعِ الْمَرِيضِ وَانْكِسَارِهِ ثُمَّ بَعْدَهُ يَتَوَجَّهُ الْخَاطِرُ الْمُنْكَسِرُ فَكَانَ التَّضَرُّعُ وَالْإِنْكِسَارُ شَرْطَيِ التَّوَجُّهِ وَمَعَ ذٰلِكَ كُلِّهِ جَاءَ فِي هٰذِهِ الْأَوَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَالْتَمَسَ مِنِّي التَّفْوِيضَ وَالتَّوْصِيَةَ إِلَى ذٰلِكَ الْجَانِبِ فَوَقَعَ فِي الْخَاطِرِ أَنَّ مُجَرَّدَ مَجِيئِهِ أَيْضًا حَقٌّ مِنَ الْحُقُوقِ فَيَنْبَغِي أَدَاءُ الْحَقِّ مِنْ

---

[1] رواه الشيخان عن ابن مسعود.

فَلِي مِنْهُمَا أَمْكَنَ فَلَا جَرَمَ أَمْلَيْتُ بِلِسَانِ الْقَلَمِ كَلِمَاتٍ عَلَى مُقْتَضَى الْوَقْتِ وَالْحَالِ تَدَارُكًا لِمَا مَضَى وَتَلَافِيًا لِمَا سَبَقَ وَأَرْسَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُلْهِمُ لِلصَّوَابِ وَالْمُوَفِّقُ لِلسَّدَادِ (أَيُّهَا) الْمُوَفَّقُ لِلسَّعَادَةِ إِنَّ مَا هُوَ اللَّازِمُ لَنَا وَلَكُمْ تَصْحِيحُ الْعَقَائِدِ عَلَى مُقْتَضَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى نَهْجٍ أَخَذَهَا عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَعْدَ مَا فَهِمُوهَا كَمَا يَنْبَغِي فَإِنَّ فَهْمَنَا وَفَهْمَكُمْ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الْإِعْتِبَارِ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ فَهْمَ هَؤُلَاءِ الْكِبَارِ أَلَا تَرَى أَنَّ كُلَّ مُبْتَدِعٍ وَضَالٍّ يَدَّعِي أَخْذَ أَحْكَامِهِ الْبَاطِلَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمَهَا مِنْهُمَا وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (ثُمَّ) عِلْمُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ثَانِيًا مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ (ثُمَّ) الْعَمَلُ ثَالِثًا بِمُقْتَضَى هَذَا الْعِلْمِ (ثُمَّ) السُّلُوكُ رَابِعًا طَرِيقَ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ الَّذِي خُصَّ بِالصُّوفِيَّةِ الْكِرَامِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَمَا لَمْ تُصَحَّحِ الْعَقَائِدُ لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ كِلَا هَذَيْنِ لَا يُجْدِي الْعَمَلُ شَيْئًا وَمَا لَمْ تَحْصُلِ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا فَحُصُولُ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ مُحَالٌ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ وَمُتَمِّمَاتِهَا وَمُكَمِّلَاتِهَا كَالسُّنَّةِ الْمُكَمِّلَةِ لِلْفَرْضِ كُلُّهُ مِنَ الْفُضُولِ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ مَا لَا يَعْنِي وَمِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ وَاشْتِغَالُهُ بِمَا يَعْنِيهِ.[1] وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[2] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١٥٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ حَمِيدٍ الْبَنْكَالِيِّ

فِي بَيَانِ تَفَاوُتِ مَرَاتِبِ الْكَمَالِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْإِسْتِعْدَادَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ مَرَاتِبَ الْكَمَالِ مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْإِسْتِعْدَادَاتِ وَالتَّفَاوُتُ فِي الْكَمَالِ قَدْ يَكُونُ بِحَسَبِ الْكَمِّيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ بِحَسَبِ الْكَيْفِيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ بِهِمَا مَعًا فَكَمَالُ الْبَعْضِ مَثَلًا بِالتَّجَلِّي الصِّفَاتِيِّ وَكَمَالُ بَعْضٍ آخَرَ بِالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ مَعَ تَفَاوُتٍ فَاحِشٍ بَيْنَ أَفْرَادِ ذَيْنِكَ التَّجَلِّيَيْنِ وَبَيْنَ أَرْبَابِهِمَا أَيْضًا

فَكَمَالُ الْبَعْضِ سَلَامَةُ الْقَلْبِ وَتَخَلُّصُ الرُّوحِ وَكَمَالُ الْآخَرِ بِهِمَا وَبِالشُّهُودِ السِّرِّيِّ وَكَمَالُ الثَّالِثِ بِتِلْكَ الثَّلَاثِ وَبِالْحَيْرَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى الْخَفِيِّ وَكَمَالُ الرَّابِعِ بِتِلْكَ الْأَرْبَعِ وَبِالْإِتِّصَالِ الْمَنْسُوبِ إِلَى الْأَخْفَى ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَبَعْدَ حُصُولِ الْكَمَالِ فِي أَيِّ مَرْتَبَةٍ كَانَتْ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْمَذْكُورَةِ إِمَّا رُجُوعٌ الْقَهْقَرَى. وَإِمَّا ثَبَاتٌ وَاسْتِقْرَارٌ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَالْأَوَّلُ هُوَ مَقَامُ التَّكْمِيلِ وَالْإِرْشَادِ وَرُجُوعٌ مِنْ طَرَفِ الْحَقِّ إِلَى الْخَلْقِ لِلدَّعْوَةِ وَالثَّانِي هُوَ مَوْطِنُ الْإِسْتِهْلَاكِ وَالْعُزْلَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَالسَّلَامُ أَوَّلًا وَآخِرًا.

---

[1] قوله من حسن اسلام المرء الخ اخرجه الترمذى وابن ماجة والبيهقى من حديث ابى هريرة والشيرازى فى الالقاب عن ابى ذر والحاكم فى الكنى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه واحمد والعسكرى فى الامثال والطبرانى وابو نعيم وابن عبد البر فى التمهيد عن على بن الحسين عن ابيه وغيرهم (القزانى رحمة الله عليه)

(٢) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(١٥٩) الْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ الْبَدَخْشِيِّ

فِي التَّعْزِيَةِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْآلَامَ وَالْمَصَائِبَ وَإِنْ كَانَتْ مُرًّا فِي الظَّاهِرِ وَمُؤْلِمَةً لِلْجِسْمِ وَلَكِنَّهَا حُلْوٌ فِي الْبَاطِنِ وَمُورِثَةٌ لِلَذَّةِ الرُّوحِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوحَ وَالْجِسْمَ كَأَنَّهُمَا وَقَعَا عَلَى طَرَفَيِ النَّقِيضِ فَأَلَمُ أَحَدِهِمَا يَسْتَلْزِمُ لَذَّةَ الْآخَرِ فَالَّذِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِيضَيْنِ وَلَوَازِمِهِمَا خَارِجٌ عَنِ الْبَحْثِ وَلَا قَابِلِيَّةَ فِيهِ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، (شِعْرٌ):

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا خِبْرَةٍ عَنْ نَفْسِهِ *** هَلْ يَقْدِرُ الْإِخْبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

وَمَنْ تَنَزَّلَتْ رُوحُهُ وَاسْتَقَرَّتْ فِي مَرْتَبَةِ الْجِسْمِ وَكَانَتْ لَطِيفَتُهُ الْأَمْرِيَّةُ تَابِعَةً لِلَطِيفَتِهِ الْخَلْقِيَّةِ مِنْ أَنْ يَعْرِفَ سِرَّ هَذَا الْمَعْنَى وَمَا لَمْ تَرْجِعِ الرُّوحُ إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصْلِيَّةِ الْقَهْقَرَى وَلَمْ يَتَمَيَّزِ الْأَمْرُ مِنَ الْخَلْقِ لَا يَنْجَلِي الْحِجَابَاتُ عَنْ جَمَالِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَحُصُولُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَرْبُوطٌ بِالْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ الْمُسَمَّى وَوُقُوعِهِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ مَشَايِخُ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِالْفَنَاءِ، (شِعْرٌ):

وَكُنْ أَرْضًا لِيَنْبُتَ فِيكَ وَرْدٌ *** فَإِنَّ الْوَرْدَ مَنْبَتُهُ التُّرَابُ

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ قَبْلَ مَوْتِهِ يَنْبَغِي تَعْزِيَتُهُ لِمُصِيبَتِهِ وَقَدْ صَارَ خَبَرُ وَفَاتِ وَالِدِكَ الْمَرْحُومِ الَّذِي كَانَ مُشْتَهِرًا بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَمُرَاعِيًا لِسُنَّةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ جِدًّا مُوجِبًا لِحُزْنِ الْمُسْلِمِينَ وَمُسْتَلْزِمًا لِغَمِّهِمْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَيَنْبَغِي لِلْوَلَدِ الْأَرْشَدِ أَنْ يَلْزَمَ شِيمَةَ الصَّبْرِ وَأَنْ يَمُدَّ الْأَمْوَاتَ وَيُعَاوِنَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ وَالدَّعَوَاتِ فَإِنَّ الْمَوْتَى أَشَدُّ احْتِيَاجًا إِلَى امْدَادِ الْأَحْيَاءِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا الْمَيِّتُ إِلَّا كَالْغَرِيقِ الْمُتَغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ فَإِذَا لَحِقَتْهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِنَّ اللهَ لَيُدْخِلُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَإِنَّ هَدِيَّةَ الْأَحْيَاءِ إِلَى الْأَمْوَاتِ الْإِسْتِغْفَارُ وَبَقِيَّةُ النُّصْحِ مُلَازَمَةُ الذِّكْرِ وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْفِكْرِ فَإِنَّ الْفُرْصَةَ قَلِيلَةٌ جِدًّا يَنْبَغِي أَنْ تَصْرِفَهَا إِلَى أَهَمِّ الْمَهَامِّ وَالسَّلَامُ.

(١٦٠) الْمَكْتُوبُ السِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى أَقَلِّ عَبِيدِهِ أَعْنِي يَارْ مُحَمَّدْ الْجَدِيدَ الْبَدَخْشِيَّ الطَّالَقَانِيَّ فِي بَيَانِ أَنَّ مَشَايِخَ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَلَاثَةُ طَوَائِفَ مَعَ شَرْحِ أَحْوَالِ كُلٍّ مِنْهَا كَمَالًا وَنُقْصَانًا

(اِعْلَمْ) أَنَّ مَشَايِخَ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَلَاثَةُ طَوَائِفَ فَالطَّائِفَةُ الْأُولَى قَائِلُونَ بِأَنَّ الْعَالَمَ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ بِإِيجَادِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُلَّمَا فِيهِ مِنْ أَوْصَافِ الْكَمَالِ وَالنُّقْصَانِ فَهُوَ بِإِيجَادِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا يَعْتَقِدُونَ أَنْفُسَهُمْ شَيْئًا سِوَى شَبَحٍ بَلْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الشَّبَحِيَّةَ أَيْضًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ قَدْ غَرِقُوا فِي بِحَارِ الْعَدَمِ

بحيث لا خبر لهم عن العالم ولا عن أنفسهم مثلهم مثل شخص لا ثوب له فلبس ثوب شخص على طريق العارية عالمًا بأنه عارية وغلب عليه علم كونه عارية على وجه يرى ذلك الثوب في يد صاحبه ويجد نفسه عاريًا عنه فإذا خرج مثل هذا الشخص من عدم الشعور والسكر إلى الصحو والشعور وتشرف بالبقاء بعد الفناء فإنه وإن وجد الثوب حينئذ في نفسه ولكنه يعرف بيقين أنه من الغير فإن ذلك الفناء مندرج الآن في العلم وما بقي شيء من التعلق الذي كان بالثوب أصلاً وكذلك حال من يرى أوصافه وكمالاته كالثوب المستعار ولكنه يرى أن هذا الثوب إنما هو في الوهم فقط لا ثوب في الخارج أصلاً بل هو عار فيه وبغلب عليه هذه الرؤية على وجه لا يرى الثوب أصلاً بل يجد نفسه عريانًا وبعد الإفاقة والصحة يجد ذلك الثوب معه أيضًا ولكن فناء الشخص الأول أتم والبقاء المترتب عليه أكمل كما سيجيء عن قريب إن شاء الله وهؤلاء الأكابر متفقون مع علماء أهل السنة والجماعة في جميع المعتقدات الكلامية الثابتة على وفق الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة ولا فرق بينهم وبين المتكلمين إلا أن المتكلمين يدركون هذا المعنى علمًا واستدلالاً وهؤلاء الأكابر كشفًا وذوقًا وحالاً (وأيضًا) ان هؤلاء الأكابر لا يثبتون شيئًا من نسب العالم إلى الحق سبحانه من غاية التنزيه بل يسلبون منه سبحانه جميع النسب فكيف العينية والجزئية تعالى شأنه عن ذلك الا نسبة الربوبية والعبودية والصانعية والمصنوعية بل يضيعون هذه النسبة أيضًا وقت غلبة الحال فحينئذ يتشرفون بالفناء الحقيقي ويحصل لهم القابلية للتجليات الذاتية والمظهرية لتجليات غير متناهية (والطائفة الثانية) يقولون بأن العالم ظل الحق سبحانه ولكنهم قائلون بوجوده في الخارج بطريق الظلية لا بطريق الأصالة وأن وجود العالم قائم بوجود الحق سبحانه قيام الظل بالأصل مثلاً إذا امتد الظل من شخص وجعل ذلك الشخص من كمال قدرته صفات نفسه منعكسة فيه كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها حتى اللذة والألم فإن وقع ذلك الظل في النار مثلاً وتألم بها لا يقال عرفًا وعقلاً إن ذلك الشخص الذي هو صاحب الظل متألم كما قالت به الطائفة الثالثة وعلى هذا القياس جميع دمائم الأفعال التي تصدر من المخلوقات لا يقال انها فعل الحق سبحانه كما أن الظل إذا تحرك بإرادته لا يقال إن الشخص متحرك نعم يقال ان ذلك أثر قدرته وإرادته يعني مخلوقه ومن المقرر أن خلق القبيح ليس بقبيح بل القبيح فعل القبيح وكسبه (والطائفة الثالثة) قائلون بوحدة الوجود يعني أن في الخارج موجودًا واحدًا فقط وهو ذات الحق سبحانه ولا تحقق للعالم في الخارج أصلاً وإنما له الثبوت العلمي ويقولون إن الأعيان ما شمت رائحة الوجود وهذه الطائفة وإن قالوا إن العالم ظل الحق سبحانه ولكنهم يقولون إن وجوده الظلي إنما هو في مرتبة الحس فقط وأما في نفس الأمر والخارج فمعدوم محض ويقولون إن الحق سبحانه متصف بصفات وجوبية وإمكانية ويثبتون مراتب التنزلات، ويقولون باتصاف الذات الواحدة في كل مرتبة بأحكام لائقة بتلك المرتبة ويثبتون للذات التلذذ والتألم ولكن لا بالذات بل في حجب هذه الظلال المحسوسة الموهومة ويلزم على هذا محظورات كثيرة شرعًا وعقلاً وهم قد ارتكبوا في جوابها تمحلات كثيرة وتكلفات بعيدة (وهؤلاء الطائفة) وإن كانوا واصلين كاملين على تفاوت درجات الوصول والكمال ولكن

كلامهم دلّ الخلق على طريق الضلالة والإلحاد وأفضاهم إلى الزندقة بالقول بالإتحاد (والطائفة الأولى) أكمل وأتمّ وأقوالهم أوفق بالكتاب والسنّة وأسلم أمّا الأسلمية والأوفقية فظاهر وأمّا الأتمية والأكملية فمبنيّة على أنّ بعض مراتب الوجود الإنساني له مشابهة بالمبدأ ومناسبة تامّة له في غاية اللطافة والتجرّد كالخفي والأخفى فالذين لا يقدرون على تمييز هذه المراتب من المبدأ مع وجود الفناء السرّي فينفونها بكلمة "لا" بل يبقى المبدأ عندهم ممتزجا ومتشابها ويجدون أنفسهم حقّا يعني عينه قالوا ليس في الخارج الا الحقّ سبحانه فقط وليس لنا وجود أصلا ولكن لمّا كان تعدّد الآثار الخارجيّة متحققا قالوا بالثبوت العلمي بالضرورة ومن ههنا قالوا إنّ الأعيان برازخ بين الوجود والعدم فإنّهم لمّا لم يميّزوا بعض مراتب وجودات المخلوقات من المبدأ ولم يقولوا بوجوب وجوده صرّحوا ببرزخيّته وأثبتوا للممكن ما للواجب ولم يدروا أنّ الذي أثبتوه هو من لوازم الممكن في نفس الأمر لكنّه مشابه بالواجب ولو في الصورة والإسم فإن فرّقوا ذلك وميّزوا الممكن من الواجب بالتمام لما يقولون باتّحاد العالم بالحقّ سبحانه وعينيّتهما بل يرون العالم متميّزا من الحقّ ولما يقولون بوحدة الوجود وما دام لم يزل من شخص أثر لا يرى نفسه حقّا وإن زعم أنّه لم يبق منه أثر [1] وهذا أيضا من قصور نظره والطائفة الثانية وإن فرّقوا هذه المراتب من المبدأ وأدخلوها تحت كلمة لا ونفوها بها ولكن بقي جزء من بقايا وجودها ثانيا بواسطة الظلّيّة والأصالة فإنّ تعلّق رتبة الظلّ وارتباطها بالأصل قويّ جدّا وهذه النسبة لم تكن ممحوّة من نظرهم وأمّا الطائفة الأولى فقد فرّقوا جميع مراتب الممكن من الواجب كمال المناسبة والمتابعة لحضرة خاتم الرسالة عليه من الصلوات أتمّها ومن التحيّات أكملها ونفوا الكلّ من أوّل الأمر بكلمة لا ولم يروا في الممكن مناسبة للواجب أصلا ولم يثبتوا للواجب نسبة ما قطعا ولم يعتقدوا أنفسهم غير المخلوق العاجز شيئا واعتقدوا الحقّ سبحانه خالقهم ومولاهم واعتقاد شخص نفسه عين مولاه أو ظلّه ثقيل على هؤلاء الأكابر جدّا ما للتراب وربّ الأرباب وهؤلاء الأكابر يحبّون الأشياء لكونها مخلوقة الحقّ سبحانه وتكون الأشياء محبوبة في نظرهم بهذا السبب وبهذه الحيثيّة أعني من حيثيّة كون العالم وأفعالهم مصنوع الحقّ سبحانه وأثر أفعاله وإرادته وقدرته ينقادون ويستسلمون للأشياء بالتمام ولا يقدرون على إنكار أفعالهم الا بموجب الشريعة فكما أنّ هذا النوع من الانقياد والإستسلام والمحبّة يحصل لأرباب التوحيد بسبب اعتقادهم الأشياء مظهر الصفات الحقّ بل عينه تعالى كذلك يحصل هذا النوع لهؤلاء الأكابر بمجرّد ملاحظة كون الأشياء مخلوقة الحقّ ومصنوعته تعالى (ع) وشتّان ما بين الطريقين فانظروا * فإنّ نفس المحبوب وعينه يمكن أن يحبّ بأدنى شيء من موجبات المحبّة.

---

[1] هذا من قبيل اثبات فضيلة شيء باثبات نقص ضده كما قيل ان الاشياء بضدها فان هنا بين نقص الطائفة الثالثة الذين لا يقدرون تمييز بعض مراتب وجودات المخلوقات من الواجب بانهم لما لم يميزوا بينهما اثبتوا للممكن ما للواجب ووجدوا انفسهم عين الحق بخلاف الطائفة الاولى فانهم ميزوا بينهما ولم يثبتوا ما لاحدهما للآخر فتأمل تعرفه والا فتحير ولا تستعجل حتى تستوفي الكلام وتحيطه من اوله الى آخره منه (القزاني رحمة الله عليه)

وَأَمَّا مَصْنُوعَاتُهُ وَمَخْلُوقَاتُهُ وَعَبِيدُهُ فَلَا يُمْكِنُ تَعَلُّقُ الْمَحَبَّةِ بِهِمْ، وَكَوْنُهُمْ مَحْبُوبِينَ بِدُونِ حُصُولِ كَمَالِ مَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ وَلِهَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ مَقَامِ الْعَبْدِيَّةِ الَّتِي هِيَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ وَأَيُّ دَلِيلٍ أَتَمُّ عَلَى صِحَّةِ حَالِ هَؤُلَاءِ الْأَصْفِيَاءِ مِنْ كَوْنِ كَشْفِهِمْ مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ بِالتَّمَامِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنْ مُخَالَفَةِ ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ وَتَابِعِيهِمْ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ

(وَكَانَ) هَذَا الدَّرْوِيشُ رَاقِمُ السُّطُورِ أَوَّلًا مُعْتَقِدًا لِتَوْحِيدِ الْوُجُودِ وَحَصَلَ لَهُ عِلْمُ هَذَا التَّوْحِيدِ مِنْ زَمَنِ الصِّبَا وَبَلَغَ مَرْتَبَةَ الْيَقِينِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَالٌ وَلَمَّا دَخَلَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ انْكَشَفَ لَهُ أَوَّلًا طَرِيقُ التَّوْحِيدِ يَعْنِي عَلَى وَجْهِ الْحَالِ وَسَارَ مُدَّةً فِي مَرَاتِبِ هَذَا الْمَقَامِ وَفَاضَتْ عَلَيْهِ عُلُومٌ وَافِرَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِهَذَا الْمَقَامِ وَصَارَتِ الْمُشْكِلَاتُ وَالْوَارِدَاتُ الَّتِي تَرِدُ لِأَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ كُلُّهَا مُنْكَشِفَةً وَأُفِيضَتْ عُلُومٌ حَلَّهَا أَيْضًا وَبَعْدَ مُدَّةٍ غَلَبَتْ عَلَى هَذَا الدَّرْوِيشِ نِسْبَةٌ أُخْرَى وَتَوَقَّفَ فِي التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ يَعْنِي فِي مُطَابَقَتِهِ لِلْوَاقِعِ وَعَدَمِهِ عِنْدَ غَلَبَتِهَا عَلَيْهِ وَلَكِنَّ هَذَا التَّوَقُّفَ كَانَ بِحُسْنِ الظَّنِّ لَا بِالْإِنْكَارِ وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ التَّوَقُّفِ مُدَّةً ثُمَّ انْجَرَّ الْأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى الْإِنْكَارِ وَأُلْهِمَ إِلَيْهِ أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ مَقَامٌ سُفْلِيٌّ يَنْبَغِي التَّرَقِّي عَلَى مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْإِنْكَارِ صَاحِبَ اخْتِيَارٍ وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يُفَارِقَ هَذَا الْمَقَامَ بِسَبَبِ إِقَامَةِ الْمَشَائِخِ الْعِظَامِ فِيهِ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ وَوَجَدَ نَفْسَهُ وَسَائِرَ الْعَالَمِ ظِلًّا كَمَا قَالَ بِهِ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ تَمَنَّى عَدَمَ مُفَارَقَتِهِ ذَلِكَ لِظَنِّهِ أَنَّ الْكَمَالَ فِي وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَلِهَذَا الْمَقَامِ يَعْنِي مَقَامَ الظِّلِّيَّةِ مُنَاسَبَةٌ بِذَلِكَ الْمَقَامِ فِي الْجُمْلَةِ

(ثُمَّ) رَقَّوْهُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ أَيْضًا اتِّفَاقًا مِنْ كَمَالِ الْعِنَايَةِ وَغَايَةِ اللُّطْفِ بِهِ عَلَى أَعْلَى مِنْهُ وَبَلَّغُوهُ مَقَامَ الْعَبْدِيَّةِ فَظَهَرَ حِينَئِذٍ كَمَالُ هَذَا الْمَقَامِ وَاتَّضَحَ عُلُوُّهُ فَصَارَ تَائِبًا مِنَ الْمَقَامَاتِ التَّحْتَانِيَّةِ وَمُسْتَغْفِرًا مِنْهَا فَإِنْ لَمْ يَسْلُكُوا بِهَذَا الدَّرْوِيشِ بِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَمْ يُظْهِرُوا لَهُ فَوْقِيَّةَ بَعْضٍ بَعْضًا كَانَ قَدْ ظَنَّ تَرَقِّيَهُ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ تَنَزُّلًا مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقَامٌ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَاللَّهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(وَيَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنْشَأَ تَفَاوُتِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ فِي الْمَكَاتِيبِ وَالرَّسَائِلِ الصَّادِرَةِ مِنْ هَذَا الدَّرْوِيشِ بَلْ مِنْ كُلِّ سَالِكٍ هُوَ حُصُولُ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الْمُتَفَاوِتَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ عُلُومًا وَمَعَارِفَ خَاصَّةً بِهِ وَلِكُلِّ حَالٍ قِيلًا وَقَالًا فَعَلَى هَذَا لَا تَدَافُعَ فِي الْعُلُومِ وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَهَا بَلْ ذَلِكَ مِثْلُ نَسْخِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١٦١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا صَالِحٍ الْبَدَخْشِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلُوكِ حُصُولُ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ الْمَوْقُوفِ عَلَى اطْمِئْنَانِ النَّفْسِ

اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلُوكِ حُصُولُ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بِاطْمِئْنَانِ النَّفْسِ، وَمَا لَمْ تَطْمَئِنَّ النَّفْسُ لَا تُتَصَوَّرُ النَّجَاةُ وَلَا تَصِلُ النَّفْسُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْإِطْمِئْنَانِ مَا لَمْ تُسَلَّطْ عَلَيْهَا سِيَاسَةُ الْقَلْبِ وَسِيَاسَةُ الْقَلْبِ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ فَارِغًا مِنْ جَمِيعِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ وَحَصَلَتْ لَهُ السَّلَامَةُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِمَا سِوَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعَلَامَةُ سَلَامَتِهِ مِنْ ذَلِكَ التَّعَلُّقِ نِسْيَانُهُ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَمَا بَقِيَ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنَ الشُّعُورِ بِالْغَيْرِ فَالسَّلَامَةُ بَعِيدَةٌ فَطُوبَى لِمَنْ سَلِمَ قَلْبُهُ لِرَبِّهِ وَالسَّعْيُ إِلَى أَنْ تُشَرَّفَ الْقَلْبُ بِالسَّلَامَةِ وَيَنْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى اطْمِئْنَانِ النَّفْسِ لَازِمٌ. ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالسَّلَامُ.

(١٦٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ صِدِّيقْ فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَبَيَانِ مُنَاسَبَتِهِ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ (اعْلَمْ) أَنَّ شَأْنَ الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الشُّيُونَاتِ الذَّاتِيَّةِ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالشُّيُونَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ كَمَا ذُكِرَ فِي الْعُلُومِ السَّابِقَةِ وَشَهْرُ رَمَضَانَ الْمُبَارَكُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَكُلُّ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ فَهُوَ مُفَاضٌ مِنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَنَتِيجَةُ شُيُونَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَكُلُّ شَرٍّ وَنَقْصٍ ظَهَرَ فِي عَرْصَةِ الْوُجُودِ فَمَنْشَأُهُ الذَّاتُ الْحَادِثَةُ وَالصِّفَاتُ الْمُسْتَحْدَثَةُ (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) نَصٌّ قَاطِعٌ فِي ذَلِكَ فَجَمِيعُ خَيْرَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَبَرَكَاتِهِ نَتِيجَةُ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي اسْتَجْمَعَتْ فِي شَأْنِ الْكَلَامِ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ حَاصِلُ تَمَامِ حَقِيقَةِ ذَلِكَ الشَّأْنِ الْجَامِعِ فَلِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ الْقُرْآنِ جَامِعًا لِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ وَهَذَا الشَّهْرُ لِجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي هِيَ نَتَائِجُ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ وَثَمَرَاتُهَا وَهَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ كَانَتْ بَاعِثَةً عَلَى نُزُولِ الْقُرْآنِ فِي هَذَا الشَّهْرِ قَالَ اللهُ تَعَالَى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلَاصَةُ هَذَا الشَّهْرِ وَزُبْدَتُهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ اللُّبِّ وَهَذَا الشَّهْرُ بِمَنْزِلَةِ قِشْرِهِ فَمَنْ مَرَّ عَلَيْهِ هَذَا الشَّهْرُ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِالْجَمْعِيَّةِ وَصَارَ مَحْظُوظًا مِنْ خَيْرَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ يَكُنْ مُوَفَّقًا لِجَمْعِيَّةِ تَمَامِ السَّنَةِ وَيَفُوزُ بِالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ فِيهَا وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَرَزَقَنَا النَّصِيبَ الْأَعْظَمَ قَالَ حَضْرَةُ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ "إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرَةٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ" وَأَفْطَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّمْرِ وَكَوْنُ التَّمْرِ بَرَكَةً لِأَنَّ شَجَرَتَهَا النَّخْلَةُ وَمَخْلُوقَةٌ عَلَى عُنْوَانِ الْجَامِعِيَّةِ وَصِفَاتٍ اعْتِدَالِيَّةٍ كَالْإِنْسَانِ وَلِهَذَا سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّخْلَةَ عَمَّةَ بَنِي آدَمَ لِكَوْنِهَا مَخْلُوقَةً مِنْ بَقِيَّةِ طِينَةِ

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "أَكْرِمُوا[1] عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ بَقِيَّةِ طِينَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ" وَنِسْبَتُهُ بِرَكَةً يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بِاعْتِبَارِ هَذِهِ الْجَامِعِيَّةِ فَالْإِفْطَارُ بِثَمَرَتِهَا الَّتِي هِيَ الثَّمْرَةُ تَكُونُ جُزْءًا مِنَ الْمُفْطِرِ بِهَا وَحَقِيقَتُهَا الْجَامِعِيَّةُ تَكُونُ جُزْءًا مِنْ حَقِيقَتِهِ بِاعْتِبَارِ تِلْكَ الْجُزْئِيَّةِ وَيَكُونُ آكِلُهَا جَامِعًا لِكَمَالَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ مُنْدَرِجَةٍ فِي حَقِيقَةِ التَّمْرِ الْجَامِعَةِ بِذَلِكَ الْإِعْتِبَارِ وَهَذَا الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ حَاصِلًا فِي أَكْلِهِ مُطْلَقًا وَلَكِنَّهُ وَقْتَ الْإِفْطَارِ الَّذِي هُوَ أَوَانُ خُلُوِّ الصَّائِمِ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْمَانِعَةِ وَاللَّذَّاتِ الْفَانِيَةِ يَكُونُ تَأْثِيرُهُ أَزْيَدَ وَظُهُورُ هَذَا الْمَعْنَى فِيهِ يَكُونُ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ وَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَ[2] سَحُورُ الْمَرْءِ التَّمْرُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ فِي غِذَائِهِ الَّذِي يَصِيرُ جُزْءًا مِنَ الْآكِلِ تَكْمِيلَ حَقِيقَتِهِ لَا تَكْمِيلَ حَقِيقَةِ الْغِذَاءِ وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَعْنَى مَفْقُودًا وَقْتَ الصَّوْمِ رُغِّبَ فِي التَّسَحُّرِ بِالتَّمْرِ تَلَافِيًا لِهَذَا الْمَعْنَى وَكَانَ فِي أَكْلِهِ فَائِدَةُ أَكْلِ جَمِيعِ الْمَأْكُولَاتِ وَتَبْقَى بَرَكَتُهُ بِاعْتِبَارِ جَامِعِيَّتِهِ إِلَى وَقْتِ الْإِفْطَارِ وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ الْغِذَائِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ إِنَّمَا تَتَرَتَّبُ إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ الْغِذَاءُ عَلَى وَجْهٍ شَرْعِيٍّ وَلَمْ يُجَاوِزْ حُدُودَ الشَّرْعِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَأَيْضًا إِنَّ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْفَائِدَةِ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا كَانَ آكِلُهُ قَدْ جَاوَزَ الصُّورَةَ وَبَلَغَ الْمَعْنَى وَالْحَقِيقَةَ وَاطْمَأَنَّ عَنِ الظَّاهِرِ بِالْبَاطِنِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ ظَاهِرُ الْغِذَاءِ مُمِدًّا لِظَاهِرِهِ وَبَاطِنُهُ مُكَمِّلًا لِبَاطِنِهِ وَإِلَّا فَفَائِدَتُهُ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْإِمْدَادِ الظَّاهِرِيِّ وَآكِلُهُ فِي عَيْنِ الْقُصُورِ، (شِعْرٌ):

اجْتَهِدْ فِي جَعْلِ أَكْلٍ جَوْهَرًا *** ثُمَّ كُلْ مِنْ بَعْدِ ذَا مَا تَشْتَهِي

وَهَذَا أَعْنِي تَكْمِيلَ الْغِذَاءِ لِآكِلِهِ هُوَ سِرُّ تَعْجِيلِ الْإِفْطَارِ وَتَأْخِيرِ السَّحُورِ وَالسَّلَامُ.

(١٦٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى السَّيِّدِ النَّقِيبِ الشَّيْخِ فَرِيدٍ فِي بَيَانِ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْكُفْرِ ضِدُّ الْآخَرِ وَاجْتِمَاعُهُمَا مُحَالٌ وَإِعْزَازُ أَحَدِهِمَا مُسْتَلْزِمٌ لِإِذْلَالِ الْآخَرِ إِلَخ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اعْلَمْ أَنَّ نَقْدَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَرْبُوطٌ بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَحَسْبُ وَالْإِتِّبَاعُ إِنَّمَا هُوَ بِإِتْيَانِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَإِجْرَائِهَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَرَفْعِ رُسُومِ الْكُفْرِ وَإِبْطَالِهَا وَدَفْعِهَا عَنِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ فَإِنَّ الْكُفْرَ وَالْإِسْلَامَ ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَسَاعَةِ الْقِيَامِ فَإِثْبَاتُ أَحَدِهِمَا مُوجِبٌ لِرَفْعِ الْآخَرِ وَإِعْزَازُ أَحَدِهِمَا مُسْتَلْزِمٌ لِإِذْلَالِ الْآخَرِ وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ

---

[1] رواه ابو يعلى في مسنده والعقيلي في الضعفاء وابن عدى وابن ابي حاتم وابن السني وابو نعيم في الطب وابن مردوية في التفسير عن علي بلفظ اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من فضلة طينة ابيكم آدم قال العزيزي اسانيدها ضعيفة ولكن باجتماعها تتقوى اه. (القزاني رحمة الله عليه)

[2] رواه باو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1] فَإِذَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ عُلِمَ أَنَّ الْغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ دَاخِلٌ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ فَعِزَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَذَلَّةِ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ **فَمَنْ أَعَزَّ أَهْلَ الْكُفْرِ فَقَدْ أَذَلَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَالْإِعْزَازُ لَيْسَ هُوَ عِبَارَةً عَنْ تَعْظِيمِهِ وَإِجْلَاسِهِمْ فِي الصَّدْرِ أَلْبَتَّةَ بَلْ إِدْخَالُهُمْ فِي الْمَجَالِسِ وَمُصَاحَبَتُهُمْ وَالتَّكَلُّمُ مَعَهُمْ بِلُغَاتِهِمْ كُلُّ ذَٰلِكَ دَاخِلٌ فِي الْإِعْزَازِ فَإِنَّ اللَّائِقَ بِهِمْ إِبْعَادُهُمْ مِثْلَ الْكِلَابِ فَإِنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ غَرَضٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَاوِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يَكَادُ يَتَيَسَّرُ بِدُونِهِمْ فَحِينَئِذٍ** يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَطَ بِهِمْ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ مُرَاعِيًا شِيمَةَ عَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ وَالْاعْتِدَادِ بِهِمْ وَكَمَالُ الْإِسْلَامِ فِي تَرْكِ هَذَا الْغَرَضِ بِالْكُلِّيَّةِ وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ وَالْإِخْتِلَاطِ بِهِمْ وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْكُفْرِ فِي كَلَامِهِ الْمَجِيدِ عَدُوَّهُ وَعَدُوَّ رَسُولِهِ فَالْإِخْتِلَاطُ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْجِنَايَاتِ وَأَقَلُّ ضَرَرِ الْمُخَالَطَةِ بِهَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ وَالْمُصَاحَبَةِ مَعَهُمْ حُصُولُ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ فِي قُدْرَةِ إِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَرَفْعِ رُسُومِ الْكُفْرِ الشَّنِيعَةِ لِمَانِعِ حَيَاءِ الْمُؤَانَسَةِ بِهِمْ وَهَذَا الضَّرَرُ عَظِيمٌ جِدًّا فَإِنَّ الْمَوَدَّةَ وَالْأُلْفَةَ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ يَنْجَرُّ إِلَى عَدَاوَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَاوَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُبَّمَا يَزْعُمُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنَّهُ لَا يَدْرِي أَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الشَّنِيعَةِ يُذْهِبُ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ عَنْهُ بِالتَّمَامِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

(شعر).

تُحِبُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي *** أُحِبُّكَ إِنَّ الْعَقْلَ مِنْكَ لَعَازِبٌ

وَشُغُلُ هَؤُلَاءِ الْمَلَاعِينِ أَعْدَاءِ الدِّينِ الْإِسْتِهْزَاءُ بِالْإِسْلَامِ وَالسُّخْرِيَّةُ بِأَهْلِهِ مُنْتَظِرِينَ بِأَنَّهُمْ إِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً يُخْرِجُونَنَا مِنَ الْإِسْلَامِ أَوْ يَقْتُلُونَنَا جَمِيعًا فَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ أَيْضًا الْإِسْتِحْيَاءُ وَالْحَمِيَّةُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَمِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ضَرُورِيَّةٌ فَاللَّائِقُ بِأُولِي الْأَمْرِ أَنْ يَكُونُوا فِي إِذْلَالِ هَؤُلَاءِ الْمَخْذُولِينَ دَائِمًا وَقَدِ ارْتَفَعَتِ الْجِزْيَةُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ رَأْسًا وَبِالذَّاتِ وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ شَآمَةِ مُصَاحَبَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ مَعَ سَلَاطِينِ هَذِهِ الدِّيَارِ وَالْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ مِنْ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ هُوَ إِذْلَالُهُمْ وَهَذَا الْإِذْلَالُ يَكُونُ عَلَى حَدٍّ لَا يَقْدِرُونَ لُبْسَ الثِّيَابِ النَّفِيسَةِ خَوْفًا مِنْ أَخْذِ الْجِزْيَةِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّحَمُّلِ بَلْ يَكُونُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِهِمْ عَلَى الدَّوَامِ وَكَيْفَ يَتَجَاسَرُ السَّلَاطِينُ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ أَخْذِ الْجِزْيَةِ وَالْحَالُ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الْجِزْيَةَ ذُلًّا لَهُمْ وَالْمَقْصُودُ مِنْ أَخْذِهَا فَضِيحَتُهُمْ وَمَذَلَّتُهُمْ وَعِلِّيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَعِزَّتُهُمْ (ع) **وَفِي إِذْلَالِ كُفْرٍ عِزُّ الْإِسْلَامِ *** وَعَلَامَةُ حُصُولِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ بُغْضُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَكَرَاهَتُهُمْ وَقَدْ سَمَّاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كَلَامِهِ الْمَجِيدِ نَجَسًا وَفِي مَحَلٍّ رِجْسًا فَيَنْبَغِي إِذًا أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْكُفْرِ فِي نَظَرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ نَجَسًا وَرِجْسًا فَإِذَا رَأَوْهُمْ كَذَلِكَ فَلَا جَرَمَ يَجْتَنِبُونَ عَنْ صُحْبَتِهِمْ وَيَسْتَكْرِهُونَ مُجَالَسَتَهُمْ وَالرُّجُوعُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى رَأْيِهِمْ وَحُكْمِهِمْ مِنْ كَمَالِ إِعْزَازِهِمْ فَمَا يَكُونُ حَالُ

---

(1) الآية: ٧٣ من سورة التوبة.

مَنْ يَطْلُبُ مِنْهُمْ الْهِبَةَ وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ وَقَدْ قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ فِي كَلَامِهِ الْمَجِيدِ (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ) فَدُعَاءُ هَؤُلاَءِ الْأَعْدَاءِ بَاطِلٌ عَارٍ عَنِ الْحَاصِلِ فَأَنَّى يَكُونُ احْتِمَالُ الْإِجَابَةِ فِيهِ بَلْ يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ فَسَادًا كَبِيرًا مِنْ إِغْرَارِ هَؤُلاَءِ الْكِلاَبِ وَلَئِنْ بَاشَرَ هَؤُلاَءِ الْمَخْذُولُونَ الدُّعَاءَ يَتَوَسَّلُونَ بِأَصْنَامِهِمْ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ إِلَى أَيْنَ يَنْجَرُّ الْأَمْرُ بَلْ لاَ تَبْقَى رَائِحَةٌ مِنَ الْإِسْلاَمِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ: مَا لَمْ يَصِلْ أَحَدُكُمْ إِلَى حَدِّ الْجُنُونِ لاَ يَصِلُ إِلَى الْإِسْلاَمِ وَالْجُنُونُ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى نَفْعِ نَفْسِهِ وَضَرَرِهِ وَعَدَمُ الْمُبَالاَةِ بِحُصُولِ شَيْءٍ وَفَوْتِهِ فِي إِعْلاَءِ كَلِمَةِ الْإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ فَإِذَا حَصَلَ الْإِسْلاَمُ فَقَدْ حَصَلَ رِضَا الْحَقِّ وَرِضَا رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلاَ دَوْلَةَ أَعْظَمُ مِنْ رِضَا الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ رَضِينَا بِاللّٰهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ نَبِيًّا وَرَسُولاً وَأَحْيِنَا يَا رَبِّ عَلَى ذَلِكَ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا فَقَدْ كَتَبْتُ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ وَمَا لاَ بُدَّ مِنْهُ عُجَالَةَ الْوَقْتِ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ وَأَرْسَلْتُهُ فَإِنْ كَانَ التَّوْفِيقُ رَفِيقًا بَعْدَ ذَلِكَ أَكْتُبُ مُفَصَّلاً وَأُرْسِلُهُ وَكَمَا أَنَّ الْإِسْلاَمَ ضِدُّ الْكُفْرِ كَذَلِكَ الْآخِرَةُ ضِدُّ الدُّنْيَا لاَ تَجْتَمِعُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى وَتَرْكُ الدُّنْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ تَرْكُهَا مَعَ جَمِيعِ مُبَاحَاتِهَا إِلاَّ قَدْرَ الضَّرُورَةِ وَهَذَا الْقِسْمُ أَعْلَى نَوْعَيْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَالْأُخْرَى الْإِجْتِنَابُ عَنْ مُحَرَّمَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا مَعَ التَّنَعُّمِ بِمُبَاحَاتِهَا وَهَذَا الْقِسْمُ أَيْضًا عَزِيزُ الْوُجُودِ جِدًّا خُصُوصًا فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ، (شِعْرٌ):

إِذَا قِسْنَا السَّمَا بِالْعَرْشِ يَنْحَطُّ *** وَمَا أَعْلاَهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضٍ

فَلاَ بُدَّ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الْاِجْتِنَابِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلُبْسِ الْحَرِيرِ وَأَمْثَالِهَا مِمَّا هُوَ مُحَرَّمٌ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنْ حَفِظْتَ أَوَانِيَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِلتَّجَمُّلِ وَزِينَةِ الْبَيْتِ فَلاَ بَأْسَ بِهِ بَلْ لَهُ مَسَاغٌ فِي الْجُمْلَةِ وَلَكِنَّ اسْتِعْمَالَهَا بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ مِنْ شُرْبِ مَاءٍ وَأَكْلِ طَعَامٍ فِيهَا وَوَضْعِ الْعِطْرِ وَاتِّخَاذِ الْمُكْحُلَةِ مِنْهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ حَرَامٌ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَسَّعَ دَائِرَةَ الْمُبَاحِ جِدًّا حَتَّى إِنَّ التَّنَعُّمَاتِ وَالتَّمَتُّعَاتِ بِهَا أَزْيَدُ مِنْهَا بِالْأُمُورِ الْمُحَرَّمَةِ مَعَ أَنَّ فِي اسْتِعْمَالِ الْمُبَاحَاتِ رِضَا الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَفِي اسْتِعْمَالِ الْمُحَرَّمَاتِ سَخَطُهُ تَعَالَى وَالْعَقْلُ السَّلِيمُ لاَ يُجَوِّزُ أَصْلاً اخْتِيَارَ لَذَّةٍ فَانِيَةٍ فِيهَا عَدَمُ رِضَا مَوْلاَهُ مَعَ أَنَّ مَوْلاَهُ جَوَّزَ لَهُ بَدَلَ تِلْكَ اللَّذَّةِ الْمُحَرَّمَةِ اللَّذَّةَ الْمُبَاحَةَ رَزَقَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْاِسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ. وَيَنْبَغِي الرُّجُوعُ فِي الْمُعَامَلَةِ إِلَى الْعُلَمَاءِ الْمُتَوَرِّعِينَ دَائِمًا وَالْإِسْتِفْسَارُ مِنْهُمْ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى فَتْوَاهُمْ فَإِنَّ طَرِيقَ النَّجَاةِ هُوَ الشَّرِيعَةُ وَمَا عَدَا الشَّرِيعَةَ كُلُّهُ بَاطِلٌ لاَ اعْتِبَارَ لَهُ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(١٦٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْحَافِظِ بَهَاءِ الدِّينِ السَّرْهَنْدِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ فَيْضَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَارِدٌ عَلَى الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ عَلَى الدَّوَامِ وَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ بِقَبُولِهِ وَعَدَمِ قَبُولِهِ مِنْ طَرَفِ الْعَبْدِ

رَزَقَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. اِعْلَمْ أَنَّ فَيْضَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ قِسْمِ الأَوْلاَدِ وَالأَمْوَالِ وَالْهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ وَإِنْ كَانَ وَارِدًا عَلَى الدَّوَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِقَةٍ بَيْنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ وَالْكِرَامِ وَاللِّئَامِ وَلَكِنَّ التَّفَاوُتَ نَاشِئٌ مِنْ هَذَا الطَّرَفِ فَبَعْضٌ يَقْبَلُ الْقُبُوضَ وَآخَرُ لاَ يَقْبَلُهَا: **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** [1] أَلاَ تَرَى أَنَّ الشَّمْسَ تُشْرِقُ عَلَى الْقَصَّارِ وَالثَّوْبِ بِالسَّوِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ تُسَوِّدُ وَجْهَ الْقَصَّارِ وَتُبَيِّضُ الثَّوْبَ وَعَدَمُ قَبُولِ فَيْضِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الإِعْرَاضِ عَنْ جَنَابِ قُدْسِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ فَإِنَّ الإِدْبَارَ لاَزِمٌ لِلْمُعْرِضِ وَالْحِرْمَانَ مِنَ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلَيْهِ

(لاَ يُقَالُ) إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعْرِضِينَ مُتَنَعِّمُونَ بِتَنَعُّمَاتٍ عَاجِلَةٍ وَلَمْ يَكُنْ إِعْرَاضُهُمْ سَبَبًا لِحِرْمَانِهِمْ (لأَنَّا نَقُولُ) إِنَّ تِلْكَ نِقْمَةٌ ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ نِعْمَةٍ عَلَى سَبِيلِ الإِسْتِدْرَاجِ لِطُغْيَانِهِمْ لِيَنْهَمِكُوا فِي الإِعْرَاضِ وَالضَّلاَلَةِ قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ) فَالدُّنْيَا وَتَنَعُّمَاتُهَا مَعَ وُجُودِ الإِعْرَاضِ عَيْنُ الإِسْتِدْرَاجِ الْحَذَرَ الْحَذَرَ.

(١٦٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى السَّيِّدِ النَّقِيبِ الشَّيْخِ فَرِيدٍ فِي التَّرْغِيبِ فِي مُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ وَبُغْضِ مُخَالِفِي الشَّرِيعَةِ وَعَدَاوَتِهِمْ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ

شَرَّفَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ بِتَشْرِيفِ الْمِيرَاثِ الْمَعْنَوِيِّ مِنَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا كَمَا شَرَّفَكُمْ بِتَشْرِيفِ الْمِيرَاثِ الصُّورِيِّ وَيَرْحَمُ اللّٰهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا وَمِيرَاثُهُ الصُّورِيُّ يَتَعَلَّقُ بِعَالَمِ الْخَلْقِ وَمِيرَاثُهُ الْمَعْنَوِيُّ بِعَالَمِ الأَمْرِ الَّذِي هُوَ مَقَرُّ الإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَمَحَلُّ الرُّشْدِ وَالْهِدَايَةِ وَشُكْرُ نِعْمَةِ الْمِيرَاثِ الصُّورِيِّ هُوَ التَّحَلِّي بِالْمِيرَاثِ الْمَعْنَوِيِّ وَلاَ يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ إِلاَّ بِكَمَالِ الإِتِّبَاعِ الْمُصْطَفَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَالْمُتَابَعَةُ فَرْعُ كَمَالِ مَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ (ع) **إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ** * وَعَلاَمَةُ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ كَمَالُ بُغْضِ أَعْدَائِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِظْهَارُ الْعَدَاوَةِ لِمُخَالِفِي شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلاَ سَبِيلَ لِلْمُدَاهَنَةِ فِي الْمَحَبَّةِ فَإِنَّ الْمُحِبَّ وَالِهٌ بِالْمَحْبُوبِ هَائِمٌ بِهِ لاَ يُطِيقُ مُخَالَفَتَهُ وَلاَ أَنْ يَمِيلَ إِلَى مُخَالِفِيهِ وَلاَ أَنْ يَلِينَ لَهُمْ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَلاَ يَجْتَمِعُ مَحَبَّةُ الْمُتَنَافِيَيْنِ فَإِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ مُحَالٌ بَلْ مَحَبَّةُ أَحَدِهِمَا تَسْتَلْزِمُ عَدَاوَةَ الآخَرِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّلَ تَأَمُّلاً جَيِّدًا وَأَنْ يَتَدَارَكَ مَا مَضَى قَبْلَ فَوْتِ الْفُرْصَةِ فَإِنَّهُ إِذَا فَاتَتِ الْفُرْصَةُ لاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ غَيْرُ النَّدَامَةِ،

(شِعْرٌ):وَحِينَ الصُّبْحِ تَبْدُو كَالنَّهَارِ *** **حَقِيقَةُ مَنْ هَوِيتَهُ فِي الظَّلاَمِ**

---

(١) الآية: ٣٣ من سورة النحل.

غَيْرَهُ: سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ *** أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارٌ

وَمَتَاعُ الدُّنْيَا مَتَاعُ الْغُرُورِ وَتَرَتَّبَتْ عَلَيْهِ الْمُعَامَلَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ وَالْأَبَدِيَّةُ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ مُتَابَعَةُ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَةِ فَالنَّجَاةُ الْأَبَدِيَّةُ مَرْجُوَّةٌ وَإِلَّا فَخَسَارَةٌ فِي خَسَارَةٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَأَيُّ عَمَلٍ عَمِلَهُ مِنَ الْخَيْرِ، (شِعْرٌ):

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ مِنْ عَرَبٍ *** خَابَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي بَابِهِ التُّرَابَا

وَحُصُولُ دَوْلَةِ تِلْكَ الْمُتَابَعَةِ الْعُظْمَى لَيْسَ بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرْكِ الدُّنْيَا بِالْكُلِّيَّةِ حَتَّى يَكُونَ عَسِيرًا بَلْ إِذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ مَثَلًا فَلَهُ حُكْمُ التَّرْكِ فِي عَدَمِ وُصُولِ الْمَضَرَّةِ فَإِنَّهُ لَا ضَرَرَ فِي الْمَالِ الْمُزَكَّى فَمُعَالَجَةُ دَفْعِ الضَّرَرِ عَنِ الْمَالِ الدُّنْيَوِيِّ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ وَإِنْ كَانَ التَّرْكُ الْكُلِّيُّ أَوْلَى وَأَفْضَلَ مِنْهُ وَلَكِنَّ أَدَاءَ الزَّكَاةِ يَقُومُ مَقَامَهُ (شِعْرٌ):

إِذَا قِسْنَا السَّمَا بِالْعَرْشِ يَنْحَطُّ *** وَمَا أَعْلَاهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضٍ

فَيَنْبَغِي صَرْفُ جَمِيعِ الْهِمَّةِ فِي إِتْيَانِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَتَعْظِيمِ أَهْلِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ وَالْإِجْتِهَادُ فِي تَرْوِيجِهَا وَإِذْلَالِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ فَإِنَّ مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ وَمُعَادَاةُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّعْيُ فِي إِهَانَتِهِمْ وَتَحْقِيرِهِمْ وَعَدَمُ إِعْزَازِهِمْ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَعَدَمُ إِدْخَالِهِمْ فِي الْمَجَالِسِ أَصْلًا وَعَدَمُ الْأُنْسِ بِهِمْ وَسُلُوكُ طَرِيقِ الْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ عَلَيْهِمْ وَعَدَمُ الرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنِ اضْطَرَّتِ الضَّرُورَةُ فَرْضًا إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ يَنْبَغِي قَضَاءُ تِلْكَ الْحَاجَةِ مِنْهُمْ بِكُرْهٍ وَاضْطِرَارٍ مِثْلَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الطَّرِيقُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ جَدِّكُمُ الْمُعَظَّمِ هُوَ هَذَا وَمَنْ لَمْ يَمْشِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ فَالْوُصُولُ إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ الْمُقَدَّسِ مُشْكِلٌ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ،

(شِعْرٌ):

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا *** قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفٌ

مَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ هَذَا،

(شِعْرٌ):

بَثَثْتُ لَدَيْكُمْ مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ *** تَمَلُّوا وَإِلَّا فَالْكَلَامُ كَثِيرٌ

---

[1] رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابراهيم بن ميسرة مرسلا قال القارى يعد فى التابعين ثقة صحيح الحديث ورواه الطبرانى من حديث عبد الله بن بسر وابن عدى عن ابن عباس وايضا ابن عدى وابو نصر السجزى فى الابانة وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها (القزانى رحمة الله عليه)

(١٦٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلاَّ مُحَمَّدْ أَمِينْ فِي عَدَمِ الإِغْتِرَارِ بِالْحَيَاةِ الْيَسِيرَةِ وَالْجُهْدِ فِي إِزَالَةِ الْمَرَضِ الْقَلْبِيِّ بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ إِلاَمَ تَحِنُّ إِلَى نَفْسِكَ كَالأُمِّ الشَّفِيقَةِ وَحَتَّامَ تَتَجَرَّعُ الْغُصَصَ مِنْ أَجْلِهَا وَتَغْتَمُّ عَلَيْهَا كَالأُخْتِ الشَّفِيقَةِ يَنْبَغِي أَنْ تَفْرِضَ الْكُلَّ مَيِّتًا وَجَمَادًا خَالِيًا عَنِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ نَصٌّ قَاطِعٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَفِكْرُ إِزَالَةِ الْمَرَضِ الْقَلْبِيِّ بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ فِي هَذِهِ الْفُرْصَةِ الْيَسِيرَةِ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ وَمُعَالَجَةُ الْعِلَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ بِذِكْرِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْقَلِيلِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَقَاصِدِ وَأَجَلِّ الْقُرُبَاتِ الْقَلْبُ الَّذِي هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْغَيْرِ كَيْفَ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ الْخَيْرُ وَالرُّوحُ الَّتِي هِيَ مَائِلَةٌ إِلَى الشَّرِّ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ أَفْضَلُ مِنْهَا وَأَخِيرُ الْمَطْلُوبِ مِمَّا هُنَالِكَ كُلِّهِ سَلاَمَةُ الْقَلْبِ وَتَخَلُّصُ الرُّوحِ وَصَفَاؤُهَا وَنَحْنُ الْقَاصِرُونَ فِي فِكْرِ تَحْصِيلِ أَسْبَابِ تَعَلُّقِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ دَائِمًا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ وَمَاذَا نَصْنَعُ ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تَغْتَمَّ مِنْ جِهَةِ الضَّعْفِ الظَّاهِرِيِّ عَسَى أَنْ يَتَبَدَّلَ صِحَّةً وَعَافِيَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلاَ تَشْوِيشَ فِي خَاطِرِ هَذَا الْجَانِبِ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ وَقَدْ طَلَبْتُمُ الثَّوْبَ الَّذِي لَبِسَهُ الْفَقِيرُ فَأَرْسَلْتُ قَمِيصًا فَيَنْبَغِي أَنْ تَلْبَسَهُ مُتَرَصِّدًا لِنَتَائِجِهِ وَثَمَرَاتِهِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْبَرَكَةِ، (شِعْرٌ):

خَابَ الَّذِي قَدْ غَدَا فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ *** وَفَازَ مَنْ كَانَ فِي حِدَّةِ الْبَصَرِ

﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[2] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ .

(١٦٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى هَرْدَىْ رَامْ الْهِنْدُو وَالَّذِي أَظْهَرَ الإِخْلاَصَ لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّحْذِيرِ عَنْ عِبَادَةِ الآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ

قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْكُمْ مَكْتُوبَانِ وَفُهِمَ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا مَحَبَّةُ الْفُقَرَاءِ وَالإِلْتِجَاءُ إِلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ نِعْمَ النِّعْمَةُ إِنْ مُنَّ عَلَى شَخْصٍ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ، (شِعْرٌ):

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ الْبَلاَغِ أَقُولُهُ *** فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا خَالِصًا أَوْ مَلاَلَةً

(اِعْلَمْ وَتَنَبَّهْ) أَنَّ رَبَّنَا وَرَبَّكُمْ بَلْ رَبَّ الْعَالَمِينَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَالْعُلْوِيِّينَ وَالسُّفْلِيِّينَ وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مُنَزَّهٌ عَنِ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ مُبَرَّأٌ عَنِ الشَّكْلِ وَكُلُّ مَا يَمُرُّ عَلَى الْخَيَالِ وَكُلٌّ مِنَ الأُبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي حَقِّهِ مُحَالٌ وَلَيْسَ لِلْكَفَاءَةِ وَالتَّمْثَالِ فِي حَضْرَتِهِ مَجَالٌ وَزَعْمُ شَائِبَةِ الإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ مُسْتَهْجَنٌ فِي

---

(١) الآية: ٣٣ من سورة النحل.

(٢) الآية: ٤٧ من سورة طه.

حَضْرَةِ أُنْسِهِ وَمَظِنَّةُ الْكُمُونِ وَالْبُرُوزِ مُسْتَقْبَحٌ فِي جَنَابِ قُدْسِهِ لَيْسَ بِزَمَانِيٍّ فَإِنَّ الزَّمَانَ مَخْلُوقُهُ تَعَالَى وَلَيْسَ بِمَكَانِيٍّ فَإِنَّ الْمَكَانَ مَصْنُوعُهُ سُبْحَانَهُ لاَ بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ وَلاَ نِهَايَةَ لِبَقَائِهِ وَكُلُّ خَيْرٍ وَكَمَالٍ ثَابِتٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَكُلُّ نَقْصٍ وَزَوَالٍ مَسْلُوبٌ عَنْ جَنَابِهِ الْمُتَعَالِي فَيَكُونُ مُسْتَحِقُّ الْعِبَادَةِ هُوَ تَعَالَى (وَرَامْ وَكِرِشْنْ) وَأَمْثَالُهُمَا مِنْ آلِهَةِ الْهُنُودِ كُلُّهَا مِنْ أَحْقَرِ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى مُتَوَلِّدَاتٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ رَامْ وَلَدُ جَسْرَتْ وَأَخُو لَكَهْمَنْ وَزَوْجُ سِيتَا فَإِذَا كَانَ رَامْ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى حِفْظِ زَوْجَتِهِ فَكَيْفَ يَمُدُّ الْغَيْرَ يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُ الْعَقْلِ لاَ اتِّبَاعُ هَؤُلاَءِ وَتَقْلِيدُهُمْ فَعَارٌ عَلَى شَخْصٍ أَلْفَ عَارٍ اعْتِقَادُ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ هُوَ رَامْ وَكِرِشْنْ وَذِكْرُهُ تَعَالَى بِهِمَا وَمَثَلُهُ مَثَلُ شَخْصٍ يَذْكُرُ السُّلْطَانَ الْمُعَظَّمَ بِاسْمِ أَرْذَلِ الْكَنَّاسِينَ وَزَعْمُ اتِّحَادِ رَامْ وَرَحْمَن مِنْ نِهَايَةِ عَدَمِ الْعَقْلِ فَإِنَّ الْخَالِقَ لاَ يَتَّحِدُ بِالْمَخْلُوقِ وَقَبْلَ خَلْقِ رَامْ وَكِرِشْنْ مَا كَانَ أَحَدٌ يَذْكُرُ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِاسْمِ رَامْ وَكِرِشْنْ فَلأَيِّ شَيْءٍ يُطْلَقُ اسْمُهُمَا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ ظُهُورِهِمَا وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذِكْرَهُمَا ذِكْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَاشَا وَكَلاَّ ثُمَّ حَاشَا وَكَلاَّ وَلَقَدْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَائِنَا عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ مِائَةُ[1] أَلْفٍ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا تَقْرِيبًا كُلُّهُمْ دَعَوُا الْخَلْقَ إِلَى عِبَادَةِ الْخَالِقِ وَرَغَّبُوهُمْ فِيهَا وَمَنَعُوهُمْ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ عَبِيدًا عَاجِزِينَ وَكَانُوا خَائِفِينَ وَوَجِلِينَ مِنْ هَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ تَعَالَى وَآلِهَةُ الْهُنُودِ رَغَّبُوا الْخَلْقَ فِي عِبَادَتِهِمْ وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ آلِهَةً فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا قَائِلِينَ بِوُجُودِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَكِنَّهُمْ أَثْبَتُوا لَهُ سُبْحَانَهُ الْحُلُولَ فِيهِمْ وَاتِّحَادَهُ بِهِمْ فَدَعَوُا الْخَلْقَ إِلَى عِبَادَتِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَأَمَرُوهُمْ بِأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ آلِهَةً وَوَقَعُوا فِي الْمُحَرَّمَاتِ مِنْ غَيْرِ تَحَاشٍ زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ الإِلَهَ لاَ يَكُونُ مَمْنُوعًا مِنْ شَيْءٍ أَصْلاً بَلْ يَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ كَيْفَ يَشَاءُ وَأَقْسَامُ هَذِهِ التَّخَيُّلاَتِ الْفَاسِدَةِ كَثِيرَةٌ فِيهِمْ ضَلُّوا فَأَضَلُّوا بِخِلاَفِ أَنْبِيَائِنَا عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ فَإِنَّهُمُ امْتَنَعُوا عَنْ كُلِّ مَا مَنَعُوا الْخَلْقَ مِنْهُ عَلَى الْوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ بَشَرًا مِثْلَ سَائِرِ الْبَشَرِ (ع) وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا *

(١٦٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَةِ مُحَمَّدِ الْقَاسِمِ بْنِ الْخَوَاجَكِي الأَمْكَنْكِي فِي مَدْحِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَذَمِّ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَبَعْدَ تَبْلِيغِ دَعَوَاتٍ مَوْفُورَةٍ وَتَحِيَّاتٍ غَيْرِ مَحْصُورَةٍ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي سُلاَلَةِ الْمَشَايِخِ الْكِرَامِ نَتِيجَةِ الأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ حَضْرَةِ الْمَخْدُومِ زَادَهُ الْمُسْتَقِيمِ عَلَى الْجَادَّةِ سَلَّمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاهُ وَإِظْهَارِ اشْتِيَاقِ رُؤْيَتِهِ وَتَمَنِّي لِقَائِهِ،

(شِعْرٌ): كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا *** قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

---

[1] هذا على ما اخرجه البزار والطبراني وابن مردوية وابن حبان وصححه واحمد عن ابي ذر رضي الله عنه بلفظ مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة خمسة عشر جما غفيرا (القران رحمة الله عليه)

لِيَكُنْ مَعْلُومًا لِجَنَابِهِ الْعَالِي أَنَّ عُلُوَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ وَرِفْعَةَ الطَّبَقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ بِوَاسِطَةِ الْتِزَامِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَالْاِجْتِنَابِ عَنِ الْبِدْعَةِ الشَّنِيعَةِ وَلِهَذَا اجْتَنَبَ أَكَابِرُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ عَنْ ذِكْرِ الْجَهْرِ وَأَمَرُوا بِالذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ وَمَنَعُوا مِنَ السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ وَالْوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَصْرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَاخْتَارُوا الْخَلْوَةَ فِي الْجَلْوَةِ بَدَلَ خَلْوَةِ الْأَرْبَعِينَ لِعَدَمِ كَوْنِهَا فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ فَلَا جَرَمَ تَرَتَّبَتْ عَلَى ذَلِكَ الْاِلْتِزَامِ نَتَائِجُ عُظْمَى وَتَفَرَّعَتْ عَلَى ذَاكَ الْاِجْتِنَابِ ثَمَرَاتٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْ هَاهُنَا كَانَتْ نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ وَكَانَتْ نِسْبَتُهُمْ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ كَلَامُهُمْ دَوَاءُ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ وَنَظَرُهُمْ شِفَاءُ الْعِلَلِ الْمَعْنَوِيَّةِ تَوَجُّهُهُمُ الْوَجِيهُ يُنْجِي الطَّالِبِينَ مِنْ تَعَلُّقِ الْكَوْنَيْنِ وَهِمَّتُهُمُ الرَّفِيعَةُ الشَّأْنِ تَرْفَعُ الْمُرِيدِينَ إِلَى ذِرْوَةِ الْوُجُوبِ مِنْ حَضِيضِ الْإِمْكَانِ، (شِعْرٌ):

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ سِيرَتُهُمْ *** يَمْشُونَ بِالرَّكْبِ مَخْفِيِّينَ لِلْحَرَمِ

تُزِيلُ وَسْوَسَةَ الْخَلَوَاتِ صُحْبَتُهُمْ *** عَنْ قَلْبِ أَصْحَابِهِمْ يَا حُسْنَ ذَا الْكَرَمِ

وَلَكِنْ قَدْ صَارَتْ هَذِهِ النِّسْبَةُ الشَّرِيفَةُ فِي هَذِهِ الْأَوَانِ كَعَنْقَاءِ الْمَغْرِبِ وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْاِسْتِتَارِ تَحْتَ الْحُجُبِ حَتَّى سَلَكَ جَمَاعَةٌ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِنْ عَدَمِ وِجْدَانِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى وَفِقْدَانِ تِلْكَ النِّعْمَةِ الْقُصْوَى كُلَّ مَسْلَكٍ وَفَرِحُوا بِنَيْلِ قِطْعَاتِ خَزَفٍ بَدَلًا مِنَ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُمْ بِالْجَوْزِ وَالْمَوْزِ مِثْلَ الْأَطْفَالِ حَتَّى أَنَّهُمْ مِنْ غَايَةِ الْاِضْطِرَارِ وَالتَّحَيُّرِ تَرَكُوا طَرِيقَةَ أَكَابِرِهِمْ وَصَارُوا يَطْلُبُونَ التَّسَلِّيَ أَحْيَانًا بِذِكْرِ الْجَهْرِ وَآوِنَةً يَرُومُونَ الْاِطْمِئْنَانَ بِالرَّقْصِ وَالسَّمَاعِ وَالدَّوْرِ وَلَمَّا لَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمُ الْخَلْوَةُ فِي الْجَلْوَةِ اخْتَارُوا الْأَرْبَعِينَاتِ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ زَعْمُهُمْ هَذِهِ الْبِدْعَاتِ الشَّنِيعَةَ مُتَمِّمَةً وَمُكَمِّلَةً لِهَذِهِ النِّسْبَةِ الشَّرِيفَةِ وَعَدُّهُمْ هَذَا التَّخْرِيبَ عَيْنَ التَّعْمِيرِ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِنْصَافَ وَأَوْصَلَ شَمَّةً مِنْ كَمَالَاتِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِلَى مَشَامِّ أَرْوَاحِهِمْ حَتَّى يَتْرُكُوا الْاِعْتِسَافَ بِالنُّونِ وَالصَّادِ وَبِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَلَمَّا شَاعَتْ هَذِهِ الْمُحْدَثَاتُ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ وَبَلَغَ شُيُوعُهَا إِلَى حَدٍّ اخْتَفَى أَصْلُ طَرِيقِ الْأَكَابِرِ وَاخْتَارَ الْوَضِيعُ وَالشَّرِيفُ هَذَا الْوَضْعَ الْمُحْدَثَ الْجَدِيدَ هُنَاكَ وَأَعْرَضُوا عَنْ طَرِيقِ الْأَصْلِ وَالْقَدِيمِ خَطَرَ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أُظْهِرَ نُبْذَةً مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ لِخِدْمَةِ عَتَبَتِهِ الْعَلِيَّةِ وَأَنْ أُفْرِغَ الْقَلْبَ مِنَ الْأَلَمِ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ وَلَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ أَنِيسُ الْمَخْدُومِ زَادَهُ فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ وَمِنْ أَيِّ فِرْقَةٍ مُؤْنِسَةٌ فِي مَحْفِلِهِ الْمُنِيفِ، (شِعْرٌ):

مِنْ مُقْلَتِي طَارَ الْمَنَامُ تَفَكُّرًا *** مَنْ كَانَ مِنْ نُدَمَائِهِ وَضَجِيعِهِ

وَالْمَسْئُولُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْصِمَ جَنَابَ قُدْسِكُمْ عَنْ عُمُومِ هَذِهِ الْبَلْوَى وَأَنْ يَحْفَظَ عَتَبَةَ شَرَفِكُمْ عَنْ شُمُولِ هَذَا الْاِبْتِلَاءِ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ الْمُكَرَّمُ قَدْ رَوَّجُوا الْمُحْدَثَاتِ وَالْمُبْتَدَعَاتِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِحَيْثُ لَوْ قَالَ الْمُخَالِفُونَ إِنَّ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْتِزَامَ الْبِدْعَةِ وَالْاِجْتِنَابَ عَنِ السُّنَّةِ لَسَاغَ لَهُمْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يُصَلُّونَ صَلَاةَ التَّهَجُّدِ بِجَمْعِيَّةٍ تَامَّةٍ وَيُرَوِّجُونَ هَذِهِ الْبِدْعَةَ وَيُزَيِّنُونَهَا فِي عُيُونِ الْعَامَّةِ بِأَدَائِهَا فِي الْمَسْجِدِ مِثْلَ سُنَّةِ التَّرَاوِيحِ

وَيَزْعُمُونَ عَمَلَهُمْ ذَلِكَ حَسَنًا وَيُرَغِّبُونَ النَّاسَ فِيهِ وَالْحَالُ أَنَّ الْفُقَهَاءَ شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُمْ قَالُوا إِنَّ أَدَاءَ النَّوَافِلِ بِالْجَمَاعَةِ مَكْرُوهٌ أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ وَالَّذِينَ اشْتَرَطُوا التَّدَاعِيَ لِكَرَاهَةِ الْجَمَاعَةِ فِي النَّفْلِ مِنَ الْفُقَهَاءِ قَيَّدُوا جَوَازَ الْجَمَاعَةِ فِيهِ بِأَدَائِهِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَاتَّفَقُوا عَلَى كَرَاهَتِهَا إِذَا زَادَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْفَارٍ (وَأَيْضًا) إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ صَلَاةَ التَّهَجُّدِ بِهَذَا الْوَضْعِ ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَيُصَلُّونَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً قَائِمِينَ وَرَكْعَتَيْنِ قَاعِدِينَ زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّهُمَا فِي حُكْمِ رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ آخِذِينَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ ثَوَابَ الْقَاعِدِ نِصْفُ ثَوَابِ الْقَائِمِ وَهَذَا الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا صَلَّى التَّهَجُّدَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مَعَ الْوِتْرِ وَالْفَرْدِيَّةُ فِي التَّهَجُّدِ إِنَّمَا جَاءَتْ مِنْ فَرْدِيَّةِ رَكَعَاتِ الْوِتْرِ لَا كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ، (شِعْرٌ)

بَثَثْتُ لَدَيْكُمْ مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ *** تَمَلُّوا وَإِلَّا فَالْكَلَامُ كَثِيرُ

وَالْعَجَبُ مِنْ رَوَاجِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْبِدَعَاتِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ وَكَيْفَ شَاعَتْ فِيهَا أَمْثَالُ هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتِ وَالْحَالُ أَنَّا نَسْتَفِيدُ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُلْهِمُ لِلصَّوَابِ ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا.

(١٦٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الصَّمَدِ السُّلْطَانْ پُورِي فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ لِشَيْخِهِ: "لَوْ دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي وَقْتٍ خَاصٍّ بِي مَعَهُ تَعَالَى أَقْطَعُ رَأْسَكَ" وَاسْتَحْسَنَهُ الشَّيْخُ مِنْهُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الْمُرْسَلُ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ وَأَمَّا جَوَابُ الْإِسْتِفْسَارِ فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ أَنَّ الْمَقْصِدَ الْأَقْصَى وَالْمَطْلَبَ الْأَسْنَى هُوَ الْوُصُولُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الطَّالِبُ فِي الْإِبْتِدَاءِ فِي غَايَةِ التَّدَنُّسِ وَالتَّنَزُّلِ بِسَبَبِ تَعَلُّقَاتٍ شَتَّى وَجَنَابُ قُدْسِهِ تَعَالَى فِي غَايَةِ الرِّفْعَةِ وَالتَّنَزُّهِ كَانَتِ الْمُنَاسَبَةُ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْإِفَاضَةِ وَالْإِسْتِفَاضَةِ مَسْلُوبَةً بَيْنَ الْمَطْلُوبِ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا جَرَمَ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ شَيْخٍ عَالِمٍ بِالطَّرِيقِ وَبَصِيرٍ بِهِ وَقَابِلٍ لِلْبَرْزَخِيَّةِ نَائِلٍ لِلْحَظِّ الْوَافِرِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ لِيَكُونَ وَاسِطَةً فِي وُصُولِ الطَّالِبِ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَكُلَّمَا يَحْصُلُ شَيْءٌ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ يَجُرُّ الشَّيْخُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْبَيْنِ فَإِذَا حَصَلَتْ مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ بَيْنَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ وَحِينَئِذٍ يَأْخُذُ الشَّيْخُ نَفْسَهُ مِنَ الْبَيْنِ بِالتَّمَامِ فَإِنَّهُ قَدْ أَوْصَلَ الطَّالِبَ إِلَى الْمَطْلُوبِ فَلَمْ يَبْقَ الْإِحْتِيَاجُ إِلَى التَّوَسُّطِ فَمُشَاهَدَةُ الْمَطْلُوبِ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَالتَّوَسُّطِ مِنْ غَيْرِ وَسَاطَةِ الشَّيْخِ غَيْرُ مُمْكِنَةٍ وَفِي الْإِنْتِهَاءِ يَتَجَلَّى جَمَالُ الْمَطْلُوبِ بِدُونِ وَسَاطَتِهِ وَيَحْصُلُ فِيهِ الْوَصْلُ الْعُرْيَانُ

وَالَّذِي يَقُولُ إِنَّ الشَّيْخَ لَوْ حَضَرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَحُزُّ رَأْسَهُ إِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ مِنْ جُنُونِهِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلاَمِ لاَ يَظْهَرُ مِنْ أَرْبَابِ الإِسْتِقَامَةِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ طَرِيقَ إِسَاءَةِ الأَدَبِ بَلْ يَطْلُبُونَ الْمُرَادَاتِ مِنْ بَرَكَاتِ الشَّيْخِ.

(١٧٠) اَلْمَكْتُوبُ السَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ نُورٍ فِي بَيَانِ لُزُومِ مُرَاعَاةِ حُقُوقِ الْخَلْقِ وَمُوَاسَاتِهِمْ كَمُرَاعَاةِ حُقُوقِهِ تَعَالَى

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَيُّهَا الأَخُ الأَرْشَدُ كَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ بُدَّ لَهُ مِن امْتِثَالِ أَوَامِرِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَالإِنْتِهَاءِ عَنْ مَنَاهِيهِ كَذَلِكَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ مُرَاعَاةِ أَدَاءِ حُقُوقِ الْخَلْقِ وَمُوَاسَاتِهِمْ التَّعْظِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ بَيَانٌ لِأَدَاءِ هَذَيْنِ الْحَقَّيْنِ وَدَالٌّ عَلَى لُزُومِ مُرَاعَاةِ هَذَيْنِ الشَّطْرَيْنِ فَالإِقْتِصَارُ عَلَى أَحَدِهِمَا وَالإِكْتِفَاءُ عَنِ الْكُلِّ بِالْجُزْءِ قُصُورٌ وَبَعِيدٌ عَنِ الإِتِّصَافِ بِالْكَمَالِ فَكَانَ تَحَمُّلُ إِيذَاءِ الْخَلْقِ ضَرُورِيًّا وَحُسْنُ مُعَاشَرَتِهِمْ وَاجِبًا وَلاَ يَحْسُنُ عَدَمُ التَّفَكُّرِ وَلاَ يَلِيقُ عَدَمُ الإِلْتِفَاتِ وَقِلَّةُ الْمُبَالاَةِ، (شِعْرٌ):

وَلاَ يَسْتَقِيمُ الْغُنْجُ مِنْ كُلِّ عَاشِقٍ *** وَلَوْ أَنَّهُ مَحْبُوبُ كُلِّ الْخَلاَئِقِ

وَحَيْثُ تَشَرَّفْتُ بِصُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ مُدَّةً كَثِيرَةً وَسَمِعْتُ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالنَّصَائِحِ نُبْذَةً يَسِيرَةً أَعْرَضْنَا عَنْ إِطَالَةِ الْكَلاَمِ وَاقْتَصَرْنَا عَلَى فِقَرَاتٍ يَسِيرَةٍ فِي إِفَادَةِ الْمَرَامِ ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ السَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

(١٧١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ طَاهِرِ الْبَدَخْشِيِّ فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ اخْتِيَارِ الذُّلِّ وَالإِنْكِسَارِ وَأَدَاءِ وَظَائِفِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَخَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يُنَاسِبُهُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ اعْلَمْ أَنَّ اللاَّزِمَ لِأَمْثَالِنَا الْفُقَرَاءِ اخْتِيَارُ الذُّلِّ وَالإِفْتِقَارِ وَالتَّضَرُّعِ وَالإِلْتِجَاءِ إِلَى الْحَقِّ وَالإِنْكِسَارِ دَائِمًا وَأَدَاءُ وَظَائِفِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَمُتَابَعَةُ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَتَصْحِيحُ النِّيَّاتِ فِي تَحْصِيلِ الْخَيْرَاتِ وَتَخْلِيصُ الْبَوَاطِنِ وَتَسْلِيمُ الظَّوَاهِرِ وَرُؤْيَةُ الْعُيُوبِ وَمُشَاهَدَةُ اسْتِيلاَءِ الذُّنُوبِ وَالْخَوْفُ مِن انْتِقَامِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ وَاسْتِقْلاَلُ الْحَسَنَاتِ وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً وَاسْتِكْثَارُ السَّيِّئَاتِ وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةً وَكَرَاهَةُ الشُّهْرَةِ وَقَبُولُ الْخَلْقِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "بِحَسْبِ[1] امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينٍ أَوْ

[1] رواه البيهقي في الشعب عن ابي هريرة وانس (القزاني رحمة الله عليه)

دُنْيَا الاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللّٰهُ" وَاتِّهَامُ النِّيَّاتِ وَالْأَفْعَالِ وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ وَعَدَمُ الْإِعْتِنَاءِ بِالْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ وَإِنْ كَانَتْ مُطَابِقَةً لِلْوَاقِعِ وَعَدَمُ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَلَا يَنْبَغِي أَيْضًا اسْتِحْسَانُ مُجَرَّدِ تَأْيِيدِ الدِّينِ وَتَقْوِيَةِ الْمِلَّةِ وَتَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ وَدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا فَإِنَّ هَذَا الْقِسْمَ مِنَ التَّأْيِيدِ قَدْ يَكُونُ أَحْيَانًا مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ اللّٰهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ وَكُلَّمَا يَجِيءُ مُرِيدٌ لِطَلَبِ الطَّرِيقَةِ وَإِرَادَةِ الْإِنَابَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُرَى فِي النَّظَرِ مِثْلَ النَّسِرِ وَالْأَسَدِ وَأَنْ يَخَافَ مِنْ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَكِيدَةٌ وَاسْتِدْرَاجٌ فَإِنْ وُجِدَ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ قُدُومِ الْمُرِيدِ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَهُ شِرْكًا وَكُفْرًا وَأَنْ يَتَدَارَكَهُ بِالنَّدَامَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى أَثَرٌ مِنْ هَذَا السُّرُورِ بَلْ إِلَى أَنْ يَجِيءَ مَحَلَّ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ الْخَوْفُ وَالْحُزْنُ وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَ غَايَةَ الْإِجْتِنَابِ عَنْ ظُهُورِ الطَّمَعِ وَالتَّوَقُّعِ فِي مَالِ الْمُرِيدِ وَمَنَافِعِهِ الدُّنْيَاوِيَّةِ فَإِنَّهُ مَانِعٌ لِرُشْدِ الْمُرِيدِ وَبَاعِثٌ عَلَى كَوْنِ الشَّيْخِ خَرَابًا فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ هُنَاكَ كُلُّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ أَلَا لِلّٰهِ الدِّينُ الْخَالِصُ لَا مَجَالَ لِلشَّرِكَةِ فِي جَنَابِ الْحَضْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ ظُلْمَةٍ وَكُدُورَةٍ تَطْرَأُ عَلَى الْقَلْبِ فَإِزَالَتُهَا تَتَيَسَّرُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ وَالنَّدَامَةِ وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْهَلِ الْوُجُوهِ الاَّ ظُلْمَةً طَرَأَتْ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ طَرِيقِ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ فَإِنَّهَا تَجْعَلُ الْقَلْبَ خَرَابًا وَإِزَالَتُهَا فِي غَايَةِ التَّعَسُّرِ بَلْ فِي نِهَايَةِ التَّعَذُّرِ صَدَقَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ "حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ"[1]

نَجَّانَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَمَحَبَّةِ أَبْنَائِهَا وَأَرْبَابِهَا وَالْإِخْتِلَاطِ بِهِمْ وَالْمُصَاحَبَةِ مَعَهَا فَإِنَّهَا سَمٌّ قَاتِلٌ وَمَرَضٌ مُهْلِكٌ وَبَلَاءٌ عَظِيمٌ وَدَاءٌ عَمِيمٌ وَأَخُونَا الْأَرْشَدُ الشَّيْخُ حَمِيدٌ مُتَرَدِّدٌ فِي تِلْكَ الْحُدُودِ بِأَحْسَنِ الْوُجُوهِ فَيَنْبَغِي اغْتِنَامُ اسْتِمَاعِ الْكَلِمَاتِ الْجَدِيدَةِ الطَّرِيَّةِ مِنْهُ وَالْبَاقِي عِنْدَ التَّلَاقِي.

(١٧٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ فِي بَيَانِ بَعْضِ الْأَسْرَارِ الْخَاصَّةِ بِهِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لِلْأَخِ الْأَعَزِّ أَنَّ لِلشَّرِيعَةِ صُورَةً وَحَقِيقَةً فَصُورَتُهَا مَا تَكَفَّلَ بِبَيَانِهَا عُلَمَاءُ الظَّاهِرِ وَحَقِيقَتُهَا مَا امْتَازَ بِهَا الصُّوفِيَّةُ الْعَلِيَّةُ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ صُورَةِ الشَّرِيعَةِ إِلَى نِهَايَةِ سِلْسِلَةِ

---

[1] رواه البيهقي عن الحسن مرسلا وهكذا رواه الديلمي في الفردوس من حديث علي ويعضده سنده ولم يخرجه ولده في المسند ورواه ابن ابي الدنيا عن الحسن مرسلا وقد قال ابو زرعة كل شيئ يقول الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت له اصلا ثابتا ما خلا اربعة احاديث وهذا القول عند البقاعي وابي نعيم من قول عيسى ابن مريم عليهما السلام وعند ابن ابي الدنيا في مكائد الشيطان من قول مالك ابن دينار وعند ابن يونس من قول سعد وجزم ابن تيمية انه من قول جندب البجلي اه من شرح الاحياء ملخصا (القزان رحمة الله عليه)

الْمُمْكِنَاتِ فَإِنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَرَاتِبِ الْوُجُوبِ تَكُونُ الصُّورَةُ مُمْتَزِجَةً بِالْحَقِيقَةِ وَمُعَامَلَةُ هَذَا الإِمْتِزَاجِ إِلَى الْعُرُوجِ عَلَى شَأْنِ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلِكَ يُودَعُ فِيهِ الصُّورَةُ وَالْحَقِيقَةُ كِلْتَاهُمَا وَتَقَعُ مُعَامَلَةُ الْعَارِفِ فِي شَأْنِ الْحَيَاةِ وَلاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ هَذَا الشَّأْنِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ وَبَيْنَ الْعَالَمِ أَصْلاً بَلْ هُوَ مِنَ الشُّئُونَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَمَسَّهُ يَدُ الإِضَافَةِ أَصْلاً حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْعَالَمِ وَهَذَا الشَّأْنُ هُوَ دِهْلِيزُ الْمَقْصُودِ وَمُقَدِّمَةُ الْمَطْلُوبِ وَيَجِدُ الْعَارِفُ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ خَارِجًا مِنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحْفُوظًا بِعِنَايَةِ اللَّهِ لاَ يَفُوتُ دَقِيقَةٌ مِنْ دَقَائِقِ الشَّرِيعَةِ وَالَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى أَقَلُّ قَلِيلٍ فَإِنْ بُيِّنَ عَدَدُهُمْ فَلَعَلَّهُ لاَ يَقْبَلُهُ الاَّ أَقَلُّ قَلِيلٍ (وَلَمَّا وَصَلَ) جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ إِلَى ظِلِّ هَذَا الْمَقَامِ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ عَالٍ ظِلاًّ تَحْتَهُ زَعَمُوا أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ وَتَرَقَّوْا مِنَ الْقِشْرِ وَوَصَلُوا إِلَى اللُّبِّ وَهَذَا الْمَقَامُ بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ مِنْ مَزَالِّ الأَقْدَامِ حَتَّى انَّ طَائِفَةً مِنْ نَاقِصِي سَالِكِي هَذَا الطَّرِيقِ صَارُوا زَنَادِقَةً وَمَلاَحِدَةً وَأَخْرَجُوا رُءُوسَهُمْ مِنْ رِبْقَةِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ ضَلُّوا فَأَضَلُّوا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكَمَلَةِ الَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِدَرَجَةٍ مِنَ الْوِلاَيَةِ وَحَصَّلُوا هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ فِي ظِلٍّ مِنْ ظِلاَلِ هَذَا الْمَقَامِ الْعَالِي وَإِنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى أَصْلِ هَذَا الْمَقَامِ وَلَكِنَّهُمْ مَحْفُوظُونَ لاَ يُجَوِّزُونَ تَرْكَ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا سِرَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَلَمْ يَفْهَمُوا حَقِيقَةَ الْمُعَامَلَةِ وَلَمَّا انْكَشَفَ سِرُّ هَذَا الْمُعَمَّى لِهَذَا الْفَقِيرِ بِعِنَايَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبَرَكَةِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَانْفَضَحَتْ حَقِيقَةُ الْحَالِ كَمَا يَنْبَغِي أَرَدْتُ أَنْ أُورِدَ نُبْذَةً مِنْهَا فِي مَعْرِضِ الْبَيَانِ لَعَلَّهَا تُرْشِدُ النَّاقِصِينَ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ وَتَكْشِفُ لِلْكَامِلِينَ عَنْ وَجْهِ حَقِيقَةِ الْمُعَامَلَةِ (وَيَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ التَّكْلِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةَ مَخْصُوصَةٌ بِالْقَالَبِ وَالْقَلْبِ فَإِنَّ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَيْهَا وَالَّذِي يَضَعُ الْقَدَمَ مِنَ اللَّطَائِفِ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ هُوَ مَا سِوَى هَذِهِ اللَّطَائِفِ الْمَذْكُورَةِ يَعْنِي الْقَالَبَ وَالْقَلْبَ فَالَّذِي هُوَ مُكَلَّفٌ بِالشَّرِيعَةِ مُكَلَّفٌ بِهَا دَائِمًا وَمَا هُوَ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِهَا مُكَلَّفٌ بِهَا أَصْلاً غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ اللَّطَائِفَ كَانَتْ قَبْلَ السُّلُوكِ بَعْضُهَا مُمْتَزِجًا بِبَعْضٍ وَلَمْ تَكُنْ مُمْتَازَةً عَنِ الْقَلْبِ وَلَمَّا مَيَّزَ السِّرُّ وَالسُّلُوكُ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ وَأَوْصَلَ كُلاًّ مِنْهَا إِلَى مَقَرِّهِ الأَصْلِيِّ تَبَيَّنَ أَنَّ أَيًّا مِنْهَا كَانَ مُكَلَّفًا وَأَيًّا مِنْهَا لَمْ يَكُنْ مُكَلَّفًا. (فَإِنْ قِيلَ) إِنَّ الْعَارِفَ قَدْ يَجِدُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ قَالَبَهُ وَقَلْبَهُ أَيْضًا فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ؟ (أُجِيبَ) أَنَّ هَذَا الْوِجْدَانَ لَيْسَ بِتَحْقِيقِيٍّ بَلْ تَخَيُّلِيٌّ وَمَنْشَأُ التَّخَيُّلِ هُوَ انْصِبَاغُ الْقَلْبِ وَالْقَالَبِ بِلَوْنِ أَلْطَفِ اللَّطَائِفِ الَّتِي وَضَعَتِ الأَقْدَامَ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ صُورَةَ التَّكْلِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَإِنْ كَانَتْ مَخْصُوصَةً بِالْقَلْبِ وَالْقَالَبِ وَلَكِنْ لِحَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ مَجَالٌ فِيمَا وَرَاءَ الْقَلْبِ أَيْضًا فَمَا مَعْنَى وَضْعِ الْقَدَمِ فِي خَارِجِ مُطْلَقِ الشَّرِيعَةِ ؟

(أُجِيبَ) أَنَّ حَقِيقَةَ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ كَانَ لَهَا مَجَالٌ فِيمَا وَرَاءَ الْقَلْبِ وَلَكِنَّهَا لاَ تَتَجَاوَزُ وَلاَ تَتَعَدَّى الرُّوحَ وَالسِّرَّ وَلاَ تَصِلُ إِلَى الْخَفِيِّ وَالأَخْفَى وَالَّذِي يَضَعُ الأَقْدَامَ فِي الْخَارِجِ هُوَ الْخَفِيُّ وَالأَخْفَى فِي

الْحَقِيقَة وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ ثَبَّتَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ أَتَمُّهَا وَأَكْمَلُهَا.

(١٧٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِيرِ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ فِي جَوَابِ سُؤَالٍ سَأَلَهُ مَعَ بَيَانِ أَسْرَارٍ غَرِيبَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ لِيَكُنْ مَعْلُومُ جَنَابِ السَّيِّدِ أَنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ نَفْيُ كُلِّ مَا يَكُونُ مَحْسُوسًا بِالْبَصَرِ أَوْ مُدْرَكًا بِالْخَيَالِ بِكَلِمَةِ لَا ضَرُورِيَّةً لِكَوْنِ الْمَطْلُوبِ الْمُثْبَتِ وَرَاءَ الْحِسِّ وَالْخَيَالِ يَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ مَشْهُودُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَحِقًّا لِلنَّفْيِ وَيَكُونَ الْمَطْلُوبُ الْمُثْبَتُ وَرَاءَ ذَلِكَ الْمَشْهُودِ (أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ كَمَالِ عُلُوِّ شَأْنِهِ كَانَ بَشَرًا وَمُتَّسِمًا بِسِمَةِ الْحُدُوثِ وَالْإِمْكَانِ فَمَاذَا يُدْرِكُ الْبَشَرُ مِنْ خَالِقِ الْبَشَرِ وَمَاذَا يَنَالُ الْمُمْكِنُ الْأَحْقَرُ مِنَ الْوَاجِبِ الْأَكْبَرِ أَمْ كَيْفَ يُحِيطُ الْحَادِثُ بِالْقَدِيمِ الْوَارِثِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا نَصٌّ قَاطِعٌ فِي ذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ فَرِيدُ الدِّينِ الْعَطَّارُ.

أَلَا تَرَى سَيِّدَ الْكَوْنَيْنِ مَا بَلَغَا *** لَكِنَّهُ فَقْرٌ فَدَعْ عَنْ نَفْسِكَ التَّعَبَا

أَيُّهَا الْأَخُ الْأَعَزُّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ يَسْتَدْعِي تَفْصِيلًا يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهُ بِأُذُنِ الْقَلْبِ اعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ مَقَامَيْنِ أَعْنِي بِهِمَا النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ وَلِكُلٍّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ اعْتِبَارٌ. إِنَّ الْإِعْتِبَارَ الْأَوَّلَ نَفْيُ اسْتِحْقَاقِ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ وَإِثْبَاتُ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ لِلْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ وَالْإِعْتِبَارَ الثَّانِيَ أَنْ يَكُونَ النَّفْيُ مُتَعَلِّقًا بِمَقْصُودَاتٍ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ وَمُتَعَلَّقَاتٍ غَيْرِ مَطْلُوبَةٍ وَأَنْ لَا يَكُونَ مُتَعَلَّقُ الْإِثْبَاتِ غَيْرَ الْمَطْلُوبِ الْحَقِيقِيِّ وَوَرَاءَ الْمَقْصُودِ الْأَصْلِيِّ وَالْكَمَالُ فِي الْإِعْتِبَارِ الْأَوَّلِ فِي الْإِبْتِدَاءِ هُوَ أَنْ يَكُونَ كُلَّمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَمَشْهُودٌ دَاخِلًا تَحْتَ كَلِمَةِ لَا وَمَنْفِيًّا بِهَا وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ مَا مَلْحُوظًا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ غَيْرَ التَّكَلُّمِ بِالْمُسْتَثْنَى يَعْنِي لَفْظَةَ الْجَلَالَةِ وَبَعْدَ مُرُورِ أَزْمَانٍ تَحْصُلُ الْحِدَّةُ لِبَصَرِ الْبَصِيرَةِ وَيَكْتَحِلُ بِكُحْلِ غُبَارِ طَرِيقِ الْمَطْلُوبِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمُسْتَثْنَى أَيْضًا مَشْهُودًا مِثْلَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ يَجِدُ السَّالِكُ نَفْسَهُ مُتَعَلِّقًا بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ الْمَشْهُودِ وَيَطْلُبُ الْمَطْلُوبَ مِنْ خَارِجِهِ وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّمَا كَانَ دَاخِلًا تَحْتَ كَلِمَةِ لَا فِي ابْتِدَاءِ هَذَا الْكَمَالِ كَانَ بِتَمَامِهِ مِنْ دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْتِحْقَاقُ الْعِبَادَةِ أَصْلًا وَصَارَ مُتَمَيِّزًا مِنَ الْمَعْبُودِ الْمُسْتَحِقِّ لِلْعِبَادَةِ الْمُثْبَتِ بِكَلِمَةِ إِلَّا بِبَرَكَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَلَكِنَّ السَّالِكَ بِسَبَبِ ضَعْفِ بَصِيرَتِهِ لَمْ يَرَ مَرْتَبَةَ الْوُجُوبِ الْمُسْتَحِقَّ الْعِبَادَةِ الْمُثْبَتَةِ بِكَلِمَةِ إِلَّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ غَيْرُ التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَثْنَاةِ وَلَمَّا حَصَلَتِ الْقُوَّةُ لِلْبَصِيرَةِ صَارَ الْمُسْتَثْنَى أَيْضًا مَشْهُودًا مِثْلَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ مَرْتَبَةُ الْوُجُوبِ جَامِعَةً لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَمُتَعَلَّقُ هِمَّةِ السَّالِكِ هُوَ الْأَحَدِيَّةُ الْمُجَرَّدَةُ بَقِيَ

اسْتِحْقَاقُ الْعِبَادَةِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ مِثْلَ عَدَمِ الْإِسْتِحْقَاقِ فِي الطَّرِيقِ فَلَا جَرَمَ يَطْلُبُ السَّالِكُ مَقْصُودَهُ فِيمَا وَرَاءَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَيَتَحَاشَى عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَا سِوَاهُ. (أَشْعَارٌ)

إِذَا سَكَنَ الْفُؤَادُ إِلَى حَبِيبٍ *** فَهَلْ يَبْغِي مِنَ الْغَيْرِ الْوِصَالَا

وَضِعْ عِنْدَ الْبَلَابِلِ أَلْفُ نَبْتٍ *** سِوَى أَزْهَارِ وَرْدٍ قُلْنَ لَا لَا

وَذَا نِيلُوفَرٌ عَشَّاقُ شَمْسٍ *** فَهَلْ يُرْضِيهِ رُؤْيَتُهُ الْهِلَالَا

وَهَلْ يُجْدِي شَرَابٌ سُكَّرِيٌّ *** لِظَمْآنَ بَغَى مَاءً زُلَالَا

وَالْكَمَالُ فِي الْإِعْتِبَارِ الثَّانِي الَّذِي فِيهِ الْمَقْصُودُ نَفْيُ الْمَقْصُودَاتِ الْغَيْرِ الْمَقْصُودَةِ هُوَ أَنْ يَكُونَ شُهُودُ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ أَيْضًا دَاخِلاً تَحْتَ كَلِمَةِ لَا مِثْلَ شُهُودِ مَرَاتِبِ الْإِمْكَانِ وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ مَا مَلْحُوظًا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ غَيْرَ الْمُتَفَرِّدِ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَثْنَاةِ.

وَمَا أُبْدِيكَ مِنْ طَيْرِي عَلَامَةً *** وَقَدْ أَضْحَى كَعَنْقَاءَ وَهَامَةً

وَلِلْعَنْقَاءِ بَيْنَ النَّاسِ اسْمٌ *** وَلَمْ يَكُ لِاسْمِ طَيْرِي اسْتِدَامَةً

وَالْحَقُّ أَنَّ الْفِطْرَةَ الْعُلْيَا وَالْهِمَّةَ الْقُصْوَى تَطْلُبُ مَطْلَبًا لَا يَحْصُلُ مِنْهُ شَيْءٌ بَلْ يَصِلُ غُبَارُ الْإِدْرَاكِ إِلَى ذَيْلِهِ أَصْلاً وَالرُّؤْيَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ حَقٌّ وَلَكِنْ تَصَوُّرُهَا وَتَمَنِّيهَا يُزْعِجُنَا عَنْ مَحَلِّ الْقَرَارِ وَمَرْكَزِ الْإِصْطِبَارِ وَالنَّاسُ مَسْرُورُونَ وَمَحْظُوظُونَ بِوَعْدِ الرُّؤْيَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَلَيْسَ تَعَلُّقِي وَتَعَشُّقِي إِلَّا بِغَيْبِ الْغَيْبِ وَأُرِيدُ بِجَمِيعِ الْهِمَّةِ أَنْ لَا يَخْرُجَ شَيْءٌ مِنَ الْمَطْلُوبِ مِنَ الْغَيْبِ إِلَى الشَّهَادَةِ وَأَنْ لَا تُبَدَّلَ الْمُرَاسَلَةُ بِالْمُوَاصَلَةِ وَأَنْ لَا يُحْمَلَ حُصُولُ الْأَمْرِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْعَيْنِ مَاذَا نَصْنَعُ قَدْ جُبِلْتُ عَلَى ذَلِكَ (ع) **لِكُلٍّ مِنَ الْإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ** * وَإِنْ كَانَ لِي فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْجُنُونِ وَلَكِنْ لَا أَقْدِرُ أَنْ أُحَرِّكَ شَفَتَيَّ مِنَ الْأَدَبِ (ع) **جُنُونِي مِنْ حَبِيبٍ ذِي فُنُونٍ** * (شِعْرٌ)

عُمْرِي مَشَى وَحَدِيثُ وَجْدِي مَا انْقَضَى *** وَاللَّيْلُ قَدْ بَلَغَ الْمَدَى فَاقْنَعْ بِذَا

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

(١٧٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَهْ أَشْرَفَ الْكَابُلِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ وَالِهِي هَذَا الطَّرِيقِ لَا يَتَسَلَّوْنَ بِهَذِهِ الْمَعِيَّةِ وَلَا يَطْمَئِنُّونَ بِهَذَا الْبُعْدِ الْمُشَابِهِ

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

بِالْقُرْبِ بَلْ يَطْلُبُونَ قُرْبًا يُشْبِهُ الْبُعْدَ وَوَصْلاً يُشْبِهُ الْهَجْرَ
وَبَيَانِ وَاقِعَتِهِ الَّتِي رَآهَا إلخ

قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِينَا الْأَعَزِّ وَحَيْثُ كَانَ مُنْبِئًا عَنْ مَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ صَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ نَقْدُ الْوَقْتِ وَمِصْدَاقُ الْحَالِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ وَالِهِي هَذَا الطَّرِيقِ لاَ يَتَسَلَّوْنَ بِهَذِهِ الْمَعِيَّةِ وَلاَ يَطْمَئِنُّونَ بِهَذَا الْبُعْدِ الْمُشَابِهِ بِالْقُرْبِ بَلْ يَطْلُبُونَ قُرْبًا يُشْبِهُ الْبُعْدَ وَوَصْلاً يُشْبِهُ الْهَجْرَ لاَ يُجَوِّزُونَ التَّسْوِيفَ وَالتَّأْخِيرَ وَيَجْتَنِبُونَ التَّعْطِيلَ وَالتَّأْجِيلَ وَلاَ يَصْرِفُونَ نَقْدَ وَقْتِهِمْ إِلَى مُزَخْرَفَاتٍ بَاطِلَةٍ وَلاَ يُتْلِفُونَ رَأْسَ مَالِ عُمْرِهِمْ فِي مُمَوَّهَاتٍ عَاطِلَةٍ وَلاَ يَكْتَفُونَ مِنَ الشَّرِيفِ بِالْخَسِيسِ وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ تَارِكِينَ الْمَرْضِيَّ النَّفِيسَ وَلاَ يَبِيعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِتَنَعُّمَاتٍ سَخِيفَةٍ لَذِيذَةٍ وَلاَ يُبَدِّلُونَ حَظَّ الْعُبُودِيَّةِ بِأَلْبِسَةٍ رَقِيقَةٍ مُزَيَّنَةٍ وَيَرَوْنَ تَلْوِيثَ تَحْتِ السَّلْطَنَةِ بِقَاذُورَاتِ التَّعَلُّقَاتِ عَارًا وَيَتَحَاشَوْنَ مِنْ إِشْرَاكِ اللاَّتِ وَالْعُزَّى فِي مُلْكِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَعُدُّونَهُ شَنَارًا. (أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ الْمَطْلُوبَ كُلَّهُ هُنَا هُوَ الدِّينُ الْخَالِصُ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ لاَ يُجَوِّزُونَ فِيهِ ذَرَّةً مِنَ الشَّرِكَةِ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَأَمَّلَ سَاعَةً فِي أَحْوَالِكَ فَإِنْ تَيَسَّرَ هَذَا الدِّينُ الْخَالِصُ فَبُشْرَى لَكَ وَإِلاَّ فَيَنْبَغِي تَفَكُّرُ عِلاَجِ الْوَاقِعَةِ وَتَدْبِيرِهَا قَبْلَ وُقُوعِهَا وَالْوَاقِعَةُ الَّتِي كَتَبْتَهَا هِيَ مِنْ ظُهُورِ الشَّيْطَانِ وَتَصَرُّفِهِ بِالْبَاطِنِ وَهَذَا الْقِسْمُ مِنْ ظُهُورِهِ وَتَصَرُّفِهِ كَثِيرُ الْوُقُوعِ بَيْنَ الطَّالِبِينَ وَلاَ بَأْسَ فِيهِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا فَإِنْ ظَهَرَ ثَانِيًا يَنْبَغِي دَفْعُ ذَلِكَ الْمُفْسِدِ بِتَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّمْجِيدِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى [1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

(١٧٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْحَافِظِ مَحْمُودٍ فِي بَيَانِ تَلْوِينَاتِ الْأَحْوَالِ وَحُصُولِ التَّمْكِينِ وَمَعْنَى لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مِنَ الْأَخِ الْعَزِيزِ وَقَدِ انْدَرَجَ فِيهِ نُبْذَةٌ مِنْ تَلْوِينَاتِ أَحْوَالِهِ.

(اِعْلَمْ) أَنَّ السَّالِكَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَلْوِينَاتِ الْأَحْوَالِ لاَ فِي الْبِدَايَةِ وَلاَ فِي النِّهَايَةِ . غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ التَّلْوِينَ إِذَا كَانَ فِي الْقَلْبِ فَالسَّالِكُ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَمُسَمًّى بِابْنِ الْوَقْتِ وَإِذَا تَخَلَّصَ الْقَلْبُ مِنَ التَّلْوِينِ وَخَرَجَ مِنْ رِقِّيَّةِ أَحْوَالِهِ إِلَى الْحُرِّيَّةِ وَوَصَلَ إِلَى مَقَامِ التَّمْكِينِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ وُرُودُ الْأَحْوَالِ الْمُتَلَوِّنَةِ عَلَى النَّفْسِ الَّتِي جَلَسَتْ مَقَامَ الْقَلْبِ خِلاَفَةً عَنْهُ وَهَذَا التَّلْوِينُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ حُصُولِ التَّمْكِينِ.

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

فَإِنْ قِيلَ لِصَاحِبِ هَذَا التَّلْوِينِ: أَبَا الْوَقْتِ، لَجَازَ فَإِنْ تَخَلَّصَتِ النَّفْسُ أَيْضًا مِنْ هَذِهِ التَّلْوِينَاتِ بِمَحْضِ فَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَوَصَلَتْ إِلَى مَقَامِ التَّمْكِينِ وَالْإِطْمِئْنَانِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ وُرُودُ التَّلْوِينَاتِ عَلَى الْقَالَبِ الَّذِي تَرَكَّبَ مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وَهَذَا التَّلْوِينُ يَعْنِي تَلْوِينَ الْقَالَبِ دَائِمِيٌّ فَإِنَّ التَّمْكِينَ لَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّ الْقَالَبِ وَإِنْ كَانَ مُنْصَبِغًا بِلَوْنِ أَلْطَفِ اللَّطَائِفِ فَإِنَّ التَّمْكِينَ الْوَارِدَ مِنْ طَرِيقِ هَذَا الْإِنْصِبَاغِ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَوُرُودَ الْأَحْوَالِ الْمُتَلَوِّنَةِ بِطَرِيقِ الْأَصَالَةِ وَالْعِبْرَةُ بِالْأَصْلِ لَا بِالتَّبَعِ وَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ مِنْ أَخَصِّ الْخَوَاصِّ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَبَا الْوَقْتِ فِي الْحَقِيقَةِ وَمَعْنَى حَدِيثِ "لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ" الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَرَادَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْوَقْتِ "الْوَقْتَ الْمُسْتَمِرَّ" وَطَائِفَةٌ الْوَقْتَ النَّادِرَ يَكُونُ رَاجِعًا إِلَى هَذَا الْبَيَانِ فَإِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ اللَّطَائِفِ مُسْتَمِرٌّ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضٍ آخَرَ نَادِرٌ فَلَا خِلَافَ وَبِالْجُمْلَةِ يَنْبَغِي تَحْلِيَةُ الظَّاهِرِ بِالشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى تَكْرَارِ ذِكْرِ الْقَلْبِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

(شِعْرٌ)

فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ الْعَمِيقِ كَضِفْدَعٍ *** كُنْ طَالِبًا مَا تَبْتَغِي مِنْ ذَا وَذَا

وَأَخُونَا مَوْلَانَا مُحَمَّدُ صِدِّيقٍ فِي آكْرَهْ فَلْتَغْتَنِمْ مُلَاقَاتَهُ.

(١٧٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدْ صِدِّيقٍ فِي بَيَانِ أَنَّ حِفْظَ الْأَوْقَاتِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ هَذَا الطَّرِيقِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ اشْتِغَالَهُ بِمَا يَعْنِيهِ وَإِعْرَاضَهُ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ فَلَا بُدَّ إِذًا مِنْ حِفْظِ الْأَوْقَاتِ لِئَلَّا تَتْلَفَ فِي أُمُورٍ لَا طَائِلَ فِيهَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ إِنْشَادَ الشِّعْرِ وَحِكَايَةَ الْقِصَصِ نَصِيبُ الْأَعْدَاءِ وَأَنْ تَشْتَغِلَ بِالسُّكُوتِ وَحِفْظِ نِسْبَةِ الْبَاطِنِ وَاجْتِمَاعُ الْأَصْحَابِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ إِنَّمَا هُوَ لِجَمْعِيَّةِ الْبَاطِنِ لَا لِتَشْتِيتِ الْخَاطِرِ وَلِهَذَا اخْتَارُوا الْخِلْطَةَ عَلَى الْخَلْوَةِ وَطَلَبُوا الْجَمْعِيَّةَ مِنَ الْإِجْتِمَاعِ وَمَتَى كَانَ الْإِجْتِمَاعُ سَبَبًا لِلتَّفْرِقَةِ يَلْزَمُ التَّحَاشِي مِنْهُ وَالتَّبَاعُدُ عَنْهُ وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُ مَعَ الْإِجْتِمَاعِ فَهُوَ مُبَارَكٌ وَإِلَّا فَمَشْؤُومٌ وَغَيْرُ مُبَارَكٍ.

وَيَنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَعِيشَ عَلَى وَجْهٍ تَحْصُلُ الْجَمْعِيَّةُ لِلطَّالِبِينَ فِي صُحْبَتِهِ لَا أَنَّهُ يُلْقِيهِمْ وَيَرْمِيهِمْ إِلَى التَّفْرِقَةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَلِّبَ أَيْضًا أَوْرَاقَ نَفْسِهِ[1] وَأَنْ يُبَدِّلَ الْكَلَامَ بِالسُّكُوتِ الْوَقْتُ لَيْسَ وَقْتَ الْمُشَاعَرَةِ وَلَا حِينَ الْمُجَاوَرَةِ (ع) وَمَا الْوَقْتُ وَقْتَ الدَّرْسِ أَوْ كَشْفِ كَشَّافِ *

وَالسَّلَامُ.

[1] كناية عن تبديل الاخلاق المذمومة بالمحمودة (القزاني رحمة الله عليه)

(١٧٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ حُسَيْنِ الْبَدَخْشِيِّ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ بِمُقْتَضَى آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الصَّائِبَةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ

لِيَغْتَنِمِ الْخَوَاجَهْ جَمَالُ الدِّينِ حُسَيْنٌ عُنْفُوَانَ الشَّبَابِ وَلْيَصْرِفْهُ فِي مَرْضِيَّاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَهْمَا أَمْكَنَ يَعْنِي يُلْزِمَ نَفْسَهُ أَوَّلًا تَصْحِيحَ الْعَقَائِدِ بِمُقْتَضَى آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الصَّائِبَةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَثَانِيًا الْعَمَلَ بِمُوجَبِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفِقْهِيَّةِ وَثَالِثًا سُلُوكَ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى الصُّوفِيَّةِ الصَّافِيَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَمَنْ وُفِّقَ لِهَذَا فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ هَذَا فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا وَلْيَعُدَّ خِدْمَةَ أَوْلَادِ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ صَالِحٍ مِنَ السَّعَادَةِ الْعُظْمَى فَإِنَّ هَذِهِ الْخِدْمَةَ إِمْدَادٌ وَإِعَانَةٌ لِلْخَوَاجَهْ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَقْبُولِينَ (ع) أَبْرَزْتُ مِنْ كَنْزِ الْمَرَامِ عَلَامَةً * وَالسَّلَامُ

(١٧٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِرْزَا مُظَفَّرٍ فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ إِلَيْهِ وَتَرْغِيبِهِ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا الْحَاجَةُ إِلَى دَلَالَةِ الْمُتَخَلِّقِينَ بِالْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْإِحْسَانِ وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ بَلْ يَكَادُ تَكُونُ تِلْكَ الدَّلَالَةُ دَاخِلَةً فِي سُوءِ الْأَدَبِ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَشَبَّثُ وَقْتَ الْاِحْتِيَاجِ بِكُلِّ حَقِيرٍ وَنَقِيرٍ وَيَطْلُبُ تَسَلِّيَهُ مِنْ كُلِّ ضَعِيفٍ وَنَحِيفٍ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ نَرْتَكِبُ التَّصْدِيعَ لِتَسْلِيَةِ أَرْبَابِ الْمَسْأَلَةِ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ الْمُكَرَّمُ إِنَّ الْإِحْسَانَ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ مَحَلٍّ خُصُوصًا إِلَى جَمَاعَةٍ لَهُمْ قُرْبُ الْجِوَارِ فَقَدْ بَالَغَ[1] النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَدَاءِ حُقُوقِ الْجِوَارِ عَلَى وَجْهٍ ظَنَّ الْأَصْحَابُ الْكِرَامُ مِنْ تِلْكَ الْمُبَالَغَةِ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُ الْجِيرَانَ (الْمَثْنَوِي).

چون چنین بایکدیکر همسایه ایم *** توچو خور شیدی وماچون سایه ایم

چه بدی اي مايهء بی مايه كان ***كرنكه داری حق همسایه كان

وَالسَّلَامُ

---

[1] اخرج الطبراني في مكارم الاخلاق عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته الجدعاء يقول اوصيكم بالجار حتى اكثر فقلت انه يورثه وقال ابن حجر في الفتح ولعبد الله بن عمر وفي لفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالجار حتى ظننت انه سيورثه اه. واما حديث ما زال جبريل يوصيني بالجار الخ فهو غير هذا (القزاني رحمة الله عليه)

(١٧٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمِيرْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الْمِيرْ نُعْمَانَ فِي النَّصِيحَةِ

لِيَغْتَنِم الْوَلَدُ الْأَعَزُّ لاَ زَالَ مُوَفَّقًا كَاسْمِهِ مَوْسِمَ الشَّبَابِ وَلْيَشْتَغِلْ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا وَلْيَهْتَمَّ فِي أَنْ لاَ يَصْرِفَ هَذَا الْعُمْرَ الْعَزِيزَ فِيمَا لاَ يَعْنِي وَأَنْ لاَ يُتْلِفَهُ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَوَالِدُكُمُ الْمُكَرَّمُ يَلْحَقُكُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى وَكُنْ مُسْتَخْبِرًا عَنْ أَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَاتِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ (ع) وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ *

(١٨٠) اَلْمَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَهْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْخَوَاجَكِي الْأَمْكَنْكِي فِي الْإِسْتِفْسَارِ عَنْ أَسَامِي بَعْضِ مَشَائِخِهِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ التَّرَدُّدُ

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ الْمُكَرَّمُ إِنَّ الَّذِي بَلَغَنَا مِنْ حَضْرَةِ شَيْخِنَا أَعْنِي الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ الْبَاقِي عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي تَحْقِيقِ أَسَامِي الْمَشَائِخِ هُوَ أَنَّ مَا بَيْنَ مَوْلاَنَا الْخَوَاجَكِي الْأَمْكَنْكِي وَبَيْنَ حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا حَضْرَةُ مَوْلاَنَا أَعْنِي مَوْلاَنَا دَرْوِيشْ مُحَمَّدْ وَالثَّانِي مَوْلاَنَا مُحَمَّدْ زَاهِدْ خَالُ مَوْلاَنَا دَرْوِيشْ مُحَمَّدْ وَقَدْ قَدِمَ هَذِهِ الْحُدُودَ فِي هَذِهِ الْأَوَانِ مَوْلاَنَا الْخَوَاجَهْ خَاوَنْدْ مَحْمُودْ[1] وَجَرَى الْكَلاَمُ فِي أَوَّلِ الْمُلاَقَاةِ فِي مَوْلاَنَا الْمَذْكُورِ وَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُجَازًا مِنْ أَحَدٍ وَلِهَذَا مَا كَانَ يَأْخُذُ الْمُرِيدَ فِي الْأَوَائِلِ ثُمَّ شَرَعَ فِي التَّكَلُّمِ فِي أَوَاخِرِ عُمْرِهِ فَقُلْنَا لَهُ إِنَّهُ كَانَ مِنْ كُبَرَاءِ زَمَانِهِ وَسَلَّمَ جَمِيعُ سُكَّانِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِفَضْلِهِ وَكَمَالِهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ وَحَالِهِ وَلاَ يُجَوِّزُ الْعَقْلُ أَنَّهُ يَأْخُذُ الْمُرِيدَ مِنْ غَيْرِ إِجَازَةٍ سَوَاءٌ كَانَ فِي أَوَائِلِ عُمْرِهِ أَوْ أَوَاخِرِهِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا دَاخِلٌ فِي الْخِيَانَةِ بَعِيدٌ عَنِ الدِّيَانَةِ لاَ يُظَنُّ صُدُورُ ذَلِكَ مِنْ أَدْنَى مُسْلِمٍ فَكَيْفَ مِنْ أَكَابِرِ الدِّينِ فَقَالَ الْخَوَاجَهْ خَاوَنْدْ مَحْمُودْ بَعْدَ ذَلِكَ: جَاءَ مَوْلاَنَا مَرَّةً عِنْدَ الْخَوَاجَهْ كَلاَنْ الدَّهْبِيدِي وَكَانَ هُوَ يَأْكُلُ الْخَرْبُزَةَ فَأَظْهَرَ مَوْلاَنَا طَلَبَ الطَّرِيقَةِ فَقَالَ لَهُ الْخَوَاجَهْ كَلاَنْ إِنَّ خَرْبُزَتَكَ قَدْ تَمَّ أَمْرُهَا وَكَمُلَ نُضْجُهَا فَقَالَ مَوْلاَنَا أَنْتَ تَشْهَدُ أَنَّ خَرْبُزَتِي قَدْ كَمُلَتْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ خَرْبُزَتَكَ تَامَّةٌ كَامِلَةٌ فَشَرَعَ مَوْلاَنَا فِي أَخْذِ الْمُرِيدِ مِنْ هَذَا الْوَقْتِ وَهَذَا النَّقْلُ أَيْضًا يُرَى مُسْتَبْعَدًا جِدًّا فَإِنَّ مَوْلاَنَا كَيْفَ يَعْتَقِدُ نَفْسَهُ شَيْخًا بِمُجَرَّدِ هَذَا الْقَوْلِ وَيَشْرَعُ فِي أَخْذِ الْمُرِيدِ ثُمَّ قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ خَاوَنْدْ مَحْمُودْ إِنَّ تَسْمِيَةَ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ بَيْنَ

---

[1] مولانا الخراجه خاوند محمود يتصل نسبه الظاهرى بستة وسائط بمولانا الخواجه علاء الدين العطار بواسطة الخواجه حسن العطار وحصل النسبة المعنوية فى صحبة الخواجه اسحق الدهبيدى ثم اختار السياحة والسفر حتى استوطن بكشمير وبنى فيها خانقاه واشتغل هناك بترويج الطريقة ثم جاء الى اللاهور وتوفى فيها والخواجه اسحق هو ولد المخدوم الاعظم الدهبيدى الذى هو خليفة القاضى محمد الذى هو خليفة الخواجه احرار قدس سرهم حصل الخواجه اسحق النسبة من مولانا لطف الله الذى من خلفاء والده قدس الله اسرارهم (القزانى رحمة الله عليه)

حضرة مولانا وبين حضرة الخواجة أحرار بهذين الإسمين واعتقاد أنهما مسمّيا هذين الإسمين خطأً ذكروهما بغير اسميهما

وقال أيضا ان درويش محمّد لا نسبة له من خاله يعني لا انتساب له إليه بل انتسابه إلى غيره فحصل تعجّب كثير من كلماته هذه فارتكبنا التصديع بالضرورة لتكتبوا لنا اسمي الشيخين المذكورين على وجه التحقيق لئلا يبقى لأحد مجال الكلام في سلسلتنا وما الحاجة إلى كتابة حديث الإجازة فإن عظمته وعلوّ شأنه شاهد عدل ومع ذلك إن كتب كان قطعًا للسان الطاعنين ولم يدر ماذا كان مقصود الخواجة خاوند من هذه الكلمات المشتتة فإن كان مقصوده نفي هؤلاء الفقراء الذين لا بضاعة لهم بأبلغ الوجوه فإن نفي الشيخ مستلزم لنفي المريد بآكد الوجوه فطرق نفي هؤلاء عديمي البضاعة كثيرة فما الحاجة إلى نفي الأكابر لهذا الغرض وإن كان مقصوده نفي الأكابر بالأصالة ولم يكن له غرض سواه فهذا أيضا غير مستحسن كما لا يخفى على من له أدنى دراية ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات. ﴿والسّلام على من اتّبع الهدى﴾(١).

(١٨١) المكتوب الحادي والثمانون والمائة إلى حضرة المخدوم زادة ميان محمّد صادق في جواب استفساره عن سبب مشاهدة بعض المشائخ في مقام أعلى من مقاماتهم وبعضهم في أدنى من مقاماتهم وما يناسب ذلك

قد سأل ولدي الأرشد محمّد صادق عن سبب انفهام كون طائفة من المشائخ في درجات عليا من مقام الزهد والتوكّل والترك والصبر والرضا مع أني أرى وأشاهد أنّ لهم درجة أدنى في مراتب القرب الإلهي جلّ سلطانه (ورؤية طائفة) أخرى من المشائخ في درجة سفلى من مقامات الزهد والتوكّل وغيرهما مع أنهم يرى لهم درجات عليا في مقام القرب ومن المقرّر أنّ أكمليّة هذه المقامات باعتبار أتميّة اليقين وأتميّة اليقين بسبب الأقربيّة إلى جناب قدس الحق جلّ شأنه فالمقام لا يخلو هنا عن أحد أمور امّا تطرّق الخطأ إلى النظر فرأى القريب بعيدًا والبعيد قريبًا أو أنّ سبب أكمليّة هذه المقامات أمر وراء اليقين أو أنّ ترتّب اليقين ليس على القرب (فأقول في الجواب) إنّ ترتّب اليقين على القرب فإذا كان القرب أكثر فاليقين أزيد وأوفر وسبب أكمليّة هذه المقامات أيضا أتميّة اليقين لا أمر آخر والنظر الكشفي أيضا صحيح .

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ حُصُولَ الْقُرْبِ إِنَّمَا هُوَ لِأَلْطَفِ اللَّطَائِفِ فَيَكُونُ الْيَقِينُ أَيْضًا نَصِيبَهُ وَحَيْثُ كَانَتْ أَكْمَلِيَّةُ الْمَقَامَاتِ مُتَرَتِّبَةً عَلَى أَتَمِّيَّةِ الْيَقِينِ تَكُونُ تِلْكَ الْأَكْمَلِيَّةُ أَيْضًا حَاصِلَةً فَيُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ وَحَلَّ مِنَ الْأَكَابِرِ إِقَامَةً فِي مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ أَلْطَفِ اللَّطَائِفِ مَعَ وُجُودِ قِلَّةِ قُرْبِهِ وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدُ إِلَى أَكْثَفِ اللَّطَائِفِ وَيَكُونُ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَذْكُورَةِ أَكْمَلَ مِمَّنْ لَهُ زِيَادَةُ قُرْبٍ وَقَدْ رَجَعَ إِلَى أَكْثَفِ اللَّطَائِفِ أَعْنِي لَطِيفَةَ الْقَالَبِ .

وَحَيْثُ أَنَّ لَطِيفَةَ الْقَالَبِ مَحْرُومَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْقُرْبِ لَا يَكُونُ الْيَقِينُ أَيْضًا نَصِيبًا لَهَا فَمِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ لَهَا أَكْمَلِيَّةُ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ وَالَّذِي رَجَعَ إِلَى هَذِهِ اللَّطِيفَةِ أَخَذَ حُكْمَهَا وَكَانَتْ يَقِينَاتُ لَطَائِفِ الْبَاقِيَةِ الَّتِي قَدْ حَصَلَتْ لَهَا سَابِقًا مَسْتُورَةً بِخِلَافِ مَنْ لَيْسَ لَهُ رُجُوعٌ إِلَى الْقَالَبِ فَإِنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ أَلْطَفِ اللَّطَائِفِ وَالْقُرْبُ وَالْيَقِينُ عَلَى كَمَالِهِمَا فِي حَقِّهِ وَلَمْ يَسْتَتِرَا بَعْدُ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَذْكُورَةِ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ (وَلَكِنْ) يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ الرُّجُوعِ كَمَا أَنَّهُ أَكْمَلُ فِي الْقُرْبِ وَالْيَقِينِ كَذَلِكَ هُوَ أَكْمَلُ فِي الْمَقَامَاتِ أَيْضًا وَلَكِنْ قَدْ سُتِرَتْ كَمَالَاتُهُ تِلْكَ وَجُعِلَ ظَاهِرُهُ مِثْلَ ظَاهِرِ عَوَامِّ النَّاسِ لِحُصُولِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلَائِقِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ فَيَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ بِالْأَصَالَةِ وَلِهَذَا طَلَبَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اطْمِئْنَانَ الْقَلْبِ وَاحْتَاجَ فِي حُصُولِ الْيَقِينِ إِلَى الرُّؤْيَةِ الْبَصَرِيَّةِ مِثْلَ عَوَامِّ النَّاسِ .

وَقَالَ عُزَيْرٌ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَالَّذِي لَمْ يَرْجِعْ أَخْبَرَ عَنْ يَقِينِهِ بِقَوْلِهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا فَإِنْ ثَبَتَ صُدُورُ هَذَا الْكَلَامِ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ يَنْبَغِي حَمْلُهُ عَلَى أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ حُصُولِ الرُّجُوعِ فَإِنَّ صَاحِبَ الرُّجُوعِ مُحْتَاجٌ إِلَى الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ فِي حُصُولِ الْيَقِينِ بَعْدَ الرُّجُوعِ مِثْلَ عَوَامِّ النَّاسِ وَقَدْ كَانَتِ الْمَسَائِلُ الْكَلَامِيَّةُ كُلُّهَا بَدِيهِيَّةً لِهَذَا الدَّرْوِيشِ قَبْلَ الرُّجُوعِ وَكُنْتُ أَجِدُهَا أَشَدَّ يَقِينًا مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ وَأَمَّا بَعْدَ الرُّجُوعِ فَقَدِ اسْتَتَرَ ذَلِكَ الْيَقِينُ وَصِرْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ مِثْلَ عَوَامِّ النَّاسِ (ع) **عَلَى مِقْدَارِ مَا رَبَّوْنِي أَنْمُو** * وَالسَّلَامُ.

(١٨٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا صَالِحِ الْكُولَابِيِّ فِي بَيَانِ كَوْنِ الْخَوَاطِرِ وَالْوَسَاوِسِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ

كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الدَّرَاوِيشِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ قَاعِدِينَ مُجْتَمِعِينَ فَجَرَى الْكَلَامُ فِي خَطَرَاتِ الطَّالِبِينَ وَوَسَاوِسِهِمْ. فَذُكِرَ فِي ذَلِكَ الْأَثْنَاءِ حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ [1] الْأَصْحَابِ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ

---

[1] رواه مسلم ابي هريرة رضي الله عنه جاء ناس من اصحاب رسول الله صلعم الى النبي صلعم فسألوه انا نجد في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذاك صريح الايمان وعن انس رضي الله عنه ان بعض اصحاب رسول الله.

الْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ وَقَالَ إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا لَوْ أَنَّ أَحَدَنَا خَرَّ عَلَى رَأْسِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "أَوَجَدْتُمْ ذَلِكَ ذَاكَ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ أَوْ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ" فَوَقَعَ فِي خَاطِرِ هَذَا الْفَقِيرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ أَنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ الْيَقِينِ وَكَمَالُ الْيَقِينِ مُرَتَّبٌ عَلَى كَمَالِ الْقُرْبِ فَإِذَا حَصَلَ لِلْقَلْبِ وَمَا فَوْقَهُ مِنَ اللَّطَائِفِ زِيَادَةُ الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ جَلَّ شَأْنُهُ يَكُونُ الْإِيمَانُ وَالْيَقِينُ أَزْيَدَ وَيَكُونُ عَدَمُ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ وَسَائِرِ اللَّطَائِفِ بِالْبَدَنِ أَكْثَرَ فَيَكُونُ ظُهُورُ الْخَطَرَاتِ فِي الْقَالَبِ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ وَالْوَسَاوِسِ غَيْرِ اللَّائِقَةِ فِيهِ أَظْهَرَ.

فَلَا جَرَمَ يَكُونُ سَبَبُ الْخَطَرَاتِ الرَّدِيئَةِ كَمَالَ الْإِيمَانِ بِالضَّرُورَةِ فَعَلَى هَذَا كُلَّمَا كَانَتِ الْخَطَرَاتُ أَزْيَدَ فِي الْمُنْتَهِي إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ تَكُونُ أَكْمَلِيَّةُ الْإِيمَانِ فِيهِ أَشَدَّ فَإِنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ يَقْتَضِي عَدَمَ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ أَلْطَفِ اللَّطَائِفِ وَبَيْنَ لَطِيفَةِ الْقَالَبِ وَكُلَّمَا كَانَ عَدَمُ الْمُنَاسَبَةِ الْمَذْكُورَةِ أَكْثَرَ كَانَ الْقَالَبُ أَشَدَّ خُلُوًّا وَأَقْرَبَ إِلَى الظُّلْمَةِ وَالْكُدُورَةِ وَيَكُونُ وُرُودُ الْخَوَاطِرِ إِلَيْهِ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ بِخِلَافِ الْمُبْتَدِئِ وَالْمُتَوَسِّطِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ سُمٌّ قَاتِلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا وَسَبَبٌ لِازْدِيَادِ مَرَضِهِمَا الْبَاطِنِ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَاصِرِينَ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ مِنَ الْمَعَارِفِ الْغَامِضَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَذَا الْفَقِيرِ. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١٨٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا مَعْصُومٍ الْكَابُلِيِّ فِي النَّصِيحَةِ

رَزَقَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَشَغَلَنَا بِهِ عَنْ غَيْرِهِ حَتَّى لَا نَتَوَجَّهَ إِلَى الْاِثْنَيْنِيَّةِ وَالْمَأْمُولُ أَنْ لَا تَكُونَ التَّعَلُّقَاتُ الشَّتَّى وَالتَّوَجُّهَاتُ الْمُتَفَرِّقَةُ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَى الظَّاهِرِ مَانِعَةً عَنِ النِّسْبَةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ يَنْبَغِي السَّعْيُ وَالْإِجْتِهَادُ فِي تَحْقِيقِ التَّفْرِقَةِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالتَّفَحُّصِ عَنْهَا لِئَلَّا تَسْرِيَ فِي الْبَاطِنِ فَتَمْنَعَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلَبِ الْحَقِيقِيِّ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا تَسْتَحِقُّ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِأَنْ تُصْرَفَ بِضَاعَةُ الْعُمُرِ الْعَزِيزِ فِي تَحْصِيلِهَا الشَّرْطُ هُوَ الْإِخْبَارُ وَإِلَى مَتَى يَمْتَدُّ مَنَامُ الْأَرْنَبِ. (شِعْرٌ) وَمَا الْقَصْرُ وَالْبُسْتَانُ إِلَّا مَحَابِسُ *** وَمَا الْمَالُ وَالْأَمْلَاكُ إِلَّا مَصَائِبُ

صلى الله عليه وسلم شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجدون فى صدورهم من الوسوسة فقال كيف انتم فى ربكم قالوا لا تشك فى ربنا ولان يقع احدنا من السماء فيتقطع احب اليه من ان يتكلم بما يجد فى صدره فقال عليه السلام الله اكبر ذاك محض الايمان وكان ثابت يقول اللهم اكثر لنا منه محمد بن على الحكم الترمذى فى نوادر الاصول (القزانى رحمة الله عليه)

(١) الآية ٤٧ من سورة طه.

فَإِنْ حَصَلَ الْعَمَلُ قَبْلَ الْمَوْتِ فَبِهَا وَإِلاَّ فَخُسْرَانٌ فِي خُسْرَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ ذِكْرُ الْقَلْبِ وَمَشْغُولِيَّةُ الْبَاطِنِ عَزِيزًا وَأَنْ يُتَّخَذَ كُلَّمَا يُنَافِيهِ عَدُوًّا. (شعر)

كُلَّمَا دُونَ هَوَى الْحَقِّ وَلَوْ *** أَكْلَ قَنْدٍ فَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ. وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ.

(١٨٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ إِلَى فَتْحِ اللهِ

وَصَلَ مَكْتُوبُ الْوَلَدِ الْأَعَزِّ الْمَكْتُوبُ عَلَى وَجْهِ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلُوصِ أَوْصَلَهُ الْخَوَاجَة فَصَارَ مُوجِبًا لِفَرَحٍ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقَ لِمَرْضِيَّاتِهِ رَفِيقَنَا بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ (أَيُّهَا الْوَلَدُ) إِنَّ الَّذِي يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ غَدًا هُوَ مُتَابَعَةُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنِ اجْتَمَعَتِ الْأَحْوَالُ وَالْمَوَاجِيدُ وَالْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ وَالْإِشَارَاتُ وَالرُّمُوزُ مَعَ تِلْكَ الْمُتَابَعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَإِلاَّ فَلاَ شَيْءَ سِوَى الْخِذْلاَنِ وَالْإِسْتِدْرَاجِ رَأَى شَخْصٌ سَيِّدَ الطَّائِفَةِ الْجُنَيْدَ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ فِي جَوَابِهِ: طَاحَتِ الْعِبَارَاتُ وَفَنِيَتِ الْإِشَارَاتُ وَمَا نَفَعَنَا الاَّ رُكَيْعَاتٌ رَكَعْنَاهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَعَلَيْكُمْ بِمُتَابَعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَإِيَّاكُمْ وَمُخَالَفَةَ شَرِيعَتِهِ قَوْلاً وَعَمَلاً وَاعْتِقَادًا فَإِنَّ الْأُولَى يُمْنٌ وَبَرَكَةٌ وَالثَّانِيَةَ شُؤْمٌ وَهَلَكَةٌ هَذَا وَالرِّسَالَةُ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا قَدْ وَصَلَتْ وَطَالَعْتُ بَعْضَ الْمَوَاضِعِ مِنْهَا فَرَأَيْتُهُ حَسَنًا وَلَكِنَّ الْأَهَمَّ أَمْرٌ آخَرُ دُونَ التَّصْنِيفِ وَالْإِشْتِغَالُ بِالْأَمْرِ الاهَمِّ أَنْسَبُ وَأَوْلَى وَالسَّلاَمُ.

(١٨٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى مَنْصُورٍ عَرَبٍ فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ إِلَيْهِ

رَزَقَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْاِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَجَعَلَ جَمِيعَ هِمَّتِكُمُ التَّوَجُّهَ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ لَنَا وَلَكُمْ هُوَ سَلاَمَةُ الْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِمَا سِوَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذِهِ السَّلاَمَةُ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ اذَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ خُطُورٌ فِي الْقَلْبِ بِحَيْثُ لَوْ تَيَسَّرَتْ حَيَاةُ أَلْفِ سَنَةٍ فَرْضًا لاَ يَقَعُ الْغَيْرُ فِي الْقَلْبِ بِوَاسِطَةِ نِسْيَانِ الْقَلْبِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى (ع) **هَذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي خَيَالاَتٌ** * بَقِيَّةُ الْمَرَامِ أَنَّ مَوْلاَنَا الْفَاضِلَ السَّرْهَنْدِيَّ الَّذِي هُوَ قَائِمٌ بِخِدْمَتِكُمُ الْعَلِيَّةِ أَبُوهُ فِي سَرْهَنْدَ وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَسْرُورًا وَمُبْتَهِجًا بِمُلاَقَاةِ وَلَدِهِ وَقْتَ ضَعْفِهِ وَشَيْخُوخَتِهِ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ جَعَلَ الْفَقِيرَ وَسِيلَةً إِلَى التَّصْدِيعِ وَالْأَمْرُ عِنْدَكُمْ بَلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالسَّلاَمُ.

(١٨٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَهْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْمُفْتِي الْكَابُلِيِّ فِي الْحَثِّ عَلَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ وَالْإِجْتِنَابِ عَنِ الْبِدْعَةِ وَأَنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ

أَسْأَلُ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّضَرُّعِ وَالْإِعْتِذَارِ وَالْإِلْتِجَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ وَالتَّذَلُّلِ وَالْإِنْكِسَارِ فِي السِّرِّ وَالْجِهَارِ أَنْ لَا يَبْتَلِيَ هٰذَا الضَّعِيفَ مَعَ مَنْ هُمْ مُجْتَمِعُونَ لَدَيْهِ أَوْ مُسْتَنِدُونَ إِلَيْهِ بِفِعْلِ كُلِّ عَمَلٍ مُحْدَثٍ وَمُبْتَدَعٍ فِي الدِّينِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِ خَيْرِ الْبَشَرِ وَزَمَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ الْعَمَلُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فِي الْوُضُوحِ وَأَنْ لَا يَفْتِنَنَا بِحُسْنِ ذٰلِكَ الْمُبْتَدَعِ بِحُرْمَةِ السَّيِّدِ الْمُخْتَارِ وَآلِهِ الْأَبْرَارِ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قَالَ بَعْضُ النَّاسِ اِنَّ الْبِدْعَةَ عَلَى نَوْعَيْنِ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ فَالْحَسَنَةُ هِيَ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ حَدَثَ بَعْدَ زَمَنِ نَبِيِّنَا وَزَمَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَلَمْ يَكُنْ رَافِعًا لِلسُّنَّةِ وَالسَّيِّئَةُ مَا تَكُونُ رَافِعَةً لِلسُّنَّةِ وَهٰذَا الْفَقِيرُ لَا يُشَاهِدُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْبِدْعَةِ شَيْئًا مِنَ الْحُسْنِ وَالنُّورَانِيَّةِ وَلَا يُحِسُّ فِيهَا شَيْئًا سِوَى الظُّلْمَةِ وَالْكُدُورَةِ وَمَنْ رَأَى الْيَوْمَ فَرْضًا طَرَاوَةً وَنَضَارَةً فِي الْأَمْرِ الْمُبْتَدَعِ بِسَبَبِ ضَعْفِ الْبَصِيرَةِ وَلٰكِنْ سَيَعْلَمُ غَدًا بَعْدَ حُصُولِ الْحِدَّةِ فِي بَصَرِهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ نَتِيجَةٍ غَيْرَ النَّدَامَةِ وَالْخَسَارَةِ. (شِعْرٌ) وَوَقْتَ الصُّبْحِ يَبْدُو كَالنَّهَارِ *** حَقِيقَةُ مَنْ هَوِيتَهُ فِي الظَّلَامِ

قَالَ سَيِّدُ الْبَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ [1] فَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ مَرْدُودًا فَمِنْ أَيْنَ يَجِيءُ لَهُ الْحُسْنُ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ [2] الْحَدِيثِ كِتَابُ اللّٰهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُوصِيكُمْ [3] بِتَقْوَى اللّٰهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. فَإِذَا كَانَ كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةً وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةً فَمَا يَكُونُ مَعْنَى الْحُسْنِ فِي الْبِدْعَةِ وَأَيْضًا الْمَفْهُومُ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ رَافِعَةٌ لِلسُّنَّةِ وَالرَّفْعُ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْبَعْضِ فَيَكُونُ كُلُّ بِدْعَةٍ سَيِّئَةً قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ [4] مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ

---

[1] رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنه.

[2] رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه وقد مر بيانه.

[3] رواه ابو داود عن العرباض بن سارية الا ان فى آخره وكل ضلالة فى النار وروى مسلم عن جابر ليس فى آخره هذا الا ان فى اوله ما ليس هنا ورواه احمد والترمذى وابن ماجة ايضا (القزانى رحمة الله عليه)

[4] روى احمد والطبرانى عن غضيف بن الحارث الثمالى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من امة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة الا اضاعت مثلها من السنة (القزانى رحمة الله عليه)

السنة. فالتمسك بالسنة خير من إحداث البدعة وعن حسان أنه قال: ما ابتدع[1] قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة. (ينبغي) أن يعلم أن بعض البدع الذي عده العلماء والمشائخ من البدعة الحسنة إذا لوحظ فيه كمال الملاحظة يعلم أنه رافع للسنة ومن ذلك أن تعميم الميت مثلا عدوه من البدعة الحسنة مع أنه رافع للسنة لأنه زيادة على العدد المسنون في الكفن وهو كونه ثلاثة أثواب والزيادة نسخ والنسخ هو عين الرفع وكذلك استحسن المشائخ يعني بعضهم إرسال ذنب العمامة من طرف اليسار مع أن السنة إرساله[2] مما بين الكتفين وكون ذلك رافعا لهذه السنة ظاهر لا سترة فيه وكذلك استحسن العلماء يعني بعضهم في نية الصلاة النطق باللسان مع إرادة قلبية والحال أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه الكرام ولا عن التابعين العظام في النية النطق باللسان لا في رواية صحيحة ولا في رواية ضعيفة بل كانوا يكبرون للتحريمة عقب القيام فيكون النطق بدعة وقالوا إن ذلك بدعة حسنة ويقول هذا الفقير إن هذه البدعة رافعة للفرض فضلا عن السنة فإن أكثر الناس يكتفون على هذا التقدير بالنطق باللسان يعني من غير استحضار النية بالجنان ومن غير مبالاة بالغفلة القلبية عن هذا الشأن فحينئذ يكون فرض من فرائض الصلاة وهو النية القلبية متروكا بالكلية ويفضي إلى فساد الصلاة وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات فإنها زيادات على السنة ولو بوجه من الوجوه والزيادة نسخ والنسخ رفع فعليكم بالإقتصار على متابعة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإكتفاء بالإقتداء بأصحابه الكرام فإنهم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وأما القياس بالإجتهاد فليس من البدعة بشيء فإنه مظهر لمعنى النصوص لا أنه مثبت لأمر زائد فاعتبروا يا أولي الأبصار. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ [3] والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأكمل التسليمات.

(١٨٧) المكتوب السابع والثمانون والمائة إلى الخواجة أشرف الكابلي في أفضلية طريق الرابطة على الذكر بالنسبة إلى المريد

قد وقع النظر على الكتاب الذي كتبته إلى الأصحاب واطلعت على الأحوال المسطورة فيه (اعلم) أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف وتعمل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والإستفادة ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلا فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة أورد حضرة

---

[1] رواه الدارمي عنه موقوفا عليه.

[2] كما رواه مسلم عن عمرو بن حريث والترمذي في الشمائل عن ابن عمر وابو داود عن عبد الرحمن بن عوف والطبراني في الاوسط عن ثوبان وكذا هو في الكبير عن ابن عمر واسناده علي شرط الصحيح والطيالسي عن ابي موسى وكذا عن عبد الله بن بسر باسناد حسن وكذا هو والبيهقي والطيالسي عن علي وجاء عن عمر وعلي ووائلة وابن الزبير رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

(٣) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي الْفِقَرَاتِ أَنَّ ظِلَّ الدَّلِيلِ أَوْلَى مِنْ ذِكْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِاعْتِبَارِ النَّفْعِ يَعْنِي أَنَّ ظِلَّ الدَّلِيلِ أَوْلَى لِلْمُرِيدِ مِنِ اشْتِغَالِهِ بِالذِّكْرِ فَإِنَّهُ لَمْ تَحْصُلْ بَعْدُ لِلْمُرِيدِ مُنَاسَبَةٌ كَامِلَةٌ بِالْمَذْكُورِ جَلَّ وَعَلَا حَتَّى يَنْتَفِعَ مِنْ طَرِيقِ الذِّكْرِ انْتِفَاعًا تَامًّا وَالسَّلَامُ أَوَّلًا وَآخِرًا

(١٨٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ صِدِّيقْ الْبَدَخْشِيِّ فِي حَلِّ إِشْكَالِ الْمَسَائِلِ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا

وَصَلَ مَكْتُوبُ الْأَخِ الْأَعَزِّ وَقَدْ سَأَلَ عَنْ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ أَيُّهَا الْمُحِبُّ انَّ اخْتِفَاءَ بَعْضِ اللَّطَائِفِ فِي مَرْتَبَةِ الْقَلْبِ مَقْصُورٌ عَلَى لَطَائِفَ تَضَمَّنَهَا الْقَلْبُ لَا أَنَّهُ جَارٍ فِي لَطَائِفَ مُتَحَقِّقَةٍ فِيمَا وَرَاءَ الْقَلْبِ فَإِنَّهُ لَا مَعْنَى لِاخْتِفَائِهَا فِي مَقَامِ الْقَلْبِ (الثَّانِي) أَنَّ مَنْ كَانَ اسْتِعْدَادُهُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْقَلْبِ أَوِ الرُّوحِ يَقْدِرُ الشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّفِ عَلَى إِيصَالِهِ إِلَى مَرْتَبَةٍ فَوْقَانِيَّةٍ لَكِنَّ هُنَا دَقِيقَةً بَيَانُهَا مَوْقُوفٌ عَلَى الْحُضُورِ لِعُسْرِ تَحْرِيرِهِ (الثَّالِثُ) أَنَّ الظَّاهِرَ إِذَا انْصَبَغَ بِلَوْنِ الْبَاطِنِ وَانْصَبَغَ الْبَاطِنُ بِلَوْنِ الظَّاهِرِ لَا عُسْرَةَ حِينَئِذٍ فِي ظُهُورِ أَحْكَامِ الظَّاهِرِ فِي الْبَاطِنِ وَبُدُوِّ أَحْوَالِ الْبَاطِنِ فِي الظَّاهِرِ وَالسَّلَامُ.

(١٨٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ
فِي بَيَانِ فَضْلِ تَذَكُّرِ الْفُقَرَاءِ مَعَ كَثْرَةِ الْإِشْتِغَالِ وَالتَّحْذِيرِ عَنِ الْإِنْخِدَاعِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا وَتَعْظِيمِ ذِكْرِ الْقَلْبِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَصَلَ مَكْتُوبُ الْوَلَدِ الْأَنْجَبِ الْأَعَزِّ الْأَرْشَدِ شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرْحَةِ وَبَاعِثًا عَلَى الْبَهْجَةِ نِعْمَتِ النِّعْمَةُ عَدَمُ نِسْيَانِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا بِضَاعَةَ لَهُمْ مَعَ وُجُودِ تَعَلُّقَاتٍ شَتَّى وَهَذَا التَّذَكُّرُ يُنْبِئُ عَنْ أَشَدِّ الْمُنَاسَبَةِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ وَبَعْضُ الْوَقَائِعِ الَّتِي انْدَرَجَ بَيَانُهُ فِيهِ حَسَنٌ وَأَصِيلٌ وَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى الْإِرْتِبَاطِ الْمَعْنَوِيِّ (أَيُّهَا الْوَالِدُ) إِيَّاكَ وَالْإِنْخِدَاعَ بِطَرَاوَةِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْإِفْتِتَانَ بِمُزَخْرَفَاتِهَا الشَّنِيعَةِ الَّتِي لَا مَعْنَى فِيهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَ لَهَا مَدَارٌ وَلَا اعْتِبَارٌ وَلَا هِيَ مَحَلُّ قَرَارٍ وَهَذَا الْمَعْنَى وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْيَوْمَ مَعْلُومًا لَكُمْ وَلَكِنَّهُ سَيَكُونُ غَدًا مَعْقُولًا أَلْبَتَّةَ وَلَكِنْ لَا يَنْفَعُ.

فِي أُذْنِهِ مِنْ أَنْتِي صَمَمٌ فَلَا * يَرْضَى سَمَاعَ نَصِيحَتِي وَبُكَائِيَا**

وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكُونَ مُولَعًا وَحَرِيصًا بِتِكْرَارِ ذِكْرِ الْقَلْبِ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللّٰهِ جَلَّ شَأْنُهُ وَأَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ مَعَ الْجَمَاعَةِ مِنْ غَيْرِ تَكَاسُلٍ وَفُتُورٍ وَأَنْ تُؤَدِّيَ زَكَاةَ الْأَمْوَالِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ بِنَشَاطِ الْقَلْبِ وَأَنْ تَجْتَنِبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَأَنْ تَكُونَ مُشْفِقًا عَلَى الْخَلْقِ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ وَالسَّلَامُ.

(١٩٠) اَلْمَكْتُوبُ التِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِ الْمِيرِ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ الْبَدَخْشِيِّ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الذِّكْرِ وَاخْتِيَارِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ مَعَ بَيَانِ كَيْفِيَّةِ الذِّكْرِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ اعْلَمْ وَتَنَبَّهْ أَنَّ سَعَادَتَكَ بَلْ سَعَادَةَ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ وَفَلَاحَهُمْ وَخَلَاصَهُمْ كُلَّ ذَلِكَ فِي ذِكْرِ مَوْلَاهُمْ جَلَّ سُلْطَانُهُ فَيَنْبَغِي اسْتِغْرَاقُ جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ بِالذِّكْرِ الْإِلٰهِيِّ جَلَّ شَأْنُهُ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ وَأَنْ لَا يُجَوِّزَ الْغَفْلَةَ لَحْظَةً وَاحِدَةً وَلِلّٰهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ أَنَّ دَوَامَ الذِّكْرِ يَتَيَسَّرُ فِي طَرِيقَةِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللّٰهُ أَسْرَارَهُمْ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَيَحْصُلُ ذَلِكَ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ فَاخْتِيَارُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ لِلطَّالِبِ أَوْلَى وَأَنْسَبَ بَلْ يَكُونُ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ وَلَازِمًا فَعَلَيْكَ إِذًا صَرْفُ التَّوَجُّهِ عَنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَالْإِقْبَالُ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى جَانِبِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ وَطَلَبُ الْهِمَّةِ مِنْ بَوَاطِنِهِمُ الشَّرِيفَةِ وَلَا بُدَّ مِنَ الذِّكْرِ فِي الْإِبْتِدَاءِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَى الْقَلْبِ الصَّنَوْبَرِيِّ الشَّكْلِ فَإِنَّ تِلْكَ الْمُضْغَةَ كَالْحُجْرَةِ لِلْقَلْبِ الْحَقِيقِيِّ وَأَنْ تُجْرِيَ الْإِسْمَ الْمُبَارَكَ اللّٰهُ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ وَلَا تُحَرِّكَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِالْقَصْدِ وَاقْعُدْ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا تُخَيِّلْ صُورَةَ الْقَلْبِ بِالْقُوَّةِ الْمُتَخَيِّلَةِ أَصْلًا وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهَا قَاطِعًا فَإِنَّ الْمَقْصُودَ التَّوَجُّهُ إِلَى الْقَلْبِ لَا تَصَوُّرُ صُورَتِهِ وَيَنْبَغِي أَنْ تُلَاحِظَ مَعْنَى اللَّفْظِ الْمُبَارَكِ اللّٰهُ بِلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنْ لَا تَضُمَّ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنْ مُلَاحَظَةِ الصِّفَاتِ حَتَّى الْحَاضِرِيَّةَ وَالنَّاظِرِيَّةَ لِئَلَّا تَنْزِلَ مِنْ ذِرْوَةِ حَضْرَةِ الذَّاتِ إِلَى حَضِيضِ الصِّفَاتِ فَتَقَعَ مِنْهَا إِلَى شُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَتَطْمَئِنَّ بِشُهُودِ الْمِثَالِيِّ مِنَ التَّعَلُّقِ بِمَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْمِثَالِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فَإِنَّ كُلَّمَا يَظْهَرُ فِي مِرْآةِ الْمِثَالِيِّ لَا يَكُونُ مِصْدَاقًا لِلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَكُلَّمَا يُشَاهَدُ فِي الْكَثْرَةِ لَا يَكُونُ وَاحِدًا حَقِيقِيًّا أَلْبَتَّةَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَطْلُبَ الْمُنَزَّهَ عَنِ الْمِثَالِ فِيمَا وَرَاءَ الْمِثَالِيِّ وَأَنْ يَلْتَمِسَ الْبَسِيطَ الْحَقِيقِيَّ فِي خَارِجِ حِيطَةِ الْكَثْرَةِ فَإِنْ ظَهَرَتْ صُورَةُ الْمُرْشِدِ وَقْتَ الذِّكْرِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ يَنْبَغِي أَنْ تَذْهَبَ بِهَا إِلَى الْقَلْبِ وَأَنْ تَشْتَغِلَ بِالذِّكْرِ حَافِظًا لَهَا فِي الْقَلْبِ.

(أَتَدْرِي) مَنِ الْمُرْشِدُ. الْمُرْشِدُ مَنْ تَسْتَفِيدُ مِنْهُ طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَتَجِدُ مِنْهُ مَدَدًا وَإِعَانَةً فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَمُجَرَّدُ لُبْسِ الْكُلَاهِ وَالْخِرْقَةِ وَأَخْذِ الشَّجَرَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا صَارَ عُرْفًا وَرَسْمًا بَيْنَ النَّاسِ كُلُّهَا خَارِجَةٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْمُرْشِدِيَّةِ وَالْمُرِيدِيَّةِ وَدَاخِلَةٌ فِي الرُّسُومِ وَالْعَادَاتِ إِلَّا أَنَّ الْخِرْقَةَ إِنْ حَصَّلْتَ مِنَ الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ وَعَامَلْتَ بِالْإِعْتِقَادِ وَالْإِخْلَاصِ فَاحْتِمَالُ حُصُولِ الثَّمَرَاتِ وَالنَّتَائِجِ قَوِيٌّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَنَامَاتِ وَالْوَاقِعَاتِ لَا اعْتِمَادَ عَلَيْهَا وَلَا اعْتِبَارَ لَهَا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ سُلْطَانًا أَوْ قُطْبَ الْوَقْتِ فِي الْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ رُؤْيَةِ نَفْسِهِ كَذَلِكَ فِي الْمَنَامِ فَإِنْ كَانَ فِي الْوَاقِعِ سُلْطَانًا أَوْ قُطْبَ الْوَقْتِ فَمُسَلَّمٌ وَكَذَلِكَ كُلَّمَا ظَهَرَ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ فِي الصَّحْوِ وَالْإِفَاقَةِ فَفِيهِ مَجَالٌ لِلْاعْتِمَادِ

عَلَيْهِ وَإِلاَّ فَلاَ (وَاعْلَمْ) أَنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ وَتَرَتُّبَ الأَثَرِ عَلَيْهِ مَرْبُوطٌ بِإِتْيَانِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فَيَنْبَغِي حُسْنُ الاِحْتِيَاطِ فِي أَدَاءِ الفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمِ وَالْمُشْتَبِهِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى فَتْوَاهُمْ وَالسَّلاَمُ.

(١٩١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى خَانِ خَانَانْ فِي الْحَثِّ عَلَى اتِّبَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَأَنَّهُ لاَ عُسْرَ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ. اعْلَمْ أَنَّ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ وَالنَّجَاةَ السَّرْمَدِيَّةَ مَرْبُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عُمُومًا وَعَلَى أَفْضَلِهِمْ خُصُوصًا فَإِنْ تَيَسَّرَتْ عِبَادَةُ أَلْفِ سَنَةٍ فَرْضًا مَعَ الرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّةِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّدِيدَةِ لاَ تَعْدِلُ تِلْكَ الْعِبَادَاتُ بِنِصْفِ شَعِيرَةٍ وَلاَ تُسَاوِي تِلْكَ الرِّيَاضَاتُ بِالنَّوْمِ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ اقْتِدَاءً بِصَاحِبِ الشَّرِيعَةِ مَعَ كَوْنِهِ غَفْلَةً مِنَ الأَوَّلِ إِلَى الآخِرِ مَا لَمْ تَكُنْ مُنَوَّرَةً بِنُورِ اتِّبَاعِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فِي الأُمُورِ الْخَطِيرَةِ وَالْحَقِيرَةِ بَلْ هِيَ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ وَمِنْ كَمَالِ عِنَايَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رِعَايَةُ نِهَايَةِ الْيُسْرِ وَغَايَةِ السُّهُولَةِ فِي جَمِيعِ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ وَالأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ حَيْثُ أَمَرَ مَثَلاً بِسَبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلاَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لاَ يَبْلُغُ مَجْمُوعُ أَوْقَاتِ أَدَائِهَا سَاعَةً وَاحِدَةً وَمَعَ ذَلِكَ اكْتَفَى فِي قِرَاءَتِهَا بِمَا تَيَسَّرَ وَجَوَّزَ الْقُعُودَ عِنْدَ تَعَذُّرِ الْقِيَامِ وَالاِضْطِجَاعَ عِنْدَ تَعَذُّرِ الْقُعُودِ وَأَمَرَ بِالإِيمَاءِ عِنْدَ تَعَذُّرِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَجَعَلَ التَّيَمُّمَ خَلَفَ الْوُضُوءِ وَقْتَ الْعَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ وَعَيَّنَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ حِصَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَرْبَعِينَ حِصَّةً فِي زَكَاةِ الأَمْوَالِ وَقَيَّدَ افْتِرَاضَهَا أَيْضًا بِكَوْنِ الأَمْوَالِ نَامِيَةً وَالأَنْعَامِ سَائِمَةً وَفَرَضَ فِي جَمِيعِ الْعُمْرِ حَجًّا وَاحِدًا وَمَعَ ذَلِكَ جَعَلَهُ مَشْرُوطًا بِالْقُدْرَةِ عَلَى الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ وَأَمْنِ الطَّرِيقِ وَوَسَّعَ دَائِرَةَ الْمُبَاحِ حَيْثُ أَبَاحَ نِكَاحَ أَرْبَعَةٍ مِنَ النِّسَاءِ وَمِقْدَارَ مَا يَمْلِكُهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ السَّرَارِي وَجَعَلَ الطَّلاَقَ وَسِيلَةً لِتَبْدِيلِ النِّسَاءِ وَجَعَلَ أَكْثَرَ الأَطْعِمَةِ وَالأَشْرِبَةِ وَالأَقْمِشَةِ مُبَاحًا وَجَعَلَ الْمُحَرَّمَ مِنْهَا قَلِيلاً وَتَحْرِيمُهُ أَيْضًا بِوَاسِطَةِ مَصَالِحِ الْعِبَادِ وَإِنْ حَرَّمَ شَرَابًا وَاحِدًا مُرًّا كَثِيرَ الضَّرَرِ وَلَكِنَّهُ أَبَاحَ عِوَضًا عَنْهُ كَثِيرًا مِنَ الأَشْرِبَةِ اللَّذِيذَةِ السَّائِغَةِ الْكَثِيرَةِ النَّفْعِ أَلاَ تَرَى أَنَّ عَرَقَ الْقَرَنْفُلِ وَعَرَقَ الدَّارَصِينِيِّ مَعَ سُهُولَةِ شُرْبِهِمَا وَطِيبِ رَائِحَتِهِمَا مُشْتَمِلاَنِ عَلَى مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ وَفَوَائِدَ جَزِيلَةٍ لاَ يُمْكِنُ تَحْرِيرُهَا فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي تَرْكِهِمَا وَاخْتِيَارِ شَيْءٍ مُرٍّ كَرِيهِ الطَّعْمِ وَكَرِيهِ الرَّائِحَةِ سَاتِرِ الْعَقْلِ عَظِيمِ الْخَطَرِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَمَعَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ آخَرُ طَارٍ مِنْ جِهَةِ الْحِلِّيَّةِ وَالْحُرْمَةِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ آخَرُ وَالتَّمَيُّزُ الْعَارِضُ مِنْ حَيْثِيَّةِ رِضَائِهِ تَعَالَى وَعَدَمِ رِضَائِهِ شَيْءٌ عَلَى حِدَةٍ فَإِنْ حَرَّمَ بَعْضَ أَلْبِسَةِ الإِبْرَيْسِيمِ فَمَا الضَّرَرُ فِيهِ حَيْثُ أَحَلَّ عِوَضَهُ كَثِيرًا مِنَ الأَلْبِسَةِ الْمُلَوَّنَةِ الْمُنَقَّشَةِ وَالأَقْمِشَةِ الْمُزَيَّنَةِ وَلِبَاسُ الصُّوفِ الَّذِي أُبِيحَ مُطْلَقًا أَفْضَلُ مِنْ أَلْبِسَةِ الإِبْرَيْسِيمِ بِمَرَاتِبَ وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أُبِيحَ لِبَاسُ الإِبْرَيْسِيمِ لِلنِّسَاءِ وَمَنَافِعُهُ عَائِدَةٌ إِلَى الرِّجَالِ

وَهٰكَذَا حَالُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَإِنَّ حُلِيَّ النِّسَاءِ لأَجْلِ تَمَتُّعِ الرِّجَالِ فَمَنِ اعْتَقَدَ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ مَعَ هٰذِهِ السُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ مِنْ عَدَمِ الإِنْصَافِ مُتَعَسِّرَةً وَمُتَعَذِّرَةً فَهُوَ مُبْتَلًى بِمَرَضٍ قَلْبِيٍّ وَعِلَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ يَسِيرَةٍ لِلأَصِحَّاءِ مُتَعَسِّرَةٌ لِلضُّعَفَاءِ عُسْرَةً تَامَّةً وَمَرَضُ الْقَلْبِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ يَقِينِ الْقَلْبِ بِالأَحْكَامِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَتَصْدِيقُهُمْ بِهٰذِهِ الأَحْكَامِ إِنَّمَا هُوَ صُورَةُ التَّصْدِيقِ لاَ حَقِيقَتُهُ وَعَلاَمَةُ حُصُولِ حَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ ثُبُوتُ الْيُسْرِ وَالْخِفَّةِ وَالنَّشَاطِ فِي إِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَبِدُونِهَا خَرْطُ الْقَتَادِ.

وَقَالَ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللّٰهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١). ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (٢) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

(١٩٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ السَّهَارَنْفُورِيِّ فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِهِ

اسْتَفْسَرَ الأَخُ الأَعَزُّ الأَرْشَدُ الشَّيْخُ بَدِيعُ الدِّينِ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الْعَرِيضَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ الْمَكْتُوبَةِ إِلَى حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ يَعْنِي الشَّيْخَ مُحَمَّدْ الْبَاقِي قُدِّسَ سِرُّهُ وَتَيَسَّرَ الْوُصُولُ إِلَى مَقَامٍ مُزَيَّنٍ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى هٰذَا الْكَلاَمِ؟ (اعْلَمْ) أَرْشَدَكَ اللّٰهُ لاَ نُسَلِّمُ أَنَّ هٰذِهِ الْعِبَارَةَ مُوهِمَةٌ لِلتَّفْضِيلِ مَعَ أَنَّ لَفْظَ أَيْضًا وَاقِعٌ فِيهَا أَيْضًا وَلَوْ سُلِّمَ فَأَقُولُ إِنَّ هٰذَا الْكَلاَمَ وَغَيْرَهُ فِي هٰذِهِ الْعَرِيضَةِ مِنْ جُمْلَةِ الْوَاقِعَاتِ الْمَكْتُوبَةِ إِلَى شَيْخِي وَالْمَعْرُوضَةِ عَلَيْهِ وَمِنَ الْمُقَرَّرِ عِنْدَ هٰؤُلاَءِ الطَّائِفَةِ أَنَّ كُلَّمَا يَحْصُلُ لِلسَّالِكِ مِنَ الْوَاقِعَةِ يُظْهِرُهُ لِشَيْخِهِ بِلاَ تَحَاشٍ صَحِيحًا كَانَ أَوْ سَقِيمًا فَإِنَّ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ أَيْضًا احْتِمَالَ التَّأْوِيلِ وَالتَّعْبِيرِ فَلاَ يَكُونُ إِذًا بُدٌّ مِنْ إِظْهَارِهِ فَفِيمَا نَحْنُ فِيهِ لاَ يَلْزَمُ مَحْظُورٌ عِنْدَ مُلاَحَظَةِ هٰذَا الْمَعْنَى وَالْحَلُّ الثَّانِي أَنَّهُ قَدْ جُوِّزَ تَحَقُّقُ فَضْلٍ فِي جُزْئِيٍّ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ لِغَيْرِ نَبِيٍّ عَلَى نَبِيٍّ وَلَمْ يَرَوْا فِيهِ بَأْسًا كَمَا وَقَعَتِ الزِّيَادَةُ فِي شَأْنِ الشُّهَدَاءِ لَيْسَتْ هِيَ فِي الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ مَعَ أَنَّ الْفَضْلَ الْكُلِّيَّ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَعَلَى هٰذَا التَّقْدِيرِ لَوْ وَقَعَ سَيْرُ غَيْرِ النَّبِيِّ فِي كَمَالاَتِ ذٰلِكَ الْجُزْئِيِّ وَوَجَدَ السَّالِكُ نَفْسَهُ فِي ذٰلِكَ الْمَقَامِ أَعْلَى لَكَانَ مُجَوَّزًا وَإِنْ كَانَ حُصُولُ الْوُصُولِ لَهُ إِلَى ذٰلِكَ الْمَقَامِ بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ وَلِلنَّبِيِّ أَيْضًا نَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ ذٰلِكَ الْمَقَامِ بِحُكْمِ حَدِيثِ "مَنْ [3] سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً" الْحَدِيثَ، فَإِنْ كَانَ تَحَقُّقُ الْفَضْلِ الْجُزْئِيِّ لِغَيْرِ النَّبِيِّ عَلَى النَّبِيِّ مُجَوَّزًا فَعَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ يَكُونُ مُجَوَّزًا بِالطَّرِيقِ الأَوْلَى فَلاَ إِشْكَالَ أَصْلاً وَالسَّلاَمُ.

---

(١) الآية: ١٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية: ٤٧ من سورة طه.

[3] (قوله من سن سنة الخ) رواه احمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وابو عوانة وابن حبان من حديث جرير رضي الله عنه (القزان رحمة الله عليه)

(١٩٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى السَّيِّدِ فَرِيدٍ فِي الْحَثِّ عَلَى تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ عَلَى وَفْقِ آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَتَعَلُّمِ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ وَالشِّكَايَةِ مِنْ غُرْبَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِغْرَاءِ عَلَى تَرْوِيجِهِ وَتَأْيِيدِهِ

كَانَ اللّٰهُ نَاصِرَكُمْ وَمُعِينَكُمْ عَلَى كُلِّ مَا يَعِيبُكُمْ وَيَشِينُكُمْ (اعْلَمْ)، اَنَّ أَوَّلَ الضَّرُورِيَّاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى أَرْبَابِ التَّكْلِيفِ تَصْحِيحُ الْعَقَائِدِ عَلَى وَفْقِ آرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَكَرَ اللّٰهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ فَإِنَّ النَّجَاةَ الْأُخْرَوِيَّةَ مَرْبُوطَةٌ بِاتِّبَاعِ آرَاءِ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَهُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ فَإِنَّهُمْ عَلَى طَرِيقِ النَّبِيِّ وَطَرِيقِ أَصْحَابِهِ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَالْمُعْتَبَرُ مِنَ الْعُلُومِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُوَ مَا أَخَذَهُ وَاسْتَنْبَطَهُ مِنْهُمَا هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ فَإِنَّ كُلَّ مُبْتَدِعٍ وَضَالٍّ يَأْخُذُ عَقِيدَتَهُ الْفَاسِدَةَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِزَعْمِهِ الْفَاسِدِ فَلَا يَكُونُ كُلُّ مَعْنًى مَفْهُومٍ مِنْ مَعَانِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُعْتَبَرًا وَرِسَالَةُ الْإِمَامِ الْأَجَلِّ التُّورْبِشْتِي مُنَاسِبَةٌ جِدًّا لِأَجْلِ تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْفَهْمِ وَلٰكِنْ حَيْثُ اَنَّ الرِّسَالَةَ الْمَذْكُورَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْاِسْتِدْلَالَاتِ مَعَ التَّطْوِيلِ وَالْبَسْطِ يَعْسُرُ الْأَخْذُ عَنْهَا فَلَوْ كَانَتْ رِسَالَةٌ غَيْرُهَا مُتَضَمِّنَةً لِلْمَسَائِلِ الصِّرْفَةِ لَكَانَ أَوْلَى وَأَنْسَبَ وَقَدْ وَقَعَ فِي خَاطِرِي أَيْضًا فِي هٰذِهِ الْأَثْنَاءِ أَنْ أَكْتُبَ فِي هٰذَا الْبَابِ رِسَالَةً مُتَضَمِّنَةً لِعَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَتَكُونَ سَهْلَةَ الْمَأْخَذِ فَإِنْ تَيَسَّرَ ذٰلِكَ نُرْسِلُهَا إِلَى الْخِدْمَةِ بَعْدَ كِتَابَتِهَا وَبَعْدَ تَصْحِيحِ هٰذِهِ الْعَقَائِدِ لَا بُدَّ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْمَكْرُوهِ وَغَيْرِهَا مِمَّا تَكَفَّلَ بِهِ عِلْمُ الْفِقْهِ. وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى هٰذَا الْعِلْمِ أَيْضًا ضَرُورِيٌّ فَيَنْبَغِي أَمْرُ بَعْضِ الطَّلَبَةِ بِقِرَاءَةِ بَعْضِ كُتُبِ الْفِقْهِ بِعِبَارَةٍ فَارِسِيَّةٍ مِثْلِ مَجْمُوعَةِ الْخَانِي وَعُمْدَةِ الْإِسْلَامِ فَإِنْ وَقَعَ عِيَاذًا بِاللّٰهِ سُبْحَانَهُ خَلَلٌ عَلَى مَسْأَلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الْاِعْتِقَادِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ فَقَدْ تَحَقَّقَ الْحِرْمَانُ مِنَ النَّجَاةِ الْأُخْرَوِيَّةِ بِخِلَافِ الْعَمَلِيَّاتِ فَإِنَّهَا إِذَا وَقَعَتِ الْمُسَاهَلَةُ فِيهَا يُرْجَى الْعَفْوُ وَالتَّجَاوُزُ عَنَّا وَلَوْ بِلَا تَوْبَةٍ وَلَئِنْ أُخِذَ بِهَا وَلٰكِنَّ النَّجَاةَ مُتَحَقِّقَةٌ فِي آخِرِ الْأَمْرِ فَعُمْدَةُ الْأَمْرِ تَصْحِيحُ الْعَقَائِدِ. وَنُقِلَ عَنْ حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ قُدِّسَ سِرُّهُ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ أُعْطِينَا الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ كُلَّهَا وَلَمْ تَكُنْ حَقِيقَتُنَا مُحَلَّاةً وَمُتَزَيِّنَةً بِعَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا نَعْتَقِدُ تِلْكَ الْأَحْوَالَ شَيْئًا غَيْرَ الْخِذْلَانِ وَلَئِنِ اجْتَمَعَ فِينَا الْقُصُورُ وَالنُّقْصَانُ وَحَقِيقَتُنَا مُسْتَقِيمَةٌ عَلَى عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا نَرَى بَأْسًا فِي ذٰلِكَ ثَبَّتَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى طَرِيقَتِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ قَدِمَ وَاحِدٌ مِنَ الدَّرَاوِيشِ مِنْ طَرَفِ لَاهُورَ وَقَالَ: إِنَّ الشَّيْخَ جِيُو كَانَ قَدْ حَضَرَ فِي مَسْجِدِ النَّخَّاسِ الْقَدِيمِ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ فَقَالَ مِيَانْ رَفِيعُ الدِّينِ بَعْدَ الْتِفَاتِ الشَّيْخِ إِلَيْهِ: إِنَّ نَوَّابَ الشَّيْخِ جِيُو قَدْ بَنَى مَسْجِدًا جَامِعًا فِي قُرْبِ بَيْتِهِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى ذٰلِكَ رَزَقَهُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ مَزِيدَ التَّوْفِيقِ وَسَمَاعُ أَمْثَالِ هٰذِهِ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ يَكُونُ بَاعِثًا عَلَى حُصُولِ غَايَةِ السُّرُورِ وَنِهَايَةِ الْاِبْتِهَاجِ. **(أَيُّهَا السَّيِّدُ)** إِنَّ الْإِسْلَامَ غَرِيبٌ فِي هٰذَا الزَّمَانِ جِدًّا فَصَرْفُ فَلْسٍ وَاحِدٍ فِي تَقْوِيَةِ الْإِسْلَامِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ يُسَاوِي صَرْفَ أُلُوفٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ فَيَا سَعَادَةَ مَنْ تَشَرَّفَ بِهٰذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى وَتَرْوِيجِ الدِّينِ وَتَقْوِيَةِ الْمِلَّةِ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا وَمَرْغُوبًا فِيهِ فِي

جَمِيعِ ٱلْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَشْخَاصِ وَلَكِنَّ صُدُورَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ أَوَانُ غُرْبَةِ ٱلإِسْلاَمِ مِنْ أَمْثَالِكُمْ أَصْحَابِ الْمُرُوءَةِ وَالْهِمَّةِ وَالْفُتُوَّةِ وَأَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ أَحْسَنُ وَأَجْمَلُ فَإِنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ مُنْتَشِرَةٌ مِنْ طَائِفَتِكُمُ الْعَلِيَّةِ فَهِيَ ذَاتِيَّةٌ فِيكُمْ وَعَرَضِيَّةٌ فِي غَيْرِكُمْ وَحَقِيقَةُ الْوِرَاثَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِنَّمَا هِيَ فِي تَحْصِيلِ هَذَا ٱلأَمْرِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَصْحَابِ "إِنَّكُمْ [1] فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا"

وَهَذَا هُوَ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَهَذَا الْقَوْمُ هُوَ ذَلِكَ الْقَوْمُ، (شِعْرٌ):

هَلُمُّوا أَيُّهَا ٱلأَبْطَالُ نَحْوَ الْ *** غَنَائِمِ مَا لَهَا أَصْلاً مُدَافِعٌ

وَقَدْ حَسُنَ قَتْلُ الْكَافِرِ اللَّعِينِ كُوبِنْدَدَالْ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ بَاعِثًا عَلَى كَسْرٍ عَظِيمٍ فِي الْهُنُودِ الْمَرْدُودَةِ بِأَيِّ نِيَّةٍ كَانَ قَتْلُهُ وَبِأَيِّ غَرَضٍ كَانَ إِهْلاَكُهُ فَإِنَّ مَذَلَّةَ الْكُفَّارِ نَقْدُ وَقْتِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَقَدْ رَأَى هَذَا الْفَقِيرُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ قَتْلِ ذَلِكَ الْكَافِرِ أَنَّ سُلْطَانَ الْوَقْتِ قَدْ كَسَرَ رَأْسَ رَئِيسِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْحَقُّ أَنَّ ذَلِكَ الْكَافِرَ كَانَ رَئِيسَ أَهْلِ الشِّرْكِ وَإِمَامَ أَهْلِ الْكُفْرِ خَذَلَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ دَعَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ فِي بَعْضِ أَدْعِيَتِهِ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ اللَّهُمَّ شَتِّتْ شَمْلَهُمْ وَفَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَخَرِّبْ بُنْيَانَهُمْ وَخُذْهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ وَعِزَّةُ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ إِنَّمَا هِيَ فِي مَذَلَّةِ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ وَالْمَقْصُودُ مِنْ أَخْذِ الْجِزْيَةِ هُوَ إِذْلاَلُ الْكُفَّارِ وَإِهَانَتُهُمْ وَتَحْصُلُ الْمَذَلَّةُ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ بِقَدْرِ مَا تَحْصُلُ الْعِزَّةُ لِأَهْلِ الْكُفْرِ فَيَنْبَغِي حُسْنُ التَّنَبُّهِ عَلَى هَذَا الأَمْرِ وَقَدْ ضَيَّعَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وَأَخْرَبَ دِينَهُ بِشُؤْمِهِ وَجَعَلَهُ هَبَاءً مَنْثُورًا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [2] فَجِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْغِلْظَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ وَبَقَايَا رُسُومِ الْكُفْرِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْقَرْنِ السَّابِقِ تَثْقُلُ عَلَى قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ جِدًّا وَلَمْ يَبْقَ لِسُلْطَانِ الْوَقْتِ تَوَجُّهٌ إِلَى أَهْلِ الْكُفْرِ فِي هَذَا الْوَقْتِ فَاللاَّزِمُ لِمَنْ يَقْدِرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِعْلاَمُ السُّلْطَانِ بِقُبْحِ رُسُومِ هَؤُلاَءِ ٱلأَشْرَارِ وَٱلإِجْتِهَادُ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا فَإِنَّ بَقَاءَهَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى عَدَمِ عِلْمِ السُّلْطَانِ بِقُبْحِهَا وَبِالْجُمْلَةِ إِذَا وَجَدَتْ مُسَاعَدَةَ الْوَقْتِ يَنْبَغِي إِحْضَارُ بَعْضِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ بِأَنْ يَجِيئُوا وَيُعْلِمُوا بِشَنَاعَةِ رُسُومِ أَهْلِ الْكُفْرِ فَإِنَّهُ لاَ حَاجَةَ لِتَبْلِيغِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَى إِظْهَارِ الْخَوَارِقِ وَالْعَادَاتِ وَالْكَرَامَاتِ. وَٱلإِعْتِذَارُ بِعَدَمِ التَّصَرُّفِ لاَ يُسْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْقُعُودِ عَنْ تَبْلِيغِ ٱلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَقَدْ بَلَّغَ ٱلأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الْمَوْجُودَاتِ ٱلأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فَإِذَا طَلَبُوا مِنْهُمُ الْمُعْجِزَاتِ وَٱلآيَاتِ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّمَا ٱلآيَاتُ وَالْمُعْجِزَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ وَلَعَلَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُحْدِثُ فِي تِلْكَ ٱلأَثْنَاءِ أَمْرًا يَكُونُ بَاعِثًا عَلَى ظُهُورِ حَقِيقَةِ هَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ الإِطْلاَعُ عَلَى حَقِيقَةِ

---

[1] رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ولفظه انكم في زمان من ترك منكم عشر ما امر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما امر به نجا (القزاني رحمة الله عليه)

[2] الآية: ٧٣ من سورة التوبة.

الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ ضَرُورِيٌّ فَإِنْ وَقَعَ الْإِهْمَالُ فِي ذَلِكَ فَالْعُهْدَةُ عَلَى ذِمَّةِ الْعُلَمَاءِ وَمُقَرَّبِي السُّلْطَانِ فَإِنْ حَصَلَتِ الْأَذِيَّةُ فِي هَذَا الْقِيلِ وَالْقَالِ لِبَعْضِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَعُدَّهَا سَعَادَةً عَظِيمَةً أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَاذَا رَأَوْا مِنَ الْأَذِيَّةِ وَكَمْ تَحَمَّلُوا مِنَ الْمِحْنَةِ حَتَّى قَالَ أَفْضَلُهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ قَطُّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ.

(شِعْرٌ):

عُمْرِي مَضَى وَحَدِيثُ وَجْدِي مَا انْقَضَى *** وَاللَّيْلُ قَدْ بَلَغَ الْمَدَى فَاقْنَعْ بِذَا

وَالسَّلَامُ وَالْإِكْرَامُ.

(١٩٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى صَدْرِ جِهَانَ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى تَرْوِيجِ الْمِلَّةِ وَتَأْيِيدِ الدِّينِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

سَلَّمَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ إِنَّ سَمَاعَ أَخْبَارِ تَرْوِيجِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَإِذْلَالِ أَعْدَاءِ الْمِلَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ يُورِثُ الْفَرَحَ لِلْمُسْلِمِينَ الْمَغْمُومِينَ وَيَزِيدُ فِي نَشَاطِ أَرْوَاحِهِمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَالْمَسْئُولُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ ازْدِيَادُ هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ بِكَوْنِ كُبَرَاءِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ السَّادَاتِ الْعِظَامِ وَالْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ مُتَصَدِّينَ فِي الْخَلَاءِ وَالْمَلَاءِ لِازْدِيَادِ تَقْوِيَةِ الدِّينِ الْمُبِينِ وَتَكْمِيلِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَمَاذَا يُظْهِرُ عَدِيمُ الطَّاقَةِ وَفَاقِدُ الْإِسْتِطَاعَةِ فِي هَذَا الْبَابِ وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ مِنْ حُسْنِ اسْتِعْدَادِهِ الْإِسْلَامِيِّ طَالِبٌ لِلْعُلَمَاءِ وَرَاغِبٌ فِيهِمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ فَسَادٍ ظَهَرَ فِي الْقَرْنِ السَّابِقِ كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَآمَةِ عُلَمَاءِ السُّوءِ فَيَنْبَغِي رِعَايَةُ التَّتَبُّعِ التَّامِّ فِي هَذَا الْبَابِ وَانْتِخَابُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَدَيِّنِينَ فَإِنَّ عُلَمَاءَ السُّوءِ لُصُوصُ الدِّينِ مَطْلَبُهُمُ الْجَاهُ وَالرِّيَاسَةُ وَالْمَنْزِلَةُ عِنْدَ الْخَلْقِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ فِتْنَتِهِمْ نَعَمْ إِنَّ أَفْضَلَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُوزَنَ مِدَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَتَرَجَّحُ مِدَادُهُمْ شَرُّ النَّاسِ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ وَخَيْرُ النَّاسِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ وَالْمُلْتَمَسُ ثَانِيًا أَنَّ بَعْضَ النِّيَّاتِ قَدِ اضْطَرَّ أَنْ أُوصِلَ نَفْسِي إِلَى الْعَسْكَرِ وَوَقَعَ التَّوَقُّفُ فِي دَهْلِي بِسَبَبِ دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ وَبَعْدَ مُضِيِّ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ نَصِلُ إِلَى خِدْمَةِ الْأَعِزَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١٩٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي الْحَثِّ عَلَى تَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ وَإِظْهَارِ الْأَسَفِ عَلَى ضَعْفِ الْإِسْلَامِ

سَلَّمَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاكُمْ وَحَيْثُ اَنَّ إِحْسَانَ السَّلَاطِينِ حَاصِلَةٌ لِكَافَّةِ الْخَلْقِ فَبِحُكْمِ "جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ" قُلُوبُ الْخَلَائِقِ مَائِلَةٌ إِلَى جَانِبِ الْمُحْسِنِينَ بِالضَّرُورَةِ فَلَا جَرَمَ كَانَتْ أَخْلَاقُ السَّلَاطِينِ وَأَوْضَاعُهُمْ سَارِيَةً إِلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ بِوَاسِطَةِ هَذَا الْإِرْتِبَاطِ الْحُبِّي عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ وَكَأَنَّهُ لِذَلِكَ قِيلَ النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ وَأَحْوَالُ الْقَرْنِ السَّابِقِ مِصْدَاقُ هَذَا الْكَلَامِ وَلَمَّا وَقَعَ الْآنَ الْإِنْقِلَابُ فِي الدُّوَلِ وَانْكَسَرَتْ سَوْرَةُ عِنَادِ أَهْلِ الْمِلَلِ لَزِمَ لِأَئِمَّةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الصُّدُورِ الْعِظَامِ وَالْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ صَرْفُ جَمِيعِ الْهِمَّةِ فِي تَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ وَتَقْوِيمِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْمُنْهَدِمَةِ وَأَحْكَامِهَا فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ فَإِنَّ التَّأْخِيرَ لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ وَقُلُوبُ الْغُرَبَاءِ فِي غَايَةِ الْإِضْطِرَابِ مِنْ هَذَا التَّأْخِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ وَشَدَائِدُ الْقَرْنِ السَّابِقِ مُتَمَكِّنَةٌ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ فَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ فَوْتِ تَلَافِي ذَلِكَ فَتَنْجَرُّ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ إِلَى الطُّولِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّلَاطِينِ شَوْقُ تَرْوِيجِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ يَتَسَاهَلُ مُقَرَّبُوهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ أَيْضًا وَيَعُدُّونَ حَيَاةَ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ غَنِيمَةً يَكُونُ الْأَمْرُ ضَيِّقًا عَلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمُظْلِمًا جِدًّا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَنْشَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ، (شِعْرٌ):

انچه از من كم شده كراز سليمان كم شدى *** هم سليمان هم پرى هم اهر من بكريستى

آخر:

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا *** صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا

وَمِنْ جُمْلَةِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ تَعْيِينُ الْقُضَاةِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَقَدِ انْمَحَى أَثَرُهُ فِي الْقَرْنِ السَّابِقِ وَبَلَدُ سَرْهَنْدَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَلَيْسَ فِيهِ قَاضٍ مُنْذُ سِنِينَ وَكَانَ آبَاءُ حَامِلِ رَقِيمَةِ الدُّعَاءِ الْقَاضِي يُوسُفَ قُضَاةً فِيهِ مُنْذُ بِنَائِهِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ إِسْنَادِ السَّلَاطِينِ فِي يَدِهِ وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ مُحَلًّى بِالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى فَفَوِّضُوا هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الْقَدْرِ إِلَيْهِ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِ الصَّلَاحَ ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْحَقَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ.

(١٩٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى مَنْصُورٍ عَرَبٍ فِي بَيَانِ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ الَّذِي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِهِ سَبْعَةُ أَقْدَامٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ

وَرَدَتْ صَحِيفَةُ الْمَرْحَمَةِ وَرَقِيمَةُ الْمَكْرُمَةِ فِي أَعَزِّ الْأَمْكِنَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى أَنَّ الْخَوَاصَّ لَيْسُوا بِفَارِغِينَ مِنْ تَذَكُّرِ الْعَوَامِّ وَلَمْ يَحْلُ الْأَكَابِرُ مِنْ تَفَقُّدِ أَحْوَالِ الْأَصَاغِرِ جَزَاكُمُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ (ع) **وَأَحْسَنُ مَا يُمْلَى حَدِيثُ الْأَحِبَّةِ** * إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ الَّذِي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِهِ كُلُّهُ سَبْعَةُ أَقْدَامٍ قَدَمَانِ مِنْهَا يَتَعَلَّقَانِ بِعَالَمِ الْخَلْقِ وَخَمْسَةٌ مِنْهَا تَتَعَلَّقُ بِعَالَمِ الْأَمْرِ فَإِذَا وَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ فِي عَالَمِ الْأَمْرِ يَظْهَرُ فِي أَوَّلِ الْقَدَمِ التَّجَلِّي الْأَفْعَالِيُّ وَفِي الْقَدَمِ الثَّانِي التَّجَلِّي الصِّفَاتِيُّ وَفِي الثَّالِثِ يَقَعُ الشُّرُوعُ فِي

التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ ثُمَّ وَثُمَّ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا كَمَا لا يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِهَا كُلُّ ذَلِكَ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ خُطْوَتَانِ فَالْمُرَادُ بِهِمَا عَالَمُ الْأَمْرِ وَعَالَمُ الْخَلْقِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ تَيْسِيرًا لِلْأَمْرِ فِي نَظَرِ الطَّالِبِينَ وَفِي كُلِّ قَدَمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْدَامِ يَقَعُ السَّالِكُ بَعِيدًا عَنْ نَفْسِهِ وَقَرِيبًا مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَبَعْدَ طَيِّ هَذِهِ الْأَقْدَامِ يَحْصُلُ الْفَنَاءُ الْأَتَمُّ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ الْأَكْمَلُ وَبِحُصُولِ هَذَا الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ حُصُولُ الْوِلَايَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ (ع) وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ * وَأَيُّ مُنَاسَبَةٍ لِأَمْثَالِنَا الْفُقَرَاءِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ غَيْرَ أَنَّا نَبُلُّ أَفْوَاهَنَا بِزُلَالِ حَالِ أَهْلِ الْكَمَالِ وَنُطَيِّبُهَا بِهِ،

(شعرٌ): كرنداريم ازشكر جزنام بهر *** اين بسي خوشتركه اندركام زهر

غَيْرُهُ: إِذَا قِسْنَا السَّمَا بِالْعَرْشِ يَنْحَطُّ *** وَمَا أَعْلَاهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضٍ

وَالسَّلَامُ أَوَّلًا وَآخِرًا.

(١٩٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى پَهْلَوَانْ مُحَمَّدٍ فِي مَدْحِ مَنْ تَبَرَّدَ قَلْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَتَأَثَّرَ مِنْ مَحَبَّةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلَخْ

ثَبَّتَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ اعْلَمْ أَنَّ السَّعِيدَ مَنْ تَبَرَّدَ قَلْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَتَأَثَّرَ مِنْ حَرَارَةِ مَحَبَّةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَمَحَبَّةُ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَتَرْكُهَا رَأْسُ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا وَاتَّسَمَتْ هِيَ وَأَهْلُهَا بِسِمَةِ الطَّرْدِ وَاللَّعْنِ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ وَمَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَحَيْثُ كَانَ الذَّاكِرُونَ بَلْ كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِمْ مَمْلُوِّينَ بِذِكْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانُوا خَارِجِينَ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ وَهُمْ لَيْسُوا فِي عِدَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي تَمْنَعُ الْقَلْبَ عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِذِكْرِ الْحَقِّ وَتُشْغِلُهُ بِغَيْرِهِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ أَمْوَالًا وَأَسْبَابًا أَوْ جَاهًا وَرِيَاسَةً أَوْ عَارًا وَحَمِيَّةً فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا نَصٌّ قَاطِعٌ فِي ذَلِكَ وَكُلَّمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ بَلَاءُ الرُّوحِ وَأَهْلُ الدُّنْيَا فِي تَفْرِقَةٍ وَظُلْمَةٍ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ دَائِمًا وَفِي الْآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ النَّدَامَةِ وَالْحَسْرَةِ وَحَقِيقَةُ تَرْكِهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَرْكِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَتَرْكُ الرَّغْبَةِ فِيهَا إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ إِذَا كَانَ وُجُودُهَا وَعَدَمُهَا مُتَسَاوِيَيْنِ وَحُصُولُ هَذَا الْمَعْنَى بِدُونِ صُحْبَةِ أَرْبَابِ الْجَمْعِيَّةِ مُتَعَسِّرٌ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ صُحْبَةُ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ يَنْبَغِي أَنْ تَعُدَّهَا غَنِيمَةً وَأَنْ تَصْرِفَ الْهِمَّةَ وَالْعِنَايَةَ إِلَيْهَا وَصُحْبَةُ الشَّيْخِ مِيَانْ مُزَّمِّلٍ وَإِنْ كَانَتْ غَنِيمَةً لَكُمْ فَإِنَّهُ وَأَمْثَالَهُ مِنَ الْأَعِزَّةِ الْعَزِيزِي الْوُجُودِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ وَلَكِنْ شِيمَةُ أَهْلِ الْكَرَمِ الْإِيثَارُ يَعْنِي تَقْدِيمَ حَاجَةِ الْغَيْرِ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ فَإِنْ أَذِنْتُمْ لِلشَّيْخِ مِيَانْ مُزَّمِّلٍ أَيَّامًا لَكَانَ فِي مَحَلِّهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ شُغْلِهِ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ ثَانِيًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْعَزِيزُ وَالْإِخْلَاصُ الْغَائِبِيُّ يَنُوبُ مَنَابَ الْحُضُورِ فِي حُصُولِ الْمَأْمُولِ لَكُمْ وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ تَصْدِيعٌ رَزَقَنَا اللَّهُ

سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْاِسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ وَالسَّلَامُ وَالْإِكْرَامُ.

(١٩٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى خَانِ خَانَانَ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ مُتَعَسِّرَةٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ جِدًّا

كَانَتِ الْفُتُوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ مِفْتَاحًا لِلْفُتُوحَاتِ الْمَدَنِيَّةِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الْمَرْغُوبُ الْمُرْسَلُ بِاسْمِ الْفُقَرَاءِ فَصَارَ بَاعِثًا عَلَى زِيَادَةِ الْمَحَبَّةِ بُشْرَى لَكُمْ ثُمَّ بُشْرَى لَكُمْ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ حُصُولَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ مُتَعَسِّرٌ جِدًّا فِي هَذَا الزَّمَانِ فَإِنَّ الْفُقَرَاءَ لَوِ اخْتَارُوا فِي الْمُحَاوَرَاتِ سُلُوكَ طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ لَوَازِمِ الْفَقْرِ لَزَعَمَ الْقَاصِرُونَ مِنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِهِمْ أَنَّهُمْ طَامِعُونَ مُحْتَاجُونَ فَلَا جَرَمَ أَنَّهُمْ يَصِيرُونَ بِزَعْمِهِمْ ذَلِكَ مِصْدَاقَ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَيُحْرَمُونَ بَرَكَاتِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَإِنِ اخْتَارُوا سُلُوكَ طَرِيقِ الْاِسْتِغْنَاءِ الَّذِي هُوَ أَيْضًا مِنْ لَوَازِمِ الْفَقْرِ لَظَنَّ النَّاقِصُونَ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِمْ أَنَّهُمْ مُتَكَبِّرُونَ وَسَيِّئُوا الْأَخْلَاقِ وَمَا أَدْرَاهُمْ أَنَّ الْاِسْتِغْنَاءَ أَيْضًا مِنْ لَوَازِمِ الْفَقْرِ فَإِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ قَدْ خَرَجَ مِنْ حَدِّ الْاِسْتِحَالَةِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ: عَرَفْتُ اللَّهَ تَعَالَى بِجَمْعِ الْأَضْدَادِ وَلَا ضَرَرَ فِي عَدَمِ تَصْدِيقِ أَهْلِ النَّظَرِ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ وَعَدِّهِمْ إِيَّاهَا مُحَالاً فَإِنَّ طَوْرَ الْوِلَايَةِ وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ الْعَقْلِ وَبَاقِي الْأَحْوَالِ يَعْرِضُهَا مَوْلَانَا الْمِيرُ بِالتَّفْصِيلِ. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[1].

(١٩٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَةُ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدْ أَمِينَ الْكَابِلِيِّ فِي بَيَانِ قَبُولِ مَا الْتَمَسَهُ مِنَ الْوِرْدِ

وَرَدَتِ الصَّحِيفَةُ الْمُنْبِئَةُ عَنْ فَرْطِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِخْلَاصِ الْمُشْعِرَةُ بِكَمَالِ الْمَوَدَّةِ وَالْاِخْتِصَاصِ فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلْفَرَحِ عَافَاكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ أَظْهَرْتَ فِيهَا طَلَبَ وِرْدٍ مِنَ الْأَوْرَادِ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَرْسَلْتُ الْأَخَ الْأَرْشَدَ مَوْلَانَا مُحَمَّدْ صِدِّيق لِيُعَلِّمَ ذِكْرًا مِنْ أَذْكَارِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ فَيَنْبَغِي السَّعْيُ الْبَلِيغُ فِي امْتِثَالِ أَمْرٍ بِهِ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مُثْمِرًا لِلنَّتَائِجِ وَلَمَّا لَمْ يَكْفِ فِي ذَلِكَ مُجَرَّدُ الْكِتَابَةِ وَتَوَقَّفَ الْأَمْرُ عَلَى الْحُضُورِ فِي الصُّحْبَةِ كُنْتُ بَاعِثًا عَلَى تَصْدِيعِ الْأَخِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ وَالسَّلَامُ.

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(٢٠٠) اَلْمَكْتُوبُ الْمُوفِي الْمِائَتَيْنِ إِلَى الْمُلاَّ شَكِيبِي الْأَصْفَهَانِيِّ فِي حَلِّ بَعْضِ عِبَارَاتِ النَّفَحَاتِ الَّتِي طَلَبَ شَرْحَهَا مِنْهُ قُدِّسَ سِرُّهُ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ (أَيُّهَا) الْأَخُ إِنَّكُمْ سَأَلْتُمْ أَنْ أَشْرَحَ لَكُمْ بَعْضَ عِبَارَاتِ النَّفَحَاتِ الَّذِي فِيهِ إِغْلاَقٌ فَبِنَاءً عَلَى ذٰلِكَ اجْتَرَأْتُ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ عَيْنَ الْقُضَاةِ الْهَمَدَانِيَّ قُدِّسَ سِرُّهُ قَالَ فِي بَيَانِ حَالِ جَمَاعَةٍ سَلَكُوا طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ فَبَعْضُهُمْ حَفِظَتْهُ مَغْلُوبِيَّتُهُ فِي كَنَفِ حِمَايَتِهَا وَكَانَ السُّكْرُ ظِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ وَالَّذِي كَانَ مِنْهُمْ صَاحِبَ تَمْيِيزٍ قَطَعُوا رَأْسَهُ يَعْنِي أَهْلَكُوهُ الْمُرَادُ بِالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ طَرِيقٌ مَسْلُوكٌ بِطَيِّ الْمَقَامَاتِ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ وَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ مُقَدَّمَةٌ فِي هٰذَا الطَّرِيقِ عَلَى تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَالْإِنَابَةُ فِيهِ شَرْطُ الْوِلاَيَةِ وَالْهِدَايَةِ وَالطَّرِيقُ الْغَيْرُ الْمَسْلُوكِ عِبَارَةٌ عَنْ طَرِيقِ الْجَذْبَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَطَرِيقِ الْاِجْتِبَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مَشْرُوطٍ بِالْإِنَابَةِ وَتُقَدَّمُ فِيهِ التَّصْفِيَةُ عَلَى التَّزْكِيَةِ وَهٰذَا الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الْمَحْبُوبِينَ وَالْمُرَادِينَ بِخِلاَفِ الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ طَرِيقُ الْمُحِبِّينَ وَالْمُرِيدِينَ وَالْبَعْضُ الَّذِي كَانَ لَهُ قُوَّةُ الْجَذْبَةِ مِنْهُمْ وَاسْتِيلاَءُ الْمَحَبَّةِ الَّذِي الْمَغْلُوبِيَّةُ وَالسُّكْرُ عِبَارَةٌ عَنْهُ بَقِيَ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ الْآفَاقِيَّةِ وَالْأَنْفُسِيَّةِ وَمَصُونًا مِنْ إِغْوَائِهِمْ وَإِضْلاَلِهِمْ فَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَتَّخِذُوا دَلِيلاً لِأَنْفُسِهِمْ وَلٰكِنْ كَانَ فَضْلُ اللّٰهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ هَادِيًا لَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ وَأَوْصَلَهُمْ إِلَى الْمَطْلُوبِ الْحَقِيقِيِّ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَاحِبَ تَمْيِيزٍ يَعْنِي لَمْ تَكُنْ لَهُ قُوَّةُ الْجَذْبَةِ وَكَانَ اسْتِيلاَءُ الْمَحَبَّةِ مَفْقُودًا فِي حَقِّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ أَضَلَّتْهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَهْلَكُوهُ وَأَذَاقُوهُ شَرْبَةَ الْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَغْلُوبِينَ هٰذَانِ الشَّخْصَانِ مِنَ التَّرَاكِمَةِ اللَّذَانِ حَكَى عَنْهُمَا الْحُسَيْنُ الْقَصَّابُ بِرَمْزٍ وَإِشَارَةٍ حَيْثُ قَالَ: كُنْتُ فِي سَفَرٍ مَعَ قَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ فَخَرَجَ اثْنَانِ مِنَ التَّرَاكِمَةِ مِنْ بَيْنِ الْقَافِلَةِ وَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ الْمُرَادُ بِالطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ الْقَافِلَةُ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ الَّذِي يَحْصُلُ بِقَطْعِ الْمَقَامَاتِ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْمَشَائِخِ خُصُوصًا الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ وَصَلُوا إِلَى مَقَاصِدِهِمْ مِنْ هٰذَا الطَّرِيقِ وَالْمُرَادُ بِالطَّرِيقِ الْغَيْرِ الْمَسْلُوكِ الَّذِي اخْتَارَهُ هٰذَانِ الشَّخْصَانِ مِنَ التَّرَاكِمَةِ وَتَبِعَهُمَا الْحُسَيْنُ الْقَصَّابُ فِي اخْتِيَارِ هٰذَا الطَّرِيقِ هُوَ طَرِيقُ الْجَذْبَةِ وَالْمَحَبَّةِ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْوُصُولِ مِنْ ذٰلِكَ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ الْمَعْهُودِ وَمُقَدِّمَةُ هٰذَا الطَّرِيقِ الْاِلْتِذَاذُ وَالسُّكُونُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ وَبَاعِثٌ عَلَى الذُّهُولِ عَنِ الشُّعُورِ وَكَنَى عَنْ هٰذِهِ الْحَالَةِ بِاللَّيْلِ وَلَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ الْغَيْبَةُ عَنِ الْخَلْقِ مُتَضَمِّنَةً لِلْحُضُورِ وَالشُّعُورِ بِالْخَالِقِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَشَارَ إِلَى هٰذَا الْحُضُورِ وَالشُّعُورِ بِالْبَدْرِ وَهٰذَا الْمَقَامُ يَقْتَضِي بَيَانًا يَنْبَغِي أَنْ يَسْمَعَهُ بِسَمْعِ الْعَقْلِ اعْلَمْ أَنَّ مُدَبِّرَ الْجَسَدِ هُوَ الرُّوحُ وَمُرَبِّيَ الْقَالَبِ الْقَلْبُ وَالْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةُ مُكْتَسَبَةٌ مِنَ الْقُوَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالْخَوَاصُّ الْقَالَبِيَّةُ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ النُّورَانِيَّةِ الْقَلْبِيَّةِ فَبِالضَّرُورَةِ يَتَطَرَّقُ الْفُتُورُ فِي مَبَادِي الْحَالِ الَّتِي هِيَ أَوَانُ النَّقْصِ وَالضَّعْفِ إِلَى تَدْبِيرِ الْجَسَدِ وَتَرْبِيَةِ الْقَالَبِ حِينَ تَوَجُّهِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ الَّذِي هُوَ لاَزِمُ طَرِيقِ الْجَذْبَةِ فَيَكُونُ

ذَلِكَ الْفُتُورُ سَبَبًا لِتَعَطُّلِ الْحِسِّ وَالذُّهُولِ عَنِ الْإِحْسَاسِ وَيُفْضِي إِلَى ضَعْفِ الْقُوَى وَالْجَوَارِحِ وَالسُّقُوطِ عَلَى الْأَرْضِ بِلَا اخْتِيَارٍ وَعَبَّرَ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ بِالسَّمَاعِ الرُّوحِيِّ وَقَالَ لِلسَّمَاعِ الَّذِي يَكُونُ بِالرَّقْصِ وَالْحَرَكَةِ الدَّوْرِيَّةِ سَمَاعًا جَسَدِيًّا وَبَالَغَ فِي الْمَنْعِ مِنْهُ فَتَحَقَّقَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الْغَيْبَةَ الصُّورِيَّةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْحُضُورِ الْمَعْنَوِيِّ وَذَاكَ الذُّهُولُ الرُّوحِيُّ مُشْتَمِلٌ عَلَى الشُّعُورِ الرُّوحِيِّ الَّذِي يُنَاسِبُهُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِالْبَدْرِ وَلْنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ اسْتِتَارَ وَجْهِ الْبَدْرِ بِالْغَيْمِ الْأَسْوَدِ كِنَايَةٌ عَنْ ظُهُورِ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي يَحْصُلُ الْحُضُورُ وَالشُّعُورُ لِلْمُبْتَدِئِينَ بِاسْتِتَارِهَا وَهَذَا الْإِسْتِتَارُ يَمْتَدُّ إِلَى أَوَاسِطِ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ الْمُتَوَسِّطِينَ لَيْسَ لَهُمْ هَذَا الْإِسْتِتَارُ وَإِنْ لَمْ يَخْلُوا عَنْ نَحْوٍ مِنَ الْاِسْتِتَارِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَنَّهُ لِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ وَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ ظَهَرَ الْبَدْرُ مِنَ الْغَيْمِ ثَانِيًا فَوَجَدْتُ أَثَرَ قَدَمِ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ فَإِنَّ الطَّرِيقَ يَتَّضِحُ حَالَةَ الْبَسْطِ الَّتِي هِيَ أَوَانُ الْحُضُورِ وَالشُّعُورِ وَيَكُونُ قَطْعُ الْمَسَافَةِ أَزْيَدَ وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ يَعْنِي زَالَتْ تِلْكَ الْغَيْبَةُ وَالذُّهُولُ وَقَوِيَ ذَلِكَ الْحُضُورُ وَالشُّعُورُ وَاجْتَمَعَ مَعَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْخَلْقِ وَكَنَى عَنْ هَذَا الْحُضُورِ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ. وَالْجَبَلُ عِبَارَةٌ عَنْ وُجُودِ الْبَشَرِيَّةِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَإِنَّ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ إِنَّمَا هِيَ بَعْدَ تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَلَمَّا كَانَتْ بِهَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ مِنَ التَّرَاكُمَةِ قُوَّةُ الْجَذْبِ وَاسْتِيلَاءُ الْمَحَبَّةِ فَلَا جَرَمَ وَضَعَا أَقْدَامَهُمَا عَلَى ذِرْوَةِ الْجَبَلِ بِالسُّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ وَطَلَعَا فَوْقَهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَتَشَرَّفَا بِنَحْوٍ مِنَ الْفَنَاءِ وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ لِحُسَيْنٍ الْقَصَّابِ هَذِهِ الْقُوَّةُ طَلَعَ فَوْقَ ذَلِكَ الْجَبَلِ بِمِحْنَةٍ كَثِيرَةٍ وَهَذَا أَيْضًا إِنَّمَا تَيَسَّرَ لَهُ بِبَرَكَةِ مُتَابَعَتِهِ لِهَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ وَإِلَّا لَقُطِعَ رَأْسُهُ وَالْمُعَسْكَرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَعْيَانِ الثَّابِتَةِ الَّتِي هِيَ جَامِعَةٌ لِتَعَيُّنَاتِ الْحَقَائِقِ الْإِمْكَانِيَّةِ وَالتَّعَيُّنِ الْوُجُوبِيِّ وَالْخِيَامُ الْغَيْرُ الْمُتَنَاهِيَةِ كِنَايَةٌ عَنْ تِلْكَ التَّعَيُّنَاتِ وَالْخَيْمَةُ الْكَبِيرَةُ فِيمَا بَيْنَهُمَا إِشَارَةٌ إِلَى التَّعَيُّنِ الْعِلْمِيِّ الْوُجُوبِيِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَلِذَا قِيلَ لَهُ إِنَّهَا خَيْمَةٌ سُلْطَانِيَّةٌ وَلَمَّا سَمِعَ الْحُسَيْنُ الْقَصَّابُ أَنَّهَا خَيْمَةٌ سُلْطَانِيَّةٌ تَخَيَّلَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الْمَطْلَبَ فَأَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ مَرْكَبِ السُّكْرِ الَّذِي لَا يَتَيَسَّرُ قَطْعُ مَسَافَةِ هَذَا الطَّرِيقِ بِدُونِ مَدَدِهِ وَرَامَ أَنْ يَسْتَرِيحَ بِالْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَلَمَّا أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الرُّوحِ فَإِنَّ السَّيْرَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الْغَيْرِ الْمَسْلُوكِ بِقَدَمِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ لَا بِقَدَمِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ لِلطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَنْزِلُ مِنْ مَرْكَبِ السُّكْرِ هُوَ الرُّوحُ ثُمَّ بَعْدَهُ الْقَلْبُ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِالرِّجْلِ الْيُسْرَى مِنَ الرِّكَابِ وَصَلَ خِطَابٌ إِلْهَامِيٌّ إِلَى سَمْعِ قَلْبِهِ أَنَّ السُّلْطَانَ لَيْسَ فِي الْخَيْمَةِ وَالْحَقُّ أَنَّهُ كَذَلِكَ وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ فِي الْحُسَيْنِ الْقَصَّابِ قُوَّةُ الْجَذْبِ نَزَلَ مِنَ السُّكْرِ بِبِشَارَةٍ قَلِيلَةٍ وَأَمَّا هَذَانِ الشَّخْصَانِ فَإِنَّهُمَا لَمَّا كَانَ بِهِمَا جَذْبٌ قَوِيٌّ لَمْ يَغْتَرَّا بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْمُبَشِّرَاتِ بَلْ طَلَعَا الْفَوْقَ مِثْلَ الشُّجْعَانِ فَإِنِ انْتَظَرَ الْحُسَيْنُ الْقَصَّابُ هُنَاكَ أَلْفَ سَنَةٍ مَثَلًا لَمَا وَجَدَ السُّلْطَانَ فِي الْخَيْمَةِ أَصْلًا فَإِنَّهُ تَعَالَى وَرَاءَ الْوَرَاءِ قَوْلُهُ بَلْ هُوَ قَعَدَ يَصْطَادُ يَعْنِي قَعَدَ عَلَى الْمَجَالِي وَالْمَظَاهِرِ الْجَمِيلَةِ وَشَرَعَ فِي صَيْدِ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ وَهَذَا النِّدَاءُ الْمُتَضَمِّنُ لِهَذَا الْمَعْنَى إِنَّمَا كَانَ عَلَى مِقْدَارِ اسْتِعْدَادِ الْحُسَيْنِ الْقَصَّابِ وَحَوْصَلَةِ فَهْمِهِ وَدِرَايَتِهِ تَكَلَّمُوا مَعَهُ بِطَرِيقِ التَّنَزُّلِ وَإِلَّا فَلَا مَعْنَى لِلْقُعُودِ فِيمَا فِيهِ هُوَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، (شِعْرٌ):

وَكَمْ مِنْ سَائِرٍ سَارُوا وَطَارُوا *** فَعَادُوا صِفْرَ جَيْبٍ وَالْيَدَيْنِ

وَيَخْطُرُ عَلَى الْخَاطِرِ الْفَاتِرِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مَعْنًى آخَرُ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ التَّفَرُّدِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا لَائِقًا لِجَنَابِ قُدْسِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَلَكِنَّهُ أَوْلَى وَأَنْسَبُ مِنَ الْمَعَانِي الْأُخَرِ وَهُوَ أَنَّهُ قَعَدَ عَلَى الْوَحْدَةِ الَّتِي هِيَ التَّعَيُّنُ الْأَوَّلُ وَفَوْقَ مَرْتَبَةِ الْوَاحِدِيَّةِ وَلَمَّا كَانَ فِي مَرْتَبَةِ الْوَحْدَةِ اضْمِحْلَالُ التَّعَيُّنَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَيْنِيَّةِ وَاسْتِهْلَاكُهَا وَالْإِصْطِيَادُ سَبَبٌ لِهَلَاكِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ قِيلَ شَرَعَ فِي الْإِصْطِيَادِ لِمُنَاسَبَتِهِ لِهَذَا الْمَقَامِ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ مَعْشُوقُ الطُّوسِيُّ وَالْأَمِيرُ عَبُورٌ وَصَلَا إِلَى مَحَلِّ اصْطِيَادِ السُّلْطَانِ وَصَارَا مِنْ صَيْدِهِ وَأَمَّا الْمَعْشُوقُ الطُّوسِيُّ فَهُوَ أَقْدَمُ وَأَقْرَبُ وَبَقِيَ الْحُسَيْنُ الْقَصَّابُ فِي خَيْمَةِ الْوَاحِدِيَّةِ رَجَاءَ أَنْ يَرْجِعَ السُّلْطَانُ إِلَيْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْمُرَادِ وَمَا فِيهِ مِنَ الصَّوَابِ وَالسَّدَادِ. (أَيُّهَا) الْمَخْدُومُ إِنَّ أَكَابِرَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ اخْتَارُوا هَذَا الطَّرِيقَ الْغَيْرَ الْمَسْلُوكِ وَصَارَ هَذَا الطَّرِيقُ عِنْدَهُمْ طَرِيقًا مَسْلُوكًا مَعْهُودًا وَهُمْ يُوصِلُونَ خَلْقَ الْعَالَمِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى الْمَطْلُوبِ بِالتَّوَجُّهِ وَالتَّصَرُّفِ وَالْوُصُولُ لَازِمٌ لِهَذَا الطَّرِيقِ إِذَا رُعِيَ فِيهِ آدَابُ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ وَالشَّيْخُ وَالشَّابُّ مُتَسَاوِيَانِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ فِي الْوُصُولِ وَالنِّسْوَانُ وَالصِّبْيَانُ مُتَسَاهِمَانِ فِيهِ بَلِ الْمَوْتَى رَاجُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةِ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: طَلَبْتُ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا يَكُونُ مُوصِلًا أَلْبَتَّةَ وَأَنْشَدَ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ الْعَطَّارُ قُدِّسَ سِرُّهُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ خُلَفَائِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى (شِعْرٌ)

لَوْمَا خَشِيتُ مَلَالَ قَلْبِ الْخَازِنِ *** لَفَتَحْتُ أَقْفَالَ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا

ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَالسَّلَامُ.

(٢٠١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْمِائَتَانِ إِلَى كُجُوكْ بِيكْ الْحِصَارِيِّ فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِهِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَلَ جَنَابُ كُوجِكْ بِيكْ الْحِصَارِيِّ أَنَّ شَخْصًا يَقُولُ: إِنَّ جَمِيعَ الْعُلُومِ مُنْدَرِجَةٌ فِي حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فَهَلْ يَكُونُ هَذَا الْكَلَامُ صَادِقًا أَمْ لَا (فَنَقُولُ) فِي الْجَوَابِ الظَّاهِرِ إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى وَجْهِ الْعِلْمِ وَالسَّمَاعِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ وَقَدْ صَدَرَ أَمْثَالُ هَذَا الْكَلَامِ مِنَ السَّلَفِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِنَّ جَمِيعَ الْعُلُومِ مُنْدَرِجَةٌ فِي بَاءِ بِسْمِ اللَّهِ بَلْ فِي نُقْطَةِ بَائِهِ فَإِنِ ادَّعَى هَذَا الشَّخْصُ الْكَشْفَ فِي هَذَا الْكَلَامِ لَا يَخْلُو حَالُهُ مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ فَإِنْ قَالَ إِنَّهُ قَدِ انْكَشَفَ لِي أَنَّ جَمِيعَ الْعُلُومِ مُنْدَرِجَةٌ فِي حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ أَعَمَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْعُلُومُ الْمُنْدَرِجَةُ فِيهِمَا أَوْ فِيهَا عُلُومَ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَإِنْ قَالَ قَدِ انْكَشَفَ لِي جَمِيعُ الْعُلُومِ وَأَنَا

أَطَالِعُهَا فِي صَفْحَةٍ حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلاثَةَ أَحْرُفٍ فَهُوَ مُدَّعٍ كَذَّابٌ لا يَنْبَغِي تَصْدِيقُ كَلامِهِ. ﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

(٢٠٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِرْزَا فَتْحِ اللهِ الْحَكِيمِ فِي ذَمِّ جَمَاعَةٍ دَخَلُوا فِي الطَّرِيقَةِ ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهَا بِلا مُوجِبٍ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمَرْضِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ (اعْلَمْ) أَنَّهُ قَدْ جَرَى يَوْمًا كَلامٌ فِي غَيْرَةِ الْمَشَايِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ وَذُكِرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ الْكَلامِ أَنَّهُ كَيْفَ يَكُونُ حَالُ جَمَاعَةٍ انْسَلَكُوا فِي سِلْكِ إِرَادَةِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ وَجَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ تَابِعِينَ لَهُمْ وَقَبِلَهُمْ هَؤُلاءِ الأَكَابِرُ ثُمَّ انْقَطَعُوا عَنْ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَرَكُوا صُحْبَتَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ لِذَلِكَ فِيمَا هُنَالِكَ وَتَشَبَّثُوا بِأَذْيَالِ الآخَرِينَ بِالظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ وَذُكِرَ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ اسْمُكُمْ وَاسْمُ قَاضِي سَنَّامٍ وَلا أَدْرِي امْتَدَّتْ هَذِهِ الْمُذَاكَرَةُ إِلَى لَمْحَةٍ أَوْ لا وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ تِلْكَ الْمُذَاكَرَةُ مَبْنِيَّةً عَلَى سَبَبٍ وَسِيَاقِ كَلامٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ لا يُقَدِّرُ اللهُ سُبْحَانَهُ إِرَادَةَ الْفَقِيرِ أَذِيَّةَ مُسْلِمٍ أَوْ أَنْ يَحْقِدَ عَلَيْهِ فِي قَلْبِهِ فَلْيَطِبْ خَاطِرُكُمُ الشَّرِيفُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَقَدْ صَارَ مَعْلُومًا لَكُمْ أَنَّ طَرِيقَنَا لَيْسَ طَرِيقَ دَعْوَةِ الأَسْمَاءِ بَلِ اخْتَارَ أَكَابِرُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الإِسْتِهْلاكَ فِي مُسَمَّى هَذِهِ الأَسْمَاءِ ابْتِدَاءَ تَوَجُّهِهِمْ إِلَى الأَحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ لا يَطْلُبُونَ شَيْئًا مِنَ الإِسْمِ وَالصِّفَاتِ غَيْرَ الذَّاتِ فَلا جَرَمَ انْدَرَجَ نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ فِي بِدَايَتِهِمْ (ع) **وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي** * وَلَمَّا عَرَضَتْ الآنَ لِتِلْكَ الْمُذَاكَرَةِ بِسَبَبِ تَعَدُّدِ النُّقُولِ وَتَدَاوُلِ الأَيْدِي هَيْئَةٌ أُخْرَى وَصَارَتْ بِحَيْثُ يَنْشَأُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ تَوَهُّمَاتٌ أُخَرُ أَقْدَمْتُ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ لِدَفْعِ ذَلِكَ التَّوَهُّمِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَزِيدُ لَنَا مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَلا يَنْقُصُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ عَدَمِ مَوَدَّتِكُمْ وَإِنَّمَا الْمَلْحُوظُ وَالْمَنْظُورُ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لَكُمْ وَلَكِنَّ الرَّاضِيَ بِالضَّرَرِ لا يَسْتَحِقُّ النَّظَرَ مَثَلٌ مَشْهُورٌ وَتَيَقَّنْ أَنَّ الْفَقِيرَ لَمْ يُرِدْ ضَرَرَكُمْ وَلا يُرِيدُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَكَانَ ذَلِكَ كَلامًا عَلَى طَرِيقِ الْغَيْرَةِ الَّتِي تَكُونُ لِلدَّرَاوِيشِ وَقِيلَ مَا قِيلَ بِمُنَاسَبَةٍ وَسِيَاقِ كَلامٍ فَلا يَثْقُلُ عَلَى خَاطِرِكُمْ (وَاعْلَمْ) ثَانِيًا أَنَّ حَالَ شَخْصٍ يَرَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لا يَخْلُو عَنْ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ إِمَّا زِنْدِيقٌ مَحْضٌ أَوْ جَاهِلٌ صِرْفٌ وَقَدْ كَتَبَ لَكُمْ هَذَا الْفَقِيرُ قَبْلَ هَذَا بِسِنِينَ مَكْتُوبًا فِي بَيَانِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْعَجَبُ مِنْ تَجْوِيزِكُمْ أَمْثَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بَعْدَ مُطَالَعَةِ ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ فَإِذَا كَانَ مَنْ يَقُولُ بِأَفْضَلِيَّةِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَارِجًا مِنْ دَائِرَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ رَأَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ مِنَ الصِّدِّيقِ وَمَنْ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الْمُقَرَّرِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَنَّ السَّالِكَ لَوْ رَأَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ مِنَ الْكِلاَبِ وَالذُّبَابِ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ كَمَالاَتِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ وَقَدِ انْعَقَدَ إِجْمَاعُ السَّلَفِ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الصِّدِّيقِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ. فَمَا أَشَدَّ حَمَاقَةَ مَنْ يَتَوَهَّمُ خَرْقَ هَذَا الْإِجْمَاعِ وَكَتَبَ هَذَا الْفَقِيرُ فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ أَنَّ الْوَحْشِيَّ قَاتِلَ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي نَالَ صُحْبَةَ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَرَّةً وَاحِدَةً أَفْضَلُ مِنْ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ الَّذِي هِيَ خَيْرُ التَّابِعِينَ فَتَخَيُّلُ أَمْثَالِ هَذِهِ الْخَيَالاَتِ فِي حَقِّ مِثْلِ هَذَا الشَّخْصِ بَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ يَنْبَغِي أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْعِبَارَةِ الَّتِي اخْتَرَعَ النَّاسُ هَذَا التَّوَهُّمَ مِنْهَا تَطَّلِعُ عَلَى حَقِيقَةِ الْمُعَامَلَةِ وَأَيُّ مُنَاسَبَةٍ فِي التَّقْلِيدِ الْمُجَرَّدِ لِأَرْبَابِ الْحَسَدِ مَعَ أَنَّ الْمَشَائِخَ صَدَرَ عَنْهُمْ وَقْتَ غَلَبَةِ السُّكْرِ كَلِمَاتٌ غَيْرُ مُنَاسِبَةٍ مِثْلَ قَوْلِ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ لِوَائِي [1] أَرْفَعُ مِنْ لِوَاءِ مُحَمَّدٍ وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَذْهَبَ الْوَهْمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ إِلَى دَعْوَى الْأَفْضَلِيَّةِ فَإِنَّهَا زَنْدَقَةٌ حَاشَا وَكَلاَّ أَنْ يُذْكَرَ أَمْثَالُ هَذَا فِي عِبَارَةِ الْفَقِيرِ وَالسَّلاَمُ.

(٢٠٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ حُسَيْنٍ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى مَحَبَّةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَبَيَانِ نُبْذَةٍ مِنْ مَدَائِحِهِمْ

أَحْسَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحْوَالَكُمْ وَأَصْلَحَ سُبْحَانَهُ أَعْمَالَكُمْ وَلَمَّا كَانَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مُشْعِرًا بِمَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ حَصَلَ بِوُصُولِهِ فَرَحٌ وَافِرٌ زَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَحَبَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ يَوْمًا فَيَوْمًا وَجَعَلَ التَّوَاضُعَ لَهُمْ وَالْاِلْتِجَاءَ إِلَيْهِمْ رَأْسَ مَالِ الْعُمْرِ وَبِحُكْمِ "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" مُحِبُّهُمْ مَعَهُمْ وَهُمُ الَّذِينَ جَلِيسُهُمْ مَحْفُوظٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا إِنَّ [2] لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سِوَى الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ وَالسِّكَكِ وَيَطْلُبُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا الذَّاكِرِينَ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنْ هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ فَيَحُفُّوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا إِلَى السَّمَاءِ فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِ عِبَادِهِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: إِلَاهَنَا جِئْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُثْنُونَ عَلَيْكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُوا: لاَ أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي فَيَقُولُوا: لَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ فَيَقُولُ اللَّهُ مَا يَطْلُبُونَ مِنِّي فَيَقُولُوا يَطْلُبُونَ مِنْكَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي فَيَقُولُوا لاَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا فَيَقُولُوا: يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ وَيَزِيدُ حِرْصُهُمْ ثُمَّ يَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ يَا رَبِّ إِنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ يَخَافُونَ مِنَ النَّارِ وَيَسْتَجِيرُونَكَ مِنْهَا فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْا نَارِي؟ فَيَقُولُوا: لاَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُوا: لَاسْتَجَارُوكَ مِنْهَا كَثِيرًا وَيَخْتَارُونَ طَرِيقَ الْفِرَارِ مِنْهَا أَزْيَدَ فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمَلاَئِكَةِ اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ جَمِيعًا

---

[1] وقوله حين سمع القارى يقرأ قوله تعالى ان بطش ربك لشديد انا اشد منه بطشا ذكره فى الفتوحات فى الباب ٣٦٦ (الفزانى رحمة الله عليه)

[2] رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه.

فَيَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ يَا رَبِّ إِنَّ فِيهِمْ فُلاَنًا لَمْ يَحْضُرْ مَعَهُمْ لِلذِّكْرِ بَلْ جَاءَ لِحَاجَةٍ دُنْيَاوِيَّةٍ فَيَقُولُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ هُمُ الْجُلَسَاءُ يَعْنِي هُمْ جُلَسَائِي بِحُكْمِ أَنَا [1] جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ.(فَتَبَيَّنَ) مِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ وَالْحَدِيثِ السَّابِقِ أَنَّ مُحِبِّي هٰذِهِ الطَّائِفَةِ يَكُونُونَ مَعَهُمْ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ لاَ يَكُونُ شَقِيًّا ثَبَّتَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مَحَبَّةِ هٰؤُلاَءِ الْكِرَامِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْهَاشِمِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ وَمَا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَحْوَالِكُمْ فِي مَكْتُوبِ الشَّيْخِ مِيَانْ الْهِدَادْ فَاعْلَمْ أَنَّ أَمْثَالَ هٰذِهِ الْعَدَمَاتِ وَالشَّدَائِدِ كَثِيرَةُ الْوُقُوعِ عَلَى الطَّالِبِينَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَالِيَ الْهِمَّةِ دُونَ أَنْ تَقْنَعَ بِكُلِّ مَا يَتَيَسَّرُ،

(شِعْرٌ): بس بى رنك ست يارد خواه أي دل *** قانع نشوى برنك ناكاه أي دل

تَرْجَمَةٌ: بِخَيَالِكُمْ إِنْ كَانَ غَيْرِي يَكْتَفِي *** فَأَنَا الَّذِي لاَ يَكْتَفِي بِوِصَالِه

وَصُحْبَةُ هٰذِهِ الطَّائِفَةِ مِنْ جُمْلَةِ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ جَعَلَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ فِي صُحْبَتِهِمْ، (شِعْرٌ):

إِنْ طُفْتَ حَوْلَ السُّكَارَى نِلْتَ عَرْفَهُمْ *** إِنْ لَمْ تَنَلْهُ فَقَدْ يَكْفِيكَ رُؤْيَتُهُمْ

وَعَلَيْكَ بِالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي تَلَقَّيْتَهُ مِنْ حَضْرَةِ قِبْلَتِنَا يَعْنِي الشَّيْخَ مُحَمَّدٌ الْبَاقِي بِأَنْ تُجْرِيَ الْإِسْمَ الْمُبَارَكَ اللّٰهَ عَلَى الْقَلْبِ مُلاَحِظًا مَعْنَاهُ بِلاَ مِثْلِيَّةٍ وَلاَ كَيْفِيَّةٍ بَعْدَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَصَوَّرَهُ بِمَعْنَى الْحَاضِرِيَّةِ وَالنَّاظِرِيَّةِ وَأَنْ تُلاَحِظَ مَعَهُ صِفَةً مِنَ الصِّفَاتِ أَصْلاً بَلِ اللاَّزِمُ اسْتِحْضَارُ هٰذَا الْإِسْمِ الْمُبَارَكِ فِي الْقَلْبِ دَائِمًا بَعْدَ التَّوَجُّهِ الْمَذْكُورِ وَإِفَادَةُ بَعْضِ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ مَنُوطَةٌ بِالْحُضُورِ وَالصُّحْبَةِ فَإِنْ تَيَسَّرَتِ الْمُلاَقَاةُ يُذْكَرُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ الْأَحْوَالَ الْمُتَجَدِّدَةَ إِلَى زَمَنِ الْمُلاَقَاةِ فَإِنَّ مُطَالَعَتَهَا تَكُونُ بَاعِثَةً عَلَى التَّوَجُّهِ الْغَائِبِيِّ وَالسَّلاَمُ.

(٢٠٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ الْبَدَخْشِيِّ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّأَثُّرِ مِنْ تَعَرُّضَاتِ الْمُعَانِدِينَ وَالْحَاسِدِينَ وَالتَّحْرِيضِ عَلَى الْإِشْتِغَالِ بِمَا هُوَ مَشْغُولٌ بِه

[1] (قوله انا جليس من ذكرني) رواه البيهقي في الشعب من الاسرائيليات ثم اورد حديثا بمعناه عن ابي هريرة مرفوعا بلفظ انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي قال السيوطي اورده الديلمي بالسياق الاول عن عائشة ولم يسنده واسنده من طريق عمر بن الحكم عن ثوبان مرفوعا قال الله يا موسى انا جليس عبدي حين يذكرني وانا معه اذا دعاني واخرج ابن شاهين بسنده عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اوحي الله الى موسى يا موسى اتحب ان اسكن معك بيتك فخر لله ساجدا وقال يا رب فكيف تسكن معي بيتي فقال يا موسى اما علمت اني جليس من ذكرني حيثما التمسني عبدي اه. وفيه المتروك والضعيف من المخرج (القزان رحمة الله عليه)

لَا يَكُنْ حَضْرَةُ الْمِيرْ نُعْمَانَ مُتَأَلِّمًا وَمُتَأَذِّيًا مِنْ كَلِمَاتِ أَهْلِ الْخُسْرَانِ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ وَاللَّائِقُ بِحَالِكَ أَنْ لَا تَتَعَرَّضَ لَهُمْ بِالْمُكَافَأَةِ وَالْمُجَازَاةِ فَإِنَّهُ لَا نُورَ لِلْبُهْتَانِ وَالزُّورِ وَسَتَكُونُ كَلِمَاتُهُمُ الْمُتَنَاقِضَةُ بَاعِثَةً عَلَى كَسَادِ سُوقِهِمْ. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ. يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْعَى وَتَجْتَهِدَ فِي إِجْرَاءِ الشُّغْلِ الَّذِي أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهِ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَقَدْ وَصَلَ أَخُونَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ صَادِقٌ فِي أَوَانِهِ وَقَعَدَ عَشْرَ الْإِعْتِكَافِ بِالْإِتِّفَاقِ وَتَشَرَّفَ بِالْفُتُوحَاتِ وَالْوَارِدَاتِ الْمُتَجَدِّدَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَوْقَاتُ سَائِرِ الْأَحِبَّةِ مَقْرُونَةٌ بِالْجَمْعِيَّةِ وَالتَّرَقِّيَاتِ الْمُتَوَالِيَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

(٢٠٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ أَشْرَفْ الْكَابِلِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ مِلَاكَ الْأَمْرِ مُتَابَعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شَرَّفَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ الْمُتَابَعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنَّهَا مِلَاكُ الْأَمْرِ وَمُنْيَةُ الصِّدِّيقِينَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَأَوْهَامٌ بَاطِلَةٌ وَخَيَالَاتٌ فَاسِدَةٌ نَجَّانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنْهَا. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ دَائِمًا.

(٢٠٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا عَبْدِ الْغَفُورِ السَّمَرْقَنْدِيِّ فِي مَذَمَّةِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى تَنَعُّمَاتِهَا

اللَّهُمَّ نَبِّهْنَا قَبْلَ أَنْ يُنَبِّهَنَا الْمَوْتُ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَفْضَلُ التَّسْلِيمَاتِ وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الْمَخْصُوصُ بِاسْمِ هَذَا الْحَقِيرِ الْمُقْعَدِ فِي بَادِيَةِ الْبُعْدِ وَالْهِجْرَانِ وَصَارَ وُصُولُهُ سَبَبًا لِلْابْتِهَاجِ وَالسُّرُورِ جَزَاكُمُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ (أَيُّهَا) الْأَخُ إِنَّ الْإِنْسَانَ مَا قَدِمَ عَلَى الدُّنْيَا لِأَجْلِ اللُّقْمَةِ السَّمِينَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْأَلْبِسَةِ الْمُزَيَّنَةِ النَّفِيسَةِ وَلَمْ يُخْلَقْ لِلتَّمَتُّعِ وَالتَّنَعُّمِ وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِ تَذَلُّلُهُ وَانْكِسَارُهُ وَعَجْزُهُ وَافْتِقَارُهُ الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْإِنْكِسَارُ وَالْإِفْتِقَارُ مِمَّا أَذِنَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنَّ رِيَاضَاتِ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَمُجَاهَدَاتِهِمُ الَّتِي لَا تُوَافِقُ الشَّرِيعَةَ الْغَرَّاءَ لَا يَحْصُلُ مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرَ الْخَسَارَةِ وَالْخِذْلَانِ وَالنَّدَامَةِ وَالْحِرْمَانِ وَبَعْدَ التَّحَلِّي وَالتَّزَيُّنِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَمَلًا وَاعْتِقَادًا عَلَى وَفْقِ رَأْيِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ يَنْبَغِي تَعْمِيرُ الْبَاطِنِ بِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ خُصُوصًا بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ الَّذِي تَلَقَّنْتَهُ فِي الطَّرِيقَةِ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

النَّقْشبندية العلية قدس الله تعالى أسرارهم السنية فإن في طريق هؤلاء الأكابر اندراج النهاية في البداية ونسبتهم فوق جميع النسب يصدق القاصرون هذا الكلام أو لا والمقصود إنما هو ترغيب الأحباب وتشويق الأصحاب والمخالفون خارجون من المبحث، (شعر):

قد خاب من خال ذا هزوًا وهذرمة * وفاز من كان فيه حدة البصر**

وبالجملة قد جعل الفلاح الأخروي مربوطًا بالذكر الكثير واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون شاهد لهذا المعنى فينبغي الإشتغال بالذكر الكثير وبغض كل ما ينافيه وعلاج الخلاص هو هذا ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [1]، (شعر):

ألا فأكثروا ذكر الإله فإنه * جلاء صدا القلب غذاء لأرواح**

ألا بذكر الله تطمئن القلوب نص قاطع المسئول من الله سبحانه التوفيق لذلك والثبات والإستقامة على ما هنالك فإنه ملاك الأمر. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [2] والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أتم الصلوات وأفضل التسليمات وأرسلت الثوب الذي تكرر لبسه في الأوقات الطيبة ينبغي أن تلبسه جعل الله سبحانه عواقب جميع الأمور خيرًا بالنبي وآله الأمجاد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

(٢٠٧) المكتوب السابع والمائتان إلى المرزا حسام الدين أحمد في بيان تأثير القرب الجسماني في القرب الروحاني وذم الأحوال الغير الموافقة للشرع

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قد مضت مدة مديدة ولم يصل إلينا أخبار السلامة من جنابكم وحضرات المخاديم وولدي الميان جمال الدين حسين وسائر الأعزة وخدمة العتبة العلية خصوصًا الشيخ الهداد والشيخ هداية ولا أخال المانع من ذلك سوى نسيان النائين المهجورين نعم إن لقرب الأبدان تأثيرًا عظيمًا في قرب القلوب ولهذا لن يبلغ ولي من الأولياء مرتبة الصحابي حتى إن أويسًا القرني مع رفعة شأنه ما بلغ مرتبة أدنى الصحابة لعدم وصوله إلى صحبة خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

سئل عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز فقال الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز كذا مرة وأحوال فقراء هذه الحدود مع اللواحق والتوابع مقرونة بالعافية لله سبحانه المنة على ذلك بل على جميع النعماء

---

(١) الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

(٢) الآية: ٤٧ من سورة طه.

وَاللّآلي خُصُوصًا عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنَّهُ مِلَاكُ الْأَمْرِ وَمَدَارُ النَّجَاةِ وَمَنَاطُ الْفَوْزِ بِالسَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ ثَبَّتَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى ذَلِكَ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ع) **هٰذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي مِنَ الْعَبَثِ** * وَمَاذَا يُفْتَحُ مِنْ تُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَمَاذَا يَزِيدُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ لَا يُشْتَرَى الْوَجْدُ وَالْحَالُ هُنَاكَ بِنِصْفِ شَعِيرَةٍ مَا لَمْ يُوزَنْ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ وَلَا تُسَاوِي الْإِلْهَامَاتُ نِصْفَ شَعِيرَةٍ مَا لَمْ تُعْرَضْ لِمِحَكِّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَقْصُودُ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ ازْدِيَادُ الْيَقِينِ بِالْمُعْتَقَدَاتِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هُوَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ وَحُصُولُ الْيُسْرِ أَيْضًا فِي أَدَاءِ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ لَا إِنَّهُ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرُّؤْيَةَ الْأُخْرَوِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْآخِرَةِ وَلَيْسَتْ بِوَاقِعَةٍ فِي الدُّنْيَا الْبَتَّةَ وَالْمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَلِّيَاتُ الَّتِي الصُّوفِيَّةُ مَسْرُورُونَ بِهَا سُكُونٌ إِلَى الظِّلَالِ وَاطْمِئْنَانٌ بِهَا وَتَسَلٍّ بِالشَّبَهِ وَالْمِثَالِ وَهُوَ تَعَالَى وَرَاءَ الْوَرَاءِ وَيَا عَجَبًا مِنْ هٰذِهِ الْمُعَامَلَةِ لَوْ قِيلَ لَهُمْ حَقِيقَةُ الْمُشَاهَدَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ كَمَا هِيَ لَيُخَافُ مِنْ وُقُوعِ الْفُتُورِ فِي طَلَبِ مُبْتَدِئِ هٰذَا الطَّرِيقِ وَحُصُولِ الْقُصُورِ فِي شَوْقِهِمْ وَإِنْ سَكَتَ عَنْهَا مَعَ وُجُودِ الْعِلْمِ بِهَا يُخَافُ أَيْضًا مِنِ الْتِبَاسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ يَا دَلِيلَ الْمُتَحَيِّرِينَ دُلَّنِي بِحُرْمَةِ مَنْ جَعَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. فَإِنْ أَخْبَرْتُمْ بِكَيْفِيَّاتِ الْأَحْوَالِ أَحْيَانًا لَكَانَ مُوجِبًا لِازْدِيَادِ الْمَحَبَّةِ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[1] وَالْتِزَامِ مُتَابَعَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ وَأَجْزَلُ التَّحِيَّاتِ.

(٢٠٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ صَادِقٍ وَوَلَدِهِ الْأَرْشَدِ

فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنْ رُؤْيَةِ السَّالِكِ نَفْسَهُ أَحْيَانًا فِي مَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَحْيَانًا فَوْقَ ذَلِكَ

قَدْ سَأَلَ وَلَدِي أَنَّ بَعْضَ سَالِكِي هٰذَا الطَّرِيقِ يَجِدُ نَفْسَهُ أَحْيَانًا فِي مَقَامَاتِ الْعُرُوجِ فِي مَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ بَلْ يُحِسُّ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَنَّهُ عَرَجَ إِلَى مَا فَوْقَ هٰذَا الْمَقَامِ فَمَا سِرُّ هٰذَا الْمَعْنَى وَالْحَالُ أَنَّ مِنَ الْمُقَرَّرِ وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ أَنَّ الْفَضْلَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْأَوْلِيَاءُ إِنَّمَا يَجِدُونَ مَا يَجِدُونَ وَإِلَى كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ يَصِلُونَ بِسَبَبِ مُتَابَعَتِهِمْ (وَالْجَوَابُ) أَنَّ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي هِيَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَيْسَتْ هِيَ نِهَايَةَ مَقَامَاتِ عُرُوجَاتِهِمْ بَلْ كَانَ عُرُوجُ هَؤُلَاءِ الْعِظَامِ إِلَى مَا فَوْقَ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ بِمَرَاتِبَ فَإِنَّ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ عِبَارَاتٌ عَنِ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ جَلَّ سُلْطَانُهُ الَّتِي هِيَ مَبَادِئُ تَعَيُّنَاتِهِمْ وَوَسَائِلُ فَيَضَانِ الْفُيُوضِ مِنْ حَضَرَاتِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ حَضْرَةِ الذَّاتِ وَالْعَالَمِ بِدُونِ تَوَسُّطِ الْأَسْمَاءِ أَصْلًا وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا سِوَى الْإِسْتِغْنَاءِ وَالْإِحْتِيَاجِ قَطْعًا إِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَاللّٰهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ شَاهِدٌ لِهٰذَا الْمَعْنَى فَإِذَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ مِنْ مَرَاتِبِ الْعُرُوجِ مُقْتَبِسِينَ الْأَنْوَارَ الْفَوْقَانِيَّةَ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

إلى هذه الأسماء التي لها شبه باحيازهم الطبيعة في مراتب العروج على تفاوت درجاتهم ويتوطنون فيها ولهذا لو طلبهم شخص بعد استقرارهم يجدهم في تلك الأسماء فعلى الإستعداد المتوجه نحو حضرة الذات تعالت وتقدست لا بد له من أن يصل إلى تلك الأسماء وقت العروج وأن يجاوزها إلى ما فوقها ثم وثم إلى ما شاء الله تعالى ولكن إذا نزل هذا السالك من فوق ووصل إلى الإسم الذي هو مبدأ تعين وجوده يكون ذلك الإسم أسفل من الأسامي التي هي مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ألبتة وههنا يظهر تفاوت المقامات التي هي مناط الأفضلية فكل من كان مقامه أعلى فهو أفضل وما لم يرجع السالك إلى اسمه ولم يجد اسمه أسفل من أساميهم لا يعرف أفضليتهم بطريق الذوق والحال بل يقول بأفضليتهم بالتقليد ويحكم بأولويتهم باليقين السابق ولكن وجدانه مكذب لحكمه وفي هذا الوقت يلزم الإلتجاء والتضرع إلى الحق سبحانه وإظهار العجز والإنكسار له تعالى ليظهر له ما هو حقيقة الحال وهذا المقام من مزال أقدام السالكين.

(ولنوضح) هذا الجواب بمثال قال أرباب المعقول إن الدخان مركب من الأجزاء الأرضية والأجزاء النارية فإذا صعد الدخان تصعد الأجزاء الأرضية بمصاحبة الأجزاء النارية إلى الجهة الفوقانية وتعرج من محلها بحصول قسر قاسر قالوا: إذا كان الدخان قويا يكون عروجه إلى كرة النار وتصل الأجزاء الأرضية في هذا الصعود إلى مقامات الأجزاء المائية والهوائية التي لها التفوق عليها بالطبع ثم تعرج منها صاعدة إلى ما فوقها ففي هذه الصورة لا يمكن أن نقول إن رتبة الأجزاء الأرضية أعلى من رتبة الأجزاء الهوائية فإن ذلك التفوق والإستعلاء إنما كان باعتبار قسر القاسر لا باعتبار الذات فإذا هبطت تلك الأجزاء الأرضية بعد وصولها إلى كرة النار واستقرت في مركزها الطبيعي يكون مقامها أسفل من مقام الماء والهواء ألبتة ففيما نحن فيه أن عروج هذا السالك من تلك المقامات كان باعتبار قسر القاسر وذلك القاسر هو إفراط حرارة المحبة وقوة جذب العشق وأما باعتبار الذات فمقامه تحت تلك المقامات وهذا الجواب الذي ذكرناه مناسب لحال المنتهي وأما إذا وقع هذا التوهم في الإبتداء ووجد السالك نفسه في مقامات الأكابر فوجهه أن لكل مقام ظلا ومثالا في الإبتداء والتوسط فإذا وصل المبتدي أو المتوسط إلى ظلالها يتخيل أنه قد وصل إلى حقيقة تلك المقامات ولا يقدر أن يفرق بين الظلال والحقائق وكذا الشبه والمثال فإذا وجد الأكابر في ظلال مقاماتهم يتخيل له أنه قد حصل الشركة مع الأكابر في المقامات وليس كذلك بل فيه اشتباه ظل شيء بنفس الشيء اللهم أرنا الحقائق كما هي وجنبنا عن الإشتغال بالملاهي بحرمة سيد الأولين والآخرين عليه وعلى آله أتم الصلوات وأكمل التسليمات.

(٢٠٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانَ الْبَدَخْشِيِّ فِي حَلِّ بَعْضِ عِبَارَاتِ رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ الْمُغْلَقَةِ وَبَعْضِ عِبَارَاتٍ أُخَرَ جَوَابًا لِمَكْتُوبِهِ وَبَيَانًا لِضَرُورِيَّاتِ الطَّرِيقَةِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ، اَلْمَطْلُوبُ كَوْنُ الْأَخِ الْأَعَزِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدْ نُعْمَانَ عَلَى الْجَمْعِيَّةِ وَأَحْوَالُ هٰذِهِ الْحُدُودِ مُسْتَوْجِبَةٌ لِلْحَمْدِ، وَقَدْ كُنْتَ سَأَلْتَ أَنْتَ وَأَخِي الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ أَشْرَفْ وَقْتَ الْوَدَاعِ فِي سَرَايَةِ فَرَحٍ عَنْ مَعْنَى هٰذِهِ الْعِبَارَةِ الْوَاقِعَةِ فِي رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ فِي الْوَقْتِ سَعَةٌ وَمُسَاعَدَةٌ بَقِيَ الْجَوَابُ مَوْقُوفًا، وَالْآنَ قَدْ وَقَعَ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أَكْتُبَ فِي حَلِّ تِلْكَ الْعِبَارَةِ شَيْئًا يَكُونُ مُوجِبًا لِتَشَفِّي صُدُورِ الْأَحْبَابِ وَالْعِبَارَةُ هِيَ هٰذِهِ، وَبَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ وَبِضْعِ سِنِينَ مِنْ رِحْلَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجِيءُ زَمَانٌ تَعْرُجُ فِيهِ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ عَنْ مَقَامِهَا وَتَتَّحِدُ بِحَقِيقَةِ الْكَعْبَةِ فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لِلْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ اسْمُ الْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ وَتَصِيرُ مَظْهَرًا لِلذَّاتِ الْأَحَدِ جَلَّ سُلْطَانُهَا وَكُلٌّ مِنَ الْإِسْمَيْنِ الْمُبَارَكَيْنِ يَتَحَقَّقُ بِالْمُسَمَّى، وَيَبْقَى الْمَقَامُ السَّابِقُ خَالِيًا عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ إِلَى زَمَنِ نُزُولِ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا و عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَفِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ تَعْرُجُ الْحَقِيقَةُ الْعِيسَوِيَّةُ عَنْ مَقَامِهَا وَتَسْتَقِرُّ فِي مَقَامِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّذِي بَقِيَ خَالِيًا اه.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ حَقِيقَةَ شَخْصٍ عِبَارَةٌ عَنِ التَّعَيُّنِ الْوُجُوبِيِّ الَّذِي تَعَيُّنُ ذٰلِكَ الشَّخْصِ الْإِمْكَانِيُّ ظِلُّ ذٰلِكَ التَّعَيُّنِ، وَذٰلِكَ التَّعَيُّنُ الْوُجُوبِيُّ اسْمٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ جَلَّ شَأْنُهُ كَالْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ وَالْمُرِيدِ وَالْمُتَكَلِّمِ وَأَمْثَالِهَا، وَذٰلِكَ الْإِسْمُ الْإِلٰهِيُّ رَبُّ ذٰلِكَ الشَّخْصِ وَمَبْدَأُ فَيَضَانِ وُجُودِهِ وَتَوَابِعِ وُجُودِهِ، وَلِهٰذَا الْإِسْمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ مَرَاتِبُ شَتَّى، حَيْثُ يُطْلَقُ هٰذَا الْإِسْمُ فِي مَرْتَبَةِ الصِّفَةِ الَّتِي وُجُودُهَا زَائِدٌ عَنْ وُجُودِ الذَّاتِ، وَيَصْدُقُ أَيْضًا فِي مَرْتَبَةِ الشَّأْنِ الَّذِي زِيَادَتُهُ عَنِ الذَّاتِ بِمُجَرَّدِ الْإِعْتِبَارِ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالشَّأْنِ قَدْ ذُكِرَ بِالتَّفْصِيلِ فِي الْمَكْتُوبِ الَّذِي حُرِّرَ فِي بَيَانِ السُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ فَإِنْ كَانَ فِيهِ خَفَاءٌ وَاشْتِبَاهٌ فَلْيُرَاجَعْ هُنَالِكَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ حُصُولَ الشَّأْنِ وَلَوْ كَانَ مُجَرَّدَ اعْتِبَارٍ وَلٰكِنْ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ مَعْنًى آخَرُ زَائِدٌ مُنَاسِبٌ لِهٰذَا الشَّأْنِ، يَكُونُ مَبْدَأً لِوُجُودِهِ الْاِعْتِبَارِيِّ فَيَحْصُلُ لِهٰذَا الْإِسْمِ نَصِيبٌ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ أَيْضًا، وَهٰذَا الْإِحْتِمَالُ جَارٍ فَوْقَ ذَالِكَ الْمَعْنَى الزَّائِدِ أَيْضًا، وَلٰكِنَّ الْقُوَّةَ الْبَشَرِيَّةَ عَاجِزَةٌ عَنْ ضَبْطِهِ، وَهٰذَا الْفَقِيرُ قَلِيلُ الْبِضَاعَةِ قَدْ تَجَاوَزَ إِلَى مَرْتَبَةٍ أُخْرَى وَلٰكِنْ لَا نَصِيبَ لَهُ مِمَّا فَوْقَهَا غَيْرَ الْإِسْتِهْلَاكِ وَالْإِضْمِحْلَالِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ، (شِعْرٌ):

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا *** وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَتَفَاضُلُ أَقْدَامِ أَهْلِ اللهِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَتَفَاوُتُهَا إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ طَيِّ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الشَّتَّى عَلَى تَفَاوُتِ الْإِسْتِعْدَادَاتِ وَالْقَابِلِيَّاتِ، وَالْوَاصِلُونَ إِلَى نَفْسِ الْإِسْمِ قَلِيلُونَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ وَاصِلُونَ إِلَى ظِلٍّ مِنْ ظِلَالِ ذَلِكَ الْإِسْمِ بَعْدَ أَنْ عَرَجُوا مِنَ الْمَرَاتِبِ الْإِمْكَانِيَّةِ بِأَسْرِهَا بِطَرِيقِ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ التَّفْصِيلِيِّ، وَقَدْ يُتَوَهَّمُ الْوُصُولُ إِلَى ذَلِكَ الْإِسْمِ فِي طَرِيقِ الْجَذْبَةِ الصِّرْفَةِ أَيْضًا لَكِنَّهُ لَا يُعْتَبَرُ وَلَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَالَّذِينَ عَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْإِسْمِ وَقَطَعُوا الْمَرَاتِبَ الْمُتَفَاوِتَةَ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ فَهَؤُلَاءِ أَقَلُّ قَلِيلٍ مِنْهُمْ وَلْنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ وَنَقُولُ كَمَا أَنَّ حَقِيقَةَ الشَّخْصِ تُطْلَقُ عَلَى التَّعَيُّنِ الْوُجُوبِيِّ كَذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَى تَعَيُّنِهِ الْإِمْكَانِيِّ. فَإِذَا عَلِمْتَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ أَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَكَّبٌ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَعَالَمِ الْأَمْرِ كَتَرَكُّبِ كَافَّةِ الْأَنَامِ مِنْهُمَا، وَالْإِسْمُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي هُوَ رَبُّ عَالَمِ خَلْقِهِ شَأْنُ الْعَلِيمِ، وَالَّذِي يُرَبِّي عَالَمَ أَمْرِهِ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ وُجُودِ ذَلِكَ الشَّأْنِ الْاعْتِبَارِيِّ كَمَا مَرَّ وَالْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْ شَأْنِ الْعَلِيمِ، وَالْحَقِيقَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ كِنَايَةٌ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ ذَلِكَ الشَّأْنِ وَحَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ السُّبْحَانِيَّةِ هِيَ أَيْضًا عِبَارَةٌ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى، وَالنُّبُوَّةُ الَّتِي كَانَتْ حَاصِلَةً لِنَبِيِّنَا قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ. كَانَتْ بِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِعَالَمِ الْأَمْرِ وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ بَشَّرَ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيْثُ كَانَ كَلِمَةَ اللهِ تَعَالَى وَكَانَتْ مُنَاسَبَتُهُ بِعَالَمِ الْأَمْرِ أَزْيَدَ بِقُدُومِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِاسْمِ أَحْمَدَ حَيْثُ قَالَ: "وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ". وَالنُّبُوَّةُ الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِالنَّشْأَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ بِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بَلْ بِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَتَيْنِ وَرَبُّهُ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ ذَاكَ الشَّأْنُ وَمَبْدَؤُهُ. وَلِهَذَا كَانَتْ دَعْوَةُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ أَتَمَّ مِنَ الْمَرْتَبَةِ السَّابِقَةِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ كَانَتْ مَخْصُوصَةً بِعَالَمِ أَمْرِهِ، وَتَرْبِيَتُهُ كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلَى الرُّوحَانِيِّينَ وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ دَعْوَتُهُ شَامِلَةٌ لِلْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَتَرْبِيَتُهُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ نَشْأَتَهُ الْعُنْصُرِيَّةَ كَانَتْ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ غَالِبَةً عَلَى نَشْأَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَذَلِكَ لِتَحْصُلَ زِيَادَةُ الْمُنَاسَبَةِ بِالْخَلَائِقِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ فَإِنَّ جَانِبَ الْبَشَرِيَّةِ غَالِبٌ فِيهِمْ، وَلِهَذَا أَمَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ حَبِيبَهُ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِظْهَارِ بَشَرِيَّتِهِ بِآكَدِ الْوُجُوهِ حَيْثُ قَالَ: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ" الْآيَةَ وَإِتْيَانُ لَفْظِ مِثْلُكُمْ لِتَأْكِيدِ الْبَشَرِيَّةِ وَبَعْدَ ارْتِحَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّشْأَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ غَلَبَ جَانِبُهُ الرُّوحَانِيُّ، وَأَخَذَتْ مُنَاسَبَةُ الْبَشَرِيَّةِ فِي النُّقْصَانِ وَظَهَرَ التَّفَاوُتُ فِي نُورَانِيَّةِ الدَّعْوَةِ، قَالَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ: "وَجَدْنَا[1] التَّفَاوُتَ فِي قُلُوبِنَا وَلَمْ نَفْرُغْ بَعْدُ مِنْ دَفْنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" نَعَمْ قَدْ تَبَدَّلَ الْإِيمَانُ الشُّهُودِيُّ بِالْإِيمَانِ الْغَيْبِيِّ، وَانْجَرَّتِ الْمُعَامَلَةُ مِنَ الْعِيَانِ إِلَى السَّمَاعِ وَلَمَّا مَضَتْ مِنْ رِحْلَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ سَنَةٍ وَهِيَ مُدَّةٌ مَدِيدَةٌ وَأَزْمِنَةٌ مُتَطَاوِلَةٌ يَعْنِي وَلَهَا تَأْثِيرٌ فِي تَغَيُّرِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ وَتَبَدُّلِهَا غَلَبَ جَانِبُ رُوحَانِيَّتِهِ عَلَى نَهْجٍ جُعِلَ جَانِبُ بَشَرِيَّتِهِ مُتَلَوِّنًا بِلَوْنِهِ بِالتَّمَامِ، وَصَيَّرَ عَالَمُ الْخَلْقِ

---

[1] اخرج الدارمي والترمذي في الشمائل عن انس رضي الله عنه ما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا منه (القزاني رحمة الله عليه)

مُنْصَبِغًا بِصِبْغِ عَالَمِ الْأَمْرِ، فَمَا كَانَ مِنْ عَالَمِ خَلْقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى حَقِيقَتِهِ، يَعْنِي الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ عَرَجَ إِلَى الْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ وَالْتَحَقَ بِهَا بِالضَّرُورَةِ وَاتَّحَدَتِ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ بِالْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ. وَالْمُرَادُ بِالْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ هُنَا تَعَيُّنُهُ الْخَلْقِيُّ وَالْأَمْرِيُّ الْإِمْكَانِيَّانِ لَا الْوُجُوبِيُّ الَّذِي تَعَيُّنُهُ الْإِمْكَانِيُّ ظِلُّهُ فَإِنَّهُ لَا مَعْنَى لِعُرُوجِ التَّعَيُّنِ الْوُجُوبِيِّ وَلَا يَتَعَلَّقُ الْإِتِّحَادُ بِذَلِكَ التَّعَيُّنِ فَإِذَا نَزَلَ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاتَّبَعَ شَرِيعَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَعْرُجُ عَنْ مَقَامِ نَفْسِهِ وَيَصِلُ إِلَى مَقَامِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالتَّبَعِيَّةِ وَيُقَوِّي دِينَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَمِنْ هٰهُنَا يُنْقَلُ عَنْ شَرَائِعِ مَنْ قَبْلَنَا أَنَّهُ كُلَّمَا تَقَادَمَ الْعَهْدُ بِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ أُولِي الْعَزْمِ بِأَنْ قَضَى أَلْفَ سَنَةٍ مِنِ ارْتِحَالِهِ، كَانَ يُبْعَثُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ وَالرُّسُلِ الْعِظَامِ مَنْ يُقَوِّي شَرِيعَةَ ذَلِكَ النَّبِيِّ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ. فَإِذَا تَمَّتْ دَوْرَةُ دَعْوَتِهِ كَانَ يُبْعَثُ غَيْرُهُ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ وَيُجَدِّدُ شَرِيعَةَ نَفْسِهِ، وَلَمَّا كَانَتْ شَرِيعَةُ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَحْفُوظَةً مِنَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ أُعْطِيَ عُلَمَاءُ أُمَّتِهِ حُكْمَ الْأَنْبِيَاءِ وَفُوِّضَ إِلَيْهِمْ أَمْرُ تَقْوِيَةِ الشَّرِيعَةِ وَتَأْيِيدِ الْمِلَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَوَّجَ شَرِيعَتُهُ بِجَعْلِ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ أُولِي الْعَزْمِ مُتَّبِعًا لَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".

اعْلَمْ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مُضِيِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنِ ارْتِحَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُونَ أَكْمَلَ. وَإِنْ كَانُوا أَقَلَّ لِيَحْصُلَ تَقْوِيَةُ الشَّرِيعَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ، وَلِهٰذَا يَكُونُ مَجِيءُ الْمَهْدِيِّ الَّذِي بَشَّرَ خَاتَمُ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقُدُومِهِ الْمُبَارَكِ بَعْدَ مُضِيِّ أَلْفِ سَنَةٍ وَكَذَلِكَ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنْزِلُ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ. وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ كَمَالَاتِ أَوْلِيَاءِ هٰذِهِ الطَّبَقَةِ شَبِيهَةٌ بِكَمَالَاتِ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَإِنْ كَانَ الْفَضْلُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْأَصْحَابِ الْكِرَامِ وَلَكِنْ يَكَادُ لَا يُفَضَّلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ مِنْ كَمَالِ التَّشَابُهِ. وَلَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَجْلِ هٰذَا "أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ". وَلَمْ يَقُلْ لَا أَدْرِي أَوَّلُهُمْ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُمْ، لِعِلْمِهِ بِحَالِ كُلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلِهٰذَا قَالَ: "خَيْرُ[1] الْقُرُونِ قَرْنِي" وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مِنْ كَمَالِ التَّشَابُهِ مَحَلُّ تَرَدُّدٍ بِغَيْرٍ فِي تَفْضِيلِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُدْرَى".

(فَإِنْ قِيلَ): قَدْ حَكَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرِيَّةِ قَرْنِ التَّابِعِينَ بَعْدَ قَرْنِ الصَّحَابَةِ، وَخَيْرِيَّةِ قَرْنِ تَبَعِ التَّابِعِينَ بَعْدَ قَرْنِ التَّابِعِينَ، فَتَكُونُ خَيْرِيَّةُ هٰذَيْنِ الْقَرْنَيْنِ مِنْ هٰذِهِ الطَّبَقَةِ أَيْضًا مُتَيَقَّنَةً فَمَا يَكُونُ تَشَابُهُ هٰذِهِ الطَّبَقَةِ بِالْأَصْحَابِ الْكِرَامِ فِي الْكَمَالَاتِ (أُجِيبَ) يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ خَيْرِيَّةُ هٰذَيْنِ الْقَرْنَيْنِ مِنْ هٰذِهِ الطَّبَقَةِ

---

[1] رواه احمد والترمذي عن انس رضي الله عنه واحمد عن عمار رضي الله عنه وابو يعلى عن علي رضي الله عنه والطبراني عن ابن عمر وابن عمرو واخرج ابن عساكر عن عمرو بن عثمان رضي الله عنه مرسلا بلفظ امتي مباركة لا يدرى اولها خيرا وآخرها (القزان رحمة الله عليه)

باعْتِبارِ كَثْرَةِ ظُهُورِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى وَقِلَّةِ وُجُودِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَنُدْرَةِ أَرْبَابِ الْفِسْقِ وَالْمَعْصِيَةِ فِيهِمَا وَهٰذَا لا يُنَافِي كَوْنَ الْأَفْرَادِ مِنْ أَوْلِيَاءِ هٰذِهِ الطَّبَقَةِ خَيْرًا مِنْ أَفْرَادِ أَوْلِيَاءِ ذَيْنِكَ الْقَرْنَيْنِ كَحَضْرَةِ الْمَهْدِيِّ مَثَلًا، (شِعْرٌ):

لَوْ نَالَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ الْقُدْسِ مِنْ مَدَدٍ *** غَيْرُ الْمَسِيحِ لَيَصْنَعُ مِثْلَ مَا صَنَعَا

وَلٰكِنَّ قَرْنَ الْأَصْحَابِ خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَالتَّكَلُّمُ فِيهِ مِنَ الْفُضُولِ فَإِنَّ السَّابِقِينَ سَابِقُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ، لا يَبْلُغُ إِنْفَاقُ غَيْرِهِمْ مِثْلَ جَبَلٍ [1] ذَهَبًا إِنْفَاقَهُمْ مُدَّ شَعِيرٍ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ. (يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ قَدِ اتَّضَحَ مِنَ الْبَيَانِ السَّابِقِ مَعْنَى عِبَارَةِ رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ، الَّتِي سَطَّرْتُ فِيهَا فَوْقَ الْعِبَارَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ أَنَّ حَقِيقَةَ الْكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ صَارَتْ مَسْجُودًا إِلَيْهَا لِلْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ هِيَ بِعَيْنِهَا الْحَقِيقَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ الَّتِي الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ظِلُّهَا فِي الْحَقِيقَةِ، فَتَكُونُ مَسْجُودًا إِلَيْهَا لِلْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالضَّرُورَةِ.

(فَإِنْ قِيلَ): إِنَّ الْكَعْبَةَ قَدْ تَذْهَبُ لِطَوَافِ أَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ وَتَتَبَرَّكُ بِهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ لِحَقِيقَتِهَا تَقَدُّمٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَكَيْفَ يَجُوزُ هٰذَا الْمَعْنَى.

(أُجِيبُ) أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ نُزُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوْجِ التَّنْزِيهِ وَذِرْوَةِ التَّقْدِيسِ، وَحَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ عُرُوجِ الْكَعْبَةِ، وَأَوَّلُ مَرْتَبَةٍ تَعْرُجُ إِلَيْهَا الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ مِنْ مَرَاتِبِ التَّنْزِيهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ [2] وَلا اطِّلاعَ عَلَى نِهَايَةِ مَرَاتِبِ عُرُوجِهَا لِأَحَدٍ غَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَحَيْثُ كَانَ لِكُمَّلِ أَوْلِيَاءِ أُمَّتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ نَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ عُرُوجَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا الْعَجَبُ أَنْ تَمَسَّتِ الْكَعْبَةُ مِنْ بَرَكَاتِ هٰؤُلاءِ الْأَكَابِرِ.

(شِعْرٌ):

عَلا فَوْقَ السَّمَاءِ وَلِيدُ أَرْضٍ *** وَخَلَّفَ خَلْفَهُ زَمَنًا وَأَرْضَا

وَانْحَلَّتْ أَيْضًا عِبَارَةٌ أُخْرَى مِنْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ الْوَاقِعَةِ فِي هٰذَا الْمَقَامِ وَهِيَ هٰذِهِ كَمَا أَنَّ صُورَةَ الْكَعْبَةِ مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لِصُوَرِ الْأَشْيَاءِ كَذٰلِكَ حَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ عِبَارَاتٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلٰهِيَّةِ جَلَّ سُلْطَانُهُ الَّتِي هِيَ مَبَادِي فَيَضَانِ وُجُودِهِمْ، وَتَوَابِعِ وُجُودِهِمْ، وَحَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ فَوْقَ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ. فَلا جَرَمَ تَكُونُ حَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ مَتْبُوعَةً لِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ أَلْبَتَّةَ. نَعَمْ إِذَا وَقَعَ سَيْرُ كُمَّلِ الْأَوْلِيَاءِ فَوْقَ حَقِيقَةِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ نَزَلُوا إِلَى مَرَاتِبِ حَقَائِقِهِمُ الشَّبِيهَةِ بِأَحْيَازِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ

---

[1] روى الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه. (القزاني رحمة الله عليه)

[2] يعني فلا محذور في تقدم آخر مراتب عروج الكعبة وتفضله على آخر مراتب نزول محمد صلى الله عليه وسلم فلا وجه للطعن في ذلك منه (القزاني رحمة الله عليه)

فِي مَرَاتِبِ الْعُرُوجِ مُقْتَبِسِينَ لِلْأَنْوَارِ الْفَوْقَانِيَّةِ تَتَوَقَّعُ الْكَعْبَةُ مِنْهُمُ الْبَرَكَاتِ كَمَا مَرَّ آنِفًا. (وَأَيْضًا) قَدْ حَرَّرْتُ فِي رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ فِقْرَاتٍ فِي بَيَانِ أَفْضَلِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ أُولِي الْعَزْمِ صَلَوَاتُ اللهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَمَعْنَى أَفْضَلِيَّةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَمَّا كَانَ مَبْنَاهَا عَلَى الْكَشْفِ وَالْإِلْهَامِ اللَّذَيْنِ يُفِيدَانِ الظَّنَّ كُنْتُ نَادِمًا عَلَى كِتَابَتِي إِيَّاهَا، وَالتَّفْرِقَةِ وَالتَّحَكُّمِ فِي التَّفَاضُلِ، وَمُسْتَغْفِرًا مِنْهَا، فَإِنَّ التَّكَلُّمَ فِي هَذَا الْبَابِ بِلَا دَلِيلٍ قَطْعِيٍّ لَا يَجُوزُ. أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَى اللهِ مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللهُ قَوْلًا وَفِعْلًا وَكَتَبْتَ فِي مَكْتُوبِكَ بِأَنِّي كُنْتُ سُئِلْتُ فِي سَرَايِ فَرَخَ أَنَّ تَعْلِيمَ الطَّرِيقَةِ لِلطَّالِبِينَ هَلْ هُوَ مَرْضِيٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ أَوْ لَا. فَقُلْتُ فِي الْجَوَابِ لَا (اه) مَا بَقِيَ فِي خَاطِرِ الْفَقِيرِ صُدُورُ النَّفْيِ بَلْ قُلْتُ مَشْرُوطٌ بِالشَّرَائِطِ لَيْسَ بِمَرْضِيٍّ مُطْلَقًا. وَالْآنَ يَنْبَغِي أَنْ تُعَلِّمَهَا عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَحْتَاطَ فِي رِعَايَةِ الشُّرُوطِ وَرِعَايَةِ الْإِحْتِيَاطِ دُونَ الْمُسَاهَلَةِ، وَمَا لَمْ يَحْصُلِ الْيَقِينُ فِي التَّعْلِيمِ بِالْإِسْتِخَارَاتِ لَا يَنْبَغِي الْإِقْدَامُ عَلَى التَّعْلِيمِ وَدَلَّ أَحْيَانًا وَمَوْلَانَا يَارْ مُحَمَّدٌ الْقَدِيمُ عَلَى هَذَا وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي تَرْكِ الْإِسْتِعْجَالِ فِي تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ لَيْسَ الْمَقْصُودُ تَوْسِيعَ الدُّكَّانِ، بَلْ يَنْبَغِي مُلَاحَظَةُ مَرْضِيِّ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْإِخْبَارُ. وَأَيْضًا أَنَّكَ كُنْتَ مُتَأَذِّيًا مِنْ مُسْتَرْشِدِيكَ وَمُنْحَرِفًا عَنْهُمْ يَنْبَغِي لَكَ التَّأَذِّي وَالْإِنْحِرَافُ مِنْ وَضْعِكَ وَصُنْعِكَ، فَإِنَّكَ تُعَاشِرُهُمْ عَلَى نَهْجٍ تَكُونُ عَاقِبَتُهَا أَذِيَّةٌ أَلْبَتَّةَ وَقَدْ قَالُوا: "يَنْبَغِي لِلشَّيْخِ أَنْ يَتَحَمَّلَ لِلْمُرِيدِ لَا أَنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ الْإِخْتِلَاطِ وَيَسْلُكُ طَرِيقَ الْمُصَاحَبَةِ بِإِيرَادِ الْحِكَايَاتِ وَالْقِصَصِ" وَالسَّلَامُ.

(٢١٠) الْمَكْتُوبُ الْعَاشِرُ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا شَكِيبِي الْأَصْفَهَانِيِّ فِي حَلِّ بَعْضِ عِبَارَاتِ النَّفَحَاتِ وَبَعْضِ النَّصَائِحِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي الْتَمَسَهَا

قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَةِ الْمَكْتُوبِ الشَّرِيفِ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ إِلَى هَذَا الْحَقِيرِ الْقَلِيلِ الْبِضَاعَةِ عَلَى وَجْهِ الشَّفَقَةِ وَالْمَرْحَمَةِ وَصِرْتُ مُبْتَهِجًا وَمَسْرُورًا عِشْ بِالسَّلَامَةِ وَمُتْ بِالسَّلَامَةِ وَمَا عِشْتَ تَعِشْ عَلَى مَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ وَإِذَا مُتَّ تَكُنْ مَحَبَّتُهُمْ رَأْسَ مَالِكَ وَأَصْلَ بِضَاعَتِكَ وَإِذَا حُشِرْتَ تُحْشَرُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ بِحُرْمَةِ مَنِ افْتَخَرَ بِالْفَقْرِ وَآثَرَهُ عَلَى [1] الْغِنَا عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَرَفَعْتُ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ أَنَّهُ مَا حَقِيقَةُ مُعَامَلَةِ الْحِكَايَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي النَّفَحَاتِ مِنْ أَنَّ مُرِيدَ الشَّيْخِ ابْنِ سَكِينَةَ قُدِّسَ سِرُّهُ دَخَلَ يَوْمًا الدِّجْلَةَ لِأَجْلِ الْإِغْتِسَالِ وَخَاضَ فِي الْمَاءِ وَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ رَأَى نَفْسَهُ فِي النِّيلِ فَخَرَجَ مِنَ الْمَاءِ وَدَخَلَ مِصْرَ وَتَزَوَّجَ فِيهِ وَوُلِدَ لَهُ أَوْلَادٌ وَأَقَامَ بِمِصْرَ سَبْعَ سِنِينَ فَدَخَلَ يَوْمًا النِّيلَ اتِّفَاقًا لِلْاِغْتِسَالِ وَخَاضَ فِي الْمَاءِ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ

---

[1] (قوله : آثر الغنا) روى الترمذي عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي ربي ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت يا رب اشبع يوما واجوع يوما اه. ورويته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها ايما شمم (القزائي رحمة الله عليه)

رَأَى نَفْسَهُ فِي الدِّجْلَةِ وَرَأَى جَمِيعَ أَثْوَابِهِ الَّتِي كَانَ وَضَعَهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ بِسَاحِلِ الدِّجْلَةِ عَلَى حَالِهَا فَلَبِسَ ثِيَابَهُ وَجَاءَ مَنْزِلَهُ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: الطَّعَامُ الَّذِي أَمَرْتَ بِطَبْخِهِ لِلضُّيُوفِ حَاضِرٌ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) الْمُكَرَّمُ إِنَّ أَشْكَالَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حُصُولِ أُمُورِ سِنِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ كَثِيرَةُ الْوُقُوعِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا مِعْرَاجُ خَاتَمِ الرُّسُلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ حِينَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ بَعْدَ طَيِّ مَعَارِجِ الْعُرُوجِ وَقَطْعِ مَسَافَةِ مَنَازِلِ الْوُصُولِ الَّذِي يَتَيَسَّرُ فِي أُلُوفٍ مِنَ السِّنِينَ، يَعْنِي عَادَةً رَأَى[1] أَنَّ حَرَارَةَ فِرَاشِهِ بَاقِيَةٌ عَلَى حَالِهَا وَلَمْ يَسْكُنِ الْمَاءُ الَّذِي مَلَأَهُ فِي الْأَبْرِيقِ لِلْوُضُوءِ عَنْ حَرَكَتِهِ وَوَجْهُهُ مَا ذَكَرَهُ فِي النَّفَحَاتِ مِنْ أَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ بَسْطِ الزَّمَانِ وَإِنَّمَا أَشْكَالُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ هَذِهِ الْمُدَّةِ آنًا وَاحِدًا فِي بَغْدَادَ وَيَحْصُلُ لِهَذَا الْآنِ امْتِدَادٌ بِمِصْرَ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ. فَإِذَا كَانَ التَّارِيخُ الْهِجْرِيُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ بَغْدَادَ مَثَلًا ثَلَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ فِي عَيْنِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ثَلَثَمِائَةٍ وَسَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَهَذَا الْمَعْنَى مِمَّا لَا يُجَوِّزُهُ الْعَقْلُ وَلَا يَسَعُهُ النَّقْلُ وَهَذِهِ الْمُعَامَلَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُجَوَّزَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَخْصٍ أَوْ شَخْصَيْنِ لَكِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بِلَادٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَمْكِنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُحَالٌ.

وَمَا يَخْطُرُ فِي خَاطِرِ هَذَا الْحَقِيرِ الْكَلِيلِ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ مَا وَقَعَتْ فِي عَالَمِ الْيَقَظَةِ بَلْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الرُّؤْيَا وَالْوَاقِعَاتِ وَاشْتَبَهَ الرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَةِ لِلْمُسْتَمِعِ وَالْتَبَسَ لَهُ النَّوْمُ بِالْيَقَظَةِ، وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْإِشْتِبَاهِ كَثِيرُ الْوُقُوعِ بَلْ مِنْ مَظَانِّ الْإِشْتِبَاهِ كَوْنُ رُؤْيَتِهِ وَقِصَّتِهِ عَلَى شَيْخِهِ وَمَجِيئِهِ بِأَوْلَادِهِ إِلَيْهِ فِي الْمَنَامِ وَالْحِكَايَةُ الَّتِي نَقَلَهَا عَنِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ قُبَيْلَ مَرَّةٍ بَعْدَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ هِيَ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْأُمُورِ كُلِّهَا. وَالْتَمَسْتَ أَيْضًا شَرْحَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ مُرَبِّيَ الْجَسَدِ هُوَ الرُّوحُ، وَمُرَبِّيَ الْقَالَبِ هُوَ الْقَلْبُ. (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ مُؤَدَّى هَاتَيْنِ الْعِبَارَتَيْنِ وَاحِدٌ وَهُوَ بَيَانُ حُصُولِ التَّرْبِيَةِ لِعَالَمِ الْخَلْقِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْ عَالَمِهِ الْأَمْرِيِّ، وَلَمَّا كَانَ وُقُوعُ لَفْظِ الْجَسَدِ مَقْرُونًا بِلَفْظِ الرُّوحِ فِي الْإِطْلَاقَاتِ وَالْمُحَاوَرَاتِ وَوَقَعَتِ الْمُنَاسَبَةُ اللَّفْظِيَّةُ بَيْنَ الْقَالَبِ وَالْقَلْبِ وَقَعَ اخْتِيَارُ تَعْيِينِ الْعِبَارَةِ لِجَمْعِ كُلٍّ بِمَا يُنَاسِبُهُ. (وَصَدَرَ) أَيْضًا طَلَبُ النَّصَائِحِ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْبَابِ مَعَ وُجُودِ جَمِيعِ الْخَرَابَاتِ وَالتَّعَلُّقَاتِ وَالتَّلَوُّثَاتِ وَقِلَّةِ الْبِضَاعَةِ وَعَدَمِ الْحَاصِلِ وَأَنْ أَرْقُمَ مِنْ هَذِهِ الْمَقُولَةِ حَرْفًا بِالتَّصْرِيحِ أَوْ بِالْإِشَارَةِ، وَلَكِنْ أَخَافُ مِنْ أَنْ أُنْسَبَ إِلَى الْخِسَّةِ وَالدَّنَاءَةِ وَالضَّنِّ وَالْبُخْلِ لَوْ أَمْسَكْتُ عَنِ الْقَوْلِ الْمَعْرُوفِ وَضَنَنْتُ نَفْسِي عَنْ ذَلِكَ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَجْتَرِئُ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ.

---

[1] (قوله رأى ان حرارة فراشه باقية على حالها الخ) قيل مجرد حديث المعراج يكفي لاثبات المدعى واما هذا ذكر فلم يثبت قال في تاريخ الخميس وفي زين القصص عن عمار كان ذهابه ومجيئه ثلاث ساعات وعن وهب ابن منبه ومحمد ابن اسحاق في اربع ساعات وفي كلام السبكي كان قدر لحظة ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمان القصير كما يطوى الطويل لمن يشاء الخ قلت وهذا الكلام مما يطلع له لاصدر والتقدير بالساعة لا يخفى تكلفه وتعسفه (القزاني رحمة الله عليه)

أيها المخدوم إن بقاء الدنيا قليل جدًا وقد تلف الأكثر من هذا القليل أيضًا وزال وبقي الأقل. ومدة الآخرة باقية ودائمة وجعلت معاملة الأبد والخلود مربوطة ببقاء أيام معدودة وبعدها إما تنعم أبدي أو عذاب سرمدي. أخبر بذلك المخبر الصادق ليس فيه احتمال التخلف فينبغي استعمال العقل المتفكر (أيها المخدوم) قد مضى أشرف العمر في الهوى والهوس وضاع في تحصيل مراضي أعداء الله جل شأنه وبقي أرذل العمر فإن لم نصرفه اليوم في مرضيات الحق جل سلطانه ولم نتلاف الأشرف ولم نتداركه ولو بالأرذل ولم نجعل المحنة القليلة وسيلة إلى الراحة الأبدية ولم نكفر السيئات الكثيرة بحسنات يسيرة فبأي وجه نذهب غدًا عند الله تعالى ؟.. وبأي حيلة نتمسك ؟ وإلى متى يمتد نوم الأرانب ؟ وحتى متى يكون قطن الغفلة هذه كلها في الآذان، وسترفع الغشاوة عن أبصار البصيرة البتة، ويزال قطن الغفلة عن السامعة لا محالة، ولكن لا ينفع ذلك هنالك ولا يكون نقد الوقت غير الحسرة والندامة على ذلك فينبغي العمل لنفسك قبل ورود الموت والتوسد برمسك ثم الموت قائلًا وا شوقاه. ولا بد أولًا من تصحيح الإعتقاد وتصديق ما علم من الدين بالضرورة، ثم العلم والعمل بما تكفل ببيانه علم الفقه أيضًا ضروري ثم سلوك طريق الصوفية أيضًا مطلوب، لا لأجل مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ومعاينة الأنوار والألوان اللازينية، فإن هذا داخل في اللهو واللعب وأي نقصان في الصور والأنوار الحسية، حتى يتركها الإنسان ويشتاق إلى الصور والأنوار الغيبية، ويقصدها بارتكاب الرياضات والمجاهدات، وهذه الصور والأنوار، وتلك الصور والأنوار كلها مخلوقة للحق سبحانه وآيات دالة على صانعيته تعالى ولنور الشمس والقمر اللذين في عالم الشهادة مزية على الأنوار التي تشاهد في عالم المثال ولكن لما كانت رؤيتهما دائمة واشترك فيها الخواص والعوام أسقطوها عن نظر الإعتبار واشتاقوا إلى ما يرى في عالم الغيب من الأنوار،

(شعر):

ولا قدر للماء الذي دام جاريًا *** على باب إنسان وإن كان كوثرا

بل المقصود من سلوك طريق الصوفية تحصيل ازدياد اليقين بالمعتقدات الشرعية حتى تخرج من مضيق الإستدلال إلى فضاء الكشف ومن الإجمال إلى التفصيل مثلًا أن وجود الواجب الوجود تعالى وتقدس ووحدته سبحانه إذا كان أولًا معلومًا بطريق الإستدلال أو التقليد وحصل اليقين به على مقدارهما، فإذا تيسر سلوك طريق الصوفية يتبدل ذلك الإستدلال والتقليد كشفًا وشهودًا ويحصل اليقين الأكمل. وعلى هذا القياس سائر الاعتقاديات والمقصود منه أيضًا تحصيل اليسر في أداء الأحكام الفقهية، وإزالة العسر الذي يحصل من جهة النفس الأمارة ويقين هذا الفقير أن طريق الصوفية خادم للعلوم الشرعية، لا أنه أمر مباين لها وقد حققت هذا في كتبي ورسائلي واختيار طريق النقشبندية من بين سائر الطرق لأجل حصول هذا الغرض أولى وأنسب، فإن هؤلاء الأكابر التزموا متابعة السنة واجتناب البدعة ولهذا تراهم

يَفْرَحُونَ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِحُصُولِ دَوْلَةِ الْمُتَابَعَةِ لَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْوَالِ وَإِذَا أَحَسُّوا فُتُورًا فِي الْمُتَابَعَةِ مَعَ وُجُودِ الْأَحْوَالِ لَا يَقْبَلُونَ تِلْكَ الْأَحْوَالَ. قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةِ أَحْرَارٍ قُدِّسَ سِرُّهُ: "لَوْ أُعْطِيتُ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ وَلَمْ تُوَافِقْ حَقِيقَتِي بِاعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَثَلًا لَا أَرَى تِلْكَ الْأَحْوَالَ غَيْرَ الشَّقَاوَةِ وَالْخِذْلَانِ وَإِنْ أُعْطِيتُ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَحُرِمْتُ الْأَحْوَالَ بِأَسْرِهَا فَلَا تَغَتُّمَ عَلَى ذَلِكَ".

وَأَيْضًا إِنَّ فِي هَذَا الطَّرِيقِ انْدِرَاجَ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ فَيَجِدُ أَهْلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي أَوَّلِ قَدَمٍ مَا يَجِدُهُ غَيْرُهُمْ فِي النِّهَايَةِ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ فَإِنَّمَا هُوَ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ وَالشُّمُولِ وَعَدَمِ الشُّمُولِ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ هِيَ نِسْبَةُ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ بِعَيْنِهَا فَإِنَّهُمْ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ كَانُوا يَجِدُونَ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ مَا لَا يُدْرَى أَنَّهُ يَتَيَسَّرُ لِأَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ سِوَاهُمْ فِي النِّهَايَةِ أَوْ لَا، وَلِهَذَا لَمْ يَصِلْ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ التَّابِعِينَ إِلَى مَرْتَبَةِ وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِنَيْلِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً صُحْبَةَ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ فَوْقَ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ شُهُودِيٌّ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِغَيْرِهِمْ أَصْلًا (ع) هَلِ الْمَسْمُوعُ يُشْبِهُ قَطُّ بِمَرْئِيٍّ؟ وَلِهَذَا كَانَ إِنْفَاقُ مُدِّ شَعِيرٍ مِنْهُمْ أَفْضَلَ مِنْ إِنْفَاقِ جَبَلِ ذَهَبٍ مِنْ غَيْرِهِمْ وَجَمِيعُ الْأَصْحَابِ مُتَسَاوُونَ فِي هَذِهِ الْفَضِيلَةِ فَيَنْبَغِي تَعْظِيمُ جَمِيعِهِمْ وَذِكْرُ كُلِّهِمْ بِالْخَيْرِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عُدُولٌ وَكُلُّهُمْ مُتَسَاوُونَ فِي قَبُولِ رِوَايَتِهِمْ وَتَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ لَا مَزِيَّةَ لِرِوَايَةِ أَحَدِهِمْ عَلَى رِوَايَةِ الْآخَرِ مِنْهُمْ وَهُمْ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَمِنْهُمْ جُمِعَتِ الْآيَاتُ الْمُتَفَرِّقَاتُ مِنْ هَذَا آيَتَانِ وَمِنْ هَذَا ثَلَاثُ آيَاتٍ وَأَزْيَدُ وَأَنْقَصُ اعْتِمَادًا عَلَى عَدَالَتِهِمْ، فَمَنْ جَرَحَ وَاحِدًا مِنَ الْأَصْحَابِ فَذَلِكَ الْجَرْحُ رَاجِعٌ إِلَى الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَامِلَ بَعْضِ الْآيَاتِ ذَلِكَ الْمَجْرُوحُ وَالْمَطْعُونُ فِيهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ الْمُخَالَفَاتِ وَالْمُنَازَعَاتِ الْوَاقِعَةَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ إِلَى مَحَامِلَ صَحِيحَةٍ وَأَنْ يُبْعِدَهُمْ وَيُنَزِّهَهُمْ عَنِ الْهَوَى وَالتَّعَصُّبِ. قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ "تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْدِيَنَا فَلْنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلْسِنَتَنَا". وَنُقِلَ مِثْلُ هَذِهِ الْمَقُولَةِ أَيْضًا عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالسَّلَامُ أَوَّلًا وَآخِرًا.

(٢١١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِيَ عَشَرَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا يَارْ مُحَمَّدْ قَدِيمِ الْبَدَخْشِيِّ فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ وَبَيَانِ بَعْضِ لَوَازِمِ مَقَامِ التَّكْمِيلِ وَالْإِرْشَادِ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الْمَرْغُوبُ مِنَ الْأَخِ الْأَعَزِّ مَوْلَانَا يَارْ مُحَمَّدْ الْقَدِيمِ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ بَلَّغَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذِرْوَةَ الْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ وَالْأَبْرَارِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ مَقَالَةِ الْمَوْلَوِيِّ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ حَيْثُ قَالَ "إِنَّ الْمَلِيحَ الَّذِي كَانَ يَخْتَبِي كَانَ حَقًّا فَهَلْ يَجُوزُ هَذَا الْكَلَامُ أَمْ لَا". (اعْلَمْ) أَنَّ أَمْثَالَ هَذَا الْأَمْرِ تَقَعُ كَثِيرًا فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَتَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ، وَهَذَا النَّوْعُ

مِنَ الْمُعَامَلَةِ يُقَالُ لَهُ التَّجَلِّي الصُّورِيُّ وَيَظُنُّ صَاحِبُ الْمُعَامَلَةِ تِلْكَ الصُّورَةَ الْمُتَجَلِّي بِهَا حَقًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَالْكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ مَا قَالَ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ يُوسُفُ الْهَمْدَانِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ حَيْثُ قَالَ: "تِلْكَ خَيَالَاتٌ تُرَبَّى بِهَا أَطْفَالُ الطَّرِيقَةِ".

(ثُمَّ اعْلَمْ) أَنَّهُ لَمَّا صَدَرَ لَكُمْ نَوْعُ إِجَازَةِ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ، أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ بَعْضَ الْفَوَائِدِ فِي هَذَا الْبَابِ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا بِأُذُنِ الْعَقْلِ وَالْعَمَلُ بِهَا.

(اعْلَمْ) أَنَّهُ إِذَا جَاءَ عِنْدَكَ طَالِبُ بِإِرَادَةِ الطَّرِيقَةِ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَأَمَّلَ وَتَتَأَنَّى كَثِيرًا فِي تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ إِيَّاهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُرَادَ عَلَيْكَ الْإِسْتِدْرَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَمِنْ أَنْ يَكُونَ الْمَنْظُورُ فِيهِ خَرَابَتَكَ، خُصُوصًا إِذَا ظَهَرَ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ مِنْ مَجِيءِ الْمُرِيدِ فَيَنْبَغِي سُلُوكُ طَرِيقِ الْإِلْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَالْإِسْتِخَارَاتُ الْمُتَعَدِّدَةُ إِلَى أَنْ يَصِلَ الْيَقِينُ بِكَوْنِ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ إِيَّاهُ مَرْضِيًّا وَأَنَّهُ لَا يُرَادُ بِهِ الْاسْتِدْرَاجُ وَالْإِضْلَالُ، لِأَنَّ التَّصَرُّفَ فِي عِبَادِ اللهِ تَعَالَى وَتَضْيِيعَ الْوَقْتِ فِي تَرْبِيَتِهِمْ غَيْرُ مُجَوَّزٍ بِلَا إِذْنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى "لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ" دَلَالَةٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى. حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ جَاءَ الْخِطَابُ بِأَنَّهُ أَنْتَ الَّذِي لَبِسَ الدِّرْعَ فِي دِينِي عَلَى عِبَادِي. قَالَ: بَلَى قَالَ: هَلَّا وَكَّلْتَ خَلْقِي إِلَيَّ وَأَقْبَلْتَ بِقَلْبِكَ عَلَيَّ، وَالْإِجَازَةُ الَّتِي صَدَرَتْ لَكَ وَلِغَيْرِكَ مَشْرُوطَةٌ بِالشُّرُوطِ وَمَنُوطَةٌ بِحُصُولِ الْعِلْمِ بِمَرْضَاةِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ مَا جَاءَ بَعْدُ وَقْتُ الْإِجَازَةِ الْمُطْلَقَةِ. فَيَنْبَغِي رِعَايَةُ تِلْكَ الشُّرُوطِ إِلَى وُرُودِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالشَّرْطُ هُوَ الْإِخْبَارُ وَحَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا إِلَى الْمِيرِ نُعْمَانَ، فَيَنْبَغِي الْإِسْتِعْلَامُ أَيْضًا مِنْ هُنَاكَ وَبِالْجُمْلَةِ يَنْبَغِي السَّعْيُ حَتَّى يَجِيءَ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَيَتَيَسَّرَ التَّخَلُّصُ مِنْ مَضَائِقِ الشَّرَائِطِ وَالسَّلَامُ.

(٢١٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدْ صِدِّيقِ الْبَدَخْشِيِّ فِي جَوَابِ بَعْضِ أَسْئِلَتِهِ وَحَلِّ وَاقِعَةٍ رَآهَا

وَصَلَ الْمَكْتُوبَانِ الْمَرْغُوبَانِ مُتَتَابِعَيْنِ فَازْدَادَ فَرَحٌ عَلَى فَرَحٍ أَكْرَمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِتَرَقِّيَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَسَأَلْتَ أَنَّهُ هَلْ يَقْدِرُ الشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّفِ أَنْ يُوَصِّلَ الْمُرِيدَ الْمُسْتَعِدَّ بِتَصَرُّفِهِ إِلَى مَرَاتِبَ فَوْقَ اسْتِعْدَادِهِ أَوْ لَا ؟ بَلَى يَقْدِرُ أَنْ يُوَصِّلَهُ، وَلَكِنْ إِلَى مَرَاتِبَ تُنَاسِبُ اسْتِعْدَادَهُ، لَا إِلَى مَرَاتِبَ تُبَايِنُ اسْتِعْدَادَهُ مَثَلًا إِذَا كَانَ فِي مُرِيدٍ اسْتِعْدَادُ الْوِلَايَةِ الْمُوسَوِيَّةِ وَنِهَايَةُ قُوَّةِ اسْتِعْدَادِهِ مَا يَقْدِرُ الْوُصُولَ بِهَا إِلَى نِصْفِ طَرِيقِ هَذِهِ الْوِلَايَةِ، فَالشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّفِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَصِّلَهُ بِتَصَرُّفِهِ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ هَذِهِ الْوِلَايَةِ، وَأَمَّا أَنَّهُ يُخْرِجُهُ مِنَ الْوِلَايَةِ الْمُوسَوِيَّةِ إِلَى الْوِلَايَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَيَمْنَحُهُ هُنَاكَ التَّرَقِّيَاتِ فَهُوَ لَيْسَ بِمَعْلُومِ الْوُقُوعِ. (وَسَأَلْتَ) أَيْضًا أَنَّهُ أَيُّ مَرْتَبَةٍ يَحْصُلُ فِيهَا لِلْأَخْفَى الَّذِي هُوَ أَلْطَفُ اللَّطَائِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ حُكْمُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ وَتَحْصُلُ لَهُ الْمُشَابَهَةُ فِي الْخِسَّةِ وَالدَّنَاءَةِ؟

(لِيَعْلَمِ الْأَخُ) أَنَّ الْأَخْفَى وَإِنْ كَانَ أَلْطَفَ اللَّطَائِفِ وَلَكِنَّهُ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ وَمُتَّسِمَةٌ بِسِمَةِ الْحُدُوثِ فَإِذَا وَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ وَوَقَعَ سَيْرُهُ عَلَى مَرَاتِبِ الْوَاجِبِ وَتَرَقَّى مِنْ ظِلَالِ الْوُجُوبِ إِلَى أُصُولِهَا وَتَخَلَّصَ مِنَ التَّقَيُّدِ بِالصِّفَةِ وَالشَّأْنِ، فَلَا جَرَمَ يَكُونُ الْمُمْكِنُ حِينَئِذٍ فِي نَظَرِهِ ذَلِيلًا حَقِيرًا عَادِمَ الْاِعْتِبَارِ، وَيَرَى أَخَسَّهُ وَأَلْطَفَهُ مُسَاوِيَيْنِ فِيهَا وَيَتَخَيَّلُ النَّفْسَ وَالْأَخْفَى فِي هَذَا الْمَقَامِ كَأَنَّهُمَا تَوْأَمَانِ.

(وَكَتَبْتَ) أَيْضًا أَنَّهُ سَمِعْتُ مِنْكَ بِوَاسِطَةٍ أَوْ بِلَا وَاسِطَةٍ أَنَّ عِبَادَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ تَعَالَى حَاضِرٌ وَقْتَ الْعِبَادَةِ مُوجِبَةٌ لِتَنَزُّلِهِ تَعَالَى، يَنْبَغِي الْعِبَادَةُ مِثْلَ الْغَيْبِ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ تَعَالَى مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ حَاضِرٌ سُوءُ أَدَبٍ. (أَيُّهَا) الْمُحِبُّ إِنَّ صُدُورَ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مِنْ هَذَا الْفَقِيرِ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَهُ فِي مَحَلٍّ آخَرَ. (وَالْوَاقِعَةُ) الَّتِي رَأَيْتَهَا وَرَأَيْتَ فِيهَا حَضْرَةَ آدَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَسَنَةٌ جِدًّا وَأَصِيلَةٌ وَالْمَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ الْعِلْمِ، وَإِدْخَالُ الْيَدِ فِيهِ حُصُولُ الْقُدْرَةِ فِي الْعِلْمِ، وَمُشَارَكَةُ آدَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُؤَكِّدَةٌ لِهَذَا الْحُصُولِ. فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِلْمِيذُ الرَّحْمَنِ، "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ عِلْمُ الْبَاطِنِ، بَلْ نَوْعٌ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِنِسْبَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَالْبَاقِي عِنْدَ التَّلَاقِي وَالسَّلَامُ.

(٢١٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ عَشَرَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى السَّيِّدِ فَرِيدٍ فِي الْمَوَاعِظِ وَالنَّصَائِحِ بِالتَّرْغِيبِ فِي اتِّبَاعِ
عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالتَّحْذِيرِ
عَنْ مُصَاحَبَةِ عُلَمَاءِ السُّوءِ إِلَخْ

عَصَمَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِكُمْ بِحُرْمَةِ جَدِّكُمُ الْأَمْجَدِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ". وَلَا أَدْرِي بِأَيِّ إِحْسَانٍ أُكَافِئُ إِحْسَانَكُمْ، سِوَى أَنْ أَكُونَ رَطْبَ اللِّسَانِ بِدُعَاءِ سَلَامَتِكُمْ فِي الدَّارَيْنِ فِي الْأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَالْمِنَّةُ إِنَّ هَذَا الْمَعْنَى مُيَسَّرٌ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ. وَالْإِحْسَانُ الْآخَرُ الَّذِي تَلِيقُ الْمُكَافَأَةُ بِهِ التَّذْكِرَةُ وَالْمَوْعِظَةُ فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ إِنْ وَقَعَتْ فِي مَعْرِضِ الْقَبُولِ. (أَيُّهَا النَّقِيبُ) النَّجِيبُ إِنَّ خُلَاصَةَ الْمَوَاعِظِ وَزُبْدَةَ النَّصَائِحِ الْاِخْتِلَاطُ وَالْاِنْبِسَاطُ مَعَ أَصْحَابِ الدِّيَانَةِ وَأَرْبَابِ التَّشَرُّعِ، وَكُلٌّ مِنَ التَّدَيُّنِ وَالتَّشَرُّعِ مَرْبُوطٌ بِسُلُوكِ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْحَقَّةِ، الَّذِينَ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالنَّجَاةُ بِدُونِ مُتَابَعَةِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ مُحَالٌ، وَالْفَلَاحُ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ آرَائِهِمْ مُمْتَنِعٌ، وَالدَّلَائِلُ النَّقْلِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ وَالْكَشْفِيَّةُ شَاهِدَةٌ لِهَذَا الْمَعْنَى، لَا تَحْتَمِلُ التَّخَلُّفَ أَصْلًا فَإِذَا عُلِمَ خُرُوجُ شَخْصٍ مِقْدَارَ خَرْدَلَةٍ مِنْ طَرِيقِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ صُحْبَتَهُ سَمٌّ قَاتِلٌ، وَأَنْ تَرَى مُجَالَسَتَهُ كَمُجَالَسَةِ الْأَفْعَى، وَطَلَبَةُ الْعِلْمِ

الَّذِينَ لَا مُبَالَاةَ فِيهِمْ فَهُمْ لُصُوصُ الدِّينِ مِنْ أَيِّ فِرْقَةٍ كَانُوا، وَالْإِجْتِنَابُ عَنْ صُحْبَتِهِمْ أَيْضًا مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ. وَجَمِيعُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَالْمَفْسَدَةِ الْوَاقِعَةِ فِي الدِّينِ مِنْ شَآمَةِ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ جَعَلُوا آخِرَتَهُمْ هَبَاءً فِي جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا. " أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ". رَأَى شَخْصٌ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ قَاعِدًا مُسْتَرِيحًا فَارِغَ الْبَالِ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّعِينُ: "إِنَّ عُلَمَاءَ السُّوءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ قَدْ كَفَوْا أَمْرِي وَتَكَفَّلُوا لِي بِالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ" وَمَوْلَانَا عُمَرُ مَوْصُوفٌ بِحُسْنِ السِّيرَةِ وَالصُّلُوبَةِ مِنْ بَيْنِ الطَّلَبَةِ الْمَوْجُودِينَ الْآنَ هُنَاكَ بِشَرْطِ أَنْ تُقَوُّوا قَلْبَهُ وَتُعَاوِنُوهُ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ. وَالْمُحَافِظُ الْإِمَامُ فِيهِ أَيْضًا جُنُونُ الْإِسْلَامِ وَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ الْجُنُونِ فِي الْإِسْلَامِ، "لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ مَجْنُونٌ". مَعْلُومٌ لِجَنَابِكُمْ، وَهَذَا الْفَقِيرُ لَمْ يَقْصُرْ فِي الْقَوْلِ وَالْكِتَابَةِ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى الصُّحْبَةِ الْحَسَنَةِ وَلَمْ أُرَخِّصْ لِنَفْسِي أَنْ تَتْرُكَ الْمُبَالَغَةَ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْمُصَاحَبَةِ السُّوءِ وَأَرَى ذَلِكَ أَصْلًا عَظِيمًا وَالْقَبُولُ مِنْ عِنْدِكُمْ فَطُوبَى لِمَنْ جُعِلَ مَظْهَرًا لِلْخَيْرِ، وَتَذَكُّرُ احْسَانَاتِكُمْ يُورِثُنِي عَلَى هَذَا الْقِيلِ وَالْقَالِ وَيُنْسِينِي مُلَاحَظَةَ التَّصْدِيعِ وَالْإِمْلَالِ وَالسَّلَامُ.

(٢١٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى خَانِ خَانَانْ فِي بَيَانِ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَفِي سِرِّ تَأْبِيدِ عَذَابِ الْكُفَّارِ وَتَفْوِيضِ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْافْتِقَارِ

طُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مَظْهَرًا لِلْخَيْرِ، وَقَدْ جَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ الدُّنْيَا مَزْرَعَةَ الْآخِرَةِ ؛ فَيَا شَقَاوَةَ مَنْ أَكَلَ الْبَذْرَ بِالتَّمَامِ وَلَمْ يَزْرَعْهُ فِي أَرْضِ الْإِسْتِعْدَادِ، وَلَمْ يَجْعَلِ الْحَبَّةَ الْوَاحِدَةَ سَبْعَمِائَةِ حَبَّةٍ، وَلَمْ يُهَيِّئْهُ ذَخِيرَةً لِيَوْمٍ يَفِرُّ فِيهِ الْأَخُ مِنْ أَخٍ وَالْأُمُّ مِنْ وَلَدٍ. خَسَارَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نَقْدُ وَقْتِهِ وَحَسْرَةُ الدَّارَيْنِ وَنَدَامَتُهُمَا فِي كَفِّ يَدِهِ لِمَا كَانَ مُعْرِضًا لِغَضَبِ رَبِّهِ وَمَقْتِهِ وَأَصْحَابُ الدَّوْلَةِ هُمُ الَّذِينَ يَغْتَنِمُونَ الْفُرْصَةَ فِي الدُّنْيَا، لَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا وَيَتَلَذَّذُونَ بِهَا فَإِنَّهُ لَا مَدَارَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا ثَبَاتَ لِمَا هُنَالِكَ. وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّهَا مُعَدَّاتُ الْمِحَنِ وَالْعُقُبَاتِ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ فِيهَا وَيَزْرَعُونَ لِآخِرَتِهِمْ، وَيُحَصِّلُونَ مِنْ حَبَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعَمَلِ بِحُكْمِ: ﴿ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[1] ثَمَرَاتٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ. وَمِنْ هَهُنَا كَانَ جَزَاءُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ تَنَعُّمَاتٍ مُخَلَّدَةً وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ تَضَاعُفَ الْأَجْرِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَسَنَاتِ دُونَ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّ الْجَزَاءَ فِيهَا بِالْمِثْلِ فَكَيْفَ يَجُوزُ تَأْبِيدُ عَذَابِ الْكُفَّارِ بِوَاسِطَةِ سَيِّئَاتٍ مَعْدُودَةٍ؟! (أُجِيبُ) أَنَّ مُمَاثَلَةَ الْجَزَاءِ لِلْعَمَلِ مُفَوَّضَةٌ إِلَى عِلْمِ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَعِلْمُ الْمُمْكِنِ قَاصِرٌ عَنْ إِدْرَاكِهَا. أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ أَمَرَ فِي قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ بِجَلْدِ ثَمَانِينَ جَزَاءً مُمَاثِلًا وَفِي حَدِّ السَّرِقَةِ بِقَطْعِ الْيَمِينِ وَفِي حَدِّ الزِّنَا فِي الْبِكْرِ مَعَ الْبِكْرِ بِمِائَةِ

---

(1) الآية ٢٦١ من سورة البقرة.

جِلْدَة وَتَغْرِيب عَام وَفِي الشَّيْخ وَالشَّيْخَة حَكَمَ بِالرَّجْمِ وَعِلْمُ سِرِّ هَذِهِ الْحُدُود وَالتَّقْدِيرَات خَارِجٌ مِنْ طَوْقِ الْبَشَرِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَحَيْثُ حَكَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْعَذَابِ الْمُخَلَّد عَلَى الْكُفْرِ الْمُوَقَّت جَزَاءً وِفَاقًا، عُلِمَ أَنَّ الْجَزَاءَ الْمُمَاثِل عَلَى الْكُفْرِ الْمُوَقَّت هُوَ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْمُخَلَّدُ. وَمَنْ أَرَادَ تَطْبِيقَ جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة عَلَى عَقْلِهِ وَجَعْلَهَا مَعْقُولَ نَفْسِهِ وَتَسْوِيَتَهَا بِأَدِلَّة عَقْلِيَّة، فَهُوَ مُنْكِرٌ لِطَوْرِ النُّبُوَّة عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّ وَالتَّكَلُّمُ مَعَهُ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ.

شِعْرٌ: مَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِالْكِتَابِ وَسُنَّةٍ *** فَجَوَابُهُ أَنْ لَا تُجِيبَ وَتَسْكُتَا

وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ أَنَّ رَافِعَ رَقِيمَةِ الْفُقَرَاءِ الشَّيْخ مِيَانْ أَحْمَدَ وَلَدَ الْمَغْفُور لَهُ الشَّيْخ سُلْطَان التَّهَانِيسَرِي تَوَجَّهَ إِلَى الْخِدْمَةِ الْعَلِيَّة مُتَوَسِّلًا بِهَذَا الْفَقِيرِ مُلَاحِظًا لِأَلْطَافِكُمْ وَإِحْسَانَاتِكُمْ إِلَى وَالِدِهِ الْمَاجِد، وَمِنْ جُمْلَةِ أَلْطَافِكُمْ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ مَوْضِعٌ فِي قَضَاءِ أَنْدَرِي وَكُنْتُمْ أَكْرَمْتُمُوهُ بِإِعْطَائِهِ إِيَّاهُ وَالْأَمْرُ عِنْدَكُمْ بَلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢١٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسَ عَشَرَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِرْزَا دَارَاب فِي مَذَمَّةِ الدُّنْيَا

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ بِالتَّوَاضُعِ التَّامِّ مِنْ حُسْنِ نَشْأَةِ الْإِسْتِعْدَادِ الْفِطْرِيِّ إِلَى الْفُقَرَاءِ مَعْدُومِي الْبِضَاعَةِ. جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (أَيُّهَا الْوَلَدُ) انَّ أَرْبَابَ الدُّنْيَا وَأَصْحَابَ الْغِنَا مُبْتَلَوْنَ بِبَلَاءٍ عَظِيمٍ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ[1] وَقَدْ زُيِّنَ فِي نَظَرِهِمْ أَقْبَحُ جَمِيعِ النَّجَاسَاتِ كَنَجَاسَةٍ مُمَوَّهَةٍ بِالذَّهَبِ، وَسَمٌّ مُغَلَّف بِالسُّكَّرِ. وَمَعَ ذَلِكَ لَقَدِ اهْتَدَى الْعَقْلُ السَّلِيمُ إِلَى شَنَاعَةِ هَذِهِ الدَّنِيَّةِ، وَدَلَّ عَلَى قَبَاحَةِ هَذِهِ الْغَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ. وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: "لَوْ أَوْصَى شَخْصٌ بِمَالِهِ لِأَعْقَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ يُعْطَى لِلزُّهَّادِ". فَإِنَّهُمْ رَاغِبُونَ عَنِ الدُّنْيَا وَرَغْبَتُهُمْ عَنْهَا مِنْ كَمَالِ عَقْلِهِمْ.

وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكْتَفِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ بِشَهَادَةِ الْعَقْلِ وَحْدَهُ، بَلْ ضَمَّ إِلَيْهِ شَاهِدًا آخَرَ مِنَ النَّقْلِ وَاطَّلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ ذَلِكَ الْمَتَاعِ الْكَاسِدِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِينَ هُمْ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ وَمَنَعَ عَنْ مَحَبَّةِ تِلْكَ الْقَحْبَةِ وَالتَّعَلُّقِ بِهَا مَنْعًا بَلِيغًا. وَمَعَ وُجُودِ هَذَيْنِ الشَّاهِدَيْنِ الْعَدْلَيْنِ إِذَا أَكَلَ شَخْصٌ السَّمَّ بِطَمَعِ السُّكَّرِ الْمَوْهُومِ، وَاخْتَارَ النَّجَاسَةَ بِرَجَاءِ الذَّهَبِ الْمُتَخَيَّلِ، فَهُوَ سَفِيهٌ مَحْضٌ وَبَلِيدٌ

---

[1] رواه ابن ابي الدنيا في ذم الدنيا عن موسى انه بلغه ان النبي صلعم قال ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها ورواه البيهقى من طريقه وهو مرسل ورواه الحاكم في التاريخ من حديث ابي هريرة مرفوعا بلفظ ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها وروى ابن عساكر في التاريخ من مرسل علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه ان الله لما خلق الدنيا اعرض عنها فلم ينظر اليها من هوانها عليه ومن حديث ابي هريرة مرفوعا ان الله لما خلق الدنيا نظر اليها ثم اعرض عنها ثم قال وعزتي وجلالي لا انزلنك الا في شرار خلقي انتهى من شرح الاحياء ملخصا (القزاني رحمة الله عليه)

بالطَّبْعِ بَلْ هُوَ مُنْكِرٌ لأَخْبَارِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمُنَافِقِ الَّذِي فِيهِ صُورَةُ الْإِيمَانِ، وَهِيَ لَا تَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا نَتِيجَةَ لَهَا غَيْرَ عِصْمَةِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ الدُّنْيَاوِيَّةِ. فَيَنْبَغِي رَفْعُ قُطْنِ الْغَفْلَةِ الْيَوْمَ مِنَ الْأُذُنِ، وَإِلَّا لَا يَحْصُلُ شَيْءٌ غَدًا سِوَى الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَالشَّرْطُ الْإِخْبَارُ.

(شِعْرٌ):

إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ *** الْغُرُورِ الْغُرُورُ مَنْ يَصْطَفِيهَا

مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ *** وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

(٢١٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْزَا حُسَامِ الدِّينِ فِي بَيَانِ سِرِّ كَثْرَةِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ لِلْعَادَاتِ مِنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ وَقِلَّةِ ظُهُورِهَا مِنْ بَعْضٍ آخَرَ وَبَيَانِ أَتَمِّيَّةِ مَقَامِ التَّكْمِيلِ وَالْإِرْشَادِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ قَدْ يَقَعُ فِي الْخَاطِرِ الْفَاتِرِ أَنَّهُ لَمَّا حَالَ الْبُعْدُ الصُّورِيُّ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَصَارَتِ الْمُلَاقَاةُ الظَّاهِرِيَّةُ كَعَنْقَاءِ الْمُغْرِبِ، كَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْهِمْ بَعْضَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ أَحْيَانًا فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَكْتُبُ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ شَيْئًا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَالْمَرْجُوُّ أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ مُنْجَرًّا إِلَى الْمَلَالِ. (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) لَمَّا كَانَ مَبْحَثُ الْوِلَايَةِ فِيمَا بَيْنَنَا وَنَظَرُ عَوَامِّ الْخَلَائِقِ، إِلَى ظُهُورِ الْخَوَارِقِ، أَذْكُرُ مِنْ هَذِهِ الْمَقُولَةِ كَلِمَاتٍ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا. اعْلَمْ أَنَّ الْوِلَايَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالْخَوَارِقُ وَالْكُشُوفُ مِنْ لَوَازِمِهَا قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَكُونُ خَوَارِقُهُ أَكْثَرَ تَكُونُ وِلَايَتُهُ أَتَمَّ وَحَظُّهُ أَوْفَرَ، بَلْ كَثِيرًا مَا يَكُونُ ظُهُورُ الْخَوَارِقِ قَلِيلًا وَتَكُونُ الْوِلَايَةُ أَكْمَلَ. مَدَارُ كَثْرَةِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ عَلَى أَمْرَيْنِ: كَوْنُ الْعُرُوجِ إِلَى الْفَوْقِ أَكْثَرَ فِي وَقْتِ الْعُرُوجِ وَكَوْنُ النُّزُولِ إِلَى السُّفْلِ أَقَلَّ فِي وَقْتِ النُّزُولِ، بَلِ الْأَصْلُ الْعَظِيمُ فِي كَثْرَةِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ هُوَ قِلَّةُ النُّزُولِ عَلَى أَيِّ كَيْفِيَّةٍ كَانَ جَانِبُ الْعُرُوجِ، فَإِنَّ صَاحِبَ النُّزُولِ يَنْزِلُ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ وَيَجِدُ وُجُودَ الْأَشْيَاءِ مَرْبُوطًا بِالْأَسْبَابِ وَيَرَى فِعْلَ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ مِنْ وَرَاءِ أَسْتَارِ الْأَسْبَابِ، وَالَّذِي لَمْ يَنْزِلْ أَوْ نَزَلَ، وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلَى الْأَسْبَابِ فَنَظَرُهُ مَقْصُورٌ عَلَى فِعْلِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ فَقَطْ، لِأَنَّ الْأَسْبَابَ قَدِ ارْتَفَعَتْ عَنْ نَظَرِهِ بِالتَّمَامِ وَقَصُرَ نَظَرُهُ عَلَى فِعْلِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ فَلَا جَرَمَ يُعَامِلُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ كُلًّا مِنْهُمَا مُعَامَلَةً عَلَى حِدَةٍ بِمُقْتَضَى ظَنِّ كُلٍّ مِنْهُمَا فَيَكِلُ أَمْرَ مَنْ يَرَى الْأَسْبَابَ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَالَّذِي لَا يَرَى الْأَسْبَابَ يُهَيِّئُ أَمْرَهُ بِدُونِ تَوَسُّطِ الْأَسْبَابِ، وَحَدِيثُ "أَنَا[1] عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي" شَاهِدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَقَدِ اخْتَلَجَ فِي الْخَاطِرِ مُدَّةً كَثِيرَةً أَنَّهُ مَا الْوَجْهُ فِي عَدَمِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ كُمَّلِ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فِيمَا مَضَى مِثْلَ مَا ظَهَرَ مِنْ

[1] رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

حَضْرَةَ السَّيِّدِ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ فَأَظْهَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ آخِرَ الْأَمْرِ سِرَّ هَذَا الْمُعَمَّى. وَاعْلَمْ أَنَّ عُرُوجَ السَّيِّدِ مُحْيِي الدِّينِ الْجِيلَانِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ كَانَ أَعْلَى مِنْ عُرُوجِ أَكْثَرِ الْأَوْلِيَاءِ، وَنَزَلَ فِي جَانِبِ النُّزُولِ إِلَى مَقَامِ الرُّوحِ فَقَطْ الَّذِي هُوَ فَوْقَ عَالَمِ الْأَسْبَابِ، وَحِكَايَةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَحَبِيبٍ الْعَجَمِيِّ مُنَاسِبَةٌ لِهَذَا، يَعْنِي مُؤَيِّدَةٌ وَمُقَوِّيَةٌ لِمَا سَبَقَ نُقِلَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ "أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا وَاقِفًا بِسَاحِلِ النَّهْرِ مُنْتَظِرَ السَّفِينَةِ لِيَعْبُرَ النَّهْرَ فَجَاءَ حَبِيبٌ الْعَجَمِيُّ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ وُقُوفِهِ، فَقَالَ: أَنْتَظِرُ السَّفِينَةَ. فَقَالَ الْحَبِيبُ: مَا الْحَاجَةُ إِلَى سَفِينَةٍ أَلَيْسَ فِيكَ يَقِينٌ؟! فَقَالَ الْحَسَنُ: أَلَيْسَ لَكَ عِلْمٌ ؟ فَعَبَرَ الْحَبِيبُ النَّهْرَ يَعْنِي مَاشِيًا عَلَى الْمَاءِ بِلَا اسْتِعَانَةِ سَفِينَةٍ وَبَقِيَ الْحَسَنُ وَاقِفًا مُنْتَظِرًا لِلسَّفِينَةِ". وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ قَدْ نَزَلَ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ. فَعُومِلَ بِتَوَسُّطِ الْأَسْبَابِ وَكَانَ الْحَبِيبُ الْعَجَمِيُّ قَدْ طَرَحَ الْأَسْبَابَ وَأَزَاحَهَا عَنْ نَظَرِهِ بِالتَّمَامِ، فَعُومِلَ مِنْ غَيْرِ تَوَسُّطِ الْأَسْبَابِ. وَلَكِنَّ الْفَضْلَ لِلْحَسَنِ لِأَنَّهُ صَاحِبُ الْعِلْمِ وَجَمَعَ بَيْنَ عَيْنِ الْيَقِينِ وَعِلْمِ الْيَقِينِ وَعَلِمَ الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ جُعِلَتْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَسْتُورَةً فِيمَا وَرَاءَ الْحِكْمَةِ وَحَبِيبٌ الْعَجَمِيُّ صَاحِبُ سُكْرٍ، لَهُ يَقِينٌ بِالْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ غَيْرِ مَدْخَلِيَّةِ الْأَسْبَابِ وَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ لَيْسَتْ بِمُطَابِقَةٍ لِنَفْسِ الْأَمْرِ لِأَنَّ تَوَسُّطَ الْأَسْبَابِ كَائِنٌ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ.

وَأَمَّا مُعَامَلَةُ التَّكْمِيلِ وَالْإِرْشَادِ فَهِيَ عَلَى عَكْسِ مُعَامَلَةِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ، فَإِنَّ فِي مَقَامِ الْإِرْشَادِ كُلَّمَا كَانَ النُّزُولُ أَكْثَرَ يَكُونُ الْإِرْشَادُ أَكْمَلَ وَأَوْفَرَ فَإِنَّ حُصُولَ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْمُرْشِدِ وَالْمُسْتَرْشِدِ لَازِمٌ فِي الْإِرْشَادِ وَهُوَ مَنُوطٌ بِالنُّزُولِ.

(وَاعْلَمْ) أَنَّ الْفَوْقَ كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ يَكُونُ النُّزُولُ أَكْثَرَ فِي الْأَغْلَبِ، وَلِهَذَا كَانَ عُرُوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ الْكُلِّ وَنَزَلَ وَقْتَ النُّزُولِ أَسْفَلَ مِنَ الْكُلِّ، وَلِذَا كَانَتْ دَعْوَتُهُ أَتَمَّ وَكَانَ مُرْسَلًا إِلَى كَافَّةِ الْأَنَامِ لِأَنَّهُ قَدْ حَصَلَتْ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَاسَبَةٌ بِالْكُلِّ بِوَاسِطَةِ نِهَايَةِ النُّزُولِ وَكَانَ طَرِيقُ إِفَادَتِهِ أَتَمَّ، وَكَثِيرًا مَا تَقَعُ إِفَادَةُ الطَّالِبِينَ مِنْ مُتَوَسِّطِي هَذَا الطَّرِيقِ مَا لَا يَتَيَسَّرُ مِنَ الْمُنْتَهِينَ غَيْرِ الْمَرْجُوعِينَ، فَإِنَّ فِي الْمُتَوَسِّطِينَ زِيَادَةَ مُنَاسَبَةِ الْمُبْتَدِئِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُنْتَهِينَ غَيْرِ الْمَرْجُوعِينَ. وَمِنْ هَهُنَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ: "لَوْ كَانَ الْخَرْقَانِيُّ وَمُحَمَّدٌ الْقَصَّابُ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ لَأَرْسَلْتُكُمْ إِلَى مُحَمَّدٍ الْقَصَّابِ لَا إِلَى الْخَرْقَانِيِّ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ لَكُمْ مِنَ الْخَرْقَانِيِّ". يَعْنِي كَانَ الْخَرْقَانِيُّ مُنْتَهِيًا، فَيَكُونُ احْتِظَاظُ الْمُرِيدِ مِنْهُ قَلِيلًا. يَعْنِي مُنْتَهِيًا غَيْرَ مَرْجُوعٍ لَا مُنْتَهِيًا مُطْلَقًا، فَإِنَّ عَدَمَ الْإِفَادَةِ التَّامَّةِ غَيْرُ وَاقِعٍ فِي حَقِّهِ فَإِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْيَدُ انْتِهَاءً مِنَ الْكُلِّ وَالْحَالُ أَنَّ إِفَادَتَهُ كَانَتْ أَزْيَدَ مِنَ الْكُلِّ فَكَانَ مَدَارُ زِيَادَةِ الْإِفَادَةِ وَنُقْصَانِهَا عَلَى الرُّجُوعِ وَالْهُبُوطِ لَا عَلَى الِانْتِهَاءِ وَعَدَمِهِ. (وَهَهُنَا) دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ كَمَا أَنَّ فِي حُصُولِ نَفْسِ الْوِلَايَةِ لَا يُشْتَرَطُ لِصَاحِبِهَا الْعِلْمُ بِوِلَايَةِ نَفْسِهِ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ، كَذَلِكَ لَا يُشْتَرَطُ الْعِلْمُ بِوُجُودِ خَوَارِقِهِ الْعَادَاتِ: بَلْ كَثِيرًا مَا يَنْقُلُ النَّاسُ عَنْهُ خَوَارِقَ وَلَا يَكُونُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْخَوَارِقِ اطِّلَاعٌ أَصْلًا وَالْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ وَالْكَشْفِ يَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ اطِّلَاعٌ عَلَى خَوَارِقِهِمْ. بَلْ تَظْهَرُ

صُوَرُهُمُ الْمِثَالِيَّةُ فِي أَمْكِنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَتَظْهَرُ مِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ وَحَالاَتٌ غَرِيبَةٌ فِي مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ وَلاَ اطِّلاَعَ لِصَاحِبِ تِلْكَ الصُّوَرِ عَلَى ذَلِكَ أَصْلاً. (ع) **وَمَا الْفَضْلُ إِلاَّ مِنْهُ** *

وَالْفَقِيرُ مُظْهِرٌ قَالَ حَضْرَةُ مَخْدُومِي وَقِبْلَتِي قُدِّسَ سِرُّهُ يَعْنِي شَيْخَهُ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ: "يَا لَلْعَجَبِ يَجِيءُ النَّاسُ مِنَ الأَطْرَافِ وَالْجَوَانِبِ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: رَأَيْنَاكَ فِي مَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ وَكُنْتَ حَاضِرًا فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ وَحَجَجْنَا مَعًا. وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: رَأَيْنَاكَ فِي بَغْدَادَ وَيُظْهِرُونَ الْمَحَبَّةَ وَالْمَوَدَّةَ. وَأَنَا لَمْ أَخْرُجْ مِنْ بَيْتِي أَصْلاً، وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ هَؤُلاَءِ النَّاسِ فَأَيُّ تُهْمَةٍ يَتَّهِمُونَنِي بِهَا". وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ كُلِّهَا وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِطْنَابٌ. فَإِنْ كَانَ تَعَطُّشُكُمْ مَعْلُومًا أَكْتُبُ سَرِيعًا أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢١٧) الْمَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ طَاهِرِ الْبَدَخْشِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ نِسْبَةَ الْبَاطِنِ كُلَّمَا تَنْجَرُّ إِلَى الْجَهَالَةِ وَالْحَيْرَةِ تَكُونُ أَحْسَنَ وَبَيَانِ سَبَبِ وُقُوعِ الْغَلَطِ فِي بَعْضِ الْكُشُوفِ وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ وَالْمُبْرَمِ وَأَنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَيْهِ هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَأَنَّ إِجَازَةَ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ لاَ يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ مُطْلَقًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ لَمْ تُطْلِعُونِي عَلَى أَحْوَالِكُمْ وَأَوْضَاعِكُمْ مِنْ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ، وَالإِسْتِقَامَةُ مَطْلُوبَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّعْيِ وَالإِجْتِهَادِ لِئَلاَّ يَقَعَ خِلاَفُ الشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ اعْتِقَادًا وَعَمَلاً. وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى النِّسْبَةِ الْبَاطِنِيَّةِ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ، وَكُلَّمَا تَنْجَرُّ النِّسْبَةُ إِلَى جَانِبِ الْجَهَالَةِ تَكُونُ أَحْسَنَ وَكُلَّمَا تَذْهَبُ إِلَى طَرَفِ الْحَيْرَةِ تَكُونُ أَفْضَلَ. وَالْكُشُوفَاتُ الإِلَهِيَّةُ وَالظُّهُورَاتُ الأَسْمَائِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَأَمَّا بَعْدَ الْوُصُولِ فَكُلُّ ذَلِكَ يَقْصُرُ هُنَالِكَ لاَ يَبْقَى فِيهِ غَيْرُ الْجَهَالَةِ وَعَدَمِ وِجْدَانِ الْمَطْلُوبِ. وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنَ الْكُشُوفِ الْكَوْنِيَّةِ فَإِنَّ مَجَالَ الْخَطَأِ فِيهَا كَثِيرٌ، وَمَظِنَّةُ الْغَلَطِ غَالِبَةٌ، فَيَنْبَغِي اعْتِقَادُ أَنَّ وُجُودَهَا وَعَدَمَهَا سِيَّانِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا السَّبَبُ فِي وُقُوعِ الْغَلَطِ فِي بَعْضِ الْكُشُوفِ الْكَوْنِيَّةِ الَّتِي يَصْدُرُ عَنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَظُهُورِ خِلاَفِهَا؟ أَخْبَرَ مَثَلاً أَنَّ فُلاَنًا يَمُوتُ بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ يَرْجِعُ مِنْ سَفَرِهِ إِلَى وَطَنِهِ وَلَمَّا مَضَى ذَلِكَ الشَّهْرُ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ (أُجِيبُ) أَنَّ حُصُولَ هَذَا الأَمْرِ الْمَكْشُوفِ الْمُخْبَرِ عَنْ وُقُوعِهِ كَانَ مَشْرُوطًا بِشَرَائِطَ وَصَاحِبُ الْكَشْفِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى تَفَاصِيلِهَا وَقْتَ الإِخْبَارِ بِهِ فَحَكَمَ بِحُصُولِهِ مُطْلَقًا، أَوْ نَقُولُ إِنَّ حُكْمًا مِنَ الأَحْكَامِ الْمَسْطُورَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ظَهَرَ لِعَارِفٍ وَكَانَ ذَلِكَ الْحُكْمُ قَابِلاً فِي نَفْسِهِ الْمَحْوَ وَالرَّفْعَ وَكَانَ مِنْ قَبِيلِ الْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَارِفِ خَبَرٌ مِنْ كَوْنِهِ مُعَلَّقًا وَقَابِلِيَّتِهِ لِلْمَحْوِ وَالرَّفْعِ.

فإذا أخبر في هذه الصورة بمقتضى علمه وحكم بوقوعه يكون فيه احتمال التخلف البتة (نقل) "أن[1] جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بموت شاب على الصباح فترحم النبي صلى الله عليه وسلم لحاله فسأله عما يتمناه من الدنيا فقال: نكاح بكر، وأكل حلوى فأمر بإحضارهما حالا فبينما الشاب قاعد في الليل مع أهله في خلوته وطبق الحلوى بين أيديهما إذ جاء سائل اتفاقا عند الباب وسأل شيئا لله فناوله الشاب الحلوى كما هو بطبقه فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قعد منتظرا لمجيء خبر فوت الغلام فلما تأخر الخبر قال: أخبروني عن حال ذلك الغلام. فأخبروه بأنه في سرور وفرح فبقي متحيرا فجاءه جبريل عليه السلام فقال: إنه تصدق بالحلوى فدفع ذلك عنه البلوى. فوجدت تحت وسادته حية عظيمة ميتة وبطنها محشو بالحلوى وممتلئ به بحيث ماتت من كثرته"، وأنا لا أقبل هذا النقل، ولا أجوز الخطأ على جبريل فإنه حامل الوحي القطعي وأرى احتمال الخطأ من حامل الوحي مستقبحا اللهم الا أن نقول إن عصمته وعدم احتمال الخطأ منه مخصوصة بالوحي الذي هو تبليغ من قبل الحق سبحانه وهذا الخبر ليس من قسم الوحي بل هو إخبار من علم مستفاد من اللوح المحفوظ الذي هو محل المحو والإثبات فيكون للخطأ مجال في هذا الخبر بخلاف الوحي الذي هو مجرد تبليغ فافترقا كالفرق بين الشهادة والإخبار فإن الأولى معتبرة في الشرع لا الثاني (اعلم) أيدك الله تعالى أن القضاء على قسمين قضاء معلق وقضاء مبرم واحتمال التبديل والتغيير إنما هو في القضاء المعلق وأما القضاء المبرم فلا مجال فيه للتبديل والتغيير قال الله سبحانه وتعالى (ما يبدل القول لدي) هذا في القضاء المبرم وقال في القضاء المعلق (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) قال حضرة قبلتي قدس سره يعني شيخه كتب حضرة السيد محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره في بعض رسائله لا مجال لأحد في تبديل القضاء المبرم الا لي فإني أتصرف فيه أيضا إن أردت ذلك وكثيرا ما كان يتعجب من هذا الكلام ويستبعده وكان هذا النقل مدة مديدة في خزانة ذهن هذا الفقير إلى أن شرفني الله سبحانه بهذه الدولة العظمى حيث كنت يوما في صدد دفع بلية متوجهة إلى بعض الأحبة وكان لي في ذلك الوقت التجاء وتضرع وابتهال وخشوع تام إلى الله تعالى فظهر أن قضاء هذا الأمر ليس بمعلق بأمر آخر في اللوح المحفوظ ولا بمشروط بشرط فحصل بعد هذا نوع يأس وحرمان فخطر في ذلك الوقت قول السيد عبد القادر الجيلاني قدس سره فالتجأت إليه تعالى وتضرعت مرة ثانية وتوجهت إليه سالكا طريق إظهار العجز والإنكسار فأظهر الله سبحانه بأن القضاء المعلق على نوعين قضاء ظهر تعليقه في اللوح المحفوظ وأطلع عليه الملائكة وقضاء تعليقه عند الحق سبحانه فقط وهو على صورة القضاء المبرم في اللوح المحفوظ وفي القسم الأخير من القضاء المعلق احتمال التبديل مثل الأول فصار معلوما من هناك أن كلام السيد

[1] قال مخرج الاحاديث هذا باطل لا اصلا له بل هو من مخترعات الجهلة ولهذا رده الامام الرباني قدس سره منه (القزاني رحمة الله عليه)

الْخَيَالِيَّ مَصْرُوفٌ إِلَى الْقِسْمِ الْأَخِيرِ الَّذِي لَهُ صُورَةُ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ لَا إِلَى قَضَاءٍ هُوَ مُبْرَمٌ حَقِيقَةً فَإِنَّ التَّصَرُّفَ وَالتَّبْدِيلَ فِيهِ مُحَالَانِ شَرْعًا وَعَقْلًا كَمَا لَا يَخْفَى.

(وَالْحَقُّ) أَنَّ لِأَفْرَادٍ قَلِيلَةٍ اطِّلَاعًا عَلَى حَقِيقَةِ ذَلِكَ الْقَضَاءِ فَكَيْفَ التَّصَرُّفُ هُنَاكَ وَوَجَدْتُ الْبَلِيَّةَ الْمُتَوَجِّهَةَ إِلَى الْأَخِ الْمَذْكُورِ مِنَ الْقِسْمِ الْأَخِيرِ وَصَارَ مَعْلُومًا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ دَفَعَهَا عَنْهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ مُبَارَكًا عَلَيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ عَلَى سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ أَجْمَعِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ وَمُتَابِعِي آثَارِهِمْ بِبَرَكَةِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا (وَلْنَرْجِعْ) إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ وَنَقُولُ: إِنَّ سَبَبَ وُقُوعِ الْخَطَإِ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ الْإِلْهَامِيَّةِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ هُوَ أَنَّ بَعْضَ الْمُقَدِّمَاتِ الْمُسَلَّمَةِ الثَّابِتَةِ عِنْدَ صَاحِبِ الْإِلْهَامِ الْكَاذِبَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ تَلْتَبِسُ وَتَخْتَلِطُ مَعَ الْعُلُومِ الْإِلْهَامِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ صَاحِبُ الْإِلْهَامِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَلْ يَظُنُّ جَمِيعَ تِلْكَ الْعُلُومِ إِلْهَامِيَّةً فَلَا جَرَمَ يَقَعُ الْخَطَأُ فِي الْمَجْمُوعِ بِسَبَبِ الْخَطَإِ فِي بَعْضِ أَجْزَائِهَا وَأَيْضًا قَدْ يُرَى فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ فِي الْكُشُوفِ وَالْوَاقِعَاتِ وَيَتَخَيَّلُ الرَّائِي أَنَّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى ظَاهِرِهَا وَمَقْصُورَةٌ عَلَى صُورَتِهَا فَيَحْكُمُ عَلَى مِقْدَارِ خَيَالِهِ فَيَقَعُ الْخَطَأُ وَلَا يَدْرِي أَنَّ تِلْكَ الْأُمُورَ مَصْرُوفَةٌ عَنْ ظَاهِرِهَا وَمَحْمُولَةٌ عَلَى التَّأْوِيلِ وَالتَّعْبِيرِ وَهَذَا الْمَقَامُ أَيْضًا مِنْ جُمْلَةِ مَقَامَاتِ الْأَغْلَاطِ الْكَشْفِيَّةِ.

(وَبِالْجُمْلَةِ) أَنَّ مَا هُوَ الْقَطْعِيُّ الْحَقِيقُ بِالْإِعْتِمَادِ هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّهُمَا ثَبَتَا بِالْوَحْيِ الْقَطْعِيِّ وَتَقَرَّرَا بِنُزُولِ الْمَلَكِ وَإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ وَاجْتِهَادِ الْمُجْتَهِدِينَ يَعْنِي الْقِيَاسَ رَاجِعَانِ إِلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ وَمَا وَرَاءَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْأَرْبَعَةِ كَائِنًا مَا كَانَ إِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ فَهُوَ مَقْبُولٌ وَإِلَّا فَلَا وَإِنْ كَانَ مِنْ عُلُومِ الصُّوفِيَّةِ وَمَعَارِفِهِمُ الْبَهِيَّةِ وَمِنَ الْإِلْهَامِ وَالْكُشُوفَاتِ السَّنِيَّةِ فَإِنَّ الْوَجْدَ وَالْحَالَ لَا يُشْتَرَى هُنَاكَ بِنِصْفِ شَعِيرَةٍ مَا لَمْ يُوزَنْ بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ وَالْإِلْهَامُ وَالْكُشُوفُ لَا يُقْبَلُ عَلَى نِصْفِ دَانِقٍ مَا لَمْ يُجَرَّبْ بِمِحَكِّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَقْصُودُ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ حُصُولُ ازْدِيَادِ الْيَقِينِ بِحَقِّيَّةِ الْمُعْتَقَدَاتِ الشَّرْعِيَّةِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ وَحُصُولُ الْيُسْرِ فِي أَدَاءِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لَا أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرُّؤْيَةَ مَوْعُودَةٌ فِي الْآخِرَةِ لَيْسَتْ بِوَاقِعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَلِّيَاتُ الَّتِي الصُّوفِيَّةُ مَسْرُورُونَ بِهَا اطْمِئْنَانٌ بِالظِّلَالِ أَوْ تَسَلٍّ بِالشَّبَهِ وَالْمِثَالِ وَهُوَ تَعَالَى وَرَاءَ الْوَرَاءِ فَإِنْ كَشَفْتُ عَنْ حَقِيقَةِ هَذِهِ الْمُشَاهَدَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ كَمَا هِيَ أَخَافُ مِنْ وُقُوعِ الْفُتُورِ فِي طَلَبِ مُبْتَدِئِي هَذَا الطَّرِيقِ وَتَطَرُّقِ الْقُصُورِ إِلَى شَوْقِهِمْ وَإِنْ سَكَتُّ عَنْ ذَلِكَ مَعَ وُجُودِ الْعِلْمِ بِهِ أَخَافُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُجَوِّزًا لِالْتِبَاسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ فَبِالضَّرُورَةِ أَرَدْتُ أَنْ أُظْهِرَ هَذَا الْقَدْرَ وَهُوَ أَنَّ تَجَلِّيَاتِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمُشَاهَدَاتِهِ يَنْبَغِي أَنْ تُعْرَضَ عَلَى مِحَكِّ تَجَلِّي كَلِيمِ اللَّهِ مُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَشُهُودِهِ فَإِنْ لَمْ تَصِحَّ يَعْنِي لَمْ تُطَابِقْهُ بَلْ خَالَفَتْهُ يَنْبَغِي أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهَا بِكَوْنِهَا مِنْ جُمْلَةِ

التجليات الظلالية والمثالية بالضرورة ولا يجوز أن تصح يعني تطابق ألبتة فإن الدك والفلق مفقود ولا بد منه في الدنيا سواء تجلى للباطن أو للظاهر فإنه يلزمه الدك والفلق ألبتة وخاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام لكونه مبرأ من هذه الوصمة تيسرت له الرؤية في الدنيا ولم يذهب عن مكانه مقدار شعرة ولا تكون هي بلا حجاب ظل من الظلال لكمل تابعيه صلى الله عليه وسلم من الذين لهم نصيب من هذا المقام فهمه صاحب التجلي أو لا فإذا وقع الصعق لكليم الله موسى عليه السلام من مشاهدة هذا الحال فقط من غير وقوع التجلي له ماذا يقع لغيره. (ثم اعلم) أن المقصود من إجازة بعض المخلصين هو أن يكون ذلك المجاز دليلا وهاديا إلى طريق الحق جل وعلا لجماعة في مثل هذا الزمان الذي فشت فيه الضلالة والبدعة ويشتغل هو أيضا باتفاق هؤلاء الطلبة ويترقى ويسعى محافظا على هذه النسبة ويجتهد لأن يكون المسترشدون أيضا متشرفين بهذه الدولة لا أن الإجازة توقعه في توهم الكمال والتكميل وتمنعه من المقصود ما على الرسول إلا البلاغ والسلام.

(٢١٨) المكتوب الثامن عشر والمائتان إلى الملا داود في بيان لزوم رعاية آداب شيخ الطريقة

وصل المكتوب الشريف من الأخ الأعز الملا داود وصار موجبا للابتهاج جعل الحق سبحانه ظاهره وباطنه متحليا ومتزينا بمرضياته بحرمة النبي وآله الأمجاد عليه و عليهم الصلاة والسلام. المطلوب عدم وقوع الفتور في تكرار ذكر القلب والاستقامة على طريقة الأكابر قدس الله أسرارهم بسبب توجهات شتى فمتى طرأت الظلمة والكدورة فرضا فعلاجها الالتجاء والتضرع والابتهال والانكسار إلى جناب قدس الحق جل سلطانه والتوجه التام إلى مربيه فإنه هو الوسيلة إلى حصول هذه الدولة فينبغي رعاية آداب وسائل هذه الدولة العظمى كما هو حقها في الحضور والغيبة وأن يجعل رضاء هؤلاء الأكابر وسيلة إلى تحصيل رضاء الحق سبحانه وهذا هو طريق النجاة والفلاح والسلام.

(٢١٩) المكتوب التاسع عشر والمائتان إلى الميرزا أيرج في بيان أن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه وتركه ما يعنيه ويهمه من جهله وغفلته

عصمكم الله سبحانه عما يصمكم وصانكم عما شانكم بحرمة سيد الأولين والآخرين عليه وعلى آله الصلاة والسلام (أيها) السعيد النجيب إن الإنسان إذا طرأ عليه مرض من الأمراض الظاهرة أو عرضت لعضو من أعضائه آفة يسعى سعيا بليغا حتى يندفع عنه ذلك المرض وتزول عنه تلك الآفة وقد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلق القلب بما دون الحق جل وعلا على نهج كاد يوقعه في

الْمَوْتَ الْأَبَدِيَّ وَيُلْقِيهِ فِي الْعَذَابِ السَّرْمَدِيِّ وَهُوَ لاَ يَتَفَكَّرُ بَعْدُ فِي إِزَالَتِهِ أَصْلاً وَلاَ يَسْعَى فِي دَفْعِهِ قَطْعًا فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّعَلُّقَ مَرَضٌ فَهُوَ سَفِيهٌ مَحْضٌ وَإِنْ عَلِمَ وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يُبَالِي بِهِ فَهُوَ بَلِيدٌ صِرْفٌ وَلِأَجْلِ إِدْرَاكِ هَذَا الْمَرَضِ لاَ بُدَّ مِنْ عَقْلِ الْمَعَادِ فَإِنَّ عَقْلَ الْمَعَاشِ لِقُصُورِ فِكْرِهِ مَقْصُورٌ عَلَى إِدْرَاكِ الظَّاهِرِ لاَ يَتَعَدَّاهُ إِلَى بَوَاطِنِ الْأُمُورِ فَكَمَا أَنَّ عَقْلَ الْمَعَاشِ لاَ يُدْرِكُ الْمَرَضَ الْمَعْنَوِيَّ أَوْ لاَ يَرَاهُ مَرَضًا بِوَاسِطَةِ ابْتِلاَئِهِ بِالتَّلَذُّذَاتِ الْفَانِيَةِ وَانْغِمَاسِهِ فِيهَا كَذَلِكَ عَقْلُ الْمَعَادِ لاَ يُحِسُّ الْأَمْرَاضَ الصُّورِيَّةَ وَلاَ يَعُدُّهَا أَمْرَاضًا بِسَبَبِ رَجَائِهِ الْمَثُوبَاتِ الْأُخْرَوِيَّةَ عَقْلُ الْمَعَاشِ قَصِيرُ النَّظَرِ وَعَقْلُ الْمَعَادِ حَدِيدُ الْبَصَرِ عَقْلُ الْمَعَادِ نَصِيبُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَعَقْلُ الْمَعَاشِ مَرْغُوبُ الْأَغْنِيَاءِ وَأَرْبَابِ الدُّنْيَا شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا. وَالْأَسْبَابُ الْمُحَصِّلَةُ لِعَقْلِ الْمَعَادِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَتَذَكُّرُ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَمُجَالَسَةُ قَوْمٍ تَشَرَّفُوا بِدَوْلَةِ فِكْرِ الْآخِرَةِ، (شِعْرٌ):

دَلَلْتُكَ يَا هَذَا عَلَى كَنْزِ مَقْصَدٍ *** فَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْلُغْ لَعَلَّكَ تَبْلُغُ

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ كَمَا أَنَّ مَرَضَ الظَّاهِرِ مُوجِبٌ لِلْعُسْرَةِ وَالتَّعَبِ فِي أَدَاءِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كَذَلِكَ مَرَضُ الْبَاطِنِ أَيْضًا مُسْتَلْزِمٌ لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) وَالْمُسْتَلْزِمُ لِذَلِكَ الْعُسْرِ فِي الظَّاهِرِ ضَعْفُ الْقُوَى وَالْجَوَارِحِ وَفِي الْبَاطِنِ ضَعْفُ الْيَقِينِ وَنَقْصُ الْإِيمَانِ وَإِلاَّ فَلَيْسَ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ عُسْرٌ أَصْلاً بَلْ فِيهَا كُلِّهَا تَخْفِيفٌ وَتَمَامُ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) شَاهِدَانِ عَدْلاَنِ لِهَذَا الْمَعْنَى،

(شِعْرٌ):

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْأُفُقِ طَالِعَةً *** أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

فَكَانَ فِكْرُ إِزَالَةِ هَذَا الْمَرَضِ لاَزِمًا وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَى الْأَطِبَّاءِ الْحُذَّاقِ فَرْضًا ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [1] وَالسَّلاَمُ وَالْإِكْرَامُ.

(٢٢٠) الْمَكْتُوبُ الْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ حَمِيدِ الْبَنْكَالِيِّ

فِي بَيَانِ بَعْضِ أَغْلاَطِ الصُّوفِيَّةِ وَبَيَانِ مَنْشَأِ غَلَطَاتِهِمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. اعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذَا الْجَانِبِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُوجِبَةٌ لِازْدِيَادِ الشُّكْرِ يَوْمًا فَيَوْمًا وَنَتَوَقَّعُ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْأَحْبَابِ

---

(١) الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

التَّائِبِينَ (أَيُّهَا الْعَزِيزُ) إِنَّ مَزَلَّةَ أَقْدَامِ السَّالِكِينَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ غَيْبِ الْغَيْبِ كَثِيرَةٌ يَنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَعِيشَ مُحَافِظًا عَلَى حَبْلِ الشَّرِيعَةِ فِي الاعْتِقَادِيَّاتِ وَالْعَمَلِيَّاتِ وَهَذَا نَصِيحَتِي فِي الْحُضُورِ وَالْغَيْبَةِ عَلَى فَرْضِ وُقُوعِ الْغَفْلَةِ وَهَا أَنَا أَكْتُبُ بَعْضَ أَغْلَاطِ هَذَا الطَّرِيقِ وَأُعَيِّنُ مَنْشَأَ الْغَلَطِ يَنْبَغِي مُلَاحَظَتُهُ بِنَظَرِ الْإِعْتِبَارِ وَيُعْمَلُ فِيمَا وَرَاءَ الْجُزْئِيَّاتِ الْمَذْكُورَةِ بِمِقْيَاسِهَا.

(اعْلَمْ) أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَغْلَاطِ الصُّوفِيَّةِ هُوَ أَنَّ السَّالِكَ يَجِدُ نَفْسَهُ أَحْيَانًا فِي مَقَامَاتِ الْعُرُوجِ فَوْقَ قَوْمٍ ثَبَتَ أَفْضَلِيَّتُهُمْ عَلَيْهِ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ وَمَقَامُهُ دُونَ مَقَامَاتِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ فِي الْحَقِيقَةِ يَقِينًا بَلْ رُبَّمَا يَكُونُ هَذَا الْإِشْتِبَاهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الْخَلَائِقِ قَطْعًا عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ هَذَا الْإِشْتِبَاهِ وَمَنْشَأُ غَلَطِ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ هُوَ أَنَّ نِهَايَةَ عُرُوجِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَوَّلًا إِلَى أَسْمَاءٍ إِلَهِيَّةٍ هِيَ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِ وُجُودِهِمْ وَبِهَذَا الْعُرُوجِ يَتَحَقَّقُ اسْمُ الْوِلَايَةِ وَيَسْتَحِقُّهُ السَّالِكُ وَالْعُرُوجُ ثَانِيًا فِي تِلْكَ الْأَسْمَاءِ ثُمَّ مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَكِنْ مَأْوَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمَرْجِعُهُمْ وَمَنْزِلُهُمْ مَعَ وُجُودِ هَذَا الْعُرُوجِ هُوَ ذَلِكَ الْإِسْمُ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ وُجُودِهِ وَلِهَذَا إِذَا طَلَبَهُمْ سَالِكٌ فِي مَقَامَاتِ الْعُرُوجِ يَجِدُهُمْ فِي تِلْكَ الْأَسْمَاءِ فَإِنَّ مَكَانَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ الطَّبِيعِيَّ فِي مَرَاتِبِ الْعُرُوجِ هُوَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالْعُرُوجُ وَالْهُبُوطُ مِنْهَا بِوَاسِطَةِ الْعَوَارِضِ فَالسَّالِكُ الْعَالِي الْفِطْرَةِ إِذَا وَقَعَ سَيْرُهُ فَوْقَ الْأَسْمَاءِ لَا جَرَمَ يَتَرَقَّى عَلَى أَعْلَى مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ الْكِبَارِ فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ ذَلِكَ التَّوَهُّمُ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ أَنْ يُزِيلَ ذَلِكَ التَّوَهُّمُ الْيَقِينَ السَّابِقَ وَيُورِثَ الْإِشْتِبَاهَ فِي أَفْضَلِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَوْلَوِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ ثَبَتَ أَفْضَلِيَّتُهُمْ وَأَوْلَوِيَّتُهُمْ بِالْإِجْمَاعِ وَهَذَا الْمَقَامُ مِنْ مَزَالِّ أَقْدَامِ السَّالِكِينَ وَلَا يَدْرِي السَّالِكُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرَ قَدْ عَرَجُوا مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ عُرُوجَاتٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ وَبَلَغُوا مَحَلًّا لَا يُمْكِنُ الْعُرُوجُ فَوْقَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ أَمْكِنَتُهُمُ الطَّبِيعِيَّةُ وَلَهُ أَيْضًا مَكَانٌ طَبِيعِيٌّ هُنَاكَ أَدْوَنُ مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَأَنْزَلُ فَإِنَّ أَفْضَلِيَّةَ كُلِّ شَخْصٍ بِاعْتِبَارِ أَقْدَمِيَّةِ الْإِسْمِ الَّذِي كَانَ مَبْدَأً لِتَعَيُّنِهِ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ إِنَّ الْعَارِفَ لَا يَجِدُ الْبَرْزَخِيَّةَ الْكُبْرَى حَائِلَةً فِي مَقَامَاتِ الْعُرُوجِ أَحْيَانًا وَيَتَرَقَّى مِنْ غَيْرِ وَسَاطَتِهَا قَالَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا إِنَّ رَابِعَةَ كَانَتْ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ أَيْضًا وَهَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةُ لَمَّا تَجَاوَزُوا وَقْتَ الْعُرُوجِ الْإِسْمَ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ الْبَرْزَخِيَّةِ الْكُبْرَى إِلَى مَا فَوْقَهُ تَوَهَّمُوا أَنَّ الْبَرْزَخِيَّةَ الْكُبْرَى لَمْ تَبْقَ حَائِلَةً فِي الْبَيْنِ وَأَرَادُوا بِالْبَرْزَخِيَّةِ الْكُبْرَى حَقِيقَةَ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحَقِيقَةُ الْمُعَامَلَةِ هِيَ أَنَّهُمْ قَدْ جَاوَزُوهَا إِلَى مَا فَوْقَهَا (وَمَنْشَأُ غَلَطِ طَائِفَةٍ أُخْرَى) هُوَ أَنَّ سَيْرَ السَّالِكِ إِذَا وَقَعَ عَلَى اسْمٍ هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِهِ وَذَلِكَ الْإِسْمُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ فَإِنَّ جَامِعِيَّةَ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هِيَ بِسَبَبِ جَامِعِيَّةِ ذَلِكَ الْإِسْمِ فَبِالضَّرُورَةِ يَقْطَعُ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ الْإِسْمِ الْأَسْمَاءَ الَّتِي كَانَتْ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِ مَشَائِخَ أُخَرَ بِالسَّيْرِ الْإِجْمَالِيِّ وَيَتَجَاوَزُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ سَيْرُهُ إِلَى مُنْتَهَى ذَلِكَ الْإِسْمِ فَيَتَوَهَّمُ حِينَئِذٍ تَفَوُّقَهُ إِيَّاهُمْ وَلَا يَدْرِي أَنَّ مَا يَرَاهُ مِنْ مَقَامَاتِ الْمَشَائِخِ الَّتِي تَعَدَّاهَا إِنَّمَا هِيَ أُنْمُوذَجُ مَقَامَاتِهِمْ لَا حَقِيقَتُهَا وَحَيْثُ

أنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ جَامِعًا وَظَنَّ الآخَرِينَ أَجْزَاءَهُ فَلاَ جَرَمَ يُورِثُ ذَلِكَ تَوَهُّمَ أَوْلَوِيَّته. وَقَالَ شَيْخُ بِسْطَامٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ غَلَبَةِ السُّكْرِ: لِوَائِي أَرْفَعُ مِنْ لِوَاءِ مُحَمَّدٍ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ أَرْفَعِيَّةَ لِوَائه لَيْسَتْ هِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى لِوَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُنْمُوذَجِه الَّذِي صَارَ مَشْهُودًا لَهُ فِي ضِمْنِ حَقِيقَة اسْمِه وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا قَالَهُ هُوَ أَيْضًا مُخْبِرًا عَنْ وُسْعَةِ قَلْبِه إِذَا أُلْقِيَ الْعَرْشُ وَمَا فِيه فِي زَاوِيَةِ قَلْبِ الْعَارِفِ لاَ يَكُونُ مَحْسُوسًا أَصْلاً وَهُنَا أَيْضًا اشْتِبَاهُ الأُنْمُوذَجِ بِالْحَقِيقَة وَإِلاَّ فَالْعَرْشُ الَّذِي قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّه إِنَّهُ عَظِيمٌ أَيُّ اعْتِبَارٍ وَأَيُّ مِقْدَارٍ لِقَلْبِ الْعَارِفِ فِي جَنْبِه وَالظُّهُورُ الَّذِي فِي الْعَرْشِ لَيْسَ فِي الْقَلْبِ عُشْرَ عَشِيرِه وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الْقَلْبُ قَلْبَ عَارِفٍ وَالرُّؤْيَةُ الأُخْرَوِيَّةُ تَتَحَقَّقُ بِالظُّهُورِ الْعَرْشِيِّ يَعْنِي تَكُونُ مِثْلَهُ وَهَذَا الْكَلاَمُ وَإِنْ كَانَ الْيَوْمَ ثَقِيلاً عَلَى بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ وَلَكِنَّهُ يَكُونُ مَعْلُومًا لَهُمْ فِي الآخِرِ. (وَلْنُوَضِّحْ) هَذَا الْمَبْحَثَ بِمِثَالٍ وَهُوَ أَنَّ الإِنْسَانَ جَامِعٌ لِمَا فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ وَالأَفْلاَكِ فَإِذَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى جَامِعِيَّةِ نَفْسِه وَرَأَى الْعَنَاصِرَ وَالأَفْلاَكَ أَجْزَاءَ نَفْسِه وَغَلَبَ عَلَيْهِ هَذِه الرُّؤْيَةُ فَلاَ يَبْعُدُ أَنْ يَقُولَ إِنِّي أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الأَرْضِ وَأَعْظَمُ مِنَ السَّمٰوَاتِ فَفِي هَذَا الْوَقْتِ يَفْهَمُ الْعُقَلاَءُ أَكْبَرِيَّتَهُ وَأَعْظَمِيَّتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَجْزَاءِ نَفْسِه فَإِنَّ الْكُلَّ أَعْظَمُ مِنَ الْجُزْءِ وَأُكَرُ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ لَيْسَتْ مِنْ أَجْزَائِه فِي الْحَقِيقَة بَلْ جُعِلَتْ أُنْمُوذَجَاتُهُ أَجْزَاءَهُ وَأَكْبَرِيَّتُهُ إِنَّمَا هِيَ بِالنَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الأُنْمُوذَجَاتِ الَّتِي هِيَ أَجْزَاؤُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى أُكَرِ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ وَبِسَبَبِ هَذَا الاِشْتِبَاهِ يَعْنِي اشْتِبَاهَ أُنْمُوذَجِ شَيْءٍ بِحَقِيقَتِه قَالَ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ إِنَّ الْجَمْعَ الْمُحَمَّدِيَّ أَجْمَعُ مِنَ الْجَمْعِ الإِلٰهِيِّ فَإِنَّ الْجَمْعَ الْمُحَمَّدِيَّ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْحَقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ وَالإِلٰهِيَّةِ فَيَكُونُ أَجْمَعَ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ ذَلِكَ اشْتِمَالَ ظِلٍّ مِنْ ظِلاَلِ مَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَّةِ وَأُنْمُوذَجٍ مِنْ أُنْمُوذَجَاتِهَا لاَ أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى حَقِيقَةِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْمُقَدَّسَةِ فَإِنَّهُ لاَ مِقْدَارَ لِلْجَمْعِ الْمُحَمَّدِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي الْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ مِنْ لَوَازِمِهَا مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ (وَأَيْضًا) إِنَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي يَقَعُ فِيه سَيْرُ السَّالِكِ عَلَى اسْمٍ هُوَ رَبُّهُ يَظُنُّ أَحْيَانًا أَنَّ بَعْضَ الأَكَابِرِ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ يَقِينًا قَدْ وَصَلُوا بِتَوَسُّطِه إِلَى بَعْضِ الدَّرَجَاتِ الْفَوْقَانِيَّةِ وَتَرَقَّوْا بِتَوَسُّلِه وَهَذَا أَيْضًا مِنْ مَزَالِّ أَقْدَامِ السَّالِكِينَ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ حَيْثُ يَرَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ بِهَذَا الْكَمَالِ وَيَقَعُ فِي الْخَسَارَةِ وَأَيُّ عَجَبٍ وَأَيَّةُ فَضِيلَةٍ إِذَا سَارَ السُّلْطَانُ عَظِيمُ الشَّأْنِ تَاجُ الْبُرْهَانِ تَحْتَ نُصْرَةِ وَاحِدٍ مِنْ وُزَرَائِه الَّذِي هُوَ تَحْتَ حُكُومَتِه وَطَاعَتِه وَوَصَلَ بِتَوَسُّطِ ذَلِكَ الْوَزِيرِ إِلَى بَعْضِ الْمَحَلاَّتِ وَفَتَحَ بِتَوَسُّلِه بَعْضَ الْبِلاَدِ وَالْمَوَاضِعِ.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ هُنَا احْتِمَالَ فَضْلٍ جُزْئِيٍّ وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْمَبْحَثِ فَإِنَّ كُلَّ حَجَّامٍ وَحَائِكٍ لَهُ فَضْلٌ مِنْ بَعْضِ وُجُوهٍ مَخْصُوصٍ بِه عَلَى عَالِمٍ ذِي فُنُونٍ وَحَكِيمٍ حَاذِقٍ وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْفَضْلَ خَارِجٌ مِنْ حَيِّزِ الاِعْتِبَارِ وَالْمُعْتَبَرُ إِنَّمَا هُوَ الْفَضْلُ الْكُلِّيُّ الَّذِي هُوَ ثَابِتٌ لِلْعَالِمِ وَالْحَكِيمِ وَقَدْ وَقَعَ لِهَذَا الدَّرْوِيشِ مِنْ هَذِه الاِشْتِبَاهَاتِ كَثِيرٌ وَنَشَأَ مِنْهَا تَخَيُّلاَتٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ فِيه مُدَّةً كَثِيرَةً وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ حِفْظُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ شَامِلَ حَالِه فَلَمْ يَطْرَأْ عَلَى يَقِينِه السَّابِقِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنَ التَّذَبْذُبِ وَلَمْ يَتَطَرَّقِ الْفُتُورُ إِلَى الاِعْتِقَادِ

الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِهِ وَمَا ظَهَرَ عَلَى خِلَافِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ أَسْقَطَهُ عَنْ حَيِّزِ الْإِعْتِبَارِ وَصَرَفَهُ إِلَى مَحَامِلَ حَسَنَةٍ وَعَلِمَ بِالْعِلْمِ الْإِجْمَالِيِّ هَذَا الْقَدْرَ أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ الْمَشْهُودَةَ فِي الْكَشْفِ تَكُونُ رَاجِعَةً عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ إِلَى الْفَضْلِ الْجُزْئِيِّ وَإِنْ تُعَارِضْ ذَلِكَ وَسْوَسَةُ أَنَّ مَدَارَ الْفَضْلِ عَلَى الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ ذَلِكَ الْقُرْبِ فَكَيْفَ تَكُونُ فَضْلًا جُزْئِيًّا وَلَكِنْ صَارَتْ هَذِهِ الْوَسْوَسَةُ فِي جَنْبِ الْيَقِينِ السَّابِقِ هَبَاءً مَنْثُورًا وَلَمْ يَبْقَ لَهَا اعْتِبَارٌ أَصْلًا بَلِ الْتَجَأَ إِلَيْهِ تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ وَالْإِنَابَةِ وَالْإِنْكِسَارِ وَدَعَا لَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّضَرُّعِ وَالْإِبْتِهَالِ لِئَلَّا يَظْهَرَ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْكُشُوفِ وَكَيْلَا يَنْكَشِفَ لَهُ مَا يُخَالِفُ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَقَدْ غَلَبَ يَوْمًا خَوْفُ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَذِهِ الْكُشُوفِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ عَنْ هَذِهِ التَّوَهُّمَاتِ وَأَزَالَتْ غَلَبَةُ هَذَا الْخَوْفِ عَنِّي الْقَرَارَ وَأَوْرَثَتْنِي الْقَلَقَ وَالْإِضْطِرَابَ فَصَارَ الْإِلْتِجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَامْتَدَّتْ تِلْكَ الْحَالَةُ إِلَى مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ فَاتَّفَقَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُرُورِي عَلَى قَبْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَعِزَّةِ فَاسْتَمْدَدْتُ بِهِ وَاسْتَعَنْتُ فِي هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ فَأَدْرَكَتْنِي فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ عِنَايَةُ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ وَانْكَشَفَتْ حَقِيقَةُ الْمُعَامَلَةِ كَمَا يَنْبَغِي وَحَضَرَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ رُوحَانِيَّةُ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ فَسَلَّى الْخَاطِرَ الْحَزِينَ وَصَارَ مَعْلُومًا لِي تَشْرِيفُهُ أَنْ نَعَمْ إِنَّ الْقُرْبَ الْإِلَهِيَّ مُوجِبٌ لِلْفَضْلِ الْكُلِّيِّ وَلَكِنَّ هَذَا الْقُرْبَ الَّذِي حَصَلَ لَكَ قُرْبٌ ظِلٌّ مِنْ ظِلَالِ مَرَاتِبِ الْأُلُوهِيَّةِ مَخْصُوصٌ بِاسْمٍ هُوَ رَبُّكَ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ الْقُرْبُ مُوجِبًا لِلْفَضْلِ الْكُلِّيِّ وَانْكَشَفَتْ صُورَةُ هَذَا الْمَقَامِ الْمِثَالِيَّةُ عَلَى نَهْجٍ لَمْ يَبْقَ مَحَلٌّ لِلرَّيْبِ فَزَالَ التَّوَهُّمُ بِالْكُلِّيَّةِ وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الدَّرْوِيشُ فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ بَعْضَ الْعُلُومِ الَّتِي فِيهَا مَحَلُّ اشْتِبَاهٍ وَفِيهَا مَجَالٌ لِلتَّأْوِيلِ وَالتَّوْجِيهِ فَلَمَّا صِرْتُ مُبَشَّرًا بِذَلِكَ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ مَنْشَأَ أَغْلَاطِ تِلْكَ الْعُلُومِ عَلَى وَفْقِ مَا لَاحَ لِي بِمَحْضِ فَضْلِ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ وَأَنْشُرَهُ فَإِنَّ الذَّنْبَ الْمُشْتَهِرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنِ اشْتِهَارِ التَّوْبَةِ لِئَلَّا يَفْهَمَ النَّاسُ مِنْ تِلْكَ الْعُلُومِ خِلَافَ الشَّرِيعَةِ فَيَقَعُوا بِالتَّقْلِيدِ عَلَى الضَّلَالَةِ وَكَيْلَا يَسْلُكُوا مَسْلَكَ التَّضْلِيلِ وَالتَّجْهِيلِ بِالتَّعَصُّبِ وَالتَّكَلُّفِ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَزْهَارِ تَتَفَتَّقُ كَثِيرًا فِي هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ غَيْبِ الْغَيْبِ فَجَمَاعَةٌ تُؤَدِّيهِمْ إِلَى الْهِدَايَةِ وَطَائِفَةٌ تُؤَدِّيهِمْ إِلَى الضَّلَالَةِ وَقَدْ سَمِعْتُ وَالِدِي الْمَاجِدَ قُدِّسَ سِرُّهُ يَقُولُ: إِنَّ مَنْشَأَ ضَلَالَةِ أَكْثَرِ الْمُبْتَدِعِينَ مِنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَخُرُوجَهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هُوَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا فِي طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَلَمْ يُتِمُّوا السُّلُوكَ فَغَلِطُوا وَضَلُّوا وَالسَّلَامُ.

(٢٢١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى السَّيِّدِ حُسَيْنٍ الْمَانِكْپُورِيِّ فِي خَصَائِصِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَأَفْضَلِيَّتِهَا عَلَى سَائِرِ الطُّرُقِ وَمَدْحِ أَهْلِهَا وَمَا يُنَاسِبُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ لَعَلَّ الْأَخَ الْأَعَزَّ مَعْدِنَ السِّيَادَةِ الْمِيرَ حُسَيْنٍ لَمْ يَنْسَ الْتَائِبِينَ الْمَهْجُورِينَ وَعَسَاهُ لَمْ يُضَيِّعْ رِعَايَةَ آدَابِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الَّتِي

هِيَ مُمْتَازَةٌ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ طُرُقِ الْمَشَائِخِ الْكِرَامِ مِنْ وُجُوهٍ وَقَدْ كَانَ مُدَّةُ مُلاقَاتِكُمْ وَفُرْصَةُ صُحْبَتِكُمْ قَلِيلَةً جِدًّا فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ بَعْضَ خَصَائِصِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ وَكَمَالاتِهَا فِي ضِمْنِ عُلُومٍ عَالِيَةٍ وَمَعَارِفَ سَامِيَةٍ وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ إِدْرَاكَ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ بِالْفِعْلِ بَعِيدٌ عَنْ أَذْهَانِ الْمُسْتَمِعِينَ وَلَكِنَّ إِظْهَارَ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَارِفِ مَبْنِيٌّ عَلَى مُلاحَظَةِ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ فِي الْمُسْتَمِعِينَ اسْتِعْدَادًا لِهَذِهِ الْعُلُومِ وَأَنْ تُرَى بَعِيدَةً عَنْ شَأْنِهِمْ بِالْفِعْلِ وَثَانِيهُمَا أَنَّ الْمُخَاطَبَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا مُعَيَّنًا فِي الظَّاهِرِ وَلَكِنَّ الْمُخَاطَبَ فِي الْحَقِيقَةِ شَخْصٌ هُوَ مَحْرَمٌ لِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ السَّيْفُ لِلضَّارِبِ مِثْلُ مَشْهُورٍ **(أَيُّهَا الأَخُ)** إِنَّ رَأْسَ سِلْسِلَةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ السَّنِيَّةِ وَرَئِيسَ أَهْلِهَا هُوَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَبِهَذَا الاِعْتِبَارِ وَقَعَ فِي عِبَارَةِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنَّ نِسْبَتَنَا فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ فَإِنَّ نِسْبَتَهُمُ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْحُضُورِ وَالشُّعُورِ الْخَاصِّ هِيَ بِعَيْنِهَا نِسْبَةُ الصِّدِّيقِ وَحُضُورُهُ الَّذِي فَوْقَ جَمِيعِ الْحُضُورِ وَفِي هَذَا الطَّرِيقِ انْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ قَالَ الْخَوَاجَهُ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ : نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي الْبِدَايَةِ، (ع): **وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي** *

(فَإِنْ قِيلَ): إِذَا كَانَتْ نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةً فِي نِهَايَتِهِمْ فَمَا تَكُونُ نِهَايَتُهُمْ وَأَيْضًا إِذَا كَانَتْ نِهَايَةُ غَيْرِهِمُ الْوُصُولَ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإِلَى أَيْنَ يَكُونُ سَيْرُهُمْ مِنَ الْحَقِّ لَيْسَ وَرَاءَ عَبَّادَانَ قَرْيَةٌ مَثَلٌ مَشْهُورٌ **(أُجِيبَ)** أَنَّ نِهَايَةَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِنْ تَيَسَّرَتْ هِيَ الْوَصْلُ الْعُرْيَانُ الَّذِي عَلامَةُ حُصُولِهِ حُصُولُ الْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ فَافْهَمْ فَإِنَّ كَلامَنَا إِشَارَةٌ لا يُدْرِكُهَا إِلاَّ الأَقَلُّ مِنَ الْخَوَاصِّ بَلْ مِنْ أَخَصِّ الْخَوَاصِّ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا عَلامَةَ حُصُولِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى فَإِنَّ جَمْعًا مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ بَاحُوا بِالْوَصْلِ الْعُرْيَانِ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى قَالُوا بِالْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَأَذْعَنُوا بِالْحِرْمَانِ وَلَكِنْ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ يَكَادُونَ يَظُنُّونَهُ جَمْعًا بَيْنَ الضِّدَّيْنِ وَيَعُدُّونَهُ مِنَ الْمُحَالاتِ وَالَّذِينَ يَدَّعُونَ الْوَصْلَ يَرَوْنَ الْيَأْسَ حِرْمَانًا وَالَّذِينَ يَدَّعُونَ الْيَأْسَ يَظُنُّونَ الْوَصْلَ عَيْنَ الْفَصْلِ وَهَذَا كُلُّهُ عَلامَةُ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ الْعُلْيَا.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّهُ قَدْ أَشْرَقَ عَلَى بَوَاطِنِهِمْ شُعَاعٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَالِي فَظَنَّهُ جَمْعٌ وَصْلاً وَجَمْعٌ آخَرُ يَأْسًا وَهَذَا التَّفَاوُتُ نَشَأَ مِنْ جِهَةِ اسْتِعْدَادِ كُلٍّ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمُنَاسِبَ لاسْتِعْدَادِ طَائِفَةٍ وَصْلٌ وَالْمُوَافِقَ لاسْتِعْدَادِ طَائِفَةٍ أُخْرَى يَأْسٌ وَاسْتِعْدَادُ الْيَأْسِ أَحْسَنُ عِنْدَ الْفَقِيرِ مِنِ اسْتِعْدَادِ الْوَصْلِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الْوَصْلِ وَالْيَأْسِ هُنَاكَ مُلازِمًا لِلآخَرِ **(وَجَوَابُ)** الاِعْتِرَاضِ الثَّانِي أَيْضًا صَارَ لائِحًا مِنْ هَذَا الْجَوَابِ فَإِنَّ الْوَصْلَ الْمُطْلَقَ غَيْرُ الْوَصْلِ الْعُرْيَانِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَنَعْنِي بِالْوَصْلِ الْعُرْيَانِ رَفْعَ الْحُجُبِ كُلِّهَا وَزَوَالَ الْمَوَانِعِ بِأَسْرِهَا وَلَمَّا كَانَ أَعْظَمُ الْحُجُبِ وَأَقْوَاهَا هِيَ التَّجَلِّيَاتِ الْمُتَنَوِّعَةَ وَالظُّهُورَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ لا بُدَّ مِنْ أَنْ تَنْقَضِيَ وَتَتِمَّ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتُ وَالظُّهُورَاتُ بِتَمَامِهَا سَوَاءٌ كَانَ التَّجَلِّي وَالظُّهُورُ فِي الْمَرَايَا الإِمْكَانِيَّةِ أَوِ الْمَجَالِي الْوُجُوبِيَّةِ فَإِنَّهُمَا فِي حُصُولِ الْحُجُبِ بِهِمَا سِيَّانِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ بِالشَّرَفِ وَالرُّتْبَةِ فَإِنَّهُ خَارِجٌ مِنْ نَظَرِ الطَّالِبِ. **(فَإِنْ قِيلَ)** يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنْ يَكُونَ لِلتَّجَلِّيَاتِ نِهَايَةٌ وَقَدْ صَرَّحَ الْمَشَائِخُ بِأَنَّهُ لا نِهَايَةَ

لِلتَّجَلِّيَاتِ (أُجِيبُ) أَنَّ عَدَمَ نِهَايَةِ التَّجَلِّيَاتِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ وُقُوعِ السَّيْرِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِالتَّفْصِيلِ وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا يَتَيَسَّرُ الْوُصُولُ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلَا يَحْصُلُ الْوَصْلُ الْعُرْيَانُ فَإِنَّ الْوُصُولَ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مَنُوطٌ بِطَيِّ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ فَتَكُونُ إِذًا لِلتَّجَلِّيَاتِ نِهَايَةٌ. (فَإِنْ قِيلَ) قَدْ قِيلَ بِعَدَمِ نِهَايَةِ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ أَيْضًا كَمَا صَرَّحَ بِهِ مَوْلَانَا الْعَارِفُ الْجَامِيُّ فِي شَرْحِ اللَّمَعَاتِ فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ الْقَوْلُ بِنِهَايَةِ التَّجَلِّيَاتِ (أُجِيبُ) أَنَّ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةَ لَيْسَتْ بِلَا مُلَاحَظَةِ الشُّئُونِ وَالْاِعْتِبَارَاتِ أَيْضًا فَإِنَّ التَّجَلِّيَ لَا يُمْكِنُ بِدُونِ مُلَاحَظَتِهَا وَمَا نَحْنُ فِي صَدَدِ بَيَانِهِ أَمْرٌ يَكُونُ فِيمَا وَرَاءَ التَّجَلِّيَاتِ صِفَاتِيَّةً كَانَتْ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتُ أَوْ ذَاتِيَّةً فَإِنَّ إِطْلَاقَ التَّجَلِّي غَيْرُ جَائِزٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ أَيَّ مَحَلٍّ كَانَ لِأَنَّ التَّجَلِّيَ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ شَيْءٍ فِي مَرْتَبَةٍ ثَانِيَةٍ أَوْ ثَالِثَةٍ أَوْ رَابِعَةٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ سَقَطَتِ الْمَرَاتِبُ هُنَا بِأَسْرِهَا وَطُوِيَتِ الْمَسَافَةُ بِتَمَامِهَا (فَإِنْ قِيلَ) فَبِأَيِّ اعْتِبَارٍ قِيلَ لِتِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ ذَاتِيَّةٌ (أُجِيبُ) أَنَّ التَّجَلِّيَاتِ إِنْ كَانَتْ بِمُلَاحَظَةِ مَعَانٍ زَائِدَةٍ يَعْنِي عَلَى الذَّاتِ فَهِيَ التَّجَلِّيَاتُ الصِّفَاتِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ بِمُلَاحَظَةِ مَعَانٍ غَيْرِ زَائِدَةٍ فَهِيَ التَّجَلِّيَاتُ الذَّاتِيَّةُ وَلِهَذَا قِيلَ لِمَرْتَبَةِ الْوَحْدَةِ الَّتِي هِيَ التَّعَيُّنُ الْأَوَّلُ وَلَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ عَلَى الذَّاتِ تَجَلِّيًا ذَاتِيًّا وَمَطْلَبُنَا حَضْرَةُ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلَا مَجَالَ لِمُلَاحَظَةِ الْمَعَانِي فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ أَصْلًا سَوَاءٌ كَانَتِ الْمَعَانِي زَائِدَةً أَوْ لَا فَإِنَّ الْمَعَانِيَ قَدْ طُوِيَتْ بِالْكُلِّيَّةِ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ وَتَيَسَّرَ الْوُصُولُ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُتَعَالِي (يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْوَصْلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْمِثَالِ كَالْمَطْلَبِ وَالْاِتِّصَالِ الَّذِي يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ وَيَفْهَمُهُ خَارِجٌ عَنِ الْمَبْحَثِ وَغَيْرُ لَائِقٍ بِذَلِكَ الْجَنَابِ الْمُقَدَّسِ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْمِثَالِيِّ إِلَى الْمُنَزَّهِ عَنِ الْمِثَالِ لَا يَحْمِلُ عَطَايَا الْمَلِكِ إِلَّا مَطَايَاهُ (قَالَ فِي الْمَثْنَوِي)، (شِعْرٌ):

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ *** اِتِّصَالًا دُونَ كَيْفٍ أَوْ قِيَاسٍ

وَلَمْ يُخْبِرْ أَحَدٌ مِنْ مَشَايِخِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ عَنْ نِهَايَةِ طَرِيقِهِ وَقَدْ أَخْبَرُوا عَنِ ابْتِدَاءِ طَرِيقِهِمْ حَيْثُ قَالُوا إِنَّ فِيهِ انْدِرَاجَ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ فَإِذَا كَانَتْ بِدَايَتُهُمْ مُمْتَزِجَةً بِالنِّهَايَةِ فَنِهَايَتُهُمْ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً لِبِدَايَتِهِمْ وَتِلْكَ النِّهَايَةُ هِيَ مَا امْتَازَ الْفَقِيرُ بِإِظْهَارِهَا، (شِعْرٌ):

فَإِذَا أَتَى بَابَ الْعَجُوزِ خَلِيفَةٌ *** إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سِبَالِكَا

لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ (أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ الْوَاصِلِينَ إِلَى هَذِهِ النِّهَايَةِ مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِينَ هُمْ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَصْحَابِ طُرُقٍ أُخَرَ لَوْ عَدَدْتُ أَفْرَادَهُمْ يَكَادُ الْمُقَرَّبُونَ يَظُنُّونَ التَّبَاعُدَ وَيَسْتَبْعِدُهُ الْمُبْعَدُونَ بِالْإِنْكَارِ وَالتَّعَانُدِ وَأَيُّ اسْتِبْعَادٍ هُنَاكَ فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لِكَمَالِ الْوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ بِتَفَضُّلِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمِنْ جُمْلَةِ خَصَائِصِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ السَّفَرُ فِي الْوَطَنِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّيْرِ الْأَنْفُسِيِّ وَالسَّيْرُ الْأَنْفُسِيُّ وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فِي طَرِيقِ جَمِيعِ الْمَشَايِخِ وَلَكِنَّهُ يَتَيَسَّرُ فِي طَرِيقِهِمْ فِي النِّهَايَةِ بَعْدَ قَطْعِ السَّيْرِ الْآفَاقِيِّ بِخِلَافِ هَذَا الطَّرِيقِ فَإِنَّ الْاِبْتِدَاءَ فِيهِ مِنْ هَذَا السَّيْرِ وَالسَّيْرُ

الآفَاقِيُّ إِنَّمَا يُقْطَعُ فِي ضِمْنِهِ وَمَنْشَأُ حُصُولِ هَذَا السَّيْرِ فِي الإِبْتِدَاءِ هُوَ انْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ (وَخَاصَّةٌ أُخْرَى) لِهَذَا الطَّرِيقِ الْخَلْوَةُ فِي الْخَلْوَةِ الَّتِي هِيَ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَى تَيَسُّرِ السَّفَرِ فِي الْوَطَنِ فَيُسَافِرُ فِي بَيْتِ الْخَلْوَةِ الْوَطَنِيِّ فِي عَيْنِ تَفْرِقَةِ الْخَلْوَةِ وَلاَ يَتَطَرَّقُ تَفْرِقَةُ الآفَاقِ إِلَى حُجْرَةِ الأَنْفُسِ وَهَذِهِ الْخَلْوَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُتَيَسِّرَةً لِمُنْتَهِي طُرُقٍ أُخَرَ وَلَكِنْ لَمَّا تَيَسَّرَتْ فِي هَذَا الطَّرِيقِ فِي الإِبْتِدَاءِ صَارَتْ مِنْ خَوَاصِّ هَذَا الطَّرِيقِ (وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ) أَنَّ الْخَلْوَةَ فِي الْخَلْوَةِ إِنَّمَا هِيَ عَلَى تَقْدِيرِ غَلْقِ أَبْوَابِ بَيْتِ الْخَلْوَةِ الْوَطَنِيِّ وَسَدِّ طَاقَاتِهِ يَعْنِي لاَ يَلْتَفِتُ فِي تَفْرِقَةِ الْخَلْوَةِ إِلَى أَحَدٍ وَلاَ يَكُونُ مُخَاطِبًا فِيهَا وَلاَ مُتَكَلِّمًا لاَ أَنَّهُ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ وَيُعَطِّلُ بِالتَّكَلُّفِ حَوَاسَّهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِهَذَا الطَّرِيقِ (أَيُّهَا الأَخُ) إِنَّ كُلَّ هَذَا التَّمَحُّلِ وَالتَّكَلُّفِ إِنَّمَا هُوَ فِي الإِبْتِدَاءِ وَالْوَسَطِ وَأَمَّا فِي الإِنْتِهَاءِ فَلاَ شَيْءَ يَلْزَمُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ التَّمَحُّلاَتِ بَلْ فِيهِ جَمْعِيَّةٌ فِي عَيْنِ التَّفْرِقَةِ وَحُضُورٌ فِي نَفْسِ الْغَفْلَةِ وَلاَ يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّفْرِقَةَ وَعَدَمَ التَّفْرِقَةِ مُتَسَاوِيَتَانِ فِي حَقِّ الْمُنْتَهِي مُطْلَقًا فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّ التَّفْرِقَةَ وَعَدَمَ التَّفْرِقَةِ مُتَسَاوِيَتَانِ فِي حُصُولِ نَفْسِ جَمْعِيَّةِ الْبَاطِنِ وَمَعَ ذَلِكَ لَوْ جَمَعَ الظَّاهِرَ مَعَ الْبَاطِنِ وَدُفِعَتِ التَّفْرِقَةُ أَيْضًا عَنِ الظَّاهِرِ لَكَانَ أَوْلَى وَأَنْسَبَ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ إِرْشَادًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾[1]

(وَيَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يَكُونُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ بُدٌّ مِنْ تَفْرِقَةِ الظَّاهِرِ لِتُؤَدَّى حُقُوقُ الْخَلْقِ فَصَارَتْ تَفْرِقَةُ الظَّاهِرِ مُسْتَحْسَنَةً أَيْضًا فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ وَأَمَّا تَفْرِقَةُ الْبَاطِنِ فَلَيْسَتْ بِجَائِزَةٍ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ أَصْلاً فَإِنَّهُ خَالِصٌ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ فَكَانَتْ ثَلاَثَةُ حِصَصٍ مِنَ الْعِبَادِ الْمُسْلِمِينَ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ تَمَامُ الْبَاطِنِ وَنِصْفُ الظَّاهِرِ وَالنِّصْفُ الثَّانِي مِنْهُ بَقِيَ لأَدَاءِ حُقُوقِ الْخَلْقِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ فِي أَدَاءِ تِلْكَ الْحُقُوقِ امْتِثَالُ أَوَامِرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ كَانَ ذَلِكَ النِّصْفُ الآخَرُ أَيْضًا رَاجِعًا إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (وَفِي) هَذَا الطَّرِيقِ تَتَقَدَّمُ الْجَذْبَةُ عَلَى السُّلُوكِ وَابْتِدَاءُ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ لاَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ بِخِلاَفِ أَكْثَرِ طُرُقٍ أُخَرَ وَقَطْعُ مَنَازِلِ السُّلُوكِ مُنْدَرِجٌ فِيهِ فِي ضِمْنِ طَيِّ مَعَارِجِ الْجَذْبَةِ. وَسَيْرُ عَالَمِ الْخَلْقِ مُيَسَّرٌ فِي ضِمْنِ سَيْرِ عَالَمِ الأَمْرِ فَبِهَذَا الإِعْتِبَارِ لَوْ قِيلَ إِنَّ فِي هَذَا الطَّرِيقِ انْدِرَاجَ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ لَسَاغَ فَعُلِمَ مِنَ الْبَيَانِ السَّابِقِ آنِفًا أَنَّ سَيْرَ الإِبْتِدَاءِ[2] مُنْدَرِجٌ فِي هَذَا الطَّرِيقِ فِي سَيْرِ الإِنْتِهَاءِ لاَ أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ مِنْ سَيْرِ الإِبْتِدَاءِ إِلَى سَيْرِ الإِنْتِهَاءِ وَيَسِيرُونَ فِي الْبِدَايَةِ بَعْدَ تَمَامِ سَيْرِ النِّهَايَةِ فَبَطَلَ زَعْمُ مَنْ قَالَ إِنَّ نِهَايَةَ هَذَا الطَّرِيقِ بِدَايَةُ طُرُقِ سَائِرِ الْمَشَائِخِ. (فَإِنْ قِيلَ) قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ مَشَائِخِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنَّ سَيْرَهُمْ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَقَعُ بَعْدَ تَمَامِ نِسْبَتِهِمْ فَصَحَّ أَنَّ نِهَايَتَهُمْ بِدَايَةُ غَيْرِهِمْ فَإِنَّ السَّيْرَ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الإِبْتِدَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّيْرِ فِي التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ (أُجِيبَ) أَنَّ السَّيْرَ فِي

---

(1) الآية: ٨ من سورة المزمل.

[2] اى السير الذى يقع فى الابتداء فى سائر الطرق وهو سير عالم الخلق مندرج فى سير الانتهاء فى تلك الطرق وهو سير عالم الامر فلا يلزم المحذور المذكور (القزانى رحمة الله عليه)

الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَيْسَ هُوَ بَعْدَ السَّيْرِ فِي التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ بَلْ يَقَعُ ذَلِكَ السَّيْرُ يَعْنِي السَّيْرَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي ضِمْنِ هَذَا السَّيْرِ يَعْنِي السَّيْرَ فِي التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ السَّيْرَ الْأَسْمَائِيَّ وَالصِّفَاتِيَّ كُلَّمَا ظَهَرَ بِسَبَبِ عُرُوضِ بَعْضِ الْعَوَارِضِ يَسْتَتِرُ سَيْرُ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَيُتَخَيَّلُ أَنَّهُ قَدْ تَمَّ وَشَرَعَ فِي التَّجَلِّيَاتِ الْأَسْمَائِيَّةِ وَالصِّفَاتِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ نَعَمْ قَدْ يَقَعُ الرُّجُوعُ إِلَى الْعَالَمِ بَعْدَ تَمَامِ السَّيْرِ فِي مَدَارِجِ الْوِلَايَةِ لِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا فَإِنْ زَعَمَ ذَلِكَ الرُّجُوعَ نِهَايَتَهُمْ وَتَخَيَّلَهُ بِدَايَةً فَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَعِيدٍ وَلَكِنَّهُ مَا يَقُولُ فِي مَشَايِخِهِ فَإِنَّ لَهُمْ أَيْضًا هَذَا الرُّجُوعَ فِي النِّهَايَةِ (وَأَيْضًا) إِنَّ الْمُرَادَ بِالْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ بِدَايَةُ الْوِلَايَةِ وَنِهَايَتُهَا وَسَيْرُ هَذَا الرُّجُوعِ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْوِلَايَةِ بَلْ هُوَ نَصِيبٌ مِنْ مَرْتَبَةِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ وَهَذَا الطَّرِيقُ أَقْرَبُ الطُّرُقِ وَمُوصِلٌ أَلْبَتَّةَ قَالَ الْخَوَاجَهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: إِنَّ طَرِيقَنَا أَقْرَبُ الطُّرُقِ وَقَالَ سَأَلْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا يَكُونُ مُوصِلًا أَلْبَتَّةَ وَصَارَ سُؤَالُهُ هَذَا مَقْرُونًا بِالْإِجَابَةِ كَمَا نَقَلَهُ فِي الرَّشَحَاتِ عَنِ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ قُدِّسَ سِرُّهُ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَقْرَبَ وَمُوصِلًا وَقَدِ انْدَرَجَ الْإِنْتِهَاءُ فِي ابْتِدَائِهِ فَيَا شَقَاوَةَ مَنْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ثُمَّ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ وَيَبْقَى بِلَا نَصِيبٍ مِنْهُ، (شِعْرٌ):

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْأُفْقِ طَالِعَةً * أَنْ لَا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ**

نَعَمْ إِذَا وَقَعَ الطَّالِبُ فِي يَدِ النَّاقِصِ فَمَا ذَنْبُ الطَّرِيقِ وَمَا تَقْصِيرُ الطَّالِبِ فَإِنَّ الْمُوصِلَ فِي الْحَقِيقَةِ دَلِيلُ هَذَا الطَّرِيقِ لَا نَفْسُ هَذَا الطَّرِيقِ (وَفِي ابْتِدَاءِ) هَذَا الطَّرِيقِ حَلَاوَةٌ وَوِجْدَانٌ وَفِي انْتِهَائِهِ مَرَارَةٌ وَفِقْدَانٌ وَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْيَأْسِ بِخِلَافِ طُرُقٍ أُخَرَ فَإِنَّ فِي ابْتِدَائِهَا مَرَارَةً وَفِقْدَانًا وَفِي انْتِهَائِهَا حَلَاوَةً وَوِجْدَانًا (وَأَيْضًا) فِي ابْتِدَاءِ هَذَا الطَّرِيقِ قُرْبٌ وَشُهُودٌ وَفِي انْتِهَائِهِ بُعْدٌ وَحِرْمَانٌ بِخِلَافِ طُرُقِ سَائِرِ الْمَشَايِخِ الْكِرَامِ يَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ تَفَاوُتَ الطُّرُقِ مِنْ هُنَا وَأَنْ يَعْرِفَ عُلُوَّ هَذَا الطَّرِيقِ الْعَالِي لِأَنَّ الْقُرْبَ وَالشُّهُودَ وَالْحَلَاوَةَ وَالْوِجْدَانَ كُلُّ ذَلِكَ يُخْبِرُ عَنِ الْبُعْدِ وَالْحِرْمَانِ بِخِلَافِ الْمَرَارَةِ وَالْفِقْدَانِ فَإِنَّهُمَا يُنْبِئَانِ عَنْ نِهَايَةِ الْقُرْبِ فَهُمْ مَنْ فَهِمَ وَلْنَكْشِفْ فِي شَرْحِ هَذَا السِّرِّ هَذَا الْقَدْرَ وَهُوَ أَنَّهُ لَا أَقْرَبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَنِسْبَةُ الْقُرْبِ وَالشُّهُودِ وَالْحَلَاوَةِ وَالْوِجْدَانِ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي حَقِّ غَيْرِهِ مَعَ أَنَّ بَيْنَهُمَا مُبَايَنَةً وَالْعَاقِلُ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ (وَأَكَابِرُ) هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ جَعَلُوا الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ تَابِعَةً لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْأَذْوَاقَ وَالْمَعَارِفَ خَادِمَةٌ لِلْعُلُومِ لَا يُعَوِّضُونَ الْجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ الشَّرْعِيَّةَ بِجَوْزِ الْوَجْدِ وَمَوْزِ الْحَالِ مِثْلَ الْأَطْفَالِ وَلَا يَغْتَرُّونَ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَقْبَلُونَ الْأَحْوَالَ الَّتِي تَحْصُلُ بِارْتِكَابِ الْمَحْظُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَخِلَافِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَلَا يُرِيدُونَ وَلِهَذَا لَا يُجَوِّزُونَ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَلَا يُقْبِلُونَ عَلَى ذِكْرِ الْجَهْرِ حَالُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ وَوَقْتُهُمْ مُسْتَمِرٌّ وَمُسْتَدَامٌ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الَّذِي هُوَ كَالْبَرْقِ لِغَيْرِهِمْ دَائِمِيٌّ فِي حَقِّهِمْ وَالْحُضُورُ الَّذِي فِي قَفَاهُ غَيْبَةٌ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الْإِعْتِبَارِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ بَلْ مُعَامَلَتُهُمْ فَوْقَ الْحُضُورِ وَالتَّجَلِّي كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا. قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ قُدِّسَ سِرُّهُ إِنَّ أَكَابِرَ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ لَا يُقَاسُونَ عَلَى كُلِّ زَرَّاقٍ وَرَقَّاصٍ فَإِنَّ مُعَامَلَتَهُمْ وَنِسْبَتَهُمْ عَالِيَةٌ جِدًّا (**وَالْمَشِيخَةُ وَالْمُرِيدِيَّةُ**) فِي هَذَا الطَّرِيقِ

بتعليم الطريقة وتعلمها لا بالكلاه والشجرة كما أن ذلك صار رسمًا في طرق أكثر المشايخ حتى أن متأخريهم جعلوا المشيخة والمريدية منحصرة في الكلاه والشجرة ومن ههنا لا يجوزون تعدد الشيخ ويسمون معلم الطريقة مرشدًا لا شيخًا ولا يراعون آداب المشايخ معه حق رعايتها وهذا من كمال جهالتهم ونقصان عقولهم أو لا يعلمون أن مشائخهم قالوا لشيخ التعليم وشيخ الصحبة أيضًا شيخًا وجوزوا تعدد الشيخ بل قالوا إذا رأى الطالب رشده في محل آخر جاز له أن يختار شيخًا آخر ولو في حياة شيخه الأول بلا إنكار عليه وقد أخذ الخواجة النقشبند فتوى صحيحًا من علماء بخارى في تجويز هذا المعنى نعم إذا لبس من شيخ خرقة الإرادة لا يلبسها من غيره وأما خرقة التبرك فلا مانع من لبسها ولا يلزم من ذلك أن لا يتخذ شيخًا آخر أصلًا بل يجوز أن يلبس خرقة الإرادة من شيخ وأن يتعلم الطريقة من آخر وأن يصحب ثالثا ولكن إن تيسرت هذه الدول الثلاث من واحد فهي نعمة عظيمة ويجوز أن يستفيد التعليم من مشايخ متعددة

وكذلك له أن يصحب مشايخ متعددة (وينبغي) أن يعلم أن الشيخ هو من يري المريد طريق الحق سبحانه وتعالى وهذا المعنى ملحوظ وموجود في تعليم الطريقة بل أزيد وأوضح وشيخ التعليم هو أستاذ الشريعة ودليل الطريقة أيضًا بخلاف شيخ الخرقة فينبغي إذ رعاية آداب شيخ التعليم حق رعايتها وأن يكون هو أحق باسم الشيخوخة (والرياضات) والمجاهدات في هذا الطريق إنما هي بإتيان الأحكام الشرعية والتزام متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية فإن المقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب رفع أهواء النفس الأمارة التي انتصبت لمعاداة مولاها جل سلطانه فصار رفع أهواء النفس مربوطًا بإتيان الأحكام الشريعة وكل من كان أرسخ في إتيان الأحكام الشرعية يكون أبعد عن هواء النفس الشقية فإذا لا يكون شيء أشق على النفس الأمارة من امتثال الأوامر الشرعية واجتناب مناهيها ولا يتصور انكسار بدون تقليد صاحب الشريعة وما يختارون من الرياضات والمجاهدات وراء تقليد السنة فليست هي بمعتبرة فإن جوكية الهنود وبراهمهم وفلاسفة اليونان شركاء في ذلك الأمر ولا تزيد الرياضات في حقهم شيئًا غير الضلالة والخسارة (وتسليك) الطالب في هذا الطريق مربوط بتصرف الشيخ المقتدى به لا يفتح الأمر بدون تصرفه فإن اندراج النهاية في البداية أثر من آثار توجهه الشريف وحصول المعنى المنزه عن الكيف والمثال نتيجة كمال تصرفه المنيف وكيفية الغيبة والذهول التي اعتبروها طريقًا مخفيًا ليس حصولها في اختيار المبتدئ والتوجه العاري عن الجهات الست ليس وجوده في حوصلة الطالب،

(شعر):

ما أحسن النقشبنديين سيرتهم *** يمشون بالركب مخفيين للحرم

وَكَمَا أَنَّ فِي هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ قُدْرَةً كَامِلَةً عَلَى إِعْطَاءِ النِّسْبَةِ حَيْثُ أَنَّهُمْ يَمْنَحُونَ الطَّالِبَ الصَّادِقَ بِالْحُضُورِ وَالشُّعُورِ فِي مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ كَذَلِكَ فِيهِمْ قُدْرَةٌ تَامَّةٌ عَلَى سَلْبِ تِلْكَ النِّسْبَةِ فَهُمْ يَجْعَلُونَ صَاحِبَ النِّسْبَةِ مُفْلِسًا بِتَرْكِ أَدَبٍ وَاحِدٍ نَعَمْ إِنَّ الَّذِينَ يُعْطُونَ يَأْخُذُونَ أَعَاذَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ غَضَبِهِ وَمِنْ غَضَبِ أَوْلِيَائِهِ (وَأَكْثَرُ) الإِفَادَةِ وَالإِسْتِفَادَةِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ بِالسُّكُوتِ وَقَالُوا مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِسُكُوتِنَا كَيْفَ يَنْتَفِعُ بِكَلَامِنَا وَهَذَا السُّكُوتُ لَمْ يَخْتَارُوهُ بِالتَّكَلُّفِ بَلْ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ طَرِيقِهِمْ فَإِنَّ ابْتِدَاءَ تَوَجُّهِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ إِلَى الأَحَدِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ لَا يُرِيدُونَ بِالإِسْمِ وَالصِّفَةِ غَيْرَ الذَّاتِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُنَاسِبَ وَالْمُلَائِمَ لِهَذَا الْمَقَامِ هُوَ السُّكُوتُ وَالْخَرَسُ "مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَلَّ لِسَانُهُ" مِصْدَاقُ لِهَذَا الْكَلَامِ وَلْنَخْتِمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبِصَلَاةِ حَبِيبِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَالسَّلَامُ.

(٢٢٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ أَشْرَفْ الْكَابِلِيِّ فِي بَيَانِ سُوءِ الأَحْوَالِ وَرُؤْيَةِ الْقُصُورِ فِي الأَعْمَالِ وَإِتِّهَامِ النِّيَّاتِ فِي الْحَسَنَاتِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَرْضَاتِكَ وَثَبِّتْنَا عَلَى طَاعَتِكَ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْكُبَرَاءِ إِنَّ الْمُرِيدَ الصَّادِقَ مَنْ لَا يَكْتُبُ عَلَيْهِ كَاتِبُ شِمَالِهِ شَيْئًا مُدَّةَ عِشْرِينَ سَنَةً وَهَذَا الْفَقِيرُ الْمَمْلُوُّ بِالتَّقْصِيرِ يَجِدُ نَفْسَهُ بِالذَّوْقِ وَالْوِجْدَانِ بِحَيْثُ لَا يَدْرِي أَنَّ كَاتِبَ يَمِينِهِ وَجَدَ لَهُ حَسَنَةً يُدْرِجُهَا فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ بِالتَّصَنُّعِ وَيَجِدُ بِالذَّوْقِ أَيْضًا أَنَّ كُفَّارَ الإِفْرِنْجِ أَفْضَلُ مِنْهُ بِمَرَاتِبَ فَإِنْ سُئِلَ عَنْ لِمِّيَّتِهِ لَا يَعْجِزُ عَنِ الْجَوَابِ وَيَرَى نَفْسَهُ أَيْضًا بِطَرِيقِ الذَّوْقِ مُحَاطًا بِالْخَطِيئَاتِ وَمَشْمُولًا بِالسَّيِّئَاتِ وَمَا وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ يَرَى أَنَّ كَاتِبَ شِمَالِهِ أَحَقُّ بِكِتَابَتِهِ وَيَرَى أَنَّ كَاتِبَ شِمَالِهِ مَشْغُولٌ أَبَدًا وَكَاتِبَ يَمِينِهِ مُعَطَّلٌ وَفَارِغٌ سَرْمَدًا وَيَعْلَمُ أَنَّ صَحِيفَةَ يَمِينِهِ خَالِيَةٌ وَصَحِيفَةَ شِمَالِهِ مَمْلُوءَةٌ لَا رَجَاءَ لَهُ سِوَى الرَّحْمَةِ وَلَا مَدَدَ لَهُ سِوَى الْمَغْفِرَةِ دُعَاءُ اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي مُوَافِقُ حَالِهِ وَالْعَجَبُ أَنَّ الْفُيُوضَاتِ الإِلَهِيَّةَ وَالْوَارِدَاتِ الرَّحْمَانِيَّةَ فَائِضَةٌ عَلَى الدَّوَامِ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ وَتِلْكَ الْوَارِدَاتُ تُؤَيِّدُ رُؤْيَةَ الْقُصُورِ الْمَذْكُورَةِ وَتُقَوِّي مُشَاهَدَةَ الْعُيُوبِ الْمَسْطُورَةِ وَتَزِيدُ مَكَانَ الْعَجَبِ مَنْقَصَةً وَمَحَلَّ التَّرَفُّعِ تَوَاضُعًا وَتَنَزُّلًا فَفِي آنٍ وَاحِدٍ مُشَرَّفٌ بِكَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ وَفِي ذَلِكَ الآنِ مُتَّصِفٌ أَيْضًا بِرُؤْيَةِ الْقُصُورِ وَالنُّقْصَانِ وَكُلَّمَا يَعْرُجُ وَيَتَفَوَّقُ يَرَى نَفْسَهُ أَسْفَلَ بَلْ يَكُونُ عُرُوجُهُ وَتَفَوُّقُهُ سَبَبًا لِرُؤْيَةِ تَنَزُّلِهِ وَتَسَفُّلِهِ يُصَدِّقُ الظُّرَفَاءُ ذَلِكَ أَمْ لَا فَإِنِ اطَّلَعُوا عَلَى سِرِّهِ فَلَعَلَّهُمْ يُصَدِّقُونَ (فَإِنْ قِيلَ) مَا سِرُّ اجْتِمَاعِ هَذَيْنِ الْمُتَنَافِيَيْنِ وَكَيْفَ يَكُونُ وُجُودُ أَحَدِ الْمُتَنَافِيَيْنِ سَبَبًا لِوُجُودِ الآخَرِ .

(الْجَوَابُ) أَنَّ اسْتِحَالَةَ اجْتِمَاعِ الْمُتَنَافِيَيْنِ مَشْرُوطَةٌ بِاتِّحَادِ الْمَحَلِّ وَفِيمَا نَحْنُ فِيهِ الْمَحَلُّ مُتَعَدِّدٌ فَإِنَّ الذَّاهِبَ إِلَى فَوْقِ لَطَائِفِ عَالَمِ الْأَمْرِ مِنَ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ وَالنَّازِلَ إِلَى تَحْتِ لَطَائِفِ عَالَمِ الْخَلْقِ مِنْهُ فَإِنَّهُ كُلَّمَا يَذْهَبُ عَالَمُ الْأَمْرِ إِلَى فَوْقٍ يَكُونُ مُنَاسَبَتُهُ لِعَالَمِ الْخَلْقِ أَقَلَّ وَأَنْقَصَ وَتَقِلُّ تِلْكَ الْمُنَاسَبَةُ وَتَنْقُصُهَا يَكُونُ سَبَبًا لِتَنَزُّلِ عَالَمِ الْخَلْقِ وَكُلَّمَا يَتَنَزَّلُ عَالَمُ الْخَلْقِ وَيَتَسَفَّلُ يَجْعَلُ السَّالِكَ فَاقِدَ الْحَلَاوَةِ وَيَزِيدُهُ رُؤْيَةَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ وَلِهَذَا يَتَمَنَّى الْمُنْتَهُونَ الْإِلْتِذَاذَ الَّذِي كَانَ مُيَسَّرًا لَهُمْ فِي الْإِبْتِدَاءِ ثُمَّ زَالَ عَنْهُمْ فِي الْإِنْتِهَاءِ وَعَرَضَ مَكَانَهُ فِقْدَانُ الْإِلْتِذَاذِ وَعَدَمُ الْحَلَاوَةِ وَلِهَذَا أَيْضًا يَرَى الْعَارِفُ أَنَّ كُفَّارَ الْإِفْرِنْجِ أَفْضَلُ مِنْهُ لِأَنَّ فِي الْكَافِرِ نُورَانِيَّةً بِسَبَبِ امْتِزَاجِ عَالَمِ الْأَمْرِ فِيهِ بِعَالَمِ الْخَلْقِ وَهَذَا الْإِمْتِزَاجُ مَفْقُودٌ فِي الْعَارِفِ بَلْ بَقِيَ فِيهِ عَالَمُ الْخَلْقِ الَّذِي يَقَعُ لَفْظُ أَنَا مِنَ الْعَارِفِ عَلَيْهِ وَحْدَهُ وَهُوَ مَمْلُوءٌ مِنْ ظُلْمَةٍ وَكُدُورَةٍ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى الْقَدَمِ وَلَطَائِفُ عَالَمِ الْأَمْرِ مِنْهُ وَإِنْ نَزَلَتْ إِلَى تَحْتٍ بِطَرِيقِ الرُّجُوعِ لَكِنْ لَا يَكُونُ لَهَا اخْتِلَاطٌ وَامْتِزَاجٌ بِعَالَمِ الْخَلْقِ كَمَا كَانَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَوَصَلَ الْمَكْتُوبُ الْمُرْسَلُ صُحْبَةَ أَخِي الْخَوَاجَةِ مُحَمَّدٍ طَاهِرٍ وَحُصُولُ الرَّابِطَةِ الَّتِي هِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُنَاسَبَةِ التَّامَّةِ فِي زَمَانِ الْغَيْبَةِ يَنْبَغِي أَنْ تَعُدَّهَا مِنْ نِعَمٍ عَظِيمَةٍ وَلْيَكْتَفِ بِقُرْبِ الْقُلُوبِ إِلَى أَنْ تَرْتَفِعَ الْمَوَانِعُ وَمَعَ وُجُودِ هَذَا الْقُرْبِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَخْرُجَ تَمَنِّي قُرْبِ الْأَبْدَانِ مِنَ الْقَلْبِ فَإِنَّ تَمَامَ النِّعْمَةِ مَرْبُوطٌ بِهَذَا الْقُرْبِ أَلَا تَرَى أَنَّ أُوَيْسًا الْقَرَنِيَّ مَعَ وُجُودِ قُرْبِ الْقُلُوبِ فِيهِ لَمْ يَبْلُغْ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُمْ قُرْبُ الْأَبْدَانِ لِعَدَمِ حُصُولِ ذَلِكَ لَهُ وَلِهَذَا لَا يُسَاوِي إِنْفَاقُ جَبَلِ ذَهَبٍ مِنْهُ إِنْفَاقَ مُدِّ شَعِيرٍ مِنْهُمْ فَلَا تَعْدِلُ بِالصُّحْبَةِ شَيْئًا كَائِنًا مَا كَانَ وَالسَّلَامُ.

(٢٢٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْخَوَاجَةِ جَمَالِ الدِّينِ حُسَيْنٍ الْكُولَابِيِّ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى إِظْهَارِ الْأَحْوَالِ لِشَيْخِهِ

لَمْ يُخْبِرِ الْأَخُ الْخَوَاجَةُ جَمَالُ الدِّينِ حُسَيْنٌ مُنْذُ مُدَّةٍ عَنْ كَيْفِيَّاتِ أَحْوَالِهِ أَلَمْ يَسْمَعْ أَنَّ مَشَائِخَ الْكُبْرَوِيَّةِ إِذَا لَمْ يَعْرِضِ الْمُرِيدُ عَلَى شَيْخِهِ أَحْوَالَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يُؤَدِّبُونَهُ مَضَى مَا مَضَى فَلَا يَفْعَلْ ثَانِيًا كَذَلِكَ بَلْ لِيَكْتُبْ كُلَّمَا يَظْهَرُ وَلْيَغْتَنِمْ قُدُومَ الْأَخِ الْأَعَزِّ وَلْيَجْتَهِدْ فِي الْخِدْمَةِ وَاسْتِمَالَةِ خَاطِرِهِ وَلْيَعْتَقِدْ أَنَّ صُحْبَتَهُ شَيْءٌ عَزِيزٌ (ع) دَلَلْتُكَ يَا هَذَا عَلَى كَنْزِ مَقْصِدِ.

(٢٢٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرِ مُحَمَّدٍ نُعْمَانَ الْبَدَخْشِيِّ فِي بَيَانِ رِعَايَةِ الْآدَابِ وَدَفْعِ التَّوَهُّمِ وَالْأَمْرِ بِالْإِحْتِيَاطِ فِي تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَالتَّحَمُّلِ عَلَى شَدَائِدِ الْفَقْرِ وَبَعْضِ النَّصَائِحِ وَالتَّنْبِيهَاتِ الْمَكْتُوبَةِ إِلَى يَارْ مُحَمَّدٍ الْقَدِيمِ فِي ظَهْرِ هَذَا الْمَكْتُوبِ

وَصَلَ مَكْتُوبُ الأَخِ الأَرْشَدِ المِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ وَاتَّضَحَ مَضْمُونُ المُقَدِّمَاتِ الَّتِي رَتَّبَهَا وَفَحْوَى التَّشْكِيكَاتِ الَّتِي أَظْهَرَهَا يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ فِي حَقِّكُمْ إِنَّهُ أَعْقَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ وَمَا مَعْنَى إِيرَادِ أَمْثَالِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ تِبْيَانُكَ وَبَيْنَ مَنْ لاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ مَهْرَبَ عَنْهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى مُقَاطَعَتِهِ وَلاَ يُمْكِنُكَ طَلَبُ مُفَارَقَتِهِ وَأَيُّ مُنَاسَبَةٍ فِي ذَلِكَ وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يُخَيَّلُ لَكَ وُصُولُ غُبَارٍ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ إِلَى خَاطِرِ هَذَا الجَانِبِ حَتَّى يُؤَدِّيَ إِلَى الإِيذَاءِ وَالتَّأَذِّي فَضْلاً عَنْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى التَّبَرِّي فَإِنَّ مَحَاسِنَكُمْ مَنْصُوبَةٌ لَدَى الأَنْظَارِ وَزَلاَّتِكُمْ سَاقِطَةٌ عَنْ حَيِّزِ الاِعْتِبَارِ فَلاَ تُشَوِّشْ خَاطِرَكَ أَصْلاً وَلاَ تَتَصَوَّرْ حُصُولَ الأَذِيَّةِ إِلَى هَذَا الجَانِبِ قَطْعًا فَإِنَّ الأَذِيَّةَ غَيْرُ وَاقِعَةٍ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ وَكَيْفَ تُتَصَوَّرُ الأَذِيَّةُ مَعَ انْتِفَاءِ مُوجِبِ الأَذِيَّةِ وَالأُمُورُ الَّتِي تَظْهَرُ بِالسَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ بِمُقْتَضَى البَشَرِيَّةِ لَيْسَتْ بِلاَئِقَةٍ لِلْمُؤَاخَذَةِ بِهَا فَأَزِحْ تَوَهُّمَ التَّأَذِّي عَنْ لَوْحِ الخَاطِرِ وَكُنْ مَشْغُولاً بِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَإِفَادَةِ الطَّلَبَةِ مِنَ الأَكَابِرِ وَالأَصَاغِرِ.

وَالأَمْرُ بِالاِسْتِخَارَةِ إِنَّمَا هُوَ لِتَأْكِيدِ هَذَا الأَمْرِ لاَ لِنَفْيِهِ فَإِنَّ العَدُوَّ اللَّعِينَ وَالنَّفْسَ الَّتِي الشَّرُّ لَهَا قَرِينٌ لَمَّا كَانَ فِي كَمِينِ هَذَا المِسْكِينِ دَائِمًا لاَ بُدَّ مِنَ الاِحْتِيَاطِ وَالتَّأْكِيدِ لِئَلاَّ تَنْقَلِبَ عَلَيْنَا الأَحْوَالُ وَكَيْلاَ تَظْهَرَ السَّيِّئَاتُ لِعُيُونِنَا فِي صُوَرِ الحَسَنَاتِ بِالتَّمْوِيهَاتِ وَالتَّسْوِيلاَتِ لأَجْلِ الإِضْلاَلِ قِيلَ إِنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ إِذَا جَاءَ مِنْ طَرِيقِ الطَّاعَةِ وَصُورَةِ النَّصِيحَةِ فَدَفْعُهُ مُتَعَسِّرٌ فَيَنْبَغِي لَنَا إِذًا أَنْ نَلْتَجِئَ وَنَتَضَرَّعَ إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ دَائِمًا وَأَنْ نَطْلُبَ مِنْهُ تَعَالَى بِالاِنْكِسَارِ وَالبُكَاءِ أَنْ لاَ يُرَادَ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ خِذْلاَنُنَا وَاسْتِدْرَاجُنَا وَطَرِيقُ الاِسْتِقَامَةِ هُوَ الدَّلاَلَةُ عَلَى السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ (ثُمَّ اعْلَمْ) أَنَّ الفَقْرَ وَالفَاقَةَ جَمَالُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ وَفِي اخْتِيَارِهِ اقْتِدَاءٌ بِسَيِّدِ الكَوْنَيْنِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَقَدْ تَكَفَّلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ بِرِزْقِ عِبَادِهِ وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ فَارِغِينَ مِنْ هَذَا التَّرَدُّدِ كُلَّمَا تَكُونُ النُّفُوسُ أَكْثَرَ يَكُونُ وُصُولُ الأَرْزَاقِ أَوْفَرَ فَيَنْبَغِي التَّوَجُّهُ إِلَى مَرْضِيَّاتِ الحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَإِحَالَةُ غَمِّ المُتَعَلِّقَاتِ عَلَى كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَالبَاقِي عِنْدَ التَّلاَقِي وَقَدْ أَخْبَرَ بَعْضُ الأَصْحَابِ الوَارِدِينَ مِنْ هُنَاكَ أَنَّ تَوَهُّمَ حُصُولِ التَّأَذِّي مُتَمَكِّنٌ فِي خَاطِرِ المِيرْ إِلَى الآنَ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ كَتَبْنَا بِالمُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ فِي رَفْعِ تَوَهُّمِ الأَذِيَّةِ وَأَيْضًا كُنَّا حَرَّرْنَا إِلَى المُلاَّ يَارْ مُحَمَّدْ القَدِيمِ كِتَابًا مُشْتَمِلاً عَلَى النَّصَائِحِ وَالمَوَاعِظِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَضْمُونَهُ لَمْ يُلاَئِمْ طَبِيعَتَهُ حَيْثُ لَمْ يُرْسِلْ جَوَابَهُ بَلْ لَمْ يَسْمَحْ بِإِرْسَالِ الدُّعَاءِ وَمَاذَا أَصْنَعُ إِنْ لَمْ يُلاَئِمْ طَبِيعَتَهُ فَإِنْ لَمْ أُبَيِّنْ مَظَانَّ غَلَطِ جَمَاعَةٍ مَنْسُوبَةٍ إِلَى هَذَا الحَقِيرِ وَمَوَادَّ خَطَائِهِمْ وَلَمْ أُمَيِّزِ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ فَكَيْفَ أَخْرُجُ مِنَ العُهْدَةِ وَبِأَيِّ وَجْهٍ أَذْهَبُ إِلَى الآخِرَةِ،

(شِعْرٌ): **وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ البَلاَغِ أَقُولُهُ *** فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا خَالِصًا أَوْ مَلاَلَةً**

(اعْلَمْ) أَنَّ مَقَامَ المَشْيَخَةِ وَالإِرْشَادِ وَدَعْوَةِ الخَلْقِ إِلَى الحَقِّ وَطَرِيقِ الرَّشَادِ مَقَامٌ عَالٍ جِدًّا وَلَعَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ الشَّيْخَ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ فَأَيُّ مُنَاسَبَةٍ بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ العَلِيَّةِ لِكُلِّ قَاصِرٍ وَعَاجِزٍ،

(شِعْرٌ):

هَلْ كُلُّ مَنْ حَلَتْ رِجْلاً رَجُلُ مَيْدَانٍ * أَوْ كُلُّ مَنْ صَارَ ذَا مُلْكٍ سُلَيْمَانُ**

فَإِنَّ الْعِلْمَ بِتَفَاصِيلِ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَمَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْمُشَاهَدَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَحُصُولَ الْكُشُوفِ وَالْإِلْهَامَاتِ وَظُهُورَ تَعْبِيرِ الْوَاقِعَاتِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ هَذَا الْمَقَامِ الْعَالِي وَبِدُونِهَا خَرْطُ الْقَتَادِ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ أَكَابِرَ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ يُجِيزُونَ بَعْضَ مُرِيدِيهِمْ بِنَوْعِ إِجَازَةٍ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَى مَقَامِ الْمَشْيَخَةِ بِمُلَاحَظَةِ بَعْضِ الْمَصَالِحِ وَيُجَوِّزُونَ فِي حَقِّهِ تَعْلِيمَ الطَّرِيقَةِ لِلطَّالِبِينَ فِي الْجُمْلَةِ لِيَطَّلِعَ عَلَى الْأَحْوَالِ وَالْوَاقِعَاتِ وَيَلْزَمُ الشَّيْخَ الْمُقْتَدَى بِهِ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّجْوِيزِ أَنْ يَأْمُرَ ذَلِكَ الْمُرِيدَ الْمُجَازَ بِالْإِحْتِيَاطِ وَكَشْفِ مَوَادِّ الْغَلَطِ بِالتَّأْكِيدِ وَإِطْلَاعِهِ عَلَى نَقْصِهِ دَائِمًا وَإِظْهَارِ عَدَمِ تَمَامِيَّتِهِ وَكَمَالِهِ بِالْمُبَالَغَةِ فَإِنْ تَسَاهَلَ الشَّيْخُ فِي إِظْهَارِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ يَكُونُ خَائِنًا وَإِنْ سَاءَ ذَلِكَ الْمُرِيدُ يَكُونُ مَخْذُولاً أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ رِضَا الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا مَنُوطٌ بِرِضَا الشَّيْخِ وَسَخَطَهُ تَعَالَى مَرْبُوطٌ بِسَخَطِهِ مَا هَذِهِ الْمُصِيبَةُ وَأَيُّ بَلَاءٍ وَقَعَ أَمَا فَهِمُوا أَنَّ الْإِنْقِطَاعَ عَنَّا إِلَى أَيْنَ يَنْجَرُّ فَإِنْ يَنْقَطِعُوا عَنَّا إِلَى مَنْ يَتَّصِلُونَ فَإِنْ تَطَرَّقَ إِلَى خَاطِرِهِ عِيَاذاً بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ فَقُلْ لَهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ لِيَتُبْ وَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَلْيَلْتَجِئْ وَلْيَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا يَبْتَلِيَهُ بِهَذَا الْإِبْتِلَاءِ الْعَظِيمِ وَأَنْ لَا يُوقِعَهُ فِي هَذَا الْبَلَاءِ الْخَطِيرِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ لَمْ يَقَعْ غُبَارٌ فِي خَاطِرِ هَذَا الْجَانِبِ مَعَ عَدَمِ مُبَالَاتِ الْإِخْوَانِ ذَلِكَ وَاضْطِرَابَاتِهِمْ هَذِهِ كُلِّهَا. وَالْمَرْجُوُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَمُرَّ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ بِالْخَيْرِ وَبَاقِي الْأَحْوَالِ وَالْأَوْضَاعِ يَذْكُرُهُ الْأَخُ الْأَرْشَدُ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ صَالِحٍ بِالتَّفْصِيلِ وَبَعْضُ مَحَالِّ الْإِشْتِبَاهِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَفْضَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

(٢٢٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا طَاهِرِ اللَّاهُورِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ فِي بِدَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ يَحْصُلُ مَا يَحْصُلُ فِي نِهَايَةِ سَائِرِ الطُّرُقِ بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ إِلَخْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ وَنُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْكِرَامِ وَصَلَتِ الْمَكْتُوبَاتُ الشَّرِيفَةُ مُتَوَالِيَةً وَقَدِ انْدَرَجَ فِيهَا بَيَانُ سَعْيِ الطَّالِبِينَ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي الْإِشْتِغَالِ وَالْتِذَاذِهِمْ بِهِ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ فَزَادَتْ فَرَحًا عَلَى فَرَحٍ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ لَمَّا كَانَ فِيهِ انْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ صَارَ يَقَعُ وَيَحْصُلُ لِمُبْتَدِئِي هَذَا الطَّرِيقِ الْعَالِي فِي الْإِبْتِدَاءِ أَحْوَالٌ شَبِيهَةٌ بِأَحْوَالِ الْمُنْتَهِينَ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ التَّمْيِيزُ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا لِعَارِفٍ لَهُ حِدَّةُ النَّظَرِ فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا يَنْبَغِي إِجَازَةُ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ لِأَصْحَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ اعْتِمَادًا عَلَى حُصُولِهَا فَإِنَّ ضَرَرَ أَصْحَابِ الْأَحْوَالِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ فَوْقَ ضَرَرِ مُسْتَرْشِدِيهِمْ لِاحْتِمَالِ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ التَّرَقِّي بِتَخَيُّلِ الْبُلُوغِ مَرْتَبَةَ الْكَمَالِ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُوقِعَهُ حُصُولُ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ مَقَامِ الْإِرْشَادِ فِي بَلَاءٍ عَظِيمٍ فَإِنَّ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بَاقِيَةٌ عَلَى كُفْرِهَا لَمْ تَحْصُلْ لَهَا التَّزْكِيَةُ بَعْدُ مُضِيِّ مَا مَضَى وَالَّذِينَ أَجَزْتَهُمْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُفْهِمَهُمْ بِالْمُلَايَمَةِ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْإِجَازَةِ لَيْسَ مَبْنِيًّا عَلَى

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الْكَمَالِ بَلْ أَمَامَهُمْ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَأَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الْحَاصِلَةَ فِي الْإِبْتِدَاءِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ قَبِيلِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ وَأَنْ تَنْصَحَهُمْ بِالنَّصَائِحِ الْمُنَاسِبَةِ وَأَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَى مَقْصَدِهِمْ وَحَيْثُ أَجَزْتَهُمْ لاَ تَمْنَعْهُمْ مِنْ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَعَسَاهُمْ يَبْلُغُونَ حَقِيقَةَ مَقَامِ الْإِرْشَادِ بِبَرَكَةِ أَنْفَاسِكُمْ ثُمَّ إِنَّكُمْ حَيْثُ شَرَعْتُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَكُونُ مُبَارَكًا فَيَنْبَغِي السَّعْيُ وَالْإِهْتِمَامُ وَالْإِجْتِهَادُ وَالْإِغْتِنَامُ لِيَكُونَ ذَلِكَ بَاعِثًا عَلَى سَعْيِ الطَّالِبِينَ وَاجْتِهَادِهِمْ وَشَوْقِهِمْ وَالسَّلاَمُ.

(٢٢٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى أَخِيهِ الْحَقِيقِيِّ الشَّيْخِ مِيَانْ مُحَمَّدْ فِي بَيَانِ اغْتِنَامِ الْفُرْصَةِ

وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِي الْأَعَزِّ فَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ أَيُّهَا الْأَخُ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِنَّ فُرْصَةَ الْحَيَاةِ قَلِيلَةٌ جِدًّا وَالْعَذَابُ الْأَبَدِيُّ مُتَفَرِّعٌ عَلَيْهَا يَا أَسَفِي عَلَى مَنْ يَصْرِفُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْيَسِيرَةَ فِي تَحْصِيلِ أُمُورٍ لاَ طَائِلَ فِيهَا وَيَلْتَزِمُ الْآلاَمَ الْمُخَلَّدَةَ أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّ النَّاسَ مِنَ الْأَجَانِبِ يَجْتَمِعُونَ مِنَ الْأَطْرَافِ وَالْجَوَانِبِ أَمْثَالَ النَّمْلِ وَالْجَرَادِ تَارِكِينَ الْأَسْبَابَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَتَعْدُونَ بِالذَّوْقِ وَالْحِرْصِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَتَتَمَنَّوْنَ بِالشَّوْقِ حُصُولَهَا جَاهِلِينَ لِقَدْرِ دَوْلَةٍ كَائِنَةٍ فِي الدَّارِ الْحَيَاءُ[1] شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا

(أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنِ اجْتِمَاعِ أَهْلِ اللَّهِ وَهَذَا الْقِسْمَ مِنَ الْجَمْعِيَّةِ لِلَّهِ فِي اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ فِي سَرْهَنْدَ لاَ يُدْرَى أَيَحْصُلُ عُشْرُ عَشِيرِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ طَوْفِ أَطْرَافِ الْعَالَمِ أَمْ لاَ وَأَنْتُمْ ضَيَّعْتُمْ مِثْلَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَجَّانًا وَاسْتَبْدَلْتُمُ الْجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ بِالْجَوْزِ وَالْمَوْزِ مِثْلَ الْأَطْفَالِ (ع) **فَذَا عَارٌ عَلَيْكُمْ أَلْفَ عَارٍ** *

(أَيُّهَا الْأَخُ) لَعَلَّكَ لاَ تُعْطَى الْفُرْصَةَ فِي وَقْتٍ آخَرَ وَلَئِنْ أُعْطِيتَ فَلَعَلَّهُ لاَ يَبْقَى هَذَا الْإِجْتِمَاعُ قَائِمًا فَمَا الْعِلاَجُ إِذًا وَكَيْفَ يُمْكِنُ التَّدَارُكُ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَحْصُلُ التَّلاَفِي غَلِطْتَ وَأَخْطَأْتَ فِي الْفَهْمِ إِيَّاكَ وَأَنْ تُفْتَنَ بِلُقْمَةٍ سَمِينَةٍ لَذِيذَةٍ وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَغْتَرَّ بِأَلْبِسَةٍ مُزَيَّنَةٍ نَفِيسَةٍ فَإِنَّهَا لاَ نَتَائِجَ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ غَيْرَ الْخَسَارَةِ وَالنَّدَامَةِ وَإِلْقَاءُ نَفْسِكَ إِلَى الْبَلاَءِ وَاخْتِيَارُ الْعَذَابِ الْأُخْرَوِيِّ بِوَاسِطَةِ طَلَبِ رِضَا الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ بَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ الْمُدْرِكِ الْمُتَفَكِّرِ لِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ رَزَقَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَقْلَ وَالتَّنَبُّهَ **(أَيُّهَا الْأَخُ)** إِنَّ الدُّنْيَا يُمَثَّلُ بِهَا فِي عَدَمِ الْوَفَاءِ وَأَهْلُهَا مَشْهُورُونَ بِالْخِسَّةِ وَالدَّنَاءَةِ وَالْجَفَاءِ أَلَيْسَ مِنَ الْخَسَارَةِ أَنْ تَصْرِفَ عُمْرَكَ الْعَزِيزَ النَّفِيسَ فِي طَلَبِ عَدِيمِ الْوَفَاءِ وَالْخَسِيسِ ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾[2] وَالسَّلاَمُ.

---

[1] رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

(٢٢٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ طَاهِرِ اللاَّهُورِيِّ فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَقَامِ الْمَشْيَخَةِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ وَقَدْ كَتَبْتُمْ مِنَ انْقِيَادِ الْأَصْحَابِ وَحُصُولِ الْحَلاَوَةِ لَهُمْ فَزَادَ ذَلِكَ فَرَحًا عَلَى فَرَحٍ. (أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ حَيْثُ أَكْرَمَكَ بِهَذَا الْمَنْصِبِ يَنْبَغِي لَكَ أَدَاءُ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْإِحْتِرَازُ عَنْ صُدُورِ أَمْرٍ يَكُونُ بَاعِثًا عَلَى نَفْرَةِ الْخَلْقِ فَإِنَّهُ وَبَالٌ عَظِيمٌ وَتَنْفِيرُ الْخَلْقِ مُنَاسِبٌ لِحَالِ الْمَلاَمَتِيِّ لاَ تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَشْيَخَةِ وَمَقَامِ الدَّعْوَةِ بَلْ مَقَامُ الْمَلاَمَتِيِّ نَقِيضُ مَقَامِ الْمَشْيَخَةِ فَإِيَّاكَ وَالْغَلَطَ فِي هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ أَفَتَمَنِّى الْمَلاَمَتِيَّةَ فِي مَقَامِ الْمَشْيَخَةِ وَهُوَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُحَمِّلَ نَفْسَكَ فِي نَظَرِ الْمُرِيدِينَ وَأَنْ لاَ تُفَرِّطَ فِي الْإِخْتِلاَطِ وَالْمُؤَانَسَةِ بِالْمُسْتَرْشِدِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ بَاعِثٌ عَلَى الْإِسْتِخْفَافِ الْمُنَافِي لِلْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ وَعَلَيْكَ بِرِعَايَةِ حِفْظِ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ حَقَّ رِعَايَتِهَا وَ إِيَّاكَ وَتَجْوِيزَ الْعَمَلِ بِالرُّخْصَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنَّهُ مُنَافٍ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ وَمُنَاقِضٌ لِدَعْوَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ رِيَاءُ الْعَارِفِينَ خَيْرٌ مِنْ إِخْلاَصِ الْمُرِيدِينَ فَإِنَّ رِيَاءَهُمْ إِنَّمَا هُوَ لاِنْجِذَابِ قُلُوبِ الطَّالِبِينَ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ إِخْلاَصِ الْمُرِيدِينَ بِالضَّرُورَةِ.

(وَأَيْضًا) إِنَّ أَعْمَالَ الْعَارِفِينَ أَسْبَابٌ وَوَسَائِطُ لِتَقْلِيدِ الطَّالِبِينَ لَهُمْ فِي إِتْيَانِ الْأَعْمَالِ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلِ الْعَارِفُونَ يَبْقَى الطَّالِبُونَ مَحْرُومِينَ مِنَ الْعَمَلِ فَصُدُورُ الرِّيَاءِ مِنَ الْعَارِفِينَ إِنَّمَا هُوَ لِيَقْتَدِيَ بِهِمُ الطَّالِبُونَ وَهَذَا الرِّيَاءُ عَيْنُ الْإِخْلاَصِ بَلْ أَفْضَلُ مِنْهُ لِأَنَّ نَفْعَهُ مَقْصُورٌ عَلَى صَاحِبِهِ وَذَاكَ مُتَعَدٍّ وَلاَ يَتَوَهَّمُ الْمُتَوَهِّمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَعْمَالَ الْعَارِفِينَ إِنَّمَا هِيَ لِمَحْضِ تَقْلِيدِ الطَّالِبِينَ وَأَنَّهُ لاَ احْتِيَاجَ لَهُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَيْنُ الْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ بَلِ الْعَارِفُ وَالطَّالِبُ سِيَّانِ فِي لُزُومِ إِتْيَانِ الْأَعْمَالِ لاَ غِنًا لِأَحَدٍ عَنْهُ . غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ فِي أَعْمَالِ الْعَارِفِينَ يَكُونُ نَفْعُ الطَّالِبِينَ الَّذِي مَرْبُوطٌ بِالتَّقْلِيدِ مَلْحُوظًا أَيْضًا أَحْيَانًا وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ يُسَمُّونَهَا رِيَاءً وَبِالْجُمْلَةِ يَنْبَغِي التَّحَفُّظُ الْكَامِلُ وَالتَّيَقُّظُ الشَّامِلُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ فِي هَذِهِ الْأَوَانِ فِي شَوْقِ الطَّلَبِ فَلاَ يَقَعُ أَمْرٌ يَكُونُ مُنَافِيًا لِهَذَا الْمَقَامِ وَبَاعِثًا عَلَى طَعْنِ الْجُهَّالِ فِي الْأَكَابِرِ الْكِرَامِ وَعَلَيْكَ بِطَلَبِ الْإِسْتِقَامَةِ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَقَدْ كَتَبْتَ أَيْضًا) حُصُولَ نِسَبِ الْمَشَائِخِ وَقَدْ ذُكِرَ وَجْهُ ذَلِكَ لَكَ مُكَرَّرًا بِالْمُشَافَهَةِ فَلاَ تَفْهَمْ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْئًا فَإِنَّهُ مِمَّا لاَ خَيْرَ فِيهِ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ.

(٢٢٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَقَامِ التَّكْمِيلِ وَتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

وَصَلَ مَكْتُوبُ ٱلْأَخِ مَعْدِنِ السِّيَادَةِ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ (أَيُّهَا ٱلْأَخُ) قَدْ قِيلَ لَكَ مُكَرَّرًا إِنَّ مَدَارَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى أَصْلَيْنِ ٱلْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الشَّرِيعَةِ عَلَى حَدٍّ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْضَى بِتَرْكِ أَدْنَى آدَابِهَا وَرُسُوخِ مَحَبَّةِ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ وَٱلثَّبَاتِ عَلَيْهَا وَٱلْإِخْلَاصِ عَلَى نَهْجٍ لَا يَبْقَى مَجَالُ ٱلْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ أَصْلًا بَلْ يَكُونُ جَمِيعُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ مُسْتَحْسَنَةً وَمَحْبُوبَةً فِي نَظَرِ الْمُرِيدِ وَنَعُوذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ وُقُوعِ خَلَلٍ فِي أَمْرٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ فَإِنَّ هَذَيْنِ ٱلْأَصْلَيْنِ إِذَا كَانَا عَلَى ٱلْإِسْتِقَامَةِ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ نَقْدُ الْوَقْتِ (وَقَدْ فَرَغَ) سَمْعُكُمْ نَصَائِحَ وَوَصَايَا أُخَرَ فَيَنْبَغِي ٱلْإِحْتِيَاطُ فِي مُرَاعَاتِهَا وَتَلَافِي التَّقْصِيرَاتِ بِالتَّضَرُّعِ وَٱلْإِبْتِهَالِ وَأَنْ تَعْتَكِفَ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ هَذِهِ بِنِيَّةِ قَضَاءِ اعْتِكَافِ الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى تَقْدِيرِ تَرْكِهِ مِنَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ فَبِهَذِهِ النِّيَّةِ تَصِيرُ عَامِلًا السُّنَّةَ وَيَنْبَغِي فِي هَذَا ٱلْإِعْتِكَافِ ٱلْإِعْتِذَارُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّقْصِيرَاتِ بِالتَّضَرُّعِ وَٱلْإِنْكِسَارِ وَالْفَقِيرُ أَيْضًا يَكُونُ مُمِدًّا لَكُمْ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَمَا الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْمُبَالَغَةِ وَٱلْإِلْحَاحِ كُلِّهَا فِي تَحْرِيرِ ٱلْإِجَازَةِ وَقَدْ صَدَرَتْ لَكَ إِجَازَةُ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ فَإِنْ لَمْ تَكْفِ هِيَ فَمَا نَفْعُ تَحْرِيرِ ٱلْإِجَازَةِ وَلَا يَلْزَمُ السَّعْيُ وَٱلْإِجْتِهَادُ فِي تَحْصِيلِ كُلِّمَا يَقَعُ فِي الْخَاطِرِ وَقَدْ يَقَعُ أَشْيَاءُ تَرْكُهَا أَوْلَى وَأَنْسَبُ وَالنَّفْسُ اللَّجُوجَةُ إِذَا وَلِعَتْ بِأَشْيَاءَ تُرِيدُ أَنْ تُحَصِّلَهَا وَتُتِمَّهَا وَلَا تُلَاحِظُ فِي حَقِّيَّتِهَا وَبُطْلَانِهَا وَلَقَدْ حَرَّرْتُ فِي حَقِّكُمْ كَلِمَاتٍ كَثِيرَةً نَفَعَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكُونَ فِي فِكْرِ نَفْسِكَ وَتَدْبِيرِ أَمْرِكَ حَتَّى تَذْهَبَ بِسَلَامَةِ ٱلْإِيمَانِ وَمَاذَا تَنْفَعُ ٱلْإِجَازَةُ وَالْمُرِيدُونَ فَإِذَا جَاءَ طَالِبٌ صَادِقٌ حِينَ اشْتِغَالِكَ بِشَأْنِكَ فَحِينَئِذٍ تُعَلِّمُهُ الطَّرِيقَةَ لَا إِنَّكَ تَجْعَلُ تَعْلِيمَ الطَّرِيقَةِ أَصْلَ ٱلْأَمْرِ وَمَقْصُودًا بِالذَّاتِ وَتَجْعَلُ مُعَامَلَتَكَ تَابِعَةً لَهُ وَمَقْصُودًا بِالْعَرَضِ فَإِنَّ ذَلِكَ ضَرَرٌ مَحْضٌ وَخُسْرَانٌ صِرْفٌ.

(٢٢٩) ٱلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ فِي دَفْعِ تَوَهُّمِ تَغْيِيرِ الطَّرِيقَةِ بِضَرْبِ الْمَثَلِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَتِ الْمَكْتُوبَاتُ الشَّرِيفَةُ الْمُرْسَلَةُ مُتَوَالِيَةً فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلْفَرَحِ وَبَاعِثَةً عَلَى إِفْرَاطِ الْمَحَبَّةِ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ وَقَدِ انْدَرَجَ فِيهَا بَعْضُ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ عَلَى سَبِيلِ ٱلْإِجْمَالِ اعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَنَا هَذَا هُوَ طَرِيقُ حَضْرَةِ شَيْخِنَا قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْأَقْدَسَ وَالنِّسْبَةُ هِيَ تِلْكَ النِّسْبَةُ الشَّرِيفَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِحَضْرَتِهِ أَيُّ طَرِيقٍ وَأَيَّةُ نِسْبَةٍ أَوْلَى وَأَنْسَبُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ الْعَالِي وَالنِّسْبَةِ الْعَلِيَّةِ حَتَّى يَخْتَارَهُمَا ٱلْإِنْسَانُ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَةِ وَتَتْمِيمَ كُلِّ نِسْبَةٍ إِنَّمَا هُوَ بِتَلَاحُقِ الْأَفْكَارِ وَتَعَاقُبِ ٱلْأَنْظَارِ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّحْوَ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ قَدْ زَادَ بِتَلَاحُقِ أَفْكَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ بِهِ أَضْعَافَ أَمْثَالِهِ وَصَارَ مُحَرَّرًا وَمُنَقَّحًا وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ ذَلِكَ النَّحْوُ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَزِدْ فِيهِ تَلَاحُقُ أَفْكَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ غَيْرَ تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ أَلَمْ تَسْمَعْ مَقُولَةَ الشَّيْخِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ قُدِّسَ سِرُّهُ حَيْثُ

قال كلما كانت الوسائط أزيد وأكثر يكون الطريق أقرب وأنور وهذا القسم من الزيادة التي حصلت لهذه النسبة العلية بطريق التهذيب والتنقيح وأوردت في معرض القال والتصريح أوقعت جماعة في التخيلات وحقيقة المعاملة هي هذا من غير تكلف وتصنع انظروا إلى مكتوبات الفقير ورسائله حيث أثبت فيها أن هذا الطريق هو طريق الأصحاب الكرام عليهم الرضوان وبرهنت كون هذه النسبة فوق جميع النسب ومدحت هذا الطريق العالي وأكابره على نهج لم يوفق أحد من خلفاء هذه الجماعة العظيمة لإيراد عشر عشيره وأيضا إن الفقير أراعي آداب هذا الطريق على الوجه الأتم في جميع الأوقات وأيام الشدائد ووقت القعود والقيام ولا أجوز مخالفتها والإحداث فيه مقدار ذرة والمحدث أن هذه الصنائع كلها تبدت مستورة عن النظر فإن وقع فرضا كلام غير ملائم في أيام الأذية بالنسبة إلى بعض الأصحاب أثناء المكالمة والمعاتبة كان ذلك منظورا إليه لديكم فالعجب بل أعجب تصديقكم أمثال هذه الكلمات وانزعاجكم بمجرد سماعها فإن كان ذلك مبنيا على حسن الظن فلم تخصصون به تلك الجماعة ألست أنا قابلا لحسن الظن وبالجملة لو كان المدار على القيل والقال لا يتصور الخلاص من يد النمامين والمفترين ولا يتوقع الإخلاص فينبغي ترك القيل والقال ومجاوزته وعدم تذكر الأمور الماضية حتى يتصور الإخلاص وترتفع الكلفة الأولى (وكتبتم) أنه قد جاء وقت تربية أولاد حضرة شيخنا بل كاد أن يفوت وذكرتم وصية حضرة شيخنا قدس سره (أيها المخدوم) المكرم ما أعظم سعادة من يقوم بخدمة مخاديمهم ولكني عذرت نفسي في هذه المدة عن الخدمة الظاهرية بواسطة الموانع المعلومة وأنا منتظر لظهور زمان يمكن فيه إجراء الوصية العلية فإن علمتم الآن عدم المانع وأن طريق القيل والقال صار مسدودا فأشيروا به إلي حتى أذهب وأشتغل بهذه الخدمة أياما ولكن إذا لوحظ في ذلك الأمر حق الملاحظة يعلم أن مباشرتي لذلك الأمر إنما تلزم بمجرد امتثال الأمر وإلا فتربيتكم إياهم ظاهرا وباطنا كافية لا احتياج إلى آخر (وقد أخبرني) أخونا مولانا عبد اللطيف أن الميان محمد قليج أحد المخدوم الأكبر التعليم والتربية الظاهرية وأنكم جوزتم ذلك أيضا فأورثني سماع هذا الخبر تعجبا فإن المذكور وإن تخيل شيئا من قصور إدراكه ولكن كيف تجوزونه ذلك وأنا أخاف من سراية أذية محمد قليج إلى محل آخر.

(٢٣٠) المكتوب الثلاثون والمائتان إلى الشيخ يوسف البركي في علو الهمة وعدم الاكتفاء بكل ما يحصل والاجتهاد في الترقي وما يناسبه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أظهر الميان بابو نبذة من أحوالكم الكريمة بأمركم واستفسر عن حقيقتها فبناء على ذلك نحرر كلمات (أيها المخدوم) إن أمثال هذه الأحوال يظهر لمبتدئ هذا الطريق كثيرا في أوائل الأقدام وهم لا يعتبرونها أصلا بل ينفونها وأين الوصل وأين النهاية،

(شعر):

كيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ دُونَهَا *** قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْمِثَالِ وَكُلَّمَا هُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ الرُّؤْيَةِ وَالْإِدْرَاكِ وَالشُّهُودِ وَالْمُكَاشَفَةِ فَهُوَ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ تَعَالَى وَرَاءَ الْوَرَاءِ فَلَا تَغْتَرُّوا أَصْلاً بِجَوْزِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْزِهِ مِثْلَ الْأَطْفَالِ وَلَا تَتَخَيَّلُوا الْوُصُولَ إِلَى النِّهَايَةِ وَلَا تُظْهِرُوا الْوَقَائِعَ لِشُيُوخٍ نَاقِصِينَ فَإِنَّهُمْ يَسْتَكْثِرُونَ الْقَلِيلَ بِمِقْيَاسِ حَدْسِهِمْ وَيَزْعُمُونَ الْبِدَايَةَ نِهَايَةً فَلَا جَرَمَ يَقَعُ الطَّالِبُ الْمُسْتَعِدُّ فِي زَعْمِ الْكَمَالِ وَيَتَطَرَّقُ الْفُتُورُ إِلَى طَلَبِهِ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ طَلَبُ شَيْخٍ كَامِلٍ وَالْتِمَاسُ عِلَاجِ الْأَمْرَاضِ الْبَاطِنِيَّةِ مِنْهُ وَمَا لَمْ يَلْقَ شَيْخًا كَامِلاً يَنْبَغِي نَفْيُ تِلْكَ الْأَحْوَالِ بِحَرْفِ لَا وَإِثْبَاتُ الْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ الْمُنَزَّهِ عَنِ الْكَيْفِ وَالْمِثَالِ قَالَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ كُلَّمَا يَكُونُ مَرْئِيًّا أَوْ مَسْمُوعًا أَوْ مُدْرَكًا فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالَى يَنْبَغِي نَفْيُهُ بِحَقِيقَةِ كَلِمَةِ لَا فَعَلَيْكَ نَفْيُ مَا يَظْهَرُ فِي الْأَكْثَرِ وَهُوَ تَعَالَى وَرَاءَ الْوَرَاءِ وَلَا يَتَخَيَّلُ فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ غَيْرُ التَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الْمُسْتَثْنَى أَصْلاً وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

(٢٣١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرِ مُحَمَّدٍ النُّعْمَانِ فِي بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْوُصُولِ وَالْحُصُولِ وَأَنَّ مَبَادِيَ تَعَيُّنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ هَلْ تَكُونُ مَبَادِيَ تَعَيُّنَاتِ الْأَوْلِيَاءِ أَمْ لَا وَالْفَرْقِ بَيْنَ ذِكْرِ الْجَهْرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ حَيْثُ يُمْنَعُ مِنَ الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي

نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَلَى آلِهِ الْكِرَامِ وَصَلَ الْمَكْتُوبَانِ الشَّرِيفَانِ مُتَعَاقِبَانِ الْمَكْتُوبُ الْأَوَّلُ وَإِنْ كَانَ مُنْبِئًا عَنِ الْحُزْنِ وَالِاضْطِرَابِ وَلَكِنَّ الْمَكْتُوبَ الثَّانِيَ كَانَ فِي غَايَةِ الْمُلَايَمَةِ وَمُشْعِرًا بِالشَّوْقِ وَالْحَرَارَةِ (أَيُّهَا الْمُحِبُّ) إِنَّ الْمِيرَ سَعْدَ الدِّينِ لَمَّا أَرَادَ السَّفَرَ طَلَبَ الْكِتَابَ وَكُنْتُ حِينَئِذٍ مَرِيضًا وَمُنْقَبِضًا عَلَى حَدٍّ مَا كُنْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْكِتَابَةِ بِخَطِّي فَأَمَرْتُ يَارَ مُحَمَّدٍ الْقَدِيمَ بِتَحْرِيرِ الْكِتَابِ قَائِلاً إِنَّهُ إِذَا انْدَرَجَ فِيهِ كَلِمَةٌ غَيْرُ مُلَايِمَةٍ وَقْتَ الْمَرَضِ أَكُونُ مَعْذُورًا مَعَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي الْإِنْحِرَافُ وَتَخْرِيبُ الْمُعَامَلَةِ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ لَا قَدَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وُقُوعَ الْأَذِيَّةِ بَيْنَنَا وَأَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا بِقَصْدِ الْأَذِيَّةِ وَالْإِعْرَاضِ فَإِنْ حُرِّرَ شَيْءٌ بِإِرَادَةِ النَّصِيحَةِ يَنْبَغِي أَنْ تَفْرَحَ بِهِ وَقَدْ جَعَلَنِي مَكْتُوبُكَ الثَّانِي مَسْرُورًا مَحْظُوظًا الْحَرَارَةُ لَازِمَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَعْنِي الْحَزْمَ وَلْيَكُنِ الْكَسَلُ وَالْعَجْزُ نَصِيبَ الْأَعْدَاءِ (وَكَتَبْتُمْ) أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ فَهْمُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحُصُولِ وَالْوُصُولِ.

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(أيها الأخ) إن الحصول متصور مع وجود البعد والوصول متعذر يعني معه ألا ترى أن العنقاء تتصوره بصورته المخصوصة به فيمكن أن نقول إن العنقاء حاصل في مدركتنا يعني بوجوده الذهني وأما الوصول إلى العنقاء فليس ذلك بمتحقق أصلاً لأن الظلية التي هي عبارة ظهور شيء في مرتبة ثانية ليست بمنافية لحصول ذلك الشيء وأما الوصول إلى ذلك الشيء فهو لا يجتمع مع الظلية فافترقا (وسئلت) أيضا أن الأسماء التي هي مبادي تعينات الأنبياء عليهم السلام هل تكون تلك الأسماء بعينها مبادي تعينات الأولياء أم لا فإن كانت فما الفرق بينهما؟

(أيها الأخ) المعزز إن مبادي تعينات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي كليات الأسماء ومبادي تعينات الأولياء جزئياتها المندرجة تحت تلك الكليات والمراد بجزئيات الأسماء نفس تلك الأسماء المأخوذة بقيد من القيود كالإرادة المطلقة والإرادة المقيدة بالشيء وإذا وقع الترقي للأولياء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم السلام يرتفع القيد المذكور ويلتحق المقيد بالمطلق وقد ذكرت هذا الفرق في بعض المكاتيب بالتفصيل فليراجع إليه وليلاحظ فيه (وسئلت أيضا) أنه ما سبب المنع عن ذكر الجهر بعلة البدعة مع أنه مورث للذوق والشوق ولم لا يمنع من أمور أخرى لم تكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مثل لبس الفرجي والشال والسراويل؟

(أيها المخدوم) إن فعله صلى الله عليه وسلم على نوعين فعل على سبيل العبادة وفعل على طريق العرف والعادة فالفعل الذي صدر عنه على سبيل العبادة نعتقد خلافه بدعة منكرة ونبالغ في المنع عنه لكونه إحداثا في الدين وهو مردود والفعل الذي صدر عنه صلى الله عليه وسلم على طريق العرف والعادة لا نعتقد خلافه بدعة منكرة ولا نبالغ في المنع عنه لعدم تعلقه بالدين بل وجوده وعدمه مبنيان على العرف والعادة لا على الدين والملة فإن عرف بعض البلاد على خلاف عرف بعض بلاد أخرى وكذلك يقع التفاوت في العرف في بلدة واحدة بحسب تفاوت الأزمنة ومع ذلك إذا روعيت السنة العادية تكون مثمرة للنتائج ومنتجة للسعادات ثبتنا الله سبحانه وإياكم على متابعة سيد المرسلين عليه وعليهم وعلى تابعي كل من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها والسلام.

(٢٣٢) المكتوب الثاني والثلاثون والمائتان إلى خان خانان في بيان حقيقة الدنيا وقبح زخرفاتها الردية وعلاج إزالة محبة تلك الدنية وما يناسب ذلك

جعل الحق سبحانه وتعالى حقيقة الدنيا الدنية وقبح مزخرفاتها ومموهاتها الردية منكشفة في نظر البصيرة وأجلى حسن الآخرة وجمالها مع طراوة الجنات وأنهارها ومع زيادة لقاء رب العالمين جل سلطانه فيها بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها حتى

تَحْصُلَ النَّفْرَةُ عَنْ هَذِهِ الْقَبِيحَةِ سَرِيعَةِ الزَّوَالِ وَعَدَمُ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَيَتَيَسَّرُ التَّوَجُّهُ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى عَالَمِ الْبَقَاءِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ رِضَاءِ الْمَوْلَى الْمُتَعَالِي وَمَا لَمْ يَظْهَرْ قُبْحُ هَذِهِ الدَّنِيَّةِ فَالْخَلَاصُ مِنْ أَسْرِهَا مُحَالٌ وَمَا لَمْ يَحْصُلِ الْخَلَاصُ فَالْفَلَاحُ وَالنَّجَاةُ الْأُخْرَوِيَّةُ مُتَعَسِّرٌ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ قَضِيَّةٌ مُكَرَّرَةٌ وَحَيْثُ أَنَّ الْمُعَالَجَةَ تَكُونُ بِالْأَضْدَادِ كَانَ عِلَاجُ إِزَالَةِ مَحَبَّةِ هَذِهِ الدَّنِيَّةِ مَنُوطًا بِالرَّغْبَةِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَإِتْيَانِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى وَفْقِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ.

وَقَدْ جَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مُنْحَصِرَةً فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ بَلْ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) فَإِذَا اشْتَغَلَ الْإِنْسَانُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَنْتَزِعُ اللَّعِبُ وَاللَّهْوُ اللَّذَانِ هُمَا جُزْآهَا الْأَعْظَمَانِ فِي النُّقْصَانِ بِالضَّرُورَةِ وَإِذَا حَصَلَ الِاجْتِنَابُ وَالِاحْتِرَازُ عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَاسْتِعْمَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةٌ فِي تَحْصِيلِ الزِّينَةِ يَشْرَعُ جُزْؤُهَا الثَّانِي الَّذِي هُوَ الزِّينَةُ فِي الزَّوَالِ وَمَتَى حَصَلَ الْيَقِينُ بِأَنَّ الْفَضِيلَةَ وَالْكَرَامَةَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى لَا بِالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ يَمْتَنِعُ مِنَ التَّفَاخُرِ أَلْبَتَّةَ وَإِذَا عُلِمَ أَنَّ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ مَانِعٌ عَنْ ذِكْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ عَائِقَةٌ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى يَخْتَارُ التَّقَاعُدَ عَنِ التَّكَاثُرِ فِيهَا بِالضَّرُورَةِ وَبَعْدَ تَزَايُدِهَا مِنَ الْمَعَائِبِ وَبِالْجُمْلَةِ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا لِئَلَّا يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ،

(شِعْرٌ):

دَلَلْتُكَ يَا هَذَا عَلَى كَنْزِ مَقْصِدٍ *** فَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْلُغْ لَعَلَّكَ تَبْلُغُ

وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ أَنَّ الشَّيْخَ مِيَانْ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَوْلَادِ الْكِبَارِ مَشْغُولٌ بِسُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَيُشَاهِدُ فِي ضِمْنِ سُلُوكِهِ أَحْوَالًا غَرِيبَةً وَالضَّرُورَةُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ قِبَلِ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ تَضْطَرُّهُ بِلَا اخْتِيَارٍ وَهَذَا الْفَقِيرُ دَلَلْتُهُ عَلَى جَنَابِكُمْ لِدَفْعِ هَذَا الِاضْطِرَارِ مَنْ دَقَّ بَابَ الْكَرِيمِ يُفْتَحُ وَالسَّلَامُ.

(٢٣٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْعَالِي الْجَنَابِ الشَّيْخِ فَرِيدٍ فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ بِحُسْنِ الْأَدَاءِ

ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ جَدُّكُمُ الْأَمْجَدُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَلَمَّا جِئْتُ دَهْلِي فِي أَيَّامِ عُرْسِ حَضْرَةِ الْخَوَاجَةِ قُدِّسَ سِرُّهُ وَقَعَ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أَتَشَرَّفَ بِحُضُورِ الْمَجْلِسِ الْعَالِي أَيْضًا فَشَاعَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ خَبَرُ الرِّحْلَةِ فَبِالضَّرُورَةِ كُنْتُ بَاعِثًا عَلَى التَّصْدِيعِ بِتَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ غَيْرِ مُرْتَبِطَةٍ بِالتَّوَقُّفِ هُنَا وَالْمَسْؤُولُ بِجَمِيعِ الْهِمَّةِ سَوَاءٌ كَانَ فِي الْحُضُورِ أَوْ فِي الْغَيْبَةِ سَلَامَتُكُمْ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكُمْ وَلَا يَنْبَغِي وَتُورِدُنِي غَلَبَةُ إِرَادَةِ الْخَيْرِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ اخْتِيَارًا مَتَى

جسارتكم أن أمنع وأحمي عتبتكم العلية عما لا يليق بها بالتأكيد والمبالغة وأن لا أترك في المجلس الشريف من ليس بأهل له (ولكن اعلم) أن جميع التمني لا يتيسر فبالضرورة أكون رطب اللسان بالدعاء من ظهر الغيب وعسى أن يقع في معرض القبول قال الخواجة أحرار قدس سره: وإن كان جعل شخص نفسه عظيما بحيث يلزم من خرابه خراب جميع العالم شركا وكفرا ولكن جعلوني عظيما بلا صنع مني ومثل هذه العظمة كاد أن يصادق اليوم في حقكم فإن في رفاهيتكم رفاهية الخلائق وبالعكس ولهذا كان دعاء الناس لكم بالخير كطلب المطر في شمول نفعه لعامة الخلق فيكون من تلك العظمة والجلالة بقاء مقدار ذرة لمحتاج ومحل الأسئلة محروما وبالا وثقلا عظيما على قلوب الأحباب والناصحين فينبغي التخفيف عنهم في وجه الكرم وهذا الناصح لم يكتب من هذه المقولة شيئا من مدة مديدة خوفا من كون المبالغة ثقيلة، (شعر):

وكل لطيف الجسم يؤذيه كلما *** يمر به كالورد يطرحه الصبا

ولكن أرى اختيار التقاعد والسكوت بملاحظة حصول الثقل على الخاطر بعيدا عن المودة،

(شعر):

وظيفتك الدعاء فحسب صاح *** وليس لك التفكر في قبوله

وقد وقعت في الخاطر داعية زيارة الحرمين الشريفين حرسهما الله عن الآفات منذ أوقات والباعث على هذا التحرير هو هذه الداعية ولما كان هذا المعنى منوطا بمشاورتكم واسترضائكم أوقع خبر الرحلة هذه الداعية إلى التسويف الخير فيما صنع الله سبحانه والسلام.

(٢٣٤) المكتوب الرابع والثلاثون والمائتان إلى المخدوم الأعظم الشيخ محمد صادق قدس سره في بيان حقيقة الواجب الوجود وحقائق الممكنات ومعنى: "من عرف نفسه" ومعنى: "التجلي الذاتي" ومعنى: "الله نور السموات"
وما يناسب ذلك من الأسئلة والأجوبة

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله المنزه عن المثال وصلاة نبيه الهادي فليعلم الولد الأرشد أن حقيقة الحق سبحانه وجود صرف لم ينضم إليه شيء غيره أصلا وذلك الوجود الصرف الذي هو حقيقة الحق سبحانه منشأ لجميع الخير والكمال ومبدأ لكل حسن وجمال وجزئي حقيقي بسيط لم يتطرق إليه تركيب أصلا لا ذهنا ولا خارجا وممتنع التصور بحسب الحقيقة ومحمول على الذات تعالت مواطأة لا اشتقاقا وإن لم يكن لنسبة الحمل في ذلك الموطن مجال لأن جميع النسب ساقطة هناك

والوجود العام المشترك من ظلال ذلك الوجود الخاص وهذا الوجود الظلي محمول على ذاته تعالى وتقدس وعلى سائر الأشياء على سبيل التشكيك اشتقاقاً لا مواطأة والمراد بكون هذا الوجود ظلاً لذاك ظهور حضرة الوجود يعني الخاص في مراتب التنزلات والفرد الأولى والأقدم والأشرف من أفراد ذلك الظل محمول على ذاته تعالى اشتقاقاً ففي مرتبة الأصالة يمكن أن تقول الله وجود لا أن تقول الله موجود وفي مرتبة الظل يصدق الله موجود لا الله وجود ولما قال الحكماء وطائفة من الصوفية بعينية الوجود ولم يطلعوا على حقيقة هذا الفرق ولم يميزوا الأصل من الظل أثبتوا كلاً من الحمل المواطئ والحمل الاشتقاقي في مرتبة واحدة فاحتاجوا في تصحيح الحمل الاشتقاقي إلى تمحل وتكلف والحق ما حققت بإلهام الله سبحانه وهذه الأصالة والظلية كأصالة سائر الصفات الحقيقية وظليتها فإن حمل تلك الصفات في مرتبة الأصالة التي هي موطن الإجمال وغيب الغيب بطريق المواطأة لا بطريق الإشتقاق فيمكن أن يقال الله علم ولا يمكن أن يقال الله عالم لأن الحمل الاشتقاقي لا بد فيه من حصول المغايرة ولو بالإعتبار وهي مفقودة في ذلك الموطن وأيضاً إن التغاير لا يكون إلا في مراتب الظلية ولا ظلية ثمة لأنه فوق التعين الأول بمراحل لأن النسب مطوية بطريق الإجمال في ذلك التعين ولا ملاحظة لشيء من الأشياء بوجه من الوجوه في ذلك الموطن والحمل الاشتقاقي صادق في مرتبة الظل التي هي تفصيل ذلك الإجمال دون الحمل بالمواطأة ولكن عينية تلك الصفة في تلك المرتبة فرع عينية وجوده تعالى الذي هو مبدأ جميع الخير والكمال ومنشأ كل حسن وجمال وكل محل من كتب هذا الفقير ورسائله فيه نفي عينية الوجود ينبغي أن يراد به الوجود الظلي الذي هو مصحح الحمل الاشتقاقي وهذا الوجود الظلي أيضاً مبدأ للآثار الخارجية فالماهيات التي تتصف بذلك الوجود ينبغي أن تكون في كل مرتبة من المراتب موجودات خارجية فافهم فإنه ينفعك في كثير من المواضع فتكون الصفات الحقيقية أيضاً موجودات خارجية وتكون الممكنات أيضاً موجودات في الخارج **(أيها الولد)** اسمع سراً غامضاً أن الكمالات الذاتية في مرتبة حضرة الذات تعالت وتقدست عين حضرة الذات فصفة العلم مثلاً في ذلك الموطن عين حضرة الذات وكذلك القدرة والإرادة وسائر الصفات **(وأيضاً)** أن حضرة الذات في ذلك الموطن بتمامها علم وكذلك بتمامها قدرة لا أن بعض حضرة الذات علم وبعضاً آخر منها قدرة فإن التبعض والتجزي محال هناك وهذه الكمالات كأنها منتزعات من حضرة الذات وعرض لها التفصيل في حضرة العلم وحصل بينها التميز مع بقاء حضرة الذات تعالت وتقدست على تلك الصرافة الإجمالية الوحدانية ولم يبق شيء في ذلك الموطن غير داخل في ذلك التفصيل وغير مميز بل جميع الكمالات التي كان كل واحد منها عين الذات ورد إلى مرتبة العلم واكتسبت هذه الكمالات المفصلة في مرتبة ثانية وجوداً ظلياً وسميت باسم الصفات وحصل لها القيام بحضرة الذات التي هي أصلها والأعيان الثابتة عند صاحب الفصوص عبارة عن تلك الكمالات المفصلة التي اكتسبت وجوداً علمياً في موطن العلم وحقائق

الممكنات عند الفقير العدمات التي هي مبادي جميع الشرّ والنقص مع تلك الكمالات التي انعكست عليها وهذا الكلام يستدعي تفصيلاً ينبغي الإستماع له بأذن العقل

(أرشدك الله) إنّ العدم مقابل للوجود ونقيض له فيكون منشأ جميع الشرّ والنقص بالذات بل عين جميع الشرّ والفساد كما أنّ الوجود في مرتبة الإجمال عين كلّ خير وكمال وكما أنّ الوجود في موطن أصل الأصل غير محمول على الذات بطريق الإشتقاق كذلك العدم المقابل لذلك الوجود غير محمول على ماهيّة العدم بطريق الإشتقاق ولا يمكن أن يقال لتلك الماهيّة في تلك المرتبة إنّها معدومة بل هي عدم محض وفي مراتب التفصيل العلمي المتعلّق بتلك الماهيّة العدميّة تتّصف جزئيّات تلك الماهيّة بالعدم ويصدق عليها العدم بالحمل الاشتقاقي ومفهوم العدم الذي هو كالمنتزع من الماهيّة العدميّة الإجماليّة وكالظلّ لها يحمل على جميع أفرادها المفصّلة بطريق الإشتقاق كما سيجيء ولمّا كان ذلك العدم في مرتبة الإجمال عين كلّ شرّ وفساد وامتاز كلّ فرد من أفراد الشرّ والفساد في علم الله سبحانه عن فرد آخر كما أنّ في جانب الوجود كان حضرة الوجود في مرتبة الإجمال عين كلّ خير وكمال وفي مرتبة التفصيل العلمي امتاز كلّ فرد من أفراد الكمال والخير من فرد آخر انعكس كلّ فرد من أفراد تلك الكمالات الوجوديّة على كلّ فرد من أفراد تلك النقائص العدميّة التي هي في مقابلتها في مرتبة العلم وامتزجت صور كلّ منهما العلميّة بالأخرى وتلك العدمات التي هي عبارة عن الشرور والنقائص مع تلك الكمالات المنعكسة عليها اللتان حصلا لهما في مرتبة حضرة العلم التفصيل العلمي ماهيّات الممكنات.

(غاية) ما في الباب أنّ تلك العدمات كأصول تلك الماهيّات وموادّها وتلك الكمالات كالصور الحالّة فيها فالأعيان الثابتة عند هذا الحقير عبارة عن تلك العدمات وتلك الكمالات اللتين امتزجت كلّ منهما بالأخرى والقادر المختار جلّ سلطانه صبغ تلك الماهيّة العدميّة مع لوازمها ومع الكمالات الظلاليّة الوجوديّة المنعكسة عليها في حضرة العلم المسمّاة بماهيّة الممكنات بصبغ الوجود الظلّي في وقت ارادة وجعلها موجودات خارجيّة ومبدأ للآثار الخارجيّة (ينبغي) أن يعلم أن جعل الصور العلميّة التي هي عبارة عن الأعيان الثابتة الممكنة وماهيّاتها منصبغة يعني بالوجود لا بمعنى خروج الصور العلميّة من موطن العلم وحصول الوجود الخارجي لها فإنّ ذلك محال لاستلزامه الجهل له سبحانه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا بل بمعنى أنّ الممكنات عرض لها الوجود في الخارج على طبق تلك الصور العلميّة وراء الوجود العلمي كما أنّ النجّار يتصوّر في ذهنه صورة السرير ثمّ يخترعه في الخارج ففي هذه الصورة لا تخرج تلك الصورة الذهنيّة السريريّة التي هي بمثابة الماهيّة للسرير من علم النجّار بل عرض للسرير وجود في الخارج على طبق تلك الصورة الذهنيّة فافهم.

(اعلم) أنّ كلّ عدم لمّا انصبغ بظلّ من ظلال الكمالات الوجوديّة المقابلة لها والمنعكسة عليها عرض له وجود وزينة في الخارج بخلاف العدم الصرف فإنّه لم يتأثّر بهذه الظلال ولم يقبل لونًا وصبغًا

وَكَيْفَ يَقْبَلُ اللَّوْنَ وَالصِّبْغَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مُقَابِلاً لِهَذِهِ الظِّلاَلِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مُقَابِلَةٌ فَهِيَ بِحَضْرَةِ الْوُجُودِ الصِّرْفِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فَالْعَارِفُ التَّامُّ الْمَعْرِفَةِ إِذَا نَزَلَ إِلَى مَقَامِ الْعَدَمِ الصِّرْفِ بَعْدَ تَرَقِّيهِ عَلَى حَضْرَةِ الْوُجُودِ الصِّرْفِ يَحْصُلُ لِهَذَا الْعَدَمِ أَيْضًا بِتَوَسُّطِهِ انْصِبَاغٌ بِحَضْرَةِ الْوُجُودِ وَتَزَيَّنَ بِهِ وَحَسُنَ فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لِجَمِيعِ مَرَاتِبِ اعْدَامِ هَذَا الْعَارِفِ الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مَرَاتِبُهُ الذَّاتِيَّةُ الْحُسْنُ وَالْخَيْرِيَّةُ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً وَيَحْصُلُ لَهَا الْجَمَالُ وَالْكَمَالُ وَهَذِهِ الْخَيْرِيَّةُ السَّارِيَةُ فِي جَمِيعِ الْمَرَاتِبِ الذَّاتِيَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِمِثْلِ هَذَا الْعَارِفِ فَإِنْ سَرَتِ الْخَيْرِيَّةُ فِي غَيْرِهِ فَهِيَ إِمَّا مَقْصُورَةٌ عَلَى بَعْضِ الْمَرَاتِبِ التَّفْصِيلِيَّةِ مِنْ اعْدَامِهِ الذَّاتِيَّةِ أَوْ سَارِيَةٌ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ عَلَى تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ وَهَذَا الْقِسْمُ الْأَخِيرُ أَيْضًا نَادِرُ الْوُجُودِ وَأَمَّا مَرْتَبَةُ إِجْمَالِ الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ كُلِّ شَرٍّ وَنَقْصٍ فَلَمْ تَحْصُلْ فِيهَا رَائِحَةٌ مِنَ الْخَيْرِيَّةِ لِأَحَدٍ سِوَى الْعَارِفِ الْمَذْكُورِ وَلاَ نَوْعٌ مِنَ الْحُسْنِ فَيَحْصُلُ لِشَيْطَانِ هَذَا الْعَارِفِ الْمُتَّصِفِ بِالْخَيْرِيَّةِ التَّامَّةِ أَيْضًا حُسْنُ الإِسْلاَمِ وَتَصِيرُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ مُطْمَئِنَّةً وَرَاضِيَةً عَنْ مَوْلاَهَا وَمِنْ هَهُنَا قَالَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ الاَّ انَّ[1] شَيْطَانِي قَدْ أَسْلَمَ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلاَ يَسَعُهُ غَازٍ فِي غَزْوَةٍ أَصْلاً وَلاَ يَدُلُّ مِثْلُ الشَّيْطَانِ عَلَى الْخَيْرِ أَبَدًا سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ الْمَعَارِفَ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْحَقِيرِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ لَوِ اجْتَمَعَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ وَاجْتَهَدُوا فِي تَصَوُّرِهَا لاَ يُدْرَى يَتَيَسَّرُ أَوْ لاَ وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ الْحَظُّ الْوَافِرُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَارِفِ نَصِيبَ حَضْرَةِ الْمَهْدِيِّ الْمَوْعُودِ عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ، (شعر):

وَمَتَى أَتَى بَابَ الْعَجُوزِ خَلِيفَةٌ *** إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سِبَالِكَا

فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَتَكُونُ ذَوَاتُ الْمُمْكِنَاتِ عَدَمَاتٍ انْعَكَسَتْ عَلَيْهَا ظِلاَلُ الْكَمَالاَتِ الْوُجُودِيَّةِ وَزَيَّنَتْهَا فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ الْمُمْكِنَاتُ مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَفَسَادٍ وَمَلاَذَ كُلِّ سُوءٍ وَنَقْصٍ وَعِنَادٍ وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَمَالِ فَهُوَ عَارِيَةٌ مِنْ حَضْرَةِ الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ وَمُفَاضٌ عَلَيْهَا مِنْهُ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ شَاهِدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى فَإِذَا اسْتَوْلَتْ رُؤْيَةُ كَوْنِهِ عَارِيَةً عَلَى السَّالِكِ بِفَضْلِ اللهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَرَأَى كَمَالاَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ يَجِدُ نَفْسَهُ شَرًّا مَحْضًا وَنَقْصًا خَالِصًا وَلاَ يُشَاهِدُ فِي نَفْسِهِ كَمَالاً أَصْلاً وَلَوْ بِطَرِيقِ الإِنْعِكَاسِ وَيَكُونُ كَعُرْيَانٍ لَبِسَ ثَوْبَ الْعَارِيَةِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رُؤْيَةُ كَوْنِهِ عَارِيَةً غَايَةَ الإِسْتِيلاَءِ عَلَى نَهْجٍ يُعْطِي الثَّوْبَ لِصَاحِبِهِ بِالْكُلِّيَّةِ فِي التَّخَيُّلِ فَحِينَئِذٍ يَجِدُ نَفْسَهُ بِالذَّوْقِ عَارِيًا أَلْبَتَّةَ وَإِنْ كَانَ مُتَلَبِّسًا بِثَوْبِ الْعَارِيَةِ وَصَاحِبُ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ مُشَرَّفٌ بِمَقَامِ

---

[1] قوله الا ان شيطاني الخ اخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله اعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير امروي بضم الميم وفتحه وهو الارجح واخرج البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله حتى اسلم الحديث واخرج البيهقي وابو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما مثله الا ان فيه على آدم بدل على الانبياء والباقي سواء فهذا يقوي رواية الفتح والله اعلم (القزاني رحمة الله عليه)

العبدية الذي هو فوق جميع كمالات الولاية واجتماع الخير والشر والكمال والنقص الذي هو اجتماع الوجود والعدم في الحقيقة ليس من قبيل اجتماع النقيضين الذي يعد محالا فإن نقيض الوجود الصرف هو العدم الصرف وهذه المراتب الظلية كما أنها تنزلت في جانب الوجود من ذروة الأصل إلى حضيض التنزلات كذلك ترقت في جانب العدم من حضيض صرافة العدم بل اجتماعها من قبيل اجتماع العناصر المتضادة المجتمعة بعد كسر السورة المضادة من كل منها فسبحان من جمع بين الظلمة والنور.

(فإن قيل) إنك حكمت فيما سبق بانصباغ العدم الصرف بالوجود الصرف الذي هو نقيضه فحصل إذا اجتماع النقيضين (أقول) إن المحال إنما هو اجتماع النقيضين في محل واحد وأما قيام أحد النقيضين بالآخر واتصافه به فليس ذلك بمحال كما قال أرباب المعقول إن الوجود معدوم واتصاف الوجود بالعدم ليس بمحال فعلى هذا لو كان العدم موجودا ومنصبغا بالوجود لم يكن محالا (فإن قيل) إن العدم من المعقولات الثانية وهي منافية للوجود الخارجي فكيف يتصف العدم بالوجود الخارجي (أقول) إن ما هو من المعقولات الثانية هو مفهوم العدم دون مصداقه فأي فساد في اتصاف فرد من أفراد العدم بالوجود كما قال أرباب المعقول في الوجود بطريق الإستشكال إن الوجود لا ينبغي أن يكون عين ذات واجب الوجود تعالى وتقدس لأن الوجود من المعقولات الثانية التي لا وجود لها في الخارج وذات واجب الوجود تعالى موجودة في الخارج فلا يكون عينها وقالوا في جوابه إن ما هو من المعقولات الثانية هو مفهوم الوجود لا جزئياته فلا يكون جزء من جزئياته منافيا للوجود الخارجي بل يمكن أن يكون موجودا في الخارج (فإن قلت) قد علم من التحقيق السابق أن وجود الصفات الحقيقية إنما هو في مرتبة الظلال وأما في مرتبة الأصل فلا وجود لها فيها وهذا الكلام مخالف لرأي أهل الحق شكر الله سعيهم فإنهم لا يجوزون انفكاك الصفات عن الذات أصلا ويقولون بامتناع انفكاكها عنها؟ (أجيب) لا يلزم من هذا البيان جواز الإنفكاك فإن ذلك الظل لازم الأصل فلا انفكاك غاية ما في الباب أن العارف الذي قبلة توجهه أحدية الذات تعالت وتقدست لا يكون له شيء من الأسماء والصفات ملحوظا أصلا فيجد الذات في ذلك الموطن ألبتة ولا يكون شيء من الصفات ملحوظا له أصلا لا أن الصفات ليست بحاصلة في ذلك الوقت فانفكاك الصفات من حضرة الذات إن ثبت ثبت باعتبار ملاحظة العارف لا باعتبار نفس الأمر حتى يكون مخالفا لما عليه أهل السنة (وقد لاح) من هذا البيان معنى من عرف [1] نفسه فقد عرف ربه

---

[1] قوله من عرف نفسه الخ قال السيوطي قال النووي انه غير ثابت وقال ابن السمعاني انه من كلام يحيى بن معاذ الرازي اه. وقال ابن حجر الهيتمي انه من كلام علي رضي الله عنه وعزاه المناوي في كنوز الحقائق الى الديلمي وذكره الماوردي في ادب الدنيا والدين عن عائشة مرفوعا انها قالت يارسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه قوله من فسر القرآن برأيه الخ. قلت الحديث اورده الغزالي في محلين من الاحياء بلفظ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار قال العراقي اخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند ابي داود في رواية ابن لعبد وعند النسائي في الكبرى وقال شارحه بعد نقل قول العراقي قلت اخرج

فإن الشخص إذا عرف نفسه بالشر والنقص وعرف أن ما فيه من الخير والكمال والحسن والجمال مستعار من واجب الوجود المقدس المتعالي فقد عرف الحق سبحانه بالخير والكمال والحسن والجمال بالضرورة (واتضح) من هذه التحقيقات المعنى التأويلي لقوله تعالى الله نور السموات والأرض لأنه قد تبين أن الممكنات بأسرها عدمات وبأجمعها شر وظلمات وما فيها من الخير والكمال والحسن والجمال مفاض من حضرة الوجود الذي هو عين حضرة الذات تعالت وتقدست وعين كل خير وكمال فيكون نور السموات والأرضين هو حضرة الوجود الذي هو حقيقة الواجب تعالى وتقدس ولما كان ذلك النور في السموات والأرض بتوسط الظلال أورد تمثيلاً لذلك النور لرفع توهم من عسى يتوهم أنه بلا توسط حيث قال تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية ايذانا بثبوت الوسائط وتفصيل تأويل هذه الآية الكريمة يثبت إن شاء الله تعالى في محل آخر فإن المجال للكلام كثير هناك وهذا المكتوب لا يسع تفصيله (وإنما) قلنا المعنى التأويلي لقوله تعالى لأن المعنى التفسيري مشروط بالنقل والسماع ولعلك سمعت من فسر القرآن برأيه فقد كفر وفي التأويل يكفي مجرد الإحتمال بشرط عدم مخالفته الكتاب والسنة فتقرر أن ذوات الممكنات وأصولها عدمات وصفاتهم النقائص والرذائل التي هي مقتضيات تلك العدمات وجدت بإيجاد القادر المختار جل سلطانه والصفات الكاملة فيهم مستعارة من ظلال كمالات حضرة الوجود تعالى وتقدس ظهرت فيهم بطريق الإنعكاس ووجدت بإيجاد القادر المختار أيضا ومصداق حسن الأشياء وقبحها هو أن كلما هو ناظر إلى الآخرة ومعد لها فهو حسن وإن لم يكن مستحسنا في الظاهر وكلما هو ناظر إلى الدنيا ومعد لأجلها فهو قبيح وإن كان حسنا في الظاهر وظاهرا بالحلاوة والطراوة كالمزخرفات الدنياوية ولهذا منع في الشريعة المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية من النظر والميل إلى حسن المرد والنساء الأجنبيات وتمني المزخرفات الدنية فإن ذلك الحسن والطراوة من مقتضيات العدم الذي هو مأوى كل شر وفساد فلو كان منشأ هذا الحسن والجمال الكمالات الوجودية لما يمنع عنه الا من جهة كون التوجه إلى الظل مع وجود الأصل مستهجنا ومستقبحا وهذا المنع منع استحساني لا وجوبي بخلاف المنع السابق فالحسن الظاهر في المظاهر الخسيسة الدنيوية ليس هو من

١٢

الترمذي وصححه وابن الانباري في المصاحف والطبراني في الكبرى والبيهقي في الشعب كلهم من رواية عبد الاعلى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ الخ واخرجه ابو داود والترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن جرير والبغوي وابن الانباري وابن عدي والطبراني والبيهقي كلهم من رواية سهيل بن ابي حزم القطعي عن ابي عمران الجوني عن جندب بن عبد الله من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ وفي رواية الترمذي وغيره من قال في كتاب الله وفي رواية من تكلم في القرآن وفي الباب عن ابن عمر وجابر وابي هريرة وحديث ابن عمر من فسر القرآن برأيه فاصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لو سعتهم وحديث جابر من فسر القرآن برأيه فقد افتى وحديث ابي هريرة من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه اخرج هذه الثلاثة الديلمي في مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الاخير منكر جدا الى آخر ما قال بطوله ولم اظفر بلفظ الامام قدس سره (العراقي رحمة الله عليه)

ظِلاَلَ حُسْنِهِ تَعَالَى بَلْ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْعَدَمِ اكْتَسَبَهُ فِي الظَّاهِرِ بِوَاسِطَةِ مُجَاوَرَتِهِ الْحُسْنَ وَإِلاَّ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ قَبِيحٌ نَاقِصٌ كَسَمٍّ مَدْسُوسٍ فِي السُّكَّرِ وَنَجَاسَةٍ مَطْلِيَّةٍ بِالذَّهَبِ وَإِنَّمَا جُوِّزَ التَّمَتُّعُ بِالنِّسَاءِ الْجَمِيلَةِ الْمَنْكُوحَةِ وَالإِمَاءِ الْجَمِيلَةِ الْمَمْلُوكَةِ بِوَاسِطَةِ تَحْصِيلِ الأَوْلاَدِ وَإِبْقَاءِ النَّسْلِ الْمَطْلُوبِ لِبَقَاءِ نِظَامِ الْعَالَمِ فَمَا ابْتُلِيَ بِهِ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ مِنَ الْمَظَاهِرِ الْجَمِيلَةِ وَالنَّغَمَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ بِتَخَيُّلِ أَنَّ هَذَا الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ مُسْتَعَارٌ مِنْ كَمَالاَتِ حَضْرَةِ وَاجِبِ الْوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْمَظَاهِرِ وَزَعْمُهُمْ هَذَا الإِبْتِلاَءَ حَسَنًا وَمُتَحْسَنًا بَلْ تَصَوُّرُهُمْ إِيَّاهُ طَرِيقَ الْوُصُولِ ثَبَتَ عِنْدَ هَذَا الْحَقِيرِ خِلاَفُهُ كَمَا مَرَّتْ نُبْذَةٌ فِيمَا سَبَقَ وَالْعَجَبُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُورِدُ هَذَا الْقَوْلَ إِيَّاكُمْ وَالْمُرْدَ فَإِنَّ فِيهِمْ لَوْنًا كَلَوْنِ اللهِ سَنَدًا لِمَطْلَبِهِ وَكَلِمَةُ "كَلَوْنِ اللهِ" تُوقِعُهُمْ فِي الإِشْتِبَاهِ وَلاَ يَدْرُونَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مُنَافٍ لِمَطْلَبِهِمْ وَمُؤَيِّدٌ لِمَعْرِفَةِ هَذَا الدَّرْوِيشِ لأَنَّهُ وَرَدَ فِيهِ كَلِمَةُ التَّحْذِيرِ مَنْعًا عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ وَبَيَّنَ مَنْشَأَ الْغَلَطِ بِأَنَّ حُسْنَهُمْ مُشَابِهٌ لِحُسْنِ الْحَقِّ وَجَمَالِهِ سُبْحَانَهُ لاَ حُسْنُهُ تَعَالَى لِئَلاَّ يَقَعُوا فِي الْغَلَطِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَا الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ إِلاَّ ضَرَّتَانِ إِنْ رَضِيَتْ إِحْدَاهُمَا سَخِطَتِ الأُخْرَى وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا تَصْرِيحٌ بِوُجُودِ الْمُبَايَنَةِ وَالْمُنَاقَضَةِ بَيْنَ حُسْنِ الآخِرَةِ وَحُسْنِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ جَمَالَيْهِمَا وَمِنَ الْمُقَرَّرِ أَنَّ الْحُسْنَ الدُّنْيَوِيَّ غَيْرُ مَرْضِيٍّ وَالْحُسْنَ الأُخْرَوِيَّ مَرْضِيٌّ فَيَكُونُ الشَّرُّ لاَزِمَ الْحُسْنِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْخَيْرُ لاَزِمَ الْحُسْنِ الأُخْرَوِيِّ فَبِالضَّرُورَةِ يَكُونُ مَنْشَأُ الأَوَّلِ عَدَمًا وَمَنْشَأُ الثَّانِي وُجُودًا نَعَمْ إِنَّ بَعْضَ الأَشْيَاءِ لَهُ وَجْهٌ إِلَى الدُّنْيَا وَوَجْهٌ إِلَى الآخِرَةِ فَهَذَا قَبِيحٌ مِنَ الْوَجْهِ الأَوَّلِ وَحَسَنٌ مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي وَتَمْيِيزُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ وَفَرْقُ مَا بَيْنَ حُسْنِهِ وَقُبْحِهِ مُفَوَّضٌ إِلَى عِلْمِ الشَّرِيعَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقَهَا لِكَوْنِهَا مَبْغُوضًا عَلَيْهَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَكُلُّ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ قُبْحِهَا وَشَرِّهَا وَفَسَادِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ مَأْوَى جَمِيعِ الْفَسَادِ وَحُسْنُ الدُّنْيَا وَجَمَالُهَا وَحَلاَوَتُهَا وَطَرَاوَتُهَا كُلٌّ مِنْهَا كَالْمَطْرُوحِ فِي الطَّرِيقِ لاَ يَسْتَحِقُّ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَالْمُسْتَحِقُّ لِلنَّظَرِ إِنَّمَا هُوَ جَمَالُ الآخِرَةِ فَإِنَّهُ مَرْضِيُّ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ شِكَايَةً مِنْ حَالِهِمْ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ اللَّهُمَّ صَغِّرِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِنَا وَكَبِّرِ الآخِرَةَ فِي قُلُوبِنَا بِحُرْمَةِ مَنِ افْتَخَرَ بِالْفَقْرِ وَتَجَنَّبَ عَنِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ (وَالشَّيْخُ) الأَجَلُّ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ قُدِّسَ سِرُّهُ لَمَّا لَمْ يَقَعْ نَظَرُهُ عَلَى حَقِيقَةِ شَرِّ الْمُمْكِنَاتِ وَنَقْصِهَا وَقُبْحِهَا جَعَلَ حَقَائِقَ الْمُمْكِنَاتِ الصُّوَرَ الْعِلْمِيَّةَ الإِلَهِيَّةَ جَلَّ وَعَلاَ وَقَالَ إِنَّ تِلْكَ الصُّوَرَ انْعَكَسَتْ عَلَى مِرْآةِ حَضْرَةِ الذَّاتِ الَّتِي لاَ يَقُولُ بِوُجُودِ شَيْءٍ غَيْرِهَا فِي الْخَارِجِ فَحَصَلَتْ لَهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الإِنْعِكَاسِ نُمُوٌّ يَعْنِي ظُهُورٌ خَارِجِيٌّ وَلاَ يَرَى هَذِهِ الصُّوَرَ الْعِلْمِيَّةَ غَيْرَ صُوَرِ شُئُونِ الْوَاجِبِ وَصِفَاتِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ فَلاَ جَرَمَ حَكَمَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ وَقَالَ بِعَيْنِيَّةِ وُجُودِ الْمُمْكِنَاتِ بِوُجُودِ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَقَالَ بِنِسْبِيَّةِ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ وَنَفْيِ الشَّرِّ الْمُطْلَقِ وَالنَّقْصِ الْمَحْضِ وَمِنْ هَهُنَا لاَ يَقُولُ بِوُجُودِ قَبِيحٍ بِالذَّاتِ حَتَّى أَنَّهُ يَقُولُ إِنَّ قُبْحَ الْكُفْرِ وَالضَّلاَلَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ لاَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِهِمَا بَلْ يَرَاهُمَا عَيْنَ

الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَيَحْكُمُ بِاسْتِقَامَتِهِمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَرْبَابِهِمَا وَيَحْمِلُ قَوْلَهُ تَعَالَى مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ شَاهِدًا لِهَذَا الْمَعْنَى نَعَمْ إِنَّ مَنْ يَحْكُمُ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ لَا يَتَحَاشَى مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَمَا ظَهَرَ لِهَذَا الْفَقِيرِ أَنَّ مَاهِيَّاتِ الْمُمْكِنَاتِ عَدَمَاتٌ مَعَ الْكَمَالَاتِ الْوُجُودِيَّةِ الْمُنْعَكِسَةِ عَلَيْهَا وَالْمُمْتَزِجَةِ بِهَا كَمَا مَرَّ مُفَصَّلًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

(أَيُّهَا الْوَلَدُ) إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ الَّتِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ لَا صَرِيحًا وَلَا إِشَارَةً مِنْ أَشْرَفِ الْمَعَارِفِ وَأَكْمَلِ الْعُلُومِ بَرَزَتْ فِي مِنَصَّةِ الظُّهُورِ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ وَكُشِفَتْ عَنْ وَجْهِ حَقِيقَةِ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَحَقَائِقِ الْمُمْكِنَاتِ النِّقَابُ كَمَا يَنْبَغِي وَيَحْرَى بِحَيْثُ لَا مُخَالَفَةَ فِيهَا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا مُبَايَنَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَقْوَالِ أَهْلِ الْحَقِّ وَكَانَ الْمُرَادُ وَالْمَقْصُودُ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ صُدُورُهُ عَنْهُ لِتَعْلِيمِ الْأُمَّةِ حَيْثُ قَالَ اللَّهُمَّ [1] أَرِنَا حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ هُوَ هَذِهِ الْحَقَائِقُ الْمُبَيَّنَةُ فِي ضِمْنِ هَذِهِ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الذُّلِّ وَالْانْكِسَارِ الْمُلَائِمِ لِحَالِ الْعَبِيدِ وَأَيُّ كَمَالٍ وَخَيْرٍ فِي رُؤْيَةِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عَيْنَ مَوْلَاهُ الْقَادِرِ بَلْ هِيَ تُنْبِئُ عَنْ كَمَالِ فَقْدِ الْأَدَبِ. (أَيُّهَا الْوَلَدُ) إِنَّ هَذَا الْوَقْتَ لَوَقْتٌ كَانَ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ يُبْعَثُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الْمَمْلُوءِ بِالظُّلْمَةِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُولِي الْعَزْمِ لِإِحْيَاءِ الشَّرِيعَةِ وَتَجْدِيدِهَا وَفِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَنَبِيُّهُمْ خَاتَمُ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ أُعْطِيَ [2] الْعُلَمَاءُ مَرْتَبَةَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاكْتُفِيَ بِوُجُودِ الْعُلَمَاءِ مِنْ وُجُودِ الْأَنْبِيَاءِ وَلِهَذَا يُبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ مُجَدِّدٌ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِإِحْيَاءِ الشَّرِيعَةِ وَعَلَى الْخُصُوصِ بَعْدَ مُضِيِّ أَلْفِ سَنَةٍ فَإِنَّهُ وَقْتُ بَعْثَةِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُولِي الْعَزْمِ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَمَا كَانَ يُكْتَفَى فِيهِ بِأَيِّ نَبِيٍّ كَانَ فَفِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عَالِمٌ عَارِفٌ تَامُّ الْمَعْرِفَةِ لِيَكُونَ قَائِمًا مَقَامَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، (شِعْرٌ):

لَوْ جَاءَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ الْقُدُسِ مِنْ مَدَدٍ *** خَلَا الْمَسِيحَ لَيَصْنَعُ مِثْلَ مَا صَنَعَا

أَيُّهَا الْوَلَدُ إِنَّ الْمُقَابِلَ لِلْوُجُودِ الصِّرْفِ هُوَ الْعَدَمُ الصِّرْفُ وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ الْوُجُودَ الصِّرْفَ حَقِيقَةُ وَاجِبِ الْوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَأَنَّهُ عَيْنُ كُلِّ خَيْرٍ وَكَمَالٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِمُلَاحَظَةِ هَذِهِ الْعَيْنِيَّةِ هُنَاكَ مَجَالٌ وَلَوْ

---

[1] قوله اللهم ارنا حقائق الاشياء كما هي قيل لم يوجد له اصل بل هو من كلام بعض العارفين وقيل بل ذكره الغزالي في العلق المضنون والدهلوي في مدارج النبوة فالنسبة الى بعض العارفين غلط قلت ليت ذكر مخرجه وراويه حتى يتحقق الغلط. (القزاني رحمة الله عليه)

[2] قوله اعطي العلماء الخ اشارة الى ما اشتهر من ان امتي كانبياء بني اسرائيل قال ابن حجر والذهبي والزركشي انه لا اصل له وقال الدميري هذا الحديث لا يعرف له مخرج لكن في البخاري العلماء ورثة الانبياء ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في صحيحه ولكن معناه صحيح كما لا يخفى على المتأمل واورده في الفتوحات في الباب ٤١ بلفظ وقد ورد في الخبر عن النبي صلعم انه علماء هذه الامة كانبياء بني اسرائيل (القزاني رحمة الله عليه)

على سبيل الإجمال بوجود شائبة الظلية فيها والعدم الصرف الذي هو مقابل الوجود الصرف لم يتطرق إليه شيء من السلب والإضافة وعين كل شر ونقص وإن لم يكن لهذه العينية فيه أيضا مجال لوجود رائحة الإضافة فيها ومن المعلوم أن ظهور الشيء على الوجه الأتم إنما يتصور في مقابله الحقيقي والأشياء إنما تتبين بأضدادها فبالضرورة يحصل ظهور الوجود على الأتم في مرآة العدم الصرف ومن المقرر أن النزول على قدر العروج فمن تحقق عروجه بعناية الله سبحانه إلى حضرة الوجود يكون نزوله بالضرورة إلى العدم المقابل له لكن وقت العروج الذي فيه استهلاك العارف الجهل لازم له ووقت النزول الذي هو متحقق بالصحو يكون متصفا بالعلم والمعرفة لكونه مقامه وفي مقام الصحو يتشرف بالتجلي الذاتي الذي هو مبرأ من شائبة الظلية ومنزه عن ملاحظة الشئون والاعتبارات الذاتية ويكون معلوما له أن جميع التجليات التي كانت حاصلة في حجب ظل من ظلال الأسماء والصفات والشئون والاعتبارات وإن اعتقد العارف أنها بلا ملاحظة الأسماء والصفات والشئون والاعتبارات وعدها تجليات وجودية صرفة سبحان الله إن هذا العدم الذي هو مأوى كل شر ونقص قد اكتسب الحسن بواسطة ظهور حضرة الوجود فيه ظهورا تاما ونال ما لم ينله أحد وصار القبيح لذاته بواسطة الحسن العارض مستحسنا والنفس الأمارة الإنسانية التي هي مائلة بالذات إلى الشر فيها مناسبة من بين الكل لهذا العدم ولهذا صارت فائقة على الكل في التجلي الخاص وسابقة للكل في الترقي والاختصاص (ع) أحق الخلق بالكرم العصاة *

ينبغي أن يعلم أن العارف التام المعرفة إذا نزل بعد طي مقامات العروج ومراتب النزول تفصيلا إلى مقام العدم الصرف وحصلت له مرآتية حضرة الوجود يظهر فيه جميع الكمالات الأسمائية والصفاتية ويظهر جميعها تفصيلا مع لطائف كان مقام الإجمال متضمنا لها * وهذه الدولة لا تتيسر لغيره وتلك المرآتية لباس فاخر مخيط على مقدار قده وصور هذا التفصيل وإن كانت ثابتة في خزانة الحضرة العلمية ولكنها مرآتية في حضرة العلم ومرآتية هذا العارف في مرتبة الخارج حيث أظهر جميع الكمالات في الخارج.

فإن قيل: ما معنى كون العدم مرآة فإنه لا شيء محض فبأي اعتبار قيل له إنه مرآة للوجود (أجيب) أن العدم باعتبار الخارج لا شيء محض وأما في العلم فقد عرض له فيه امتياز بل حصل له وجود علمي أيضا عند مثبتي الوجود الذهني وقيل له مرآة الوجود باعتبار أن كلما يثبت من الشر والنقص في مرتبة العدم يكون مسلوبا عن الوجود الذي هو نقيضه ألبتة وكل كمال يكون مسلوبا عن مرتبة العدم يكون مثبتا في حضرة الوجود فلا جرم كان العدم سببا لظهور الكمالات الوجودية ولا معنى للمرآتية إلا هذا فافهم فإنه ينفعك والله سبحانه الملهم.

(أَيُّهَا الْوَلَدُ) إِنَّ هٰذِهِ الْمَعَارِفَ الْمُحَرَّرَةَ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنَ الْإِلْهَامَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ الَّتِي لَا يَكُونُ لِلْوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ فِيهَا مَجَالٌ وَالدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِ هٰذَا الْمَعْنَى إِنِّي لَمَّا كُنْتُ مُتَصَدِّيًا لِتَحْرِيرِ هٰذِهِ الْعُلُومِ مُلْتَجِئًا إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى رَأَيْتُ كَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْكِرَامَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَدْفَعُونَهُمْ عَنْ نَوَاحِي هٰذَا الْمَقَامِ وَلَا يَتْرُكُونَهُمْ يَحُومُونَ حَوْلَ هٰذَا الْمَكَانِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ (وَلَمَّا كَانَ) إِظْهَارُ النِّعَمِ الْجَزِيلَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَحَامِدِ الْجَمِيلَةِ تَجَاسَرْتُ عَلَى إِظْهَارِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى وَالْمَرْجُوُّ أَنْ يَكُونَ مُبَرَّأً مِنْ مَظِنَّةِ الْعُجْبِ وَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ لِلْعُجْبِ مَجَالٌ وَالْحَالُ أَنَّ نَقْصِي وَقُبْحِي الذَّاتِيَّيْنِ نُصْبَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَالْكَمَالَاتُ كُلُّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ تَعَالَى الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلًا وَآخِرًا وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ دَائِمًا وَسَرْمَدًا وَعَلَى آلِهِ الْكِرَامِ وَأَصْحَابِهِ الْعِظَامِ وَالسَّلَامُ عَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢٣٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا عَبْدِ الْغَفُورِ السَّمَرْقَنْدِيِّ وَحَاجِي بَيْكِ الْفَرْكَتِيِّ وَالْخَوَاجَهْ أَشْرَفَ الْكَابُلِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ هٰذِهِ الطَّائِفَةِ رَأْسُ كُلِّ سَعَادَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ

بَعْدَ الْحَمْدِ للهِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لِلْأَحْبَابِ الْحَقِيقِيِّينَ وَالْمُشْتَاقِينَ التَّحْقِيقِيِّينَ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ السُّرُورُ وَالْإِبْتِهَاجُ بِوُصُولِ الْمَكَاتِيبِ الشَّرِيفَةِ الْمُنْبِئَةِ عَنْ فَرْطِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِشْتِيَاقِ ثَبَّتَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هٰذِهِ الْمَحَبَّةِ وَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا اللهَ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتَ وَالْإِسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا مُعْتَقِدِينَ بِأَنَّهَا رَأْسُ سَعَادَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ. وَالتَّوْفِيقُ لِاتْيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ نَتِيجَةُ هٰذِهِ الْمَحَبَّةِ وَتَحْصِيلُ جَمْعِيَّةِ الْبَاطِنِ ثَمَرَةُ هٰذِهِ الْمَوَدَّةِ وَلَوْ صُبَّتْ جَمِيعُ ظُلُمَاتِ الْعَالَمِ وَكُدُورَاتِهِ فِي الْبَاطِنِ وَهٰذِهِ الْمَحَبَّةُ قَائِمَةٌ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُغْتَمَّ أَصْلًا بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا وَلَوْ أُفِيضَتْ أَمْثَالُ الْجِبَالِ مِنَ الْأَنْوَارِ وَالْأَحْوَالِ عَلَى الْبَاطِنِ وَقَدْ زَالَتْ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْمَحَبَّةِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَعْتَقِدَ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ الْخِذْلَانِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَعُدَّهُ اسْتِدْرَاجًا وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى شُغْلِكُمْ مُتَمَسِّكِينَ بِحَبْلِ هٰذِهِ الْمَحَبَّةِ تَمَسُّكًا شَدِيدًا دُونَ أَنْ تُضَيِّعُوا الْعُمُرَ الْعَزِيزَ بِأُمُورٍ لَا طَائِلَ فِيهَا،

(شِعْرٌ):

وَإِيَّاكُمْ وَالْإِغْتِرَارَ بِزُخْرُفٍ *** سَرِيعِ الزَّوَالِ لَنْ تَرَوْا نَفْعَهُ أَصْلًا

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا .

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(٢٣٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمَخْدُومِ زَادَهُ الشَّيْخِ مِيَانْ مُحَمَّدْ صَادِقْ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي بَيَانِ بَعْضِ الْأَسْرَارِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لِلْوَلَدِ الْأَرْشَدِ أَنَّهُ قَدْ فُهِمَ مِنْ مَكْتُوبِكُمُ الْمُحَرَّرِ فِي شَرْحِ الْأَحْوَالِ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَتْ لَكُمْ مُنَاسَبَةٌ بِالْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ فَشَكَرْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ حَقَّ شُكْرِهِ وَكُنْتُ مُتَمَنِّيًا لِحُصُولِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ لَكُمْ مِنْ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ فَحِينَئِذٍ كُنْتُ مُتَوَجِّهًا بِرَجَاءِ جَذْبِكُمْ إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَا أَنَا فِي هَذَا الطَّلَبِ إِذْ وَجَدْتُكَ دَاخِلًا فِي الْوِلَايَةِ الْمُوسَوِيَّةِ اتِّفَاقًا فَأَدْخَلْتُكَ فِي الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ جَاذِبًا لَكَ مِنْ هُنَاكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَحَيْثُ أَدْخَلْتُكَ فِي هَذِهِ الْوِلَايَةِ قَسْرًا صِرْتَ أَرْبَابَكَ آخِذًا فِي كَتِفِي وَقَدْ مَرَّ عَلَى ذَلِكَ أَزْيَدُ مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا لَكَ مِنْ ضَعْفِ هَذِهِ النِّسْبَةِ. وَحَيْثُ حَصَلَتْ لَهَا الْآنَ قُوَّةٌ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا لَكَ أَيْضًا وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنْ إِنْعَامَاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ الْفَائِضَةِ عَلَى التَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي فِي حَقِّ هَذَا الْعَاصِي (شِعْرٌ)

كَأَنِّي بُقْعَةٌ فِيهَا سَحَابُ ال *** رَبِيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلَالًا

فَلَوْ لِي أَلْفُ أَلْسِنَةٍ وَأُثْنِي *** بِهَا مَا ازْدَدْتُ إِلَّا انْفِعَالًا

ثُمَّ إِنَّ الْوَلَدَ الْأَعَزَّ مُحَمَّدْ سَعِيدْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ أَحْوَالَهُ فِي مَكْتُوبِهِ فَرَأَيْتُهَا أَصِيلَةً جِدًّا لَمْ تَحْصُلْ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ خَلَا أُنَاسٍ قَلِيلِينَ مِنَ الْأَصْحَابِ. وَالْمَرْجُوُّ أَنْ يُشَرِّفَهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ أَيْضًا بِالْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ وَوَلَدِي مُحَمَّدْ مَعْصُومْ قَابِلٌ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بِالذَّاتِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَخْرَجَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢٣٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدْ طَالِبْ فِي التَّرْغِيبِ فِي مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَمَدْحِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ

ثَبَّتَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَلَى آلِهِ الْكِرَامِ وَأَصْحَابِهِ الْعِظَامِ (أَيُّهَا الْأَخُ) الْأَرْشَدُ: إِنَّ أَكَابِرَ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ الْتَزَمُوا مُتَابَعَةَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَاخْتَارُوا الْعَمَلَ بِالْعَزِيمَةِ فَإِنْ تَشَرَّفُوا بِالْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ مَعَ هَذَا الْإِلْتِزَامِ وَالْإِخْتِيَارِ يَعُدُّونَهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً وَإِنْ أُعْطُوا الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ وَوَجَدُوا فِي هَذَا الْإِلْتِزَامِ وَالْإِخْتِيَارِ فُتُورًا لَا يَقْبَلُونَ تِلْكَ الْأَحْوَالَ وَلَا يَبْغُونَ تِلْكَ الْمَوَاجِيدَ وَلَا يَرَوْنَ فِي ذَلِكَ الْفُتُورِ شَيْئًا سِوَى الْخِذْلَانِ فَإِنَّ بَرَاهِمَةَ الْهُنُودِ وَجُوكِيَّتَهُمْ وَفَلَاسِفَةَ الْيُونَانِ لَهُمْ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ مِنْ قِسْمِ التَّجَلِّيَاتِ الصُّورِيَّةِ وَالْمُكَاشَفَاتِ الْمِثَالِيَّةِ وَلَكِنْ لَيْسَتْ لَهَا نَتِيجَةٌ غَيْرَ الْفَضِيحَةِ وَالْخِذْلَانِ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ نَقْدِ الْوَقْتِ سِوَى الْمَقْتِ وَالْحِرْمَانِ وَحَيْثُ دَخَلَ

ذَلِكَ الأَخ بِفَضْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي سِلْكِ إِرَادَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فَلاَ بُدَّ مِنَ الْتِزَامِ مُتَابَعَتِهِمْ وَاجْتِنَابِ مُخَالَفَتِهِمْ وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ حَتَّى تَكُونَ مُنْتَفِعًا وَمُسْتَفِيدًا مِنْ كَمَالاَتِهِمْ فَاللاَّزِمُ أَوَّلاً تَصْحِيحُ الْعَقَائِدِ عَلَى وَفْقِ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ كَثَّرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ. ثُمَّ تَحْصِيلُ عِلْمِ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ وَالْمَكْرُوهِ وَالْمُشْتَبِهِ مِمَّا ذُكِرَ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْعُلُومِ. ثَانِيًا: ثُمَّ تَصِلُ النَّوْبَةُ إِلَى عُلُومِ التَّصَوُّفِ. ثَالِثًا: وَمَا لَمْ يَصِحَّ هَذَانِ الْجَنَاحَانِ فَالطَّيَرَانُ إِلَى عَالَمِ الْقُدْسِ مُحَالٌ. فَإِنْ حَصَلَتِ الأَحْوَالُ وَالْمَوَاجِيدُ بِدُونِ حُصُولِ هَذَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَلاَكَكَ فِيهَا وَأَنْ تَتَبَرَّأَ وَتَسْتَعِيذَ مِنْهَا (ع) **هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالْبَاقِي خَيَالاَتٌ** * ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [1]. وَقَدِمَ أَخِي الشَّيْخُ مِيَانْ دَاوُدُ هُنَاكَ يَنْبَغِي اغْتِنَامُ صُحْبَتِهِ وَالإِنْقِيَادُ لَهُ فِيمَا يَنْصَحُ بِهِ أَوْ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الصُّحْبَةِ بِمُرِيدِي هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَتَعَلُّمِ طَرِيقَتِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ كَمَا يَنْبَغِي. وَلْيَغْتَنِمِ الأَصْحَابُ الْمَوْجُودُونَ هُنَاكَ الدَّاخِلُونَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِوَاسِطَةِ الْمِيرْ نُعْمَانَ صُحْبَةَ الْمُشَارِ إِلَيْهِ وَلْيَكُنِ اجْتِمَاعُهُمْ وَجُلُوسُهُمْ فِي حَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ فَانِيًا كُلُّ وَاحِدٍ فِي الآخَرِ حَتَّى تَحْصُلَ الْجَمْعِيَّةُ وَتَتَرَقَّى الْمُعَامَلَةُ. وَيَنْبَغِي أَيْضًا الْتِزَامُ مُطَالَعَةِ الْمَكْتُوبَاتِ فَإِنَّهَا نَافِعَةٌ (ع) **دَلَلْتُكَ يَا هَذَا عَلَى كَنْزِ مَقْصَدٍ*** ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [2] وَالْتِزَمْ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

(٢٣٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ فِي الْحَثِّ عَلَى تَكْثِيرِ الإِخْوَانِ وَالتَّحْذِيرِ عَنِ الْعُجْبِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُرِيدِينَ وَبَيَانِ ضَرَرِهِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ. وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الْمُرْسَلُ صُحْبَةَ كَمَنْ خَوَاجَهْ الرَّحِيمِيِّ وَصَارَ مُوجِبًا لِفَرَحٍ وَافِرٍ وَحَيْثُ انْدَرَجَ فِيهِ أَحْوَالُ مُسْتَرْشِدِيكُمْ وَمُرِيدِيكُمْ بِالتَّفْصِيلِ زَادَ الْفَرَحُ فَإِنَّ فِي الإِكْثَارِ مِنَ الإِخْوَانِ بِمُوجَبِ: أَكْثِرُوا إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ رَجَاءً كَثِيرًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [3] مُؤَيِّدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَطْمَحُ النَّظَرِ وَمَوْقِعُهُ أَحْوَالَ نَفْسِكَ وَأَعْمَالَكَ وَالْمَلْحُوظُ سُكُونُكَ وَحَرَكَتُكَ لِئَلاَّ تَكُونَ تَرَقِّيَاتُ الْمُرِيدِينَ بَاعِثَةً عَلَى تَوَقُّفِ الشُّيُوخِ وَحَرَارَةُ الْمُسْتَرْشِدِينَ مُورِثَةٌ لِلْبُرُودَةِ فِي طَلَبِ الْمُرْشِدِينَ وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَائِفًا وَوَجِلاً مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَأَنْ تَرَى أَحْوَالَ الْمُرِيدِينَ وَمَقَامَاتِهِمْ كَالنَّمِرِ وَالأَسَدِ فَضْلاً عَنِ

---

(١) الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

(٢) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(٣) الآية ٣٥ من سورة القصص.

الْمُفَاخَرَةَ وَالْمُبَاهَاةَ بِهَا لِئَلاَّ يُفْتَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ أَبْوَابُ الْعُجْبِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تَرَقِّيَاتُ الْمُرِيدِينَ بِحُكْمِ الْحَيَاءِ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ بَاعِثَةً عَلَى الْحَيَاءِ وَالْخَجَالَةِ وَالْإِنْفِعَالِ وَحَرَارَةُ طَلَبِ الطَّالِبِينَ مُوجِبَةٌ لِلْغَيْرَةِ وَالْعِبْرَةِ وَزِيَادَةِ الْإِشْتِغَالِ. وَيَنْبَغِي أَيْضًا: أَنْ يَكُونَ رُؤْيَةُ قُصُورِ الْأَعْمَالِ وَاتِّهَامُ النِّيَّاتِ لاَزِمَ الْوَقْتِ وَأَنْ يَكُونَ لِسَانُ الْحَالِ مَرْطُوبًا مِنْ كَلِمَةِ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَقَّعُ مِنْ أَوْضَاعِكُمُ الْمَحْمُودَةِ الْمَقْبُولَةِ أَمْثَالَ هَذِهِ الْمُعَامَلاَتِ وَلَكِنْ صَدَرَ التَّأْكِيدُ وَالْمُبَالَغَةُ بِمُلاَحَظَةِ مَكِيدَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ الْأَمَّارَةِ وَاللَّعِينِ فَلاَ تَقَعُ الْبُرُودَةُ فِي حَرَارَةِ التَّوَجُّهِ إِلَى الطَّالِبِينَ ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى إِحْدَيهِمَا قُصُورٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ الْخَوَاجَةُ الرَّحْمنُ وَالسَّيِّدُ أَحْمَدُ مَجْلِسَكُمْ وَعَلَيْكُمْ أَيْضًا رِعَايَةُ التَّوَجُّهِ فِي شَأْنِهِمَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ فَإِنْ وُفِّقَ الْمِيرُ عَبْدُ اللَّطِيفِ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ يَنْبَغِي أَنْ تُسَدِّدَهُ لِتَحْصُلَ لَهُ الْإِسْتِقَامَةُ. وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنَّ بَعْضَ الطَّالِبِينَ يُرِيدُونَ الطَّرِيقَةَ الْقَادِرِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تُعَلِّمَ أَحَدًا أَصْلاً طَرِيقَةً غَيْرَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ حَتَّى لاَ يَكُونَ خَلْطٌ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْنِ. وَأَمَّا لَوْ طَلَبُوا الْكُلاَهَ وَالشَّجَرَةَ فَذَلِكَ أَخْذُ الْمُرِيدِ وَلَكِنْ مُرْهُمْ بِالصُّحْبَةِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ أَصْحَابِكُمْ وَأَحْبَابِكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(٢٣٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ أَحْمَدَ الْبَرْكِيِّ فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ

قَدْ صِرْتُ مُبْتَهِجًا وَمَسْرُورًا بِمُطَالَعَةِ مَضَامِينِ الصَّحِيفَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُرْسَلَةِ عَلَى وَجْهِ الشَّفَقَةِ وَالرَّأْفَةِ وَقَدْ كَتَبْتَ فِيهَا أَنَّ عَرْضَ الْأَحْوَالِ إِنَّمَا هِيَ عَلَى تَقْدِيرِ حُصُولِ الْأَحْوَالِ إِلَخْ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ)، إِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ حُصُولِ الْأَحْوَالِ التَّعَلُّقُ وَالْإِرْتِبَاطُ بِمُحَوِّلِ الْأَحْوَالِ فَإِذَا حَصَلَ هَذَا التَّعَلُّقُ فَلاَ ضَرَرَ مِنْ عَدَمِ حُصُولِ الْأَحْوَالِ. وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي الْحُضُورِ أَنِّي أَكْثَرْتُ مِنْ إِلْقَاءِ الْبُذُورِ فِي حَقِّكُمْ إِلَخْ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ)، الْوَاقِعُ كَذَلِكَ لَكِنَّ حُصُولَ الثَّمَرَاتِ مَنُوطٌ بِمُرُورِ الدُّهُورِ وَالْأَوْقَاتِ حَالَ الْحَيَاتِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ أَبْشِرْ وَلاَ تَعْجَلْ. وَكَتَبْتَ أَيْضًا مِنْ مَقَالَةِ مَوْلاَنَا مُحَمَّدْ صَالِحْ وَلَمْ يَكُنْ مَوْلاَنَا الْمَذْكُورُ حَاضِرًا حَتَّى يَتَفَهَّمَ مُرَادَهُ فَلاَ تَتَعَرَّضْ لَهَا وَلَكِنَّهُ خَيِّرٌ لاَ يَخْطُرُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْخَاطِرِ. وَكَتَبْتَ أَيْضًا مِنْ صُدُورِ سُوءِ الْأَدَبِ زَلاَّتُ الْمُخْلِصِينَ مَعْفُوٌّ عَنْهَا لاَ يَقَعُ غُبَارٌ فِي الْخَاطِرِ وَطَلَبْتَ الْبَحْثَ وَالتَّفْتِيشَ مِنْ أَحْوَالِكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ قَدْ كُنْتَ مِنَ الْمَقْبُولِينَ قَبْلُ مِنْ قَبْلُ بِلاَ عِلَّةٍ. وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنَّهُ حَضَرَ اثْنَانِ مِنْ أَوْلاَدِ الْمَشَائِخِ لِتَلَقِّي الذِّكْرِ إِلَخْ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ الْإِسْتِخَارَةَ مَسْنُونَةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَمُبَارَكَةٌ وَلَكِنْ لاَ يَلْزَمُ أَنْ يَظْهَرَ بَعْدَ الْإِسْتِخَارَةِ شَيْءٌ فِي الْمَنَامِ أَوْ فِي الْوَاقِعَةِ أَوْ فِي الْيَقَظَةِ يَدُلُّ عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ بَلْ يَنْبَغِي الرُّجُوعُ بَعْدَ الْإِسْتِخَارَةِ إِلَى الْقَلْبِ فَإِنْ كَانَ الْمَيْلُ وَالْإِقْبَالُ إِلَى الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ أَزْيَدَ مِنَ الْأَوَّلِ فَفِيهِ دَلاَلَةٌ

عَلَى الْفِعْلِ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ مَا كَانَ سَابِقًا بِلاَ زِيَادَةٍ وَلاَ نُقْصَانٍ فَلاَ مَنْعَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَيْضًا. وَتَكَرُّرُ الْإِسْتِخَارَةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ إِلَى أَنْ تَفْهَمَ الزِّيَادَةَ فِي الْإِقْبَالِ وَنِهَايَةُ تَكْرَارِ الْإِسْتِخَارَةِ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ. وَمَتَى فُهِمَ النُّقْصَانُ فِي الْإِقْبَالِ بَعْدَ أَدَاءِ الْإِسْتِخَارَةِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْمَنْعِ وَلاَ بَأْسَ فِي تَكْرَارِ الْإِسْتِخَارَةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَيْضًا بَلِ التَّكْرَارُ أَوْلَى وَأَنْسَبُ فِي جَمِيعِ التَّقَادِيرِ وَأَحْوَطُ فِي الْإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ. (وَسَأَلْتَ) عَنْ مَعْنَى عِبَارَةِ رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ الْمُحَرَّرَةِ فِي بَيَانِ الْجَسَدِ الْمُكْتَسَبِ مِنَ الرُّوحِ. (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ مُبَاشَرَةَ الرُّوحِ لِلْأَفْعَالِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْأَجْسَامِ إِنَّمَا هِيَ بِوَاسِطَةِ ذَاكَ الْجَسَدِ الْمُكْتَسَبِ مِنَ الرُّوحِ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ الْإِمْدَادَاتُ الصَّادِرَةُ مِنْ رُوحَانِيَّةِ الْأَكَابِرِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ الْمُنَاسِبَةِ لِلْأَجْسَامِ كَإِهْلاَكِ الْأَعْدَاءِ وَنُصْرَةِ الْأَحِبَّاءِ بِوُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَنْحَاءٍ شَتَّى. وَصَدَرَ طَلَبُ الْأَمَانِ مِنْ فِتْنَةِ الظَّلَمَةِ قَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ بَلْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِّ تِلْكَ الظَّلَمَةِ فَكُونُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ بِفَرَاغِ الْخَاطِرِ وَنَرْجُو أَنْ لاَ يَكُونَ ذَلِكَ الْحِفْظُ مُوَقَّتًا بِوَقْتٍ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ. وَلَكِنْ يَنْبَغِي نَصِيحَةُ أَهْلِ تِلْكَ الدِّيَارِ وَتَحْذِيرُهُمْ عَنْ تَغْيِيرِ وَضْعِ الصَّلاَحِ وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلْمُسْلِمِينَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وَالسَّلاَمُ.

(٢٤٠) اَلْمَكْتُوبُ الْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ يُوسُفَ الْبَرْكِيِّ فِي بَيَانِ عَدَمِ نِهَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَبَعْضِ فَوَائِدِ كَلِمَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَتِ الرِّسَالَةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى أَحْوَالِكُمُ الْخَيْرِ فَصَارَتْ مُطَالَعَتُهَا بَاعِثَةً عَلَى الْمَسَرَّةِ (ع) وَكَمْ فِي الْعِشْقِ مِنْ عَجَبٍ عَجِيبٍ * وَلَكِنْ يَنْبَغِي التَّرَقِّي مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْوُصُولُ إِلَى مُحَوِّلِ الْأَحْوَالِ وَهُنَاكَ كُلُّهُ جَهَالَةٌ وَنَكَارَةٌ فَإِنْ تَيَسَّرَ التَّشَرُّفُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَعْرِفَةِ فَحَبَّذَتِ الدَّوْلَةُ وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ كُلَّمَا يَدْخُلُ تَحْتَ الرُّؤْيَةِ وَالْخَيَالِ فَهُوَ قَابِلٌ لِلنَّفْيِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ شُهُودَ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ فَإِنَّ الْكَثْرَةَ لاَ تَسَعُ تِلْكَ الْوَحْدَةَ وَالَّذِي يُرَى فَهُوَ شَبَحُ تِلْكَ الْوَحْدَةِ وَمِثَالُهُ لاَ هِيَ نَفْسُهَا فَالْمُنَاسِبُ لِحَالِكُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَكْرَارُ كَلِمَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَلَى وَجْهٍ لاَ تَتْرُكُ شَيْئًا يَدْخُلُ تَحْتَ الْعِلْمِ وَالْإِدْرَاكِ وَيَنْجَرُّ الْأَمْرُ إِلَى الْحَيْرَةِ وَالْجَهَالَةِ وَتَنْتَهِي الْمُعَامَلَةُ إِلَى حَدِّ الْفَنَاءِ وَمَا لَمْ يَنْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى الْحَيْرَةِ وَالْجَهْلِ لاَ نَصِيبَ مِنَ الْفَنَاءِ وَمَا حَسِبْتَهُ فَنَاءً فَهُوَ مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِالْعَدَمِ لاَ الْفَنَاءِ. فَإِذَا تَيَسَّرَ الْوُصُولُ إِلَى الْجَهْلِ وَحَصَلَ الْفَنَاءُ يُوضَعُ الْقَدَمُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ وَأَيْنَ الْوَصْلُ وَإِلَى مَنِ الْإِتِّصَالُ، (شِعْرٌ):

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا *** قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُتُوفٌ

وَأَحْوَالُكَ صَحِيحَةٌ وَلَكِنَّ التَّعَدِّيَ وَالتَّرَقِّيَ عَنْهَا لَازِمٌ. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾(١) وَبَقِيَّةُ النُّصْحِ الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَتَطْبِيقُ الْأَحْوَالِ عَلَى الْأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنْ ظَهَرَ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ خِلَافُ الشَّرِيعَةِ قَوْلًا وَفِعْلًا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ فِيهِ هَلَاكَكَ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ أَرْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالسَّلَامُ.

(٢٤١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدْ صَالِحْ فِي بَيَانِ تَرَقِّي بَعْضِ الْأَصْحَابِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لِأَخِي الْأَرْشَدِ أَنَّ أَحْوَالَ هَذِهِ الْحُدُودِ مُسْتَوْجِبَةٌ لِلْحَمْدِ وَالْأَصْحَابُ الْمَوْجُودُونَ هُنَا فِي فَرَحٍ وَسُرُورٍ خُصُوصًا مَوْلَانَا مُحَمَّدْ صِدِّيقْ فَإِنَّهُ تَشَرَّفَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ بِالْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ وَالتَّحَقُّقِ بِالْإِسْمِ الْكُلِّيِّ مُتَرَقِّيًا مِنَ الْإِسْمِ الْجُزْئِيِّ وَنَظَرُهُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى فَوْقٍ. وَعَسَاهُ أَنْ يَمِيلَ إِلَى الرُّجُوعِ بَعْدَ تَحْصِيلِ نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنْ هُنَاكَ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكْتُبَ أَحْوَالَكَ وَأَحْوَالَ الْأَصْحَابِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الطَّرِيقَةِ وَالَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْآنَ وَأَنْ تُقِيمَ هُنَاكَ أَيَّامًا وَالسَّلَامُ.

(٢٤٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا بَدِيعِ الدِّينِ فِي جَوَابِ أَسْئِلَتِهِ

وَبَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لِأَخِي الْأَعَزِّ أَنَّ الدَّرْوِيشَ كَمَالْ بَلَّغَ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلْفَرَحِ وَالدَّرَجِ فِيهَا بَيَانُ رُؤْيَةِ الْقُصُورِ وَاتِّهَامِ النِّيَّاتِ فِي الْأَعْمَالِ فَاتَّضَحَ ذَلِكَ وَالْمَسْئُولُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ مَزِيدُ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ وَالْمَطْلُوبُ مِنْهُ تَعَالَى إِتْمَامُ هَذَا الْإِتِّهَامِ فَإِنَّ كِلَا هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ مِلَاكِ الْأُمُورِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ. وَسَأَلْتَ أَيْضًا أَنَّ الْإِشْتِغَالَ بِذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ إِلَى مَتَى وَكَمْ حُجُبٌ تَرْتَفِعُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى هَذَا الْإِسْمِ وَنِهَايَةُ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ إِلَى أَيِّ حَدٍّ وَمَاذَا يَحْصُلُ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَكَمْ حُجُبٌ تَرْتَفِعُ بِهَا (اِعْلَمْ) أَنَّ الذِّكْرَ عِبَارَةٌ عَنْ طَرْدِ الْغَفْلَةِ وَلَمَّا كَانَ الظَّاهِرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْغَفْلَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ كَانَ الظَّاهِرُ مُحْتَاجًا إِلَى الذِّكْرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ بِالضَّرُورَةِ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْأَنْفَعَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ذِكْرُ اسْمِ الذَّاتِ وَالْأَنْسَبَ فِي وَقْتٍ آخَرَ ذِكْرُ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ بَقِيَتْ مُعَامَلَةُ الْبَاطِنِ فَهُنَاكَ أَيْضًا لَا بُدَّ مِنَ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ تَرْتَفِعَ الْغَفْلَةُ بِالْكُلِّيَّةِ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُبْتَدِي وَالْمُنْتَهِي فِي لُزُومِ الذِّكْرِ هُوَ أَنَّ هَذَيْنِ الذِّكْرَيْنِ مُتَعَيِّنَانِ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَأَمَّا فِي التَّوَسُّطِ وَالْإِنْتِهَاءِ فَلَا بَلْ إِذَا حَصَلَ طَرْدُ الْغَفْلَةِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَوْ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

أَدَاءِ الصَّلَاةِ جَازَ الْإِكْتِفَاءُ بِهِمَا وَلَكِنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ مُنَاسِبَةٌ لِحَالِ الْمُتَوَسِّطِينَ وَأَدَاءَ صَلَاةِ النَّوَافِلِ مُنَاسِبٌ لِحَالِ الْمُنْتَهِينَ. (يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ حُضُورَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِنْ كَانَ بِمُلَاحَظَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْغَفْلَةِ عِنْدَ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْأَحَدِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْحُضُورُ دَائِمًا فَيَنْبَغِي طَرْدُ هَذِهِ الْغَفْلَةِ أَيْضًا وَالسَّيْرُ إِلَى مَا وَرَاءَ الْوَرَاءِ، (شِعْرٌ):

وَلَا تَسْتَقِلَّ هَجْرَ الْحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا *** قَلِيلًا وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي الْعَيْنِ ضَائِرٌ

وَكَتَبْتَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْوَقَائِعِ وَقَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ قَبْلَ هَذَا أَنَّ أَمْثَالَ ذَلِكَ مُبَشِّرَاتٌ وَمَا جَاءَ وَقْتُ ظُهُورِهَا بَعْدُ فَانْتَظِرْ وَاشْتَغِلْ شِعْرٌ:

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا *** قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

وَالسَّلَامُ.

(٢٤٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا أَيُّوبَ الْمُحْتَسِبِ فِي التَّرْغِيبِ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لِأَخِي الْأَعَزِّ أَنَّكَ قَدْ طَلَبْتَ النَّصَائِحَ دَفَعَاتٍ فِي مَكَاتِيبَ مُتَعَدِّدَةٍ وَلَكِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ هَذَا الْحَقِيرُ عَلَى إِجَابَةِ ذَلِكَ الْمَسْئُولِ نَظَرًا إِلَى قُبْحِ أَحْوَالِ نَفْسِهِ وَحَيْثُ تَكَرَّرَ الطَّلَبُ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ بِالضَّرُورَةِ فِقْرَاتٍ غَيْرَ مُرْتَبِطَةٍ (فَاسْتَمِعْ وَاعْلَمْ) أَنَّ اللَّازِمَ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ وَالْمُكَلَّفَ بِهِ امْتِثَالُ الْأَوَامِرِ وَالْإِنْتِهَاءُ عَنِ الْمَنَاهِي (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) شَاهِدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ كَانَ مَأْمُورًا بِالْإِخْلَاصِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) وَهُوَ لَا يُتَصَوَّرُ بِدُونِ الْفَنَاءِ وَالْمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ فَلَا جَرَمَ كَانَ سُلُوكُ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ الْمُحَصِّلَةِ لِلْفَنَاءِ أَيْضًا ضَرُورِيًّا لِتَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ وَحَيْثُ كَانَتْ طُرُقُ التَّصَرُّفِ فِي مَرَاتِبِ الْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ مُتَفَاوِتَةً كَانَ الْأَوْلَى وَالْأَنْسَبُ لِلْاخْتِيَارِ طَرِيقٌ يَكُونُ مُلْتَزِمًا لِمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ وَأَوْفَقَ بِإِتْيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ أَكَابِرِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرَ الْتَزَمُوا فِي هَذَا الطَّرِيقِ السُّنَّةَ وَاجْتَنَبُوا الْبِدْعَةَ بِحَيْثُ لَا يُجَوِّزُونَ الْعَمَلَ بِالرُّخْصَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَإِنْ وَجَدُوهَا نَافِعَةً فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَلَا يَتْرُكُونَ الْعَمَلَ بِالْعَزِيمَةِ وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّهَا مُضِرَّةٌ بِالصُّورَةِ فِي السِّيرَةِ وَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ تَابِعَةً لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَاعْتَقَدُوا الْأَذْوَاقَ وَالْمَعَارِفَ خَادِمَةً لِلْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الْأُصُولِيَّةِ وَالْفَرْعِيَّةِ لَا يَسْتَبْدِلُونَ الْجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ الدِّينِيَّةَ بِجَوْزِ الْوَجْدِ وَمَوْزِ الْحَالِ مِثْلَ الْأَطْفَالِ وَلَا يَغْتَرُّونَ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يُفْتَنُونَ وَلَا يَعْدِلُونَ مِنَ النُّصُوصِ إِلَى الْفُصُوصِ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ تَارِكِينَ لِلْفُتُوحَاتِ الْمَدَنِيَّةِ وَمِنْ هَهُنَا كَانَ حَالُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ وَوَقْتُهُمْ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ وَتَلَاشَتْ نُقُوشُ السِّوَى فِي لُجَّةِ بَوَاطِنِهِمْ عَلَى نَهْجٍ لَوْ تَكَلَّفُوا فِي اسْتِحْضَارِ السِّوَى

أَلْفَ سَنَةٍ لاَ يَتَيَسَّرُ. وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الَّذِي هُوَ لِغَيْرِهِمْ كَالْبَرْقِ دَائِمِيٌّ لِهَؤُلاَءِ الْكُبَرَاءِ وَالْحُضُورُ الَّذِي فِي قَفَاهُ غَيْبَةٌ وَغَفْلَةٌ سَاقِطٌ عِنْدَهُمْ عَنْ حَيِّزِ الإِعْتِبَارِ (رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ) بَيَانٌ لِحَالِهِمْ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ طَرِيقَهُمْ أَقْرَبُ الطُّرُقِ وَمُوَصِّلٌ أَلْبَتَّةَ وَنِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي بِدَايَتِهِمْ وَنِسْبَتُهُمُ الَّتِي هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَوْقَ جَمِيعِ نِسَبِ الْمَشَائِخِ وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ مَذَاقَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ بَلْ يَكَادُ الْقَاصِرُونَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ أَيْضًا يُنْكِرُونَ عَلَى بَعْضِ كَمَالاَتِهِمْ، (شِعْرٌ):

إِنْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا *** بَرَأْتُ سَاحَتَهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الْكَلِمِ

قَالَ شَاعِرُ الْعَرَبِ يَعْنِي الْفَرَزْدَقَ:

(شِعْرٌ)

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ *** إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

قَالَ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارُ قُدِّسَ سِرُّهُ إِنَّ كُبَرَاءَ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللّٰهُ أَسْرَارَهُمْ لاَ يُقَاسُونَ عَلَى كُلِّ زَرَّاقٍ وَرَقَّاصٍ فَإِنَّ مُعَامَلَتَهُمْ عَالِيَةٌ جِدًّا،

(شِعْرٌ):

لَسْتُ أَبْغِي شَرْحَهُ لِلْخَلْقِ بَلْ *** حَقٌّ أَنْ يَخْفَى كَعِشْقٍ فِي الْمَثَلِ

غَيْرَ أَنِّي صِفْتُهُ كَيْ يَرْغَبُوا *** فِيهِ قَبْلَ الْمَوْتِ كَيْلاَ يَحْزَنُوا

فَلَوْ حَرَّرْتَ دَفَاتِرَ فِي بَيَانِ خَصَائِصِ هَؤُلاَءِ الْكُبَرَاءِ وَكَمَالاَتِهِمْ لَكَانَ لَهَا حُكْمُ قَطْرَةٍ فِي جَنْبِ بَحْرٍ لاَ نِهَايَةَ لَهُ (ع) ذَلِكَ يَا هَذَا عَلَى كَنْزٍ مَقْصِدٍ * ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا

(٢٤٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ مُحَمَّدْ صَالِحْ الْكُولاَبِيِّ فِي جَوَابِ كِتَابِهِ

وَصَلَ الْمَكْتُوبُ مِنْ أَخِي الأَرْشَدِ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ صَالِحْ وَكَتَبَ فِيهِ مِنْ خَرَابِيَّةِ أَحْوَالِهِ الْمَرْجُوُّ أَنْ تَكُونَ الأَحْوَالُ أَشَدَّ خَرَابًا مِنْ ذَلِكَ وَنِهَايَةُ تِلْكَ الْخَرَابِيَّةِ مُنْدَرِجَةٌ فِي مَكْتُوبٍ مُحَرَّرٍ بِاسْمِ وَلَدِي الأَرْشَدِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ يَنْبَغِي الإِطِّلاَعُ عَلَيْهَا طَلَبًا مِنْهُ فَإِنْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّ إِقَامَتَكُمْ هُنَاكَ أَيَّامًا تَكُونُ سَبَبًا لِجَمْعِيَّةِ الأَصْحَابِ يَنْبَغِي مَكْثُ أَيَّامٍ أُخَرَ هُنَاكَ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِ خَيْرًا أَوْ صَلاَحًا وَهَذَا الْفَقِيرُ أَيْضًا يُرِيدُ فِي هَذِهِ

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الْأَوْقَاتِ سَفَرٌ دَهْلِي وَالْإِسْتِخَارَاتُ وَالتَّوَجُّهَاتُ بَوَاعِثُ عَلَى هَذَا السَّفَرِ وَفَوَّضَ هَذَا الْمَحَلُّ إِلَى وَلَدِي الْأَرْشَدِ عِنَايَةً لَهُ، وَجُعِلَ فِي قَبْضَةِ وِلَايَتِهِ وَالْفَقِيرُ قَاعِدٌ هُنَاكَ كَالْمُسَافِرِ الْغَرِيبِ فِي وِلَايَتِهِ وَالْأَصْحَابُ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الطَّرِيقَةِ مَخْصُوصُونَ بِالدَّعَوَاتِ الْمُتَوَافِرَةِ خُصُوصًا السَّيِّدَ مُرْتَضَى وَمَوْلَانَا شُكْرَ اللهِ وَالسَّيِّدَ نِظَامَ وَيُبَلِّغُ وَلَدِي الْخَوَاجَةُ مُحَمَّدُ صَادِقٍ وَسَائِرُ الْإِخْوَانِ إِيَّاكُمْ وَسَائِرَ الْإِخْوَانِ الدُّعَاءَ.

(٢٤٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَا صَالِحٍ

فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَعْلَمِ الْأَخُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ الشَّرِيفَ الْمُرْسَلَ صُحْبَةَ الْقَاصِدِ وَصَلَ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ وَكَتَبْتَ أَنَّ ذِكْرَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ قَدْ بَلَغَ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ وَلَكِنْ لَا تَحْصُلُ الْمُدَاوَمَةُ وَرُبَّمَا تَظْهَرُ الْغَيْبَةُ وَالْإِسْتِغْرَاقُ (أَيُّهَا الْمُحِبُّ) الظَّاهِرُ إِنَّ شَرْطًا مِنْ شَرَائِطِ الذِّكْرِ مَفْقُودٌ حَيْثُ لَمْ تَتَرَتَّبِ النَّتِيجَةُ عَلَيْهِ نَسْتَفْسِرُ عَنْهُ بِالْمُشَافَهَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَاسْتَفْسَرْتَ أَيْضًا عَنْ مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي كَتَبْتَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ إِتْمَامِ أَمْرِهِ: ذِكْرُ اللِّسَانِ لَقْلَقَةٌ وَذِكْرُ الْقَلْبِ وَسْوَسَةٌ وَذِكْرُ الرُّوحِ شِرْكٌ وَذِكْرُ السِّرِّ كُفْرٌ.

(اعْلَمْ) أَنَّ الذِّكْرَ لَمَّا كَانَ مُنْبِئًا عَنِ الذَّاكِرِ وَالْمَذْكُورِ أَيَّ ذِكْرٍ كَانَ وَالْمَقْصُودُ فَنَاءُ الذَّاكِرِ وَالذِّكْرِ فِي الْمَذْكُورِ فَلَا جَرَمَ قَالَ لِلذِّكْرِ لَقْلَقَةً وَوَسْوَسَةً وَشِرْكًا وَكُفْرًا،

(شِعْرٌ)

دَعْ مَا يَصُدُّكَ عَنْ وَصْلِ الْحَبِيبِ وَمَا *** يُلْهِيكَ عَنْهُ قَبِيحًا كَانَ أَوْ حَسَنًا

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُرَى عُرُوضُ هَذِهِ الْأَسَامِي لِلذِّكْرِ قَبْلَ حُصُولِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ فَإِنَّ وُجُودَ الذَّاكِرِ وَثُبُوتَ الذِّكْرِ لَهُ بَعْدَ حُصُولِ الْفَنَاءِ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ فَإِنْ بَقِيَ خَفَاءٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ فِي الْحُضُورِ فَإِنَّ حَوْصَلَةَ الْكِتَابَةِ ضَيِّقَةٌ فَنِسْبَةُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى الصِّدِّيقِ خُصُوصًا بَعْدَ إِتْمَامِ أَمْرِهِ غَيْرُ مُسْتَحْسَنَةٍ. وَاسْتَفْسَرْتَ أَيْضًا عَنْ مَعْنَى مَا كَتَبْتَ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيدٍ أَبَا الْخَيْرِ طَلَبَ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ سِينَا دَلِيلًا عَلَى الْمَقْصُودِ فَكَتَبَ فِي جَوَابِهِ أَنْ ادْخُلْ فِي الْكُفْرِ الْحَقِيقِيِّ وَاخْرُجْ مِنَ الْإِسْلَامِ الْمَجَازِيِّ فَكَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ إِلَى عَيْنِ الْقُضَاةِ أَنِّي لَوْ عَبَدْتُ اللهَ أَلْفَ أَلْفِ سَنَةٍ لَمَا حَصَلَ مِنْهَا مَا حَصَلَ مِنْ كَلِمَةِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ سِينَا هَذِهِ فَكَتَبَ عَيْنُ الْقُضَاةِ: أَنْ لَوْ فَهِمُوا لَكَانُوا مِثْلَ ذَلِكَ الْمِسْكِينِ مَلُومِينَ مَطْعُونًا فِيهِمْ.

(يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ) أَنَّ الْكُفْرَ الْحَقِيقِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ رَفْعِ الْاثْنَيْنِيَّةِ وَاسْتِتَارِ الْكَثْرَةِ بِالتَّمَامِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الْفَنَاءِ وَفَوْقَ ذَلِكَ الْكُفْرِ الْحَقِيقِيِّ مَقَامُ الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ مَوْطِنُ الْبَقَاءِ وَفِي الْكُفْرِ الْحَقِيقِيِّ مَنْقَصَةٌ تَامَّةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ وَعَدَمُ دَلَالَةِ ابْنِ سِينَا إِلَى الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ قُصُورِ نَظَرِهِ وَفِي الْحَقِيقَةِ

لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْكُفْرِ الْحَقِيقِيِّ أَيْضًا بَلْ قَالَ مَا قَالَ وَكَتَبَ مَا كَتَبَ عَلَى وَجْهِ الْعِلْمِ وَالتَّقْلِيدِ بَلْ لَمْ يَأْخُذْ هُوَ حَظًّا وَافِرًا مِنَ الْإِسْلَامِ الْمَجَازِيِّ أَيْضًا بَلْ بَقِيَ فِي الْخُرَافَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ حَتَّى كَفَّرَهُ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ.

وَالْحَقُّ أَنَّ أُصُولَهُ الْفَلْسَفِيَّةَ مُنَافِيَةٌ لِلْأُصُولِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَيْضًا إِنَّ زَمَانَ الشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ مُقَدَّمٌ عَلَى زَمَانِ عَيْنِ الْقُضَاةِ بِكَثِيرٍ فَكَيْفَ يَكْتُبُ إِلَيْهِ فَإِنْ بَقِيَتْ شَائِبَةُ الْاِشْتِبَاهِ يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ فِي الْحُضُورِ وَالسَّلَامُ.

(٢٤٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ فِي بَيَانِ حُصُولِ مَقَامٍ كَانَ يَتَوَقَّعُهُ وَيَتَرَصَّدُهُ فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ وَبَيَانِ وَجْهِ فِقْدَانِ التَّوْفِيقِ الَّذِي يَطْرَأُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ أَوْرَثَتِ الصَّحَائِفُ الشَّرِيفَةُ الْوَاصِلَةُ مُتَوَالِيَةً وَمُتَوَاتِرَةً أَفْرَاحًا مُتَوَافِرَةً وَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَى تِلْكَ الْحُدُودِ حَتَّى نَكْتُبَ جَوَابَ كُلٍّ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ فَالْمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ وَبَعْدَ وُصُولِ مَكْتُوبِ صُحْبَةِ الْمِيرْ دَادْ كُنْتُ يَوْمًا قَاعِدًا فِي حَلْقَةٍ مَعَ الْأَصْحَابِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَظَهَرَ تَوَجُّهٌ مِنِّي إِلَى جَانِبِكُمْ بِلَا قَصْدٍ وَصِرْتُ فِي صَدَدِ رَفْعِ بَقَايَا الْآثَارِ الَّتِي وَقَعَ النَّظَرُ عَلَيْهَا وَكُنْتُ مُشْتَغِلًا بِكَمَالِ الْإِهْتِمَامِ بِدَفْعِ الظُّلُمَاتِ وَالْكُدُورَاتِ الْمَحْسُوسَةِ حَتَّى صَارَ هِلَالُ كَمَالِكُمْ بَدْرَ التَّمَامِ وَانْعَكَسَ عَلَى ذَلِكَ الْبَدْرِ مَا أُودِعَ فِي شَمْسِ الْهِدَايَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي جَانِبِ الْكَمَالِ شَيْءٌ مُتَوَقَّعٌ وَمُنْتَظَرٌ إِلَّا أَنْ تَتَّسِعَ الْأَطْرَافُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَأْخُذَ بِقَدْرِ سِعَتِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَأَدَمْتُ النَّظَرَ إِلَى صُورَةِ هَذَا الْمَعْنَى الْمِثَالِيَّةِ زَمَانًا طَوِيلًا إِلَى أَنْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِصِدْقِهِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَحُصُولُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ هُوَ تَأْوِيلُ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا وَسَأَلْتَ حُصُولَهَا بِالْمُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ قَدْ حَصَلَ مَقْصُودُكُمْ بِالتَّمَامِ وَنُجِزَ الْمَوْعُودُ وَوُفِيَ بِالْعُهُودِ وَنَرْجُو أَنْ يَحْصُلَ التَّكْمِيلُ عَلَى مِقْدَارِ هَذَا الْكَمَالِ وَيَتَنَوَّرَ أَطْرَافُ تِلْكَ الْحُدُودِ مِنْ وُجُودِكُمُ الشَّرِيفِ. وَكَتَبْتَ شِكَايَةً مِنْ فِقْدَانِ التَّوْفِيقِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ سَبَبَهُ قَبْضٌ مُفْرِطٌ وَحَيْثُ كَانَ قَبْضُكُمْ مُفْرِطًا وَطَوِيلَ الذَّيْلِ يَكُونُ مُسَبَّبُهُ أَيْضًا طَوِيلًا عَلَى قَدْرِ سَبَبِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تُكَلِّفَ نَفْسَكَ بِإِتْيَانِ الْأَعْمَالِ وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ وَأَنْ تَكُونَ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّعَمُّلِ.

وَقَدْ صَدَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُلُومٌ عَالِيَةٌ وَمَعَارِفُ سَامِيَةٌ اسْتَصْحَبَ مَوْلَانَا مُحَمَّدْ أَمِينْ مِنْ جُمْلَتِهَا مُسَوَّدَتَيْنِ اِحْدَيهُمَا فِي حَلِّ شَرْحِ بَعْضِ رُبَاعِيَّاتِ شَيْخِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ كَتَبْتُهُ حِينَ قِرَاءَةِ الْأَصْحَابِ الْفِيرُوزَآبَادِيِّينَ إِيَّاهَا وَانْدَرَجَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ عُلُومُ التَّوْحِيدِ بِمُنَاسَبَةِ مَا انْدَرَجَتْ فِي تِلْكَ الرُّبَاعِيَّاتِ وَحَصَلَ فِيهَا التَّطْبِيقُ بَيْنَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَمَا حَقَّقَهُ الصُّوفِيَّةُ الْقَائِلُونَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ وَحَرَّرْتُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى

نَهْجٍ كَانَ نِزَاعُ الْفَرِيقَيْنِ رَاجِعًا إِلَى نِزَاعٍ لَفْظِيٍّ وَثَانِيَتُهُمَا مِنْ تِينِكَ الْمُسَوَّدَتَيْنِ مَكْتُوبٌ حُرِّرَ إِلَى وَلَدِي الْأَرْشَدِ بِالْبَسْطِ وَالْإِطْنَابِ يُعْرَفُ عُلُوُّ دَرَجَةِ تِلْكَ الْعُلُومِ وَقْتَ الْمُطَالَعَةِ فَإِنْ بَقِيَ أَمْرٌ مِنْهُ يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ.

(٢٤٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْعَارِفِ الْمِرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ فِي بَيَانِ أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى وُجُودِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ غَيْرُ وَمَا يُنَاسِبُهُ

عَرَفْتُ رَبِّي بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ لاَ بَلْ عَرَفْتُ فَسْخَ الْعَزَائِمِ بِرَبِّي جَلَّ وَعَلاَ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ الدَّلِيلُ عَلَى مَا سِوَاهُ لاَ الْعَكْسُ فَإِنَّ الدَّلِيلَ أَظْهَرُ مِنَ الْمَدْلُولِ وَأَيُّ شَيْءٍ أَظْهَرُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا ظَهَرَتْ بِهِ وَمِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى مَا سِوَاهُ فَلاَ جَرَمَ عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي وَعَرَفْتُ الْأَشْيَاءَ بِهِ تَعَالَى فَالْبُرْهَانُ هَهُنَا لِمِّيٌّ وَزَعَمَ الْأَكْثَرُ أَنَّهُ إِنِّيٌّ وَالتَّفَاوُتُ بِتَفَاوُتِ النَّظَرِ وَالْإِخْتِلاَفُ بِاخْتِلاَفِ النَّظَرِ بَلْ لاَ مَجَالَ لِلْإِسْتِدْلاَلِ وَالْبُرْهَانِ ثَمَّةَ إِذْ لاَ خَفَاءَ فِي وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ وَلاَ رَيْبَ فِي ظُهُورِهِ تَعَالَى فَهُوَ أَجْلَى الْبَدِيهِيَّاتِ وَمَا خَفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ لِمَرَضٍ فِي قَلْبِهِ وَغِشَاوَةٍ عَلَى بَصَرِهِ وَالْأَشْيَاءُ مَحْسُوسَةٌ بِالْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ وُجُودَهَا مِنْهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَفِقْدَانُ هَذَا الْعِلْمِ فِي الْبَعْضِ بِوَاسِطَةِ عُرُوضِ الْمَرَضِ لاَ يَضُرُّ فِي الْمَطْلُوبِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(٢٤٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْعَالِي الْجَنَابِ الْمِرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَنَّ لِكُمَّلِ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ نَصِيبًا مِنْ جَمِيعِ كَمَالاَتِهِمْ بِالتَّبَعِيَّةِ وَأَنَّهُ لاَ يَبْلُغُ وَلِيٌّ قَطُّ دَرَجَةَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَبَيَانِ مَعْنَى قَوْلِهِمْ أَنَّ التَّجَلِّيَ الذَّاتِيَّ مَخْصُوصٌ بِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَغَيْرِهِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَتْبَاعِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ وَخَزِينَةِ أَسْرَارِهِمْ. اِعْلَمْ أَنَّ كُمَّلَ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ يَجْذِبُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ جِهَةِ كَمَالِ الْمُتَابَعَةِ وَفَرْطِ الْمَحَبَّةِ بَلْ بِمَحْضِ الْعِنَايَةِ وَالْمَوْهِبَةِ جَمِيعَ كَمَالاَتِ أَنْبِيَائِهِمُ الْمَتْبُوعِينَ وَيَنْصَبِغُونَ بِلَوْنِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ حَتَّى لاَ يَبْقَى فَرْقٌ بَيْنَ الْمَتْبُوعِ وَالتَّابِعِ إِلاَّ بِالْأَصَالَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ وَالْأَوَّلِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يَبْلُغُ تَابِعٌ نَبِيٍّ قَطُّ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ أَفْضَلِ الرُّسُلِ مَرْتَبَةَ نَبِيٍّ أَصْلاً وَلَوْ كَانَ مِنْ أَدْوَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَلِهَذَا يَكُونُ رَأْسُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْبَشَرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ أَسْفَلَ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ دَائِمًا وَمِنْ هَهُنَا كَانَتْ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَرْبَابِهِمْ مِنْ مَقَامِ الْأَصْلِ وَمَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْأُمَمِ مِنَ الْأَعَالِي وَالْأَسَافِلِ وَأَرْبَابِهِمْ مِنْ مَقَامَاتِ ظِلاَلِ ذَلِكَ الْأَصْلِ عَلَى

تَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ فَكَيْفَ تُتَصَوَّرُ الْمُسَاوَاةُ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالظِّلِّ قَالَ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) وَمَا قِيلَ إِنَّ التَّجَلِّيَ الذَّاتِيَّ مَخْصُوصٌ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ بِخَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلِكُمَّلِ أَتْبَاعِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ التَّجَلِّي لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ التَّجَلِّيَ الذَّاتِيَّ لَا نَصِيبَ مِنْهُ لِلْأَنْبِيَاءِ سِوَاهُ وَإِنَّ مِنْهُ نَصِيبًا لِكُمَّلِ أَتْبَاعِهِ بِالتَّبَعِيَّةِ حَاشَا وَكَلَّا مِنْ أَنْ يُتَصَوَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ الْمَزِيَّةِ لِلْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ حُصُولَ التَّجَلِّي لِغَيْرِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَطَفُّلِهِ وَتَبَعِيَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَحُصُولُهُ لِلْأَنْبِيَاءِ بِتَطَفُّلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِكُمَّلِ أَتْبَاعِهِ بِتَبَعِيَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَالْأَنْبِيَاءُ جُلَسَاؤُهُ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خِوَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى الْمَخْصُوصَةِ بِهِ بِتَطَفُّلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْأَوْلِيَاءُ خُدَّامُهُ النَّائِلُونَ لِلْحِصَّةِ مِنْهَا وَشَتَّانَ بَيْنَ الْجُلَسَاءِ الْمُتَطَفِّلِينَ وَالْخَادِمِينَ النَّائِلِينَ لِلْحِصَّةِ وَهَذَا الْمَقَامُ مِنْ مَزَالِّ الْأَقْدَامِ وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي مَكَاتِيبِي وَرَسَائِلِي فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ وُجُوهًا شَتَّى وَالْحَقُّ مَا حَقَّقْتُ فِي هَذِهِ الْمُسَوَّدَةِ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَكَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. (وَاعْلَمْ) أَنَّ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ هَذَا التَّجَلِّي بِتَطَفُّلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَكِنْ يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الْوِلَايَةَ الْخَاصَّةَ لَمْ تَسْرِ إِلَى أَوْلِيَاءِ أُمَمِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا التَّجَلِّي فَإِنَّ حُصُولَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ لِأُصُولِهِمْ إِذَا كَانَ بِطَرِيقِ التَّطَفُّلِ وَالْإِنْعِكَاسِ فَمَاذَا يَحْصُلُ لِلْفُرُوعِ بِطَرِيقِ عَكْسِ الْعَكْسِ وَمِصْدَاقُ هَذَا الْمَعْنَى الْكَشْفُ الصَّرِيحُ لَا الْإِسْتِدْلَالُ الْعَقْلِيُّ وَمَا ذُكِرَ سَابِقًا مِنْ أَنَّ كُمَّلَ الْأَتْبَاعِ يَجْذِبُونَ كَمَالَاتِ الْمَتْبُوعِينَ بِالتَّمَامِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْكَمَالَاتُ الْأَصْلِيَّةُ لِلْمَتْبُوعِينَ لَا مُطْلَقًا حَتَّى يَتَحَقَّقَ التَّنَاقُضُ بَلْ هُمْ مُحْتَظُونَ مِنْ وِلَايَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِنَبِيِّهِمْ بِالتَّبَعِيَّةِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ مَخْصُوصَةٌ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ بِهَذَا التَّجَلِّي بِالتَّبَعِيَّةِ وَمُشَرَّفَةٌ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى وَلِهَذَا كَانَتْ خَيْرَ الْأُمَمِ وَكَانَ عُلَمَاؤُهَا كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ نُبْذَةً مِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ وَخَصَائِصِهَا وَلَكِنْ لَمْ يُسَاعِدِ الْوَقْتُ ذَلِكَ لِضِيقِهِ وَلَمْ يَفِ الْوَرَقُ. وَيُفَاضُ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ بِعِنَايَةِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ مِثْلَ مَطَرِ الرَّبِيعِ وَيَحْصُلُ الْإِطِّلَاعُ عَلَى عَجَائِبِ وَغَرَائِبِ وَمَحَارِمِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ. أَوْلَادِي الْكِرَامُ عَلَى قَدْرِ الْإِسْتِعْدَادِ وَبَقِيَّةُ الْأَصْحَابِ أَيَّامًا فِي الْحُضُورِ وَأَيَّامًا فِي الْغَيْبَةِ وَلِذَا قِيلَ: الْوَلِيُّ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا لَا يَبْلُغُ مَرْتَبَةَ صَحَابِيٍّ، وَشَوْقُ نَيْلِ الْمُلَازَمَةِ فَوْقَ الْحَدِّ وَقَدْ تَشَرَّفْتُ بِوُرُودِ الصَّحِيفَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى هَذَا الْحَقِيرِ. اعْلَمْ أَنَّ رُؤْيَةَ الْقُصُورِ فِي الْأَعْمَالِ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ وَأَمَّا الْإِقْتِصَادُ فِي الْأَحْوَالِ فَمَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالْأَفْعَالِ وَالْإِفْرَاطُ كَالتَّفْرِيطِ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢٤٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِرْزَا دَارَابْ فِي فَضَائِلِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اِعْلَمْ أَنَّ الْخَلَاصَ الْأُخْرَوِيَّ وَالْفَلَاحَ السَّرْمَدِيَّ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ وَلِذَا يُوصَلُ بِمُتَابَعَتِهِ إِلَى مَقَامِ الْمَحْبُوبِيَّةِ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَبِهَا يَتَشَرَّفُ بِالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ وَبِهَا يُمْتَازُ بِمَرْتَبَةِ الْعَبْدِيَّةِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْكَمَالِ، وَحُصُولُهَا بَعْدَ حُصُولِ مَقَامِ الْمَحْبُوبِيَّةِ وَبِهَا جُعِلَ كُمَّلُ أَتْبَاعِهِ مِثْلَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَتَمَنَّى الْأَنْبِيَاءُ أُولُو الْعَزْمِ مُتَابَعَتَهُ لَوْ كَانَ[1] مُوسَى حَيًّا فِي زَمَنِهِ مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعُهُ. وَقِصَّةُ نُزُولِ رُوحِ اللّٰهِ وَمُتَابَعَتِهِ حَبِيبَ اللّٰهِ مَعْلُومَةٌ وَمَشْهُورَةٌ وَصَارَتْ أُمَّتُهُ بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَتِهِ خَيْرَ الْأُمَمِ وَأَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَبِسَبَبِ مُتَابَعَتِهِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ غَدًا قَبْلَ جَمِيعِ الْأُمَمِ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ثُمَّ كَذَا وَكَذَا فَعَلَيْكُمْ بِمُتَابَعَتِهِ وَالْتِزَامِ سُنَّتِهِ وَإِتْيَانِ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَبَقِيَّةُ الْمَرَامِ أَنِّي فَوَّضْتُ إِلَيْكَ الشَّيْخَ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ مِنْ أَحْبَابِ صَاحِبِ الْمَعَارِفِ الْحَاجِّ عَبْدِ الْحَقِّ وَالسَّلَامُ.

(٢٥٠) اَلْمَكْتُوبُ الْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا أَحْمَدَ الْبَرْكِيِّ فِي حَلِّ بَعْضِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِي أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هٰذِهِ الْحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجِبَةٌ لِلْحَمْدِ وَالْمَسْؤُولُ مِنَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ عَافِيَتُكُمْ وَالصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ قَدْ وَصَلَتْ وَكَتَبْتَ فِيهَا أَنَّ الذَّوْقَ وَالْفَرَحَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُهُ أَوَّلًا لَا أَجِدُهُ الْآنَ وَأَظُنُّ ذٰلِكَ مِنْ تَنَزُّلِي وَانْحِطَاطِي. (اِعْلَمْ) أَيُّهَا الْأَخُ أَنَّ الْحَالَةَ الْأُولَى كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ حَالَةِ أَهْلِ الْوَجْدِ وَالسَّمَاعِ الَّتِي لِلْجَسَدِ دَخْلٌ تَامٌّ فِيهَا وَأَمَّا الْحَالَةُ الَّتِي تَيَسَّرَتِ الْآنَ فَالْجَسَدُ قَلِيلُ النَّصِيبِ مِنْهَا بَلْ تَعَلُّقُهَا بِالْقَلْبِ وَالرُّوحِ أَزْيَدُ وَبَيَانُ هٰذِهِ الْمُعَامَلَةِ يَسْتَدْعِي تَفْصِيلًا وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ الْحَالَةَ الثَّانِيَةَ فَوْقَ الْحَالَةِ الْأُولَى بِمَرَاتِبَ وَعَدَمُ وِجْدَانِ الذَّوْقِ وَفِقْدَانُ فُرْصَةِ الْفَرَحِ فَوْقَ وِجْدَانِ الذَّوْقِ وَالْفَرَحِ لِأَنَّ النِّسْبَةَ كُلَّمَا تَنْجَرُّ إِلَى الْجَهَالَةِ وَتَنْتَهِي إِلَى الْحَيْرَةِ وَتَتَبَاعَدُ عَنِ الْجَسَدِ تَكُونُ أَصِيلَةً وَأَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ الْمَطْلُوبِ فَإِنَّهُ لَا مَجَالَ فِي ذٰلِكَ الْمَوْطِنِ لِغَيْرِ الْعَجْزِ وَالْجَهْلِ وَيُعَبَّرُ عَنْ هٰذَا الْجَهْلِ بِالْمَعْرِفَةِ وَيُسَمَّى هٰذَا الْعَجْزُ إِدْرَاكًا. وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنَّ تَأْثِيرَ تِلْكَ النِّسْبَةِ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا لَمْ يَبْقَ الْآنَ نَعَمْ لَمْ يَبْقَ التَّأْثِيرُ الْجَسَدِيُّ وَأَمَّا التَّأْثِيرُ الرُّوحِيُّ فَقَدْ زَادَ وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ كُلُّ أَحَدٍ وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ صُحْبَتِكُمْ بِهٰذَا الْفَقِيرِ قَلِيلَةً جِدًّا، وَذِكْرُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ أَيْضًا كَانَ قَلِيلًا فَإِنْ كَانَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ ثُبُوتَ الصُّحْبَةِ تَحْصُلُ الْمُصَاحَبَةُ أَيَّامًا وَاسْتَفْسَرْتَ أَيْضًا عَنْ فَرْضِيَّةِ الْحَجِّ وَالذَّهَابِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ وُجُودِ الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ وَعَدَمِهِ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ فِي الرِّوَايَاتِ الْفِقْهِيَّةِ اخْتِلَافَاتٍ كَثِيرَةً فِي هٰذَا الْبَابِ وَالْمُخْتَارُ فِي هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَتْوَى الْفَقِيهِ أَبِي اللَّيْثِ حَيْثُ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ الْأَمْنَ وَعَدَمَ الْهَلَاكِ فِي

[1] لو كان موسى الخ رواه احمد والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه.

الطَّرِيقِ فَالْفَرْضِيَّةُ ثَابِتَةٌ وَإِلاَّ فَلاَ وَلَكِنَّ هَذَا الشَّرْطَ شَرْطُ وُجُوبِ الْأَدَاءِ لاَ شَرْطُ نَفْسِ الْوُجُوبِ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ فَتَكُونُ الْوَصِيَّةُ بِالْإِحْجَاجِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَاجِبَةً وَلَمَّا لَمْ يُسَاعِدِ الْوَقْتُ جَوَابَ اسْتِفْسَارَاتِكُمُ الْأُخْرَى أَخَّرْنَاهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَالسَّلاَمُ.

(٢٥١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مَوْلاَنَا الْأَشْرَفِ فِي بَيَانِ فَضَائِلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ خُصُوصًا الشَّيْخَيْنِ وَتَعْظِيمِ سَائِرِ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَالْكَفِّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِيهِمْ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلاَةِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَعْلَمِ الْأَخُ الْأَرْشَدُ الْخَوَاجَهْ أَشْرَفُ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ الْعُلُومَ الْغَرِيبَةَ وَالْأَسْرَارَ الْعَجِيبَةَ وَالْمَوَاهِبَ اللَّطِيفَةَ وَالْمَعَارِفَ الشَّرِيفَةَ عَلَى قَدْرِ الْفَهْمِ الْقَاصِرِ وَأَكْثَرُهَا يَتَعَلَّقُ بِفَضَائِلِ الشَّيْخَيْنِ وَذِي النُّورَيْنِ وَأَبِي الْحَسَنَيْنِ وَكَمَالاَتِهِمْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ يَنْبَغِي الْإِسْتِمَاعُ وَالْإِصْغَاءُ إِلَيْهَا بِسَمْعِ الْعَقْلِ.

اعْلَمْ أَنَّ حَضْرَةَ الصِّدِّيقِ وَحَضْرَةَ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا مَعَ وُجُودِ حُصُولِ الْكَمَالاَتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِيهِمَا وَبُلُوغِهِمَا أَقْصَى دَرَجَاتِ الْوِلاَيَةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ فِيهِمَا مُنَاسَبَةٌ فِي طَرَفِ الْوِلاَيَةِ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَفِي طَرَفِ الدَّعْوَةِ الَّتِي هِيَ مُنَاسِبَةٌ لِمَقَامِ النُّبُوَّةِ بِهِمَا مُنَاسَبَةٌ لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَبِذِي النُّورَيْنِ مُنَاسَبَةٌ فِي كِلاَ الطَّرَفَيْنِ لِسَيِّدِنَا نُوحٍ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَبِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ مُنَاسَبَةٌ فِي كِلاَ الطَّرَفَيْنِ لِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَحَيْثُ كَانَ عِيسَى رُوحَ اللّٰهِ وَكَلِمَتَهُ كَانَ طَرَفُ وِلاَيَتِهِ غَالِبًا عَلَى جَانِبِ نُبُوَّتِهِ وَطَرَفُ الْوِلاَيَةِ غَالِبٌ أَيْضًا فِي عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ. وَمَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ صِفَةُ الْعِلْمِ عَلَى اخْتِلاَفِ الْجِهَاتِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً. وَهَذِهِ الصِّفَةُ بِاعْتِبَارِ الْإِجْمَالِ رَبُّ مُحَمَّدٍ وَبِاعْتِبَارِ التَّفْصِيلِ رَبُّ الْخَلِيلِ وَبِاعْتِبَارِ الْبَرْزَخِيَّةِ بَيْنَ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ رَبُّ نُوحٍ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَمَا أَنَّ رَبَّ مُوسَى صِفَةُ الْكَلاَمِ وَرَبَّ عِيسَى صِفَةُ الْقُدْرَةِ وَرَبَّ آدَمَ صِفَةُ التَّكْوِينِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ (وَلْنَرْجِعْ) إِلَى أَصْلِ الْكَلاَمِ وَنَقُولُ: إِنَّ الصِّدِّيقَ وَالْفَارُوقَ هُمَا حَامِلاَ ثِقْلِ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى اخْتِلاَفِ الْمَرَاتِبِ وَعَلِيًّا كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ بِوَاسِطَةِ مُنَاسَبَتِهِ لِعِيسَى وَغَلَبَةِ جَانِبِ وِلاَيَتِهِ حَامِلُ ثِقْلِ الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَذَا النُّورَيْنِ بِاعْتِبَارِ بَرْزَخِيَّتِهِ قِيلَ إِنَّهُ حَامِلُ كِلاَ الطَّرَفَيْنِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِطْلاَقُ ذِي النُّورَيْنِ عَلَيْهِ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ أَيْضًا وَحَيْثُ قَالُوا إِنَّ الشَّيْخَيْنِ حَامِلاَ ثِقْلِ النُّبُوَّةِ تَكُونُ مُنَاسَبَتُهُمَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَزْيَدَ لِأَنَّ مَقَامَ الدَّعْوَةِ الَّتِي هِيَ نَاشِئَةٌ مِنْ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ فِيهِ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَكِتَابُهُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَلِهَذَا تَكُونُ أُمَّتُهُ أَكْثَرَ مَنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَإِنْ كَانَتْ شَرِيعَةُ إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتُهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَالْمِلَلِ وَلِهَذَا أُمِرَ أَفْضَلُ الرُّسُلِ بِمُتَابَعَةِ مِلَّتِهِ (ثُمَّ

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) شَاهِدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى وَالْمَهْدِيُّ الْمَوْعُودُ أَيْضًا رَبُّهُ صِفَةُ الْعِلْمِ وَبِهِ مُنَاسَبَةٌ لِعِيسَى مِثْلَ عَلِيٍّ وَكَانَ إِحْدَى قَدَمَيْ عِيسَى عَلَى رَأْسِ عَلِيٍّ وَالْأُخْرَى عَلَى رَأْسِ الْمَهْدِيِّ.

اعْلَمْ أَنَّ وِلَايَةَ مُوسَى وَقَعَتْ عَلَى يَمِينِ الْوِلَايَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالْوِلَايَةُ الْعِيسَوِيَّةُ عَلَى يَسَارِهَا وَلَمَّا كَانَ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَى حَامِلَ ثِقَلِ الْوِلَايَةِ كَانَ أَكْثَرُ سَلَاسِلِ الْأَوْلِيَاءِ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ وَظَهَرَتْ كَمَالَاتُهُ لِأَكْثَرِ الْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ الْمُخْتَصِّينَ بِكَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ أَزْيَدَ وَأَكْثَرَ مِنْ كَمَالَاتِ الشَّيْخَيْنِ فَلَوْلَا إِجْمَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الشَّيْخَيْنِ لَحَكَمَ كَشْفُ أَكْثَرِ الْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ بِأَفْضَلِيَّةِ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى لِأَنَّ كَمَالَاتِ الشَّيْخَيْنِ تُشْبِهُ كَمَالَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَإِدْرَاكُ أَرْبَابِ الْوِلَايَةِ قَاصِرٌ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى ذَيْلِ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ وَكَشْفُ أَرْبَابِ الْكُشُوفِ بِوَاسِطَةِ عُلُوِّ دَرَجَاتِهِمْ بَاقٍ فِي الطَّرِيقِ غَيْرُ وَاصِلٍ إِلَيْهِمْ. وَكَمَالَاتُ الْوِلَايَةِ كَالْمَطْرُوحِ فِي الطُّرُقِ فِي جَنْبِ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ إِنَّمَا هِيَ مَدَارِجُ وَمَعَارِجُ لِلْعُرُوجِ إِلَى كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ فَكَيْفَ يَكُونُ لِلْمُقَدِّمَاتِ خَبَرٌ عَنِ الْمَقَاصِدِ وَمَاذَا يَكُونُ شُعُورُ الْمَبَادِي بِالْمَطَالِبِ وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ثَقِيلًا عَلَى الْأَكْثَرِينَ بِوَاسِطَةِ بُعْدِ عَهْدِ النُّبُوَّةِ وَبَعِيدًا عَنِ الْقَبُولِ وَلَكِنْ مَاذَا نَصْنَعُ (شعر)

قَدْ أَمْسَكُونِي وَرَى الْمِرْآةِ كَدُرَّتِهِمْ *** أَقُولُ مَا قَالَ لِي أُسْتَاذِي الْأَزَلِيُّ

وَلَكِنْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ إِنِّي مُتَّفِقٌ فِي هَذَا الْقِيلِ وَالْقَالِ مَعَ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ وَقَوْلِي مُوَافِقٌ بِإِجْمَاعِهِمْ وَجُعِلَ اسْتِدْلَالِيُّهُمْ كَشْفِيًّا لِي وَإِجْمَالِيُّهُمْ تَفْصِيلِيًّا وَهَذَا الْفَقِيرُ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَى كَمَالَاتِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ بِمُتَابَعَةِ نَبِيِّهِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ نَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى فَضَائِلِ الشَّيْخَيْنِ بِطَرِيقِ الْكَشْفِ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى سَبِيلٍ غَيْرِ التَّقْلِيدِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ (قَالَ) شَخْصٌ يَوْمًا: قَدْ كُتِبَ فِي الْكُتُبِ أَنَّ اسْمَ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَوَقَعَ فِي الْخَاطِرِ أَنَّهُ مَاذَا يَكُونُ لِحَضْرَةِ الشَّيْخَيْنِ مِنْ خَصَائِصِ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ فَظَهَرَ بَعْدَ التَّوَجُّهِ التَّامِّ أَنَّ دُخُولَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِذْنِ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ وَتَجْوِيزِهِمَا وَكَانَ الصِّدِّيقُ قَائِمًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَأْذَنُ لِلنَّاسِ بِالدُّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْفَارُوقُ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ آخِذًا بِأَيْدِيهِمْ وَكَانَ مَشْهُودًا أَنَّ الْجَنَّةَ بِتَمَامِهَا مَمْلُوءَةٌ بِنُورِ الصِّدِّيقِ وَفِي نَظَرِ هَذَا الْحَقِيرِ أَنَّ لِلشَّيْخَيْنِ شَأْنًا عَلَى حِدَةٍ فِيمَا بَيْنَ الْأَصْحَابِ وَدَرَجَةً مُمْتَازَةً مُنْفَرِدَةً كَأَنَّهَا لَمْ يُشَارِكْهُمَا فِيهَا أَحَدٌ وَكَانَ الصِّدِّيقُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ فَإِنَّمَا هُوَ بِالْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَالْفَارُوقُ أَيْضًا مُشَرَّفٌ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بِتَطَفُّلِ الصِّدِّيقِ وَنِسْبَةُ سَائِرِ الصَّحَابَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْبَةُ الْمُسَاكَنَةِ فِي خَانٍ وَاحِدٍ أَوْ فِي بَلْدَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَا يَكُونُ حَظُّ سَائِرِ أَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ (ع) حَسْبِي إِذَا جَاءَ مِنْ بُعْدٍ صَدَا جَرَسِهِ

فَمَاذَا يَجِدُ هَؤُلَاءِ مِنْ كَمَالَاتِ الشَّيْخَيْنِ وَكِلَا هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ مَعْدُودَانِ فِي عِدَادِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْعَظَمَةِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ وَمَحْفُوفَانِ بِفَضَائِلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ كَانَ[1] بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ". وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ فِي أَيَّامِ مُصِيبَةِ الْفَارُوقِ فِي مَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ مَاتَ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْعِلْمِ وَلَمَّا أَحَسَّ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ تَوَقُّفًا فِي فَهْمِ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ قَالَ: الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ الْعِلْمُ بِاللهِ لَا عِلْمُ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَمَاذَا يُقَالُ فِي الصِّدِّيقِ الَّذِي جَمِيعُ حَسَنَاتِ عُمَرَ حَسَنَتُهُ الْوَاحِدَةُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ وَيُحِسُّ أَنَّ انْحِطَاطَ عُمَرَ الْفَارُوقِ مِنَ الصِّدِّيقِ أَكْثَرُ وَأَزْيَدُ مِنِ انْحِطَاطِ الصِّدِّيقِ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقِسْ عَلَى هَذَا انْحِطَاطَ الْبَاقِينَ مِنَ الصِّدِّيقِ.

وَالشَّيْخَانِ لَمْ يُفَارِقَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَيْضًا وَسَيَكُونُ حَشْرُهُمَا أَيْضًا مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فَتَكُونُ الْأَفْضَلِيَّةُ بِوَاسِطَةِ الْأَقْرَبِيَّةِ لَهُمَا وَمَاذَا يَقُولُ هَذَا الْحَقِيرُ قَلِيلُ الْبِضَاعَةِ مِنْ كَمَالَاتِهِمْ وَمَاذَا يُبَيِّنُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَأَيْنَ لِلذَّرَّةِ قُدْرَةُ التَّكَلُّمِ مِنَ الشَّمْسِ وَأَيْنَ لِلْقَطْرَةِ مَجَالُ التَّحَدُّثِ مِنْ بَحْرِ عُمَّانَ وَالْأَوْلِيَاءُ الْمَرْجُوعُونَ لِدَعْوَةِ الْخَلْقِ الْمُحْتَظُّونَ مِنْ كِلَا طَرَفَيِ الْوِلَايَةِ وَالدَّعْوَةِ بِحَظٍّ تَامٍّ وَالْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدُونَ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَبَعِ التَّابِعِينَ لَمَّا أَدْرَكُوا كَمَالَاتِ الشَّيْخَيْنِ بِنُورِ الْكَشْفِ الصَّحِيحِ وَالْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَتَابِعَةِ فِي الْجُمْلَةِ وَوَجَدُوا نُبْذَةً مِنْ فَضَائِلِهِمَا حَكَمُوا بِأَفْضَلِيَّتِهِمَا بِالضَّرُورَةِ وَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ وَمَا ظَهَرَ عَلَى خِلَافِ هَذَا الْإِجْمَاعِ مِنَ الْكَشْفِ حَمَلُوهُ عَلَى عَدَمِ الصِّحَّةِ وَلَمْ يَعْتَبِرُوهُ كَيْفَ وَقَدْ صُحِّحَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ أَفْضَلِيَّتُهُمَا كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْوِلَايَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ فَهُوَ مِنْ أَرْبَابِ السُّكْرِ وَمِنَ الْأَوْلِيَاءِ غَيْرِ الْمَرْجُوعِينَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ كَمَالَاتِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ وَلَعَلَّ نَظَرَكُمْ وَقَعَ عَلَى مَا حَقَّقَهُ هَذَا الْفَقِيرُ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ مِنْ أَنَّ النُّبُوَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْوِلَايَةِ وَإِنْ كَانَتْ وِلَايَةَ النَّبِيِّ وَالْحَقُّ هُوَ هَذَا فَمَنْ قَالَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ جَهَالَةِ كَمَالَاتِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ كَمَا مَرَّ آنِفًا وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ سِلْسِلَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ مُنْتَسِبَةٌ مِنْ بَيْنِ سَلَاسِلِ سَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَى الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَتَكُونُ نِسْبَةُ الصَّحْوِ غَالِبَةً فِيهِمْ وَتَكُونُ دَعْوَتُهُمْ أَتَمَّ وَتَظْهَرُ كَمَالَاتُ الصِّدِّيقِ لَهُمْ أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَتَكُونُ نِسْبَتُهُمْ فَوْقَ نِسَبِ سَائِرِ السَّلَاسِلِ بِالضَّرُورَةِ فَمَاذَا يُدْرِكُ غَيْرُهُمْ مِنْ كَمَالَاتِهِمْ وَمَاذَا يُحِسُّونَ مِنْ حَقِيقَةِ مُعَامَلَتِهِمْ وَلَا أَقُولُ إِنَّ جَمِيعَ مَشَائِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ سَوَاسِيَةٌ فِي هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ كَيْفَ بَلْ لَوْ وُجِدَ مِنَ الْأُلُوفِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ

---

[1] قوله لو كان بعدي نبي الخ. رواه احمد والترمذي وقال حسن غريب وابو يعلى والطبراني والبيهقي والحاكم وابو نعيم في فضائل الصحابة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه والطبراني ايضا عن عصمة بن مالك رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

يَكُونُ غَنِيمَةً وَأَظُنُّ الْمَهْدِيَّ الْمَوْعُودَ الَّذِي بِأَكْمَلِيَّةِ الْوِلَايَةِ مَعْهُودٌ يَكُونُ عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ وَيُتِمُّ هَذِهِ السِّلْسِلَةَ الْعَلِيَّةَ وَيُكَمِّلُهَا فَإِنَّ نِسْبَةَ جَمِيعِ الْوِلَايَاتِ دُونَ هَذِهِ النِّسْبَةِ الْعَلِيَّةِ لِأَنَّ سَائِرَ الْوِلَايَاتِ قَلِيلَةُ النَّصِيبِ مِنْ كَمَالَاتِ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ وَهَذِهِ الْوِلَايَةُ لَهَا حَظٌّ وَافِرٌ مِنْهَا بِوَاسِطَةِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى الصِّدِّيقِ كَمَا مَرَّ آنِفًا،

(ع): وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ يَا خَلِي *

أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لَمَّا كَانَ حَامِلاً لِثِقْلِ الْوِلَايَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ كَانَ تَرْبِيَةُ مَقَامِ الْأَقْطَابِ وَالْأَوْتَادِ وَالْأَبْدَالِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْعُزْلَةِ وَغَلَبَ فِيهِمْ جَانِبُ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ مُفَوَّضَةً إِلَى إِمْدَادِهِ وَإِعَانَتِهِ وَرَأْسُ قُطْبِ الْأَقْطَابِ الَّذِي هُوَ قُطْبُ الْمَدَارِ تَحْتَ قَدَمِهِ وَيَجْرِي أَمْرُهُ وَيَحْصُلُ مُهِمَّةُ بِحِمَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ وَيَخْرُجُ بِهِ عَنْ عُهْدَةِ مَدَارِيَّتِهِ وَالسَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ وَابْنَاهَا الْإِمَامَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمْ أَيْضًا شَرِكَاؤُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ (وَاعْلَمْ) أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلَّهُمْ كُبَرَاءُ عُظَمَاءُ يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ كُلُّهُمْ بِالتَّعْظِيمِ. رَوَى الْخَطِيبُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا وَاخْتَارَ لِي مِنْهُمْ أَصْهَارًا وَأَنْصَارًا فَمَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ حَفِظَهُ اللَّهُ وَمَنْ آذَانِي فِيهِمْ آذَاهُ اللَّهُ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. وَرَوَى ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ شِرَارَ أُمَّتِي أَجْرَؤُهُمْ عَلَى أَصْحَابِي وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُحَارَبَاتِ يَنْبَغِي صَرْفُهَا وَحَمْلُهَا عَلَى مَحَامِلَ حَسَنَةٍ وَإِبْعَادُهُمْ عَنِ الْهَوَى وَالتَّعَصُّبِ فَإِنَّ تِلْكَ الْمُخَالَفَاتِ كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى الْإِجْتِهَادِ وَالتَّأْوِيلِ لَا عَلَى الْهَوَى وَالْهَوَسِ كَمَا أَنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى ذَلِكَ. وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مُخَالِفِي الْإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانُوا عَلَى الْخَطَأِ وَكَانَ الْحَقُّ فِي جَانِبِهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الْخَطَأُ خَطَأً اجْتِهَادِيًّا كَانَ صَاحِبُهُ بَعِيدًا عَنِ الْمَلَامَةِ وَمَرْفُوعًا عَنْهُ الْمُؤَاخَذَةُ كَمَا نَقَلَ شَارِحُ الْمَوَاقِفِ عَنِ الْآمِدِيِّ أَنَّ وَقْعَةَ الْجَمَلِ وَالصِّفِّينِ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْإِجْتِهَادِ. وَصَرَّحَ الشَّيْخُ أَبُو شَكُورٍ السَّالِمِيُّ فِي التَّمْهِيدِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ مَعَ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ كَانُوا عَلَى الْخَطَأِ وَكَانَ خَطَؤُهُمْ اجْتِهَادِيًّا وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الصَّوَاعِقِ: إِنَّ مُنَازَعَةَ مُعَاوِيَةَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْإِجْتِهَادِ. وَجَعَلَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمَا قَالَ شَارِحُ الْمَوَاقِفِ مِنْ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِنَا ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ تِلْكَ الْمُنَازَعَةَ لَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْإِجْتِهَادِ فَمُرَادُهُ مِنَ الْأَصْحَابِ أَيُّ طَائِفَةٍ هُوَ فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ حَاكِمُونَ بِخِلَافِ ذَلِكَ كَمَا مَرَّ، وَكُتُبُ الْقَوْمِ مَشْحُونَةٌ بِالْقَوْلِ بِالْخَطَأِ الْإِجْتِهَادِيِّ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْغَزَالِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا فَلَا يَجُوزُ تَفْسِيقُ مُخَالِفِي الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَتَضْلِيلُهُمْ.

قَالَ الْقَاضِي فِي الشِّفَاءِ قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ "مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ أَوْ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ فَإِنْ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ وَإِنْ سَبَّهُمْ بِغَيْرِ هٰذَا مِنْ مُشَاتَمَةِ النَّاسِ نُكِّلَ نَكَالًا شَدِيدًا فَلَا يَكُونُ مُحَارِبُو عَلِيٍّ كَفَرَةً كَمَا زَعَمَتِ الْغُلَاةُ مِنَ الرَّافِضَةِ وَلَا فَسَقَةً كَمَا زَعَمَ الْبَعْضُ وَنَسَبَهُ شَارِحُ الْمَوَاقِفِ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ كَيْفَ وَقَدْ كَانَتِ الصِّدِّيقَةُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ وَقَدْ قُتِلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي قِتَالِ الْجَمَلِ مَعَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْقَتْلَى قَبْلَ خُرُوجِ مُعَاوِيَةَ فَتَضْلِيلُهُمْ وَتَفْسِيقُهُمْ مِمَّا لَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَفِي بَاطِنِهِ خَبَثٌ وَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ[1] الْفُقَهَاءِ مِنْ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْجَوْرِ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ حَيْثُ قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ إِمَامًا جَائِرًا فَمُرَادُهُ بِالْجَوْرِ عَدَمُ حَقِّيَّةِ خِلَافَتِهِ فِي زَمَنِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ لَا الْجَوْرُ الَّذِي مَآلُهُ فِسْقٌ وَضَلَالَةٌ لِيَكُونَ مُوَافِقًا لِأَقْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَمَعَ ذٰلِكَ يَجْتَنِبُ أَرْبَابُ الْإِسْتِقَامَةِ إِتْيَانَ الْأَلْفَاظِ الْمُوهِمَةِ خِلَافَ الْمَقْصُودِ وَلَا يَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى الْقَوْلِ بِالْخَطَأِ كَيْفَ يَكُونُ جَائِرًا وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ إِمَامًا عَادِلًا فِي حُقُوقِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَحُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا فِي الصَّوَاعِقِ وَقَدْ زَادَ مَوْلَانَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ الْجَامِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي قَوْلِهِ خَطَأً مُنْكَرًا يَعْنِي زَادَ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ وَكُلَّمَا زَادَ عَلَى لَفْظِ الْخَطَأِ فَهُوَ خَطَأٌ وَمَا قَالَ بَعْدَهُ فَإِنْ كَانَ هُوَ مُسْتَحِقًّا لِلَّعْنِ إِلَخْ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ مُنَاسِبٍ لَهُ أَيْنَ مَحَلُّ التَّرْدِيدِ وَأَيْنَ مَحَلُّ الْإِشْتِبَاهِ فَإِنْ قَالَ هٰذَا الْكَلَامَ فِي حَقِّ يَزِيدَ فَلَهُ وَجْهٌ وَمَسَاغٌ وَأَمَّا قَوْلُهُ ذٰلِكَ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ فَشَنِيعٌ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ بِأَسَانِيدِ الثِّقَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لِمُعَاوِيَةَ اللّٰهُمَّ[2] عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ.

وَقَالَ فِي مَحَلٍّ آخَرَ مِنْ دُعَائِهِ: اَللّٰهُمَّ[3] اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا. وَدُعَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَقْبُولٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هٰذَا الْكَلَامَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْ مَوْلَانَا بِطَرِيقِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ وَأَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ بِاسْمِ أَحَدٍ فِي تِلْكَ الْأَبْيَاتِ بَلْ قَالَ وَصَحَابِيٌّ آخَرُ وَهٰذِهِ الْعِبَارَةُ أَيْضًا تُنْبِئُ عَنِ الشَّنَاعَةِ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. وَمَا نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ الشَّعْبِيِّ مِنْ ذَمِّ مُعَاوِيَةَ وَأَنَّهُ بَالَغَ فِي مَذَمَّتِهِ وَأَوْصَلَهَا إِلَى مَا فَوْقَ الْفِسْقِ لَمْ يَبْلُغْ مَرْتَبَةَ الثُّبُوتِ وَالْإِمَامُ الْأَعْظَمُ مِنْ تَلَامِذَتِهِ فَعَلَى تَقْدِيرِ صِدْقِ هٰذَا الْقَوْلِ لَكَانَ هُوَ أَحَقَّ بِنَقْلِهِ. وَحَكَمَ الْإِمَامُ مَالِكٌ الَّذِي هُوَ مِنْ تَبَعِ التَّابِعِينَ وَمُعَاصِرِيهِ بِقَتْلِ شَاتِمِ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ كَمَا مَرَّ آنِفًا فَإِنْ كَانَ هُوَ

---

[1] هو صاحب الهداية وعبارته فان الصحابة تقلدوا القضاء من معاوية مع ان الحق كان بيد علي في نوبته اه. وقوله في نوبته قيد لتقلدوا ولكن الحق في يد علي فيدل على انه على الحق بعد نوبة علي وانما كان جوره في نوبة علي فان الحق لما كان في يد علي كان بيد مخالفه الجور الذي هو ضد الحق فلا غبار في هذه العبارة وليس فيه وصف معاوية بالجور بل انما اخذوا ذلك من تعليل قوله ويجوز تقلد القضاء من امام عادل وجائر بقوله فان الصحابة الخ. (القزاني رحمة الله عليه)

[2] رواه حم ع طب عن عرباض بن سارية رضي الله عنه والحسن بن سفيان والحسن بن عرفة والبغوي وابن قانع حل كر عن الحرث عدكر عن ابن عباس طس طب بلفظ اللهم علم معاوية الحديث. (القزاني رحمة الله عليه)

[3] رواه الترمذي عن عبد الرحمن بن ابي عميرة رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

مُسْتَحِقًّا لِلشَّتْمِ فَلِمَ حَكَمَ بِقَتْلِ شَاتِمِهِ فَعُلِمَ أَنَّهُ اعْتَقَدَ شَتْمَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ فَحَكَمَ بِقَتْلِ شَاتِمِهِ وَأَيْضًا أَنَّهُ جَعَلَ شَتْمَهُ كَشَتْمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَمَا مَرَّ سَابِقًا فَلاَ يَكُونُ مُعَاوِيَةُ مُسْتَحِقًّا لِلشَّتْمِ وَالذَّمِّ. (أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَيْسَ وَحْدَهُ فِي هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ بَلْ كَانَ نِصْفُ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ تَخْمِينًا شَرِيكًا لَهُ فِيهَا فَإِنْ كَانَ مُحَارِبُو عَلِيٍّ كَفَرَةً أَوْ فَسَقَةً زَالَ الْإِعْتِمَادُ عَنْ شَطْرِ الدِّينِ الَّذِي بَلَغَنَا مِنْ طَرِيقِ تَبْلِيغِهِمْ وَلاَ يُجَوِّزُ ذَلِكَ إِلاَّ زِنْدِيقٌ مَقْصُودُهُ إِبْطَالُ الدِّينِ. (أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ مَنْشَأَ إِثَارَةِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ هُوَ قَتْلُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَطَلَبُ الْقِصَاصِ مِنْ قَتَلَتِهِ فَإِنَّ طَلْحَةَ وَزُبَيْرًا إِنَّمَا خَرَجَا أَوَّلاً مِنَ الْمَدِينَةِ بِسَبَبِ تَأْخِيرِ الْقِصَاصِ وَوَافَقَتْهُمُ الصِّدِّيقَةُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَوَقَعَ حَرْبُ الْجَمَلِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا ثَلاَثَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَقُتِلَ فِيهَا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ اللَّذَانِ هُمَا مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ ثُمَّ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الشَّامِ وَصَارَ شَرِيكًا لَهُمْ فَوَقَعَ حَرْبُ الصِّفِّينَ.

صَرَّحَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ أَنَّ تِلْكَ الْمُنَازَعَةَ لَمْ تَكُنْ لِأَمْرِ الْخِلاَفَةِ بَلْ كَانَتْ لِاسْتِيفَاءِ الْقِصَاصِ فِي بَدْءِ خِلاَفَةِ عَلِيٍّ وَعَدَّ ابْنُ حَجَرٍ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو شَكُورٍ السَّالِمِيُّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّ مُنَازَعَةَ مُعَاوِيَةَ لِعَلِيٍّ كَانَتْ فِي أَمْرِ الْخِلاَفَةِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: إِذَا [1] مَلَكْتَ النَّاسَ فَارْفُقْ بِهِمْ. فَحَصَلَ لِمُعَاوِيَةَ الطَّمَعُ فِي الْخِلاَفَةِ مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ وَلَكِنْ كَانَ هُوَ مُخْطِئًا فِي هَذَا الْإِجْتِهَادِ وَعَلِيٌّ مُحِقٌّ فِيهِ فَإِنَّ الْوَقْتَ كَانَ وَقْتَ خِلاَفَةِ عَلِيٍّ وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ هُوَ أَنَّ مَنْشَأَ الْمُنَازَعَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً تَأْخِيرَ الْقِصَاصِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقَعُ فِي طَمَعِ الْخِلاَفَةِ وَعَلَى كُلِّ الْإِجْتِهَادُ وَاقِعٌ فِي مَحَلِّهِ فَإِنَّ مُخْطِئًا فَدَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الثَّوَابِ وَلِلْمُحِقِّ دَرَجَتَانِ بَلْ عَشْرُ دَرَجَاتٍ. (أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ الطَّرِيقَ الْأَسْلَمَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ السُّكُوتُ عَنْ ذِكْرِ مُشَاجَرَاتِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ ذِكْرِ مُنَازَعَتِهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِيَّاكُمْ [2] وَمَا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِي.

وَقَالَ أَيْضًا: إِذَا [3] ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا. وَقَالَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اَللهَ اَللهَ [4] فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا. يَعْنِي احْذَرُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ فِي حَقِّ أَصْحَابِي وَلاَ تَجْعَلُوهُمْ هَدَفًا لِسَهْمِ مَلاَمَتِكُمْ وَطَعْنِكُمْ. قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَيْضًا: تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ عَنْهَا أَيْدِيَنَا فَلْنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلْسِنَتَنَا. وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي إِجْرَاءُ خَطَئِهِمْ عَلَى اللِّسَانِ أَيْضًا وَأَنْ يَذْكُرَهُمْ بِغَيْرِ الْخَيْرِ هَذَا وَيَزِيدُ الْبَعِيدُ عَنِ السَّعَادَةِ مِنْ زُمْرَةِ الْفَسَقَةِ وَالتَّوَقُّفُ فِي لَعْنِهِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْأَصْلِ الْمُقَرَّرِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ

---

[1] رواه مسلم وابن ابي شيبة في المصنف ولاطبراني في الكبير هذا اللفظ واحمد عن ابي هريرة بلفظ ان وليت امرا فاتق الله واعدل (القزاني رحمة الله عليه)

[2] اورده ابن الاثير ي النهاية (القزاني رحمة الله عليه)

[3] رواه الطبراني عن ابن مسعود وثوبان وابن عدى عن عمر رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

[4] رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ اللَّعْنُ عَلى شَخْصٍ مُعَيَّنٍ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا اِلاَّ أَنْ يُعْلَمَ مَوْتُهُ عَلَى الْكُفْرِ يَقِينًا كَأَبِي لَهَبٍ الْجَهَنَّمِي وَامْرَأَتِه لاَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلَّعْنِ (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) اِعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي هٰذَا الزَّمَانِ لَمَّا اشْتَغَلُوا بِبَحْثِ الْإِمَامَةِ وَجَعَلُوا التَّكَلُّمَ فِي الْخِلاَفَةِ وَمُنَازَعَاتِ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ نُصْبَ الْعَيْنِ دَائِمًا وَصَارُوا لاَ يَذْكُرُونَ الْأَصْحَابَ الْكِرَامَ بِالْخَيْرِ تَقْلِيدًا لِجَهَلَةِ الرَّفَضَةِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَيَنْسُبُونَ إِلَى جَنَابِهِمْ أُمُورًا غَيْرَ مُنَاسِبَةٍ كَتَبْتُ نُبْذَةً مِمَّا كَانَ مَعْلُومًا لِي بِالضَّرُورَةِ وَأَرْسَلْتُهَا إِلَى الْأَحْبَابِ قَالَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: إِذَا[1] ظَهَرَ الْفِتَنُ أَوْ قَالَ الْبِدَعُ وَسُبَّتْ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً وَلَكِنْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ اَنَّ سُلْطَانَ الْوَقْتِ يَعُدُّ نَفْسَهُ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ وَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَإِلاَّ فَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ ضَيِّقًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ جِدًّا فَيَنْبَغِي أَدَاءُ شُكْرِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى كَمَا يَنْبَغِي وَأَنْ يُجْعَلَ مَدَارُ الْإِعْتِقَادِ عَلَى مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَنْ لاَ يُصْغَى إِلَى أَقْوَالِ زَيْدٍ وَعَمْرٍو فَإِنَّ جَعْلَ مَدَارِ الْأَمْرِ عَلَى الْخُرَافَاتِ الْكَاذِبَةِ تَضْيِيعُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَتَقْلِيدُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ ضَرُورِيٌّ حَتَّى يَحْصُلَ رَجَاءُ النَّجَاةِ وَبِدُونِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(٢٥٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَ مَكْتُوبُ الْأَخِ الْأَرْشَدِ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا وَانْدَرَجَ فِيهِ اسْتِفْسَارَاتٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَبْدَأَ تَعَيُّنِ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ صِفَةُ الْعِلْمِ كَمَا أَنَّ مَبْدَأَ التَّعَيُّنِ الْمُحَمَّدِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هُوَ هٰذِهِ الصِّفَةُ أَيْضًا وَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ بِالْجِهَاتِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ فَإِنَّ لِهٰذِهِ الصِّفَةِ وَجْهًا إِلَى الْعَالَمِ وَوَجْهًا آخَرَ إِلَى الْمَعْلُومِ وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ مُنَاسِبٌ لِلْوَحْدَةِ. وَالثَّانِي لِلْكَثْرَةِ وَلِهٰذِهِ الصِّفَةِ أَيْضًا إِجْمَالٌ تَفْصِيلٌ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذِهِ الْإِعْتِبَارَاتِ كَانَ مَبْدَأَ تَعَيُّنِ وَاحِدٍ مِنَ الْكُبَرَاءِ وَالْمَعَارِفُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِتَحَمُّلِ ثِقَلِ النُّبُوَّةِ وَالْوِلاَيَةِ مُنْدَرِجَةٌ فِي الْمَكْتُوبِ الَّذِي حُرِّرَ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ أَشْرَفْ تَفْصِيلاً فَلَمْ أَكْتُبْهَا اْلآنَ فَتُطْلَبُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ جَوَابَ الْإِسْتِفْسَارِ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْغَوْثِ وَالْقُطْبِ وَالْخَلِيفَةِ وَلَكِنْ مَا وَجَدْتُ الْإِذْنَ بِالْكِتَابَةِ فَأَخَّرْنَاهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَالسَّلاَمُ.

---

[1] ذكره ابن حجر المكي في الصواعق معزيا الى جامع الخطيب البغدادي (القرآن رحمة الله عليه)

(٢٥٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ إِدْرِيسَ السَّامَانِيِّ

فِي بَيَانِ جَوَابِ أَسْئِلَتِهِ وَتَفْصِيلِ بَعْضِ مَقَامَاتِ الطَّرِيقِ وَمَنَازِلِهِ عَلَى طَرِيقِ الرَّمْزِ وَالْإِجْمَالِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِي أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِهِ الْحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجِبَةٌ لِلْحَمْدِ. اَلْمَسْئُولُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ سَلَامَتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَرْضِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ، وَبَيَانُ الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ الَّذِي أُحِيلَ عَلَى مَوْلَانَا عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَاسْتَفْسَرْتُ عَنْهَا بَيَّنَهَا مَوْلَانَا كُلَّهَا بِالتَّفْصِيلِ وَقَالَ إِنَّهُ يَقُولُ: إِذَا نَظَرْتُ إِلَى جَانِبِ الْأَرْضِ لَا أَجِدُ الْأَرْضَ وَإِذَا رَمَيْتُ نَظَرِي إِلَى جَانِبِ السَّمَاءِ لَا أَجِدُهَا أَيْضًا وَإِذَا أَتَيْتُ شَخْصًا لَا أَجِدُ لَهُ وُجُودًا أَيْضًا وَكَذَلِكَ لَا أَجِدُ لِلْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَيْضًا وُجُودًا وَلَا أَرَى لِنَفْسِي أَيْضًا وُجُودًا. وَوُجُودُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ غَيْرُ مُتَنَاهٍ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ لَهُ نِهَايَةً وَتَكَلَّمَ الْأَكَابِرُ أَيْضًا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ فَقَطْ وَمَتَى وَصَلُوا إِلَيْهِ عَجَزُوا عَنِ السَّيْرِ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الزِّيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ هَذَا كَمَالًا عِنْدَكُمْ أَيْضًا وَكُنْتُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَلِأَيِّ شَيْءٍ أَحْضُرُ عِنْدَكُمْ وَلِمَاذَا أَتْعَبُ وَأُتْعِبُ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَ هَذَا الْكَمَالِ أَمْرٌ آخَرُ فَأَطْلِعُونِي عَلَيْهِ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى دِيَارٍ يَكْثُرُ فِيهَا أَلَمُ الطَّلَبِ وَكَانَ سَبَبُ التَّوَقُّفِ مِنَ الْحُضُورِ إِلَيْكُمْ مُنْذُ سِنِينَ حُصُولَ هَذَا التَّرَدُّدِ.

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ، إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ وَأَمْثَالَهَا مِنْ تَلْوِينَاتِ الْقَلْبِ وَيَكُونُ مَشْهُودًا أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ لَمْ يَطْوِ بَعْدُ مِنْ مَقَامَاتِ الْقَلْبِ أَزْيَدَ مِنَ الرُّبْعِ فَيَلْزَمُهُ طَيُّ ثَلَاثَةِ أَرْبَاعٍ أُخْرَى مِنْهَا حَتَّى يَطْوِيَ مُعَامَلَةَ الْقَلْبِ بِالتَّمَامِ وَبَعْدَ الْقَلْبِ رُوحٌ وَبَعْدَ الرُّوحِ سِرٌّ وَبَعْدَ السِّرِّ خَفِيٌّ وَبَعْدَ الْخَفِيِّ أَخْفَى وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ اللَّطَائِفِ الْأَرْبَعِ الْبَاقِيَةِ أَحْوَالٌ وَمَوَاجِيدُ عَلَى حِدَةٍ وَيَلْزَمُ طَيُّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مُنْفَرِدَةً مُنْفَرِدَةً، وَالتَّحَلِّي بِكَمَالَاتِ كُلٍّ مِنْهَا وَبَعْدَ مُجَاوَزَةِ هَذِهِ الْخَمْسَةِ الْأَمْرِيَّةِ وَطَيِّ أُصُولِهَا مَرْتَبَةً بَعْدَ مَرْتَبَةٍ، وَقَطْعِ مَدَارِجِ ظِلَالِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ أُصُولُ تِلْكَ الْأُصُولِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ تَجَلِّيَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَظُهُورَاتُ الشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ وَبَعْدَ هَذِهِ التَّجَلِّيَاتِ تَجَلِّيَاتُ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَتَقَعُ الْمُعَامَلَةُ حِينَئِذٍ عَلَى اطْمِئْنَانِ النَّفْسِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُولُ رِضَا الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا وَالْكَمَالَاتُ الَّتِي تَحْصُلُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ حُكْمُ الْكَمَالَاتِ السَّابِقَةِ فِي جَنْبِهَا كَحُكْمِ الْقَطْرَةِ فِي جَنْبِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الَّذِي لَا قَعْرَ لَهُ وَهُنَا يَتَيَسَّرُ شَرْحُ الصَّدْرِ وَيَتَّصِفُ بِالْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ، (ع) **هَذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي خَيَالَاتٌ** * وَمَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنْ تَجَلِّيَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ قَبْلَ قَطْعِ مَنَازِلِ هَذِهِ الْخَمْسَةِ الْأَمْرِيَّةِ مَعَ الْأُصُولِ وَأُصُولِ الْأُصُولِ فَهُوَ ظُهُورَاتُ بَعْضِ خَوَاصِّ عَالَمِ الْأَمْرِ وَلَهُ نَصِيبٌ مِنَ اللَّامِثْلِيِّ وَاللَّاكَيْفِيِّ وَمِنَ اللَّامَكَانِيِّ وَلَيْسَ بِتَجَلِّيَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ السَّالِكِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ: عَبَدْتُ الرُّوحَ ثَلَاثِينَ سَنَةً عَلَى ظَنِّ أَنَّهَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَأَيْنَ الْوُصُولُ وَإِلَى مَنِ السَّيْرُ. (شعر)

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا * قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ.**

وَلَمَّا طَلَبْتُمْ الْكَشْفَ عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى وَجْهِ الْإِلْتِفَاتِ كَتَبْتُ نُبْذَةً مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ وَالْأَمْرُ عِنْدَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ لَدَيْكُمْ.

(٢٥٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا أَحْمَدَ الْبَرْكِيِّ فِي جَوَابِ بَعْضِ أَسْئِلَتِهِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ كَتَبْتَ أَنَّ بَعْضَ الْأَكَابِرِ قَالَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ مَا يَعْمَلُهُ بِأَمْرِ صَاحِبِ الزَّمَانِ حَتَّى تَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ النَّتِيجَةُ وَلَوْ كَانَ أَمْرًا مَشْرُوعًا فَإِنْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ صَحِيحًا نَرْجُو الْإِذْنَ وَالْأَمْرَ فِي جَمِيعِ الْمَشْرُوعَاتِ.(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ كَلَامَ الْأَكَابِرِ صَحِيحٌ وَالْإِذْنُ لَكَ حَاصِلٌ وَأَنْتَ مَأْذُونٌ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّتِيجَةِ نَتِيجَةٌ مُعْتَدٌّ بِهَا لَا مُطْلَقًا.(وَكَتَبْتَ) أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ حُرِّرَ فِي رِسَالَةِ أَنَّ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارَ قُدِّسَ سِرُّهُ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ مَرْتَبَةِ عَيْنِ الْجَمْعِ يَعْنِي مِنْ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى مَا حُرِّرَ فِي رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ أَنَّ حَقِيقَةَ الْكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فَوْقَ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) لَيْسَ الْمُرَادُ بِأَحَدِيَّةِ الذَّاتِ هُنَاكَ الْأَحَدِيَّةُ الْمُجَرَّدَةُ الَّتِي لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الصِّفَةِ وَالشَّأْنِ مَلْحُوظًا لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ نَاشِئَةٌ مِنْ صِفَةِ الْكَلَامِ الَّتِي هِيَ إِحْدَى صِفَاتِ الثَّمَانِيَةِ وَحَقِيقَةَ الْكَعْبَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ مَرْتَبَةٍ مُنَزَّهَةٍ عَنْ تَلْوِينَاتِ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ فَيَكُونُ التَّفَوُّقُ لَهَا. (وَكَتَبْتَ) أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ لَوْ قَالَ شَخْصٌ: أَنَا أَسْجُدُ لِلْكَعْبَةِ يَكْفُرُ فَإِنَّ السَّجْدَةَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَى طَرَفِ الْكَعْبَةِ لَا لِلْكَعْبَةِ. وَذُكِرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَانُوا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ يَقُولُونَ فِي السَّجْدَةِ لَكَ سَجَدْتُ وَمَدْلُولُ الضَّمِيرِ نَفْسُ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى مَا حُرِّرَ فِي رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ مِنْ أَنَّ صُورَةَ الْكَعْبَةِ كَمَا أَنَّهَا مَسْجُودَةُ صُوَرِ الْأَشْيَاءِ كَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْكَعْبَةِ مَسْجُودَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ.(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ هَذَا مِنْ مُسَامَحَاتِ الْعِبَارَاتِ كَمَا يُقَالُ: إِنَّ آدَمَ مَسْجُودُ الْمَلَائِكَةِ مَعَ أَنَّ السَّجْدَةَ لِلْخَالِقِ جَلَّ سُلْطَانُهُ لَا لِمَخْلُوقِهِ وَمَصْنُوعِهِ أَيَّ مَخْلُوقٍ كَانَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَصْحَابِكُمْ وَأَحْبَابِكُمْ وَعَلَى الْمُلَّا بَابَنْدَه وَالْمُلَّا حَسَنٍ.

(٢٥٥) اَلْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا طَاهِرٍ اللَّاهُورِيِّ فِي التَّحْرِيضِ عَلَى إِحْيَاءِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَرَفْعِ الْبِدْعَةِ الْغَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الْمُرْسَلُ مَعَ الْحَافِظِ بَهَاءِ الدِّينِ وَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا حَبَّذَا النِّعْمَةُ تَوَجُّهُ الْمُحِبِّينَ وَالْمُخْلِصِينَ بِجَمِيعِ هِمَّتِهِمْ إِلَى إِحْيَاءِ سُنَّةٍ مِنَ السُّنَنِ

الْمُصْطَفَوِيَّة عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَإِرَادَتُهُمْ بِكُلِّيَّتِهِمْ رَفْعُ بِدْعَةٍ مِنَ الْبِدَعِ غَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ فَإِنَّ كُلًّا مِنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ ضِدُّ الْأُخْرَى وَوُجُودُ أَحَدِهِمَا مُسْتَلْزِمٌ لِانْتِفَاءِ الْأُخْرَى فَيَكُونُ إِحْيَاءُ أَحَدِهِمَا مُسْتَلْزِمًا لِإِمَاتَةِ الْأُخْرَى فَإِحْيَاءُ السُّنَّةِ مُوجِبٌ لِإِمَاتَةِ الْبِدْعَةِ وَبِالْعَكْسِ فَكَيْفَ تَصِحُّ تَسْمِيَةُ الْبِدْعَةِ حَسَنَةً مَعَ كَوْنِهَا مُسْتَلْزِمَةً لِرَفْعِ السُّنَّةِ إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِالْحُسْنِ الْحُسْنُ النِّسْبِيُّ فَإِنَّهُ لَا مَجَالَ لِلْحُسْنِ الْمُطْلَقِ هُنَا ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ السُّنَنِ مَرَاضِي الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَضْدَادُهَا مَرْضِيَّاتُ الشَّيْطَانِ وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ الْيَوْمَ ثَقِيلًا عَلَى الْأَكْثَرِينَ بِوَاسِطَةِ شُيُوعِ الْبِدْعَةِ وَلَكِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ غَدًا أَنَّنَا عَلَى الْهِدَايَةِ أَوْ إِيَّاهُمْ.

وَوَرَدَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ الْمَوْعُودَ إِذَا أَرَادَ تَرْوِيجَ الدِّينِ وَإِحْيَاءَ السُّنَّةِ فِي زَمَانِ سَلْطَنَتِهِ يَقُولُ عَالِمُ الْمَدِينَةِ الَّذِي اعْتَادَ عَلَى الْعَمَلِ بِالْبِدْعَةِ وَظَنَّهَا حَسَنَةً وَأَلْحَقَهَا بِالدِّينِ بِهَذَا الظَّنِّ مُتَعَجِّبًا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُرِيدُ رَفْعَ دِينِنَا وَإِزَالَةَ مِلَّتِنَا فَيَأْمُرُ الْمَهْدِيُّ بِقَتْلِهِ وَيَرَى مَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ حَسَنٌ سَيِّئًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنْ لَدَيْكُمْ.

وَقَدْ غَلَبَ النِّسْيَانُ عَلَى الْفَقِيرِ حَتَّى لَا أَعْلَمُ الْآنَ إِلَى مَنْ فَوَّضْتُ مَكْتُوبَكُمْ فَأَكْتُبُ جَوَابَ الْإِسْتِفْسَارَاتِ فَيُرْجَى مُسَامَحَتُكُمْ وَالشَّيْخُ مِيَانْ أَحْمَدُ الْغَزْمَلِيُّ مِنَ الْمُحِبِّينَ وَحَيْثُ أَنَّهُ وَاقِعٌ فِي جِوَارِكُمْ يَنْبَغِي رِعَايَةُ الْإِلْتِفَاتِ وَالتَّوَجُّهُ فِي حَقِّهِ.

(٢٥٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنِ الْقُطْبِ وَقُطْبِ الْأَقْطَابِ وَالْغَوْثِ وَالْخَلِيفَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَ الْمَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الْمُرْسَلُ صُحْبَةَ الدَّرْوِيشِ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا وَسَئَلْتَ عَنْ مَعْنَى الْقُطْبِ وَقُطْبِ الْأَقْطَابِ وَالْغَوْثِ وَالْخَلِيفَةِ وَعَنْ خِدْمَةِ كُلٍّ مِنْهُمْ وَوَظِيفَتِهِ وَأَنَّهُ هَلْ لَهُمْ اطِّلَاعٌ عَلَى خِدْمَتِهِمْ أَمْ لَا وَالْبِشَارَةِ بِقُطْبِيَّةِ الْأَقْطَابِ الَّتِي تَجِيءُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ هَلْ لَهَا أَصْلٌ أَوْ هِيَ مِنِ اخْتِرَاعِ الْخَيَالِ وَالْوَهْمِ.

(يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُمَّلَ أَتْبَاعِ نَبِيٍّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَتَمُّوا بِالتَّبَعِيَّةِ مَقَامَ النُّبُوَّةِ يُشَرَّفُ بَعْضُهُمْ بِمَنْصِبِ الْإِمَامَةِ وَبَعْضُهُمْ يَكْتَفِي بِمُجَرَّدِ حُصُولِ ذَلِكَ الْكَمَالِ وَهَذَانِ الْمُعَظَّمَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِي نَفْسِ حُصُولِ ذَلِكَ الْكَمَالِ وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ فِي حُصُولِ الْمَنْصِبِ وَعَدَمِهِ وَفِي أُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الْمَنْصِبِ وَإِذَا أَتَمَّ الْأَتْبَاعُ الْكُمَّلُ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ يُشَرَّفُ بَعْضُهُمْ بِمَنْصِبِ الْخِلَافَةِ وَيَكْتَفِي بَعْضُهُمْ بِمُجَرَّدِ حُصُولِ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ كَمَا مَرَّ آنِفًا وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الْمَنْصِبَيْنِ يَتَعَلَّقُ بِالْكَمَالَاتِ الْأَصْلِيَّةِ. وَأَمَّا فِي الْكَمَالَاتِ الظِّلِّيَّةِ فَالْمُنَاسِبُ لِمَنْصِبِ الْإِمَامَةِ يَعْنِي لِأَنْ يَكُونَ حِذَاءَهُ وَظِلَّهُ هُوَ مَنْصِبُ قُطْبِ الْإِرْشَادِ وَالْمُنَاسِبُ لِمَنْصِبِ

الخلافة منصبُ قُطبِ المَدار وكأنَّ هذينِ المقامَينِ التحتانِيَّينِ ظلالُ ذينكَ المقامَينِ الفوقانِيَّين. (والغوثُ) عندَ الشيخِ مُحيي الدِّينِ بنِ عربيٍّ قُدِّسَ سرُّهُ هُوَ قُطبُ المَدارِ المذكورِ وليستِ الغوثيَّةُ عندَهُ منصبًا على حدةٍ وممتازةً عن منصبِ القُطبيَّةِ وما هُوَ مُعتقدُ الفقيرِ أنَّ الغوثَ غيرُ قُطبِ المَدارِ بلْ هُوَ مُمِدُّهُ ومُعاوِنُهُ في أُمورِهِ وشُئُونِهِ

وقُطبُ المَدارِ يستمِدُّ منهُ في بعضِ الأُمورِ، وفي تعيينِ مناصبِ الأبدالِ ونصبِهِم لهُ دخلٌ أيضًا ويُقالُ للقُطبِ باعتبارِ الأعوانِ والأنصارِ قُطبُ الأقطابِ أيضًا لأنَّ أعوانَ قُطبِ الأقطابِ وأنصارَهُ حُكَّامٌ ومِن هُنا قالَ صاحبُ الفُتُوحاتِ المكِّيَّةِ: ما مِن قريةٍ مؤمنةٍ كانتْ أو كافرةٍ إلاّ وفيها قُطبٌ.

(واعلَمْ) أنَّ صاحبَ المَنصبِ صاحبُ علمِ البتَّةَ وأمَّا الذي فيهِ كمالُ ذلكَ المنصبِ دونَ نفسِ المنصبِ فلا يلزمُ كونُهُ من أربابِ العلمِ وكونُهُ مُطَّلِعًا على خدماتِهِ. والبشارةُ التي تصلُ من عالَمِ الغيبِ هيَ بشارةُ حصولِ كمالاتِ ذلكَ المقامِ لا بشارةُ حصولِ منصبِ ذلكَ المقامِ التي هيَ منوطةٌ بالعلمِ (وسألتَ) أيضًا أنَّهُ ما المُرادُ بالإيمانِ الواقعِ في حديثِ (لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمانِ أُمَّتي لرجحَ) وما سببُ رُجحانِ الإيمانِ بواسطةِ رُجحانِ المؤمنِ بهِ وحيثُ كانَ مُتعلَّقُ إيمانِ أبي بكرٍ فوقَ مُتعلَّقاتِ إيمانِ الأُمَّةِ يكونُ راجحًا البتَّةَ (أيُّها المخدومُ) إنَّ مُعاملةَ السالكِ قد تبلغُ في عُرُوجاتِهِ مبلغًا لو تفوَّقَ منهُ مقدارُ نُقطةٍ تكونُ الكمالاتُ التي تحصلُ بسببِ هذا العُروجِ والتفوُّقِ أزيدَ من جميعِ الكمالاتِ السابقةِ لأنَّ تلكَ النُقطةَ أزيدُ من جميعِ ما تحتَها وكذلكَ حالُ النُقطةِ التي فوقَ هذهِ النُقطةِ فإنَّ هذهِ النُقطةَ حقيرةٌ في جنبِها وعلى هذا القياسِ فمَن كانَ مُتعلَّقُ إيمانِهِ كمالَ الفوقِ وغايتَهُ يكونُ راجحًا البتَّةَ على جميعِ ما تحتَهُ. ومِن هُنا قالوا: تبلغُ مُعاملةُ العارفِ مبلغًا يُكتسَبُ في طرفةِ العينِ مثلُ جميعِ كمالاتِهِ المُتقدِّمةِ وعلى مقياسِ تحقيقِ الفقيرِ يحصلُ في لمحةٍ أزيدُ من جميعِ الكمالاتِ المُتقدِّمةِ ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾[١] (وسألتَ) أيضًا أنَّهُ ذكرَ الشيخُ ابنُ عربيٍّ وأتباعُهُ: إنَّ الأطفالَ الذينَ قُتلوا بسببِ موسى على نبيِّنا وعليهمُ الصلاةُ والسلامُ انتقلتِ استعداداتُ كُلِّهِم إلى موسى عليهِ السلامُ فنرجو تحريرَ حقيقةِ هذا الكلامِ بالتفصيلِ؟ (اعلَمْ) أنَّ هذا الكلامَ أصيلٌ لأنَّهُ مكتوبٌ بالتحقيقِ فكما أنَّ شخصًا واحدًا يُجعَلُ سببًا لحصولِ الكمالاتِ لجماعةٍ كذلكَ تُجعَلُ الجماعةُ سببًا لحصولِ الكمالاتِ لشخصٍ واحدٍ فإنَّ الشيخَ وإنْ كانَ سببًا لحصولِ الكمالاتِ للمُريدينَ ولكنَّ المُريدينَ أيضًا أسبابٌ لحصولِ الكمالاتِ للشيخِ وهذا الفقيرُ أحسَّ هذا المعنى في المأكولاتِ والمشروباتِ التي صارتْ أجزاءَ بدنِهِ بحيثُ كُلَّما تناولَهُ من طعامٍ أو شرابٍ صارَ ذلكَ سببًا لجامعيَّةِ استعدادِهِ وظهرتْ بهِ قابليَّةٌ أُخرى فإذا قصدَ في بعضِ الأوقاتِ تركَ المأكولاتِ اللذيذةِ مُنِعَ من ذلكَ بواسطةِ تحصيلِ هذهِ الجامعيَّةِ ولم يُؤذَنْ لهُ بتركِ ذلكَ الطعامِ اللذيذِ

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

بِسَبَبِ حُصُولِ تِلْكَ الْقَابِلِيَّةِ وَكَمْ مِنِ اسْتِعْدَادٍ انْتَقَلَ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ كُلاًّ أَوْ بَعْضًا وَصَارَ مَحْسُوسًا أَنَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ بَقِيَ خَالِيًا وَحَصَلَ الْآخَرُ جَمْعِيَّةً.

وَسَأَلْتَ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ [1] نَجْمَ الدِّينِ الْكُبْرَى أَرْسَلَ وَاحِدًا مِنْ مُرِيدِيهِ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ الْأَعِزَّةِ لِيَسْتَفْهِمَ مِنْهُ أَنَّهُ تَحْتَ قَدَمِ أَيِّ نَبِيٍّ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ: فِي أَيِّ شُغْلٍ جُهُودُكَ ؟

فَفَهِمَ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَيِّ وَجْهٍ يُفْهَمُ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ **(اعْلَمْ)** أَنَّ الْجُهُودَ يُطْلَقُ عَلَى الْيَهُودِ وَهُمْ مِنْ أُمَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ **(وَسَأَلْتَ)** أَيْضًا أَنَّهُ كُتِبَ فِي النَّفَحَاتِ أَنَّ وِلَايَةَ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ تُسْلَبُ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا وِلَايَةَ أَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ **(اعْلَمْ)** أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِالْوِلَايَةِ التَّصَرُّفَاتِ وَظُهُورَ الْكَرَامَاتِ لَا أَصْلَ الْوِلَايَةِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قُرْبٍ إِلَهِيٍّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَأَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِالسَّلْبِ أَيْضًا سَلْبَ كَثْرَةِ ظُهُورِ الْكَرَامَاتِ لَا سَلْبَ أَصْلِ الظُّهُورِ مَعَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ كَشْفِيٌّ وَمَجَالُ الْخَطَأِ كَثِيرٌ فِي الْكَشْفِ فَلَا يُدْرَى مَاذَا رَأَى وَمَاذَا فَهِمَ **(وَطَلَبْتَ)** ظُهُورَ بَعْضِ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ فَكُنْ مُنْتَظِرًا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا. وَسَأَلْتَ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ النَّيْسَابُورِيِّ: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ بِالْيَاءِ فَمَا التَّحْقِيقُ فِيهِ بِالْيَاءِ أَوْ بِالْهَمْزَةِ؟ **(اعْلَمْ)** أَنَّهُ بِالْهَمْزَةِ وَالَّذِي كُتِبَ بِالْيَاءِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قِرَاءَةً غَيْرَ مَشْهُورَةٍ. وَكَتَبْتَ أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ يَطْلُبْنَ الْإِشْتِغَالَ بِالطَّرِيقَةِ فَإِنْ كُنَّ مَحَارِمَ فَمَا الْمَانِعُ وَإِلَّا يَقْعُدْنَ وَرَاءَ الْحِجَابِ وَيَأْخُذْنَ الطَّرِيقَةَ **(وَسَأَلْتَ)** أَنَّ أَرْبَابَ الْحَدِيثِ أَثْبَتُوا فِي كُلِّ شَهْرٍ أَيَّامًا مَنْهِيَّةً وَنَقَلُوا الْحَدِيثَ فِي هَذَا الْبَابِ فَمَاذَا نَفْعَلُ **(قَالَ)** وَالِدُ الْفَقِيرِ قُدِّسَ سِرُّهُ: إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ وَالشَّيْخَ رَحْمَةَ اللَّهِ اللَّذَيْنِ كَانَا مِنْ أَكَابِرِ الْمُحَدِّثِينَ وَلُقِّبَا فِي الْحَرَمَيْنِ بِالشَّيْخَيْنِ وَرَدَا إِلَى الْهِنْدِ وَقَالَا: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ نَقَلَهُ الْكِرْمَانِيُّ شَارِحُ الْبُخَارِيِّ لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ [2] .

وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْبَابِ الْأَيَّامُ أَيَّامُ اللَّهِ وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ وَقَالَا أَيْضًا: إِنَّ نُحُوسَةَ الْأَيَّامِ زَالَتْ وَارْتَفَعَتْ بِوِلَادَةِ مَنْ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَتْ نُحُوسَةُ الْأَيَّامِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى

---

[1] نقل انه لما اشتهرت جذبة الشيخ مصلح الدين الخجندي ارسل الشيخ نجم الدين الكبرى واحدا من مريديه لرؤيته وقال له كلما تسمعه منه اعرض على فلما وصل المريد اليه سئله الشيخ عن بلده فقال من خوارزم فقال الشيخ آن جهود خوشيت يعنى كيف ذاك اليهودى طيب اراد به الشيخ نجم الدين الكبرى فلما رجع المريد اليه وعرض كلام المجذوب عليه فرح فرحا كثيرا وطاب وقته وقال كنت مدة مديدة فى التردد وما كنت اعرف بانى على قدم اى نبى من الانبياء فعلمت من اشارته بانى على قدم موسى عليه السلام انتهى معربا من سلسلة العارفين لمولانا القاضى محمد اكبر خلفاء الخواجه احرار قدس سرهما (القزانى رحمة الله عليه)

[2] قوله لكنه ضعيف الخ قال المخرج والذى ورد فى الايام مرفوعا يوم السبت يوم مكر وخديعة ويم الاحد يوم غرس وبناء الحديث اخرجه ابو يعلى من حديث ابن عباس بسند ضعيف وكذا يوم الاربعاء يوم نحس مستمر اخرجه الطبرانى فى الاوسط عن جابر قال السخاوى لا اصل له وقال القطنى فى تذكرة الموضوعات سئل ابن حجر عن حديث ابن عباس فى قوله تعالى فى ايام نحسات الايام كلها خلق الله بعضها سعودا وبعضها نحوسا الخ فاجاب ان هذا كذب الى ابن عباس رضى الله عنهما (القزانى رحمة الله عليه)

الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ. وَعَمَلُ الْفَقِيرِ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ لَا أُرَجِّحُ يَوْمًا عَلَى يَوْمٍ أَصْلًا مَا لَمْ يُعْلَمْ تَرْجِيحُهُ مِنَ الشَّارِعِ كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَأَيَّامِ رَمَضَانَ وَنَحْوِهِمَا.

(وَكَتَبْتُ) أَيْضًا بِأَنِّي مَا وَجَدْتُ الْمَعَارِفَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِتَحَمُّلِ ثِقَلِ النُّبُوَّةِ فِي مَكْتُوبِ الْخَوَاجَة مُحَمَّدْ أَشْرَفَ مِنْ أَيْنَ تَجِدُهُ فَإِنَّهُ حَرَّرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَلَمْ يَبْلُغْكَ نَقْلُهُ وَالْمَكْتُوبُ طَوِيلٌ عَرِيضًا يَزِيدُ عَلَى كُرَّاسَةٍ وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِرْسَالِ نَقْلِهِ إِلَيْكُمْ وَالسَّلَامُ.

(٢٥٧) الْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْ نُعْمَانَ فِي بَيَانِ الطُّرُقِ عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِي أَنَّ الْمَكْتُوبَ الشَّرِيفَ الْمُرْسَلَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْفَرْمَلِيِّ قَدْ وَصَلَ وَأَوْرَثَ بِوُصُولِهِ فَرَحًا وَافِرًا وَطَلَبْتَ رِسَالَةً فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ قَدْ حَرَّرْتُ الْمُسَوَّدَاتِ فِيهِ فَإِذَا نَقَلْتُ إِلَى الْبَيَاضِ بِتَوْفِيقِ اللهِ أُرْسِلُهَا وَالْآنَ أَكْتُبُ فِقَرَاتٍ فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا بِسَمْعِ الْعَقْلِ.

أَيُّهَا السَّيِّدُ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ نَحْنُ ابْتِدَاءُ مَسِيرِهِ مِنَ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ وَبَعْدَ الْقَلْبِ يَقَعُ السَّيْرُ فِي مَرَاتِبِ الرُّوحِ الَّتِي فَوْقَهُ وَبَعْدَ الرُّوحِ تَكُونُ هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ بِالسِّرِّ الَّذِي فَوْقَهَا وَهَكَذَا الْحَالُ فِي الْخَفِيِّ وَالْأَخْفَى وَبَعْدَ طَيِّ مَنَازِلِ هَذِهِ اللَّطَائِفِ الْخَمْسِ وَحُصُولِ الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكُلٍّ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ وَحُصُولِ الْمَعَارِفِ كَذَلِكَ وَبَعْدَ تَحَقُّقِ الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ الْمَخْصُوصَةِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْسِ مُنْفَرِدَةً مُنْفَرِدَةً يَقَعُ السَّيْرُ فِي أُصُولِ هَذِهِ الْخَمْسِ الَّتِي هِيَ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ فَإِنَّ كُلَّمَا هُوَ فِي الْعَالَمِ الصَّغِيرِ أَصْلُهُ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ. وَالْمُرَادُ بِالْعَالَمِ الصَّغِيرِ الْإِنْسَانُ وَبِالْعَالَمِ الْكَبِيرِ سَائِرُ الْكَائِنَاتِ وَشُرُوعُ السَّيْرِ فِي أُصُولِ هَذِهِ الْخَمْسِ مِنَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَفَوْقَهُ أَصْلُ الرُّوحِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَفَوْقَهُ أَصْلُ السِّرِّ وَفَوْقَهُ أَصْلُ الْخَفِيِّ وَفَوْقَهُ أَصْلُ الْأَخْفَى فَإِذَا طَوَى سَيْرَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ مِنَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ بِالتَّفْصِيلِ وَانْتَهَى إِلَى نُقْطَةٍ أَخِيرَةٍ فَقَدْ أَتَمَّ سَيْرَ دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ وَوَضَعَ الْقَدَمَ عَلَى أَوَّلِ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْفَنَاءِ فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السَّيْرُ فِي ظِلَالِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ جَلَّ سُلْطَانُهُ. وَهَذِهِ الظِّلَالُ كَالْبَرَازِخِ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْإِمْكَانِ وَأُصُولٌ لِتِلْكَ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ الَّتِي فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ وَيَكُونُ السَّيْرُ فِي هَذِهِ الظِّلَالِ أَيْضًا عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ فِي فُرُوعِهَا فَإِنْ طَوَى بِفَضْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ الْمَنَازِلَ الْمُتَكَثِّرَةَ مِنْ هَذِهِ الظِّلَالِ وَانْتَهَى إِلَى نُقْطَتِهَا الْأَخِيرَةِ يَكُونُ شُرُوعًا فِي أَسْمَاءِ الْوَاجِبِ وَصِفَاتِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَتَقَعُ تَجَلِّيَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَظُهُورَاتُ الشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ قَدْ أَتَمَّ مُعَامَلَةَ اللَّطَائِفِ الْخَمْسِ الْأَمْرِيَّةِ وَأَدَّى حَقَّهَا فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بِفَضْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ تَقَعُ الْمُعَامَلَةُ عَلَى

اطْمِئْنَانِ النَّفْسِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُولُ مَقَامِ الرِّضَا الَّذِي هُوَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ السُّلُوكِ وَيَحْصُلُ فِي هَذَا الْمَقَامِ شَرْحُ الصَّدْرِ وَيَتَشَرَّفُ فِيهِ بِالإِسْلاَمِ الْحَقِيقِيِّ. وَالْكَمَالاَتُ الَّتِي تَحْصُلُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ حُكْمُ الْكَمَالاَتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِعَالَمِ الأَمْرِ فِي جَنْبِهَا كَحُكْمِ الْقَطْرَةِ فِي جَنْبِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَكُلُّ هَذِهِ الْكَمَالاَتِ الْمَذْكُورَةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِاسْمِ الظَّاهِرِ وَالْكَمَالاَتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِاسْمِ الْبَاطِنِ هِيَ غَيْرُهَا وَلَهَا مُنَاسَبَةٌ بِالإِسْتِتَارِ وَالتَّبَطُّنِ. فَإِذَا حَصَلَتْ كَمَالاَتُ هَذَيْنِ الإِسْمَيْنِ الْمُبَارَكَيْنِ بِتَمَامِهَا يَتَيَسَّرُ لِلسَّالِكِ جَنَاحَانِ لِلطَّيَرَانِ لِيَطِيرَ بِقُوَّتِهِمَا إِلَى عَالَمِ الْقُدْسِ وَتَحْصُلُ لَهُ تَرَقِّيَاتٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْقِيَاسِ.

وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مُحَرَّرٌ فِي الْمُسَوَّدَاتِ وَوَلَدِي الأَرْشَدُ مُجِدٌّ فِي جَمْعِهِ.

(وَيَنْبَغِي) لَكَ أَنْ تَجِيءَ بِنَفْسِكَ هُنَا مَرَّةً وَاحِدَةً إِنْ تَيَسَّرَ لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ لاَ تَتْرُكَ مَقَامَكَ خَالِيًا حَتَّى لاَ تُضِيعَ الْمُعَامَلَةَ بَلْ تَجِيءُ وَحْدَكَ وَتَجْعَلُ مُقْتَدَى تِلْكَ الْجَمَاعَةِ مَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ أَسْبَقُ قَدَمًا ثُمَّ تَتَوَجَّهُ إِلَى هَذِهِ الْحُدُودِ فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَى هَلْ تُعْطَى الْفُرْصَةَ فِي وَقْتٍ آخَرَ أَوْ لاَ وَالسَّلاَمُ.

(٢٥٨) الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى شَرِيفْ خَانْ فِي بَيَانِ أَقْرَبِيَّتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ حَصَلَ الإِبْتِهَاجُ وَالسُّرُورُ بِوُرُودِ الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَسْطُورَةِ إِلَى فُقَرَاءِ هَذِهِ الْحُدُودِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ جَزَاكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ أَقْرَبِيَّةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلَيْنَا مِنَّا وَإِنْ كَانَتْ ثَابِتَةً بِنَصٍّ قَاطِعٍ وَلَكِنْ مَاذَا نَصْنَعُ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ وَرَاءِ عُقُولِنَا وَأَفْهَامِنَا وَوَرَاءَ وَرَاءِ عُلُومِنَا وَإِدْرَاكَاتِنَا مَعَ أَنَّا نَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الْوَرَائِيَّةَ فِي جَانِبِ الْقُرْبِ لاَ فِي جَانِبِ الْبُعْدِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ حَتَّى أَنَّا نَجِدُ أَحَدِيَّةَ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ أَقْرَبَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي نَحْنُ مِنْ آثَارِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ وَرَاءَ نَظَرِ الْعَقْلِ وَطَوْرِهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَتَصَوَّرَ شَيْئًا أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ.

وَالْمِثَالُ الَّذِي يُوضِحُ هَذَا الْمَبْحَثَ لَمْ يُوجَدْ مَعَ كَثْرَةِ التَّتَبُّعِ وَمُسْتَنَدُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ نَصٌّ قَطْعِيٌّ وَكَشْفٌ صَحِيحٌ وَقَدْ تَكَلَّمَ مَشَائِخُ الطَّرِيقَةِ فِي التَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ وَبَيَّنُوا الْقُرْبَ وَالْمَعِيَّةَ وَاخْتَارُوا السُّكُوتَ فِي أَقْرَبِيَّتِهِ تَعَالَى وَلَمْ يُوجَدْ مِنْهُمْ بَيَانٌ شَافٍ فِي هَذَا الْبَابِ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ أَقْرَبِيَّتَهُ تَعَالَى صَارَتْ سَبَبًا لأَبْعَدِيَّتِنَا هَذَا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فَافْهَمْ فَإِنَّ كَلاَمَنَا إِشَارَاتٌ وَبِشَارَاتٌ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلاَةِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

(٢٥٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمَخْدُومِ زَادَةِ الْخَوَاجَةِ مُحَمَّدْ سَعِيدْ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي بَيَانِ فَوَائِدِ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَعَدَمِ اسْتِقْلَالِ الْعَقْلِ فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى وَبَيَانِ الْحُكْمِ الْخَاصِّ فِيمَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الْجَبَلِ وَمُشْرِكِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ وَأَطْفَالِ مُشْرِكِي دَارِ الْحَرْبِ وَتَحْقِيقِ بِعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَرْضِ الْهِنْدِ مِنَ الْهِنْدِ سَابِقًا وَمَا يُنَاسِبُهُ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ بِأَيِّ لِسَانٍ يُؤَدِّي شُكْرُ نِعْمَةِ إِرْسَالِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَبِأَيِّ قَلْبٍ يُعْتَقَدُ الْمُنْعَمُ بِهَا وَأَيْنَ لِلْجَوَارِحِ أَنْ تُكَافِئَهَا بِالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ فَلَوْلَا هَؤُلَاءِ الْكُبَرَاءُ مَنْ كَانَ يَدُلُّ أَمْثَالَنَا الْقَاصِرِينَ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَوَحْدَتِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَلَمْ يَهْتَدِ قُدَمَاءُ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ إِلَى وُجُودِ الصَّانِعِ جَلَّ شَأْنُهُ مَعَ وُجُودِ الذَّكَاوَةِ فِيهِمْ حَتَّى نَسَبُوا إِيجَادَ الْكَائِنَاتِ إِلَى الدَّهْرِ وَلَمَّا سَطَعَ أَنْوَارُ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمًا فَيَوْمًا رَدَّ مُتَأَخِّرُوهُمْ بِبَرَكَةِ تِلْكَ الْأَنْوَارِ مَذْهَبَ قُدَمَائِهِمْ وَقَالُوا بِوُجُودِ الصَّانِعِ جَلَّ شَأْنُهُ وَأَثْبَتُوا وَحْدَانِيَّتَهُ تَعَالَى فَعُقُولُنَا بِمَعْزِلٍ عَنْ إِدْرَاكِ هَذَا الْمَطْلَبِ الْعَالِي بِلَا تَأْيِيدٍ مِنْ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ وَأَفْهَامُنَا بَعِيدَةٌ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ بِدُونِ وَسَاطَةِ وُجُودِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَرَادَ أَصْحَابُنَا الْمَاتُرِيدِيَّةُ مِنْ قَوْلِهِمْ بِاسْتِقْلَالِ الْعَقْلِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ كَإِثْبَاتِ وُجُودِ الصَّانِعِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ فَكَلَّفُوا مَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الْجَبَلِ وَعَبَدَ الصَّنَمَ بِهِمَا وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ الرَّسُولِ وَحَكَمُوا بِتَرْكِ النَّظَرِ فِيهِمَا بِكُفْرِهِ وَخُلُودِهِ فِي النَّارِ وَنَحْنُ لَا نَفْهَمُ الْحُكْمَ بِالْكُفْرِ وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ إِلَّا بَعْدَ الْبَلَاغِ الْمُبِينِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ الْمَنُوطَةِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ.

نَعَمْ الْعَقْلُ حُجَّةٌ مِنْ حُجَجِ اللّٰهِ تَعَالَى وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ بَالِغَةٍ فِي الْمَحَجَّةِ حَتَّى يَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ أَشَدُّ الْعَذَابِ. فَإِنْ قُلْتَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الْجَبَلِ وَعَبَدَ الصَّنَمَ مُخَلَّدًا فِي النَّارِ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ بِالضَّرُورَةِ وَذَا غَيْرُ جَائِزٍ فَإِنَّ دُخُولَ الْمُشْرِكِينَ الْجَنَّةَ حَرَامٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ. وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ غَيْرُ ثَابِتَةٍ وَأَصْحَابُ الْأَعْرَافِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَعْدَ مُدَّةٍ فَالْخُلُودُ إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ. قُلْتُ: إِنَّ هَذَا السُّؤَالَ مُسْتَصْعَبٌ جِدًّا وَوَلَدِي الْأَرْشَدُ يَعْرِفُ أَنَّهُ كَرَّرَ هَذَا السُّؤَالَ إِلَى هَذَا الْفَقِيرِ مِنْ مُدَّةٍ كَثِيرَةٍ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ جَوَابًا شَافِيًا وَمَا قَالَ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ فِي حَلِّ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ إِثْبَاتِ بِعْثَةِ نَبِيٍّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَجْلِ دَعْوَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ. وَالْحُكْمُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ عَلَى حَسَبِ إِنْكَارِهِمْ وَإِقْرَارِهِمْ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ عِنْدَ هَذَا الْفَقِيرِ ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ الْجَزَاءِ لَا دَارُ التَّكْلِيفِ حَتَّى يُبْعَثَ فِيهَا نَبِيٌّ وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ كَانَتْ عِنَايَةُ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ دَلِيلًا وَهَادِيًا وَانْحَلَّ هَذَا الْمُعَمَّى وَكُشِفَ أَنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ لَا يُخَلَّدُونَ لَا

في الجنة ولا في النار بل يعذبون ويعاقبون بعد البعث والإحياء في الآخرة على قدر جريمتهم في مقام الحساب وتستوفى منهم الحقوق ثم يجعلون بعد ذلك معدوما مطلقا ولا شيئا محضا مثل حيوانات غير مكلفة فلمن يكون الخلود ومن يكون مكلفا ولما عرضت هذه المعرفة الغريبة في محضر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صدقها جميعهم وقبلوها والعلم عند الله سبحانه وتعالى والحكم بإخلاد الحق سبحانه وتعالى عبده في النار وتأبيد عذابه بمجرد العقل الذي مجال الخطإ والغلط كثير فيه جدا من غير بلاغ بين بوساطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع كمال رأفته ورحمته تعالى يثقل على هذا الفقير جدا كما يثقل الحكم بالخلود في الجنة مع وجود الشرك كما يلزم ذلك على مذهب الأشعري لعدم القول بالواسطة بين الجنة والنار فالحق ما ألهمت به من إعدامه بعد استيفاء محاسبة يوم الحشر كما مر وهذا هو حكم أطفال مشركي دار الحرب عند الفقير أيضا قال فإن دخول الجنة منوط بالإيمان إما بالأصالة وإما بالتبعية وإن كانت تبعية دار الإسلام كما هو في أطفال أهل الذمة والإيمان مفقود في حقهم مطلقا فلا يتصور دخولهم الجنة ودخول النار والخلود فيها مربوط بالشرك بعد ثبوت التكليف وهذا أيضا مفقود في حقهم فحكمهم حكم البهائم من الإعدام بعد البعث والنشور للحساب واستيفاء الحقوق وهذا هو الحكم أيضا في مشركي زمن فترة الرسل الذين لم تبلغهم دعوة نبي من الأنبياء.

(أيها الولد) إن هذا الفقير كلما يلاحظ ويجيل النظر لا يجد محلا لم تبلغه دعوة نبينا عليه وعلى آله الصلاة والسلام بل يكون محسوسا أن نور دعوته صلى الله عليه وسلم بلغ كل محل مثل نور الشمس حتى الياجوج والماجوج الذين حال بينهم السد وإن ألاحظ في الأمم السابقة لا أجد بقعة لم يبعث فيها نبي حتى في أرض الهند التي ترى بعيدة عن هذه المعاملة أجد أنبياء كانوا مبعوثين من أهل الهند ودعوا إلى الحق جل شأنه ويشاهد في بعض بلاد الهند أنوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في ظلمات الشرك كالمشاعل المسرجة فإن شئت عينت تلك البلاد وأرى نبيا لم يصدقه أحد ولم يقبل دعوته ونبيا آخر آمن به شخص وآخر صدقه شخصان وصدق البعض ثلاثة ولا يقع النظر على أزيد من ثلاثة آمنوا بنبي في الهند ولا أرى نبيا آمن به واتبعه أربعة وما كتبه رؤساء كفرة الهنود من وجود الواجب وصفاته ومن تنزيهاته وتقديساته كل ذلك مقتبس من أنوار مشكاة النبوة لأنه مضى في كل عصر من الأمم السابقة نبي من الأنبياء وأخبروا عن وجود الواجب وصفاته الثبوتية ومن تنزيهاته وتقديساته سبحانه وتعالى.

فلولا وجود هؤلاء الكبراء كيف كان هؤلاء المخذولون بعقولهم القاصرة العمياء المتلوثة بظلمات الكفر والمعاصي مهتدين إلى هذه الدولة وعقول هؤلاء المخذولين الناقصة حاكمة في حد ذاتها بألوهيتهم ولا يثبتون إلها سواهم كما قال فرعون مصر (ما علمت لكم من إله غيري) وقال أيضا: لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين.

وَلَمَّا عَلِمُوا بِإِخْبَارِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا وَاجِبَ الْوُجُودِ اطَّلَعَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ الْمَخْذُولِينَ عَلَى قُبْحِ ادِّعَائِهِ وَأَثْبَتَ الصَّانِعَ الْوَاجِبَ الْوُجُودِ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسَتُّرِ وَزَعَمَ أَنَّهُ سَارٍ فِيهِ وَمُتَّحِدٌ بِهِ وَدَعَى الْخَلْقَ إِلَى عِبَادَتِهِ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

(وَلاَ يَعْتَرِضُ) الْقَاصِرُ هُنَا أَنَّهُ لَوْ بُعِثَ الأَنْبِيَاءُ فِي أَرْضِ الْهِنْدِ لَبَلَغَنَا خَبَرُ بَعْثَتِهِ الْبَتَّةَ بَلْ كَانَ يُنْقَلُ ذَلِكَ الْخَبَرُ بِالتَّوَاتُرِ لِتَوَفُّرِ الدَّوَاعِي وَلَيْسَ فَلَيْسَ (لأَنَّا نَقُولُ) إِنَّ دَعْوَةَ هَؤُلاَءِ الأَنْبِيَاءِ لَمْ تَكُنْ عَامَّةً بَلْ كَانَتْ دَعْوَةُ بَعْضِهِمْ مَخْصُوصَةً بِقَوْمٍ وَدَعْوَةُ بَعْضِهِمْ بِقَرْيَةٍ أَوْ بَلْدَةٍ وَيُمْكِنُ أَنْ يُشَرِّفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ شَخْصًا فِي قَوْمٍ أَوْ قَرْيَةٍ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّانِعِ وَيَمْنَعُهُمْ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ تَعَالَى فَيُكَذِّبُونَهُ وَيَنْسُبُونَهُ إِلَى الْجَهَالَةِ وَالضَّلاَلَةِ فَإِذَا انْتَهَى إِنْكَارُهُمْ وَتَكْذِيبُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَى نِهَايَتِهِ وَغَايَتِهِ يُهْلِكُهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ غَيْرَةً لِنَبِيِّهِ وَكَذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيٌّ آخَرُ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى قَوْمٍ أَوْ قَرْيَةٍ فَيُعَامِلُهُمْ كَمَا عَامَلَ الأَوَّلُ قَوْمَهُ فَيُفْعَلُ بِهِمْ كَمَا فُعِلَ بِأَوَائِلِهِمْ وَهَكَذَا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَآثَارُ هَلاَكِ الْقُرَى وَالْبِلاَدِ كَثِيرَةٌ فِي أَرْضِ الْهِنْدِ وَهَؤُلاَءِ الْقَوْمُ وَإِنْ هَلَكُوا وَلَكِنْ كَلِمَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ بَاقِيَةٌ فِيمَا بَيْنَ أَقْرَانِهِمْ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

وَخَبَرُ نُبُوَّةِ الأَنْبِيَاءِ الْمَبْعُوثَةِ إِنَّمَا يَبْلُغُنَا إِذَا صَدَّقَهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَقَوِيَ أَمْرُهُ وَأَمَّا إِذَا جَاءَ شَخْصٌ وَدَعَا أَيَّامًا فَمَضَى وَلَمْ يَقْبَلْ دَعْوَتَهُ أَحَدٌ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ الأَوَّلُ فَصَدَّقَهُ شَخْصٌ وَاحِدٌ وَصَدَّقَ الآخَرَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَنْتَشِرُ الْخَبَرُ وَكَانَ الْكُفَّارُ كُلُّهُمْ فِي مَقَامِ الإِنْكَارِ وَكَانُوا يَرُدُّونَ عَلَى مَنْ كَانَ يُخَالِفُ دِينَ آبَائِهِمْ فَمَنْ يَكُونُ النَّاقِلَ وَإِلَى مَنْ يَنْقُلُ. وَأَيْضًا إِنَّ أَلْفَاظَ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ وَيَيْغَمْبَرُ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَالْفَارِسِ بِوَاسِطَةِ اتِّحَادِ دَعْوَةِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَعُمُومِهَا وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَلْفَاظُ فِي لُغَةِ الْهِنْدِ حَتَّى يُقَالَ لِلأَنْبِيَاءِ الْمَبْعُوثِينَ مِنَ الْهِنْدِ رَسُولاً أَوْ نَبِيًّا أَوْ يَيْغَمْبَرُ أَوْ يُذْكَرُونَ بِهَذِهِ الأَسَامِي. وَأَيْضًا نَقُولُ فِي جَوَابِ هَذَا السُّؤَالِ بِطَرِيقِ الْمُعَارَضَةِ: إِنَّهُ لَوْ لَمْ تُبْعَثِ الأَنْبِيَاءُ فِي الْهِنْدِ وَلَمْ يَدْعُوهُمْ بِلِسَانِهِمْ لَكَانَ حُكْمُ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ حُكْمَ مَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الْجَبَلِ فَلاَ يَدْخُلُونَ النَّارَ مَعَ وُجُودِ التَّمَرُّدِ وَدَعْوَى الأُلُوهِيَّةِ وَلاَ يَكُونُ لَهُمُ الْعَذَابُ الْمُخَلَّدُ وَهَذَا مِمَّا لاَ يَرْتَضِيهِ الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَلاَ يُسَاعِدُهُ الْكَشْفُ الصَّحِيحُ فَإِنَّا نُشَاهِدُ بَعْضَ مَرَدَتِهِمْ فِي وَسَطِ الْجَحِيمِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

(٢٦٠) الْمَكْتُوبُ السِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمَخْدُومِ زَادَهُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ صَادِقٍ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي بَيَانِ الطَّرِيقَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ وَبَيَانِ الْوِلاَيَاتِ الثَّلاَثِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى وَالْعُلْيَا وَبَيَانِ أَفْضَلِيَّةِ النُّبُوَّةِ مِنَ الْوِلاَيَةِ مُطْلَقًا وَبَيَانِ اللَّطَائِفِ الْعَشْرِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي خَمْسٌ مِنْهَا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَخَمْسٌ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ مَعَ كَمَالاَتٍ مَخْصُوصَةٍ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَبَيَانِ أَفْضَلِيَّةِ عَالَمِ الْخَلْقِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ مَعَ بَيَانِ كَمَالاَتٍ مَخْصُوصَةٍ بِعُنْصُرِ التُّرَابِ وَبَيَانِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْمُنَاسِبَةِ لِكُلِّ مَقَامٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ (اعْلَمْ) أَيُّهَا الْوَلَدُ أَسْعَدَكَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ لَطَائِفَ عَالَمِ الْأَمْرِ الْخَمْسَ أَعْنِي الْقَلْبَ وَالرُّوحَ وَالسِّرَّ وَالْخَفِيَّ وَالْأَخْفَى الَّتِي هِيَ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الصَّغِيرِ أَعْنِي الْإِنْسَانَ، أُصُولُهَا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ كَالْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ أَجْزَاءُ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ أُصُولَهَا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ. وَظُهُورُ أُصُولِ الْخَمْسِ فَوْقَ الْعَرْشِ حَيْثُ يُوصَفُ بِاللَّامَكَانِيَّةِ وَمِنْ هٰهُنَا يُقَالُ لِعَالَمِ الْأَمْرِ: لَا مَكَانِيًّا تَتِمُّ دَائِرَةُ الْإِمْكَانِ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَصَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ بِالْوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ تِلْكَ الْأُصُولِ وَإِلَى هٰذَا الْمَوْطِنِ يَنْتَهِي امْتِزَاجُ الْعَدَمِ بِالْوُجُودِ الَّذِي هُوَ مَنْشَأُ الْإِمْكَانِ فَإِذَا طَوَى السَّالِكُ الرَّشِيدُ مُحَمَّدِيُّ الْمَشْرَبِ هٰذِهِ الْخَمْسَ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ بِالتَّرْتِيبِ وَشَرَعَ فِي السَّيْرِ فِي أُصُولِهَا مِنْ عَالَمِ الْكَبِيرِ وَطَوَى كُلَّهَا بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ بِعُلُوِّ الْفِطْرَةِ بَلْ بِمَحْضِ فَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَانْتَهَى إِلَى النُّقْطَةِ الْأَخِيرَةِ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ قَدْ أَتَمَّ دَائِرَةَ الْإِمْكَانِ بِالسَّيْرِ إِلَى اللّٰهِ وَصَارَ مُسْتَحِقًّا لِأَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْفَنَاءِ يَعْنِي لِأَنْ يُوصَفَ بِهِ وَشَرَعَ فِي الْوِلَايَةِ الصُّغْرَى الَّتِي هِيَ وِلَايَةُ الْأَوْلِيَاءِ فَإِنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي ظِلَالِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْوُجُوبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْخَمْسَةِ الَّتِي فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ فِي الْحَقِيقَةِ وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهَا شَائِبَةُ الْعَدَمِ وَطَوَى كُلَّهَا بِفَضْلِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ بِطَرِيقِ السَّيْرِ فِي اللّٰهِ وَبَلَغَ نِهَايَتَهَا فَقَدْ أَتَمَّ دَائِرَةَ ظِلَالِ الْأَسْمَاءِ الْوَاجِبِيَّةِ أَيْضًا وَحَصَلَ لَهُ الْوُصُولُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْوَاجِبِيَّةِ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ الْوِلَايَةِ الصُّغْرَى إِلَى هٰذَا الْمَقَامِ وَفِي هٰذَا الْمَوْطِنِ يَتَحَقَّقُ الشُّرُوعُ فِي حَقِيقَةِ الْفَنَاءِ وَيُوضَعُ الْقَدَمُ فِي بِدَايَةِ الْوِلَايَةِ الْكُبْرَى الَّتِي هِيَ وِلَايَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هٰذِهِ الدَّائِرَةَ الظِّلَالِيَّةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِمَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْخَلَائِقِ سِوَى الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ وَالْمَلَائِكَةِ الْعِظَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَظِلُّ كُلِّ اسْمٍ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ شَخْصٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ حَتَّى أَنَّ مَبْدَأَ تَعَيُّنِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْبَشَرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ النُّقْطَةُ الْفَوْقَانِيَّةُ مِنْ هٰذِهِ الدَّائِرَةِ وَمَا قِيلَ إِنَّ السَّالِكَ إِذَا انْتَهَى إِلَى اسْمٍ هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِهِ فَقَدْ أَتَمَّ السَّيْرَ إِلَى اللّٰهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ ظِلَّ الْإِسْمِ الْإِلٰهِيِّ جَلَّ شَأْنُهُ وَجُزْئِيًّا مِنْ جُزْئِيَّاتِهِ لَا أَصْلَهُ وَعَيْنَهُ وَهٰذِهِ الدَّائِرَةُ الظِّلَالِيَّةُ تَفْصِيلُ مَرْتَبَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ مَثَلًا صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ وَلَهَا جُزْئِيَّاتٌ. وَتَفْصِيلُ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ ظِلَالُ هٰذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِالْإِجْمَالِ وَكُلُّ جُزْئِيٍّ مِنْ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ شَخْصٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ وَالْمَلَائِكَةِ الْفِخَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَمَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ أُصُولُ هٰذِهِ الظِّلَالِ يَعْنِي كُلِّيَّاتِ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ الْمُفَصَّلَةِ كَصِفَةِ الْعِلْمِ مَثَلًا وَصِفَةِ الْقُدْرَةِ وَصِفَةِ الْإِرَادَةِ وَغَيْرِهَا وَيَشْتَرِكُ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْأَشْخَاصِ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَتْ مَبْدَأَ تَعَيُّنٍ بِاعْتِبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَذٰلِكَ أَنَّ مَبْدَأَ تَعَيُّنِ خَاتَمِ الرُّسُلِ مَثَلًا شَأْنُ الْعِلْمِ وَهٰذِهِ الصِّفَةُ كَانَتْ مَبْدَأَ تَعَيُّنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاعْتِبَارٍ آخَرَ وَهِيَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا بِاعْتِبَارٍ آخَرَ وَتَعَيُّنُ تِلْكَ الْإِعْتِبَارَاتِ مَذْكُورٌ فِي مَكْتُوبِ الْخَوَاجَةِ مُحَمَّدٍ أَشْرَفَ وَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ مِنْ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ هِيَ التَّعَيُّنُ الْأَوَّلُ الَّذِي هُوَ حَضْرَةُ الْإِجْمَالِ وَمُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ فَمُرَادُهُ بِهِ عَلَى مَا ظَهَرَ

لِهَذَا الْفَقِيرِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ مَرْكَزُ هَذِهِ الدَّائِرَةِ الظِّلَالِيَّةِ قَدْ ظَنَّ هَذِهِ الدَّائِرَةَ الظِّلَالِيَّةَ تَعَيُّنًا أَوَّلاً وَتَخَيَّلَ مَرْكَزَهَا إِجْمَالاً وَسَمَّاهُ وَحْدَةً وَزَعَمَ تَفْصِيلَ ذَلِكَ الْمَرْكَزِ الَّذِي هُوَ مُحِيطُ تِلْكَ الدَّائِرَةِ وَاحِدِيَّةً وَتَصَوَّرَ مَا فَوْقَ دَائِرَةِ الظِّلَالِ الَّذِي هُوَ دَائِرَةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ذَاتًا مُنَزَّهَةً وَمُبَرَّأَةً عَنِ التَّعَيُّنِ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ مَرْكَزَ هَذِهِ الدَّائِرَةِ الظِّلَالِيَّةِ ظِلُّ مَرْكَزِ الدَّائِرَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُهَا وَمُسَمَّاةٌ بِدَائِرَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ.

وَالْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ هِيَ مَرْكَزُ هَذِهِ الدَّائِرَةِ الْأَصْلِيَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ إِجْمَالُ الْأَسْمَاءِ وَالشُّئُونَاتِ وَتَفْصِيلُ الْأَسْمَاءِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الدَّائِرَةِ الَّتِي هِيَ مَرْتَبَةُ الْوَاحِدِيَّةِ وَإِطْلَاقُ الْوَحْدَةِ وَالْأَحَدِيَّةِ عَلَى مَرْتَبَةِ ظِلَالِ الْأَسْمَاءِ مَبْنِيٌّ عَلَى اشْتِبَاهِ الظِّلِّ بِالْأَصْلِ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِطْلَاقُ السَّيْرِ فِي اللهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ فَإِنَّ السَّيْرَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ دَاخِلٌ فِي الْحَقِيقَةِ فِي السَّيْرِ إِلَى اللهِ هَذَا. (فَإِنْ وَقَعَ) الْعُرُوجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى دَائِرَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ دَائِرَةِ الظِّلَالِ بِطَرِيقِ السَّيْرِ فِي اللهِ يَكُونُ ذَلِكَ شُرُوعًا فِي كَمَالَاتِ الْوَلَايَةِ الْكُبْرَى وَهَذِهِ الْوَلَايَةُ الْكُبْرَى مَخْصُوصَةٌ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْأَصَالَةِ وَوَصَلَ أَصْحَابُهُمُ الْكِرَامُ أَيْضًا إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِالتَّبَعِيَّةِ. وَالنِّصْفُ الْأَسْفَلُ مِنْ هَذِهِ الدَّائِرَةِ مُتَضَمِّنٌ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ وَنِصْفُهَا الْأَعْلَى مُشْتَمِلٌ عَلَى الشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ لَطَائِفِ عَالَمِ الْأَمْرِ الْخَمْسِ إِلَى نِهَايَةِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَعْنِي دَائِرَةَ الْأَسْمَاءِ وَالشُّئُونَاتِ (فَإِنْ وَقَعَ) التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلِكَ بِمَحْضِ فَضْلِ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ مِنْ مَقَامِ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ يَكُونُ السَّيْرُ فِي دَائِرَةِ أُصُولِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ وَبَعْدَ الْمُجَاوَزَةِ وَالْعُبُورِ عَنْ دَائِرَةِ تِلْكَ الْأُصُولِ دَائِرَةُ أُصُولِ تِلْكَ الْأُصُولِ وَبَعْدَ طَيِّ هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَظْهَرُ مِنَ الدَّائِرَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ قَوْسٌ يَنْبَغِي قَطْعُهُ أَيْضًا. وَحَيْثُ لَمْ يَظْهَرْ مِنْ هَذِهِ الدَّائِرَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ غَيْرُ الْقَوْسِ اقْتَصَرْنَا عَلَى ذَلِكَ الْقَوْسِ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هُنَا سِرٌّ وَلَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ بَعْدُ. وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورَةُ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مُجَرَّدُ اعْتِبَارَاتٍ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ كَانَتْ مَبَادِئَ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ وَحُصُولُ كَمَالَاتِ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ مَخْصُوصَةٌ بِالنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُولُ الْإِطْمِئْنَانِ لَهَا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ يَحْصُلُ شَرْحُ الصَّدْرِ وَفِيهِ يَتَشَرَّفُ السَّالِكُ بِالْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ وَهَذَا هُوَ ذَاكَ الْمَوْطِنُ الَّذِي تَجْلِسُ الْمُطْمَئِنَّةُ فِيهِ عَلَى تَخْتِ الصَّدْرِ وَتَرْتَقِي فِي مَقَامِ الرِّضَا وَهَذَا الْمَوْطِنُ هُوَ نِهَايَةُ الْوَلَايَةِ الْكُبْرَى الَّتِي هِيَ وَلَايَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلَمَّا انْتَهَى بِي السَّيْرُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ تُوُهِّمَ لِي أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَمَّ فَنُودِيتُ فِي سِرِّي أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ كَانَ تَفْصِيلَ الْإِسْمِ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ جَنَاحَيِ الطَّيَرَانِ وَالْإِسْمُ الْبَاطِنُ أَمَامَكَ بَعْدُ وَهُوَ الْجَنَاحُ الثَّانِي لِلطَّيَرَانِ إِلَى عَالَمِ الْقُدْسِ فَإِذَا أَتْمَمْتَهُ بِالتَّفْصِيلِ فَقَدْ حَصَّلْتَ جَنَاحَيْنِ لِطَيَرَانٍ فَلَمَّا تَمَّ سَيْرُ الْإِسْمِ الْبَاطِنِ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ تَيَسَّرَ الْجَنَاحَانِ لِلطَّيَرَانِ. الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ.

(أَيُّهَا الْوَلَدُ) مَاذَا أَكْتُبُ مِنَ السَّيْرِ فِي الْبَاطِنِ وَالْمُنَاسِبُ لِحَالِ ذَلِكَ السَّيْرِ الإِسْتِتَارُ وَالتَّبَطُّنُ وَلْنَكْشِفْ نُبْذًا يَسِيرًا مِنْ هَذَا الْمَقَامِ: أَنَّ السَّيْرَ فِي الإِسْمِ الظَّاهِرِ سَيْرٌ فِي الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلاحِظَ الذَّاتَ فِي ضِمْنِهَا. وَالسَّيْرُ فِي الإِسْمِ الْبَاطِنِ وَإِنْ كَانَ سَيْرًا فِي الأَسْمَاءِ وَلَكِنَّ الذَّاتَ مَلْحُوظَةٌ فِي ضِمْنِهَا وَتِلْكَ الأَسْمَاءُ كَالْحُجُبِ سَاتِرَةٌ لِوَجْهِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنَّ الذَّاتَ فِي صِفَةِ الْعِلْمِ مَثَلاً لَيْسَتْ مَلْحُوظَةً أَصْلاً وَفِي اسْمِ الْعَلِيمِ الْمَلْحُوظُ هُوَ الذَّاتُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الصِّفَاتِ لأَنَّ الْعَلِيمَ ذَاتٌ ثَبَتَ لَهَا الْعِلْمُ فَالسَّيْرُ فِي الْعِلْمِ سَيْرٌ فِي الإِسْمِ الظَّاهِرِ وَالسَّيْرُ فِي الْعَلِيمِ سَيْرٌ فِي الإِسْمِ الْبَاطِنِ وَقِسْ عَلَى هَذَا سَائِرَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالإِسْمِ الْبَاطِنِ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْمَلائِكَةِ الْمَلأِ الأَعْلَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

(وَالشُّرُوعُ) فِي السَّيْرِ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ وَضْعُ الْقَدَمِ فِي الْوِلايَةِ الْعُلْيَا الَّتِي هِيَ وِلايَةُ الْمَلأِ الأَعْلَى وَالْفَرْقُ الْمَذْكُورُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَلِيمِ عِنْدَ بَيَانِ الإِسْمِ الظَّاهِرِ وَالإِسْمِ الْبَاطِنِ لا تَتَخَيَّلْهُ شَيْئًا يَسِيرًا وَلا تَظُنَّ أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْعَلِيمِ مَسَافَةً قَلِيلَةً لا بَلْ فَرْقُ مَا بَيْنَ مَرْكَزِ الأَرْضِ وَمُحَدَّبِ الْعَرْشِ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الْفَرْقِ حُكْمُ الْقَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَهُوَ قَرِيبٌ فِي التَّكَلُّمِ بَعِيدٌ فِي الْحُصُولِ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الْمُبَيَّنَةِ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ كَمَا قُلْنَا مَثَلاً فَإِذَا طَوَى هَذِهِ الْخَمْسَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَشَرَعَ فِي السَّيْرِ فِي أُصُولِهَا فَقَدْ أَتَمَّ دَائِرَةَ الإِمْكَانِ فَقَدْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ السَّيْرُ إِلَى اللهِ بِالتَّمَامِ وَقَدْ قَدَّرُوا مُدَّةَ حُصُولِ هَذَا السَّيْرِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى (تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) رَمْزٌ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ جَذْبَ عِنَايَةِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ يَكَادُ يُيَسِّرُ أَمْرَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الْمَدِيدَةِ فِي طَرْفَةِ الْعَيْنِ.(ع) لا عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الْكِرَامِ *. وَكَذَلِكَ قُلْنَا فَإِذَا طَوَى دَائِرَةَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالإِعْتِبَارَاتِ وَوَقَعَ السَّيْرُ فِي أُصُولِهَا إِلَخْ طَيُّ جَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ سَهْلٌ فِي التَّلَفُّظِ وَلَكِنْ مُشْكِلٌ عِنْدَ الطَّيِّ وَأَيُّ مُشْكِلٍ * وَمِنْ صُعُوبَةِ هَذَا الطَّيِّ قَالَ الْمَشَائِخُ: مَنَازِلُ الْوُصُولِ لا تَنْقَطِعُ أَبَدَ الآبِدِينَ وَمَنَعُوا تَمَامِيَّةَ السَّيْرِ يَعْنِي انْتِهَاءً فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ. (شِعْرٌ)

وَلَيْسَ لِحُسْنِهِ حَدٌّ وَغَايَةٌ *** وَلا لِمَدِيحَةِ السَّعْدِيِّ نِهَايَةٌ

يَمُوتُ مِنَ التَّعَطُّشِ مُسْتَقِيهِ *** وَيَبْقَى الْبَحْرُ بَحْرًا كَالْبِدَايَةِ

(وَلا تَظُنَّنَّ) أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَالُوا بِعَدَمِ انْقِطَاعِ مَرَاتِبِ الْوُصُولِ بِاعْتِبَارِ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ لا بِاعْتِبَارِ التَّجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَأَرَادُوا بِالْحُسْنِ الْحُسْنَ الذَّاتِيَّ لا الْحُسْنَ الصِّفَاتِيَّ (لأَنَّا نَقُولُ) إِنَّ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ بِدُونِ مُلاحَظَةِ الشُّئُونِ وَالإِعْتِبَارَاتِ وَلا ظُهُورِ الْحُسْنِ الذَّاتِيِّ مِنْ غَيْرِ احْتِجَابٍ بِحُجُبِ الصِّفَاتِ الْجَمَالِيَّةِ لأَنَّهُ لا مَجَالَ لِلْقِيلِ وَالْقَالِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ بِدُونِ تَوَسُّطِ الْحُجُبِ وَالأَسْتَارِ مَنْ عَرَفَ اللهَ كَلَّ

لسانه والتجلي يستدعي نحوا من الظلية فلا بد في ذلك المقام من ملاحظة الشئون فصارت منازل الوصول ومراتب الحسن داخلة في دائرة الأسماء والشئونات والحال أن انقطاعها متعسر عندهم والأمر الذي ظهر لهذا الدرويش فهو وراء التجليات وغير الظهورات سواء كان تجليا ذاتيا أو تجليا صفاتيا ووراء الحسن والجمال سواء كان حسنا ذاتيا أو حسنا صفاتيا وبالجملة قد نظمت المطالب العالية والمقاصد السامية في سلك عبارات محتقرة مختصرة بطريق الإجمال ومثات البحار العديمة النهاية في كيزان معدودة فلا تكن من القاصرين.

(ولنرجع) إلى أصل الكلام فنقول: إنه لما تيسر الطيران ووقعت العروجات بعد حصول جناحي الإسم الظاهر والباطن علم أن هذه الترقيات بالأصالة نصيب العنصر الناري والعنصر الهوائي والعنصر المائي التي للملائكة الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام أيضا نصيب منها كما ورد أن بعض الملائكة مخلوق من النار والثلج، تسبيحه سبحان من جمع بين النار والثلج وأريت في الواقعة في أثناء هذا السير كأني ماش على طريق وقد حصلت لي غاية الإعياء من كثرة المشي وصرت ألتمس خشبة أو عصا للاتكاء رجاء حصول قدرة على المشي بسددها فلم يتيسر فصرت أتمسك وأتشبث بكل حشيش متمنيا تقويته على المشي ولا أجد بدا من المشي ولما سرت مدة بهذا الحال ظهر فناء بلدة فدخلت البلدة بعد طي مسافة ذلك الفناء وأعلمت أن تلك البلدة عبارة عن التعين الأول الذي هو جامع لجميع مراتب الأسماء والصفات والشئون والإعتبارات. وجامع أيضا لأصول تلك المراتب و لأصول تلك الأصول ومنتهى الإعتبارات الذاتية التي تمايزها يعني تمايز بعضها عن بعض مناسب للعلم الحصولي فإن وقع السير بعد ذلك يكون مناسبا للعلم الحضوري. (أيها الولد) إن إطلاق العلم الحصولي والحضوري في تلك الحضرة إنما هو باعتبار التمثيل والتنظير فإن الصفات التي وجودها زائد على وجود الذات تعالت وتقدست علمها مناسب بالعلم الحصولي والإعتبارات الذاتية التي لا تتصور زيادتها على الذات أصلا علمها مناسب بالعلم الحضوري وإلا فليس ثمة إلا تعلق العلم بالمعلوم من غير أن يحصل من المعلوم فيه شيء فافهم. (وهذا) التعين الأول الذي تلك البلدة الجامعة كناية عنه جامع لجميع ولايات الأنبياء الكرام والملائكة العظام عليهم الصلاة والسلام ومنتهى الولاية العليا التي هي مخصوصة بالملأ الأعلى بالأصالة ولوحظ في هذا المقام أن هذا التعين الأول هل هو الحقيقة المحمدية أو لا ثم تبين أن الحقيقة المحمدية هي التي ذكرت فيما سبق وإطلاق التعين الأول عليها أن ذلك المركز ظل هذا التعين الأول باعتبار جامعيته للأسماء والصفات والشئون والإعتبارات. (والسير) الواقع فوق ذلك البلد يكون شروعا في الكمالات والنبوة. وحصول تلك الكمالات مخصوص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وناش من مقام النبوة ولكمل أتباع الأنبياء أيضا نصيب من تلك الكمالات بالتبعية والحظ الوافر من تلك الكمالات

بالأصالة من بين اللطائف الإنسانية للعنصر الترابي. وسائر الأجزاء الإنسانية سواء كانت من عالم الأمر أو من عالم الخلق كلها تابعة في هذا المقام لذلك العنصر الترابي ومشرفة بهذه الدولة بتطفله ولما كان هذا العنصر مخصوصا بالبشر كان خواص البشر أفضل من خواص الملائكة بالضرورة لأنه لم يتيسر لأحد ما تيسر لهذا العنصر وبعد الدنو يظهر في هذا المقام حقيقة التدلي وهنا ينكشف سر قاب قوسين أو أدنى. ويرى في هذا السير أن كمالات جميع الولايات سواء كانت صغرى أو كبرى أو عليا كلها ظلال كمالات مقام النبوة وأنها أشباح وأمثال لحقيقة هذه الكمالات ويلوح فيه أن النقطة التي تقطع في ضمن هذا السير أزيد من جميع كمالات الولاية فينبغي أن يتأمل أنه ماذا يكون على هذا القياس حكم الكمالات المتقدمة بالنسبة إلى جميع هذه الكمالات وللقطرة نسبة إلى البحر المحيط وهذه النسبة مفقودة هاهنا الا أني أقول إن نسبة الولاية إلى مقام النبوة كنسبة المتناهي إلى غير المتناهي سبحان الله وقد يقول الجاهل بهذا السر: إن الولاية أفضل من النبوة ويقول الآخر في توجيه هذه العبارة غافلا عن هذه المعاملة: إن ولاية النبي أفضل من نبوته (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) ولما أتممت هذا السير أيضا بعناية الله سبحانه وبركة حبيبه عليه وعلى آله الصلاة والسلام شوهد لي أنه لو زدت فرضا خطوة واحدة في السير لاقع في عدم محض إذ ليس وراءه الا العدم المحض. (أيها الولد) إياك والوقوع في التوهم من هذه المعاملة إن العنقاء قد وقع في الشرك والسيمرغ قد تعلق في الشبكة، (شعر)

هيهات عنقاء أن يصطاده أحد *** فاترك عناك وكن من ذاك في دعة

وهو سبحانه وراء الوراء ثم وراء الوراء. (شعر)

وذا إيوان الإستغلاء عال *** فإياكم وطمعا في الوصال

وهذه الورائية ليست باعتبار وجود الحجب لأن الحجب صارت مرتفعة بالكلية بل باعتبار ثبوت العظمة والكبرياء بالمانعة للإدراك المنافية للوجدان فهو سبحانه أقرب في الوجود وأبعد عن الوجدان نعم قد يكون بعض الكمال من المرادين فيعطون محلا من سرادقات العظمة والكبرياء ويجعلون من محارم خيمة الجلال بتطفل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيعامل معهم ما عومل معهم.

(أيها الولد) إن هذه المعاملة مخصوصة بالهيئة الوحدانية الإنسانية الناشئة من مجموع عالم الخلق وعالم الأمر ومع ذلك الرئيس في هذا الموطن هو العنصر الترابي وإنما قلت ليس وراءه الا العدم المحض لأن بعد تمام مراتب الوجود الخارجي والوجود العلمي ليس الا حصول العدم الذي نقيضه وذات الله سبحانه وراء هذا الوجود والعدم وكما أنه لا سبيل إليها للعدم كذلك لا مجال فيها للوجود لأن الوجود الذي قام العدم بمناقضته كيف يليق بحضرته جل سلطانه فلئن أطلقنا الوجود في هذه المرتبة لضيق العبارة

يُرَادُ بِهِ وُجُودٌ[1] لاَ يَكُونُ لِلْعَدَمِ[2] مَجَالُ مُنَاقَضَتِهِ وَمَا كَتَبَ هَذَا الْفَقِيرُ فِي بَعْضِ مَكَاتِيبِهِ أَنَّ حَقِيقَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وُجُودٌ مَحْضٌ فَهُوَ مِنْ عَدَمِ الْإِطِّلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ بَعْضُ الْمَعَارِفِ الَّتِي حَرَّرْتُهَا فِي التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَغَيْرِهِ وَسِرُّهُ عَدَمُ الْإِطِّلَاعِ وَلَمَّا كُنْتُ وَاقِفًا وَمُتَنَبِّهًا عَلَى حَقِيقَةِ الْمُعَامَلَةِ كُنْتُ مُتَنَدِّمًا عَلَى مَا كَتَبْتُهُ أَوْ قُلْتُهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَالْوَسَطِ وَكُنْتُ مُسْتَغْفِرًا مِنْهُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلَاحَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ فِي مَرَاتِبِ الصُّعُودِ وَأَنَّ الْوَجْهَ فِي عُرُوجَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ كَمَا زَعَمَهُ الْكَثِيرُونَ مِنْ أَنَّ الْوَجْهَ فِي الْوَلَايَةِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفِي النُّبُوَّةِ إِلَى الْخَلْقِ وَأَنَّ الْوَلَايَةَ فِي مَرَاتِبِ الْعُرُوجِ وَالنُّبُوَّةَ فِي مَدَارِجِ النُّزُولِ وَمِنْ هُنَا تَوَهَّمُوا أَنَّ الْوَلَايَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ نَعَمْ إِنَّ لِكُلٍّ مِنَ الْوَلَايَةِ وَالنُّبُوَّةِ عُرُوجًا وَهُبُوطًا وَفِي الْعُرُوجِ الْوَجْهُ إِلَى الْحَقِّ فِي كِلَيْهِمَا وَفِي الْهُبُوطِ إِلَى الْخَلْقِ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْوَجْهَ فِي مَرْتَبَةِ هُبُوطِ النُّبُوَّةِ إِلَى الْخَلْقِ بِالْكُلِّيَّةِ بِخِلَافِ هُبُوطِ الْوَلَايَةِ فَإِنَّ الْوَجْهَ فِيهَا لَيْسَ إِلَى الْخَلْقِ بِالْكُلِّيَّةِ بَلْ بَاطِنُهُ بِالْحَقِّ وَظَاهِرُهُ بِالْخَلْقِ وَسِرُّهُ أَنَّ صَاحِبَ الْوَلَايَةِ نَازِلٌ قَبْلَ اتْمَامِ مَقَامَاتِ الْعُرُوجِ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ النَّظَرُ إِلَى الْفَوْقِ مُنَازِعَةً فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَمَانِعَةً مِنَ التَّوَجُّهِ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى الْخَلْقِ بِخِلَافِ صَاحِبِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ هَبَطَ بَعْدَ اتْمَامِ مَقَامَاتِ الْعُرُوجِ وَلِهَذَا يَكُونُ مُتَوَجِّهًا بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا فَافْهَمْ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ الشَّرِيفَةَ وَأَمْثَالَهَا مِمَّا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا أَحَدٌ وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الْعُنْصُرَ التُّرَابِيَّ كَمَا أَنَّهُ يَتَفَوَّقُ عَلَى الْكُلِّ فِي مَرَاتِبِ الْعُرُوجِ كَذَلِكَ يَنْزِلُ فِي مَنَازِلِ الْهُبُوطِ أَسْفَلَ مِنَ الْكُلِّ وَكَيْفَ لاَ فَإِنَّ مَكَانَهُ الطَّبِيعِيَّ أَسْفَلُ مِنَ الْكُلِّ فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ يَنْزِلُ أَسْفَلَ مِنَ الْكُلِّ تَكُونُ دَعْوَةُ صَاحِبِهِ أَتَمَّ بِالضَّرُورَةِ وَإِفَادَتُهُ أَكْمَلَ.

(اعْلَمْ) أَيُّهَا الْوَلَدُ أَنَّ ابْتِدَاءَ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ لَمَّا كَانَ مِنَ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ افْتَتَحْنَا الْكَلَامَ بِعَالَمِ الْأَمْرِ بِخِلَافِ طُرُقِ سَائِرِ الْمَشَائِخِ الْكِرَامِ فَإِنَّهُمْ يَشْرَعُونَ أَوَّلاً فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَطْهِيرِ الْقَالَبِ ثُمَّ يَشْرَعُونَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ الْأَمْرِ وَيَعْرُجُونَ فِيهَا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ وَلِهَذَا انْدَرَجَتْ فِي بِدَايَةِ هَؤُلَاءِ الْكُبَرَاءِ نِهَايَةُ مَنْ سِوَاهُمْ وَصَارَ هَذَا الطَّرِيقُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ لِأَنَّ حُصُولَ التَّزْكِيَةِ وَالتَّطْهِيرِ مُيَسَّرٌ فِي ضِمْنِ هَذَا السَّيْرِ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ فَقَصُرَتِ الْمَسَافَةُ بِذَلِكَ فَلَا جَرَمَ اعْتَقَدَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ سَيْرَ عَالَمِ الْخَلْقِ قَصْدًا عَبَثًا

---

[1] قال الشيخ صدر الدين القونوى فى اوائل مفتاح الغيب بعد ان قال ان حقيقة الحق هو الوجود المحض الخ وقولنا وجود يعنى فى قوله وانه من هذا الوجه الحق وانه من هذا الوجه لا كثرة فيه ولا تركيب الخ بل وجود بحت هو للتفهيم لا ان ذلك اسم حقيقى له انتهى بغاية الاختصار. (القزانى رحمة الله عليه)

[2] وقال فيه ايضا ان الحق هو الوجود المحض وانه وحدة حقيقية لاتتعقل فى مقابلة الكثرة وقال فى شرحه لانه لو كانت فى مقابلتها كثرة لتتوقف تعقلها وتصورها على تعقل تلك الكثرة وتصورها اه. وهذا كقولنا بعينه انه تعالى واحد لا من حيث العدد بمعنى فى مقابل الاثنين فان كل شخص واحد بهذا المعنى كما لا يخفى (القزانى رحمة اله عليه)

وَعَدُّوهُ تَعْطِيلاً لاَ بَلْ تَيَقَّنُوا أَنَّهُ مُضِرٌّ وَمَانِعٌ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلَبِ وَذَلِكَ لأَنَّ سَالِكِي الطَّرِيقِ بِقَدَمِ التَّزْكِيَةِ وَالرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّةِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّدِيدَةِ إِذَا شَرَعُوا فِي سَيْرِ عَالَمِ الأَمْرِ بَعْدَ قَطْعِ بَوَادِي صُورَةِ عَالَمِ الْخَلْقِ وَوَقَعُوا فِي الإِنْجِذَابِ الْقَلْبِيِّ وَالإِلْتِذَاذِ الرُّوحِيِّ كَثِيرًا مَا يَقْنَعُونَ بِهَذَا الإِنْجِذَابِ وَيَكْتَفُونَ بِهَذَا الإِلْتِذَاذِ وَمَظِنَّةُ لاَ مَكَانِيَّةِ عَالَمِ الأَمْرِ تَكُونُ مُمِدَّةً لَهُمْ فِي تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ وَشَائِبَةُ لاَ مِثْلِيَّةِ هَذَا الْعَالَمِ تَمْنَعُهُمْ عَنِ اللاَّمِثْلِيِّ الْحَقِيقِيِّ حَتَّى قَالَ وَاحِدٌ مِنَ السَّالِكِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ: عَبَدْتُ الرُّوحَ ثَلاَثِينَ سَنَةً مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَالَ آخَرُ: إِنَّ سِرَّ الإِسْتِوَاءِ وَظُهُورَ تَنْزِيهِ مَا فَوْقَ الْعَرْشِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْغَامِضَةِ وَقَدْ عُلِمَ مِنَ الْبَيَانِ السَّابِقِ أَنَّ ذَلِكَ التَّنْزِيهَ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الإِمْكَانِ بَلْ هُوَ تَشْبِيهٌ فِي الْحَقِيقَةِ فِي صُورَةِ التَّنْزِيهِ بِخِلاَفِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعُلْيَا فَإِنَّهُمْ يَشْرَعُونَ مِنْ مَقَامِ الْجَذْبَةِ وَيَتَرَقَّوْنَ بِمَدَدِ الإِلْتِذَاذِ وَهَذَا الإِنْجِذَابُ وَالإِلْتِذَاذُ فِي حَقِّهِمْ بِمَثَابَةِ الرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ فَمَا هُوَ مَانِعٌ عَنِ الْوُصُولِ لِغَيْرِهِمْ مُمِدٌّ وَمُعَاوِنٌ لِهَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَهُمْ يَتَصَوَّرُونَ لاَ مَكَانِيَّةَ عَالَمِ الأَمْرِ عَيْنَ الْمَكَانِيَّةِ فَيَتَوَجَّهُونَ مِنْهُ إِلَى اللاَّمَكَانِيِّ الْحَقِيقِيِّ وَيَعْتَقِدُونَ لاَ مِثْلِيَّةَ ذَلِكَ الْعَالَمِ عَيْنَ الْمِثْلِيَّةِ وَيَرْتَقُونَ مِنْهُ إِلَى اللاَّمِثْلِيِّ الْحَقِيقِيِّ فَلاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ لاَ يَفْتَتِنُونَ بِغُرُورِ الْوَجْدِ وَالْحَالِ وَلاَ يُغْبَنُونَ بِجَوْزِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْزِ الأَشْبَاهِ وَالأَمْثَالِ كَالأَطْفَالِ وَلاَ يُبَاهُونَ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَلاَ يَفْتَخِرُونَ بِشَطْحِيَّاتِ الْمَشَائِخِ بَلْ هُمْ مُتَوَجِّهُونَ إِلَى الأَحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ لاَ يَبْغُونَ مِنَ الإِسْمِ وَالصِّفَةِ غَيْرَ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ.

(وَيَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْعُرُوجَ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ مَخْصُوصٌ بِمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ التَّامِّ الإِسْتِعْدَادِ لَهُ نَصِيبٌ كَامِلٌ مِنْ كَمَالاَتِ الْجَوَاهِرِ الْخَمْسِ الَّتِي فِي عَالَمِ الأَمْرِ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ وَكَذَلِكَ لَهُ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ أُصُولِ هَذِهِ الْخَمْسِ أَعْنِي ظِلاَلَ الأَسْمَاءِ الْوَاجِبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مِنْ أُصُولِ هَذِهِ الظِّلاَلِ أَعْنِي مَقَامَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (وَإِنَّمَا) قُلْتُ التَّامَّ الإِسْتِعْدَادِ لأَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَكُونُ فِي الظَّاهِرِ مُحَمَّدِيَّ الْمَشْرَبِ وَيَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ كَمَالاَتِ الأَخْفَى الَّذِي هُوَ نِهَايَةُ مَرَاتِبِ عَالَمِ الأَمْرِ وَلَكِنَّهُ لاَ يُتِمُّ مُعَامَلَةَ الأَخْفَى وَلاَ يَنْتَهِي إِلَى نُقْطَتِهِ الأَخِيرَةِ بَلْ يَبْقَى فِي ابْتِدَائِهِ أَوْ وَسَطِهِ فَإِذَا كَانَ لَهُ قُصُورٌ فِي الأَخْفَى يَكُونُ لَهُ قُصُورٌ فِي أُصُولِهِ أَيْضًا بِمِقْدَارِهِ فَلاَ يَتَمَكَّنُ مِنْ إِتْمَامِ مُعَامَلَتِهِ وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي الأَرْبَعِ الْبَاقِيَةِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ حَيْثُ أَنَّ تَامِّيَّةَ الاسْتِعْدَادِ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مَرْبُوطَةٌ بِالْوُصُولِ إِلَى النُّقْطَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ، وَالْوُقُوفُ فِي الإِبْتِدَاءِ وَالْوَسَطِ يُنْبِئُ عَنِ النُّقْصَانِ وَلَوْ كَانَ الْقُصُورُ فِي الْوُصُولِ إِلَى النِّهَايَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ.

(شِعْرٌ)

وَمَا قَلَّ هِجْرَانُ الْحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا * قَلِيلاً وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي الْعَيْنِ ضَائِرٌ**

وَيَسْرِي هَذَا الْقُصُورُ إِلَى الأُصُولِ وَأُصُولِ الأُصُولِ وَيَكُونُ مَانِعًا عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلَبِ.

وَإِنَّمَا قُلْتُ إِنَّ هَذَا الْعُرُوجَ مَخْصُوصٌ بِمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ لأَنَّ غَيْرَ مُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ كَمَالُهُ مَقْصُورًا عَلَى الدَّرَجَةِ الأُولَى مِنْ دَرَجَاتِ الْوِلاَيَةِ، وَالْمُرَادُ بِالدَّرَجَةِ الأُولَى مَرْتَبَةُ الْقَلْبِ وَمِنْهُمْ

مَنْ يَكُونُ كَمَالُهُ مَقْصُورًا عَلَى الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ دَرَجَاتِ الْوِلَايَةِ الَّتِي هِيَ مَقَامُ الرُّوحِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نِهَايَةُ عُرُوجِ كَمَالِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ أَعْنِي مَقَامَ السِّرِّ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نِهَايَةُ عُرُوجِ كَمَالِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ أَعْنِي مَقَامَ الْخَفِيِّ.

وَالدَّرَجَةُ الْأُولَى لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِتَجَلِّي صِفَاتِ الْأَفْعَالِ وَلِلدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ بِتَجَلِّي الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ وَلِلدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ بِتَجَلِّي الشُّئُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَلِلدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ بِالصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَقَامُ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ. (وَكُلُّ) دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الْوِلَايَةِ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُولِي الْعَزْمِ فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى مِنْهَا تَحْتَ قَدَمِ آدَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَرَبُّهُ صِفَةُ التَّكْوِينِ الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ صُدُورِ الْأَفْعَالِ (وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ) تَحْتَ قَدَمِ إِبْرَاهِيمَ وَيُشَارِكُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ نُوحٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَرَبُّهُمَا صِفَةُ الْعِلْمِ الَّتِي هِيَ أَجْمَعُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ (وَالدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ) تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَبُّهُ مِنْ مَقَامَاتِ الشُّئُونَاتِ شَأْنُ الْكَلَامِ (وَالدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ) تَحْتَ قَدَمِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَبُّهُ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ لَا مِنَ الثُّبُوتِيَّةِ فَإِنَّهَا مَوْطِنُ التَّقْدِيسِ وَالتَّنْزِيهِ وَأَكْثَرُ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ يُشَارِكُونَ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَالشَّأْنُ الْعَظِيمُ حَاصِلٌ لَهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ (وَالدَّرَجَةُ الْخَامِسَةُ) تَحْتَ قَدَمِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَرَبُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبُّ الْأَرْبَابِ الَّذِي هُوَ جَامِعُ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ وَالتَّنْزِيهَاتِ وَمَرْكَزُ دَائِرَةِ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ وَيُنَاسِبُ التَّعْبِيرَ عَنْ هَذَا الشَّأْنِ الْجَامِعِ فِي مَرْتَبَةِ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ بِشَأْنِ الْعِلْمِ لِكَوْنِ هَذَا الشَّأْنِ عَظِيمَ الشَّأْنِ جَامِعًا لِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ صَارَتْ مِلَّتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِبْلَتُهُ قِبْلَتَهُ. (يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ تَفَاضُلَ الْأَقْدَامِ فِي الْوِلَايَةِ لَيْسَ بِاعْتِبَارِ تَقَدُّمِ الدَّرَجَاتِ وَتَأَخُّرِهَا حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُ الْأَخْفَى أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ بَلْ بِاعْتِبَارِ الْقُرْبِ مِنَ الْأَصْلِ وَالْبُعْدِ عَنْهُ وَطَيِّ مَنَازِلِ دَرَجَاتِ الظِّلَالِ كَثْرَةً وَقِلَّةً فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْقَلْبِ بِاعْتِبَارِ الْقُرْبِ مِنَ الْأَصْلِ أَفْضَلَ مِنْ صَاحِبِ الْأَخْفَى الَّذِي لَمْ يَحْصُلْ لَهُ الْقُرْبُ مِنَ الْأَصْلِ كَيْفَ وَوِلَايَةُ النَّبِيِّ الَّتِي فِي الدَّرَجَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ دَرَجَاتِ الْوِلَايَةِ أَفْضَلُ قَطْعًا مِنْ وِلَايَةِ الْوَلِيِّ الَّتِي فِي الدَّرَجَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ.

(وَلَا يَخْفَى) أَنَّ سُلُوكَ اللَّطَائِفِ بِالتَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ أَعْنِي الْإِنْتِقَالَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الرُّوحِ وَمِنَ الرُّوحِ إِلَى السِّرِّ وَمِنَ السِّرِّ إِلَى الْخَفِيِّ وَمِنَ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَخْفَى مَخْصُوصٌ أَيْضًا بِمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ فَإِنَّهُ يَتِمُّ سَيْرُ هَذِهِ الْخَمْسِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ بِالتَّرْتِيبِ ثُمَّ يَسِيرُ فِي أُصُولِهَا وَيَتِمُّ السُّلُوكُ بَعْدَ السَّيْرِ فِي أُصُولِ الْأُصُولِ مُرَاعِيًا لِهَذَا التَّرْتِيبِ وَهَذَا الطَّرِيقُ بِالتَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ طَرِيقٌ سُلْطَانِيٌّ لِلْوُصُولِ وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ لِمُتَوَجِّهِي الْأَحَدِيَّةِ بِخِلَافِ وِلَايَاتٍ أُخَرَ وَكَانَ فِيهَا تُقْبَتُ نَقْبَةٌ مِنْ كُلِّ دَرَجَةٍ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَطْلُوبِ مَثَلًا تُقْبَتُ نَقْبَةٌ مِنْ مَقَامِ الْقَلْبِ إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى صِفَاتِ الْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ أَصْلِهِ وَكَذَلِكَ تُقْبَتُ نَقْبَةٌ مِنْ مَقَامِ الرُّوحِ إِلَى الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ وَلَا شَكَّ أَنَّ أَفْعَالَهُ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ لَيْسَتْ مُنْفَكَّةً عَنْ ذَاتِهِ تَعَالَى فَإِنَّ كُلَّ الْإِنْفِكَاكِ فَهُوَ فِي الظِّلَالِ فَفِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ لِلْوَاصِلِينَ إِلَى الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ نَصِيبٌ مِنْ تَجَلِّيَاتِ الذَّاتِ

الْمُنَزَّهَة عَنِ الْمِثَالِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ أَيْضًا كَمَا تَيَسَّرُ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِصَاحِبِ الْأَخْفَى بَعْدَ إِتْمَامِ الْأَمْرِ وَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ بِاعْتِبَارِ الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ بَاقِيًا. وَادِّعَاءُ صَاحِبِ الْقَلْبِ الْمُسَاوَاةَ لِصَاحِبِ الْأَخْفَى غَيْرُ مُوَجَّهٍ.

(وَلَا تَغْلَطَنَّ) فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ إِنَّمَا هُوَ مُتَصَوَّرٌ فِيمَا بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ لِأَنَّ صَاحِبَ الْوِلَايَةِ الْقَلْبِيَّةِ أَدْوَنُ مِنْ صَاحِبِ الْوِلَايَةِ الْأَخْفَوِيَّةِ بَعْدَ وُصُولِ كِلَيْهِمَا إِلَى مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ وَأَمَّا فِيمَا بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ فَمَفْقُودٌ لِأَنَّ وِلَايَةَ نَبِيٍّ وَلَوْ كَانَتْ نَاشِئَةً مِنْ مَقَامِ الْقَلْبِ أَفْضَلُ مِنْ وِلَايَةِ وَلِيٍّ وَلَوْ كَانَتْ نَاشِئَةً مِنْ مَقَامِ الْأَخْفَى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّنْ أَتَمَّ الْأَمْرَ وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْوِلَايَةِ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيِّ تِلْكَ الْوِلَايَةِ دَائِمًا أَيَّ وِلَايَةٍ كَانَتْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

نَعَمْ إِنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ فِيمَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ مُتَصَوَّرٌ وَصَاحِبُ الْعُلْيَا مِنْهُمْ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِ السُّفْلَى وَلَكِنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ فِيمَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَيْضًا إِلَى آخِرِ دَوَائِرِ كَمَالَاتِ عَالَمِ الْأَمْرِ وَلَيْسَ التَّفَاضُلُ بَعْدَهُ مَرْبُوطًا بِالْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ السُّفْلِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ أَفْضَلَ مِنْ صَاحِبِ الْعُلُوِّ كَمَا شَاهَدْنَا التَّفَاوُتَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ بَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنَّ مُوسَى جَسِيمٌ ثَمَّةَ ذُو شَأْنٍ عَظِيمٍ لَيْسَ لِعِيسَى فِيهِ تِلْكَ الْجَسَامَةُ وَالشَّأْنُ فَعَلِمْنَا أَنَّ التَّفَاوُتَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ بِأَمْرٍ آخَرَ وَرَاءَ ذَلِكَ الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَسَنُبَيِّنُهُ بَعْدُ مُفَصَّلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَكَمَالِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ وَجَدْنَا فِيهِ التَّفَاوُتَ بَيْنَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرَ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْكَمَالَاتِ الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِحَقِيقَةِ الْكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ جَمِيعِ الْحَقَائِقِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ فَإِنَّ لِلْخَلِيلِ ثَمَّةَ شَأْنًا عَظِيمًا وَمَرْتَبَةً رَفِيعَةً لَمْ يَتَيَسَّرْ لِأَحَدٍ ذَلِكَ الشَّأْنُ وَالرُّتْبَةُ. وَفِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَالِي الْمُنَاسِبِ لِمَقَامِ ظُهُورِ سُرَادِقَاتِ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ كَمَالَاتُ مَرْكَزِ ذَلِكَ الْمَقَامِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الْإِجْمَالِ نَصِيبُ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالْبَاقِي الْمُفَصَّلُ كُلُّهُ مُسَلَّمٌ لِلْخَلِيلِ وَكُلُّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَكُمَّلِ الْأَوْلِيَاءِ طُفَيْلِيُّهُ هُنَاكَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَبَ تَفْصِيلَ ذَلِكَ الْإِجْمَالِ حَيْثُ سَأَلَ صَلَاةً وَبَرَكَةً مُشَابِهَتَيْنِ بِصَلَاةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَرَكَتِهِ (وَقَدْ ظَهَرَ) لِهَذَا الْفَقِيرِ أَنَّ ذَلِكَ التَّفْصِيلَ قَدْ تَيَسَّرَ لَهُ أَيْضًا بَعْدَ مُضِيِّ أَلْفِ سَنَةٍ وَاسْتُجِيبَ مَسْئُولُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِهِ وَكَمَالَاتُ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَالِي فَوْقَ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ وَفَوْقَ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَكَيْفَ لَا تَكُونُ فَوْقَهَا فَإِنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لِلْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ وَالْمَلَائِكَةِ الْعِظَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا كَتَبَهُ هَذَا الْفَقِيرُ فِي رِسَالَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ عَرَجَتْ مِنْ مَقَامِهَا وَانْتَهَتْ إِلَى حَقِيقَةِ الْكَعْبَةِ الَّتِي فَوْقَهَا وَاتَّحَدَتْ بِهَا وَعُرِضَ لِلْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ اسْمُ الْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ كَانَتْ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ أَعْنِي حَقِيقَةَ الْكَعْبَةِ ظِلًّا مِنْ ظِلَالِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ قَدْ ظُنَّ قَبْلَ ظُهُورِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ حَقِيقَةً وَيَقَعُ هَذَا الْاِشْتِبَاهُ كَثِيرًا وَيُظَنُّ الظِّلُّ قَبْلَ ظُهُورِ الْأَصْلِ أَصْلًا وَيُسَمَّى حَقِيقَةً وَمِنْ هَهُنَا يَظْهَرُ الْمَقَامُ الْوَاحِدُ مَرَّاتٍ وَسِرُّهُ أَنَّ ظُهُورَاتِ ذَلِكَ الْمَقَامِ

باعتبار ظلال ذلك المقام وحقيقة ذلك المقام في الحقيقة هي ما ظهرت في المرتبة الأخيرة. فإن قيل: من أين يعلم أن هذه المرتبة هي المرتبة الأخيرة من مراتب ظهوراته حتى يعلم أنها هي الحقيقة. قلت: إن حصول العلم بظلية الظهورات السابقة شاهد عادل لآخرية هذا الظهور فإن هذا العلم لم يكن حاصلا وقت الظهورات السابقة بل كان يرى كل ظهور حقيقة وما كان يظن شيء منها ظلا أصلا وإن لم يعلم أن اختلاف هذه الحقائق من أين جاء فافهم.

(أيها الولد)، قد علم من المعارف السابقة أن الكمالات المتعلقة بعالم الأمر مقامات ومعارج للكمالات المتعلقة بعالم الخلق والكمالات الأولى ليست بخالية عن الظلية ومخصوصة بمقامات الولاية والكمالات الثانية مبرأة عن شائبة الظلية المناسبة لظهورات هذه النشأة الدنيوية وفيها نصيب كامل من مقامات النبوة فتكون الطريقة والحقيقة اللتان مربوطان بالولاية خادمتين للشريعة التي هي ناشئة من مقام النبوة وتكون الولاية سلما لعروج النبوة

(فعلم) من هذا البيان أن السير الذي اختاره الأكابر النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية الذي ابتدؤه من عالم الأمر أولى وأنسب لأن الترقي ينبغي أن يكون من الأدنى الذي هو عالم الأمر إلى الأعلى الذي هو عالم الخلق لا من الأعلى إلى الأدنى وما العلاج فإن هذا المعمى لم يتكشف لكل أحد بل نظر الأكثرون إلى الصورة وظنوا عالم الخلق أدنى فشرعوا في الإرتقاء من الأدنى إلى الأعلى الصوريين ولم يدروا أن حقيقة الحال على عكس هذا المنوال وأن ما ظنوه أدنى في الحقيقة هو الأعلى وما زعموه أعلى هو أدنى نعم إن النقطة الأخيرة التي هي عالم الخلق وقعت قريبة من النقطة الأولى التي هي أصل الأصل وهذا القرب لم يتيسر لنقطة أخرى. (ع) أحق الخلق بالكرم العصاة * وهذه المشاهدة مقتبسة من مشكاة النبوة وأرباب الولاية قليلو النصيب من هذه المعرفة وشروع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان من عالم الأمر وأنهم وردوا من الحقيقة إلى الشريعة، غاية ما في الباب أن في كمل الأولياء الذين وقع سيرهم موافقا لسير الأنبياء في الإبتداء صورة الشريعة وفي الوسط الطريقة والحقيقة المتعلقتان بالولاية المناسبتان لعالم الأمر وفي النهاية حقيقة الشريعة التي هي ثمرة النبوة. (فتقرر) من هذا أن حصول الطريقة مقدم على حصول حقيقة الشريعة فكانت بداية الأولياء الكاملين وبداية الأنبياء المرسلين من الحقيقة ونهاية كل منهما إلى الشريعة فلا معنى لقول من قال: إن بداية الأولياء نهاية الأنبياء وأراد ببداية الأولياء ونهاية الأنبياء الشريعة الغراء. نعم إن هذا المسكين لما لم يطلع على حقيقة الحال تكلم بهذا الشطح ولم يبال.(وهذه) المعارف وإن لم يتكلم بها أحد بل ذهب الأكثرون إلى عكسها واستبعدوها عن الإدراك ولكن إذا لاحظ منصف جانب عظمة الأنبياء عليهم السلام واستولت عليه عظمة الشريعة يحتمل أن يقبل هذه المعارف الغامضة ويجعل هذا القبول وسيلة إلى زيادة إيمانه (أيها الولد) إن الأنبياء عليهم الصلاة

وَالسَّلَامُ اقْتَصَرُوا دَعْوَتَهُمْ عَلَى عَالَمِ الْخَلْقِ بُنِيَ الْإِسْلَامُ[1] عَلَى خَمْسٍ , الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي هَذَا وَلَمَّا كَانَتْ مُنَاسَبَةُ الْقَلْبِ بِعَالَمِ الْخَلْقِ أَزْيَدَ دَعْوَةً أَيْضًا بِالتَّصْدِيقِ وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا فِيمَا وَرَاءَ الْقَلْبِ بَلْ جَعَلُوهُ كَالْمَطْرُوحِ فِي الطَّرِيقِ وَلَمْ يَعُدُّوهُ مِنَ الْمَقَاصِدِ نَعَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ فَإِنَّ تَنَعُّمَاتِ الْجَنَّةِ وَآلَامَ النَّارِ وَدَوْلَةَ الرُّؤْيَةِ وَالْحِرْمَانَ عَنْهَا كُلُّهَا مَرْبُوطَةٌ بِعَالَمِ الْخَلْقِ لَا تَعَلُّقَ لِشَيْءٍ مِنْهَا بِعَالَمِ الْأَمْرِ أَصْلًا. وَأَيْضًا إِنَّ إِتْيَانَ الْعَمَلِ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ مُتَعَلِّقٌ بِالْقَالِبِ الَّذِي هُوَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَمَا هُوَ نَصِيبُ عَالَمِ الْأَمْرِ مِنَ الْأَعْمَالِ هُوَ النَّافِلَةُ وَالْقُرْبُ الَّذِي هُوَ ثَمَرَةُ أَدَاءِ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى مِقْدَارِ الْأَعْمَالِ الَّتِي هُوَ ثَمَرَتُهَا فَلَا جَرَمَ يَكُونُ الْقُرْبُ الَّذِي هُوَ ثَمَرَةُ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ نَصِيبُ عَالَمِ الْخَلْقِ، وَالْقُرْبُ الَّذِي هُوَ ثَمَرَةُ أَدَاءِ النَّوَافِلِ نَصِيبُ عَالَمِ الْأَمْرِ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا اعْتِدَادَ بِالنَّفْلِ وَلَا اعْتِبَارَ لَهُ بِالْقِيَاسِ عَلَى الْفَرْضِ وَلَيْتَ لَهُ حُكْمُ الْقَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بَلْ هَذِهِ النِّسْبَةُ لِلنَّفْلِ بِالْقِيَاسِ عَلَى السُّنَّةِ وَإِنْ كَانَتْ نِسْبَةُ مَا بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْفَرْضِ كَنِسْبَةِ الْقَطْرَةِ إِلَى الْبَحْرِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ الْقُرْبَيْنِ عَلَى هَذَا وَأَنْ يَعْلَمَ مَزِيَّةَ عَالَمِ الْخَلْقِ عَلَى عَالَمِ الْأَمْرِ مِنْ هَذَا التَّفَاوُتِ وَأَكْثَرُ الْخَلَائِقِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى صَارُوا يُخَرِّبُونَ الْفَرَائِضَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَرْوِيجِ النَّوَافِلِ وَالصُّوفِيَّةُ النَّاقِصُونَ يَعْتَقِدُونَ الذِّكْرَ وَالْفِكْرَ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ وَيَتَسَاهَلُونَ فِي إِتْيَانِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَيَخْتَارُونَ الْأَرْبَعِينَاتِ تَارِكِينَ لِلْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ أَدَاءَ فَرْضٍ وَاحِدٍ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ أُلُوفٍ مِنْ أَرْبَعِينَاتِهِمْ. نَعَمْ إِنَّ الذِّكْرَ وَالْفِكْرَ مَعَ مُرَاعَاةِ الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ أَفْضَلُ وَأَهَمُّ وَالْعُلَمَاءُ الْقَاصِرُونَ أَيْضًا يَسْعَوْنَ فِي تَرْوِيجِ النَّوَافِلِ وَيُخَرِّبُونَ الْفَرَائِضَ وَيُضَيِّعُونَهَا وَمِنْ ذَلِكَ صَلَاةُ الْعَاشُورَاءِ مَثَلًا وَلَمْ يَصِحَّ[2] عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّيهَا مَعَ الْجَمَاعَةِ وَالْجَمْعِيَّةِ التَّامَّةِ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الرِّوَايَاتِ الْفِقْهِيَّةَ نَاطِقَةٌ بِكَرَاهَةِ الْجَمَاعَةِ فِي النَّافِلَةِ وَهُمْ يَتَكَاسَلُونَ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ عَلَى حَدٍّ قَلَّمَا يُوجَدُ مِنْهُمْ مَنْ يُؤَدِّي الْفَرْضَ فِي وَقْتِهِ الْمُسْتَحَبِّ بَلْ رُبَّمَا يُفَوِّتُونَهُ عَنْ أَصْلِ وَقْتِهِ وَلَا يَتَقَيَّدُونَ بِالْجَمَاعَةِ كَثِيرَ تَقَيُّدٍ وَيَقْنَعُونَ فِي الْجَمَاعَةِ بِشَخْصٍ أَوْ بِشَخْصَيْنِ بَلْ رُبَّمَا يَكْتَفُونَ بِالْإِنْفِرَادِ فَإِذَا كَانَتْ مُعَامَلَةُ مُقْتَدِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ هَذِهِ فَمَا تَقُولُ فِي غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَوَامِّ وَمِنْ شُؤْمِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَسُوءِ الْأَعْمَالِ ظَهَرَ الضَّعْفُ فِي الْإِسْلَامِ وَمِنْ ظُلْمَةِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ وَكُدُورَةِ الْأَحْوَالِ ظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ بَيْنَ الْأَنَامِ،

(شِعْرٌ) بَثَثْتُ لَدَيْكُمْ مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ *** تَمَلُّوا وَإِلَّا فَالْكَلَامُ كَثِيرٌ.

وَأَيْضًا إِنَّ أَدَاءَ النَّوَافِلِ إِنَّمَا يُعْطِي قُرْبَ ظِلٍّ مِنَ الظِّلَالِ وَأَدَاءَ الْفَرَائِضِ يُعْطِي قُرْبَ الْأَصْلِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَائِبَةُ الظِّلِّيَّةِ إِلَّا أَنَّ النَّفْلَ إِذَا أُدِّيَ لِأَجْلِ تَكْمِيلِ الْفَرَائِضِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ ذَلِكَ أَيْضًا مُمِدًّا وَمُعَاوِنًا لِحُصُولِ

---

[1] رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[2] (قوله ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم الخ) قال ابن رجب الحنبلي روى ابو موسى المدني من حديث ابي موسى مرفوعا هذا يوم تاب الله فيه على قوم فاجعلوه صلاة وصوما يعني عاشوراء وقال حسن غريب وليس كما قال اه. اي ليس بحسن قلت قد ذكروا في صلاة يوم عاشوراء غير ذلك وهو باطل ايضا وكذلك صلوات ليلة البراءة والرغائب وسائر ليالي رجب كلها باطلة لا اصل لها كما حققه المحققون.

قُرْبِ الأَصْلِ وَمُلْحَقًا بِالْفَرَائِضِ فَيَكُونُ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ بِالضَّرُورَةِ مُنَاسِبًا لِعَالَمِ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ مُتَوَجِّهٌ وَنَاظِرٌ إِلَى الأَصْلِ وَأَدَاءُ النَّوَافِلِ مُنَاسِبًا لِعَالَمِ الأَمْرِ الَّذِي هُوَ نَاظِرٌ إِلَى الظِّلِّ[1] وَالْفَرَائِضِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا مُوَرِّثَةً لِلْقُرْبِ وَلَكِنْ أَفْضَلُهَا وَأَكْمَلُهَا الصَّلَاةُ وَلَعَلَّكَ سَمِعْتَ أَنَّ الصَّلَاةَ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ وَأَقْرَبُ[2] مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلَاةِ وَالْوَقْتُ الْخَاصُّ الَّذِي كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ عَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ "لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ" الْحَدِيثَ هُوَ عِنْدَ الْفَقِيرِ فِي الصَّلَاةِ. الصَّلَاةُ هِيَ الْمُكَفِّرَاتُ لِلسَّيِّئَاتِ وَالصَّلَاةُ هِيَ الَّتِي تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالصَّلَاةُ هِيَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَطْلُبُ رَاحَتَهُ فِيهَا حَيْثُ كَانَ يَقُولُ أَرِحْنِي[3] يَا بِلَالُ وَالصَّلَاةُ[4] هِيَ الَّتِي عِمَادُ الدِّينِ وَالصَّلَاةُ هِيَ الَّتِي صَارَتْ فَارِقَةً بَيْنَ الإِسْلَامِ وَالْكُفْرِ (وَلْنَرْجِعْ) إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ وَلْنَقُلْ مِنْ مَزِيَّةِ عَالَمِ الْخَلْقِ عَلَى عَالَمِ الأَمْرِ اعْلَمْ أَنَّ عَالَمَ الأَمْرِ قَدْ نَالَ هُنَا يَعْنِي فِي النَّشْأَةِ الدُّنْيَا حَظًّا وَافِرًا وَحَصَّلَ الْمُشَاهَدَةَ وَسَتَقَعُ الْمُعَامَلَةُ غَدًا فِي الْجَنَّةِ عَلَى عَالَمِ الْخَلْقِ وَتَتَيَسَّرُ لَهُ رُؤْيَةٌ بِلَا كَيْفٍ وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّ مُتَعَلَّقَ الْمُشَاهَدَةِ ظِلٌّ فِي ظِلَالِ الْوُجُوبِ. وَالْمَرْئِيُّ فِي الآخِرَةِ وَاجِبُ الْوُجُودِ فَالْفَرْقُ الَّذِي بَيْنَ الْمُشَاهَدَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَالظِّلِّيَّةِ وَالأَصَالَةِ هُوَ فَرْقُ مَا بَيْنَ عَالَمِ الْخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ (وَاعْلَمْ) أَنَّ الْمُشَاهَدَةَ ثَمَرَةُ الْوِلَايَةِ وَالرُّؤْيَةَ ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ وَتَتَيَسَّرُ لِعَامَّةِ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمِنْ هَهُنَا يُعْرَفُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْوِلَايَةِ وَالنُّبُوَّةِ أَيْضًا (تَنْبِيهٌ) كُلُّ عَارِفٍ مُنَاسَبَتُهُ لِعَالَمِ الأَمْرِ أَزْيَدُ يَكُونُ قَدَمُهُ فِي كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ أَزْيَدَ وَالَّذِي مُنَاسَبَتُهُ لِعَالَمِ الْخَلْقِ أَكْثَرُ فَقَدَمُهُ فِي كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ أَوْفَرُ وَمِنْ هَهُنَا كَانَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدَمٌ أَزْيَدُ فِي الْوِلَايَةِ وَلِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدَمٌ أَزْيَدُ فِي النُّبُوَّةِ فَإِنَّ جَانِبَ الأَمْرِ غَالِبٌ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِهَذَا صَارَ مُلْحَقًا بِالرُّوحَانِيِّينَ وَجَانِبُ الْخَلْقِ غَالِبٌ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِهَذَا لَمْ يَكْتَفِ بِالْمُشَاهَدَةِ بَلْ طَلَبَ رُؤْيَةَ بَصَرٍ. وَهَذَا هُوَ سَبَبُ تَفَاوُتِ أَقْدَامِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ الَّذِي كُنْتُ وَعَدْتُ بَيَانَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ لَا عُلُوُّ بَعْضِ اللَّطَائِفِ وَسُفْلُهُ الَّذِي هُوَ مُعْتَبَرٌ فِي تَفَاوُتِ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُلْهِمُ لِلصَّوَابِ.

(أَيُّهَا الْوَلَدُ) إِنَّ تَعَلُّقَ عُلُومِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ الشَّرَائِعُ وَالأَحْكَامُ بِالْقَالَبِ لَمَّا كَانَ أَزْيَدَ وَكَانَتْ مُنَاسَبَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَالَمِ الْخَلْقِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ ظَنُّوا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ النُّزُولِ إِلَى دَعْوَةِ

---

[1] قيل لم يوجد له اصل. (القزاني رحمة الله عليه)

[2] (قوله اقرب ما يكون الخ) اخرجه مسلم وابو داود والنسائي عن ابي هريرة رض بلفظ اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء وابن النجار عن عائشة والطبراني والبزار عن ابن مسعود بمعناه (القزاني رحمة الله عليه)

[3] (قوله ارحني يا بلال) الدارقطني في العلل من حديث بلال ولابي داود ونحوه عن رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح ذكره العراقي في تخريج احاديث الاحياء (القزاني رحمة الله عليه)

[4] وكأنه اشارة الى ما دار على الالسنة من قول الفارق بين المؤمن والكافر هو الصلاة ولم ار من خرجه وقد ورد ما معناه من قوله عليه السلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر اخرجه البزار من حديث ابي الدرداء واخرجه الطبراني من حديث انس بزيادة لفظ جهارا في آخره قال الهيثمي رجاله موثوقون اه. من شرح الاحياء ملخصا (القزاني رحمة الله عليه)

الْخَلْقِ بَعْدَ الْعُرُوجِ إِلَى مَقَامَاتِ الْقُرْبِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْوِلَايَةِ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ نِهَايَةَ الْعُرُوجِ وَغَايَةَ الْقُرْبِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ وَالْقُرْبُ الْحَاصِلُ فِيمَا سَبَقَ كَانَ ظِلاً مِنْ ظِلَالِ هَذَا الْقُرْبِ الَّذِي يُتَصَوَّرُ بِصُورَةِ الْبُعْدِ:

وَالْعُرُوجُ الَّذِي تَيَسَّرَ أَوَّلاً كَانَ عَكْسًا مِنْ عُكُوسِ هَذَا الْعُرُوجِ الَّذِي يُرَى فِي الظَّاهِرِ نُزُولاً أَلاَ تَرَى أَنَّ مَرْكَزَ الدَّائِرَةِ أَبْعَدُ النُّقْطَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُحِيطِ الدَّائِرَةِ وَالْحَالُ أَنَّهُ لاَ نُقْطَةَ فِي الْحَقِيقَةِ أَقْرَبُ إِلَى الْمُحِيطِ مِنْ نُقْطَةِ الْمَرْكَزِ لأَنَّ الْمُحِيطَ تَفْصِيلُ تِلْكَ النُّقْطَةِ الإِجْمَالِيَّةِ وَهَذِهِ النِّسْبَةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لِنُقْطَةٍ أُخْرَى وَالْعَوَامُّ الَّذِينَ اقْتَصَرَ نَظَرُهُمْ عَلَى الصُّورَةِ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى وِجْدَانِ هَذَا الْقُرْبِ وَإِدْرَاكِهِ فَيَحْكُمُونَ بِأَبْعَدِيَّةِ تِلْكَ النُّقْطَةِ وَيَزْعُمُونَ الْحُكْمَ بِأَقْرَبِيَّتِهَا جَهْلاً مُرَكَّبًا وَيُحَمِّقُونَ الْحَاكِمَ بِهَذَا الْحُكْمِ وَيُجَهِّلُونَهُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمُطْمَئِنَّةَ تَعْرُجُ عَنْ مَقَامِهَا بَعْدَ حُصُولِ شَرْحِ الصَّدْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ كَمَالاتِ الْوِلاَيَةِ الْكُبْرَى وَتَرْتَقِي إِلَى تَحْتِ الصَّدْرِ وَيَحْصُلُ لَهَا هُنَاكَ التَّمْكِينُ وَالسَّلْطَنَةُ وَتَسْتَوْلِي عَلَى مَمَالِكِ الْقَلْبِ وَتَحْتُ الصَّدْرِ هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ فَوْقَ جَمِيعِ مَقَامَاتِ عُرُوجِ مَرْتَبَةِ الْوِلاَيَةِ الْكُبْرَى وَيَنْفُذُ نَظَرُ الصَّاعِدِ إِلَى هَذَا التَّحْتِ إِلَى أَبْطَنِ الْبُطُونِ وَيَسْرِي إِلَى غَيْبِ الْغَيْبِ نَعَمْ إِنَّ الشَّخْصَ إِذَا صَعِدَ إِلَى أَرْفَعِ الأَمْكِنَةِ يَنْفُذُ بَصَرُهُ إِلَى أَبْعَدِ الأَبْعَادِ وَبَعْدَ تَمْكِينِ هَذِهِ الْمُطْمَئِنَّةِ يَخْرُجُ الْعَقْلُ أَيْضًا مِنْ مَقَامِهِ وَيَلْحَقُ بِهَا وَيَنْضَمُّ إِلَيْهَا وَيَعْرِضُ لَهُ حِينَئِذٍ اسْمُ عَقْلِ الْمَعَادِ وَتَتَوَجَّهُ كِلاَهُمَا بِالإِتِّفَاقِ بَلْ بِالاتِّحَادِ إِلَى شُغُلِهِمَا.

(أَيُّهَا الْوَلَدُ) إِنَّ هَذِهِ الْمُطْمَئِنَّةَ لاَ يَبْقَى فِيهَا إِمْكَانُ الْمُخَالَفَةِ وَمَجَالُ الطُّغْيَانِ بَلْ هِيَ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى الْمَطْلُوبِ بِكُلِّيَّتِهَا وَمَشْغُوفَةٌ بِالْمَقْصُودِ بِتَمَامِيَّتِهَا لاَ هِمَّةَ لَهَا غَيْرَ تَحْصِيلِ رِضَا رَبِّهَا وَلاَ مَطْلُوبَ لَهَا سِوَى طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ تَعَالَى سُبْحَانَ اللَّهِ. إِنَّ الأَمَّارَةَ الَّتِي كَانَتْ أَوَّلاً شَرَّ جَمِيعِ الْخَلاَئِقِ صَارَتْ بَعْدَ الإِطْمِئْنَانِ وَحُصُولِ رِضَاءِ حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ رَئِيسَ لَطَائِفِ عَالَمِ الأَمْرِ وَرَأْسَ كَافَّةِ الأَقْرَانِ نَعَمْ قَدْ قَالَ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "خِيَارُكُمْ [1] فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا".

فَإِنْ وَقَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ صُورَةُ الْخِلاَفِ وَالْبَغْيِ فَمَنْشَؤُهَا اخْتِلاَفُ طَبَائِعِ الْعَنَاصِرِ الأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ أَجْزَاءُ الْقَالَبِ فَإِنْ كَانَتْ قُوَّةً غَضَبِيَّةً فَنَاشِئَةٌ مِنْ هُنَاكَ وَإِنْ كَانَتْ شَهَوِيَّةً فَهِيَ أَيْضًا ثَائِرَةٌ مِنْ هُنَاكَ وَإِنْ حِرْصًا وَشَرَهًا فَقَائِمَانِ مِنْ هُنَاكَ وَإِنْ خِسَّةً وَدَنَاءَةً فَمُنْبَعِثَتَانِ مِنْ هُنَاكَ أَلاَ تَرَى أَنَّ سَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ لَيْسَتْ فِيهِنَّ هَذِهِ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فِيهِنَّ هَذِهِ الأَوْصَافُ الرَّذِيلَةُ بِالْوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْجِهَادِ الأَكْبَرِ حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ" الْجِهَادُ مَعَ الْقَالَبِ لاَ الْجِهَادُ مَعَ النَّفْسِ كَمَا قِيلَ لأَنَّ النَّفْسَ قَدْ بَلَغَتْ حَدَّ الإِطْمِئْنَانِ وَصَارَتْ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَلاَ تُتَصَوَّرُ مِنْهَا صُورَةُ الْمُخَالَفَةِ وَالْبَغْيِ حَتَّى يُحْتَاجَ إِلَى الْجِهَادِ وَصُورَةُ الْخِلاَفِ وَالْبَغْيِ مِنْ أَجْزَاءِ الْقَالَبِ عِبَارَةٌ عَنْ إِرَادَةِ

---

[1] (قوله خياركم في الجاهلية الحديث) رواه الشيخان عن ابي هريرة رضى الله عنه

تلك الأولى وارتكاب الأمور المرخصة وترك العزيمة لا ارادة ارتكاب المحرمات وترك الفرائض والواجبات فإن هذه الأشياء صارت في حقها نصيب الأعداء.

(أيها الولد) إن كمالات العناصر الأربعة وإن كانت فوق كمالات المطمئنة كما مر ولكن بواسطة مناسبتها لمقام الولاية وصيرورتها ملحقة بعالم الأمر صاحبة سكر وفي مقام الإستغراق فلا جرم لا يبقى فيها مجال المخالفة وحيث كانت مناسبة العناصر بمقام النبوة أزيد كان الصحو غالبا فيها فبالضرورة تبقى فيها صورة المخالفة لأجل تحصيل بعض المنافع والفوائد المربوطة بها فافهم. (ينبغي) أن يعلم أن منصب النبوة كان مختوما بخاتم الرسل عليه وعلى آله الصلاة والسلام ولكن لأتباعه صلى الله عليه وسلم نصيب كامل من كمالات ذلك المنصب بالتبعية وهذه الكمالات كانت في طبقة الأصحاب أزيد منها في غيرها وسرت هذه الدولة أيضا على سبيل القلة إلى التابعين وتبع التابعين ثم شرعت بعدهم في الإختفاء والإستتار وانتشرت كمالات الولاية الظلية وغلبت وشاعت ولكن المرجو أن تتجدد هذه الدولة المستترة بعد مضي الألف ويحصل لها الغلبة والشيوع وأن تظهر الكمالات الأصلية وتستتر الظلية وأن يكون المهدي عليه الرضوان مروج هذه النسبة العلية. أيها الولد، إن التابع الكامل للنبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام إذا أتم كمالات مقام النبوة بالتبعية فإن كان من أهل المناصب يشرف بمنصب الإمامة وإذا أتم كمالات الولاية الكبرى فإن كان من أهل المنصب يشرف بمنصب الخلافة والمناسب لمنصب الإمامة في مقام الكمالات الظلية منصب قطب الإرشاد والمناسب لمنصب الخلافة منصب قطب المدار وكأن هذين المقامين التحتانيين ظل ذينك المقامين الفوقانيين والغوث عند الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره هو عين قطب المدار وليست الغوثية عنده منصبا على حدة وما هو معتقد الفقير أن الغوث غير قطب المدار والقطب يستمد منه في بعض الأمور وله دخل أيضا في نصب مناصب الأبدال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

تذنيل: إن العلوم والمعارف المناسبة لمقام النبوة وولايتها شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما كان في النبوة تفاوت أقدام الأنبياء ظهر الإختلاف أيضا في الشرائع بمقدار ذلك التفاوت والمعارف المناسبة لمقام ولاية الأولياء شطحيات المشائخ والعلوم المخبرة عن التوحيد والإتحاد المنبئة عن الإحاطة والسريان المورثة لعلامة القرب والمعية المشعرة بالمرآتية والظلية المثبتة للشهود والمشاهدة وبالجملة أن معارف الأنبياء كتاب وسنة ومعارف الأولياء فصوص وفتوحات مكية. (ع) **وقس من حال بستاني ربيعي** * ولاية الأولياء تطلب قرب الحق وولاية الأنبياء تبدي أقربيته تعالى. وولاية الأولياء تدل على الشهود وولاية الأنبياء تثبت النسبة المجهولة الكيفية. وولاية الأولياء لا تعرف الأقربية أنها ما هي ولا تدري الجهالة والحيرة أنها أي شيء هي وولاية الأنبياء مع وجود الأقربية ترى القرب عين البعد وتعد الشهود عين الغيب، (ع) **يطول إذا ما قلت تفصيل شرحه** *

أَيُّهَا الْوَلَدُ: قَدْ أَطْنَبْتُ فِي بَيَانِ كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَمَزِيَّتِهَا عَلَى الْوَلاَيَةِ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْوَلاَيَاتِ الثَّلاَثِ أَعْنِي الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى وَالْعُلْيَا وَبَيَانِ الْمَعَارِفِ الْمُنَاسِبَةِ لِكُلٍّ مِنْهَا وَالْمَحَالِّ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكُلٍّ مِنْهَا وَأَدْرَجْتُ فِي بَيَانِ هَذَا الْمَعْنَى فِقْرَاتٍ مُكَرَّرَةً وَمُتَكَثِّرَةً وَأَطَلْتُ فِي ذَلِكَ ذَيْلَ الْكَلاَمِ رَجَاءَ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ اسْتِبْعَادِ الْأَفْهَامِ مِنْ كَمَالِ غَرَابَتِهِ وَأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ مَظَانِّ الْإِنْكَارِ، وَهَذِهِ الْعُلُومُ كَشْفِيَّةٌ ضَرُورِيَّةٌ لاَ اسْتِدْلاَلِيَّةٌ وَنَظَرِيَّةٌ. وَذِكْرُ بَعْضِ الْمُقَدِّمَاتِ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّنْبِيهِ وَالتَّقْرِيبِ إِلَى أَفْهَامِ الْعَوَامِّ بَلْ لِلتَّشْرِيحِ وَالتَّوْضِيحِ لِأَجْلِ إِدْرَاكِ خَوَاصِّ الْأَنَامِ. (هَذَا) هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي جَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا الْحَقِيرَ مُمْتَازًا بِهِ مِنْ بِدَايَتِهِ إِلَى نِهَايَةِ أَسَاسِهِ. اَلنِّسْبَةُ النَّقْشْبَنْدِيَّةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِانْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ قَدْ بُنِيَتْ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ عِمَارَاتٌ وَقُصُورٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْأَسَاسُ لَمَا زَادَتِ الْمُعَامَلَةُ وَمَا انْتَهَتْ إِلَى هُنَا قَدْ أَتَوْا بِالْبَذْرِ الَّذِي أَصْلُهُ مِنْ تُرَابِ يَثْرِبَ وَبَطْحَاءَ مِنْ بُخَارَا وَسَمَرْقَنْدَ وَزَرَعُوهُ فِي أَرْضِ الْهِنْدِ وَسَقَوْهُ بِمَاءِ الْفَضْلِ سِنِينَ وَرَبَّوْهُ بِتَرْبِيَةِ الْإِحْسَانِ فَلَمَّا أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّرْعُ وَبَلَغَ كَمَالَهُ أَثْمَرَ هَذِهِ الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ. اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ. (وَيَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ سُلُوكَ هَذَا الطَّرِيقِ الْعَالِي بِرَابِطَةِ الْمَحَبَّةِ لِلشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ الَّذِي سَارَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ بِالسَّيْرِ الْمُرَادِيِّ وَانْصَبَغَ بِقُوَّةِ الْجَذْبَةِ بِهَذِهِ الْكَمَالاَتِ وَصَاحِبُ هَذِهِ الْكَمَالاَتِ إِمَامُ الْوَقْتِ وَخَلِيفَةُ الزَّمَانِ نَظْرَةُ شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ وَتَوَجُّهُهُ رَافِعُ الْعِلَلِ الْمَعْنَوِيَّةِ، الْأَقْطَابُ وَالْبُدَلاَءُ فَرِحُونَ بِظِلاَلِ مَقَامَاتِهِ وَالْأَوْتَادُ وَالنُّجَبَاءُ قَانِعُونَ بِقَطْرَةٍ مِنْ بِحَارِ كَمَالاَتِهِ نُورُ هِدَايَتِهِ وَإِرْشَادِهِ فَائِضٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ كَنُورِ الشَّمْسِ بِلاَ إِرَادَتِهِ فَكَيْفَ إِذَا أَرَادَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِرَادَتُهُ فِي اخْتِيَارِهِ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَطْلُبُ الْإِرَادَةَ وَلَكِنْ لاَ تَحْصُلُ لَهُ تِلْكَ الْإِرَادَةُ وَلاَ يَلْزَمُ أَنْ يَعْلَمَ هَذَا الْمَعْنَى وَيَطَّلِعَ عَلَيْهِ مَنْ يَهْتَدُونَ بِنُورِهِ وَيَسْتَرْشِدُونَ بِتَوَسُّلِهِ بَلْ رُبَّمَا لاَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ هِدَايَتِهِمْ وَرُشْدِهِمْ أَيْضًا كَمَا يَنْبَغِي وَمَعَ ذَلِكَ يَتَحَقَّقُونَ بِكَمَالاَتِ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ وَيَهْدُونَ الْعَالَمَ فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالْأَحْوَالِ لاَ يُعْطَاهُ كُلُّ أَحَدٍ وَمَعْرِفَةُ تَفْصِيلِ سَيْرِ الْمَقَامَاتِ لاَ يُمْنَحُهَا جَمِيعُ الْأَشْخَاصِ. نَعَمْ، إِنَّ الشَّيْخَ الَّذِي نِيطَ بِوُجُودِهِ الشَّرِيفِ مَدَارُ بِنَاءِ طَرِيقٍ مَخْصُوصٍ مِنْ طُرُقِ الْوُصُولِ صَاحِبُ عِلْمٍ أَلْبَتَّةَ وَصَاحِبُ شُعُورٍ بِتَفَاصِيلِ السَّيْرِ وَيَكْتَفِي غَيْرُهُ بِعِلْمِهِ وَيَصِلُونَ بِتَوَسُّطِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ وَيَتَشَرَّفُونَ بِالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ،

(شِعْرٌ) لَيْسَ عَلَى اللّٰهِ بِمُسْتَنْكَرٍ *** أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

إِفَادَتُنَا وَاسْتِفَادَتُنَا انْعِكَاسِيَّةٌ وَانْصِبَاغِيَّةٌ يَنْصَبِغُ الْمُرِيدُ بِصِبْغِ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ سَاعَةً فَسَاعَةً بِوَاسِطَةِ مَحَبَّتِهِ لَهُ وَيَتَنَوَّرُ بِأَنْوَارِهِ بِطَرِيقِ الْإِنْعِكَاسِ فَلِأَيِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ إِلَى الْعِلْمِ بِالْأَحْوَالِ فِي الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ أَلاَ تَرَى أَنَّ الْخَرْبُزَةَ تُدْرِكُ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ سَاعَةً فَسَاعَةً وَتَبْلُغُ مَرْتَبَةَ الْكَمَالِ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ فَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لَهَا عِلْمٌ بِإِدْرَاكِهَا وَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ لِلشَّمْسِ أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّهَا سَبَبُ إِدْرَاكِهَا. نَعَمْ، إِنَّ الْعِلْمَ لِأَجْلِ السُّلُوكِ وَالتَّسْلِيكِ الْاِخْتِيَارِيِّ لاَزِمٌ وَلَكِنَّهُ مَرْبُوطٌ بِسَلاَسِلَ أُخَرَ. وَأَمَّا فِي طَرِيقِنَا الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ

الأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ فَالْعِلْمُ بِالسُّلُوكِ وَالتَّسْلِيكِ لَيْسَ بِلاَزِمٍ أَصْلاً وَإِنْ كَانَ الشَّيْخُ الْمُقْتَدَى بِهِ الَّذِي هُوَ رَاعِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَوْصُوفًا بِكَمَالِ الْعِلْمِ وَمُتَحَقِّقًا بِوُفُورِ الْمَعْرِفَةِ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ وَالصِّبْيَانُ وَالْأَشْيَاخُ وَالشُّبَّانُ وَالْكُهُولُ مُتَسَاوِينَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الْعَالِي فِي حَقِّ الْوُصُولِ لأَنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى مُنْتَهَى الْمَقَاصِدِ إِمَّا بِرَابِطَةِ الْمَحَبَّةِ أَوْ بِتَوَجُّهِ صَاحِبِ دَوْلَةٍ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. (**وَلَكِنْ يَنْبَغِي**) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمُنْتَهِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ عِلْمٍ وَلَكِنْ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ وَرُبَّمَا لاَ يَكُونُ لَهُ اخْتِيَارٌ فِي ذَلِكَ الظُّهُورِ بَلْ كَثِيرًا مَا لاَ يَكُونُ لَهُ عِلْمٌ بِظُهُورِهَا بَلْ يَرَى النَّاسُ مِنْهُ الْخَوَارِقَ وَلَيْسَ لَهُ اطِّلاَعٌ عَلَيْهَا. (**وَمَا قُلْتُ**) إِنَّ الْمُنْتَهِيَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ عِلْمٍ الْمُرَادُ بِعَدَمِ الْعِلْمِ عَدَمُ عِلْمٍ بِتَفْصِيلِ الْأَحْوَالِ لاَ عَدَمُ الْعِلْمِ مُطْلَقًا بِحَيْثُ لاَ يَفْهَمُ أَحْوَالَهُ أَصْلاً كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَنُورُ هِدَايَتِهِ الْمَذْكُورُ يَسْرِي إِلَى مُرِيدِيهِ بِلاَ وَاسِطَةٍ أَوْ بِوَاسِطَةٍ أَوْ بِوَسَائِطَ مَا لَمْ تُلَوَّثْ طَرِيقَتُهُ الْمَخْصُوصَةُ بِلَوْثِ التَّغَيُّرَاتِ وَالتَّبْدِيلاَتِ وَلَمْ تُخَرَّبْ بِإِلْحَاقِ الْمُخْتَرَعَاتِ وَالْمُبْتَدَعَاتِ بِهَا (**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**). وَالْعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَزْعُمُونَ هَذِهِ التَّبْدِيلاَتِ تَكْمِيلاَتِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَيَتَصَوَّرُونَ تِلْكَ الْإِلْحَاقَاتِ تَتْمِيمَاتِ هَذِهِ النِّسْبَةِ وَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ تَكْمِيلَ هَذَا الْأَمْرِ وَتَتْمِيمَهُ لَيْسَ لِكُلِّ قَاصِرٍ وَنَاقِصٍ. وَالْإِلْحَاقُ وَالْإِخْتِرَاعُ لَيْسَ فِي حَوْصَلَةِ كُلِّ خَالِي الظَّرْفِ. (شِعْرٌ)

هزار نكته باريكترزموا ينجاسات * نه هركه سر بتراشد قلندرى داند**

قَدْ سَتَرُوا نُورَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ بِظُلُمَاتِ الْبِدَعِ وَضَيَّعُوا رَوْنَقَ الْمِلَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ بِكُدُورَاتِ الْأُمُورِ الْمُخْتَرَعَةِ وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا ظَنُّ قَوْمٍ هَذِهِ الْمُحْدَثَاتِ أُمُورًا مُسْتَحْسَنَةً وَزَعْمُهُمْ تِلْكَ الْمُبْتَدَعَاتِ حَسَنَاتٍ مُسْتَمْلَحَةً فَيَطْلُبُونَ بِهَا تَكْمِيلَ الدِّينِ وَتَتْمِيمَ الْمِلَّةِ وَيُرَغِّبُونَ فِي إِتْيَانِ تِلْكَ الْأُمُورِ تَرْغِيبًا كَثِيرًا هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الصِّرَاطِ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الدِّينَ كَانَ كَامِلاً قَبْلَ هَذِهِ الْمُحْدَثَاتِ وَكَانَتِ النِّعْمَةُ تَامَّةً وَكَانَ رِضَاءُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ حَاصِلاً كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا**)

فَطَلَبُ كَمَالِ الدِّينِ مِنْ هَذِهِ الْمُحْدَثَاتِ إِنْكَارٌ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى مُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ،

(شِعْرٌ):

بَثَثْتُ لَدَيْكُمْ مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ * تَمَلُّوا وَإِلاَّ فَالْكَلاَمُ كَثِيرُ**

وَقَدْ أَظْهَرَ الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدُونَ أَحْكَامَ الدِّينِ لاَ إِنَّهُمْ أَحْدَثُوا فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ فَلاَ تَكُونُ الْأَحْكَامُ الْإِجْتِهَادِيَّةُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَةِ بَلْ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ لأَنَّ الْأَصْلَ الرَّابِعَ هُوَ الْقِيَاسُ.

(**أَيُّهَا الْوَلَدُ**) إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ الْمَعْرِفَةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِقُطْبِ الْإِرْشَادِ فِي بَابِ الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ مِنْ رِسَالَةِ الْمَبْدَإِ وَالْمَعَادِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِهَذَا الْمَقَامِ وَمُفِيدَةٌ فِيهِ نَاسَبَ كِتَابَتُهَا فِي هَذَا الْمَكْتُوبِ

أَيْضًا فَلْيُعْتَبَرْ مِنْ هُنَا أَنَّ قُطْبَ الْإِرْشَادِ الَّذِي يَكُونُ جَامِعًا لِكَمَالَاتِ الْفَرْدِيَّةِ أَيْضًا عَزِيزُ الْوُجُودِ جِدًّا يَظْهَرُ مِثْلُ هَذَا الْجَوْهَرِ بَعْدَ قُرُونٍ كَثِيرَةٍ وَأَزْمِنَةٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَيَتَنَوَّرُ الْعَالَمُ الظُّلْمَانِيُّ بِنُورِ ظُهُورِهِ وَنُورُ هِدَايَتِهِ وَإِرْشَادِهِ شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْعَالَمِ كُلُّ مَنْ يَحْصُلُ لَهُ الرُّشْدُ وَالْهِدَايَةُ وَالْإِيمَانُ وَالْمَعْرِفَةُ مِنْ مُحِيطِ الْعَرْشِ إِلَى مَرْكَزِ الْفَرْشِ إِنَّمَا يَحْصُلُ مِنْ طَرِيقِهِ وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ لَا تَتَيَسَّرُ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِأَحَدٍ بِدُونِ تَوَسُّطِهِ، نُورُهُ مُحِيطٌ لِجَمِيعِ الْعَالَمِ مِثْلَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مَثَلًا وَهَذَا الْبَحْرُ كَأَنَّهُ مُنْجَمِدٌ لَا يَتَحَرَّكُ أَصْلًا فَالطَّالِبُ الَّذِي مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ وَمُخْلِصٌ لَهُ أَوْ هُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الطَّالِبِ كَأَنَّهُ تُفْتَحُ وَقْتَ التَّوَجُّهِ رَوْزَنَةٌ إِلَى قَلْبِ الطَّالِبِ فَيَصِيرُ بِهَذَا الطَّرِيقِ رَيَّانًا مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ عَلَى قَدْرِ تَوَجُّهِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُقْبِلًا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ مُتَوَجِّهًا إِلَى ذَلِكَ الْقُطْبِ أَصْلًا لَا مِنْ جِهَةِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ بَلْ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ أَصْلًا يَحْصُلُ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْإِفَادَةِ لَكِنَّهَا فِي الصُّورَةِ الْأُولَى أَزْيَدُ مِنْهَا فِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُنْكِرًا عَلَيْهِ أَوْ هُوَ مُتَأَذٍّ مِنْهُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَلَكِنَّهُ مَحْرُومٌ مِنْ حَقِيقَةِ الرُّشْدِ وَالْهِدَايَةِ وَإِنْكَارُهُ هَذَا وَأَذِيَّتُهُ يَصِيرُ سَدًّا فِي طَرِيقِ فَيْضِهِ وَحَقِيقَةُ الْهِدَايَةِ مَفْقُودَةٌ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَجَّهَ الْقُطْبُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ إِلَى عَدَمِ إِفَادَتِهِ وَمَنْعِ اسْتِفَادَتِهِ وَقَصْدِ ضَرَرِهِ بَلْ فِيهِ صُورَةُ الرُّشْدِ فَقَطْ وَالصُّورَةُ الْخَالِيَةُ عَنِ الْمَعْنَى قَلِيلَةُ النَّفْعِ وَالْجَدْوَى وَالَّذِينَ فِيهِمْ مَحَبَّةُ ذَلِكَ الْقُطْبِ وَإِخْلَاصُهُ وَإِنْ خَلَوْا عَنِ التَّوَجُّهِ الْمَذْكُورِ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَصِلُ إِلَيْهِمْ نُورُ الْهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ بِوَاسِطَةِ مَحَبَّتِهِمْ فَقَطْ وَلْتَكُنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ آخِرَ الْمَكْتُوبِ. (شعر)

أَكْتَفِي إِذْ ذَاكَ يَكْفِي الْأَذْكِيَا * صِحْتُ مَرَّاتٍ لِمَنْ أَصْغَى النِّدَا**

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَوَّلًا وَآخِرًا وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ دَائِمًا وَسَرْمَدًا.

(٢٦١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرِ نُعْمَانَ فِي بَيَانِ فَضَائِلِ الصَّلَاةِ وَالْكَمَالَاتِ الْمَخْصُوصَةِ بِهَا فِي ضِمْنِ مَعَارِفَ عَالِيَةٍ وَحَقَائِقَ سَامِيَةٍ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومُ الْأَخِ الْأَعَزِّ أَرْشَدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الصَّلَاةَ رُكْنٌ ثَانٍ مِنَ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ لِلْإِسْلَامِ وَجَامِعَةُ الْعِبَادَاتِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ جُزْئِيَّةً وَلَكِنْ حَصَلَتْ لَهَا حُكْمُ الْكُلِّيَّةِ مِنَ الْجَامِعِيَّةِ وَصَارَتْ فَوْقَ جَمِيعِ مُقَرِّبَاتِ الْأَعْمَالِ وَدَوْلَةُ الرُّؤْيَةِ الَّتِي كَانَتْ مُيَسَّرَةً لِسَيِّدِ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فِي الْجَنَّةِ كَانَتْ مُيَسَّرَةً لَهُ بَعْدَ النُّزُولِ إِلَى الدُّنْيَا فِي الصَّلَاةِ مُنَاسَبَةً لِهَذِهِ النَّشْأَةِ وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ" وَقَالَ أَيْضًا "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلَاةِ" وَلِكُمَّلِ أَتْبَاعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ تِلْكَ الدَّوْلَةِ فِي الصَّلَاةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَةً فَإِنَّ هَذِهِ النَّشْأَةَ لَا تُطِيقُهَا فَإِنْ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالصَّلَاةِ فَمَنْ كَانَ يَكْشِفُ النِّقَابَ عَنْ

وَجْهِ الْمَقْصُودِ وَمَنْ كَانَ يَدُلُّ الطَّالِبَ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ مُورِثُ اللَّذَّةِ لِلْمَغْمُومِينَ هُوَ الصَّلَاةُ وَمُوجِبُ الرَّاحَةِ لِلْمَرْضَى يَعْنِي مِنْ أَلَمِ الْبُعْدِ وَالْفِرَاقِ هُوَ الصَّلَاةُ "أَرِحْنِي يَا بِلَالُ" اشَارَةٌ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ رَمْزٌ مِنْ هَذَا الْمُتَمَنَّى وَمَا تَيَسَّرَ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِيدِ وَالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَنْوَارِ وَالْأَلْوَانِ وَالتَّلْوِينَاتِ وَالتَّمْكِينَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الْمُتَكَيِّفَةِ وَغَيْرِ الْمُتَكَيِّفَةِ وَالظُّهُورَاتِ الْمُتَلَوِّنَةِ وَغَيْرِ الْمُتَلَوِّنَةِ فِي خَارِجِ الصَّلَاةِ وَمِنْ غَيْرِ شُعُورٍ بِحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ مَنْشَؤُهَا كُلُّهَا ظِلَالٌ وَأَمْثَالٌ بَلْ نَاشِئَةٌ عَنِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ وَالْمُصَلِّي الَّذِي لَهُ شُعُورٌ بِحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ النَّشْأَةِ الدُّنْيَا وَقْتَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ وَيَدْخُلُ فِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَى فَلَا جَرَمَ يَنَالُ فِي هَذَا الْوَقْتِ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ دَوْلَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِالْآخِرَةِ وَيُحَصِّلُ حَظًّا مِنَ الْأَصْلِ بِلَا شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ لِأَنَّ النَّشْأَةَ الدُّنْيَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْكَمَالَاتِ الظِّلِّيَّةِ وَالْمُعَامَلَةُ الْخَارِجَةُ الْخَالِيَةُ عَنِ الظِّلِّيَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِالْآخِرَةِ فَلَا بُدَّ عَلَى هَذَا مِنَ الْمِعْرَاجِ وَهُوَ الصَّلَاةُ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ مَخْصُوصَةٌ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا شُرِّفُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ وَاسْتَسْعَدُوا بِهَذِهِ السَّعَادَةِ تَبَعًا لِنَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَدْ تَشَرَّفَ هُوَ بِدَوْلَةِ الرُّؤْيَةِ حَيْثُ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ اللَّهُمَّ اجْزِهِ عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ وَاجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وَاجْزِ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ دُعَاةُ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهُدَاتُهُمْ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ. وَالَّذِينَ لَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى حَقِيقَةِ الصَّلَاةِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى الْكَمَالَاتِ الْمَخْصُوصَةِ بِهَا صَارُوا يَطْلُبُونَ مُعَالَجَةَ أَمْرَاضِهِمْ مِنْ أُمُورٍ أُخَرَ وَيَلْتَمِسُونَ حُصُولَ مُرَادَاتِهِمْ مِنْ أَشْيَاءَ شَتَّى بَلْ زَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمُ الصَّلَاةَ بَعِيدَةً عَنِ الْحَالِ وَجَعَلُوا مَبْنَاهَا عَلَى الْمُغَايَرَةِ وَالْمُبَايَنَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَالِ وَزَعَمُوا أَنَّ الصَّوْمَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ: إِنَّ فِي الصَّوْمِ الَّذِي هُوَ تَرْكُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ تَحَقُّقًا بِصِفَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ وَفِي الصَّلَاةِ خُرُوجٌ إِلَى الْمُغَايَرَةِ وَالْمُبَايَنَةِ وَإِشْعَارٌ بِالْعَابِدِيَّةِ وَالْمَعْبُودِيَّةِ وَهُوَ كَمَا تَرَى مَبْنِيٌّ عَلَى مَسْأَلَةِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَحْوَالِ السُّكَارَى وَمِنْ عَدَمِ الشُّعُورِ بِحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَفَقْدِ الْخَبَرِ عَنْهُ صَارَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَطْلُبُونَ تَسْكِينَ اضْطِرَابِهِمْ مِنَ السَّمَاعِ وَالنَّغَمَاتِ وَالْوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَطَفِقُوا يُطَالِعُونَ مَطْلُوبَهُمْ مِنْ وَرَاءِ حُجُبِ النَّغَمَاتِ فَلَا جَرَمَ جَعَلُوا الرَّقْصَ وَالْحَرَكَةَ دَيْدَنَهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا حَدِيثَ "وَمَا جَعَلَ اللَّهُ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ" نَعَمْ: الْغَرِيقُ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ حَشِيشٍ وَحُبُّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ فَلَوِ انْكَشَفَتْ لَهُمْ نُبْذَةٌ مِنْ حَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَوَصَلَتْ إِلَى مَشَامِّ أَذْوَاقِهِمْ شَمَّةٌ مِنْهَا لَمَا مَالُوا إِلَى السَّمَاعِ وَالنَّغْمَةِ أَصْلًا وَلَمَا رَكَنُوا إِلَى الْوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ قَطْعًا،

(شِعْرٌ):

وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا نَهْجَ الْ *** حَقَائِقِ قَارَفُوا هُزُوًا

(أَيُّهَا الْأَخُ) بِقَدْرِ مَا يَكُونُ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالنَّغَمَاتِ تَتَفَاوَتُ الْكَمَالَاتُ الَّتِي مَنْشَؤُهَا الصَّلَاةُ وَالْكَمَالَاتُ الَّتِي مَنْشَؤُهَا النَّغَمَاتُ الْعَاقِلُ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ وَهَذَا كَمَالٌ وُجِدَ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ.

(وَآخِرِيَّةٌ) ظَهَرَتْ عَلَى صِفَةِ الْأَوَّلِينَ وَلَوْنِهِمْ وَلَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ قَالَ لَا يُدْرَى[1] أَوَّلُهُمْ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُمْ وَلَمْ يَقُلْ أَمْ أَوْسَطُهُمْ حَيْثُ رَأَى الْمُنَاسَبَةَ بَيْنَ الْآخِرِ وَالْأَوَّلِ أَزْيَدَ مِنْهَا بَيْنَ الْأَوْسَطِ وَالْأَوَّلِ فَصَارَ ذَلِكَ مَحَلَّ تَرَدُّدٍ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ "أَفْضَلُ أُمَّتِي[2] أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ وَبَيْنَهُمَا كَدَرٌ" نَعَمْ إِنَّ مُتَأَخِّرِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ عُلُوُّ النِّسْبَةِ وَلَكِنَّ أَصْحَابَهَا قَلِيلُونَ بَلْ أَقَلُّ، وَفِي الْمُتَوَسِّطِينَ وَإِنْ لَمْ تَكُنِ النِّسْبَةُ بِهَذَا الْعُلُوِّ لَكِنَّ أَصْحَابَهَا كَثِيرُونَ بَلْ أَكْثَرُ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ كَمِّيَّةٌ وَكَيْفِيَّةٌ وَلَكِنْ أَقَلِّيَّةُ هَذِهِ النِّسْبَةِ بَلَغَتِ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَأَوْرَثَتْهُمُ الْمُنَاسَبَةَ بِالسَّابِقِينَ وَجَعَلَتْهُمُ الْمُبَشَّرِينَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "الْإِسْلَامُ[3] بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" الْحَدِيثَ وَشُرُوعُ[4] آخِرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بِدَايَةِ الْأَلْفِ الثَّانِي مِنِ ارْتِحَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ لِمُضِيِّ الْأَلْفِ خَاصِّيَّةً عَظِيمَةً فِي تَغَيُّرِ الْأُمُورِ وَتَأْثِيرًا فِي تَبَدُّلِ الْأَشْيَاءِ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي مِلَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسِيرَتِهَا نَسْخٌ وَتَبْدِيلٌ ظَهَرَتْ نِسْبَةُ السَّابِقِينَ بِطَرَاوَتِهَا السَّابِقَةِ وَنَضَارَتِهَا السَّابِقَةِ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ بِالضَّرُورَةِ وَحَصَلَ تَأْيِيدُ الشَّرِيعَةِ وَتَجْدِيدُ الْمِلَّةِ فِي الْأَلْفِ الثَّانِي وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ لِصِدْقِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ يَعْنِي وُجُودَهُمَا فِي هَذَا الْأَلْفِ. (شِعْرٌ)

لَوْ جَاءَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ الْقُدُسِ مِنْ مَدَدٍ *** لِغَيْرِ عِيسَى لَيَصْنَعُ مِثْلَ مَا صَنَعَا.

(أَيُّهَا الْأَخُ) إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ وَإِنْ كَانَ الْيَوْمَ ثَقِيلًا عَلَى أَكْثَرِ الْخَلَائِقِ وَبَعِيدًا عَنْ أَفْهَامِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَنْصَفُوا وَقَاسُوا الْمَعَارِفَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ وَلَاحَظُوا صِحَّةَ الْأَقْوَالِ وَسَقَمَهَا بِمُطَابَقَتِهَا الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ وَعَدَمِ مُطَابَقَتِهَا إِيَّاهَا وَرَأَوْا أَنَّ تَعْظِيمَ الشَّرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ وَتَوْقِيرَهَا فِي أَيِّهَا أَكْثَرُ لَعَلَّهُمْ يَتَخَلَّصُونَ عَنْ وَرْطَةِ الْإِسْتِبْعَادِ أَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الْفَقِيرَ قَدْ كَتَبَ فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ أَنَّ الطَّرِيقَةَ وَالْحَقِيقَةَ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ وَأَنَّ النُّبُوَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْوِلَايَةِ وَلَوْ كَانَتْ وِلَايَةَ نَبِيٍّ. وَكَتَبَ أَيْضًا أَنَّهُ لَا مِقْدَارَ لِكَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ فِي جَنْبِ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ أَصْلًا

---

[1] رواه الترمذى عن انس واحمد عنه وعن عمارة وابو يعلى عن على والطبراني عن ابن عمر والحديث وان كان فيه مقال ولكن كثرة طرقه تقويه حتى تمسك ابن عبد البر بامثاله فى تفضيل غير الصحابة عليهم واجاب عنه الجمهور بتوجيه مضمون الحديث لا بتضعيفه وقد مر (القزاني رحمة الله عليه)

[2] قال المخرج الاحاديث اشارة الى ما رواه رزين عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده كيف تهلك امة انا اولها والمهدي والمسيح آخرها ولكن بين ذلك فوج ليسوا مني ولا انا منهم اهـ قلت روى ما فى الكتاب بعينه فى نوادر الاصول للحكيم الترمذي عن ابى الدرداء بلفظ خير امتى اولها وآخرها وفى وسطها الكدر اهـ واورد فيه احاديث فانظر اليها ان شئت ان تطلع على حقيقة الامر (القزاني رحمة الله عليه)

[3] يعني مبدأ اتصالهم بالأغربة وشروعهم فيها منه (القزاني رحمة الله عليه)

[4] رواه مسلم وابن ماجة عن ابى هريرة والطبراني عن سلمان وابن ماجة ايضا عن انس واحمد وابن ماجة ايضا والترمذى وقال حسن صحيح غريب عن ابن مسعود وسعيد بن منصور عن سلمة بن نفيل وجابر والرافعى عن شريح الحضرمى والخطيب وابن عساكر عن ابى الدرداء وابى امامة وواثلة وانس والبخارى فى التاريخ عن بلال ابن مرداس مرسلا وابن عساكر عن ابن عمر ذكره السيوطي فى جمع الجوامع فى مادة ان الاسلام بدء قاله المخرج قلت وفى كنز العمال ازيد من ذلك فليراجع (القزاني رحمة الله عليه)

وَأَيْتُ أَنَّهَا حُكْمُ الْقَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ. وَكَتَبَ أَمْثَالَ ذَلِكَ كَثِيرًا خُصُوصًا فِي مَكْتُوبٍ كُتِبَ بِاسْمِ وَلَدِي فِي بَيَانِ الطَّرِيقَةِ فَلْيُلَاحِظُوا هُنَالِكَ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْقِيلِ وَالْقَالِ إِظْهَارُ نِعْمَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَرْغِيبُ طُلَّابِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَا تَفْضِيلُ نَفْسِي عَلَى الْآخَرِينَ. وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَرَامٌ عَلَى مَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ مِنْ كُفَّارِ الْإِفْرَنْجِ فَكَيْفَ مِنْ أَكَابِرِ الدِّينِ (شِعْرٌ)

خَلِيلِي سَيِّدِي أَعْلَى مَقَامِي *** فَفُقْتُ بِهِ نُجُومًا وَالْهِلَالَا

كَأَنِّي بُقْعَةٌ فِيهَا سَحَابُ ال *** رَّبِيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلَالَا

فَلَوْ لِي أَلْفُ أَلْسِنَةٍ وَأَنِّي *** بِهَا مَا ازْدَدْتُ إِلَّا الْإِنْفِعَالَا

فَإِنْ ظَهَرَ فِيكُمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ هَذَا الْمَكْتُوبِ شَوْقُ تَعَلُّمِ أَسْرَارِ الصَّلَاةِ وَتَحْصِيلُ بَعْضِ كَمَالَاتِهَا الْمَخْصُوصَةِ وَجَعَلَكُمْ هَذَا الشَّوْقُ مُضْطَرِبًا فَتَوَجَّهُوا نَحْوَ هَذِهِ الْحُدُودِ بَعْدَ الْإِسْتِخَارَاتِ وَتَصْرِفُ شَطْرًا مِنَ الْعُمْرِ فِي تَعَلُّمِ الصَّلَاةِ يَعْنِي أَسْرَارَهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (١) وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢٦٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مَوْلَانَا مُحِبِّ عَلِي فِي بَيَانِ أَنَّ ارْتِبَاطَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ حُبِّيَّةٌ وَنِسْبَتَهُمُ الْعِكَاسِيَّةُ وَمَا يُنَاسِبُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى حَصَلَ الْإِبْتِهَاجُ بِوُرُودِ الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَرْقُومَةِ عَلَى وَجْهِ الْإِلْتِفَاتِ وَحَيْثُ كَانَتْ مُنْبِئَةً عَنْ فَرْطِ الْمَحَبَّةِ وَكَمَالِ الْإِخْتِصَاصِ أَوْرَثَتْ ازْدِيَادَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَقَدِ انْدَرَجَ فِيهَا الْكَلَامُ عَنِ الْعَهْدِ السَّابِقِ (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّكَ عَلَى أَيِّ وَضْعٍ كُنْتَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الشَّرْعِيَّةِ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْمُضَايَقَةِ وَلَا مُسْتَحِقًّا بِهِ لِلْمُعَاتَبَةِ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَنْقَطِعَ حَبْلُ الْمَحَبَّةِ بَلْ يَتَقَوَّى يَوْمًا فَيَوْمًا وَبِشَرْطِ أَنْ لَا تَبْرُدَ نَائِرَةُ الْإِشْتِيَاقِ بَلْ تَزَايَدُ سَاعَةً فَسَاعَةً فَإِنَّ ارْتِبَاطَنَا حُبِّيٌّ وَنِسْبَتَنَا الْعِكَاسِيَّةُ وَالْإِنْصِبَاغِيَّةُ لَا تَتَفَاوَتُ بِالْقُرْبِ وَالْبُعْدِ إِلَّا بِحَسَبِ السُّرْعَةِ وَالْبُطْءِ وَالْعِلْمِ بِبَعْضِ خُصُوصِيَّاتِ الطَّرِيقِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ بِهِ وَتَطَلُّبُ تَحْقِيقِ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ خَاتِمَةِ مَكْتُوبٍ حَرَّرْتُهُ بِاسْمِ وَلَدِي الْأَرْشَدِ فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ وَقَدْ جَاءَ أَصْحَابُ أَخِينَا الْمِيرِ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ بِنَقْلِ ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ فَتَطَلَّبُهُ مِنْ هُنَاكَ وَمَاذَا أُطْنِبُ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ وَالسَّلَامُ.

(٢٦٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى جَنَابِ صَاحِبِ الْمَعَارِفِ الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ فِي بَيَانِ مَعَارِفَ تَتَعَلَّقُ بِالْكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَبَيَانِ الْفَضَائِلِ الصَّلَاتِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلٰى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفٰى وَقَدْ أَوْرَثَ خَبَرُ الْقُدُومِ الَّذِي هُوَ لِلْمَسَرَّةِ مَلْزُومٌ فَرَحًا وَافِرًا لِلْمُشْتَاقِينَ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلٰى ذٰلِكَ، (شعر)

أَلْصَفُ أَيَا فَلَكٌ زَاهٍ مَصَابِيحُهُ *** وَأَيُّ هٰذَيْنِ قَدْ عَمَّتْ تَفَارِيحُهُ

شَمْسٌ بِهَا عَالَمٌ تَمَّتْ مَصَالِحُهُ *** أَمْ بَدْرِيُّ الْبَادِ مِنْ شَامِ لَوَائِحُهُ

وَحَيْثُ الْتَزَمْتَ الْقُدُومَ فَعَلَيْكَ أَنْ تُشَرِّفَ بِالسُّرْعَةِ فَإِنَّ الْمُشْتَاقِينَ تَحْتَ ثِقَلِ الْإِنْتِظَارِ يَتَمَنَّوْنَ سَمْعَ أَخْبَارِ بَيْتِ اللّٰهِ وَعِنْدَ الْفَقِيرِ كَمَا أَنَّ صُورَةَ الْكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لِصُوَرِ الْخَلَائِقِ بَشَرًا كَانُوا أَوْ مَلَكًا كَذٰلِكَ حَقِيقَتُهَا مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لِحَقَائِقِ تِلْكَ الصُّوَرِ فَلَا جَرَمَ كَانَتْ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ فَوْقَ جَمِيعِ الْحَقَائِقِ وَالْكَمَالَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِهَا صَارَتْ فَوْقَ الْكَمَالَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِسَائِرِ الْحَقَائِقِ وَكَأَنَّ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ الْإِلٰهِيَّةِ وَالْمُرَادُ بِالْحَقَائِقِ الْإِلٰهِيَّةِ سُرَادِقَاتُ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ الَّتِي لَمْ يَصِلْ إِلٰى ذَيْلِ قُدْسِهَا لَوْنٌ وَلَا كَيْفٌ وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهَا ظِلِّيَّةٌ أَصْلًا وَنِهَايَةُ الْعُرُوجَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَظُهُورَاتُهَا إِلٰى مُنْتَهَى الْحَقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ وَالنَّصِيبُ مِنَ الْحَقَائِقِ الْإِلٰهِيَّةِ مَخْصُوصٌ بِالْآخِرَةِ لَا حَظَّ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ وَكَأَنَّ فِي هٰذَا الْمِعْرَاجِ خُرُوجًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَيَتَيَسَّرُ فِيهِ حَظٌّ مَا يَتَيَسَّرُ فِي الْآخِرَةِ وَأَظُنُّ أَنَّ حُصُولَ هٰذِهِ الدَّوْلَةِ فِي الصَّلَاةِ لِتَوَجُّهِ[1] الْمُصَلِّي فِيهَا إِلٰى جِهَةِ الْكَعْبَةِ الَّتِي هِيَ مَوْطِنُ ظُهُورَاتِ الْحَقَائِقِ الْإِلٰهِيَّةِ فَالْكَعْبَةُ أُعْجُوبَةٌ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا بِصُورَتِهَا مِنَ الدُّنْيَا وَبِالْحَقِيقَةِ مِنَ الْآخِرَةِ وَأَخَذَتْ هٰذِهِ النِّسْبَةَ الصَّلَاةُ أَيْضًا بِتَوَسُّطِهَا وَصَارَتْ بِصُورَتِهَا وَحَقِيقَتِهَا جَامِعَةً لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَدْ بَلَغَ مَرْتَبَةَ التَّحْقِيقِ أَنَّ الْحَالَةَ الْمُتَيَسِّرَةَ فِي أَدَاءِ الصَّلَاةِ فَوْقَ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ الْحَاصِلَةِ فِي خَارِجِ الصَّلَاةِ لِأَنَّ تِلْكَ الْحَالَةَ لَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ مِنْ دَائِرَةِ الظِّلِّ وَإِنْ حَصَلَ لَهَا الْعُلُوُّ بِخِلَافِ هٰذِهِ الْحَالَةِ فَإِنَّ لَهَا نَصِيبًا مِنَ الْأَصْلِ وَبِقَدْرِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالظِّلِّ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَ تِلْكَ الْحَالَةِ وَهٰذِهِ الْحَالَةِ وَيُشَاهَدُ أَنَّ الْحَالَةَ الَّتِي تَحْصُلُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِعِنَايَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى تَكُونُ فَوْقَ حَالَةِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَكُلَّمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْآخِرَةِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ لِأَنَّ هُنَا ظُهُورَ الصُّورَةِ وَهُنَاكَ ظُهُورَ الْحَقِيقَةِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَكَذٰلِكَ الْحَالَةُ الَّتِي تَتَيَسَّرُ بِكَرَمِ اللّٰهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ فِي الْبَرْزَخِ الصَّغِيرِ تَكُونُ فَوْقَ الْحَالَةِ الْحَاصِلَةِ وَقْتَ الْمَوْتِ وَعَلٰى هٰذَا الْقِيَاسِ الْحَالَةُ الْمُتَيَسِّرَةُ فِي الْبَرْزَخِ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ عَرَصَاتُ الْقِيَامَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى حَالَةِ الْبَرْزَخِ الصَّغِيرِ فَإِنَّ الْمَشْهُودَ هُنَاكَ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ وَلِمَشْهُودِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَتَمِّيَّةٌ وَأَكْمَلِيَّةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى مَشْهُودِ الْبَرْزَخِ الْكَبِيرِ وَفَوْقَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَذْكُورَاتِ مَوْطِنٌ أَخْبَرَ عَنْهُ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيْثُ

---

[1] الذى لا يتحقق ماهية الصلاة الا به فلابد انه ينبغى ان يحصل هذه الحالة لكل من يتوجه الى الكعبة سواء كان فى الصلاة او لا. (القزانى رحمة الله عليه)

قَالَ: "إِنَّ لِلّٰهِ[1] جَنَّةً لَيْسَ فِيهَا حُورٌ وَلاَ قُصُورٌ يَتَجَلَّى فِيهَا رَبُّنَا ضَاحِكًا" فَأَدْنَى جَمِيعِ مَوَاطِنِ الظُّهُورَاتِ دُنْيَا وَمَا فِيهَا وَأَعْلَى جَمِيعِهَا تِلْكَ الْجَنَّةُ الْمَذْكُورَةُ بَلِ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِ الظُّهُورِ أَصْلاً.

وَظُهُورَاتُ الظِّلاَلِ وَمَرَاتِبُ الْمِثَالِ الَّتِي هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِالدُّنْيَا مَعْدُودَةٌ عِنْدَ الْفَقِيرِ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَاخِلَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ فِي دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ سَوَاءٌ قِيلَ لِتِلْكَ الظُّهُورَاتِ تَجَلِّيَاتُ الْأَسْمَاءِ أَوْ تَجَلِّيَاتُ الصِّفَاتِ أَوْ تَجَلِّيَاتُ الذَّاتِ تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا وَأَنَا الْفَقِيرُ مَتَى أُلَاحِظُ الدُّنْيَا بِالتَّمَامِ أَجِدُهَا خَالِيَةً مَحْضَةً وَلاَ يَصِلُ مِنْهَا إِلَى مَشَامِّي رَائِحَةُ الْمَطْلُوبِ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّهَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ فَطَلَبُ الْمَطْلُوبِ فِيهَا إِتْعَابُ النَّفْسِ وَإِهْلاَكُهَا عَلَى الْعَبَثِ أَوْ زَعْمُ غَيْرِ الْمَطْلُوبِ مَطْلُوبًا وَالْأَكْثَرُونَ مُبْتَلُونَ بِذَلِكَ وَمُطْمَئِنُّونَ بِالْمَنَامِ وَالْخَيَالِ وَالَّذِي فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَصْلِ وَمَا يُعْطَى رَائِحَةً مِنَ الْمَطْلُوبِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ الصَّلاَةُ وَدُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ.

(٢٦٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى السَّيِّدِ بَاقِرِ السَّهَارَنْفُورِيِّ فِي بَيَانِ لُزُومِ جَرِّ الْمُعَامَلَةِ نَحْوَ الْحَيْرَةِ وَالْجَهَالَةِ وَعَدَمِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْأَحْوَالِ وَالْكُشُوفِ وَذِكْرِ وَاقِعَةِ بَعْضِ مَشَائِخِ النَّوَاحِي الَّتِي كَانَ حَكَاهَا لَهُ وَتَعْبِيرِهَا فِي ضِمْنِ ذَلِكَ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ أَوْرَثَتِ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ فَرْطِ الْمَحَبَّةِ وَكَمَالِ الْإِشْتِيَاقِ فَرَحًا وَافِرًا وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَجُّهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَالُ وَالْإِشْتِغَالِ بِذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ مِنْ غَيْرِ مُلاَحَظَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ حَتَّى تَنْجَرَّ الْمُعَامَلَةُ إِلَى الْجَهَالَةِ وَيَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى الْحَيْرَةِ فَإِنَّ مُلاَحَظَةَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَثِيرًا مَا تَكُونُ بَاعِثَةً عَلَى ظُهُورِ الْأَحْوَالِ وَوَاسِطَةً لِلْوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَلَعَلَّكَ سَمِعْتَ أَنَّ احْتِمَالَ الْخَطَأِ فِي الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِيدِ كَثِيرٌ وَاشْتِبَاهُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَافِرٌ وَقَدْ أَرْسَلَ وَاحِدٌ مِنْ مَشَائِخِ النَّوَاحِي قَاصِدًا إِلَى هَذَا الْفَقِيرِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مُظْهِرًا أَحْوَالَهُ وَقَالَ: قَدْ بَلَغَ الْفَنَاءُ وَالْإِضْمِحْلاَلُ مَرْتَبَةً كُلَّ شَيْءٍ نَظَرْتُ إِلَيْهِ لاَ أَجِدُهُ أَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَلاَ أَجِدُهُمَا وَلاَ أَجِدُ الْعَرْشَ وَلاَ الْكُرْسِيَّ وَأُلاَحِظُنِي فَلاَ أَجِدُ أَصْلاً وَأَذْهَبُ عِنْدَ شَخْصٍ فَلاَ أَجِدُهُ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ لاَ نِهَايَةَ لَهُ وَمَا وَجَدَ أَحَدٌ نِهَايَتَهُ وَقَدِ اعْتَقَدَ الْمَشَائِخُ هَذَا الْحَالَ كَمَالاً فَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ أَيْضًا تَعْتَقِدُ كَذَلِكَ فَلِأَيِّ شَيْءٍ أَجِيءُ عِنْدَكَ لِطَلَبِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَإِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَمْرًا كَمَالاً غَيْرَهُ فَاكْتُبْ لِي كِتَابًا فَكَتَبْتُ فِي جَوَابِهِ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ مِنْ تَلْوِينَاتِ الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ هَذَا الطَّرِيقِ وَصَاحِبُ هَذِهِ الْأَحْوَالِ طَوَى رُبُعًا وَاحِدًا مِنْ أَحْوَالِ الْقَلْبِ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْوِيَ ثَلاَثَةَ أَرْبَاعِهِ الْبَاقِيَةَ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرُجَ إِلَى الدَّرَجَةِ

[1](قوله ان لله جنة الخ) قال المخرج ما وجدت له اصلا وقال آخر ولكنه مشهور في كتب الصوفية وذكره شرف الدين يحيى المنيري اه. (القزان رحمة الله عليه)

الثَّانِيَةِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الرُّوحِ ثُمَّ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْكِتَابَةِ قَدِمَ وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْفَقِيرِ وَكَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى وَطَنِهِ بَعْدَ أَخْذِ الطَّرِيقَةِ وَلَمَّا بَيَّنَ أَحْوَالَهُ صَارَ مَعْلُومًا لِي أَنَّ حَالَهُ مُوَافِقٌ لِحَالِ ذَلِكَ الشَّيْخِ الْمُسْتَفْسِرِ بَلْ هُوَ أَسْبَقُ قَدَمًا مِنْهُ وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى حَالِهِ وَأَمْعَنْتُ النَّظَرَ ظَهَرَ لِي أَنَّ فَنَاءَهُ وَاضْمِحْلَالَهُ فِي عُنْصُرِ الْهَوَاءِ الَّذِي هُوَ مُحِيطٌ لِجَمِيعِ ذَرَّةٍ مِنَ الذَّرَّاتِ وَلَيْسَ الْمَشْهُودُ غَيْرَ الْهَوَاءِ وَقَدْ زَعَمَهُ إِلَهًا لاَ نِهَايَةَ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا وَلَمَّا فَتَّشْتُ عَنْ أَحْوَالِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً أَيْقَنْتُ أَنَّ ابْتِلاَءَهُ لَيْسَ أَمْرًا آخَرَ غَيْرَ الْهَوَاءِ فَأَطْلَعْتُهُ أَيْضًا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى وَلَمَّا رَجَعَ هُوَ إِلَى وِجْدَانِهِ عَلِمَ أَنَّ حَاصِلَهُ لَيْسَ غَيْرَ الْهَوَاءِ فَاسْتَغْفَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَرَفَعَ قَدَمَهُ فَوْقَ هَذَا الْحَالِ. (اعْلَمْ) أَنَّ الْقَلْبَ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ عَالَمُ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ وَبَيْنَ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَفِيهِ وَصْفٌ وَلَوْنٌ مِنْ كِلاَ الْعَالَمَيْنِ فَكَانَ نِصْفُ الْقَلْبِ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَنِصْفُهُ الْآخَرُ مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ فَإِذَا نَصَّفْنَا نِصْفَهُ النَّاظِرَ إِلَى عَالَمِ الْخَلْقِ تَقَعُ الْمُعَامَلَةُ عَلَى عُنْصُرِ الْهَوَاءِ فَيَكُونُ رُبْعُ الْقَلْبِ عِبَارَةً عَنْ مَقَامِ الْهَوَاءِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْقَلْبُ فَمَا ظَهَرَ ثَانِيًا مُوَافِقٌ لِلْجَوَابِ الْأَوَّلِ وَبَيَانٌ لِكَشْفِ حَقِيقَتِهِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَلَمْ يَسَعِ الْوَقْتُ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا .

(٢٦٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْهَادِي فِي التَّحْذِيرِ عَنْ تَضْيِيعِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بِالْعُزْلَةِ وَبَيَانِ الْحُقُوقِ اللاَّزِمَةِ رِعَايَتُهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلاَةِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِي أَنَّ مَكْتُوبَ الْأَخِ الْأَرْشَدِ قَدْ وَصَلَ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى مَا لَمْ يُؤَثِّرْ تَمَادِي أَيَّامِ الْمُفَارَقَةِ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْإِخْلاَصِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْإِخْتِصَاصِ وَمَعَ ذَلِكَ لَوْ أَتَى بِنَفْسِهِ لَكَانَ أَنْسَبَ, الْخَيْرُ فِيمَا صَنَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ تَمَنَّى الْعُزْلَةَ نَعَمْ إِنَّ الْعُزْلَةَ مُنْيَةُ الصِّدِّيقِينَ وَلَكَ الْخِيَارُ فِي الْعُزْلَةِ وَالْإِنْزِوَاءِ وَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُبَارَكَةً وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تَضِيعَ مُرَاعَاتُ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "حَقُّ [1] الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ" وَلَكِنْ فِي إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ شَرَائِطُ فِي الْإِحْيَاءِ [2] **وَتَمْتَنِعُ مِنَ الْإِجَابَةِ إِنْ كَانَ الطَّعَامُ طَعَامَ شُبْهَةٍ وَفِي الْمَوْضِعِ مُنْكَرٌ مِنْ فَرْشِ دِيبَاجٍ وَأَوَانِي فِضَّةٍ وَتَمَاثِيلَ عَلَى سَقْفٍ أَوْ سَمَاعِ شَيْءٍ مِنَ الْمَزَامِيرِ وَالْمَلاَهِي أَوِ التَّشَاغُلِ بِنَوْعٍ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَمْنَعُ الْإِجَابَةَ وَيُوجِبُ تَحْرِيمَهَا وَكَرَاهَتَهَا وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ الدَّاعِي ظَالِمًا أَوْ مُبْتَدِعًا أَوْ فَاسِقًا أَوْ شِرِّيرًا أَوْ مُتَكَلِّفًا طَالِبًا لِلْمُبَاهَاةِ وَالْفَخْرِ وَفِي شِرْعَةِ الْإِسْلاَمِ وَلاَ يُجِيبُ إِلَى طَعَامٍ صُنِعَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فِي الْمُحِيطِ لاَ**

---

[1] رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه

[2] اي ذكر في الاحياء ما سيذكر بعد (منه عفي عنه)

يَنْبَغِي أَنْ يَقْعُدَ عَلَى مَائِدَةٍ إِذَا كَانَ عَلَيْهَا لَعِبٌ وَغِنَاءٌ أَوْ قَوْمٌ يَغْتَابُونَ أَوْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ كَذَا فِي مَطَالِبِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَوَانِعُ كُلُّهَا مَفْقُودَةً لاَ بُدَّ حِينَئِذٍ مِنَ الإِجَابَةِ وَإِنْ كَانَ فِقْدَانُ هَذِهِ الْمَوَانِعِ عَسِيرًا فِي هَذَا الزَّمَانِ. (وَأَيْضًا) يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْعُزْلَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الأَغْيَارِ لاَ مِنَ الأَحْبَابِ فَإِنَّ الصُّحْبَةَ مَعَ مَحَارِمِ الأَسْرَارِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ قَالَ الْخَوَاجَةُ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: طَرِيقُنَا طَرِيقُ الصُّحْبَةِ فَإِنَّ فِي الْخَلْوَةِ شُهْرَةً وَفِي الشُّهْرَةِ آفَةً وَالْمُرَادُ بِالصُّحْبَةِ صُحْبَةُ أَهْلِ الطَّرِيقِ لاَ صُحْبَةُ الْمُنْكِرِينَ وَالْمُخَالِفِينَ لأَنَّهُمْ اشْتَرَطُوا نَفْيَ كُلٍّ مِنَ الْمُصَاحِبِينَ نَفْسَهُ وَفَنَاءَهُ فِي الآخَرِ وَهَذَا لاَ يَتَيَسَّرُ بِدُونِ الْمُوَافَقَةِ. وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ سُنَّةٌ إِنْ كَانَ لِلْمَرِيضِ مُتَعَهِّدٌ وَمُمَرِّضٌ وَإِلاَّ فَهِيَ وَاجِبَةٌ كَمَا ذُكِرَ فِي حَاشِيَةِ الْمِشْكَاةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ صَلاَةَ الْجَنَازَةِ وَأَنْ يُشَيِّعَ الْجَنَازَةَ وَلَوْ خُطُوَاتٍ لِيُؤَدِّيَ حَقَّ الْمَيِّتِ. وَحُضُورُ الْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ فِي الأَوْقَاتِ الْخَمْسَةِ وَصَلاَةِ الْعِيدَيْنِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الإِسْلاَمِ لاَ بُدَّ مِنْهَا ثُمَّ يَصْرِفُ بَقِيَّةَ الأَوْقَاتِ إِلَى ذِكْرِ الْمَوْلَى بِالتَّبَتُّلِ وَالاِنْقِطَاعِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُصَحِّحَ النِّيَّةَ أَوَّلاً وَأَنْ لاَ يُلَوِّثَ الْعُزْلَةَ بِلَوْثِ غَرَضٍ مِنَ الأَغْرَاضِ الْعَاجِلَةِ أَصْلاً وَأَنْ لاَ يَكُونَ مَقْصِدٌ غَيْرَ تَحْصِيلِ جَمْعِيَّةِ الْبَاطِنِ بِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَالإِعْرَاضِ عَنِ الاِشْتِغَالِ بِمَا لاَ طَائِلَ فِيهِ وَجَمِيعِ الْمَلاَهِي قَطْعًا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْتَاطَ فِي تَصْحِيحِ النِّيَّةِ غَايَةَ الاِحْتِيَاطِ لِئَلاَّ يَخْتَفِيَ وَيَتَكَمَّنَ فِي ضِمْنِهَا غَرَضٌ نَفْسَانِيٌّ وَأَنْ يَلْتَجِئَ وَيَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا التَّصْحِيحِ كَثِيرًا وَأَنْ يَكُونَ فِي مَقَامِ الْعَجْزِ وَالاِنْكِسَارِ فَحِينَئِذٍ يُحْتَمَلُ أَنْ تَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ النِّيَّةِ وَالْحَاصِلُ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْعُزْلَةَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ صَحِيحَةٍ بَعْدَ تَكْرَارِ الاِسْتِخَارَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَيُرْجَى حِينَئِذٍ أَنْ تَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ وَبَقِيَّةُ الأَحْوَالِ أَخَّرْنَا خَبَرَهَا إِلَى وَقْتِ الْمُلاَقَاةِ وَالسَّلاَمُ.

(٢٦٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمَخْدُومِينَ الْمُكَرَّمِينَ أَعْنِي ابْنَيْ شَيْخِهِ الْخَوَاجَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْخَوَاجَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَيَانِ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْكَلاَمِيَّةِ عَلَى وَفْقِ آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَقَدْ ظَهَرَتْ لَهُ عَلَى طَرِيقِ الْكَشْفِ وَالإِلْهَامِ لاَ عَلَى وَجْهِ الظُّنُونِ وَالأَوْهَامِ وَالرَّدِّ عَلَى الْفَلاَسِفَةِ وَأَتْبَاعِهِمُ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَعَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْمَلاَحِدَةِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالصُّوفِيَّةِ وَبَيَانِ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصَّلاَةِ وَمَدْحِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَالْمَنْعِ مِنْ سَمَاعِ الْغِنَاءِ وَحُضُورِ مَجْلِسِ الرَّقْصِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَعْلَمِ الْمَخَادِيمُ الْكِرَامُ أَنَّ هَذَا الْفَقِيرَ مُسْتَغْرِقٌ مِنَ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ فِي إِحْسَانِ وَالِدِكُمُ الْمَاجِدِ حَيْثُ تَعَلَّمْتُ دَرْسَ أَلِفْ بَا فِي هَذَا الطَّرِيقِ مِنْهُ وَأَخَذْتُ عَنْهُ سَائِرَ تَهَجِّي حُرُوفِ هَذَا الطَّرِيقِ وَحَصَلَتْ بِبَرَكَةِ صُحْبَتِهِ دَوْلَةُ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ وَبِصِدْقِ خِدْمَتِهِ وَجَدْتُ السَّفَرَ فِي الْوَطَنِ وَتَوَجُّهُهُ الشَّرِيفُ بَلَّغَ هَذَا الْفَقِيرَ عَدِيمَ الْقَابِلِيَّةِ إِلَى النِّسْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ فِي مُدَّةِ شَهْرَيْنِ وَنِصْفٍ

وَمِنْحَةُ الْحُضُورِ الْخَاصِّ بِهَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَكَيْفَ أَشْرَحُ أَمْ كَيْفَ أُبَيِّنُ تَفْصِيلَ مَا حَصَلَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْقَلِيلَةِ مِنَ التَّجَلِّيَاتِ وَالظُّهُورَاتِ وَالْأَنْوَارِ وَالْأَلْوَانِ وَاللَّالَوْنِيَّةِ وَاللَّاكَيْفِيَّةِ بِتَطَفُّلِهِ وَلَمْ يَبْقَ بِتَوَجُّهِهِ الشَّرِيفِ دَقِيقَةٌ مِنْ دَقَائِقِ مَعَارِفِ التَّوْحِيدِ وَالْاِتِّحَادِ وَالْقُرْبِ وَالْإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ غَيْرَ مُنْكَشِفَةٍ لِهَذَا الْفَقِيرِ وَغَيْرَ مُطَّلِعٍ هُوَ عَلَيْهَا وَمَاذَا يَكُونُ شُهُودُ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَمُشَاهَدَةُ الْكَثْرَةِ فِي الْوَحْدَةِ فَإِنَّهُمَا مِنْ مُقَدِّمَاتِ هَذِهِ الْمَعَارِفِ وَمَبَادِيهَا وَإِجْرَاءُ اسْمِ هَذِهِ الْمَعَارِفِ عَلَى اللِّسَانِ فِي جَنْبِ نِسْبَةِ النَّقْشْبَنْدِيَّةِ وَالْحُضُورِ الْخَاصِّ بِهَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَبَيَانُ عَلَامَةِ هَذَا الشُّهُودِ وَالْمُشَاهَدَةِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ. وَمُعَامَلَةُ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ عَالِيَةٌ جِدًّا لَا نِسْبَةَ لَهَا بِكُلِّ زَرَّاقٍ وَرَقَّاصٍ فَإِذَا نِلْتُ مِثْلَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى مِنْ حَضْرَةِ شَيْخِنَا لَا يُمْكِنُ لِي أَدَاءُ حَقِّ شَيْءٍ مِنْهَا وَلَوْ مَسَحْتُ رَأْسِي مُدَّةَ عُمْرِي عَلَى أَقْدَامِ خُدَّامِ عَتَبَتِكُمُ الْعَلِيَّةِ فَمَاذَا أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَقْصِيرَاتِي وَمَاذَا أُظْهِرُ لَكُمْ مِنِ انْفِعَالَاتِي وَلَكِنْ جَزَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا الْخَوَاجَهْ حُسَامَ الدِّينِ أَحْمَدَ خَيْرَ الْجَزَاءِ حَيْثُ كَفَانَا الْمُؤْنَةَ وَشَدَّ نِطَاقَ الْهِمَّةِ فِي خِدْمَةِ خُدَّامِ الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ وَخَلَّصَ أَمْثَالَنَا الْقَاصِرِينَ مِنْ ذَلِكَ،

شِعْرٌ:

فَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ *** لِسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرًا

وَقَدْ تَشَرَّفْتُ بِتَقْبِيلِ عَتَبَةِ شَيْخِنَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَقَالَ لِلْفَقِيرِ فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ: إِنَّهُ قَدْ غَلَبَ الضَّعْفُ عَلَى بَدَنِي وَرَجَاءُ الْحَيَاةِ قَلِيلٌ يَنْبَغِي لَكَ الْاِسْتِخْبَارُ عَنْ أَحْوَالِ الْأَطْفَالِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِكُمْ لَدَيْهِ وَكُنْتُمْ وَقْتَئِذٍ فِي حُضُورِ الْمُرْضِعَاتِ وَأَمَرَ الْفَقِيرَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْكُمْ فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْكُمْ فِي حُضُورِهِ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ حَتَّى ظَهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ التَّوَجُّهِ فِي الظَّاهِرِ ثُمَّ قَالَ: تَوَجَّهْ إِلَى وَالِدَاتِهِمْ أَيْضًا بِالتَّوَجُّهِ الْغَائِبِيِّ فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِنَّ أَيْضًا حَسَبَ الْأَمْرِ وَالْمَرْجُوُّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ مُثْمِرًا لِلنَّتَائِجِ بِبَرَكَةِ حُضُورِهِ الشَّرِيفِ وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ الذُّهُولُ عَنْ أَمْرِهِ الْوَاجِبِ الْإِمْتِثَالِ أَوْ طَرَأَ التَّغَافُلُ عَنْ وَصِيَّتِهِ اللَّازِمَةِ الْإِجْرَاءِ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَلَّا بَلِ انْتَظَرَ الْإِشَارَةَ وَالْإِذْنَ. وَأَرَدْتُ الْآنَ أَنْ أَكْتُبَ فِقْرَاتٍ بِطَرِيقِ النَّصِيحَةِ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا بِسَمْعِ الْعَقْلِ. **(أَسْعَدَكُمُ اللَّهُ)** سُبْحَانَهُ إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتُرِضَ عَلَى الْعُقَلَاءِ تَصْحِيحُ الْعَقَائِدِ بِمُوجَبِ آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ فَإِنَّهُمْ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ وَلْنُبَيِّنْ بَعْضَ الْمَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ الَّتِي فِيهَا نَوْعُ خَفَاءٍ. **(يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ)** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ بِإِيجَادِهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ لَا شَرِكَةَ لِأَحَدٍ مَعَهُ تَعَالَى فِي الْحَقِيقَةِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ أَصْلًا لَا فِي الْوُجُودِ وَلَا فِي غَيْرِهِ وَالْمُنَاسَبَةُ الْإِسْمِيَّةُ وَالْمُشَارَكَةُ اللَّفْظِيَّةُ خَارِجَةٌ عَنِ الْمَبْحَثِ وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ تَعَالَى مُنَزَّهَةٌ عَنِ الْمِثْلِ وَالْكَيْفِ كَذَاتِهِ تَعَالَى لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صِفَاتِ الْمُمْكِنَاتِ وَأَفْعَالِهَا فَإِنَّ صِفَةَ الْعِلْمِ مَثَلًا لَهُ تَعَالَى صِفَةٌ قَدِيمَةٌ بَسِيطَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهَا تَعَدُّدٌ وَتَكَثُّرٌ أَصْلًا وَلَوْ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ التَّعَلُّقَاتِ لِأَنَّ هُنَاكَ انْكِشَافٌ وَاحِدٌ بَسِيطٌ انْكَشَفَتْ بِهِ الْمَعْلُومَاتُ الْأَزَلِيَّةُ وَالْأَبَدِيَّةُ وَعَلِمَ بِهِ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ بِأَحْوَالِهَا الْمُتَنَاسِبَةِ وَالْمُتَضَادَّةِ وَكُلِّيَّاتِهَا

وَجُزْئِيَّاتِهَا مَعَ الْأَوْقَاتِ الْمَخْصُوصَةِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي آنٍ وَاحِدٍ بَسِيطٍ عَلَى وَجْهٍ يَعْلَمُ زَيْدًا مَثَلاً فِي ذَلِكَ الْآنَ مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا وَجَنِينًا وَصَبِيًّا وَشَابًّا وَشَيْخًا وَحَيًّا وَمَيِّتًا وَقَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُسْتَنِدًا وَمُضْطَجِعًا وَضَاحِكًا وَبَاكِيًا وَمُتَلَذِّذًا وَمُتَأَلِّمًا وَعَزِيزًا وَذَلِيلاً وَفِي الْبَرْزَخِ وَفِي الْحَشْرِ وَفِي الْجَنَّةِ وَفِي التَّلَذُّذَاتِ فَيَكُونُ تَعَدُّدُ التَّعَلُّقِ أَيْضًا مَفْقُودًا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ فَإِنَّ تَعَدُّدَ التَّعَلُّقَاتِ يَسْتَدْعِي تَعَدُّدَ الآنَاتِ وَتَكَثُّرَ الْأَزْمِنَةِ وَلَيْسَ ثَمَّةَ الاَّ آنٌ وَاحِدٌ بَسِيطٌ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ لاَ تَعَدُّدَ فِيهِ أَصْلاً إِذْ لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ تَعَالَى زَمَانٌ وَلاَ تَقَدُّمٌ وَلاَ تَأَخُّرٌ فَإِذَا أَثْبَتْنَا لِعِلْمِهِ تَعَالَى تَعَلُّقًا بِالْمَعْلُومَاتِ يَكُونُ ذَلِكَ تَعَلُّقٌ وَاحِدٌ وَيَصِيرُ بِهِ مُتَعَلِّقًا بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ وَذَلِكَ التَّعَلُّقُ أَيْضًا مَجْهُولُ الْكَيْفِيَّةِ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْمِثَالِ وَالْكَيْفِ كَصِفَةِ الْعِلْمِ. (وَلْنَدْفَعْ) اسْتِبْعَادَ هَذَا التَّصْوِيرِ بِضَرْبِ مَثَلٍ (وَأَقُولُ) إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَعْلَمَ شَخْصٌ الْكَلِمَةَ مَعَ أَقْسَامِهَا الْمُتَبَايِنَةِ وَأَحْوَالِهَا الْمُتَغَايِرَةِ وَاعْتِبَارَاتِهَا الْمُتَضَادَّةِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فَيَعْلَمُ الْكَلِمَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ اسْمًا وَفِعْلاً وَحَرْفًا وَثُلاَثِيًّا وَرُبَاعِيًّا وَمُعْرَبًا وَمَبْنِيًّا وَمُتَمَكِّنًا وَغَيْرَ مُتَمَكِّنٍ وَمُنْصَرِفًا وَغَيْرَ مُنْصَرِفٍ وَمَعْرِفَةً وَنَكِرَةً وَمَاضِيًا وَمُسْتَقْبَلاً وَأَمْرًا وَنَهْيًا بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ الشَّخْصُ إِنِّي أَرَى هَذِهِ الْأَقْسَامَ وَالْإِعْتِبَارَاتِ فِي مَرَاتِبِ الْكَلِمَةِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بِالتَّفْصِيلِ فَإِذَا كَانَ جَمْعُ الْأَضْدَادِ مُتَصَوَّرًا فِي عِلْمِ الْمُمْكِنِ كَيْفَ يَكُونُ مُسْتَبْعَدًا فِي عِلْمِ الْوَاجِبِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى.

(يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هُنَا وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الضِّدَّيْنِ صُورَةً وَلَكِنَّ الضِّدِّيَّةَ مَفْقُودَةٌ بَيْنَهَا فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ تَعَالَى وَإِنْ عَلِمَ زَيْدًا مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا فِي آنٍ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى عَلِمَ فِي ذَلِكَ الآنِ أَنَّ وَقْتَ وُجُودِهِ مَثَلاً بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَوَقْتَ عَدَمِهِ السَّابِقِ قَبْلَ تِلْكَ السَّنَةِ الْمُعَيَّنَةِ وَوَقْتَ عَدَمِهِ اللاَّحِقِ بَعْدَ أَلْفٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ فَلاَ تَضَادَّ بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لِتَغَايُرِ الزَّمَانِ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ سَائِرُ الْأَحْوَالِ فَافْهَمْ.

(فَاتَّضَحَ) مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ أَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى لاَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَائِبَةُ التَّغَيُّرِ بِتَعَلُّقِهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ الْمُتَغَيِّرَةِ وَلاَ تُتَوَهَّمُ مَظِنَّةُ الْحُدُوثِ فِيهِ كَمَا زَعَمَتِ الْفَلاَسِفَةُ فَإِنَّ التَّغَيُّرَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ عَلَى تَقْدِيرِ تَعَلُّقِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِوَاحِدٍ بَعْدَ الآخَرِ وَأَمَّا إِذَا تَعَلَّقَ عِلْمُهُ تَعَالَى بِالْكُلِّ فِي آنٍ وَاحِدٍ فَلاَ يُتَصَوَّرُ فِيهِ التَّغَيُّرُ وَالْحُدُوثُ فَلاَ حَاجَةَ حِينَئِذٍ إِلَى إِثْبَاتِ تَعَلُّقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ لَهُ حَتَّى يَكُونَ التَّغَيُّرُ وَالْحُدُوثُ رَاجِعًا إِلَى تِلْكَ التَّعَلُّقَاتِ لاَ إِلَى صِفَةِ الْعِلْمِ كَمَا فَعَلَهُ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ لِدَفْعِ شُبْهَةِ الْفَلاَسِفَةِ نَعَمْ إِذَا أَثْبَتْنَا تَعَدُّدَ التَّعَلُّقَاتِ فِي جَانِبِ الْمَعْلُومَاتِ فَلَهُ مَسَاغٌ وَكَذَلِكَ كَلاَمُهُ تَعَالَى وَاحِدٌ بَسِيطٌ وَهُوَ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ بِهَذَا الْكَلاَمِ الْوَاحِدِ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ فَإِنْ أَمْرًا فَنَاشٍ مِنْ هُنَاكَ وَإِنْ نَهْيًا فَنَاشٍ أَيْضًا مِنْ هُنَاكَ وَإِنْ إِعْلاَمًا فَمَأْخُوذٌ أَيْضًا مِنْ هُنَاكَ وَإِنِ اسْتِعْلاَمًا فَمِنْ هُنَاكَ وَإِنْ تَمَنِّيًا فَمُسْتَفَادًا مِنْ هُنَاكَ وَإِنْ تَرَجِّيًا فَمِنْ هُنَاكَ أَيْضًا وَجَمِيعُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَالصُّحُفِ الْمُرْسَلَةِ وَرَقَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْكَلاَمِ الْبَسِيطِ فَإِنْ تَوْرَاةً فَهِيَ مُنْتَسِخَةٌ مِنْهُ وَإِنْ إِنْجِيلاً فَمِنْ هُنَاكَ أُخِذَ صُورَةُ الْأَلْفَاظِ وَإِنْ زَبُورًا فَمِنْ هُنَاكَ مَسْطُورٌ وَإِنْ قُرْآنًا فَمُنَزَّلٌ مِنْ هُنَاكَ شِعْرٌ:

لِكَلاَمِ مَوْلاَنَا الْإِلَهِ وَاحِدٌ *** حَقًّا وَلَكِنْ فِي النُّزُولِ تَعَدُّدَا

وَكَذَلِكَ فِعْلُهُ تَعَالَى وَاحِدٌ وَجَمِيعُ الْمَصْنُوعَاتِ مَوْجُودَةٌ بِهَذَا الْفِعْلِ الْوَاحِدِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَالْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ مَرْبُوطَانِ بِهَذَا الْفِعْلِ وَالْإِيلاَمُ وَالْإِنْعَامُ مَنُوطَانِ أَيْضًا بِهَذَا الْفِعْلِ وَكَذَلِكَ الْإِيجَادُ وَالْإِعْدَامُ نَاشِئَانِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ فَلاَ يَثْبُتُ تَعَدُّدُ التَّعَلُّقَاتِ فِي فِعْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا بَلِ الْمَخْلُوقَاتُ الْمَاضِيَةُ وَالْآتِيَةُ مَوْجُودَةٌ فِي أَوْقَاتِهَا الْمَخْصُوصَةِ بِوُجُودِهَا بِتَعَلُّقٍ وَاحِدٍ وَهَذَا التَّعَلُّقُ أَيْضًا مَجْهُولُ الْكَيْفِيَّةِ وَمَعْدُومُ الْمِثْلِيَّةِ كَنَفْسِ فِعْلِهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ لاَ سَبِيلَ إِلَى الْمُنَزَّهِ عَنِ الْكَيْفِ لِلْمُكَيَّفِ بِالْكَيْفِيَّةِ لاَ يَحْمِلُ عَطَايَاهُ إِلاَّ مَطَايَاهُ وَلَمَّا لَمْ يَطَّلِعِ الْأَشْعَرِيُّ عَلَى حَقِيقَةِ فِعْلِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ قَالَ بِحُدُوثِ التَّكْوِينِ وَحُدُوثِ أَفْعَالِهِ تَعَالَى وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ هَذِهِ الْحَادِثَاتِ آثَارُ فِعْلِهِ تَعَالَى الْأَزَلِيِّ لاَ نَفْسُ أَفْعَالِهِ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا أَثْبَتَهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ مِنْ تَجَلِّي الْأَفْعَالِ حَيْثُ لَمْ يُرَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ فِي مِرْآةِ أَفْعَالِ الْمُمْكِنَاتِ غَيْرُ فِعْلِ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَذَلِكَ التَّجَلِّي فِي الْحَقِيقَةِ تَجَلِّي آثَارِ فِعْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ تَجَلِّي فِعْلِهِ تَعَالَى فَإِنَّ فِعْلَهُ تَعَالَى الَّذِي هُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْمِثَالِ وَالْكَيْفِ وَقَدِيمٌ وَقَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى وَيُقَالُ لَهُ التَّكْوِينُ لاَ تَسَعُهُ مَرَايَا الْمُحْدَثَاتِ وَلاَ ظُهُورَ لَهُ فِي مَظَاهِرِ الْمُمْكِنَاتِ شِعْرٌ:

درتنگنای صورت معنی چگونه گنجد * در کلبهء گدایان سلطان چه کاردارد**

وَتَجَلِّي الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ بِدُونِ تَجَلِّي الذَّاتِ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ عِنْدَ الْفَقِيرِ فَإِنَّهُ لاَ انْفِكَاكَ لِلْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ عَنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ أَصْلاً حَتَّى يُتَصَوَّرَ تَجَلِّيهَا بِدُونِ تَجَلِّي الذَّاتِ وَمَا هُوَ مُنْفَكٌّ عَنِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ ظِلاَلُ الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ فَيَكُونُ تَجَلِّي ذَلِكَ الْمُنْفَكِّ تَجَلِّيَ ظِلاَلِ الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ لاَ تَجَلِّيَ الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ هَذَا الْكَمَالَ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَلْنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الْكَلاَمِ وَنَقُولُ: إِنَّهُ تَعَالَى لاَ يَحِلُّ فِي شَيْءٍ وَلاَ يَحِلُّ فِيهِ شَيْءٌ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ وَلَهُ سُبْحَانَهُ قُرْبٌ مِنْهَا وَمَعِيَّةٌ بِهَا وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْإِحَاطَةُ وَالْقُرْبُ وَالْمَعِيَّةُ الَّتِي نُدْرِكُهَا بِأَفْهَامِنَا الْقَاصِرَةِ فَإِنَّهَا لاَ تَلِيقُ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَكُلُّ شَيْءٍ يُدْرَكُ بِالْكَشْفِ وَالشُّهُودِ فَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا، فَإِنَّهُ لاَ نَصِيبَ لِلْمُمْكِنِ مِنْ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ تَعَالَى غَيْرَ الْجَهْلِ وَالْحَيْرَةِ يَنْبَغِي الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ وَنَفْيُ مَا يَكُونُ مُنْكَشِفًا وَمَشْهُودًا بِكَلِمَةِ لاَ، شِعْرٌ:

هَيْهَاتَ عَنْقَاءُ أَنْ يَصْطَادَهُ أَحَدٌ * فَدَعْ عَنَاكَ وَكُنْ مِنْ ذَاكَ فِي دَعَةٍ**

وَبَيْتُ مَثْنَوِيِّ حَضْرَةِ شَيْخِنَا مُنَاسِبٌ لِهَذَا الْمَقَامِ حَيْثُ قَالَ (شِعْرٌ):

وَذَا إِيوَانُ الْإِسْتِغْنَاءِ عَالٍ * فَإِيَّاكُمْ وَطَمَعًا فِي الْوِصَالِ**

فَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ وَقَرِيبٌ مِنْهَا وَأَنَّهُ مَعَهَا وَلَكِنْ لاَ نَعْرِفُ مَعْنَى إِحَاطَتِهِ وَقُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ "إِنَّهُ مَا هُوَ". وَالْقَوْلُ بِالْإِحَاطَةِ وَالْمَعِيَّةِ الْعِلْمِيَّيْنِ مِنْ تَأْوِيلاَتِ الْمُتَشَابِهِ وَنَحْنُ لَسْنَا بِقَائِلِينَ بِتَأْوِيلِهِ وَإِنَّهُ تَعَالَى

لاَ يَتَّحِدُ بِشَيْءٍ أَصْلاً وَلاَ يَتَّحِدُ بِهِ شَيْءٌ أَصْلاً وَمَا يُفْهَمُ مِنْ عِبَارَاتِ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ مِنْ مَعْنَى الْإِتِّحَادِ فَهُوَ خِلاَفُ مُرَادِهِمْ لِأَنَّ مُرَادَهُمْ بِهَذَا الْكَلاَمِ الْمُوهِمِ لِلاتِّحَادِ أَعْنِي قَوْلَهُمْ إِذَا تَمَّ الْفَقْرُ فَهُوَ اللَّهُ هُوَ أَنَّ الْفَقْرَ إِذَا تَمَّ وَحَصَلَ الْإِضْمِحْلاَلُ الصِّرْفُ وَالطَّمْسُ الْمَحْضُ لاَ يَبْقَى إِلاَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاَ أَنَّ ذَلِكَ الْفَقِيرَ يَتَّحِدُ بِاللَّهِ وَيَصِيرُ إِلَهًا فَإِنَّهُ كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ تَعَالَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَتَوَهَّمُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. (قَالَ) حَضْرَةُ شَيْخِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ : لَيْسَ مَعْنَى عِبَارَةِ أَنَا الْحَقُّ بِأَنِّي حَقٌّ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَا مَعْدُومٌ وَالْمَوْجُودُ هُوَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَلاَ سَبِيلَ لِلتَّغَيُّرِ وَالتَّبَدُّلِ إِلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ تَعَالَى فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ يَتَغَيَّرُ بِذَاتِهِ وَلاَ بِصِفَاتِهِ وَلاَ بِأَفْعَالِهِ بِحُدُوثِ الْأَكْوَانِ وَمَا أَثْبَتَهُ الصُّوفِيَّةُ الْوُجُودِيَّةُ مِنَ التَّنَزُّلاَتِ الْخَمْسَةِ فَلَيْسَ هِيَ مِنْ قَبِيلِ التَّبَدُّلِ وَالتَّغَيُّرِ فِي مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِهِ وَإِثْبَاتَهُ كُفْرٌ وَضَلاَلَةٌ بَلِ اعْتَبَرُوا هَذِهِ التَّنَزُّلاَتِ فِي مَرَاتِبِ ظُهُورَاتِ كَمَالِهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ تَعَالَى تَغَيُّرٌ وَتَبَدُّلٌ. وَإِنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ مُطْلَقٌ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ أَصْلاً لاَ فِي ذَاتِهِ وَلاَ فِي صِفَاتِهِ وَلاَ فِي أَفْعَالِهِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَى غَيْرُ مُحْتَاجٍ فِي الْوُجُودِ كَذَلِكَ هُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ فِي الظُّهُورِ وَمَا يُفْهَمُ مِنْ عِبَارَاتِ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى مُحْتَاجٌ إِلَيْنَا[1] فِي ظُهُورِ كَمَالاَتِهِ الْأَسْمَائِيَّةِ وَالصِّفَاتِيَّةِ هَذَا الْكَلاَمُ ثَقِيلٌ عَلَى الْفَقِيرِ جِدًّا وَاعْتِقَادِي أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الْخَلاَئِقِ وَإِيجَادِ الْمَوْجُودَاتِ حُصُولُ الْكَمَالاَتِ لَهُمْ لاَ حُصُولُ كَمَالٍ عَائِدٍ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) أَيْ لِيَعْرِفُونِ، مُؤَيِّدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى فَالْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ حُصُولُ الْمَعْرِفَةِ لَهُمْ الَّتِي هِيَ كَمَالُهُمْ لاَ أَمْرٌ يَكُونُ عَائِدًا إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَخَلَقْتُ[2] الْخَلْقَ لِأُعْرَفَ" فَالْمُرَادُ هُنَا أَيْضًا مَعْرِفَتُهُمْ لاَ أَنَّهُ يَكُونُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مَعْرُوفًا وَيَحْصُلُ لَهُ الْكَمَالُ بِمَعْرِفَتِهِمْ إِيَّاهُ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَإِنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ وَمُبَرًّا عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ وَسِمَاتِ الْحُدُوثِ وَلَيْسَ بِجِسْمٍ وَلاَ جِسْمَانِيٍّ وَلاَ مَكَانِيٍّ وَلاَ زَمَانِيٍّ وَلَهُ تَعَالَى جَمِيعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ ثَمَانِيَةٌ مِنْهَا وُجُودُهَا زَائِدٌ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَهِيَ الْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْبَصَرُ وَالسَّمْعُ وَالْكَلاَمُ وَالتَّكْوِينُ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الثَّمَانُ مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ لاَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْعِلْمِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ وَفِي الْخَارِجِ عَيْنُهَا كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ وَقَالَ: (شِعْرٌ):

---

[1] قال في اليواقيت والجواهر ذكر الشيخ في الباب التاسع والعشرين ومائتين من الفتوحات انه لا يجوز ان يقال ان الحق تعالى مفتقر في ظهور اسمائه وصفاته الى وجود العالم لان له الغنى على الاطلاق قلت وهذا رد صريح على من نسب الى الشيخ انه يقول ان الحق تعالى مفتقر في ظهور حضرات اسمائه وصفاته الى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه احد انتهى نعم يفهم ما قاله الامام الرابني من اللمعات ويجيب عنه مولينا الجامي في شرحه بنقل من الفصوص فليراجع (القزان رحمة الله عليه)

[2] قوله فخلقت الخلق لاعرف هذا حديث مشهور بين الصوفية ولكنه لم يثبت عند المحدثين وقال على القاري لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون كما فسره ابن عباس رضى الله عنه (القزان رحمة الله عليه)

وَصِفَاتُ حَقٍّ فِي التَّعَقُّلِ غَيْرُ ذَا *** تِ الْحَقِّ لَكِنْ فِي التَّحَقُّقِ عَيْنُهَا

فَإِنَّ هٰذَا فِي الْحَقِيقَةِ نَفْيُ الصِّفَاتِ فَإِنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ مِثْلَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ أَيْضًا قَائِلُونَ بِالتَّغَايُرِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِتِّحَادِ الْخَارِجِيِّ وَلَمْ يُنْكِرُوا التَّغَايُرَ الْعِلْمِيَّ وَلَمْ يَقُولُوا إِنَّ مَفْهُومَ الْعِلْمِ عَيْنُ مَفْهُومِ الذَّاتِ أَوْ عَيْنُ مَفْهُومِ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ بَلْ قَالُوا بِالْعَيْنِيَّةِ بِاعْتِبَارِ الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ فَمَا لَمْ يَعْتَبِرُوا تَغَايُرَ الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ لَا يَخْرُجُونَ مِنْ زُمْرَةِ نُفَاةِ الصِّفَاتِ وَالْقَوْلُ بِالتَّغَايُرِ الْاعْتِبَارِيِّ أَعْنِي بِحَسَبِ الْمَفْهُومِ وَالتَّعَقُّلِ لَا يُجْدِيهِمْ نَفْعًا كَمَا عَرَفْتَ.

وَإِنَّهُ تَعَالَى قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ لَيْسَ لِغَيْرِهِ تَعَالَى قِدَمٌ وَلَا أَزَلِيَّةٌ أَجْمَعَ جَمِيعُ الْمِلِّيِّينَ عَلَى هٰذَا الْحُكْمِ فَمَنْ قَالَ بِقِدَمِ غَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَزَلِيَّتِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَمِنْ هٰذِهِ الْحَيْثِيَّةِ كَفَّرَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللّٰهُ ابْنَ سِينَا وَالْفَارَابِيَّ وَغَيْرَهُمَا فَإِنَّهُمْ قَائِلُونَ بِقِدَمِ الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ وَقِدَمِ الْهَيُولَى وَالصُّورَةِ وَقَالَ أَيْضًا بِقِدَمِ السَّمٰوَاتِ بِمَا فِيهَا وَقَالَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ: إِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِيَ الدِّينِ ابْنَ عَرَبِيٍّ قَائِلٌ بِقِدَمِ أَرْوَاحِ الْكُمَّلِ فَيَنْبَغِي صَرْفُ هٰذَا الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ مَحْمُولًا عَلَى التَّأْوِيلِ لِئَلَّا يَكُونَ مُخَالِفًا لِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْمِلَلِ.

وَإِنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ مُخْتَارٌ مُنَزَّهٌ عَنْ شَائِبَةِ الْإِيجَابِ وَمُبَرًّأ عَنْ مَظِنَّةِ الْإِضْطِرَارِ، وَالْفَلَاسِفَةُ الْحُمَقَاءُ نَفَوُا الْاخْتِيَارَ مِنَ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَأَثْبَتُوا الْإِيجَابَ لَهُ سُبْحَانَهُ زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ الْكَمَالَ فِي الْإِيجَابِ وَهٰؤُلَاءِ السُّفَهَاءُ قَدْ جَعَلُوا الْوَاجِبَ تَعَالَى مُعَطَّلًا وَمُهْمَلًا وَلَمْ يَقُولُوا بِصُدُورِ غَيْرِ مَصْنُوعٍ وَاحِدٍ عَنْ خَالِقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ أَيْضًا صَادِرٌ عِنْدَهُمْ بِالْإِيجَابِ وَنَسَبُوا وُجُودَ الْمُحْدَثَاتِ إِلَى الْعَقْلِ الْفَعَّالِ الَّذِي لَمْ يَثْبُتْ وُجُودُهُ فِي غَيْرِ تَوَهُّمِهِمْ وَلَا شُغْلَ لَهُمْ وَلَا تَعَلُّقَ بِالْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي زَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ أَصْلًا فَيَلْزَمُهُمْ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَلْتَجِئُوا وَقْتَ الْإِضْطِرَارِ إِلَى الْعَقْلِ الْفَعَّالِ وَأَنْ لَا يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَصْلًا فَإِنَّهُ لَا مَدْخَلَ لَهُ تَعَالَى فِي وُجُودِ الْحَوَادِثِ عَلَى زَعْمِهِمْ بَلِ الْقَائِمُ بِإِيجَادِ الْحَوَادِثِ هُوَ الْعَقْلُ الْفَعَّالُ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَرْجِعُوا إِلَى الْعَقْلِ الْفَعَّالِ (وَأَيْضًا) لِأَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لَهُ أَيْضًا فِي دَفْعِ بَلِيَّاتِهِمْ بِزَعْمِهِمْ وَهٰؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ أَسْبَقُ قَدَمًا فِي الْخَبْطِ وَالْبَلَاهَةِ مِنْ جَمِيعِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ فَإِنَّ الْكُفَّارَ يَلْتَجِئُونَ إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ دَفْعَ الْبَلِيَّةِ بِخِلَافِ هٰؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ وَفِيهِمْ شَيْئَانِ زَائِدَانِ عَلَى مَا فِي الْفِرَقِ الضَّالَّةِ أَرْبَابِ الْبَلَاهَةِ أَحَدُهُمَا كُفْرُهُمْ بِالْأَحْكَامِ الْمُنَزَّلَةِ وَإِنْكَارُهُمْ عَلَيْهَا وَمُعَانَدَتُهُمْ وَمُعَادَاتُهُمْ لِلْأَخْبَارِ الْمُرْسَلَةِ وَثَانِيهِمَا تَرْتِيبُ الْمُقَدِّمَاتِ الْفَاسِدَةِ وَتَلْبِيسُ الدَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ الْبَاطِلَةِ فِي إِثْبَاتِ مَقَاصِدِهِمْ وَمَطَالِبِهِمُ الْوَاهِيَةِ وَالْخَبْطُ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُمْ فِي إِثْبَاتِ مَقَاصِدِهِمْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْ سَفِيهٍ أَصْلًا حَيْثُ جَعَلُوا مَدَارَ الْأَمْرِ عَلَى حَرَكَاتِ السَّمٰوَاتِ وَالْكَوَاكِبِ وَأَوْضَاعِهَا مَعَ أَنَّهَا مُتَحَيِّرَاتٌ وَمُضْطَرِبَاتٌ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ عَنْ خَالِقِ السَّمٰوَاتِ وَمُوجِدِ الْكَوَاكِبِ وَمُحَرِّكِهَا وَمُدَبِّرِ أُمُورِهِمْ وَاسْتَبْعَدُوا إِسْنَادَ الْحَوَادِثِ إِلَيْهِ تَعَالَى بِالذَّاتِ وَأَبَوْا عَنْهُ مَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ الْعَقْلِ مَا أَخْذَلَهُمْ وَمَا أَحْرَمَهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ وَأَشَدَّ مِنْهُمْ سَفَهًا وَأَكْثَرَ حَمَاقَةً مَنْ يَزْعُمُهُمْ أَذْكِيَاءَ وَأَرْبَابَ فَطَانَةٍ وَمِنْ عُلُومِهِمُ الْمُنْتَظِمَةِ عِلْمُ الْهَنْدَسَةِ وَهُوَ لَا يُغْنِي شَيْئًا وَلَا طَائِلَ فِيهِ أَصْلًا فِي أَيِّ شَيْءٍ يَلْزَمُ وَمَاذَا

يُفِيدُ مُسَاوَاتُ الزَّوَايَا الثَّلَاثِ الْقَائِمَةِ مِنَ الشَّكْلِ الْمُثَلَّثِ وَأَيُّ غَرَضٍ مَرْبُوطٍ بِالشَّكْلِ الْعُرُوسِيِّ وَالشَّكْلِ الْمَأْمُونِيِّ اللَّذَيْنِ هُمَا بِمَثَابَةِ أَرْوَاحِهِمْ، وَعِلْمُ الطِّبِّ وَعِلْمُ النُّجُومِ وَعِلْمُ تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ عُلُومِهِمْ كُلٌّ مِنْهَا مَسْرُوقٌ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَوَّجُوا بِهَا أَبَاطِيلَهُمْ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي الْمُنْقِذِ عَنِ الضَّلَالِ وَلَا ضَرَرَ أَنْ غَلَطَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ لِأَنَّ مَدَارَ أَمْرِهِمْ عَلَى مُتَابَعَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنَّمَا يُورِدُونَ الْبَرَاهِينَ وَالدَّلَائِلَ فِي إِثْبَاتِ مَطَالِبِهِمُ الْعَالِيَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّعِ وَإِلَّا يَكْفِيهِمْ تَقْلِيدُهُمْ إِيَّاهُمْ وَهَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ أَخْرَجُوا رِقَابَهُمْ عَنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ وَصَارُوا فِي صَدَدِ الْإِثْبَاتِ بِالدَّلَائِلِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وَلَمَّا وَصَلَتْ دَعْوَةُ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَفْلَاطُونَ وَكَانَ هُوَ أَكْبَرُ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ قَالَ نَحْنُ قَوْمٌ مُهَذَّبُونَ[1] لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَنْ يَهْدِينَا مَا أَسْفَهَهُ وَمَا أَشْقَاهُ حَيْثُ أَدْرَكَ شَخْصًا يُحْيِي الْأَمْوَاتَ وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ كُلُّ ذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ طَوْرِ حِكْمَتِهِمْ وَمَعَ ذَلِكَ أَجَابَهُ بِهَذَا الْجَوَابِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَتِهِ وَتَفَطُّنِ أَحْوَالِهِ وَمُلَاحَظَةِ سِيرَتِهِ وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِ الْعِنَادِ وَالسَّفَاهَةِ،

شِعْرٌ

الْفَلْسَفَةُ سَفَهٌ أَكْثَرُهَا وَكَذَا *** مَجْمُوعُهَا إِذْ لِكُلِّ حُكْمِ أَكْثَرُهُ

نَجَّانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ظُلُمَاتِ مُعْتَقَدَاتِهِمُ السُّوءِ وَقَدْ أَتَمَّ وَلَدِي مُحَمَّدٌ مَعْصُومٌ مَبْحَثَ الْجَوَاهِرِ مِنْ شَرْحِ الْمَوَاقِفِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَاتَّضَحَ قَبَائِحُ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ فِي أَثْنَاءِ دَرْسِهِ وَتَرَتَّبَتْ عَلَى ذَلِكَ فَوَائِدُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ. وَعِبَارَاتُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ قُدِّسَ سِرُّهُ أَيْضًا نَاظِرَةٌ إِلَى الْإِيجَابِ وَلَهُ مُوَافَقَةٌ لِلْفَلَاسِفَةِ فِي مَعْنَى الْقُدْرَةِ حَيْثُ لَا يُجَوِّزُ صِحَّةَ التَّرْكِ لِلْقَادِرِ الْمُخْتَارِ بَلْ يَعْتَقِدُ لُزُومَ جَانِبِ الْفِعْلِ وَالْعَجَبُ أَنَّ الشَّيْخَ يُرَى فِي النَّظَرِ يَعْنِي نَظَرَ الْكَشْفِ مِنَ الْمَقْبُولِينَ، وَأَكْثَرُ عُلُومِهِ الَّتِي تُخَالِفُ آرَاءَ أَهْلِ الْحَقِّ تَظْهَرُ خَطَأً غَيْرَ صَوَابٍ وَلَعَلَّهُ كَانَ مَعْذُورًا فِي الْخَطَإِ الْكَشْفِيِّ وَارْتَفَعَتْ عَنْهُ الْمَلَامَةُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْخَطَإِ الْإِجْتِهَادِيِّ وَهَذَا اعْتِقَادٌ خَاصٌّ بِالْفَقِيرِ فِي حَقِّ الشَّيْخِ اعْتَقَدَهُ مِنَ الْمَقْبُولِينَ وَأَرَى عُلُومَهُ الْمُخَالِفَةَ خَطَأً وَمُضِرَّةً. وَقَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَطْعَنُونَ فِي الشَّيْخِ يُخَطِّئُونَهُ فِي جَمِيعِ عُلُومِهِ، وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَخْتَارُونَ تَقْلِيدَ الشَّيْخِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِي جَمِيعِ عُلُومِهِ وَيُثْبِتُونَ حَقِّيَّتَهَا بِالدَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ وَلَا شَكَّ أَنَّ كِلَا هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ اخْتَارُوا جَانِبَ التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ فِي حَقِّهِ وَفَارَقُوا تَوَسُّطَ الْأَحْوَالِ وَبَعُدُوا عَنْهُ كَيْفَ يُرَدُّ الشَّيْخُ الَّذِي هُوَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْمَقْبُولِينَ بِسَبَبِ الْخَطَإِ الْكَشْفِيِّ وَكَيْفَ تُقْبَلُ عُلُومُهُ الْبَعِيدَةُ عَنِ الصَّوَابِ الْمُخَالِفَةُ لِآرَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ فَالْحَقُّ هُوَ التَّوَسُّطُ الَّذِي وَفَّقَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ نَعَمْ إِنَّ الْجَمَّ الْغَفِيرَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ

[1] روى مهذبون ويهدينا

مشاركون للشيخ في مسألة وحدة الوجود وإن كان للشيخ في هذه المسألة طرز خاص أيضا ولكنهم يشاركونه في أصل الكلام وهذه المسألة وإن كانت أيضا مخالفة لمعتقدات أهل الحق ولكنها قابلة للتوجيه وصالحة للجمع بها وقد طبق هذا الفقير بعناية الله تعالى في شرح رباعيات حضرة شيخنا هذه المسألة على معتقدات أهل الحق وجمع بينهما وأعاد نزاع الفريقين إلى اللفظ وحل شكوك الطرفين وشبهاتهما على نهج لم يبق فيها محل ريب واشتباه أصلا كما لا يخفى على الناظر فيه.

(ينبغي) أن يعلم أن الممكنات بأسرها جواهرها وأعراضها وأجسامها وعقولها ونفوسها وأفلاكها وعناصرها مستندة إلى إيجاد القادر المختار الذي أخرجها من كتم العدم إلى عرصة الوجود وكما أنها محتاجة إليه تعالى في الوجود كذلك هي محتاجة إليه سبحانه في البقاء أيضا.

وإنما جعل الله سبحانه وجود الأسباب والوسائط نقابا لوجه فعله وجعل الحكمة قبابا لقدرته لا بل جعل الأسباب دلائل لثبوت فعله والحكمة وسيلة إلى وجود قدرته فإن أرباب الفطانة الذين بصائرهم مكتحلة بكحل متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون أن الأسباب والوسائل التي هي محتاجة في الوجود إليه تعالى ولها ثبوت وقيام منه ومعه تعالى وتقدس في الحقيقة جمادات محضة كيف تؤثر في شيء آخر مثلها وتحدثه وتخترعه بل وراء تلك الأسباب قادر يوجد ذلك الشيء ويعطيه الكمالات اللائقة به ألا ترى أن العقلاء إذا رأوا فعلا من جماد محض مثلا ينتقل منه ذهنهم إلى فاعله ومحركه لأنهم يعلمون يقينا أن هذا الفعل ليس في حوصلة حاله بل وراءه فاعل موجد لهذا الفعل فلم يكن فعل الجماد عند العقلاء نقابا لوجه فعل الفاعل الحقيقي بل كان ذلك الفعل نظرا إلى جمادية مصادره دليلا على وجود الفاعل الحقيقي فكذا هذا. نعم إن فعل الجماد نقاب لوجه فعل الفاعل الحقيقي في نظر الأبله حيث يزعم الجماد المحض من كمال غباوته بواسطة صدور ذلك الفعل عنه صاحب قدرة ويكفر بالفاعل الحقيقي يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وهذه المعرفة مقتبسة من مشكاة النبوة لا يدركها فهم كل أحد ولهذا ترى طائفة يعتقدون الكمال في رفع الأسباب ودفعها وينسبون الأشياء إلى الحق سبحانه ابتداء من غير توسط الأسباب ولا يدرون أن رفع الأسباب رفع الحكمة التي في ضمنها مصالح لا تحصى ربنا ما خلقت هذا باطلا كيف والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يراعون الأسباب ومع تلك المراعاة كانوا يفوضون أمورهم إلى الحق سبحانه وتعالى كما قال يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام وصية لبنيه ملاحظا لإصابة العين (يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الآية. ومع وجود هذه المراعاة قال تفويضا أمره إلى الله تعالى (وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) واستصوب سبحانه هذه المعرفة منه واستحسنها ونسبها إلى نفسه حيث قال بعد ذلك (وإنه لذو علم لما علمناه) الآية. وأشار الحق سبحانه في القرآن المجيد فيما خاطب

به نَبِيَّنا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَوَسُّطِ الْأَسْبَابِ وَقَالَ (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّٰهُ وَمَنِ [1]اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

(بَقِيَ) الْكَلَامُ فِي تَأْثِيرِ الْأَسْبَابِ وَيَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ تَأْثِيرًا فِي الْأَسْبَابِ فَتَكُونُ مُؤَثِّرَةً وَيَجُوزُ أَنْ لَا يَخْلُقَ التَّأْثِيرَ فِيهَا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أَثَرٌ أَصْلًا بِالضَّرُورَةِ كَمَا أَنَّا نُشَاهِدُ هَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ بَعْضَ الْأَسْبَابِ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا وُجُودُ الْمُسَبَّبَاتِ أَحْيَانًا وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لَا يَظْهَرُ مِنْهَا أَثَرٌ مَا أَصْلًا فَالْإِنْكَارُ عَلَى تَأْثِيرِ الْأَسْبَابِ مُطْلَقًا مُكَابَرَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ بِالتَّأْثِيرِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ وُجُودَ ذَلِكَ التَّأْثِيرِ كَوُجُودِ نَفْسِ السَّبَبِ بِإِيجَادِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ هَذَا هُوَ رَأْيُ الْفَقِيرِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

(فَلَاحَ) مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالْأَسْبَابِ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِلتَّوَكُّلِ كَمَا ظَنَّ النَّاقِصُونَ بَلْ فِي التَّمَسُّكِ بِالْأَسْبَابِ كَمَالُ التَّوَكُّلِ فَإِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَطْلَقَ التَّوَكُّلَ عَلَى مُرَاعَاةِ الْأَسْبَابِ مَعَ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا حَيْثُ قَالَ: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

وَأَنَّهُ تَعَالَى مُرِيدُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَخَالِقُ كُلٍّ مِنْهُمَا وَلَكِنَّهُ رَاضٍ بِالْخَيْرِ وَغَيْرُ رَاضٍ بِالشَّرِّ وَبَيْنَ الرِّضَا وَالْإِرَادَةِ فَرْقٌ دَقِيقٌ هَدَى اللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَى هَذَا الْفَرْقِ وَبَقِيَ سَائِرُ الْفِرَقِ فِي الضَّلَالَةِ لِعَدَمِ اهْتِدَائِهِمْ إِلَى هَذَا الْفَرْقِ وَمِنْ هَهُنَا قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: إِنَّ الْعَبْدَ خَالِقٌ لِأَفْعَالِهِ وَنَسَبُوا إِيجَادَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَيْهِ وَيُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ وَأَتْبَاعِهِ أَنَّ الْإِيمَانَ مَرْضِيُّ الْإِسْمِ الْهَادِي وَكَذَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَالْكُفْرُ مَرْضِيُّ الْإِسْمِ الْمُضِلِّ وَكَذَا الْمَعَاصِي.

وَهَذَا الْكَلَامُ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ وَفِيهِ مَيْلٌ إِلَى الْإِيجَابِ لِكَوْنِهِ مَنْشَأً لِلرِّضَا كَمَا يُقَالُ: الْإِشْرَاقُ مَرْضِيُّ الشَّمْسِ يَعْنِي لَازِمَهَا. (وَقَدْ أَعْطَى) الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ قُدْرَةً وَإِرَادَةً يَكْتَسِبُونَ بِهِمَا الْأَفْعَالَ بِاخْتِيَارِهِمْ فَخَلْقُ الْأَفْعَالِ مَنْسُوبٌ إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَكَسْبُهَا إِلَى الْعِبَادِ وَعَادَةُ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ جَارِيَةٌ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَصَدَ فِعْلَ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِهِ وَتَشَبَّثَ بِأَسْبَابِهِ يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الْفِعْلِ خَلْقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِذَا كَانَ صُدُورُ الْفِعْلِ مِنَ الْعَبْدِ بِقَصْدِهِ وَاخْتِيَارِهِ يَكُونُ مُتَعَلِّقَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ بِالضَّرُورَةِ وَمَا قِيلَ إِنَّ اخْتِيَارَ الْعَبْدِ ضَعِيفٌ فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِرَادَةِ اللّٰهِ تَعَالَى فَمُسَلَّمٌ وَإِنْ كَانَ أَنَّهُ غَيْرُ كَافٍ فِي أَدَاءِ الْفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ فَغَيْرُ صَحِيحٍ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَا يُكَلِّفُ الْعَبْدَ بِمَا لَيْسَ فِي وُسْعِهِ بَلْ يُرِيدُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ الْعُسْرَ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ حِكْمَةَ الْجَزَاءِ الْمُخَلَّدِ عَلَى الْفِعْلِ الْمُوَقَّتِ مُفَوَّضَةٌ إِلَى تَقْدِيرِ الْحَقِّ وَعِلْمِهِ تَعَالَى وَقَدْ قَالَ فِي حَقِّ الْجَزَاءِ الْمُخَلَّدِ عَلَى الْكُفْرِ الْمُوَقَّتِ (جَزَاءً وِفَاقًا) وَجَعَلَ التَّلَذُّذَاتِ الدَّائِمَةَ مُسَبَّبَةً مِنَ الْإِيمَانِ الْمُوَقَّتِ وَمُتَرَتِّبَةً عَلَيْهِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَلَكِنْ نَعْرِفُ بِتَوْفِيقِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ

---

[1] وهذا على تقدير كون الموصول مرفوعا معطوفا على لفظ الجلالة (القزاني رحمة الله عليه)

اخْتِيارَ الْكُفْرِ بالنِّسبَةِ إلى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى الَّذِي هُوَ مَوْلَى النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَمُوجِدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرضِ وما مِنْ عَظَمَةٍ وَكَمالٍ إلاّ هُوَ ثابتٌ لَهُ تعالى يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جزاءُ ذلكَ الْكُفْرِ مِنْ أَشَدِّ الْعُقُوبَاتِ وَهُوَ الْخُلُودُ في عَذابِ النّارِ

وَكَذلِكَ الْإيمانُ بِالْغَيْبِ بِمِثْلِ هَذَا الْمُنْعِمِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ وَتَصْدِيقُهُ مَعَ وُجُودِ مُزَاحَمَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَمُمانَعَةِ سائِرِ الْأَكْوانِ يَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ جَزَاؤُهُ مِنْ أَفْضَلِ الْجَزاءِ وَهُوَ الْخُلُودُ في التَّنَعُّمَاتِ وَالتَّلَذُّذَاتِ فِي الْجِنَانِ. قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ: إنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ مَرْبُوطٌ في الْحَقِيقَةِ بِفَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِنَّمَا جُعِلَ مَنُوطًا بِالْإيمَانِ بِنَاءً عَلَى أَنْ كُلَّمَا يَكُونُ جَزَاءَ الْأَعْمالِ يَكُونُ أَلَذَّ وَعِنْدَ الْفَقِيرِ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ مَرْبُوطٌ بِالْإيمَانِ وَلَكِنَّ الْإيمَانَ فَضْلٌ مِنَ الْمَنَّانِ وَعَطِيَّةٌ مِنْ ذِي الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَدُخُولَ النَّارِ مَرْبُوطٌ بِالْكُفْرِ وَالْكُفْرُ نَاشٍ مِنْ هَوَى النَّفْسِ وَالطُّغْيَانِ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ.

(يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ) أَنَّ جَعْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَرْبُوطًا بِالْإيمَانِ فِي الْحَقِيقَةِ تَعْظِيمُ الْإيمَانِ بَلْ تَعْظِيمُ الْمُؤْمَنِ بِهِ حَيْثُ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا الْأَجْرِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ وَكَذَلِكَ جَعْلُ دُخُولِ النَّارِ مَرْبُوطًا بِالْكُفْرِ تَحْقِيرٌ لِلْكُفْرِ وَتَنْقِيصٌ لِمَنْ وَقَعَ هَذَا الْكُفْرُ بِالنِّسْبَةِ إلَيْهِ (فَتَرَتَّبَ) مِثْلُ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ الدَّائِمَةِ عَلَيْهِ بِخِلاَفِ مَا قَالَ بِهِ بَعْضُ الْمَشَائِخِ فَإِنَّهُ خَالٍ عَنْ هَذِهِ الدَّقِيقَةِ وَأَيْضًا إنَّ هَذَا الْوَجْهَ لاَ يَتَمَشَّى فِي دُخُولِ النَّارِ الَّذِي هُوَ عَدِيلُهُ فَإِنَّ دُخُولَ النَّارِ فِي الْحَقِيقَةِ مَرْبُوطٌ بِالْكُفْرِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُلْهِمُ لِلصَّوَابِ هَذَا (وَيَرَى) الْمُؤْمِنُونَ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ وَلاَ كَيْفٍ وَلاَ شِبْهٍ وَلاَ مِثَالٍ وَأَنْكَرَ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ الْفِرَقِ مِلِّيُّهُمْ وَغَيْرُ مِلِّيِّهِمْ خَلاَ أَهْلِ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ الرُّؤْيَةَ بِلاَ جِهَةٍ وَلاَ كَيْفٍ حَتَّى إنَّ تُسْحَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنَ عَرَبِيٍّ تَنَزَّلُ الرُّؤْيَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ إِلَى التَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَلاَ يُجَوِّزُ غَيْرَ التَّجَلِّي.

نَقَلَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا يَوْمًا عَنِ الشَّيْخِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ لَوْ لَمْ يُقَيِّدُوا الرُّؤْيَةَ بِمَرْتَبَةِ التَّنْزِيهِ وَقَالُوا بِالتَّشْبِيهِ أَيْضًا وَتَصَوَّرُوا الرُّؤْيَةَ عَيْنَ هَذَا التَّجَلِّي لَمَا أَنْكَرُوا الرُّؤْيَةَ أَصْلاً وَلَمَا اسْتَحَالُوهَا يَعْنِي أَنَّ إِنْكَارَهُمْ عَلَيْهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثِيَّةِ كَوْنِهَا بِلاَ جِهَةٍ وَلاَ كَيْفٍ مِمَّا هُوَ مَخْصُوصٌ بِمَرْتَبَةِ التَّنْزِيهِ بِخِلاَفِ هَذَا التَّجَلِّي فَإِنَّ الْجِهَةَ وَالْكَيْفَ مَلْحُوظَانِ فِيهِ.

(لاَ يَخْفَى) أَنَّ تَنْزِيلَ الرُّؤْيَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ إِلَى التَّجَلِّي الصُّورِيِّ إِنْكَارٌ عَلَيْهَا فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ التَّجَلِّيَ الصُّورِيَّ وَإِنْ كَانَ مُغَايِرًا لِلتَّجَلِّيَاتِ الصُّورِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ لَيْسَ هُوَ رُؤْيَةَ الْحَقِّ تَعَالَى، (نَظْمٌ):

يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ * وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ**

وَبِعْثَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ فَلَوْ لَمْ تَكُنْ وَسَاطَةُ هَؤُلاَءِ الْكُبَرَاءِ مَنْ كَانَ يَدُلُّنَا عَلَى مَعْرِفَةِ ذَاتِ وَاجِبِ الْوُجُودِ وَصِفَاتِهِ؟ وَمَنْ كَانَ يُمَيِّزُ لَنَا مَرْضِيَّاتِ مَوْلاَنَا جَلَّ شَأْنُهُ عَنْ غَيْرِ مَرْضِيَّاتِهِ؟ فَإِنَّ عُقُولَنَا النَّاقِصَةَ بِمَعْزِلٍ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِدُونِ تَأْيِيدِ نُورِ دَعْوَتِهِمْ وَأَفْهَامَنَا الْقَاصِرَةَ مَخْبُولَةٌ فِي هَذِهِ

الْمُعَامَلَة مِنْ غَيْرِ تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ نَعَمْ إِنَّ الْعَقْلَ وَإِنْ كَانَ حُجَّةً وَلَكِنَّهُ غَيْرُ تَامٍّ فِي الْحُجِّيَّةِ وَغَيْرُ بَالِغٍ مَرْتَبَةَ الْبُلُوغِ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ إِنَّمَا هِيَ بِعْثَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْعَذَابُ وَالثَّوَابُ الْأُخْرَوِيَّانِ مَنُوطَانِ بِهَا.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ الْعَذَابُ الدَّائِمِيُّ الْأُخْرَوِيُّ مَنُوطًا بِالْبِعْثَةِ فَبِأَيِّ مَعْنًى تَكُونُ الْبِعْثَةُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؟

(أُجِيبَ) أَنَّ الْبِعْثَةَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِمَعْرِفَةِ ذَاتِ وَاجِبِ الْوُجُودِ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِسَعَادَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ وَبِدَوْلَةِ الْبِعْثَةِ امْتَازَ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى عَمَّا هُوَ غَيْرُ لَائِقٍ بِهِ فَإِنَّ عُقُولَنَا الْعَرْجَى الْعَمْيَى الَّتِي هِيَ مُتَّسِمَةٌ بِسِمَةِ الْإِمْكَانِ وَالْحُدُوثِ كَيْفَ تَعْرِفُ وَكَيْفَ تُدْرِكُ مَا هُوَ مُنَاسِبٌ لِحَضْرَةِ الْوُجُوبِ الَّذِي مِنْ لَوَازِمِهِ الْقِدَمُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَا لَا يُنَاسِبُهُ مِنْهَا حَتَّى يُطْلَقَ عَلَيْهِ ذَاكَ وَيُجْتَنَبَ مِنْ هَذَا بَلْ هُوَ كَثِيرًا مَا يَزْعُمُ مِنْ نَقْصِهِ الْكَمَالَ نُقْصَانًا وَالنَّقْصَ كَمَالًا وَهَذَا التَّمْيِيزُ عِنْدَ الْفَقِيرِ فَوْقَ جَمِيعِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَأَشَدُّ الْمَحْرُومِينَ مِنَ السَّعَادَةِ مَنْ يَنْسُبُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى أُمُورًا غَيْرَ مُنَاسِبَةٍ وَأَشْيَاءَ غَيْرَ لَائِقَةٍ بِهِ تَعَالَى وَالَّذِي مَيَّزَ الْحَقَّ عَنِ الْبَاطِلِ هُوَ الْبِعْثَةُ وَالَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ الْمُسْتَحِقِّ لِلْعِبَادَةِ وَبَيْنَ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ لَهَا هُوَ الْبِعْثَةُ وَبِوَاسِطَتِهَا يُدْعَى الْعِبَادُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا وَبِهَا يَصِلُونَ إِلَى سَعَادَةِ قُرْبِ الْمَوْلَى وَوَصْلِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَبِسَبَبِ الْبِعْثَةِ يَتَيَسَّرُ الْإِطِّلَاعُ عَلَى مَرْضِيَّاتِ الْمَوْلَى جَلَّ شَأْنُهُ كَمَا مَرَّ وَبِهَا يَتَمَيَّزُ جَوَازُ التَّصَرُّفِ فِي مِلْكِهِ تَعَالَى عَنْ عَدَمِ جَوَازِهِ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْفَوَائِدِ فِي الْبِعْثَةِ كَثِيرَةٌ فَتَقَرَّرَ أَنَّ الْبِعْثَةَ رَحْمَةٌ وَمَنْ كَانَ مُنْقَادًا لِلنَّفْسِ وَأَنْكَرَ الْبِعْثَةَ تَبَعًا لِحُكْمِ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمُقْتَضَى حُكْمِ الْبِعْثَةِ فَمَا ذَنْبُ الْبِعْثَةِ فِيهِ وَكَيْفَ لَا تَكُونُ الْبِعْثَةُ رَحْمَةً بِسَبَبِ خِذْلَانِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: سَلَّمْنَا أَنَّ الْعَقْلَ نَاقِصٌ غَيْرُ تَامٍّ فِي حَدِّ ذَاتِهِ فِي حَقِّ مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ جَلَّ شَأْنُهُ وَلَكِنْ لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ لِلْعَقْلِ بَعْدَ حُصُولِ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ لَهُ مُنَاسَبَةٌ وَاتِّصَالٌ بِلَا كَيْفٍ بِمَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَيَأْخُذُ الْأَحْكَامَ مِنْ هُنَاكَ بِتِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ وَالْإِتِّصَالِ فَلَا يَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْبِعْثَةِ الَّتِي هِيَ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ.

(أُجِيبَ) أَنَّ الْعَقْلَ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ تِلْكَ الْمُنَاسَبَةُ وَالْإِتِّصَالُ وَلَكِنْ لَا يَزُولُ عَنْهُ التَّعَلُّقُ بِهَذَا الْجِسْمِ الْهَيُولَانِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ التَّجَرُّدُ التَّامُّ فَتَكُونُ الْقُوَّةُ الْوَهْمِيَّةُ فِي عَقِبِهِ دَائِمًا وَلَا تَتْرُكُ الْقُوَّةُ الْمُتَخَيِّلَةُ ذَيْلَ خَيَالِهِ أَصْلًا وَتَكُونُ الْقُوَّةُ الْغَضَبِيَّةُ وَالشَّهْوِيَّةُ مُصَاحِبَتَيْنِ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ وَتَكُونُ رَذِيلَةُ الْحِرْصِ وَالشَّرَهِ نَدِيمَيْهِ فِي كُلِّ أَوَانٍ وَلَا يَنْفَكُّ عَنْهُ السَّهْوُ وَالنِّسْيَانُ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ لَوَازِمِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ دَائِمًا وَلَا يُفَارِقُهُ الْخَطَأُ وَالْغَلَطُ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ خَوَاصِّ هَذِهِ النَّشْأَةِ أَبَدًا فَلَا يَكُونُ الْعَقْلُ إِذًا حَقِيقًا وَحَرِيًّا بِالْإِعْتِمَادِ وَلَا تَكُونُ الْأَحْكَامُ الْمَأْخُوذَةُ بِوَاسِطَتِهِ مَصُونَةً مِنْ سُلْطَانِ الْوَهْمِ وَتَصَرُّفِ الْخَيَالِ وَلَا مَحْفُوظَةً مِنْ شَائِبَةِ الْخَطَأِ وَمَظِنَّةِ النِّسْيَانِ بِخِلَافِ الْمَلَكِ فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ مُبَرَّأٌ عَنْ هَذِهِ الرَّذَائِلِ فَيَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِلْاعْتِمَادِ وَتَكُونُ الْأَحْكَامُ الْمُتَلَقَّاةُ مِنْهُ مَصُونَةً مِنْ شَائِبَةِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ وَمَظِنَّةِ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ وَقَدْ يُحَسُّ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَنَّ الْأَحْكَامَ الْمَأْخُوذَةَ بِلِقَاءِ الرُّوحَانِيِّينَ وَالْمَعَارِفَ الْمُتَلَقَّاةَ مِنْهُمْ يَنْضَمُّ إِلَيْهَا فِي أَثْنَاءِ تَبْلِيغِهَا بِالْقُوَى

وَالْحَوَاسِّ بَعْضَ الْمُقَدِّمَاتِ الْمُسَلَّمَةِ غَيْرِ الصَّادِقَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ طَرِيقِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ أَوْ غَيْرِهِمَا بِلاَ اخْتِيَارٍ بِحَيْثُ لاَ يُمْكِنُ تَمْيِيزُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَنْ تِلْكَ الأَحْكَامِ وَرُبَّمَا يَحْصُلُ ذَلِكَ التَّمْيِيزُ فِي وَقْتٍ آخَرَ وَرُبَّمَا لاَ يَحْصُلُ فَلاَ جَرَمَ يَعْرِضُ لِهَذِهِ الْعُلُومِ بِوَاسِطَةِ مُخَالَطَةِ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ هَيْئَةُ الْكَذِبِ فَتَخْرُجُ بِهِ عَنْ أَنْ تَكُونَ مُعْتَمَدًا عَلَيْهَا.

(أَوْ نَقُولُ) إِنَّ حُصُولَ التَّزْكِيَةِ وَالتَّصْفِيَةِ مَنُوطٌ بِإِتْيَانِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ مَرْضِيَّاتُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْبِعْثَةِ كَمَا مَرَّ فَلاَ يَتَيَسَّرُ حُصُولُ حَقِيقَةِ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ بِدُونِ الْبِعْثَةِ وَالصَّفَاءُ الْحَاصِلُ لِلْكُفَّارِ وَالْفُسَّاقِ هُوَ صَفَاءُ النَّفْسِ لاَ صَفَاءُ الْقَلْبِ وَصَفَاءُ النَّفْسِ لاَ يَزِيدُ شَيْئًا غَيْرَ الضَّلاَلَةِ وَلاَ يُورِثُ شَيْئًا غَيْرَ الْخَسَارَةِ وَكَشْفُ بَعْضِ الأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّذِي يَحْصُلُ لِلْكُفَّارِ وَالْفُسَّاقِ وَقْتَ صَفَاءِ نُفُوسِهِمْ اسْتِدْرَاجٌ فِي حَقِّهِمْ يُقْصَدُ بِهِ هَلاَكُهُمْ وَخَسَارَتُهُمْ نَجَّانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(وَاتَّضَحَ) مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ أَنَّ التَّكَالِيفَ الشَّرْعِيَّةَ الثَّابِتَةَ مِنْ طَرِيقِ الْبِعْثَةِ أَيْضًا رَحْمَةٌ لاَ كَمَا زَعَمَهُ الْمُنْكِرُونَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَلاَحِدَةِ وَالزَّنَادِقَةِ مِنِ اعْتِقَادِهَا كُلْفَةً وَغَيْرَ مَعْقُولَةٍ حَتَّى قَالُوا: أَيُّ شَفَقَةٍ فِي تَكْلِيفِ الْعِبَادِ بِأُمُورٍ شَاقَّةٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: مَنْ عَمِلَ بِمُقْتَضَى هَذَا التَّكْلِيفِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَمَنِ ارْتَكَبَ خِلاَفَهُ يَدْخُلُ النَّارَ كَيْفَ لاَ يُكَلَّفُونَ بَلْ يُتْرَكُونَ يَأْكُلُونَ وَيَنَامُونَ وَيَمْشُونَ عَلَى طَوْرِ عُقُولِهِمْ وَمُقْتَضَى طَبَائِعِهِمْ أَمَا يَعْلَمُ هَؤُلاَءِ الْخُبَثَاءُ الْخَائِبُونَ أَنَّ شُكْرَ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ عَقْلاً وَهَذِهِ التَّكْلِيفَاتُ الشَّرْعِيَّةُ بَيَانُ كَيْفِيَّةِ أَدَاءِ ذَلِكَ الشُّكْرِ فَيَكُونُ التَّكْلِيفُ وَاجِبًا بِالْعَقْلِ وَأَيْضًا إِنَّ نِظَامَ هَذَا الْعَالَمِ وَانْتِظَامَ أَمْرِهِ مَنُوطٌ بِهَذَا التَّكْلِيفِ فَإِنَّهُ إِذَا تُرِكَ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى طَوْرِهِ وَخُلِّيَ عَلَى طَبْعِهِ لاَ يَظْهَرُ فِيهِ غَيْرُ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَيَعْتَدِي كُلُّ مُهَوَّسٍ عَلَى نَفْسِ الآخَرِ وَمَالِهِ وَيَتَغَلَّبُ عَلَيْهِ بِالْخُبْثِ وَالْفَسَادِ فَيُضَيِّعُ نَفْسَهُ عِنْدَ عَدَمِ الزَّوَاجِرِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَوَانِعِهَا وَيُضَيِّعُ غَيْرَهُ عِيَاذًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ، شِعْرٌ:

لَوْلاَ الأَمِيرُ الَّذِي نَخْشَى بَوَادِرَهُ *** لَقَاءَتِ الزِّنْجُ فِي بُحْبُوحَةِ الْحَرَمِ

(أَوْ نَقُولُ) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَالِكٌ عَلَى الإِطْلاَقِ وَالْعِبَادُ كُلُّهُمْ مَمَالِيكُهُ سُبْحَانَهُ فَكُلُّ حُكْمٍ وَتَصَرُّفٍ يُجْرِيهِ عَلَيْهِمْ فَهُوَ عَيْنُ الْخَيْرِ وَالصَّلاَحِ لَهُمْ وَهُوَ مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ شَائِبَةِ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ فِي ذَلِكَ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ (شِعْرٌ):

مَنْ ذَا الَّذِي فِي فِعْلِهِ يَتَكَلَّمُ *** دُونَ الرِّضَا يَا صَاحِ وَالتَّسْلِيمِ

فَإِنْ أَدْخَلَ الْجَمِيعَ إِلَى النَّارِ وَعَذَّبَهُمْ بِالْعَذَابِ الأَبَدِيِّ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ بِمَحَلِّ الإِعْتِرَاضِ وَلَيْسَ تَصَرُّفًا فِي مُلْكِ الْغَيْرِ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ شَائِبَةُ الْجَوْرِ بِخِلاَفِ تَصَرُّفِنَا فِي أَمْلاَكِنَا الَّتِي كُلُّهَا أَمْلاَكُهُ تَعَالَى فِي الْحَقِيقَةِ. وَجَمِيعُ التَّصَرُّفَاتِ مِنَّا فِيهَا عَيْنُ الظُّلْمِ فَإِنَّ صَاحِبَ الشَّرْعِ إِنَّمَا نَسَبَ هَذِهِ الأَمْلاَكَ إِلَيْنَا بِسَبَبِ

بَعْضِ الْمَصَالِحِ وَإِلاَّ فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَمْلاَكُهُ تَعَالَى فَجَوَازُ تَصَرُّفِنَا فِيهَا مَقْصُورٌ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي جَوَّزَهُ لَنَا الْمَالِكُ عَلَى الإِطْلاَقِ وَأَبَاحَهُ.

(وَجَمِيعُ) مَا أَخْبَرَ بِهِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِإِعْلاَمِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَمَا بَيَّنُوا مِنَ الأَحْكَامِ كُلُّهَا صَادِقَةٌ وَمُطَابِقَةٌ لِلْوَاقِعِ وَإِنْ جَوَّزَ الْعُلَمَاءُ الْخَطَأَ فِي أَحْكَامِهِمُ الإِجْتِهَادِيَّةِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُجَوِّزُوا تَقْرِيرَهُمْ عَلَى الْخَطَأِ بَلْ قَالُوا: إِنَّهُمْ يُنَبَّهُونَ عَلَيْهِ بِلاَ تَأْخِيرٍ فَيَتَدَارَكُونَهُ بِالصَّوَابِ فَلاَ اعْتِدَادَ بِذَلِكَ الْخَطَأِ.

(وَعَذَابُ الْقَبْرِ) لِلْكَافِرِينَ وَلِبَعْضِ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ حَقٌّ قَدْ أَخْبَرَ بِهِ الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ (وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ) لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي الْقَبْرِ أَيْضًا حَقٌّ وَالْقَبْرُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَعَذَابُهُ أَيْضًا مِنْ وَجْهٍ مُنَاسِبٌ لِعَذَابِ الدُّنْيَا فَيَقْبَلُ الإِنْقِطَاعَ وَمِنْ وَجْهٍ مُنَاسِبٌ لِعَذَابِ الآخِرَةِ بَلْ هُوَ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فِي الْحَقِيقَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) نَزَلَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ وَكَذَلِكَ رَاحَةُ الْقَبْرِ لَهَا جِهَتَانِ وَالسَّعِيدُ مَنْ يَغْفِرُ زَلاَّتَهُ وَمَعَاصِيَهُ بِكَمَالِ الْكَرَمِ وَالرَّأْفَةِ وَلاَ يُؤَاخِذُ فَإِنْ يُؤَاخِذْ إِنَّمَا يُؤَاخِذُ بِآلاَمِ الدُّنْيَا وَمِحَنِهَا وَيَكُونُ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ مِنْ كَمَالِ الرَّحْمَةِ فَإِنْ بَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ تُكَفَّرُ بِضَغْطَةِ الْقَبْرِ وَالْمِحَنِ الْمُهَيَّأَةِ لِذَلِكَ الْمَوْطِنِ حَتَّى يُبْعَثَ فِي الْمَحْشَرِ طَاهِرًا وَمُطَهَّرًا وَمَنْ لَمْ يُعَامَلْ بِهِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةَ بَلْ أُخِّرَتْ مُؤَاخَذَتُهُ إِلَى الآخِرَةِ فَهُوَ عَيْنُ الْعَدْلِ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِلْعَاصِينَ وَالْخَاطِئِينَ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَمَآلُهُ إِلَى الرَّحْمَةِ وَمَحْفُوظٌ مِنَ الْعَذَابِ الأَبَدِيِّ وَذَلِكَ أَيْضًا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. (وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ) حَقٌّ وَتَكُونُ السَّمٰوَاتُ وَالْكَوَاكِبُ وَالأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالْبِحَارُ وَالْحَيَوَانَاتُ وَالنَّبَاتَاتُ وَالْمَعَادِنُ مَعْدُومَةً وَمُتَلاَشِيَةً وَيَوْمَئِذٍ تَنْشَقُّ السَّمٰوَاتُ وَتَنْتَثِرُ الْكَوَاكِبُ وَيَكُونُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَهَذَا الإِعْدَامُ وَالإِفْنَاءُ يَتَعَلَّقُ بِالنَّفْخَةِ الأُولَى وَبِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ يَقُومُ الْخَلاَئِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيَذْهَبُونَ إِلَى الْمَحْشَرِ. وَالْفَلاَسِفَةُ لاَيُجَوِّزُونَ إِعْدَامَ السَّمٰوَاتِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْفَنَاءَ وَالْفَسَادَ لَهَا وَيَقُولُونَ بِأَزَلِيَّتِهَا وَأَبَدِيَّتِهَا وَمَعَ ذَلِكَ يَجْعَلُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمُ أَنْفُسَهُمْ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَأْتُونَ بِبَعْضِ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ يَعْنِي يَعْمَلُونَ بِهَا وَالْعَجَبُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَنَّهُ كَيْفَ يُصَدِّقُ مِنْهُمْ هَذَا الْمَعْنَى وَيَعْتَقِدُهُمْ مُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ تَحَاشٍ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ يَعْتَقِدُ إِسْلاَمَ بَعْضٍ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ كَامِلاً وَيَظُنُّ طَعْنَهُمْ وَتَشْنِيعَهُمْ مُنْكَرًا وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُنْكِرُونَ عَلَى النُّصُوصِ الْقَطْعِيَّةِ وَإِجْمَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) وَقَالَ تَعَالَى (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) وَقَالَ تَعَالَى (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا) أَيْ شُقَّتْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَرَّدَ التَّفَوُّهِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ غَيْرُ كَافٍ فِي الإِسْلاَمِ بَلْ لاَ بُدَّ مِنْ تَصْدِيقِ جَمِيعِ مَا عُلِمَ مَجِيئُهُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ وَالتَّبَرِّي مِنَ الْكُفْرِ وَلَوَازِمِهِ أَيْضًا حَتَّى يُتَصَوَّرَ الإِسْلاَمُ وَبِدُونِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ. (وَالصِّرَاطُ) حَقٌّ

وَالْمِيزَانُ حَقٌّ وَالْحِسَابُ حَقٌّ قَدْ أَخْبَرَ بِكُلٍّ مِنْهَا الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَاسْتِبْعَادُ بَعْضِ الْجَاهِلِينَ بِطَوْرِ النُّبُوَّةِ وُجُودَ هَذِهِ الْأُمُورِ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الْإِعْتِبَارِ فَإِنَّ طَوْرَ النُّبُوَّةِ وَرَاءَ طَوْرِ الْعَقْلِ وَتَطْبِيقُ جَمِيعِ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ الصَّادِقَةِ عَلَى نَظَرِ الْعَقْلِ وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا إِنْكَارٌ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى طَوْرِ النُّبُوَّةِ وَالْمُعَامَلَةُ هُنَاكَ إِنَّمَا هِيَ بِالتَّقْلِيدِ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ طَوْرَ النُّبُوَّةِ مُخَالِفٌ لِطَوْرِ الْعَقْلِ بَلْ لَا يَقْدِرُ الْعَقْلُ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى تِلْكَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ بِدُونِ تَأْيِيدِ تَقْلِيدِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُخَالَفَةُ غَيْرُ عَدَمِ الْإِدْرَاكِ فَإِنَّ الْمُخَالَفَةَ إِنَّمَا تُتَصَوَّرُ بَعْدَ الْإِدْرَاكِ.

(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ) مَوْجُودَتَانِ تَدْخُلُ طَائِفَةٌ الْجَنَّةَ بَعْدَ الْمُحَاسَبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَطَائِفَةٌ تَدْخُلُ النَّارَ وَثَوَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعِقَابُ أَهْلِ النَّارِ أَبَدِيَّانِ لَا يَنْقَطِعَانِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ الْقَطْعِيَّةُ الْمُؤَكَّدَةُ قَالَ صَاحِبُ الْفُصُوصِ: مَآلُ الْكُلِّ إِلَى الرَّحْمَةِ إِنَّ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَثَبَتَ الْعَذَابُ لِلْكُفَّارِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَحْقَابٍ وَيَقُولُ ثُمَّ تَصِيرُ النَّارُ فِي حَقِّهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ لِلْخَلِيلِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَجُوزُ الْخُلْفُ فِي وَعِيدِهِ سُبْحَانَهُ وَيَقُولُ: لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ إِلَى خُلُودِ الْكُفَّارِ فِي عَذَابِ النَّارِ وَهُوَ قَدْ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَيْضًا بَعِيدًا عَنِ الصَّوَابِ لَمْ يَدْرِ أَنَّ سَعَةَ الرَّحْمَةِ وَعُمُومَهَا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ مَخْصُوصَةٌ بِالدُّنْيَا وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا تَصِلُ رَائِحَةُ الرَّحْمَةِ إِلَى مَشَامِّ الْكُفَّارِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **(إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)** وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)** **(فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)** وَكَأَنَّ الشَّيْخَ قَرَأَ أَوَّلَ الْآيَةِ وَتَرَكَ آخِرَهَا وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى **(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ)** دَلَالَةٌ عَلَى خُصُوصِيَّةِ عَدَمِ الْجَوَازِ بِخُلْفِ الْوَعْدِ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِقْتِصَارُ هُنَا عَلَى عَدَمِ خُلْفِ الْوَعْدِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْوَعْدِ هُنَا الْوَعْدُ بِتَصَرُّفِ الرُّسُلِ وَتَسَلُّطِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ وَغَلَبَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ جَمِيعًا وَعْدٌ لِلرُّسُلِ وَوَعِيدٌ لِلْكُفَّارِ فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى انْتِفَاءِ خُلْفِ الْوَعْدِ وَخُلْفِ الْوَعِيدِ جَمِيعًا فَالْآيَةُ مُسْتَشْهَدٌ بِهَا عَلَيْهِ لَا لَهُ وَأَيْضًا أَنَّ الْخُلْفَ فِي الْوَعِيدِ كَالْخُلْفِ فِي الْوَعْدِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْكَذِبِ وَمَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ فِي الْأَزَلِ أَنَّهُ لَا يُخَلِّدُ الْكُفَّارَ فِي عَذَابِ النَّارِ وَمَعَ ذَلِكَ أَخْبَرَ بِخِلَافِ عِلْمِهِ رِعَايَةً لِمَصْلَحَةٍ وَقَالَ: أُعَذِّبُهُمْ بِالْعَذَابِ الْمُخَلَّدِ وَفِي تَجْوِيزِ هَذَا الْمَعْنَى شَنَاعَةٌ تَامَّةٌ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. إِجْمَاعُ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ عَلَى عَدَمِ خُلُودِ الْكُفَّارِ فِي عَذَابِ النَّارِ مِنْ كَشْفِيَّاتِ الشَّيْخِ وَمَجَالُ الْخَطَأِ فِي الْكَشْفِ كَثِيرٌ فَلَا اعْتِدَادَ بِهِ مَعَ كَوْنِهِ مُخَالِفًا لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

(وَالْمَلَائِكَةُ) عِبَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَعْصُومُونَ مِنَ الْعِصْيَانِ وَمَحْفُوظُونَ مِنَ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ لَا يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ وَلَا أُنُوثَةٍ فَهُمْ مُبَرَّؤُونَ عَنْهُمَا وَمُنَزَّهُونَ وَتَذْكِيرُ الضَّمَائِرِ الرَّاجِعَةِ إِلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ شَرَفِ صِنْفِ الذُّكُورِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صِنْفِ الْإِنَاثِ كَمَا أَوْرَدَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ الضَّمَائِرَ الرَّاجِعَةَ إِلَى نَفْسِهِ مُذَكَّرَةً وَقَدِ اصْطَفَى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ

بَعْضَهُمْ لِلرِّسَالَةِ كَمَا شَرَّفَ بَعْضَ ٱلإِنْسَانِ بِهٰذِهِ الدَّوْلَةِ اَللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ. وَجُمْهُورُ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ خَوَاصَّ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ خَوَاصِّ الْمَلاَئِكَةِ وَقَالَ ٱلإِمَامُ الْغَزَالِيُّ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَصَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ بِأَفْضَلِيَّةِ خَوَاصِّ الْمَلاَئِكَةِ مِنْ خَوَاصِّ الْبَشَرِ وَمَا ظَهَرَ لِهٰذَا الْفَقِيرِ أَنَّ وَلاَيَةَ الْمَلَكِ أَفْضَلُ مِنْ وَلاَيَةِ ٱلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلٰكِنْ فِي النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ دَرَجَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ لَمْ يَبْلُغْهَا مَلَكٌ قَطُّ وَهٰذِهِ الدَّرَجَةُ نَاشِئَةٌ مِنْ جِهَةِ الْعُنْصُرِ التُّرَابِيِّ الَّذِي هُوَ مَخْصُوصٌ بِالْبَشَرِ وَظَهَرَ أَيْضًا لِهٰذَا الْفَقِيرِ أَنَّ كَمَالاَتِ الْوَلاَيَةِ لاَ اعْتِدَادَ بِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَلَيْسَ لَهَا حُكْمُ الْقَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَالْمَزِيَّةُ النَّاشِئَةُ مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ تَكُونُ زَائِدَةً بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ عَلَى الْمَزِيَّةِ النَّاشِئَةِ مِنْ طَرِيقِ الْوَلاَيَةِ فَالأَفْضَلِيَّةُ عَلَى ٱلإِطْلاَقِ ثَابِتَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْفَضْلُ الْجُزْئِيُّ لِلْمَلاَئِكَةِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فَالصَّوَابُ مَا قَالَهُ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الأَعْلاَمِ شَكَرَ اللّٰهُ سَعْيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ.

(فَلاَحَ) مِنْ هٰذَا التَّحْقِيقِ أَنَّهُ لاَ يَبْلُغُ وَلِيٌّ قَطُّ دَرَجَةَ نَبِيٍّ مِنَ ٱلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ بَلْ يَكُونُ رَأْسُ الْوَلِيِّ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ عَلَى الدَّوَامِ (يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَا مِنْ مَسْأَلَةٍ اخْتَلَفَ فِيهَا الْعُلَمَاءُ وَالصُّوفِيَّةُ إِلاَّ إِذَا لُوحِظَ فِيهَا حَقُّ الْمُلاَحَظَةِ يُوجَدُ الْحَقُّ فِيهَا فِي جَانِبِ الْعُلَمَاءِ وَسِرُّ ذٰلِكَ أَنَّ نَظَرَ الْعُلَمَاءِ بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَةِ ٱلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ نَافِذٌ إِلَى كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَعُلُومِهَا، وَنَظَرُ الصُّوفِيَّةِ مَقْصُورٌ عَلَى كَمَالاَتِ الْوَلاَيَةِ وَمَعَارِفِهَا فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ الْعِلْمُ الْمَأْخُوذُ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ أَصْوَبَ وَأَصَحَّ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْخُوذِ مِنْ مَرْتَبَةِ الْوَلاَيَةِ. وَتَحْقِيقُ بَعْضِ هٰذِهِ الْمَعَارِفِ مُنْدَرِجٌ فِي الْمَكْتُوبِ الْمَسْطُورِ بِاسْمِ وَلَدِي ٱلأَرْشَدِ فَإِنْ بَقِيَ هُنَا شَيْءٌ مِنَ الْخَفَاءِ فَلْيُرَاجَعْ هُنَاكَ. وَٱلإِيمَانُ عِبَارَةٌ عَنْ تَصْدِيقٍ قَلْبِيٍّ بِمَا بَلَغَنَا مِنَ الدِّينِ بِطَرِيقِ الضَّرُورَةِ وَالتَّوَاتُرِ وَقَالُوا: ٱلإِقْرَارُ اللِّسَانِيُّ أَيْضًا رُكْنٌ مِنَ ٱلإِيمَانِ مُحْتَمِلٌ لِلسُّقُوطِ وَعَلاَمَةُ هٰذَا التَّصْدِيقِ التَّبَرِّي مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّجَنُّبُ عَنْ لَوَازِمِهِ وَخَصَائِصِهِ وَكُلَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ الْكُفَّارِ كَشَدِّ الزُّنَّارِ وَأَمْثَالِهِ فَإِنْ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنَ الْكُفْرِ عِيَاذًا بِاللّٰهِ سُبْحَانَهُ مَعَ دَعْوَى التَّصْدِيقِ ظَهَرَ أَنَّهُ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ ٱلإِرْتِدَادِ وَحُكْمُهُ فِي الْحَقِيقَةِ حُكْمُ الْمُنَافِقِ لاَ إِلَى هٰؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هٰؤُلاَءِ فَلاَ بُدَّ إِذًا فِي تَحَقُّقِ ٱلإِيمَانِ مِنَ التَّبَرِّي مِنَ الْكُفْرِ وَأَدْنَى هٰذَا التَّبَرِّي قَلْبِيٌّ وَأَعْلاَهُ التَّبَرِّي بِحَسَبِ الْقَلْبِ وَالْقَالَبِ. وَالتَّبَرِّي عِبَارَةٌ عَنْ مُعَادَاةِ أَعْدَاءِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ سَوَاءٌ كَانَتْ هٰذِهِ الْمُعَادَاةُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ كَمَا إِذَا خِيفَ مِنْ ضَرَرِهِمْ أَوْ بِالْقَلْبِ وَالْقَالَبِ مَعًا إِذَا لَمْ يَكُنْ ضَرَرُ الْخَوْفِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)** مُؤَيِّدٌ لِهٰذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ مَحَبَّةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَحَبَّةَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ تُتَصَوَّرُ بِدُونِ مُعَادَاةِ أَعْدَاءِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ، (ع): **وَلَيْسَ مُحِبِّي مَنْ يُحِبُّ أَعَادِيَا** *

وَإِجْرَاءُ الشِّيعَةِ هٰذِهِ الْقَضِيَّةَ فِي مُوَالاَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَجَعْلُهُمُ التَّبَرِّيَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الثَّلاَثَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ شَرْطًا لَهَا غَيْرُ مُنَاسِبٍ فَإِنَّ التَّبَرِّيَ الَّذِي هُوَ مِنْ شَرْطِ مُوَالاَةِ الأَحْبَابِ هُوَ التَّبَرِّي مِنَ الأَعْدَاءِ لاَ مُطْلَقُ التَّبَرِّي عَمَّنْ سِوَاهُمْ لاَ يُجَوِّزُ عَاقِلٌ مُنْصِفٌ كَوْنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَعْدَاءً فَإِنَّ

هؤُلاءِ الْأَكابرَ بَذَلُوا أَمْوالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِي مَحَبَّتِه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَتَرَكُوا الْجاهَ وَالرِّياسَةَ فَكَيْفَ يَجُوزُ نِسْبَةُ عَداوَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَيْهِمْ وَلُزُومُ مَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْتِه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ثابِتٌ بِالنَّصِّ الْقَطْعِيِّ وَجُعِلَتْ مَحَبَّتُهُمْ أُجْرَةَ الدَّعْوَةِ (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبٰى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنٰى)

وَإِبْراهِيمُ الْخَلِيلُ عَلٰى نَبِيِّنا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إِنَّما نالَ مِنَ الدَّرَجَةِ الْقُصْوٰى وَصارَ أَصْلَ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ بِواسِطَةِ تَبَرِّيه مِنْ أَعْدائِه تَعالٰى قالَ اللّٰهُ تَعالٰى (لَقَدْ كانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَدًا حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ) وَلا عَمَلَ مِنَ الْأَعْمالِ فِي نَظَرِ هٰذَا الْفَقِيرِ أَفْضَلُ مِنْ هٰذَا التَّبَرِّي فِي حُصُولِ رِضَا الْحَقِّ جَلَّ وَعَلا وَإِنَّ لِلْحَقِّ سُبْحانَهُ وَتَعالٰى عَداوَةً ذاتِيَّةً مَعَ الْكُفْرِ وَالْكَفَرَةِ وَالْآلِهَةِ الْباطِلَةِ الْآفاقِيَّةِ مِثْلَ اللّاتِ وَالْعُزّٰى، وَعَبَدَتُها أَعْداءُ الْحَقِّ سُبْحانَهُ بِالذّاتِ وَالْخُلُودُ فِي النّارِ جَزاءُ هٰذَا الْعَمَلِ الشَّنِيعِ وَهٰذِهِ الْحالَةُ مَفْقُودَةٌ فِي الْآلِهَةِ الْباطِلَةِ الْأَنْفُسِيَّةِ وَسائِرِ الْأَعْمالِ السَّيِّئَةِ فَإِنَّ الْعَداوَةَ وَالْغَضَبَ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى هٰذِهِ الْمَذْكُوراتِ لَيْسَتْ بِذاتِيَّةٍ فَإِنْ كانَ هُناكَ غَضَبٌ فَهُوَ راجِعٌ إِلَى الصِّفاتِ وَإِنْ كانَ عِقابٌ أَوْ عِتابٌ فَهُوَ راجِعٌ إِلَى الْأَفْعالِ وَلِهٰذا لَمْ يَكُنِ الْخُلُودُ فِي النّارِ جَزاءَ هٰذِهِ السَّيِّئاتِ بَلْ جَعَلَ الْحَقُّ سُبْحانَهُ مَغْفِرَتَهُمْ مَنُوطَةً بِمَشِيئَتِه.

(يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لَمّا تَحَقَّقَ الْعَداوَةُ الذّاتِيَّةُ فِي حَقِّ الْكُفْرِ وَالْكُفّارِ امْتَنَعَ أَنْ تَشْمَلَ الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ اللَّتانِ هُما مِنْ صِفاتِ الْجَمالِ فِي الْآخِرَةِ الْكُفّارَ وَأَنْ تَرْفَعَ صِفَةُ الرَّحْمَةِ الْعَداوَةَ الذّاتِيَّةَ فَإِنَّ الْمُتَعَلِّقَ بِالذّاتِ أَقْوٰى وَأَرْفَعُ مِمّا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالصِّفَةِ فَمُقْتَضَى الصِّفاتِ لا يَقْدِرُ أَنْ يُبَدِّلَ وَيُغَيِّرَ مُقْتَضَى الذّاتِ وَما وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ سَبَقَتْ[1] رَحْمَتِي غَضَبِي فَالْمُرادُ بِالْغَضَبِ فِيه يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْغَضَبَ الصِّفاتِيَّ الَّذِي هُوَ مَقْصُورٌ عَلٰى عُصاةِ الْمُؤْمِنِينَ لا الْغَضَبَ الْمَخْصُوصَ بِالْمُشْرِكِينَ.

(فَإِنْ قِيلَ) إِنَّ لِلْكُفّارِ نَصِيبًا مِنَ الرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيا كَما حَقَّقْتُهُ فِيما سَبَقَ فَكَيْفَ تَكُونُ صِفَةُ الرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيا رافِعَةً لِلْعَداوَةِ الذّاتِيَّةِ؟

(أُجِيبُ) أَنَّ حُصُولَ الرَّحْمَةِ لِلْكافِرِينَ فِي الدُّنْيا إِنَّما هُوَ بِاعْتِبارِ الظّاهِرِ وَالصُّورَةِ وَأَمّا فِي الْحَقِيقَةِ فَهُوَ اسْتِدْراجٌ وَمَكِيدَةٌ فِي حَقِّهِمْ وَقَوْلُهُ تَعالٰى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّ ما نُمِدُّهُمْ بِه مِنْ مالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ) وَقَوْلُهُ تَعالٰى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شاهِدٌ لِهٰذَا الْمَعْنٰى فَلْيُفْهَمْ.

---

[1] رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه

(**فائدة جليلة**) إنّ عذاب النّار الأبديّ جزاء الكفر. فإنْ قيل: إنّ شخصًا مع وجود الإيمان يجري رسوم الكفر ويعظّم مراسم أهل الكفر ويحكم العلماء بكفره ويعدّونه من أهل الإرتداد بفعله كما أنّ أكثر مسلمي الهنود مبتلون بهذه البليّة فيلزم أنْ يكون الشّخص معذّبًا في الآخرة بالعذاب الأبديّ بمقتضى فتوى العلماء والحال أنّه قد ورد في الأخبار الصّحاح أنّ من كان في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان يخرج من النّيران ولا يخلّد في العذاب فما تحقيق هذه المسألة عندك؟ (**أقول**) إنْ كان كافرًا محضًا فنصيبه العذاب المخلّد أعاذنا الله سبحانه منه وإنْ كان فيه مقدار ذرّة من الإيمان مع وجود إتيان مراسم الكفر يعذّب في النّار ولكنّ المرجوّ خلاصه من الخلود في النّار ببركة تلك الذرّة من الإيمان ونجاته من دوام الإستقرار في عذاب النّيران وقد ذهبت مرّة لعيادة شخص قد قرب من الإحتضار ولمّا كنت متوجّهًا إلى حاله رأيت قلبه في ظلمات شديدة وكلّما كنت متوجّهًا لرفع تلك الظّلمات لم ترتفع فعلم بعد توجّه كثير أنّ تلك الظّلمات ناشئة من صفة الكفر الّتي هي مكنونة فيه ومنشأ تلك الكدورات هو موالاته أهل الكفر وبان لي أنّه لا ينبغي التّوجّه لدفع تلك الظّلمات فإنّ تنقيته منها مربوطة بعذاب النّار الّذي هو جزاء الكفر. وعلم أيضًا أنّ فيه مقدار ذرّة من الإيمان وأنّه يتخلّص من الخلود في عذاب النّيران ببركة ذلك المقدار من الايمان ولمّا شاهدت فيه هذا الحال وقع في خاطري أنّه هل يجوز أنْ يصلّى عليه أو لا؟

فظهر بعد التّوجّه أنّه ينبغي أنْ يصلّى عليه فالمسلمون الّذين يجرون رسوم أهل الكفر مع وجود الإيمان ويعظّمون أيّامهم ينبغي أنْ يصلّى عليهم ولا ينبغي إلحاقهم بالكفّار كما هو عمل اليوم وينبغي أنْ يرجى نجاتهم من العذاب الأبديّ آخر الأمر فعلم ممّا ذكرنا أنّه لا عفو عن أهل الكفر ولا مغفرة لهم (**إنّ الله لا يغفر أنْ يشرك به**) فإنْ كان كافرًا صرفًا فجزاء كفره العذاب الأبديّ وإنْ كان فيه مع فجوره مقدار ذرّة من الإيمان أيضًا فجزاؤه العذاب الموقّت وفي سائر الكبائر إنْ شاء الله تعالى غفره وإنْ شاء عذّبه وعند الفقير أنّ عذاب النّار مخصوص بالكفر وصفات الكفر سواء كان ذلك العذاب موقّتًا أو مخلّدًا أو مؤبّدًا كما سيجيء تحقيقه. وأمّا أهل الكبائر الّذين لم يوفّقوا للتّوبة فيغفر بها ذنوبهم ولم ينالوا الشّفاعة ومجرّد العفو والإحسان ولم تكفّر كبائرهم أيضًا بآلام الدّنيويّة ومحنها أو بشدائد سكرات الموت فالمرجوّ أنْ يكتفى في تعذيب طائفة منهم بعذاب القبر وفي أخرى منهم مع وجود محن القبر بأهوال يوم القيامة وشدائدها وأنْ لا تبقى ذنوبهم حتّى يحتاج إلى عذاب النّار وقوله تعالى (**الّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن**) الآية، **مؤيّد لهذا المعنى فإنّ المراد بالظّلم هنا الشّرك والله سبحانه أعلم بحقائق الأمور كلّها.**

(فَإِنْ قِيلَ) قَدْ وَرَدَ الْوَعِيدُ بِعَذَابِ النَّارِ فِي جَزَاءِ بَعْضِ السَّيِّئَاتِ غَيْرِ الْكُفْرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**) وَوَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ مَنْ قَضَى[1] صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا بَقِيَ فِي النَّارِ حُقْبًا فَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ النَّارِ مَخْصُوصًا بِالْكُفَّارِ. (أَقُولُ) أَمَّا وَرَدَ فِي الْقَاتِلِ فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِمُسْتَحِلِّ الْقَتْلِ وَمُسْتَحِلُّ الْقَتْلِ كَافِرٌ كَمَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ وَمَا وَرَدَ فِي السَّيِّئَاتِ غَيْرِ الْكُفْرِ مِنَ الْوَعِيدِ بِعَذَابِ النَّارِ فَلَا تَخْلُوا تِلْكَ السَّيِّئَاتُ مِنْ شَائِبَةِ صِفَةِ الْكُفْرِ مِثْلَ اسْتِخْفَافِ تِلْكَ السَّيِّئَةِ وَاسْتِصْغَارِهَا وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِإِتْيَانِهَا وَاسْتِحْقَارِ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ وَنَوَاهِيهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ: شَفَاعَتِي[2] لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي. وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: أُمَّتِي[3] أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَا عَذَابَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى (**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ**) الْآيَةَ، مُؤَيِّدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى كَمَا مَرَّ وَأَحْوَالُ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الْجَبَلِ وَمُشْرِكِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ مَسْطُورَةٌ فِي الْمَكْتُوبِ الَّذِي كَتَبْتُهُ لِوَلَدِي مُحَمَّدْ سَعِيدْ بِالتَّفْصِيلِ فَلْيُرَاجَعْ هُنَاكَ. (**وَفِي**) زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَعَدَمِهِمَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ قَالَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِيمَانَ عِبَارَةٌ عَنْ تَصْدِيقٍ وَيَقِينٍ قَلْبِيٍّ وَلَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَالَّذِي يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الظَّنِّ لَا الْيَقِينِ.

(**غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ**) أَنَّ إِتْيَانَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِثُ جَلَاءَ ذَلِكَ الْيَقِينِ وَصَفَاءَهُ وَإِتْيَانَ الْأَعْمَالِ غَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ يُكَدِّرُهُ وَيُظْلِمُ ضِيَاءَهُ فَالزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ بِحَسَبِ إِتْيَانِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَضِدِّهَا رَاجِعَانِ إِلَى جَلَاءِ الْيَقِينِ لَا إِلَى نَفْسِ الْيَقِينِ وَلَمَّا وَجَدَ طَائِفَةٌ جَلَاءً وَصَفَاءً فِي يَقِينِهِمْ قَالُوا بِزِيَادَتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى يَقِينٍ لَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ الْجَلَاءُ وَالصَّفَاءُ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوُا الْيَقِينَ الَّذِي لَا جَلَاءَ فِيهِ يَقِينًا بَلِ اعْتَقَدُوا أَنَّ الْيَقِينَ هُوَ الْيَقِينُ الَّذِي لَهُ جَلَاءٌ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِ فَقَالُوا لِذَلِكَ نَاقِصًا.

(**وَأَمَّا**) الَّذِينَ فِيهِمْ حِدَّةُ النَّظَرِ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ رَاجِعَانِ إِلَى وَصْفِ الْيَقِينِ لَا إِلَى نَفْسِ الْيَقِينِ لَمْ يَقُولُوا بِزِيَادَةِ الْيَقِينِ وَنُقْصَانِهِ بِالضَّرُورَةِ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمِثْلِ الْمِرْآتَيْنِ الْمُسَاوِيَتَيْنِ فِي الصِّغَرِ وَالْكِبَرِ الْمُتَفَاوِتَتَيْنِ بِحَسَبِ الْجَلَاءِ وَالنُّورَانِيَّةِ فَرَآهُمَا شَخْصٌ وَقَالَ لِلَّتِي جَلَاؤُهَا أَكْثَرُ إِنَّهَا أَزْيَدُ وَأَكْبَرُ مِنَ

---

[1] (قوله من قضى صلاة الخ) اى تركها متعمدا ثم قضاها قال مخرجه لم اجد له اصلا لا فى الكتب المعتمدة ولا فى غير المعتمدة وانما اخرجه بعض المتأخرين من المتفقهين فى كتابه. (القزان رحمة الله عليه)

[2] (قوله شفاعتى لاهل الكبائر من امتى) رواه الترمذى وابو داود عن انس وابن ماجه عن جابر رضى الله عنهم (القزان رحمة الله عليه)

[3] (قوله امتى امة مرحومة الحديث) اخرج الخطيب فى المتفق والمفترق وابن النجار عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ امتى امة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة اذا كان يوم القيامة اعطى الله كل رجل من امتى رجلا من اهل الاديان فكان فداؤه من النار (واخرج) دطب ك عن ابى موسى بلفظ امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة انما عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا اه. وفى سند الاول عبد الله بن ضرار عن ابيه قال ابن معين لا يكتب حديثه اه. راموز (القزان رحمة الله عليه)

الأُخْرَى الَّتِي لَيْسَ فِيهَا ذَلِكَ الْجَلاَءُ وَقَالَ شَخْصٌ آخَرُ: الْمِرْآتَانِ مُتَسَاوِيَتَانِ لاَ زِيَادَةَ لِأَحَدِيهِمَا عَلَى الأُخْرَى وَلاَ نُقْصَانَ وَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْجَلاَءِ وَالإِرَاءَةِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ صِفَاتِ الْمِرْآةِ فَنَظَرُ الشَّخْصِ الثَّانِي صَائِبٌ وَنَافِذٌ إِلَى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَنَظَرُ الأَوَّلِ مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهِرِ لَمْ يُجَاوِزْ مِنَ الصِّفَةِ إِلَى الذَّاتِ (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

وَبِهَذَا التَّحْقِيقِ الَّذِي وُفِّقَ هَذَا الْفَقِيرُ لِإِظْهَارِهِ انْدَفَعَ اعْتِرَاضَاتُ الْمُخَالِفِينَ عَلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَلَمْ يَلْزَمْ كَوْنُ إِيمَانِ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ مُمَاثِلاً وَمُسَاوِيًا لِإِيمَانِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ فَإِنَّ إِيمَانَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ لَهُ جَلاَءٌ تَامٌّ وَنُورَانِيَّةٌ وَلَهُ ثَمَرَاتٌ وَنَتَائِجُ زَائِدَةٌ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ عَلَى إِيمَانِ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَكُدُورَاتٌ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ. وَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِزِيَادَةِ إِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْوَزْنِ عَلَى إِيمَانِ هَذِهِ الأُمَّةِ زِيَادَتُهُ بِاعْتِبَارِ الْجَلاَءِ وَالنُّورَانِيَّةِ بِإِرْجَاعِ الزِّيَادَةِ إِلَى الصِّفَةِ الْكَامِلَةِ أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَعَامَّةَ النَّاسِ مُتَسَاوُونَ فِي نَفْسِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالْكُلُّ مُتَّحِدُونَ فِي الْحَقِيقَةِ وَالذَّاتِ. وَالتَّفَاضُلُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ كَامِلَةٌ كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ نَوْعِ الإِنْسَانِ وَمَحْرُومٌ مِنْ فَضَائِلِهِ وَمَعَ وُجُودِ هَذَا التَّفَاوُتِ لَمْ يَتَطَرَّقِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ إِلَى نَفْسِ الإِنْسَانِيَّةِ وَلاَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الإِنْسَانِيَّةَ فِي أَفْرَادِ الإِنْسَانِ قَابِلَةٌ لِلزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُلْهِمُ لِلصَّوَابِ. (وَأَيْضًا) إِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ التَّصْدِيقَ الإِيمَانِيَّ عِنْدَ الْبَعْضِ هُوَ التَّصْدِيقُ الْمَنْطِقِيُّ الَّذِي هُوَ شَامِلٌ لِلظَّنِّ وَالْيَقِينِ فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يُمْكِنُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِي نَفْسِ الإِيمَانِ لَكِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّصْدِيقِ هُنَا الْيَقِينُ وَالإِذْعَانُ الْقَلْبِيُّ لاَ الْمَعْنَى الْعَامُّ الشَّامِلُ لِلظَّنِّ وَالْوَهْمِ. قَالَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ: أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَنِزَاعُهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لَفْظِيٌّ مَذْهَبُ الأَوَّلِ بِاعْتِبَارِ الزَّمَانِ الْحَالِ وَمَذْهَبُ الثَّانِي بِاعْتِبَارِ الْمَآلِ وَعَاقِبَةِ الأَحْوَالِ وَلَكِنَّ التَّحَاشِي مِنْ صُورَةِ الاِسْتِثْنَاءِ أَوْلَى وَأَحْوَطُ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى الْمُنْصِفِ. (وَكَرَامَاتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى حَقٌّ) وَمِنْ كَثْرَةِ وُقُوعِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ مِنْهُمْ صَارَ هَذَا الْمَعْنَى عَادَةً مُسْتَمِرَّةً لَهُمْ وَمُنْكِرُهَا مُنْكِرٌ عَلَى الْعِلْمِ الْعَادِيِّ وَالضَّرُورِيِّ وَلاَ اشْتِبَاهَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُعْجِزَةِ النَّبِيِّ فَإِنَّ مُعْجِزَةَ النَّبِيِّ مَقْرُونَةٌ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ، وَكَرَامَاتُ الْوَلِيِّ خَالِيَةٌ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بَلْ هِيَ مَقْرُونَةٌ بِالإِقْرَارِ وَالاِعْتِرَافِ بِمُتَابَعَةِ نَبِيٍّ فَأَنَّى الاِشْتِبَاهُ بَيْنَهُمَا كَمَا زَعَمَهُ الْمُنْكِرُونَ. (وَتَرْتِيبُ) الأَفْضَلِيَّةِ بَيْنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَلَى تَرْتِيبِ خِلاَفَتِهِمْ وَلَكِنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَمَا نَقَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ الدِّينِ أَحَدُهُمُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: إِنَّ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ عَلَى بَقِيَّةِ الأُمَّةِ قَطْعِيٌّ قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ عَلِيٍّ فِي خِلاَفَتِهِ وَكُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، وَبَيْنَ الْجَمِّ الْغَفِيرِ مِنْ شِيعَتِهِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَلُ الأُمَّةِ. ثُمَّ قَالَ وَرَوَاهُ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ نَفْسًا وَعَدَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ثُمَّ قَالَ: فَقَبَّحَ اللَّهُ الرَّوَافِضَ مَا أَجْهَلَهُمْ وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ ثُمَّ أَنْتَ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَصَحَّحَ الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: أَلاَ وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً يُفَضِّلُونَنِي عَلَيْهِمَا

وَمَنْ وَجَدْتُهُ يُفَضِّلُنِي عَلَيْهِمَا فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ مُتَوَاتِرَةٌ بِحَيْثُ لَا مَجَالَ فِيهَا لِإِنْكَارِ أَحَدٍ حَتَّى قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ أَكَابِرِ الشِّيعَةِ: أُفَضِّلُ الشَّيْخَيْنِ لِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ إِيَّاهُمَا عَلَى نَفْسِهِ وَإِلَّا لَمَا فَضَّلْتُهُمَا كَفَى بِي وِزْرًا أَنْ أُحِبَّهُ ثُمَّ أُخَالِفَهُ كُلُّ ذَلِكَ مُسْتَفَادٌ مِنَ الصَّوَاعِقِ وَأَمَّا تَفْضِيلُ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَكْثَرُ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ بَعْدَ الشَّيْخَيْنِ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْمُجْتَهِدِينَ أَيْضًا هُوَ هَذَا وَالتَّوَقُّفُ الْمَنْقُولُ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي أَفْضَلِيَّةِ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ فَقَدْ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: إِنَّهُ رَجَعَ عَنْ هَذَا التَّوَقُّفِ إِلَى تَفْضِيلِ عُثْمَانَ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهُوَ الْأَصَحُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَذَلِكَ التَّوَقُّفُ الْمَفْهُومُ مِنْ عِبَارَةِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ أَعْنِي قَوْلَهُ: مِنْ عَلَامَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَفْضِيلُ الشَّيْخَيْنِ وَمَحَبَّةُ الْخَتَنَيْنِ وَلِاخْتِيَارِهِ هَذِهِ الْعِبَارَةَ عِنْدَ الْفَقِيرِ مَحْمَلٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ ظُهُورُ الْفِتَنِ وَالْاخْتِلَالِ فِي أُمُورِ النَّاسِ فِي زَمَنِ خِلَافَةِ الْخَتَنَيْنِ وَحُدُوثُ الْكُدُورَاتِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ اخْتَارَ الْإِمَامُ لَفْظَ الْمَحَبَّةِ فِي حَقِّهِمَا مُلَاحِظًا لِهَذَا الْمَعْنَى وَجَعَلَ مَحَبَّتَهُمَا مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلَاحِظَ فِيهَا شَائِبَةَ التَّوَقُّفِ كَيْفَ وَكُتُبُ الْحَنَفِيَّةِ مَشْحُونَةٌ بِأَنَّ أَفْضَلِيَّتَهُمْ عَلَى تَرْتِيبِ خِلَافَتِهِمْ وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ يَقِينِيَّةٌ وَأَفْضَلِيَّةَ عُثْمَانَ دُونَهُمَا وَلَكِنَّ الْأَحْوَطَ أَنْ لَا نُكَفِّرَ مُنْكِرَ أَفْضَلِيَّةِ عُثْمَانَ بَلْ أَفْضَلِيَّةِ الشَّيْخَيْنِ بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ مُبْتَدِعٌ وَضَالٌّ فَإِنَّ لِلْعُلَمَاءِ اخْتِلَافًا فِي تَكْفِيرِهِ وَفِي قَطْعِيَّةِ هَذَا الْإِجْمَاعِ قِيلَ وَقَالَ وَذَلِكَ الْمُنْكِرُ قَرِينُ يَزِيدَ الْخَائِبِ الْمَخْذُولِ وَقَدْ تَوَقَّفُوا فِي لَعْنِهِ احْتِيَاطًا وَالْإِيذَاءُ الَّذِي يُصِيبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِهَةِ إِيذَاءِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَالْإِيذَاءِ الَّذِي أَصَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِهَةِ إِيذَاءِ سِبْطَيْهِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَيُوشِكُ أَنْ يُؤْخَذَ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَا عَدَّهُ مَوْلَانَا سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ فِي شَرْحِ عَقَائِدِ النَّسَفِيِّ إِنْصَافًا فِي هَذِهِ الْأَفْضَلِيَّةِ بَعِيدٌ عَنِ الْإِنْصَافِ وَالتَّرْدِيدُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِيهِ لَا حَاصِلَ فِيهِ لِأَنَّ الْمُقَرَّرَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَفْضَلِيَّةِ هُنَا بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ الثَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لَا الْأَفْضَلِيَّةُ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى كَثْرَةِ ظُهُورِ الْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ فَإِنَّهُ لَا اعْتِبَارَ لَهَا عِنْدَ الْعُقَلَاءِ فَإِنَّ السَّلَفَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ قَدْ نَقَلُوا عَنْ عَلِيٍّ مِنَ الْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ مَا لَمْ يُنْقَلْ مِثْلُهُ عَنْ صَحَابِيٍّ غَيْرِهِ حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: مَا جَاءَ لِأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا جَاءَ لِعَلِيٍّ وَمَعَ ذَلِكَ حَكَمَ هُوَ بِأَفْضَلِيَّةِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثِ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ وَجْهَ الْأَفْضَلِيَّةِ شَيْءٌ آخَرُ وَرَاءَ هَذِهِ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ وَالْإِطِّلَاعُ عَلَيْهَا إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ لِمَنْ أَدْرَكُوا زَمَانَ الْوَحْيِ وَشَاهَدُوهُ حَتَّى عَلِمُوهَا بِالتَّصْرِيحِ أَوْ بِالْقَرَائِنِ وَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمَا قَالَ شَارِحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ إِنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْأَفْضَلِيَّةِ كَثْرَةَ الثَّوَابِ فَلِلتَّوَقُّفِ جِهَةٌ سَاقِطٌ عَنِ الْاعْتِبَارِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلتَّوَقُّفِ مَجَالٌ لَوْ لَمْ يُعْلَمِ الْأَفْضَلِيَّةُ مِنْ قِبَلِ صَاحِبِ الشَّرْعِ صَرَاحَةً أَوْ دَلَالَةً وَحَيْثُ عُلِمَ فَعَلَى مَا يَتَوَقَّفُ وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ فَلَمْ يَحْكُمْ بِالْأَفْضَلِيَّةِ وَالَّذِي يَرَى الْكُلَّ مُتَسَاوِيَةً وَيَزْعَمُ تَفْضِيلَ أَحَدِهِمْ عَلَى الْآخَرِ فُضُولًا فَهُوَ فُضُولِيٌّ أَيُّ فُضُولِيٍّ حَيْثُ يَزْعَمُ إِجْمَاعَ أَهْلِ الْحَقِّ فُضُولًا وَلَعَلَّ لَفْظَ الْفَضْلِ هُوَ الَّذِي أَوْرَدَهُ فِي مَوَارِدِ الْفُضُولِيِّ. (وَمَا قَالَ) صَاحِبُ

الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ إِنَّ سَبَبَ خِلَافَتِهِمْ مُدَّةُ أَعْمَارِهِمْ لَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مُسَاوَاتِهِمْ فِي الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ غَيْرُ أَمْرِ الْأَفْضَلِيَّةِ وَلَوْ سُلِّمَ فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ شَطْحِيَّاتِهِ غَيْرُ لَائِقٍ بِالتَّمَسُّكِ وَأَكْثَرُ كَشْفِيَّاتِهِ الَّتِي تُخَالِفُ عُلُومَ أَهْلِ السُّنَّةِ بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّوَابِ فَلَا يُتَابِعُهَا أَحَدٌ إِلَّا مَرِيضُ الْقَلْبِ أَوْ مُقَلِّدٌ صِرْفٌ. **(وَمَا وَقَعَ)** بَيْنَ الْأَصْحَابِ مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُشَاجَرَاتِ يَجِبُ حَمْلُهَا عَلَى مَحَامِلَ حَسَنَةٍ وَيَنْبَغِي تَبْرِئَتُهُمْ عَنِ الْهَوَى وَالتَّعَصُّبِ قَالَ التَّفْتَازَانِيُّ مَعَ إِفْرَاطِهِ فِي حُبِّ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: وَمَا وَقَعَ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ وَالْمُحَارَبَاتِ لَمْ يَكُنْ عَنْ نِزَاعٍ فِي الْخِلَافَةِ بَلْ عَنْ خَطَإٍ فِي الْاِجْتِهَادِ. وَفِي حَاشِيَةِ الْخَيَالِيِّ عَلَيْهِ: فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَحْزَابَهُ بَغَوْا عَنْ طَاعَتِهِ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَنَّهُ الْأَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ مِنْهُ بِشُبْهَةٍ هِيَ تَرْكُ الْقِصَاصِ عَنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَنُقِلَ فِي حَاشِيَةِ قُرَّةِ كَمَالٍ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا وَلَيْسُوا بِكَفَرَةٍ وَلَا فَسَقَةٍ لِمَا لَهُمْ مِنَ التَّأْوِيلِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَطَأَ الْاِجْتِهَادِيَّ بَعِيدٌ عَنِ الْمَلَامَةِ عَلَيْهِ وَالطَّعْنُ وَالتَّشْنِيعُ مَرْفُوعَانِ عَنْ صَاحِبِهِ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَ جَمِيعَ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ بِالْخَيْرِ مُرَاعَاةً لِحُقُوقِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَأَنْ يُحِبَّهُمْ بِحُبِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ. يَعْنِي أَنَّ الْمَحَبَّةَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِأَصْحَابِي هِيَ عَيْنُ الْمَحَبَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِي وَكَذَلِكَ الْبُغْضُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِمْ عَيْنُ الْبُغْضِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِي وَلَا غَرَضَ لَنَا مِنْ مَحَبَّةِ مُحَارِبِي عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَصْلًا بَلْ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَأَذَّى مِنْهُمْ وَلَكِنْ حَيْثُ كَانُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنَّا مَأْمُورِينَ بِمَحَبَّتِهِمْ وَمَمْنُوعِينَ عَنْ بُغْضِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ فَلَا جَرَمَ نُحِبُّ كُلَّهُمْ بِحُبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْتَرِزُ عَنْ بُغْضِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ لِكَوْنِهِمَا مُنْجَرَّيْنِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ نَقُولُ لِلْمُحِقِّ مُحِقًّا وَلِلْمُبْطِلِ مُبْطِلًا كَانَ عَلِيٌّ عَلَى الْحَقِّ وَمُخَالِفُوهُ عَلَى الْخَطَإِ وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْفُضُولِ وَتَحْقِيقُ هَذَا الْمَبْحَثِ مَذْكُورٌ تَفْصِيلًا فِي الْمَكْتُوبِ الَّذِي كَتَبْتُهُ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ أَشْرَفْ فَإِنْ بَقِيَ هُنَا خَفَاءٌ فَلْيُرَاجِعْ هُنَاكَ **(وَلَا بُدَّ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ)** مِنْ تَعَلُّمِ أَحْكَامِ الْفِقْهِ وَلَا مَنْدُوحَةَ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْمُشْتَبِهِ وَالْمَكْرُوهِ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى هَذَا الْعِلْمِ أَيْضًا ضَرُورِيٌّ يَنْبَغِي أَنْ يَعُدَّ مُطَالَعَةَ كُتُبِ الْفِقْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ وَأَنْ يُرَاعِيَ السَّعْيَ الْبَلِيغَ فِي إِتْيَانِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَلْنُورِدْ هُنَا شَمَّةً مِنْ فَضَائِلِ الصَّلَاةِ وَأَرْكَانِهَا فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ فَيَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا لَا بُدَّ أَوَّلًا مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ وَمِنْ غَسْلِ كُلِّ عُضْوٍ ثَلَاثًا ثَلَاثًا عَلَى وَجْهِ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ لِيَكُونَ مُؤَدًّى عَلَى وَجْهِ السُّنَّةِ وَيَنْبَغِي الْاِسْتِيعَابُ فِي مَسْحِ الرَّأْسِ وَالْاِحْتِيَاطُ فِي مَسْحِ الْأُذُنَيْنِ وَالرَّقَبَةِ وَوَرَدَ[1] تَخْلِيلُ أَصَابِعِ الرِّجْلِ بِخِنْصَرِ يَدِ الْيُسْرَى مِنَ الْأَسْفَلِ فَيَنْبَغِي مُرَاعَاتُهُ أَيْضًا وَلَا يَنْبَغِي الْمُسَاهَلَةُ فِي إِتْيَانِ الْمُسْتَحَبِّ فَإِنَّهُ مَحْبُوبُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَرْضِيُّهُ تَعَالَى فَإِنْ عُلِمَ فِي جَمِيعِ الدُّنْيَا فِعْلٌ وَاحِدٌ مَرْضِيٌّ وَمَحْبُوبٌ عِنْدَ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَتَيَسَّرَ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ يَنْبَغِي أَنْ

---

[1] (قوله و ورد) اى من النبى صلى الله عليه وسلم لكن التخليل بالخنصر فقط اخرج ابن ماجه من حديث مستورد ابن شداد رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل اصابع رجليه بخنصره اه. وورد عن الامام الاعظم رضى الله عنه انه مستحب حتى روى انه قضى صلاة عشرين سنة كان صلاها بترك هذا المستحب (القزانى رحمة الله عليه)

بقيمته وحكمه كحكم جواهر نفيسة اشتراها شخص بقطعات خزف أو روح نالها ببذل جماد لا طائل فيه وبعد الطهور الكامل وإسباغ الوضوء ينبغي قصد الصلاة التي هي معراج المؤمن وينبغي الإهتمام في أداء الفرض مع الجماعة بل ينبغي أن لا يترك التكبيرة مع الإمام وينبغي أيضا أداء الصلاة في الوقت المستحب ومراعاة القدر المسنون في القراءة ولا بد من الطمأنينة في الركوع والسجود فإنها إما فرض أو واجب على القول المختار وينبغي أن يستوي قائما على الكمال في القومة على نهج يرجع كل عضو إلى محله ويستقر في مقره والطمأنينة لازمة أيضا بعد الإستواء قائما فإنها هنا إما فرض أو واجب أو سنة على اختلاف الأقوال وهكذا في الجلسة التي هي بين السجدتين يلزم فيها الطمأنينة بعد الإستقرار كما في القومة وأقل تسبيحات الركوع والسجود ثلاث مرات وأكثرها إلى سبع مرات أو أحد عشر مرة على اختلاف الأقوال وتسبيح الإمام ينبغي أن يكون على قدر حال المقتدين وينبغي أن يستحي الإنسان من اقتصار التسبيحات على أقل مرتبتها في حال الإنفراد ووقت قوة الإستطاعة بل يقول خمسا أو سبعا ووقت قصد السجدة يضع على الأرض أولا ما هو أقرب إلى الأرض فيضع أولا ركبتيه ثم يديه ثم أنفه ثم جبهته وينبغي الإبتداء من اليمين وقت وضع يديه وركبتيه وحين يرفع رأسه من السجدة ينبغي أن يرفع أولا ما هو أقرب إلى السماء فينبغي الإبتداء برفع الجبين وينبغي أن ينظر في القيام إلى موضع سجوده وفي الركوع إلى ظهر قدميه وفي السجود إلى رأس أنفه وفي القعود إلى يديه فإنه إذا نصب البصر على المواضع المذكورة ومنع النظر من التفرقة تتيسر الصلاة بالجمعية ويحصل فيها الخشوع كما هو المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك تفريج الأصابع في الركوع وضمها في السجود سنة فينبغي مراعاتها وتفريج الأصابع وضمها ليسا بلا فائدة بل فيهما فوائد كثيرة أمر الشارع بإتيانهما بملاحظة تلك الفوائد وليس لنا فائدة أصلا تساوي متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والتحية وكل هذه الأحكام مذكورة في كتب الفقه بالتفصيل والإيضاح (والمقصود) هنا الترغيب في الأعمال بمقتضى علم الفقه وفقنا الله سبحانه وإياكم للأعمال الصالحة الموافقة للعلوم الشرعية بعد أن وفقنا لتصحيح العقائد اليقينية بحرمة سيد المرسلين عليه وعليهم وعلى آل كل من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها فإن وجدتم في أنفسكم شوقا إلى فضائل الصلاة والإطلاع على كمالاتها المخصوصة بها ينبغي المراجعة إلى ثلاثة مكاتيب المتصل بعضها ببعض ومطالعتها: الأول مكتوب باسم ولدي محمد صادق والثاني باسم المير محمد نعمان والثالث باسم الشيخ تاج الدين، وبعد تحصيل جناحي الإعتقاد والعمل إذا كان توفيق الحق رفيقا ودليلا ينبغي سلوك طريقة الصوفية العلية لا لغرض تحصيل شيء زائد على ذلك الإعتقاد والعمل ونيل أمر جديد سواهما فإن ذلك من طول الأمل المفضي إلى الزلل بل المقصود منها حصول اليقين والإطمئنان في المعتقدات بحيث لا تزول بتشكيك مشكك ولا تبطل بإيراد شبهة فإن قدم الإستدلال لا ثبات لها ولا قرار لخزف معمول من طين والمستدل ليس له تمكين ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

وحصول اليسر والسهولة في إتيان الأعمال وزوال الكسالة والعناد والتعنت الناشئة من النفس الأمارة وليس المقصود من سلوك طريق الصوفية أيضا مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ومعاينة الألوان والأنوار

اللاكيفية فإن ذلك داخل في اللهو واللعب وأي نقصان في الأنوار والصور الحسيتين حتى يتركها شخص ويتمنى الصور والأنوار الغيبتين بارتكاب الرياضات والمجاهدات فإن هذه الصور والأنوار وتلك الصور والألوان كلها مخلوقة الحق جل وعلا ومن الآيات الدالة على وجوده تعالى. واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب لأن هؤلاء الأكابر قد التزموا متابعة السنة السنية واجتناب البدعة الشنيعة ولهذا تراهم يفرحون ويستبشرون إذا كان فيهم دولة المتابعة وإن لم يكن لهم شيء من الأحوال ومتى أحسوا فتورا في المتابعة مع وجود الأحوال لا يقبلون تلك الأحوال ولا يبغونها ومن ههنا لم يجوزوا الرقص والسماع ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه كنت يوما في مجلس الطعام مع حضرة شيخنا فقال الشيخ كمال الذي هو من مخلصي حضرة شيخنا بسم الله الرحمن الرحيم جهرا حين شرع في الأكل فلم يناسب ذلك منه لحضرة شيخنا حتى قال بالزجر البليغ امنعوه لا يحضر مجلس طعامنا. وسمعت حضرة شيخنا يقول: إن الخواجة النقشبند قدس سره جمع علماء بخارا وجاء بهم إلى خانقاه شيخه الأمير كلال ليمنعوهم من ذكر الجهر. فقال العلماء للأمير: إن ذكر الجهر بدعة فلا تفعلوه فقال في جوابهم: لا أفعل فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر فماذا نقول في السماع والرقص والوجد والتواجد والأحوال والمواجيد التي تترتب على أسباب غير مشروعة فهي من قبيل الإستدراجات عند الفقير فإن الأحوال والأذواق قد تحصل لأهل الإستدراج أيضا ويظهر لهم في مرايا صورة العالم كشف التوحيد والمكاشفة والمعاينة وفلاسفة اليونان وجوكية الهنود وبراهمتهم شركاء في تلك الأمور وعلامة صدق الأحوال موافقتها للعلوم الشرعية مع الإجتناب من ارتكاب الأمور المحرمة والمشتبهة. واعلم أن الرقص والسماع داخل في الحقيقة في اللهو واللعب وقوله تعالى **(ومن الناس من يشتري لهو الحديث)** الآية، نازل في شأن المنع عن الغناء كما قال مجاهد الذي هو تلميذ ابن عباس ومن كبار التابعين أن المراد بلهو الحديث الغناء في المدارك لهو الحديث السمر والغناء وكان ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يحلفان أنه الغناء، وقال مجاهد في قوله تعالى: **والذين لا يشهدون الزور**[1] أي: لا يحضرون الغناء وحكي عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي[2] من قال لمقرئي زماننا: أحسنت عند قراءته يكفر وبانت منه امرأته وأحبط الله كل حسناته وحكي عن أبي نصر الدبوسي عن القاضي ظهير

---

(١) الآية: ٧٢ من سورة الفرقان.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (أبو منصور) متكلم، أصولي، من أهم مصنفاته: شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبو حنيفة، تأويلات أهل السنة، بيان وهم المعتزلة، تأويلات القرآن، مأخذ الشرائع في أصول الفقه. توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا ٤٣، مفتاح السعادة لطاش كوبرى زادة ٢/٢١، معجم المؤلفين لكحالة ٣/٦٩٢.

الدِّينِ الْخَوَارَزْمِي[١]: مَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ مِنَ الْمُغَنِّي وَغَيْرِهِ أَوْ يَرَى فِعْلاً مِنَ الْحَرَامِ فَيَحْسُنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادٍ أَوْ بِغَيْرِ اعْتِقَادٍ يَصِيرُ مُرْتَدًّا فِي الْحَالِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ أَبْطَلَ حُكْمَ الشَّرِيعَةِ وَمَنْ أَبْطَلَ حُكْمَ الشَّرِيعَةِ فَلاَ يَكُونُ مُؤْمِنًا عِنْدَ كُلِّ مُجْتَهِدٍ وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ طَاعَتَهُ وَأَحْبَطَ اللهُ كُلَّ حَسَنَاتِهِ أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ وَالرِّوَايَاتُ الْفِقْهِيَّةُ فِي حُرْمَةِ الْغِنَاءِ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى حَدٍّ يَتَعَذَّرُ إِحْصَاؤُهَا وَمَعَ هَذِهِ كُلِّهَا لَوْ أَوْرَدَ شَخْصٌ حَدِيثًا مَنْسُوخًا أَوْ رِوَايَةً شَاذَّةً فِي إِبَاحَةِ الْغِنَاءِ لاَ يَنْبَغِي اعْتِبَارُهُ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَمْ يُفْتِ فَقِيهٌ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ بِإِبَاحَةِ الْغِنَاءِ وَلَمْ يُجَوِّزِ الرَّقْصَ وَالضَّرْبَ بِالأَرْجُلِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مُلْتَقَطِ الإِمَامِ الْهُمَامِ ضِيَاءِ الدِّينِ الشَّامِي.

وَعَمَلُ الصُّوفِيَّةِ لَيْسَ بِسَنَدٍ فِي الْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ أَمَا يَكْفِيهِمْ أَنْ نَعْذُرَهُمْ وَلاَ نَلُومَهُمْ وَنُفَوِّضَ أَمْرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالْمُعْتَبَرُ هُنَا قَوْلُ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ وَالإِمَامِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُمُ اللهُ لاَ عَمَلُ الشِّبْلِي وَأَبِي الْحُسَيْنِ النُّورِي وَقَدْ جَعَلَتِ الصُّوفِيَّةُ الْقَاصِرُونَ الْيَوْمَ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ دِينَهُمْ وَمِلَّتَهُمْ مُسْتَنِدِينَ إِلَى عَمَلِ مَشَائِخِهِمْ وَاتَّخَذُوهُ طَاعَتَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا. وَقَدْ عُلِمَ مِنَ الرِّوَايَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ مَنِ اسْتَحْسَنَ الْفِعْلَ الْحَرَامَ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَصَارَ مُرْتَدًّا فَيَنْبَغِي التَّأَمُّلُ مَاذَا يَكُونُ شَنَاعَةُ تَعْظِيمِ مَجْلِسِ السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ بَلِ اتِّخَاذُهُ طَاعَةً وَعِبَادَةً وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ لَمْ يَبْتَلِ مَشَائِخُنَا بِهَذَا الأَمْرِ وَخَلَّصُوا أَمْثَالَنَا الْمُقَلِّدِينَ مِنْ تَقْلِيدِ هَذَا الأَمْرِ وَقَدْ نَسْمَعُ أَنَّ الْمَخَادِيمَ يَمِيلُونَ إِلَى السَّمَاعِ وَيَعْقِدُونَ مَجْلِسَ السَّمَاعِ وَقِرَاءَةَ الْقَصَائِدِ فِي لَيَالِي الْجُمُعَةِ وَأَكْثَرُ الأَصْحَابِ يُوَافِقُونَهُمْ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ وَالْعَجَبُ أَلْفُ عَجَبٍ أَنَّ مُرِيدِي السَّلاَسِلِ الأُخَرِ إِنَّمَا يَرْتَكِبُونَ هَذَا الأَمْرَ مُسْتَنِدِينَ إِلَى عَمَلِ مَشَائِخِهِمْ وَيَدْفَعُونَ الْحُرْمَةَ الشَّرْعِيَّةَ بِعَمَلِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مُحِقِّينَ فِي هَذَا الأَمْرِ فِي الْحَقِيقَةِ وَمَا مَعْذِرَةُ أَصْحَابِنَا فِي ارْتِكَابِ هَذَا الأَمْرِ وَفِيهِ ارْتِكَابُ الْحُرْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ طَرَفٍ وَارْتِكَابُ مُخَالَفَةِ مَشَائِخِ طَرِيقِهِمْ مِنْ طَرَفٍ آخَرَ فَلاَ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ رَاضُونَ عَنْ هَذَا الْفِعْلِ وَلاَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ارْتِكَابُ الْحُرْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ لَكَانَ مُجَرَّدُ إِحْدَاثِ أَمْرٍ فِي الطَّرِيقَةِ شَنِيعًا فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ مَعَهُ ارْتِكَابُ الْحُرْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ. وَالْيَقِينُ أَنَّ جَنَابَ الْمِيرْزَا جيو لاَ يَرْضَى بِهَذَا الأَمْرِ وَلَكِنْ لاَ يُصَرِّحُ بِالْمَنْعِ أَيْضًا رِعَايَةً لِلأَدَبِ مَعَكُمْ وَلاَ يَنْهَى الأَصْحَابَ عَنْ هَذَا الاِجْتِمَاعِ أَيْضًا وَالْفَقِيرُ لَمَّا أَحْسَسْتُ تَوَقُّفًا فِي مَجِيئِي كَتَبْتُ هَذِهِ الْفِقَرَاتِ وَأَرْسَلْتُهَا إِلَيْكُمْ فَيَنْبَغِي قِرَاءَتُهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا عِنْدَ الْمِيرْزَا جيو وَالسَّلاَمُ.

---

(١) هو محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان، العباسي، الخوارزمي، الشافعي (ظهير الدين، أبو محمد) فقيه، محدث، مؤرخ، صوفي، واعظ، سمع وحدث ووعظ بالمدرسة النظامية، ثم رجع إلى بلده، وتوفي بها سنة ٥٦٨ ه تقريبا، من أهم مؤلفاته: الكافي في الفقه، وتاريخ خوارزم في ثمانية أجزاء. انظر: هدية العارفين للبغدادي ٢/٤٠٣، معجم المؤلفين لكحالة ٣/٨٢٩.

(٢٦٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ فِي بَيَانِ أَنَّ الْأَسْرَارَ وَالدَّقَائِقَ الَّتِي امْتَازَ بِهَا لَا يُمْكِنُ إِظْهَارُ نُبْذَةٍ مِنْهَا بَلْ لَا يُمْكِنُ التَّكَلُّمُ عَنْهَا بِالرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ وَأَنَّهَا مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ وَيَشْتَرِكُ فِيهَا الْمَلَأُ الْأَعْلَى أَيْضًا وَمَا يُنَاسِبُهُ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيُعْلَمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا بِاسْمِ هَذَا الْحَقِيرِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ قَدْ وَصَلَتْ وَتَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَتِهَا جَزَاكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنْ إِنْعَامَاتِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَكَيْفَ أُؤَدِّي شُكْرَهَا وَمَا يُفَاضُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ يَكْتُبُ أَكْثَرَهَا وَيُحَرِّرُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُوصِلُ إِلَى سَمْعِ أَهْلِهَا وَلَكِنَّ الْأَسْرَارَ وَالدَّقَائِقَ الَّتِي كُنْتُ مُمْتَازًا بِهَا فَلَا يُمْكِنُ إِيرَادُ نُبْذَةٍ مِنْهَا فِي عَرْصَةِ الظُّهُورِ بَلْ لَا يُمْكِنُ التَّكَلُّمُ مِنْ تِلْكَ الْمَقُولَةِ بِالرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ حَتَّى أَنَّهُ لَا يُورَدُ رَمْزٌ مِنْ هَذِهِ الْأَسْرَارِ وَالدَّقَائِقِ بَيْنِي وَبَيْنَ وَلَدِي الْأَعَزِّ الَّذِي هُوَ مَجْمُوعَةُ مَعَارِفِي وَنُسْخَةُ مَقَامَاتِ السُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ بَلِ احْتَهَدْتُ فِي سَتْرِهَا مِنْهُ بِالشُّحِّ التَّامِّ مَعَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ مَحَارِمِ الْأَسْرَارِ وَمَحْفُوظٌ مِنَ الْغَلَطِ وَالْخَطَإِ وَلَكِنْ مَاذَا أَصْنَعُ بِأَخْذِ دِقَّةِ الْمَعَانِي بِاللِّسَانِ يَعْنِي تَمْنَعُهُ وَيُرْتَبَطُ مِنْ لَطَافَةِ الْأَسْرَارِ الشَّفَتَانِ فَعِنْدَ الْوَقْتِ تَكْرَارُ بِضِيقِ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْأَسْرَارُ مِنْ قَبِيلِ مَا لَا يَنْبَغِي إِيرَادُهَا فِي الْبَيْنِ بَلْ لَا يَسَعُهَا نِطَاقُ الْبَيَانِ،

شِعْرٌ: خَلِيلِي مَا هَذَا بِهَزْلٍ وَإِنَّمَا *** عَجِيبُ الْأَحَادِيثِ غَرِيبُ الْبَدَائِعِ

وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ الَّتِي نَحْنُ نَجْتَهِدُ فِي سَتْرِهَا مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمَلَأُ الْأَعْلَى شُرَكَاءُ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ وَكُلُّ مَنْ يَتَشَرَّفُ بِهَا مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَخَذْتُ[1] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ" يَعْنِي مِنَ الْعِلْمِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَقَدْ بَثَثْتُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ وَذَلِكَ الْعِلْمُ الْآخَرُ هُوَ عِلْمُ الْأَسْرَارِ وَلَا يُدْرِكُهُ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢).

ثُمَّ الْمَعْرُوضُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبْتُهُ إِلَى أَوْلَادِ شَيْخِنَا يَنْبَغِي أَنْ تُطَالِعَهُ. (**أَيُّهَا الْمَخْدُومُ**) الْمُكَرَّمُ إِنَّ إِحْدَاثَ شَيْءٍ فِي الطَّرِيقَةِ لَيْسَ هُوَ عِنْدَ الْفَقِيرِ بِأَقَلَّ مِنْ إِحْدَاثِ بِدْعَةٍ فِي الدِّينِ، وَبَرَكَاتُ الطَّرِيقَةِ إِنَّمَا تُفَاضُ وَتَعُودُ عَلَى أَهْلِهَا مَا لَمْ يَحْدُثْ فِيهَا مُحْدَثٌ فَإِذَا حَدَثَ فِيهِ مُحْدَثٌ يَنْسَدُّ طَرِيقُ الْفُيُوضِ وَالْبَرَكَاتِ فَحِفْظُ الطَّرِيقَةِ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ وَالْإِجْتِنَابُ عَنْ مُخَالَفَةِ الطَّرِيقَةِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فَكُلُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتَ فِيهِ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ يَنْبَغِي زَجْرُهُ وَمَنْعُهُ بِالْمُبَالَغَةِ وَالْإِجْتِهَادُ فِي تَرْوِيجِ الطَّرِيقَةِ وَتَقْوِيَتِهَا وَالسَّلَامُ.

---

[1] رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه (القزان رحمة الله عليه)

(٢) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢٦٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى خَانِ خَانَانْ فِي بَيَانِ الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَبَيَانِ الْمُرَادِ بِالْعُلَمَاءِ فِي حَدِيثِ "عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" وَأَنَّ الْعِلْمَ الْمَوْرُوثَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ هُوَ الْأَسْرَارَ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الْأَوْلِيَاءُ مِنَ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَالْإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ وَمَا يُشَاكِلُهَا بَلْ غَيْرُهَا

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَبَعْدُ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِهِ الْحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجِبَةٌ لِلْحَمْدِ وَالْمَسْئُولُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ سَلَامَتُكُمْ وَعَافِيَتُكُمْ وَثَبَاتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ. وَلَمَّا كَانَ مَبْحَثُ عِلْمِ الْوِرَاثَةِ فِي الْبَيْنِ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ كَلِمَاتٍ مِنْ تِلْكَ الْمَقُولَةِ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَى الْوَقْتِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ "الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ".

وَالْعِلْمُ الَّذِي بَقِيَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نَوْعَانِ عِلْمُ الْأَحْكَامِ وَعِلْمُ الْأَسْرَارِ فَالْعَالِمُ الْوَارِثُ مَنْ يَكُونُ لَهُ سَهْمٌ مِنْ نَوْعَيِ الْعِلْمِ لَا مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلْوِرَاثَةِ فَإِنَّ الْوَارِثَ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ تَرِكَةِ الْمُوَرِّثِ لَا مِنْ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ وَالَّذِي لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْبَعْضِ الْمُعَيَّنِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْغُرَمَاءِ حَيْثُ يَتَعَلَّقُ نَصِيبُهُ بِجِنْسِ حَقِّهِ وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ". وَالْمُرَادُ بِالْعُلَمَاءِ هُنَا عُلَمَاءُ الْوِرَاثَةِ لَا الْغُرَمَاءُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ مِنْ بَعْضِ التَّرِكَةِ فَإِنَّ الْوَارِثَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: إِنَّهُ كَالْمُوَرِّثِ بِوَاسِطَةِ الْقُرْبِ وَالْجِنْسِيَّةِ بِخِلَافِ الْغَرِيمِ فَإِنَّهُ خَالٍ عَنْ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَارِثًا لَا يَكُونُ عَالِمًا إِلَّا أَنْ نُقَيِّدَ عِلْمَهُ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ وَنَقُولَ إِنَّهُ عَالِمٌ بِعِلْمِ الْأَحْكَامِ مَثَلًا وَالْعَالِمُ الْمُطْلَقُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ وَارِثًا وَيَكُونُ لَهُ حَظٌّ وَافِرٌ وَنَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ كِلَا نَوْعَيِ الْعِلْمِ. وَقَدْ زَعَمَ الْأَكْثَرُونَ أَنَّ عِلْمَ الْأَسْرَارِ عِبَارَةٌ عَنْ عُلُومِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَشُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَمُشَاهَدَةِ الْكَثْرَةِ فِي الْوَحْدَةِ وَأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ مَعَارِفِ الْإِحَاطَةِ وَسَرَيَانِ وُجُودِهِ تَعَالَى وَقُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّهْجِ الَّذِي صَارَتْ مُنْكَشِفَةً وَمَشْهُودَةً لِأَرْبَابِ الْأَحْوَالِ حَاشَا وَكَلَّا ثُمَّ حَاشَا وَكَلَّا مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ مِنْ عِلْمِ الْأَسْرَارِ وَلَائِقَةً بِمَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّ مَبْنَى تِلْكَ الْمَعَارِفِ السُّكْرُ وَغَلَبَةُ الْحَالِ الَّتِي هِيَ مُنَافِيَةٌ لِلصَّحْوِ وَعِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلُّهُ سَوَاءٌ كَانَ عِلْمَ الْأَحْكَامِ أَوْ عِلْمَ الْأَسْرَارِ نَاشٍ مِنْ غَايَةِ الصَّحْوِ الَّذِي مَا امْتَزَجَتْ فِيهِ ذَرَّةٌ مِنَ السُّكْرِ بَلْ هَذِهِ الْمَعَارِفُ مُنَاسِبَةٌ لِمَقَامِ الْوِلَايَةِ الَّتِي لَهَا قَدَمٌ رَاسِخٌ فِي السُّكْرِ فَتَكُونُ هَذِهِ الْعُلُومُ مِنْ أَسْرَارِ الْوِلَايَةِ لَا مِنْ أَسْرَارِ النُّبُوَّةِ. وَالْوِلَايَةُ وَإِنْ كَانَتْ هِيَ أَيْضًا ثَابِتَةً وَلَكِنَّ أَحْكَامَهَا مَغْلُوبَةٌ وَفِي جَنْبِ أَحْكَامِ النُّبُوَّةِ مُتَلَاشِيَةٌ وَمُضْمَحِلَّةٌ، شِعْرٌ:

وَمَتَى بَدَتْ أَنْوَارُ بَدْرٍ فِي الدُّجَا *** مَا لِلسُّهَى مِنْ حِيلَةٍ سِوَى الْإِخْتِفَا

وَقَدْ كَتَبْتُ فِي كُتُبِي وَرَسَائِلِي وَحَقَّقْتُ أَنَّ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ لَهَا حُكْمُ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَكَمَالَاتُ الْوِلَايَةِ فِي جَنْبِهَا قَطْرَةٌ مُحَقَّرَةٌ وَلَكِنْ مَاذَا نَفْعَلُ وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ عَدَمِ إِدْرَاكِهِمْ لِكَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ: إِنَّ

الْوِلَايَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَقَالَ طَائِفَةٌ أُخْرَى فِي تَوْجِيهِ هَذَا الْكَلَامِ إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّ وِلَايَةَ نَبِيٍّ أَفْضَلُ مِنْ نُبُوَّتِهِ وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ حَكَمُوا عَلَى الْغَائِبِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِحَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْحُكْمُ بِتَرْجِيحِ السُّكْرِ عَلَى الصَّحْوِ فَإِنْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ الصَّحْوِ لَعَرَفُوا أَنَّ السُّكْرَ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى الصَّحْوِ أَصْلًا، (ع): فَمَا نِسْبَةُ الْفَرْشِيِّ بِالْعَرْشِيِّ *

وَكَأَنَّهُمْ شَبَّهُوا صَحْوَ الْخَوَاصِّ بِصَحْوِ الْعَوَامِّ وَزَعَمُوا وُجُودَ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَهُمَا فَرَجَّحُوا السُّكْرَ عَلَيْهِ وَلَيْتَهُمْ إِذْ زَعَمُوا وُجُودَ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ صَحْوِ الْخَوَاصِّ وَصَحْوِ الْعَوَامِّ لَمْ يَجْتَرِئُوا عَلَى هَذَا الْحُكْمِ فَإِنَّ مِنَ الْمُقَرَّرِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ أَنَّ الصَّحْوَ أَفْضَلُ مِنَ السُّكْرِ مُطْلَقًا وَهَذَا الْحُكْمُ دَائِمِيٌّ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ كَانَ السُّكْرُ وَالصَّحْوُ مَجَازِيَّيْنِ أَوْ حَقِيقِيَّيْنِ وَتَفْضِيلُ الْوِلَايَةِ عَلَى النُّبُوَّةِ وَتَرْجِيحُ السُّكْرِ عَلَى الصَّحْوِ شَبِيهٌ بِتَرْجِيحِ الْكُفْرِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَفْضِيلِ الْجَهْلِ عَلَى الْعِلْمِ فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الْوِلَايَةِ وَكُلًّا مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ مُنَاسِبٌ لِمَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجُ، شِعْرٌ:

كَفَرْتُ بِدِينِ اللَّهِ وَالْكُفْرُ وَاجِبٌ *** لَدَيَّ وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ قَبِيحٌ

وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَاذَ مِنَ الْكُفْرِ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَكَمَا أَنَّ الْإِسْلَامَ فِي عَالَمِ الْمَجَازِ أَفْضَلُ مِنَ الْكُفْرِ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْكُفْرِ فَإِنَّ الْمَجَازَ قَنْطَرَةُ الْحَقِيقَةِ. فَإِنْ قِيلَ: كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ وَالسُّكْرَ وَالْجَهْلَ ثَابِتٌ فِي مَرْتَبَةِ الْجَمْعِ مِنْ مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ كَذَلِكَ الْإِسْلَامُ وَالصَّحْوُ وَالْمَعْرِفَةُ مُتَحَقِّقٌ فِي مَرْتَبَةِ الْفَرْقِ بَعْدَ الْجَمْعِ مِنْهَا فَكَيْفَ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِمُنَاسَبَةِ الْكُفْرِ وَالسُّكْرِ وَالْجَهْلِ فَقَطْ لِمَقَامِ الْوِلَايَةِ. (أَقُولُ) إِنَّ إِثْبَاتَ الصَّحْوِ وَأَمْثَالِهِ فِي مَرْتَبَةِ الْفَرْقِ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْجَمْعِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ السُّكْرِ وَالْمَحْوِ وَإِلَّا فَصَحْوُ مَرْتَبَةِ الْفَرْقِ أَيْضًا مُمْتَزِجٌ بِالسُّكْرِ وَإِسْلَامُهَا مُخْتَلِطٌ بِالْكُفْرِ وَمَعْرِفَتُهَا مَشُوبَةٌ بِالْجَهْلِ فَلَوْ وَجَدْتُ مَجَالًا لِلْكِتَابَةِ لَذَكَرْتُ أَحْوَالَ مَقَامِ الْفَرْقِ وَمَعَارِفَهُ بِالتَّفْصِيلِ وَبَيَّنْتُ امْتِزَاجَ السُّكْرِ وَأَمْثَالِهِ فِيهَا بِالصَّحْوِ وَأَمْثَالِهِ وَلَعَلَّ أَرْبَابَ الْفَطَانَةِ يَجِدُونَ هَذَا الْمَعْنَى بِالتَّفَرُّسِ أَيْضًا وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا نَالُوا مَا نَالُوا مِنْ هَذِهِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالَةِ كُلِّهَا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ لَا مِنْ طَرِيقِ الْوِلَايَةِ، (وَغَايَةُ) شَأْنِ الْوِلَايَةِ إِنَّمَا هِيَ الْخَادِمِيَّةُ لِلنُّبُوَّةِ فَلَوْ كَانَتْ لِلْوِلَايَةِ مَزِيَّةٌ عَلَى النُّبُوَّةِ لَكَانَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ وِلَايَتُهُمْ أَكْمَلُ مِنْ سَائِرِ الْوِلَايَاتِ أَفْضَلَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَمَّا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِأَفْضَلِيَّةِ الْوِلَايَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَرَأَوْا وِلَايَةَ الْمَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى أَفْضَلَ مِنْ وِلَايَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالُوا بِالضَّرُورَةِ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفَارَقُوا فِي ذَلِكَ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ لِعَدَمِ الْإِطِّلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَلَمَّا كَانَتْ كَمَالَاتُ النُّبُوَّةِ حَقِيرَةً فِي نَظَرِ النَّاسِ فِي جَنْبِ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ بِوَاسِطَةِ بُعْدِ عَهْدِ النُّبُوَّةِ بَسَطْنَا الْكَلَامَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالضَّرُورَةِ وَكَشَفْنَا شَمَّةً مِنْ حَقِيقَةِ الْمُعَامَلَةِ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا

فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. وَحَيْثُ كَانَ أَخِي الْأَرْشَدُ الشَّيْخُ مِيَانْ دَاوُدُ مِنَ الْمُتَرَدِّدِينَ فِي تِلْكَ الْحُدُودِ كَانَ بَاعِثًا عَلَى هَذَا التَّصْدِيعِ.

(٢٦٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مُرْتَضَى خَانْ فِي التَّرْغِيبِ فِي إِيصَالِ الْإِهَانَةِ إِلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَتَخْرِيبِ الْهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ وَتَوْهِينِهَا وَإِظْهَارِ تَمَنِّيهِ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الْقَدْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى. اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ تَمَنِّيَ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَتَمَنِّي هَذَا الْفَقِيرِ الشَّدِيدُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَأَعْدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَإِيصَالُ الْإِهَانَةِ لِهَؤُلَاءِ الْخَائِبِينَ وَاحْتِقَارُ الْهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنْ لَا عَمَلَ أَرْضَى عِنْدَ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا مِنْ هَذَا الْعَمَلِ وَلِهَذَا أُرَغِّبُكُمْ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْمَرْضِيِّ مُكَرَّرًا وَأَرَى إِتْيَانَ هَذَا الْعَمَلِ مِنْ أَهَمِّ مُهِمَّاتِ الْإِسْلَامِ وَحَيْثُ وُفِّقْتُ لِلتَّشْرِيفِ هُنَاكَ وَتَعَيَّنْتُ لِتَحْقِيرِ تِلْكَ الْبُقْعَةِ الْكَثِيفَةِ وَإِهَانَةِ أَهْلِهَا يَنْبَغِي أَوَّلًا أَدَاءُ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لِتَعْظِيمِ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَتَوْقِيرِ أَهْلِهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَعَلَى مَا لَمْ يَبْتَلِنَا بِهَذِهِ الْبَلِيَّةِ وَبَعْدَ أَدَاءِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى يَنْبَغِي تَقْدِيمُ السَّعْيِ الْبَلِيغِ فِي تَحْقِيرِ هَؤُلَاءِ الْخَائِبِينَ الْخَاسِرِينَ وَتَوْهِينِ الْهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ وَالْاِجْتِهَادُ فِي تَخْرِيبِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ سِرًّا وَجَهْرًا مَهْمَا أَمْكَنَ وَتَيَسَّرَ وَإِيصَالُ أَنْوَاعِ الْإِهَانَةِ لَنَا حَتَّى الْأَصْنَامِ الْقَاصِرِينَ وَعَسَى أَنْ يُتَلَافَى وَيُتَدَارَكَ بِهَذَا الْعَمَلِ بَعْضُ الْمُدَاهَنَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي حَقِّهِمْ وَيَكُونَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِتِلْكَ وَيَمْنَعُنِي ضَعْفُ الْبَدَنِ وَشِدَّةُ الْبَرْدِ مِنَ الْوُصُولِ هُنَاكَ وَإِلَّا لَوَصَلْتُ إِلَى خِدْمَتِكُمْ لِلتَّرْغِيبِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَرَمَيْتُ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ بُزَاقًا عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ وَجَعَلْتُهُ رَأْسَ بِضَاعَةِ السَّعَادَةِ وَمَاذَا أُبَالِغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ.

(٢٧٠) اَلْمَكْتُوبُ السَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ نُورِ مُحَمَّدٍ فِي بَيَانِ تَرْجِيحِ بَعْضِ الصُّحْبَةِ عَلَى الْعُزْلَةِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ نَسِيَ أَخِي نُورُ مُحَمَّدٍ النَّائِينَ الْمَهْجُورِينَ عَلَى نَهْجٍ لَا يَذْكُرُهُمْ بِسَلَامٍ وَلَا بِكَلَامٍ وَكَانَ مُتَمَنَّاكُمُ الْعُزْلَةَ وَالْاِنْزِوَاءَ فَقَدْ تَيَسَّرَ ذَلِكَ وَلَكِنْ بَعْضُ الصُّحْبَةِ يُرَجَّحُ وَيُفَضَّلُ عَلَى الْعُزْلَةِ وَكَفَى حَالُ أُوَيْسٍ الْقَرْنِيِّ أَنْ يَكُونَ مِقْيَاسًا حَيْثُ اخْتَارَ الْعُزْلَةَ وَلَمْ يَنَلْ صُحْبَةَ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَمْ يَجِدْ حَظًّا مِنْ كَمَالَاتِ الصُّحْبَةِ وَصَارَ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَأَخَّرَ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى مِنْ دَرَجَاتِ الْخَيْرِ إِلَى الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ طَرْزٌ آخَرُ مِنَ الصُّحْبَةِ بِعِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى

مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

(٢٧١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ حَسَنٍ الْبَرْكِيِّ فِي حَلِّ اسْتِفْسَارِهِ عَنِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي رَآهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِي الْأَعَزِّ الشَّيْخِ حَسَنٍ أَحْسَنَ اللَّهُ حَالَهُ وَبَلَّغَهُ كَمَالَهُ وَاتَّضَحَتِ الْوَاقِعَةُ الْمَسْطُورَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ ظُهُورًا بَيِّنًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا وَأَنْ تَجْتَهِدَ فِي إِتْيَانِ مَا أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهِ بِبَذْلِ الرُّوحِ وَأَنْ لَا تُجَاوِزَ تَجَاوُزَ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَأَنْ تَتَحَلَّى بِمُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْحَقَّةِ (ع) **هَذَا هُوَ الْأَمْرُ وَالْبَاقِي خَيَالَاتٌ** * فَإِنْ أَجَازَ وَالِدُكُمْ وَرَضِيَ الْإِخْوَانُ يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَنَمَ سَيْرُ بِلَادِ الْهِنْدِ وَالسَّلَامُ.

(٢٧٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى السَّيِّدِ مُحِبِّ اللَّهِ الْمَانِكْبُورِيِّ فِي بَيَانِ الْإِيمَانِ الْغَيْبِيِّ وَالْإِيمَانِ الشُّهُودِيِّ وَبَيَانِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَالتَّوْحِيدِ الشُّهُودِيِّ وَأَنَّ الضَّرُورِيَّ فِي تَحَقُّقِ الْفَنَاءِ هُوَ الشُّهُودِيُّ وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ الْوُجُودِيَّ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ لِيَعْلَمِ الْأَخُ الْأَعَزُّ الْمِيرُ مُحِبُّ اللَّهِ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ بِوُجُودِ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَسَائِرِ صِفَاتِهِ نَصِيبُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَصْحَابِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَنَصِيبُ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ ثَبَتَ لَهُمُ الرُّجُوعُ بِالْكُلِّيَّةِ وَنِسْبَتُهُمْ نِسْبَةُ الْأَصْحَابِ وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ قَلِيلِينَ بَلْ أَقَلَّ وَنَصِيبُ الْعُلَمَاءِ وَنَصِيبُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا وَالْإِيمَانُ الشُّهُودِيُّ نَصِيبُ عَامَّةِ الصُّوفِيَّةِ سَوَاءٌ كَانُوا مِنْ أَرْبَابِ الْعُزْلَةِ أَوْ مِنْ أَصْحَابِ الْعِشْرَةِ فَإِنَّ أَصْحَابَ الْعِشْرَةِ وَإِنْ كَانُوا مَرْجُوعِينَ لَكِنَّهُمْ مَا رَجَعُوا بِالْكُلِّيَّةِ بَلْ بَاطِنُهُمْ مُسْتَشْرِفٌ إِلَى الْفَوْقِ وَمُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ دَائِمًا فَهُوَ بِالظَّاهِرِ مَعَ الْخَلْقِ وَبِالْبَاطِنِ مَعَ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ فَالْإِيمَانُ الشُّهُودِيُّ نَصِيبُهُمْ دَائِمًا وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمَّا كَانُوا مَرْجُوعِينَ بِالْكُلِّيَّةِ وَمُتَوَجِّهِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى دَعْوَةِ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا كَانَ الْإِيمَانُ الْغَيْبِيُّ نَصِيبَهُمْ بِالضَّرُورَةِ **وَقَدْ حَقَّقَ هَذَا الْفَقِيرُ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ أَنَّ التَّوَجُّهَ نَحْوَ الْفَوْقِ مَعَ وُجُودِ الرُّجُوعِ مِنْ عَلَامَةِ النَّقْصِ وَعَدَمِ الْوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ الْأَمْرِ وَالرُّجُوعُ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَامَةُ الْوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَاتِ وَالصُّوفِيَّةُ زَعَمُوا أَنَّ الْكَمَالَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ التَّوَجُّهَيْنِ وَعَدُّوا الْجَامِعَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيهِ مِنَ الْكُمَّلِ، (ع) وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ * فَإِذَا فَرَغَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ وَظِيفَةِ**

الدَّعْوَةِ وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ عَالَمِ الْبَقَاءِ وَتَمَّتْ مَصْلَحَةُ الرُّجُوعِ يَكُونُونَ مُتَوَجِّهِينَ بِكُلِّيَّتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ قَائِلِينَ بِتَمَامِ الشَّوْقِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مُتَحَيِّرِينَ فِي مَرَاتِبِ الْقُرْبِ شِعْرٌ:

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا *** وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَالْكَمَالُ عِنْدَ الْفَقِيرِ هُوَ أَنْ تَرْتَفِعَ الْكَثْرَةُ وَقْتَ الْعُرُوجِ عَنِ النَّظَرِ بِالْكُلِّيَّةِ حَتَّى لَا تَكُونَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَيْضًا مَلْحُوظَةً وَلَا يَكُونَ غَيْرُ الْأَحَدِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ مَشْهُودًا ثُمَّ يُعَامِلُ مَعَهُ مَا يُعَامِلُ مَعَهُ وَأَنْ يَقَعَ النَّظَرُ وَقْتَ الرُّجُوعِ إِلَى الْكَثْرَةِ بِالتَّمَامِ وَلَا يَكُونُ مَشْهُودُهُ كَعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ الْخَلْقِ وَلَا يَكُونُ شُغْلُهُ غَيْرَ أَدَاءِ الطَّاعَةِ وَدَعْوَى الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا فَإِذَا تَمَّ أَمْرُ الدَّعْوَةِ وَوَدَّعَ الْعَالَمَ الْفَانِيَ يَتَوَجَّهُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَيُحَوِّلُ رِحْلَهُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَى الشَّهَادَةِ وَيُبَدِّلُ مُعَامَلَةَ الْمُرَاسَلَةِ بِمُعَامَلَةِ الْمُعَانَقَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَلَا يُخَيَّلَنَّ النَّاقِصُ أَنَّ الرُّجُوعَ الْكُلِّيَّ نَقْصٌ وَلَا يَزْعُمَنَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ بِالْبَاطِنِ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا أَفْضَلُ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْخَلْقِ لِدَعْوَتِهِمْ وَتَكْمِيلِهِمْ فَإِنَّ صَاحِبَ الرُّجُوعِ مَا جَاءَ إِلَى مَقَامِ الرُّجُوعِ بِاخْتِيَارِ نَفْسِهِ بَلْ نَزَلَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ بِإِرَادَةِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْهَجْرِ عَنِ الْوُصُولِ فَصَاحِبُ الرُّجُوعِ قَائِمٌ بِمُرَادِ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ وَفَانٍ عَنْ مُرَادِ نَفْسِهِ وَصَاحِبُ التَّوَجُّهِ مَحْفُوظٌ بِالْوَصْلِ وَالشُّهُودِ وَمَسْرُورٌ بِالْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةِ، شِعْرٌ:

إِذَا أَرْضَى مِنًّا قَلْبِي بِعَادِي *** فَهَذَا الْهَجْرُ أَحْظَى مِنْ وِصَالِي

لِأَنِّي فِي الْوِصَالِ عَبِيدُ نَفْسِي *** وَفِي الْهَجْرِ أَنَا مَوْلَى لِلْمَوَالِي

وَشُغْلِي بِالْحَبِيبِ بِكُلِّ حَالٍ *** أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شُغْلِي بِحَالِي

وَفَضَائِلُ الرُّجُوعِ وَكَمَالَاتُهُ كَثِيرَةٌ وَصَاحِبُ التَّوَجُّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صَاحِبِ الرُّجُوعِ قَطْرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَهَذَا الرُّجُوعُ مِنْ فَضَائِلِ النُّبُوَّةِ وَذَاكَ التَّوَجُّهُ مِنْ آثَارِ الْوِلَايَةِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُ هَذَا الْكَمَالَ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَقَالَ بَعْضُ الْجَامِعِينَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيهِ إِنَّ الْإِيمَانَ بِالتَّنْزِيهِ حَاصِلٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَارِفُ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ بِالتَّشْبِيهِ وَيَرَى الْخَلْقَ ظُهُورَ الْخَالِقِ وَالْكَثْرَةَ كِسْوَةَ الْوَحْدَةِ وَيُطَالِعُ الصَّانِعَ فِي صُنْعِهِ وَبِالْجُمْلَةِ إِنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى التَّنْزِيهِ الصِّرْفِ نَقْصٌ عِنْدَهُمْ وَشُهُودَ الْوَحْدَةِ بِلَا مُلَاحَظَةِ الْكَثْرَةِ عَيْبٌ وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ يَعُدُّونَ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْأَحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ نَاقِصِينَ وَيَظُنُّونَ مُلَاحَظَةَ الْوَحْدَةِ بِلَا مُطَالَعَةِ الْكَثْرَةِ تَحْدِيدًا وَتَقْيِيدًا سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَمَا دَرَوْا أَنَّ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلَّهَا إِلَى تَنْزِيهٍ صِرْفٍ وَالْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ نَاطِقَةٌ بِالْإِيمَانِ التَّنْزِيهِيِّ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنْفُونَ الْآلِهَةَ الْبَاطِلَةَ الْآفَاقِيَّةَ وَالْأَنْفُسِيَّةَ وَيَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَى إِبْطَالِهَا وَيَدُلُّونَ عَلَى وَحْدَةِ وَاجِبِ الْوُجُودِ الْمُنَزَّهِ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ هَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَنَّ نَبِيًّا

دَعَا إِلَى الْإِيمَانِ التَّشْبِيهِيِّ وَقَالَ: إِنَّ الْخَلْقَ ظُهُورُ الْخَالِقِ وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ مُتَّفِقُونَ عَلَى تَوْحِيدِ وَاجِبِ الْوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَنَفْيِ أَرْبَابٍ غَيْرِهِ تَعَالَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)** وَهَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةُ يُثْبِتُونَ أَرْبَابًا غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ وَيَتَخَيَّلُونَ كُلَّهُمْ ظُهُورَاتِ رَبِّ الْأَرْبَابِ وَمَا يَسْتَشْهِدُونَ بِهِ فِي إِثْبَاتِ مَطَالِبِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ فِيهِ اسْتِشْهَادٌ أَصْلاً أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى **(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)** **(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)** **(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)** وَأَمَّا السُّنَّةُ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اللَّهُمَّ[1] أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ. فَإِنَّ جَمِيعَ الْحَصْرِ فِي هَذِهِ الْعِبَارَاتِ لِنَفْيِ كَمَالِ الْوُجُودِ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى بِأَبْلَغِ الْوُجُوهِ لاَ نَفْيِ أَصْلِ الْوُجُودِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ صَلاَةَ[2] إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. وَقَالَ أَيْضًا: لاَ إِيمَانَ[3] لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ وَهَذَا التَّوْجِيهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ تَأْوِيلِ النُّصُوصِ كَمَا زَعَمُوا بَلْ هُوَ حَمْلُ النُّصُوصِ عَلَى كَمَالِ الْبَلاَغَةِ كَمَا أَنَّ فِي الْعُرْفِ إِذَا وَقَعَ الْاِهْتِمَامُ بِرِسَالَةِ شَخْصٍ وَنِيَابَتِهِ يُقَالُ: إِنَّ يَدَهُ يَدِيَ وَالْمَقْصُودُ هُنَا لَيْسَ الْحَقِيقَةَ بَلِ الْمَجَازَ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ فَإِذَا كَانَ وُقُوعُ الْفِعْلِ أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ بِالنَّظَرِ إِلَى مِقْدَارِ قُدْرَةِ الْفَاعِلِ الَّذِي هُوَ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لِصَاحِبِ الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ وَكَانَ الْتِفَاتُ ذَلِكَ الْقَادِرِ الْمَالِكِ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ مَرْعِيًّا يَصِحُّ لِلْمَالِكِ أَنْ يَقُولَ أَنَا فَعَلْتُ هَذَا الْفِعْلَ لاَ أَنْتَ وَلاَ دَلاَلَةَ لِهَذَا الْكَلاَمِ أَصْلاً عَلَى اتِّحَادِ الْفِعْلِ وَلاَ عَلَى اتِّحَادِ الذَّاتِ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِعْلُ الْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ عَيْنَ فِعْلِ الْمَالِكِ الْمُقْتَدِرِ أَوْ يَكُونَ ذَاتُهُ عَيْنَ ذَاتِهِ أَلَمْ تَفْهَمْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ مَذَاقَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّ مَدَارَ دَعْوَتِهِمْ عَلَى إِثْبَاتِ الْاِثْنَيْنِيَّةِ وَوُجُودِ الْمُغَايَرَةِ يَعْنِي بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ.

وَتَنْزِيلُ عِبَارَاتِهِمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْاِتِّحَادِ مِنَ التَّكَلُّفَاتِ الْبَارِدَةِ فَإِنْ كَانَ الْمَوْجُودُ وَاحِدًا فِي الْحَقِيقَةِ وَكَانَ مَا سِوَاهُ ظُهُورَاتِهِ وَكَانَ عِبَادَةُ مَا سِوَاهُ عِبَادَتَهُ كَمَا زَعَمَ هَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةُ لِمَ مَنَعَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ عَنْهَا بِالْمُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ وَلِمَ خَوَّفُوا بِالْعُقُوبَاتِ الْأَبَدِيَّةِ عَلَى عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ وَلِمَ قَالُوا لِعَابِدِيهِ "أَعْدَاءُ اللَّهِ" وَلِمَ لَمْ يُطْلِعُوهُمْ عَلَى مَنْشَأِ غَلَطِهِمْ وَلِمَ يُزِيلُوا عَنْهُمْ رُؤْيَةَ الْمُغَايَرَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْجَهْلِ فِيهِمْ وَلِمَ يُفْهِمُوهُمْ أَنَّ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ عَيْنُ عِبَادَتِهِ جَلَّ وَعَلاَ.

قَالَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةِ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِنَّمَا أَخْفَوْا أَسْرَارَ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ عَنِ الْعَوَامِّ وَبَنَوْا أَمْرَ الدَّعْوَةِ عَلَى إِثْبَاتِ الْمُغَايَرَةِ وَأَخْفَوُا الْوَحْدَةَ وَدَلُّوا عَلَى الْكَثْرَةِ بِسَبَبِ قُصُورِ فَهْمِ الْعَوَامِّ عَنْ

---

[1] (قوله اللهم انت الاول الخ) هذه قطعة من حديث اخرجه مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه (القزانى رحمة الله عليه)

[2] (قوله لا صلاة الخ) اخرجه الشيخان وغيرهما عن عبادة بن الصامت (القزانى رحمة الله عليه)

[3] (قوله لا ايمان لمن لا أمانة له) اخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (القزانى رحمة الله عليه)

ذَلِكَ وَهَذَا الْقَوْلُ غَيْرُ مَسْمُوعٍ مِنْهُ كَمَا لَا يُسْمَعُ الْقَوْلُ بِالتُّقَاةِ مِنَ الشِّيعَةِ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَحَقُّ بِتَبْلِيغِ مَا هُوَ مُطَابِقٌ لِنَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنْ كَانَ الْوُجُودُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَاحِدًا فَلِمَ أَخْفَوْهُ وَأَظْهَرُوا خِلَافَ مَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ خُصُوصًا فِي الْأَحْكَامِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِذَاتِ وَاجِبِ الْوُجُودِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فَإِنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بِإِعْلَانِهَا وَإِظْهَارِهَا وَإِنْ كَانَ قَاصِرُ النَّظَرِ قَاصِرًا عَنْ إِدْرَاكِهَا وَعَاجِزًا عَنْ فَهْمِهَا فَضْلًا عَنِ الْعَوَامِّ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ وَمَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ يَعْجِزُ الْخَوَاصُّ عَنْ فَهْمِهَا فَضْلًا عَنِ الْعَوَامِّ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَمْتَنِعُوا وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ تَوَهُّمُ غَلَطِ الْعَوَامِّ مِنْ إِبْدَائِهَا وَهَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةُ يُسَمُّونَ مَنْ يَقُولُ بِتَعَدُّدِ الْوُجُودِ وَالْمَوْجُودِ وَيَتَنَزَّهُ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَى الْمَعْبُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ مُشْرِكًا وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَقُولُ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ مُوَحِّدًا وَلَوْ كَانَ يَعْبُدُ أَلْفَ صَنَمٍ بِتَخَيُّلِ أَنَّهَا ظُهُورَاتُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَنَّ عِبَادَتَهَا عِبَادَتُهُ سُبْحَانَهُ يَنْبَغِي أَنْ يُتَأَمَّلَ بِالْإِنْصَافِ أَيُّ صِنْفٍ مِنْ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ مُشْرِكٌ وَأَيُّ صِنْفٍ مِنْهُمَا مُوَحِّدٌ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا دَعَوُا الْخَلْقَ إِلَى وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَلَمْ يَقُولُوا لِمَنْ قَالَ بِتَعَدُّدِ الْوُجُودِ مُشْرِكًا بَلْ كَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَى وَحْدَةِ الْمَعْبُودِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَأَطْلَقُوا الشِّرْكَ عَلَى عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى فَإِنْ لَمْ يَعْرِفِ الصُّوفِيَّةُ الْوُجُودِيَّةُ مَا سِوَاهُ تَعَالَى بِعُنْوَانِ الْغَيْرِيَّةِ لَا يَتَخَلَّصُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا سِوَاهُ تَعَالَى هُوَ مَا سِوَاهُ تَعَالَى عَرَفُوا ذَلِكَ أَوْ لَا وَبَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ قَالَ: إِنَّ الْعَالَمَ لَيْسَ عَيْنَ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَيَتَحَاشَى مِنَ الْقَوْلِ بِالْعَيْنِيَّةِ وَيَطْعَنُ فِي الْقَائِلِينَ بِهَا وَيُشَنِّعُهُمْ وَيُنْكِرُ الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّينِ بْنَ عَرَبِيٍّ وَأَتْبَاعَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَيَذْكُرُهُمْ بِسُوءٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَقُولُ بِمُغَايَرَةِ الْعَالَمِ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ بَلْ يَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ عَيْنَ الْحَقِّ وَلَا غَيْرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا الْكَلَامُ بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ فَإِنَّ الْاِثْنَانِ مُتَغَايِرَانِ قَضِيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ وَمُنْكِرُ الْمُغَايَرَةِ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ مُصَادِمٌ لِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ قَالُوا فِي صِفَاتِ الْوَاجِبِ إِنَّهَا لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ وَأَرَادُوا بِالْغَيْرِ الْغَيْرَ الْمُصْطَلَحَ وَرَاعَوْا جَوَازَ الْاِنْفِكَاكِ فِي الْمُتَغَايِرَيْنِ فَإِنَّ صِفَاتِ الْوَاجِبِ لَيْسَتْ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّاتِ وَجَوَازُ الْاِنْفِكَاكِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فَقَوْلُ لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ صَادِقٌ فِي الصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ بِخِلَافِ الْعَالَمِ فَإِنَّ تِلْكَ النِّسْبَةَ مَفْقُودَةٌ فِيهِ كَانَ (1) اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ. فَنَفْيُ الْعَيْنِيَّةِ وَالْغَيْرِيَّةِ مَعًا مِنَ الْعَالَمِ بَعِيدٌ عَنِ الصِّدْقِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا وَهَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةُ إِنَّمَا زَعَمُوا الْعَالَمَ وَتَصَوَّرُوهُ كَالصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ وَأَثْبَتُوا لَهُ الْحُكْمَ الْمَخْصُوصَ بِهَا مِنْ قُصُورِهِمْ وَعَدَمِ وُصُولِهِمْ وَحَيْثُ قَالَتْ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةُ بِنَفْيِ عَيْنِيَّةِ الْعَالَمِ كَانَ اللَّازِمُ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا بِغَيْرِيَّتِهِ أَيْضًا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ زُمْرَةِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَيَحْكُمُوا بِتَعَدُّدِ الْوُجُودِ وَفِي التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ لَا بُدَّ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعَيْنِيَّةِ كَمَا قَالَ بِهَا الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ وَأَتْبَاعُهُ وَالْقَوْلُ بِالْعَيْنِيَّةِ لَا بِمَعْنَى أَنَّ الْعَالَمَ مُتَّحِدٌ بِالصَّانِعِ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ الْعَالَمَ مَعْدُومٌ وَالْمَوْجُودُ هُوَ وَاجِبُ الْوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ كَمَا حَقَّقَ هَذَا الْفَقِيرُ هَذَا الْمَعْنَى فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الصُّوفِيَّةَ

---

(1) (قوله كان الله الخ) رواه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه بلفظ كان الله ولم يكن شيء غيره وفي رواية فيه ولم يكن شيء قبله قال ابن حجر وفي رواية غير البخاري ولم يكن شيء معه (القزان رحمة الله عليه)

الوجودية إنما يقولون لمن يقول بتعدد الوجود مشركا باعتبار أنه يرى ويشاهد الإثنين ومشاهد الإثنين هو مشرك الطريقة ؟

(أجيب) أن رؤية الإثنين التي هي شرك الطريقة تندفع بالتوحيد الشهودي ولا حاجة إلى التوحيد الوجودي في ذلك الموطن بل ينبغي أن لا يكون مشهود السالك وملحوظه غير الذات الأحد المقدسة حتى يتحقق الفناء ويندفع شرك الطريقة كما إذا رأى شخص الشمس في النهار وحدها ولم ير النجوم يندفع رؤية الاثنين وإن كانت النجوم كلها موجودة في النهار والمقصود هو كون المشهود هو الشمس وحدها سواء كانت النجوم موجودة أو معدومة بل أقول: إن كمال الفناء إنما هو في صورة تكون الأشياء موجودة ومع ذلك لا يلتفت السالك من كمال تعلقه وشغفه بالمطلوب الحقيقي إلى شيء أصلا بل لا يشاهد شيئا ولا يقع نظر بصيرته إلى شيء قطعا فإن لم تكن الأشياء موجودة فمن أي شيء يتحقق الفناء وعمن يكون فانيا وذاهلا وناسيا وأول من صرح بالتوحيد الوجودي هو الشيخ محيي الدين بن عربي وعبارات المشائخ المتقدمين وإن كانت مشعرة بالتوحيد ومنبئة عن الإتحاد ولكنها قابلة للحمل على التوحيد الشهودي فإنه لما لم ير غير الحق سبحانه قال بعضهم: ليس في جبتي سوى الله وقال بعضهم: سبحاني وبعضهم ليس في الدار غيري وهذه كلها أزهار تفتقت من غصن رؤية الواحد لا دلالة في واحد منها على التوحيد الوجودي والذي بوب مسألة وحدة الوجود وفصلها ودونها تدوين النحو والصرف هو الشيخ محيي الدين بن العربي وخصص بعض المعارف الغامضة بين هذا المبحث بنفسه حتى قال: إن خاتم النبوة يأخذ بعض العلوم والمعارف عن خاتم الولاية وأراد بخاتم الولاية المحمدية نفسه وقال الشراح في توجيهه: إن السلطان إذا أخذ من خازنه شيئا فأي نقصان فيه وبالجملة لا حاجة في تحصيل الفناء والبقاء وحصول الولاية الصغرى والكبرى إلى التوحيد الوجودي بل لا بد في تحقق الفناء وحصول نسيان السوى من التوحيد الشهودي بل يمكن أن يسير السالك من البداية إلى النهاية ولا يظهر له شيء من علوم التوحيد الوجودي ومعارفها أصلا بل يكاد ينكر هذه العلوم وعند هذا الفقير أن الطريق الذي يتيسر سلوكه بدون ظهور هذه المعارف أقرب من الطريق الذي هو متضمن لظهور هذه المعارف. وأيضا إن أكثر سالكي هذه الطريق يصلون إلى المطلوب وأكثر سائري ذاك الطريق يبقون في الطريق ويروون من البحر بقطرة ويبتلون بتوهم اتحاد الظل بالأصل ويحرمون بذلك الوصل وعلمت هذا المعنى بتجاريب متعددة والله سبحانه الملهم للصواب وسير الفقير وإن كان من الطريق الثاني ووجد حظا وافرا من ظهورات علوم التوحيد الوجودي ومعارفه ولكن لما كانت عناية الحق سبحانه شاملة لحاله وكان سيره السير المحبوبي طوى بوادي الطريق ومفاويزه بامداد فضله وعنايته تعالى وجاوز مراتب الظلال ووصل إلى الأصل بتوفيق الله تعالى وعونه. ولما وقعت المعاملة على المسترشدين رأى أن الطريق الآخر أقرب

إِلَى الْوُصُولِ وَأَسْهَلُ مِنْ حَيْثُ الْحُصُولِ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ.

تَنْبِيهٌ: قَدْ عُلِمَ مِنَ التَّحْقِيقِ السَّابِقِ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَدِّدَةً وَمَا سِوَاهُ تَعَالَى كَانَ مَوْجُودًا جَازَ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ وَتَحْصُلَ الْوِلاَيَةُ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَإِنَّ الْفَنَاءَ هُوَ نِسْيَانُ السِّوَى لاَ إِعْدَامُهُ وَاسْتِئْصَالُهُ وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ فِيهِ أَنْ تَكُونَ رُؤْيَةُ السِّوَى مَفْقُودَةً لاَ أَنْ يَكُونَ السِّوَى مَعْدُومًا وَلاَ شَيْئًا مَحْضًا. وَهَذَا الْكَلاَمُ مَعَ ظُهُورِهِ قَدْ خَفِيَ عَلَى أَكْثَرِ الْخَوَاصِّ وَمَاذَا نَقُولُ مِنَ الْعَوَامِّ وَجَعَلُوا مَعْرِفَةَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ مِنْ شَرَائِطِ الطَّرِيقِ بِتَخَيُّلِ أَنَّ التَّوْحِيدَ الشُّهُودِيَّ هُوَ عَيْنُ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَزَعَمُوا الْقَائِلَ بِتَعَدُّدِ الْوُجُودِ ضَالاًّ وَمُضِلاًّ حَتَّى تَخَيَّلَ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مُنْحَصِرَةٌ فِي مَعَارِفِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَتَصَوَّرُوا أَنَّ شُهُودَ الْوَحْدَةِ فِي مَرَايَا الْكَثْرَةِ مِنْ تَمَامِ الْأَمْرِ حَتَّى صَرَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَعْدَ حُصُولِ كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ فِي مَقَامِ الشُّهُودِ وَالْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَأَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**) إِشَارَةً إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ وَيُؤَوِّلُ الْعِبَارَةَ هَكَذَا (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) شُهُودَ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَكَأَنَّهُ فَهِمَ هَذِهِ الْإِشَارَةَ مِنْ تَوَسُّطِ الْوَاوِ بَيْنَ حُرُوفِ الْكُثْرِ حَاشَا مَقَامَ النُّبُوَّةِ مِنْ أَنْ يَلِيقَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَعَارِفِ وَكَلاَّ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِنَّمَا دَعَوْا إِلَى اللهِ الْمُنَزَّهِ عَنِ الْمُمَاثَلَةِ وَالْمُشَابَهَةِ وَالَّذِي يَكُونُ لَهُ مُتَّسَعٌ فِي مَرَايَا الْمَثَالِي لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْمِثَالِيِّ بَلْ هُوَ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ الْكَيْفِ وَالْمِثَالِ رَزَقَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِنْصَافَ وَكَأَنَّهُمْ يَزِنُونَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِمِيزَانِ كَمَالاَتِهِمْ وَيَزْعُمُونَ كَمَالاَتِهِمْ مُمَاثِلَةً لِكَمَالاَتِهِمْ (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)،

شِعْرٌ:

وَلَيْسَ لِشَيْءٍ كَامِنٍ جَوْفَ صَخْرَةٍ *** سِوَاهَا سَمَوَاتٌ لَدَيْهِ وَلاَ أَرْضُ

وَأَحْقَرُ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِغْفَارٍ وَنَدَامَةٍ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ فِي أَوَائِلِ حَالِهِ وَيَنْفِي ذَلِكَ الشُّهُودَ مِنْ جَانِبِ قُدْسِهِ تَعَالَى كَحُلُولِ النَّصَارَى قَالَ الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: كُلَّمَا يَكُونُ مَرْئِيًّا مَسْمُوعًا أَوْ مُتَخَيَّلاً أَوْ مَوْهُومًا فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالَى يَنْبَغِي نَفْيُهُ بِحَقِيقَةِ كَلِمَةِ لاَ فَكَانَ شُهُودُ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ أَيْضًا مُسْتَحِقًّا لِلنَّفْيِ فَهُوَ مُنْتَفٍ مِنْ جَانِبِ قُدْسِهِ وَكَلاَمُ الْخَوَاجَهْ هَذَا هُوَ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ هَذَا الشُّهُودِ وَأَنْجَانِي مِنَ التَّعَلُّقَاتِ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَايَنَةِ، وَحَوَّلَ الرَّحْلَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْجَهْلِ وَمِنَ الْمَعْرِفَةِ إِلَى الْحَيْرَةِ جَزَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَنَا بِهَذَا الْكَلاَمِ الْوَاحِدِ مُرِيدُ الْخَوَاجَهْ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِ قُدِّسَ سِرُّهُ وَمُقَرْطَقُ الْأُذُنِ بِكَلاَمِهِ هَذَا. وَالْحَقُّ أَنَّ قَلِيلاً مِنَ الْأَوْلِيَاءِ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ وَنَفَى جَمِيعَ الْمُشَاهَدَاتِ وَالْمُعَايَنَاتِ عَلَى هَذَا النَّهْجِ وَقَالَ هُوَ يَعْنِي الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدُ فِي هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الْحَقِيقَةِ: مَعْرِفَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَرَامٌ عَلَى بَهَاءِ الدِّينِ لَوْ لَمْ تَكُنْ بِدَايَتُهُ نِهَايَةَ أَبِي يَزِيدَ فَإِنَّ أَبَا يَزِيدَ مَعَ عِظَمِ شَأْنِهِ

وجلالة قدره ما جاوز الشهود والمشاهدة ولم يضع قدمه خارج مضيق سبحاني بخلاف الخواجة النقشبند فإنه نفى جميع مشاهداته بكلمة واحدة يعني كلمة لا، وجعل الكل غير الحق سبحانه وتنزيه البسطامي تشبيه عند الخواجة ولا مثاليه مثالي، وكماله نقص فلا جرم تكون نهايته التي لم تتجاوز التشبيه بداية الخواجة، فإن البداية تكون من التشبيه والنهاية تكون إلى التنزيه ولعله حصل الإطلاع لأبي يزيد في آخر الحال على هذا النقص حيث قال قبيل الإحتضار: إلهي ما ذكرتك إلا عن غفلة ولا خدمتك إلا عن فترة فعرف في ذلك الحال أن حضوره السابق كان غفلة فإنه ما كان حضور الحق سبحانه بل كان حضور ظل من الظلال وظهور من الظهورات فيكون غافلا عنه تعالى بالضرورة فإنه سبحانه غير الظلال والظهورات ووراء الوراء والظلال والظهورات إنما هي مباد ومقدمات ومعارج ومعدات وما قال الخواجة قدس سره:

نحن ندرج النهاية في البداية، مطابق للواقع فإن ابتداء توجههم إلى الأحدية الصرفة لا يريدون من الإسم والصفة غير الذات وهذه الحال تحصل للمبتدئين الرشيدين من هذه الطائفة بطريق الإنعكاس من شيخ مقتدى به مشرف بهذا الكمال عرفوا أو لم يعرفوا فتكون نهاية الكمال مندرجة في بداية هؤلاء الأكابر (غاية ما في الباب) أن هذا التوجه إلى الأحدية لو غلب فيهم ونمى وجعل الظاهر أيضا منصبغا بلون الباطن يكون السالك حينئذ متخلصا من رقية مشاهدة السفلي وشهود الأدنى الذي يظهر في مرايا الممكنات وهاربا من المعارف التشبيهية وإن لم يغلب هذا التوجه بل كان مقصورا على الباطن فكثيرا ما يكون الظاهر ملتذا بشهود الوحدة في الكثرة ومختظا بالتوحيد والاتحاد ولكن هذا الشهود مقصور في حقهم على الظاهر غير سار إلى الباطن بل باطنهم متوجه إلى الأحدية الصرفة وظاهرهم مشاهد للوحدة في الكثرة بل ربما لا يكون توجه الباطن بواسطة غلبة نسبة الظاهر معلوما ولا يكون شيء سوى الشهود الظاهري مفهوما كما كان ذلك في أوائل أحوال محرر هذه السطور فإنه لم يكن له شعور من توجه الباطن إلى الأحدية الصرفة بواسطة غلبة نسبة الظاهر، ووجد نفسه متوجها بالكلية إلى شهود الوحدة في الكثرة ثم رزقه الحق سبحانه بعد مدة الإطلاع على توجه الباطن ونصر الباطن على الظاهر وأوصل المعاملة إلى هنا الحمد لله سبحانه على ذلك ومن هذا القبيل ما صدر من بعض خلفاء هذه الطائفة العلية من المعارف التوحيدية والمشاهدة السفلية لا أنهم متوجهون إلى هذا الشهود ومبتلون بهذه المعرفة ظاهرا وباطنا بخلاف غيرهم حيث أنهم مبتلون بهذا الشهود ظاهرا و باطنا ويزعمون هذا الشهود جمعا بين التشبيه والتنزيه ويعدونه من الكمال وإن كان لهم في الباطن إيمان بالتنزيه الصرف فإن الإبتلاء غير الإيمان والحال غير العلم. وأما الذين لا إيمان لهم بالتنزيه الصرف ولا يعتقدون شيئا غير المشاهدة السفلية فهم الملاحدة وهم خارجون عن المبحث وشهود الحق جل وعلا في مرايا الممكنات الذي يعده جماعة من الصوفية كمالا ويزعمونه جمعا بين التشبيه والتنزيه ليس هو عند الفقير شهود الحق جل وعلا وليس

المشهود فيها غير متخيَّلهم ومنحوتهم ولا ما يرونه في الممكن واجبًا ولا ما يجدونه في الحادث قديمًا ولا ما يظهر في التشبيه تنزيهًا وإياك والافتتان بترّهات الصوفية واعتقاد غير الحق حقًّا وهذه الجماعة وإن كانوا معذورين في خصوصهم بغلبة الحال ومحفوظين من المؤاخذة بذلك كالمجتهد المخطئ ولكن لا ندري ماذا تكون المعاملة بمقلّديهم ليتهم يكونوا كمقلّدي المجتهد المخطئ وإلا فالأمر مشكل والقياس الاجتهادي أصل من الأصول الشرعية ونحن مأمورون بتقليده بخلاف الكشف والإلهام فإنّا لم نؤمر بتقليده. والإلهام ليس بحجّة للغير، والحكم الاجتهادي حجّة للغير فيجب إذًا تقليد العلماء المجتهدين وينبغي طلب أصول الدين موافقة لآرائهم وما يقوله الصوفية أو يفعلونه مخالفًا لآراء العلماء المجتهدين لا ينبغي تقليده بل ينبغي السكوت عن طعنهم بحسن الظنّ بهم وأن يعدّه من شطحياتهم وأن يصرفه عن ظاهره. والعجب أنّ كثيرًا من الصوفية يدلّون العوام على الإيمان بأمورهم الكشفية كوحدة الوجود مثلًا ويدعونهم إليه ويرغّبونهم في تقليدهم فيها ويهدّدونهم على عدم الإيمان بها وليتهم يدلّونهم على عدم الإنكار على هذه الأمور ويهدّدون المنكرين فإنّ الإيمان غير عدم الإنكار. والإيمان بهذه الأمور ليس بلازم ولكن ينبغي الاجتناب والاحتراز عن الإنكار لئلا ينجرّ إنكار هذه الأمور إلى إنكار أربابها فيؤدّي إلى بغض أولياء الحق جلّ وعلا وعداوتهم فاللازم للإنسان العمل على وفق آراء علماء أهل الحق والسكوت عن كشفيات الصوفية بحسن الظنّ وعدم الجسارة بلا ونعم هو الحق المتوسط بين الإفراط والتفريط والله سبحانه الملهم للصواب. ومن أعجب العجب أنّ جماعة من مدّعي هذا الطريق لا يقنعون بهذا الشهود والمشاهدة بل يزعمون هذا الشهود تنزّلًا ويقولون في أثناء ذلك بالرؤية البصرية ويقولون نرى ذات واجب الوجود المنزّه عن المثال ويقولون إنّ هذه الدولة التي كانت ميسّرة للنبي صلّى الله عليه وسلّم مرّة واحدة في ليلة المعراج تتيسّر لنا في كلّ يوم ويشبّهون النور المرئي لهم بإسفار الصبح ويزعمون ذلك النور المرتبة اللاكيفية ويتخيّلون ظهور ذلك النور نهاية مراتب العروج تعالى الله سبحانه عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. وأيضًا إنّهم يثبتون المكالمة معه تعالى ويقولون: أمرنا الله سبحانه وتعالى بكذا وكذا وينقلون عنه سبحانه أحيانًا وعيدًا في حقّ أعدائهم ويبشّرون أحيانًا أحبابهم ويقول بعضهم كلمة الحق سبحانه بقية ثلث الليل أو ربعه إلى صلاة الصبح وسألته عن كلّ باب ووجدت منه الجواب، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا ويفهم من كلمات هؤلاء الجماعة أنّهم يعتقدون ذلك النور المرئي عين الحق سبحانه وعين ذاته تعالى لا أنّهم يقولون إنّه ظهور من ظهوراته تعالى وظلّ من ظلاله ولا شكّ أنّ اعتقاد ذلك النور ذات الحق سبحانه افتراء محض وإلحاد صرف وزندقة خالصة ومن نهاية تحمّله سبحانه وتعالى عدم استعجاله في عقوبة أمثال هؤلاء المفترين وتعذيبهم بأنواع العذاب وعدم استئصالهم سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك وقد هلك قوم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بمجرّد طلب الرؤية وسمع موسى عليه السلام نداء لن تراني بعد طلب الرؤية وخرّ صعقًا وتاب من ذلك

الطَّلَب وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الَّذي هُوَ مَحْبُوبُ رَبِّ الْعَالَمينَ وَأَفْضَلُ الْمَوْجُودَات وَسَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخرِينَ مَعَ كَوْنِه مُشَرَّفًا بدَوْلَة الْمعْرَاج الْبَدَنِيِّ وَتَجَاوَزِه الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَعُلُوِّه عَلَى الزَّمَان وَالْمَكَان يَعْني خُلُوَّهُ وَخُرُوجَهُ مِنْهُمَا للْعُلَمَاء اخْتلَافٌ في رُؤْيَته عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ وُجُود الْإشَارَة الْقُرْآنيَّة إِلَيْهَا وَأَكْثَرُهُمْ قَائلُونَ بعَدَمهَا قَالَ الْإمَامُ الْغَزَاليُّ: الْأَصَحُّ إنَّهُ عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمعْرَاج وَهَؤُلَاء الْقَاصرُونَ يَرَوْنَ اللّهَ سُبْحَانَهُ كُلَّ يَوْمٍ بزَعْمهمُ الْبَاطل مَعَ وُجُود الْقيل وَالْقَال بَيْنَ الْعُلَمَاء في رُؤْيَة مُحَمَّد رَسُول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَرَّةً وَاحدَةً فَقَبَّحَهُمُ اللّهُ سُبْحَانَهُ مَا أَجْهَلَهُمْ. وَأَيْضًا يُعْلَمُ منْ كَلمَات هَؤُلَاء الْجَمَاعَة أَنَّ نسْبَةَ الْكَلَام الَّذي يَسْمَعُونَهُ إلَى اللّه سُبْحَانَهُ عنْدَهُمْ كَنسْبَة الْكَلَام إلَى الْمُتَكَلِّم وَهَذَا عَيْنُ الْإلْحَاد مَعَاذَ اللّهُ سُبْحَانَهُ منْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ كَلَامٌ بطَرِيقٍ تَكَلَّمَ فيه تَرْتيبُ الْحُرُوف وَالتَّقَدُّمُ وَالتَّأَخُّرُ فَإنَّ ذَلكَ منْ عَلَامَات الْحُدُوث وَالَّذي أَوْقَعَهُمْ في الْأَغْلُوطَات هُوَ كَلمَاتُ الْمَشَائخ الْكبَار فَإنَّهُمْ أَيْضًا أَثْبَتُوا لَهُ سُبْحَانَهُ الْكَلَامَ وَالْمُكَالَمَةَ. وَلَكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الْمَشَائخَ لَا يَقُولُونَ إنَّ نسْبَةَ الْكَلَام إلَيْه تَعَالَى كَنسْبَته إلَى الْمُتَكَلِّم بَلْ يَقُولُونَ إنَّهُ كَنسْبَة الْمَخْلُوق إلَى الْخَالق يَقينًا وَلَا مَحْذُورَ في ذَلكَ أَصْلًا فَإنَّ مُوسَى عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَمعَ منَ الشَّجَرَة كَلَامَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنسْبَةُ هَذَا الْكَلَام إلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ كَنسْبَة الْمَخْلُوق إلَى الْخَالق لَا كَنسْبَة الْكَلَام إلَى الْمُتَكَلِّم وَكَذَلكَ الْكَلَامُ الَّذي كَانَ يَسْمَعُهُ منْ جبْرِيلَ عَلَيْه السَّلَامُ نسْبَتُهُ إلَى الْحَقِّ كَنسْبَة الْمَخْلُوق إلَى الْخَالق. غَايَةُ مَا في الْبَاب أَنَّ ذَلكَ الْكَلَامَ أَيْضًا كَلَامُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمُنْكرُهُ كَافرٌ وَزِنْديقٌ وَكَأَنَّ كَلَامَ الْحَقِّ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْكَلَام النَّفْسيِّ وَالْكَلَام اللَّفْظيِّ الَّذي يُوجدُهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ منْ غَيْر تَوَسُّط أَمْرٍ مَا فَيَكُونُ الْكَلَامُ اللَّفْظيُّ أَيْضًا في الْحَقيقَة كَلَامَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيَكُونُ مُنْكرُهُ كَافرًا بالضَّرُورَة فَافْهَمْ فَإنَّ هَذَا التَّحْقيقَ يَنْفَعُكَ في كَثيرٍ منَ الْمَوَاضع وَاللّهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْوُجُودَ الَّذي نُثْبتُهُ في الْمُمْكنَات هُوَ وُجُودٌ ضَعيفٌ كَسَائر صفَات الْمُمْكنَات وَمَا مقْدَارُ علْم الْمُمْكن في جَنْب علْم الْوَاجب تَعَالَى وَأَيُّ اعْتبَارٍ للْقُدْرَة الْحَادثَة في جَنْب الْقُدْرَة الْقَديمَة وَكَذَلكَ وُجُودُ الْمُمْكن في جَنْب وُجُود الْوَاجب لَا شَيْءٌ مَحْضٌ فَكَيْفَ يَقَعُ النَّاظرُ في الشَّكِّ منْ تَفَاوُت مَرَاتب هَذَيْن الْوُجُودَيْن أَنَّ إطْلَاقَ الْوُجُود عَلَى هَذَيْن الْفَرْدَيْن هَلْ هُوَ بطَرِيق الْحَقيقَة أَوْ عَلَى أَحَدهمَا بطَرِيق الْحَقيقَة وَعَلَى الْآخَر بطَرِيق الْمَجَاز أَلَا تَرَى أَنَّ الْجَمَّ الْغَفيرَ منَ الصُّوفيَّة تَيَقَّنُوا بالشِّقِّ الثَّاني وَقَالُوا: إنَّ إطْلَاقَ الْوُجُود عَلَى وُجُود الْمُمْكن إنَّمَا هُوَ بطَرِيق الْمَجَاز وَلَا يُثْبتُ الْوُجُودَ للْمُمْكنَات إلَّا الْعَوَامُّ وَأَخَصُّ الْخَوَاصِّ وَالْمُرَادُ بأَخَصِّ الْخَوَاصِّ الْأَنْبيَاءُ عَلَيْهمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَنْ كَانَ مُشَرَّفًا بوِلَايَتهمُ الْأَصْليَّة منْ أُمَمهمْ وَطَوَى دَائرَةَ الظِّلَال بالتَّمَام فَأَمَّا الْعَوَامُّ فَنَظَرُهُمْ مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهر فَيَزْعُمُونَ أَنَّ وُجُودَ الْوَاجب وَوُجُودَ الْمُمْكن قسْمَان منَ الْوُجُود الْمُطْلَق وَيَظُنُّونَ كلَيْهمَا مَوْجُودَيْن. وَأَمَّا أَخَصُّ الْخَوَاصِّ فَأَبْصَارُهُمْ حَديدَةٌ فَيَجدُونَ كلَا الْوُجُودَيْن منْ أَفْرَاد الْوُجُود الْمُطْلَق وَيَعُدُّونَ تَفَاوُتَ مَرَاتب أَفْرَاد الْوُجُود الْمُطْلَق رَاجعًا إلَى صفَات الْوُجُود وَاعْتبَارَاته لَا إلَى حَقيقَته وَذَاته حَتَّى يَكُونَ في أَحَدهمَا

حقيقة وفي الآخر مجازًا وأما المتوسطون الذين وضعوا أقدامهم فوق رتبة العوام وقصروا عن إدراك كمالات أخص الخواص فعسير عليهم أن يقولوا بوجود الممكنات وأن يطلقوا لفظ الوجود على وجود الممكن بطريق الحقيقة ومشكل ومن ههنا قالوا: إن الممكن إنما يقال له موجودًا بعلاقة أن له نسبة إلى الوجود كما يقال: ماء الشمس لا إن الوجود قائم به حتى يكون موجودًا حقيقة. وبعض هؤلاء الجماعة ساكت عن وجود الممكن غير مصرح بنفيه وإثباته وبعضهم ينفي الوجود عن الممكن ولا يرى موجودًا غير الواجب تعالى. وبعضهم لا يقول بغيرية وجود الممكن لوجود الواجب كما لا يقول بعينيته له ويصرح بعضهم أن الممكن موجود بعين الوجود الذي به الواجب تعالى موجود وهذه العبارة أيضًا تنفي الوجود عن الممكن وبالجملة يحتاج في إثبات وجود الممكن إلى حدة النظر حتى يمكن رؤيته حين تشعشع أنوار وجود الواجب تعالى كما أن من لهم حدة البصر يرون النجوم في النهار مع وجود تشعشع نور الشمس والذين ليس لهم حدة البصر لا يقدرون رؤيتها فوجود الممكنات في جنب وجود الواجب كوجود الكواكب في النهار من كان فيه حدة البصر يقدر رؤيته ومن هو ضعيف البصر لا يقدرها (ع)

وليس له منها نصيب ولا سهم *

فإن قيل: كيف يرى العوام وجود الممكنات مع وجود ضعف البصر وعمى البصيرة فيهم والحال أن تشعشع أنوار وجود الواجب مانع عن رؤيته يعني الضعاف البصر ؟

(أجيب) أن العوام أرباب العلم لا أرباب الرؤية، وكلامنا في أرباب الرؤية لا في أرباب العلم فإنهم خارجون عن المبحث فكان ظهور أنوار الواجب تعالى مفقودًا في حقهم فلا يكون مانعًا عن رؤية وجود الممكنات في حقهم أو نقول: إن ظهور أنوار الواجب إنما هو مانع عن شهود وجود الممكنات لا إنه مانع عن العلم بوجود الممكنات فإن العلم كثيرًا ما يحصل بالسماع والتقليد والنظر والإستدلال كما أن العلم بوجود الكواكب في النهار حاصل لضعاف البصر أيضًا مع وجود ظهور الشمس وفي العوام العلم بوجود الممكنات لا شهوده فإن الشهود من صفة البصيرة وبصيرة العوام مطموسة سواء كان المشهود ملكًا أو ملكوتًا أو جبروتًا أو لاهوتًا.

(أيها الأخ الأعز) إن العوام كما أنهم مشاركون لأخص الخواص في هذا المبحث كذلك لهم مشاركة في مواضع أخر ومن ههنا كانت معاملة الأنبياء ومعائشهم عليهم الصلاة والسلام في كثير من الأحكام كمعاملة العوام ومعائشهم عليهم الصلاة والسلام في كثير من الأحكام كمعاملة العوام ومعائشهم ومعاشرتهم مع أهلهم وعيالهم وكان خير البشر صلى الله عليه وسلم يعامل أهله وعياله مثل معاملتهم وحسن معاشرته صلى الله عليه وسلم مشهور، نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل يومًا الحسن

وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا وَأَظْهَرَ لَهُمَا تَمَامَ الْإِنْبِسَاطِ فَقَالَ شَخْصٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ: إِنَّ لِي أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا وَلَمْ أُقَبِّلْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَصْلًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هٰذِهِ الرَّحْمَةَ أَعْطَاهَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَحَيْثُ كَانَتْ لِأَخَصِّ الْخَوَاصِّ مُشَارَكَةٌ مَعَ الْعَوَامِّ فِي بَعْضِ الْأَوْصَافِ وَإِنْ كَانَتْ صُورَةً كَانَ الْعَوَامُّ مَحْرُومِينَ مِنْ أَكْثَرِ كَمَالَاتِهِمْ بِسَبَبِ نُقْصَانِهِمْ وَقُصُورِ إِدْرَاكِهِمْ وَتَخَيُّلِهِمْ إِيَّاهُمْ كَأَنْفُسِهِمْ وَالَّذِينَ فَارَقُوهُمْ فِي الْأَوْصَافِ وَالْخِصَالِ تَرَاهُمْ يُعَظِّمُونَهُمْ وَيُوَقِّرُونَهُمْ وَلِهٰذَا يُفَضِّلُونَ أَوْصَافَ الْأَوْلِيَاءِ وَأَخْلَاقَهُمْ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي تُشَابِهُ أَوْصَافَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ لِكَوْنِهَا مُغَايِرَةً لِأَوْصَافِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَخْلَاقُ مَوْجُودَةً فِي الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (نُقِلَ) عَنِ الْمَخْدُومِ الشَّيْخِ فَرِيدْ كَنْجْ شَكَرْ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ وَبَلَغَهُ خَبَرُ وَفَاتِهِ لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ تَغَيُّرٌ أَصْلًا وَقَالَ: مَاتَ جَرْوُ الْكَلْبِ فَأَخْرِجُوهُ وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلَدُ سَيِّدِ الْبَشَرِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَكَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَزِنَ وَقَالَ: إِنَّا بِفِرَاقِكَ[1] لَمَحْزُونُونَ. وَبَيَّنَ حُزْنَهُ بِالتَّأْكِيدِ مُبَالَغَةً فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الشَّيْخُ فَرِيدْ كَنْجْ شَكَرْ أَمْ سَيِّدُ الْبَشَرِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَعِنْدَ الْعَوَامِّ الَّذِينَ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ أَضَلُّ مُعَامَلَةُ الْأَوَّلِ أَوْلَى وَأَفْضَلُ فَإِنَّهُمْ يَعُدُّونَهَا مِنْ عَدَمِ التَّعَلُّقِ بِالسِّوَى وَيَزْعُمُونَ الثَّانِيَ عَيْنَ التَّعَلُّقِ بِالْفَانِي أَعَاذَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمُ السُّوءِ وَحَيْثُ أَنَّ هٰذِهِ الدَّارَ دَارُ امْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ فَإِلْقَاءُ الْعَوَامِّ فِي الْإِشْتِبَاهِ وَالشُّبْهَةِ عَيْنُ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ اللّٰهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(وَلْنَرْجِعْ) إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ وَنَقُولُ: إِنَّ إِيمَانَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْمُلْحَقِينَ بِالْأَصْحَابِ الْعِظَامِ بَعْدَ الشُّهُودِ قَدْ تَقَرَّرَ كَوْنُهُ بِالْغَيْبِ بِوَاسِطَةِ الرُّجُوعِ إِلَى الدَّعْوَةِ كَمَا أَنَّ شَخْصًا رَأَى الشَّمْسَ فِي النَّهَارِ وَوَجَدَ فِيهِ الْإِيمَانَ الشُّهُودِيَّ بِوُجُودِ الشَّمْسِ فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ يَتَبَدَّلُ إِيمَانُهُ الشُّهُودِيُّ بِالْإِيمَانِ الْغَيْبِيِّ وَإِيمَانُ الْعُلَمَاءِ وَإِنْ كَانَ غَيْبِيًّا وَلٰكِنْ غَيْبُهُمْ عُرِضَ لَهُ حُكْمُ الْحَدْسِ بِوَاسِطَةِ نُورِ مُتَابَعَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَخَرَجَ مِنْ كَوْنِهِ نَظَرِيًّا وَاسْتِدْلَالِيًّا وَالْمُرَادُ بِالْعُلَمَاءِ هُنَا عُلَمَاءُ الْآخِرَةِ فَإِنَّ عُلَمَاءَ الدُّنْيَا دَاخِلُونَ فِي عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَفْضَلُ أَقْسَامِ الْإِيمَانِ الْغَيْبِيِّ الْمَنْسُوبِ إِلَى عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانٌ مَرْبُوطٌ بِتَقْلِيدِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَنُوطٌ بِقَالَ اللّٰهُ وَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[1] في الاحياء رأى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام من لا يرحم لا يرحم اه. قد اخرجه الشيخان وابو داود والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسين بن على وعنده الاقرع ان لي احد عشرة من الولد ما قبلت منهم احدا فنظر رسول الله صلعم ثم قال من لا يرحم لا يرحم وزاد رزين او املك ان كان الله نزع منك الرحمة ورواه ابي يعلى عن ابي هريرة لكن ذكر عيينة بن حصين بدل الاقرع ابن حابس وليس فيه الزيادة الا ان فيه يقبل الحسن والحسين. (الفزان رحمة الله عليه)

[2] رواه الشيخان عن انس رضي الله عنه (الفزان رحمة الله عليه)

فَإِنْ قِيلَ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الإِيمَانَ الاسْتِدْلاَلِيَّ أَفْضَلُ مِنَ الإِيمَانِ التَّقْلِيدِيِّ حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ عَدُّوا الإِسْتِدْلاَلَ مِنْ شَرَائِطِ الإِيمَانِ وَلَمْ يَعْتَبِرُوا الإِيمَانَ التَّقْلِيدِيَّ وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ الإِيمَانَ التَّقْلِيدِيَّ أَفْضَلُ؟

(أُجِيبَ) أَنَّ الإِيمَانَ الْحَاصِلَ بِتَقْلِيدِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ إِيمَانٌ اسْتِدْلاَلِيٌّ فَإِنَّ صَاحِبَ التَّقْلِيدِ يَعْرِفُ بِالدَّلِيلِ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ صَادِقُونَ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ الشَّخْصَ الَّذِي صَدَّقَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْمُعْجِزَةِ صَادِقٌ أَلْبَتَّةَ وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ كُلُّهُمْ مُؤَيَّدُونَ بِالْمُعْجِزَاتِ فَيَكُونُ كُلُّهُمْ صَادِقِينَ وَالتَّقْلِيدُ الْغَيْرُ الْمُعْتَبَرِ هُوَ تَقْلِيدُ الآبَاءِ فِي الإِيمَانِ فَقَطْ وَلاَ يَكُونُ صِدْقُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَحَقِّيَّةُ تَبْلِيغِهِمْ مَنْظُورًا إِلَيْهِ أَصْلاً وَهَذَا الإِيمَانُ غَيْرُ مُعْتَبَرٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بَقِيَ الإِيمَانُ الإِسْتِدْلاَلِيُّ الْحَاصِلُ مِنْ تَرْتِيبِ مُقَدِّمَاتِ أَرْبَابِ النَّظَرِ مِنَ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهُوَ اسْتِدْلاَلٌ قَرِيبٌ مِنَ الأَمَاكِنِ بَعِيدٌ عَنِ الْوُقُوعِ وَلاَ يُعْلَمُ مُضِيُّ أَحَدٍ مِنْ أَرْبَابِ النَّظَرِ فِي مَقَامِ الإِسْتِدْلاَلِ عَلَى إِثْبَاتِ الْوَاجِبِ مِثْلَ مَوْلاَنَا جَلاَلِ الدِّينِ الدَّوَانِيِّ فَإِنَّهُ مُحَقِّقٌ وَمُتَأَخِّرُ الزَّمَانِ وَقَدْ سَعَى هُوَ فِي إِثْبَاتِ الْوَاجِبِ سَعْيًا بَلِيغًا وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يُوجَدُ مُقَدِّمَةٌ مِنْ مُقَدِّمَاتِ اسْتِدْلاَلاَتِهِ مُسَلَّمَةً مِنَ النَّقْضِ وَالْمُعَارَضَةِ وَالْمَنْعِ وَالدَّخْلِ الْمُوَجَّهِ الَّتِي أَوْرَدَهَا مَحْشُوٌّ رِسَالَتِهِ وَوَيْلٌ لِصَاحِبِ اسْتِدْلاَلٍ يَحْصُلُ الإِيمَانُ بِمُجَرَّدِ الإِسْتِدْلاَلِ وَلاَ يَكُونُ تَقْلِيدُ الأَنْبِيَاءِ مُسْتَنَدَهُ وَمُعْتَمَدَهُ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

(٢٧٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ

فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا وَمُسْتَقِيمًا عَلَى طَرِيقِ شَيْخِهِ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى طُرُقٍ أُخَرَ وَأَنْ لاَ يَعْتَبِرَ الْوَقَائِعَ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى خِلاَفِهِ فَإِنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الْعَدُوِّ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا قَدْ حَصَلَ السُّرُورُ وَالإِبْتِهَاجُ بِوُصُولِ صَحِيفَةِ الإِلْتِفَاتِ الْمُرْسَلَةِ بِاسْمِ هَذَا الْحَقِيرِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَقَدِ انْدَرَجَ فِيهَا أَنَّهُ لَوْ كَانَتِ الْمُبَالَغَةُ فِي مَنْعِ السَّمَاعِ مُتَضَمِّنَةً لِلْمَنْعِ عَنْ سَمَاعِ الْمَوْلِدِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قِرَاءَةِ الْقَصَائِدِ النَّعْتِيَّةِ وَالأَشْعَارِ غَيْرِ النَّعْتِيَّةِ يَعْسُرُ تَرْكُ اسْتِمَاعِ الْمَوْلِدِ عَلَى الأَخِ الأَعَزِّ الْمِيرِ مُحَمَّدْ نُعْمَانَ وَبَعْضِ الأَصْحَابِ الْمَوْجُودِينَ هُنَا لأَنَّهُمْ رَأَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَاقِعَةِ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضٍ عَنْ مَجْلِسِ الْمَوْلِدِ جِدًّا وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمْ تَرْكُ ذَلِكَ جِدًّا (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) لَوْ كَانَ لِلْوَقَائِعِ اعْتِبَارٌ وَعَلَى الْمَنَامَاتِ اعْتِمَادٌ لاَ يَحْتَاجُ الْمُرِيدُونَ إِلَى الشُّيُوخِ وَيَكُونُ اخْتِيَارُ طَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ عَبَثًا فَإِنَّ كُلَّ مُرِيدٍ يَعْمَلُ حِينَئِذٍ بِمَا يُوَافِقُ وَقَائِعَهُ وَيُطَابِقُ لِمَنَامَاتِهِ سَوَاءٌ كَانَتْ تِلْكَ الْوَقَائِعُ وَالْمَنَامَاتُ مُوَافِقَةً لِطَرِيقَةِ شَيْخِهِ أَوْ لاَ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ مَرْضِيَّةً عِنْدَهُ أَوْ لاَ فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ تَبْطُلُ سِلْسِلَةُ الشَّيْخُوخَةِ وَالْمُرِيدِيَّةِ وَكُلُّ ذِي هَوَسٍ يَسْتَقِلُّ بِوَضْعِهِ وَيَسْتَبِدُّ بِطَوْرِهِ وَالْمُرِيدُ

الصَّادِقُ لاَ يَكُونُ عِنْدَهُ لِأَلْفِ وَاقِعَةٍ صَادِقَةٍ مِقْدَارُ نِصْفِ شَعِيرَةٍ مِنَ الْإِعْتِبَارِ مَعَ وُجُودِ شَيْخِهِ وَتَكُونُ الْمَنَامَاتُ عِنْدَ الطَّالِبِ الرَّشِيدِ مَعَ دَوْلَةِ حُضُورِ الْمُرْشِدِ مَعْدُودَةً مِنْ أَضْغَاثِ أَحْلاَمٍ وَلاَ يُلْتَفَتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا أَصْلاً الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ قَوِيٌّ لاَ يَأْمَنُ الْمُنْتَهُونَ مِنْ كَيْدِهِ وَلاَ يَزَالُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنْ مَكْرِهِ فَمَاذَا نَقُولُ فِي حَقِّ الْمُبْتَدِئِينَ وَالْمُتَوَسِّطِينَ (غَايَةُ) مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْمُنْتَهِينَ مَحْفُوظُونَ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ مَصُونُونَ بِخِلاَفِ الْمُبْتَدِئِينَ وَالْمُتَوَسِّطِينَ فَلاَ تَكُونُ وَقَائِعُهُم مُسْتَحِقَّةً لِلْاِعْتِمَادِ وَمَحْفُوظَةً عَنْ مَكْرِ عَدُوٍّ شَدِيدِ الْعِنَادِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الْوَاقِعَةَ الَّتِي يُرَى فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَادِقَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَمَكْرِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ[1] لاَ يَتَمَثَّلُ بِصُورَتِهِ كَمَا وَرَدَ فَتَكُونُ وَقَائِعُ مَا نَحْنُ فِيهِ صَادِقَةً وَمَحْفُوظَةً مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ.

أُجِيبُ أَنَّ صَاحِبَ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ جَعَلَ عَدَمَ تَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ مَخْصُوصًا بِصُورَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَاصَّةِ بِهِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْمَدِينَةِ وَلاَ يَجُوزُ الْحُكْمُ بِعَدَمِ تَمَثُّلِهِ مُطْلَقًا عَلَى أَيِّ صُورَةٍ كَانَ وَلاَ شَكَّ أَنَّ تَشْخِيصَ تِلْكَ الصُّورَةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خُصُوصًا فِي الْمَنَامِ مُتَعَسِّرٌ جِدًّا فَكَيْفَ تَكُونُ مُسْتَحِقَّةً لِلْاِعْتِمَادِ فَإِنْ لَمْ نَجْعَلْ عَدَمَ تَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ مَخْصُوصًا بِصُورَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَاصَّةِ بِهِ وَجَوَّزْنَا عَدَمَ تَمَثُّلِهِ بِهِ عَلَى أَيِّ صُورَةٍ كَانَ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاسِبٌ أَيْضًا لِرِفْعَةِ شَأْنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَقُولُ: إِنَّ أَخْذَ الْأَحْكَامِ عَنْ تِلْكَ الصُّورَةِ وَإِدْرَاكَ الْمَرْضِيِّ وَغَيْرِ الْمَرْضِيِّ لَهُ مِنَ الْمُشْكِلاَتِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْعَدُوُّ اللَّعِينُ مُتَوَسِّطًا فِي الْبَيْنِ وَمُرِيًا لِخِلاَفِ الْوَاقِعِ وَاقِعِيًّا وَمُوقِعًا لِلرَّائِي فِي الْإِشْتِبَاهِ وَالْإِلْتِبَاسِ بِتَلْبِيسِ عِبَارَتِهِ وَإِشَارَتِهِ بِعِبَارَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِشَارَتِهِ كَمَا رُوِيَ[2] أَنَّ سَيِّدَ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَوْمًا جَالِسًا وَكَانَ عِنْدَهُ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ وَرُؤَسَاءُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَصْحَابِ أَيْضًا فَقَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النَّجْمِ وَلَمَّا بَلَغَ ذِكْرَ آلِهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ ضَمَّ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ كَلِمَاتٍ فِي مَدْحِ آلِهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ إِلَى قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَهْجٍ ظَنَّهَا الْحَاضِرُونَ مِنْ قِرَاءَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَمْ يَجِدُوا إِلَى تَمْيِيزِهِ سَبِيلاً أَصْلاً فَفَرِحَ الْكَافِرُونَ وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا صَالَحَنَا وَمَدَحَ آلِهَتَنَا وَتَحَيَّرَ مِنْهُ الْحَاضِرُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلاَمِ أَيْضًا وَلَمْ يَطَّلِعِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَلاَمِ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ هٰذَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الْوَاقِعَةُ فَعَرَضَ الْأَصْحَابُ الْكِرَامُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هٰذِهِ الْفِقَرَاتِ قَدْ ظَهَرَتْ فِي أَثْنَاءِ كَلاَمِكَ فَحَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ

---

[1] رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه.

[2] هذه القصة مذكورة في جميع كتب السير وكافة التفاسير وفيها بين العلماء اختلافات كثيرة واحسن المذكورة فيها ما ذكره الامام قدس سره هنا من ان الشيطان اللعين ضم تلك الزيادة من قبل نفسه محاكيا نغمته وصوته بنغمة النبي وصوته عليه الصلاة والسلام اثناء قراءته لانه كان يرتل القرآن ترتيلا تاما ليفهموا لا انه القاها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتبه له صلى الله عليه وسلم بالقاء جبريل فقرأها حاشا جناب الرسالة من ذلك وهذا ما عليه المحققون (القزاني رحمة الله عليه)

فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَحْيِ لِبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ كَانَ إِلْقَاءً شَيْطَانِيًّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**) الْآيَاتُ الْأَرْبَعُ

فَإِذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ كَلَامَهُ الْبَاطِلَ فِي أَثْنَاءِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَمَانِ حَيَاتِهِ وَفِي حَالَةِ يَقَظَتِهِ وَفِي مَحْضَرِ الصَّحَابَةِ بِحَيْثُ لَا يَمْتَازُ مِنْ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْ أَيْنَ يُدْرَى أَنَّ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ مَحْفُوظَةٌ مِنْ تَصَرُّفِ الشَّيْطَانِ وَمَصُونَةٌ مِنْ تَلْبِيسِهِ مَعَ كَوْنِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ وَفِي حَالَةِ الْمَنَامِ الَّتِي هِيَ حَالَةُ تَعْطِيلِ الْحَوَاسِّ وَمَحَلُّ الْإِشْتِبَاهِ وَالْإِلْتِبَاسِ وَوُجُودُ انْفِرَادِ الرَّائِي عَنْ سَائِرِ النَّاسِ (**أَوْ نَقُولُ**) إِنَّ كَوْنَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ رَاضِيًا بِهَذَا الْعَمَلِ كَمَا يَرْضَى الْمَمْدُوحُ عَنِ الْمَادِحِينَ لَمَّا كَانَ مُتَمَكِّنًا فِي أَذْهَانِ قَارِئِ الْقَصَائِدِ وَسَامِعِهَا وَمُنْتَقِشًا فِي مُتَخَيَّلَاتِهِمْ جَازَ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الصُّورَةُ الْمَرْئِيَّةُ فِي الْوَاقِعَةِ هِيَ الصُّورَةَ الْمُنْتَقِشَةَ فِي مُتَخَيَّلَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ لِتِلْكَ الْوَاقِعَةِ حَقِيقَةٌ وَتَمَثُّلٌ شَيْطَانِيٌّ وَأَيْضًا إِنَّ الْوَاقِعَاتِ وَالرُّؤْيَا قَدْ تَكُونُ مَحْمُولَةً عَلَى ظَاهِرِهَا وَحَقِيقَتِهَا وَهِيَ الَّتِي يَرَاهَا الرَّائِي بِعَيْنِهَا كَمَا إِذَا رَأَى مَثَلًا صُورَةَ زَيْدٍ فِي الْمَنَامِ وَكَانَ الْمُرَادُ بِهَا هُوَ عَيْنَ حَقِيقَةِ زَيْدٍ وَقَدْ تُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِرِ وَتُحْمَلُ عَلَى التَّأْوِيلِ وَالتَّعْبِيرِ كَمَا إِذَا رَأَى صُورَةَ زَيْدٍ مَثَلًا فِي الْمَنَامِ وَأُرِيدَ بِهَا عَمْرٌو مَثَلًا بِعَلَاقَةِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهُمَا فَمِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ أَنَّ وَاقِعَةَ الْأَصْحَابِ مَحْمُولَةٌ عَلَى الظَّاهِرِ غَيْرُ مَصْرُوفَةٍ عَنْهُ وَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا الْوَقَائِعَ الْمُحْتَاجَةَ إِلَى التَّعْبِيرِ وَأَنْ تَكُونَ كِنَايَةً عَنْ أُمُورٍ أُخْرَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِتَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ فِيهَا مَجَالٌ وَبِالْجُمْلَةِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ مَدَارُ الْإِعْتِبَارِ عَلَى الْوَاقِعَةِ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ فَيَنْبَغِي السَّعْيُ حَتَّى تُرَى الْأَشْيَاءُ فِي الْخَارِجِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ اللَّائِقُ بِالْإِعْتِمَادِ وَلَيْسَ فِيهِ مَجَالُ التَّعْبِيرِ وَمَا يُرَى فِي الْخَيَالِ فَهُوَ مَنَامٌ وَخَيَالٌ وَأَصْحَابُنَا هُنَاكَ يَعْمَلُونَ بِوَضْعِهِمْ وَرَأْيِهِمْ مِنْ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ وَزِمَامُ الْإِخْتِيَارِ بِأَيْدِيهِمْ وَأَمَّا الْمِيرُ مُحَمَّدُ نُعْمَانُ فَمَا الْمُخَلِّصُ لَهُ غَيْرَ الْإِنْقِيَادِ فَإِنْ تَوَقَّفُوا عَنِ الْإِمْتِنَاعِ فَرْضًا لَمْحَةً بَعْدَ السَّمْعِ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ فَنَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَفِرُّونَ وَبِمَنْ يَلُوذُونَ. وَمُبَالَغَةُ الْفَقِيرِ إِنَّمَا هِيَ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ طَرِيقَتِهِ سَوَاءٌ كَانَتِ الْمُخَالَفَةُ بِالسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ أَوْ بِقِرَاءَةِ الْمَوَالِدِ وَإِنْشَاءِ الْقَصَائِدِ وَلِكُلِّ طَرِيقٍ وُصُولٌ إِلَى مَطْلَبٍ خَاصٍّ بِهِ وَالْوُصُولُ إِلَى الْمَطْلَبِ الْخَاصِّ بِهَذَا الطَّرِيقِ الْمُتَوَسِّطِ مَنُوطٌ بِتَرْكِ هَذِهِ الْأُمُورِ فَكُلُّ مَنْ فِيهِ طَلَبُ مَطْلَبِ هَذَا الطَّرِيقِ يَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَ عَنْ مُخَالَفَةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَأَنْ لَا تَكُونَ مَطَالِبُ طُرُقٍ أُخَرَ مَنْظُورَةً فِي نَظَرِهِ. قَالَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ : مانه اينكار ميكينم ونه انكار ميكنيم. يَعْنِي نَحْنُ مَا نَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ لِكَوْنِهِ مُخَالِفًا لِلطَّرِيقِ الْخَاصِّ بِنَا وَلَا نُنْكِرُهُ أَيْضًا لِكَوْنِهِ مَعْمُولًا عِنْدَ مَشَائِخَ أُخَرَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَإِذَا حَدَثَ أَمْرٌ مُخَالِفٌ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ فِي فَيْرُوزآبَادَ الَّذِي هُوَ مَلْجَأٌ وَمَلَاذٌ لِأَمْثَالِنَا الْفُقَرَاءِ وَمَقَرٌّ قُدْوَةِ أَرْبَابِ الْمُتَابَعَةِ الضُّعَفَاءِ لَا جَرَمَ يَكُونُ مُوجِبًا لِاضْطِرَابِ أَمْثَالِنَا الْفُقَرَاءِ أَلْبَتَّةَ. وَالْمَخَادِيمُ الْكِرَامُ أَحِقَّاءُ بِالْقِيَامِ بِحِفْظِ طَرِيقِ وَالِدِهِمُ الْمَاجِدِ كَمَا أَنَّ أَوْلَادَ الْخَوَاجَةِ أَحْرَارٍ قُدِّسَ سِرُّهُ قَامُوا بِحِفْظِ الطَّرِيقِ الْأَصْلِ بَعْدَ عُرُوضِ التَّغَيُّرِ لِطَرِيقِ وَالِدِهِمُ الْمَاجِدِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَجَادَلُوا الْمُغَيِّرِينَ كَمَا أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى سَمْعِكُمُ الشَّرِيفِ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللهُ وَكَتَبْتُمْ شَيْئًا مِنْ مَشْرَبِ شَيْخِنَا الْقَوِيِّ الْعَذْبِ نَعَمْ إِنَّهُ تَسَاهَلَ فِي أَوَائِلِ حَالِهِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَيْلًا مِنْهُ إِلَى

مَذْهَبِ السَّلَامَتِي وَاخْتِيَارًا لَهُ وَارْتَكَبَ تَرْكَ الْعَزِيمَةِ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ تَرْجِيحًا لِذَلِكَ الْمَذْهَبِ وَلَكِنَّهُ اجْتَنَبَ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الْآخِرِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَلَامَتِيَّةَ أَصْلًا لِيَنْظُرُوا بِنَظَرِ الْإِنْصَافِ وَلْيَتَفَكَّرُوا أَنَّ شَيْخَنَا إِذَا كَانَ فَرْضًا حَيًّا فِي الدُّنْيَا فِي هَذِهِ الْأَوَانِ وَانْعَقَدَ هَذَا الْمَجْلِسُ وَالْإِجْتِمَاعُ هَلْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَرْضَى عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيَسْتَحْسِنُ هَذَا الْإِجْتِمَاعَ أَوْ لَا وَيَقِينُ الْفَقِيرِ أَنَّهُ مَا كَانَ لِيُجَوِّزَ هَذَا الْمَعْنَى بَلْ يُنْكِرُهُ وَكَانَ مَقْصُودُ الْفَقِيرِ الْإِعْلَامَ تَقْبَلُونَ أَوْ لَا تَقْبَلُونَ لَا مُضَايَقَةَ أَصْلًا وَلَا مَجَالَ لِلْمُشَاجَرَةِ قَطْعًا فَلَئِنِ اسْتَمَرَّ الْمَخَادِيمُ وَالْأَصْحَابُ الْمَوْجُودُونَ هُنَاكَ عَلَى ذَلِكَ الْوَضْعِ وَاسْتَدَامُوا فَلَا نَصِيبَ لَنَا غَيْرَ الْحِرْمَانِ مِنْ صُحْبَتِهِمْ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلَامُ أَوَّلًا وَآخِرًا.

(٢٧٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ يُوسُفَ الْبَرْكِيِّ فِي الْحَثِّ عَلَى عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الشُّهُودَاتِ السُّفْلِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَرَايَا الْكَثْرَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيُعْلَمْ أَنَّ رَسَائِلَكُمُ الثَّلَاثَ الْمُرْسَلَةَ قَدْ وَصَلَتْ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فِيهَا مِنْ بَيَانِ وَقَائِعِ الْأَحْوَالِ وَالْكَرَامَاتِ وَالْحَالُ الَّذِي بَيَّنْتَهُ فِي آخِرِ شُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ وَالْإِنْتِهَاءُ الثَّانِي هُوَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَالِ الْأَوَّلِ وَأَنْ يَغِيبَ الْغَيْبَةُ يَعْنِي أَنَا عَبْدٌ وَخَلْقٌ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا الْحَالُ أَصِيلٌ وَفَوْقَ الْأَحْوَالِ الْمَذْكُورَةِ وَلَكِنَّ الْإِنْتِهَاءَ غَيْرُهُ وَالنِّهَايَةَ بَعِيدَةٌ عَنْهُ بِمَرَاحِلَ، شِعْرٌ:

وَذَا إِيوَانُ الْإِسْتِغْنَاءِ عَالٍ *** فَهَيْهَاتَ التَّفَكُّرُ فِي الْوِصَالِ

وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ تَكْرَارِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ حَيْثُ كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِهِ فِي الْمَكْتُوبِ السَّابِقِ هُوَ نَفْيُ هَذَا الشُّهُودِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْكَثْرَةِ, لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ قَدْ زَالَ ذَلِكَ الشُّهُودُ عَنْكَ بِبَرَكَةِ تَكْرَارِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَالِيَ الْهِمَّةِ وَأَنْ لَا تَكْتَفِيَ بِجَوْزِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْزِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْهِمَمِ وَلَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنْ سِكَّةِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ الضَّيِّقَةِ إِلَى الطَّرِيقِ السُّلْطَانِيِّ فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ لَوْ لَمْ تَتَذَكَّرِ الْأَحْوَالَ السَّابِقَةَ وَلَمْ تَتَفَكَّرْ لَذَّاتِ شُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ وَصَرَفْتَ الْعُمْرَ بِالْإِسْتِقَامَةِ فِي السَّعْيِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَلَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الْخَشْخَاشِيِّينَ تَرَكُوا شُرْبَ الْخَشْخَاشِ وَاطَّلَعُوا عَلَى قُبْحِهِ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً ثُمَّ جَرَّهُمْ تَذَكُّرُ الْأَحْوَالِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى شُرْبِ الْخَشْخَاشِ وَتَفَكُّرُ لَذَّاتِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ اتِّفَاقًا إِلَى الْحَالَةِ الْقَدِيمَةِ. (أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنَّ الشُّهُودَ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَرَايَا الْكَثْرَةِ مُوجِبٌ لِلَّذَّةِ، وَالشُّهُودُ التَّنْزِيهِيُّ الَّذِي هُوَ نَاظِرٌ إِلَى الْجَهْلِ الْإِلْتِذَاذُ بِهِ مُتَعَسِّرٌ بَعِيدٌ وَالسَّيْرُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِمْدَادِ شَيْخٍ مُقْتَدًى بِهِ مُتَعَذِّرٌ أَلَا تَرَى أَنَّ أَخَانَا الْأَعَزَّ مَوْلَانَا أَحْمَدَ الْبَرْكِيَّ يَعُدُّهُ الْعَوَامُّ مِنْ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ وَهُوَ بِنَفْسِهِ أَيْضًا لَا يَعْلَمُ أَحْوَالَهُ وَأَحْوَالَ أَصْحَابِهِ وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ بَاطِنَهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الشُّهُودِ التَّنْزِيهِيِّ الَّذِي هُوَ مَوْطِنُ الْجَهْلِ

وَإِيمَانُهُ مِثْلَ الْعُلَمَاءِ إِيمَانٌ بِالْغَيْبِ وَبَاطِنُهُ مِنْ عُلُوِّ الْفِطْرَةِ غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَى شُهُودٍ مُمْتَزِجٍ بِالْكَثْرَةِ وَظَاهِرُهُ غَيْرُ مَفْتُونٍ وَغَيْرُ مَغْرُورٍ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَوُجُودُهُ الشَّرِيفُ مُغْتَنَمٌ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَهَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي أَخْبَرْتَ بِحُصُولِهَا قَدِ اتَّصَفَ بِهَا مَوْلَانَا الْمَذْكُورُ وَتَحَقَّقَ مِنْ مُنْذُ أَزْمَانٍ عَلِمَ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ وَعِنْدَ الْفَقِيرِ أَنَّ مَدَارَ تِلْكَ الْبُقْعَةِ عَلَى وُجُودِ مَوْلَانَا وَالْعَجَبُ كَيْفَ خَفِيَ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى أَهْلِ الْكَشْفِ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَجَلَالَةُ قَدْرِ مَوْلَانَا ظَاهِرَةٌ وَبَاهِرَةٌ فِي عِلْمِ الْفَقِيرِ كَوُجُودِ الشَّمْسِ وَمَاذَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ وَالْمَأْمُولُ الدُّعَاءُ وَالسَّلَامُ.

(٢٧٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا أَحْمَدَ الْبَرْكِيِّ

فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ وَالتَّحْرِيضِ عَلَى تَعْلِيمِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَنَشْرِ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَبَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِي أَنَّهُ قَدْ وَصَلَتِ الصَّحِيفَتَانِ الْمُرْسَلَتَانِ صُحْبَةَ الشَّيْخِ حَسَنٍ وَغَيْرِهِ وَأَوْرَثَتَا فَرَحًا وَافِرًا وَقَدْ بَيَّنْتَ فِي إِحْدَاهُمَا أَحْوَالَ الْخَوَاجَهْ وَيْسٍ وَاسْتَفْسَرْتَ فِي الْأُخْرَى عَنْ قَبُولِكَ فَتَوَجَّهْتُ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ إِلَى حَالِكَ فَرَأَيْتُ أَنَّ سُكَّانَ تِلْكَ النَّوَاحِي يَعْدُونَ إِلَى جَانِبِكَ وَيَلْتَجِئُونَ إِلَيْكَ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّكَ قَدْ جُعِلْتَ مَدَارَ تِلْكَ الْبُقْعَةِ وَجُعِلَتْ أُنَاسُ تِلْكَ الْحُدُودِ مَرْبُوطَةً بِكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْمُعَامَلَةَ مِنْ جُمْلَةِ الْوَاقِعَاتِ الَّتِي هِيَ مَظَانُّ الرَّيْبِ وَالْإِشْتِبَاهِ بَلْ عُدَّهَا مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ وَالْمَشْهُودَاتِ وَالْعُمْدَةُ لَكَ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ تَعْلِيمُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَنَشْرُ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ فِي مَوَاضِعَ تَمَكَّنَ فِيهَا الْجَهْلُ وَرَسَخَتِ الْبِدْعَةُ وَمَحَبَّتُكَ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِخْلَاصُكَ لَهُمْ وَقَدْ مَنَحَكُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَحْضِ فَضْلِهِ فَعَلَيْكُمْ بِتَعْلِيمِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَنَشْرِ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهَا مِلَاكُ الْأَمْرِ وَمَنَاطُ الْإِرْتِقَاءِ وَمَدَارُ النَّجَاةِ وَعَلَيْكُمْ شَدُّ نِطَاقِ الْهِمَّةِ وَإِحْكَامُهُ لِأَنْ تَكُونُوا فِي عِدَادِ الْعُلَمَاءِ وَدَلَالَةِ الْخَلْقِ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**) وَالذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ الَّذِي أُجِزْتُمْ بِهِ أَيْضًا مُؤَيِّدٌ لِإِتْيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَدَافِعٌ لِعِنَادِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ فَيَنْبَغِي إِجْرَاءُ هَذَا الطَّرِيقِ أَيْضًا وَأَنْ لَا تَحْزَنَ عَلَى عَدَمِ الْإِطِّلَاعِ عَلَى أَحْوَالِكَ وَأَحْوَالِ أَصْحَابِكَ وَأَنْ لَا تَجْعَلَهُ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ الْحَاصِلِ فِيكَ وَأَحْوَالُ الْأَصْحَابِ كَافِيَةٌ لِلْمِرْآتِيَّةِ لِكَمَالَاتِكَ وَمَا ظَهَرَ فِي الْأَصْحَابِ إِنَّمَا هُوَ أَحْوَالُكَ ظَهَرَتْ فِيهِمْ بِطَرِيقِ الْإِنْعِكَاسِ.

وَالشَّيْخُ حَسَنٌ أَحَدُ أَرْكَانِ دَوْلَتِكَ مُمِدٌّ وَمُعَاوِنٌ لَكَ فِي مُعَامَلَتِكَ فَإِنْ وَقَعَ فِي خَاطِرِكَ إِرَادَةُ سَفَرِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ أَوْ مَمَالِكِ الْهِنْدِ فَرْضًا فَالنَّائِبُ مَنَابَكَ هُنَاكَ هُوَ الشَّيْخُ حَسَنٌ فَيَنْبَغِي أَنْ تُرَاعِيَ الْإِلْتِفَاتَ وَالتَّوَجُّهَ فِي حَقِّهِ وَالْإِجْتِهَادَ الْبَلِيغَ لِيَتَفَرَّغَ مِنْ تَعَلُّمِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ سَرِيعًا وَكَانَ سَفَرُهُ هَذَا إِلَى الْهِنْدِ مُغْتَنَمًا فِي حَقِّهِ وَحَقِّكَ أَيْضًا رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ * وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَصْحَابِ حَصَلَ لَهُ تَرَقٍّ مِنْ مُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَمَا كَانَ يَظْهَرُ لَهُ فِي حَالَةِ الْغَيْبَةِ وَعَدَمِ الشُّعُورِ مِنَ **الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَاتِ يَرَاهُ الْآنَ فِي حَالَةِ الْإِفَاقَةِ؟**

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ، لاَ دَلاَلَةَ فِي هَذِهِ الرُّؤْيَةِ عَلَى التَّرَقِّي سَوَاءٌ كَانَتْ فِي الشُّعُورِ أَوْ فِي غَيْرِهِ وَالْقَدَمُ الأَوَّلُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَنْ لاَ يَرَى غَيْرَ الْحَقِّ – سُبْحَانَهُ – أَصْلاً وَأَنْ لاَ يَبْقَى فِي فِكْرَتِهِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى قَطْعًا لاَ بِمَعْنَى أَنَّهُ لاَ يَرَى الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَعْلَمُهَا بِعُنْوَانِ السِّوَى فَإِنَّ هَذَا عَيْنُ رُؤْيَةِ الْكَثْرَةِ بَلْ لاَ يَرَى غَيْرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ أَصْلاً وَلاَ يُحِسُّ بِهِ قَطْعًا وَهَذِهِ الْحَالَةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بِالْفَنَاءِ وَالْمَنْزِلِ الأَوَّلِ مِنْ مَنَازِلِ هَذَا الطَّرِيقِ وَدُونَهُ خَرْطُ الْقَتَادِ، شِعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا *** فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيلٌ

وَالْمَكْتُوبَاتُ الْمَسْطُورَةُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ عَزِيزَةُ الْوُجُودِ جِدًّا وَقَدِ انْدَرَجَتْ فِيهَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَخَذَ الشَّيْخُ حَسَنٌ نَقْلَهَا مَعَهُ فَيَنْبَغِي مُطَالَعَتُهَا بِكَمَالِ الْمُلاَحَظَةِ وَقَدِ الْتَمَسْتُ الدُّعَاءَ لِوَالِدَتِكَ الْمَرْحُومَةِ فَأَجَبْنَاهُ وَقَبِلْنَاهُ وَبَقِيَّةُ أَحْوَالِ هَذِهِ الْحُدُودِ بَيَّنَهَا الشَّيْخُ حَسَنٌ بِالتَّفْصِيلِ ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْفَقِيرُ وَأَوْلاَدُهُ يَلْتَمِسُ الدُّعَاءَ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَالسَّلاَمُ.

(٢٧٦) الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ فِي بَيَانِ مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ وَمُتَشَابِهَاتِهِ وَبَيَانِ الْعُلَمَاءِ وَكَمَالاَتِهِمْ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ جَعَلَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ. أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَسَّمَ كِتَابَهُ الْمَجِيدَ عَلَى قِسْمَيْنِ مُحْكَمَاتٍ وَمُتَشَابِهَاتٍ. فَالْقِسْمُ الأَوَّلُ مَنْشَأٌ لِعِلْمِ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ. وَالْقِسْمُ الثَّانِي مَخْزَنُ عِلْمِ الْحَقَائِقِ وَالأَسْرَارِ وَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْيَدِ وَالْوَجْهِ وَالْقَدَمِ وَالأَصَابِعِ وَالأَنَامِلِ كُلُّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَكَذَا مُقَطَّعَاتُ الْحُرُوفِ الْوَارِدَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ الْقُرْآنِيَّةِ أَيْضًا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ الَّتِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا إِلاَّ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ وَلاَ تَتَخَيَّلْ أَنَّ التَّأْوِيلَ عِبَارَةٌ عَنِ الْقُدْرَةِ الَّتِي عُبِّرَ عَنْهَا بِالْيَدِ وَعَنِ الذَّاتِ الَّتِي عُبِّرَ عَنْهَا بِالْوَجْهِ بَلْ تَأْوِيلُهَا مِنَ الأَسْرَارِ الْغَامِضَةِ الَّتِي انْكَشَفَتْ لأَخَصِّ الْخَوَاصِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فَإِنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا بَحْرٌ مَوَّاجٌ مِنَ الأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ بَيْنَ الْعَاشِقِ وَالْمَعْشُوقِ وَرَمْزٌ غَامِضٌ مِنَ الرُّمُوزِ الدَّقِيقَةِ بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ.

وَالْمُحْكَمَاتُ وَإِنْ كُنَّ أُمَّهَاتِ الْكِتَابِ وَلَكِنَّ نَتَائِجَهُنَّ وَثَمَرَاتِهِنَّ الَّتِي هِيَ الْمُتَشَابِهَاتُ مِنْ مَقَاصِدِ الْكِتَابِ وَلَيْسَتِ الأُمَّهَاتُ إِلاَّ وَسَائِلَ لِحُصُولِ النَّتَائِجِ فَلُبُّ الْكِتَابِ هُوَ الْمُتَشَابِهَاتُ وَقِشْرُ ذَلِكَ اللُّبِّ مُحْكَمَاتُ الْكِتَابِ وَالْمُتَشَابِهَاتُ هِيَ الَّتِي تُبَيِّنُ الأَصْلَ بِالرَّمْزِ وَالإِشَارَةِ وَتُنْبِئُ عَنْ حَقِيقَةِ مُعَامَلَةِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْعَالِيَةِ الشَّأْنِ بِخِلاَفِ الْمُحْكَمَاتِ وَالْمُتَشَابِهَاتُ هِيَ الْحَقَائِقُ وَالْمُحْكَمَاتُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَشَابِهَاتِ صُوَرُ

---

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

تِلْكَ الْحَقَائِقِ وَالْعَالِمُ الرَّاسِخُ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ اللُّبِّ وَالْقِشْرِ وَالْحَقِيقَةِ وَالصُّورَةِ عُلَمَاءُ الْقِشْرِ مَسْرُورُونَ بِالْقِشْرِ وَمُكْتَفُونَ بِالْمُحْكَمَاتِ وَالْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ يُحَصِّلُونَ الْمُحْكَمَاتِ وَيَنَالُونَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالصُّورَةِ أَعْنِي الْمُتَشَابِهَ وَالْمُحْكَمَ وَأَمَّا مَنْ طَلَبَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهَاتِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِ الْمُحْكَمَاتِ وَمِنْ غَيْرِ عَمَلٍ بِمُقْتَضَاهَا وَتَرَكَ الصُّورَةَ وَسَلَكَ طَرِيقَ فِكْرِ الْحَقِيقَةِ فَهُوَ جَاهِلٌ وَلَيْسَ لَهُ خَبَرٌ عَنْ جَهْلِهِ وَضَالٌّ وَلَيْسَ لَهُ شُعُورٌ بِضَلَالَتِهِ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ هَذِهِ النَّشْأَةَ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَمَا دَامَتْ هَذِهِ النَّشْأَةُ مَوْجُودَةً لاَ تَنْفَكُّ الْحَقِيقَةُ عَنِ الصُّورَةِ أَصْلاً

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أَيِ الْمَوْتُ كَمَا قَالَ الْمُفَسِّرُونَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى غَايَةَ الْعِبَادَةِ وَنِهَايَتَهَا زَمَانَ حُلُولِ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ مُنْتَهَى هَذِهِ النَّشْأَةِ لِأَنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ انْفِكَاكُ الصُّوَرِ مِنَ الْحَقَائِقِ فِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ ظُهُورِ الْحَقَائِقِ فَكُلٌّ مِنَ النَّشْأَتَيْنِ لَهَا حُكْمٌ عَلَى حِدَةٍ لاَ يَخْتَلِطُ حُكْمُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى إِلاَّ جَاهِلٌ أَوْ زِنْدِيقٌ مَقْصُودُهُ إِبْطَالُ الشَّرَائِعِ فَإِنَّ كُلَّ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ ثَابِتٌ لِلْمُبْتَدِي فَهُوَ ثَابِتٌ أَيْضًا لِلْمُنْتَهِي وَعَامَّةُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخَصُّ الْخَوَاصِّ مِنَ الْعَارِفِينَ سَوَاسِيَةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى مُتَسَاوِيَةُ الْأَقْدَامِ فِيهِ لاَ فَرْقَ بَيْنَ شَخْصٍ وَشَخْصٍ وَالْمُتَصَوِّفَةُ الْقَاصِرُونَ وَالْمَلاَحِدَةُ الْخَائِبُونَ فِي صَدَدِ إِخْرَاجِ رِقَابِهِمْ مِنْ رِبْقَةِ الشَّرِيعَةِ مُتَخَيِّلِينَ بِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ مَخْصُوصَةٌ بِالْعَوَامِّ وَأَمَّا الْخَوَاصُّ فَهُمْ مُكَلَّفُونَ بِالْمَعْرِفَةِ فَقَطْ كَمَا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ مِنْ جَهْلِهِمْ أَنَّ الْأُمَرَاءَ وَالسَّلاَطِينَ لَيْسُوا مُكَلَّفِينَ بِغَيْرِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَيَقُولُونَ إِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ إِتْيَانِ الشَّرِيعَةِ حُصُولُ الْمَعْرِفَةِ فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَعْرِفَةُ سَقَطَتِ التَّكَالِيفُ الشَّرْعِيَّةُ وَيَسْتَشْهِدُونَ فِي إِثْبَاتِ مُدَّعَاهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أَيْ بِاللَّهِ كَمَا قَالَ سَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ يَعْنِي انْتِهَاءَ الْعِبَادَةِ حُصُولُ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُرَادَ مَنْ فَسَّرَ الْيَقِينَ بِكَوْنِهِ بِاللَّهِ هُوَ كَوْنُ انْتِهَاءِ الْكُلْفَةِ فِي الْعِبَادَةِ حُصُولَ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ لاَ انْتِهَاءَ نَفْسِ الْعِبَادَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مُفْضٍ إِلَى الْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَيْضًا أَنَّ عِبَادَةَ الْعَارِفِينَ رِيَائِيَّةٌ فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ لِيَقْتَدِيَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْمُبْتَدِئُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ لاَ لِكَوْنِهِمْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا وَيَنْقُلُونَ فِي تَأْيِيدِ هَذَا الْقَوْلِ أَقْوَالاً عَنِ الْمَشَايِخِ حَيْثُ قَالُوا مَا لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ مُنَافِقًا وَمُرَائِيًا لاَ يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُرِيدُ خَذَلَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا أَجْهَلَهُمْ وَاحْتِيَاجُ الْعَارِفِينَ إِلَى الْعِبَادَةِ عَلَى نَهْجٍ لَيْسَ فِي الْمُرِيدِينَ عُشْرُهُ فَإِنَّ عُرُوجَاتِهِمْ مَرْبُوطَةٌ بِالْعِبَادَةِ وَتَرَقِّيَاتِهِمْ مَنُوطَةٌ بِإِتْيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا يُتَوَقَّعُ لِلْعُلُومِ غَدًا مِنْ ثَمَرَاتِ الْعِبَادَةِ فَهُوَ حَاصِلٌ لِلْعَارِفِينَ الْيَوْمَ فَهُمْ إِذًا أَحِقَّاءُ بِالْعِبَادَةِ وَأَحْوَجُ إِلَى إِتْيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ غَيْرِهِمْ. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَالصُّورَةُ ظَاهِرُ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةُ بَاطِنُ الشَّرِيعَةِ فَالْقِشْرُ وَاللُّبُّ كِلاَهُمَا مِنْ أَجْزَاءِ الشَّرِيعَةِ وَالْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ مِنْ أَفْرَادِهِمَا وَعُلَمَاءُ الظَّاهِرِ اكْتَفَوْا بِقِشْرِهَا وَالْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ جَمَعُوا بَيْنَ اللُّبِّ وَالْقِشْرِ وَنَالُوا حَظًّا وَافِرًا مِنْ مَجْمُوعِ الصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَصَوَّرَ الشَّرِيعَةُ كَشَخْصٍ مُرَكَّبٍ مِنَ الصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَقَدْ تَعَلَّقَ جَمَاعَةٌ بِصُورَتِهَا وَشُغِفُوا بِهَا وَأَنْكَرُوا حَقِيقَتَهَا وَلَمْ يَعْرِفُوا لَهُمْ شَيْخًا يَقْتَدُونَ بِهِ غَيْرَ الْهِدَايَةِ وَالْبِزْدَوِيِّ وَهَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةُ هُمْ عُلَمَاءُ الْقِشْرِ وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى اعْتَنَوْا بِحَقِيقَتِهَا وَلَكِنْ لَمْ يَعْتَقِدُوهَا

حَقِيقَةَ الشَّرِيعَةِ بَلْ زَعَمُوا الشَّرِيعَةَ مَقْصُورَةً عَلَى الصُّورَةِ وَالْقِشْرِ وَتَصَوَّرُوا اللُّبَّ وَالْحَقِيقَةَ وَرَاءَهَا وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَمْتَنِعُوا مِنْ إِتْيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَمْ يَتَخَلَّفُوا عَنْهَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَلَمْ يُضَيِّعُوا الصُّورَةَ وَعَدُّوا تَارِكَ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ بَطَّالاً وَضَالاً وَهَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءُ اللهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَقَدِ انْقَطَعُوا عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَى بِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ . وَدُونَ هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٌ أُخْرَى وَهُمُ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا الشَّرِيعَةَ مُرَكَّبَةً مِنَ الصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَتَيَقَّنُوا أَنَّهَا مَجْمُوعُ الْقِشْرِ وَاللُّبِّ وَحُصُولُ صُورَةِ الشَّرِيعَةِ بِدُونِ تَحْصِيلِ الْحَقِيقَةِ سَاقِطٌ عِنْدَهُمْ عَنْ حَيِّزِ الْإِعْتِبَارِ وَحُصُولُ حَقِيقَتِهَا بِدُونِ إِثْبَاتِ الصُّورَةِ نَاقِصٌ غَيْرُ تَامٍّ بَلْ لَا يَعُدُّونَ حُصُولَ الصُّورَةِ بِدُونِ ثُبُوتِ الْحَقِيقَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ الْمُوجِبِ لِلنَّجَاةِ كَمَا هُوَ حَالُ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ وَعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَصَوَّرُونَ حُصُولَ الْحَقِيقَةِ بِدُونِ ثُبُوتِ الصُّورَةِ مِنْ جُمْلَةِ الْمُحَالَاتِ وَيُسَمُّونَ الْقَائِلَ بِهِ زِنْدِيقًا وَضَالاً . وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ الْكَمَالَاتِ الصُّورِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ مُنْحَصِرَةٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ فِي الْكَمَالَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْيَقِينِيَّةِ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْعَقَائِدِ الْكَلَامِيَّةِ الثَّابِتَةِ بِآرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يَسْتَوِي عِنْدَهُمْ أُلُوفٌ مِنَ الشُّهُودِ وَالْمُشَاهَدَةِ وَمَسْأَلَةً وَاحِدَةً مِنَ الْمَسَائِلِ الْكَلَامِيَّةِ فِي تَنْزِيهَاتِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا وَلَا يَشْتَرُونَ الْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالظُّهُورَاتِ الْمُخَالِفَةَ لِحُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِنِصْفِ شَعِيرَةٍ بَلْ يَعُدُّونَ ظُهُورَ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ مِنْ مَظَانِّ الْإِسْتِدْرَاجِ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ وَهُمُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمُ الْإِطْلَاعُ عَلَى حَقِيقَةِ الْمُعَامَلَةِ وَالْمُوصِلُ بِهِمْ بِسَبَبِ رِعَايَتِهِمُ الْآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَى حَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ بِخِلَافِ الْفِرْقَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَمَفْتُونِينَ بِهَا وَلَمْ يُجَاوِزُوا الْحَدَّ فِي إِتْيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ مَهْمَا أَمْكَنَ وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا اعْتَقَدُوا تِلْكَ الْحَقِيقَةَ وَرَاءَ الشَّرِيعَةِ وَتَصَوَّرُوا الشَّرِيعَةَ قِشْرَهَا تَنَزَّلُوا بِالضَّرُورَةِ إِلَى ظِلٍّ مِنْ ظِلَالِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ وَلَمْ يَجِدُوا لِلْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَةِ تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ سَبِيلاً فَلَا جَرَمَ كَانَ وِلَايَتُهُمْ ظِلِّيَّةً وَقُرْبُهُمْ صِفَاتِيًّا بِخِلَافِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فَإِنَّ وِلَايَتَهُمْ أَصْلِيَّةٌ وَإِنَّهُمْ وَجَدُوا لِلْوُصُولِ إِلَى الْأُصُولِ سَبِيلاً وَجَاوَزُوا حُجُبَ الظِّلَالِ بِالتَّمَامِ فَلَا جَرَمَ كَانَتْ وِلَايَتُهُمْ وِلَايَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَوِلَايَةُ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ ظِلُّ وِلَايَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَ هَذَا الْفَقِيرُ مُتَوَقِّفًا فِي تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَمُفَوِّضًا إِيَّاهُ إِلَى عِلْمِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مُدَّةً مَدِيدَةً وَلَمْ أَجِدْ لِلْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ نَصِيبًا مِنْهَا غَيْرَ الْإِيمَانِ بِهَا وَالتَّأْوِيلَاتُ الَّتِي بَيَّنَهَا عُلَمَاءُ الصُّوفِيَّةِ لَمْ أَرَهَا لَائِقَةً وَمُنَاسِبَةً بِشَأْنِ تِلْكَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَلَمْ أَرَ لِلْأَسْرَارِ الْقَابِلَةِ لِلِاسْتِتَارِ تَأْوِيلَاتٍ كَمَا قَالَ عَيْنُ الْقُضَاةِ فِي تَأْوِيلِ بَعْضِ الْمُتَشَابِهَاتِ مَثَلاً فِي أَلم أَرَادَ بِهِ الْأَلَمَ اللَّازِمَ لِلْعِشْقِ وَالْمَحَبَّةِ وَأَمْثَالَهَا وَلَمَّا أَظْهَرَ لِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِمَحْضِ فَضْلِهِ شَمَّةً مِنْ تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَفَتَحَ جَدْوَلاً مِنْ ذَاكَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَمَدَّهُ إِلَى أَرْضِ اسْتِعْدَادِ هَذَا الْمِسْكِينِ عَلِمْتُ أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ أَيْضًا نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ تَأْوِيلَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَأَحَلْنَا تَعْبِيرَاتِ الْوَقَائِعِ الْمَطْلُوبَةِ الْمَسْطُورَةِ عَلَى الْحُضُورِ وَلَمْ نَكْتُبْ مِنْ تِلْكَ الْمَقُولَةِ شَيْئًا مَاذَا أَفْعَلُ قَدْ جَرَى الْقَلَمُ بِمَعَارِفَ أُخَرَ وَاسْتَقْبَلَتْ مُعَامَلَةٌ غَيْرُهَا هِيَ بِالتَّسْطِيرِ أَحْرَى وَالْمَسْؤُولُ مُسَامَحَتُكُمْ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ

وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ الْعُلَى.

(٢٧٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ عَبْدِ الْحَيِّ فِي بَيَانِ عِلْمِ الْيَقِينِ وَعَيْنِ الْيَقِينِ وَحَقِّ الْيَقِينِ وَهَذَا مِنَ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبَةِ لِوَسَطِ الْحَالِ وَنِهَايَةُ الشُّهُودِ هُنَا هُوَ الشُّهُودُ الْأَنْفُسِيُّ بَلْ شُهُودُ مَا وَرَاءَ الْأَنْفُسِ بَلْ نَفْسُ الشُّهُودِ لَيْسَ بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوُصُولِ كَمَا يَلُوحُ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ مَكْتُوبَاتِهِ وَرَسَائِلِهِ

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ أَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ بِذَاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ عِبَارَةٌ عَنْ شُهُودِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَيُقَالُ لِذَلِكَ الشُّهُودِ سَيْرًا آفَاقِيًا وَأَمَّا الشُّهُودُ وَالْحُضُورُ الذَّاتِيَّانِ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُمَا بِمُتَصَوَّرٍ فِي غَيْرِ السَّيْرِ الْأَنْفُسِيِّ وَهُوَ لَا يَكُونُ فِي غَيْرِ نَفْسِ السَّالِكِ، شِعْرٌ:

فَلَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ سَيْرَكَ لَمْ يَكُنْ *** إِلاَّ إِلَيْكَ إِذَا بَلَغْتَ الْمَنْزِلاَ

وَمَا يُشَاهِدُهُ فِي خَارِجِهِ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ مُشَاهَدَةِ الْآثَارِ وَالدَّلَائِلِ عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى لَا مُشَاهَدَتُهُ عَزَّ سُلْطَانُهُ قَالَ قُطْبُ الْمُحَقِّقِينَ سَيِّدُ الْعَارِفِينَ نَاصِرُ الدِّينِ الْخَوَاجَةُ عُبَيْدُ اللَّهِ قُدِّسَ سِرُّهُ : إِنَّ السَّيْرَ عَلَى نَوْعَيْنِ سَيْرٌ مُسْتَطِيلٌ وَسَيْرٌ مُسْتَدِيرٌ فَالسَّيْرُ الْمُسْتَطِيلُ بُعْدٌ فِي بُعْدٍ وَالسَّيْرُ الْمُسْتَدِيرُ قُرْبٌ فِي قُرْبٍ وَالسَّيْرُ الْمُسْتَطِيلُ طَلَبُ الْمَقْصُودِ مِنْ خَارِجِ دَائِرَةِ نَفْسِهِ وَالسَّيْرُ الْمُسْتَدِيرُ الدَّوَرَانُ حَوْلَ قَلْبِهِ وَطَلَبُ الْمَقْصُودِ مِنْ نَفْسِهِ فَالتَّجَلِّيَاتُ الْكَائِنَةُ فِي الصُّوَرِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمِثَالِيَّةِ وَكَذَلِكَ التَّجَلِّيَاتُ الْكَائِنَةُ فِي حُجُبِ الْأَنْوَارِ دَاخِلَةٌ فِي عِلْمِ الْيَقِينِ أَيَّ صُورَةٍ كَانَتْ وَأَيَّ نُورٍ كَانَ وَسَوَاءٌ كَانَ النُّورُ مُكَيَّفًا وَمُلَوَّنًا أَوْ مُتَنَاهِيًا أَوْ لَا مُحِيطًا كَانَ بِالْكَائِنَاتِ أَوْ لَا قَالَ مَوْلَانَا الْمَخْدُومُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَامِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ السَّامِيَ فِي شَرْحِ اللُّمَعَاتِ عِنْدَ بَيَانِ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ، شِعْرٌ:

يَا مَنْ طَلَبْتُهُ مِنْ جَمِيعِ مَكَانٍ *** وَسَأَلْتُ عَنْهُ أَقَاصِيًا وَأَدَانِيَ

إِنَّ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْمُشَاهَدَةِ الْآفَاقِيَّةِ الَّتِي تُفِيدُ عِلْمَ الْيَقِينِ وَحَيْثُ أَنَّهَا لَا تُخْبِرُ عَنِ الْمَقْصُودِ وَلَا تُعْطِي حُضُورَهُ لَا جَرَمَ تَكُونُ كَشُهُودِ الدُّخَانِ وَالْحَرَارَةِ الدَّالَّيْنِ عَلَى ذَاتِ النَّارِ فَلَا يَخْرُجُ ذَلِكَ الشُّهُودُ مِنْ دَائِرَةِ الْعِلْمِ وَلَا يَكُونُ مُفِيدَ الْعَيْنِ الْيَقِينِ وَمُفْنِيًا لِوُجُودِ السَّالِكِ وَعَيْنُ الْيَقِينِ عِبَارَةٌ عَنْ شُهُودِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَعْلُومًا بِالْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ وَهَذَا الشُّهُودُ مُسْتَلْزِمٌ لِفَنَاءِ السَّالِكِ وَعِنْدَ غَلَبَةِ هَذَا الشُّهُودِ يَكُونُ تَعَيُّنُهُ مُتَلَاشِيًا بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يَبْقَى أَثَرٌ مِنْهُ فِي عَيْنِ شُهُودِهِ وَيَكُونُ فَانِيًا وَمُسْتَهْلَكًا فِي الشُّهُودِ وَهَذَا الشُّهُودُ مُعَبَّرٌ عَنْهُ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ بِالْإِدْرَاكِ الْبَسِيطِ وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا مَعْرِفَةٌ وَالْعَوَامُّ يُشَارِكُونَ الْخَوَاصَّ فِي هَذَا الْإِدْرَاكِ وَلَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ شُهُودَ الْخَلْقِ لَا يَكُونُ مُزَاحِمًا فِي الْخَوَاصِّ لِشُهُودِ

الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ بَلْ لَيْسَ الْمَشْهُودُ بِعُيُونِ شُهُودِهِمْ غَيْرَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَمَّا الْعَوَامُّ فَهُوَ مُزَاحِمٌ لَهُ فِيهِمْ وَلِهَذَا فِيهِمْ ذُهُولٌ تَامٌّ عَنْ هَذَا الشُّهُودِ وَلَيْسَ لَهُمْ خَبَرٌ عَنْ هَذَا الْإِدْرَاكِ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ هَذَا حِجَابُ عِلْمِ الْيَقِينِ كَمَا أَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ حِجَابُهُ وَعِنْدَ تَحَقُّقِ هَذَا الشُّهُودِ لاَ يُدْرَكُ شَيْءٌ غَيْرُ الْحَيْرَةِ وَالْجَهَالَةِ لاَ مَجَالَ لِلْعِلْمِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ أَصْلاً. قَالَ بَعْضُ الْكُبَرَاءِ قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى سِرَّهُ: عِلْمُ الْيَقِينِ حِجَابُ عَيْنِ الْيَقِينِ وَعَيْنُ الْيَقِينِ حِجَابُ عِلْمِ الْيَقِينِ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَعَلاَمَةُ مَنْ عَرَفَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى سِرِّهِ فَلاَ يَجِدَ عِلْمًا بِهِ فَذَلِكَ الْكَامِلُ فِي الْمَعْرِفَةِ الَّتِي لاَ مَعْرِفَةَ وَرَاءَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيْضًا قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ: أَعْرَفُهُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَحَيُّرًا فِيهِ. وَحَقُّ الْيَقِينِ عِبَارَةٌ عَنْ شُهُودِهِ سُبْحَانَهُ بَعْدَ ارْتِفَاعِ التَّعَيُّنِ وَاضْمِحْلاَلِ الْمُتَعَيِّنِ وَشُهُودُهُ هَذَا لِلْحَقِّ بِالْحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ بِهِ لاَ يَحْمِلُ عَطَايَا الْمَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ وَذَلِكَ يُتَصَوَّرُ فِي الْبَقَاءِ بِاللَّهِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ الَّذِي يَهَبُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ فِيهِ لِلسَّالِكِ وُجُودًا مِنْ عِنْدِهِ بِمَحْضِ عِنَايَتِهِ بَعْدَ تَحَقُّقِهِ بِالْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ الَّذِي هُوَ الْفَنَاءُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُخْرِجُهُ مِنَ السُّكْرِ وَالْغَيْبَةِ إِلَى الصَّحْوِ وَالْإِفَاقَةِ وَيُقَالُ لِهَذَا الْوُجُودِ الْوُجُودُ الْمَوْهُوبُ الْحَقَّانِيُّ وَفِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ لاَ يَكُونُ الْعِلْمُ حِجَابًا لِلْعَيْنِ وَلاَ الْعَيْنُ حِجَابًا لِلْعِلْمِ بَلْ يَكُونُ فِي عَيْنِ الشُّهُودِ عَالِمًا وَفِي عَيْنِ الْعِلْمِ مُشَاهِدًا وَهَذَا التَّعَيُّنُ هُوَ الَّذِي يَجِدُهُ الْعَارِفُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ عَيْنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ التَّعَيُّنُ الْكَوْنِيُّ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ أَثَرٌ فِي نَظَرِ شُهُودِهِ وَلأَنَّهُ مِنَ التَّجَلِّيَاتِ الصُّورِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَنْ يَجِدَ السَّالِكُ التَّعَيُّنَاتِ وَالصُّوَرَ عَيْنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهِيَ تَعَيُّنَاتٌ كَوْنِيَّةٌ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهَا الْفَنَاءُ أَصْلاً فَأَيْنَ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ وَظَاهِرُ الْعِبَارَةِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَ الْعَوَامِّ مُوهِمًا لِعَدَمِ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّجَلِّي الصُّورِيِّ الَّذِي هُوَ وِجْدَانُ السَّالِكِ نَفْسَهُ عَيْنَ الْحَقِّ وَبَيْنَ حَقِّ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ أَيْضًا وِجْدَانُهُ نَفْسَهُ عَيْنَ الْحَقِّ لَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ فَرْقٌ بَيْنَهُمَا وَهُوَ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِأَنَا فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ يَقَعُ عَلَى الصُّورَةِ فِي حَقِّ الْيَقِينِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَيْضًا أَنَّ السَّالِكَ يَرَى الْحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ بِنَفْسِهِ وَفِي هَذَا الْمَوْطِنِ يَرَى الْحَقَّ بِالْحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُهُ فِيهِ رُؤْيَةُ نَفْسِهِ فَإِطْلاَقُ الشُّهُودِ فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ عَلَى سَبِيلِ التَّجَوُّزِ فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُ رُؤْيَةُ الْحَقِّ بِغَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهِيَ فِي مَرْتَبَةِ حَقِّ الْيَقِينِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ فِيهَا حَقِيقَةُ الشُّهُودِ وَبَعْضُ شُيُوخِ الزَّمَانِ لَمَّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى هَذَا الْفَرْقِ وَلَمْ يَعْلَمْ تَعَيُّنًا سِوَى التَّعَيُّنِ الْكَوْنِيِّ أَطَالَ لِسَانَ الطَّعْنِ فِي الْأَكَابِرِ قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ فِي تَفْسِيرِهِمْ حَقَّ الْيَقِينِ عَلَى النَّهْجِ الَّذِي قَرَّرْتُهُ وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا الْيَقِينَ قَدْ يَحْصُلُ فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْقَدَمِ فِي السُّلُوكِ وَهُمْ فَسَّرُوا بِهِ حَقَّ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ نِهَايَةُ الْأَقْدَامِ فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ بَلْ حَكَمَ أَنَّ الْحَقَّ الْيَقِينَ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ فِي النِّهَايَةِ يَحْصُلُ لَنَا فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ أَقْدَامِنَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالسَّلاَمُ.

(٢٧٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ عَبْدِ الْكَرِيمِ السَّنَّامِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّهُ لاَ بُدَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ تَحْصِيلِ سَلاَمَةِ الْقَلْبِ عَمَّا دُونَ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَمَدْحِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ وَفِي التَّحْرِيضِ عَلَى إِمْدَادِ الْمَوْتَى وَإِعَانَتِهِمْ وَمَا يُنَاسِبُهُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَصَلَ مَكْتُوبُ الأَخِ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ وَالنَّصِيحَةُ الَّتِي لاَ زِلْتُ أَنْصَحُ بِهَا الأَصْحَابَ وَلاَ أَزَالُ أَنْصَحُهُمْ بِهَا إِلَى انْقِضَاءِ عُمْرِي بَعْدَ تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ عَلَى وَفْقِ مَا بُيِّنَ فِي الْكُتُبِ الْكَلاَمِيَّةِ الْمَخْصُوصَةِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُمْ وَبَعْدَ إِتْيَانِ الأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ مِنَ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ وَالْمَكْرُوهِ وَالْمُشْتَبِهِ امْتِثَالاً، وَانْتِهَاءً تَحْصِيلُ سَلاَمَةِ الْقَلْبِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَا سِوَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهِيَ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ فِي الْقَلْبِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى بِحَيْثُ لَوْ تَيَسَّرَتْ حَيَاةُ أَلْفِ سَنَةٍ فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ فِي الْقَلْبِ غَيْرُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاَ بِمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاءَ تَخْطُرُ فِي الْبَالِ وَلَكِنْ لاَ يَعْرِفُهَا صَاحِبُهُ بِعُنْوَانِ غَيْرِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى مُيَسَّرٌ أَيْضًا فِي بِدَايَةِ مُرَاقَبَةِ التَّوْحِيدِ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاءَ لاَ تَخْطُرُ فِي الْقَلْبِ أَصْلاً وَمَبْنَى هَذَا وَمَدَارُهُ عَلَى نِسْيَانِ الْقَلْبِ مَا دُونَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ عَلَى نَهْجٍ لَوْ ذُكِّرَ بِالأَشْيَاءِ بِالتَّكْلِيفِ لاَ يَتَذَكَّرُ وَهَذِهِ الْحَالَةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بِالْفَنَاءِ الْقَلْبِيِّ وَأَوَّلُ قَدَمٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ، وَسَائِرُ كَمَالاَتِ الْوِلاَيَةِ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ، شِعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا *** فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيلٌ

وَأَقْرَبُ الطُّرُقِ لأَجْلِ الْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى هُوَ الطَّرِيقَةُ الْعَلِيَّةُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَ أَرْبَابِهَا فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرَ اخْتَارُوا الإِبْتِدَاءَ مِنْ عَلَمِ الأُمُورِ وَطَلَبُوا مِنَ الْقَلْبِ طَرِيقًا إِلَى مُقَلِّبِ الْقَلْبِ وَلَهُمْ عِوَضًا عَنْ رِيَاضَاتِ الآخَرِينَ وَمُجَاهَدَاتِهِمِ الْتِزَامُ السُّنَّةِ وَاجْتِنَابُ الْبِدْعَةِ.

قَالَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ: طَرِيقَتُنَا أَقْرَبُ الطُّرُقِ وَلَكِنَّ الْتِزَامَ السُّنَّةِ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جِدًّا فَطُوبَى لِمَنْ تَوَسَّلَ بِهِمْ وَاقْتَدَى بِهِمْ لِمَوْلاَنَا الْجَامِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ، (أَشْعَارٌ):

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ إِنَّهُمْ *** يَمْشُونَ بِالرَّكْبِ مُخْتَفِيِّينَ لِلْحَرَمِ

تُزِيلُ وَسْوَسَةَ الْخَلَوَاتِ صُحْبَتُهُمْ *** عَنْ قَلْبِ صَحْبِهِمْ يَا نِعْمَ مُغْتَنَمِ

لَوْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا *** بَرَأْتُ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَشِ الْكَلِمِ

هَلْ يَقْطَعُ الثَّعْلَبُ الْمُحْتَالُ سِلْسِلَةً *** قُيِّدَتْ بِهَا أُسُدُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهِمِ

وَالْمَعْرُوضُ ثَانِيًا أَنَّ صَحِيفَةَ مُحِبِّنَا الْقَاضِي مُحَمَّدْ شَرِيفْ قَدْ وَصَلَتْ وَحَيْثُ كَانَتْ مُنْبِئَةً عَنْ مَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ صَارَتْ مُوجِبَةً لِلْفَرَحِ فَبَلِّغْهُ دُعَاءَ الْفَقِيرِ. وَثَالِثًا: قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِينَا الشَّيْخِ حَبِيبِ اللَّهِ وَقَدْ كَتَبَ خَبَرَ فَوْتِ وَالِدِهِ الْمَرْحُومِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَالْمَرْجُوُّ تَبْلِيغُ الدُّعَاءِ مِنْ جَانِبِ الْفَقِيرِ وَأَدَاءُ مَرَاسِمِ

التَّعْزِيَةِ وَيُمِدُّ وَالِدَهُ الْمَرْحُومَ بِالدُّعَاءِ وَلْيُعِنْهُ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْإِسْتِغْفَارِ فَإِنَّ الْمَيِّتَ كَالْغَرِيقِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ وَلَدٍ أَوْ أَبٍ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ. وَرَابِعًا: إِنَّ الْمَكْشُوفَ أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ اخْتَارَ طَرِيقَةَ هٰؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَتَأَثَّرَ مِنْهَا رَزَقَهُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا وَحَيْثُ كَانَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ يَنْبَغِي أَنْ تُعَلِّمَهُ الْعَقَائِدَ الْكَلَامِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْكُتُبِ الْفَارِسِيَّةِ وَالْأَحْكَامَ الْفِقْهِيَّةَ كَذٰلِكَ حَتّٰى يَعْرِفَ الْفَرْضَ وَالْوَاجِبَ وَالسُّنَّةَ وَالْمَنْدُوبَ وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَالْمَكْرُوهَ وَالْمُشْتَبِهَ وَيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا وَتَعَلُّمُ كِتَابِ كُلِسْتَانْ وَبُسْتَانْ وَتَعْلِيمُهُمَا دَاخِلٌ فِيمَا لَا يَعْنِي وَالسَّلَامُ.

(٢٧٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا حَسَنٍ الْكَشْمِيرِيِّ فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ دَلَالَتِهِ إِيَّاهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذٰلِكَ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى بَلَغَنَا مَهْدِيَّ عَلِيٍّ صَحِيفَتُكُمُ الشَّرِيفَةُ الصَّادِرَةُ بِاسْمِ هٰذَا الْفَقِيرِ عَلَى وَجْهِ الْكَرَمِ وَالْإِلْتِفَاتِ فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلْفَرَحِ الْوَافِرِ سَلَّمَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ وَقَعَ الْإِسْتِفْسَارُ عَنْ عِبَارَةِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ عَرَبِيٍّ قُدِّسَ سِرُّهُ هٰذِهِ أَنَّ سَبَبَ تَرْتِيبِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ مُدَّةُ أَعْمَارِهِمْ أَنَّهَا فِي أَيِّ كِتَابٍ وَقَعَتْ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ؟

(أَيُّهَا الْمَخْدُومُ) إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ هٰذِهِ الْعِبَارَةَ فِي الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ وَلَمْ يَتَيَسَّرِ الْآنَ تَعْيِينُ الْمَوْضِعِ مَعَ كَمَالِ التَّفَحُّصِ فَإِنْ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَيْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً نُخْبِرُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى.

وَالْمَعْرُوضُ أَنَّ الْفَقِيرَ مُعْتَرِفٌ بِالْقُصُورِ فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ دَلَالَتِكُمْ وَمُقِرٌّ بِالْعَجْزِ فِي مُكَافَأَةِ إِحْسَانِكُمْ وَكَيْفَ لَا فَإِنَّ هٰذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ وَهٰذِهِ الْأَحْوَالُ بِأَسْرِهَا مَرْبُوطَةٌ بِذٰلِكَ الْإِحْسَانِ وَقَدْ أُعْطِيتُ بِحُسْنِ وَسَاطَتِكُمْ مَا لَمْ يَرَهُ إِلَّا الْقَلِيلُونَ وَمُنِحْتُ بِيُمْنِ وَسِيلَتِكُمْ مَا لَمْ يَذُقْهُ إِلَّا الْأَقَلُّونَ أُعْطِيتُ مِنْ خَوَاصِّ الْعَطَايَا مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لِلْأَكْثَرِينَ مِنْ عُلُومِ تِلْكَ الْعَطَايَا وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَحْوَالُ وَالْمَقَامَاتُ وَالْأَذْوَاقُ وَالْمَوَاجِيدُ وَالْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ وَالتَّجَلِّيَاتُ وَالظُّهُورَاتُ كُلُّهَا مَعَارِجَ الْعُرُوجِ فَوَصَلْتُ مِنْهَا بِعِنَايَتِهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مَدَارِجِ الْقُرْبِ وَمَنَازِلِ الْوُصُولِ. وَاخْتِيَارُ لَفْظِ الْقُرْبِ وَالْوُصُولِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ ضِيقِ مَيْدَانِ الْعِبَارَةِ وَإِلَّا فَلَا قُرْبَ ثَمَّةَ وَلَا وُصُولَ وَلَا عِبَارَةَ وَلَا إِشَارَةَ وَلَا شُهُودَ وَلَا مُشَاهَدَةَ وَلَا حُلُولَ وَلَا اتِّحَادَ وَلَا كَيْفَ وَلَا أَيْنَ وَلَا زَمَانَ وَلَا مَكَانَ وَلَا إِحَاطَةَ وَلَا سَرَيَانَ وَلَا عِلْمَ وَلَا مَعْرِفَةَ وَلَا جَهْلَ وَلَا

حَيْرَةَ،

[1] قلت هذه العبارة مرت في المكتوب ٢٦٦ من هذا الجلد وهي مذكورة في الباب ٥٥٨ من الفتوحات ذكرها في اليواقيت والجواهر في بيان افضلية الخلفاء الاربعة مع توجيهها فراجعه ان شئت تحرره (القزاني رحمة الله عليه)

شعْرٌ:

وَمَا أُبْدِيكَ مِنْ طَيْرِي عَلَامَةً *** وَقَدْ أَضْحَى كَعَنْقَاءٍ وَهَامَةْ

وَلِلْعَنْقَاءِ بَيْنَ النَّاسِ اسْمٌ *** وَلَيْسَتْ لِاسْمِ طَيْرِي اسْتِدَامَةْ

وَلَمَّا كَانَ إِظْهَارُ إِحْسَانِ اللهِ تَعَالَى وَإِنْعَامِهِ بِهَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي ظُهُورُهَا مُتَرَتِّبٌ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ عَلَى نِعْمَتِكُمُ الْمَذْكُورَةِ مُتَضَمِّنًا لِشُكْرِهَا أَدْرَجْتُهَا فِي ضِمْنِ فِقْرَاتٍ وَقَيَّدْتُهَا بِقَيْدِ الْكِتَابَةِ رَجَاءَ أَنْ يُؤَدِّيَ بِذَلِكَ نُبْذَةٌ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِكُمُ الْمَسْطُورَةِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

(٢٨٠) اَلْمَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْحَافِظِ مَحْمُودٍ فِي بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ رَأْسُ مَالِ السَّعَادَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيُعْلَمْ أَنَّ الْمَكْتُوبَ الشَّرِيفَ الْمَصْحُوبَ بِجَنَابِ مَوْلَانَا مَهْدِي عَلِي قَدْ وَصَلَ وَصَارَ مُوجِبًا لِلْفَرَحِ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ عَلَى رُسُوخِ مَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَالِ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ رُسُوخًا تَامًّا بِحَيْثُ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهَا تَمَادِي أَيَّامِ الْمُفَارَقَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُحَافَظَةَ عَلَى شَيْئَيْنِ وَالثَّبَاتَ عَلَيْهِمَا مِنَ اللَّوَازِمِ مُتَابَعَةُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَمَحَبَّةُ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ مَعَ الْإِخْلَاصِ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْصُلُ مَعَ وُجُودِ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ فَهُوَ نِعْمَةٌ زَائِدَةٌ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ شَيْءٌ مَعَ وُجُودِ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ فَلَا غَمَّ أَصْلًا فَإِنَّهُ سَيَحْصُلُ غَيْرُهُمَا فِيمَا بَعْدُ وَإِنْ تَطَرَّقَ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ خَلَلٌ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ وَبَقِيَتِ الْأَحْوَالُ وَالْأَذْوَاقُ عَلَى حَالِهَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ ذَلِكَ مِنِ اسْتِدْرَاجٍ وَأَنْ يَعُدَّهُ مِنَ الْخِذْلَانِ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ الْإِسْتِقَامَةِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ.

(٢٨١) اَلْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ فِي بَيَانِ شُكْرِ نِعْمَةِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى سِلْسِلَةِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ وَبَيَانِ بَعْضِ خَصَائِصِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَا يَلْزَمُ فِيهِ مِنَ الْآدَابِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى بِأَيِّ لِسَانٍ نُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى حَيْثُ شَرَّفَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ تَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ بِمُوجَبِ آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ بِسُلُوكِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ وَجَعَلَنَا مِنْ مُرِيدِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّأْنِ وَمُنْتَسِبِيهِمْ وَعِنْدَ الْفَقِيرِ أَنَّ الْخُطْوَةَ الْوَاحِدَةَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِ خُطُوَاتٍ فِي طُرُقٍ أُخَرَ وَالطَّرِيقُ الَّذِي يَفْتَحُ وَيُوصِلُ إِلَى كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالْوِرَاثَةِ مَخْصُوصٌ بِهَذَا الطَّرِيقِ الْعَالِي وَمُنْتَهَى طُرُقٍ أُخَرَ إِلَى حُصُولِ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ

لَمْ يَفْتَحْ مِنْهَا طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَى كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَمِنْ هَهُنَا كَتَبْتُ فِي كُتُبِي وَرَسَائِلِي أَنَّ طَرِيقَ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ طَرِيقُ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَكَمَا أَنَّ الْأَصْحَابَ نَالُوا مِنْ تِلْكَ الْكَمَالاَتِ بِطَرِيقِ الْوِرَاثَةِ حَظًّا وَافِرًا كَذَلِكَ مُنْتَهُوا هَذَا الطَّرِيقِ يَجِدُونَ مِنْهَا نَصِيبًا كَامِلاً بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالْمُبْتَدِئُونَ وَالْمُتَوَسِّطُونَ الْمُلْتَزِمُونَ لِهَذَا الطَّرِيقِ الْمُتَّصِفُونَ بِكَمَالِ مَحَبَّةِ الْمُنْتَهِينَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الطَّرِيقِ فَهُمْ أَيْضًا رَاجُونَ ذَلِكَ "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"[1] بِشَارَةٌ لِلْمَهْجُورِينَ وَالْخَائِبُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَالْخَاسِرُ فِيهِ شَخْصٌ يَدْخُلُ فِيهِ وَلاَ يُرَاعِي آدَابَهُ وَيَخْتَرِعُ فِيهِ أُمُورًا مُحْدَثَةً وَيَعْتَمِدُ عَلَى مَنَامَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ الْمُخَالِفَةِ لِهَذَا الطَّرِيقِ فَمَا ذَنْبُ الطَّرِيقِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ بَلْ هُوَ مَاشٍ عَلَى مُقْتَضَى مَنَامَاتِهِ وَوَاقِعَاتِهِ مُتَوَجِّهٌ إِلَى طَرَفِ تُرْكِسْتَانَ مُنْحَرِفًا عَنْ طَرِيقِ الْكَعْبَةِ بِاخْتِيَارِهِ، شِعْرٌ:

أَلاَ أَهْلُ يَبْلُغَنَّ أُمَّ الْقُرَى مَنْ * غَدًا يَمْشِي إِلَى صَوْبِ الْعِرَاقِ**

وَلاَ أَسْتَحْسِنُ أَنْ أُشَوِّشَ طَرِيقَكُمْ هَذَا هُنَاكَ مَعَ وُجُودِ جَمْعِيَّةِ الْأَصْحَابِ وَاجْتِهَادِ الطَّالِبِينَ فَإِنْ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِالسَّفَرِ إِلَى هَذِهِ الْحُدُودِ قَبْلَ هَذَا كَانَ ذَلِكَ مَشْرُوطًا بِشُرُوطٍ وَالْآنَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بِالشُّرُوطِ فَإِنْ تَتَوَجَّهْ إِلَى هَذِهِ الْحُدُودِ بَعْدَ اسْتِخَارَةٍ مُكَرَّرَةٍ وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ بِلاَ تَرَدُّدٍ وَشُبْهَةٍ وَإِخْلاَصِ شَخْصٍ مَكَانَكَ عَلَى نَهْجٍ لاَ يَتَطَرَّقُ فُتُورٌ أَصْلاً إِلَى الْوَضْعِ السَّابِقِ فَلَكَ ذَلِكَ وَبِدُونِ هَذِهِ الشَّرَائِطِ لاَ يَنْبَغِي تَضْيِيعُ الْمُعَامَلَةِ هُنَاكَ وَإِيقَاعُ الْفُتُورِ فِي جَمْعِيَّةِ الطَّالِبِينَ وَمَاذَا أُبَالِغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ.

(٢٨٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلاَّ بَدِيعٍ فِي بَيَانِ مُلاَقَاةِ الْخَضِرِ وَإِلْيَاسَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ وَبَيَانِ نُبْذَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِمَا

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مِنِ اسْتِفْسَارِ الْأَصْحَابِ عَنْ أَحْوَالِ الْخَضِرِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْفَقِيرِ اطِّلاَعٌ عَلَى أَحْوَالِهِ كَمَا يَنْبَغِي كُنْتُ مُتَوَقِّفًا فِي الْجَوَابِ فَرَأَيْتُ الْيَوْمَ فِي حَلْقَةِ الصُّبْحِ أَنَّ إِلْيَاسَ وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ حَضَرَا فِي صُورَةِ الرُّوحَانِيِّينَ فَقَالَ الْخَضِرُ بِالْإِلْقَاءِ الرُّوحَانِيِّ نَحْنُ مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ قَدْ أَعْطَى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ أَرْوَاحَنَا قُدْرَةً كَامِلَةً بِحَيْثُ تَتَشَكَّلُ وَتَتَمَثَّلُ بِصُوَرِ الْأَجْسَامِ وَيَصْدُرُ عَنْهَا مَا يَصْدُرُ عَنِ الْأَجْسَامِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ الْجَسَدِيَّةِ فَقُلْتُ لَهُ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ: أَنْتُمْ تُصَلُّونَ الصَّلاَةَ بِمَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ؟ فَقَالَ: نَحْنُ لَسْنَا مُكَلَّفِينَ بِالشَّرَائِعِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ كِفَايَةُ مُهِمَّاتِ قُطْبِ الْمَدَارِ مَرْبُوطَةً بِنَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ نُصَلِّي نَحْنُ أَيْضًا وَرَاءَهُ بِمَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعُلِمَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ

---

[1] المرء مع من أحب رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه)

أَنَّهُ لاَ يَتَرَتَّبُ الْجَزَاءُ عَلَى طَاعَتِهِمْ بَلْ تَصْدُرُ عَنْهُمُ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ مُوَافَقَةً لأَهْلِ الطَّاعَةِ وَمُرَاعَاةً لِصُورَةِ الْعِبَادَةِ.

وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ كَمَالاَتِ الْوِلاَيَةِ مُوَافِقَةٌ لِفِقْهِ الشَّافِعِيِّ وَلِكَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ مُوَافِقَةٌ لِفِقْهِ الْحَنَفِيِّ فَعُلِمَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَقِيقَةُ كَلاَمِ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ بَارِسَا قُدِّسَ سِرُّهُ حَيْثُ ذَكَرَ فِي الْفُصُولِ السِّتَّةِ نَقْلاً أَنَّ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَعْمَلُ بَعْدَ نُزُولِهِ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَوَقَعَ فِي الْخَاطِرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْ نَسْتَمِدَّ بِهِمَا وَأَنْ نَطْلُبَ مِنْهُمَا الدُّعَاءَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ عِنَايَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ شَامِلَةً لِحَالِ شَخْصٍ فَلاَ مَدْخَلَ لَنَا هُنَاكَ وَكَأَنَّهُمْ أَخَذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْبَيْنِ. وَأَمَّا إِلْيَاسُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَصْلاً وَالسَّلاَمُ.

(٢٨٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الصُّوفِيِّ قُرْبَانَ فِي بَيَانِ أَنَّ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ كَانَتْ فِي مَوْطِنِ الآخِرَةِ لاَ فِي مَوْطِنِ الدُّنْيَا

قَدْ سَئَلْتَ أَنَّ إِجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ الرُّؤْيَةَ غَيْرُ وَاقِعَةٍ فِي الدُّنْيَا حَتَّى مَنَعَ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ رُؤْيَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ. قَالَ حُجَّةُ الإِسْلاَمِ: وَالأَصَحُّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَقَدِ اعْتَرَفْتَ أَنْتَ فِي رَسَائِلِكَ بِوُقُوعِ رُؤْيَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ فِي الدُّنْيَا فَمَا يَكُونُ وَجْهُ ذَلِكَ؟ أُجِيبُ أَنَّ رُؤْيَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مَا وَقَعَتْ فِي الدُّنْيَا بَلْ وَقَعَتْ فِي الآخِرَةِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ دَائِرَةِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَتَخَلَّصَ عَنْ مَضِيقِ الإِمْكَانِ وَجَدَ الأَزَلَ وَالأَبَدَ آنًا وَاحِدًا وَرَأَى الْبِدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ نُقْطَةً وَاحِدَةً وَرَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا بَعْدَ أُلُوفٍ مِنَ السِّنِينَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى أَنَّ [1] عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ

---

[1] قوله (حتى ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الخ) قلت هنا امران الاول انه يدخل الجنة بعد فقراء الصحابة والثاني ان البعدية مقدرة بالقدر المذكور اما الاول فقد ذكر الغزالي في الاحياء في قصة طويلة منها وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني قال يا رسول الله والله ما وصلت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي اه. وذكره ايضا بعيد ذلك قال شارحه نقلا عن العراقي رواه الطبراني من حديث ابي امامة بسند ضعيف نحوه ثم قال الش وروى في الحلية عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف ما أبطأ بك عني فقال هذه مائة راحلة جاءتني من مصر وهي صدقة على ارامل المدينة اه. بادنى اختصار واما الثاني فكان الامام قدس سره اخذ من عموم حديث فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام رواه الترمذي عن ابي سعيد الخدري وحسن ورواه عن ابي هريرة بلفظ فقراء امتي الحديث ورواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بلفظ فقراء المهاجرين الحديث الا انه قال باربعين خريفا وكذا رواه الترمذي من حديث جابر وانس وروى ابن ماجة بلفظ ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام عن

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَعْدَ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ فُقَرَاءِ الْأَصْحَابِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ رَآهُ قَدْ دَخَلَ الْجَنَّةَ بَعْدَ مُضِيِّ تِلْكَ الْمُدَّةِ، وَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ تَوَقُّفِهِ.

فَالرُّؤْيَةُ الْوَاقِعَةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ تَكُونُ دَاخِلَةً فِي الرُّؤْيَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ فَلَا تَكُونُ مُنَافِيَةً لِلْإِجْمَاعِ عَلَى عَدَمِ وُقُوعِهَا. وَإِطْلَاقُ الرُّؤْيَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ عَلَيْهَا مَحْمُولٌ عَلَى التَّجَوُّزِ وَمَبْنِيٌّ عَلَى الظَّاهِرِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ كُلِّهَا.

(٢٨٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا عَبْدِ الْقَادِرِ الْأَنْبَالِيِّ فِي بَيَانِ أَنَّ الْأَحْوَالَ الْمَوَاجِيدَ نَصِيبُ عَالَمِ الْأَمْرِ وَالْعِلْمَ بِالْأَحْوَالِ نَصِيبُ عَالَمِ الْخَلْقِ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ مِنَ الْمَعَارِفِ السَّابِقَةِ وَحَقِيقَةُ الْمُعَامَلَةِ هِيَ الَّتِي حُرِّرَتْ فِي مَكْتُوبٍ صَدَرَ لِلْمَخْدُومِ الْأَكْبَرِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ

اعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ ظَاهِرُهُ وَعَالَمِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ بَاطِنُهُ فَالْأَحْوَالُ وَالْمَوَاجِيدُ وَالْمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَلِّيَاتُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الْابْتِدَاءِ وَالْوَسَطِ نَصِيبُ عَالَمِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ بَاطِنُ الْإِنْسَانِ وَكَذَلِكَ الْحَيْرَةُ وَالْجَهَالَةُ وَالْعَجْزُ وَالْيَأْسُ الَّتِي تَحْصُلُ فِي الْانْتِهَاءِ أَيْضًا نَصِيبُ عَالَمِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ بَاطِنُ الْإِنْسَانِ وَلِلظَّاهِرِ بِحُكْمِ، (ع) وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبٌ* أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ عِنْدَ وُجُودِ الْقُوَّةِ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَبَاتٌ وَاسْتِقَامَةٌ وَلَكِنْ يَكْتَسِبُ نَوْعًا مِنَ الْانْصِبَاغِ وَالْأَمْرُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالظَّاهِرِ بِالْأَصَالَةِ هُوَ الْعِلْمُ بِتِلْكَ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ الْبَاطِنَ لَهُ حُصُولُ الْأَحْوَالِ لَا الْعِلْمُ بِهَا فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الظَّاهِرُ لَمَا يُفْتَحُ طَرِيقُ الْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزِ. وَظُهُورُ الصُّوَرِ الْمِثَالِيَّةِ وَمَعَارِجِ الْمَقَامَاتِ إِنَّمَا هُوَ لِإِدْرَاكِ الظَّاهِرِ فَالْحَالُ لِلْبَاطِنِ وَالْعِلْمُ بِالْحَالِ لِلظَّاهِرِ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ يَعْنِي بِالْأَحْوَالِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ فِي نَفْسِ حُصُولِ الْأَحْوَالِ فَإِنْ كَانَ الْفَرْقُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأَحْوَالِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ بِهَا كَمَا إِذَا طَرَأَتْ عَلَى شَخْصٍ مَثَلًا حَالَةُ الْجُوعِ وَشَوَّشَتْ أَحْوَالَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ يُسَمُّونَهَا جُوعًا وَشَخْصٌ آخَرُ طَرَأَ عَلَيْهِ تِلْكَ الْحَالَةُ أَيْضًا وَلَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بِالْجُوعِ فَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ مُسَاوٍ لِلْآخَرِ فِي نَفْسِ تِلْكَ الْحَالَةِ وَلَا فَرْقَ إِلَّا بِحَسَبِ الْعِلْمِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْأَحْوَالِ عَلَى قِسْمَيْنِ فَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ بِنَفْسِ حُصُولِ الْأَحْوَالِ وَلَا وُقُوفَ لَهُمْ عَلَى تَلْوِينَاتِهَا أَصْلًا. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ لَهُمْ خَبَرٌ عَنْ تَلْوِينَاتِ الْأَحْوَالِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى تَشْخِيصِ الْأَحْوَالِ وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ دَاخِلُونَ فِي أَرْبَابِ الْعِلْمِ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَشْخِيصِ الْأَحْوَالِ وَمُسْتَحِقُّونَ لِلْمَشِيخَةِ وَتَشْخِيصُ الْأَحْوَالِ لَيْسَ هُوَ وَظِيفَةَ كُلِّ شَيْخٍ بَلْ تَظْهَرُ هَذِهِ الدَّوْلَةُ

ابن عمر بسند ضعيف اه. من شرح الاحياء اختصارا وقد ناقش المخرجان هنا فيما لم يذكره الامام واطالا الكلام (القزان رحمة الله عليه)

بَعْدَ أَزْمِنَةٍ مُتَطَاوِلَةٍ حَتَّى يَتَشَرَّفَ بِهَا وَاحِدٌ وَيُحَالُ الْآخَرُونَ عَلَى عِلْمِهِ وَيُجْعَلُونَ مِنْ مُتَطَفِّلِيهِ كَمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أُولِي الْعَزْمِ صَلَوَاتُ اللهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِمْ كَانُوا يُبْعَثُونَ بَعْدَ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَخْتَصُّ بِأَحْكَامٍ مُتَمَايِزَةٍ وَكَانَ بَقِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ يُؤْمَرُونَ بِاتِّبَاعِهِمْ وَيَكْتَفُونَ بِالدَّعْوَةِ بِتِلْكَ الْأَحْكَامِ،

(شِعْرٌ):

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ *** أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ . وَالسَّلَامُ.

(٢٨٥) الْمَكْتُوبُ الْخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى السَّيِّدِ مُحِبِّ اللهِ الْمَانِكْبُورِيِّ فِي بَيَانِ أَحْكَامِ السَّمَاعِ وَالْوَجْدِ وَالرَّقْصِ وَبَعْضِ الْمَعَارِفِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالرُّوحِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى. اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ إِلَى طَرِيقِ السَّدَادِ وَأَلْهَمَكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ أَنَّ السَّمَاعَ وَالْوَجْدَ نَافِعٌ لِجَمَاعَةٍ مُتَّصِفُونَ بِتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَمُتَّسِمُونَ بِتَبَدُّلِ الْأَوْقَاتِ فَفِي وَقْتٍ حَاضِرُونَ وَفِي وَقْتٍ غَائِبُونَ وَأَحْيَانًا وَاجِدُونَ وَأَحْيَانًا فَاقِدُونَ وَهُمْ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ يَتَنَقَّلُونَ فِي مَقَامِ التَّجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ عَنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ وَيَتَحَوَّلُونَ مِنِ اسْمٍ إِلَى اسْمٍ، تَلَوُّنُ الْأَحْوَالِ نَقْدُ وَقْتِهِمْ وَتَشَتُّتُ الْآمَالِ حَاصِلُ مَقَامِهِمْ وَدَوَامُ الْحَالِ مُحَالٌ فِي حَقِّهِمْ وَاسْتِمْرَارُ الْوَقْتِ مُمْتَنِعٌ فِي شَأْنِهِمْ فَزَمَانًا فِي الْقَبْضِ وَزَمَانًا فِي الْبَسْطِ فَهُمْ أَبْنَاءُ الْوَقْتِ وَمَغْلُوبُوهُ فَمَرَّةً يَعْرُجُونَ وَمَرَّةً يَهْبِطُونَ وَأَمَّا أَرْبَابُ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّذِينَ تَخَلَّصُوا مِنْ مَقَامِ الْقَلْبِ بِالتَّمَامِ وَاتَّصَلُوا بِمُقَلِّبِ الْقَلْبِ وَرَجَعُوا بِكُلِّيَّتِهِمْ مِنْ رِقِّيَّةِ الْأَحْوَالِ إِلَى مُحَوِّلِ الْأَحْوَالِ فَهُمْ لَيْسُوا مُحْتَاجِينَ إِلَى الْوَجْدِ وَالسَّمَاعِ فَإِنَّ وَقْتَهُمْ دَائِمِيٌّ وَحَالَهُمْ سَرْمَدِيٌّ بَلْ لَا وَقْتَ لَهُمْ وَلَا حَالَ فَهُمْ آبَاءُ الْوَقْتِ وَأَرْبَابُ التَّمْكِينِ وَهُمُ الْوَاصِلُونَ الَّذِينَ لَا رُجُوعَ لَهُمْ أَصْلًا وَلَا فَقْدَ لَهُمْ قَطْعًا فَمَنْ لَا فَقْدَ لَهُ لَا وَجْدَ لَهُ نَعَمْ إِنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمُنْتَهِينَ يَنْفَعُهُمُ السَّمَاعُ أَيْضًا مَعَ وُجُودِ اسْتِمْرَارِ الْوَقْتِ وَسَيُحَرَّرُ بَيَانُهُ بِالتَّفْصِيلِ فِي آخِرِ هَذَا الْمَبْحَثِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. فَإِنْ قِيلَ: قَالَ خَاتَمُ الرُّسُلِ وَالرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ: لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. فَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْوَقْتَ لَا يَكُونُ دَائِمًا؟ **(أُجِيبُ)** بَعْدَ تَسْلِيمِ صِحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَائِخِ قَدْ أَرَادَ بِالْوَقْتِ الْوَاقِعِ فِي الْحَدِيثِ وَقْتًا مُسْتَمِرًّا أَيْ لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ مُسْتَمِرٌّ فَلَا إِشْكَالَ. وَثَانِيًا: إِنَّ الْوَقْتَ الْمُسْتَمِرَّ قَدْ تَعْرِضُ فِيهِ أَحْيَانًا كَيْفِيَّةٌ خَاصَّةٌ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْوَقْتِ الْوَقْتَ النَّادِرَ وَيَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةَ النَّادِرَةَ فَعَلَى هَذَا يَرْتَفِعُ الْإِشْكَالُ أَيْضًا.

فَإِنْ قِيلَ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِاسْتِمَاعِ النَّغْمَةِ مَدْخَلٌ فِي تَحْصِيلِ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ النَّادِرَةِ فَصَارَ الْمُنْتَهِي أَيْضًا مُحْتَاجًا إِلَى السَّمَاعِ فِي تَحْصِيلِ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ. **(أُجِيبُ)** أَنْ تَحَقُّقَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ غَالِبًا فِي حِينِ أَدَاءِ

الصَّلاَة فَإِنْ ظَهَرَتْ فِي خارِجِ الصَّلاَة أحْيانًا فَهُوَ أيْضًا مِنْ نَتائِجِها وَثَمَراتِها وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي حَدِيثِ "وَقُرَّةُ عَيْنِي[1] فِي الصَّلاَة" إشارَةٌ إلى هذهِ الكَيْفيَّة النَّادِرَة. وَوَرَدَ أيْضًا فِي الْخَبَرِ: أقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلاَة، وَقالَ اللهُ تَعالَى (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) وَلاَ شَكَّ أنَّ كُلَّ وَقْتٍ يَكُونُ الْقُرْبُ الإلٰهِيُّ فِيهِ أزْيَدَ يَكُونُ مَجالُ الْغَيْرِ فِيهِ أشَدَّ انْتِفاءً فَفُهِمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَهذهِ الآيَةِ أيْضًا أنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ فِي الصَّلاَة وَالدَّلِيلُ عَلَى اسْتِمْرارِ الْوَقْتِ وَدَوامِ الْوَصْلِ اتِّفاقُ الْمَشائِخِ قالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ: مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إلاَّ مِنَ الطَّرِيقِ وَمَنْ وَصَلَ لاَ يَرْجِعُ وَكَوْنُ يَادْدَاشْتْ عِبارَةً عَنْ دَوامِ الْحُضُورِ مَعَ جَنابِ قُدْسِ الْحَقِّ سُبْحانَهُ أمْرٌ مُقَرَّرٌ فِي طَرِيقَةِ خَواجِكانْ قَدَّسَ اللهُ أرْواحَهُمْ وَبِالْجُمْلَةِ أنَّ الإنْكارَ عَلَى دَوامِ الْوَقْتِ عَلامَةُ عَدَمِ الْوُصُولِ وَمَا قالَهُ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْمَشائِخِ كابْنِ الْعَطاءِ وَأمْثالِهِ مِنْ جَوازِ رُجُوعِ الْواصِلِ إلَى الصِّفاتِ الْبَشَرِيَّةِ فَيُفْهَمُ مِنْهُ عَدَمُ دَوامِ الْوَقْتِ فَهُوَ خِلافٌ فِي جَوازِ الرُّجُوعِ لاَ فِي الْوُقُوعِ فَإنَّ الرُّجُوعَ غَيْرُ واقِعٍ أَلْبَتَّةَ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أرْبابِهِ فَثَبَتَ إجْماعُ الْمَشائِخِ عَلَى عَدَمِ رُجُوعِ الْواصِلِ وَكانَ خِلافُ الْبَعْضِ راجِعًا إلَى جَوازِ الرُّجُوعِ هَذا.

وَطائِفَةٌ مِنَ الْمُنْتَهِينَ تَحْصُلُ لَهُمْ بُرُودَةٌ قَوِيَّةٌ فِي الْوُصُولِ إلَى مُشاهَدَةِ الْجَمالِ اللاَّيَزالِيِّ بَعْدَ وُصُولِهِمْ إلَى دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجاتِ الْكَمالاتِ وَتَحْصُلُ لَهُمْ نِسْبَةٌ تامَّةٌ تَمْنَعُهُمْ عَنِ الْعُرُوجِ إلَى مَنازِلِ الْوُصُولِ وَأمَّا مُهِمُّ دَرَجاتِ مَنازِلِ الْوُصُولِ لَمْ يَقْطَعُوها بَعْدُ وَلَمْ تَنْقَطِعْ مَدارِجُ الْقُرْبِ بِالإنْتِهاءِ إلَى غايَتِهِ وَفِيهِمْ مَعَ وُجُودِ الْبُرُودَةِ مَيْلٌ إلَى الْعُرُوجِ وَتَمَنِّي كَمالِ الْقُرْبِ.

فَالسَّماعُ مُفِيدٌ فِي حَقِّهِمْ عَلَى تَقْدِيرِ هَذِهِ الصُّورَةِ وَمُوجِبٌ لِلْحَرارَةِ وَيَتَيَسَّرُ لَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَدَدِ السَّماعِ الْعُرُوجُ إلَى مَنازِلِ الْقُرْبِ وَبَعْدَ التَّسْكِينِ يَهْبِطُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَنازِلِ وَلَكِنَّهُمْ يَسْتَصْحِبُونَ مَعَهُمْ لَوْنًا وَوَصْفًا مِنْ مَقاماتِ ذَلِكَ الْعُرُوجِ وَيَنْصَبِغُونَ بِهِ وَهَذا الْوَجْدُ لَيْسَ هُوَ بَعْدَ الْفَقْدِ فَإنَّ الْفَقْدَ مَفْقُودٌ فِي حَقِّهِمْ بَلْ هُوَ لأجْلِ التَّرَقِّي إلَى مَنازِلِ الْوُصُولِ مَعَ وُجُودِ دَوامِ الْوَصْلِ وَمِنْ هَذا الْقَبِيلِ سَماعُ الْمُنْتَهِينَ وَالْواصِلِينَ وَوَجْدُهُمْ نَعَمْ إنَّهُمْ وَإنْ مُنِحُوا الْجَذْبَةَ بَعْدَ الْفَناءِ وَالْبَقاءِ وَلَكِنْ لَمَّا عَرَضَتْ لَهُمْ بُرُودَةٌ قَوِيَّةٌ لَمْ يَكْتَفُوا بِها فِي تَحْصِيلِ التَّرَقِّياتِ إلَى مَنازِلِ الْوُصُولِ وَالْعُرُوجِ وَاحْتاجُوا إلَى السَّماعِ وَطائِفَةٌ مِنَ الْمَشائِخِ قَدَّسَ اللهُ أسْرارَهُمْ تَهْبِطُ نُفُوسُهُمْ إلَى مَقامِ الْعُبُودِيَّةِ بَعْدَ وُصُولِهِمْ إلَى دَرَجَةِ الْوِلاَيَةِ وَأرْواحُهُمْ مُتَوَجِّهَةٌ إلَى جَنابِ الْقُدْسِ فِي مَقامِها الأصْلِيِّ بِلاَ مُزاحَمَةِ النُّفُوسِ وَكُلَّما يَصِلُ إلَى الرُّوحِ مَدَدٌ مِنْ مَقامِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الَّتِي صارَتْ مُتَمَكِّنَةً وَراسِخَةً فِي مَقامِ الْعُبُودِيَّةِ تَحْصُلُ لِلرُّوحِ بِواسِطَةِ ذَلِكَ الإمْدادِ مُناسَبَةٌ خاصَّةٌ بِالْمَطْلُوبِ. وَاطْمِئْنانُ هَؤُلاءِ الأكابِرِ فِي الْعِبادَةِ وَتَسْكِينُهُمْ فِي أداءِ حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ وَمَيْلُ الْعُرُوجِ مَفْقُودٌ فِي طِباعِهِمْ وَشَوْقُ الصُّعُودِ قَلِيلٌ فِي بَواطِنِهِمْ جَبِينُهُمْ لامِعٌ بِنُورِ مُتابَعَةِ الْمِلَّةِ وَعُيُونُ بَصِيرَتِهِمْ مُكْتَحِلَةٌ بِكُحْلِ اتِّباعِ السُّنَّةِ فَلاَ جَرَمَ كانَتْ أبْصارُهُمْ حَدِيدَةً يُبْصِرُونَ مِنْ بُعْدٍ مَا يَعْجِزُ الأقْرَبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ وَإنْ كانَ

---

[1] قوله وقرة عيني في الصلاة رواه الحاكم والنسائي عن انس رضي الله عنه (الغزالي رحمة الله عليه)

عُرُوجُهُمْ قَلِيلاً وَلَكِنَّهُمْ نُورَانِيُّونَ مُنَوَّرُونَ بِنُورِ الْأَصْلِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَجَلَالَةُ الْقَدْرِ فَلَا احْتِيَاجَ لَهُمْ إِلَى السَّمَاعِ وَالْوَجْدِ بَلْ تَكْفِيهِمُ الْعِبَادَةُ مَا لِلسَّمَاعِ وَتَكْفِيهِمْ نُورَانِيَّتُهُمْ بِنُورِ الْأَصْلِ عَنِ الْعُرُوجِ. وَالْجَمَاعَةُ الْمُقَلِّدُونَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاعِ وَالْوَجْدِ الَّذِينَ لَا وُقُوفَ لَهُمْ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ يَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ عُشَّاقًا وَيُسَمُّونَهُمْ زُهَّادًا وَكَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِشْقَ وَالْمَحَبَّةَ مُنْحَصِرَانِ فِي الرَّقْصِ وَالْوَجْدِ. وَمِنَ الْمُنْتَهِينَ طَائِفَةٌ يُمْتَحُونَ بَعْدَ قَطْعِ مَسَالِكِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ وَالتَّحَقُّقِ بِالْبَقَاءِ بِاللهِ جَذْبًا قَوِيًّا فَيَنْجَرُّونَ بِسِلْسِلَةِ الْجَذْبَةِ جَرًّا جَرًّا، وَسِرَايَةُ الْبُرُودَةِ مَمْنُوعَةٌ هُنَاكَ وَالتَّسَلِّيَةُ غَيْرُ جَائِزَةٍ لَا يَحْتَاجُونَ فِي الْعُرُوجِ إِلَى أُمُورٍ غَرِيبَةٍ وَلَيْسَ لِلسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ إِلَى مَضِيقِ خَلْوَتِهِمْ سَبِيلُ الدُّخُولِ وَلَا الْوَجْدُ وَالتَّوَاجُدُ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مَقْبُولٌ بَلْ يَصِلُونَ بِهَذَا الْعُرُوجِ الْإِنْجِذَابِيِّ إِلَى نِهَايَةِ الْمَرْتَبَةِ الْمُمْكِنَةِ الْوُصُولِ وَيَنَالُونَ بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبًا مِنْ مَقَامِهِ الْمَخْصُوصِ بِهِ وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْوُصُولِ مَخْصُوصٌ بِطَائِفَةِ الْأَفْرَادِ لَا نَصِيبَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ لِلْأَقْطَابِ أَيْضًا فَإِنْ أُرْجِعَ الْوَاصِلُ إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْوُصُولِ بِمَحْضِ فَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلَى الْعَالَمِ، وَأُحِيلَ عَلَيْهِ تَرْبِيَةُ الْمُسْتَعِدِّينَ تَهْبِطُ نَفْسُهُ إِلَى مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ وَرُوحُهُ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى جَنَابِ الْمُقَدَّسِ بِلَا نَفْسٍ وَهُوَ الْجَامِعُ لِلْكَمَالَاتِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْحَاوِي لِلتَّكْمِيلَاتِ الْقُطْبِيَّةِ وَأَعْنِي بِالْقُطْبِ هَهُنَا قُطْبَ الْإِرْشَادِ لَا قُطْبَ الْأَوْتَادِ وَعُلُومُ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ وَمَعَارِفُ الْمَدَارِجِ الْأَصْلِيَّةِ مُيَسَّرَةٌ لَهُ بَلْ لَا ظِلَّ فِي الْمَقَامِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَلَا أَصْلَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاوَزَ الظِّلَّ وَالْأَصْلَ وَمِثْلُ هَذَا الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ عَزِيزُ الْوُجُودِ جِدًّا حَتَّى أَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ بَعْدَ قُرُونٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَأَزْمِنَةٍ مُتَبَاعِدَةٍ فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ يَتَنَوَّرُ بِهِ الْعَالَمُ نَظَرُهُ شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ وَتَوَجُّهُهُ دَافِعُ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ الْغَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ وَهُوَ الَّذِي أَتَمَّ مَدَارِجَ الْعُرُوجِ وَنَزَلَ إِلَى مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ وَاطْمَأَنَّ بِالْعِبَادَةِ وَأَنِسَ بِهَا وَيُنْتَخَبُ بَعْضُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لِمَقَامِ الْعَبْدِيَّةِ الَّذِي لَا مَقَامَ فَوْقَهُ مِنْ مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ وَيُشَرَّفُ بِهِ.

وَقَابِلِيَّةُ مَنْصِبِ الْمَحْبُوبِيَّةِ أَيْضًا مُسَلَّمَةٌ إِلَيْهِ فَهُوَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ كَمَالَاتِ مَرْتَبَةِ الْوِلَايَةِ وَحَاوٍ لِتَمَامِ مَقَامَاتِ دَرَجَةِ الدَّعْوَةِ وَمُحْتَظٌّ مِنَ الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ هَذَا الْمِصْرَعَ صَادِقٌ فِي حَقِّهِ

(ع) **قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الْمَحَاسِنُ كُلُّهَا*** هَذَا

وَالسَّمَاعُ وَالْوَجْدُ مُضِرٌّ لِلْمُبْتَدِي وَمُنَافٍ لِعُرُوجِهِ وَإِنْ وَقَعَ بِالشَّرَائِطِ وَسَيُحَرَّرُ نُبْذَةٌ مِنْ شَرَائِطِ السَّمَاعِ فِي آخِرِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَوَجْدُ الْمُبْتَدِي مَعْلُولٌ وَحَالُهُ وَبَالٌ وَحَرَكَتُهُ طَبِيعِيَّةٌ وَتَحَرُّكُهُ مَشُوبٌ بِالْهَوَى النَّفْسَانِيِّ وَأَعْنِي بِالْمُبْتَدِي مَنْ لَيْسَ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ مُتَوَسِّطُونَ بَيْنَ الْمُبْتَدِي وَالْمُنْتَهِي وَالْمُنْتَهِي هُوَ الْفَانِي فِي اللهِ وَالْبَاقِي بِاللهِ وَهُوَ الْوَاصِلُ الْكَامِلُ وَلِلِانْتِهَاءِ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَلِلْوُصُولِ مَرَاتِبُ لَا يُمْكِنُ قَطْعُهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ (وَبِالْجُمْلَةِ) أَنَّ السَّمَاعَ نَافِعٌ لِلْمُتَوَسِّطِينَ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْمُنْتَهِينَ أَيْضًا كَمَا مَرَّ آنِفًا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ السَّمَاعَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ أَيْضًا مُطْلَقًا بَلْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ لَمْ يُشَرَّفُوا بَعْدُ بِدَوْلَةِ الْجَذْبَةِ وَيُرِيدُونَ قَطْعَ الْمَسَافَةِ بِالرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّاقَّةِ فَالسَّمَاعُ وَالْوَجْدُ مُمِدٌّ وَمُعَاوِنٌ لِهَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ مِنَ

المجذوبين فقطع مسالك سيرهم بمدد الجذبة وليسوا محتاجين إلى السماع (ينبغي) أيضا أن يعلم أن نفع السماع لأرباب القلوب الغير المجذوبين ليس على إطلاقه بل الإنتفاع به مشروط بالشرائط وبدونها خرط القتاد فمن جملة الشرائط عدم الإعتقاد لكمال نفسه فلو كان معتقد التمامية نفسه فهو محبوس نعم قد يورثه السماع أيضا من العروج ولكنه يهبط من مقام عروج إليه وقت السماع بعد التمكين والشرائط المبينة في كتب الأكابر مستقيمي الأحوال كعوارف المعارف أكثرها مفقودة في سماع أبناء هذا الزمان بل مثل هذا السماع الذي شاع في هذا الزمان وهذا الإجتماع الذي صار متعارفا في هذه الأوان لا شك في أنه مضر ومناف صرف لا طمع للعروج فيه ولا يتصور الصعود والترقي به وإمداد السماع مفقود في هذا المحل والمضرة موجودة في ذلك المحفل. تنبيه: إن السماع وإن كان مفيدا بالنسبة إلى بعض المنتهين ولكن لما كان أمامهم مراتب العروج فهم من الأوساط وما لم تطو مراتب العروج الممكنة الحصول بالتمام فحقيقة الإنتهاء مفقودة فيهم وإطلاق النهاية إنما هو باعتبار نهاية السير إلى الله وهذا السير إلى اسم إلهي كان السالك مظهره والسير بعد ذلك يكون في ذلك الإسم وما يتعلق به فإذا جاوزه وما يتعلق مما ينكشف لأربابه ووصل إلى الاسم الحقيقي وحصل له هناك فناء وبقاء فهو حينئذ يكون منتهيا حقيقيا ونهاية السير إلى الله في الحقيقة يتحقق في ذلك المحل وقد عدوا النهاية الأولى التي هي انتهاء السير إلى الإسم من نهاية السير إلى الله واعتبروها منها أيضا وباعتبار حصول الفناء والبقاء في تلك المرتبة أطلقوا اسم الولاية أيضا. وما قيل من أن لا نهاية للسير في الله فهذا السير في حين البقاء وبعد طي منازل العروج ومعنى عدم نهاية ذلك السير هو أن السير إذا وقع في ذلك الإسم بالتفصيل وتخلق بالشئونات المندرجة فيه لا يصل إلى نهايته أصلا فإن كل اسم مشتمل على شئونات غير متناهية وأما إذا أريد ترقيه من ذلك الإسم وقت العروج فيمكن أن يطوي ذلك بقدم واحد ويصل إلى نهاية النهاية ثم إن استهلك هناك فيا لها من شرافة وإن أرجع لتربية الخلق فيا لها من فضيلة وكرامة ولا تظنن أن الوصول إلى ذلك الإسم أمر سهل بل لا بد من بذل الروح حتى يتشرف بتلك الدولة ومن ذا الذي يختص بهذه النعمة القصوى من بين أقرانه ويمتاز بها وما تتخيله تنزيها وتقديسا ربما يكون عين التشبيه والتنقيص بل أكثر المراتب الذي تتخيله تنزيها أسفل وأدون من مقام الروح والتنزيه الذي يخيل لك فوق العرش فهو أيضا داخل في دائرة التشبيه وذلك المكشوف المنزه من عالم الأرواح فإن العرش محدد الجهات ومنتهى الأبعاد وعالم الأرواح وراء عالم الجهات والأبعاد فإن الروح لا مكانية لا يسعها المكان. وإثبات الروح فيما وراء العرش لا يوهمنك أنها بعيدة عنك والمسافة بينك وبينها طويلة فإن الأمر ليس كذلك لأن نسبة الروح مع وجود لا مكانيتها مساوية إلى جميع الأزمنة والقول بأنها وراء العرش له معنى آخر لا تعرفه حتى تبلغ هناك (وطائفة) من الصوفية لما وصلوا إلى التنزيه الروحي ووجدوها فوق العرش تخيلوه تنزيها إلهيا جل شأنه وظنوا علوم ذلك المقام ومعارفه من غوامض العلوم وخلوا أسرار الإستواء في هذا المقام والحق أن ذلك النور نور الروح وقد عرض للفقير أيضا مثل هذا الإشتباه عند حصول ذلك المقام ولكن

لَمَّا أَدْرَكَتْنِي عِنَايَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَرَقَتْنِي مِنْ تِلْكَ الْوَرْطَةِ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ النُّورَ كَانَ نُورَ الرُّوحِ لاَ النُّورَ الإِلَهِيَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَحَيْثُ كَانَتِ الرُّوحُ لاَ مَكَانِيَّةً وَمَخْلُوقَةً عَلَى صُورَةٍ لاَ مِثَالِيَّةٍ فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ مَحَلَّ اشْتِبَاهٍ وَاللَّهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. (وَجَمَاعَةٌ) مِنْهُمْ يَنْزِلُونَ آخِذِينَ ذَلِكَ النُّورَ يَعْنِي نُورَ الرُّوحِ الَّتِي فَوْقَ الْعَرْشِ وَيَحْصُلُ لَهُمُ الْبَقَاءُ بِهِ فَيَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ جَامِعِينَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيهِ فَإِنْ وَجَدُوا ذَلِكَ النُّورَ مُنْفَكًّا عَنْهُمْ يَتَصَوَّرُونَ ذَلِكَ مَقَامَ الْفَرْقِ بَعْدَ الْجَمْعِ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمُغَالَطَاتِ فِيمَا بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ كَثِيرَةٌ وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْعَاصِمُ عَنْ مَظَانِّ الأَغْلاَطِ وَمَحَالِّ الاِحْتِيَاطِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الرُّوحَ وَإِنْ كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَالَمِ لاَ مِثْلِيَّةً وَلَكِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللاَّمِثْلِيِّ الْحَقِيقِيِّ دَاخِلَةٌ فِي دَائِرَةِ الْمِثْلِيِّ وَكَأَنَّهَا بَرْزَخٌ بَيْنَ الْعَالَمِ الْمِثْلِيِّ وَبَيْنَ جَنَابِ الْقُدْسِ الْحَقِيقِيِّ فَفِيهَا وَصْفُ الطَّرَفَيْنِ وَكِلاَ الاِعْتِبَارَيْنِ صَحِيحٌ فِيهَا بِخِلاَفِ اللاَّمِثْلِيِّ الْحَقِيقِيِّ فَإِنَّهُ لاَ سَبِيلَ لِلْمِثْلِيِّ إِلَيْهِ أَصْلاً فَمَا لَمْ يَخْرُجِ السَّالِكُ مِنْ جَمِيعِ مَقَامَاتِ الرُّوحِ لاَ يَصِلُ إِلَى ذَلِكَ الاِسْمِ فَيَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يَتَجَاوَزَ جَمِيعَ طَبَقَاتِ السَّمَوَاتِ حَتَّى الْعَرْشِ وَالْخُرُوجُ مِنْ لَوَازِمِ الْمَكَانِ بِالتَّمَامِ ثُمَّ يَلْزَمُ ثَانِيًا طَيُّ مَرَاتِبِ لاَ مَكَانِيَّةِ عَالَمِ الأَرْوَاحِ فَيَصِلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى ذَلِكَ الاِسْمِ، (شِعْرٌ)

وَيَظُنُّ مَوْلاَنَا بِأَنَّهُ وَاصِلٌ * مَا إِنْ لَهُ غَيْرُ الظُّنُونِ حَاصِلٌ**

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الْوَرَاءِ فَإِنَّ وَرَاءَ عَالَمِ الْخَلْقِ هَذَا عَالَمَ الأَمْرِ وَوَرَاءَ عَالَمِ الأَمْرِ مَرَاتِبُ الأَسْمَاءِ وَالشُّئُونَاتِ ظِلاًّ وَأَصَالَةً وَإِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً فَيَنْبَغِي طَلَبُ الْمَطْلُوبِ الْحَقِيقِيِّ فِيمَا وَرَاءَ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الظِّلِّيَّةِ وَالأَصْلِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ وَالإِلَهِيَّةِ وَالإِجْمَالِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْعَمُ بِهِ عَلَيْهِ وَأَيُّ صَاحِبِ دَوْلَةٍ يُشَرَّفُ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الْهِمَّةِ وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بِكُلِّمَا يَتَيَسَّرُ فِي الطَّرِيقِ وَأَنْ يَطْلُبَ الْمَطْلُوبَ فِي مَا وَرَاءَ الْوَرَاءِ، شِعْرٌ:

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا * قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ**

تَنْبِيهٌ آخَرُ: اعْلَمْ أَنَّ دَوَامَ الْوَقْتِ وَاسْتِمْرَارَهُ مُسَلَّمٌ لِشَخْصٍ تَشَرَّفَ بِالْبَقَاءِ بِاللَّهِ بَعْدَ تَحَقُّقِهِ بِالْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ وَتَبَدَّلَ عِلْمُهُ الْحُصُولِيُّ حُضُورِيًّا وَلْنُوَضِّحْ هَذَا الْمَبْحَثَ بِبَيَانٍ.

اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ يَحْصُلُ لِلْعَالِمِ مِنْ وَرَاءِ ذَاتِهِ فَطَرِيقُ حُصُولِهِ لَهُ هُوَ حُصُولُ صُورَةِ الْمَعْلُومِ فِي ذِهْنِ الْعَالِمِ وَكُلُّ عِلْمٍ لاَ يَحْتَاجُ فِي حُصُولِهِ إِلَى حُصُولِ الصُّورَةِ وَهُوَ عِلْمُ الإِنْسَانِ بِذَاتِهِ فَهُوَ عِلْمٌ حُضُورِيٌّ فَإِنَّ الذَّاتَ حَاضِرَةٌ عِنْدَ الْعَالِمِ بِنَفْسِهَا وَمَا دَامَتْ صُورَةُ الْمَعْلُومِ حَاصِلَةً فِي الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ فَهُوَ مَعْلُومٌ فِي ذِهْنِ الْمُتَوَجِّهِ فَإِذَا زَالَتِ الصُّورَةُ عَنِ الذِّهْنِ زَالَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ الذِّهْنِيُّ فَدَوَامُ التَّوَجُّهِ فِي الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ مُحَالٌ عَادِيٌّ بِخِلاَفِهِ فِي الْعِلْمِ الْحُضُورِيِّ فَإِنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ الْمَعْلُومِ غَيْرُ مُتَصَوَّرَةٍ هُنَاكَ فَإِنَّ مَنْشَأَ تَحَقُّقِ ذَلِكَ الْعِلْمِ

حُضُورُ ذَاتِ الْعَالِمِ وَحَيْثُ كَانَ ذَلِكَ الْحُضُورُ دَائِمًا فَالْعِلْمُ بِالذَّاتِ أَيْضًا يَكُونُ دَائِمًا وَزَوَالُ التَّوَجُّهِ إِلَى ذَاتِهِ غَيْرُ مُمْكِنٍ وَفِي الْبَقَاءِ بِاللهِ عِلْمٌ حُضُورِيٌّ لَا يُتَصَوَّرُ زَوَالُهُ.

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ الْبَقَاءَ بِاللهِ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَجِدَ السَّالِكُ نَفْسَهُ عَيْنَ الْحَقِّ كَمَا عَبَّرَ الْبَعْضُ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَنْ حَقِّ الْيَقِينِ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْبَقَاءَ بِاللهِ الَّذِي تَيَسَّرَ بَعْدَ الْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ لَا يُنَاسِبُهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الْعُلُومِ وَحَقُّ الْيَقِينِ الَّذِي قَالَهُ الْبَعْضُ مُنَاسِبٌ لِبَقَاءٍ يَحْصُلُ فِي الْجَذْبَةِ وَالْبَقَاءُ الَّذِي هُوَ مَقْصُودُنَا غَيْرُ ذَلِكَ.

شِعْرٌ: فَوَاللهِ لَا تَدْرِي لِذِي الْخَمْرِ لَذَّةً *** وَلَا نَشْوَةً حَتَّى تَذُوقَ وَتَسْكَرَا

فَاسْتِمْرَارُ التَّوَجُّهِ وَدَوَامُ الْحُضُورِ إِنَّمَا ثَبَتَا فِي الْبَقَاءِ بِاللهِ وَلَا إِمْكَانَ لِدَوَامِ التَّوَجُّهِ قَبْلَ التَّحَقُّقِ بِالْبَقَاءِ بِاللهِ وَإِنْ تُوُهِّمَ ذَلِكَ الْمَعْنَى لِكَثِيرِينَ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ خُصُوصًا فِي الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلِهَا وَالْحَقُّ مَا حَقَّقْتُ وَالصَّوَابُ مَا أُلْهِمْتُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلًا وَآخِرًا وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ دَائِمًا وَسَرْمَدًا.

(٢٨٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مَوْلَانَا أَمَانِ اللهِ الْفَقِيهِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْاِعْتِقَادَ الصَّحِيحَ هُوَ الْمَأْخُوذُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى وَفْقِ آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَفِي رَدِّ مَنْ يَسْتَنْبِطُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ خِلَافَ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَدْرَكُوا بِالْكَشْفِ خِلَافَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ وَأَلْهَمَكَ سَوَاءَ الصِّرَاطِ أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ ضَرُورِيَّاتِ الطَّرِيقِ لِلسَّالِكِ الْاِعْتِقَادَ الصَّحِيحَ الَّذِي اسْتَنْبَطَهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ وَحَمْلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى الْمَعَانِي الَّتِي فَهِمَهَا جُمْهُورُ أَهْلِ الْحَقِّ يَعْنِي عُلَمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْهُمَا أَيْضًا ضَرُورِيٌّ فَإِنْ ظَهَرَ فَرْضًا بِطَرِيقِ الْكَشْفِ وَالْإِلْهَامِ مَا يُخَالِفُ تِلْكَ الْمَعَانِيَ الْمَفْهُومَةَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَعْتَبِرَهُ وَأَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْهُ مِثْلَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْ ظَوَاهِرِهَا التَّوْحِيدُ الْوُجُودِيُّ وَكَذَلِكَ الْإِحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالْقُرْبُ وَالْمَعِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ وَلَمْ يَفْهَمْ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ هَذِهِ الْمَعَانِيَ فَإِذَا انْكَشَفَ لِلسَّالِكِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ هَذِهِ الْمَعَانِي بِأَنْ لَا يَرَى غَيْرَ مَوْجُودٍ وَاحِدٍ أَوْ بِأَنْ يُدْرِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُحِيطٌ بِالذَّاتِ أَوْ وَجَدَهُ قَرِيبًا بِالذَّاتِ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَعْذُورًا فِي ذَلِكَ بِسَبَبِ غَلَبَةِ الْحَالِ وَسُكْرِ الْوَقْتِ فِيمَا هُنَالِكَ وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مُلْتَجِئًا إِلَى اللهِ تَعَالَى وَمُتَضَرِّعًا إِلَيْهِ دَائِمًا لِأَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ وَأَنْ يَكْشِفَ لَهُ أُمُورًا مُطَابِقَةً لِآرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَنْ لَا يَظْهَرَ لَهُ مَا يُخَالِفُ مُعْتَقَدَاتِهِمُ الْحَقَّةَ وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ.

(وَبِالْجُمْلَة) يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ الْمَعَانِيَ الَّتِي كَانَتْ مَفْهُومَةً لِعُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ مِصْدَاقَ الْكَشْفِ وَأَنْ لاَ يَجْعَلَ مِحَكَّ الإِلْهَامِ غَيْرَهَا فَإِنَّ الْمَعَانِيَ الْمُخَالِفَةَ لِلْمَعَانِي الْمَفْهُومَةِ لَهُمْ سَاقِطَةٌ عَنْ حَيِّزِ الإِعْتِبَارِ لأَنَّ كُلَّ مُبْتَدِعٍ ضَالٍّ يَزْعُمُ أَنَّ مُقْتَدَى مُعْتَقَدَاتِهِ وَمَأْخَذَهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّهُ يَفْهَمُ مِنْهُمَا بِحَسَبِ أَفْهَامِهِ الرَّكِيكَةِ مَعَانِيَ غَيْرَ مُطَابِقَةٍ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَإِنَّمَا قُلْتُ إِنَّ الْمُعْتَبَرَ هُوَ الْمَعَانِي الْمَفْهُومَةُ لِعُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ وَإِنَّ مَا سِوَاهَا مِمَّا يُخَالِفُهَا غَيْرُ مُعْتَبَرَةٍ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُمْ أَخَذُوا تِلْكَ الْمَعَانِيَ مِنْ تَتَبُّعِ آثَارِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَاقْتَبَسُوهَا مِنْ أَنْوَارِ نُجُومِ هِدَايَتِهِمْ وَلِهَذَا صَارَتِ النَّجَاةُ الأَبَدِيَّةُ مَخْصُوصَةً بِهِمْ وَالْفَلاَحُ السَّرْمَدِيُّ نَصِيبًا لَهُمْ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. فَإِنْ تَدَاهَنَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي الْفَرْعِيَّاتِ وَارْتَكَبُوا التَّقْصِيرَاتِ فِي الْعَمَلِيَّاتِ مَعَ وُجُودِ حَقِّيَّةِ الإِعْتِقَادِ لاَ يَنْبَغِي بِسَبَبِ ذَلِكَ أَنْ يُنْكِرَ الْعُلَمَاءَ مُطْلَقًا وَأَنْ يَطْعَنَ فِيهِمْ كُلِّيًّا فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْضُ عَدَمِ الإِنْصَافِ وَصِرْفُ الْمُكَابَرَةِ بَلْ إِنْكَارُ أَكْثَرِ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ فَإِنَّ نَاقِلِي تِلْكَ الضَّرُورِيَّاتِ هُمُ الْعُلَمَاءُ وَنَاقِدِي جَيِّدِهَا عَنْ رَدِيئِهَا هُمُ الْعُلَمَاءُ فَلَوْلاَ نُورُ هِدَايَتِهِمْ لَمَا اهْتَدَيْنَا وَلَوْلاَ تَمْيِيزُهُمُ الصَّوَابَ عَنِ الْخَطَإِ لَغَوَيْنَا وَهُمُ الَّذِينَ بَذَلُوا جُهْدَهُمْ فِي إِعْلاَءِ كَلِمَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ وَسَلَكُوا بِأُنَاسٍ كَثِيرَةٍ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَمَنْ تَابَعَهُمْ نَجَا وَأَفْلَحَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ ضَلَّ وَأَضَلَّ مِنَ الطَّرِيقِ الأَوْضَحِ.

(يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مُعْتَقَدَاتِ الصُّوفِيَّةِ بِالأُخْرَى أَعْنِي بَعْدَ تَمَامِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَالْوُصُولِ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْوِلاَيَةِ هِيَ عَيْنُ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ فَهِيَ لِلْعُلَمَاءِ بِالنَّقْلِ وَالإِسْتِدْلاَلِ وَلِلصُّوفِيَّةِ بِالْكَشْفِ وَالإِلْهَامِ وَإِنْ ظَهَرَ لِبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ بِوَاسِطَةِ السُّكْرِ وَغَلَبَةِ الْحَالِ مَا يُخَالِفُ تِلْكَ الْمُعْتَقَدَاتِ وَلَكِنْ إِذَا جَاوَزَ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ وَبَلَغَ نِهَايَةَ الأَمْرِ تَكُونُ تِلْكَ الْمُخَالَفَةُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَإِلاَّ فَيَبْقَى عَلَى تِلْكَ الْمُخَالَفَةِ وَلَكِنَّ الْمَرْجُوَّ أَنْ لاَ يُؤَاخَذَ بِهَا فَإِنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الْمُجْتَهِدِ الْمُخْطِئِ وَالْمُجْتَهِدُ مُخْطِئٌ فِي الإِسْتِنْبَاطِ وَهُوَ فِي الْكَشْفِ وَمِنْ جُمْلَةِ مُخَالَفَاتِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْحُكْمُ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ وَالإِحَاطَةِ وَالْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةِ الذَّاتِيَّاتِ كَمَا مَرَّ وَكَذَلِكَ إِنْكَارُهُمْ وُجُودَ الصِّفَاتِ السَّبْعَةِ أَوِ الثَّمَانِيَةِ فِي الْخَارِجِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى ذَاتِ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ فَإِنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ ذَاهِبُونَ إِلَى وُجُودِهَا فِي الْخَارِجِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ.

وَمَنْشَأُ إِنْكَارِهِمْ هُوَ أَنَّ مَشْهُودَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هُوَ الذَّاتُ فِي مِرْآةِ الصِّفَاتِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمِرْآةَ تَكُونُ مُخْتَفِيَةً مِنْ نَظَرِ الرَّائِي فَحَكَمُوا بِعَدَمِ وُجُودِهَا فِي الْخَارِجِ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ الإِخْتِفَاءِ وَظَنُّوا أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً لَكَانَتْ مَشْهُودَةً وَحَيْثُ لاَ شُهُودَ فَلاَ وُجُودَ وَطَعَنُوا فِي الْعُلَمَاءِ بِسَبَبِ حُكْمِهِمْ بِوُجُودِ الصِّفَاتِ بَلْ حَكَمُوا بِالْكُفْرِ وَالثَّنَوِيَّةِ أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْجَرَاءَةِ عَلَى الطَّعْنِ فَإِنْ تَيَسَّرَ لَهُمُ التَّرَقِّي مِنْ هَذَا الْمَقَامِ وَخَرَجَ شُهُودُهُمْ مِنْ هَذَا الْحِجَابِ وَزَالَ حُكْمُ الْمَرَاتِبِ لَرَأَوُا الصِّفَاتِ مُغَايِرَةً لِلذَّاتِ وَلَمَا أَنْكَرُوهَا وَلَمَا انْجَرَّ أَمْرُهُمْ إِلَى طَعْنِ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ.

(وَمِنْ جُمْلَةِ) مُخَالَفَاتِهِمْ حُكْمُهُمْ بِبَعْضِ أُمُورٍ يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ تَعَالَى فَاعِلاً بِالْإِيجَابِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يُطْلِقُوا لَفْظَ الْإِيجَابِ وَأَثْبَتُوا الْإِرَادَةَ لَكِنَّهُمْ يَنْفُونَ الْإِرَادَةَ فِي الْحَقِيقَةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ جَمِيعَ أَهْلِ الْمِلَلِ فِي هَذَا الْحُكْمِ فَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ حُكْمُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ بِمَعْنَى إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ وَيَقُولُونَ بِأَنَّ الشَّرْطِيَّةَ الْأُولَى وَاجِبَةُ الصِّدْقِ وَالثَّانِيَةَ مُمْتَنِعَةُ الصِّدْقِ وَهَذَا قَوْلٌ بِالْإِيجَابِ بَلْ إِنْكَارُ الْقُدْرَةِ بِالْمَعْنَى الْمُقَرَّرِ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَلِ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى صِحَّةِ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ وَاللَّازِمُ لِقَوْلِهِمْ وُجُوبُ الْفِعْلِ وَامْتِنَاعُ التَّرْكِ فَأَيْنَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ وَمَذْهَبُهُمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُوَ بِعَيْنِهِ مَذْهَبُ الْفَلَاسِفَةِ وَإِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ مَعَ الْقَوْلِ بِوُجُوبِ صِدْقِ الْأُولَى وَامْتِنَاعِ صِدْقِ الثَّانِيَةِ، وَامْتِيَازُهُمْ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ بِهَذَا الْإِثْبَاتِ غَيْرُ نَافِعٍ فَإِنَّ الْإِرَادَةَ هِيَ تَخْصِيصُ أَحَدِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ فَحَيْثُ لَا تَسَاوِيَ لَا إِرَادَةَ وَهَهُنَا التَّسَاوِي مَعْدُومٌ لِلْوُجُوبِ وَالْإِمْتِنَاعِ فَافْهَمْ. وَمِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الْأُمُورِ بَيَانُهُمْ فِي مَسْأَلَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى نَهْجٍ ظَاهِرُهُ إِثْبَاتُ الْإِيجَابِ فَمِنْ جُمْلَةِ عِبَارَاتِهِمْ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ هَذِهِ الْعِبَارَةُ: اَلْحَاكِمُ مَحْكُومٌ وَالْمَحْكُومُ حَاكِمٌ وَجَعْلُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَحْكُومَ أَحَدٍ وَإِثْبَاتُ حَاكِمٍ عَلَيْهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِثْبَاتِ الْإِيجَابِ مُسْتَقْبَحٌ جِدًّا إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ كَثِيرَةٌ كَقَوْلِهِمْ بِعَدَمِ إِمْكَانِ رُؤْيَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَهَذَا الْقَوْلُ مُسْتَلْزِمٌ لِإِنْكَارِ رُؤْيَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالرُّؤْيَةُ الَّتِي جَوَّزُوهَا بِالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ لَيْسَتْ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ رُؤْيَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بَلْ هِيَ ضَرْبٌ مِنَ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ، نَظْمٌ:

يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ *** وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ

وَكَقَوْلِهِمْ بِقِدَمِ أَرْوَاحِ الْكُمَّلِ وَأَزَلِيَّتِهَا وَهَذَا الْقَوْلُ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ عِنْدَهُمُ الْعَالَمَ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ مُحْدَثٌ وَالْأَرْوَاحَ مِنْ جُمْلَةِ الْعَالَمِ لِأَنَّ الْعَالَمَ اسْمٌ لِجَمِيعِ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَافْهَمْ.

(فَيَنْبَغِي) لِلسَّالِكِ قَبْلَ بُلُوغِهِ كُنْهَ الْأَمْرِ وَحَقِيقَتَهُ أَنْ يَعُدَّ تَقْلِيدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ لَازِمًا لِنَفْسِهِ مَعَ وُجُودِ مُخَالَفَةِ كَشْفِهِ وَإِلْهَامِهِ وَأَنْ يَعْتَقِدَ الْعُلَمَاءَ مُحِقِّينَ وَنَفْسَهُ مُخْطِئًا لِأَنَّ مُسْتَنَدَ الْعُلَمَاءِ تَقْلِيدُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمُؤَيَّدِينَ بِالْوَحْيِ الْقَطْعِيِّ الْمَعْصُومِينَ عَنِ الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ، وَكَشْفُهُ وَإِلْهَامُهُ عَلَى تَقْدِيرِ مُخَالَفَتِهِ لِلْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ خَطَأٌ وَغَلَطٌ فَتَقْدِيمُ الْكَشْفِ عَلَى أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ تَقْدِيمٌ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى الْأَحْكَامِ الْقَطْعِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ وَهُوَ عَيْنُ الضَّلَالَةِ وَمَحْضُ الْخَسَارَةِ. وَكَمَا أَنَّ الْإِعْتِقَادَ بِمُوجَبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرُورِيٌّ كَذَلِكَ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُمَا عَلَى نَهْجٍ اسْتَنْبَطَهُ الْأَئِمَّةُ الْمُجْتَهِدُونَ مِنْهُمَا وَاسْتَخْرَجُوا الْأَحْكَامَ عَنْهُمَا مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُسْتَحَبِّ وَالْمَكْرُوهِ وَالْمُشْتَبِهِ، وَالْعِلْمُ بِهَذِهِ الْأَحْكَامِ أَيْضًا ضَرُورِيٌّ وَلَا يَجُوزُ لِلْمُقَلِّدِ أَخْذُ الْأَحْكَامِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى خِلَافِ رَأْيِ الْمُجْتَهِدِ وَأَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ فِي الْعَمَلِ الْقَوْلَ الْمُخْتَارَ فِي مَذْهَبِ مُجْتَهِدِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ وَتَبِعَهُ وَأَنْ يَعْمَلَ بِالْعَزِيمَةِ مُجْتَنِبًا عَنِ الْبِدْعَةِ وَأَنْ يَسْعَى فِي جَمْعِ أَقْوَالِ الْمُجْتَهِدِينَ مَهْمَا أَمْكَنَ لِيَقَعَ الْعَمَلُ عَلَى الْقَوْلِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ مَثَلًا أَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ اشْتَرَطَ النِّيَّةَ فِي الْوُضُوءِ فَلَا يَتَوَضَّأُ بِلَا نِيَّةٍ وَكَذَلِكَ قَالَ بِفَرْضِيَّةِ التَّرْتِيبِ فِي غَسْلِ الْأَعْضَاءِ

فيلتزم الترتيب وافترض الإمام مالك الدلك في غسل الأعضاء فيدلك ألبتة وكذلك قالوا ينقض الوضوء بمس النساء والذكر فيجدد الوضوء إن مس أحدهما وعلى هذا القياس في سائر الأحكام الخلافية وبعد حصول هذين الجناحين الإعتقادي والعملي يكون متوجها نحو العروج إلى مدارج القرب الإلهي جل سلطانه وطالبا لقطع المنازل الظلمانية والمسالك النورانية ولكن ينبغي أن يعلم أن ذلك العروج وقطع المنازل مربوط بتوجه شيخ كامل مكمل عالم بالطريق بصير به هاد إليه، نظره شفاء الأمراض القلبية وتوجهه دافع الأخلاق الردية الغير المرضية فليطلب أولا الشيخ فإن عرفه بمحض فضل الحق سبحانه فليلازمه معتقدا أن معرفته إياه نعمة عظمى وليكن منقادا له في تصرفاته بكليته قال شيخ الإسلام الهروي: إلهي ما هذا الذي جعلت أولياءك بحيث من عرفهم وجدك وما لم يجدك لم يعرفهم ويفني اختياره في اختيار شيخه بالكلية ويخلي نفسه عن جميع المرادات ويشد نطاق الهمة في خدمته ويسعى سعيا بليغا في امتثال جميع ما يأمر به شيخه معتقدا بأن رأس مال سعادته فيه فإن رأى الشيخ المقتدى به أن المناسب لاستعداده الذكر يأمره به وإن رأى أن المناسب التوجه والمراقبة يشير بهما أيضا فيما هنالك وإن علم الكفاية بمجرد الصحبة يأمره أيضا بذلك. **(وبالجملة)** ان الإحتياج إلى الذكر مع وجود صحبة الشيخ ليس شرطا من شرائط الطريق أصلا بل يأمر الشيخ بكل ما يراه مناسبا لحال الطالب فإن وقع منه تقصير في بعض شرائط الطريق يتلافاه بصحبة الشيخ فيكون توجهه جابرا لنقصانه.

ومن لم يتشرف بصحبة مثل هذا الشيخ فإن كان من المرادين بجذبه الحق سبحانه ويجتبيه إليه ويكفيه أمره بمحض عنايته التي لا غاية لها ولا نهاية ويعلمه كل شرط وأدب لازم له ويجعل روحانية بعض الأكابر وسائل طريقه ودليله في قطع منازل السلوك فإن توسط روحانيات المشائخ في قطع طريق السلوك لازم بطريق جري عادة الله سبحانه.

وإن كان من المريدين فأمره من غير توسط شيخ مقتدى به مشكل فينبغي أن يلتجئ إلى الله سبحانه دائما إلى أن يصل إلى شيخ مقتدى به. وينبغي أيضا أن يعد رعاية شرائط الطريق لازمة وقد بينت تلك الشرائط في كتب المشائخ تفصيلا فينبغي مراجعتها وملاحظة ما فيها ورعايتها بعد ذلك ومعظم شرائط الطريق مخالفة النفس وهي موقوفة على رعاية مقام الورع والتقوى الذي هو الإنتهاء من المحارم والإنتهاء من المحارم لا يتصور الا بعد الإجتناب من فضول المباحات فإن إرخاء العنان في ارتكاب المباحات يفضي إلى ارتكاب المشتبهات والمشتبه قريب من المحرم واحتمال الوقوع فيه أقوى ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. فاجتناب المحرمات كان موقوفا على اجتناب فضول المباحات فلا بد في تحقق الورع من اجتناب فضول المباحات ولا بد للترقي والعروج من تحقق الورع فإنه مربوط به. وبيانه أن للأعمال جزأين امتثال الأوامر والإنتهاء عن المناهي والإمتثال يشارك فيه القدسيون فإن وقع الترقي بالإمتثال فقط لوقع للقدسيين أيضا، والإنتهاء عن المناهي خاص بالإنسيين ليس هو في القدسيين

فَإِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ بِالذَّاتِ لَيْسَ فِيهِمْ مَجَالُ الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يُنْهَوْنَ عَنْهَا فَلَزِمَ كَوْنُ التَّرَقِّي مَرْبُوطًا بِهَذَا الْجُزْءِ وَهَذَا الإِجْتِنَابُ هُوَ عَيْنُ مُخَالَفَةِ النَّفْسِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا وَرَدَتْ لِرَفْعِ الأَهْوَاءِ النَّفْسَانِيَّةِ وَدَفْعِ الرُّسُومِ الظُّلْمَانِيَّةِ فَإِنَّ مُقْتَضَى طَبِيعَةِ النَّفْسِ إِمَّا ارْتِكَابُ الْمُحَرَّمِ أَوِ ارْتِكَابُ الْفُضُولِ الْمُفْضِي أَخِيرًا لِلْمُحَرَّمِ فَاجْتِنَابُ الْفُضُولِ هُوَ عَيْنُ مُخَالَفَةِ النَّفْسِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ فِي امْتِثَالِ الأَوَامِرِ أَيْضًا مُخَالَفَةَ النَّفْسِ فَإِنَّ النَّفْسَ لاَ تُرِيدُ الإِشْتِغَالَ بِالْعِبَادَةِ فَيَكُونُ الإِمْتِثَالُ أَيْضًا مُسْتَلْزِمًا لِلتَّرَقِّي وَفِي الْمَلاَئِكَةِ لَمَّا كَانَتْ مُخَالَفَةُ الإِمْتِثَالِ مَفْقُودَةً لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لِتَرَقِّيهِمْ فَالْقِيَاسُ مَعَ الْفَارِقِ (**قُلْتُ**) إِنَّ عَدَمَ إِرَادَةِ النَّفْسِ الْعِبَادَةَ وَعَدَمَ رِضَاهَا بِهَا إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ كَوْنِهَا طَالِبَةً لِفَرَاغِهَا بِحَيْثُ لاَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُقَيَّدَةً وَمَشْغُولَةً بِشَيْءٍ وَهَذَا الْفَرَاغُ وَعَدَمُ الإِشْتِغَالِ أَيْضًا دَاخِلاَنِ فِي الْمُحَرَّمِ أَوِ الْفُضُولِ فَجَاءَتْ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ فِي امْتِثَالِ الأَوَامِرِ مِنْ طَرِيقِ اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمِ وَالْفُضُولِ لاَ مِنْ طَرِيقِ أَدَاءِ الأَوَامِرِ يَعْنِي الْمَأْمُورَاتِ فَقَطْ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ فِي الْمَلاَئِكَةِ أَيْضًا فَالْقِيَاسُ صَحِيحٌ. فَكُلُّ طَرِيقٍ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ فِيهِ أَكْثَرُ فَهُوَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ وَلاَ شَكَّ أَنَّ رِعَايَةَ مُخَالَفَةِ النَّفْسِ فِي طَرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي سَائِرِ الطُّرُقِ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرَ اخْتَارُوا الْعَمَلَ بِالْعَزِيمَةِ وَالإِجْتِنَابَ عَنِ الرُّخْصَةِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلاًّ مِنِ اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمِ وَالْفُضُولِ مَوْجُودٌ فِي الْعَزِيمَةِ وَمَرْعِيٌّ فِيهَا بِخِلاَفِ الرُّخْصَةِ فَإِنَّ فِيهَا اجْتِنَابَ الْمُحَرَّمِ فَقَطْ.

فَإِنْ قِيلَ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ أَرْبَابِ سَائِرِ الطُّرُقِ أَيْضًا الْعَزِيمَةَ.

قُلْتُ: إِنَّ فِي أَكْثَرِ الطُّرُقِ سَمَاعًا وَرَقْصًا وَيَبْلُغُ الأَمْرُ فِيهِ حَدَّ الرُّخْصَةِ بَعْدَ تَمَحُّلٍ كَثِيرٍ وَأَيْنَ فِيهِ الْمَجَالُ لِلْعَزِيمَةِ بَعْدُ وَكَذَلِكَ ذِكْرُ الْجَهْرِ لاَ يُتَصَوَّرُ فِيهِ مَا فَوْقَ الرُّخْصَةِ وَقَدْ أَحْدَثَ مَشَائِخُ سَائِرِ الطُّرُقِ أُمُورًا مُحْدَثَةً فِي طُرُقِهِمْ لِبَعْضِ نِيَّاتٍ صَحِيحَةٍ، نِهَايَةُ التَّصْحِيحِ فِي تِلْكَ الأُمُورِ الْحُكْمُ بِالرُّخْصَةِ بِخِلاَفِ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ مِنْ مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ فَتَكُونُ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَتَمَّ فَيَكُونُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ فَيَكُونُ اخْتِيَارُ هَذَا الطَّرِيقِ لِلطَّالِبِ أَوْلَى وَأَنْسَبَ لأَنَّ الطُّرُقَ فِي نِهَايَةِ الأَقْرَبِيَّةِ وَالْمَطْلَبَ فِي كَمَالِ الرِّفْعَةِ.

(وَقَدْ تَرَكَ جَمَاعَةٌ) مِنْ مُتَأَخِّرِي خُلَفَائِهِمْ أَوْضَاعَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَأَحْدَثُوا فِي هَذَا الطَّرِيقِ بَعْضَ الأُمُورِ وَاخْتَارُوا السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَالْجَهْرَ وَمَنْشَأُ ذَلِكَ عَدَمُ الْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَةِ نِيَّاتِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ فَخَالُوا أَنَّهُمْ يُكَمِّلُونَ وَيُتَمِّمُونَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ بِهَذِهِ الْمُحْدَثَاتِ وَالْمُبْتَدَعَاتِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ بِهَا فِي تَخْرِيبِهَا وَيَجْتَهِدُونَ فِي إِضَاعَتِهَا وَاللَّهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

(٢٨٧) اَلْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى أَخِيهِ الْحَقِيقِيِّ مَنْبَعِ الْحَقَائِقِ وَمِيَانْ غُلَامْ مُحَمَّدْ فِي بَيَانِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَبَيَانِ الْمَعَارِفِ الْمُنَاسِبَةِ لِهَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَخَتَمَهُمْ بِأَفْضَلِهِمْ وَأَكْمَلِهِمْ مُحَمَّدٍ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ صَلَوَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ تَابَعَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ آمِينَ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ الطَّالِبِينَ يُنَزِّلُونَ الْمَسْلَكَ الطَّوِيلَ وَالْمَطْلَبَ الرَّفِيعَ بِوَاسِطَةِ دَنَاءَةِ الْهِمَّةِ وَخِسَّةِ الْفِطْرَةِ وَعَدَمِ وِجْدَانِ صُحْبَةِ الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ إِلَى مَنْزِلَةِ طَرِيقٍ قَصِيرٍ وَمَقْصَدٍ وَضِيعٍ وَيَقْنَعُونَ بِكُلِّمَا يَتَيَسَّرُ لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ مِنْ حَقِيرٍ وَخَطِيرٍ وَيَظُنُّونَ ذَلِكَ مَقْصَدًا وَيَزْعُمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِحُصُولِهِ كَمَلَةً وَأَرْبَابَ نِهَايَةٍ وَيُطَبِّقُونَ مِنْ خِسَّةِ الْفِطْرَةِ وَاسْتِيلَاءِ قُوَاهُمُ الْمُتَخَيِّلَةِ أَحْوَالَهُمُ النَّاقِصَةَ عَلَى الْأَحْوَالِ الْكَامِلَةِ الَّتِي بَيَّنَهَا الْكَمَلَةُ الْوَاصِلُونَ مِنْ تَمَامِ أَمْرِهِمْ وَنِهَايَةِ سَيْرِهِمْ كَمَا قِيلَ، (ع): وَصَارَ الْفَأْرُ فِي رُؤْيَاهُ نَاقَةً *

وَيَكْتَفُونَ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِقَطْرَةٍ بَلْ بِصُورَةِ قَطْرَةٍ وَمِنْ بَحْرِ عُمَّانَ بِرَشْحَةٍ بَلْ بِصُورَةِ رَشْحَةٍ وَيَتَصَوَّرُونَ الْمِثَالِيَّ غَيْرَ الْمِثَالِيِّ وَيَسْكُتُونَ عَنْ غَيْرِ الْمُكَيَّفِ بِالْمُكَيَّفِ وَيَتَخَيَّلُونَ الْمِثْلِيَّ لَا مِثْلِيًّا وَيَنْخَدِعُونَ عَنِ اللَّامِثْلِيِّ بِالْمِثْلِيِّ، وَأَحْوَالُ جَمَاعَةٍ آمَنُوا بِاللَّامِثْلِيِّ بِالتَّقْلِيدِ وَاعْتَقَدُوهُ أَفْضَلُ مِنْ أَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الطَّالِبِينَ الَّذِينَ لَمْ يَتِمَّ سُلُوكُهُمْ وَالظَّامِئِينَ الْقَانِعِينَ بِالسَّرَابِ بِمَرَاتِبَ فَإِنَّهُ فَرْقٌ كَثِيرٌ بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ وَالْمُصِيبِ وَالْمُخْطِئِ فَوَيْلٌ لِلطَّالِبِينَ الْقَاصِرِينَ الْمُنْقَطِعِينَ عَنِ الْمَطْلَبِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ الْمُحْدَثَ قَدِيمًا وَيَزْعُمُونَ الْمِثَالِيَّ لَامِثَالِيًّا إِنْ لَمْ يَكُونُوا مَعْذُورِينَ بِالْخَطَأِ فِي الْكَشْفِ وَيُؤَاخَذُونَ بِهَذَا الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. وَهَذَا كَمَا إِذَا كَانَ شَخْصٌ مَثَلًا طَالِبَ كَعْبَةٍ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا بِكَمَالِ الشَّوْقِ فَاسْتَقْبَلَهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ اتِّفَاقًا بَيْتٌ شَبِيهٌ بِالْكَعْبَةِ وَلَوْ بِحَسَبِ الصُّورَةِ فَخَالَهُ كَعْبَةً وَصَارَ مُعْتَكِفًا هُنَاكَ وَشَخْصٌ آخَرُ لَهُ عِلْمٌ بِخَوَاصِّ الْكَعْبَةِ بِالْأَخْذِ عَنِ الْوَاصِلِينَ إِلَيْهَا وَصَدَّقَ بِوُجُودِهَا بِحَسَبِ عِلْمِهِ فَهَذَا الشَّخْصُ وَإِنْ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً فِي طَلَبِ الْكَعْبَةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ غَيْرَ الْكَعْبَةِ كَعْبَةً وَمُحِقٌّ فِي تَصْدِيقِهِ فَحَالُهُ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ الطَّالِبِ الْمَذْكُورِ الْمُخْطِئِ نَعَمْ إِذَا لَمْ يَعْتَقِدِ الطَّالِبُ الْغَيْرُ الْوَاصِلِ إِلَى الْمَطْلَبِ غَيْرَ الْمَطْلَبِ مَطْلَبًا فَحَالُهُ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ مُقَلِّدٍ مُحِقٍّ لَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ فِي طَرِيقِ الْمَطْلَبِ فَإِنَّهُ مَعَ وُجُودِ حَقِّيَّةِ تَصْدِيقِهِ بِالْمَطْلُوبِ قَاطِعٌ لِمَسَافَةِ طَرِيقِ الْمَطْلُوبِ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ فَلَهُ تَتَحَقَّقُ الْمَزِيَّةُ. (وَطَائِفَةٌ) مِنْهُمْ أَيْضًا جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِهَذَا الْكَمَالِ وَالْخَيَالِ وَالْوِصَالِ الْوَهْمِيِّ فِي مَسْنَدِ الْمَشْيَخَةِ وَدَعْوَةِ الْخَلْقِ وَضَيَّعُوا بِعِلَّةِ مَنْقَصَتِهِمُ اسْتِعْدَادَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْتَعِدِّينَ لِلْكَمَالَاتِ وَأَزَالُوا بِشُؤْمِ بُرُودَةِ صُحْبَتِهِمْ حَرَارَةَ طَلَبِ الطَّالِبِينَ ضَلُّوا فَأَضَلُّوا ضَاعُوا فَأَضَاعُوا وَتَخَيُّلُ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ وَتَوَهُّمُ الْوِصَالِ فِي الْمَجْذُوبِينَ غَيْرِ السَّالِكِينَ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي السَّالِكِينَ الْمَجْذُوبِينَ الْغَيْرِ الْوَاصِلِينَ فَإِنَّ الْمُبْتَدِيَ وَالْمُنْتَهِيَ مُتَشَابِهَانِ فِي صُورَةِ الْجَذْبَةِ وَمُتَسَاوِيَانِ فِي الْعِشْقِ وَالْمَحَبَّةِ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَكَانَتْ أَحْوَالُ كُلٍّ مِنْهُمَا مُغَايِرَةً لِأَحْوَالِ الْآخَرِ وَمُمْتَازَةً عَنْهَا، (ع): مَا

نِسْبَةُ الْفَرْشِيِّ بِالْعَرْشِيِّ * فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُوجَدُ فِي الْبِدَايَةِ فَهُوَ مَعْلُولٌ وَإِلَى غَرَضٍ مَا مَحْمُولٌ وَحَيْثُ كَانَ مَا فِي الْإِنْتِهَاءِ بِالْحَقِّ فَهُوَ لِلْحَقِّ وَسَنَذْكُرُ تَفْصِيلَ هَذَا الْكَلَامِ عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَكُونُ هَذِهِ الْمُشَابَهَةُ الصُّورِيَّةُ وَالْمُنَاسَبَةُ الضَّرُورِيَّةُ بَاعِثَةً عَلَى ذَلِكَ التَّخَيُّلِ وَحَيْثُ كَانَتِ الْجَذْبَةُ مُقَدَّمَةً عَلَى السُّلُوكِ فِي طَرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ كَثُرَ هَذَا الْقِسْمُ مِنَ التَّخَيُّلِ وَالتَّوَهُّمِ فِي مَجَاذِيبِ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِينَ لَمْ يَتَشَرَّفُوا بَعْدُ بِدَوْلَةِ السُّلُوكِ وَقَدْ يَحْصُلُ لِجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ تَقَلُّبَاتٌ فِي مَقَامِ الْجَذْبَةِ وَتَنَقُّلَاتٌ عَنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فَيَظُنُّونَ ذَلِكَ قَطْعَ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَطَيَّ مَسَالِكِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَيَزْعُمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِتِلْكَ التَّقَلُّبَاتِ مِنَ الْمَجْذُوبِينَ السَّالِكِينَ فَتَقَرَّرَ فِي الْخَاطِرِ الْفَاتِرِ أَنْ أَكْتُبَ فِقْرَاتٍ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ السُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ وَبَيَانِ الْفَرْقِ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ خَوَاصٍّ مُمَيِّزَةٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ وَبَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ جَذْبَةِ الْمُبْتَدِي وَجَذْبَةِ الْمُنْتَهِي وَحَقِيقَةِ مَقَامِ التَّكْمِيلِ وَالْإِرْشَادِ وَعُلُومٍ أُخَرَ مُنَاسِبَةٍ لِذَلِكَ الْمَقَامِ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فَشَرَعْتُ فِيهِ بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَهْدِي السَّبِيلَ وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَهَذَا الْمَكْتُوبُ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَقْصَدَيْنِ وَخَاتِمَةٍ الْمَقْصَدُ الْأَوَّلُ فِي بَيَانِ مَعَارِفَ مُتَعَلِّقَةٍ بِمَقَامِ الْجَذْبَةِ وَالْمَقْصَدُ الثَّانِي فِي بَيَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالسُّلُوكِ وَالْخَاتِمَةُ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي عِلْمُهَا كَثِيرُ الْمَنْفَعَةِ لِلطَّالِبِينَ. **الْمَقْصَدُ الْأَوَّلُ**: اعْلَمْ أَنَّ الْمَجْذُوبَ غَيْرُ تَامِّ السُّلُوكِ وَإِنْ كَانَ لَهُ جَذْبٌ قَوِيٌّ دَاخِلٌ فِي زُمْرَةِ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ كَانَ مُنْجَذِبًا فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لَهُ تَجَاوُزُ مَقَامِ الْقَلْبِ وَالْإِتِّصَالُ بِمُقَلِّبِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ سُلُوكٍ وَتَزْكِيَةِ نَفْسٍ فَإِنَّ انْجِذَابَهُمْ قَلْبِيٌّ وَحُبَّهُمْ عَرَضِيٌّ لَا ذَاتِيٌّ وَلَا أَصْلِيٌّ فَإِنَّ النَّفْسَ مُمْتَزِجَةٌ بِالرُّوحِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَالظُّلْمَةَ مُخْتَلِطَةٌ بِالنُّورِ فِي هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ وَلَا يُتَصَوَّرُ الْخُرُوجُ عَنْ مَضِيقِ مَقَامِ الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَّةِ وَالْإِتِّصَالُ بِمُقَلِّبِ الْقَلْبِ وَحُصُولُ الْإِنْجِذَابِ الرُّوحِيِّ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ بِدُونِ تَخَلُّصِ الرُّوحِ مِنَ النَّفْسِ لِأَجْلِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَطْلُوبِ، وَانْفِكَاكِ النَّفْسِ عَنِ الرُّوحِ وَنُزُولِهَا إِلَى مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ وَمَا دَامَ هَذَانِ مُجْتَمِعَيْنِ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يُتَصَوَّرُ الْإِنْجِذَابُ الرُّوحِيُّ الْخَالِصُ فَإِنَّ الْحَقِيقَةَ الْجَامِعَةَ الْقَلْبِيَّةَ قَائِمَةٌ مُسْتَحْكَمَةٌ، وَتَخَلُّصُ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بَعْدَ قَطْعِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَطَيِّ مَسَالِكِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ وَتَحَقُّقِ السَّيْرِ فِي اللَّهِ بَلْ بَعْدَ حُصُولِ مَقَامِ الْفَرْقِ بَعْدَ الْجَمْعِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالسَّيْرِ عَنِ اللَّهِ بِاللَّهِ، شِعْرٌ:

هَلْ كُلُّ ذِي ذَكَرٍ يَحْوِيهِ مُعْتَرَكٌ * أَوْ كُلُّ مَنْ نَالَ مِنْ مُلْكٍ سُلَيْمَانُ**

فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ جَذْبِ الْمُنْتَهِي وَجَذْبِ الْمُبْتَدِي، وَشُهُودُ الْمَجْذُوبِينَ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الْكَثْرَةِ عَلِمُوا هَذَا الْمَعْنَى أَوْ لَا وَلَيْسَ مَشْهُودُهُمْ إِلَّا عَالَمَ الْأَرْوَاحِ الَّذِي هُوَ شَبِيهٌ فِي اللَّطَافَةِ وَالْإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ بِمُوجِدِهِ صُورَةً فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ يَزْعُمُونَ شُهُودَ الرُّوحِ شُهُودَ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ الْإِحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالْقُرْبُ وَالْمَعِيَّةُ فَإِنَّ نَظَرَ السَّالِكِ لَا يَنْفُذُ إِلَّا إِلَى الْمَقَامِ الْفَوْقِ لَا إِلَى مَقَامِ فَوْقَ الْفَوْقِ وَالْمَقَامُ الَّذِي فَوْقَ مَقَامِهِمْ هُوَ مَقَامُ الرُّوحِ فَلَا يَنْفُذُ نَظَرُهُمْ إِلَى مَا فَوْقَ مَقَامِ الرُّوحِ وَلَا يَكُونُ مَشْهُودُهُمْ شَيْئًا غَيْرَ الرُّوحِ وَالنَّظَرُ إِلَى مَا فَوْقَ مَقَامِ الرُّوحِ مَوْقُوفٌ عَلَى

الْوُصُولِ إِلَى مَقَامِ الرُّوحِ وَحَالُ الْمَحَبَّةِ وَالإِنْجِذَابِ أَيْضًا كَحَالِ الشُّهُودِ وَشُهُودُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بَلْ مَحَبَّتُهُ وَالإِنْجِذَابُ إِلَيْهِ تَعَالَى مَرْبُوطٌ بِحُصُولِ الْفَنَاءِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِنِهَايَةِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ، شِعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا *** فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيلُ

وَإِطْلاَقُ الشُّهُودِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ ضِيقِ مَيْدَانِ الْعِبَارَةِ وَإِلاَّ مُعَامَلَةُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ مُتَعَارِفَةٌ بِمَا وَرَاءَ وَرَاءِ الشُّهُودِ وَكَمَا أَنَّ مَقْصِدَهُمْ لاَ مِثْلِيٌّ وَلاَ كَيْفِيٌّ كَذَلِكَ اتِّصَالُهُمْ أَيْضًا لاَ مِثْلِيٌّ وَلاَ كَيْفِيٌّ لاَ سَبِيلَ لِلْمِثَالِيِّ إِلَى اللاَّمِثَالِيِّ لاَ يَحْمِلُ عَطَايَا الْمَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ، شِعْرٌ:

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ *** اتِّصَالاً دُونَ كَيْفٍ وَقِيَاسِ

وَإِحَاطَتُهُ تَعَالَى وَسَرَيَانُهُ وَقُرْبُهُ وَمَعِيَّتُهُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ أَرْبَابِ السُّلُوكِ الْوَاصِلِينَ إِلَى نِهَايَةِ الأَمْرِ كُلُّهَا عِلْمِيَّةٌ وَهُمْ مُوَافِقُونَ لِعُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَالْحُكْمُ بِالْقُرْبِ الذَّاتِيِّ وَأَمْثَالِهِ عِنْدَهُمْ مِنْ عَدَمِ الْحَاصِلِ وَالْبُعْدِ وَالْمُقَرَّبُونَ لاَ يَحْكُمُونَ بِالْقُرْبِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْكُبَرَاءِ: مَنْ قَالَ أَنَا قَرِيبٌ فَهُوَ بَعِيدٌ وَمَنْ قَالَ أَنَا بَعِيدٌ فَهُوَ قَرِيبٌ وَهَذَا هُوَ التَّصَوُّفُ وَالْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِالتَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ مَنْشَؤُهُ الْمَحَبَّةُ وَالإِنْجِذَابُ الْقَلْبِيُّ. وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ الَّذِينَ لاَ جَذْبَةَ لَهُمْ بَلْ يَقْطَعُونَ الْمَنَازِلَ بِطَرِيقِ السُّلُوكِ لاَ مُنَاسَبَةَ لِهَذَا الْعِلْمِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الْمَجْذُوبُونَ الْمُتَوَجِّهُونَ بِالسُّلُوكِ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى مُقَلِّبِ الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَّةِ يَتَبَرَّءُونَ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ وَيَسْتَغْفِرُونَ مِنْهَا. وَبَعْضُ الْمَجْذُوبِينَ وَإِنْ سَلَكُوا طَرِيقَ السُّلُوكِ وَطَوَوُا الْمَنَازِلَ وَلَكِنْ لاَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُمْ عَنِ الْمَقَامِ الْمَأْلُوفِ وَلاَ يَقْدِرُونَ التَّوَجُّهَ إِلَى الْفَوْقِ فَلاَ يَتْرُكُ أَمْثَالَ هَذِهِ الْعُلُومِ أَذْيَالُهُمْ وَلاَ يَقْدِرُونَ الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ وَالتَّخَلُّصَ مِنْهَا ؛ وَلِهَذَا يَكُونُ فِيهِمْ ضَعْفٌ وَعَرَجٌ فِي الْعُرُوجِ إِلَى مَدَارِجِ الْقُرْبِ وَالصُّعُودِ إِلَى مَعَارِجِ الْقُدْسِ (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا). وَعَلاَمَةُ الْوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ الْمَطْلَبِ التَّبَرِّي مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ فَإِنَّهُ كُلَّمَا تَحْصُلُ زِيَادَةُ الْمُنَاسَبَةِ بِالتَّنْزِيهِ يُوجَدُ عَدَمُ مُنَاسَبَةِ الْعَالَمِ بِالصَّانِعِ أَزْيَدَ وَلاَ مَعْنَى حِينَئِذٍ فِي اعْتِقَادِ انَّ الْعَالَمَ عَيْنُ الصَّانِعِ أَوْ فِي ظَنِّ أَنَّ الصَّانِعَ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ بِالذَّاتِ مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ.

مَعْرِفَةٌ: قَالَ الْخَواجَة بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْد قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ الأَقْدَسَ: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي الْبِدَايَةِ وَمَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ هُوَ أَنَّ الإِنْجِذَابَ وَالْمَحَبَّةَ اللَّذَيْنِ يَتَيَسَّرَانِ لِلْمُنْتَهِينَ فِي الإِنْتِهَاءِ مُنْدَرِجَانِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ فِي الإِنْجِذَابِ وَالْمَحَبَّةِ اللَّذَيْنِ يَحْصُلاَنِ فِي الإِبْتِدَاءِ فَإِنَّ انْجِذَابَ الْمُنْتَهِي رُوحِيٌّ وَفِي الْمُبْتَدِي جَذْبٌ قَلْبِيٌّ وَمِنْ حَيْثُ انَّ الْقَلْبَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ يَحْصُلُ فِي ضِمْنِ الْجَذْبِ الْقَلْبِيِّ الْجَذْبُ الرُّوحِيُّ أَيْضًا وَتَخْصِيصُ هَذَا الإِنْدِرَاجِ بِهَذَا الطَّرِيقِ مَعَ أَنَّهُ حَاصِلٌ فِي جَمِيعِ الْجَذَبَاتِ بِهَذَا الْمَعْنَى مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ أَكَابِرَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَضَعُوا طَرِيقًا خَاصًّا لِحُصُولِ هَذَا الْمَعْنَى وَعَيَّنُوا مَسْلَكًا مَخْصُوصًا لِلْوُصُولِ إِلَى هَذَا الْمَطْلَبِ وَيَحْصُلُ هَذَا الْمَعْنَى لِغَيْرِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الإِتِّفَاقِ وَلَيْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ضَابِطَةٌ.

وَأيْضًا إنْ لِهَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ شَأْنًا خَاصًا فِي مَقَامِ الْجَذْبَةِ لَيْسَ هُوَ لِغَيْرِهِمْ فَإنْ كَانَ فَنَادِرٌ وَلِهَذَا يَحْصُلُ لِبَعْضِهِمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ غَيْرِ قَطْعِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ فَنَاءٌ وَبَقَاءٌ شَبِيهَانِ بِفَنَاءِ أرْبَابِ السُّلُوكِ وَبَقَائِهِمْ وَيَتَيَسَّرُ لَهُمْ شُرْبٌ مِنْ مَقَامِ التَّكْمِيلِ شَبِيهٌ بِمَقَامِ السَّيْرِ عَنِ اللهِ بِاللهِ يُرَبُّونَ بِهِ الْمُسْتَعِدِّينَ وَسَيَجِيءُ تَحْقِيقُ هَذَا الْمَبْحَثِ عَنْ قَرِيبٍ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَ أنَّ الرُّوحَ كَانَ لَهَا قَبْلَ تَعَلُّقِهَا بِالْبَدَنِ نَحْوٌ مِنَ التَّوَجُّهِ إلَى الْمَقْصُودِ فَلَمَّا تَعَلَّقَتْ بِالْبَدَنِ زَالَ عَنْهَا ذَلِكَ التَّوَجُّهُ وَأكَابِرُ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ وَضَعُوا طَرِيقًا لِظُهُورِ ذَلِكَ التَّوَجُّهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتِ الرُّوحُ مُتَعَلِّقَةً بِالْبَدَنِ انْتَقَلَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ إلَى الْقَلْبِ فَيَحْصُلُ لَهُمْ فِيهِ تَوَجُّهٌ قَلْبِيٌّ جَامِعٌ لِتَوَجُّهِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَلَا شَكَّ أنَّ التَّوَجُّهَ الرُّوحِيَّ مُنْدَرِجٌ فِي التَّوَجُّهِ الْقَلْبِيِّ وَأمَّا التَّوَجُّهُ الرُّوحِيُّ فِي الْمُنْتَهِينَ فَهُوَ بَعْدَ فَنَاءِ الرُّوحِ وَبَقَائِهِ بِالْوُجُودِ الْحَقَّانِيِّ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالْبَقَاءِ بِاللهِ، وَالتَّوَجُّهُ الرُّوحِيُّ الَّذِي هُوَ فِي ضِمْنِ التَّوَجُّهِ الْقَلْبِيِّ بَلْ تَوَجُّهُ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ تَعَلُّقِهَا بِالْبَدَنِ فَهُوَ تَوَجُّهٌ مَعَ وُجُودِ وُجُودِ الرُّوحِ لَمْ يَتَطَرَّقِ الْفَنَاءُ إلَيْهَا أصْلًا وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَوَجُّهِ الرُّوحِ مَعَ وُجُودِ وُجُودِهَا وَبَيْنَ تَوَجُّهِهَا مَعَ فَنَائِهَا كَثِيرٌ فَإطْلَاقُ النِّهَايَةِ عَلَى ذَلِكَ التَّوَجُّهِ الرُّوحِيِّ الْمُنْدَرِجِ إنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ تَوَجُّهِهَا الَّذِي يَبْقَى فِي النِّهَايَةِ هُوَ فَقَطْ فَالْمُرَادُ بِانْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ انْدِرَاجُ صُورَةِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ لَا حَقِيقَتُهَا فَإنَّ انْدِرَاجَهَا فِي الْبِدَايَةِ مُحَالٌ وَيُمْكِنُ أنْ يَكُونَ عَدَمُ إتْيَانِ لَفْظِ الصُّورَةِ لِأجْلِ التَّرْغِيبِ فِي طَلَبِ هَذَا الطَّرِيقِ وَالْحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَالسَّابِقُونَ الَّذِينَ انْجِذَابُهُمْ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّلٍ وَكَسْبٍ بَلْ بِتَوَجُّهٍ وَحُضُورٍ فَذَلِكَ الْإنْجِذَابُ أيْضًا قَلْبِيٌّ وَأثَرٌ مِنْ تَوَجُّهِ الرُّوحِ السَّابِقِ فَإنَّهُ لَمْ يَزُلْ بِالْكُلِّيَّةِ بِوَاسِطَةِ تَعَلُّقِهَا بِالْبَدَنِ وَالْكَسْبُ وَالتَّعَمُّلُ لِظُهُورِ التَّوَجُّهِ السَّابِقِ إنَّمَا هُوَ لِجَمَاعَةٍ نَسُوا التَّوَجُّهَ السَّابِقَ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ التَّعَلُّقِ وَكَأنَّ الْكَسْبَ لِأجْلِ التَّنْبِيهِ عَلَى التَّوَجُّهِ السَّابِقِ وَالتَّذْكِيرِ لِتِلْكَ الدَّوْلَةِ الْغَائِبَةِ الضَّائِعَةِ وَلَكِنَّ اسْتِعْدَادَ النَّاسِينَ لِلتَّوَجُّهِ السَّابِقِ أَلْطَفُ مِنِ اسْتِعْدَادِ السَّابِقِينَ الْمَذْكُورِينَ فَإنَّ نِسْيَانَ التَّوَجُّهِ السَّابِقِ بِالْكُلِّيَّةِ يُخْبِرُ عَنِ التَّوَجُّهِ الْكُلِّيِّ إلَى الْمُتَوَجَّهِ إلَيْهِ بِالْفِعْلِ وَعَنِ الْفَنَاءِ فِيهِ بِخِلَافِ عَدَمِ نِسْيَانِ التَّوَجُّهِ السَّابِقِ فَإنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ. (غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ) أنَّ السَّابِقِينَ يَحْصُلُ لَهُمْ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ عَلَى سَبِيلِ الشُّمُولِ لِكُلِّيَّتِهِمْ وَالسَّرَيَانِ فِيهَا وَيَأخُذُ بَدَنُهُمْ أيْضًا حُكْمَ رُوحِهِمْ كَمَا هُوَ شَأنُ الْمَحْبُوبِينَ الْمُرَادِينَ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ شُمُولِ الْمُحِبِّينَ وَشُمُولِ السَّابِقِينَ كَالْفَرْقِ بَيْنَ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَصُورَتِهِ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأرْبَابِهِ.

نَعَمْ إنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الشُّمُولِ مُتَحَقِّقٌ أيْضًا فِي الْمُحِبِّينَ وَالْوَاصِلِينَ وَالْمُرِيدِينَ الْكَامِلِينَ وَلَكِنَّهُ كَالْبَرْقِ فِيهِمْ لَيْسَ بِدَائِمِيٍّ وَالتَّوَجُّهُ الدَّائِمِيُّ إنَّمَا هُوَ مِنْ خَاصَّةِ الْمَحْبُوبِينَ.

مَعْرِفَةٌ: إنَّ الْمَجْذُوبِينَ أرْبَابَ الْقُلُوبِ إذَا حَصَلَ لَهُمْ تَمَكُّنٌ وَرُسُوخٌ فِي مَقَامِ الْقَلْبِ وَتَيَسَّرَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ وَصَحْوٌ مُنَاسِبٌ لِذَلِكَ الْمَقَامِ يَقْدِرُونَ عَلَى إيصَالِ الْفَائِدَةِ إلَى الطَّالِبِينَ وَيَحْصُلُ لِلطَّالِبِينَ فِي صُحْبَتِهِمْ

انجذاب ومحبة قلبية وإن لم يبلغوا من جهتهم مرتبة الكمال فإنهم لم يبلغوا بعد بأنفسهم حد الكمال فلا يقدرون على أن يكونوا واسطة لحصول الكمال لغيرهم ومشهور أن الناقص لا يجيء منه كامل. وإفادتهم على كل حال أزيد من إفادة أرباب السلوك وإن بلغوا نهاية السلوك وحصل لهم جذب المنتهين ولكنهم لم ينزلوا إلى مقام القلب بطريق السير عن الله بالله فإن المنتهي غير المرجوع ليس له مرتبة التكميل والإفادة لأنه لم يبق فيه مناسبة بالعالم وتوجه إليه حتى يقدر على الإفادة وإطلاق البرزخ على الشيخ المقتدى به إنما هو باعتبار نزوله إلى مقام البرزخية الذي هو مقام القلب وأخذه من كلا جهتي الروح والنفس حظا وافرا فمن جهة الروح يستفيد من الفوق ومن جهة النفس يفيد من دونه لأنه اجتمع فيه التوجه إلى الحق سبحانه بالتوجه إلى الخلق بحيث لا يكون أحدهما حجابا للآخر فالإفادة والإستفادة حاصلتان له معا وبعض المشائخ أراد ببرزخية الشيخ برزخيته بين الحق والخلق، وقال للشيخ البرزخ جامعا بين التشبيه والتنزيه ولا يخفى أن مثل هذه البرزخية التي مبناها على السكر غير لائقة بمقام المشيخة الذي مبناه على الصحو فإن نفوسهم في هذا المقام مندرجة في غلبات أنوار الروح وذلك الإندراج هو الذي صار منشأ للسكر وفي مقام برزخية القلب يتفرق كل من النفس والروح ويمتاز عن الآخر فلا يكون فيه مجال للسكر بالضرورة بل فيه كله صحو فإنه هو المناسب لمقام الدعوة هذا.

فإذا نزل الشيخ الكامل إلى مقام القلب تحصل له المناسبة بالعالم بواسطة البرزخية ويكون واسطة لحصول الكمالات لمستعدي الكمالات وحيث كان المجذوب المتمكن أيضا في مقام القلب له مناسبة بالعالم لا بتخلل بالتوجه إلى أهل العالم وقد اكتسب نصيبا من الإنجذاب وحصل المحبة وإن كانا قلبيين فلا جرم انكشف له طريق الإفادة بل أقول: إن كمية إفادة المجذوب المتمكن أزيد من كمية إفادة المنتهي المرجوع وكيفية إفادة المنتهي المرجوع أزيد من كيفية إفادة المجذوب فإن المنتهي المرجوع وإن حصلت له المناسبة بالعالم لكنها في الصورة فقط وفي الحقيقة هو مفارقه ومنصبغ بلون الأصل وباق به ومناسبة هذا المجذوب بالعالم في الحقيقة وهو من جملة إفادة العالم وباق بالبقاء الذي به بقاء العالم فبواسطة المناسبة الحقيقية تكون استفادة الطالبين منه أكثر بالضرورة ومن المنتهي المرجوع أقل ولكن إفادة كمال مراتب الولاية مخصوصة بالمنتهي فلا جرم يكون المنتهي في كيفية الإفادة أرجح

وأيضا ليس في المنتهي همة وتوجه في الحقيقة والمجذوب صاحب همة وتوجه فيقدم أمور الطالبين ويرقيهم بالهمة والتوجه وإن لم يبلغهم حد الكمال. وأيضا إن نهاية التوجه الذي يحصل للطالبين من المجذوبين هي ذلك التوجه السابق للروح الذي نسوه فيتذكرونه في صحبتهم ويحصل ثانيا بطريق الإندراج في التوجه القلبي بخلاف التوجه الحاصل في صحبة المنتهين فإنه توجه حادث لم يكن موجودا قبل ذلك أصلا وكان موقوفا على فناء الروح بل على بقائها بالوجود الحقاني فلا بد أن يكون التوجه الأول سهل الحصول والتوجه الثاني متعسر الوجد وكلما هو أسهل فهو أزيد وكلما هو متعسر فهو أقل

وَمِنْ هُنَا قَالُوا: إِنَّ الشَّيْخَ الْمُقْتَدَى بِهِ لَيْسَ بِوَاسِطَةٍ فِي تَحْصِيلِ جِهَةِ الْجَذْبَةِ فَإِنَّ تِلْكَ النِّسْبَةَ كَانَتْ حَاصِلَةً لَهُ أَوَّلاً أَوْ وَصَارَ مُحْتَاجًا إِلَى التَّنْبِيهِ وَالتَّعْلِيمِ بِوَاسِطَةٍ وَلِهَذَا يُقَالُ لِمِثْلِ هَذَا الشَّيْخِ شَيْخُ التَّعْلِيمِ لاَ شَيْخُ التَّرْبِيَةِ وَفِي جِهَةِ السُّلُوكِ لاَ بُدَّ مِنْ شَيْخٍ مُقْتَدًى بِهِ لِقَطْعِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَتَرْبِيَتُهُ ضَرُورِيَّةٌ فِيهَا لاَ يَجُوزُ لِشَيْخٍ مُقْتَدًى بِهِ أَنْ يَأْذَنَ لِمِثْلِ هَذَا الْمَجْذُوبِ الْمُتَمَكِّنِ بِالْإِجَازَةِ الْعَامَّةِ وَأَنْ يُجْلِسَهُ فِي مَقَامِ التَّكْمِيلِ وَالْمَشْيَخَةِ فَإِنَّ بَعْضَ الطَّالِبِينَ يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُمْ عَالِيًا جِدًّا وَتَكُونُ قَابِلِيَّتُهُمْ لِلْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ، فَإِنْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا الطَّالِبِ فِي صُحْبَةِ ذَلِكَ الْمَجْذُوبِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَضِيعَ ذَلِكَ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهَا وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ تِلْكَ الْقَابِلِيَّةُ كَمَا إِذَا كَانَتْ لِلْأَرْضِ مَثَلاً قَابِلِيَّةٌ تَامَّةٌ لِزِرَاعَةِ الْبُرِّ فِيهَا فَإِنْ زَرَعُوا فِيهَا بَذْرًا جَيِّدًا مِنَ الْحِنْطَةِ تُنْبِتُ زَرْعًا جَيِّدًا عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهَا وَأَنْ يَزْرَعُوا فِيهَا بَذْرَ قَمْحٍ رَدِيءٍ أَوْ بَذْرَ حِمَّصٍ تَكُونُ مَسْلُوبَ الْقَابِلِيَّةِ فَضْلاً عَنِ الْإِنْبَاتِ. فَإِنْ رَأَى الشَّيْخُ الْمُقْتَدَى بِهِ فَرْضًا مَصْلَحَةً فِي رُخْصَتِهِ وَإِجَازَتِهِ وَوَجَدَ فِيهِ صَلاَحِيَّةَ الْإِفَادَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُقَيِّدَ إِفَادَتَهُ وَإِجَازَتَهُ بِبَعْضِ الْقُيُودِ مِثْلَ ظُهُورِ مُنَاسَبَةِ الطَّالِبِ لِطَرِيقِ إِفَادَتِهِ وَعَدَمِ إِضَاعَةِ اسْتِعْدَادِهِ فِي صُحْبَتِهِ وَعَدَمِ طُغْيَانِ نَفْسِهِ بِتِلْكَ الرِّيَاسَةِ وَاقْتِدَاءِ النَّاسِ بِهِ فَإِنَّ هَوَى النَّفْسِ مَازَالَ عَنْهُ بَعْدُ لِعَدَمِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فِيهِ فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الطَّالِبَ قَدْ بَلَغَ نِهَايَةَ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُ وَغَايَةَ إِفَادَتِهِ إِيَّاهُ وَفِي اسْتِعْدَادِ الطَّالِبِ قَابِلِيَّةٌ لِلتَّرَقِّي يَنْبَغِي أَنْ يُظْهِرَ لَهُ هَذَا الْمَعْنَى وَأَنْ يَأْذَنَ لَهُ لِيُتِمَّ أَمْرَهُ مِنْ شَيْخٍ آخَرَ وَلاَ يُظْهِرَ لَهُ أَنَّهُ مُنْتَهٍ لِئَلاَّ يَكُونَ قَاطِعًا لِطَرِيقِ النَّاسِ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ.

وَالْحَاصِلُ يُذْكَرُ لَهُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الشَّرَائِطِ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِوَقْتِهِ وَحَالِهِ وَيَأْذَنُ لَهُ بَعْدَ وَصِيَّةٍ تَامَّةٍ بِهَا. وَأَمَّا الْمُنْتَهِي الْمَرْجُوعُ فَلاَ يُحْتَاجُ فِي إِفَادَتِهِ وَتَكْمِيلِهِ إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْقُيُودِ فَإِنَّ لَهُ بِوَاسِطَةِ جَامِعِيَّتِهِ مُنَاسَبَةً بِجَمِيعِ الطُّرُقِ وَالْإِسْتِعْدَادَاتِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهُ كُلُّ شَخْصٍ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ وَمُنَاسَبَتِهِ وَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ بِالسُّرْعَةِ وَالْبُطْءِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ الْمُنَاسَبَةِ وَضَعْفِهَا مُتَصَوَّرًا فِي صُحْبَةِ الشُّيُوخِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ أَيْضًا وَلَكِنَّهُمْ مُتَسَاوُو الْأَقْدَامِ فِي أَصْلِ الْإِفَادَةِ. وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالْإِعْتِصَامُ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ لاَزِمٌ لِلشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ حِينَ إِفَادَةِ الطَّالِبِ خَوْفًا مِنْ مَكْرِهِ سُبْحَانَهُ فِي ضِمْنِ هَذَا الْإِشْتِهَارِ بَلْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْ هَذَا الْإِلْتِجَاءِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ الَّتِي يَمْنَحُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِيَّاهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ فَضْلاً عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

الْمَقْصِدُ الثَّانِي فِي بَيَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالسُّلُوكِ. (اعْلَمْ) أَنَّ الطَّالِبَ إِذَا كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى فَوْقٍ بِطَرِيقِ السُّلُوكِ فَمَتَى بَلَغَ اسْمًا هُوَ رَبُّهُ وَصَارَ فَانِيًا وَمُسْتَهْلَكًا فِيهِ يَصِحُّ إِطْلاَقُ الْفَنَاءِ عَلَيْهِ وَبَعْدَ الْبَقَاءِ بِهَذَا الْإِسْمِ يُسَلَّمُ إِطْلاَقُ الْبَقَاءِ عَلَيْهِ وَبِهَذَا الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ يُشَرَّفُ بِأَوَّلِ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْوَلاَيَةِ وَلَكِنْ هَهُنَا تَفْصِيلٌ وَبَسْطُ الْكَلاَمِ فِيهِ ضَرُورِيٌّ.

تَمْهِيدٌ: إِنَّ الْفَيْضَ الْوَارِدَ مِنْ ذَاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَلَى نَوْعَيْنِ نَوْعٍ يَتَعَلَّقُ بِالإِيجَادِ وَالإِبْقَاءِ وَالتَّخْلِيقِ وَالتَّرْزِيقِ وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ وَأَمْثَالِهَا وَنَوْعٍ آخَرَ يَتَعَلَّقُ بِالإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَسَائِرِ كَمَالاَتِ الْوِلاَيَةِ وَالنُّبُوَّةِ. وَالنَّوْعُ الأَوَّلُ مِنَ الْفَيْضِ بِتَوَسُّطِ الصِّفَاتِ فَقَطْ وَالنَّوْعُ الثَّانِي فَعَلَى الْبَعْضِ بِتَوَسُّطِ الصِّفَاتِ وَعَلَى الْبَعْضِ الآخَرِ بِتَوَسُّطِ الشُّئُونَاتِ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ والشُّئُونَاتِ دَقِيقٌ جِدًّا لاَ يَظْهَرُ الاَّ عَلَى آحَادٍ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الْمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ وَبِالْجُمْلَةِ انَّ الصِّفَاتِ مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ، والشُّئُونَاتُ مُجَرَّدُ اعْتِبَارَاتٍ فِي الذَّاتِ وَلْنُوضِحْ هَذَا الْمَبْحَثَ بِمِثَالٍ وَهُوَ أَنَّ الْمَاءَ مَثَلاً يَنْزِلُ مِنْ فَوْقٍ إِلَى تَحْتٍ بِالطَّبْعِ وَهَذَا الْفِعْلُ الطَّبِيعِيُّ يُوهِمُ اعْتِبَارَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ فِيهِ فَإِنَّ أَرْبَابَ الْعِلْمِ يَنْزِلُونَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ بِوَاسِطَةِ ثِقَلِهِمْ وَبِمُقْتَضَى عِلْمِهِمْ وَلاَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى جِهَةِ الْفَوْقِ.

وَالْعِلْمُ تَابِعٌ لِلْحَيَاةِ، وَالإِرَادَةُ تَابِعٌ لِلْعِلْمِ.

وَالْقُدْرَةُ أَيْضًا تَابِعَةٌ فَإِنَّ الإِرَادَةَ تَخْصِيصُ أَحَدِ الْمَقْدُورَيْنِ وَهَذِهِ الاعْتِبَارَاتُ الْمُثْبَتَةُ يَعْنِي الْمَوْهُومَةَ فِي ذَاتِ الْمَاءِ بِمَنْزِلَةِ الشُّئُونَاتِ فَلَوْ أُثْبِتَتْ صِفَاتٌ زَائِدَةٌ لِذَاتِ الْمَاءِ مَعَ وُجُودِ هَذِهِ الاعْتِبَارَاتِ لَكَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الصِّفَاتِ الْمَوْجُودَةِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ وَلاَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِلْمَاءِ بِالاعْتِبَارِ الأَوَّلِ أَنَّهُ حَيٌّ عَالِمٌ قَادِرٌ مُرِيدٌ بَلْ لاَ بُدَّ لِصِحَّةِ إِطْلاَقِ هَذِهِ الأَسَامِي مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتٍ زَائِدَةٍ فَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ الْمَشَائِخِ مِنْ إِطْلاَقِ الأَسَامِي الْمَذْكُورَةِ عَلَى الْمَاءِ مَبْنِيٌّ عَلَى عَدَمِ الْفَرْقِ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ بِنَفْيِ وُجُودِ تِلْكَ الصِّفَاتِ أَيْضًا مَحْمُولٌ عَلَى عَدَمِ ذَلِكَ الْفَرْقِ.

وَالْفَرْقُ الآخَرُ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ هُوَ أَنَّ مَقَامَ الشُّئُونِ مُوَاجِهٌ لِذِي الشَّأْنِ وَمَقَامَ الصِّفَاتِ لَيْسَ كَذَلِكَ. وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ عَلَى قَدَمِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وُصُولُ الْفَيْضِ الثَّانِي إِلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الشُّئُونَاتِ وَسَائِرُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَالأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وُصُولُ هَذَا الْفَيْضِ بَلِ الْفَيْضُ الأَوَّلُ أَيْضًا إِلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الصِّفَاتِ.

فَأَقُولُ: إِنَّ الإِسْمَ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَاسِطَةُ وُصُولِ الْفَيْضِ الثَّانِي إِلَيْهِ ظِلُّ شَأْنِ الْعِلْمِ وَهَذَا الشَّأْنُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الشُّئُونِ الإِجْمَالِيَّةِ، وَظِلُّهُ عِبَارَةٌ عَنْ قَابِلِيَّةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ لِذَلِكَ الشَّأْنِ بَلْ لِجَمِيعِ الشُّئُونِ الإِجْمَالِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ وَلَكِنْ بِاعْتِبَارِ شُمُولِ شَأْنِ الْعِلْمِ لَهَا يَعْنِي لاَ بِالذَّاتِ. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْقَابِلِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ بَرْزَخًا بَيْنَ الذَّاتِ وَبَيْنَ شَأْنِ الْعِلْمِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ إِحْدَى جِهَتَيْهَا لاَ لَوْنِيَّةً وَهِيَ جِهَةُ الذَّاتِ لاَ يَظْهَرُ لَوْنُهَا فِي الْبَرْزَخِ فَذَلِكَ الْبَرْزَخُ مُنْصَبِغٌ بِلَوْنِ جِهَةٍ أُخْرَى وَهِيَ جِهَةُ شَأْنِ الْعِلْمِ فَلاَ جَرَمَ قُلْنَا إِنَّهَا ظِلُّ ذَلِكَ الشَّأْنِ وَأَيْضًا إِنَّ ظِلَّ الشَّيْءِ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ الشَّيْءِ وَلَوْ شِبْهًا وَمِثَالاً فِي مَرْتَبَةٍ ثَانِيَةٍ وَحَيْثُ كَانَ حُصُولُ الْبَرْزَخِ بَعْدَ حُصُولِ الطَّرَفَيْنِ لاَ جَرَمَ يَنْكَشِفُ هَذَا الْبَرْزَخُ وَقْتَ الْمُكَاشَفَةِ تَحْتَ ذَلِكَ الشَّأْنِ فَنَاسَبَ إِطْلاَقَ الظِّلِّ بِاعْتِبَارِ هَذَا الظُّهُورِ بِالضَّرُورَةِ. وَالأَسْمَاءُ الَّتِي هِيَ أَرْبَابُ طَائِفَةٍ مِنَ الأَوْلِيَاءِ

الَّذِينَ عَلَى قَدَمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وُصُولِ الْفَيْضِ الثَّانِي ظِلاَلُ تِلْكَ الْقَابِلِيَّةِ الْجَامِعَةِ وَكَالتَّفَاصِيلِ لِذَلِكَ الظِّلِّ الْمُجْمَلِ. وَأَرْبَابُ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَوَاسِطَةُ وُصُولِ الْفَيْضِ الأَوَّلِ وَالثَّانِي إِلَيْهِمْ قَابِلِيَّاتُ اتِّصَافِ الذَّاتِ بِالصِّفَاتِ الْمَوْجُودَةِ الزَّائِدَةِ.

(وَأَرْبَابُ) طَائِفَةٍ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ فِي حَقِّ وُصُولِ الْفَيْضِ الأَوَّلِ وَالثَّانِي صِفَاتٌ وَوَاسِطَةُ وُصُولِ الْفَيْضِ الأَوَّلِ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابِلِيَّةُ اتِّصَافِ الذَّاتِ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ وَكَأَنَّ الْقَابِلِيَّاتِ الَّتِي هِيَ وَسَائِلُ فَيَضَانِ الْفُيُوضِ لِسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ظِلاَلُ هَذِهِ الْقَابِلِيَّةِ الْجَامِعَةِ وَكَالتَّفَاصِيلِ لِذَلِكَ الْجَامِعِ الْمُجْمَلِ وَوَسَائِطِ وُصُولِ الْفَيْضِ الأَوَّلِ إِلَى طَائِفَةٍ هُمْ عَلَى قَدَمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا عَلَى حِدَةٍ فَإِنَّهَا صِفَاتٌ فَكَأَنَّ وَسَائِلَ وُصُولِ الْفَيْضِ الأَوَّلِ فِي مُحَمَّدِيِّ الْمَشَارِبِ مُغَايِرَةٌ لِوَسَائِطِ وُصُولِ الْفَيْضِ الثَّانِي بِخِلاَفِ غَيْرِهِمْ فَإِنَّهَا وَاحِدَةٌ فِيهِمْ وَبَعْضُ الْمَشَائِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ جَعَلَ رَبَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْحَصِرًا فِي قَابِلِيَّةِ الاِتِّصَافِ وَمَنْشَأُهُ عَدَمُ الْفَرْقِ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ بَلْ عَدَمُ الْعِلْمِ بِمَقَامِ الشُّئُونِ وَاللهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

(**فَتَحَقَّقَ**) أَنَّ رَبَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبُّ الأَرْبَابِ فِي مَقَامِ الشُّئُونِ وَفِي مَوْطِنِ الصِّفَاتِ وَوَاسِطَةٌ لِوُصُولِ كِلاَ الْفَيْضَيْنِ وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ وُصُولَ فَيْضِ مَرَاتِبِ كَمَالاَتِ وَلاَيَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الذَّاتِ مِنْ غَيْرِ تَوَسُّطِ أَمْرٍ زَائِدٍ لأَنَّ الشُّئُونَ عَيْنُ الذَّاتِ وَاعْتِبَارُ الزِّيَادَةِ فِيهَا مِنْ مُنْتَزَعَاتِ الْعَقْلِ وَلِهَذَا كَانَ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ مَخْصُوصًا بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّا أَخَذَ كُمَّلُ تَابِعِيهِ الْفَيْضَ مِنْ طَرِيقِهِ حَصَلَ لَهُمْ أَيْضًا شُرْبٌ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ وَالآخَرُونَ لَمَّا كَانَتْ فِي وُصُولِ الْفَيْضِ إِلَيْهِمْ وَسَاطَةُ الصِّفَاتِ فِي الْبَيْنِ وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ بِوُجُودٍ زَائِدٍ وَقَعَ فِي الْبَيْنِ حَاجِزٌ حَصِينٌ وَكَانَ التَّجَلِّي الصِّفَاتِيُّ مُتَعَيِّنًا لَهُمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ قَابِلِيَّةَ الاِتِّصَافِ وَإِنْ كَانَتْ اعْتِبَارِيَّةً وَلَيْسَ لَهَا وُجُودٌ زَائِدٌ وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ دُونَ قَابِلِيَّاتِهَا وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتِ الْقَابِلِيَّاتُ كَالْبَرَازِخِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ بَلْ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ وَمِنْ شَأْنِ الْبَرْزَخِ أَنْ يَأْخُذَ لَوْنَ طَرَفَيْهِ أَخَذَتِ الْقَابِلِيَّاتُ أَيْضًا لَوْنَ الصِّفَاتِ وَحَصَلَتِ الْحَائِلِيَّةُ، شِعْرٌ:

وَمَا قَلَّ هِجْرَانُ الْحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا * قَلِيلاً وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي عَيْنٍ ضَائِرٌ**

فَلاَحَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ ظُهُورَ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِلتَّجَلِّي الشُّهُودِيِّ وَلَكِنَّهُ مُنَافٍ لِلتَّجَلِّي الْوُجُودِيِّ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي جَانِبِ وُصُولِ فَيْضِ كَمَالاَتِ الْوَلاَيَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِلٌ وَفِي جَانِبِ وُصُولِ الْفَيْضِ الْوُجُودِيِّ حَصَلَ الْحَائِلُ فِي الْبَيْنِ وَهُوَ قَابِلِيَّةُ الاِتِّصَافِ كَمَا مَرَّ. لاَ يُقَالُ: لَمَّا كَانَتِ الشُّئُونُ وَقَابِلِيَّاتُهَا مِنَ الاِعْتِبَارَاتِ الْعَقْلِيَّةِ ثَبَتَ لَهَا الْوُجُودُ الذِّهْنِيُّ فَلَزِمَ مِنْهُ الْحِجَابُ الْعِلْمِيُّ، غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ حُجُبَ الصِّفَاتِ خَارِجِيَّةٌ وَحُجُبَ الشُّئُونِ عِلْمِيَّةٌ لأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ الْمَوْجُودَ الذِّهْنِيَّ لاَ يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَ الْمَوْجُودَيْنِ الْخَارِجِيَّيْنِ فَإِنَّ حِجَابَ الْمَوْجُودِ الْخَارِجِيِّ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَوْجُودًا

خَارِجِيًّا وَلَوْ سَلِمَ فَالْحِجَابُ الْعِلْمِيُّ يُمْكِنُ ارْتِفَاعُهُ مِنَ الْبَيْنِ بِحُصُولِ بَعْضِ الْمَعَارِفِ بِخِلَافِ الْخَارِجِيِّ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ زَوَالُهُ.

(فَإِذَا عَلِمْتَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ فَاعْلَمْ) أَنَّ السَّالِكَ إِذَا كَانَ مُحَمَّدِيَّ الْمَشْرَبِ فَمُنْتَهَى سَيْرِهِ الْمُسَمَّى بِالسَّيْرِ إِلَى اللهِ إِلَى ظِلِّ الشَّأْنِ الَّذِي هُوَ اسْمُهُ يَعْنِي رَبَّهُ وَبَعْدَ الْفَنَاءِ فِي ذَلِكَ الْإِسْمِ يَتَشَرَّفُ بِالْفَنَاءِ فِي اللهِ وَإِذَا صَارَ بَاقِيًا بِهِ تَيَسَّرَ لَهُ الْبَقَاءُ بِاللهِ أَيْضًا وَبِهَذَا الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ يَكُونُ دَاخِلًا فِي أَوَّلِ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدِيَّ الْمَشْرَبِ يَصِلُ إِلَى قَابِلِيَّةِ صِفَةٍ أَوْ نَفْسِ صِفَةٍ هِيَ رَبُّهُ فَإِذَا كَانَ فَانِيًا فِي هَذَا الْإِسْمِ يَعْنِي الصِّفَةَ أَوِ الْقَابِلِيَّةَ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا لَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا الْفَانِي فِي اللهِ وَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ بَاقِيًا بِاللهِ عَلَى تَقْدِيرِ بَقَائِهِ بِهَا فَإِنَّ اسْمَ اللهِ عِبَارَةٌ عَنْ مَرْتَبَةٍ جَامِعَةٍ لِجَمِيعِ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ وَحَيْثُ كَانَتِ الزِّيَادَةُ فِي جِهَةِ الشُّئُونِ اعْتِبَارِيَّةً كَانَتِ الشُّئُونُ عَيْنَ الذَّاتِ وَبَعْضُهَا عَيْنَ الْبَعْضِ الْآخَرِ فَالْفَنَاءُ فِي اعْتِبَارٍ وَاحِدٍ فَنَاءٌ فِي جَمِيعِ الْإِعْتِبَارَاتِ بَلْ فَنَاءٌ فِي الذَّاتِ وَكَذَلِكَ الْبَقَاءُ بِاعْتِبَارٍ وَاحِدٍ بَقَاءٌ بِجَمِيعِ الْإِعْتِبَارَاتِ فَإِطْلَاقُ الْفَانِي فِي اللهِ وَالْبَاقِي بِاللهِ يَصِحُّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ بِخِلَافِهَا فِي جَانِبِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهَا مَوْجُودَةٌ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى الذَّاتِ وَمُغَايَرَتُهَا لِلذَّاتِ وَمُغَايَرَةُ بَعْضِهَا لِلْبَعْضِ الْآخَرِ تَحْقِيقِيَّةٌ فَالْفَنَاءُ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَسْتَلْزِمُ الْفَنَاءَ فِي جَمِيعِهَا وَهَكَذَا الْحَالُ فِي الْبَقَاءِ فَلَا جَرَمَ لَا يُقَالُ لِهَذَا الْفَانِي فَانِيًا فِي اللهِ وَلِلْبَاقِي بَاقِيًا بِاللهِ بَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ الْفَانِي وَالْبَاقِي مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا بِصِفَةٍ يَعْنِي الْفَانِي فِي صِفَةِ الْعِلْمِ وَالْبَاقِي بِتِلْكَ الصِّفَةِ فَيَكُونُ فَنَاءُ الْمُحَمَّدِيِّينَ أَتَمَّ بِالضَّرُورَةِ وَبَقَاؤُهُمْ أَكْمَلَ وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ عُرُوجُ الْمُحَمَّدِيِّ إِلَى جَانِبِ الشُّئُونِ وَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالْعَالَمِ أَصْلًا لِأَنَّ الْعَالَمَ ظِلُّ الصِّفَاتِ لَا ظِلُّ الشُّئُونِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فَنَاءُ السَّالِكِ فِي شَأْنٍ مُسْتَلْزِمًا لِلْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ عَلَى نَهْجٍ لَا يَبْقَى مِنْ وُجُودِ السَّالِكِ وَلَا مِنْ أَثَرِهِ شَيْءٌ أَصْلًا. وَهَكَذَا عَلَى تَقْدِيرِ الْبَقَاءِ يَكُونُ بَاقِيًا بِتَمَامِهِ وَكُلِّيَّتِهِ بِذَلِكَ الشَّأْنِ بِخِلَافِ الْفَانِي فِي الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ يَنْخَلِعُ عَنْ نَفْسِهِ بِالتَّمَامِ وَلَا يَزُولُ أَثَرُهُ لِأَنَّ وُجُودَ السَّالِكِ أَثَرُ تِلْكَ الصِّفَةِ وَظِلُّهَا فَظُهُورُ الْأَصْلِ لَا يَكُونُ مَاحِيًا لِوُجُودِ الظِّلِّ بِالْكُلِّيَّةِ وَالْبَقَاءُ عَلَى مِقْدَارِ الْفَنَاءِ فَالْمُحَمَّدِيُّ يَكُونُ أَمِينًا عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَمَحْفُوظًا مِنْ خَوْفِ الرَّدِّ إِلَى مَرْتَبَةِ الْبَهِيمِيَّةِ لِأَنَّهُ مُنْخَلِعٌ عَنْ نَفْسِهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَصَارَ بَاقِيًا بِهِ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ الْعَوْدُ مَمْنُوعًا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ بِخِلَافِهِ فِي صُورَةِ الْفَنَاءِ الصِّفَاتِيِّ فَإِنَّ الْعَوْدَ هُنَاكَ مُمْكِنٌ لِبَقَاءِ أَثَرِ وُجُودِ السَّالِكِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وُقُوعُ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ الْمَشَائِخِ فِي جَوَازِ رُجُوعِ الْوَاصِلِ وَعَدَمِ جَوَازِهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَالْحَقُّ هُوَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ مُحَمَّدِيًّا فَمَحْفُوظٌ مِنَ الْعَوْدِ وَإِلَّا فَفِي الْخَطَرِ وَكَذَلِكَ الْإِخْتِلَافُ الْوَاقِعُ فِي زَوَالِ أَثَرِ وُجُودِ السَّالِكِ بَعْدَ فَنَائِهِ حَيْثُ قَالَ بَعْضُهُمْ بِزَوَالِ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ لَمْ يُجَوِّزْ زَوَالَ الْأَثَرِ وَالْحَقُّ فِي هَذَا الْبَابِ أَيْضًا تَفْصِيلٌ فَإِنْ كَانَ مُحَمَّدِيًّا يَزُولُ عَنْهُ الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ كِلَاهُمَا وَإِلَّا فَلَا يَزُولُ عَنْهُ الْأَثَرُ لِأَنَّ أَصْلَ الصِّفَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُهُ بَاقٍ فَلَا يُمْكِنُ زَوَالُ ظِلِّهِ رَأْسًا. وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِزَوَالِ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ الزَّوَالُ الشُّهُودِيُّ لَا الْوُجُودِيُّ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِالزَّوَالِ الْوُجُودِيِّ مُسْتَلْزِمٌ لِلْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ تَصَوَّرُوا الزَّوَالَ زَوَالًا وُجُودِيًّا فَهَرَبُوا مِنْ زَوَالِ أَثَرِ الْمُمْكِنِ

وَتَيَقَّنُوا أَنَّ الْقَوْلَ بِهِ إِلْحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ وَالْحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بِإِعْلَامِهِ سُبْحَانَهُ وَالْعَجَبُ أَنَّهُمْ مَعَ قَوْلِهِمْ بِالزَّوَالِ الْوُجُودِيِّ قَالُوا بِزَوَالِ الْعَيْنِ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْقَوْلَ بِزَوَالِ عَيْنِ الْوُجُودِ كَالْحُكْمِ بِزَوَالِ الْأَثَرِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ الزَّوَالَ الْوُجُودِيَّ مُحَالٌ فِي الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ وَالشُّهُودِيُّ مُمْكِنٌ فِي كِلَيْهِمَا بَلْ وَاقِعٌ وَلَكِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ فَالْمُحَمَّدِيُّونَ يَتَخَلَّصُونَ عَنِ الْقَلْبِ بِالتَّمَامِ وَيَتَّصِلُونَ بِمُقَلِّبِ الْقَلْبِ وَهُمْ مُتَخَلِّصُونَ عَنْ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَمُتَحَرِّرُونَ عَنْ رِقِّيَّةِ السِّوَى بِالْكُلِّيَّةِ وَلَمَّا كَانَ وُجُودُ الْآثَارِ لَازِمًا لِغَيْرِهِمْ وَتَقَلُّبُ الْأَحْوَالِ نَقْدَ وَقْتِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مُخَلِّصٌ مِنْ مَقَامِ الْقَلْبِ لِأَنَّ تَقَلُّبَ الْأَحْوَالِ وَوُجُودَ الْآثَارِ مِنْ شُعَبِ الْحَقِيقَةِ الْجَامِعَةِ الْقَلْبِيَّةِ فَيَكُونُ شُهُودُ غَيْرِهِمْ فِي الْحِجَابِ دَائِمًا فَإِنَّ حِجَابَ الْمَطْلُوبِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى مِقْدَارِ ثُبُوتِ بَقَايَا وُجُودِ السَّالِكِ وَحَيْثُ كَانَ الْأَثَرُ بَاقِيًا فَالْحِجَابُ هُوَ ذَلِكَ الْأَثَرُ.

مَعْرِفَةٌ: إِذَا وَصَلَ السَّالِكُ مِنْ طَرِيقِ سُلُوكٍ غَيْرِ مُتَعَارَفٍ إِلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبَ فَوْقَ اسْمٍ هُوَ رَبُّهُ وَصَارَ فَانِيًا وَمُسْتَهْلَكًا فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ إِلَى ذَلِكَ الْإِسْمِ فَإِطْلَاقُ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَيْضًا جَائِزٌ وَكَذَلِكَ الْبَقَاءُ بِتِلْكَ الْمَرْتَبَةِ فَتَخْصِيصُ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ بِذَلِكَ الْإِسْمِ اعْتِبَارِيٌّ لِكَوْنِهِ أَوَّلَ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْفَنَاءِ. مَعْرِفَةٌ: إِنَّ السُّلُوكَ عَلَى أَنْوَاعٍ فَسُلُوكُ الْبَعْضِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ الْجَذْبَةِ وَفِي الْبَعْضِ الْجَذْبَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَى سُلُوكِهِمْ وَجَمَاعَةٌ تَحْصُلُ لَهُمُ الْجَذْبَةُ فِي أَثْنَاءِ قَطْعِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَطَائِفَةٌ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ طَيُّ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَى حَدِّ الْجَذْبَةِ فَتَقَدُّمُ الْجَذْبَةِ لِلْمَحْبُوبِينَ وَبَاقِي الْأَقْسَامِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمُحِبِّينَ وَسُلُوكُ الْمُحِبِّينَ عِبَارَةٌ عَنْ طَيِّ الْمَقَامَاتِ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ وَفِي سُلُوكِ الْمُحِبِّينَ تَحْصُلُ خُلَاصَةُ الْمَقَامَاتِ الْعَشَرَةِ لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ، وَالْعِلْمُ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ مِنَ الْإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ وَالْمَعِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ كُلُّ ذَلِكَ مَرْبُوطٌ بِالْجَذْبَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَوِ الْمُتَوَسِّطَةِ وَلَيْسَ لِلسُّلُوكِ الْخَاصِّ وَجَذْبَةِ الْمُنْتَهِينَ مُنَاسَبَةٌ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْعُلُومِ وَلَا مُنَاسَبَةَ أَيْضًا بَيْنَ حَقِّ الْيَقِينِ الْمَخْصُوصِ بِالْمُنْتَهِينَ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبَةِ بِالتَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ بَيَّنَ فِيهِ حَقُّ الْيَقِينِ الْمَخْصُوصِ بِمَقَامِ الْمَجْذُوبِينَ مُنَاسِبًا لِمَقَامِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ الْمَخْصُوصِ بِالْمَجْذُوبِ الْمُبْتَدِي أَوِ الْمُتَوَسِّطِ.

مَعْرِفَةٌ: قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ: إِذَا بَلَغَ شُغْلُ الطَّالِبِ الْجَذْبَةَ فَدَلِيلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ تِلْكَ الْجَذْبَةُ فَحَسْبُ يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَوَسُّطِ دَلِيلٍ آخَرَ بَلْ تِلْكَ الْجَذْبَةُ كَافِيَةٌ لَهُ فَإِنْ أَرَادَ بِهَذِهِ الْجَذْبَةِ جَذْبَةَ السَّيْرِ فِي اللَّهِ فَنَعَمْ إِنَّهَا كَافِيَةٌ وَلَكِنْ لَفْظُ الدَّلِيلِ مُنَافٍ لِهَذِهِ الْإِرَادَةِ لِأَنَّهُ لَا مَسَافَةَ بَعْدَ السَّيْرِ فِي اللَّهِ حَتَّى يُحْتَاجَ فِي قَطْعِهَا إِلَى دَلِيلٍ وَكَذَلِكَ الْجَذْبَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ يَعْنِي عَلَى السُّلُوكِ أَيْضًا لَيْسَتْ بِمُرَادَةٍ هُنَا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الْعِبَارَةِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهَا بِالضَّرُورَةِ جَذْبَةَ الْمُتَوَسِّطِ وَكِفَايَتُهَا فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلُوبِ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَوَسِّطِينَ قَدْ تَوَقَّفُوا وَتَقَاعَدُوا مِنَ الْعُرُوجِ إِلَى فَوْقُ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الْجَذْبَةِ وَزَعَمُوا تِلْكَ الْجَذْبَةَ جَذْبَةَ النِّهَايَةِ فَإِنْ كَانَتْ كَافِيَةً لَمَا كَانَتْ تَتْرُكُهُمْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَعَمْ إِذَا كَانَتِ الْجَذْبَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْمَحْبُوبِينَ كَافِيَةً فَلَهَا مَجَالٌ يُمْكِنُ أَنْ تَجُرَّ الْمَحْبُوبِينَ بِسِلْسِلَةِ الْعِنَايَةِ وَلَا تَتْرُكَهُمْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ

وَلَكِنْ كَوْنُ هَذِهِ الْكِفَايَةِ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْجَذَبَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَمْنُوعٌ أَيْضًا بَلِ الْجَذْبَةُ إِذَا آلَ أَمْرُهَا إِلَى السُّلُوكِ فَكَافِيَةٌ وَإِلاَّ فَمَجْذُوبٌ أَبْتَرُ وَلَيْسَ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ.

(الْخَاتِمَةُ) قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَشَائِخِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ: إِنَّ التَّجَلِّيَ الذَّاتِيَّ مُزِيلٌ لِلشُّعُورِ وَمُعَطِّلٌ لِلْحِسِّ وَقَدْ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ عَنْ حَالِهِ بِأَنَّهُ سَقَطَ وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَ ظُهُورِ هَذَا التَّجَلِّي الذَّاتِي وَبَقِيَ مُدَّةً مَدِيدَةً مِنْ غَيْرِ حِسٍّ وَحَرَكَةٍ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، وَبَعْضُهُمْ مَنَعَ الْكَلاَمَ وَغَيْرَهُ فِي التَّجَلِّي الذَّاتِي وَحَقِيقَةُ هَذَا الْكَلاَمِ أَنَّ التَّجَلِّيَ هُوَ فِي حِجَابِ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَبَقَاءُ الْحِجَابِ بِوَاسِطَةِ بَقَايَا أَثَرِ وُجُودِ صَاحِبِ التَّجَلِّي يَعْنِي الْمُتَجَلَّى لَهُ وَعَدَمُ الشُّعُورِ أَيْضًا بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْبَقِيَّةِ فَإِنْ كَانَ فَانِيًا بِالتَّمَامِ وَشُرِّفَ بِالْبَقَاءِ بِاللَّهِ لاَ يَسْلُبُ التَّجَلِّي عَنْهُ الشُّعُورَ أَصْلاً، شِعْرٌ:

يُحْرَقُ بِالنَّارِ مَنْ يَمَسُّ بِهَا * وَمَنْ هُوَ النَّارُ كَيْفَ يَحْتَرِقُ**

بَلْ أَقُولُ: إِنَّ التَّجَلِّيَ الَّذِي فِي الْحِجَابِ لَيْسَ هُوَ تَجَلِّيًا ذَاتِيًّا بَلْ دَاخِلٌ فِي التَّجَلِّي الصِّفَاتِيِّ وَالتَّجَلِّي الْمَخْصُوصُ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلاَ حِجَابٍ. وَعَلاَمَةُ وُجُودِ الْحِجَابِ فِقْدَانُ الشُّعُورِ وَفِقْدَانُ الشُّعُورِ مِنَ الْبُعْدِ وَعَلاَمَةُ عَدَمِ الْحِجَابِ وُجُودُ الشُّعُورِ وَالشُّعُورُ فِي كَمَالِ الْحُضُورِ. وَقَدْ أَخْبَرَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَكَابِرِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالْغُفْرَانُ عَنْ حَالِ صَاحِبِ هَذَا التَّجَلِّي بِالْأَصَالَةِ وَالْإِسْتِقْلاَلِ حَيْثُ قَالَ (شِعْرٌ).

وَأُغْمِيَ مُوسَى مِنْ تَجَلِّي صِفَاتِهِ * وَأَنْتَ تَرَى ذَاتَ الْإِلَهِ وَتَبَسَّمُ**

وَهَذَا التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الَّذِي لاَ حِجَابَ فِيهِ دَائِمِيٌّ لِلْمَحْبُوبِينَ وَبَرْقِيٌّ لِلْمُحِبِّينَ فَإِنَّ أَبْدَانَ الْمَحْبُوبِينَ أَخَذَتْ حُكْمَ أَرْوَاحِهِمْ وَسَرَتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ فِي كُلِّيَّتِهِمْ وَهَذِهِ السِّرَايَةُ فِي الْمُحِبِّينَ عَلَى سَبِيلِ النُّدْرَةِ وَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ، لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْوَقْتِ هَذَا التَّجَلِّي الْبَرْقِيُّ فَإِنَّ هَذَا التَّجَلِّيَ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الَّذِي هُوَ رَئِيسُ الْمُرَادِينَ دَائِمِيٌّ بَلْ هُوَ نَوْعٌ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ هَذَا التَّجَلِّي الدَّائِمِيِّ وَاقِعٌ عَلَى سَبِيلِ النُّدْرَةِ وَالْقِلَّةِ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِهِ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ الْمَشَائِخَ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ فِي حَدِيثِ لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ لاَ يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ عَلَى قِسْمَيْنِ فَطَائِفَةٌ أَرَادُوا بِالْوَقْتِ الْوَقْتَ الْمُسْتَمِرَّ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى قَالُوا بِنُدْرَةِ الْوَقْتِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْوَقْتَ النَّادِرَ مَعَ وُجُودِ اسْتِمْرَارِ الْوَقْتِ مُتَحَقِّقٌ أَيْضًا كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ آنِفًا وَتَحَقُّقُ هَذَا الْوَقْتِ النَّادِرِ عِنْدَ هَذَا الْحَقِيرِ هُوَ فِي حِينِ أَدَاءِ الصَّلاَةِ وَكَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ. إِلَى ذَلِكَ وَأَيْضًا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلاَةِ" وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ). وَكُلُّ وَقْتٍ فِيهِ الْقُرْبُ الْإِلَهِيُّ أَزْيَدُ فَمَجَالُ الْغَيْرِ فِيهِ أَشَدُّ انْتِفَاءً وَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ مُخْبِرًا عَنْ حَالِهِ وَوَقْتِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ "حَالِي فِي الصَّلاَةِ كَحَالِي قَبْلَ الصَّلاَةِ" يُنَافِي الْأَحَادِيثَ الْمَذْكُورَةَ بَلِ النَّصُّ الْمَذْكُورُ يَنْفِي الْمُسَاوَاةَ وَالْإِسْتِمْرَارَ. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْوَقْتِ

مُتَحَقِّقٌ وَالْكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ فِي أَنَّ الْحَالَةَ النَّادِرَةَ مَعَ وُجُودِ اسْتِمْرَارِ الْوَقْتِ هَلْ هِيَ مُتَحَقِّقَةٌ أَوْ لَا وَالَّذِي لَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى نُدْرَةِ الْوَقْتِ قَالُوا بِنَفْيِهَا وَالَّذِينَ لَهُمْ حَظٌّ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ اعْتَرَفُوا بِهَا. وَالْحَقُّ أَنَّ الَّذِينَ أُعْطُوا الْجَمْعِيَّةَ فِي الصَّلَاةِ بِتَبَعِيَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاحْتَظُّوا بِدَوْلَةِ قُرْبِ ذَلِكَ الشُّرْبِ أَقَلُّ قَلِيلٍ رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ كَرَمِهِ نَصِيبًا مِنْ هَذَا الْمَقَامِ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. **مَعْرِفَةٌ**: إِنَّ الْمُنْتَهِينَ مِنْ أَرْبَابِ الصِّفَاتِ قَرِيبُونَ مِنَ الْمَجْذُوبِينَ فِي الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى وَصْفٍ وَاحِدٍ فِي الشُّهُودِ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ أَرْبَابَ الصِّفَاتِ مُطَّلِعُونَ عَلَى التَّفَاصِيلِ بِخِلَافِ الْمَجْذُوبِينَ وَأَيْضًا إِنَّ أَرْبَابَ الصِّفَاتِ فِيهِمْ بِوَاسِطَةِ السُّلُوكِ وَالْعُرُوجِ إِلَى فَوْقٍ زِيَادَةُ قُرْبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجْذُوبِينَ الَّذِينَ لَا عُرُوجَ لَهُمْ وَلَكِنَّ مَحَبَّةَ الْأَصْلِ آخِذَةٌ بِيَدِ الْمَجْذُوبِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الْبَيْنِ حُجُبٌ وَلَا عَجَبَ لَوِ اعْتُبِرَ فِي الْمَجْذُوبِينَ بِحُكْمِ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ قُرْبُ الْأَصْلِ وَمَعِيَّتُهُ فَالْمَجْذُوبُونَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِالْمَحْبُوبِينَ فِي الْمَحَبَّةِ فَإِنَّ الْحُبَّ الذَّاتِيَّ وَلَوْ مَعَ الْحُجُبِ مُتَحَقِّقٌ فِي الْمَجْذُوبِينَ أَيْضًا.

مَعْرِفَةٌ: قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَةِ الْبَعْضِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ أَنَّ لِلْأَقْطَابِ تَجَلِّيَ الصِّفَاتِ وَلِلْأَفْرَادِ تَجَلِّيَ الذَّاتِ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَجَالٌ لِلتَّأَمُّلِ فَإِنَّ الْقُطْبَ مُحَمَّدِيُّ الْمَشْرَبِ وَالْمُحَمَّدِيُّونَ لَهُمُ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ نَعَمْ إِنَّ فِي هَذَا التَّجَلِّي أَيْضًا تَفَاوُتًا كَثِيرًا فَإِنَّ الْقُرْبَ الَّذِي لِلْأَفْرَادِ لَيْسَ لِلْأَقْطَابِ وَلَكِنْ لِكِلَيْهِمَا نَصِيبٌ مِنَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ إِلَّا أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ مِنَ الْقُطْبِ قُطْبَ الْأَوْتَادِ الَّذِي هُوَ عَلَى قَدَمِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا عَلَى قَدَمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ وَخَلَقَ رُوحَ آدَمَ الَّتِي هِيَ خُلَاصَتُهُ عَلَى صُورَةٍ لَا شِبْهِيَّةٍ وَلَا مِثْلِيَّةٍ فَكَمَا أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ لَا مَكَانِيٌّ كَانَتِ الرُّوحُ أَيْضًا لَا مَكَانِيَّةً وَنِسْبَةُ الرُّوحِ إِلَى الْبَدَنِ كَنِسْبَتِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ إِلَى الْعَالَمِ لَا دَاخِلَةٌ فِيهِ وَلَا خَارِجَةٌ عَنْهُ وَلَا مُتَّصِلَةٌ بِهِ وَلَا مُنْفَصِلَةٌ عَنْهُ لَا نَفْهَمُ فِيهَا نِسْبَةً سِوَى الْقَيُّومِيَّةِ وَمُقَوِّمُ كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الْبَدَنِ هُوَ الرُّوحُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَيُّومُ الْعَالَمِ وَقَيُّومِيَّتُهُ تَعَالَى لِلْبَدَنِ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ وَكُلُّ فَيْضٍ يَرِدُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبَدَنِ فَمَحَلُّ وُرُودِهِ ابْتِدَاءً هُوَ الرُّوحُ ثُمَّ يَصِلُ ذَلِكَ الْفَيْضُ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ إِلَى الْبَدَنِ وَلَمَّا كَانَتِ الرُّوحُ مَخْلُوقَةً عَلَى صُورَةٍ لَا شِبْهِيَّةٍ وَلَا مِثْلِيَّةٍ لَا جَرَمَ كَانَ فِيهَا مَجَالٌ لِلَّاشِبْهِيِّ وَاللَّامِثَالِيِّ الْحَقِيقِيِّ لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ لَمَّا كَانَا مَعَ وُجُودِ الْوُسْعَةِ فِيهِمَا دَاخِلَيْنِ فِي دَائِرَةِ الْمَكَانِ وَمُتَّسِمَيْنِ بِسِمَةِ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ لَيْسَ فِيهِمَا مَجَالُ اللَّامَكَانِيِّ الْمُقَدَّسِ عَنِ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ فَإِنَّ اللَّامَكَانِيَّ لَا يَسَعُهُ الْمَكَانِيُّ وَاللَّامِثَالِيَّ لَا يَتَمَكَّنُ فِي الْمِثَالِيِّ فَلَا جَرَمَ تَحَقَّقُ السِّعَةِ وَالْمَجَالِ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ لَا مَكَانِيٌّ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ. وَالتَّخْصِيصُ بِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ قَلْبَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ هَابِطٌ عَنْ أَوْجِ اللَّامَكَانِيِّ وَمَأْسُورٌ لِلشِّبْهِيِّ وَالْمِثَالِيِّ وَاتَّحَدَ حُكْمُهُ وَلَمَّا كَانَ دَاخِلًا فِي دَائِرَةِ الْمَكَانِيِّ بِسَبَبِ ذَلِكَ النُّزُولِ وَالْأَسْرِ وَاكْتَسَبَ الْمِثَالِيَّةَ ضَيَّعَ تِلْكَ الْقَابِلِيَّةَ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ وَكُلُّ

من أخبر عن وسعة قلبه من المشائخ فمراده لا مكانية القلب فإن المكاني وإن كان وسيعًا ضيّق ألا ترى أنّ العرش مع وجود عظمته ووسعته لمّا كان مكانيًا كان حكمه في جنب اللامكاني الّذي هو الروح كحكم الخردلة بل أقل بل أقول: إنّ هذا القلب لمّا كان محلّ تجلّي أنوار القدم بل وجد بقاء بالقدم لو وقع فيه العرش وما فيه لصار مضمحلاً ومتلاشيًا بحيث لا يبقى منه أثر كما قال سيد الطائفة في هذا المقام: إنّ المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر وهذا لباس متفرّد محيط على قدر قدّ الرّوح خاصّة وليست هذه الخصوصيّة للملائكة أيضًا فإنّهم داخلون في دائرة المكاني ومتّصفون بالمثالي فلا جرم كان الإنسان خليفة الرّحمن ولا عجب فيه فإنّ صورة الشّيء خليفة الشّيء وما لم يخلق على صورة شيء لا يليق بخلافة الشّيء وما لم يكن لائقًا بالخلافة لا يقدر أن يتحمّل ثقل أمانة أصله لا يحمل عطايا الملك الا مطاياه قال تبارك وتعالى (إنّا عرضنا الأمانة على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلومًا جهولاً) كثير الظّلم على نفسه بحيث لا يبقي من وجوده ولا من توابع وجوده أثرًا ولا حكمًا كثير الجهل حتى لا يكون له إدراك يتعلّق بالمقصود ولا علم له نسبة الى المطلوب بل العجز عن الادراك في ذلك الموطن ادراك والإعتراف بالجهل معرفة. أكثرهم معرفة بالله أكثرهم تحيّرًا فيه.

تنبيه: فإن وقع في بعض العبارات لفظ موهم بالظّرفيّة والمظروفيّة في شأنه تعالى وتقدّس ينبغي أن يحمله على ضيق ميدان العبارة وأن يجعل المراد والمقصود من الكلام مطابقًا لآراء أهل السّنّة.

معرفة: إنّ العالم صغيره وكبيره مظاهر الأسماء والصفات الإلهيّة جلّ شأنه ومرايا الشّئونات والكمالات الذّاتيّة وهو سبحانه كان كنزًا مكنونًا وسرًّا مخزونًا فأراد أن يعرض نفسه من الخلاء إلى الملأ وأن يورد الإجمال على التّفصيل فخلق العالم ليدلّ على أصله وليكون علامة لحقيقته ولا نسبة بين العالم والصّانع سوى أنّ العالم مخلوقه ودليل على كمالاته المخزونة تعالى وتقدّس وكلّ حكم وراء ذلك من جنس الإتّحاد والعينيّة والإحاطة والمعيّة من السّكر وغلبة الحال والأكابر المستقيمو الأحوال الّذين ذاقوا شرابًا من قدح الصّحو والوصال يتبرّءون من هذه العلوم ويستغفرون من مثل هذا الحال وإن حصل لبعضهم هذه العلوم في أثناء الطّريق ولكنّهم يجاوزونها بالأخرى ويمنحون علومًا أزليّة مطابقة لعلوم الشّريعة.

(ولنبيّن) لتحقيق هذا المبحث مثالاً أنّ العالم النّحرير ذا فنون مثلاً أراد أن يبرز كمالاته المخزونة إلى عرصة الظّهور وأن يجلّي فنونه المكنونة إلى الملأ فأوجد الحروف والأصوات ليظهر في حجب تلك الحروف والأصوات كمالاته المخزونة وفنونه المكنونة ففي هذه الصّورة لا مناسبة بين تلك الحروف والأصوات وبين المعاني المخزونة بل بين العالم الموجد لها أصلاً الا أنّ العالم موجدها وهي دالّة على كمالاته المخزونة ولا معنى في القول بأنّ تلك الحروف والأصوات عين ذلك العالم الموجد أو عين تلك

الْمَعَانِي وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ بِالْإِحَاطَةِ وَالْمَعِيَّةِ غَيْرُ وَاقِعٍ فِي تِلْكَ الْحَادِثَةِ بَلِ الْمَعَانِي عَلَى صِرَافَتِهَا الْمَخْزُونَةِ نَعَمْ حَيْثُ تَحَقَّقَ بَيْنَ الْمَعَانِي وَصَاحِبِهَا وَبَيْنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ مُنَاسَبَةُ الدَّالِّيَّةِ وَالْمَدْلُولِيَّةِ رُبَّمَا يَحْدُثُ فِي التَّخَيُّلِ بَعْضُ الْمَعَانِي الزَّائِدَةِ وَالْأَوْهَامِ الْغَيْرِ الْوَاقِعَةِ وَالْعَالِمُ وَمَعَانِيهِ الْمَخْزُونَةُ مُنَزَّهَانِ وَمُبَرَّآنِ بِالْحَقِيقَةِ عَنْ تِلْكَ النِّسْبَةِ الزَّائِدَةِ وَهَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ لَا إِنَّ الْعَالِمَ وَالْمَعَانِيَ مَوْجُودٌ فَقَطْ وَالْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ أَوْهَامٌ وَخَيَالَاتٌ فَكَذَلِكَ الْعَالَمُ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ بِالْوُجُودِ الظِّلِّيِّ وَالْكَوْنِ الطَّبِيعِيِّ لَا إِنَّهُ أَوْهَامٌ وَخَيَالَاتٌ فَإِنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ هُوَ عَيْنُ مَذْهَبِ السُّوفِسْطَائِيِّ حَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَالَمَ أَوْهَامٌ وَخَيَالَاتٌ وَإِثْبَاتُ الْحَقِيقَةِ لِلْعَالَمِ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ أَوْهَامًا وَخَيَالَاتٍ بَلْ تَكُونُ الْحَقِيقَةُ مَوْجُودَةً لَا الْعَالَمُ فَإِنَّ الْعَالَمَ وَرَاءَ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْمَفْرُوضَةِ.

تَنْبِيهٌ: إِنَّ الْمُرَادَ بِمَظْهَرِيَّةِ الْعَالَمِ وَمِرْآتِيَّتِهِ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَوْنُهُ مَظْهَرًا وَمِرْآةً لِصُوَرِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَا لِأَعْيَانِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَإِنَّ الْإِسْمَ كَالْمُسَمَّى لَا يَكُونُ مُحَاطًا بِالْمِرْآةِ أَصْلًا وَالصِّفَةَ كَالْمَوْصُوفِ لَا تَكُونُ مُقَيَّدَةً بِمَظْهَرٍ قَطْعًا، شِعْرٌ:

وَجَلَّ اسْمُهُ سُبْحَانَهُ مِثْلَ ذَاتِهِ *** كَذَا وَصْفُهُ مِنْ أَنْ يُحَاطَا بِمَظْهَرِ

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ كُمَّلَ أَتْبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبٌ مِنَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَصَالَةِ وَلِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَجَلِّي الصِّفَاتِ وَتَجَلِّي الذَّاتِ أَشْرَفُ مِنْ تَجَلِّي الصِّفَاتِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي تَجَلِّي الصِّفَاتِ مِنْ مَرَاتِبِ الْقُرْبِ مَا لَيْسَ لِكُمَّلِ التَّابِعِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ وُجُودِ تَجَلِّي الذَّاتِ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَهَذَا كَمَا أَنَّ شَخْصًا مَثَلًا إِذَا وَصَلَ إِلَى الشَّمْسِ بِطَيِّ مَدَارِجِ الْعُرُوجِ مَحَبَّةً لِجَمَالِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ غَيْرُ حَائِلٍ رَقِيقٍ وَشَخْصٌ آخَرُ مَعَ وُجُودِ مَحَبَّتِهِ لِذَاتِ الشَّمْسِ عَاجِزٌ عَنِ الْعُرُوجِ إِلَى تِلْكَ الْمَرَاتِبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ حَائِلٌ أَصْلًا فَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّخْصَ الْأَوَّلَ أَقْرَبُ إِلَى الشَّمْسِ وَأَعْلَمُ بِكَمَالَاتِهَا الدَّقِيقَةِ فَكُلُّ مَنْ فِيهِ الْقُرْبُ أَزْيَدُ وَمَعْرِفَتُهُ أَكْثَرُ فَهُوَ أَفْضَلُ وَكَمَالُهُ أَوْفَرُ فَلَا يَبْلُغُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ مَعَ وُجُودِ أَفْضَلِيَّةِ نَبِيِّهِمْ مَرْتَبَةَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْ حَصَلَ بِمُتَابَعَةِ نَبِيِّهِ نَصِيبٌ مِنْ مَقَامٍ بِهِ الْأَفْضَلِيَّةُ وَالْفَضْلُ الْكُلِّيُّ إِنَّمَا هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْأَوْلِيَاءُ طُفَيْلِيُّونَ.

وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ الْكَلَامِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَفْضَلِ أَنْبِيَائِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَعَلَى الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

(٢٨٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى السَّيِّدِ أَلْبِيَا الْمَالِكْپُورِيِّ

فِي الْمَنْعِ عَنْ أَدَاءِ صَلَاةِ النَّفْلِ بِالْجَمَاعَةِ كَصَلَاةِ لَيْلَةِ الْعَاشُورَاءِ وَالْبَرَاءَةِ وَغَيْرِهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحمد لله الذي شرفنا بمتابعة سيد المرسلين وجنبنا عن ارتكاب المبتدعات في الدين، والصلاة والسلام على من قمع بنيان الضلالة ورفع أعلام الهداية وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار ينبغي أن يعلم أن لأكثر الناس في هذا الزمان من الخواص والعوام اهتماما تاما في أداء النوافل ولكنهم يتساهلون في أداء المكتوبات ولا يراعون فيها السنن والمستحبات الا قليلا يرون النوافل عزيزة والفرائض حقيرة وذليلة قلما يؤدون الفرائض في أوقاتها المستحبة لا يهتمون لإدراك تكبير التحريمة مع الجماعة بل لا يبالون بفوت نفس الجماعة أيضا وإنما يغتنمون أداء نفس الفرائض بالتكاسل والتساهل ويؤدون النوافل بالجمعية التامة ورعاية كمال الإهتمام في يوم عاشوراء وليلة البراءة والليلة السابعة والعشرين من رجب وليلة أول جمعة منه وهي التي يسمونها ليلة الرغائب ويظنون فعلهم هذا حسنا ومستحسنا ولا يدرون أنه من تسويلات الشيطان الذي يرى السيئات في صورة الحسنات.

قال شيخ الإسلام مولانا عاصم الدين الهروي[1] في حاشية شرح الوقاية: إن التطوع بالجماعة وترك الفرض بالجماعة من تسويلات الشيطان. (ينبغي) أن يعلم أن أداء النوافل بالجماعة من البدع المذمومة والمكروهة ومن جملة البدع التي قال خاتم الرسالة عليه الصلاة والسلام في شأنها "من أحدث[2] في ديننا هذا فهو رد".

(واعلم) أن أداء النوافل بالجماعة مكروه مطلقا في بعض الروايات الفقهية وفي بعض آخر الكراهة مشروطة بالتداعي والجمعية فعلى هذا لو صلى اثنان النفل في ناحية المسجد من غير تداع يجوز بلا كراهة وفي الثلاثة اختلاف المشايخ والأربعة مكروهة بالإتفاق في بعض الروايات وفي البعض الآخر الأصح أنها مكروهة في الفتاوى السراجية كره التطوع بالجماعة بخلاف التراويح وصلاة الكسوف وفي الفتاوى الغياثية قال الشيخ الإمام السرخسي رحمه الله: التطوع بجماعة خارج رمضان إنما يكره إذا كان على سبيل التداعي أما إذا اقتدى واحد أو اثنان لا يكره وفي الثلاث اختلاف وفي الأربع يكره بلا خلاف وذكر في الخلاصة أن التطوع بجماعة إذا كان على سبيل التداعي يكره وأما إذا صلوا بجماعة بغير أذان وإقامة في ناحية المسجد لا يكره وقال شمس الأئمة الحلواني: إذا كان سوى الإمام ثلاثة لا يكره بالإتفاق وفي الأربع اختلاف والأصح أنه يكره وفي الفتاوى الشافية: ولا يصلي التطوع بالجماعة الا في شهر رمضان وذلك إنما يكره إذا كان على سبيل التداعي يعني بأذان وإقامة أما لو اقتدى واحد او اثنان لا على سبيل التداعي فلا يكره وإذا اقتدى ثلاثة اختلف المشايخ رحمهم الله تعالى وإن اقتدى أربعة كره اتفاقا وأمثال هذه الروايات كثيرة والكتب الفقهية بها مملوءة فإن وجدت رواية مجوزة لأداء النفل

---

[1] هذا الذي ذكر قدس سره كله بدعة مستحدثة باتفاق المحققن وان ذكره المشاهير في كتبهم كصاحب القوت والغزالي وغيرهما منه (القزان رحمة الله عليه)

[2] رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها وقد مر

بِالْجَمَاعَةِ مُطْلَقًا سَاكِتَةً عَنْ ذِكْرِ الْعَدَدِ يَنْبَغِي حَمْلُهَا عَلَى الْمُقَيَّدِ الْوَاقِعِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى وَأَنْ يُرَادَ بِالْمُطْلَقِ الْمُقَيَّدُ وَأَنْ يَقْصُرَ الْجَوَازُ عَلَى اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ الْحَنَفِيَّةَ وَإِنْ كَانُوا يُجْرُونَ الْمُطْلَقَ عَلَى إِطْلَاقِهِ فِي الْأُصُولِ وَلَا يَحْمِلُونَهُ عَلَى الْمُقَيَّدِ وَلَكِنَّهُمْ جَوَّزُوا حَمْلَ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ فِي الرِّوَايَاتِ بَلْ عَدُّوهُ لَازِمًا فَإِنْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى طَرِيقِ فَرْضِ الْمُحَالِ وَيُجْرَى عَلَى إِطْلَاقِهِ لَكَانَ هَذَا الْمُطْلَقُ مُعَارِضًا عَلَى ذَلِكَ الْمُقَيَّدِ إِذَا تَسَاوَيَا فِي الْقُوَّةِ. وَالْمُسَاوَاةُ فِي الْقُوَّةِ مَمْنُوعَةٌ فَإِنَّ رِوَايَةَ الْكَرَاهَةِ مَعَ وُجُودِ كَثْرَتِهَا مُخْتَارَةٌ وَمُفْتًى بِهَا بِخِلَافِ رِوَايَةِ الْإِبَاحَةِ وَلَوْ سُلِّمَ مُسَاوَاتُهَا أَقُولُ: إِنَّ التَّرْجِيحَ عَلَى تَقْدِيرِ تَعَارُضِ أَدِلَّةِ الْكَرَاهَةِ وَأَدِلَّةِ الْإِبَاحَةِ فِي جَانِبِ الْكَرَاهَةِ فَإِنَّ فِيهِ رِعَايَةَ الْإِحْتِيَاطِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ أُصُولِ الْفِقْهِ فَالَّذِينَ يُصَلُّونَ صَلَاةَ النَّفْلِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَلَيْلَةَ الْبَرَاءَةِ وَلَيْلَةَ الرَّغَائِبِ بِجَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ بِحَيْثُ يَجْتَمِعُ فِي الْمَسَاجِدِ مِائَتَانِ أَوْ ثَلَثُمِائَةِ رَجُلٍ وَيَسْتَحْسِنُونَ تِلْكَ الصَّلَاةَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْإِجْتِمَاعِ وَالْجَمَاعَةِ مُرْتَكِبُونَ أَمْرًا مَكْرُوهًا بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، وَاسْتِحْسَانُ الْقَبَائِحِ مِنْ أَعْظَمِ الْقَبَائِحِ فَإِنَّ اعْتِقَادَ الْحَرَامِ مُبَاحًا مُنْجَرٌّ إِلَى الْكُفْرِ وَظَنَّ الْمَكْرُوهِ حَسَنًا أَقَلُّ مِنْهُ بِمَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَنْبَغِي مُلَاحَظَةُ شَنَاعَةِ هَذَا الْفِعْلِ كَمَالَ الْمُلَاحَظَةِ وَاعْتِمَادُهُمْ فِي دَفْعِ الْكَرَاهَةِ عَلَى عَدَمِ التَّدَاعِي نَعَمْ إِنَّ عَدَمَ التَّدَاعِي يَدْفَعُ الْكَرَاهَةَ عَلَى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَلَكِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِمُقْتَدٍ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَهُوَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بِكَوْنِهِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَبِدُونِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ مَعَ أَنَّ التَّدَاعِيَ عِبَارَةٌ عَنْ إِعْلَامِ بَعْضٍ بَعْضًا آخَرَ لِأَدَاءِ صَلَاةِ النَّفْلِ وَهَذَا الْمَعْنَى مُتَحَقِّقٌ فِي تِلْكَ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمْ يُعْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَبِيلَةً قَبِيلَةً فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَغَيْرِهِ وَيَقُولُونَ يَنْبَغِي أَنْ تَذْهَبَ إِلَى مَسْجِدِ الشَّيْخِ الْفُلَانِيِّ أَوِ الْعَالِمِ الْفُلَانِيِّ وَأَنْ تُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ هُنَاكَ بِالْجَمْعِيَّةِ وَهُمْ قَدِ اعْتَبَرُوا هَذَا الْفِعْلَ فَمِثْلُ هَذَا الْإِعْلَامِ أَبْلَغُ مِنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَثَبَتَ التَّدَاعِي أَيْضًا وَإِذَا جَعَلْنَا التَّدَاعِيَ مَخْصُوصًا بِالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ كَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَأَرَدْنَا بِهِمَا حَقِيقَةَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَالْجَوَابُ هُوَ مَا مَرَّ آنِفًا مِنْ أَنَّ عَدَمَ الْكَرَاهَةِ مَخْصُوصٌ بِوَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ مَعَ شَرْطٍ آخَرَ عَلَى مَا مَرَّ ذِكْرُهُ. (يَنْبَغِي) أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بِنَاءَ أَدَاءِ النَّفْلِ عَلَى الْإِخْفَاءِ وَالسَّتْرِ لِكَوْنِهِ مَظِنَّةَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ وَالْجَمَاعَةُ مُنَافِيَةٌ لَهُ وَالْمَطْلُوبُ فِي أَدَاءِ الْفَرْضِ الْإِظْهَارُ وَالْإِعْلَانُ لِأَنَّهُ مُبَرَّأٌ عَنْ شَائِبَةِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ فَيَكُونُ الْمُنَاسِبُ أَنْ يُؤَدَّى بِالْجَمَاعَةِ أَوْ نَقُولُ: إِنَّ كَثْرَةَ الْإِجْتِمَاعِ مَظِنَّةُ حُدُوثِ الْفِتْنَةِ وَلِهَذَا اشْتَرَطُوا فِي أَدَاءِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ حُضُورَ السُّلْطَانِ أَوْ نَائِبِهِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْأَمْنُ مِنْ حُدُوثِ الْفِتْنَةِ وَفِي تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ الْمَكْرُوهَاتِ احْتِمَالُ إِيقَاظِ الْفِتْنَةِ الْقَوِيَّةِ أَيْضًا فَلَا يَكُونُ هَذَا الْإِجْتِمَاعُ مَعْرُوفًا بَلْ يَكُونُ مُنْكَرًا وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا" فَاللَّازِمُ لِوُلَاةِ الْأُمُورِ وَقُضَاةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِ الْإِحْتِسَابِ مَنْعُ هَذَا الْإِجْتِمَاعِ وَمُرَاعَاةُ الزَّجْرِ بِأَبْلَغِ الْوُجُوهِ فِي هَذَا الْبَابِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ اسْتِئْصَالُ هَذِهِ الْبِدْعَةِ الْمُنْجَرَّةِ إِلَى الْفِتْنَةِ وَاللَّهُ يُحِقُّ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

---

1 رواه الرافعي عن انس بن مالك وقد مر.

(٢٨٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مَوْلاَنَا بَدْرِ الدِّينِ فِي بَيَانِ أَسْرَارِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي كَشَفَ سِرَّ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْخَوَاصِّ مِنْ عِبَادِهِ وَسَتَرَ عَنِ الْعَوَامِّ لِمَكَانِ الضَّلاَلِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَاقْتِصَادِهِ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ أَكْمَلَ بِهِ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ وَقَطَعَ بِهِ إِعْذَارَ الْعُصَاةِ الْهَالِكَةِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الْأَتْقِيَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَدَرِ وَرَضُوا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ مِمَّا قَدْ كَثُرَ فِيهِ الْحَيْرَةُ وَالضَّلاَلُ غَلَبَ عَلَى أَكْثَرِ نَاظِرِيهَا بَاطِلُ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ بِمَحْضِ الْجَبْرِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنِ الْعَبْدِ بِالْإِخْتِيَارِ وَنَفَى بَعْضُهُمْ نِسْبَتَهُ إِلَى الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَأَخَذَ طَائِفَةٌ بِطَرَفِ الْإِقْتِصَادِ فِي الْإِعْتِقَادِ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَالْمَنْهَجُ الْقَوِيمُ وَلَقَدْ وُفِّقَ لِهَذَا الطَّرِيقِ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَعَنْ أَسْلاَفِهِمْ وَأَخْلاَفِهِمْ فَتَرَكُوا الْإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ وَاخْتَارُوا الْوَسَطَ وَالْبَيْنَ رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللّٰهِ هَلْ فَوَّضَ اللّٰهُ الْأَمْرَ إِلَى الْعِبَادِ فَقَالَ: اللّٰهُ تَعَالَى أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُفَوِّضَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلَى الْعِبَادِ فَقَالَ لَهُ هَلْ جَبَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: اللّٰهُ تَعَالَى أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَجْبُرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ فَقَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ فَقَالَ بَيْنَ بَيْنَ لاَ جَبْرَ وَلاَ تَفْوِيضَ وَلاَ كُرْهَ وَلاَ تَسْلِيطَ لِهَذَا قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ الْأَفْعَالَ الْإِخْتِيَارِيَّةَ لِلْعِبَادِ مَقْدُورَةُ اللّٰهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ وَمَقْدُورَةُ الْعِبَادِ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ مِنْ تَعَلُّقٍ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْإِكْتِسَابِ فَحَرَكَةُ الْعَبْدِ بِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهَا إِلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى تُسَمَّى خَلْقًا وَبِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهَا إِلَى قُدْرَةِ الْعَبْدِ كَسْبًا لَهُ غَيْرَ أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ مِنْهُمْ ذَهَبَ إِلَى أَنْ لاَ مَدْخَلَ لِإِخْتِيَارِ الْعِبَادِ فِي أَفْعَالِهِمْ أَصْلاً إِلاَّ أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ عَقِيبَ اخْتِيَارِهِمْ بِطَرِيقِ جَرْيِ الْعَادَةِ إِذْ لاَ تَأْثِيرَ لِلْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ عِنْدَهُ وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَائِلٌ إِلَى الْجَبْرِ وَلِهَذَا يُسَمَّى بِالْجَبْرِ الْمُتَوَسِّطِ قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَائِينِيُّ بِتَأْثِيرِ الْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ فِي أَصْلِ الْفِعْلِ وَحُصُولِ الْفِعْلِ بِمَجْمُوعِ الْقُدْرَتَيْنِ وَقَدْ جَوَّزَ اجْتِمَاعَ الْمُؤَثِّرَيْنِ عَلَى أَثَرٍ وَاحِدٍ بِجِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلاَّنِيُّ بِتَأْثِيرِ الْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ فِي وَصْفِ الْفِعْلِ بِأَنْ تَجْعَلَ الْفِعْلَ مَوْصُوفًا بِمِثْلِ كَوْنِهِ طَاعَةً وَمَعْصِيَةً وَالْمُخْتَارُ عِنْدَ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ تَأْثِيرُ الْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ فِي أَصْلِ الْفِعْلِ وَفِي وَصْفِهِ مَعًا إِذْ لاَ مَعْنَى لِلتَّأْثِيرِ فِي الْوَصْفِ بِدُونِ التَّأْثِيرِ فِي الْأَصْلِ إِذِ الْوَصْفُ أَثَرُهُ الْمُتَفَرِّعُ عَلَيْهِ لَكِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى تَأْثِيرٍ زَائِدٍ عَلَى تَأْثِيرِ أَصْلِ الْفِعْلِ إِذْ وُجُودُ الْوَصْفِ زَائِدٌ عَلَى وُجُودِ الْأَصْلِ وَلاَ مَحْذُورَ فِي الْقَوْلِ بِالتَّأْثِيرِ وَإِنْ كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْأَشْعَرِيِّ إِذِ التَّأْثِيرُ فِي الْقُدْرَةِ أَيْضًا بِإِيجَادِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنَّ نَفْسَ الْقُدْرَةِ بِإِيجَادِهِ تَعَالَى. وَالْقَوْلُ بِتَأْثِيرِ الْقُدْرَةِ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَمَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الْجَبْرِ فِي الْحَقِيقَةِ إِذْ لاَ اخْتِيَارَ عِنْدَهُ حَقِيقَةً وَلاَ تَأْثِيرَ لِلْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ عِنْدَهُ أَصْلاً إِلاَّ أَنَّ الْفِعْلَ الاخْتِيَارِيَّ عِنْدَ الْجَبْرِيَّةِ لاَ يُنْسَبُ إِلَى الْفَاعِلِ حَقِيقَةً بَلْ مَجَازًا وَعِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ يُنْسَبُ إِلَى الْفَاعِلِ حَقِيقَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِخْتِيَارُ ثَابِتًا لَهُ حَقِيقَةً لِأَنَّ الْفِعْلَ يُنْسَبُ إِلَى قُدْرَةِ الْعَبْدِ حَقِيقَةً سَوَاءٌ كَانَتْ

الْقُدْرَةُ مُؤَثِّرَةٌ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ غَيْرِ الْأَشْعَرِيِّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْ مَدَارًا مَحْضًا كَمَا هُوَ مَذْهَبُهُ وَبِهَذَا يَتَمَيَّزُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَاطِلِ. وَنَفْيُ الْفِعْلِ عَنِ الْفَاعِلِ حَقِيقَةً وَإِثْبَاتُهُ لَهُ مَجَازًا كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ كُفْرٌ مَحْضٌ وَإِنْكَارٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ قَالَ صَاحِبُ التَّمْهِيدِ: وَمِنَ الْجَبْرِيَّةِ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الْفِعْلَ مِنَ الْعَبْدِ ظَاهِرًا وَمَجَازًا إِمَّا فِي الْحَقِيقَةِ لاَ اسْتِطَاعَةَ لَهُ وَالْعَبْدُ كَالشَّجَرَةِ إِذَا حَرَّكَتْهَا الرِّيحُ تَحَرَّكَتْ فَكَذَلِكَ الْعَبْدُ مَجْبُورٌ كَالشَّجَرَةِ وَهَذَا كُفْرٌ وَمَنِ اعْتَقَدَ هَذَا يَصِيرُ كَافِرًا وَقَالَ أَيْضًا فِي مَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ: قَوْلُهُمْ أَنْ لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَفْعَالٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ لاَ فِي الْخَيْرِ وَلاَ فِي الشَّرِّ وَمَا يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ فَالْفَاعِلُ هُوَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَهَذَا كُفْرٌ. فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لِقُدْرَةِ الْعَبْدِ تَأْثِيرٌ فِي الْأَفْعَالِ وَلَمْ يَكُنِ الْإِخْتِيَارُ لَهُ حَقِيقَةً فَمَا مَعْنَى نِسْبَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْعَبْدِ حَقِيقَةً عِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ قُلْتُ: إِنَّ الْقُدْرَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الْأَفْعَالِ الاَّ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَهَا مَدَارًا لِوُجُودِ الْأَفْعَالِ بِأَنْ يَخْلُقَ اللّٰهُ تَعَالَى الْأَفْعَالَ عَقِبَ صَرْفِ قُدْرَتِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ إِلَى الْأَفْعَالِ بِطَرِيقِ جَرْيِ الْعَادَةِ وَكَأَنَّ الْقُدْرَةَ عِلَّةٌ عَادِيَةٌ لِوُجُودِ الْأَفْعَالِ فَيَكُونُ لِلْقُدْرَةِ مَدْخَلٌ فِي صُدُورِ الْأَفْعَالِ عَادَةً لِأَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ بِدُونِهَا عَادَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الْأَفْعَالِ فَبِاعْتِبَارِ الْعِلَّةِ الْعَادِيَةِ تُنْسَبُ إِلَى الْعِبَادِ أَفْعَالُهُمْ حَقِيقَةً هَذَا هُوَ النِّهَايَةُ فِي تَصْحِيحِ مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ وَالْكَلاَمُ بَعْدُ مَحَلُّ تَأَمُّلٍ (اعْلَمْ) أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ آمَنُوا بِالْقَدَرِ بِأَنَّ الْقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَحُلْوَهُ وَمُرَّهُ مِنَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْقَدَرِ هُوَ الْإِحْدَاثُ وَالْإِيجَادُ وَمَعْلُومٌ أَنْ لاَ مُحْدِثَ وَلاَ مُوجِدَ إِلاَّ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ أَنْكَرُوا الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ وَزَعَمُوا أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ حَاصِلَةٌ بِقُدْرَةِ الْعَبْدِ وَحْدَهَا قَالُوا: لَوْ قَضَى اللّٰهُ الشَّرَّ ثُمَّ عَذَّبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ جَوْرًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَهَذَا جَهْلٌ مِنْهُمْ لِأَنَّ الْقَضَاءَ لاَ يَسْلُبُ الْقُدْرَةَ وَالْإِخْتِيَارَ عَنِ الْعَبْدِ لِأَنَّهُ قَضَى بِأَنَّ الْعَبْدَ يَفْعَلُهُ أَوْ يَتْرُكُهُ بِاخْتِيَارِهِ. (غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ) أَنَّهُ يُوجِبُ الْإِخْتِيَارَ وَهُوَ مُحَقِّقٌ لِلْاِخْتِيَارِ لاَ مُنَافٍ لَهُ وَأَيْضًا إِنَّهُ مَنْقُوضٌ بِأَفْعَالِ الْبَارِي تَعَالَى لِأَنَّ فِعْلَهُ سُبْحَانَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْقَضَاءِ إِمَّا وَاجِبٌ أَوْ مُمْتَنِعٌ لِأَنَّهُ إِنْ تَعَلَّقَ الْقَضَاءُ بِالْوُجُودِ فَيَجِبُ أَوْ بِالْعَدَمِ فَيَمْتَنِعُ فَإِنْ كَانَ وُجُوبُ الْفِعْلِ بِالْإِخْتِيَارِ مُنَافِيًا لَهُ لَمْ يَكُنِ الْبَارِي تَعَالَى مُخْتَارًا وَهَذَا كُفْرٌ وَلاَ يَخْفَى أَنَّ الْقَوْلَ بِاسْتِقْلاَلِ قُدْرَةِ الْعَبْدِ فِي إِيجَادِ أَفْعَالِهِ مَعَ كَمَالِ ضَعْفِهِ فِي غَايَةِ السَّخَافَةِ وَمَنْشَأُ نِهَايَةِ السَّفَاهَةِ وَلِهَذَا بَالَغَ مَشَايِخُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ شَكَرَ اللّٰهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ فِي تَضْلِيلِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ حَتَّى قَالُوا: إِنَّ الْمَجُوسَ أَسْعَدُ حَالاً مِنْهُمْ حَيْثُ لَمْ يُثْبِتُوا إِلاَّ شَرِيكًا وَاحِدًا. وَالْمُعْتَزِلَةُ أَثْبَتُوا شُرَكَاءَ لاَ تُحْصَى وَزَعَمَتِ الْجَبْرِيَّةُ أَنَّهُ لاَ فِعْلَ لِلْعَبْدِ أَصْلاً وَأَنَّ حَرَكَاتِهِ بِمَنْزِلَةِ حَرَكَاتِ الْجَمَادَاتِ لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ اخْتِيَارَ وَزَعَمُوا أَنَّ الْعِبَادَ لاَ يُثَابُونَ بِالْخَيْرِ وَلاَ يُعَاقَبُونَ بِالشَّرِّ. وَالْكُفَّارُ وَالْعُصَاةُ مَعْذُورُونَ غَيْرُ مَسْئُولِينَ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى وَالْعَبْدُ مَجْبُورٌ فِي ذَلِكَ وَهَذَا كُفْرٌ وَهَؤُلاَءِ الْمُرْجِئَةُ الْمَلْعُونُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ لاَ تَضُرُّ وَالْعَاصِيَ لاَ يُعَاقَبُ وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ "لُعِنَتِ الْمُرْجِئَةُ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا"[1] وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ بِالضَّرُورَةِ لِلْفَرْقِ الظَّاهِرِ بَيْنَ حَرَكَةِ

[1] اورده المناوى فى كنوز الحقائق برمز البزار والسيوطى برمز الحاكم فى التاريخ عن ابى امامة رضى الله عنه (القرآن) رحمة الله

الْبَطْشِ وَحَرَكَةِ الإرْتِعَاشِ وَنَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ الأَوَّلَ بِاخْتِيَارِهِ دُونَ الثَّانِي وَالنُّصُوصُ الْقَطْعِيَّةُ تَنْفِي هَذَا الْمَذْهَبَ أَيْضًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٢) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

(وَاعْلَمْ) أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِضَعْفِ هِمَمِهِمْ وَقُصُورِ نِيَّاتِهِمْ يَطْلُبُونَ الإعْتِذَارَ وَدَفْعَ السُّؤَالِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَيَمِيلُونَ إِلَى مَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ بَلْ إِلَى مَذْهَبِ الْجَبْرِيِّ فَتَارَةً يَقُولُونَ بِأَنْ لاَ اخْتِيَارَ لِلْعَبْدِ حَقِيقَةً وَنِسْبَةُ الْفِعْلِ إِلَيْهِ مَجَازٌ وَتَارَةً يَقُولُونَ بِضَعْفِ الإخْتِيَارِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلإِجْبَارِ وَمَعَ ذَلِكَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ أَنَّ الْفَاعِلَ وَاحِدٌ لَيْسَ إِلاَّ هُوَ وَأَنْ لاَ تَأْثِيرَ لِقُدْرَةِ الْعَبْدِ فِي الأَفْعَالِ أَصْلاً وَأَنَّ حَرَكَاتِهِ بِمَنْزِلَةِ حَرَكَاتِ الْجَمَادَاتِ بَلْ وُجُودُ الْعَبْدِ ذَاتًا وَصِفَةً كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ، وَأَمْثَالُ هَذَا الْكَلاَمِ ازْدَادَهُمْ جَرَاءَةً عَلَى الْمُدَاهَنَةِ وَالْمُسَاهَلَةِ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ فَنَقُولُ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْكَلاَمِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْمَرَامِ: إِنَّ الإخْتِيَارَ لَوْ لَمْ يَكُنْ ثَابِتًا لِلْعَبْدِ حَقِيقَةً كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الأَشْعَرِيِّ لَمَا نَسَبَ اللهُ تَعَالَى الظُّلْمَ إِلَى الْعِبَادِ إِذْ لاَ اخْتِيَارَ لَهُمْ وَلاَ تَأْثِيرَ لِقُدْرَتِهِمْ وَإِنَّمَا هِيَ مَدَارٌ مَحْضٌ عِنْدَهُ وَقَدْ نَسَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ الظُّلْمَ إِلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْمَجِيدِ وَمُجَرَّدُ الْمَدَارِيَّةِ بِدُونِ التَّأْثِيرِ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ لاَ يُوجِبُ الظُّلْمَ مِنْهُمْ. نَعَمْ إِنَّ الإِيلاَمَ وَالتَّعْذِيبَ لِلْعِبَادِ مِنْهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الإخْتِيَارُ ثَابِتًا لَهُمْ لَيْسَ بِظُلْمٍ أَصْلاً إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ مَالِكٌ عَلَى الإِطْلاَقِ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ أَمَّا نِسْبَةُ الظُّلْمِ إِلَيْهِمْ فَمُسْتَلْزِمٌ لِثُبُوتِ الإخْتِيَارِ لَهُمْ وَاحْتِمَالُ الْمَجَازِ فِي هَذِهِ النِّسْبَةِ خِلاَفُ الْمُتَبَادَرِ فَلاَ يُرْتَكَبُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَأَمَّا الْقَوْلُ بِضَعْفِ الإخْتِيَارِ فَلاَ يَخْلُو إِمَّا يُرَادُ بِهِ الضَّعْفُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اخْتِيَارِهِ تَعَالَى فَمُسَلَّمٌ وَلاَ نِزَاعَ فِيهِ لأَحَدٍ وَكَذَا الضَّعْفُ بِمَعْنَى عَدَمِ الإِسْتِقْلاَلِ فِي صُدُورِ الأَفْعَالِ أَيْضًا مُسَلَّمٌ. وَأَمَّا الضَّعْفُ بِمَعْنَى عَدَمِ الْمَدْخَلِيَّةِ لِلاخْتِيَارِ فِي الأَفْعَالِ فَمَمْنُوعٌ وَهُوَ أَوَّلُ الْمَسْأَلَةِ وَسَنَدُ الْمَنْعِ قَدْ مَرَّ مُفَصَّلاً. يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى كَلَّفَ عِبَادَهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ وَاسْتِطَاعَتِهِمْ وَخَفَّفَ فِي التَّكْلِيفِ لِضَعْفِ خَلْقِهِمْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾(٣) كَيْفَ وَهُوَ سُبْحَانَهُ حَكِيمٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَلاَ يَلِيقُ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالْحِكْمَةِ تَكْلِيفُ مَا لاَ يَسْتَطِيعُ لَهُ الْعَبْدُ فَلَمْ يُكَلِّفْ بِرَفْعِ الصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِهَا الْعَبْدُ بَلْ كَلَّفَ بِمَا هُوَ يَسِيرٌ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ الصَّلاَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْقِرَاءَةِ الْمُيَسَّرَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَسِيرٌ غَايَةَ الْيُسْرِ وَكَذَا الصَّوْمُ مَثَلاً فِي نِهَايَةِ السُّهُولَةِ وَالزَّكَاةُ أَيْضًا كَذَلِكَ إِذْ قَدَّرَ بِرُبْعِ الْعُشْرِ وَلَمْ يُقَدِّرْ بِالْكُلِّ وَالنِّصْفِ مَثَلاً لِئَلاَّ يَثْقُلَ

عليه)

(١) الآية: ١٤ من سورة الأحقاف.

(٢) الآية: ٢٩ من سورة الكهف.

(٣) الآية: ٢٨ من سورة النساء.

عَلَى الْعِبَادِ وَمِنْ كَمَالِ الرَّأْفَةِ جَعَلَ لِلْمَأْمُورِ بِهِ خَلَفًا إِنْ تَعَسَّرَ الْأَصْلُ فَجَعَلَ لِلْوُضُوءِ خَلَفًا هُوَ التَّيَمُّمُ وَكَذَا حَكَمَ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ صَلَّى قَاعِدًا وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقُعُودِ صَلَّى مُضْطَجِعًا وَكَذَا مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ صَلَّى مُومِيًا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِنَظَرِ الْإِعْتِبَارِ وَالْإِنْصَافِ فَيَجِدُ تَمَامَ التَّكْلِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي غَايَةِ الْيُسْرِ وَنِهَايَةِ السُّهُولَةِ وَيُطَالِعُ كَمَالَ الرَّحْمَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِالْعِبَادِ فِي صَفَحَاتِ التَّكْلِيفَاتِ، وَمِصْدَاقُ تَخْفِيفِ التَّكْلِيفَاتِ تَمَنِّي الْعَوَامِّ فِي زِيَادَةِ التَّكْلِيفِ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ فَإِنَّ بَعْضَهُمْ يَتَمَنَّى الزِّيَادَةَ فِي الصَّوْمِ الْمَفْرُوضِ وَبَعْضَهُمْ فِي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ وَمَا هَذَا التَّمَنِّي إِلَّا لِكَمَالِ التَّخْفِيفِ. وَعَدَمُ وِجْدَانِ الْيُسْرِ فِي أَدَاءِ الْأَحْكَامِ لِلْبَعْضِ مَبْنِيٌّ عَلَى وُجُودِ ظُلُمَاتٍ نَفْسَانِيَّةٍ وَكُدُورَاتٍ طَبِيعِيَّةٍ نَاشِئَةٍ عَنْ هَوَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ الْمُتَصَدِّيَةِ لِمُعَادَاةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾(١). وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٢) فَكَمَا أَنَّ مَرَضَ الظَّاهِرِ مُوجِبُ الْعُسْرِ فِي أَدَاءِ الْأَحْكَامِ كَذَلِكَ مَرَضُ الْبَاطِنِ أَيْضًا مُوجِبٌ لِذَلِكَ الْعُسْرِ وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ الشَّرِيفُ لِإِبْطَالِ رُسُومِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ وَرَفْعِ هَوَاجِسِهَا فَهَوَى النَّفْسِ وَمُتَابَعَةُ الشَّرِيعَةِ عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ وُجُودُ ذَلِكَ الْعُسْرِ دَلِيلَ وُجُودِ هَوَى النَّفْسِ فَيُقَدَّرُ وُجُودُ الْهَوَى بِقَدْرِ الْعُسْرِ فَإِذَا انْتَفَى الْهَوَى كُلِّيَّةً انْتَفَى الْعُسْرُ رَأْسًا وَأَمَّا كَلَامُ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ الْمَذْكُورُ سَابِقًا فِي نَفْيِ الْإِخْتِيَارِ وَضَعْفِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ كَلَامَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فَلَا اعْتِبَارَ لَهُ أَصْلًا فَكَيْفَ يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ وَالتَّقْلِيدِ وَإِنَّمَا الصَّالِحُ لِلْحُجَّةِ وَالتَّقْلِيدِ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَمَا وَافَقَ أَقْوَالَهُمْ مِنْ كَلَامِ الصُّوفِيَّةِ يُقْبَلُ وَمَا خَالَفَهُمْ لَا يُقْبَلُ عَلَى أَنَّا نَقُولُ: إِنَّ الصُّوفِيَّةَ الْمُسْتَقِيمَةَ الْأَحْوَالِ لَا يَتَجَاوَزُونَ الشَّرِيعَةَ أَصْلًا لَا فِي الْأَحْوَالِ وَلَا فِي الْأَعْمَالِ وَلَا فِي الْأَقْوَالِ وَلَا فِي الْعُلُومِ وَلَا فِي الْمَعَارِفِ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ بَقِيَّةَ الْخِلَافِ مَعَ الشَّرِيعَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ سَقَمٍ فِي الْحَالِ وَخَلَلٍ فِيهِ وَلَوْ صَدَقَ الْحَالُ مَا خَالَفَ الشَّرِيعَةَ الْحَقَّةَ وَبِالْجُمْلَةِ خِلَافُ الشَّرِيعَةِ دَلِيلُ الزَّنْدَقَةِ وَعَلَامَةُ الْإِلْحَادِ. (**غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ**) أَنَّ الصُّوفِيَّ لَوْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مُخَالِفٍ لِلشَّرِيعَةِ نَاشٍ عَنِ الْكَشْفِ فِي غَلَبَةِ الْحَالِ وَسُكْرِ الْوَقْتِ فَهُوَ مَعْذُورٌ وَكَشْفُهُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَغَيْرُ صَالِحٍ لِلتَّقْلِيدِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُهُ وَيُصْرَفَ عَنْ ظَاهِرِهِ فَإِنَّ كَلَامَ السُّكَارَى يُحْمَلُ وَيُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِرِ هَذَا مَا تَيَسَّرَ لِي فِي هَذَا الْمَقَامِ بِعَوْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ تَعَالَى الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

(٢٩٠) الْمَكْتُوبُ التِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمُلَّا مُحَمَّدْ هَاشِمْ فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ فِي أَوَائِلِ حَالِهِ وَوَفَّقَهُ لِتَسْلِيكِ الطَّالِبِينَ إِلَيْهِ وَبَيَانِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ وَبَيَانِ انْدِرَاجِ

---

(١) الآية: ١٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية: ٤٥ من سورة البقرة.

النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ وَبَيَانِ الْحُضُورِ الْمُعْتَبَرِ عِنْدَ أَكَابِرِ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالنِّسْبَةِ النَّقْشْبَنْدِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَعَارِفِ الْحَاصِلَةِ لَهُ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشْبَنْدِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَبَيَانِ جَذَبَاتِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

(اعْلَمْ) أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ وَأَسْبَقُ وَأَوْفَقُ وَأَوْثَقُ وَأَسْلَمُ وَأَحْكَمُ وَأَصْدَقُ وَأَدَلُّ وَأَعْلَى وَأَجَلُّ وَأَرْفَعُ وَأَكْمَلُ هُوَ الطَّرِيقَةُ النَّقْشْبَنْدِيَّةُ الْعَلِيَّةُ قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَ أَهَالِيهَا وَأَسْرَارَ مَوَالِيهَا وَكُلُّ عَظَمَةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَعُلُوِّ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ بِوَاسِطَةِ الْتِزَامِ مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَاجْتِنَابِ الْبِدْعَةِ الْغَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ وَهُمُ الَّذِينَ انْدَرَجَتْ نِهَايَةُ الْأَمْرِ فِي بِدَايَتِهِمْ كَالْأَصْحَابِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ مِنَ الْمَلِكِ الْمَنَّانِ وَكَانَ شُعُورُهُمْ وَحُضُورُهُمْ عَلَى سَبِيلِ الدَّوَامِ وَصَارَ فَوْقَ شُعُورِ الْآخَرِينَ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ.

أَيُّهَا الْأَخُ، أَرْشَدَكَ اللَّهُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ لَمَّا ظَهَرَ فِي هَذَا الدَّرْوِيشِ هَوَسُ هَذَا الطَّرِيقِ وَصَارَتْ عِنَايَةُ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا هَادِيَتَهُ وَأَوْصَلَتْهُ إِلَى صَاحِبِ الْوِلَايَةِ وَمَعْدِنِ الْحَقِيقَةِ هَادِي طَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ وَإِلَى السَّبِيلِ الْمُوصِلِ إِلَى دَرَجَاتِ الْوِلَايَةِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ شَيْخِنَا وَإِمَامِنَا مُحَمَّدٍ الْبَاقِي قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ أَحَدِ كِبَارِ خُلَفَاءِ طَائِفَةِ حَضَرَاتِ الْأَكَابِرِ النَّقْشْبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ فَعَلَّمَ هَذَا الدَّرْوِيشَ ذِكْرَ اسْمِ الذَّاتِ وَتَوَجَّهَ بِالطَّرِيقِ الْمَعْهُودِ حَتَّى ظَهَرَ فِي الْتِذَاذٌ تَامٌّ وَعَرَضَ لِي الْبُكَاءُ مِنْ كَمَالِ الشَّوْقِ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ كَيْفِيَّةُ الذُّهُولِ وَعَدَمُ الشُّعُورِ الْمُعْتَبَرَةِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ الْمُسَمَّاةِ بِالْغَيْبَةِ فَرَأَيْتُ فِي تِلْكَ الْغَيْبَةِ بَحْرًا مُحِيطًا وَوَجَدْتُ صُوَرَ الْعَالَمِ وَأَشْكَالَهُ كَالظِّلِّ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ وَاسْتَوْلَتْ هَذِهِ الْغَيْبَةُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَامْتَدَّتْ وَصَارَتْ تَمْتَدُّ أَحْيَانًا إِلَى سَاعَتَيْنِ مِنْ نَهَارٍ وَأَحْيَانًا إِلَى أَرْبَعِ سَاعَاتٍ وَكَانَتْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ تَسْتَوْعِبُ اللَّيْلَ وَلَمَّا عَرَضْتُ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ عَلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ قَالَ: قَدْ حَصَلَ نَحْوٌ مِنَ الْفَنَاءِ وَمَنَعَ عَنِ الذِّكْرِ وَأَمَرَ بِحِفْظِ ذَلِكَ الْحُضُورِ وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ حَصَلَ لِيَ الْفَنَاءُ الْمُصْطَلَحُ فَعَرَضْتُهُ عَلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْإِشْتِغَالِ بِشَأْنِكَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ فَنَاءُ الْفَنَاءِ فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُ تَمَامَ الْعَالَمِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ وَمُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ

قُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: إِنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي حُصُولِ فَنَاءِ الْفَنَاءِ هُوَ حُصُولُ عَدَمِ الشُّعُورِ مَعَ وُجُودِ رُؤْيَةِ هَذَا الْإِتِّصَالِ فَحَصَلَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَنَاءُ الْفَنَاءِ بِتِلْكَ الصِّفَةِ فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَعَرَضْتُ مَا حَصَلَ بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنَ الْحَالَةِ وَقُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ عِلْمِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ حُضُورِيًّا وَأَجِدُ الْأَوْصَافَ الَّتِي كَانَتْ مَنْسُوبَةً إِلَيَّ مَنْسُوبَةً

إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نُورٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فَظَنَنْتُهُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَكَانَ لَوْنُ ذَلِكَ النُّورِ سَوَادًا فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ الْحَقُّ جَلَّ وَعَلَا مَشْهُودٌ وَلَكِنَّ ذَلِكَ الشُّهُودَ فِي حِجَابِ النُّورِ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْإِنْبِسَاطَ الَّذِي يُرَى فِي ذَلِكَ النُّورِ هُوَ فِي الْعِلْمِ وَإِنَّمَا يُرَى مُنْبَسِطًا كَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ تَعَلُّقِ ذَاتِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا بِالْأَشْيَاءِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْوَاقِعَةِ أَعْلَى وَأَدْنَى فَيَنْبَغِي نَفْيُ الْإِنْبِسَاطِ ثُمَّ شَرَعَ ذَلِكَ النُّورُ الْأَسْوَدُ الْمُنْبَسِطُ فِي الْإِنْقِبَاضِ وَالتَّضَايُقِ حَتَّى صَارَ كَنُقْطَةٍ فَقَالَ: يَنْبَغِي نَفْيُ تِلْكَ النُّقْطَةِ أَيْضًا حَتَّى يَنْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى الْحَيْرَةِ فَفَعَلْتُ كَذَلِكَ حَتَّى زَالَتْ تِلْكَ النُّقْطَةُ الْمَوْهُومَةُ أَيْضًا مِنَ الْبَيْنِ وَانْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى الْحَيْرَةِ الَّتِي هُنَاكَ شُهُودُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ فَلَمَّا عَرَضْتُهُ عَلَيْهِ قَالَ: هَذَا الْحُضُورُ هُوَ الْحُضُورُ الْمُعْتَبَرُ عِنْدَ النَّقْشْبَنْدِيَّةِ وَنِسْبَتُهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا الْحُضُورِ وَيُقَالُ لِهَذَا الْحُضُورِ حُضُورًا بِلَا غَيْبَةٍ أَيْضًا وَانْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ يُتَصَوَّرُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَحُصُولُ هَذِهِ النِّسْبَةِ لِلطَّالِبِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ كَأَخْذِ الطَّالِبِ فِي سَلَاسِلَ أُخَرَ الْأَذْكَارَ وَالْأَوْرَادَ مِنْ شَيْخِهِ لِيَعْمَلَ بِهَا وَيَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ، (ع): وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي *

وَكَانَ حُصُولُ هَذِهِ النِّسْبَةِ الْعَزِيزَةِ الْوُجُودِ لِهَذَا الدَّرْوِيشِ بَعْدَ مُضِيِّ شَهْرَيْنِ وَبِضْعَةِ أَيَّامٍ مِنِ ابْتِدَاءِ تَعْلِيمِ الذِّكْرِ وَبَعْدَ تَحَقُّقِ هَذِهِ النِّسْبَةِ حَصَلَ فَنَاءٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ الْفَنَاءُ الْحَقِيقِيُّ وَحَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنَ الْوُسْعَةِ مَا لَيْسَ لِتَمَامِ الْعَالَمِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى مَرْكَزِ الْفَرْشِ قَدْرٌ فِي جَنْبِهِ مِقْدَارَ خَرْدَلَةٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُ نَفْسِي وَكُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْعَالَمِ بَلْ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْهُ الْحَقَّ جَلَّ وَعَلَا وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُ كُلَّ ذَرَّةٍ فُرَادَى فُرَادَى عَيْنَ نَفْسِي وَرَأَيْتُ نَفْسِي عَيْنَ جَمِيعِ الذَّرَّاتِ حَتَّى وَجَدْتُ تَمَامَ الْعَالَمِ مُضْمَحِلًّا فِي ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُ نَفْسِي بَلْ جَمِيعَ ذَرَّةٍ مُنْبَسِطًا وَوَسِيعًا بِحَيْثُ يَسَعُ تَمَامَ الْعَالَمِ وَأَضْعَافَهُ بَلْ وَجَدْتُ نَفْسِي وَكُلَّ ذَرَّةٍ نُورًا مُنْبَسِطًا سَارِيًا فِي كُلِّ ذَرَّةٍ، وَصُوَرُ الْعَالَمِ وَأَشْكَالُهُ مُضْمَحِلٌّ فِي ذَلِكَ النُّورِ وَمُتَلَاشٍ فِيهِ بَلْ وَجَدْتُ كُلَّ ذَرَّةٍ مُقَوِّمًا لِتَمَامِ الْعَالَمِ وَلَمَّا عَرَضْتُ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّ مَرْتَبَةَ حَقِّ الْيَقِينِ فِي التَّوْحِيدِ هِيَ هَذَا وَجَمْعُ الْجَمْعِ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ ثُمَّ وَجَدْتُ صُوَرَ الْعَالَمِ وَأَشْكَالَهُ الَّتِي كُنْتُ وَجَدْتُهَا أَوَّلًا عَيْنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَوْهُومَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ

وَمَا كُنْتُ وَجَدْتُهُ مِنَ الذَّرَّاتِ عَيْنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَجَدْتُ جَمِيعَهَا مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ وَتَمْيِيزٍ مَوْهُومَةً فَعَرَضَتْ لِي حِينَئِذٍ غَايَةُ الْحَيْرَةِ فَتَذَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِبَارَةَ الْفُصُوصِ الَّتِي كُنْتُ سَمِعْتُهَا مِنْ وَالِدِي الْمَاجِدِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ حَيْثُ قَالَ: إِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِنَّهُ أَيِ الْعَالَمَ حَقٌّ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: إِنَّهُ خَلْقٌ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: إِنَّهُ مِنْ وَجْهٍ حَقٌّ وَمِنْ وَجْهٍ خَلْقٌ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ بِالْحَيْرَةِ لِعَدَمِ تَمْيِيزٍ بَيْنَهُمَا فَصَارَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُسَكِّنَةً لِذَلِكَ الْإِضْطِرَابِ فِي الْجُمْلَةِ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَتَيْتُ مُلَازَمَةَ شَيْخِنَا وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَالِي فَقَالَ مَا كَانَ حُضُورُكَ صَافِيًا بَعْدُ عَلَيْكَ بِالْإِشْتِغَالِ بِأَمْرِكَ حَتَّى يَظْهَرَ تَمَيُّزُ الْمَوْجُودِ مِنَ الْمَوْهُومِ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ عِبَارَةَ الْفُصُوصِ الْمُشْعِرَةَ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْخَ مَا بَيَّنَ حَالَ الْكَامِلِ وَعَدَمُ التَّمْيِيزِ أَيْضًا ثَابِتٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَعْضِ فَكُنْتُ مَشْغُولًا حَسَبَ الْأَمْرِ فَأَظْهَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ يَوْمَيْنِ بِمَحْضِ تَوَجُّهِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا

تَمْيِيزًا بَيْنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَوْهُومِ حَتَّى وَجَدْتُ الْمَوْجُودَ الْحَقِيقِيَّ مُمْتَازًا مِنَ الْمَوْهُومِ الْمُتَخَيَّلِ وَرَأَيْتُ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالَ وَالْآثَارَ الَّتِي تُرَى مِنَ الْمَوْهُومِ صَادِرَةً عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَوَجَدْتُ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالَ أَيْضًا مَوْهُومَةً وَلَمْ أَرَ فِي الْخَارِجِ مَوْجُودًا غَيْرَ ذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَلَمَّا عَرَضْتُ ذَلِكَ قَالَ: هَذَا هُوَ مَرْتَبَةُ الْفَرْقِ بَعْدَ الْجَمْعِ وَنِهَايَةُ السَّعْيِ إِلَى هُنَا وَبَعْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ مَا اسْتُودِعَ فِي قَابِلِيَّةِ كُلِّ شَخْصٍ وَاسْتِعْدَادِهِ وَقَالَ مَشَائِخُ الطَّرِيقَةِ لِهَذَا الْمَرْتَبَةِ "مَقَامُ التَّكْمِيلِ".

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّرْوِيشَ لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِي بَعْدَمَا أُخْرِجْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى مِنَ السُّكْرِ إِلَى الصَّحْوِ وَبَعْدَ مَا شُرِّفْتُ بَعْدَ الْفَنَاءِ بِالْبَقَاءِ لَمْ أَجِدْ غَيْرَ الْحَقِّ وَوَجَدْتُ جَمِيعَ الذَّرَّاتِ مِرْآةً لِشُهُودِهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ أُخْرِجْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ إِلَى الْحَيْرَةِ وَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي يَعْنِي صَحَوْتُ مِنَ الْحَيْرَةِ وَجَدْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ مَعَ كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ وُجُودِي لَا فِيهَا وَكَانَ الْمَقَامُ السَّابِقُ فِي النَّظَرِ أَسْفَلَ وَأَدْنَى مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الثَّانِي ثُمَّ أُخْرِجْتُ إِلَى الْحَيْرَةِ وَلَمَّا أَفَقْتُ وَجَدْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي تِلْكَ الْمَرَّةِ لَا مُتَّصِلاً بِالْعَالَمِ وَلَا مُنْفَصِلاً عَنْهُ وَلَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَصَارَتْ نِسْبَةُ الْمَعِيَّةِ وَالْإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ عَلَى نَهْجٍ كُنْتُ وَجَدْتُهَا أَوَّلاً مُنْتَفِيَةً بِالْكُلِّيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ مَشْهُودًا بِتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ بَلْ كَأَنَّهُ مَحْسُوسٌ وَكَانَ الْعَالَمُ أَيْضًا مَشْهُودًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ النِّسَبِ الْمَذْكُورَةِ ثُمَّ وَقَعْتُ فِي الْحَيْرَةِ وَلَمَّا أُخْرِجْتُ إِلَى الصَّحْوِ صَارَ مَعْلُومًا أَنَّ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ نِسْبَةً بِالْعَالَمِ وَرَاءَ النِّسَبِ الْمَذْكُورَةِ وَهَذِهِ النِّسْبَةُ مَجْهُولَةُ الْكَيْفِيَّةِ وَكَانَ تَعَالَى مَشْهُودًا بِالنِّسْبَةِ الْمَجْهُولَةِ الْكَيْفِيَّةِ ثُمَّ أُخْرِجْتُ إِلَى الْحَيْرَةِ وَعُرِضَ لِي فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ نَحْوٌ مِنَ الْقَبْضِ وَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي صَارَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مَشْهُودًا بِغَيْرِ تِلْكَ النِّسْبَةِ الْمَجْهُولَةِ الْكَيْفِيَّةِ عَلَى طَوْرٍ لَا نِسْبَةَ لَهُ بِالْعَالَمِ أَصْلاً لَا مَعْلُومَةَ الْكَيْفِيَّةِ وَلَا مَجْهُولَةَ الْكَيْفِيَّةِ وَكَانَ الْعَالَمُ مَشْهُودًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِتِلْكَ الْخُصُوصِيَّةِ وَحَصَلَ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِلْمٌ خَاصٌّ عِنَايَةً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَبِسَبَبِ هَذَا الْعِلْمِ لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالْخَلْقِ مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً مَعَ وُجُودِ كِلَا الشُّهُودَيْنِ وَصَارَ مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ هَذَا الْمَشْهُودَ مَعَ هَذِهِ الصِّفَةِ وَمَعَ هَذَا التَّنْزِيهِ لَيْسَ هُوَ ذَاتَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ بَلْ هُوَ صُورَةٌ مِثَالِيَّةٌ لِتَعَلُّقِ تَكْوِينِهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ وَرَاءَ التَّعَلُّقَاتِ الْكَوْنِيَّةِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ التَّعَلُّقُ مَعْلُومَ الْكَيْفِيَّةِ أَوْ مَجْهُولَ الْكَيْفِيَّةِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ،

(شِعْرٌ):

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا *** قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

أَيُّهَا الْأَخُ الْأَعَزُّ إِنِّي إِنْ أَجْرَيْتُ الْقَلَمَ فِي تَفْصِيلِ الْأَحْوَالِ وَتَبْيِينِ الْمَعَارِفِ لَانْجَرَّ إِلَى التَّطْوِيلِ وَالْإِطْنَابِ وَعَلَى الْخُصُوصِ لَوْ بَيَّنْتُ مَعَارِفَ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَعُلُومَ ظِلِّيَّةِ الْأَشْيَاءِ لَعَلِمَ الَّذِينَ مَضَى عُمْرُهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا قَطْرَةً مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ وَالْعَجَبُ أَنَّ تِلْكَ

الجماعة لا يظنّون هذا الدرويش من أرباب التّوحيد الوجوديّ بل يعدّونه من العلماء المنكرين للتّوحيد الوجوديّ ويزعمون من قصور النّظر أنّ الإصرار على المعارف التّوحيديّة من الكمال والتّرقّي من ذلك المقام نقص أو محال.

شعر:

كم من بليد غفول عن معائبه *** يستحسن العيب زعما أنّه حسن

ومستشهد هؤلاء الجماعة في هذا الأمر أقوال المشائخ المتقدّمين الّتي صدرت في التّوحيد الوجوديّ رزقهم الله سبحانه الإنصاف من أين علموا أنّ هؤلاء المشائخ لم يحصل لهم ترقّ من ذلك المقام وبقوا محبوسين فيه وليس الكلام في حصول المعارف التّوحيديّة فإنّه واقع ألبتّة وإنّما الكلام في التّرقّي من ذلك المقام فإن قالوا: صاحب التّرقّي منكر للتّوحيد واصطلحوا على ذلك فلا مناقشة فيه.

(ولنرجع) إلى أصل الكلام ونقول: إنّه لمّا كان في القلب دلالة على الكثير وفي القطرة إشارة إلى البحر الغزير اكتفيت بالقطرة واقتصرت على القليل.

أيّها الأخ، إنّ شيخنا لمّا حكم لي بالكمال والتّكميل أجاز لي بتعليم الطّريقة وأحال عليّ جماعة من الطّالبين كان لي في ذلك الوقت تردّد في كمالي وتكميلي فقال: ليس هذا محلّ التّردّد فإنّ المشائخ العظام قالوا لهذا المقام "مقام الكمال والتّكميل"

فلو جاز تردّد في هذا المقام يلزمه تردّد في كماليّة هؤلاء المشائخ الكرام فشرعت في تعليم الطّريقة حسب الأمر وراعيت التّوجّهات في أحوال الطّالبين فصارت الآثار العظام محسوسة في المسترشدين حتّى تقرّر على السّاعات أمر السّنين واشتغلت بهذه الأشغال أوقاتا ظهر آخر الأمر العلم بنقصي وظهر لي أنّ التّجلّي البرقيّ الّذي قال المشائخ فيه أنّه نهاية الأمر لم يظهر لي في هذا الطّريق أصلا ولم يعلم السّير إلى الله والسّير في الله أيضا أنّهما ما هما ولا بدّ من تحصيل هذه الكمالات وصار العلم بنقصي مبرهنا في ذلك الوقت فجمعت الطّالبين الّذين حولي وحدّثتهم حديث نقصي وودّعت جميعهم ولكنّ الطّالبين حملوا هذا المعنى على التّواضع وهضم النّفس ولم يرجعوا عمّا هم كانوا عليه فرزق الحقّ سبحانه الأحوال المنتظرة بحرمة حبيبه عليه وعلى آله الصّلاة والسّلام (اعلم) أنّ حاصل طريقة حضرة خواجكان قدّس الله أسرارهم اعتقاد أهل السّنّة والجماعة واتّباع السّنّة السّنيّة المصطفويّة على صاحبها الصّلاة والسّلام والتّحيّة واجتناب البدعة الرّديّة والأهواء النّفسانيّة والعمل بالعزيمة مهما أمكن والإحتراز عن العمل بالرّخصة والإستهلاك والإضمحلال أوّلا في جهة الجذبة وعبّروا عن هذا الإستهلاك بالعدم.

والبقاء الّذي يحصل في هذه الجهة بعد الإستهلاك معبّر عنه بوجود العدم يعني وجود وبقاء مترتّب على العدم الّذي هو الإستهلاك وهذا الإستهلاك والإضمحلال ليس هو عبارة عن الغيبة عن الحسّ بل قد

تُفِقُ الْغَيْبَةُ عَنِ الْحِسِّ لِلْبَعْضِ مَعَ هَذَا الْإِسْتِهْلَاكِ وَقَدْ لَا تَقَعُ لِلْبَعْضِ الْآخَرِ وَصَاحِبُ هَذَا الْبَقَاءِ يُمْكِنُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَأَنْ يَعُودَ إِلَى الْأَخْلَاقِ النَّفْسَانِيَّةِ بِخِلَافِ الْبَقَاءِ الَّذِي هُوَ مُتَرَتِّبٌ عَلَى الْفَنَاءِ فَإِنَّ الْعَوْدَ مِنْهُ غَيْرُ جَائِزٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدُ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ الْأَقْدَسَ: إِنَّ وُجُودَ الْعَدَمِ يَعُودُ إِلَى وُجُودِ الْبَشَرِيَّةِ وَأَمَّا وُجُودُ الْفَنَاءِ فَلَا يَعُودُ إِلَى وُجُودِ الْبَشَرِيَّةِ أَصْلًا فَإِنَّ الْبَاقِيَ بِالْبَقَاءِ الْأَوَّلِ هُوَ فِي الطَّرِيقِ بَعْدُ وَالرُّجُوعُ عَنِ الطَّرِيقِ مُمْكِنٌ وَالثَّانِي وَاصِلٌ مُنْتَهٍ وَلَا رُجُوعَ لِلْوَاصِلِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَكَابِرِ: مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إِلَّا مِنَ الطَّرِيقِ وَمَنْ وَصَلَ لَا يَرْجِعُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ وُجُودِ الْعَدَمِ وَإِنْ كَانَ فِي الطَّرِيقِ وَلَكِنْ لَهُ بِحُكْمِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ شُعُورٌ بِنِهَايَةِ الْأَمْرِ وَمَا هُوَ مُيَسَّرٌ لِلْمُنْتَهِي فِي الْآخِرِ حَاصِلٌ لَهُ خُلَاصَتُهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ إِجْمَالًا وَهَذِهِ النِّسْبَةُ لَمَّا كَانَتْ فِي الْمُنْتَهِي بِطَرِيقِ الشُّمُولِ وَعُمُومِ السَّرَيَانِ صَارَتْ حَاصِلَةً فِي رُوحَانِيَّتِهِ وَجِسْمَانِيَّتِهِ الْبَتَّةَ وَفِي صَاحِبِ وُجُودِ الْعَدَمِ مَقْصُورٌ عَلَى خُلَاصَةِ الْقَلْبِ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ وَعَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ فَلَا جَرَمَ كَانَ الْمُنْتَهِي صَاحِبَ تَفْصِيلٍ وَرُجُوعُهُ إِلَى صِفَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ مُمْتَنِعًا فَإِنَّ سَرَيَانَ تِلْكَ النِّسْبَةِ فِي مَرَاتِبِ جِسْمَانِيَّتِهِ خَلَعَهُ عَنْ صِفَاتِهَا وَجَعَلَهُ فَانِيًا وَهَذَا الْفَنَاءُ مَوْهِبَةٌ مَحْضَةٌ وَالرُّجُوعُ عَنِ الْمَوْهِبَةِ الْمَحْضَةِ لَا يَلِيقُ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ بِخِلَافِ صَاحِبِ وُجُودِ الْعَدَمِ فَإِنَّ تِلْكَ السِّرَايَةَ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّهِ.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ لَمَّا كَانَتْ تَابِعَةً لِلْقَلْبِ كَانَتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ أَيْضًا سَارِيَةً فِيهَا وَكَسَرَتْ سَوْرَتَهَا وَجَعَلَتْهَا مَغْلُوبَةً وَلَكِنَّهَا مَا بَلَغَتْ حَدَّ الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ فَيُمْكِنُ الرُّجُوعُ عَنْهُ إِذِ الْمَغْلُوبُ قَدْ يَغْلِبُ بِعُرُوضِ بَعْضِ الْعَوَارِضِ وَلُحُوقِ بَعْضِ الْمَوَانِعِ وَالزَّائِلُ لَا يَعُودُ كَمَا مَرَّ.

(وَاعْلَمْ) أَنَّ بَعْضَ الْمَشَائِخِ مِنْ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعَلِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ قَدْ أَطْلَقُوا الْفَنَاءَ وَالْبَقَاءَ عَلَى الْإِسْتِهْلَاكِ وَالْإِضْمِحْلَالِ الْمَذْكُورِ وَالْبَقَاءِ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ وَأَثْبَتُوا التَّجَلِّيَ وَالشُّهُودَ الذَّاتِيَّيْنِ أَيْضًا فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ وَقَالُوا لِهَذَا الْبَاقِي وَاصِلًا وَقَالُوا بِتَحَقُّقِ يَادْدَاشْتْ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ دَوَامِ الْحُضُورِ مَعَ جَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَيْضًا وَكُلُّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ وَإِلَّا فَالْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ لَا يَكُونَانِ إِلَّا لِلْمُنْتَهِي الَّذِي هُوَ الْوَاصِلُ وَالتَّجَلِّي الَّذِي مَخْصُوصٌ بِهِ وَدَوَامُ الْحُضُورِ مَعَ اللهِ سُبْحَانَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمُنْتَهِي الْوَاصِلِ إِذْ هُوَ الَّذِي لَا رُجُوعَ لَهُ أَصْلًا وَأَمَّا الْإِطْلَاقُ الْأَوَّلُ فَهُوَ أَيْضًا صَحِيحٌ بِالْإِعْتِبَارِ الْمَذْكُورِ وَمُبْتَنٍ عَلَى وَجْهٍ وَجِيهٍ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ الْفِقْرَاتِ لِحَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ عُبَيْدِ اللهِ أَحْرَارْ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْأَقْدَسَ مِنْ إِطْلَاقِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالتَّجَلِّي وَالشُّهُودِ الذَّاتِيَّيْنِ وَالْوَصْلِ وَدَوَامِ الْحُضُورِ. قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ: إِنَّ مَبْنَى ذَلِكَ الْكِتَابِ الَّذِي عِبَارَةٌ عَنْ مَكْتُوبَاتٍ وَرَسَائِلَ مُرْسَلَةٍ إِلَى بَعْضِ مُخْلِصِيهِ عَلَى دِرَايَةِ مَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَكَلِّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ مُرَاعًى فِيهِ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَيْضًا رِسَالَةُ سِلْسِلَةِ الْأَحْرَارِ الْوَاقِعَةِ عَلَى طَرِيقِ كَلَامِ حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ وَالرُّبَاعِيَّاتِ الْمَشْرُوحَةِ الَّتِي كَتَبَهَا حَضْرَةُ شَيْخِنَا مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْبَاقِي سَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَهَذَا الْبَقَاءُ بَلْ جَمِيعُ مَا هُوَ وَاقِعٌ فِي طَرَفِ الْجَذْبَةِ نَاظِرٌ إِلَى

تَوْحِيد الْوُجُودِ وَلِهَذَا بَيَّنَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ حَقَّ الْيَقِينِ عَلَى نَهْجٍ مَآلُهُ إِلَى التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَهَذَا الْبَيَانُ أَوْقَعَ الْبَعْضَ فِي اشْتِبَاهٍ أَنَّ حَقَّ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِمْ وَمُخْتَصٌّ بِهِمْ عِبَارَةٌ عَنِ التَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَانْجَرَّ ذَلِكَ إِلَى الطَّعْنِ وَالتَّشْنِيعِ وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا حَقُّ الْيَقِينِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِمُ الَّذِي بَيَّنَهُ بَعْضُ الْمَشَايِخِ حَاصِلٌ فِي جِهَةِ الْجَذْبَةِ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ مُنَاسِبَةٌ لِهَذَا الْمَقَامِ وَالتَّجَلِّي الصُّورِيُّ شَيْءٌ آخَرُ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِهِ وَأَطْلَقُوا دَوَامَ الْحُضُورِ عَلَى مَرْتَبَةِ شُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي مِرْآةِ الْكَثْرَةِ عَلَى نَهْجٍ تَكُونُ الْمِرْآةُ مُخْتَفِيَةً بِالتَّمَامِ وَلَا يَبْقَى الْمَشْهُودُ غَيْرَ الْوَجْهِ الْبَاقِي أَصْلًا لِرُؤْيَتِهِمْ هَذَا الْمَقَامَ مُنَاسِبًا لِيَادْدَاشْت يَعْنِي دَوَامَ الْحُضُورِ وَيَقُولُونَ لِهَذَا الشُّهُودِ تَجَلِّيًا ذَاتِيًّا أَيْضًا وَشُهُودًا ذَاتِيًّا وَيُقَالُ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَامُ الْإِحْسَانِ وَعَبَّرُوا عَنْ ذَلِكَ الْإِسْتِهْلَاكِ وَالْإِضْمِحْلَالِ بِالْوَصْلِ، (ع) **أَنْتَ غَيْبٌ فِيهِ وَذَا عَيْنُ الْوِصَالِ** *

وَهَذَا الْإِصْطِلَاحُ مَخْصُوصٌ بِحَضْرَةِ نَاصِرِ الدِّينِ الْخَوَاجَةِ عُبَيْدِ اللهِ أَحْرَارْ قُدِّسَ سِرُّهُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَذَا الْإِصْطِلَاحِ أَحَدٌ مِنَ الْمَشَايِخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، (ع) **وَجَمِيعُ مَا فَعَلَ الْمَلِيحُ مَلِيحٌ** * وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ أَنَّ اللِّسَانَ مِرْآةُ الْقَلْبِ وَالْقَلْبَ مِرْآةُ الرُّوحِ وَالرُّوحَ مِرْآةُ الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْحَقِيقَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِرْآةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالْحَقَائِقُ الْغَيْبِيَّةُ تَصِلُ إِلَى اللِّسَانِ مِنْ غَيْبِ الذَّاتِ بِقَطْعِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ وَمِنْهُ تَقْبَلُ صُورَةَ اللَّفْظِ وَتَصِلُ إِلَى مَسَامِعِ الْمُسْتَعِدِّينَ لِلْحَقَائِقِ وَقَالَ أَيْضًا: كُنْتُ فِي مُلَازَمَةِ بَعْضِ الْأَكَابِرِ مُدَّةً فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِشَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ كُلَّمَا أَكْتُبُهُ يَكُونُ جَدِيدًا لَا قَدِيمًا. وَثَانِيهِمَا أَنَّ كُلَّمَا أَقُولُ يَكُونُ مَقْبُولًا لَا مَرْدُودًا وَيُفْهَمُ مِنْ كَلِمَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ هَذِهِ جَلَالَةُ شَأْنِهِ وَعُلُوُّ مَنْزِلَةِ مَعَارِفِهِ وَاتَّضَحَ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْبَيْنِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ يَعْنِي لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي صُدُورِهَا عَنْهُ وَإِنَّمَا ظَهَرَتْ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْإِنْعِكَاسِ وَلَيْسَ وَظِيفَتُهُ وَدَخْلُهُ فِيهَا غَيْرَ الْمِرْآتِيَّةِ لَهَا وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ عُلُوِّ دَرَجَةٍ وَمَنْزِلَةِ الْكَمَالِ وَأَنْشَدَ هَذِهِ الْمَثْنَوِيَّاتِ، شِعْرٌ:

كَانَ كُلُّ النَّاسِ أَصْحَابِي عَلَى *** ظَنِّهِمْ وَالْقَلْبُ بِالسِّرِّ اخْتَلَى

لَمْ يَكُنْ سِرِّي بَعِيدًا مِنْ أَنِي *** نِي وَلَكِنْ أَيْنَ فَهْمٌ لِلدَّنِيّ

وَسَيَكْتُبُ هَذَا الْحَقِيرُ نُبْذَةً مِنْ حَقِيقَةِ عُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ فِي آخِرِ هَذَا الْمَكْتُوبِ عَلَى مِقْدَارِ فَهْمِهِ الْقَاصِرِ وَالْأَمْرُ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَإِذَا شَرَّفَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ عِنَايَتِهِ بَعْدَ حُصُولِ الْجَذْبَةِ وَتَمَامِ تِلْكَ الْجِهَةِ بِنِعْمَةِ السُّلُوكِ يُمْكِنُ أَنْ يَقْطَعَ بِمَدَدِ الْجَذْبَةِ الْمَسَافَةَ الْبَعِيدَةَ الَّتِي قَدَّرُوهَا ﴿بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1] وَفِي قَوْلِهِ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[2] رَمْزٌ إِلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فِي مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ وَأَنْ يَصِلَ إِلَى حَقِيقَةِ الْفَنَاءِ فِي اللهِ وَالْبَقَاءِ بِاللهِ وَمُنْتَهَى السُّلُوكِ وُصُولُ السَّالِكِ إِلَى نِهَايَةِ السَّيْرِ

---

(١) الآية: ٤ من سورة المعارج.

(٢) الآية: ٤ من سورة المعارج.

إلى اللّٰه الّذي هُوَ مُعَبّرٌ عَنْهُ بالفَناء المُطلَقِ وبَعْدَ ذلكَ أيضًا مَقامُ الجَذبَةِ الّذي عَبّرُوا عَنْهُ بالسَّيْرِ في اللّٰه، وَالبَقاء باللّٰه وَالسَّيْرُ إلى اللّٰه عبارَةٌ عَنِ السَّيْرِ إلى الإسْمِ الّذي السَّالكُ مَظْهَرُهُ وَالسَّيْرُ في اللّٰه سَيْرٌ في ذلكَ الإسْمِ فإنَّ كُلَّ اسْمٍ جامِعٌ لأسْماء غَيْرِ مُتَناهيَة فيَكونُ السَّيْرُ فيه أيضًا غَيْرَ مُتَناه ولهَذا الدَّرْويش في هَذا المَقام مَعْرِفَةٌ خاصَّةٌ وَسَتُذْكَرُ إنْ شاءَ اللّٰهُ تَعالَى عَنْ قَريب وَهَذا الإسْمُ في مَراتِب العُرُوجِ فَوْقَ العَيْنِ الثّابتَة فإنَّ العَيْنَ الثّابتَةَ للسّالك ظلُّ ذلكَ الإسْمِ وَصورَتُهُ العلْميَّةُ وَالجَماعَةُ المَخْصُوصَةُ بفَضْلِ الحَقِّ سُبْحانَهُ يَعْرُجُونَ منْ هَذا الإسْمِ أيضًا وَيَترَقَّوْنَ إلى ما شاءَ اللّٰهُ بلا نِهايَة، شعْرٌ:

وَمنْ بَعْد هَذا يَدقُّ بَيانُهُ *** وَما كَتَمهُ أحْظَى لَدَيَّ وَأجْمَلُ

وَالواصلُونَ منْ سائر أرْباب السُّلُوك وَإنْ كانُوا مُشاركينَ لَهُمْ في الجهَة الثّانيَة وَمُتَحَقّقُونَ بالفَناء في اللّٰه وَالبَقاء باللّٰه وَلَكنَّ المَسافَةَ الّتي يَقطَعُها أرْبابُ السُّلُوك بالرّياضات وَالمُجاهَدات وَيَصلُونَ إلى مُنْتَهاها في أزْمنَة طَويلَة يَقْطَعُها أكابرُ هَذه السِّلْسلَة العَليَّة بالتِذاذ دَوْلَة الشُّهُود وَذَوْق وِجْدان المَقْصُود في أزْمنَة قَليلَة وَيَصلُونَ إلى كَعْبَة المَطْلوب ثُمَّ بَعْدَ الوُصُول يَحْصُلُ لَهُمْ تَرَقّياتٌ غَيْرُ مُتَناهيَة وَالمُنْتَهُونَ منْ أرْباب السُّلُوك قَليلُو النَّصيب منْ ذلكَ التَّرَقّي وَالقُرْب فإنَّ تَقَدُّمَ الجَذبَة عَلَى السُّلُوك يَسْتَدْعي نَحْوًا منَ المَحْبُوبيَّة فإنَّهُ ما لَمْ يَكُنْ مُرادًا لا يَحْصُلُ لَهُ جَذْبٌ فإذا الجَذْبُ يَقَعُ أقْرَبَ ألْبَتَّة وَيَحْصُلُ لَهُ زيادَةُ القُرْب وَالفَرْقُ بَيْنَ المُراد وَغَيْر المُراد كَثيرٌ (ذلكَ فَضْلُ اللّٰه يُؤْتيه مَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ ذُو الفَضْلِ العَظيم)[1] مَثْنَويٌّ، شعْرٌ:

عشْقُ مَعْشُوقٍ خَفيٌّ وَستيرٌ *** عشْقُ عُشّاقٍ بطَبْلٍ وَنَفير

غَيْرَ أنَّ الثّاني مُضْنٍ للبَدَن *** عشْقُ مَعْشُوقٍ مَزيدٌ في السِّمَن

فإنْ قيلَ: إنَّ المُرادينَ منْ سائر السَّلاسلِ أيضًا شُرَكاءُ لَهُمْ في هَذا التَّرَقّي وَالقُرْب فإنَّ الجَذبَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى سُلُوكهمْ فَما يَكُونُ مَزيَّةُ هَذا الطَّريق عَلَى غَيْره منَ الطُّرُق وَلأيّ شَيْءٍ يُقالُ لَهُ إنَّهُ أقْرَبُ الطُّرُق؟

أُجيبَ: أنَّ سائرَ الطُّرُق لَيْسَتْ بمَوْضُوعَة لحُصُول هَذا المَعْنَى بَلْ تَحْصُلُ هَذه الدَّوْلَةُ لبَعْضهمْ عَلَى سَبيلِ الإتّفاق وَهَذا الطَّريقُ مَوْضُوعٌ لحُصُول هَذا المَعْنَى وَ يادداشْتُ الّذي يَقَعُ في عبارات أكابر هَذه السِّلْسلَة العَليَّة يُتَصَوَّرُ بَعْدَ تَحَقُّق كلا جهَتَي الجَذبَة وَالسُّلُوك، وَإطْلاقُ النّهايَة عَلَيْه باعْتبار نِهايَة مَراتب الشُّهُود وَالحُضُور وَإلاّ فالنّهايَةُ المُطْلَقَةُ وَراءَ الوَراء. وَتَفْصيلُهُ أنَّ الشُّهُودَ إمّا في مرْآة الصُّورَة أوْ في مرْآة المَعْنَى أوْ فيما وَراءَ الصُّورَة وَالمَعْنَى وَقالُوا لهَذا الشُّهُود العاري عَن الحجاب يَعْني حجابَ الصُّورَة وَالمَعْنَى بَرْقيًّا يَعْني أنَّ حُصُولَ هَذا الشُّهُود كالبَرْق ثُمَّ يَكُونُ في الحجاب فإذا حَصَلَ لهَذا الشُّهُود بمَحْض فَضْلِ الحَقّ سُبْحانَهُ دَوامٌ وَخَرَجَ عَنْ مَضيق الحُجُب بالتَّمام يُعَبّرُونَ عَنْهُ حينَئذ بيادداشْتْ الّذي هُوَ حُضُورٌ

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

بِلاَ غَيْبَةٍ فَإِنَّ الشُّهُودَ مَادَامَ يَحْتَجِبُ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ دَوَامُ عَدَمِ الإِحْتِجَابِ لاَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ يَادْدَاشْت. وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ وَاصِلٍ لاَ رُجُوعَ لَهُ حُضُورُهُ دَائِمِيٌّ وَلَكِنَّ سَرَيَانَ تِلْكَ النِّسْبَةِ فِي كُلِّيَّتِهِ كَالْبَرْقِ بِخِلاَفِ الْمَحْبُوبِينَ الَّذِينَ جَذْبَتُهُمْ مُقَدَّمَةٌ عَلَى سُلُوكِهِمْ فَإِنَّ هَذَا السَّرَيَانَ دَائِمِيٌّ فِيهِمْ وَكُلِّيَّتُهُمْ آخِذَةٌ لِحُكْمِ السِّرِّ وَعَامِلَةٌ عَمَلَ السِّرِّ كَمَا مَرَّتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ لاَنَتْ أَجْسَادُهُمْ كَمَا لاَنَتْ أَرْوَاحُهُمْ حَتَّى صَارَتْ ظَوَاهِرُهُمْ بَوَاطِنَهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ ظَوَاهِرَهُمْ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ فِي حُضُورِهِمْ لِلْغَيْبَةِ مَجَالٌ فَتَكُونُ هَذِهِ النِّسْبَةُ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ شَائِعَةٌ فِي كُتُبِهِمْ وَرَسَائِلِهِمْ لِهَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ النِّسْبَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْحُضُورِ، وَنِهَايَةُ مَرَاتِبِ الْحُضُورِ هِيَ أَنْ يَكُونَ الْحُضُورُ بِلاَ حِجَابٍ وَدَائِمًا وَتَخْصِيصُ مَشَائِخِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ هَذِهِ النِّسْبَةَ بِأَنْفُسِهِمْ بِاعْتِبَارِ وَضْعِ الطَّرِيقِ لِحُصُولِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ كَمَا مَرَّ وَإِلاَّ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ لِبَعْضِ أَكَابِرِ طُرُقٍ أُخَرَ أَيْضًا فَجَائِزٌ بَلْ وَاقِعٌ وَقَدْ أَظْهَرَ قُدْوَةُ أَكَابِرِ أَهْلِ اللهِ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ أَبُو الْخَيْرِ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ رَمْزًا مِنْ هَذَا الْحُضُورِ وَطَلَبَ تَحْقِيقَهُ مِنْ أُسْتَاذِهِ حَيْثُ سَأَلَهُ هَلْ يَكُونُ هَذَا الْحَدِيثُ دَائِمِيًّا؟ فَقَالَ الأُسْتَاذُ فِي جَوَابِهِ: لاَ يَكُونُ فَأَعَادَ الشَّيْخُ الْمَسْأَلَةَ ثَانِيًا وَوَجَدَ الْجَوَابَ الأَوَّلَ ثُمَّ كَرَّرَ السُّؤَالَ ثَالِثًا فَقَالَ أُسْتَاذُهُ فِي جَوَابِهِ: فَإِنْ كَانَ فَنَادِرٌ فَرَقَصَ الشَّيْخُ وَقَالَ هَذَا مِنْ تِلْكَ النَّوَادِرِ. وَمَا قُلْتُ مِنْ أَنَّ النِّهَايَةَ الْمُطْلَقَةَ وَرَاءَ الْوَرَاءِ فَبَيَانُهُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ الْعُرُوجُ بَعْدَ تَحَقُّقِ هَذَا الْحُضُورِ يَقَعُ السَّالِكُ فِي لُجَّةِ الْحَيْرَةِ وَيَخْلُفُ هَذَا الْحُضُورَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ كَسَائِرِ مَرَاتِبِ الْعُرُوجِ وَهَذِهِ الْحَيْرَةُ هِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْحَيْرَةِ الْكُبْرَى الْمَخْصُوصَةِ بِالأَكَابِرِ كَمَا وَقَعَ فِي كُتُبِ الْقَوْمِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، شِعْرٌ:

حسن تومرا كرد چنان زير وزبر *** كزخال وخط وزلف توام نيست خبر

مَضْمُونُهُ:

نَسِيتُ الْيَوْمَ مِنْ عِشْقِي صَلاَتِي *** فَلاَ أَدْرِي غَدَائِي مِنْ عَشَائِي

وَقَالَ الآخَرُ: (شِعْرٌ)

تَعَالَى الْعِشْقُ عَنْ كُفْرٍ وَدِينِ *** كَذَاكَ عَنِ التَّشَكُّكِ وَالْيَقِينِ

رَأَيْتُ الْعَقْلَ مَقْرُونًا بِكُفْرٍ *** وَذِي دِينٍ وَشَكٍّ وَالْيَقِينِ

فَجُزْتُ عَوَالِمًا مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ *** فَلَمْ أَرَ بَعْدُ مِنْ كُفْرٍ وَدِينِ

وَكُلُّ الْكَوْنِ سَدَّكَ فِي طَرِيقٍ *** أَرَى ذَا سَدَّ يَأْجُوجَ بِعَيْنِ

وَقَالَ الآخَرُ مِنَ الأَعِزَّةِ (شِعْرٌ)

وَقَدْ سَارُوا وَطَارُوا نَحْوَ أَوْجٍ *** فَعَادُوا صِفْرَ جَيْبٍ وَالْيَدَيْنِ

وَبَعْدَ حُصُولِ هَذِهِ الْحَيْرَةِ مَقَامُ الْمَعْرِفَةِ وَمَنْ ذَا يُشَرَّفُ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ وَمَنْ ذَا يَحْتَظُّ بِالإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ بَعْدَ الْكُفْرِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الْحَيْرَةِ وَنِهَايَةُ مَطْلُوبِ الْمُحَقِّقِينَ فِي هَذَا الإِيمَانِ وَمَقَامُ الدَّعْوَةِ وَكَمَالُ

مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى وَفْقِ قَوْلِهِ تَعَالَى (أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) فِي هَذَا الْمَقَامِ وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْلُبُ هَذَا الإِيمَانَ حَيْثُ قَالَ فِي دُعَائِهِ "اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ"[1] وَكَانَ يَسْتَعِيذُ مِنَ الْكُفْرِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ مَقَامُ الْحَيْرَةِ حَيْثُ قَالَ "أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ"[2].

وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ نِهَايَةُ مَرَاتِبِ حَقِّ الْيَقِينِ وَهَهُنَا لَيْسَ الْعِلْمُ وَالْعَيْنُ بَعْضُهُمَا حِجَابًا عَنْ بَعْضٍ، شِعْرٌ:

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا *** وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

(وَاعْلَمْ) أَرْشَدَكَ اللهُ أَنَّ جَذْبَةَ هَؤُلاَءِ الأَعِزَّةِ عَلَى نَوْعَيْنِ النَّوْعُ الأَوَّلُ: وَاصِلٌ مِنَ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَبِهَذَا الإِعْتِبَارِ يُنْسَبُ طَرِيقُهُمْ إِلَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحُصُولُ هَذَا النَّوْعِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْوَجْهِ الْخَاصِّ الَّذِي هُوَ قَيُّومُ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَالإِسْتِهْلاَكِ وَالإِضْمِحْلاَلِ فِيهِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مَبْدَأُ ظُهُورِهِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدْ وَهُوَ يَنْبَعِثُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ وَوَصَلَتْ تِلْكَ الْجَذْبَةُ مِنْ حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ إِلَى أَوَّلِ خُلَفَائِهِ الْخَوَاجَهْ عَلاَءِ الدِّينِ وَلَمَّا كَانَ هُوَ قُطْبَ الإِرْشَادِ فِي وَقْتِهِ وَضَعَ طَرِيقًا أَيْضًا لِحُصُولِ هَذِهِ الْجَذْبَةِ وَذَلِكَ الطَّرِيقُ مَشْهُورٌ فِيمَا بَيْنَ خُلَفَاءِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ بِالْعَلاَئِيِّ وَرُبَّمَا يَقَعُ فِي عِبَارَاتِهِمْ أَنَّ أَقْرَبَ الطُّرُقِ الطَّرِيقَةُ الْعَلاَئِيَّةُ وَأَصْلُ هَذِهِ الْجَذْبَةِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدْ وَلَكِنْ وَضْعُ الطَّرِيقِ لِتَحْصِيلِهَا مَخْصُوصٌ بِالْخَوَاجَهْ عَلاَءِ الدِّينِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمَا وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ كَثِيرُ الْبَرَكَةِ وَقَلِيلُهُ أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرِ طُرُقِ الآخَرِينَ وَخُلَفَاءُ مَشَايِخِ الْعَلاَئِيَّةِ وَالأَحْرَارِيَّةِ مُشَرَّفُونَ وَمُحْتَظُّونَ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى وَيُرَبُّونَ الطَّالِبِينَ بِهَذَا الطَّرِيقِ نَالَ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الْعُظْمَى مِنْ مَوْلاَنَا يَعْقُوبَ الْجَرْخِيِّ عَلَيْهِمَا الرِّضْوَانُ وَهُوَ مِنْ خُلَفَاءِ الْخَوَاجَهْ عَلاَءِ الدِّينِ.

(وَالنَّوْعُ الأَوَّلُ) مِنَ الْجَذْبَةِ الَّذِي هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وُضِعَ لِحُصُولِهِ طَرِيقٌ عَلَى حِدَةٍ وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ الْوُقُوفُ الْعَدَدِيُّ وَالسُّلُوكُ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بَعْدَ هَذِهِ الْجَذْبَةِ أَيْضًا عَلَى نَوْعَيْنِ بَلْ عَلَى أَنْوَاعٍ نَوْعٌ بَلَغَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَقْصُودَهُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، وَخَاتَمُ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَيْضًا وَصَلَ مِنْ مَوْطِنِ الْجَذْبَةِ بِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَمَّا كَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُتَخَلِّقًا بِكَمَالِ الأَخْلاَقِ الَّذِي كَانَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَانِيًا فِيهِ خُصَّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَصْحَابِ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بِخُصُوصِيَّةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَهَذِهِ النِّسْبَةُ أَعْنِي نِسْبَةَ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ الْمَذْكُورَيْنِ الآنَ وَصَلَتْ إِلَى الإِمَامِ جَعْفَرَ الصَّادِقِ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ وَلَمَّا كَانَتْ وَالِدَةُ الإِمَامِ مِنْ بَنَاتِ أَوْلاَدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

[1] رواه الترمذي ومحمد ابن نصر المروزي والطبراني والبيهقي في كتاب الدعوات عن انس رضي الله عنه

[2] رواه البيهقي والحاكم وصححه عن انس رضي الله عنه واقروا بتصحيحه (القزان رحمة الله عليه)

قَالَ الْإِمَامُ بِمُلاَحَظَةِ كِلاَ الْإِعْتِبَارَيْنِ وَلَدَنِي أَبُو بَكْرٍ مَرَّتَيْنِ وَحَيْثُ كَانَ الْإِمَامُ أَخَذَ نِسْبَةً عَلَى حِدَةٍ مِنْ آبَائِهِ الْكِرَامِ صَارَ جَامِعًا كِلاَ هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ وَجَمَعَ تِلْكَ الْجَذْبَةَ مَعَ سُلُوكِهِمْ وَوَصَلَ إِلَى الْمَقْصُودِ بِهَذَا السُّلُوكِ وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ السُّلُوكَيْنِ هُوَ أَنَّ سُلُوكَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ يُقْطَعُ بِالسَّيْرِ الْآفَاقِيِّ وَسُلُوكُ الصِّدِّيقِ لاَ يَتَعَلَّقُ بِالْآفَاقِ كَثِيرًا وَيُشَبَّهُ بِنَقْبِ نُقْبَةٍ مِنْ مَوْطِنِ الْجَذْبَةِ إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى الْمَقْصُودِ.

وَفِي السُّلُوكِ الْأَوَّلِ تَحْصِيلُ الْمَعَارِفِ وَفِي الثَّانِي غَلَبَةُ الْمَحَبَّةِ فَلاَ جَرَمَ كَانَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ بَابَ مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَكَانَ لِلصِّدِّيقِ قَابِلِيَّةُ خُلَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "لَوْ كُنْتُ[1] مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً"

وَحَصَّلَ الْإِمَامُ بِاعْتِبَارِ جَامِعِيَّتِهِ لِلْجَذْبَةِ الَّتِي مَبْنَاهَا الْمَحَبَّةُ وَجِهَةِ السُّلُوكِ الْآفَاقِيِّ الَّذِي هُوَ مَنْشَأُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ نَصِيبًا وَافِرًا مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ ثُمَّ فَوَّضَ الْإِمَامُ هَذِهِ النِّسْبَةَ الْمُرَكَّبَةَ بِطَرِيقِ الْوَدِيعَةِ إِلَى سُلْطَانِ الْعَارِفِينَ وَكَأَنَّهُ حَمَلَ ثِقَلَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ عَلَى ظَهْرِهِ لِيُسَلِّمَهَا إِلَى أَهْلِهَا بِالتَّدْرِيجِ وَوَجَّهَ عِنَانَ تَوَجُّهِهِ إِلَى جَانِبٍ آخَرَ لَمْ تَكُنْ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِتِلْكَ النِّسْبَةِ قَبْلَ تَحَمُّلِ تِلْكَ الْأَمَانَةِ وَفِي هَذَا التَّحْمِيلِ أَيْضًا حِكَمٌ كَثِيرَةٌ وَإِنْ كَانَ نَصِيبُ الْحَامِلِينَ مِنْهَا قَلِيلاً وَلَكِنْ لَهَا نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ أَنْوَارِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ كَمَا أَنَّ نَوْعًا مِنَ السُّكْرِ مَثَلاً الَّذِي هُوَ مُنْدَمِجٌ وَمُمْتَزِجٌ فِيهَا مِنْ آثَارِ أَنْوَارِ سُلْطَانِ الْعَارِفِينَ وَهَذَا السُّكْرُ يَجْعَلُ الْمُبْتَدِئَ غَائِبًا عَنِ الْحِسِّ وَيُورِثُهُ عَدَمَ الشُّعُورِ ثُمَّ يَسْتَتِرُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّدْرِيجِ بِاعْتِبَارِ غَلَبَةِ الصَّحْوِ تَكُونُ هَذِهِ النِّسْبَةُ مُنْدَمِجَةً فِي مَرَاتِبِ الصَّحْوِ فَفِي الظَّاهِرِ صَحْوٌ وَفِي الْبَاطِنِ سُكْرٌ وَهَذَا الْبَيْتُ فِي بَيَانِ حَالِهِمْ، شِعْرٌ:

بِقَلْبِكَ صَاحِبْنَا وَجَانِبْ بِظَاهِرٍ *** وَذَا السَّيْرُ فِي الدُّنْيَا قَلِيلُ النَّظَائِرِ

وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ أَخَذَتْ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَكَابِرِ نُورًا وَوَصَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا وَهُوَ الْعَارِفُ الرَّبَّانِيُّ الْخَوَاجَهْ عَبْدُ الْخَالِقِ الْغُجْدُوَانِيُّ رَأْسُ حَلْقَةِ سِلْسِلَةِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَصَلَتْ لِتِلْكَ النِّسْبَةِ طَرَاوَةٌ كُلِّيَّةٌ وَبَرَزَتْ فِي عَرْصَةِ الظُّهُورِ ثُمَّ صَارَ جَانِبُ السُّلُوكِ الْآفَاقِيِّ مُخْتَفِيًا بَعْدَهُ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ وَصَارُوا يَسْلُكُونَ طُرُقًا أُخَرَ بَعْدَ حُصُولِ الْجَذْبَةِ وَيَعْرُجُونَ مِنْهَا وَلَمَّا جَاءَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْأَقْدَسَ إِلَى عَالَمِ الظُّهُورِ ظَهَرَتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ ثَانِيًا بِتِلْكَ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ الْآفَاقِيِّ وَصَارَ هُوَ بِهَذَيْنِ الْجِهَتَيْنِ جَامِعًا لِكَمَالِ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَمَعَ وُجُودِ ذَلِكَ الْقِسْمِ الْوَاحِدِ مِنَ الْجَذْبَةِ أُعْطِيَ قِسْمًا آخَرَ مِنْهَا أَيْضًا مُنْبَعِثًا مِنْ طَرِيقِ الْمَعِيَّةِ كَمَا مَرَّ وَحَصَلَ مِنْ كَمَالاَتِهِ نَصِيبٌ وَافِرٌ لِنَائِبِ مَنَابِهِ أَعْنِي حَضْرَةَ الْخَوَاجَهْ عَلاَءَ الْحَقِّ وَالدِّينِ وَتَشَرَّفَ بِدَوْلَةِ كِلاَ الْجَذْبَتَيْنِ وَالسُّلُوكِ الْآفَاقِيِّ وَبَلَغَ مَقَامَ قُطْبِيَّةِ الْإِرْشَادِ وَكَذَلِكَ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ پَارْسَا قُدِّسَ سِرُّهُ حَازَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ كَمَالاَتِهِ قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ فِي

---

[1] قوله لو كنت متخذا خليلا الحديث. رواه البخاري عن ابن عباس وهو واحد عن الزبير بن العوام رضي الله عنهم. (التراز رحمة الله عليه)

آخِرِ حَيَاتِهِ فِي حَقِّهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى فَلْيَنْظُرْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَنُقِلَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: اَلْمَقْصُودُ مِنْ وُجُودِ بَهَاءِ الدِّينِ وُجُودُ مُحَمَّدٍ وَمَعَ وُجُودِ هَذِهِ الْكَمَالاَتِ فِي خَوَاجَهْ بَارِسَا مَنَحَهُ الْخَوَاجَهْ عَارِفُ الدِّيكُ كَرَانِيّ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ نِسْبَةَ الْفَرْدِيَّةِ وَهَذِهِ النِّسْبَةُ صَارَتْ مَانِعَةً لَهُ مِنَ الْمَشْيَخَةِ وَتَكْمِيلِ الطَّلَبَةِ وَإِلاَّ كَانَ لَهُ فِي الْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ دَرَجَةٌ عُلْيَا قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ فِي شَأْنِهِ: لَوْ رَبَّى هُوَ الْمُرِيدِينَ لَيُنَوِّرُ الْعَالَمَ مِنْهُ وَوَجَدَ مَوْلاَنَا عَارِفُ هَذِهِ النِّسْبَةَ أَعْنِي نِسْبَةَ الْفَرْدِيَّةِ مِنْ وَالِدِ زَوْجَتِهِ مَوْلاَنَا بَهَاءِ الدِّينِ يَعْنِي الْقِشْلاَقِيَّ. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ وَجْهَ الْفَرْدِيَّةِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالتَّمَامِ لاَ تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَشْيَخَةِ وَالتَّكْمِيلِ وَالدَّعْوَةِ فَإِنِ اجْتَمَعَتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ مَعَ نِسْبَةِ قُطْبِيَّةِ الْإِرْشَادِ الَّتِي هِيَ مَقَامُ دَعْوَةِ الْخَلْقِ وَتَكْمِيلِهِمْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ: فَإِنْ كَانَتْ نِسْبَةُ الْفَرْدِيَّةِ غَالِبَةً فَطَرَفُ الْإِرْشَادِ وَالتَّكْمِيلِ ضَعِيفٌ وَمَغْلُوبٌ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ وَإِلاَّ فَصَاحِبُ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ فِي حَدِّ الْاِعْتِدَالِ ظَاهِرُهُ مَعَ الْخَلْقِ بِالتَّمَامِ وَبَاطِنُهُ مَعَ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَالدَّرَجَةُ الْعُلْيَا فِي مَقَامِ دَعْوَةِ الْخَلْقِ لِصَاحِبِ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ. وَنِسْبَةُ قُطْبِيَّةِ الْإِرْشَادِ وَإِنْ كَانَتْ وَحْدَهَا كَافِيَةً فِي الدَّعْوَةِ وَلَكِنْ لِهَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَرْتَبَةٌ عَلَى حِدَةٍ، نَظَرُهُمْ شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ وَصُحْبَتُهُمْ دَافِعَةٌ لِلْأَخْلاَقِ الْغَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ وَكَانَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ جُنَيْدٌ مُسْتَسْعِدًا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ وَمُشَرَّفًا بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ حَصَلَتْ لَهُ نِسْبَةُ الْقُطْبِيَّةِ مِنْ شَيْخِهِ السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ وَنِسْبَةُ الْفَرْدِيَّةِ مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْقَصَّابِ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ أَنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَنِي مُرِيدَ السَّرِيِّ أَنَا مُرِيدُ مُحَمَّدٍ الْقَصَّابِ جَعَلَ نِسْبَةَ الْفَرْدِيَّةِ غَالِبَةً وَنَسِيَ نِسْبَةَ الْقُطْبِيَّةِ وَرَآهَا مَعْدُومَةً فِي جَنْبِهَا. وَبَعْدَ خُلَفَاءِ الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدِ كَانَ سِرَاجُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَلِيَّةِ حَضْرَةُ الْخَوَاجَهْ عُبَيْدُ اللهِ أَحْرَارُ قُدِّسَ سِرُّهُ تَوَجَّهَ إِلَى السَّيْرِ الْآفَاقِيِّ بَعْدَ إِتْمَامِ جَذْبَةِ خَوَاجَكَانْ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَوْصَلَ السَّيْرَ إِلَى الْاِسْمِ وَحَصَلَ لَهُ الْاِسْتِهْلاَكُ وَالْفَنَاءُ فِيهِ قَبْلَ دُخُولِهِ إِلَى الْاِسْمِ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْطِنِ الْجَذْبَةِ وَحَصَلَ لَهُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ اسْتِهْلاَكٌ وَاضْمِحْلاَلٌ خَاصٌّ وَوَجَدَ الْبَقَاءَ أَيْضًا فِي تِلْكَ الْجِهَةِ وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ وَمَا تَيَسَّرَ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ تَيَسَّرَ لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَإِنْ كَانَ فِي الْعُلُومِ تَفَاوُتٌ بِوَاسِطَةِ تَغَايُرِ الْجِهَتَيْنِ وَمِنَ التَّفَاوُتِ إِثْبَاتُ تَوْحِيدِ الْوُجُودِ وَعَدَمُهُ وَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ أُمُورٍ مُنَاسِبَةٍ لِلتَّوْحِيدِ الْمَذْكُورِ مِنَ الْإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ وَالْمَعِيَّةِ الذَّاتِيَّاتِ وَشُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ مَعَ اكْتِفَاءِ الْكَثْرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ بِحَيْثُ لاَ يَرْجِعُ كَلِمَةُ أَنَا إِلَى السَّالِكِ أَصْلاً وَأَمْثَالُ ذَلِكَ بِخِلاَفِ الْعُلُومِ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَى الْبَقَاءِ الَّذِي بَعْدَ الْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ بَلْ هِيَ مُطَابِقَةٌ لِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ حَقِيقَةً غَيْرُ مُحْتَاجَةٍ إِلَى التَّمَحُّلاَتِ وَالتَّكَلُّفَاتِ وَالْأَسْئِلَةِ وَالْأَجْوِبَةِ وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ الْبَقَاءَ فِي جِهَةِ الْجَذْبَةِ أَيَّ جَذْبَةٍ كَانَتْ لاَ يُخْرِجُ السَّالِكَ مِنَ السُّكْرِ وَلاَ يُدْخِلُهُ فِي الصَّحْوِ وَلِهَذَا لاَ يَرْجِعُ أَنَا إِلَى السَّالِكِ الْبَاقِي مَعَ وُجُودِ الْبَقَاءِ وَلاَ تَقَعُ الْإِشَارَةُ عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي الْجَذْبَةِ غَلَبَةَ الْمَحَبَّةِ، وَغَلَبَةُ الْمَحَبَّةِ يَلْزَمُهَا السُّكْرُ لاَ يَنْفَكُّ عَنْهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَلِهَذَا تَكُونُ عُلُومُهَا مُمْتَزِجَةً بِالسُّكْرِ يَعْنِي بِالْمَعَارِفِ السُّكْرِيَّةِ كَالْقَوْلِ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ فَإِنَّ مَبْنَاهَا عَلَى السُّكْرِ وَغَلَبَةِ الْمَحَبَّةِ بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى فِي نَظَرِ الْمُحِبِّ سِوَى الْمَحْبُوبِ فَيَحْكُمُ بِنَفْيِ مَا سِوَاهُ فَإِنْ خَرَجَ مِنَ السُّكْرِ إِلَى الصَّحْوِ لاَ يَكُونُ شُهُودُ الْمَحْبُوبِ مَانِعًا عَنْ شُهُودِ مَا سِوَاهُ فَلاَ يَحْكُمُ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ وَالْبَقَاءِ الَّذِي بَعْدَ الْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ وَنِهَايَةِ

السُّلُوكِ فَهُوَ مَنْشَأُ الصَّحْوِ وَمَبْدَأُ الْمَعْرِفَةِ لاَ مَدْخَلَ لِلسُّكْرِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَمَا غَابَ عَنِ السَّالِكِ فِي حَالَةِ الْفَنَاءِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلُّهُ وَلَكِنْ مُنْصَبِغًا بِصِبْغِ الْأَصْلِ وَهُوَ الْمَعْنَى بِالْبَقَاءِ بِاللهِ فَبِالضَّرُورَةِ لاَ يَكُونُ لِلسُّكْرِ مَجَالٌ فِي عُلُومِ أَرْبَابِ هَذَا الْبَقَاءِ فَتَكُونُ عُلُومُهُمْ مُطَابِقَةً لِعُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَيْضًا إِنِّي سَمِعْتُ وَاحِدًا مِنَ الْأَعِزَّةِ يَقُولُ: إِنَّ حَضْرَةَ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ قُدِّسَ سِرُّهُ حَصَّلَ أَيْضًا نِسْبَةً مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ مِنْ طَرَفِ أُمِّهِ وَقَدْ كَانُوا أَصْحَابَ أَحْوَالٍ غَرِيبَةٍ وَجَذَبَاتٍ قَوِيَّةٍ وَكَانَ لِحَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ مَقَامِ الْأَقْطَابِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ تَأْيِيدُ الدِّينِ كَانَ مَرْبُوطًا بِهِمْ وَلَهُمْ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي الْمَحَبَّةِ وَحَصَلَ لَهُ تَأْيِيدُ الشَّرِيعَةِ وَنُصْرَةُ الدِّينِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَقَدْ ذَكَرْتُ ثَمَّةَ مِنْ أَحْوَالِهِ فِيمَا سَبَقَ ثُمَّ تَحَقَّقَ إِحْيَاءُ طَرِيقَةِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ وَإِشَاعَةُ آدَابِ هَؤُلاَءِ الْأَعِزَّةِ بَعْدَهُ خُصُوصًا فِي مَمَالِكِ الْهِنْدِ الَّتِي كَانَ أَهْلُهَا مَحْرُومِينَ مِنْ كَمَالاَتِهِمْ بِظُهُورِ مَعْدِنِ الْإِرْشَادِ وَمَنْبَعِ الْمَعَارِفِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ شَيْخِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الْبَاقِي سَلَّمَهُ اللهُ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَذْكُرَ نُبْذَةً مِنْ كَمَالاَتِهِ أَيْضًا فِي هَذَا الْمَكْتُوبِ وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يُفْهَمْ رِضَاؤُهُ فِي هَذَا الْبَابِ تَرَكْتُ الْجَرَاءَةَ عَلَيْهِ.

(٢٩١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى مَوْلاَنَا عَبْدِ الْحَيِّ فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَالشُّهُودِيِّ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنَ الْمَعَارِفِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْشَأَ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فِي جَمَاعَةٍ كَثْرَةُ مُمَارَسَتِهِ مُرَاقَبَاتِ التَّوْحِيدِ وَمُلاَحَظَةُ مَعْنَى لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ بِلاَ مَوْجُودَ إِلاَّ اللهُ وَتَعَقُّلُهُ كَذَلِكَ وَظُهُورُ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ التَّوْحِيدِ بَعْدَ التَّمَحُّلِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّخَيُّلِ بِوَاسِطَةِ اسْتِيلاَءِ سُلْطَانِ الْخَيَالِ فَإِنَّ مِنْ كَثْرَةِ مُزَاوَلَةِ مَعْنَى التَّوْحِيدِ تَنْتَقِشُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ فِي الْمُتَخَيِّلَةِ وَحَيْثُ كَانَتْ مَجْعُولَةً بِجَعْلِ الْجَاعِلِ تَكُونُ مَعْلُولَةً أَلْبَتَّةَ وَلَيْسَ صَاحِبُ هَذَا التَّوْحِيدِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ أَرْبَابَ الْأَحْوَالِ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ وَلاَ خَبَرَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَنْ مَقَامِ الْقَلْبِ بَلْ هُوَ عِلْمِيٌّ لاَ غَيْرُ بَلْ لِلْعِلْمِ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَمَنْشَأُ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فِي جَمَاعَةٍ أُخْرَى الْاِنْجِذَابُ وَالْمَحَبَّةُ الْقَلْبِيَّةُ حَيْثُ اشْتَغَلُوا ابْتِدَاءً بِالْأَذْكَارِ وَالْمُرَاقَبَاتِ خَالِيَةً عَنْ تَخَيُّلِ مَعْنَى التَّوْحِيدِ وَبَلَغُوا بِالْجِدِّ وَالْجُهْدِ أَوْ بِمُجَرَّدِ سَبْقِ الْعِنَايَةِ مَقَامَ الْقَلْبِ وَحَصَّلُوا الْجَذْبَ فَإِنْ ظَهَرَ لَهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ جَمَالُ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فَسَبَبُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ غَلَبَةَ مَحَبَّةِ الْمَجْذُوبِ فَإِنَّهَا جَعَلَتْ مَا سِوَى الْمَحْبُوبِ مُخْتَفِيًا عَنْ نَظَرِهِمْ وَمَسْتُورًا فَإِذَا لَمْ يَرَوْا مَا سِوَى الْمَحْبُوبِ وَلَمْ يَجِدُوهُ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَعْلَمُونَ مَوْجُودًا غَيْرَ الْمَحْبُوبِ وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ التَّوْحِيدِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَمُنَزَّهٌ وَمُبَرًّا عَنْ عِلَّةِ التَّخَيُّلِ وَشَائِبَةِ التَّوَهُّمِ وَالْاِنْتِقَاشِ فِي الْخَيَالِ فَإِنْ رَجَعَتْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ إِلَى الْعَالَمِ يُشَاهِدُونَ مَحْبُوبَهُمْ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الْعَالَمِ وَيَرَوْنَ الْمَوْجُودَاتِ مَرَايَا حُسْنِ الْمَحْبُوبِ وَمَجَالِيَ جَمَالِهِ فَإِنْ تَوَجَّهُوا بِمَحْضِ فَضْلِ

الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ مِنْ مَقَامِ الْقَلْبِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ تَشْرَعُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِيَّةُ الْحَاصِلَةُ فِي مَقَامِ الْقَلْبِ فِي الزَّوَالِ وَكُلَّمَا صَعِدُوا فِي مَعَارِجِ الْعُرُوجِ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ حَتَّى تَبْلُغَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ حَدَّ الْإِنْكَارِ وَالطَّعْنِ فِي أَرْبَابِ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ مِثْلَ شَيْخِ رُكْنِ الدِّينِ أَبِي الْمَكَارِمِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ السِّمْنَانِيِّ وَلَا يَبْقَى لِبَعْضٍ آخَرَ شُغْلٌ بِنَفْيِ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ وَإِثْبَاتِهَا.

وَكَاتِبُ هَذِهِ السُّطُورِ يَتَحَاشَا مِنْ إِنْكَارِ أَرْبَابِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَيُبْعِدُ نَفْسَهُ عَنْ طَعْنِهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْإِنْكَارِ وَالطَّعْنِ مَجَالٌ إِذَا كَانَ لِأَرْبَابِ ذَلِكَ الْحَالِ حِينَ ظُهُورِهِ قَصْدٌ وَاخْتِيَارٌ وَهَذَا الْمَعْنَى ظَهَرَ فِيهِمْ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ وَصُنْعٍ مِنْهُمْ فَهُمْ مَغْلُوبُونَ لِذَلِكَ الْحَالِ فَيَكُونُونَ مَعْذُورِينَ أَلْبَتَّةَ وَلَا رَدَّ وَلَا طَعْنَ لِلْمُضْطَرِّ الْمَعْذُورِ وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ فَوْقَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مَعْرِفَةً أُخْرَى وَوَرَاءَ هَذَا الْحَالِ حَالَةً أُخْرَى وَالْمَحْبُوسُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَمْنُوعُونَ عَنْ كَمَالَاتٍ كَثِيرَةٍ وَمَحْرُومُونَ مِنْ مَقَامَاتٍ عَدِيدَةٍ وَقَدْ فُتِحَ لِهَذَا الْفَقِيرِ قَلِيلِ الْبِضَاعَةِ بَابُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ غَيْرِ مُمَارَسَةِ مَعْنَى التَّوْحِيدِ فِي ضِمْنِ الْمُرَاقَبَاتِ وَالْأَذْكَارِ بَلْ مِنْ غَيْرِ جِدٍّ وَجُهْدٍ بِفَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي مُلَازَمَةِ مَنْبَعِ الْهِدَايَةِ وَالْإِفَاضَةِ وَمَعْدِنِ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ الْمُسْتَفَاضَةِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ شَيْخِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْبَاقِي قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى سِرَّهُ الْأَقْدَسَ بَعْدَ تَعْلِيمِ الذِّكْرِ وَتَوَجُّهِهِ وَالْتِفَاتِهِ وَإِيصَالِهِ إِلَى مَقَامِ الْقَلْبِ وَأُعْطِيتُ فِي هَذَا الْمَقَامِ عُلُومًا غَزِيرَةً وَمَعَارِفَ كَثِيرَةً وَانْكَشَفَتْ دَقَائِقُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ وَبَقِيتُ مُدَّةً مَدِيدَةً فِي هَذَا الْمَقَامِ ثُمَّ أَخْرَجَتْ آخِرَ الْأَمْرِ مِنْ مَقَامِ الْقَلْبِ بِمَحْضِ عِنَايَتِهِ لِعَبْدِهِ وَتَوَجَّهَتْ هَذِهِ الْمَعَارِفُ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ نَحْوَ الزَّوَالِ حَتَّى صَارَتْ بِالتَّدْرِيجِ مَعْدُومَةً وَالْمَقْصُودُ مِنْ إِظْهَارِ الْأَحْوَالِ لِيُعْلَمَ أَنَّ مَا هُوَ الْمَسْطُورُ وَالْمَرْقُومُ مُحَرَّرٌ عَلَى وَجْهِ الذَّوْقِ وَالْكَشْفِ لَا عَلَى وَجْهِ الظَّنِّ وَالتَّقْلِيدِ وَمَا ظَهَرَ مِنْ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَعَارِفِ التَّوْحِيدِيَّةِ لَعَلَّهَا ظَهَرَتْ مِنْهُمْ فِي ابْتِدَاءِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ مَقَامِ الْقَلْبِ فَلَا يَلْحَقُهُمْ حِينَئِذٍ نَقْصٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ أَصْلًا وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الْفَقِيرُ أَيْضًا رَسَائِلَ فِي الْمَعَارِفِ التَّوْحِيدِيَّةِ وَلَمَّا نَشَرَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ تِلْكَ الرَّسَائِلَ تَعَسَّرَ جَمْعُهَا فَتُرِكَتْ عَلَى حَالِهَا وَإِنَّمَا يَلْزَمُ النَّقْصُ إِذَا لَمْ يُجَاوِزُوا هَذَا الْمَقَامَ. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ حَصَلَ لَهُمُ الْإِسْتِهْلَاكُ وَالْإِضْمِحْلَالُ فِي مَشْهُودِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَجُلُّ هِمَّتِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُضْمَحِلِّينَ وَمَعْدُومِينَ فِي مَشْهُودِهِمْ دَائِمًا وَأَنْ لَا يُرَى أَثَرٌ مِنْ لَوَازِمِ وُجُودِهِمْ وَيَرَوْنَ رُجُوعَ أَنَا إِلَى أَنْفُسِهِمْ كُفْرًا.

وَنِهَايَةُ الْأَمْرِ عِنْدَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْإِنْعِدَامُ حَتَّى يَرَوْنَ الْمُشَاهَدَةَ أَيْضًا تَعَلُّقًا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: أَشْتَهِي عَدَمًا لَا أَعُودُ أَبَدًا وَهُمْ قَتْلَى الْمَحَبَّةِ، وَحَدِيثُ "مَنْ قَتَلَتْهُ مَحَبَّتِي فَأَنَا دِيَتُهُمْ" صَادِقٌ فِي حَقِّهِمْ وَمُتَحَقِّقٌ فِي شَأْنِهِمْ وَهُمْ تَحْتَ ثِقَلِ الْوُجُودِ لَيْلًا وَنَهَارًا لَا يَسْتَرِيحُونَ لَمْحَةً فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي الْغَفْلَةِ وَلَا مَجَالَ لِلْغَفْلَةِ عَلَى تَقْدِيرِ دَوَامِ الْإِسْتِهْلَاكِ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيُّ: مَنْ أَغْفَلَنِي عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ سَاعَةً أَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ وَالْغَفْلَةُ لَازِمَةٌ لِلْوُجُودِ الْبَشَرِيَّةِ وَجَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظَاهِرَ كُلٍّ مِنْهُمْ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ مَشْغُولًا بِأُمُورٍ مُسْتَلْزِمَةٍ لِلْغَفْلَةِ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ أَثْقَالَ

الْوُجُود فِي الْجُمْلَة: أَلَّفَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَجَعَلَ طَائِفَةً مَشْغُولَةً بِتَصْنِيفِ الْكُتُبِ وَتَحْرِيرِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَشَغَلَ بَعْضَهُمْ بِأُمُورٍ مُبَاحَةٍ كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ الْاَصْطَخْرِيُّ[1] يَذْهَبُ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَمَعَهُ كِلَابٌ يَصْطَادُ بِهِنَّ فَسَأَلَ شَخْصٌ وَاحِدٌ مِنَ الْأَعِزَّةِ عَنْ سِرِّهِ فَقَالَ: لِيَتَخَلَّصَ عَنْ ثِقَلِ الْوُجُودِ لَحْظَةً وَرَوَّحَ بَعْضَهُمْ بِعُلُومِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ وَشُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ تِلْكَ الْأَثْقَالِ سَاعَةً وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا ظَهَرَ مِنْ بَعْضِ أَكَابِرِ مَشَائِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ مِنَ الْمَعَارِفِ التَّوْحِيدِيَّةِ فَإِنَّ نِسْبَتَهُمْ تَجُرُّ إِلَى التَّنْزِيهِ الصِّرْفِ لَا تَعَلُّقَ لَهَا بِالْعَالَمِ وَشُهُودِ الْعَالَمِ وَمَا كَتَبَهُ مَعْدِنُ الْإِرْشَادِ وَمَنْبَعُ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ نَاصِرُ الدِّينِ الْخَوَاجَهْ عُبَيْدُ اللهِ أَحْرَارْ مِنَ الْمَعَارِفِ الْمُنَاسِبَةِ بِعُلُومِ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ، وَشُهُودِ الْوَحْدَةِ فِي الْكَثْرَةِ مِنَ الْقِسْمِ الْأَخِيرِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَكِتَابُ الْفِقْرَاتِ لَهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى بَعْضِ عُلُومِ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهَا مَنْشَأُ عُلُومِ ذَلِكَ الْكِتَابِ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ تِلْكَ الْمَعَارِفِ اسْتِينَاسُهُ وَأُلْفَتُهُ بِالْعَالَمِ

وَكَذَلِكَ مَعَارِفُ شَيْخِنَا الْمُحَرَّرَةُ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ عَلَى طِبْقِ كَلَامِ كِتَابِ الْفِقْرَاتِ وَلَيْسَ مَنْشَأُ هَذِهِ الْعُلُومِ التَّوْحِيدِيَّةِ الْجَذْبَةَ وَلَا غَلَبَةَ الْمَحَبَّةِ وَلَا نِسْبَةَ لِمَشْهُودِهِمْ بِالْعَالَمِ وَمَا يُرَى لَهُمْ فِي مِرْآةِ الْعَالَمِ إِنَّمَا هُوَ شِبْهُ مَشْهُودِهِمْ وَمِثَالُهُ لَا مَشْهُودُهُمُ الْحَقِيقِيُّ كَمَا أَنَّ شَخْصًا إِذَا كَانَ عَاشِقًا لِجَمَالِ الشَّمْسِ وَمِنْ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ أَفْنَى نَفْسَهُ فِي الشَّمْسِ بِحَيْثُ لَمْ يَتْرُكْ مِنْ نَفْسِهِ اسْمًا وَلَا رَسْمًا فَإِذَا أُرِيدَ تَسْلِيَتُهُ وَأُنْسُهُ وَأُلْفَتُهُ بِمَا سِوَى الشَّمْسِ لِيَتَنَفَّسَ مِنْ غَلَبَةِ تَشَعْشُعِ أَنْوَارِهَا الْمَحِقَةِ وَيَسْتَرِيحَ مِنْهَا لَحْظَةً يُرَى لَهُ الشَّمْسُ فِي مَجَالِي هَذَا الْعَالَمِ وَيَحْصُلُ لَهُ بِتِلْكَ الْعَلَاقَةِ أُنْسٌ وَأُلْفَةٌ بِهَذَا الْعَالَمِ وَيُقَالُ لَهُ أَحْيَانًا: إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ عَيْنُ الشَّمْسِ وَلَا مَوْجُودَ غَيْرُهَا أَصْلًا وَأَحْيَانًا يُرَى لَهُ جَمَالُ الشَّمْسِ فِي مِرْآةِ ذَرَّاتِ الْعَالَمِ. لَا يُقَالُ: إِنَّ الْعَالَمَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَيْنَ الشَّمْسِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَكُونُ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ عَيْنُ الشَّمْسِ خِلَافَ الْوَاقِعِ لِأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ لِبَعْضِ أَفْرَادِ الْعَالَمِ مَعَ بَعْضٍ آخَرَ اشْتِرَاكًا فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَامْتِيَازًا فِي بَعْضٍ آخَرَ وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ يُخْفِي عَنْ نَظَرِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ الْأُمُورَ الْبَاعِثَةَ عَلَى الْإِمْتِيَازِ بِوَاسِطَةِ بَعْضِ الْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ وَيُبْقِي الْأَجْزَاءَ الْمُشْتَرَكَةَ فَقَطْ مَشْهُودَةً فَيَحْكُمُونَ بِاتِّحَادِ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ بِالضَّرُورَةِ فَتَجِدُ الشَّمْسَ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ بِهَذِهِ الْعَلَاقَةِ عَيْنَ الْعَالَمِ وَكَذَلِكَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِالْعَالَمِ فِي الْحَقِيقَةِ أَصْلًا وَلَكِنَّ الْمُشَابَهَةَ الْإِسْمِيَّةَ قَدْ تَصِيرُ مُصَحِّحَةً لِهَذَا الْإِتِّحَادِ فَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ مَثَلًا مَوْجُودٌ وَالْعَالَمَ أَيْضًا مَوْجُودٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ فِي الْحَقِيقَةِ مُنَاسَبَةٌ أَصْلًا وَكَذَلِكَ هُوَ تَعَالَى عَالِمٌ وَسَمِيعٌ وَبَصِيرٌ وَحَيٌّ وَقَادِرٌ وَمُرِيدٌ وَبَعْضُ أَفْرَادِ الْعَالَمِ أَيْضًا مُتَّصِفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَإِنْ كَانَ صِفَاتُ كُلٍّ مِنْهُمَا مُغَايِرَةً لِصِفَاتِ الْآخَرِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ خُصُوصِيَّةُ الْوُجُودِ الْإِمْكَانِيِّ وَنَقَائِصُ الْمُحْدَثَاتِ مَسْتُورَةً عَنْ نَظَرِهِمْ سَاغَ لَهُمْ لَوْ حَكَمُوا بِالْإِتِّحَادِ وَهَذَا الْقِسْمُ الْأَخِيرُ مِنَ التَّوْحِيدِ أَعْلَى أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ بَلْ لَيْسَ أَرْبَابُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فِي الْحَقِيقَةِ مَغْلُوبِي هَذَا الْوَارِدِ وَلَمْ يَكُنِ الْبَاعِثُ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ سُكْرَهُمْ بَلْ أُورِدَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْوَارِدُ لِأَجْلِ مَصْلَحَةٍ مَا وَأُرِيدَ إِخْرَاجُهُمْ مِنَ

---

[1] عبد الله الاصطخرى هكذا في نسخ المكتوبات وفي نسخ النفحات عبد الرحيم والله اعلم بالصواب (القزاني رحمة الله عليه)

السُّكْرِ إِلَى الصَّحْوِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَتَسْلِيَتُهُمْ بِهَا كَمَا تَتَسَلَّى جَمَاعَةٌ بِالسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ وَطَائِفَةٌ بِالإِشْتِغَالِ بِبَعْضِ أُمُورٍ مُبَاحَةٍ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَؤُلاَءِ الْمَذْكُورِينَ مِنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ يَشْتَغِلُونَ بِبَعْضِ أُمُورٍ مُغَايِرَةٍ لِمَشْهُودِهِمْ وَيَتَسَلَّوْنَ بِهَا عَلَى مَا عَرَفْتُ بِخِلاَفِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى أَمْرٍ مُغَايِرٍ لِمَشْهُودِهِمْ وَلاَ يَتَسَلَّوْنَ بِهِ فَلاَ جَرَمَ قَدْ يُرَى لَهُمُ الْعَالَمُ عَيْنَ مَشْهُودِهِمْ أَوْ يَظْهَرُ لَهُمْ مَشْهُودُهُمْ فِي مِرْآةِ الْعَالَمِ لِيَخِفَّ عَنْهُمْ ذَلِكَ الثِّقَلُ سَاعَةً وَمَنْشَأُ هَذَا الْقِسْمِ الأَخِيرِ مِنَ التَّوْحِيدِ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا لِهَذَا الْحَقِيرِ بِطَرِيقِ الْكَشْفِ وَالذَّوْقِ بَلِ الْمَعْلُومُ هُوَ الْجِهَتَانِ السَّابِقَتَانِ

وَهَذَا الْقِسْمُ ظَنِّيٌّ وَلِهَذَا لَمْ أَكْتُبْ فِي كُتُبِي وَرَسَائِلِي إِلاَّ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ بَلِ الْجِهَةَ الثَّانِيَةَ فَقَطْ وَجَعَلْتُ التَّوْحِيدَ الْوُجُودِيَّ مُنْحَصِرًا فِيهِمَا وَلَكِنْ لَمَّا وَقَعَ الْمُرُورُ بِبَلْدَةِ دَهْلِي الْمَحْرُوسَةِ بَعْدَ رِحْلَةِ مُرْشِدِي وَقِبْلَتِي بِنِيَّةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ اتِّفَاقًا وَذَهَبْتُ لِزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ يَوْمَ عِيدٍ ظَهَرَ فِي أَثْنَاءِ التَّوَجُّهِ إِلَى مَزَارِهِ الْمُتَبَرَّكِ مِنْ رُوحَانِيَّتِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْتِفَاتٌ تَامٌّ وَمَنَحَنِي مِنْ كَمَالِ أَلْطَافِهِ وَإِشْفَاقِهِ لِلْغُرَبَاءِ نِسْبَتَهُ الْخَاصَّةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَى الْخَوَاجَةِ أَحْرَارٍ قُدِّسَ سِرُّهُ وَلَمَّا وَجَدْتُ تِلْكَ النِّسْبَةَ فِي نَفْسِي وَجَدْتُ حَقِيقَةَ تِلْكَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ بِطَرِيقِ الذَّوْقِ بِالضَّرُورَةِ وَعَلِمْتُ أَنَّ مَنْشَأَ التَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فِيهِمَا لَيْسَ هُوَ الإِنْجِذَابُ الْقَلْبِيُّ وَغَلَبَةُ الْمَحَبَّةِ بَلِ الْمَقْصُودُ مِنْ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ تَخْفِيفُ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ وَلَمْ أَرَ إِظْهَارَ هَذَا الْمَعْنَى مُنَاسِبًا إِلَى مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْوَجْهَانِ السَّابِقَانِ مَذْكُورَيْنِ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ أُنَاسٌ قَلِيلُو الدِّرَايَةِ فِي تَوَهُّمِ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ تَنْقِيصُ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ بِأَنَّ طَرِيقَهُمَا طَرِيقُ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ وَأَطَالُوا بِهَذَا السَّبَبِ لِسَانَ الْفِتْنَةِ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ التَّوَهُّمُ فِي بَعْضِ الطُّلاَّبِ الْقَلِيلِي الإِخْلاَصِ وَالْيَقِينِ بَاعِثًا عَلَى فُتُورِ أَحْوَالِهِمْ فَرَأَيْتُ الْمَصْلَحَةَ فِي إِظْهَارِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ التَّوْحِيدِ بِالضَّرُورَةِ وَرَأَيْتُ الْمُنَاسِبَ ذِكْرَ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ لِلاِسْتِشْهَادِ فَحَرَّرْتُهَا لِذَلِكَ.

(نَقَلَ) دَرْوِيشٌ مِنْ مُخْلِصِي شَيْخِنَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ بِأَنَّا نَكْتَسِبُ النِّسْبَةَ مِنْ مُطَالَعَةِ كُتُبِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْمَقْصُودُ أَنْ نُغْفِلَ أَنْفُسَنَا سَاعَةً وَهَذَا الْكَلاَمُ مُؤَيِّدٌ لِلْكَلاَمِ السَّابِقِ.

وَنَقَلَ مَعْدِنُ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ مِنْ مُخْلِصِي شَيْخِنَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قُبَيْلَ أَيَّامِ رِحْلَتِهِ: قَدْ صَارَ مَعْلُومًا لَنَا بِيَقِينٍ يَقِينٍ أَنَّ التَّوْحِيدَ الْوُجُودِيَّ سِكَّةٌ ضَعِيفَةٌ وَالطَّرِيقُ السُّلْطَانِيُّ غَيْرُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ ذَلِكَ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الآنَ قَدْ ظَهَرَ هَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْيَقِينِ بِهِ وَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ أَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِمَشْرَبِهِ مُنَاسَبَةٌ بِالتَّوْحِيدِ الْوُجُودِيِّ فِي آخِرِ الأَمْرِ وَإِنْ كَانَ قَدْ ظَهَرَ مِثْلُ هَذَا التَّوْحِيدِ فِي ابْتِدَاءِ الْحَالِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِضَائِرٍ بَلْ قَدْ ظَهَرَ مِثْلُ هَذَا التَّوْحِيدِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَشَايِخِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ ثُمَّ انْقَلَعُوا عَنْهُ فِي الآخِرِ. وَأَيْضًا إِنَّ بَيْنَ طَرِيقِ الْخَوَاجَةِ النَّقْشَبَنْدِ وَطَرِيقِ الْخَوَاجَةِ أَحْرَارٍ فَرْقًا وَمُغَايَرَةً بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى مَقَامِ الْجَذْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ

وَكَذَلِكَ بَيْنَ عُلُومِهِمَا وَمَعَارِفِهِمَا أَيْضًا فَرْقٌ وَغَالِبُ تَوَجُّهِ الْخَوَاجَهْ أَحْرَارْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى نِسْبَةِ أَجْدَادِهِ مِنْ طَرَفِ أُمِّهِ وَكَانُوا كُبَرَاءَ بَطْنًا بَعْدَ بَطْنٍ .

وَهَذَا الْفَنَاءُ وَالإِنْعِدَامُ الَّذِي ذُكِرَ فِيمَا سَبَقَ مِنْ لَوَازِمِ نِسْبَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَهَذَا الْفَقِيرُ اخْتَارَ لِتَرْبِيَةِ الطَّالِبِينَ طَرِيقَ حَضْرَةِ الْخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْدْ لِمَصْلَحَةِ أَبْنَاءِ هَذَا الْوَقْتِ وَرَأَيْتُ الْمُنَاسِبَ ظُهُورَ عُلُومِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَعَارِفِهِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مُنَاسَبَةً بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ الْفَاسِدِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ ضَعْفٌ تَامٌّ فِي أَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ فَعَيَّنْتُ هَذَا الطَّرِيقَ لإِفَادَةِ الطَّالِبِينَ فَلَوْ أَرَادَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ تَرْوِيجَ الطَّرِيقَةِ الأَحْرَارِيَّةِ بِوَاسِطَةِ هَذَا الْحَقِيرِ لَنَوَّرَ الْعَالَمَ بِأَنْوَارِهَا فَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ أَنْوَارَ كُلٍّ مِنْ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ الْمُعَظَّمَيْنِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ وَكُشِفَ عَنْ طَرِيقِ تَكْمِيلِ كُلٍّ مِنْهُمَا أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ،

(شِعْرٌ): مَلِيكٌ مِنْ عِنَايَتِهِ وَلُطْفِهِ *** لأَعْطَي لِلْفَقِيرِ الْعَالَمِينَا

آخَرُ: فَإِذَا أَتَى بَابَ الْعَجُوزِ خَلِيفَةٌ *** إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سِبَالِكَا

وَقَدْ أَوْرَدْتُ بَعْضَ الأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ بِحُكْمِ (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) فِي مَعْرِضِ الظُّهُورِ نَفَعَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ الطَّالِبِينَ بِهَا وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا لاَ تَزِيدُ الْمُنْكِرِينَ غَيْرَ الإِنْكَارِ وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ إِفَادَةُ الطَّالِبِينَ وَالْمُنْكِرُونَ خَارِجُونَ عَنِ الْمَبْحَثِ وَمُبْعَدُونَ عَنْ مَطْمَحِ النَّظَرِ (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) وَلاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِ الْبَصِيرَةِ أَنَّ اخْتِيَارَ طَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ لأَجْلِ مَصْلَحَةٍ لاَ يَسْتَلْزِمُ أَفْضَلِيَّةَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى طَرِيقٍ آخَرَ وَلاَ يَلْزَمُ مِنْهُ تَنْقِيصُهُ، (شِعْرٌ):

وَيُمْكِنُ غَلْقُ أَبْوَابِ الْحُصُونِ *** وَلَكِنْ لاَ نَجَاةَ مِنَ الْكَلاَمِ

(٢٩٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ حَمِيدٍ الْبَنْگَالِيِّ فِي بَيَانِ الآدَابِ الضَّرُورِيَّةِ لِلْمُرِيدِينَ وَدَفْعِ بَعْضِ الشُّبَهِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَدَّبَنَا بِالآدَابِ النَّبَوِيَّةِ وَهَذَّبَنَا بِالأَخْلاَقِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ (اعْلَمْ) أَنَّ سَالِكِي هَذَا الطَّرِيقِ لاَ يَخْلُونَ عَنْ أَحَدِ الْحَالَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونُوا مُرِيدِينَ وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا مُرَادِينَ فَإِنْ كَانُوا مُرَادِينَ فَطُوبَى لَهُمْ يُوصَلُ بِهِمْ إِلَى الْمَطْلَبِ الأَعْلَى مِنْ طَرِيقِ الإِنْجِذَابِ وَالْمَحَبَّةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَيَعْلَمُونَ كُلَّ أَدَبٍ لاَزِمٍ بِوَاسِطَةٍ أَوْ بِلاَ وَاسِطَةٍ فَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهُمْ زَلَّةٌ يُنَبَّهُونَ عَلَيْهَا سَرِيعًا وَلاَ يُؤَاخَذُونَ بِهَا فَإِنِ احْتَاجُوا إِلَى شَيْخٍ ظَاهِرٍ يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ عَنْهُمْ وَبِالْجُمْلَةِ اَنَّ الْعِنَايَةَ الأَزَلِيَّةَ مُتَكَفِّلَةٌ لِحَالِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَلاَ بُدَّ مِنْ حُصُولِ أَمْرِهِمْ بِسَبَبٍ أَوْ بِلاَ سَبَبٍ وَاللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ،

وَإِنْ كَانُوا مُرِيدِينَ فَأَمْرُهُمْ مِنْ غَيْرِ شَيْخٍ كَامِلٍ مُكَمِّلٍ عَسِيرٌ وَالشَّيْخُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُشَرَّفًا بِدَوْلَةِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَمُسْتَسْعِدًا بِسَعَادَةِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَأَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَمَّ السَّيْرَ إِلَى اللهِ وَالسَّيْرَ فِي اللهِ وَالسَّيْرَ عَنِ اللهِ بِاللهِ وَالسَّيْرَ فِي الْأَشْيَاءِ بِاللهِ فَإِنْ كَانَتْ جَذْبَتُهُ مُقَدَّمَةً عَلَى سُلُوكِهِ وَتَرَبَّى بِتَرْبِيَةِ الْمُرَادِينَ فَهُوَ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ وَكَلَامُهُ دَوَاءٌ وَنَظَرُهُ شِفَاءٌ، إِحْيَاءُ الْقُلُوبِ الْمَيِّتَةِ مَنُوطٌ بِتَوَجُّهِهِ الشَّرِيفِ وَتَزْكِيَةُ النُّفُوسِ الْعَاتِيَةِ مَرْبُوطَةٌ بِالْتِفَاتِهِ اللَّطِيفِ فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ صَاحِبُ دَوْلَةٍ مِثْلِ ذَلِكَ فَالسَّالِكُ الْمَجْذُوبُ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ يَحْصُلُ مِنْهُ تَرْبِيَةُ النَّاقِصِينَ وَيَصِلُونَ بِوَسَاطَتِهِ إِلَى دَوْلَةِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ،

شِعْرٌ: مَتَى قِسْنَا السَّمَا بِالْعَرْشِ يَنْحَطُّ *** وَمَا أَعْلَاهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضِ

فَإِنِ اهْتَدَى الطَّالِبُ بِعِنَايَةِ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الشَّيْخِ الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ وَوَصَلَ إِلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَغْتَنِمَ وُجُودَهُ وَأَنْ يُفَوِّضَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ بِالتَّمَامِ وَأَنْ يَعْتَقِدَ سَعَادَتَهُ فِي مَرْضِيَّاتِهِ وَشَقَاوَتَهُ فِي خِلَافِ مَرْضِيَّاتِهِ وَبِالْجُمْلَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ هَوَاهُ تَابِعًا لِرِضَاهُ وَفِي الْخَبَرِ النَّبَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَابِعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ"

اعْلَمْ أَنَّ رِعَايَةَ آدَابِ الصُّحْبَةِ وَمُرَاعَاةَ شَرَائِطِهَا مِنْ ضَرُورِيَّاتِ هَذَا الطَّرِيقِ حَتَّى يَكُونَ طَرِيقُ الْإِفَادَةِ وَالْإِسْتِفَادَةِ مَفْتُوحًا وَبِدُونِهَا لَا نَتِيجَةَ لِلصُّحْبَةِ وَلَا ثَمَرَةَ لِلْمُجَالَسَةِ وَلْنُورِدْ بَعْضَ الْآدَابِ وَالشَّرَائِطِ الضَّرُورِيَّةِ فِي مَعْرِضِ الْبَيَانِ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا بِسَمْعِ الْعَقْلِ

(اعْلَمْ) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يُعْرِضَ بِقَلْبِهِ عَنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَأَنْ يَتَوَجَّهَ بِهِ إِلَى شَيْخِهِ وَأَنْ لَا يَشْتَغِلَ بِالنَّوَافِلِ وَالْأَذْكَارِ مَعَ وُجُودِ الشَّيْخِ بِلَا إِذْنِهِ وَلَا يَلْتَفِتَ فِي حُضُورِهِ إِلَى غَيْرِهِ بَلْ يَجْلِسُ لَدَيْهِ مُتَوَجِّهًا بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ حَتَّى لَا يَشْتَغِلَ عِنْدَهُ بِالذِّكْرِ أَيْضًا إِلَّا أَنْ يَأْمُرَهُ بِهِ وَلَا يُصَلِّيَ فِي حُضُورِهِ غَيْرَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ.

وَنُقِلَ عَنْ سُلْطَانِ هَذَا الْوَقْتِ أَنَّ وَزِيرَهُ كَانَ قَائِمًا عِنْدَهُ فَالْتَفَتَ الْوَزِيرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ اتِّفَاقًا إِلَى ثَوْبِهِ وَأَصْلَحَ أَزْرَارَهُ بِيَدِهِ فَوَقَعَ نَظَرُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْحَالِ فَرَآهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى غَيْرِهِ فَقَالَ لَهُ بِلِسَانِ الْعِتَابِ: أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَحْضِمَ هَذَا الْفِعْلَ تَكُونُ وَزِيرِي وَتَلْتَفِتُ فِي حُضُورِي إِلَى غَيْرِي وَتَشْتَغِلُ بِإِصْلَاحِ أَزْرَارِ ثَوْبِكَ فَيَنْبَغِي التَّأَمُّلُ إِذَا كَانَتْ رِعَايَةُ الْآدَابِ الدَّقِيقَةِ لَازِمَةً فِي وَسَائِلِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ تَكُونُ رِعَايَةُ الْآدَابِ لَازِمَةً عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ فِي وَسَائِلِ الْوُصُولِ إِلَى اللهِ وَمَهْمَا أَمْكَنَ لَا يَقُومُ فِي مَحَلٍّ يَقَعُ ظِلُّهُ عَلَى ثَوْبِ شَيْخِهِ أَوْ عَلَى ظِلِّهِ وَلَا يَضَعُ رِجْلَهُ فِي مُصَلَّاهُ وَلَا يَتَوَضَّأُ فِي مُتَوَضَّاهُ وَلَا يَسْتَعْمِلُ ظُرُوفَهُ الْخَاصَّةَ بِهِ وَلَا يَشْرَبُ مَاءً وَلَا يَأْكُلُ طَعَامًا وَلَا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي حُضُورِهِ بَلْ لَا يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَحَدٍ وَلَا يَمُدُّ رِجْلَهُ عِنْدَ غَيْبَةِ شَيْخِهِ إِلَى جَانِبٍ هُوَ فِيهِ وَلَا يَرْمِي بُزَاقَهُ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ وَكُلُّ شَيْءٍ يَصْدُرُ عَنْ شَيْخِهِ يَعْتَقِدُهُ صَوَابًا وَإِنْ لَمْ يَرَ صَوَابًا فِي الظَّاهِرِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ بِطَرِيقِ الْإِلْهَامِ وَالْإِذْنِ فَلَا يَكُونُ لِلْاعْتِرَاضِ مَجَالٌ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ وَإِنْ تَطَرَّقَ الْخَطَأُ إِلَى إِلْهَامِهِ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ فَإِنَّ الْخَطَأَ الْإِلْهَامِيَّ كَالْخَطَأِ الْاجْتِهَادِيِّ لَا يَجُوزُ فِيهِ

الْمَلاَمَةُ وَالْإِعْتِرَاضُ وَأَيْضًا إِنَّ الْمُرِيدَ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَحَبَّةُ الشَّيْخِ وَكُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنِ الْمَحْبُوبِ يَكُونُ مَحْبُوبًا فِي نَظَرِ الْمُحِبِّ فَلاَ يَكُونُ لِلْاعْتِرَاضِ مَجَالٌ وَلْيَقْتَدِ بِشَيْخِهِ فِي الْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ سَوَاءٌ كَانَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ أَوِ اللُّبْسِ أَوِ النَّوْمِ أَوِ الطَّاعَةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُصَلِّيَ الصَّلاَةَ عَلَى طَرْزِ صَلاَتِهِ وَأَنْ يَأْخُذَ الْفِقْهَ مِنْ عَمَلِهِ،

شِعْرٌ: مَنْ كَانَ فِي قَصْرِهِ الْحَسْنَاءُ قَدْ فَرَغَا *** مِنَ التَّنَزُّهِ فِي الْبُسْتَانِ وَالْمَرَجِ

وَلاَ يَتْرُكُ فِي نَفْسِهِ مَجَالاً لِلْاعْتِرَاضِ عَلَى حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ أَصْلاً وَإِنْ كَانَ الْإِعْتِرَاضُ مِقْدَارَ حَبَّةِ خَرْدَلَةٍ فَإِنَّهُ لاَ نَتِيجَةَ لِلْاعْتِرَاضِ غَيْرُ الْحِرْمَانِ وَأَشْقَى جَمِيعِ الْخَلاَئِقِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ السَّعَادَةِ الَّذِينَ يَرَوْنَ عُيُوبَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ هَذَا الْبَلاَءِ الْعَظِيمِ وَلاَ يَطْلُبُ مِنْ شَيْخِهِ الْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقَ الْعَادَاتِ وَإِنْ كَانَ هَذَا الطَّلَبُ بِطَرِيقِ الْخَوَاطِرِ وَالْوَسَاوِسِ فَهَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَنَّ مُؤْمِنًا طَلَبَ مِنْ نَبِيِّهِ مُعْجِزَةً وَإِنَّمَا طَلَبَهَا الْكُفَّارُ وَأَهْلُ الْإِنْكَارِ، (شِعْرٌ):

الْمُعْجِزَاتُ مُفِيدَةٌ قَهْرَ الْعِدَا *** وَنَتِيجَةُ التَّقْلِيدِ ذَاكَ الْإِقْتِدَا

مَا الْمُعْجِزَاتُ مُفِيدَةَ الْإِيمَانِ بَلْ *** قَدْ يَجْذِبُ التَّقْلِيدُ نَحْوَ الْإِهْتِدَا

فَإِنْ عَرَضَتْ لِخَاطِرِهِ شُبْهَةٌ يَعْرِضُهَا عَلَى شَيْخِهِ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ فَإِنْ لَمْ تَنْحَلَّ فَلْيَرَ التَّقْصِيرَ مِنْ نَفْسِهِ وَلاَ يُجَوِّزُ عَوْدَ مَنْقَصَةٍ أَصْلاً إِلَى جَانِبِ شَيْخِهِ فَإِنْ وَقَعَتْ عَلَيْهَا وَاقِعَةٌ لاَ يَكْتُمُهَا عَنْ شَيْخِهِ وَيَطْلُبُ تَعْبِيرَ الْوَقَائِعِ مِنْهُ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنَ التَّعْبِيرِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ تَمْيِيزَ صَوَابِهِ عَنْ خَطَئِهِ وَلاَ يَعْتَمِدُ عَلَى كُشُوفِهِ أَصْلاً فَإِنَّ الْحَقَّ مُمْتَزِجٌ بِالْبَاطِلِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَالصَّوَابُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَطَإِ وَلاَ يُفَارِقُهُ بِلاَ ضَرُورَةٍ وَلاَ إِذْنٍ مِنْهُ فَإِنَّ اخْتِيَارَ الْغَيْرِ وَتَفْضِيلَهُ عَلَيْهِ مُنَافٍ لِلْإِرَادَةِ وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِهِ وَلاَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُ بِرَفْعِ صَوْتِهِ فَإِنَّهُ سُوءُ أَدَبٍ وَكُلُّ فَيْضٍ وَفُتُوحٍ يَرِدُ عَلَيْهِ فَلْيَعْتَقِدْ أَنَّهُ بِوَاسِطَةِ شَيْخِهِ فَإِنْ رَأَى فِي الْوَاقِعَةِ أَنَّ الْفَيْضَ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مَشَائِخَ أُخَرَ فَلْيَرَهُ أَيْضًا مِنْ شَيْخِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ لَمَّا كَانَ جَامِعًا لِلْكَمَالاَتِ وَالْفُيُوضَاتِ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهُ فَيْضٌ خَاصٌّ مُنَاسِبٌ لِإِسْتِعْدَادِهِ الْخَاصِّ الْمُلاَئِمِ لِكَمَالِ شَيْخٍ مِنَ الشُّيُوخِ أَعْنِي الَّذِي ظَهَرَتْ مِنْهُ صُورَةُ الْإِفَاضَةِ وَإِنَّ لَطِيفَةً مِنْ لَطَائِفِ شَيْخِهِ لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِذَلِكَ الْفَيْضِ ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّيْخِ فَتَخَيَّلَ الْمُرِيدُ تِلْكَ اللَّطِيفَةَ بِوَاسِطَةِ الْإِبْتِلاَءِ شَيْخًا وَظَنَّ أَنَّ الْفَيْضَ مِنْهُ وَهَذِهِ مَغْلَطَةٌ عَظِيمَةٌ حَفِظَنَا اللهُ مِنْ زَلَّةِ الْأَقْدَامِ وَرَزَقَنَا الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى اعْتِقَادِ الشَّيْخِ وَمَحَبَّتِهِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَبِالْجُمْلَةِ الطَّرِيقُ كُلُّهُ آدَابٌ مَثَلٌ مَشْهُورٌ لاَ يَصِلُ الْعَارِي عَنِ الْآدَابِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَإِنْ رَأَى الْمُرِيدُ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فِي رِعَايَةِ بَعْضِ الْآدَابِ وَلَمْ يَبْلُغْ حَدَّ أَدَائِهَا كَمَا يَنْبَغِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عُهْدَتِهَا بِالسَّعْيِ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ وَلَكِنْ لاَ بُدَّ مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيرِ فَإِنْ لَمْ يُرَاعِ الْآدَابَ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يَرَ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ بَرَكَاتِ هَؤُلاَءِ الْأَكَابِرِ،

(شعر):

مَنْ لَمْ يَكُنْ نَحْوَ السَّعَادَةِ مُقْبِلاً * فَشُهُودُهُ وَجْهَ النَّبِيِّ لاَ يَنْفَعُهُ**

نَعَمْ إِذَا وَصَلَ الْمُرِيدُ بِبَرَكَةِ تَوَجُّهِ الشَّيْخِ وَهِمَّتِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَظَهَرَ لَهُ طَرِيقُ الإِلْهَامِ وَالْفِرَاسَةِ وَسَلَّمَ لَهُ الشَّيْخُ ذَلِكَ وَصَدَّقَهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالْكَمَالِ وَالإِكْمَالِ فَحِينَئِذٍ يَسُوغُ لِمِثْلِ هَذَا الْمُرِيدِ أَنْ يُخَالِفَ شَيْخَهُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ الإِلْهَامِيَّةِ وَأَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَى إِلْهَامِهِ وَإِنْ تَحَقَّقَ عِنْدَ الشَّيْخِ خِلاَفُهُ فَإِنَّ الْمُرِيدَ قَدْ خَرَجَ حِينَئِذٍ عَنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ وَالتَّقْلِيدُ خَطَأً فِي حَقِّهِ أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَصْحَابَ الْكِرَامَ خَالَفُوا رَأْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأُمُورِ الاِجْتِهَادِيَّةِ وَالأَحْكَامِ الْغَيْرِ الْمُنَزَّلَةِ وَظَهَرَ الصَّوَابُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ فِي جَانِبِ الأَصْحَابِ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِ الْعِلْمِ أُولِي الأَلْبَابِ فَعُلِمَ أَنَّ مُخَالَفَةَ الشَّيْخِ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ وَالإِكْمَالِ مُجَوَّزٌ وَعَنْ سُوءِ الأَدَبِ مُبَرَّأٌ بَلِ الأَدَبُ هُنَا هُوَ هَذِهِ الْمُخَالَفَةُ وَإِلاَّ فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا مُؤَدَّبِينَ بِكَمَالِ الأَدَبِ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا بِلاَ تَقْلِيدٍ وَتَقْلِيدُ أَبِي يُوسُفَ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى بَعْدَ بُلُوغِهِ مَرْتَبَةَ الاِجْتِهَادِ خَطَأً وَالصَّوَابُ إِنَّمَا هُوَ مُتَابَعَةُ رَأْيِهِ لاَ رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدِ اشْتُهِرَ عَنِ الإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: نَازَعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَلَعَلَّكَ سَمِعْتَ أَنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَةِ بِتَلاَحُقِ الأَفْكَارِ فَإِنَّهَا لَوْ بَقِيَتْ عَلَى فِكْرٍ وَاحِدٍ لَمَا حَصَلَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّحْوَ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ حَصَلَ لَهُ الْيَوْمَ بِاخْتِلاَفِ الآرَاءِ وَتَلاَحُقِ الأَفْكَارِ وَالأَنْظَارِ زِيَادَةُ مِائَةِ أَمْثَالِهِ وَبَلَغَ نِهَايَةَ كَمَالِهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ هُوَ وَاضِعَ بِنَائِهِ وَمُؤَسِّسَ أَسَاسِهِ كَانَ الْفَضْلُ لَهُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَلَكِنَّ الْكَمَالَ لِهَؤُلاَءِ الْمُتَأَخِّرِينَ "مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ" حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. تَنْبِيهٌ: لِرَفْعِ شُبْهَةِ بَعْضِ الْمُرِيدِينَ اعْلَمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّيْخُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، الإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ مِنْ لَوَازِمِ مَقَامِ الْمَشْيَخَةِ وَالْمُرَادُ بِالإِحْيَاءِ الإِحْيَاءُ الرُّوحِيُّ لاَ الْجِسْمِيُّ وَكَذَلِكَ الْمُرَادُ بِالإِمَاتَةِ الرُّوحِيَّةُ لاَ الْجِسْمِيَّةُ وَالْمُرَادُ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ اللَّذَانِ يُوصِلاَنِ إِلَى مَقَامِ الْوِلاَيَةِ وَالْكَمَالِ، وَالشَّيْخُ الْمُقْتَدَى بِهِ مُتَكَفِّلٌ بِهَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَلاَ بُدَّ إِذًا لِلشَّيْخِ مِنْ هَذَيْنِ فَمَعْنَى يُحْيِي وَيُمِيتُ يُبْقِي وَيُفْنِي وَلاَ دَخْلَ لِلإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ فِي مَقَامِ الْمَشْيَخَةِ، وَحُكْمُ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِهِ كَحُكْمِ كَهْرَبَاءَ كُلُّ مَنْ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِهِ يَعْدُو مِنْ وَرَائِهِ وَيَنْجَذِبُ إِلَيْهِ كَالْحَشِيشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَهْرَبَاءَ وَيَنَالُ مِنْهُ نَصِيبَهُ مُسْتَوْفَى وَلَيْسَتِ الْكَرَامَاتُ وَخَوَارِقُ الْعَادَاتِ لِجَلْبِ الْمُرِيدِينَ فَإِنَّ الْمُرِيدِينَ يَنْجَذِبُونَ إِلَيْهِ بِالْمُنَاسَبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهُمْ بِهَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فَهُمْ مَحْرُومُونَ مِنْ نِعَمِ كَمَالاَتِهِمْ وَإِنْ شَاهَدُوا أُلُوفًا مِنْ كَرَامَاتِهِمْ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَشْهَدَ لِهَذَا الْمَعْنَى بِأَبِي جَهْلٍ وَأَبِي لَهَبٍ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ**﴾[1] يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ. وَالسَّلاَمُ.

---

(1) الآية: ٢٥ من سورة الأنعام.

(٢٩٣) اَلْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْجِتْرِيِّ فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ" وَقَالَهُ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ أَيْضًا وَعَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ: "قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ" وَقَالَهُ غَيْرُهُ أَيْضًا: وَهَلِ الْمُرَادُ بِكُلِّ وَلِيٍّ أَوْلِيَاءُ عَصْرِهِ أَوْ مُطْلَقًا وَمَا يُنَاسِبُهُ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى قَدْ صِرْتُ مُبْتَهِجًا وَمَسْرُورًا بِوُرُودِ الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا يَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ يَذْكُرُ أَوْلِيَاءَ اللهِ تَعَالَى الْمُنْقَطِعِينَ الْمَهْجُورِينَ وَقَدِ انْدَرَجَ فِيهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ" وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ وَقَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ: قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ، وَقَالَ آخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ وَقَدْ تَكُونُ فِي هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ مُنَازَعَةٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَنَرْجُو مِنْ عِنَايَتِكُمْ كِتَابَةَ مَا انْطَوَى فِي هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى وَالْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَإِرْسَالَهُ إِلَيْنَا وَلْتَكُنِ الْكِتَابَةُ بِالتَّوَجُّهِ التَّامِّ مُشْتَمِلَةً مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْكَلَامِ وَوَاضِحَةً لِتَكُونَ قَرِيبَةً مِنْ فَهْمِ هَذَا الْغَرِيبِ.

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: إِنَّ هَذَا الْفَقِيرَ قَدْ كَتَبَ فِي رَسَائِلِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُ وَقْتٌ نَادِرٌ مَعَ وُجُودِ اسْتِمْرَارِ الْوَقْتِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ النَّادِرَ كَانَ فِي حِينِ أَدَاءِ الصَّلَاةِ وَلَعَلَّكَ سَمِعْتَ: اَلصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ وَأَرِحْنِي يَا بِلَالُ، شَاهِدُ عَدْلٍ فِي إِثْبَاتِ هَذَا الْمَطْلَبِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ أَيْضًا مُشَرَّفًا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بِطَرِيقِ الْوِرَاثَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ فَإِنَّ لِكُمَّلِ تَابِعِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَصِيبًا وَافِرًا وَحَظًّا كَامِلًا مِنْ جَمِيعِ كَمَالَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَرِيقِ الْوِرَاثَةِ. وَأَمَّا مَا قَالَ حَضْرَةُ الشَّيْخِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ: قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيِّ اللهِ أَوْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ فَقَدْ جَعَلَ صَاحِبُ الْعَوَارِفِ الَّذِي هُوَ مُرِيدُ الشَّيْخِ أَبِي النَّجِيبِ السُّهْرَوَرْدِيِّ وَمُرَبَّاهُ وَكَانَ مِنْ مَحَارِمِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ وَمُصَاحِبِيهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي صَدَرَتْ عَنِ الْمَشَائِخِ فِي بِدَايَةِ الْأَحْوَالِ بِوَاسِطَةِ بَقَايَا السُّكْرِ، وَنُقِلَ فِي النَّفَحَاتِ عَنِ الشَّيْخِ حَمَّادٍ الَّذِي هُوَ مِنْ شُيُوخِ حَضْرَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ بِطَرِيقِ الْفِرَاسَةِ: إِنَّ لِهَذَا الْعَجَمِيِّ قَدَمًا تَكُونُ فِي وَقْتِهِ عَلَى رَقَبَةِ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ وَيَكُونُ مَأْمُورًا أَلْبَتَّةَ بِأَنْ يَقُولَ: قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيِّ اللهِ وَيَقُولُ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ وَيَضَعُ الْأَوْلِيَاءُ جَمِيعُهُمْ رِقَابَهُمْ يَعْنِي تَوَاضُعًا وَتَخَشُّعًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ أَنَّ حَضْرَةَ الشَّيْخِ مُحِقٌّ فِي هَذَا الْكَلَامِ سَوَاءٌ صَدَرَ عَنْهُ مِنْ بَقَايَا السُّكْرِ أَوْ حَالَةِ الصَّحْوِ وَسَوَاءٌ كَانَ مَأْمُورًا بِإِظْهَارِهِ أَوْ لَا فَإِنَّ قَدَمَهُ كَانَتْ عَلَى رِقَابِ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَانَ أَوْلِيَاءُ ذَلِكَ الْوَقْتِ جَمِيعُهُمْ تَحْتَ قَدَمِهِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ مَخْصُوصٌ بِأَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الْوَقْتِ دُونَ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ حَمَّادٍ أَنَّ قَدَمَهُ تَكُونُ فِي وَقْتِهِ عَلَى رَقَبَةِ جَمِيعِ

الأَوْلِيَاء وَأَيْضًا انَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ غَوْثٌ فَذَهَبَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ وَابْنُ السَّقَّا وَعَبْدُ اللَّهِ[1] لِزِيَارَتِهِ فَقَالَ ذَلِكَ الْغَوْثُ بِطَرِيقِ الْفِرَاسَةِ فِي حَقِّ الشَّيْخِ: كَأَنِّي أَرَاكَ تَصْعَدُ الْمِنْبَرَ فِي بَغْدَادَ وَتَقُولُ: قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيِّ اللَّهِ وَأَرَى أَوْلِيَاءَ وَقْتِكَ يَضَعُونَ رِقَابَهُمْ وَيَخْفِضُونَهَا إِجْلاَلاً لَكَ وَإِكْرَامًا. وَيُفْهَمُ مِنْ كَلاَمِ هَذَا الْغَوْثِ أَيْضًا أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ كَانَ مَخْصُوصًا بِأَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الْوَقْتِ فَإِذَا أَعْطَى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَيْضًا شَخْصًا بَصَرًا بَصِيرًا يَرَى مِثْلَ مَا رَأَى ذَلِكَ الْغَوْثُ أَنَّ رِقَابَ أَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الْوَقْتِ تَحْتَ قَدَمِهِ وَأَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لاَ يَتَجَاوَزُ إِلَى غَيْرِ أَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا الْحُكْمُ فِي الأَوْلِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَإِنَّ فِيهِمُ الأَصْحَابَ الْكِرَامَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ حَضْرَةِ الشَّيْخِ بِيَقِينٍ وَكَيْفَ يَتَمَشَّى أَيْضًا فِي الْمُتَأَخِّرِينَ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَهْدِيَّ الَّذِي بَشَّرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقُدُومِهِ وَوُجُودِهِ وَقَالَ إِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ وَكَذَلِكَ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الَّذِي هُوَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمُلْحَقٌ بِأَصْحَابِ خَاتَمِ الرُّسُلِ بِمُتَابَعَةِ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَعَلَّ وَجْهَ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُمْ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُمْ" هُوَ جَلاَلَةُ شَأْنِ مُتَأَخِّرِي هَذِهِ الأُمَّةِ. وَبِالْجُمْلَةِ: أَنَّ لِحَضْرَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ فِي الْوِلاَيَةِ شَأْنًا عَظِيمًا وَدَرَجَةً عُلْيَا أَوْصَلَ الْوِلاَيَةَ الْخَاصَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مِنْ طَرِيقِ السِّرِّ إِلَى النُّقْطَةِ الأَخِيرَةِ وَصَارَ رَأْسَ حَلْقَةِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ. لاَ يُتَوَهَّمُ هُنَا أَنَّ الشَّيْخَ إِذَا كَانَ رَأْسَ حَلْقَةِ دَائِرَةِ الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ فَإِنَّ الْوِلاَيَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ فَوْقَ جَمِيعِ وِلاَيَاتِ الأَنْبِيَاءِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لأَنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ رَأْسُ حَلْقَةِ الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ طَرِيقِ السِّرِّ كَمَا مَرَّ لاَ رَأْسُ حَلْقَةِ تِلْكَ الْوِلاَيَةِ مُطْلَقًا حَتَّى يَلْزَمَ الأَفْضَلِيَّةُ أَوْ نَقُولُ: إِنَّ كَوْنَ رَأْسِ حَلْقَةِ الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مُطْلَقًا لَيْسَ بِمُسْتَلْزِمٍ لِلأَفْضَلِيَّةِ لأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ أَسْبَقَ قَدَمًا مِنْهُ فِي كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالْوِرَاثَةِ فَتَثْبُتُ الأَفْضَلِيَّةُ لَهُ مِنْ جِهَةِ تِلْكَ الْكَمَالاَتِ وَفِي جَمَاعَةٍ مِنْ مُرِيدِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ غُلُوٌّ كَثِيرٌ فِي حَقِّهِ وَتَجَاوُزٌ إِلَى جَانِبِ الإِفْرَاطِ فِي الْمَحَبَّةِ مِثْلَ مُحِبِّي عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ الْمُفْرِطِينَ فِيهِ، وَيُفْهَمُ مِنْ فَحْوَى كَلاَمِ هَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةِ وَكَلِمَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ الشَّيْخَ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَلاَ يُعْلَمُ أَنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَهَذَا مِنْ إِفْرَاطِ الْمَحَبَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقَ الْعَادَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ حَضْرَةِ الشَّيْخِ لَمْ تَظْهَرْ مِنْ وَلِيٍّ أَصْلاً فَيَكُونُ الْفَضْلُ لَهُ؟

قُلْتُ: إِنَّ كَثْرَةَ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ لاَ دَلاَلَةَ فِيهَا عَلَى الأَفْضَلِيَّةِ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ خَارِقٌ أَصْلاً أَفْضَلَ مِنَ الَّذِي ظَهَرَتْ مِنْهُ خَوَارِقُ وَكَرَامَاتٌ قَالَ شَيْخُ الشُّيُوخِ فِي الْعَوَارِفِ بَعْدَ ذِكْرِ الْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ الْمَشَائِخِ لِلْعَادَاتِ: وَكُلُّ هَذِهِ مَوَاهِبُ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ يُكَاشَفُ بِهَا قَوْمٌ وَيُعْطَى وَقَدْ

---

[1] وهو ابو سعيد عبد الله ابن ابي عسرون امام الشافعية في وقته وهو الذي نقل هذه الحكاية بطولها على ما في الفتاوى الحديثية لابن حجر (الفزان رحمة الله عليه)

يَكُونُ فَوْقَ هَؤُلَاءِ مَنْ لَا يَكُونُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَقْوِيَةُ الْيَقِينِ وَمَنْ مُنِحَ صِرْفَ الْيَقِينِ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَكُلُّ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ دُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَجَوْهُرِ الذِّكْرِ فِي الْقَلْبِ وَجَعْلُ كَثْرَةِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ دَلِيلاً عَلَى الْأَفْضَلِيَّةِ كَجَعْلِ كَثْرَةِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَمَنَاقِبِهِ دَلِيلاً عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ هَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ. اسْمَعْ أَيُّهَا الْأَخُ: أَنَّ خَوَارِقَ الْعَادَاتِ عَلَى نَوْعَيْنِ، النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الْوَاجِبِ جَلَّ وَعَلَا وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ الْعَقْلِ وَخِلَافُ الْمَعَارِفِ الْمُتَعَارَفِ الْمُعْتَادِ وَجَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْخَاصَّةَ مُمْتَازِينَ بِهَا وَالنَّوْعُ الثَّانِي: كَشْفُ صُوَرِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْأَخْبَارُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْعَالَمِ وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مَخْصُوصٌ بِأَهْلِ الْحَقِّ وَأَرْبَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالنَّوْعُ الثَّانِي شَامِلٌ لِلْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ فَإِنَّهُ حَاصِلٌ لِأَهْلِ الْإِسْتِدْرَاجِ أَيْضًا وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ لَهُ شَرَافَةٌ وَاعْتِبَارٌ عِنْدَ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلَا لِكَوْنِهِ مَخْصُوصًا بِأَوْلِيَائِهِ وَعَدَمِ مُشَارَكَةِ أَعْدَائِهِ فِيهِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مُعْتَبَرٌ عِنْدَ عَوَامِّ الْخَلَائِقِ وَمُعَزَّزٌ وَمُكَرَّمٌ عِنْدَ أَنْظَارِهِمْ حَتَّى لَوْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْتِدْرَاجِ يَكَادُونَ يَعْبُدُونَهُ مِنْ جَهْلِهِمْ وَيُطِيعُونَهُ وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَيَنْهَاهُمْ بَلِ الْمَحْجُوبُونَ لَا يَعُدُّونَ النَّوْعَ الْأَوَّلَ مِنَ الْخَوَارِقِ. وَالْكَرَامَاتُ وَالْخَوَارِقُ مُنْحَصِرَةٌ عِنْدَهُمْ فِي النَّوْعِ الثَّانِي وَالْكَرَامَاتُ مَخْصُوصَةٌ عِنْدَهُمْ بِكَشْفِ صُوَرِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْأَخْبَارِ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ مَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ الْعَقْلِ أَيُّ شَرَافَةٍ وَأَيُّ كَرَامَةٍ فِي عِلْمٍ يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ حَاضِرَةً كَانَتْ أَوْ غَائِبَةً بَلِ الْأَلْيَقُ وَالْأَنْسَبُ أَنْ يُبَدَّلَ مِثْلُ هَذَا الْعِلْمِ جَهْلاً لِيَحْصُلَ نِسْيَانُ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَحْوَالِهَا. وَاللَّائِقُ بِالشَّرَافَةِ وَالْكَرَامَةِ هُوَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَهِيَ الْمُسْتَحِقَّةُ لِلْإِعْزَازِ وَالْإِحْتِرَامِ،

(شِعْرٌ) وَمَلِيحَةٌ مَهْجُورَةٌ وَذَمِيمَةٌ *** مَقْبُولَةٌ مِنْ أَجْلِ ذَا عَقْلِي عَطَلْ

(غَيْرُهُ) وَرُبَّ مَلِيحٍ لَا يُحَبُّ وَضِدُّهُ *** يُقَبِّلُ مِنْهُ الْعَيْنَ وَالْخَدَّ وَالْفَمَ

وَقَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرْنَا مَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيُّ وَالْإِمَامُ الْأَنْصَارِيُّ فِي مَنَازِلِ السَّائِرِينَ وَشَارِحُهُ وَالَّذِي ثَبَتَ عِنْدِي بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّ فِرَاسَةَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ إِنَّمَا هِيَ فِي تَمْيِيزِهِمْ مَنْ يَصْلُحُ لِحَضْرَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا مِمَّنْ لَا يَصْلُحُ وَيَعْرِفُونَ أَهْلَ الْإِسْتِعْدَادِ الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَوَصَلُوا إِلَى حَضْرَةِ الْجَمْعِ وَهَذِهِ فِرَاسَةُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَأَمَّا فِرَاسَةُ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ بِالْجُوعِ وَالْخَلْوَةِ وَتَصْفِيَةِ الْبَاطِنِ مِنْ غَيْرِ وَصْلَةٍ إِلَى جَانِبِ الْحَقِّ تَعَالَى فَلَهُمْ فِرَاسَةُ كَشْفِ الصُّوَرِ وَالْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْخَلْقِ فَإِنَّهُمْ لَا يُخْبِرُونَ إِلَّا عَنِ الْخَلْقِ لِأَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ فَلِإِشْتِغَالِهِمْ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَارِفِ الْحَقِّ تَعَالَى لَا يَكُونُ إِخْبَارُهُمْ إِلَّا عَنِ الْحَقِّ تَعَالَى وَلَمَّا كَانَ الْعَالَمُ أَكْثَرُهُمْ بِأَهْلِ انْقِطَاعٍ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَاشْتِغَالٍ بِالدُّنْيَا مَالَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى أَهْلِ كَشْفِ

الصُّوَرِ وَالإِخْبَارِ عَمَّا غَابَ مِنْ أَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ فَعَظَّمُوهُمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ وَأَعْرَضُوا عَنْ كَشْفِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ وَاتَّهَمُوهُمْ فِيمَا يُخْبِرُونَ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَقَالُوا: لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَهْلَ الْحَقِّ كَمَا يَزْعُمُونَ لَأَخْبَرُونَا عَنْ أَحْوَالِنَا وَأَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ وَإِذَا كَانُوا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى كَشْفِ أَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكَيْفَ يَقْدِرُونَ عَلَى كَشْفِ أُمُورٍ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ وَكَذَّبُوهُمْ بِهَذَا الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ وَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ الصَّحِيحَةُ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ حَمَى هَؤُلَاءِ عَنْ مُلَاحَظَةِ الْخَلْقِ وَخَصَّهُمْ وَشَغَلَهُمْ عَمَّا سِوَاهُ حِمَايَةً لَهُمْ وَغَيْرَةً عَلَيْهِمْ وَلَوْ كَانُوا مِمَّنْ يَتَعَرَّضُ لِأَحْوَالِ الْخَلْقِ مَا صَلَحُوا لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَقَدْ رَأَيْنَا أَهْلَ الْحَقِّ إِذَا الْتَفَتُوا أَدْنَى الْتِفَاتٍ إِلَى كَشْفِ الصُّوَرِ أَدْرَكُوا مِنْهَا مَا لَا يَقْدِرُ غَيْرُهُمْ عَلَى إِدْرَاكِهِ بِالْفِرَاسَةِ الَّتِي يُثْبِتُهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَهِيَ الْفِرَاسَةُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَأَمَّا فِرَاسَةُ أَهْلِ الصَّفَاءِ الْخَارِجِينَ الْمُتَعَلِّقِينَ بِالْخَلْقِ فَلَا يَتَعَلَّقُ بِجَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلَا مَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَشْتَرِكُ الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى وَالْيَهُودُ وَسَائِرُ الطَّوَائِفِ فِيهَا لِأَنَّهَا لَيْسَتْ شَرِيفَةً عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ فَيَخْتَصَّ بِهَا أَهْلُهُ.

(٢٩٤) الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمَخْدُومِ جَامِعِ الْعُلُومِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْأَسْرَارِ الْبَاطِنِيَّةِ مَجْدِ الدِّينِ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ مَعْصُومْ سَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ الثَّمَانِ وَفِي تَحْقِيقِ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَبَادِي تَعَيُّنَاتِ سَائِرِ الْخَلَائِقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَفِي الْفَرْقِ بَيْنَ تَجَلِّيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَشُهُودِهِمْ وَتَحْقِيقِ الْوَصْلِ الْعُرْيَانِ لِكُمَّلِ الْأَتْبَاعِ مَعَ وُجُودِ وَسَاطَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَفِي تَحْقِيقِ أَلْفَاظِ الْمَحْوِ وَالْإِضْمِحْلَالِ الْوَاقِعَةِ فِي عِبَارَةِ الْمَشَائِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اعْلَمْ أَنَّ صِفَاتِ وَاجِبِ الْوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ الثَّمَانَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي أَوَّلُهَا الْحَيَاةُ وَآخِرُهَا التَّكْوِينُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ قِسْمٌ تَعَلُّقُهُ بِالْعَالَمِ أَغْلَبُ وَإِضَافَتُهُ إِلَى الْخَلْقِ أَكْثَرُ كَالتَّكْوِينِ وَمِنْ هَهُنَا أَنْكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وُجُودَهَا وَقَالُوا: إِنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْإِضَافِيَّةِ وَالْحَقُّ أَنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ الْغَالِبَةِ عَلَيْهَا الْإِضَافَةُ، وَقِسْمٌ آخَرُ مَا فِيهِ الْإِضَافَةُ وَلَكِنَّهَا أَقَلُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقِسْمِ السَّابِقِ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ. وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ هُوَ أَعْلَى الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْعَالَمِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَلَيْسَ فِيهِ رَائِحَةٌ مِنَ الْإِضَافَةِ كَالْحَيَاةِ وَهَذِهِ الصِّفَةُ أَجْمَعُ الصِّفَاتِ وَأَصْلُ الْكُلِّ وَأَسْبَقُهَا وَأَقْرَبُ إِلَيْهَا صِفَةُ الْعِلْمِ الَّتِي هِيَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَقِيَّةُ الصِّفَاتِ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِ خَلَائِقَ أُخَرَ وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ صِفَةٍ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ جُزْئِيَّاتٌ فَإِنَّ التَّكْوِينَ مَثَلًا لَهُ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقَاتٍ شَتَّى جُزْئِيَّاتٌ وَهِيَ التَّخْلِيقُ وَالتَّرْزِيقُ وَالْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ كَانَتْ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتُ مِثْلَ كُلِّيَّاتِهَا مَبَادِئَ تَعَيُّنَاتِ الْخَلَائِقِ وَكُلُّ مَنْ كَانَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِهِ كُلِّيًّا تَكُونُ أَرْبَابُ تَعَيُّنَاتٍ مَبَادِيهَا جُزْئِيَّاتُ ذَلِكَ الْكُلِّيِّ أَتْبَاعًا لِذَلِكَ الشَّخْصِ

وَمُعَاشِرِينَ تَحْتَ قَدَمِهِ وَمِنْ هَهُنَا تَسْمَعُهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ فُلاَنًا تَحْتَ قَدَمِ مُحَمَّدٍ وَفُلاَنًا تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى وَفُلاَنًا تَحْتَ قَدَمِ عِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِذَا حَصَلَ لِتِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ تَرَقٍّ بِطَرِيقِ السُّلُوكِ تَكُونُ مُلْحَقَةً بِكُلِّيَاتِهَا وَيَكُونُ شُهُودُ الْجُزْئِيَّاتِ شُهُودَ الْكُلِّيَّاتِ وَيَكُونُ الْفَرْقُ بِالأَصَالَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ وَالإِمْتِيَازِ بِوُجُودِ التَّوَسُّطِ وَعَدَمِهِ فَإِنَّ مَا يَجِدُهُ التَّابِعُ وَيَرَاهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِدُونِ تَوَسُّطِ الأَصْلِ وَرُبَّمَا لاَ يَعْلَمُ التَّابِعُ مِنْ قُصُورِهِ الأَصْلَ مُتَوَسِّطًا وَلَكِنَّ الأَصْلَ حَائِلٌ فِي الْحَقِيقَةِ بَيْنَ التَّابِعِ وَمَشْهُودِهِ لاَ أَنَّهُ حَائِلٌ مَانِعٌ عَنِ الشُّهُودِ بَلْ هُوَ بَاعِثٌ عَلَى الشُّهُودِ كَالْمَنْظَرِ الصَّافِي وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَتَرَقَّى جُزْئِيَّاتُ كُلِّيٍّ إِلَى غَيْرِهِ بِأَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ وَتَدْخُلَ تَحْتَ كُلِّيٍّ آخَرَ وَيَكُونَ مَشْهُودُهَا مَشْهُودَ ذَلِكَ الْكُلِّيِّ الآخَرِ مِثْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى مَثَلاً إِلَى تَحْتِ قَدَمِ عِيسَى وَلَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلُوا تَحْتَ قَدَمِ مُحَمَّدٍ بَلْ هُمْ تَحْتَ قَدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا. فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ رَبُّ الأَرْبَابِ وَأَصْلُ جَمِيعِ تِلْكَ الْكُلِّيَّاتِ فَيَكُونُ بِالنِّسْبَةِ عَلَى تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ أَصْلَ الأَصْلِ وَكَأَنَّ هَذَا التَّرَقِّيَ إِلَى أَصْلِ الأَصْلِ لاَ إِلَى أَصْلٍ مُبَايِنٍ لأَصْلِهَا. وَالْفَرْقُ حِينَئِذٍ بَيْنَ الْجُزْئِيَّاتِ وَبَيْنَ كُلِّيَّاتِهَا هُوَ أَنَّ لِلْجُزْئِيِّ حَائِلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَصْلُهُ الَّذِي هُوَ كُلِّيٌّ لَهُ وَثَانِيهِمَا أَصْلُ الأَصْلِ وَالْكُلِّيُّ الَّذِي هُوَ أَصْلُ ذَلِكَ الْجُزْئِيِّ حِجَابُهُ أَصْلُ الأَصْلِ فَقَطْ

فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ شُهُودَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِلاَ حِجَابِ التَّعَيُّنَاتِ وَشُهُودَ غَيْرِهِ فِي حُجُبِ التَّعَيُّنَاتِ وَلاَ أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي حِجَابِ التَّعَيُّنِ الْمُحَمَّدِيِّ وَمِنْ هَهُنَا قَالُوا: إِنَّ تَجَلِّيَ الذَّاتِ مِنْ خَاصَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَجَلِّي غَيْرِهِ فِي حُجُبِ الصِّفَاتِ وَلاَ أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي حِجَابِ رَبِّ الأَرْبَابِ فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ فَوْقَ جَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ سِوَى صِفَةِ الْحَيَاةِ.

فَإِنْ قِيلَ: يَلْزَمُ عَلَى هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ شُهُودَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي حِجَابِ مَبْدَأِ التَّعَيُّنِ الْمُحَمَّدِيِّ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ وَشُهُودُ أَوْلِيَاءِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ قَدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالأَصَالَةِ أَيْضًا فِي حِجَابِ رَبِّ الأَرْبَابِ كَشُهُودِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ شُهُودِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَبَيْنَ شُهُودِ أَوْلِيَاءِ أُمَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ؟

قُلْتُ: إِنَّ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ شُهُودًا آخَرَ غَيْرَ هَذَا الشُّهُودِ الَّذِي هُوَ فِي حِجَابِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ الشُّهُودُ مِنْ طَرِيقِ مَبَادِي تَعَيُّنَاتِهِمْ يُشَاهِدُونَ مِنْهُ غَيْبَ الْغَيْبِ بِالأَصَالَةِ وَاضِعِينَ مَنَاظِرَهُمُ الْمَخْصُوصَةَ بِهِمْ عَلَى أَبْصَارِ بَصَائِرِهِمْ. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ حُصُولَ هَذَيْنِ الشُّهُودَيْنِ لَيْسَ هُوَ بِمَعْنَى أَنَّهُمَا يَتَحَقَّقَانِ مَعًا بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ التَّرَقِّيَ إِذَا بَلَغَ أَصْلَ الأَصْلِ فَشُهُودُهُ فِي حِجَابِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ كَعِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَيْثُ أَنَّهُ يُشَرَّفُ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ نُزُولِهِ وَهَذَا التَّرَقِّي مُتَعَسِّرٌ جِدًّا بَلْ قَرِيبٌ مِنَ الإِسْتِحَالَةِ لاَ بُدَّ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مِنْ طَرَفِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي عَالَمِ الأَسْبَابِ لاَ بُدَّ مِنْ شَفَقَةِ الشَّيْخِ الْمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ فَإِنْ لَمْ يَتَرَقَّ مِنْ أَصْلِهِ وَلَمْ يَنْفَكَّ مِنْ حَقِيقَتِهِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى حَقِيقَةِ الْحَقَائِقِ فَشُهُودُهُ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ الْمَخْصُوصَةِ بِهِ.

اعْلَمْ وَتَنَبَّهْ كَمَا أَنَّ إِلَى حَضْرَةِ ذَاتِ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ طَرِيقًا مِنْ حَقِيقَةِ الْحَقَائِقِ يُوصَلُ مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى بَعْدَ مَنَازِلَ كَثِيرَةٍ كَذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْحَقَائِقِ الْكُلِّيَّاتِ أَيْضًا طَرِيقٌ إِلَيْهَا يَحْصُلُ الْوُصُولُ مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ بَعْدَ طَيِّ مَرَاحِلَ مُتَكَثِّرَةٍ. (غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ) أَنَّ فِي طَرِيقِ حَقِيقَةِ الْحَقَائِقِ الْوَصْلَ الْعُرْيَانَ وَفِي سَائِرِ الطُّرُقِ وَإِنْ تَيَسَّرَ وَصْلُ الذَّاتِ وَلَكِنَّ الْحِجَابَ الرَّقِيقَ كَالْغِلَالَةِ مِنْ مُنْتَهَى أُصُولِ حَقِيقَةِ الْحَقَائِقِ الْعَالِيَةِ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ حَائِلٌ فِي الْبَيْنِ وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَاجِزًا حَصِينًا وَمَانِعًا مَتِينًا وَلَكِنْ صَارَتْ حَاجِزِيَّتُهُ مَانِعَةً عَنْ إِطْلَاقِ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ وَإِلَّا فَلِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنَ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ بِالْأَصَالَةِ وَلِكُمَّلِ أُمَمِهِمْ أَيْضًا بِتَبَعِيَّتِهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَتْ صِفَةُ الْحَيَاةِ فَوْقَ صِفَةِ الْعِلْمِ كَانَ تَعَيُّنُ صِفَةِ الْحَيَاةِ فِي طَرِيقِ حَقِيقَةِ الْحَقَائِقِ أَيْضًا حَائِلًا فَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ الْوَصْلُ الْعُرْيَانُ وَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ ؟

أُجِيبَ: أَنَّ ذَلِكَ التَّعَيُّنَ كَلَا تَعَيُّنٍ ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَمْحُوًّا وَمُتَلَاشِيًا فِي الْمَرْتَبَةِ الْفَوْقَانِيَّةِ وَلَا يَبْقَى لَهُ اعْتِبَارٌ فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ أَصْلًا وَسَائِرُ الصِّفَاتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَيْضًا اعْتِبَارٌ فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ وَلَكِنَّهَا قَبْلَ وُصُولِهَا إِلَى مَرْتَبَةِ الذَّاتِ تَتَلَاشَى بِنَوْعٍ مَا بِخِلَافِ صِفَةِ الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا تَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةِ الذَّاتِ ثُمَّ تَتَلَاشَى فِيهَا وَلِهَذَا كَانَ تَعَيُّنُ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَسَائِرُ تَعَيُّنَاتِ الْخَلَائِقِ دَائِمًا وَصَارَ زَوَالُهَا فِي مَرْتَبَةٍ مِنَ الْمَرَاتِبِ مُحَالًا (نَعَمْ) إِنَّ الْوُصُولَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرُ الِاضْمِحْلَالِ فِيهِ وَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ الْمَشَائِخِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ مِنْ لَفْظِ الْمَحْوِ وَالِاضْمِحْلَالِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْمَحْوُ النَّظَرِيُّ لَا الْمَحْوُ الْعَيْنِيُّ، يَعْنِي يَرْتَفِعُ تَعَيُّنُ السَّالِكِ عَنْ نَظَرِهِ لَا أَنَّهُ يَصِيرُ مَمْحُوًّا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّهُ إِلْحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ، وَحَمَلَ بَعْضُ نَاقِصِي أَرْبَابِ هَذَا الطَّرِيقِ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْمُوهِمَةَ عَلَى الْمَحْوِ وَالِاضْمِحْلَالِ الْعَيْنِيِّ وَوَصَلُوا بِهِ إِلَى الزَّنْدَقَةِ وَأَنْكَرُوا الثَّوَابَ وَالْعَذَابَ الْأُخْرَوِيَّيْنِ وَتَخَيَّلُوا أَنَّهُمْ يَعُودُونَ مِنَ الْكَثْرَةِ إِلَى الْوَحْدَةِ مَرَّةً أُخْرَى كَمَا وَرَدُوا مِنَ الْوَحْدَةِ إِلَى الْكَثْرَةِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَزَعَمُوا أَنَّ تِلْكَ الْكَثْرَةَ تَصِيرُ مُضْمَحِلَّةً فِي الْوَحْدَةِ وَخَالَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةِ ذَلِكَ الِانْمِحَاءَ وَالِاضْمِحْلَالَ قِيَامَةً كُبْرَى وَأَنْكَرَ الْحَشْرَ وَالنَّشْرَ وَالْحِسَابَ وَالصِّرَاطَ وَالْمِيزَانَ ضَلُّوا فَأَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وَرَأَيْتُ شَخْصًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ يَسْتَشْهِدُ لِمَطْلَبِهِ بِشِعْرِ مَوْلَانَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَامِي قُدِّسَ سِرُّهُ هَذَا،

(شِعْرٌ) جامى معادو مبدأ مَا وحدت تست وبس *** ما در ميانه كثرة موهوم والسلام

(تَرْجَمَةٌ) مَا مَبْدَأٌ وَلَا مَعَادٌ *** صَاحِ إِلَّا وَحْدَةٌ

مَا نَحْنُ فِي ذَا الْبَيْنِ إِلَّا *** كَثْرَةٌ مَوْهُومَةٌ *

وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ مُرَادَ مَوْلَانَا الْجَامِيِّ بِهَذَا الْبَيْتِ الْعَوْدُ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْوَحْدَةِ بِاعْتِبَارِ النَّظَرِ وَالشُّهُودِ يَعْنِي لَا يَبْقَى الْمَشْهُودُ غَيْرَ الذَّاتِ الْأَحَدِ وَتَخْتَفِي الْكَثْرَةُ عَنِ النَّظَرِ بِالتَّمَامِ لَا الرُّجُوعُ الْعَيْنِيُّ وَالْعَوْدُ الْوُجُودِيُّ وَلَعَلَّ بِهِمْ عَمًى أَمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْعَجْزُ وَالنَّقْصُ وَالِاحْتِيَاجُ عَنْ كَامِلٍ أَصْلًا فَمَا يَكُونُ مَعْنَى

الرُّجُوعِ الْوُجُودِيِّ إِلَى الْوَحْدَةِ فَإِنْ تَخَيَّلُوا أَنَّ هَذَا الرُّجُوعَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَهُمْ كُفَّارٌ وَزَنَادِقَةٌ حَيْثُ يُنْكِرُونَ الْعَذَابَ الْأُخْرَوِيَّ وَيُبْطِلُونَ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(فَإِنْ قِيلَ) أَنْتَ قَدْ كَتَبْتَ فِي بَعْضِ رَسَائِلِكَ أَنَّ فَنَاءَ الْأَخْفَى مَخْصُوصٌ بِالْوِلَايَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَمَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ؟

(أُجِيبَ) قَدْ عُلِمَ مِنَ التَّحْقِيقِ السَّابِقِ أَنَّ الْوَصْلَ الْعُرْيَانَ مَخْصُوصٌ بِالْوِلَايَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَأَنَّ مَا سِوَاهَا وَإِنِ ارْتَفَعَتْ فِيهَا الْحُجُبُ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ حَيْلُولَةِ حِجَابٍ رَقِيقٍ كَالْغِلَالَةِ حَاصِلٍ مِنْ تَوَسُّطِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ كَمَا مَرَّ فَالْأَخْفَى الَّذِي هُوَ نِهَايَةُ الْمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْعُلُوِّ تَبْقَى مِنْهُ بَقِيَّةٌ عَلَى قَدْرِ تِلْكَ الْحَيْلُولَةِ فَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْفَنَاءِ الْمُطْلَقِ فِيهِ بِمُلَاحَظَةِ تِلْكَ الْبَقِيَّةِ وَمَنِ الَّذِي يَجِدُ بَقَاءَ تِلْكَ الْبَقِيَّةِ غَيْرَ الْمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ بَلْ إِنْ حَصَلَتْ حِدَّةُ النَّظَرِ هَذِهِ لِوَاحِدٍ مِنْ أُلُوفٍ مِنَ الْمُحَمَّدِيِّ الْمَشْرَبِ فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ فَإِنَّ مَشَايِخَ الطَّبَقَاتِ تَكَلَّمَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى الرُّوحِ وَالسِّرِّ لَا يُدْرَى هَلْ تَكَلَّمَ أَحَدٌ عَنِ الْخَفِيِّ أَوْ لَا فَكَيْفَ عَنِ الْأَخْفَى وَالَّذِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْأَخْفَى وَأَدْرَكَ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ وَاطَّلَعَ عَلَيْهَا فَهُوَ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١].

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ اعْتِقَادَكَ هُوَ أَنَّ كُلَّمَا يَحْصُلُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْكَمَالَاتِ يَكُونُ مِنْهَا نَصِيبٌ لِكُمَّلِ أَتْبَاعِهِ أَيْضًا بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَصْلِ الْعُرْيَانِ نَصِيبٌ لَهُمْ أَيْضًا وَالْحَالُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَائِلٌ فِي الْبَيْنِ.

أُجِيبُ: أَنَّ حَيْلُولَةَ النَّبِيِّ لَا تَضُرُّ فِي الْوَصْلِ الْعُرْيَانِ فَإِنَّ ذَلِكَ الْوَصْلَ بِالتَّبَعِيَّةِ لَا بِالْأَصَالَةِ فَالْحَيْلُولَةُ تَكُونُ مُؤَكِّدَةً لِلتَّبَعِيَّةِ لَا مُنَافِيَةً لَهَا فَإِنَّ مَعْنَى التَّبَعِيَّةِ تَحَقُّقُ الْمُتَوَسِّطِ لَا ارْتِفَاعُهُ فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ لِلْأَصَالَةِ فَتَثْبُتُ الْحَيْلُولَةُ وَيَحْصُلُ الْوَصْلُ الْعُرْيَانُ أَيْضًا بِالتَّبَعِيَّةِ فَافْهَمْ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا وَجْهُ إِطْلَاقِ الْوَصْلِ الْعُرْيَانِ وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ فِي مَادَّةِ كُمَّلِ أَتْبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَمِ تَجْوِيزِ هَذَا الْإِطْلَاقِ فِي حَقِّ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مَعَ أَنَّ حَيْلُولَةَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصِلَةٌ فِي كِلَا الْمَادَّتَيْنِ. أُجِيبُ: أَنَّ تَجْوِيزَ هَذَا الْإِطْلَاقِ فِي مَوَادِّ كُمَّلِ الْأَتْبَاعِ بِاعْتِبَارِ التَّبَعِيَّةِ فَإِنَّ تَوَسُّطَ نَبِيٍّ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِهَذَا الْإِطْلَاقِ كَمَا مَرَّ بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّهُ لَوْ جَوَّزَ هَذَا الْإِطْلَاقَ فِي حَقِّهِمْ يَكُونُ بِاعْتِبَارِ الْأَصَالَةِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرَ قَطَعُوا الْمَنَازِلَ بِالْأَصَالَةِ وَوَصَلُوا إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلَا شَكَّ أَنَّ حُصُولَ الْمُتَوَسِّطِ وَتَحَقُّقَهُ فِي صُورَةِ الْأَصَالَةِ يَكُونُ مُنَافِيًا لِذَلِكَ الْإِطْلَاقِ فَصَارَ الْفَرْقُ وَاضِحًا. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ فَرْقَ الْأَصَالَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ فِيمَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَكُمَّلِ

---

(١) الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُوجِبٌ لِأَفْضَلِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّ الْأَصْلَ مَقْصُودِيٌّ وَالتَّابِعَ طُفَيْلِيٌّ وَإِنْ صَحَّ إِطْلَاقُ الْوَصْلِ الْعُرْيَانِ وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ فِي مَادَّةِ الْإِتْبَاعِ وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ الْإِطْلَاقُ فِي الْمَتْبُوعِينَ يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَكِنْ مَا قَدْرُ طُفَيْلِيٍّ فِي جَنْبِ الْمَقْصُودِيِّ حَتَّى يُدَّعَى التَّسَاوِي لَهُ وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ الْمُسَاوَاةُ فَإِنَّ تِلْكَ الدَّوْلَةَ فِي الْأَصْلِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ وَفِي التَّابِعِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْمِ وَالرَّسْمِ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةَ تُصَحِّحُ النِّسْبَةَ وَتَجْعَلُ التَّابِعَ كَالْمَتْبُوعِ وَلِهَذَا قَالَ خَاتَمُ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" فَلَاحَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ وَاتَّضَحَ أَنَّ حُصُولَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ لِأَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَكُونُ مُوهِمًا لِفَضْلِهِمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسَ فِيهِمُ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ فَافْهَمْ فَإِنَّهُ مِنْ مَزَلَّةِ الْأَقْدَامِ وَأَنْصِفْ فَإِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذَا الْعَبْدَ بِهَا بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَإِنْ قِيلَ: الْمُقَرَّرُ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الْعَالَمِ هُوَ خَاتَمُ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَغَيْرُهُ طُفَيْلِيٌّ فِي نَفْسِ الْوُجُودِ وَفِي حُصُولِ الْكَمَالَاتِ وَيَصِلُونَ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِتَبَعِيَّتِهِ وَلِهَذَا يَكُونُ آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِهِ وَأَنْتَ تَقُولُ إِنَّ دَوْلَةَ الْوُصُولِ لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِطَرِيقِ الْأَصَالَةِ لَا بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ ؟

قُلْتُ: كَمَا أَنَّ لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرِيقًا مِنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ كَذَلِكَ لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَيْضًا مِنْ حَقَائِقِهِمْ طُرُقٌ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَى شَأْنُهَا لَا تَبَعِيَّةَ فِيهِمْ فِي هَذَا الْوُصُولِ بِخِلَافِ الْأُمَمِ فَإِنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى الْمَطْلَبِ بِتَبَعِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ طَرِيقِ حَقَائِقِهِمُ الْمُنَاسِبِ لِاسْتِعْدَادِ كُلٍّ مِنْهُمْ وَالْأَصَالَةُ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّهِمْ.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ: أَنَّ وُصُولَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنْ كَانَ بِالْأَصَالَةِ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِوَصْلٍ عُرْيَانٍ فَإِنَّ حَقِيقَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَارَتْ حِجَابًا رَقِيقًا عَنِ الْمَطْلُوبِ فَكُلُّ فَيْضٍ وَارِدٍ يَتَّصِلُ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ أَوَّلًا بِالضَّرُورَةِ ثُمَّ يَصِلُ بِتَوَسُّطِهَا إِلَى الْآخَرِينَ وَمَعْنَى التَّبَعِيَّةِ حُصُولُ هَذَا التَّوَسُّطِ فَتِلْكَ الْأَصَالَةُ لَا تُنَافِي لِهَذِهِ التَّبَعِيَّةِ يَنْبَغِي حُسْنُ التَّأَمُّلِ: أَنَّ التَّبَعِيَّةَ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي حَقِّهِمْ وَرَاءَ تِلْكَ التَّبَعِيَّةِ فَإِنَّهَا مُنَافِيَةٌ لِلْأَصَالَةِ كَمَا مَرَّ غَيْرَ مَرَّةٍ فَافْتَرَقَا.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ فِي مَرَاتِبِ الْعُرُوجِ نَصِيبٌ لِلْكُمَّلِ مِنْ مَرْتَبَةِ صِفَةِ الْحَيَاةِ أَوْ لَا ؟ **قُلْتُ:** نَعَمْ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ مَرَّ أَنَّ نِهَايَةَ هَذِهِ الصِّفَةِ اضْمِحْلَالٌ وَتَلَاشٍ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ نَصِيبُ الْكُمَّلِ مِنْ مَقَامِ الْمَحْوِ وَالتَّلَاشِي وَقَدْ قُلْتَ فِيمَا سَبَقَ: إِنَّ تَعَيُّنَاتِ الْحَقَائِقِ لَيْسَ لَهَا اضْمِحْلَالٌ عَيْنِيٌّ فَإِنْ كَانَ فَنَظَرِيٌّ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِالْاضْمِحْلَالِ الْعَيْنِيِّ مُفْضٍ إِلَى الزَّنْدَقَةِ. **قُلْتُ:** مِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ فِي حُصُولِ النَّصِيبِ مِنْهَا الْاضْمِحْلَالُ الْعَيْنِيُّ بَلِ الْاضْمِحْلَالُ النَّظَرِيُّ كَافٍ فِيهِ وَإِنْ كَانَتِ الْمَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةً فِي ذَلِكَ

الإضمحلال فافهم والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال. والسلام على من اتبع الهدى [1] والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله من الصلوات أتمها ومن التسليمات أكملها.

(٢٩٥) المكتوب الخامس والتسعون والمائتان إلى الحاج يوسف الكشميري في بيان النظر على القدم وهوش دردم والسفر في الوطن والخلوة في الجلوة التي هي أصول الطريقة النقشبندية العلية قدس الله أسرار أهاليها

ينبغي أن يعلم: أن واحدا من الأصول المقررة في الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار مشائخها النظر على القدم، وليس المراد بالنظر على القدم أنه لا ينبغي أن يتجاوز النظر القدم وأن يميل إلى الفوق قبل القدم ؛ فإنه خلاف الواقع فإن النظر يتفوق القدم ويتقدم عليه دائما ويجعل القدم رديفه، فإن العروج على مدارج العلى يكون أولا بالنظر، ثم يصعد بعد ذلك بالقدم، فإذا وصلت القدم إلى مرتبة النظر يتفوق النظر منها إلى درجة فوقانية وتصعد القدم أيضا بتبعيته، ثم يترقى النظر بعد ذلك من ذلك المقام، ثم تتبعه القدم وعلى هذا القياس فإن كان المراد به أنه لا ينبغي أن يترقى النظر إلى مقام لا يكون للقدم فيه مجال فهو أيضا غير واقع ؛ فإنه لو لم ينفرد النظر بعد تمام السير القدمي يفوت كثير من مراتب الكمال. بيانه: أن نهاية القدم إلى نهاية استعداد السالك بل إلى نهاية استعداد نبي السالك على قدمه، لكن القدم الأول بالأصالة والقدم الثاني بالتبعية، ولا قدم له فوق مراتب ذلك الإستعداد ولكن له فيه نظر فإن حصلت الحدة لذلك النظر فمنتهاه نهاية مراتب نظر ذلك النبي الذي السالك على قدمه ؛ فإن لكمل أتباع نبي نصيبا من جميع كمالاته، ولكن القدم والنظر يتوافقان إلى نهاية مراتب استعداد السالك بالأصالة وبالتبعية، وبعد ذلك يعجز القدم ويصعد النظر وحده ويترقى إلى نهاية مراتب نظر ذلك النبي. فعلم: أن نظر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا يصعد فوق أقدامهم وأن لكمل أتباعهم أيضا نصيبا من مقامات أنظارهم، كما أن لهم نصيبا من مقامات أقدامهم وفوق قدم خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام مقام الرؤية التي هي موعودة لغيره في الآخرة فما هو نسبة لغيره نقد له، ولكمل أتباعه من هذا المقام نصيب وإن لم يكن رؤية، شعر:

خليلي ما هذا بهزل وإنما * عجيب الأحاديث بديع الغرائب**

ولنرجع إلى أصل الكلام ونقول: فإن كان المراد به أنه ينبغي أن يتخلف القدم عن النظر على وجه لا يصل إلى مقام النظر في وقت من الأوقات فحسن ؛ فإن هذا المعنى ليس بمانع للترقي، وكذلك إذا كان

(١) الآية: ٤٧ من سورة طه.

الْمُرَادُ بِالنَّظَرِ وَالْقَدَمِ النَّظَرَ وَالْقَدَمَ الظَّاهِرَيْنِ فَلَهُ مَجَالٌ ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ تَحْصُلُ لَهُ التَّفْرِقَةُ وَقْتَ الْمَشْيِ وَيَتَشَتَّتُ بِالْوُقُوعِ عَلَى مَحْسُوسَاتٍ مُتَلَوِّنَةٍ فَإِنَّ نَصْبَ النَّظَرِ إِلَى الْقَدَمِ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ وَهَذَا الْمُرَادُ مُنَاسِبٌ لِمَعْنًى كَلِمَةٍ هِيَ قَرِينَةٌ وَهِيَ هَذِهِ: "هُوشْ دَرْدَمْ" يَعْنِي: الْعَقْلَ فِي النَّفَسِ.

غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ: أَنَّ الْكَلِمَةَ الْأُولَى: لِدَفْعِ تَفْرِقَةٍ مُنْبَعِثَةٍ عَنِ الْآفَاقِ.

وَالْكَلِمَةَ الثَّانِيَةَ: لِدَفْعِ التَّفْرِقَةِ الْأَنْفُسِيَّةِ.

وَالْكَلِمَةُ الثَّالِثَةُ: الَّتِي هِيَ قَرِينُ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ كَلِمَةُ: "السَّفَرُ فِي الْوَطَنِ".

وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّيْرِ فِي الْأَنْفُسِ الَّذِي هُوَ مَنْشَأُ حُصُولِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي الْبِدَايَةِ الَّذِي هُوَ مَخْصُوصٌ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ، وَالسَّيْرُ فِي الْأَنْفُسِ وَإِنْ كَانَ فِي جَمِيعِ الطُّرُقِ وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ الطُّرُقِ بَعْدَ حُصُولِ السَّيْرِ الْآفَاقِي بِخِلَافِ هَذَا الطَّرِيقِ فَإِنَّ فِيهِ الشُّرُوعَ مِنْ هَذَا السَّيْرِ وَالسَّيْرُ الْآفَاقِيُّ مُنْدَرِجٌ فِي ضِمْنِهِ، فَلَوْ قُلْنَا: إِنَّ فِي هَذَا الطَّرِيقِ انْدِرَاجَ الْبِدَايَةِ فِي النِّهَايَةِ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ أَيْضًا لَسَاغَ.

وَالْكَلِمَةُ الرَّابِعَةُ الَّتِي هِيَ قَرِينُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ كَلِمَةُ: "الْخَلْوَةُ فِي الْجَلْوَةِ".

وَمَتَى تَيَسَّرَ السَّفَرُ فِي الْوَطَنِ يُسَافِرُ فِي خَلْوَةِ الْوَطَنِ أَيْضًا فِي نَفْسِ الْجَلْوَةِ، وَلَا تَتَطَرَّقُ تَفْرِقَةُ الْآفَاقِ إِلَى حُجْرَةِ الْأَنْفُسِ، وَهَذَا أَيْضًا عَلَى تَقْدِيرِ غَلْقِ أَبْوَابِ الْحُجْرَةِ وَسَدِّ جَمِيعِ رَوْزَنَتِهَا وَكَوَّتِهَا فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ فِي خَلْوَةِ التَّفْرِقَةِ مُتَكَلِّمًا وَلَا مُخَاطِبًا وَلَا مُلْتَفِتًا إِلَى أَحَدٍ، وَكُلُّ هَذِهِ التَّمَحُّلَاتِ وَالتَّكَلُّفَاتِ فِي الْبِدَايَةِ وَالْوَسَطِ وَأَمَّا فِي النِّهَايَةِ فَلَا شَيْءَ يَلْزَمُ مِنْهَا أَصْلًا ؛ فَإِنَّ الْمُنْتَهِي مُتَّصِفٌ بِالْجَمْعِيَّةِ فِي نَفْسِ التَّفْرِقَةِ وَبِالْحُضُورِ فِي عَيْنِ الْغَفْلَةِ. وَلَا يُظَنُّ مِنْ هُنَا: أَنَّ التَّفْرِقَةَ وَعَدَمَ التَّفْرِقَةِ مُتَسَاوِيَانِ فِي حَقِّ جَمْعِيَّةِ الْمُنْتَهِي مُطْلَقًا فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُمَا مُتَسَاوِيَانِ فِي جَمْعِيَّةِ الْبَاطِنِ. وَمَعَ ذَلِكَ لَوْ جَمَعَ ظَاهِرَهُ مَعَ بَاطِنِهِ وَدَفَعَ التَّفْرِقَةَ عَنْ ظَاهِرِهِ أَيْضًا يَكُونُ أَوْلَى وَأَنْسَبَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مِنْ تَفْرِقَةِ الظَّاهِرِ لِأَدَاءِ حُقُوقِ الْحَقِّ فَتَكُونُ تَفْرِقَةُ الظَّاهِرِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مُسْتَحْسَنَةً أَيْضًا. وَأَمَّا تَفْرِقَةُ الْبَاطِنِ: فَلَيْسَتْ بِمُسْتَحْسَنَةٍ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّهُ خَالِصُ حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ ثَلَاثُ حِصَصٍ مِنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ لِأَجْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ تَمَامَ الْبَاطِنِ وَنِصْفَ الظَّاهِرِ وَبَقِيَ النِّصْفُ الْآخَرُ مِنَ الظَّاهِرِ لِأَدَاءِ حُقُوقِ الْخَلْقِ وَلَمَّا كَانَ فِي أَدَاءِ تِلْكَ الْحُقُوقِ امْتِثَالُ أَوَامِرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ صَارَ ذَلِكَ النِّصْفُ أَيْضًا رَاجِعًا إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ ﴾

(٢٩٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الْمَخْدُومِ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ سَعِيدْ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي بَسَاطَةِ صِفَاتِ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَنَفْيِ تَعَدُّدِ تَعَلُّقِهَا بِالْأَشْيَاءِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ: (اِعْلَمْ): أَنَّ صِفَاتِ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ كَذَاتِهِ تَعَالَى مُنَزَّهَةٌ عَنِ الشِّبْهِ وَالْمِثَالِ وَبَسَائِطُ حَقِيقِيَّةٌ ؛ مَثَلاً أَنَّ صِفَةَ الْعِلْمِ انْكِشَافٌ وَاحِدٌ بَسِيطٌ تَنْكَشِفُ الْمَعْلُومَاتُ الْأَزَلِيَّةُ وَالْأَبَدِيَّةُ بِهَذَا الْإِنْكِشَافِ الْوَاحِدِ، وَكَذَلِكَ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ كَامِلَةٌ بَسِيطَةٌ تُوجَدُ الْمَقْدُورَاتُ الْأَزَلِيَّةُ وَالْأَبَدِيَّةُ بِوَاسِطَتِهَا، وَكَذَلِكَ كَلاَمٌ وَاحِدٌ بَسِيطٌ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِهَذَا الْكَلاَمِ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالتَّعَدُّدُ الْحَاصِلُ مِنْ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ بِالْمَعْلُومَاتِ وَالْمَقْدُورَاتِ أَيْضًا مَفْقُودٌ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ، وَالْأَشْيَاءُ مَعْلُومَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْدُورَتُهُ، وَلَكِنْ لاَ تَعَلُّقَ لِصِفَةِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ بِهَا أَصْلاً. وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ الْعَقْلِ. وَأَرْبَابُ الْعُقُولِ لاَ يُجَوِّزُونَ مِثْلَ هَذَا الْمَعْنَى أَصْلاً وَيَعُدُّونَ عَدَمَ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ بِالْأَشْيَاءِ مَعَ كَوْنِهَا مَعْلُومَةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْدُورَتَهُ مُحَالاً، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْأَزَلَ وَالْأَبَدَ حَاضِرٌ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ؟ بَلْ لاَ مَجَالَ لِلْآنِ فِيهَا أَيْضًا سِوَى التَّعْبِيرِ بِهِ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ الشَّيْءِ وَأَوْفَقَهُ بِهَا، وَمَعْلُومَاتُ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ حَاضِرَةٌ فِي ذَلِكَ الْآنِ وَفِي ذَلِكَ الْآنِ الْحَاضِرِ يَعْلَمُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ زَيْدًا مَثَلاً مَعْدُومًا وَمَوْجُودًا وَجَنِينًا وَصَبِيًّا وَشَابًّا وَشَيْخًا وَحَيًّا وَمَيِّتًا وَكَائِنًا فِي الْبَرْزَخِ وَالْحَشْرِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لاَ تَعَلُّقَ لِذَلِكَ الْآنِ بِهَذِهِ الْأَطْوَارِ أَصْلاً فَإِنَّهُ لَوْ حَصَلَ لَهُ تَعَلُّقٌ لَخَرَجَ عَنْ كَوْنِهِ آنًا وَيُسَمَّى زَمَانًا وَيَصِيرُ مَاضِيًا وَمُسْتَقْبَلاً فَهَذِهِ الْأَطْوَارُ ثَابِتَةٌ فِي ذَلِكَ الْآنِ وَغَيْرُ ثَابِتَةٍ. **فَعَلَى هَذَا:** لَوْ ثَبَتَ انْكِشَافٌ بَسِيطٌ حَقِيقِيٌّ لاَ يَكُونُ لَهُ تَعَلُّقٌ بِوَاحِدٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ وَيَكُونُ جَمِيعُ الْمَعْلُومَاتِ مُنْكَشِفَةً بِهَذَا الْإِنْكِشَافِ الْوَاحِدِ، فَأَيُّ عَجَبٍ فِيهِ فَإِنَّ اسْتِحَالَةَ جَمْعِ الضِّدَّيْنِ مَفْقُودَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ ؛ فَإِنَّهَا مَشْرُوطَةٌ بِاتِّحَادِ الزَّمَانِ وَالْجِهَةِ، وَلاَ مَجَالَ هُنَا لِلزَّمَانِ ؛ إِذْ لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ زَمَانٌ، وَاتِّحَادُ الْجِهَةِ أَيْضًا مَفْقُودٌ لِلْفَرْقِ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ، وَهَذَا كَمَنْ يَقُولُ أَنَا أَرَى الْإِسْمَ وَالْفِعْلَ وَالْحَرْفَ الَّتِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَسِيمٌ لِلْآخَرِ مُتَّحِدًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فِي مَرْتَبَةِ الْكَلِمَةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَأَجِدُ الْمُنْصَرِفَ غَيْرَ مُنْصَرِفٍ، وَالْمَبْنِيَّ عَيْنَ مُعْرَبٍ، وَيَقُولُ: وَمَعَ وُجُودِ هَذِهِ الْجَامِعِيَّةِ لاَ تَعَلُّقَ لِلْكَلِمَةِ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ وَمُسْتَغْنِيَةٌ عَنْهَا بِالتَّمَامِ لاَ يُنْكِرُ أَحَدٌ مِنَ الْعُقَلاَءِ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ وَلاَ يَسْتَبْعِدُونَ كَلاَمَهُ، فَلِمَ يَسْتَبْعِدُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ ؟! وَيَتَوَقَّفُونَ عَنْ قَبُولِهِ ؟! وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى. **فَإِنْ قِيلَ:** لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِثْلَ هَذَا الْكَلاَمِ **قُلْتُ:** مَا الضَّرَرُ فِيهِ ؟! فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِمُخَالِفٍ لِكَلاَمِ الْآخَرِينَ وَلَيْسَ أَيْضًا مِمَّا لاَ يُنَاسِبُ لِمَرْتَبَةِ الْوُجُودِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، (ع): * **كُلِ أَلْتَ خَرْبُزَةٌ وَالْغَيْرُ فَالُوذَجَا** * **وَالْمِثَالُ الَّذِي يُمْكِنُ إِيرَادُهُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ لِتَوْضِيحِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ:** هُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ الْعِلْمَ بِالْعِلَّةِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْعِلْمِ بِالْمَعْلُومِ، وَالْمُدْرِكَةُ مُتَوَجِّهَةٌ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ بِالْأَصَالَةِ إِلَى الْعِلَّةِ وَمُتَعَلِّقَةٌ بِهَا، وَيَحْصُلُ الْعِلْمُ بِالْمَعْلُولِ بِتَبَعِيَّةِ الْعِلْمِ بِالْعِلَّةِ مِنْ غَيْرِ

تجَدُّد تعلُّق آخرَ به، ولكنْ أرْبابُ الْمعْقُول لاَ يُجوِّزُونَ مَعْلُومِيَّةَ الْمعْلُول في هَذه الصُّورَة أيْضًا منْ غَيْرِ تَعلُّق العِلْمِ بالمعْلُول في مَرْتَبَة ثَانِيَة وإنْ لَمْ يَكُنْ ذلكَ التَّعلُّقُ بالأصَالَة ولكنْ لاَ يُعْلَمُ وُجُودُ مثَال أقْرَب منْ هَذَا المثَال، والْمقْصُودُ التَّوْضيحُ لاَ الإثْبَاتُ، واللّهُ تَعَالَى أعْلَمُ بحقَائق الأمُور كلّهَا والسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى والْتزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْه وعَلَى آله الصَّلَوَاتُ والتَّحيَّاتُ الْمبَارَكَاتُ.

(٢٩٧) الْمكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالْماِئَتَان إلَى مَوْلاَنَا بَدْر الدِّين في تَحْقيق إحَاطَة الْحقّ وَسَرَيَانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَوْضيح ذَلكَ بأمْثلَة وَبيَان رعَايَة حفْظ الْمرَاتب الْوُجُوديَّة وَالإمْكَانيَّة

اعْلَمْ: أنّ إحَاطَةَ الْحقّ سُبْحَانَهُ بالأشْيَاء وَسَرَيَانَهُ فيهَا كإحَاطَة الْمُجْمَل بالْمُفصَّل، وَسَرَيَانه فيه كالْكَلمَة مَثَلاً سَارِيَةٌ في جَميعِ أقْسَامهَا منَ الإسْمِ والفعْلِ والْحرْف وكَذَا في أقْسَام الأقْسَام منَ الماضي والْمضَارع والأمْر والنَّهْي والْمصْدَر واسْمِ الفَاعلِ واسْمِ الْمفْعُول والْمُسْتَثْنَى الْمُنْقَطع والْمتَّصل والْحال والتَّمْييز والثّلاَثي والرُّبَاعي والْخماسي والْحرُوف الْجارَّة والنَّاصبَة والْحرُوف الْمُخْتَصَّة بالأفْعَال والْحرُوف الْمُخْتَصَّة بالأسْمَاء والْحرُوف الدَّاخلَة عَلَيْهمَا إلَى غَيْر ذَلكَ منَ الأسْمَاء الْحاصلَة منَ التَّقْسيمَات الْغَيْر الْمتَنَاهيَة فَهَذه الأقْسَامُ كلُّهَا لَيْسَتْ غَيْرَ الْكَلمَة، بَلْ هَذه اعْتبَارَاتٌ مُنْدَرجَةٌ تَحْتَ الْكَلمَة مَا زَادَ في تَفصيلهَا وتَمْييزهَا عَنِ الْكَلمَة وتَمْييز بَعْضهَا عَنْ بَعْضٍ شَيْءٌ إلاَّ اعْتبَارَ الْعَقْل، وَفي الْخارج لَيْسَتْ إلاَّ الْكَلمَةَ ولهَذَا صَحَّ الْحمْلُ ولَكنْ لكُلِّ مَرْتَبَة منَ الْمرَاتب اسْمٌ يَخْتَصُّ هُوَ بهَا وأحْكَامٌ لاَ تُوجَدُ في غَيْرهَا مَثَلاً: الدَّالُّ عَلَى الْمعْنَى بالإسْتقْلاَل مَعَ الإقْتِرَان بالزَّمَان فعْلٌ وبغَيْر الإقْترَان اسْمٌ وغَيْرُ الدَّالّ عَلَى الْمعْنَى بالإسْتقْلاَل حَرْفٌ وكَذَا الْمُقْتَرنُ بالزَّمَان الْماضي فعْلٌ مَاضٍ، وبالزَّمَان الْحال والإسْتقْبَال مُضَارعٌ، ومَا وُجدَ فيه علَّتَان منَ الْعلَل التِّسْعَة الْمشْهُورَة فَغَيْرُ مُنْصَرف، وإلاَّ فَمُنْصَرفٌ، وحُرُوفٌ عَمَلُهَا الْجرُّ جَارَّةٌ، وحُرُوفٌ عَمَلُهَا النَّصْبُ نَاصبَةٌ ؛ فإطْلاَقُ اسْم مَرْتَبَة عَلَى مَرْتَبَة أخْرَى، وإجْرَاءُ أحْكَام إحْدَيهمَا عَلَى الأخْرَى كإطْلاَق الفعْل الْماضي عَلَى الْمضَارع، والْمُنْصَرف عَلَى غَيْر الْمُنْصَرف، والْجارَّة عَلَى النَّاصبَة، مَعَ كَوْن الْمرَاتب كلّهَا لَيْسَتْ إلاَّ الْكَلمَةَ ضَلاَلَةٌ وخُرُوجٌ عَن الصِّرَاط السَّويّ. **فَنَقُولُ واللّهُ سُبْحَانَهُ أعْلَمُ:** إنّ لكُلِّ مَرْتَبَة منْ مَرَاتب تَنَزُّل الْوُجُود اسْمًا مُخْتَصًّا بهَا وأحْكَامًا لاَ تُوجَدُ إلاَّ فيهَا فَالْوُجُوبُ الذَّاتيُّ والإسْتغْنَاءُ الذَّاتيُّ مُخْتَصَّان بمَرْتَبَة الْجمْع والألُوهيَّة والإمْكَانُ الذَّاتيُّ والإفْتقَارُ الذَّاتيُّ مُخْتَصَّان بمَرْتَبَة الْكَوْن والفَرْق، والْمرْتَبَةُ الأولَى مَرْتَبَةُ الرُّبُوبيَّة والْخالقيَّة، والْمرْتَبَةُ الثَّانيَةُ مَرْتَبَةُ الْعُبُوديَّة والْمخْلُوقيَّة ؛ فَلَوْ أطْلَق أسَامي إحْدَيهمَا عَلَى الأخْرَى وأجْرَى الأحْكَامَ الْمُخْتَصَّةَ بمَرْتَبَة عَلَى مَرْتَبَة أخْرَى لَكَانَ زَنْدَقَةً وكُفْرًا مَحْضًا. والْعَجَبُ منْ بَعْض الْملاَحدَة والزَّنَادقَة أنَّهُمْ كَيْفَ يُخَلِّطُونَ الْمرَاتبَ ويُجْرُونَ أحْكَامَ مَرْتَبَة عَلَى مَرْتَبَة أخْرَى فَيَصفُونَ الْممْكنَ بصفَات الْواجب، والْواجبَ بصفَات الْمُمْكن مَعَ علْمهمْ بتَمَايُز صفَات الْمُمْكن الَّذي هُوَ مَرْتَبَةٌ وَاحدَةٌ بَعْضهَا عَنْ بَعْضٍ واخْتلاَف أحْكَامهمْ وعلْمهمْ بعَدَمِ زَوَال تَمَايُزهمْ

وَاخْتِلَافِ أَحْكَامِهِمْ أَصْلاً مَعَ اتِّحَادِهِمْ فِي الْمَرْتَبَةِ الْكَوْنِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ بِالْبَدَاهَةِ مَثَلاً أَنَّ الْحَرَارَةَ وَالْإِشْرَاقَ مِنْ صِفَاتِ النَّارِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَا لَيْسَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا فِي الْمَاءِ.وَلَا يُوصَفُ بِهَا الْمَاءُ، وَكَذَا الْبُرُودَةُ الَّتِي اخْتَصَّتْ بِالْمَاءِ لَيْسَتْ فِي النَّارِ، وَكَذَا يُمَيِّزُونَ بِالضَّرُورَةِ بَيْنَ أَزْوَاجِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَيَحْكُمُونَ بِتَفْرِقَةِ أَحْكَامِهِنَّ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾

(٢٩٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى السَّيِّدِ مُحِبِّ اللَّهِ الْمَانِكْپُورِيِّ فِي بَيَانِ الْوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ الْأَمْرِ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ وَلَطِيفِ الْعِبَارَةِ وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَى سِرِّ هَذَا الْمَعْنَى أَحَدٌ غَيْرُ الْمَخْدُومِ الْأَكْبَرِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ : لَمَّا كَانَ السَّيْرُ مُدَّةً مَدِيدَةً فِي الظِّلَالِ وَجَدْتُ الْوُصُولَ إِلَى الظِّلِّ عَيْنَ الْحُصُولِ، وَالْآنَ لَمَّا تَيَسَّرَ الْوُصُولُ إِلَى الْأَصْلِ: لَيْسَ الْحُصُولُ غَيْرَ الظِّلِّ كَالْمِرْآةِ الْكَائِنَةِ فِي يَدِ شَخْصٍ الْوَاصِلَةِ إِلَيْهِ لَا نَصِيبَ لَهُ مِنَ الشَّخْصِ إِلَّا ظِلَّهُ فَافْهَمْ فَإِنَّ كَلَامَنَا إِشَارَةٌ. وَاعْلَمْ: أَنَّ الْعِبَارَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِبَيَانِ الطَّرِيقِ الَّتِي حَرَّرْتُ بِطَرِيقِ الرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ رَأَيْتُهَا مُنَاسِبَةً لِهَذَا الْمَقَامِ وَجَعَلْتُهَا مُنْدَرِجَةً فِي هَذَا الْمَكْتُوبِ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَا. ذِكْرٌ كَثِيرٌ مَأْخُوذٌ مِنْ شَيْخٍ صَاحِبِ عِرْفَانٍ الْمُدَاوَمَةُ عَلَيْهِ الرُّجُوعُ إِلَى فَضْلِ الرَّحْمَنِ الْوَصْلُ الْعُرْيَانُ وَالْبَاقِي كُلُّهُمْ حُسْبَانٌ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

(٢٩٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالْمِائَتَانِ إِلَى الشَّيْخِ فَرِيدِ الرَّابْهُولِيِّ فِي التَّعْزِيَةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَبَيَانِ فَضِيلَةِ الْمَوْتِ بِالطَّاعُونِ وَأَنَّ الْفِرَارَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ كَالْفِرَارِ يَوْمَ الزَّحْفِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيُعْلَمْ أَنَّ الْمَكْتُوبَ الشَّرِيفَ قَدْ وَصَلَ وَقَدْ بُيِّنَ فِيهِ الْمُصِيبَاتُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، يَنْبَغِي الصَّبْرُ وَالتَّحَمُّلُ وَالرِّضَاءُ بِالْقَدَرِ (شِعْرٌ):

إِنْ كُنْتَ تُؤْذِينِي فَلَسْتُ بِمُعْرِضٍ *** وَقَدِ اسْتَطَبْتُ مِنَ الْأَعِزَّةِ ذِلَّتِي

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾،

وَقَدْ هَلَكَ فِي هَذَا الْوَبَاءِ مِنْ شُؤْمِ أَعْمَالِنَا الْبَقَرَاتُ لِكَثْرَةِ اخْتِلَاطِهَا بِنَا وَمَاتَتِ النِّسَاءُ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنَّ تَعَلُّقَ بَقَاءِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ بِوُجُودِهِنَّ أَكْثَرُ، وَالَّذِي فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ فِي هَذَا الْوَبَاءِ وَسَلِمَ فَالتُّرَابُ

عَلَى حَيَاتِهِ وَالَّذِي لَمْ يَهْرُبْ وَمَاتَ فَطُوبَى لَهُ وَبُشْرَى لَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَقَدْ جَزَمَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ الْحَجَرِ فِي كِتَابِ "بَذْلُ الْمَاعُونِ فِي فَضْلِ الطَّاعُونِ" بِأَنَّ الْمَيِّتَ بِالطَّعْنِ لَا يُسْأَلُ ؛ لِأَنَّهُ نَظِيرُ الْمَقْتُولِ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَبِأَنَّ الصَّابِرَ فِي الطَّاعُونِ مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ إِذَا مَاتَ فِيهِ بِغَيْرِ الطَّعْنِ لَا يُفْتَنُ أَيْضًا ؛ لِأَنَّهُ نَظِيرُ الْمُرَابِطِ، كَذَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ السُّيُوطِيُّ فِي كِتَابِ: "شَرْحُ الصُّدُورِ بِشَرْحِ أَحْوَالِ الْمَوْتَى وَالْقُبُورِ" . وَقَالَ: وَهُوَ حُجَّةٌ جِدًّا، وَالَّذِي لَمْ يَهْرُبْ وَلَمْ يَمُتْ مِنْ جُمْلَةِ الْغُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ وَمِنْ زُمْرَةِ الصَّابِرِينَ وَالْمُبْتَلِينَ وَلِكُلِّ شَخْصٍ أَجَلٌ مُسَمًّى لَا تَقْدِيمَ فِيهِ وَلَا تَأْخِيرَ، وَسَلَامَةُ أَكْثَرِ الْهَارِبِينَ إِنَّمَا هِيَ لِعَدَمِ مَجِيءِ أَجَلِهِمْ، لَا أَنَّ الْفِرَارَ نَجَّاهُمْ مِنَ الْمَوْتِ، وَهَلَاكُ أَكْثَرِ الصَّابِرِينَ إِنَّمَا هُوَ لِبُلُوغِ أَجَلِهِمْ فَلَيْسَ الْفِرَارُ يُنَجِّي وَلَا الِاسْتِقْرَارُ يُهْلِكُ، وَهَذَا الْفِرَارُ كَالْفِرَارِ يَوْمَ الزَّحْفِ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ وَمِنْ مَكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ يُسَلِّمُ الْهَارِبِينَ وَيُهْلِكُ الصَّابِرِينَ

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾، وَقَدْ سَمِعْنَا صَبْرَكُمْ وَتَحَمُّلَكُمْ وَإِمْدَادَكُمْ وَإِعَانَتَكُمْ لِلْمُسْلِمِينَ جَزَاكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا وَلَا يَضِيقَنَّ قَلْبُكُمْ فِي مَرْتَبَةِ الْأَطْفَالِ وَتَحَمُّلِ أَذَاهُمْ فَإِنَّ الْمَرْجُوَّ تَرَتُّبُ أَجْرٍ جَزِيلٍ عَلَيْهِ، وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَالسَّلَامُ.

(٣٠٠) الْمَكْتُوبُ الْمُوفِي ثَلَاثَمِائَةٍ إِلَى الْمَخْدُومِ زَادَهْ جَامِعِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدْ مَعْصُومْ سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ الْأَسْرَارِ الْغَامِضَةِ وَالْمَعَارِفِ الْغَرِيبَةِ بِلِسَانِ الرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ وَالدَّرْجِ فِيهِ أَيْضًا إِيمَاءٌ مِنْ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى إِذَا حَصَلَ لِلْإِنْسَانِ الْكَامِلِ اسْمُ الْجَامِعِيَّةِ بَعْدَمَا طَوَى مَرَاتِبَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِالسَّيْرِ التَّفْصِيلِيِّ وَصَارَ مِرْآةً لِكَمَالَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَاخْتَفَى عَدَمُهُ الذَّاتِيُّ الَّذِي هُوَ مِرْآةُ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ بِالتَّمَامِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ غَيْرَ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ ظَاهِرًا فَفِي هَذَا الزَّمَانِ يَتَشَرَّفُ بِالْبَقَاءِ الْخَاصِّ الَّذِي هُوَ مَنُوطٌ بِتِلْكَ الْكَمَالَاتِ بَعْدَ حُصُولِ الْفَنَاءِ التَّامِّ الَّذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بِاخْتِفَاءِ عَدَمِهِ وَيَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْوِلَايَةِ وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الْعِنَايَةُ الْأَزَلِيَّةُ شَامِلَةً لِحَالِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَنْعَكِسَ تِلْكَ الْكَمَالَاتُ الَّتِي كَانَ الْعَارِفُ بَاقِيًا بِهَا مَرَّةً ثَانِيَةً فِي مِرْآةِ حَضْرَةِ الذَّاتِ وَأَنْ تَظْهَرَ فِيهَا وَفِي هَذَا الْوَقْتِ يَظْهَرُ سِرُّ قَابَ قَوْسَيْنِ. يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ ظُهُورَ شَيْءٍ فِيهَا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ كِنَايَةٌ عَنْ حُصُولِ نِسْبَةٍ مَجْهُولَةٍ لِلشَّيْءِ بِتِلْكَ الْمِرْآةِ، لَا أَنَّ فِيهِ حَقِيقَةَ الْمِرْآةِ، وَحُصُولَ الشَّيْءِ فِيهَا وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فَإِذَا صَارَتْ تِلْكَ الْكَمَالَاتُ الَّتِي كَانَ الْعَارِفُ بَاقِيًا بِهَا مُنْعَكِسَةً فِي مِرْآةِ جَنَابِ الْقُدْسِ بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَالْأَصَالَةِ وَظَهَرَتْ فِيهَا وَحَصَلَتْ لَهَا فِيهَا النِّسْبَةُ الْمَجْهُولَةُ الْكَيْفِيَّةِ فَلَا جَرَمَ يُطْلَقُ حِينَئِذٍ عَلَيْهَا أَنَا الَّذِي كَانَ مُتَعَلِّقًا بِالْعَارِفِ وَتَرَى نَفْسَهَا عَيْنَ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ الظَّاهِرَةِ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ " أَنَا " فِي مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ إِلَى هُنَا.

اسْمَعْ أَيُّهَا الْوَلَدُ: أَنَّ مِرْآةَ الصُّورَةِ الَّتِي يَنْعَكِسُ فِيهَا الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ لَوْ حَصَلَ لَهَا فَرْضًا الْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ، يَعْنِي لَوْ أَدْرَكَتْ ظُهُورَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ فِيهَا لَكَانَتْ بِالضَّرُورَةِ مُتَلَذِّذَةً بِهِ وَمُحَظَّظَةً بِحَظٍّ أَوْفَرَ، وَفِي مِرْآةِ الْحَقِيقَةِ وَإِنْ كَانَتِ اللَّذَّةُ وَالْأَلَمُ مَفْقُودَيْنِ لِكَوْنِهِمَا مِنْ صِفَاتِ الْإِمْكَانِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ اللَّائِقَ بِتِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا الْمُبَرَّأَ عَنْ سِمَاتِ النَّقْصِ وَالْحُدُوثِ كَائِنٌ وَثَابِتٌ فِيهَا (شِعْر):

خَلِيلَيَّ مَا هَذَا بِهَزْلٍ وَإِنَّمَا * حَدِيثٌ عَجِيبٌ مِنْ غَرِيبِ الْبَدَائِعِ**

وَهَذِهِ الْكَمَالَاتُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي حَصَلَتْ لَهَا فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ النِّسْبَةُ الْمَجْهُولَةُ الْكَيْفِيَّةِ حُكْمُهَا كَحُكْمِ عَالَمِ الْخَلْقِ الْإِنْسَانِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَالَمِ الْأَمْرِ وَسِرُّ "**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**" مَوْجُودٌ وَحَاصِلٌ هُنَا وَلَمَّا حَصَلَتْ لِهَذِهِ الْكَمَالَاتِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي هِيَ تَفْصِيلُ إِجْمَالِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ نِسْبَةٌ مَجْهُولَةُ الْكَيْفِيَّةِ بِحَضْرَةِ الْإِجْمَالِ وَتَيَسَّرَ لَهَا اتِّصَالٌ بِلَا كَيْفٍ وَصَارَتْ مِرْآةً لِحَضْرَةِ الْإِجْمَالِ ظَهَرَ فِي حَضْرَةِ الْإِجْمَالِ التَّفْصِيلُ أَيْضًا بِالضَّرُورَةِ بِمُجَرَّدِ الْاِعْتِبَارِ وَبِمَحْضِ التَّوَهُّمِ وَصَارَ سَبَبًا لِعُرُوجِ: " أَنَا الْعَارِفُ وَهَذَا الْكَمَالُ مَرْبُوطٌ بِمَقَامِ أَوْ أَدْنَى (ع) **بَلَغَ الْيَرَاعُ إِلَى هُنَا فَتَكَسَّرَا** "

وَهَذَا هُوَ بَيَانُ نِهَايَةِ النِّهَايَةِ وَغَايَةِ الْغَايَةِ الَّذِي فَهْمُهُ بَعِيدٌ عَنْ إِدْرَاكِ الْخَوَاصِّ بِمَرَاحِلَ، فَمَاذَا تَقُولُ مِنَ الْعَوَامِّ ؟! وَالَّذِي اهْتَدَى إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ أَخَصِّ الْخَوَاصِّ أَيْضًا أَقَلُّ قَلِيلٍ (شِعْر)

وَإِذَا أَتَى بَابَ الْعَجُوزِ خَلِيفَةٌ * إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سِبَالِكَا**

وَهَذِهِ النِّهَايَةُ بِاعْتِبَارِ الظُّهُورَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ لَا يُتَصَوَّرُ بَعْدَ ذَلِكَ تَجَلٍّ وَلَا ظُهُورٌ (شِعْر)

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا مَا يَدِقُّ صِفَاتُهُ * وَمَا كَتْمُهُ أَحْظَى لَدَيَّ وَأَجْمَلُ**

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِ كُلٍّ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَأَوْلَاهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَأَعْلَاهَا وَمِنَ التَّجَلِّيَاتِ أَدْوَمُهَا وَأَبْقَاهَا، وَمِنَ الْبَرَكَاتِ أَعَمُّهَا وَأَشْمَلُهَا.

(٣٠١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى مَوْلَانَا أَمَانِ اللهِ فِي بَيَانِ قُرْبِ النُّبُوَّةِ وَقُرْبِ الْوِلَايَةِ وَالطُّرُقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى قُرْبِ النُّبُوَّةِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ لِيَعْلَمْ وَلَدِي أَمَانُ اللهِ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَائِبَةُ الظِّلِّيَّةِ وَعُرُوجُهُ نَاظِرٌ وَمُتَوَجِّهٌ إِلَى الْحَقِّ وَنُزُولُهُ إِلَى الْخَلْقِ، وَهَذَا الْقُرْبُ نَصِيبُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْأَصَالَةِ، وَهَذَا الْمَنْصِبُ مَخْصُوصٌ بِهَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَخَاتَمُ هَذَا

الْمَنصِبِ سَيِّدُ الْبَشَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَكُونُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ نُزُولِهِ تَابِعًا لِشَرِيعَةِ خَاتَمِ الرُّسُلِ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ: أَنَّ لِلْأَتْبَاعِ وَالْخُدَّامِ نَصِيبًا مِنْ دَوْلَةِ الْمَتْبُوعِينَ وَالْمَخَادِيمِ وَحِصَّتِهِمْ فَيَكُونُ لِكُمَّلِ الْأَتْبَاعِ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ قُرْبِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَكُونُ مِنْ عُلُومِ ذَلِكَ الْمَقَامِ وَمَعَارِفِهِ وَكَمَالَاتِهِ أَيْضًا نَصِيبٌ لَهُمْ بِطَرِيقِ الْوِرَاثَةِ (ع) **وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبٌ** * فَحُصُولُ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ لِلْأَتْبَاعِ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالْوِرَاثَةِ بَعْدَ بِعْثَةِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِخَاتَمِيَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ **فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾. (**اعْلَمْ) أَسْعَدَكَ اللهُ**: أَنَّ الطَّرِيقَ الْمُوصِلَ إِلَى كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ اثْنَانِ: طَرِيقٌ مَرْبُوطٌ بِطَيِّ كَمَالَاتِ مَقَامِ الْوِلَايَةِ مُفَصَّلَةً، وَمَنُوطٌ بِحُصُولِ التَّجَلِّيَاتِ الظِّلِّيَّةِ وَالْمَعَارِفِ السُّكْرِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُنَاسِبَةٌ بِقُرْبِ الْوِلَايَةِ وَبَعْدَ طَيِّ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ وَحُصُولِ التَّجَلِّيَاتِ يُوضَعُ الْقَدَمُ فِي كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ وُصُولٌ بِالْأَصْلِ وَالْإِلْتِفَاتُ إِلَى الظِّلِّ ذَنْبٌ. **وَالطَّرِيقُ الثَّانِي**: هُوَ الَّذِي يَتَيَسَّرُ فِيهِ الْوُصُولُ إِلَى كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ بِدُونِ تَوَسُّطِ حُصُولِ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ وَهَذَا الطَّرِيقُ الثَّانِي طَرِيقٌ سُلْطَانِيٌّ وَأَقْرَبُ إِلَى الْوُصُولِ، وَكُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَى كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَصَلَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْعِظَامِ وَالصَّحَابَةِ الْكِرَامِ بِتَبَعِيَّتِهِمْ وَوِرَاثَتِهِمْ.

وَالطَّرِيقُ الْأَوَّلُ بَعِيدٌ وَطَوِيلٌ وَعَسِيرُ الْحُصُولِ وَمُتَعَذِّرُ الْوُصُولِ وَقَدْ تَخَيَّلَ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي مَقَامِ الْوِلَايَةِ الَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِشَرَفِ النُّزُولِ أَنَّ الْكَمَالَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَقَامِ النُّزُولِ هِيَ كَمَالَاتُ النُّبُوَّةِ، وَظَنُّوا التَّوَجُّهَ إِلَى الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الدَّعْوَةِ أَنَّهُ مِنْ خَصَائِصِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هَذَا النُّزُولُ كَالْعُرُوجِ مِنْ مَقَامِ الْوِلَايَةِ وَفَوْقَ مَقَامِ الْوِلَايَةِ عُرُوجٌ وَنُزُولٌ غَيْرَ ذَيْنِكَ يَتَعَلَّقَانِ بِالنُّبُوَّةِ، وَهَذَا التَّوَجُّهُ إِلَى الْخَلْقِ غَيْرُ ذَاكَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ النُّبُوَّةِ، وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ غَيْرُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ الَّتِي عَدُّوهَا مِنْ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ وَمَاذَا يَصْنَعُونَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الْوِلَايَةِ وَلَمْ يُدْرِكُوا حَقِيقَةَ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ وَظَنُّوا نِصْفَ الْوِلَايَةِ الَّذِي هُوَ جَانِبُ الْعُرُوجِ تَمَامَ الْوِلَايَةِ وَزَعَمُوا نِصْفَهَا الْآخَرَ الَّذِي هُوَ جَانِبُ النُّزُولِ مَقَامَ النُّبُوَّةِ (شِعْرٌ):

وَلَيْسَ لِشَيْءٍ كَامِنٍ جَوْفَ صَخْرَةٍ * سِوَاهَا سَمَوَاتٌ لَدَيْهِ وَلَا أَرْضٌ**

وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَيَسَّرَ الْوُصُولُ لِشَخْصٍ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِ وَيَجْمَعَ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ وَالنُّبُوَّةِ الْمُفَصَّلَةَ وَيَحْصُلَ لَهُ تَمْيِيزُ مَا بَيْنَ كَمَالَاتِ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ كَمَا يَنْبَغِي، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ عُرُوجِ كُلٍّ مِنْهُمَا وَنُزُولِهِمَا وَيَحْكُمُ أَنَّ نُبُوَّةَ نَبِيٍّ أَفْضَلُ مِنْ وِلَايَتِهِ. **يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ**: أَنَّ كَمَالَاتِ مَقَامِ الْوِلَايَةِ الْمُفَصَّلَةَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَاصِلَةً بَعْدَ الْوُصُولِ بِالطَّرِيقِ الثَّانِي وَلَكِنْ زُبْدَةُ الْوِلَايَةِ وَخُلَاصَتُهَا مُيَسَّرَةٌ بِأَحْسَنِ الْوُجُوهِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْوِلَايَةِ حَصَّلُوا مِنْ كَمَالَاتِ الْوِلَايَةِ قِشْرَهَا، وَهَذَا الْوَاصِلُ حَازَ لُبَّهَا.

نَعَمْ: إِنَّ هَذَا الْوَاصِلَ قَلِيلُ النَّصِيبِ مِنْ بَعْضِ الْعُلُومِ السُّكْرِيَّةِ وَالظُّهُورَاتِ الظِّلِّيَّةِ الَّتِي حَاصِلَةٌ لِأَرْبَابِ الْوَلَايَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ بِمُوجِبٍ لِلْمَزِيَّةِ، بَلْ هَذِهِ الْعُلُومُ وَالظُّهُورَاتُ عَيْبٌ وَعَارٌ عَلَى ذَلِكَ الْوَاصِلِ، بَلْ تَلِيقُ بِأَنْ تَعُدَّهَا ذَنْبًا وَسُوءَ أَدَبٍ، نَعَمْ: إِنَّ وَاصِلَ الْأَصْلِ مُنْقَبِضٌ وَمُسْتَغْفِرٌ مِنْ ظِلَالِ ذَلِكَ الْأَصْلِ وَالتَّعَلُّقُ بِالظِّلِّ إِنَّمَا هُوَ حِينَ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَى أَصْلِ ذَلِكَ الظِّلِّ، وَالتَّعَلُّقُ بِهِ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى أَصْلِهِ مِنْ عَدَمِ الْحَاصِلِ وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِ سُوءُ الْأَدَبِ (أَيُّهَا الْوَلَدُ) إِنَّ حُصُولَ كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ مَرْبُوطٌ بِمَوْهِبَةٍ مَحْضَةٍ وَمَنُوطٌ بِتَكْرِمَةٍ صِرْفَةٍ لَا مَدْخَلَ لِلتَّمَحُّلِ وَتَجَشُّمِ الْكَسْبِ فِيهِ أَصْلًا، أَيُّ عَمَلٍ وَأَيُّ كَسْبٍ يَكُونُ مُنْتِجًا لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى وَأَيُّ رِيَاضَةٍ وَأَيَّةُ مُجَاهَدَةٍ تَكُونُ مُثْمِرَةً لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْأَسْنَى، بِخِلَافِ كَمَالَاتِ الْوَلَايَةِ فَإِنَّ مَبَادِيَهَا وَمُقَدِّمَاتِهَا كَسْبِيَّةٌ وَحُصُولُهَا مَرْبُوطٌ بِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْأَشْخَاصِ مُشَرَّفًا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ أَيْضًا مِنْ غَيْرِ تَجَشُّمِ كَسْبٍ وَمُبَاشَرَةِ عَمَلٍ، وَالْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ اللَّذَانِ الْوَلَايَةُ عِبَارَةٌ عَنْهُمَا أَيْضًا مِنَ الْمَوْهِبَةِ يُشَرَّفُ بِهِمَا بَعْدَ كَسْبِ الْمُقَدِّمَاتِ بِالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ كُلُّ مَنْ أُرِيدَ لَهُ ذَلِكَ، وَرِيَاضَاتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُجَاهَدَاتُهُ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَبَعْدَهَا لَمْ تَكُنْ لِتَحْصِيلِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ، بَلْ كَانَ الْمَنْظُورُ مَنَافِعَ وَفَوَائِدَ أُخَرَ مِثْلَ قِلَّةِ الْحِسَابِ وَكَفَارَةِ الزَّلَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَارْتِفَاعِ الدَّرَجَاتِ وَمُرَاعَاةِ صُحْبَةِ الْمَلَكِ الْمُرْسَلِ الَّذِي هُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَكَثْرَةِ ظُهُورِ الْخَوَارِقِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَقَامِ النُّبُوَّةِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ حُصُولَ هَذِهِ الْمَوْهِبَةِ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِلَا تَوَسُّطٍ وَفِي حَقِّ أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بِالتَّبَعِيَّةِ وَالْوِرَاثَةِ إِنَّمَا هُوَ بِتَوَسُّطِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَصْحَابِهِمْ قَلَّ مَنْ تَشَرَّفَ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ وَإِنْ كَانَ تَشَرُّفُهُمْ بِهَا جَائِزًا (شِعْرٌ):

لَوْ جَاءَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ الْقُدْسِ مِنْ مَدَدٍ * غَيْرُ الْمَسِيحِ لِيَصْنَعْ مِثْلَ مَا صَنَعَا**

وَأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ أَلْقَتِ الظِّلَّ فِي كِبَارِ التَّابِعِينَ وَأَكَابِرِ تَبَعِ التَّابِعِينَ أَيْضًا ثُمَّ اسْتَتَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ النَّوْبَةُ الْأَلْفَ الثَّانِيَ مِنْ بَعْثَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَرَزَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَيْضًا بِالتَّبَعِيَّةِ وَالْوِرَاثَةِ وَجَعَلَتِ الْآخِرَ مُشَابِهًا بِالْأَوَّلِ (شِعْرٌ):

فَإِذَا أَتَى بَابَ الْعَجُوزِ خَلِيفَةٌ * إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سِبَالِكَا**

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّحِيَّاتِ.

(٣٠٢) الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى الْمَخْدُومِ زَادَهْ جَامِعِ الْعُلُومِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدْ مَعْصُومْ سَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ فَرْقِ الْوَلَايَةِ الثَّلَاثِ وَأَنَّ النُّبُوَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْوَلَايَةِ وَبَعْضِ خَصَائِصِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ الْوَلَايَةَ عِبَارَةٌ عَنْ قُرْبٍ إِلَهِيٍّ لَا يُتَصَوَّرُ بِلَا شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ وَلَا يَحْصُلُ بِدُونِ حَيْلُولَةِ الْحُجُبِ فَإِنْ كَانَتْ وَلَايَةُ الْأَوْلِيَاءِ فَمُتَّسِمَةٌ بِسِمَةِ الظِّلِّيَّةِ أَلْبَتَّةَ، وَوَلَايَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْ كَانَتْ خَارِجَةً عَنِ الظِّلِّيَّةِ وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مُتَحَقِّقَةٍ بِدُونِ حَيْلُولَةِ حُجُبِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَوَلَايَةُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَإِنْ كَانَتْ فَوْقَ حُجُبِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَلَكِنَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ حُجُبِ الشُّؤُونِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ وَالَّتِي لَمْ يَتَطَرَّقْ عَلَيْهَا شَائِبَةُ الظِّلِّيَّةِ وَتُرِكَتْ حُجُبُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الطَّرِيقِ إِنَّمَا هِيَ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ فَتَكُونُ النُّبُوَّةُ أَفْضَلَ مِنَ الْوَلَايَةِ بِالضَّرُورَةِ وَيَكُونُ قُرْبُ النُّبُوَّةِ ذَاتِيًّا وَأَصْلِيًّا، وَمَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَتِهِمَا حَكَمَ بِالْعَكْسِ وَجَزَمَ بِالْقَلْبِ، فَيَكُونُ الْوُصُولُ فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ وَالْحُصُولُ فِي مَقَامِ الْوَلَايَةِ فَإِنَّ الْحُصُولَ لَا يُتَصَوَّرُ بِدُونِ مُلَاحَظَةِ الظِّلِّيَّةِ بِخِلَافِ الْوُصُولِ.

وَأَيْضًا: إِنَّ فِي كَمَالِ الْحُصُولِ رَفْعَ الْإِثْنَيْنِيَّةِ، وَفِي كَمَالِ الْوُصُولِ بَقَاءَ الْإِثْنَيْنِيَّةِ فَرَفْعُ الْإِثْنَيْنِيَّةِ يَكُونُ مُنَاسِبًا لِمَقَامِ الْوَلَايَةِ، وَبَقَاءُ الْإِثْنَيْنِيَّةِ مُلَائِمًا لِمَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ، فَإِذَا كَانَ رَفْعُ الْإِثْنَيْنِيَّةِ مُنَاسِبًا لِمَقَامِ الْوَلَايَةِ يَكُونُ السُّكْرُ فِي جَمِيعِ الْوَقْتِ لَازِمًا لِمَقَامِ الْوَلَايَةِ بِالضَّرُورَةِ وَحَيْثُ كَانَ فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ بَقَاءُ الْإِثْنَيْنِيَّةِ يَكُونُ الصَّحْوُ مِنْ خَوَاصِّ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ.

وَأَيْضًا: إِنَّ حُصُولَ التَّجَلِّيَاتِ سَوَاءٌ كَانَ فِي كِسْوَةِ الصُّوَرِ وَالْأَشْكَالِ أَوْ فِي حُجُبِ الْأَلْوَانِ وَالْأَنْوَارِ كُلُّهُ فِي مَقَامَاتِ الْوَلَايَةِ وَفِي طَيِّ مُقَدِّمَاتِهَا وَمَبَادِيهَا بِخِلَافِ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وُصُولًا إِلَى الْأَصْلِ وَاسْتِغْنَاءً عَنِ التَّجَلِّيَاتِ وَالظُّهُورَاتِ الَّتِي كُلُّهَا ظِلَالُ ذَلِكَ الْأَصْلِ، وَكَذَلِكَ الْإِحْتِيَاجُ إِلَى تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ وَقْتَ طَيِّ مُقَدِّمَاتِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ وَمَبَادِيهَا إِلَّا أَنْ يَقَعَ الْعُرُوجُ مِنْ طَرِيقِ الْوَلَايَةِ فَحِينَئِذٍ حُصُولُ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ بِوَاسِطَةِ الْوَلَايَةِ لَا بِوَاسِطَةِ طَيِّ مَسَافَةِ طَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَى كَمَالَاتِ النُّبُوَّةِ. وَبِالْجُمْلَةِ: أَنَّ التَّجَلِّيَاتِ وَالظُّهُورَاتِ تُنْبِئُ عَنِ الظِّلَالِ، وَالَّذِي تَخَلَّصَ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالظِّلَالِ تَخَلَّصَ عَنِ التَّجَلِّيَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ سِرَّ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ مِنْ هَهُنَا. أَيُّهَا الْوَلَدُ: إِنَّ اضْطِرَابَ الْعِشْقِ وَطَنْطَنَةَ الْمَحَبَّةِ وَالنِّيَاحَ الْمُهَيِّجَةَ لِلشَّوْقِ وَالصِّيَاحَ الْمُمْتَزِجَةَ بِالتَّأَلُّمِ وَالذَّوْقِ وَالْوَجْدِ وَالرَّقْصِ كُلُّهَا فِي مَقَامَاتِ الظِّلَالِ وَفِي أَوَانِ الظُّهُورَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الظِّلِّيَّةِ وَبَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْأَصْلِ لَا يُتَصَوَّرُ حُصُولُ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَالْمَحَبَّةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ بِمَعْنَى إِرَادَةِ الطَّاعَةِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ لَا أَنَّهَا مَعْنًى زَائِدٌ عَلَيْهَا مَنْشَأً لِلشَّوْقِ وَالذَّوْقِ كَمَا ظَنَّ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ.

اسْمَعْ أَيُّهَا الْوَلَدُ: وَحَيْثُ كَانَ رَفْعُ الْإِثْنَيْنِيَّةِ مَطْلُوبًا فِي مَقَامِ الْوَلَايَةِ يَسْعَى الْأَوْلِيَاءُ فِي إِزَالَةِ الْإِرَادَةِ بِالضَّرُورَةِ قَالَ الشَّيْخُ الْبِسْطَامِيُّ: "أُرِيدُ أَنْ لَا أُرِيدَ"، وَحَيْثُ كَانَ رَفْعُ الْإِثْنَيْنِيَّةِ غَيْرَ مَنْظُورٍ فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ لَمْ يَكُنْ زَوَالُ نَفْسِ الْإِدَارَةِ مَطْلُوبًا وَكَيْفَ يَكُونُ مَطْلُوبًا فَإِنَّ الْإِرَادَةَ صِفَةٌ كَامِلَةٌ فِي حَدِّ ذَاتِهَا فَإِنْ تَطَرَّقَ النَّقْصُ إِلَيْهَا فَإِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ خُبْثِ مُتَعَلَّقَاتِهَا فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ مُتَعَلَّقُهَا أَمْرًا خَبِيثًا وَغَيْرَ مَرْضِيٍّ، بَلْ يَكُونُ جَمِيعُ الْمُرَادَاتِ مَرْضِيَّ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَكَذَلِكَ يَجْتَهِدُونَ فِي مَقَامِ الْوَلَايَةِ فِي نَفْيِ جَمِيعِ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ،

وَالْمَطْلُوبُ فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ نَفْيُ الْمُتَعَلَّقَاتِ السُّوءِ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ لاَ نَفْيُ أَصْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهَا كَامِلَةٌ فِي حَدِّ ذَاتِهَا ؛ مَثَلاً: إِنَّ صِفَةَ الْعِلْمِ مِنَ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ فَإِنْ تَطَرَّقَ إِلَيْهَا نَقْصٌ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ سُوءِ مُتَعَلَّقِهَا فَكَانَ الضَّرُورِيُّ نَفْيَ سُوءِ الْمُتَعَلَّقِ لاَ نَفْيَ أَصْلِهَا، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ: فَالَّذِي وَصَلَ إِلَى مَقَامِ النُّبُوَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْوَلاَيَةِ لاَبُدَّ لَهُ مِنْ نَفْيِ أَصْلِ الصِّفَاتِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَالَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ بِدُونِ تَوَسُّطِ الْوَلاَيَةِ لاَ حَاجَةَ لَهُ إِلَى نَفْيِ أَصْلِ الصِّفَاتِ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ نَفْيُ الْمُتَعَلَّقَاتِ السُّوءِ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْوَلاَيَةِ الْمَذْكُورَةِ الْوَلاَيَةُ الظِّلِّيَّةُ الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْوَلاَيَةِ الصُّغْرَى وَوَلاَيَةِ الأَوْلِيَاءِ، وَأَمَّا وَلاَيَةُ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي جَاوَزَتِ الظِّلَّ فَهِيَ غَيْرُهَا وَالْمَطْلُوبُ فِيهَا نَفْيُ الْمُتَعَلَّقَاتِ السُّوءِ لِلصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ لاَ نَفْيُ أَصْلِ تِلْكَ الصِّفَاتِ، فَإِذَا حَصَلَ نَفْيُ الْمُتَعَلَّقَاتِ السُّوءِ لِلصِّفَاتِ حَصَلَتْ وَلاَيَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنْ وَقَعَ الْعُرُوجُ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِكَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ فَلاَحَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنُّبُوَّةِ مِنْ أَصْلِ الْوَلاَيَةِ ؛ فَإِنَّ الْوَلاَيَةَ مِنْ مَبَادِيهَا وَمُقَدِّمَاتِهَا، وَأَمَّا الْوَلاَيَةُ الظِّلِّيَّةُ فَلاَ حَاجَةَ إِلَيْهَا فِي الْوُصُولِ إِلَى كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ، بَلْ تَتَّفِقُ لِلْبَعْضِ وَلاَ يَقَعُ الْعُبُورُ عَلَيْهَا لِلْبَعْضِ الآخَرِ فَافْهَمْ وَلاَ شَكَّ أَنَّ نَفْيَ أَصْلِ الصِّفَاتِ مُتَعَسِّرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُتَعَلَّقَاتِهَا السُّوءِ فَيَكُونُ حُصُولُ كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ أَهْوَنَ وَأَيْسَرَ وَأَقْرَبَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حُصُولِ كَمَالاَتِ الْوَلاَيَةِ، وَهَذَا التَّفَاوُتُ بِالسَّيْرِ وَالْقُرْبِ جَارٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَهُ وُصُولٌ إِلَى الأَصْلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُمُورٍ مُفَارِقَةٍ لِلأَصْلِ ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ كِيمِيَاءَ الأَصْلِ مُيَسَّرٌ بِسُهُولَةِ الْعَمَلِ وَحَاصِلٌ بِأَقْرَبِ الطُّرُقِ.

وَالَّذِي فَارَقَ أَصْلَهُ فِي مِحْنَةٍ وَتَعَبٍ بِحَيْثُ يُفْنِي عُمْرَهُ فِي تَحْصِيلِهِ وَمَعَ ذَلِكَ لاَ حَاصِلَ لَهُ غَيْرَ الْحِرْمَانِ وَمَا حَصَّلَهُ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي لَهُ شَبَاهَةٌ بِالأَصْلِ وَكَثِيرًا مَا تَزُولُ عَنْهُ تِلْكَ الشَّبَاهَةُ الْعَارِضَةُ وَيَعُودُ إِلَى أَصْلِهِ وَيَؤُولُ إِلَى الدَّنَاءَةِ وَالْخَبَاثَةِ بِخِلاَفِ أَصْلِ أَصْلِهِ فَإِنَّهُ مَعَ وُجُودِ سُهُولَةِ الْعَمَلِ وَقُرْبِ الطَّرِيقِ أَمِينٌ مِنْ خَوْفِ الزُّيُوفَةِ وَالْخَبَاثَةِ. وَلَمَّا وَصَلَ جَمَاعَةٌ مِنْ سُلاَّكِ هَذَا الطَّرِيقِ بِالرِّيَاضَةِ الشَّاقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ الشَّدِيدَةِ إِلَى ظِلٍّ مِنَ الظِّلاَلِ ظَنُّوا أَنَّ الْوُصُولَ إِلَى الْمَطْلَبِ مَنُوطٌ بِالرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّةِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّدِيدَةِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ لَهُ طَرِيقًا آخَرَ أَقْرَبَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَمُوصِلاً إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ وَهُوَ طَرِيقُ الإِجْتِبَاءِ الَّذِي هُوَ مَنُوطٌ بِمُجَرَّدِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ

وَالطَّرِيقُ الَّذِي اخْتَارَهُ هَؤُلاَءِ الْجَمَاعَةُ هُوَ طَرِيقُ الإِنَابَةِ مَرْبُوطٌ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالْوَاصِلُونَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ أَقَلُّ قَلِيلٍ وَالْوَاصِلُونَ مِنْ طَرِيقِ الإِجْتِبَاءِ جَمٌّ غَفِيرٌ، الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ كُلُّهُمْ سَارُوا عَلَى طَرِيقِ الإِجْتِبَاءِ وَأَصْحَابُهُمْ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَيْضًا وَصَلُوا مِنْ طَرِيقِ الإِجْتِبَاءِ بِالتَّبَعِيَّةِ وَالْوِرَاثَةِ وَرِيَاضَاتُ أَرْبَابِ الإِجْتِبَاءِ إِنَّمَا هِيَ لأَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ الْوُصُولِ ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي جَوَابِ السَّائِلِ عَنْ وَجْهِ رِيَاضَاتِهِ الشَّدِيدَةِ مَعَ كَوْنِ ذُنُوبِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْمُتَأَخِّرَةِ مَغْفُورَةً "**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً**" وَمُجَاهَدَاتُ أَهْلِ الإِنَابَةِ لأَجْلِ حُصُولِ الْوُصُولِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَطَرِيقُ الإِجْتِبَاءِ الْحَمْلُ وَالْجَذْبُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَطَرِيقُ الإِنَابَةِ السَّيْرُ عَلَى الطَّرِيقِ وَبَيْنَ الْجَذْبِ وَالسَّيْرِ فَوْقٌ عَظِيمٌ يَجْذِبُ سَرِيعًا وَيُوصِلُ بِهِ بَعِيدًا، وَالسَّائِرُ يَسِيرُ بَطِيئًا، وَرُبَّمَا

يَبْقَى فِي الطَّرِيقِ قَالَ حَضْرَةُ الْخَوَاجَةِ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِ قُدِّسَ سِرُّهُ: نَحْنُ الْمُفَضَّلُونَ، نَعَمْ: لَوْلاَ الْفَضْلُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

(وَلْنَرْجِعْ) إِلَى أَصْلِ الْكَلاَمِ وَنَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْفَقِيرَ قَدْ كَتَبَ فِيمَا كَتَبَ إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ مِنَ الْعَرَائِضِ أَنَّهُ قَدِ ارْتَفَعَتْ جَمِيعُ الْمُرَادَاتِ، وَلَكِنْ نَفْسَ الْإِرَادَةِ بَاقِيَةٌ عَلَى حَالِهَا، ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَ مُدَّةٍ: أَنَّ الْإِرَادَةَ أَيْضًا صَارَتْ مُرْتَفِعَةً مِثْلَ الْمُرَادَاتِ، وَلَمَّا شَرَّفَهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِوِرَاثَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلِمَ أَنَّهُ كَانَ ارْتِفَاعُ الْمُتَعَلِّقِ بِالسُّوءِ لِتِلْكَ الْإِرَادَةِ وَزَوَالُهُ لاَ ارْتِفَاعَ نَفْسِ الْإِرَادَةِ فَإِنَّهُ لاَ يَلْزَمُ ارْتِفَاعُ أَصْلِ الْإِرَادَةِ فِي حُصُولِ ارْتِفَاعِ الْمُتَعَلِّقِ السُّوءِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ، بَلِ الشَّيْءُ كَثِيرًا مَا يَتَيَسَّرُ بِمُجَرَّدِ الْفَضْلِ وَلاَ يَتَيَسَّرُ عُشْرُ عَشِيرِهِ بِالتَّعَمُّلِ وَالتَّكَلُّفِ.

أَيُّهَا الْوَلَدُ: يَنْبَغِي فِي مَقَامِ الْوِلاَيَةِ الْيَأْسُ وَالْإِعْرَاضُ الْكُلِّيُّ عَنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْ يَعُدَّ التَّعَلُّقَ بِالْآخِرَةِ كَالتَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا، وَأَنْ يَرَى شَوْقَ الْآخِرَةِ كَشَوْقِ الدُّنْيَا غَيْرَ مَحْمُودَةٍ ؛ قَالَ الْإِمَامُ دَاوُدُ الطَّائِيُّ: "إِنْ أَرَدْتَ السَّلاَمَةَ سَلِّمْ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنْ أَرَدْتَ الْكَرَامَةَ كَبِّرْ عَلَى الْآخِرَةِ". وَقَالَ غَيْرُهُ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ: إِنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الْآيَةَ شِكَايَةً مِنَ الْفَرِيقَيْنِ. وَبِالْجُمْلَةِ: أَنَّ الْفَنَاءَ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْيَانِ مَا سِوَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ شَامِلٌ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ كِلاَهُمَا مِنْ أَجْزَاءِ الْوِلاَيَةِ فَلاَ بُدَّ إِذًا فِي الْوِلاَيَةِ مِنْ نِسْيَانِ الْآخِرَةِ، وَالتَّعَلُّقُ بِالْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ مَحْمُودٌ فِي كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ، وَشَوْقُ الْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ مَرْضِيٌّ فِيهَا، بَلِ الشَّوْقُ وَالْخَوْفُ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ هُوَ شَوْقُ الْآخِرَةِ وَخَوْفُهُ وَالتَّعَلُّقُ بِالْآخِرَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالَّذِينَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ أَوْصَافُ أَرْبَابِ هَذَا الْمَقَامِ بُكَاؤُهُمْ وَأَنِينُهُمْ مِنْ تَذَكُّرِ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَأَلَمُهُمْ وَحُزْنُهُمْ مِنْ خَوْفِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَسْتَعِيذُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ عَلَى الدَّوَامِ، وَيَخَافُونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَيَلْتَجِئُونَ مِنْهُ إِلَى الْمَلِكِ الْجَبَّارِ بِالتَّضَرُّعِ التَّامِّ، شَوْقُ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ عِنْدَهُمْ هُوَ شَوْقُ الْآخِرَةِ، وَمَحَبَّتُهُمْ مَحَبَّةُ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللِّقَاءَ مَوْعُودٌ فِي الْآخِرَةِ وَكَمَالَ الرِّضَا أَيْضًا مَوْقُوفٌ عَلَى الْآخِرَةِ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَالْآخِرَةُ مَرْضِيَّتُهُ وَلاَ يُمْكِنُ جَعْلُ الْمَرْضِيَّةِ مُسَاوِيَةً لِلْمَبْغُوضَةِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ الْمَبْغُوضَةَ لاَئِقَةٌ لِلْإِعْرَاضِ وَالْمَرْضِيَّةَ مُسْتَحِقَّةٌ لِلْإِقْبَالِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَرْضِيَّةِ عَيْنُ السُّكْرِ وَخِلاَفُ مَدْعُوِّهِ تَعَالَى الْمَرْضِيِّ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾ شَاهِدٌ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرَغِّبُ فِي الْآخِرَةِ بِالْمُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ فَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْآخِرَةِ مُعَارَضَةُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الْحَقِيقَةِ وَسَعْيٌ فِي رَفْعِ مَرْضِيِّهِ، وَحَيْثُ كَانَ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ قَدَمٌ رَاسِخٌ فِي الْوِلاَيَةِ قَالَ مَعَ جَلاَلَةِ شَأْنِهِ فِي حَقِّ تَرْكِ الْآخِرَةِ إِنَّهُ كَرَامَةٌ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْأَصْحَابَ الْكِرَامَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ كُلَّهُمْ كَانُوا مُبْتَلِينَ بِفِكْرِ الْآخِرَةِ وَخَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنْ عَذَابِهَا مَرَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِدَارِ إِنْسَانٍ فَسَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ

قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ فَسَقَطَ مِنْ سَمَاعِ هَذِهِ الآيَةِ مِنْ دَابَّتِهِ عَلَى الأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ فَبَقِيَ مِنْ أَلَمِ ذَلِكَ مَرِيضًا إِلَى مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَعُودُونَهُ. نَعَمْ: يَتَيَسَّرُ نِسْيَانُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فِي أَوَاسِطِ الأَحْوَالِ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ وَيُرَى فِيهِ التَّعَلُّقُ بِالآخِرَةِ كَالتَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا، وَأَمَّا إِذَا تَيَسَّرَ التَّشَرُّفُ بِالْبَقَاءِ وَبَلَغَ الأَمْرُ نِهَايَتَهُ وَأَلْقَتْ كَمَالاَتُ النُّبُوَّةِ ظِلَّهَا فَحِينَئِذٍ كُلُّ الْهَمِّ هَمُّ الآخِرَةِ وَالإِسْتِعَاذَةُ مِنَ النَّارِ وَتَمَنِّي الْجَنَّةِ لاَ مُنَاسَبَةَ لأَشْجَارِ الْجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا وَحُورِهَا وَغِلْمَانِهَا بِالأَشْيَاءِ الدُّنْيَوِيَّةِ بَلْ هَؤُلاَءِ فِي طَرَفَيِ النَّقِيضِ مِثْلُ نُقَاضَةِ الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَشْجَارُ الْجَنَّةِ وَأَنْهَارُهَا وَجَمِيعُ مَا فِيهَا نَتَائِجُ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَثَمَرَاتُهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْجَنَّةَ قِيعَانٌ وَإِنَّ غِرَاسَهَا قَوْلُكَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ" وَقَالَ: "مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ".[1] فَصَارَتْ شَجَرَةُ الْجَنَّةِ نَتِيجَةَ التَّسْبِيحِ وَكَمَا أَنَّ الْكَمَالاَتِ التَّنْزِيهِيَّةَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ مُنْدَرِجَةٌ فِي كِسْوَةِ الْحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ، كَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ تُعَبَّأُ تِلْكَ الْكَمَالاَتُ فِي كِسْوَةِ الأَشْجَارِ. عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ: جَمِيعُ مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَتَائِجِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَمَا انْدَرَجَ فِي ضِمْنِ كِسْوَةِ صَلاَحٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ مِنَ الْكَمَالاَتِ الْوُجُودِيَّةِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ يَظْهَرُ فِي الْجَنَّةِ فِي حُجُبِ اللَّذَّاتِ وَالتَّنَعُّمَاتِ فَيَكُونُ ذَلِكَ التَّلَذُّذُ وَالتَّنَعُّمُ مَقْبُولاً وَمَرْضِيًّا بِالضَّرُورَةِ، وَوَسِيلَةً لِلِّقَاءِ وَالْوُصُولِ فَإِنْ كَانَتْ رَابِعَةُ الْمِسْكِينَةُ وَاقِفَةً عَلَى هَذَا السِّرِّ لَمَا خَطَرَ فِي قَلْبِهَا فِكْرُ إِحْرَاقِ الْجَنَّةِ وَلَمَا تَرَى التَّعَلُّقَ بِهَا غَيْرَ التَّعَلُّقِ بِالْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِخِلاَفِ التَّلَذُّذِ وَالتَّنَعُّمِ الدُّنْيَوِيِّ، فَإِنَّ مَنْشَأَهُ الْخُبْثُ وَنَتِيجَتَهُ الْحِرْمَانُ فِي الآخِرَةِ أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ التَّلَذُّذُ الدُّنْيَوِيُّ مُبَاحًا شَرْعِيًّا فَالْمُحَاسَبَةُ أَمَامَنَا فَوَيْلٌ أَلْفُ وَيْلٍ إِنْ لَمْ تَأْخُذِ الرَّحْمَةُ الإِلَهِيَّةُ بِأَيْدِينَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُبَاحًا شَرْعِيًّا فَهُوَ مَوْرِدُ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. فَكَيْفَ يَكُونُ لِهَذَا التَّلَذُّذِ مُنَاسَبَةٌ بِذَلِكَ التَّلَذُّذِ فَإِنَّ هَذَا سُمٌّ قَاتِلٌ وَذَلِكَ تِرْيَاقٌ نَافِعٌ فَهَمُّ الآخِرَةِ إِمَّا نَصِيبُ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَّا نَصِيبُ أَخَصِّ الْخَوَاصِّ وَأَمَّا الْخَوَاصُّ فَهُمْ يَتَبَرَّأُونَ مِنْ هَذَا الْهَمِّ وَيَرَوْنَ الْكَرَامَةَ فِي خِلاَفِهِ. (ع) وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ*

(٣٠٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُمِائَةِ إِلَى الْحَاجِّ يُوسُفَ الْكَشْمِيرِيِّ فِي بَيَانِ مَعَانِي كَلِمَاتِ الأَذَانِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كَلِمَاتِ الأَذَانِ سَبْعَةٌ: اللهُ أَكْبَرُ، أَيْ: اللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى عِبَادَةِ عَابِدٍ، كُرِّرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ لِتَأْكِيدِ هَذَا الْمَعْنَى الْمُهِمِّ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، أَيْ: أَشْهَدُ أَنَّهُ مَعَ كِبْرِيَائِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ الْعِبَادَةِ لَيْسَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا

---

[1] اخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره منه. (القزان رحمة الله عليه)

رَسُولُ اللّٰهِ»، أَيْ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَسُولُهُ سُبْحَانَهُ وَمُبَلِّغٌ عَنْهُ تَعَالَى طَرِيقَ الْعِبَادَةِ ؛ فَلَا تَكُونُ الْعِبَادَةُ اللَّائِقَةُ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى إِلَّا مَا هِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ جِهَةِ تَبْلِيغِهِ وَرِسَالَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ: كَلِمَتَانِ لِطَلَبِ الْمُصَلِّي إِلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْفَلَاحِ، اللّٰهُ أَكْبَرُ: أَيْ: أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَلِيقَ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى عِبَادَةُ أَحَدٍ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ: أَيْ: إِنَّهُ تَعَالَى لَا مُحَالَةَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَإِنْ لَمْ تَصْدُرِ الْعِبَادَةُ مِنْ أَحَدٍ مَا لَائِقَةٌ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى.

يَنْبَغِي: إِدْرَاكُ عَظَمَةِ شَأْنِ الصَّلَاةِ مِنْ عَظَمَةِ شَأْنِ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْإِعْلَامِ بِوَقْتِ الصَّلَاةِ، (ع) **وَعَامُ الرُّخْصِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعٍ** * اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْمُصَلِّينَ الْمُفْلِحِينَ، بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّحِيَّاتِ.

(٣٠٤) اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى مَوْلَانَا عَبْدِ الْحَيِّ فِي بَيَانِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي نِيطَ بِهَا وَعْدُ دُخُولِ الْجَنَّةِ فِي أَكْثَرِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَ فِي بَيَانِ أَدَاءِ الشُّكْرِ وَبَيَانِ بَعْضِ مَعَانِي الصَّلَاةِ وَأَسْرَارِهَا

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ اعْلَمْ أَسْعَدَكَ اللّٰهُ تَعَالَى: أَنَّهُ كَانَ لِي تَرَدُّدٌ مِنْ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي جَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَرْبُوطًا بِهَا فِي أَكْثَرِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ هَلْ هُوَ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَوْ بَعْضُهَا، فَإِنْ كَانَ الْجَمِيعَ فَذٰلِكَ مُتَعَسِّرٌ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ يَكُونُ مُوَفَّقًا لِإِتْيَانِ الْجَمِيعِ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْضَ فَمَجْهُولٌ غَيْرُ مُتَعَيِّنٍ فَأَفِيضَ فِي الْخَاطِرِ أَخِيرًا بِمَحْضِ فَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ: لَعَلَّ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةُ الَّتِي بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا، فَإِذَا أُدِّيَتْ هٰذِهِ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ فَالْمَرْجُوُّ أَنْ تَكُونَ النَّجَاةُ وَالْفَلَاحُ نَقْدَ الْوَقْتِ فَإِنَّ هٰذِهِ الْخَمْسَةَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ وَمَوَانِعُ لِلسَّيِّئَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ شَاهِدٌ لِهٰذَا الْمَعْنَى وَإِذَا تَيَسَّرَ إِتْيَانُ هٰذِهِ الْخَمْسَةِ يُرْجَى حُصُولُ أَدَاءِ الشُّكْرِ، فَإِذَا حَصَلَ أَدَاءُ الشُّكْرِ حَصَلَتِ النَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ: ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ** ﴾.

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِتْيَانِ هٰذِهِ الْخَمْسَةِ غَايَةَ الْاِجْتِهَادِ خُصُوصًا فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ، وَأَنْ لَا يَرْضَى بِتَرْكِ أَدْنَى أَدَبٍ مِنْ آدَابِهَا مَهْمَا أَمْكَنَ فَمَنْ أَتَمَّ الصَّلَاةَ فَقَدْ حَصَّلَ أَصْلًا عَظِيمًا مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ وَحَازَ وَنَالَ حَبْلًا مَتِينًا لِأَجْلِ الْخَلَاصِ وَفَازَ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ.

اعْلَمْ: أَنَّ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى فِي الصَّلَاةِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِغْنَائِهِ وَكِبْرِيَائِهِ تَعَالَى مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِينَ وَصَلَاةِ الْمُصَلِّينَ، وَسَائِرُ التَّكْبِيرَاتِ الَّتِي بَعْدَ كُلِّ رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ إِلَى عَدَمِ لِيَاقَةِ أَدَاءِ كُلِّ رُكْنٍ لِأَنْ يَكُونَ عِبَادَةً لِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَحَيْثُ كَانَ مَعْنَى التَّكْبِيرِ مَلْحُوظًا فِي تَسْبِيحِ الرُّكُوعِ لَمْ يُشْرَعِ التَّكْبِيرُ بَعْدَ الرُّكُوعِ بِخِلَافِ السَّجْدَتَيْنِ فَإِنَّهُمَا مَعَ وُجُودِ التَّسْبِيحَاتِ فِيهِمَا شُرِعَ التَّكْبِيرُ فِي أَوَّلِهِمَا

وآخرهما وذلك لئلا يتوهم أحد أن السجود لما كان نهاية الإنحطاط وغاية الإنخفاض وكمال التذلل والإنكسار قد أدي فيه حق العبادة ولأجل دفع هذا التوهم أيضا اختير في تسبيح السجود لفظ: "أعلى" وسن تكرار التكبير، ولما كانت الصلاة معراج المؤمن شرع في آخرها قراءة كلمات شرف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فينبغي للمصلي أن يجعل صلاته معراجه، وأن يطلب فيها غاية القرب قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: "أقرب ما يكون العبد من الرب في الصلاة". ولما كان المصلي مناجي ربه ومشاهد عظمته وجلاله حق أن يظهر فيه رعب وهيبة وقت أداء الصلاة فلأجل تسليته شرع ختم الصلاة بالتسليمتين وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل مائة مرة بعد أداء الصلاة الفرض سره في علم الفقير أن يتلافى بالتسبيح والتكبير ما وقع في أداء الصلاة من القصور والتقصير، والإعتراف بعدم لياقة تلك العبادة وعدم تماميتها، وحيث كان أداء العبادة ميسرا بتوفيق الله تعالى لزم أداء شكر تلك النعمة بالتحميد وأن لا يرى مستحق العبادة غيره سبحانه وتعالى، فإذا كان أداء الصلاة مقرونا بالشرائط والآداب وحصل بعد ذلك تلافي التقصيرات وشكر نعمة التوفيق ونفي استحقاق العبادة عن غيره تعالى من صميم القلب بهذه الكلمات الطيبة فالمرجو أن تكون هذه الصلاة لائقة بقبوله تبارك وتعالى وأن يكون صاحبها مصليا مفلحا، اللهم اجعلني من المصلين المفلحين بحرمة سيد المرسلين عليه وعليهم وعلى آله الصلوات والتسليمات.

(٣٠٥) المكتوب الخامس والثلاثمائة إلى المير محب الله المانكپوري
في بيان أسرار الصلاة والفرق بين صلاة المبتدي والعامي وبين صلاة المنتهي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اعلم أرشدك الله تعالى: أن تمامية الصلاة وكمالها عند الفقير عبارة عن إتيان فرائضها وواجباتها وسننها ومستحباتها التي كلها مبينة في الكتب الفقهية بالتفصيل، وليس وراء هذه الأمور الأربعة أمر آخر له مدخل في تمامية الصلاة فإن الخشوع في الصلاة مندرج أيضا في هذه الأربعة، وخضوع القلب أيضا منوط بها. واكتفى جماعة بعلم هذه الأمور واختاروا المساهلة والمداهنة في العمل بها فلا جرم قل نصيبهم من كمالات الصلاة واهتم جماعة بحضور القلب مع الحق سبحانه وقل التفاتهم إلى آداب أعمال الجوارح، واقتصروا على الفرائض والسنن، وهذه الجماعة أيضا لم يتنبهوا على حقيقة الصلاة ولم يعرفوها، وطلبوا كمال الصلاة من غيرها

وَلَمْ يَعُدُّوا [1] حُضُورَ الْقَلْبِ مِنْ جُمْلَةِ أَحْكَامِ الصَّلاَةِ، وَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ مِنْ أَنَّهُ "لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِحُضُورِ الْقَلْبِ" يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْحُضُورِ حُضُورَ الْقَلْبِ مَعَ هَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ لِئَلاَّ يَقَعَ فُتُورٌ فِي إِتْيَانِ أَمْرٍ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ، وَلاَ يَقَعُ فِي ذِهْنِ الْفَقِيرِ حُضُورٌ وَرَاءَ هَذَا الْحُضُورِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ تَمَامِيَّةُ الصَّلاَةِ وَكَمَالُهَا مَرْبُوطًا بِهَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ وَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَهُ مَلْحُوظًا فِي كَمَالِهَا: مَاذَا يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَ صَلاَةِ الْمُبْتَدِئِ وَبَيْنَ صَلاَةِ الْمُنْتَهِي ؟! بَلْ بَيْنَ صَلاَةِ الْعَامِّيِّ الَّتِي تَكُونُ مَقْرُونَةً بِإِتْيَانِ هَذِهِ الأُمُورِ؟! قُلْتُ: إِنَّ الْفَرْقَ مِنْ جِهَةِ الْعَامِلِ لاَ مِنْ جِهَةِ الْعَمَلِ فَإِنَّ أَجْرَ عَمَلٍ وَاحِدٍ يَتَفَاوَتُ بِوَاسِطَةِ تَفَاوُتِ عَامِلَيْنِ بِحَيْثُ يَكُونُ أَجْرُهُ إِذَا وَقَعَ مِنْ عَامِلٍ مَقْبُولٍ مَحْبُوبٍ أَضْعَافَ مُضَاعَفِ ذَلِكَ الأَجْرِ إِذَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِهِ لأَنَّ الْعَامِلَ كُلَّمَا يَكُونُ عَظِيمَ الْقَدْرِ يَكُونُ عَمَلُهُ جَزِيلَ الأَجْرِ وَمِنْ هَهُنَا قَالُوا: "إِنَّ الْعَمَلَ الْمَقْرُونَ بِالرِّيَاءِ مِنَ الْعَارِفِ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ الْمُرِيدِ بِالإِخْلاَصِ" فَكَيْفَ إِذَا كَانَ عَمَلُ الْعَارِفِ مَقْرُونًا بِالإِخْلاَصِ وَلِهَذَا كَانَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَطَلَّبُ سَهْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَقِدًا أَنَّ سَهْوَهُ أَفْضَلُ مِنْ صَوَابِهِ، وَنَمَدَهُ حَيْثُ قَالَ: "يَا لَيْتَنِي كُنْتُ سَهْوَ مُحَمَّدٍ" مُتَمَنِّيًا أَنْ يَكُونَ بِكُلِّيَّتِهِ سَهْوَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَمُعْتَقِدًا أَنَّ أَعْمَالَهُ التَّامَّةَ وَأَحْوَالَهُ الْكَامِلَةَ أَنْقَصُ مِنْ سَهْوِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَمَلِ فَسَأَلَ بِتَمَامِ التَّمَنِّي أَنْ تَكُونَ دَرَجَةُ تَمَامِيَّةِ حَسَنَاتِهِ كَدَرَجَةِ سَهْوِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَسَهْوُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ سَلاَمِهِ عَلَى رَأْسِ رَكْعَتَيْنِ مِنْ رُبَاعِيِّ الْفَرْضِ بِطَرِيقِ السَّهْوِ كَمَا رُوِيَ، فَصَلاَةُ الْمُنْتَهِي مَعَ وُجُودِ النَّتَائِجِ وَالثَّمَرَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِيهَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أَجْرٌ جَزِيلٌ فِي الآخِرَةِ بِخِلاَفِ صَلاَةِ الْمُبْتَدِئِ وَالْعَامِّيِّ، (ع) **مَا نِسْبَةُ الْفَرْشِيِّ بِالْعَرْشِيِّ**.

وَلْنَذْكُرْ نُبْذَةً مِنْ خَصَائِصِ صَلاَةِ الْمُنْتَهِي لِيُقَاسَ عَلَيْهَا غَيْرُهَا: أَنَّ الْمُنْتَهِيَ يَجِدُ لِسَانَهُ أَحْيَانًا عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَإِتْيَانِ التَّسْلِيمَاتِ وَالتَّكْبِيرَاتِ كَشَجَرَةِ مُوسَوِيَّةٍ وَلاَ يَرَى قُوَاهُ وَجَوَارِحَهُ غَيْرَ الآلاَتِ وَالْوَسَائِطِ، وَيَجِدُ أَحْيَانًا أَنَّ تَعَلُّقَ بَاطِنِهِ وَحَقِيقَتِهِ قَدِ انْقَطَعَ عَنْ ظَاهِرِهِ وَصُورَتِهِ بِالتَّمَامِ، وَصَارَ مُلْحَقًا بِعَالَمِ الْغَيْبِ، وَحَصَّلَ نِسْبَةً بِالْغَيْبِ مَجْهُولَةَ الْكَيْفِيَّةِ، وَإِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ يَرْجِعُ ثَانِيًا.

أَوْ نَقُولُ: فِي جَوَابِ أَصْلِ السُّؤَالِ: إِنَّ إِتْيَانَ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ إِنَّمَا هُوَ نَصِيبُ الْمُنْتَهِي، وَالْمُبْتَدِئُ وَالْعَامِّيُّ بَعِيدَانِ عَنْ أَنْ يَكُونَا مُوَفَّقَيْنِ لإِتْيَانِهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ، وَإِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ، ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾

---

[1] قوله ولم يعدوا الخ. هكذا في نسخ متعددة ولهذا ابقيناه على حاله والا ينبغي ان يكون وعدوا حضور القلب الخ. لانه لو لم يكن حضور القلب عندهم من جملة الصلاة لما صح تعليله ورده عليهم ولما صدق قوله ولا يقع في ذهن الفقير الخ لانه صريح في انه لا يقول بوجود حضور في الصلاة غير ما ذكر كما قال به هؤلاء منه. (القزان رحمة الله عليه)

(٣٠٦) اَلْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُمِائَةِ إِلَى مَوْلاَنَا صَالِحٍ فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَنَاقِبِ الْمَخْدُومِ زَادَةِ الْأَكْبَرِ الْخَواجَةِ مُحَمَّدْ صَادِقْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالْغُفْرَانُ وَكَمَالاَتِهِ وَالْمَخْدُومَيْنِ الْأَصْغَرَيْنِ الْخَواجَةِ مُحَمَّدْ فَرُخْ وَمُحَمَّدْ عِيسَى رَحِمَهُمُ اللهُ وَبَيَانِ فَنَاءِ أَرْبَابِ الْوِلاَيَةِ وَعَدَمِ الاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ فِي قُرْبِ النُّبُوَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ وَلَعَلَّ أَخَانَا مُلاَّ صَالِحْ سَمِعَ وَاقِعَاتِ أَهْلِ سَرْهَنْدْ وَقَدِ اخْتَارَ وَلَدِي الْأَعْظَمُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ أَخَوَيْهِ الْأَصْغَرَيْنِ مُحَمَّدْ فَرُخْ وَمُحَمَّدْ عِيسَى أَيْضًا سَفَرَ الآخِرَةِ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ حَمْدًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَوَّلاً عَلَى مَا أَعْطَى الْبَاقِينَ الْقُوَّةَ وَالصَّبْرَ، وَثَانِيًا عَلَى مَا جَعَلَ فِي الْبَلِيَّةِ سِرًّا وَنِعْمَ مَا قِيلَ (شعر).

إِنْ كُنْتَ تُؤْذِينِي فَلَسْتَ بِمُعْرِضٍ *** وَقَدِ اسْتَطَبْتُ مِنَ الْأَعِزَّةِ ذِلَّتِي

كَانَ وَلَدِي الْمَرْحُومُ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ وَرَحْمَةً مِنْ رَحَمَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ نَالَ فِي سِنِّ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مَا لَمْ يَنَلْهُ إِلاَّ الْأَقَلُّونَ، وَبَلَغَ رُتْبَةَ الْمَوْلَوِيَّةِ وَمَلَكَةَ تَدْرِيسِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ حَدَّ الْكَمَالِ حَتَّى إِنَّ تَلاَمِذَتَهُ يَشْتَغِلُونَ بِدَرْسِ الْبَيْضَاوِيِّ وَشَرْحِ الْمَوَاقِفِ وَأَمْثَالِهِمَا بِالْقُدْرَةِ التَّامَّةِ، وَحِكَايَاتُ مَعْرِفَتِهِ وَعِرْفَانِهِ وَقِصَصُ شُهُودِهِ وَكُشُوفِهِ مُسْتَغْنِيَةٌ عَنِ الْبَيَانِ وَمَعْلُومُكُمْ أَنَّهُ فِي سِنِّ ثَمَانٍ كَانَ مَغْلُوبَ الْحَالِ عَلَى نَهْجٍ عَالَجَهُ حَضْرَةُ شَيْخِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ لِتَسْكِينِ حَالِهِ بِطَعَامِ السُّوقِ الَّذِي هُوَ مَشْكُوكٌ فِيهِ وَمُشْتَبِهٌ. وَقَالَ: إِنَّ مَحَبَّتِي لِمُحَمَّدْ صَادِقْ لَيْسَتْ هِيَ لِأَحَدٍ وَكَذَلِكَ مَحَبَّتُهُ لَنَا لَيْسَتْ هِيَ لِأَحَدٍ غَيْرِنَا لِيُعْلَمْ جَلاَلَةُ شَأْنِهِ مِنْ هَذَا الْكَلاَمِ، وَقَدْ بَلَغَ الْوِلاَيَةَ الْمُوسَوِيَّةَ إِلَى النُّقْطَةِ الْأَخِيرَةِ، وَكَانَ يُبَيِّنُ عَجَائِبَ تِلْكَ الْوِلاَيَةِ وَغَرَائِبَهَا، وَكَانَ دَائِمًا خَاضِعًا وَخَاشِعًا وَمُلْتَجِأً وَمُتَضَرِّعًا وَمُتَذَلِّلاً وَمُنْكَسِرًا وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ كُلاًّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى طَلَبَ شَيْئًا مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنَا طَلَبْتُ الْإِلْتِجَاءَ وَالتَّضَرُّعَ وَمَا أَكْتُبُ مِنْ مُحَمَّدْ فَرُخْ قَدْ كَانَ ابْنَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ مَشْغُولاً بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَكَانَ يَقْرَأُ الْكَافِيَةَ بِالشُّعُورِ وَكَانَ مُشْفِقًا مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ عَلَى الدَّوَامِ وَكَانَ يَدْعُو بِأَنْ يُفَارِقَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ فِي سِنِّ الطُّفُولِيَّةِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَشَاهَدَ مِنْهُ بَعْضُ الْأَصْحَابِ الَّذِينَ كَانُوا يُمَرِّضُونَهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ غَرَائِبَ وَعَجَائِبَ وَمَا أَكْتُبُ مِنْ خَوَارِقِ مُحَمَّدْ عِيسَى وَكَرَامَاتِهِ الَّتِي رَآهَا النَّاسُ قَبْلَ بُلُوغِهِ ثَمَانِيَ سَنَةً وَبِالْجُمْلَةِ كَانُوا جَوَاهِرَ نَفِيسَةً مُفَوَّضَةً إِلَيَّ عَلَى سَبِيلِ الْوَدِيعَةِ، لِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ سَلَّمْتُ الْأَمَانَةَ إِلَى أَهْلِهَا بِلاَ كُرْهٍ وَلاَ إِكْرَاهٍ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالتَّسْلِيمَاتُ، (ع) وَأَحْسَنُ مَا يُتْلَى حَدِيثُ الْأَحِبَّةِ

* (اِعْلَمْ) أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْفَنَاءِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْيَانِ مَا سِوَى الْحَقِّ تَعَالَى هُوَ زَوَالُ تَعَلُّقِ الْمَحَبَّةِ بِمَا دُونَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتْ ذَوَاتُ الْأَشْيَاءِ وَصِفَاتُهَا وَأَفْعَالُهَا عَنِ النَّظَرِ وَالْإِدْرَاكِ يَزُولُ تَعَلُّقُ الْمَحَبَّةِ بِهَا بِالضَّرُورَةِ وَلاَ بُدَّ فِي طَرِيقِ الْوِلاَيَةِ مِنْ نِسْيَانِ السِّوَى لِيَزُولَ التَّعَلُّقُ بِمَا دُونَ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَفِي مِدْرَاجِ

قُرْبِ النُّبُوَّةِ لاَ حَاجَةَ فِي زَوَالِ التَّعَلُّقِ بِالأَشْيَاءِ إِلَى نِسْيَانِ الأَشْيَاءِ أَصْلاً فَإِنَّ فِي قُرْبِ النُّبُوَّةِ لاَ يَبْقَى التَّعَلُّقُ بِالأَصْلِ الَّذِي هُوَ حَسَنٌ وَجَمِيلٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ اسْمًا وَلاَ رَسْمًا عَنِ التَّعَلُّقِ بِالأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ قَبِيحَةٌ لاَ حُسْنَ فِيهَا فِي نَفْسِهَا سَوَاءٌ نُسِيَتِ الأَشْيَاءُ أَوْ لاَ فَإِنَّ صِفَةَ الذَّمِّ إِنَّمَا عَرَضَتْ لِلْعِلْمِ بِالأَشْيَاءِ بِوَاسِطَةِ قُبْحِ التَّعَلُّقِ بِهَا لِكَوْنِهِ مُسْتَلْزِمًا لِلإِعْرَاضِ عَنْ جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى فَإِذَا زَالَ التَّعَلُّقُ بِالأَشْيَاءِ زَالَتْ صِفَةُ الذَّمِّ عَنِ الْعِلْمِ بِهَا فَلَمْ يَبْقَ مَذْمُومًا وَكَيْفَ يَكُونُ الْعِلْمُ بِالأَشْيَاءِ مَذْمُومًا فَإِنَّ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَعْلُومَاتُ الْحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَعِلْمُهُ بِهَا مِنْ صِفَاتِهِ الْكَامِلَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِمَا دُونَ الْحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ زَائِلاً فَكَيْفَ يَجْتَمِعُ الْعِلْمُ بِالْحَقِّ تَعَالَى مَعَ الْعِلْمِ بِمَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فَلاَ مَنْدُوحَةَ إِذًا مِنْ نِسْيَانِ مَا سِوَاهُ تَعَالَى ؟

قُلْتُ: إِنَّ الْعِلْمَ الْمُتَعَلِّقَ بِالأَشْيَاءِ مِنْ قَبِيلِ الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ وَالْعِلْمَ الْمُتَعَلِّقَ بِحَضْرَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُشَابِهٌ بِالْعِلْمِ الْحُضُورِيِّ فَكِلاَ الْعِلْمَيْنِ يَجْتَمِعَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَلاَ يَلْزَمُ مِنْهُ مَحْذُورٌ أَصْلاً وَإِنَّمَا يَلْزَمُ الْمَحْذُورُ إِذَا كَانَ كِلاَ الْعِلْمَيْنِ حُصُولِيَّيْنِ. (وَإِنَّمَا) قُلْنَا مِنْ قَبِيلِ الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ وَمُشَابِهٌ بِالْعِلْمِ الْحُضُورِيِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةُ الْحُصُولِ وَلاَ مَجَالَ لِلْحُضُورِ وَعِلْمُهُ تَعَالَى الْمُتَعَلِّقُ بِالأَشْيَاءِ لَيْسَ حُصُولِيًّا فَإِنَّهُ لاَ حُلُولَ لِلْحَوَادِثِ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَلاَ حُصُولَ وَعِلْمُ مِثْلِ هَذَا الْعَارِفِ ظِلٌّ مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمِ وَالْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِحَضْرَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ حُضُورِيٌّ فَإِنَّهُ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى الْمُدْرِكَةِ مِنْ نَفْسِ الْمُدْرِكَةِ أَيْضًا وَالْعِلْمُ الْحُضُورِيُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَلِكَ الْعِلْمِ كَالْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعِلْمِ الْحُضُورِيِّ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ وَرَاءَ طَوْرِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَدْرِ فَتَقَرَّرَ أَنَّ الْعِلْمَ بِالأَشْيَاءِ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِلْعِلْمِ بِالْحَقِّ فَلاَ يَكُونُ نِسْيَانُ الأَشْيَاءِ لاَزِمًا أَصْلاً بِخِلاَفِ طَرِيقِ الْوِلاَيَةِ فَإِنَّ زَوَالَ عَلاَقَةِ الأَشْيَاءِ هُنَاكَ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ بِدُونِ نِسْيَانِ الأَشْيَاءِ فَإِنَّ فِي الْوِلاَيَةِ تَعَلُّقًا بِالظِّلاَلِ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ التَّعَلُّقِ قُدْرَةُ إِزَالَةِ التَّعَلُّقِ بِالأَشْيَاءِ مَعَ وُجُودِ الْعِلْمِ بِهَا فَلاَ بُدَّ فِيهَا أَوَّلاً مِنْ نِسْيَانِ الأَشْيَاءِ حَتَّى تَزُولَ التَّعَلُّقَاتُ بِهَا وَهَذِهِ مَعْرِفَةٌ مَخْصُوصَةٌ بِهَذَا الدَّرْوِيشِ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا أَحَدٌ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ.

(٣٠٧) الْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُمِائَةِ إِلَى مَوْلاَنَا عَبْدِ الْوَاحِدِ اللاَّهُورِيِّ فِي بَيَانِ مَعْنَى الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلاَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا يَجِدُهُ الْعَابِدُ وَقْتَ الْعِبَادَةِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْكَمَالِ فِي عِبَادَتِهِ كُلُّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ وَمِنْ حُسْنِ تَرْبِيَتِهِ وَإِحْسَانِهِ تَعَالَى وَمَا يَجِدُهُ مِنَ النُّقْصَانِ وَالْقُصُورِ فِي الْعِبَادَةِ كُلُّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى نَفْسِ الْعَابِدِ نَاشٍ مِنْ خُبْثِهَا الْجِبِلِّيِّ وَلاَ شَيْءَ

مِنْهَا رَاجِعٌ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى أَصْلاً بَلْ هُنَاكَ مَحْضُ الْخَيْرِ وَالْكَمَالِ وَكَذَلِكَ كُلَّمَا يَقَعُ فِي الْعَالَمِ حُسْنُهُ وَكَمَالُهُ رَاجِعٌ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَشَرُّهُ، وَنَقْصُهُ عَائِدٌ إِلَى دَائِرَةِ الْمُمْكِنَاتِ الَّتِي لَهَا قَدَمٌ رَاسِخٌ فِي الْعَدَمِ الَّذِي هُوَ مَنْشَأُ جَمِيعِ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مُبَيِّنَةٌ لِهَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ بِأَبْلَغِ الْوُجُوهِ وَمُنَزِّهَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَمُقَدِّسَةٌ إِيَّاهُ تَعَالَى عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى مِنَ الشُّرُورِ وَالنَّقَائِصِ كَمَالَ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ وَبِعِبَارَةِ الْحَمْدِ الْوَاقِعَةِ فِيهَا يُؤَدِّي الشُّكْرَ عَلَى صِفَاتِهِ الْحَمِيدَةِ وَأَفْعَالِهِ الْجَمِيلَةِ وَعَلَى إِنْعَامَاتِهِ الْعَدِيدَةِ وَإِحْسَانَاتِهِ الْجَزِيلَةِ لِكَوْنِهِ رَأْسَ كُلِّ شُكْرٍ وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ[1]: أَنَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ فِي يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ لاَ يُسَاوِيهِ أَحَدٌ فِي الْعَمَلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوِ اللَّيْلَةِ إِلاَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ مِثْلَهُ وَكَيْفَ يُسَاوِيهِ فَإِنَّ كُلَّ عَمَلٍ وَعِبَادَةٍ أَدَاءُ شُكْرٍ مِنْ شُكْرِهِ تَعَالَى وَقَدْ أَدَّى بِجُزْءٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَبَقِيَ الْجُزْءُ الأَخِيرُ مِنْهَا الَّذِي هُوَ لِبَيَانِ تَنْزِيهِهِ وَتَقْدِيسِهِ سُبْحَانَهُ زَائِدًا عَلَيْهِ فَعَلَيْكُمْ بِإِتْيَانِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَانَ اللهِ[2] وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَاءَ نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ. وَوَرَدَ أَيْضًا سُبْحَانَ اللهِ[3] مِلْءَ الْمِيزَانِ. وَوَرَدَ أَيْضًا أَضْعَافَ مَا حَمِدَهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ وَلَمْ يَقُلِ الْقَائِلُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَمْ يَقَعِ الْعَدَدُ غَيْرَ فَرْدٍ وَاحِدٍ فَبِأَيِّ اعْتِبَارٍ يُقَالُ عَدَدَ خَلْقِهِ وَمَا يَكُونُ مَعْنَى رِضَاءِ نَفْسِهِ وَكَيْفَ يَكُونُ زِنَةَ عَرْشِهِ وَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ وَكَيْفَ يُمْلَأُ بِهِ الْمِيزَانُ وَبِأَيِّ مَعْنًى يُقَالُ إِنَّهُ أَضْعَافُ مَا حَمِدَهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ؟ (قُلْتُ): إِنَّ الإِنْسَانَ جَامِعُ عَالَمِ الْخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ وَكُلَّمَا هُوَ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ وَالأَمْرِ فَهُوَ فِي الإِنْسَانِ مَعَ شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَيْهِ وَهُوَ هَيْئَتُهُ الْوُحْدَانِيَّةُ الَّتِي نَشَأَتْ مِنْ تَرَكُّبِ الْخَلْقِ وَالأَمْرِ وَهَذِهِ الْهَيْئَةُ الْوُحْدَانِيَّةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لِشَيْءٍ غَيْرِهِ وَهِيَ أُعْجُوبَةٌ غَرِيبَةٌ وَأُنْمُوذَجَةٌ بَدِيعَةٌ فَالْحَمْدُ الَّذِي يَقَعُ مِنَ الإِنْسَانِ يَكُونُ أَضْعَافَ حَمْدِ جَمِيعِ الْخَلاَئِقِ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ سَائِرُ الأَسْئِلَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ مَا سِوَى الإِنْسَانِ وَلَئِنْ أَدْخَلْنَا فِيهِ الإِنْسَانَ أَيْضًا نَقُولُ إِنَّ الإِنْسَانَ الْكَامِلَ كَمَا أَنَّهُ يَجِدُ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْعَالَمِ أَجْزَاءَ نَفْسِهِ كَذَلِكَ يَجِدُ أَفْرَادَ الإِنْسَانِ أَيْضًا أَجْزَاءَ نَفْسِهِ وَيَرَى نَفْسَهُ كُلاًّ لِلْكُلِّ فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَجِدُ حَمْدَ نَفْسِهِ أَضْعَافَ حَمْدِ نَفْسِهِ وَأَضْعَافَ حَمْدِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الإِنْسَانِ أَيْضًا. ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[4] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّحِيَّاتِ.

---

[1] رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه

[2] رواه مسلم عن جويرية رضي الله عنها. (القزاني رحمة الله عليه)

[3] اخرجه الديلمي عن علي كرم الله وجهه مرفوعا من سره ان ينساله في عمره وينصر على عدوه ويوسع عليه في رزقه ويوقى منية السوء فليقل حين يمسي وحين يصبح ثلاث مرات سبحان الله ملأ الميزان ومنتهى العلم الحديث. (القزاني رحمة الله عليه)

(٤) الآية: ٤٧ من سورة طه.

(٣٠٨) اَلْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُمِائَةِ إِلَى مَوْلاَنَا فَيْضِ اللّٰهِ الْبَانِي بَتِي فِي بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ سُبْحَانَ اللّٰهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللّٰهِ الْعَظِيمِ"

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللّٰهُ تَعَالَى قَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ سُبْحَانَ اللّٰهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللّٰهِ الْعَظِيمِ" وَجْهُ خِفَّتِهِمَا عَلَى اللِّسَانِ ظَاهِرٌ لِقِلَّةِ الْحُرُوفِ وَأَمَّا وَجْهُ ثِقَلِهِمَا فِي الْمِيزَانِ وَكَوْنِهِمَا حَبِيبَتَيْنِ إِلَى الرَّحْمٰنِ فَلأَنَّ الْجُزْءَ الأَوَّلَ مِنَ الْكَلِمَةِ الأُولَى يُفِيدُ تَنْزِيهَهُ تَعَالَى وَتَقْدِيسَهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَنَابِ قُدْسِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِبْعَادَ جَنَابِ كِبْرِيَائِهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَسِمَاتِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ.

وَالْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ يُفِيدُ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَشُئُونَاتِ الْجَمَالِ لَهُ تَعَالَى سَوَاءٌ كَانَتِ الصِّفَاتُ وَالشُّئُونَاتُ مِنَ الْفَضَائِلِ أَوْ مِنَ الْفَوَاضِلِ وَجَعْلُ الإِضَافَةِ لِلاسْتِغْرَاقِ فِي الْجُزْءَيْنِ يُفِيدُ ثُبُوتَ جَمِيعِ التَّنْزِيهَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ وَثُبُوتَ جَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ لَهُ تَعَالَى فَحَاصِلُ الْجُزْءَيْنِ مِنَ الْكَلِمَةِ الأُولَى إِرْجَاعُ جَمِيعِ التَّنْزِيهَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَإِثْبَاتُ جَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَاصِلُ جُزْئَيِ الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ التَّنْزِيهَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ لَهُ تَعَالَى مَعَ إِثْبَاتِ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ سَلْبَ النَّقَائِصِ عَنْهُ تَعَالَى لَيْسَ إِلاَّ لأَجْلِ عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ سُبْحَانَهُ فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ الْكَلِمَتَانِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَيْنِ إِلَى الرَّحْمٰنِ

وَأَيْضًا إِنَّ التَّسْبِيحَ مِفْتَاحُ التَّوْبَةِ بَلْ زِيَادَةُ التَّوْبَةِ وَخُلاَصَتُهَا كَمَا حَقَّقْتُ فِي بَعْضِ الْمَكَاتِيبِ فَيَكُونُ التَّسْبِيحُ وَسِيلَةً إِلَى مَحْوِ الذُّنُوبِ وَعَفْوِ السَّيِّئَاتِ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ ثَقِيلاً فِي الْمِيزَانِ وَمُرَجِّحًا لِكِفَّةِ الْحَسَنَاتِ وَحَبِيبًا إِلَى الرَّحْمٰنِ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَأَيْضًا إِنَّ الْمُسَبِّحَ الْحَامِدَ لَمَّا نَزَّهَ جَنَابَ قُدْسِهِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ وَأَثْبَتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ لَهُ تَعَالَى فَالْمَرْجُوُّ مِنَ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ جَلَّ شَأْنُهُ أَنْ يُنَزِّهَ الْمُسَبِّحَ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ وَيُوجِدَ فِي الْحَامِدِ صِفَةَ الْكَمَالِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ) فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ الْكَلِمَتَانِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي الْمِيزَانِ لِمَحْوِ السَّيِّئَاتِ بِتَكْرَارِهِمَا وَحَبِيبَتَيْنِ إِلَى الرَّحْمٰنِ لِوُجُودِ الأَخْلاَقِ الْحَمِيدَةِ بِوَاسِطَتِهِمَا وَالسَّلاَمُ.

(٣٠٩) اَلْمَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُمِائَةِ إِلَى مَوْلاَنَا الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ الْفِرْكَتِي فِي بَيَانِ الْمُحَاسَبَةِ الْيَوْمِيَّةِ وَاللَّيْلِيَّةِ كَمَا وَرَدَ حَاسِبُوا إِلَخْ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِيكُمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمَشَائِخِ الْكِرَامِ قَدَّسَ اللّٰهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمُ اخْتَارُوا طَرِيقَ الْمُحَاسَبَةِ وَكَانُوا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطَالِعُونَ قُبَيْلَ النَّوْمِ دَفْتَرَ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ وَيُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ كُلٍّ مِنْهَا بِالتَّفْصِيلِ وَيَتَدَارَكُونَ تَقْصِيرَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ وَالْإِلْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ وَيَشْتَغِلُونَ بِحَمْدِ اللّٰهِ تَعَالَى وَشُكْرِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَيَرْجِعُونَ بِهَا إِلَى تَوْفِيقِهِ تَعَالَى. كَانَ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ قُدِّسَ سِرُّهُ مِنَ الْمُحَاسِبِينَ وَقَالَ: أَنَا زِدْتُ فِي مُحَاسَبَتِي عَلَى مَشَائِخَ أُخَرَ حَتَّى حَاسَبْتُ خَطَرَاتِي وَنِيَّاتِي وَلِلتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ [1]مِائَةَ مَرَّةٍ قُبَيْلَ النَّوْمِ عَلَى نَهْجٍ ثَبَتَ عَنِ الْمُخْبِرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حُكْمُ الْمُحَاسَبَةِ عِنْدَ الْفَقِيرِ وَكَانَ الْمُسَبِّحُ يَعْتَذِرُ مِنْ تَقْصِيرَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ بِتَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّسْبِيحِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ التَّوْبَةِ وَيُنَزِّهُ جَانِبَ قُدْسِهِ تَعَالَى وَيُقَدِّسُهُ عَمَّا عَادَ إِلَيْهِ مِنِ ارْتِكَابِهِ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّ مُرْتَكِبَ السَّيِّئَاتِ إِذَا كَانَ عَظَمَةُ جَانِبِ قُدْسِ الْآمِرِ وَالنَّاهِي وَكِبْرِيَائِهِ مَلْحُوظَةً وَمَنْظُورَةً إِلَيْهِ مَا كَانَ يُبَادِرُ إِلَى تَرْكِ امْتِثَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى وَلَمَّا بَادَرَ عُلِمَ أَنَّهُ لَا اعْتِدَادَ وَلَا اعْتِبَارَ عِنْدَهُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ تَعَالَى أَعَاذَنَا اللّٰهُ سُبْحَانَهُ مِنْ ذٰلِكَ فَبِتَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّنْزِيهِ يُتَلَافَى هٰذَا التَّقْصِيرُ **(يَنْبَغِي)** أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ فِي الْإِسْتِغْفَارِ طَلَبَ سَتْرِ الذَّنْبِ وَفِي تَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّنْزِيهِ طَلَبَ اسْتِيصَالِ الذَّنْبِ أَيْنَ هٰذَا مِنْ ذَاكَ سُبْحَانَ اللّٰهِ كَلِمَةٌ عَجِيبَةٌ أَلْفَاظُهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَمَعَانِيهَا وَمَنَافِعُهَا فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ وَبِتَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّحْمِيدِ يُؤَدَّى شُكْرُ نِعْمَةِ تَوْفِيقِهِ وَسَائِرِ نِعَمِهِ تَعَالَى وَتَكْرَارُ كَلِمَةِ التَّكْبِيرِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ جَنَابَ قُدْسِهِ تَعَالَى أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْإِعْتِذَارُ وَالشُّكْرُ لَائِقًا بِحَضْرَتِهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ اعْتِذَارَ الْعَبْدِ وَاسْتِغْفَارَهُ مُحْتَاجٌ إِلَى اعْتِذَارَاتٍ وَاسْتِغْفَارَاتٍ كَثِيرَةٍ وَحَمْدُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْمُحَاسِبُونَ يَكْتَفُونَ بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالشُّكْرِ وَبِهٰذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقُدْسِيَّةِ يَحْصُلُ أَمْرُ الْاِسْتِغْفَارِ وَيُؤَدَّى الشُّكْرُ وَيَتَيَسَّرُ الْإِيمَاءُ إِلَى نَقْصِ الْاِسْتِغْفَارِ وَالشُّكْرِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(٣١٠) اَلْمَكْتُوبُ الْعَاشِرُ وَالثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدْ هَاشِمْ فِي بَيَانِ جَامِعِيَّةِ الْإِنْسَانِ مَعَ بَعْضِ الْأَسْرَارِ الْغَامِضَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَمَا يُنَاسِبُ ذٰلِكَ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ لِيُعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْكَمَالَاتِ مُسْتَفَادَةٌ مِنْ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنْ عِلْمًا فَمُسْتَفَادٌ مِنْ عِلْمِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ وَإِنْ قُدْرَةً فَمَأْخُوذَةٌ مِنْ قُدْرَةِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ وَعَلَى

[1] أخرج الترمذي عن ابن عمر رضى الله عنهما خلتان لا يحصيهما الحديث وفيه واذا اخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة واخرج مسلم عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ولفاطمة رضى الله عنهما اذا أويتما الى فراشكما او اذا اخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثا وثلاثين الحديث منه (القران رحمة الله عليه)

هَذَا الْقِيَاسُ. وَأَمَّا كَمَالُ كُلِّ مَرْتَبَةٍ فَعَلَى مِقْدَارِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ فَحُكْمُ عِلْمِ الْإِنْسَانِ فِي جَنْبِ عِلْمِ الْوَاجِبِ كَحُكْمِ الْمَيِّتِ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءٌ مَحْضٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَيٍّ بِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ وَكَذَلِكَ قُدْرَةُ الْعَبْدِ فِي جَنْبِ قُدْرَةِ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ لَهَا حُكْمُ قُدْرَةِ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي يَنْسِجُ بَيْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ شَخْصٍ تَصِيرُ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرَضُونَ وَالْجِبَالُ وَالْبِحَارُ دَكًّا دَكًّا وَهَبَاءً مَنْثُورًا بِنَفْخَتِهِ الْوَاحِدَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ الْكَمَالَاتِ الْأُخَرَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّفَاوُتُ إِنَّمَا يُقَالُ مِنْ ضِيقِ الْعِبَارَةِ وَإِلَّا فَمَا النِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا (ع) **مَا نِسْبَةُ الْفَرْشِيِّ بِالْعَرْشِيِّ** • فَصَارَتْ كَمَالَاتُ الْإِنْسَانِ فِي صُورَةِ كَمَالَاتِ مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلَمْ يَحْصُلْ لِهَذِهِ الْكَمَالَاتِ مِنْ كَمَالَاتِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ غَيْرُ الْمُشَارَكَةِ فِي الْإِسْمِ وَمِنْ هٰهُنَا وَرَدَ أَنَّ اللّٰهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَمَعْنَى مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ يَلُوحُ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَإِنْ كَانَ صُورَةً هُوَ الَّذِي حَقِيقَتُهُ حَاصِلَةٌ فِي مَرْتَبَةِ الْوُجُوبِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ . وَمِنْ هٰهُنَا يُعْرَفُ سِرُّ خِلَافَةِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ صُورَةَ الشَّيْءِ خَلِيفَةُ الشَّيْءِ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ ظَنَّتِ الزَّنَادِقَةُ وَالْمُجَسِّمَةُ أَنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَأَثْبَتُوا الْقُوَى وَالْجَوَارِحَ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي حَضْرَتِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ ضَلُّوا فَأَضَلُّوا وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ إِطْلَاقَ الصُّورَةِ وَأَمْثَالِهَا فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ مِنْ قَبِيلِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّحْقِيقِ وَالتَّثْبِيتِ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الصُّورَةِ تَقْتَضِي التَّبَعُّضَ وَالتَّرَكُّبَ وَالتَّجَزِّيَ وَكُلُّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلْوُجُوبِ وَمَانِعٌ لِلْقِدَمِ. وَالْمُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ أَيْضًا مَصْرُوفَاتٌ عَنِ الظَّوَاهِرِ وَمَحْمُولَاتٌ عَلَى التَّأْوِيلِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ**) يَعْنِي لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ إِلَّا اللّٰهُ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْمُتَشَابِهَ مَحْمُولٌ عَلَى التَّأْوِيلِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالَى أَيْضًا وَمَصْرُوفٌ عَنِ الظَّاهِرِ وَأَنَّهُ تَعَالَى يُعْطِي الْعُلَمَاءَ الرَّاسِخِينَ أَيْضًا نَصِيبًا مِنْ عِلْمِ هَذَا التَّأْوِيلِ كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُطْلِعُ خَوَاصَّ رُسُلِهِ عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي هُوَ مَخْصُوصٌ بِهِ تَعَالَى وَإِيَّاكَ وَالتَّخَيُّلَ أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ كَتَأْوِيلِ الْيَدِ بِالْقُدْرَةِ وَالْوَجْهِ بِالذَّاتِ حَاشَا وَكَلَّا بَلْ إِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي يَمْنَحُ اللّٰهُ عِلْمَهَا أَخَصَّ الْخَوَاصِّ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ وَأَتْبَاعَهُ يَقُولُونَ إِنَّ صِفَاتِ الْوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ كَمَا أَنَّهَا عَيْنُ الذَّاتِ كَذَلِكَ بَعْضُهَا عَيْنُ الْبَعْضِ الْآخَرِ مَثَلًا الْعِلْمُ كَمَا أَنَّهُ عَيْنُ الذَّاتِ كَذَلِكَ هُوَ عَيْنُ الْقُدْرَةِ وَعَيْنُ الْإِرَادَةِ وَعَيْنُ السَّمْعِ وَعَيْنُ الْبَصَرِ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ سَائِرُ الصِّفَاتِ وَهَذَا الْكَلَامُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى نَفْيِ وُجُودِ الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ وَهُوَ خِلَافُ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ الصِّفَاتِ الثَّمَانَ أَوِ السَّبْعَ عَلَى وَفْقِ آرَاءِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ وَلَعَلَّ تَوَهُّمَ عَيْنِيَّةِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ الْوَاجِبِيَّةِ نَشَأَ فِيهِمْ مِنْ تَخَيُّلِهِمْ تَغَايُرَ مَا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَتَبَايُنَهُ كَتَغَايُرِ مَا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ وَتَبَايُنِهِ وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ تَغَايُرًا وَتَبَايُنًا كَتَغَايُرِ هَذَا الْمَوْطِنِ وَتَبَايُنِهِ الَّذِي هِيَ بَيْنَ ذَوَاتِنَا وَصِفَاتِنَا وَلَمْ يَرَوْا هُنَاكَ تَمَايُزًا مُشَابِهًا لِتَمَايُزِ هَذَا الْمَوْطِنِ لَا جَرَمَ حَكَمُوا بِنَفْيِ التَّغَايُرِ وَالتَّمَايُزِ وَقَالُوا بِعَيْنِيَّةِ بَعْضِهَا بَعْضًا وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ تَمَايُزَ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَتَغَايُرَهُ مِثْلُ ذَاتِ الْوَاجِبِ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى لَا كَيْفِيٌّ وَلَا مِثْلِيٌّ وَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ذَلِكَ التَّمَايُزِ وَبَيْنَ هَذَا التَّمَايُزِ إِلَّا بِحَسَبِ الصُّورَةِ وَالْإِسْمِ فَيَكُونُ التَّمَايُزُ وَالتَّبَايُنُ مُتَحَقِّقًا فِي ذَلِكَ

الْمَوْطِنِ وَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ إِدْرَاكِهِ لاَ إِنَّا نَنْفِي كُلَّ مَا لاَ نُدْرِكُهُ وَنُخَالِفُ بِذَلِكَ أَهْلَ التَّحْقِيقِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُلْهِمُ لِلصَّوَابِ.

(٣١١) الْمَكْتُوبُ الْحَادِيَ عَشَرَ وَالثَّلاَثُمِائَةِ إِلَى الْمَخْدُومِ ذَادَهُ الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ سَعِيدْ فِي بَيَانِ الأَسْرَارِ الْغَامِضَةِ وَالْحَقَائِقِ النَّادِرَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَاتِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي لِلْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ اطِّلاَعٌ عَلَيْهَا بِطَرِيقِ الرَّمْزِ وَالإِشَارَةِ

اَللَّهُمَّ (شعر)

هاى دوچشمى ست مرئ *** هجو ألف رب حبيب خدا

لام مرئ خليل الله ست *** ميم زتدبير كليم آكه ست

مَبْدَأُ أَمْرِ الْكَلِيمِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَقِيقَةُ الأَلِفِ وَمَبْدَأُ مُعَامَلَةِ هَذَا الْحَقِيرِ أَيْضًا بِتَبَعِيَّتِهِ وَوِرَاثَتِهِ حَقِيقَةُ الأَلِفِ وَلَكِنَّ رُجُوعَ الْكَلِيمِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ إِلَى حَقِيقَةِ الْمِيمِ وَرُجُوعَ الْحَقِيرِ إِلَى حَقِيقَةِ الْهَاءِ ذَاتَ عَيْنَيْنِ وَمَرْجِعِي وَمَلاَذِي الآنَ هُوَ حَقِيقَةُ الْهَاءِ وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ هِيَ الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِغَيْبِ الْهُوِيَّةِ وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ خَزِينَةُ الرَّحْمَةِ وَمُسْتَقَرُّ الرَّحْمَةِ الْوَاحِدَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَمُسْتَوْدَعُ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ رَحْمَةً الَّتِي ادُّخِرَتْ لِلْعُقْبَى كُلُّهَا هُوَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ فَكَأَنَّ إِحْدَى عَيْنَيْهَا مَخْزَنُ رَحْمَةِ الدُّنْيَا وَالأُخْرَى خَزِينَةُ رَحْمَةِ الأُخْرَى وَصِفَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ تَتَشَعَّبُ مِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَفِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ ظُهُورُ جَمَالٍ صِرْفٍ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ شَائِبَةٌ مِنَ الْجَلاَلِ وَجَمِيعُ مَا يُصِيبُ الأَوْلِيَاءَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمِحْنَةِ وَالْغَمِّ وَالْحَزَنِ تَرْبِيَةٌ جَمَالِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ فِي صُورَةِ الْجَلاَلِ وَكُلَّمَا أُعْطِيَ الأَعْدَاءُ مِنْ جِنْسِ النِّعْمَةِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ فِي الدُّنْيَا ظُهُورُ جَلاَلٍ مُوَرًّى بِالْجَمَالِ هَذَا هُوَ الْمَكْرُ الإِلَهِيُّ جَلَّ سُلْطَانُهُ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَبْدَأُ أَمْرِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَقِيقَةٌ فَوْقَ حَقِيقَةِ الأَلِفِ وَكَذَلِكَ مَبْدَأُ أَمْرِ الْخَلِيلِ أَيْضًا هُوَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْفَوْقَانِيَّةُ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَبْدَأِ خَاتَمِ الرُّسُلِ إِجْمَالُ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ وَحَقِيقَةُ مَبْدَأِ الْخَلِيلِ تَفْصِيلُهَا وَمَرْجِعُ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَقِيقَةُ الأَلِفِ. وَمَرْجِعُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَقِيقَةُ اللاَّمِ وَذَلِكَ لأَنَّ مُنَاسَبَةَ الإِجْمَالِ لِلْوَحْدَةِ أَكْثَرُ فَلاَ جَرَمَ تَيَسَّرَ الرُّجُوعُ إِلَى الأَلِفِ الَّذِي هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْوَحْدَةِ وَمُنَاسَبَةُ التَّفْصِيلِ لِلْكَثْرَةِ أَزْيَدُ فَبِالضَّرُورَةِ كَانَ رُجُوعُهُ إِلَى اللاَّمِ الَّذِي هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْكَثْرَةِ فَإِبْرَاهِيمُ عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ كَثِيرَ الْبَرَكَةِ فِي الْمَبْدَأِ وَفِي الْمَعَادِ وَالْمَرْجِعِ وَمِنْ هَهُنَا سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةً وَبَرَكَةً مُمَاثِلَتَيْنِ لِصَلاَةِ الْخَلِيلِ وَبَرَكَتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَبُّ خَاتَمِ الرُّسُلِ فِي أَسْمَاءِ

اللهِ الْحُسْنَى الَّتِي رُتْبَتُهَا فَوْقَ رُتْبَةِ الصِّفَاتِ الْإِسْمُ الْمُبَارَكُ اللهُ تَعَالَى شَأْنُهُ وَرَبُّ هَذَا الْحَقِيرِ الْإِسْمُ الْمُبَارَكُ الرَّحْمَنُ جَلَّ وَعَلَا.

وَحَيْثُ كَانَ لِهَذَا الْحَقِيرِ مُنَاسَبَةٌ لِلْكَلِيمِ فِي الْمَبْدَأِ وَصَلَ مِنْهُ إِلَيْهِ بَرَكَاتٌ كَثِيرَةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ وِلَايَةُ هَذَا الْحَقِيرِ وِلَايَةً مُوسَوِيَّةً وَلَكِنَّهُ مَمْلُوءٌ مِنْ بَرَكَاتِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ وَحَصَلَ لَهُ تَرَقِّيَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ. وَالْإِسْتِفَادَةُ الَّتِي حَصَلَتْ لِهَذَا الْحَقِيرِ مِنْ تِلْكَ الْوِلَايَةِ مِنْ طَرِيقِ إِجْمَالِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ وَاسْتِفَادَةُ وَالِدِي الْأَعْظَمِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ مِنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِهَا وَوِلَايَةُ هَذَا الْفَقِيرِ الْمُسْتَفَادَةُ مِنَ الْوِلَايَةِ الْمُوسَوِيَّةِ شَبِيهَةٌ بِوِلَايَةِ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَوِلَايَةُ وَالِدِي الْأَعْظَمِ شَبِيهَةٌ بِوِلَايَةِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ آمَنُوا.

(٣١٢) اَلْمَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ وَالثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى الْمِيرْ مُحَمَّدْ نُعْمَانْ فِي أَجْوِبَةِ أَسْئِلَتِهِ مِنْ جُمْلَتِهَا السُّؤَالُ عَنْ تَحْقِيقِ الْإِشَارَةِ فِي التَّشَهُّدِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَعِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَصَلَتِ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ الْمُرْسَلَةُ مَعَ مُلَّا مَحْمُود فَأَوْرَثَتْ فَرَحًا وَافِرًا وَسَأَلْتَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ يَقُولُونَ إِنَّ بُقْعَةَ الرَّوْضَةِ[1] الْمُتَبَرِّكَةِ الْمَدَنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ أَعْظَمُ يَعْنِي قَدْرًا مِنْ مَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ وَكَيْفَ تَكُونُ بُقْعَةُ الرَّوْضَةِ الْمُتَبَرِّكَةِ أَعْظَمَ مِنْهَا مَعَ كَوْنِ صُورَةِ الْكَعْبَةِ وَحَقِيقَتِهَا مَسْجُودًا إِلَيْهِمَا لِلصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّتَيْنِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ؟

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: إِنَّ مَا ثَبَتَ عِنْدَ الْفَقِيرِ هُوَ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْكَعْبَةُ الْمُعَظَّمَةُ ثُمَّ بَعْدَهَا الرَّوْضَةُ الْمُقَدَّسَةُ النَّبَوِيَّةُ الْمَدَنِيَّةُ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ ثُمَّ بَعْدَهَا أَرْضُ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى عَنِ الْآفَاتِ فَإِنْ قَالَ الْعُلَمَاءُ بِأَفْضَلِيَّةِ الرَّوْضَةِ الْمُتَبَرِّكَةِ عَلَى مَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ بِذَلِكَ مَا سِوَى أَرْضِ الْكَعْبَةِ الْمُقَدَّسَةِ.

وَسَأَلْتَ أَنَّ مُلَازِمِي مَوْلَانَا الْمَرْحُومَ أَعْلَمِ اللهِ كَتَبُوا رِسَالَةً فِي مَادَّةِ تَجْوِيزِ الْإِشَارَةِ بِالسَّبَّابَةِ وَقَدْ أَرْسَلْتَ الرِّسَالَةَ الْمَذْكُورَةَ فَبِمَ تُشِيرُ فِي هَذَا الْبَابِ ؟

---

[1] هــذا مــبنى على عدم التفرقة بين الروضة وبين القبر النبوى صلى الله عليه وسلم وإلا لا يقول احد من العلماء بافضلية الروضــة فقط على مكة وانما قال مالك بافضلية المدينة على مكة والجمهور على خلافه ولكن قالوا بافضلية البقعة التى ضمت اعظمه صلى الله عليه وسلم على مكة حتى على الكعبة والعرش منه (القزاني رحمة الله عليه)

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: إِنَّ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ فِي بَابِ تَجْوِيزِ الْإِشَارَةِ بِالسَّبَّابَةِ كَثِيرَةٌ [1] جِدًّا وَوَرَدَ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ الْفِقْهِيَّةِ الْحَنَفِيَّةِ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا أَوْرَدَهَا مَوْلَانَا فِي رِسَالَتِهِ وَإِذَا لُوحِظَتِ الْكُتُبُ الْفِقْهِيَّةُ الْحَنَفِيَّةُ مُلَاحَظَةً جَيِّدَةً يُعْلَمُ أَنَّ رِوَايَاتِ جَوَازِ الْإِشَارَةِ غَيْرُ رِوَايَاتِ الْأُصُولِ وَغَيْرُ ظَاهِرِ الْمَذْهَبِ وَمَا قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ الشَّيْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِيرُ وَنَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا قَوْلِي وَقَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَاتِ النَّوَادِرِ لَا مِنْ رِوَايَاتِ الْأُصُولِ فِي الْفَتَاوَى الْغَرَائِبِ فِي الْمُحِيطِ هَلْ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ مِنْ يَدِهِ الْيُمْنَى لَمْ يَذْكُرْ مُحَمَّدٌ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي الْأَصْلِ وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمَشَائِخُ فِيهَا مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا يُشِيرُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يُشِيرُ وَذَكَرَ مُحَمَّدٌ فِي غَيْرِ الْأُصُولِ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُشِيرُ ثُمَّ قَالَ هَذَا قَوْلِي وَقَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ سُنَّةٌ وَقِيلَ مُسْتَحَبٌّ ثُمَّ قَالَ فِيهَا هَذَا مَا ذَكَرُوا وَالتَّصْحِيحُ أَنَّ الْإِشَارَةَ حَرَامٌ وَفِي السِّرَاجِيَّةِ: وَيُكْرَهُ أَنْ يُشِيرَ بِالسَّبَّابَةِ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ قَوْلِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُخْتَارُ وَفِي الْكُبْرَى وَعَلَيْهِ الْفَتْوَى ؛ لِأَنَّ مَبْنَى الصَّلَاةِ عَلَى السُّكُونِ وَالْوَقَارِ وَفِي الْغِيَاثِيَّةِ مِنَ الْفَتَاوَى لَا يُشِيرُ بِالسَّبَّابَةِ عِنْدَ التَّشَهُّدِ هُوَ الْمُخْتَارُ وَعَلَيْهِ الْفَتْوَى وَفِي جَامِعِ الرُّمُوزِ لَا يُشِيرُ وَلَا يَعْقِدُ وَهُوَ ظَاهِرُ [2] أُصُولِ أَصْحَابِنَا كَمَا فِي الزَّاهِدِيِّ وَعَلَيْهِ الْفَتْوَى كَمَا فِي الْمُضْمَرَاتِ وَالْوَلْوَالِجِيِّ وَالْخُلَاصَةِ وَغَيْرِهَا وَعَنْ أَصْحَابِنَا جَمِيعًا أَنَّهُ سُنَّةٌ فِي خِزَانَةِ الرِّوَايَاتِ مِنَ التَّتَارْخَانِيَّةِ ثُمَّ إِذَا أَخَذَ فِي التَّشَهُّدِ وَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هَلْ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ مِنَ الْيَدِ الْيُمْنَى لَمْ يَذْكُرْهُ مُحَمَّدٌ فِي الْأَصْلِ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْمَشَائِخُ فِيهِ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا يُشِيرُ وَفِي الْكُبْرَى وَعَلَيْهِ الْفَتْوَى وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يُشِيرُ وَفِي الْغِيَاثِيَّةِ وَلَا يُشِيرُ بِالسَّبَّابَةِ عِنْدَ التَّشَهُّدِ هُوَ الْمُخْتَارُ اهـ.

---

[1] اخرجها كثير من المحدثين فى كتبهم عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وقد جمع على القارى طرفا منها فى رسالته تـزيين العبارة لـ تحسين الاشارة وافردها كثير من الحنفية بالتأليف خصوصا المتأخرين منهم لما رأو تعصب بعض الجهلة فيها مع وضوح سنتها وورد روايات فقهية كثيرة فيها من متقدمى الحنفية وآخر من الف فيها شيخنا المحقق العلامة الشيخ آخوند جان الفندى المـرغيناني جمع فيها الروايات الحيثية والفقهية وقد اجاد كل الاجادة واحسن ما يعتذر عن طرف الامام قدس سره فى هذا الباب ان الـروايات الفقهية لم تتضح له فيها غاية الاتضاح كما يدل عليه قوله وورد بعض الروايات الفقهية الحنفية وعادته الكريمة عدم تجاوز الروايات الفقهية مقدار ذرة كما لا يخفى حاله على من تتبع احواله واقواله فانه قدس سره كان جبلا شامخا فى التصلب على المذهب مـا كان يشعره كلما يشاهده فى هوامش الكتب بعنوان الجديث كما هو ديدن الجملة والاعتذار عنه بان الاحاديث لم تبلغه ليس مما ينبغـى بالنسبة الى حاله وبالنظر الى مقاله كما سبق وكما سيجئ وان اعتذر به بعض خلفاء طريقته من مشائخنا وبعض اولاده نعم المعتذر به كان كذلك واما قوله قدس سره روايات الاشارة فليس من رواية الاصول ولا رواية النوادر بل من رواية الواقعات والفتاوى والنوازل ومرتبتها نازلة من رواية النوادر كما هو مبين فى محله ولهذا افتى عامة المتأخرين بسنية الاشارة وافردوها بالتأليف وهى الحق الذى لا يعدل عنه وخلافها خلافه والله الهادى والحق احق بالاتباع نمقه مراد الحنفى المجددى.

[2] توهم البعض من هذا القول ان عدم الاشارة مذكورة فى الاصل وظاهر المذهب وهو توهم باطل فان الاصل وظاهر المذهب ليس فيه ذكر الاشارة لا نفيا ولا اثباتا كما مر هنا مرتين ان محمدا لم يذكره فى الاصل بل لا وجود لعدم الاشارة فى النوادر ايضا كما مـر وانمـا معناه انه مستنبط من ظاهر اصولهم وقواعدهم اعنى قولهم مبنى الصلة على السكون وهذا الاستنباط انما يصح اذا لم توجد الرواية فى النوادر ايضا وحيث وجدت لا يصح استنباطهم. (القزانى رحمة الله عليه).

وَحَيْثُ ذُكِرَتْ حُرْمَةُ ٱلْإِشَارَةِ فِي ٱلرِّوَايَاتِ[1] ٱلْمُعْتَبَرَةِ وَأَفْتَوْا بِكَرَاهَتِهَا وَنَهَوْا عَنْهَا وَقَالُوا: إِنَّهَا ظَاهِرُ أُصُولِ أَصْحَابِنَا لَا يَجُوزُ لِأَمْثَالِنَا ٱلْمُقَلِّدِينَ ٱلْجَرَاءَةُ عَلَى ٱلْإِشَارَةِ عَمَلًا بِمُقْتَضَى ٱلْأَحَادِيثِ وَٱرْتِكَابُ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ أَوْ مَنْهِيٍّ عَنْهُ بِفَتَاوَى كَثِيرٍ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْمُجْتَهِدِينَ وَمُرْتَكِبُ هَذَا ٱلْأَمْرِ مِنَ ٱلْحَنَفِيَّةِ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ ٱلْحَالَيْنِ إِمَّا أَنْ لَا يُثْبِتَ لِلْعُلَمَاءِ ٱلْمُجْتَهِدِينَ عِلْمَ ٱلْأَحَادِيثِ ٱلْمَعْرُوفَةِ ٱلْوَارِدَةِ فِي جَوَازِ ٱلْإِشَارَةِ وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ بِعَدَمِ عَمَلِ هَؤُلَاءِ ٱلْأَكَابِرِ بِمُقْتَضَى هَذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِوُرُودِهَا وَثُبُوتِهَا عِنْدَهُمْ وَيَظُنُّ أَنَّهُمْ حَكَمُوا بِٱلْحُرْمَةِ وَٱلْكَرَاهَةِ عَلَى خِلَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بِمُقْتَضَى آرَائِهِمْ وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ ٱلشِّقَّيْنِ فَاسِدٌ لَا يُجَوِّزُهُمَا إِلَّا سَفِيهٌ وَمُعَانِدٌ.[2]

وَمَا قَالَ فِي تَرْغِيبِ ٱلصَّلَاةِ أَنَّ رَفْعَ إِصْبَعِ ٱلشَّهَادَةِ فِي ٱلتَّشَهُّدِ سُنَّةُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ وَأَمَّا ٱلْعُلَمَاءُ ٱلْمُتَأَخِّرُونَ فَقَدْ نَهَوْا عَنْهَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا غُلُوَّ ٱلرَّوَافِضِ فِيهَا تَرَكُوهَا خَوْفًا مِنْ تُهْمَةِ ٱلسُّنِّيِّ بِٱلرَّفْضِ مُخَالِفٌ لِرِوَايَاتِ ٱلْكُتُبِ ٱلْمُعْتَبَرَةِ فَإِنَّ ظَاهِرَ أُصُولِ أَصْحَابِنَا عَدَمُ ٱلْإِشَارَةِ وَعَدَمُ ٱلْعَقْدِ فَكَأَنَّ عَدَمَ ٱلْإِشَارَةِ سُنَّةُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ وَلَمْ يَكُنْ وَجْهُ ٱلتَّرْكِ نَفْيَ ٱلتُّهْمَةِ وَحُسْنُ ظَنِّنَا بِهَؤُلَاءِ ٱلْأَكَابِرِ هُوَ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ فِي هَذَا ٱلْبَابِ دَلِيلُ ٱلْحُرْمَةِ وَٱلْكَرَاهَةِ لَمَا حَكَمُوا بِهِمَا وَحَيْثُ قَالُوا بَعْدَ ذِكْرِ سُنِّيَّةِ ٱلْإِشَارَةِ وَٱسْتِحْبَابِيَّتِهَا هَذَا مَا ذَكَرُوا وَٱلصَّحِيحُ أَنَّ ٱلْإِشَارَةَ حَرَامٌ عُلِمَ أَنَّ أَدِلَّةَ سُنِّيَّةِ ٱلْإِشَارَةِ وَٱسْتِحْبَابِيَّتِهَا لَمْ تَبْلُغْ عِنْدَ هَؤُلَاءِ ٱلْأَكَابِرِ مَرْتَبَةَ ٱلصِّحَّةِ بَلْ صَحَّتْ خِلَافُهَا.

غَايَةُ مَا فِي ٱلْبَابِ أَنَّهُ لَا دَلِيلَ لَنَا عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ ٱلْقَدْحَ فِي هَؤُلَاءِ ٱلْأَكَابِرِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ لَنَا دَلِيلًا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ. **(قُلْنَا)** إِنَّ عِلْمَ ٱلْمُقَلِّدِ غَيْرُ مُعْتَبَرٍ فِي إِثْبَاتِ ٱلْحِلِّ وَٱلْحُرْمَةِ وَإِنَّمَا ٱلْمُعْتَبَرُ فِي هَذَا ٱلْبَابِ هُوَ ظَنُّ ٱلْمُجْتَهِدِ[3] وَٱلْقَوْلُ فِي حَقِّ أَدِلَّةِ ٱلْمُجْتَهِدِ أَنَّهَا أَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ ٱلْعَنْكَبُوتِ جَرَاءَةٌ عَظِيمَةٌ وَتَرْجِيحٌ لِعِلْمِهِ عَلَى عِلْمِ هَؤُلَاءِ ٱلْأَكَابِرِ وَإِبْطَالٌ لِظَاهِرِ أُصُولِ أَصْحَابِنَا ٱلْحَنَفِيَّةِ وَتَخْرِيبٌ لِلرِّوَايَاتِ ٱلْمُفْتَى بِهَا وَهَؤُلَاءِ ٱلْأَكَابِرُ حَكَمُوا بِشُذُوذِ هَذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ فَإِنَّهُمْ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ وَوُفُورِ عِلْمِهِمْ وَحُصُولِ ٱلْوَرَعِ وَٱلتَّقْوَى لَهُمْ أَعْلَمُ بِهَا مِنْ أَمْثَالِنَا ٱلْعَاجِزِينَ وَأَعْرَفُ مِنَّا بِصِحَّتِهَا وَسَقَمِهَا وَنَسْخِهَا وَعَدَمِ

---

[1] لا يخفى ان هذه الروايات ليست بمعتبرة بل هي ليست بروايات عن المشائخ كما مر بل هي اقوال هؤلاء المشائخ وهم ليسوا من ارباب الترجيح والفتاوى عندنا كما لا يخفى على من له ممارسة بقواعدنا الحنفية (القزاني رحمة الله عليه)

[2] وهذا عجيب من هذا الامام الهمام قدس سره جدا فان القائلين بحرمة الاشارة وكراهتها ليسوا هم مجتهدين بل ثبت عنهم الاشارة وفق الاحاديث كما نقله بنفسه واما ارباب هذه الاقوال فليسوا بمجتهدين ولا من اصحاب الترجيح حتى يلزم الفساد ولا فساد ان قلنا انه لم يبلغهم هذه الاحاديث فانهم ليسوا بمحدثين بل هم فقهاء ولا بدع في جهل الفقهاء بعلم الاحاديث من حيث انهم فقهاء ولا يقدح ذلك في عظمة شأنهم في الفقه قال علي القاري في موضوعاته بعد ان قال ببطلان حديث صلاة الليلة البراءة ثم لا عبرة بنقل صاحب النهاية ولا بقية شراح الهداية لانهم ليسوا من المحدثين (القزاني رحمة الله عليه)

[3] قلنا نعم هذا القول على العين والرأس وقد ثبت عن المجتهد فعلها لا منعها وتركها قلنا دليلي رواية ودراية مستوفاة الشروط ولا دليل على خلافه (القزاني رحمة الله عليه)

نَسْخِهَا وَلَهُمْ فِي تَرْكِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَجْهٌ مُوجِبَةٌ أَلْبَتَّةَ وَمَبْلَغُ عِلْمِ أَمْثَالِنَا قَاصِرِي الْفَهْمِ أَنَّ بَيْنَ رُوَاةِ الْأَحَادِيثِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا فِي كَيْفِيَّةِ الْإِشَارَةِ وَالْعَقْدِ، وَكَثْرَةُ اخْتِلَافِهِمْ هَذِهِ أَوْرَثَتْ اضْطِرَابًا فِي نَفْسِ الْإِشَارَةِ فَمِنْ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ يُفْهَمُ ثُبُوتُ الْإِشَارَةِ بِلَا عَقْدٍ [1] وَمَنْ قَالَ بِالْإِشَارَةِ مَعَ الْعَقْدِ فَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ جُمِلَ الْعَقْدُ ثَلَاثَةً [2] وَخَمْسِينَ وَفِي بَعْضِهَا عَقْدُ ثَلَاثَةٍ [3] وَعِشْرِينَ وَبَعْضُهُمْ رَوَى بِقَبْضِ الْخِنْصِرِ [4] وَالْبِنْصِرِ وَحَلْقِ الْإِبْهَامِ وَالْوُسْطَى وَالْإِشَارَةِ بِالسَّبَّابَةِ وَفِي رِوَايَةٍ بِمُجَرَّدِ وَضْعِ الْإِبْهَامِ عَلَى الْوُسْطَى وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ [5] أَنَّهُ يُشِيرُ بِوَضْعِ الْيَدِ الْيُمْنَى عَلَى الْفَخِذِ الْيُسْرَى وَالْيَدِ الْيُسْرَى عَلَى الْفَخِذِ الْيُمْنَى وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ يُشِيرُ وَاضِعًا يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى ظَهْرِ يَدِهِ الْيُسْرَى وَالرُّسْغِ عَلَى الرُّسْغِ وَالسَّاعِدِ عَلَى السَّاعِدِ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ يُشِيرُ بِقَبْضِ جَمِيعِ [6] الْأَصَابِعِ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَةِ أَنَّهَا مِنْ غَيْرِ [7] تَحْرِيكِ السَّبَّابَةِ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ بِإِثْبَاتِ التَّحْرِيكِ وَالْوَاقِعُ فِي بَعْضِ الرِّوَايَةِ أَنَّهَا وَقْتَ قِرَاءَةِ التَّشَهُّدِ [8] مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهَا وَقْتَ التَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَةِ مُقَيَّدَةٌ بِوَقْتِ [9] الدُّعَاءِ أَعْنِي: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. وَلَمَّا رَأَى الْعُلَمَاءُ الْحَنَفِيَّةُ اضْطِرَابَ الرُّوَاةِ فِي كَيْفِيَّةِ الْإِشَارَةِ لَمْ يُثْبِتُوا فِعْلًا زَائِدًا فِي الصَّلَاةِ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ وَهُوَ أَنَّ بِنَاءَ الصَّلَاةِ عَلَى السُّكُونِ وَالْوَقَارِ وَأَيْضًا أَنَّ تَوْجِيهَ الْأَصَابِعِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ سُنَّةٌ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلْيُوَجِّهْ [10] مِنْ أَعْضَائِهِ الْقِبْلَةَ مَا اسْتَطَاعَ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ كَثْرَةَ الْإِخْتِلَافِ إِنَّمَا يُورِثُ الْإِضْطِرَابَ إِذَا لَمْ يُمْكِنِ التَّوْفِيقُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ وَالتَّوْفِيقُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ مُمْكِنٌ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ جَمِيعَ مَا وَرَدَ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ.

---

[1] كما يفهم من حديث ابن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس فى الصلاة وضع يده اليمنى على ركبته ووضع اصبعه اليمنى التى تلى الابهام فدعا به الحديث رواه مسلم والترمذى والنسائى عنه. (القزانى رحمة الله عليه)

[2] رواه مسلم عن ابن عمر ايضا (القزانى رحمة الله عليه)

[3] وهو وضع الابهام على اصبعه الوسطى اخرجه مسلم عن ابن الزبير رضى الله عنهما (القزانى رحمة الله عليه)

[4] رواه ابو داود والنسائى وغيرهما (القزانى رحمة الله عليه)

[5] قال المخرج ما وجدت لهما اصلا (القزانى رحمة الله عليه)

[6] رواه الترمذى عن عاصم بن كليب رضى الله عنه (القزانى رحمة الله عليه)

[7] التحريك فى رواية ابى داود والدارمى عن وائل بن حجر رضه وعدمه فى رواية ابى داود والنسائى عن ابن الزبير رضى الله عنهما (القزانى رحمة الله عليه)

[8] قال المخرج التى ثبتت فى الاحاديث ففى مطلق الجلوس والتى وقت التكلم فمن استحسانات المشائخ اه. قلت اول من قال به شمس الائمة الحلوانى رحمه الله (القزانى رحمة الله عليه)

[9] رواه الترمذى عن عاصم بن كليب. (القزانى رحمة الله عليه)

[10] اخرجه النسائى عن ابن عمر رضى الله عنه ان من السنة فى الصلاة ان ينصب القدم اليمنى واستقباله باصابعه القبلة الحديث واخرج البخارى عن ابى حميد الساعدى رضه حديثا فيه واستقبل باطراف اصابع رجليه القبلة الحديث واما لفظ الامام فهو فى الهداية قال الزيلعى انه غريب (القزانى رحمة الله عليه)

(قُلْنَا) قَدْ وَقَعَ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ لَفْظُ كَانَ وَهُوَ عِنْدَ غَيْرِ الْمَنْطِقِيِّينَ مِنَ الْأَدَوَاتِ الْكُلِّيَّةِ فَلَا يُمْكِنُ التَّوْفِيقُ وَمَا نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ مِنْ قَوْلِهِ إِذَا وَجَدْتُمْ حَدِيثًا مُخَالِفًا لِقَوْلِي فَاتْرُكُوا قَوْلِي وَاعْمَلُوا بِالْحَدِيثِ فَالْمُرَادُ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثٌ لَمْ يَبْلُغِ الْإِمَامَ وَحَكَمَ بِخِلَافِهِ بِنَاءً عَلَى عَدَمِ عِلْمِهِ بِهِ وَأَحَادِيثُ الْإِشَارَةِ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَإِنَّهَا أَحَادِيثُ مَعْرُوفَةٌ لَيْسَ فِيهَا احْتِمَالُ عَدَمِ الْعِلْمِ.[1]

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الْعُلَمَاءَ الْحَنَفِيَّةَ قَدْ أَفْتَوْا بِجَوَازِ الْإِشَارَةِ أَيْضًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَجُوزَ الْعَمَلُ بِكُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى مُقْتَضَى الْفَتَاوَى الْمُتَعَارِضَةِ. (قُلْنَا) إِذَا وَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَ الْجَوَازِ وَعَدَمِ الْجَوَازِ وَبَيْنَ الْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ فَالتَّرْجِيحُ فِي جَانِبِ عَدَمِ الْجَوَازِ وَعَدَمِ الْحُرْمَةِ وَأَيْضًا قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ الْهُمَامِ فِي أَحَادِيثِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِنَّهَا مُعَارِضَةٌ لِأَحَادِيثِ عَدَمِ الرَّفْعِ فَتَرَجَّحُ أَحَادِيثُ عَدَمِ الرَّفْعِ بِالْقِيَاسِ فَإِنَّ مَبْنَى الصَّلَاةِ عَلَى السُّكُونِ وَالْخُشُوعِ الَّذِي هُوَ مَطْلُوبٌ وَمَرْغُوبٌ فِيهِ بِالْإِجْمَاعِ. وَالْعَجَبُ مِنَ الشَّيْخِ ابْنِ الْهُمَامِ أَنَّهُ قَالَ وَعَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَشَائِخِ عَدَمُ الْإِشَارَةِ وَهُوَ خِلَافُ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ كَيْفَ نَسَبَ الْجَهْلَ إِلَى الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْقِيَاسِ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ الرَّابِعُ مِنْ أَدِلَّةِ الشَّرْعِ وَهُوَ ظَاهِرُ الْمَذْهَبِ وَظَاهِرُ الرِّوَايَةِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَهَذَا الشَّيْخُ قَدْ ضَعَّفَ حَدِيثَ الْقُلَّتَيْنِ بِالِاضْطِرَابِ الْحَاصِلِ مِنْ كَثْرَةِ اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ. وَيَكْتُبُ وَلَدِي الْأَرْشَدُ مُحَمَّدُ سَعِيدٍ رِسَالَةً فِي هَذَا الْبَابِ[2] فَإِذَا نُقِلَتْ إِلَى الْبَيَاضِ نُرْسِلُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَتَبْتَ أَنَّ مِنْ طَالِبِي الطَّرِيقَةِ جَمَاعَةً فِي كُلِّ طَرَفٍ وَلَمْ أَتَجَاسَرْ عَلَى إِجَازَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ فِي مَحَلٍّ أَصْلًا فَنَنْظُرُ بِمَا تَكُونُ الْإِشَارَةُ. فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَرَوْنَهُ مُنَاسِبًا يَكُونُ رَئِيسَ حَلْقَةِ جَمَاعَةٍ وَهَذَا الْأَمْرُ مُفَوَّضٌ إِلَى رَأْيِكُمْ وَلْتُصْدِرِ الْأَمْرَ بَعْدَ الِاسْتِخَارَةِ وَالتَّوَجُّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ لَدَيْكُمْ.

(٣١٣) الْمَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ هَاشِمْ فِي حَلِّ أَسْئِلَةٍ كَتَبَهَا وَهِيَ سَبْعَةٌ وَأَمَرَ خَتْمَ هَذَا الْمُجَلَّدِ مِنَ الْمَكْتُوبَاتِ بِهَذَا الْمَكْتُوبِ لِمُوَافَقَةِ عَدَدِهَا لِعَدَدِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَعَدَدِ أَصْحَابِ بَدْرٍ وَأَمَرَ بِكِتَابَةِ عَرَائِضِ الْمَخْدُومِ زَادَهْ الْأَعْظَمِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْمَكْتُوبَاتِ لِيَذْكُرَهُ النَّاظِرُونَ بِالدُّعَاءِ وَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ لِرُوحِهِ

بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَعْلَمْ أَخُونَا الْخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ هَاشِمْ أَنَّ الْأَسْئِلَةَ الَّتِي انْدَرَجَتْ فِي مَكْتُوبِ الْمِيرْ مُحِبِّ اللَّهِ وَطَلَبْتَ حَلَّهَا نَكْتُبُ فِي جَوَابِهَا مَا هُوَ مَعْلُومٌ لَنَا وَنُرْسِلُهُ. **(حَاصِلُ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ)** أَنَّ الْقُرْبَ الْإِلَهِيَّ جَلَّ سُلْطَانُهُ بِحَسَبِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَطَيِّ جَمِيعِ مَقَامَاتِ الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ.

---

[1] ولذا قال الامام محمد ان الاشارة قولي وقول ابي حنيفة وكذلك نقل عن الثاني في الامالي (القزاني رحمة الله عليه)

[2] قلت انه صنف تلك الرسالة وصنف اخوه الاصغر مولانا الشيخ محمد يحيى رسالة ردها على ما ذكره مشائخنا قدس الله اسرارهم ولم ارهما وقد علمت ان الراجح هو سنية الاشارة منه.

وَالْأَصْحَابُ الْكِرَامُ قَدْ فُضِّلُوا عَلَى جَمِيعِ أَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ بِصُحْبَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَهَلْ هَذَا السَّيْرُ وَالسُّلُوكُ وَالْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ حَصَلَتْ لَهُمْ فِي تِلْكَ الصُّحْبَةِ الْوَاحِدَةِ وَكَانَتْ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ وَالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَأَيْضًا هَلْ حَصَلَ لَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ بِتَوَجُّهِهِ وَتَصَرُّفِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ بِمُجَرَّدِ دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ (وَأَيْضًا) هَلْ كَانَ لَهُمْ عِلْمٌ بِالسُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ حَالاً وَمَقَامًا أَوْ لَا. فَإِنْ كَانَ فَبِأَيِّ اسْمٍ سَمَّوْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَرِيقُ السُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ فَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ لِهَذَا بِدْعَةً حَسَنَةً. (اِعْلَمْ) أَنَّ حَلَّ هَذَا الْمُشْكِلِ مَنُوطٌ بِالصُّحْبَةِ وَمَوْقُوفٌ عَلَى الْخِدْمَةِ فَإِنَّ الْكَلَامَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كَيْفَ يَكُونُ مَفْهُومًا وَمَعْقُولاً لَكُمْ بِكِتَابَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنْ لَمَّا سَأَلْتُمْ لَا بُدَّ مِنَ الْجَوَابِ وَمِنْ حَلِّهِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ بِالضَّرُورَةِ فَيَنْبَغِي الْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ. (اِعْلَمْ) أَنَّ الْقُرْبَ الَّذِي هُوَ مَنُوطٌ بِالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالسُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ هُوَ قُرْبُ الْوِلَايَةِ الَّذِي تَشَرَّفَ بِهِ أَوْلِيَاءُ الْأُمَّةِ وَالْقُرْبُ الَّذِي تَيَسَّرَ لِلْأَصْحَابِ الْكِرَامِ فِي صُحْبَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ قُرْبُ النُّبُوَّةِ حَصَلَ لَهُمْ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالْوِرَاثَةِ وَلَا فَنَاءَ فِي هَذَا الْقُرْبِ وَلَا بَقَاءَ وَلَا جَذْبَةَ وَلَا سُلُوكَ وَهَذَا الْقُرْبُ أَفْضَلُ مِنْ قُرْبِ الْوِلَايَةِ وَأَعْلَى مِنْهُ بِمَرَاتِبَ فَإِنَّ هَذَا الْقُرْبَ قُرْبُ الْأَصْلِ وَذَلِكَ الْقُرْبَ قُرْبُ الظِّلَالِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ مَذَاقَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ كَادَ الْخَوَاصُّ أَنْ يُشَارِكُوا الْعَوَامَّ فِي عَدَمِ فَهْمِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، شِعْرٌ:

كربو عَلي نواى قلندر نواختى *** صوفى بادى هر آنكه بعالم قلندرست

نَعَمْ: إِذَا وَقَعَ الْعُرُوجُ إِلَى ذِرْوَةِ كَمَالَاتِ قُرْبِ النُّبُوَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْوِلَايَةِ فَلَا مَنْدُوحَةَ حِينَئِذٍ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ فَإِنَّ هَذِهِ مَبَادٍ وَمُعِدَّاتٌ لِذَلِكَ الْقُرْبِ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنِ السَّيْرُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ بَلْ وَقَعَ الْإِخْتِيَارُ عَلَى الطَّرِيقِ السُّلْطَانِيِّ لِقُرْبِ النُّبُوَّةِ فَلَا حَاجَةَ حِينَئِذٍ إِلَى الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَسَيْرُ الْأَصْحَابِ الْكِرَامِ مِنْ طَرِيقِ قُرْبِ النُّبُوَّةِ السُّلْطَانِيِّ فَلَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى الْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ وَالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَلْيُطْلَبْ بَيَانُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْمُحَرَّرِ بِاسْمِ أَمَانِ اللهِ وَمَا كَتَبَهُ الْفَقِيرُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ وَرَسَائِلِهِ مِنْ أَنَّ مُعَامَلَتِي فِيمَا وَرَاءَ السُّلُوكِ وَالْجَذْبَةِ وَوَرَاءَ الظُّهُورَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الْمُرَادُ بِهِ هُوَ هَذَا الْقُرْبُ فَإِنِّي حِينَ كُنْتُ فِي مُلَازَمَةِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ أَخَذَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ فِي الظُّهُورِ فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ قَدْ ظَهَرَ لِي أَمْرُ السَّيْرِ الْأَنْفُسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ كَالسَّيْرِ الْآفَاقِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّيْرِ الْأَنْفُسِيِّ وَلَمْ أَجِدْ حِينَئِذٍ فِي نَفْسِي قُدْرَةَ التَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِأَزْيَدَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَلَمَّا صَارَتْ هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ الْعَجِيبَةُ بَعْدَ سِنِينَ مُنَقَّحَةً وَمُحَرَّرَةً حَرَّرْتُهَا بِعِبَارَةٍ مُجْمَلَةٍ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَتَكُونُ عِبَارَاتُ[1] الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالْجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ مُحْدَثَةً وَمِنْ مُخْتَرَعَاتِ

[1] كما ان الفاظ الفرض والواجب والسنة والمستحب وغيرها واطلاقها على احكام معينة مخصوصة من مخترعات الفقهاء فكما انه لا يعاب على هذا لا يعاب على ذاك ايضا. (القزاني رحمة الله عليه)

الْمَشَائِخِ ذَكَرَ الْمَوْلَوِيُّ الْجَامِيُّ فِي النَّفَحَاتِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ عَنِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ قُدِّسَ سِرُّهُ.

(وَحَاصِلُ السُّؤَالِ الثَّانِي) أَنَّ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ الْتِزَامَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَالْحَالُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ صَدَرَ عَنْهُ رِيَاضَاتٌ عَجِيبَةٌ وَمُجَاهَدَاتٌ شَدِيدَةٌ كَالْجُوعِ الشَّدِيدِ وَفِي هَذَا الطَّرِيقِ يَمْنَعُونَ عَنِ الرِّيَاضَةِ بَلْ يَرَوْنَهَا بِوَاسِطَةِ ظُهُورِ الْكُشُوفَاتِ الصُّورِيَّةِ بِهَا مَضَرَّةً وَالْعَجَبُ أَنَّهُ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ احْتِمَالُ الضَّرَرِ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ ؟

(أَيُّهَا الْمُحِبُّ) مَنْ قَالَ إِنَّ الرِّيَاضَةَ مَمْنُوعَةٌ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَمِنْ أَيْنَ سَمِعَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الرِّيَاضَةَ مَضَرَّةً وَفِي هَذَا الطَّرِيقِ دَوَامُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَالسَّعْيُ فِي سَتْرِ الْأَحْوَالِ وَاخْتِيَارُ تَوَسُّطِ الْحَالِ وَرِعَايَةُ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَسَائِرِ الْأَفْعَالِ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّةِ وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّدِيدَةِ. (غَايَةُ) مَا فِي الْبَابِ أَنَّ الْعَوَامَّ كَالْأَنْعَامِ لَا يَعُدُّونَ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنَ الرِّيَاضَاتِ وَلَا يَرَوْنَهَا مِنَ الْمُجَاهَدَاتِ بَلِ الرِّيَاضَةُ وَالْمُجَاهَدَةُ مُنْحَصِرَةٌ عِنْدَهُمْ فِي الْجُوعِ وَكَثْرَةُ الْجُوعِ عَظِيمُ الْقَدْرِ فِي نَظَرِهِمْ فَإِنَّ الْأَكْلَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفِينَ بِصِفَاتِ الْبَهَائِمِ مِنْ أَهَمِّ الْمَهَامِّ وَأَعْظَمِ الْمَقَاصِدِ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ تَرْكُهُ مِنَ الرِّيَاضَةِ الشَّاقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ الشَّدِيدَةِ عِنْدَهُمْ بِخِلَافِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّةِ وَالْتِزَامِ مُتَابَعَتِهَا وَأَمْثَالِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا قَدْرَ لَهَا عِنْدَ الْعَوَامِّ وَلَا اعْتِدَادَ بِهَا حَتَّى يَرَوْنَ تَرْكَهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَتَحْصِيلَهَا مِنَ الرِّيَاضَاتِ فَاللَّازِمُ لِأَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي سَتْرِ الْأَحْوَالِ وَتَرْكِ الرِّيَاضَةِ الَّتِي هِيَ عَظِيمَةُ الْقَدْرِ عِنْدَ الْعَوَامِّ وَبَاعِثَةٌ عَلَى قَبُولِ الْأَنَامِ وَمُسْتَلْزِمَةٌ لِلشُّهْرَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ عَلَى الْآفَاتِ الْعِظَامِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "بِحَسْبِ [1] امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ".

وَعِنْدَ الْفَقِيرِ الْجُوعُ الْكَثِيرُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ جِدًّا مِنْ مُرَاعَاةِ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ فِي الْمَأْكُولَاتِ.

وَرِيَاضَةُ رِعَايَةِ تَوَسُّطِ الْحَالِ مُسْتَحِقَّةٌ لِأَنْ تَكُونَ أَزْيَدَ وَأَفْضَلَ مِنْ رِيَاضَةِ كَثْرَةِ الْجُوعِ.

قَالَ حَضْرَةُ وَالِدِي الْمَاجِدِ قُدِّسَ سِرُّهُ:

رَأَيْتُ فِي عِلْمِ السُّلُوكِ رِسَالَةً وَرَأَيْتُ فِيهَا أَنَّ رِعَايَةَ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ فِي الْمَأْكُولَاتِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى الْحَدِّ الْوَسَطِ فِيهَا كَافِيَةٌ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلُوبِ لَا حَاجَةَ مَعَ هَذِهِ الْمُرَاعَاةِ إِلَى الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ وَالْحَقُّ أَنَّ تَوَسُّطَ الْحَالِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ بَلْ جَمِيعِ الْأُمُورِ حَسَنَةٌ وَجَمِيلَةٌ جِدًّا، (شِعْرٌ):

إِيَّاكَ وَالْأَكْلَ حَتَّى يَحْدُثَ الثِّقَلُ * وَلَا تَجُوعَنَّ إِلَى أَنْ يَضْعُفَ الْبَدَنُ**

---

[1] قوله بحسب امرئ الخ. اخرجه البيهقي في الشعب عن انس رضي الله عنه (القزاني رحمة الله عليه).

وَقَدْ أُعْطِيَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَمَّلُ بِهَذِهِ الْقُوَّةِ ثِقَلَ الْجُوعِ. وَالْأَصْحَابُ الْكِرَامُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ كَانُوا يَتَحَمَّلُونَ هَذَا الثِّقَلَ بِبَرَكَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَمْ يَقَعْ فُتُورٌ وَخَلَلٌ فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ أَصْلًا وَكَانَتْ قُدْرَتُهُمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْأَعْدَاءِ مَعَ وُجُودِ الْجُوعِ عَلَى نَهْجٍ لَا تَبْلُغُ قُدْرَةُ أَهْلِ الشِّبَعِ عُشْرَهَا وَمِنْ هَهُنَا غَلَبَ الْعِشْرُونَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى مِائَتَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمِائَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَلْفٍ مِنْهُمْ وَأَهْلُ الْجُوعِ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ يَكَادُونَ يَعْجِزُونَ عَنْ إِتْيَانِ الْآدَابِ وَالسُّنَنِ بَلْ رُبَّمَا يَخْرُجُونَ عَنْ عُهْدَةِ الْفَرَائِضِ بِالتَّكَلُّفِ فَتَقْلِيدُ الصَّحَابَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِلَا قُدْرَةٍ تَعَرُّضٌ لِلْعَجْزِ عَنْ إِتْيَانِ السُّنَنِ وَالْفَرَائِضِ (نُقِلَ) عَنِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ اخْتَارَ صَوْمَ الْوِصَالِ تَقْلِيدًا [1] لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقَطَ مِنَ الضَّعْفِ وَعَدَمِ الْقُوَّةِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِرَاضِ "أَنَا لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي". فَلَمْ يَسْتَحْسِنِ التَّقْلِيدَ بِلَا قُدْرَةٍ وَأَيْضًا إِنَّ الْأَصْحَابَ الْكِرَامَ كَانُوا مَحْفُوظِينَ وَمَأْمُونِينَ مِنَ الْمَضَرَّاتِ الْمُتَوَلِّدَةِ مِنْ كَثْرَةِ الْجُوعِ بِبَرَكَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَيْسَ ذَلِكَ مُيَسَّرًا لِغَيْرِهِمْ

بَيَانُهُ: إِنَّ كَثْرَةَ الْجُوعِ مُورِثَةٌ لِلصَّفَاءِ الَّتِي تُورِثُ طَائِفَةً صَفَاءَ الْقَلْبِ وَجَمَاعَةً صَفَاءَ النَّفْسِ، وَصَفَاءُ الْقَلْبِ يَزِيدُ الْهِدَايَةَ وَيُورِثُ النُّورَ وَصَفَاءُ النَّفْسِ يَسْتَتْبِعُ الضَّلَالَةَ وَيَزِيدُ الظُّلْمَةَ أَلَا تَرَى أَنَّ فَلَاسِفَةَ الْيُونَانِ وَبَرَاهِمَةَ الْهُنُودِ وَجُوكِيَّتَهُمْ أَوْرَثَتِ الرِّيَاضَةُ كُلَّهُمْ صَفَاءَ النَّفْسِ وَدَلَّتْهُمْ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالَةِ وَجَرَّتْهُمْ إِلَى الْخَسَارَةِ حَتَّى اعْتَمَدَ أَفْلَاطُونُ الْأَحْمَقُ عَلَى صَفَاءِ نَفْسِهِ وَجَعَلَ الصُّوَرَ الْكَشْفِيَّةَ الْخَيَالِيَّةَ مُقْتَدَاهُ فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَ مَبْعُوثًا فِي زَمَنِهِ وَقَالَ: نَحْنُ قَوْمٌ مَهْدِيُّونَ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَنْ يَهْدِينَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ هَذَا الصَّفَاءُ الْمُوجِبُ لِزِيَادَةِ الظُّلْمَةِ لَمَا كَانَتِ الصُّوَرُ الْكَشْفِيَّةُ الْخَيَالِيَّةُ سُدَّةً فِي طَرِيقِهِ وَمَانِعَةً لَهُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلَبِ وَقَدْ وَجَدَ هُوَ نَفْسَهُ بِسَبَبِ هَذَا الصَّفَاءِ نُورَانِيًّا وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ الصَّفَاءَ لَمْ يُجَاوِزِ الْقِشْرَ الرَّقِيقَ مِنْ نَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ وَأَنَّهَا عَلَى خُبْثِهَا وَنَجَاسَتِهَا وَلَمْ يَزِدْ فِيهَا شَيْئًا سِوَى أَنْ تَكُونَ كَنَجَاسَةٍ مُغَلَّظَةٍ مُغَلَّفَةٍ بِغِلَافٍ رَقِيقٍ مِنَ السُّكَّرِ (وَالْقَلْبُ) الَّذِي هُوَ نُورَانِيٌّ فِي حَدِّ

---

[1] روى البخاري عن ابي هريرة رضى الله عنه في جملة حديث بلفظ فقال رجل من المسلمين انك تواصل يا رسول الله قال ايكم مثلى اني ابيت يطعمنى ربى ويسقينى اه. وليس فيه ذكر الصديق رض وليس في رواية غير البخارى. قاله المخرج الاول قلت عدم ذكـر الصـديق مسـلم ولكن الاقتصار على هذا مما لا وجه له فان البخارى اخرج هذا الحديث في باب بركة السحور وباب صوم الوصـال وكتاب التمنى عن انس وابن عمر وابي سعيد الخدرى وعائشة وابي هريرة ورواه مسلم وغيره أيضا عن بعضهم وغيرهم بل المطابـق لقـول الامام ما رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وصال فواصل الناس فشق عليهم فناهم قالوا انك تواصل قال لست كهيئتكم اني اظل اطعم واسقى اه. والمطابقة في قوله فشق الخ.

ذاته وطاهرٌ وإنّما قعدَ علَى وجْهِه غبارٌ مِن مُجاورته النّفس الظّلمانيّة يَرجعُ إلى حاله الأصليّ بقليلٍ من التّصفيَة ويَصيرُ نورانيًا بخلاف النّفس فإنّها خبيثةٌ في حدّ ذاتها والظّلمةُ من صفاتها الذّاتيّة وما لَمْ تُزَكّ ولَمْ تُطَهّرْ بسياسة القلب بَلْ باتّباع السُّنّة والتزام الشّريعَة علَى صاحبها الصّلاةُ والسّلامُ والتّحيّةُ بَلْ بمَحْض فضْل اللّه سُبْحَانَهُ لاَ يَزولُ عنْهَا خبثُها الذّاتيُّ ولاَ يُتصوَّرُ عنْهَا الفلاحُ والخيْرُ وأفلاطونُ قدْ ظنّ صفاءَهُ الّذي تعلّقَ بنفسه الأمّارة كصفاء القلْب العيسَوي فتخيّل نفسَهُ بالضّرورة مُهذّبًا ومُطهّرًا مثلَهُ وحُرِمَ منْ دوْلَة مُتابعته عليْه السّلامُ وصارَ متّسمًا بسمَة الخسارَة الأبديّة أعاذنا اللّهُ سُبْحانَهُ منْ هذا البلاء، ولَمّا كانَتْ هذه المَضرّةُ مُضمَرةً ومكْمُونةً في طبيعة الجُوع ترَكَ أكابرُ هذه الطّريقة قدّسَ اللّهُ أسرارَهُمْ رياضةَ الجُوع واختارُوا رياضةَ الإعتدال في المطعُومات ومُجاهدَةَ رعايَة الإقتصاد في سائر الحالات وتركُوا منافعَ الجُوع لإحتمال الضّرَر العظيم وترتّب الآفات، والآخرُونَ لاحظُوا منافعَهُ وأغمضُوا عَنْ مضارّه فرغبُوا فيه ومن المُقرّر عنْدَ العُقلاء أنّهُ يترُكُ المنافعَ الكثيرَة لإحتمال المَضرّة اليسيرة وقريبٌ منْ هذه المَقالَة ما قالَهُ العُلماءُ شكرَ اللّهُ سعْيَهُمْ: إنّ الأمْرَ إذَا دارَ بيْنَ السُّنّة والبدْعَة الأفْضلُ تركُ هذا الأمْر لإحتمال كوْنه بدْعَةً دُونَ إتْيانه بسبَب احتمال كوْنه سُنّةً يعْني أنّ في احتمال كوْنه بدْعَةً احتمالَ الضّرَر وفي احتمال كوْنه سُنّةً توقُّعَ المَنافع فيَنْبَغي تركُهُ ترجيحًا لإحتمال الضّرَر علَى توقُّع المَنافع فلاَ عجَبَ لَوْ عرضَ الضّرَرُ في إتيان السُّنّة منْ طريقٍ آخرَ (**وحقيقَةُ هذَا الكلام**) هيَ أنّ هذه السُّنّةَ كأنّها كانَتْ مُوقّتَةً بذلكَ القرْن ولَمّا لَمْ يَجدْ جماعَةٌ كوْنَها مُوقّتَةً بواسطَة الدّقّة والخفاء بادرُوا علَى فعْلها بالتّقليد وجماعَةٌ لَمّا وجدُوهَا مُوقّتَةً تركُوا التّقليدَ فيها واللّهُ سُبْحانَهُ أعْلَمُ بحقيقَة الحال.

(والسُّؤالُ الثّالثُ) قدْ ذُكرَ في كُتُب أكابر هذه الطّريقَة أنّ نسبَتَنا مَنْسُوبَةٌ إلَى الصّدّيق رضيَ اللّهُ عنْهُ بخلاف سائر الطُّرُق فإنْ قالَ مُدّعٍ: إنّ أكثرَ الطُّرُق واصلٌ إلَى الإمام جعْفَر الصّادق وهُوَ مَنسُوبٌ إلَى الصّدّيق فلمَ لاَ تُنسَبُ بقيّةُ الطُّرُق أيْضًا إلَى الصّدّيق؟ (**الجوابُ**) أنّ للإمام نسبَةً من الصّدّيق ونسبَةً منْ عليّ رضيَ اللّهُ تعالَى عنْهُما وكمالاتُ كلّ واحدَة منْ هاتيْن النّسبتيْن معَ وُجُود اجتماعهمَا في الإمام علَى حدَة ومُتميّزٌ بعضُها عنْ بعْضٍ فأخذَتْ طائفَةٌ عنْهُ النّسبَةَ الصّدّيقيّةَ بواسطَة المُناسبَة الصّدّيقيّة وانتسبُوا إلَى الصّدّيق وأخذَتْ جماعَةٌ عنْهُ أيْضًا النّسبَةَ العلويّةَ بالمُناسبَة العلويّة وانتسبُوا إلَى عليّ كرّمَ اللّهُ وجْهَهُ وقدْ كُنْتُ ذهبْتُ بلْدَةَ بنارسَ لحاجَة ما وهُناكَ يجتمعُ نهْرُ كُنكْ معَ نهْر جمن ومعَ هذا الإجتماع يُشاهدُ أنّ نهْرَ كُنكْ غيْرُ مُختلط بنهْر جمن بلْ متمايزٌ عنْهُ بحيْثُ يُتوهّمُ أنّ بينَهُما برزخًا يمْنعُ اختلاطَ أحدهما بالآخر، والّذينَ هُمْ في طرَف نهْر كُنكْ يشرَبُونَ منْ نهْر كُنكْ والّذينَ هُمْ علَى طرَف نهْر جمن يشرَبُونَ منْ ماء نهْر جمن.

فإنْ قيلَ: إنّ الخواجَةَ مُحمّدْ پارسا قُدّسَ سرُّهُ قدْ حقّقَ في رسالَته القُدسيّة أنّ الإمامَ عليًا كرّمَ اللّهُ وجْهَهُ كمَا أنّهُ وجدَ التّربيَةَ منْ خاتَم الرّسالَة علَيْه وعلَى آله الصّلاةُ والسّلامُ والتّحيّةُ كذلكَ وجدَ التّربيَةَ منَ

الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَتَكُونُ نِسْبَةُ عَلِيٍّ بِعَيْنِ نِسْبَةِ الصِّدِّيقِ فَمَاذَا يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ **قُلْنَا**: انَّ خُصُوصِيَّاتِ الْمَحَالِّ مَعَ وُجُودِ اتِّحَادِ النِّسْبَةِ بَاقِيَةٌ عَلَى حَالِهَا وَقَدْ يُعْرَضُ لِمَاءٍ وَاحِدٍ بِوَاسِطَةِ تَعَدُّدِ الْمَحَالِّ خُصُوصِيَّاتٌ مُتَمَيِّزَةٌ فَيَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى كُلٍّ مِنْهُمَا طَرِيقٌ بِالنَّظَرِ إِلَى خُصُوصِيَّةِ كُلٍّ مِنْهُمَا.

(**وَحَاصِلُ السُّؤَالِ الرَّابِعِ**) هُوَ أَنَّهُ قَدْ حُرِّرَ فِي مَكْتُوبِ مُلاَّ مُحَمَّدْ صِدِّيقْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِشَخْصٍ اسْتِعْدَادُ الْوِلاَيَةِ الْمُوسَوِيَّةِ لاَ يُدْرَى أَنَّ صَاحِبَ تَصَرُّفٍ هَلْ يَقْدِرُ عَلَى إِخْرَاجِهِ إِلَى الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَوْ لاَ، وَحُرِّرَ فِي مَكْتُوبِ الْمَخْدُومِ زَادَهْ الأَكْبَرِ قُدِّسَ سِرُّهُ بِأَنِّي أَخْرَجْتُكَ مِنَ الْوِلاَيَةِ الْمُوسَوِيَّةِ إِلَى الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَمَا وَجْهُ التَّوْفِيقِ.

(**الْجَوَابُ**) اَنَّ الْوَاقِعَ فِي مَكْتُوبِ مُلاَّ مُحَمَّدْ صِدِّيقْ هُوَ أَنَّ الإِخْرَاجَ مِنَ الْوِلاَيَةِ الْمُوسَوِيَّةِ إِلَى الْوِلاَيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لَيْسَ بِمَعْلُومِ الْوُقُوعِ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِلْمٌ بِوُقُوعِ هَذَا الأَمْرِ وَلَمَّا صَارَ مَعْلُومًا بَعْدَ ذَلِكَ وَحَصَلَتْ قُدْرَةُ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ كَتَبْتُ بِأَنِّي أَخْرَجْتُكَ مِنْ هَذِهِ الْوِلاَيَةِ إِلَى تِلْكَ الْوِلاَيَةِ فَلَمْ يُوجَدِ اتِّحَادُ الزَّمَانِ حَتَّى يُتَصَوَّرَ التَّنَاقُضُ.

(**وَحَاصِلُ السُّؤَالِ الْخَامِسِ**) أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُنَا يَلْبَسُونَ قَمِيصًا مَشْقُوقَ الْجَيْبِ عَلَى الصَّدْرِ، وَيَقُولُونَ: "إِنَّ السُّنَّةَ هِيَ هَذَا"، وَأَصْحَابُ الْمِيرِ يَلْبَسُونَ قَمِيصًا مُدَوَّرَ الْجَيْبِ فَمَا تَحْقِيقُ ذَلِكَ ؟

اعْلَمْ: أَنَّا نَحْنُ أَيْضًا فِي التَّرَدُّدِ فِي هَذَا الْبَابِ فَإِنَّ الْعَرَبَ يَلْبَسُونَهُ مَشْقُوقَ الْجَيْبِ عَلَى الصَّدْرِ وَيَرَوْنَهُ سُنَّةً[1]، وَيُفْهَمُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلرِّجَالِ لُبْسُ قَمِيصٍ مَشْقُوقِ الصَّدْرِ لِكَوْنِهِ لِبَاسَ النِّسَاءِ ، رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَعَنَ رَجُلٌ يَلْبَسُ لُبْسَ الْمَرْأَةِ وَلُعِنَتْ إِمْرَأَةٌ تَلْبَسُ لُبْسَ الرَّجُلِ" وَفِي مَطَالِبِ الْمُؤْمِنِينَ: "وَلاَ تَتَشَبَّهُ الْمَرْأَةُ بِالرِّجَالِ وَلاَ يَتَشَبَّهُ الرَّجُلُ بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ مَلْعُونٌ". بَلْ يُفْهَمُ أَنَّ الْقَمِيصَ الْمَشْقُوقَ الصَّدْرِ لَيْسَ مِنْ لِبَاسِ أَهْلِ الدِّينِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ ؛ وَلِهَذَا جَوَّزُوهُ لأَهْلِ الذِّمَّةِ فِي جَامِعِ الرُّمُوزِ نَقْلاً عَنِ الْمُحِيطِ فَلاَ يَلْبَسُ أَيُّ الذِّمِّيِّ مَا يَخْتَصُّ بِأَهْلِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ كَالرِّدَاءِ وَالْعِمَامَةِ بَلْ قَمِيصًا خَشِنًا مِنَ الْكِرْبَاسِ جَيْبُهُ عَلَى صَدْرِهِ كَالنِّسَاءِ. وَأَيْضًا إِنَّ

---

[1] (قـوله ويرونه سنة) قلت لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيئ صريحا لا فعلا ولا قولا ولكن عقد البخاري في كـتاب اللباس من صحيحه بابا ترجمه بباب جيب القميص من عند الصدر وذكر فيه حديث ابي هريرة في وصف السخي والبخيل وفـيه قـال ابو هريرة فانا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعه هكذا في جيبه الحديث قال العيني فان الظاهر انه كان لابس قميص وكان في طوقه فتحة الى صدره وعن هذا قال ابن بطال كان الجيب في ثياب السلف عند الصدر اه. واستدل عليه ايضا بحديث قرة بن اياس المزني قال وان قميصه لمطلق الازرار فادخلت يدي في جيب قميصه قال الحافظ ابن حجر ومقتضى حديث قرة هذا انـه كـان في صدره لقوله اولا انه رآه مطلق الازرار اى غير مزرر اه. ولعل هذا هو الصواب فان الاعراب لم يغير وازيهم في اللباس اصـلا فـيدل ذلك ان جيب العرب كان في الصدر الاول كذلك واما الاستدلال بجواز لبسه للذمي فانما هو لاعتياد المسلمين لبس خلافـه في تلك البلاد والمقصود مخالفتهم لعادة المسلمين ليحصل الامتياز واما ان ما اعتاده المسلمون هناك سنة اولا فهو شيئ آخر . (محمد مراد القزاني رحمة الله عليه)

مَشْقُوقَ الْجَيْبِ عَلَى الصَّدْرِ لَيْسَ قَمِيصًا عَلَى قَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ بَلْ هُوَ دِرْعٌ وَإِنَّمَا الْقَمِيصُ عِنْدَهُمْ مَا يَكُونُ مَشْقُوقَ الْجَيْبِ عَلَى الْمَنْكِبَيْنِ فِي جَامِعِ الرُّمُوزِ فِي بَيَانِ كَفَنِ الْمَرْأَةِ وَفِي الْهِدَايَةِ بَدَلَ الْقَمِيصِ الدِّرْعُ. وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ شَقَّهُ إِلَى الصَّدْرِ وَالْقَمِيصَ إِلَى الْمَنْكِبِ، وَقَالُوا بِالتَّرَادُفِ.

وَالصَّوَابُ عِنْدَ الْفَقِيرِ هُوَ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرِّجَالُ مَمْنُوعِينَ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالنِّسَاءِ تَوَقَّفَ الْحُكْمُ عَلَى مَعْرِفَةِ عَادَةِ النِّسَاءِ فَنَنْظُرُ إِذَا كَانَ فِي مَحَلٍّ تَلْبَسُ فِيهِ النِّسَاءُ قَمِيصًا شَقُّهُ عَلَى الصَّدْرِ يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ الرِّجَالُ لُبْسَهُ لِئَلَّا يَتَشَبَّهُوا بِالنِّسَاءِ، وَأَنْ يَلْبَسُوا قَمِيصًا شَقُّهُ عَلَى الْمَنْكِبِ، وَإِذَا كَانَ فِي مَحَلٍّ تَلْبَسُ فِيهِ النِّسَاءُ قَمِيصًا شَقُّهُ عَلَى الْمَنْكِبِ يَخْتَارُ الرِّجَالُ قَمِيصًا شَقُّهُ عَلَى الصَّدْرِ فَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ تَلْبَسُ النِّسَاءُ قَمِيصًا مُدَوَّرَ الْجَيْبِ فَيَلْبَسُ الرِّجَالُ مَا شَقُّهُ عَلَى الصَّدْرِ بِالضَّرُورَةِ، وَفِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْهِنْدِ تَلْبَسُ النِّسَاءُ قَمِيصًا شَقُّهُ عَلَى الصَّدْرِ، فَيَخْتَارُ الرِّجَالُ قَمِيصًا شَقُّهُ عَلَى الْمَنْكِبِ بِالضَّرُورَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ مِيَانْ عَبْدُ الْحَقِّ: كُنْتُ فِي مَكَّةَ فَرَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْ مُرِيدِي الشَّيْخِ نِظَامِ النَّارْنُولِيِّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَابِسًا قَمِيصًا مُدَوَّرَ الْجَيْبِ وَصَارَ جَمْعٌ مِنَ الْعَرَبِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ قَمِيصِهِ قَائِلِينَ: إِنَّهُ لَبِسَ قَمِيصَ النِّسَاءِ فَبِاعْتِبَارِ الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ يَكُونُ عَمَلُ كُلٍّ مِنَ الْعَرَبِ وَالْهِنْدِ وَأَهْلِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ صَوَابًا: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ فَلَوْ ثَبَتَتْ سُنِّيَّةُ لُبْسِ الْقَمِيصِ الْمَشْقُوقِ عَلَى الصَّدْرِ لَمَا جَوَّزَ عُلَمَاءُ الْحَنَفِيَّةِ لُبْسَهُ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ وَلَمَا جَعَلُوا عَلَامَةً مَخْصُوصًا بِأَهْلِ الشِّعْرِ وَالذِّمِّيِّ. وَلَمَّا كَانَتِ النِّسَاءُ أَقْدَمَ وَأَسْبَقَ فِي هَذَا اللِّبَاسِ مِنَ الرِّجَالِ جَعَلُوا لِبَاسَ الرِّجَالِ هُنَا تَابِعًا لِلِبَاسِ النِّسَاءِ.

(وَحَاصِلُ السُّؤَالِ السَّادِسِ): هُوَ أَنَّ تَوَجُّهَ الطَّالِبِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لَمَّا كَانَ إِلَى الْأَحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ مِنِ ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ كَانَ اللَّازِمُ أَنْ لَا يَجْتَمِعَ هَذَا التَّوَجُّهُ مَعَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فَإِنَّ التَّوَجُّهَ وَقْتَ النَّفْيِ إِلَى الْغَيْرِ.

(الْجَوَابُ) أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى الْغَيْرِ إِنَّمَا هُوَ لِتَقْوِيَةِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْأَحَدِيَّةِ وَتَرْبِيَتِهِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ نَفْيِ الْغَيْرِ حُصُولُ دَوَامِ ذَلِكَ التَّوَجُّهِ مِنْ غَيْرِ مُزَاحَمَةِ الْأَغْيَارِ، فَالتَّوَجُّهُ إِلَى نَفْيِ الْغَيْرِ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَحَدِيَّةِ وَإِنَّمَا الْمُنَافِي لَهُ التَّوَجُّهُ إِلَى الْغَيْرِ لَا التَّوَجُّهُ إِلَى نَفْيِ الْغَيْرِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

(وَحَاصِلُ السُّؤَالِ السَّابِعِ) هُوَ أَنَّ كُلَّ ذِكْرٍ يُسْتَعْمَلُ بِاللِّسَانِ يَسْتَعْمِلُهُ الْمُبْتَدِئُونَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِالْقَلْبِ ؛ فَالنَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ هَلْ يُسْتَعْمَلُ جَمِيعُهُ بِالْقَلْبِ أَوْ لَا بَلْ بَعْضُهُ بِالْقَلْبِ وَبَعْضُهُ بِغَيْرِهِ؟ فَإِنْ كَانَ الْمُسْتَعْمَلُ بِالْقَلْبِ جَمِيعَهُ فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ مَدًّا إِلَى فَوْقٍ وَصَرْفَهُ إِلَى يَمِينٍ.

(الْجَوَابُ) مَا الْفُقْدَانُ إِنْ كَانَ الْمُسْتَعْمَلُ بِالْقَلْبِ جَمِيعَهُ فَإِنْ لَا يَمُدُّ بِالْقَلْبِ إِلَى فَوْقٍ وَيَصْرِفُ إِلَهَ إِلَى يَمِينٍ وَيَجُرُّ إِلَّا اللَّهُ نَحْوَهُ أَيِ الْقَلْبِ مَعَ أَنَّ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ بِالتَّخَيُّلِ لَا دَخْلَ فِيهِ لِلِّسَانِ وَالْحَنَكِ أَصْلًا حَتَّى يُشْتَرَطَ مُوَاطَأَةُ الْقَلْبِ وَالْقَوْلِ، وَهَذَانِ السُّؤَالَانِ الْأَخِيرَانِ مِنْ قَبِيلِ تَشْكِيكَاتِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ، فَلَئِنْ تَأَمَّلْتُمْ فِيهِمَا تَأَمُّلًا جَيِّدًا لَانْدَفَعَا.

(بَقِيَّةُ الْمَرَامِ) أَنَّ بَعْضَ الْأَصْحَابِ الْمَوْجُودِينَ هُنَاكَ قَدْ كَتَبَ مُكَرَّرًا أَنَّ الْمِيرَ قَلِيلُ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى أَحْوَالِ الطَّالِبِينَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَمَشْغُولٌ بِالْعِمَارَةِ وَيَصْرِفُ مَبْلَغَ الْفُتُوحِ فِي خَرْجِ الْعِمَارَةِ وَيَبْقَى الْفُقَرَاءُ مَحْرُومِينَ، وَكَتَبُوا هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ عَلَى نَهْجٍ يُفْهَمُ مِنْهُ شَائِبَةُ الْإِعْتِرَاضِ وَتَفُوحُ رَائِحَةُ الْإِنْكَارِ.

فَلْيَعْلَمُوا: أَنَّ إِنْكَارَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ سَمٌّ قَاتِلٌ، وَالْإِعْتِرَاضَ عَلَى أَفْعَالِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ وَأَقْوَالِهِمْ سَمُّ الْأَفْعَى يُؤَدِّي إِلَى الْمَوْتِ الْأَبَدِيِّ، وَيُفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ السَّرْمَدِيِّ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هَذَا الْإِنْكَارُ وَالْإِعْتِرَاضُ رَاجِعًا إِلَى الشَّيْخِ وَكَانَ سَبَبًا لِإِيذَائِهِ، وَمُنْكِرُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مَحْرُومٌ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَالْمُعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ خَائِبٌ وَخَاسِرٌ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ. وَمَا لَمْ تَكُنْ جَمِيعُ حَرَكَاتِ الشَّيْخِ وَسَكَنَاتِهِ مُسْتَحْسَنَةً فِي نَظَرِ الْمُرِيدِ لَا يَنَالُ نَصِيبًا مِنْ كَمَالَاتِهِ، فَإِنْ نَالَ يَكُونُ اسْتِدْرَاجًا وَيَكُونُ عَاقِبَتُهُ هَلَاكًا وَبَوَارًا وَفَضِيحَةً وَدَمَارًا، فَإِنْ وَجَدَ الْمُرِيدُ فِي نَفْسِهِ مَجَالَ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى الشَّيْخِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ مَعَ وُجُودِ كَمَالِ مَحَبَّتِهِ وَإِخْلَاصِهِ لَهُ فَلْيَتَيَقَّنْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا خَيْبَتَهُ وَخَسَارَتَهُ وَحِرْمَانَهُ مِنْ كَمَالَاتِ الشَّيْخِ أَوْ رَذَالَتَهُ، فَإِنْ خَطَرَ فِي قَلْبِ الْمُرِيدِ فَرْضًا شُبْهَةٌ فِي فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الشَّيْخِ وَلَمْ تَنْدَفِعْ بِالدَّفْعِ فَلْيَسْتَفْسِرْهُ عَنْهُ عَلَى نَهْجٍ يَكُونُ خَالِيًا عَنْ شَائِبَةِ الْإِعْتِرَاضِ وَمُبَرَّأً عَنْ مَظِنَّةِ الْإِنْكَارِ.

وَحَيْثُ كَانَ الْمُحِقُّ وَالْمُبْطِلُ مُمْتَزِجَانِ وَمُلْتَبِسَانِ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَلَوْ ظَهَرَ مِنَ الشَّيْخِ أَمْرٌ مُخَالِفٌ لِلشَّرِيعَةِ أَحْيَانًا يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِينَ أَنْ لَا يُقَلِّدُوهُ فِيهِ بَلْ يَطْلُبُونَ لَهُ مَحْمَلًا بِحُسْنِ الظَّنِّ مَهْمَا أَمْكَنَ، وَيَتَفَقَّدُونَ وَجْهَ صِحَّتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ وَجْهُ الصِّحَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَجِئُوا وَيَتَضَرَّعُوا إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي دَفْعِ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ عَنْهُمْ، وَيَطْلُبُوا مِنْهُ تَعَالَى سَلَامَةَ الشَّيْخِ وَعَافِيَتَهُ بِالْبُكَاءِ وَالْإِبْتِهَالِ.

فَإِنْ عَرَضَ لِلْمُرِيدِ شُبْهَةٌ فِي حَقِّ الشَّيْخِ لِإِرْتِكَابِهِ الْأَمْرَ الْمُبَاحَ لَا تُعْتَبَرُ تِلْكَ الشُّبْهَةُ وَلَا يُعْبَأُ بِهَا فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَمْتَنِعْ مَالِكُ الْأُمُورِ جَلَّ سُلْطَانُهُ عَنْ إِتْيَانِ الْمُبَاحِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى فَاعِلِهِ كَيْفَ يَسُوغُ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَكَمْ مِنْ مَوَاضِعَ يَكُونُ فِيهِ تَرْكُ الْأَوْلَى أَوْلَى مِنْ إِتْيَانِهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ".

وَحَيْثُ كَانَ فِي الشَّيْخِ الْمِيرِ قَبْضٌ مُفْرِطٌ كَيْفَ يَسُوغُ الْإِعْتِرَاضُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَحْوَالِ الْمُرِيدِ وَلَمْ يَشْتَغِلْ بِهِمْ، وَطَلَبَ تَسْلِيَةً مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ. وَكَانَ عَبْدُ اللّٰهِ الْإِصْطَخْرِيُّ يَذْهَبُ إِلَى الصَّحْرَاءِ مَعَ كِلَابِ الصَّيْدِ لِتَسْلِيَةِ نَفْسِهِ، وَبَعْضُ الْمَشَايِخِ كَانُوا يَطْلُبُونَ تَسْلِيَتَهُمْ فِي السَّمَاعِ وَأَصْوَاتِ النَّغْمَةِ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ.

الْعَرِيضَةُ الْأُولَى مِنَ الْعَرَائِضِ الَّتِي كَتَبَهَا الْمَخْدُومُ زَادَهُ الْأَعْظَمُ
عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالْغُفْرَانُ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ مُحَمَّدْ صَادِقْ أُنْهِيَ إِلَى الْعَرْضِ الْأَشْرَفِ أَنَّ أَحْوَالَ هَذِهِ الْحُدُودِ وَأَوْضَاعَهَا عَلَى الْجَمْعِيَّةِ الصُّورِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ بِيُمْنِ التَّوَجُّهَاتِ الْعَلِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ الْخَاطِرُ مُتَفَرِّقًا وَمُتَشَتِّتًا مُنْذُ مُدَّةٍ مِنْ طَرَفِ خِدْمَةِ الْحَضْرَةِ فَقَدِمَ الْمِيَانْ بَدْرُ الدِّينِ يَوْمَ تَحْرِيرِ الْعَرِيضَةِ وَبَلَّغَ خَبَرَ الْعَافِيَةِ الْكَامِلَةِ فَحَصَلَ فَرَحٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَسُرُورٌ غَيْرُ مَحْصُورٍ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا. وَيَا قِبْلَتِي إِنَّ الْحَافِظَ بَهَاءَ الدِّينِ خَتَمَ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ وَشَرَعَ الْحَافِظُ مُوسَى فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ وَقَرَأَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ وَيَخْتِمُ اللَّيْلَةَ الْآتِيَةَ الَّتِي هِيَ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ. وَتَقَرَّرَ الْحَافِظُ بَهَاءُ الدِّينِ لِلْخَتْمِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ. الْمَقْصُودُ سَلَامَةُ الْحَضْرَةِ، وَبَيْنَمَا الْحَافِظُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَيْلَةً فِي التَّرَاوِيحِ ظَهَرَ مَقَامٌ وَسِيعٌ كَثِيرُ النُّورَانِيَّةِ كَأَنَّهُ كَانَ مَقَامَ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَرَاءَةُ عَلَى ادِّعَاءِ ذَلِكَ، وَصَارَ مَعْلُومًا أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ إِجْمَالُ هَذَا الْمَقَامِ وَكَأَنَّهَا بَحْرٌ كَبِيرٌ مَلِيءٌ فِي كُوزٍ، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَفْصِيلُ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَلِأَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَكُمَّلِ الْأَوْلِيَاءِ نَصِيبٌ مِنْ بَعْضِ هَذَا الْمَقَامِ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ وَلَا يُدْرَى حُصُولُ نَصِيبٍ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ لِغَيْرِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَهَذَا الْحَقِيرُ أَيْضًا نَالَ مِنْهُ نَصِيبًا رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَصِيبًا كَامِلًا مِنْهُ بِبَرَكَةِ التَّوَجُّهِ الْعَالِي وَذَلِكَ الْمَقَامُ لَمْ يَتَّضِحْ إِلَى الْآنَ كَمَا يَنْبَغِي وَبَقِيَّةُ الْأَحْوَالِ عَلَى الْجَمْعِيَّةِ وَيُفْهَمُ فِي هَذَا الشَّهْرِ حُصُولُ بَرَكَةٍ كَثِيرَةٍ وَأَوْضَاعُ أَخِي مُحَمَّدْ سَعِيدْ طَيِّبَةٌ وَأَوْقَاتُهُ مَصْرُوفَةٌ بِالْجَمْعِيَّةِ وَالذِّكْرِ وَأَهْلُ الْبَلَدِ أَيْضًا يَحْضُرُونَ بِالذَّوْقِ التَّامِّ وَقَدْ حَفِظَ الْفَقِيرُ إِلَى الْآنَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ وَشَيْئًا فَوْقَهَا، وَيَحْفَظُ إِلَى يَوْمِ الْعِيدِ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ تَخْمِينًا وَالْعُبُودِيَّةُ.

الْعَرِيضَةُ الثَّانِيَةُ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ مُحَمَّدْ صَادِقْ أُنْهِي إِلَى ذِرْوَةِ الْعَرْضِ أَنَّ أَحْوَالَ هَذِهِ الْحُدُودِ وَأَوْضَاعَهَا مُسْتَوْجِبَةٌ لِلشُّكْرِ، وَالْمَطْلُوبُ وَالْمَسْئُولُ خَيْرِيَّةُ ذَلِكَ الْجَنَابِ مَعَ جَمِيعِ الْخُدَّامِ وَالْأَصْحَابِ، وَقَدْ حَصَلَ الْإِبْتِهَاجُ بِمُطَالَعَةِ النَّمِيقَةِ الْأَنِيقَةِ وَالصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُرْسَلَةِ مَعَ إِسْمَاعِيلَ مَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ظِلَالَ عُطُوفَةِ حَضْرَةِ الْقِبْلَةِ عَلَى كَافَّةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَأَبْقَاهَا بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَيَا قِبْلَتِي مَاذَا أَكْتُبُ مِنْ سُوءِ الْأَحْوَالِ لَا بِضَاعَةَ لِي غَيْرُ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ عَلَى صُدُورِ سُوءِ الْأَعْمَالِ وَتَضْيِيعِ الْأَحْوَالِ الْحَاصِلَةِ فِي الْمَاضِي وَالْحَالِ وَالْمُتَمَنَّى أَنْ لَا تَفُوتَ لَحْظَةٌ وَلَا سَاعَةٌ فِي خِلَافِ رِضَائِهِ تَعَالَى وَهُوَ لَا يَتَيَسَّرُ إِلَّا أَنْ يُمِدَّ خُدَّامُ ذَلِكَ الْجَنَابِ وَيَأْخُذُوا بِيَدِي (ع) **لَا عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الْكِرَامِ** * لِلَّهِ الْمِنَّةُ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْتِقَامَةِ إِلَى الْآنَ عَلَى طَرِيقٍ أَمَرْتُمْ بِهِ وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ فُتُورٌ بِيُمْنِ التَّوَجُّهِ الشَّرِيفِ بَلْ نَرْجُو التَّرَقِّيَ وَالتَّزَايُدَ يَوْمًا فَيَوْمًا وَتَنْعَقِدُ الصُّحْبَةُ بَعْدَ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ وَالْحَافِظُ بَهَاءُ الدِّينِ إِذَا فَرَغَ مِنَ التَّرَدُّدَاتِ وَوَجَدَ الْفُرْصَةَ يَشْتَغِلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْفَقِيرُ مَقْبُوضٌ تَارَةً وَمَبْسُوطٌ أُخْرَى، وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ وَالتَّوَجُّهُ وَالذَّوْقُ وَالسُّكُونُ وَغَيْرُهَا تَتَعَلَّقُ بِالْبَدَنِ فَقَطْ لَا تَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ وَاللَّطَائِفُ السِّتَّةُ لَيْسَتْ بِمُتَوَجِّهَةٍ وَلَا غَافِلَةٍ فَإِنْ كَانَتْ

مُتَوَجِّهَةً فَتَوَجُّهُهَا مِثْلُ الْعِلْمِ الْحُضُورِيِّ بَلْ عَيْنُهُ. وَأَرَى التَّوَجُّهَ وَالذَّوْقَ وَأَمْثَالَهُمَا دَاخِلَةً فِي الظِّلَالِ لَا أَجِدُهَا مُجَاوِزَهَا وَكَانَتِ اللَّطَائِفُ أَوَّلًا مُخْتَلِطَةً بِالْبَدَنِ وَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ سِوَى الْبَدَنِ مَفْهُومًا فِي نَظَرِ الْبَصِيرَةِ كَمَا كُنْتُ عَرَضْتُهُ فِي الْحُضُورِ الْمَوْفُورِ السُّرُورِ وَالْآنَ أَجِدُهَا مُمْتَازَةً عَنِ الْبَدَنِ وَأَرَى ذَلِكَ الْمَقَامَ مَقَامَ الْبَقَاءِ وَبَعْدَ الْبَقَاءِ عُرِضَ أَيْضًا نَوْعٌ مِنَ الْفَنَاءِ لِلطَّائِفِ وَفُهِمَ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ بِدُونِ هَذَا الْفَنَاءِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الْبَقَاءِ وَأَنَا الْآنَ مَقْبُوضٌ مُنْذُ أَيَّامٍ، وَمُعَامَلَةُ السُّرُورِ قَلِيلَةٌ نَنْظُرُ مَاذَا يَظْهَرُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَإِلَى الْآنَ لَمْ يَحْصُلِ التَّوَجُّهُ إِلَى الْعَالَمِ وَحَيْثُ كَانَ عَرْضُ الْأَحْوَالِ ضَرُورِيًّا تَجَاسَرْنَا بِتَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ وَيَا قِبْلَتِي أَرَى الْحَضْرَ فِي الْمَنَامِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الزِّيَادَةَ دَاخِلَةٌ فِي التَّكَلُّفَاتِ الرَّسْمِيَّةِ وَالسَّلَامُ وَالْعُبُودِيَّةُ.

اَلْعَرِيضَةُ الثَّالِثَةُ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ الْعَبِيدِ مُحَمَّدْ صَادِقْ أُنْهِي إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ انَّ هَذَا الْحَقِيرَ كَانَ مَقْبُوضًا وَمَغْمُومًا مِنْ مُدَّةٍ فَأَدْرَكَتِ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ آخِرَ الْأَمْرِ بِمَحْضِ التَّوَجُّهِ الْأَقْدَسِ وَحَصَلَ بَسْطٌ عَظِيمٌ وَصَارَ مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الْبَسْطِ أَنَّ الذِّكْرَ وَالتَّوَجُّهَ مَثَلًا كَانَا أَوَّلًا مِنْ جَانِبِ هَذَا الشَّخْصِ وَالْآنَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جَانِبِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَلَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غَيْرَ قَابِلِيَّةٍ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ مِنْ جَانِبِهِ تَعَالَى كَمِرْآةٍ تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ فَاحْتَرَقَ بِذَلِكَ الطُّلُوعِ كُلُّ ظُلْمَةٍ وَكُدُورَةٍ فِي الْبَدَنِ وَاللَّطَائِفِ وَحَصَلَ لَهَا نُورٌ وَبَرَكَةٌ كَمَا يَنْبَغِي فَانْشَرَحَ الصَّدْرُ وَاتَّسَعَ الْقَلْبُ وَصَارَ الْبَدَنُ كَالنُّورِ مُضِيئًا أَلْطَفَ مِنَ الرُّوحِ وَالسِّرِّ اللَّذَيْنِ كَانَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَوَجَدْتُ التَّجَلِّيَ الْأَكْمَلَ مِنْ بَيْنِ اللَّطَائِفِ لِلْقَلْبِ فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى الْقَلْبِ ظَهَرَ أَنَّ فِي الْقَلْبِ قَلْبًا آخَرَ وَالتَّجَلِّيَ لَهُ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى قَلْبِ الْقَلْبِ ظَهَرَ أَنَّ فِي ذَلِكَ الْقَلْبِ قَلْبًا آخَرَ وَهَكَذَا إِلَى غَيْرِ النِّهَايَةِ فَلَمْ يَظْهَرْ قَلْبٌ بَسِيطٌ إِلَّا وَفِيهِ قَلْبٌ آخَرُ وَلَكِنْ يُتَوَهَّمُ الْآنَ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى قَلْبٍ بَسِيطٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُتَيَقَّنٍ وَعُلِمَ أَنَّ الْحَالَاتِ الْمُتَقَدِّمَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا كَانَتْ كُلُّهَا تَكَلُّفَاتٍ صِرْفَةً، وَقَدْ كَانَ خَطَرَ لِي اسْمُ هَذَا الْمَقَامِ وَلَكِنْ كَتَمْتُهُ تَحَامِيًا عَنْ سُوءِ الْأَدَبِ فَيَا قِبْلَتِي انَّ هَذِهِ كُلَّهَا أَثَرٌ يَسِيرٌ مِنْ آثَارِ التَّوَجُّهِ الْأَطْهَرِ

(شِعْر): **فَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ *** لِسَانًا أَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرًا**

وَالْمَرْجُوُّ سَلَامَةُ الْحَضْرَةِ، وَكَيْفَ أَكْتُبُ تَمَنِّيَ نَيْلِ مُلَازَمَةِ خُدَّامِ الْجَنَابِ ؟! وَكَيْفَ أَشْرَحُهُ وَالتَّصَوُّرُ لَيْلًا وَنَهَارًا فِي كُلِّ سَاعَةٍ إِنَّهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ مَسْعُودٌ وَفِي أَيِّ سَاعَةٍ سَعْدٍ حَصَلَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى وَالْمَقْصِدُ الْأَعَزُّ وَلَا تَمَنِّيَ لِي غَيْرَ هَذَا التَّمَنِّي يَسَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الْعُظْمَى بِأَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَوْفَقِ الطُّرُقِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَأَكْمَلُهَا وَالْعُبُودِيَّةُ.

قَدْ تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ مُعَرَّبِ الْمَكْتُوبَاتِ وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الثَّانِي لِلشَّيْخِ الْمَذْكُورِ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من لطائف منه متواترة ، و عوارف نعمه متوافرة ، صل على نبيك المأمون وخازن علمك المخزون ، وعلى آله الكرام و أصحابه العظام و تابعيهم بإحسان إلى قيام الساعة و ساعة القيام ((أما بعد)) لما من الله سبحانه و تعالى على عبده العاجز هذا بمحض فضله و كرمه بإتمام تعريب مكتوبات الإمام الرباني المجدد المنور للألف الثاني قُدِسَ سره أردت أن أذكر نبذاً يسيراً من أحواله الشريفة و مناقبه المنيفة و ما جرى عليه قُدس سره مما جرى على الأنبياء و الأولياء و الصلحاء من المحن و البلايا من الإبتلاء بالحسدة وتطاول الجهلاء و مجادلة السفهاء و ما صدر في نصرته و إعانته و مدحته من الأعزة الكملاء و الأجلة الفضلاء ممن كانوا في عصره بعده ليكون ذلك كالمقدمة السابقة للتعريب المذكور أو الخاتمة اللاحقة به فتتم بذلك الفائدة و يتوفر النفع والعائدة بأن يكون عوناً لمن يُطالع التعريب المذكور فإن أحواله قدس سره و إن كانت معلومة ظاهرة للمحبين الذين هم على طريقته و لكنها لا تستبعد أن تكون مخفية على من سواهم خصوصاً من قرع سمعه خلافها من طريق حساده أو مبغضي طريقته أو مُعاديي خلفائه و أولاده بل لا يستبعد كونها خفية على كثير من منتسبي طريقته أيضاً لقصور فهمهم كما هو المشاهد الآن ﴿ فأقول ﴾ و بالله التوفيق و بيده أزمة التحقيق لا يخفى أن طرق إطلاع الخلق على أحوال من مضى و سلف من مناقبه و مثالبه وصلاحه وفساده و علمه و جهله و هدايته و ضلاله و علو كعبه في مقامات القرب و تسفله متعددة كثيرة منها النظر إلى مذهبه و طريقته و سيرته إن كان صاحب مذهب و طريقة و منها مطالعة آثاره و تأليفاته إن كان صاحب أثر و تأليف كما قيل (شعر).

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار و منها المراجعة إلى أقوال من تكلموا في حقه بالجرح و التعديل إذا كان صدور ذلك عنهم بالإنصاف عارياً عن الأغراض الفاسدة و الأعتساف فأنا بحول الله تعالى و قوته أذكر كل ذلك على حدة بعنوان المنظرة (فالمنظرة الأولى) في ذكر نسبه الشريف إجمالاً و ما وقع في حقه من البشارة قبل ولادته أما نسبه الشريف فهو قدس سره سيدنا و سندنا وولي نعمتنا الإمام الرباني المجدد و المنور للألف الثاني مولانا الشيخ أحمد ابن الشيخ عبدالاحد ابن الشيخ زين العابدين ابن الشيخ عبدالحي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حبيب الله بن الإمام رفيع الدين ابن الخواجه نور بن الخواجه نصير الدين ابن الخواجة سليمان ابن الخواجة يوسف ابن الخواجه عبدالله ابن الخواجه اسحق ابن الخواجه عبدالله ابن الخواجه شعيب ابن الخواجه احمد ابن الخواجه يوسف ابن الخواجه شهاب الدين المعروف بفرخشاه الكابلي ابن الخواجه نصير الدين ابن الخواجه محمود ابن الخواجه سليمان ابن الخواجه مسعود ابن الخواجه عبدالله الواعظ الأصغر ابن الخواجه عبدالله الواعظ الأكبر ابن الخواجة ابي الفتح ابن الخواجه اسحق ابن الخواجه ابراهيم [1] ابن الخواجه ناصر ابن سيدنا عبدالله ابن سيدنا أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنهما وعنهم اجمعين و كان آباؤه الكرام واجـــداده العظام كلهم من أكابر العلماء الأعلاء وصلحاء فضلاء الأنام (و أما البشارة) الحاصلة في حقه قبل وجوده فاعلم ان امر البشارة اغلبه مبني على الظن الغالب فإنها لا تكون بأن شخصاً اسمه فُلان و اسم ابيه فُلان وحليته كذا و قبيلته كذا يظهر في زمان كذا و في مكان كذا بل يذكر فيها جملة من سيره المبشربه أو زمانه أو قبيلته كالبشارة بوجود المهدي رضي الله عنه و لذا لا يزال يوجد من يَدعي أنه هو المهدي

الموعود و ليس كلهم يدعي ذلك بالكذب و الباطل بل لوجود بعض العلامات الواردة في حقه فيه و كالبشارة الواردة في حق الأئمة المجتهدين مثل لو كان الدين في الثريا لتناوله رجال و في رواية رجل من أبناء فارس و مثل يوشك أن يضرب الناس و في رواية يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون عالماً أعلم و في رواية افقه من عالم المدينة و مثل لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملء طباق الأرض علماً فإن المحققين أهـل الإنصاف حملوا الأول على

البشارة بوجود الإمام الأعظم ابي حنيفة و الثاني على البشارة بوجود إمام دار الهجرة مالك ابن أنس و الثالث على البشارة بظهور الإمام الشافعي رضي الله عنهم و كل ذلك بحسب الظن الغالب حيث وجدت الأوصاف المذكورة فيهم بل لا يستبعد حصول اليقين بذلك للمحبين و المنكر المعاند الشقي لا يزيده ذلك إلا انكاراً و عناداً و استكباراً كما أننا لا نزال نجد المتعصبين إلى الآنينكرون حمل الحديث الأول على البشارة بالإمام الأعظم رضي الله عنه بل التوغل في الجهالة و المتكص على عقبيه في تيه الضلالة لا يستكف من التفوه بالإنكار على وجود القائل بذلك و هذا لا يَضُرُّ إلا نفسَهُ فإن القائل بذلك ليس من أتباع الإمام الأعظم رضي الله عنه فقط بل المحققون من غيرهم كالسيوطي و ابن حجر الهيتمي و الشعراني مصرحون بذلك فهذا المنكر أن أطلع على ذلك و مع هذا انكر وجود القائل به فهو معاند غوى سابح في بحر العناد و السفاهة و إن لم يطلع فهو جاهل غبي خائض في تيار الغفلة و الجهالة فحقه أن يسكت و يأكل ويشرب و ينهق مع ما ينهق دون أن ينعق بهذا الكلام و يسلم العلم لأهله بل نقول أن من الناس من ينكر وجود المهدي مع ورود أحاديث كثيرة في حقه حتى قيل أنها بلغت حد التواتر المعنوي و لذا قيل أن من انكر المهدي فقد كفر و هذا كما أن أهل الكتابين ينكرون وجود البشارة في كتبهم بوجود النبي صلى الله عليه و سلم مع كونها ملآنه بها عند المؤمنين بيقين فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأمـر في حق الإمام الرباني رضي الله عنه كذلك أيضاً فما والفه قدس سره بالقرائن حمله المحبون عليه قدس سره بغلبة الظن و المنكر لا يزيده ذلك إلا إنكاراً و عناداً و استكباراً و تصديق المصدق نفعه راجع إليه و كذا إنكار المنكر ضرره عائد عليه أن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم و إن أسأتم فلها و من يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره و المؤمن يجب عليه حسن الظن بأي مؤمن كان إذا كان مستور الحال فكيف بالأولياء الأخيار الذين صُنِفَ في مناقبهم مجلدات كبار و ملؤا الدنيا بأنواع الآثار و لم يزل اتباعهم قدوة خير الأمم في جميع الأقطار و نوروا الدنيا كلها بأنوار المعارف كشمس النهار و الله الموفق و المعين و هو الآخــذ بنواصي الأخيار و الأشرار ((البشارة الأولى)) قوله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي رجلٌ يُقال لهُ صلة يدخل الجنة بشفاعته كذا و كذا أورده الإمام السيوطي في جمع الجوامع و وجـه حمـل هذا الحديث عليه أنه قدس سره لما طبق طريقة الصوفية القائلين بوحدة الوجود على الشريعة الغراء تطبيقاً شافياً و بينها بياناً وافياً في بعض مكاتيبه قال في آخره الحمد لله الذي جعلني صلة بين البحرين و مصلحاً بين الفئتين و اشتهر بهذا اللقب فيما بين أصحابه و لهم اطلاع على الحديث المذكور ولم يروا احداً حمله على أحد على مر الدهور و رأوا في الإمام رضي الله عنه لياقة بتلك المنقبة الشريفة مع ما سمعوا منه قدس سره مراراً بأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره في بعض الحضرات و الوقائع بشفاعة كذا و كذا فحملوا الحديث المذكور

عليه قدس سره و أي استبعاد في ذلك و أي محذور فيما هنالك بل هذا الوصف أظهر فيه قدس سره من الشمس و ابين من الأمس و إن صح هذا الحمل فيها و الا فلا يُلام أحد على حسن ظن بولي من الأولياء العظام رضي الله عنهم أجمعين (شعر) زعم المُنجم و الطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت إليكما إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسارة عليكما (قال) شيخنا قدس سره في هامش المناقب الاحمدية بعد ذكر الحديث المذكور قد راجعت النسخ القديمة من جمع الجوامع للسيوطي و تبويبه كنز العمال لعلي المتقي فوجدت الحديث فيها كذلك مطلقاً ثم اطلعت على الخصائص الكبرى للسيوطي فوجدته هنالك بلفظ صلة ابن أشيم مقيداً فإن كانت هذه الزيادة من الرواة أو النساخ فالاحتمال باق و إن كان من تشعب طرق الحديث فلا مجال لأحد في الكلام و هم يعني أصحاب الإمام رضي الله عنه لعدم الاطلاع عليها غير ملومين و قد وقع مثل ذلك لكثير من الشراح فتبه بتغير يسير (البشارة الثانية) ما نقل عن شيخ الاسلام أحمد الجامي روح الله روحه ونور ضريحه قال مولانا الجامي قدس سره في نفحات الأنس ما خلاصة معربه قيل لشيخ الإسلام أحمد الجامي قدس سره أنا قد أطلعنا على مقامات المشايخ ووقفنا على ما صدر عنهم من الحالات و الكرمات و لا نعرف واحد منهم ظهر منه مثل ما صدر عنك من الحالات فقال ما من رياضة فعلها ولي من الأولياء إلا و قد فعلت جميعها وقت الرياضة وزدت عليها أيضاً فكل حال من الأحوال و كل كيفية من الكيفيات اعطاها الحق سبحانه أولياءه متفرقة اعطاها أحمد يعني نفسه بفضله و كرمه مجتمعه و إذا ظهر في كل اربعمائة سنة شخص اسمه احمد يكون آثار عناياته تعالى في حقه أيضاً مثل ذلك يراه جميع الخلق اهـ و بين وفاة الشيخ احمد الجامي و ولادة الإمام الرباني قدس سرهما اربعمائة و خمس و ثلاثون سنة و حيث لم يظهر بينهما من الأولياء أحد بهذا الإسم و بتلك الأوصاف حملوا كلام الشيخ على الإمام رضي الله عنهما بموجب غلبة الظن و قد تأيد هذا بما وقع في بعض مقامات شيخ الإسلام أحمد الجامي قدس سره حيث قال فيها قال يعني الشيخ يظهر من بعدي سبعة عشر نفراً مثلي كل منهم يسمى باسمي و آخرهم يظهر بعد الألف و يكون هو اكرمهم و اعظمهم و الله سبحانه اعلم (البشارة الثالثة) ما نقل عن الشيخ خليل البدخشي قدس سره نقل عنه أنه قال سيظهر في سلسلة خواجكان قدس الله اسرارهم شخص كامل من الهند يكون عديم النظير في عصره و يا اسفي على أني لا أدرك زمانه اهـ و حيث أنه لم يظهر في الهند أحد في طريقة خواجكان ظهور الإمام الرباني حمل عليه بالضرورة و الله سبحانه أعلم و في هذا القدر كفاية للمسترشد و الله سبحانه الموفق (المنظرة الثالثة في ولادته و نشأته قدس سره) و لد قدس سره سنة ٩٧١ إحدى و سبعين و تسعمائة في بلدة سهرند بكسر السين المهملة و سكون الهاء و كسر الراء و سكون النون و الدال المهملة كذا ضبطه في سبحة المرجان و قال فيها أنها بلدةٌ عظيمةٌ بين دهلي و لاهور على الشارع اهـ (وقال) في الروضة القيومية أن محل بلدة سرهند كان أولاً غابة مهولة مملوة بالسباع و كان أسمها بالهندية سيهرند يعني غابة الأسود فإن سيه بالهندية الأسدورند الغلبة و لهذا يكتب في ضرب السكة سيهرند و كان أول بنائها في عهد السلطان فيروز شاه و أول من توطن بها الإمام رفيع الدين المذكور الجد السادس للإمام الرباني قدس سره فسميت البلدة بهذا الإسم و اشتهرت به اهـ يعني أن اسمها طابقها ظاهراً و باطناً فإنها لو كانت أولاً غابة الأسود الظاهرة فقد صارت بعد غابة أسود عالم الحقيقة و المعاني

و أفاد أن استعمال هذا الإسم على الأصل مخصوص بالسكة وهو كذلك فإنه لا يُستعمل إلا بتقديم الراء على الهاء وإسكانها أو بحذف الياء و فتح الراء هكذا سهرند و استخرجوا تاريخ ولادته من لفظ خاشع ٩٧١ و عرض له قدس سره بعد أيام من ولادته ما يعرض على الصبيان من المرض فجاء به والده شيخه شاه كمال الكيهتلي القادري فقال له شيخه لا تخف انه يكون ذا عمر طويل و صاحب احوال سنية و أخذه من يده بكمال الجذبة و جعل لسانه في فيه فأفاض عليه و قبله فيوض النسبة القادرية من لسانه فنشأ في حجر تربية والده محلى بدرر الأدب و أخذ عنه مبادئ كتب العرب و حفظ في صغر سنه القرآن و اسكت بتحبير صوته سواجع البستان و استظهر عدة من المتون في أنواع العلوم مع إتقان المنطوق منها و المفهوم ثم رحل إلى سيالكوت فقرأ هناك على مولانا كمال الدين الكشميري بعض كُتُب المعقولات في غاية التحقيق و التدقيق و كان المذكور من فحول علماء عصره صاحب تحقيق و تدقيق متصفاً بالورع و التقوى و كان له شرب تام من مواجيد القوم ايضاً و هو استاذ مولانا عبدالحكيم السيالكوتي و اخذ الحديث عن مولانا يعقوب الكشميري الصرفي و كان هو من كبار محققي زمانه و قد اخذ الحديث في الحرمين المحترمين من كبار المحدثين كابن حجر المكي و عبدالرحمن ابن فهد المكي و كان من خلفاء مولانا حسين الخوارزمي الكبروي قيل انه بايعه في السلسلة الكبروية و أخذ هذه الطريقة بواسطته و حصل إجازة كتب الحديث و التفسير و بعض كتب الأصول كالتفاسير الثلاثة للواحدي و أسباب النزول و تفسير البيضاوي و سائر مؤلفاته كمنهاج الوصول و الآية القصوى و غيرها كالجامع الصحيح للبخاري مع جميع مؤلفاته الأخر و كالمشكاة و شمائل الترمذي و الجامع الصغير للسيوطي و غير ذلك من العالم الرباني القاضي بهلول البدخشاني و أخذ عنه ايضاً المسلسل بالأولية الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك و تعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، و قد أخذ القاضي المذكور الحديث من كبار علماء الحرمين المحترمين كالعلامة المحدث عبدالرحمن بن فهد المكي و لم يبلغ من العمر سبعة عشر إلا و قد فرغ من تحصيل العلوم الدرسية و تحقيقها و تشييد بنيان مولويته بإحكام .[1] المعقول و المنقول والفروع و الأصول و تدقيقها و قد استفاد في اثناء تحصيله الطريقة القادرية والجشتية من والده الماجد فأجازه في هذين الطريقين و شهد له بحصول أنوار الفريقين فاشتغل في حياة والده الماجد بدرس العلوم الظاهرة للطالبين و تعليم الطريقة ايضاً للسالكين وصنف في تلك الأثناء بعض الرسائل كالرسالة التهليلية و رسالة رد الروافض ورسالة اثبات النبوة و كان له يد طولى في العلوم الأدبية و كان من الفصاحة و البلاغة وسرعة الاستحضار و شدة الذكاء و الفطنة بجانب عظيم و مكان مكين روي أنه قدس سره أتى مرة في تلك الأثناء منزل أبي الفيض العلامي الشيعي المتخلص بالفيضي و كان المذكور

و قتئذ مشتغلاً بتصنيف تفسير بكلمات غير منقوطة و في معاونته في الأمر المذكور عدة من العلماء المتبحرين كمولانا جمال الدين التالوى و غيره فلما رآه الفيضي سربه و قال قد سد علينا الآن أبواب الكلام و تعسر الاتيان بعبارات غير معجمة يفصح عن المرام و التمس منه أن يُحرر بعض عبارات من النوع المذكور يناسب المقام فأخذ القلم في الحال و شرع في التحرير من غير تفكر بالبال و كتب أشياء [1][2] كثيرة من النوع المذكور بعبارات أنيقة مع كمال البسط في المقال فتحير من كمال فصاحته و بلاغته وسرعة استحضاره و

بداهته الفحول من الرجال و اتفقت كلمتهم على أنه مؤيد من عند المبدأ الفياض المتعال فصار الفيضي بعد ذلك كلما استعصاه الكلام في افادة المرام يستمد من بحره الزاخر حتى أتمه على الوجه المذكور إلى الآخـــر و كان ذلك قبـــل

ملاقاته الخواجه محمد الباقي بالله قدس سره (المنظرة الثالثة) في استفادته الطريقة النقشبندية من شيخه الخواجه محمد الباقي بالله قدس سره و بلوغه فيها مرتبة الكمال و التكميل ووصوله إلى ما يعجز عن إدراكه العقل العقيل و تنويره بنور الطريقة العالم من العلماء الفضلاء و أرباب التاج و التخت و الاكليل (اعلم) انه قدس سره مع وجسود هذه الكمالات والفضائل كان عطشان القلب خصوصاً للطريقة النقشبندية و كان قد طالع بعض الرسائل المؤلفة فيها و كان كثير الإشتياق لملاقاة واحد من أربابها ولما توفى والده الماجد عام غز خرج بعد سنة من وفاته من منزله بنية أداء الحج و لما دخل بلدة دهلي كرسي سلطنة بلاد الهند و وصل هناك إلى صحبة شيخه الشيخ محمد الباقي بالله قدس سره بدلالة بعض أصحابه جذبته جذبات العناية الأزلية و دلته إلى الدولة السرمدية و أنشده لسان السعادة الأبدية هذه الأشعار الحكمية أشعار :

يامن يروم طواف البيت بالجسد ! و الجسم في بلد و الروح في بلد .

ماذا تروم و ماذا أنت فاعله *

مبهرجاً في التقى للواحد الصمد أن الطواف بلاقلب و لا بصر *

على الحقيقة لا يشفى من الكمد

آخــر :

بدل طوافك بالمطاف بلا صفا * بطواف حضرة كعبة الآمال .

فتنبه على تلك الدقيقة و انكشف له مالم ينكشف قبل من الحقيقة فاستعمل أفكاره الالمعية و استحسب أن يؤخر ما في قلبه من النية حيث لم تكن نيته على سبيل الفرضية بل كانت لمجرد الأشواق القلبية فبايعه بعد يومين من ملاقاته في الطريقة النقشبندية العلية و لازم صحبته السنية ورجع طلب صاحب البيت على طلب البيت و ترنم لسان حاله بهذا البيت اليك يا منيتي حجي و معتمري * أن حج قوم إلى ترب و احجار * وجد في الطلب بمقتضى استعداده العالي و لم يضيع دقيقة بلعل و ليت أو تفرس فيه شيخه المذكور كمال القابلية و علو الفطرة سمو الأستعداد بل وجد فيه جميع الأوصاف التي كان مبشراً بوصول الموصوف بها إليه و تحقق انه هو هذا الشخص المبشر بلقائه وارث كمالاته و الزيادة عليه فبذل في حقه أنواع الالتفات و اصناف العنايات و بلغه بقوة جذبه بفضله سبحانه و تعالى من الكمالات إلى أقصى الغايات و ظهر له ببركه توجهاته السنية المصادفة لمحلها في مدة يسيرة من الحالات مالا يظهر لغيره عشر عشيرة في عدة من السنوات فبعد مضي شهرين و عدة أيام على هذا الحال و حصل غاية السعي و بذل المجهود من الطرفين بهذا المنوال إجازة شيخه في الطريقة المذكورة إجازة مطلقة تامة و أمره بالرجوع إلى وطنه و إفاضته الفيوضات إلى قلوب العامة و إحال تربية كثيرة من مريديه عليه و ضمهم وقت إنصرافه إلى وطنه إليه فجلس بعد عودته إلى بلده على مسند الإرشاد و دست الإفادة و شرع في هداية الطالبين و تربية السالكين بكمال النشاط في الإرشاد و الإفاضة فاجتمع لديه كثير من

المستعدين حتى صار شيخه بعد ذلك يستفيد .. الفيوضات الجديدة كسائر المستفيدين و ليس هذا كلاماً صادراً على سبيل المبالغة و الاطراء بل أمر واقع مشهور عند أربابه بلا امتراء و طار صيت إرشاده في أيام قلائل مسير القطا و الأمطار و انتشرت كمالاته و قوة إفاضته في سائر الأقطار فتهافت عليه العلماء و الفضلاء و الكملاء و الأمراء في جميع الديار لاقتباس الأنوار فبذل لهم أنواع العنايات حسب الأقدار و شمر عن ساق الجد في إحياء الشريعة المحمدية و تحزم في إعادة انوار السنن النبوية و انتصب لإقامة شعائر الطريقة الأحمدية و كان يحرض أصحابه كلهم بالتمسك بعروة الشريعة العليا وإحياء السنة النبوية السنية و العمل بما فيها و الإجتناب عن كل ما ينافيها كما هو أساس الطريقة النقشبندية و كان يحث على ذلك أمراء عصره و حكام دهره بواسطة مكاتيب عديدة حتى استنارت أقطار الهند و ما يليها بنور السنة و عادات الشريعة المحمدية بعد أن كادت تعوج مستقيمة سديدة و قد نشأ في حجر تربيته خلفاء علماء أجلاء و كملاء فضلاء أدلاء كل واحد منهم رافع رايات العلوم و الرية الولاية و جامع أشتات الفنون و ناصب بنودها رواية ودراية فقام هؤلاء الكرام و كذا أولاده العظام بعده بنشر طريقته العلية و بث سيرته السنية بين الخاص و العام حتى انتشرت انوارفيضه في اسرع الأوقات إلى اطراف العالم و عمت اسرار فضله من ادركته العناية الازلية من بني آدام و لا زالت إلى يومنا هذا تتزايد يوماً فيوماً بواسطة خلفاء خلفائه واولاد اولاده و هلم جرا بحيث لم يبق مملكة من ممالك الإسلام إلا و فيها من ينورها بطريقته من الأعلام بفضل الله الملك العلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم (المنظرة الرابعة) في بيان من اثنى عليه من معاصريه و شهد له بانه مجدد الألف الثاني فاول من اثنى عليه شيخه الخواجه محمد الباقي بالله و قد تقدم انه صار يستفيد منه كبعض المستفيدين و ذلك بأن الإمام قدس سره و إن كان استفاد من شيخه المذكور الطريقة النقشبندية إلا ان الحق سبحانه منحه اعلى من ذلك و ازيد مما هنالك كما بين ذلك في بعض مكاتيبه و لهذا سميت الطريقة الخاصة به الطريقة المجددية فكان شيخه يستفيد منه تلك الطريقة الخاصة به و كان يعظمه تعظيم المريد شيخه حتى نقل انه اتى حجرته و قتاً من الأوقات فصادفه في الاستغراق فاراد الخادم اخباره بمجيئه فمنعه ورد الباب كبة و رجع يمشي الهوينا خوفاً من انقطاع استغراقه و قعد خارج الحجرة إلى أن فاق الإمام و سئل من بالباب فقال الفقير محمد الباقي فخرج مسرعاً و قام بكمال الأدب و التواضع و قد بشره ببشائر كثيرة رآها في وقائعه و كتب يمدحه بعلو الاستعداد و كمال القابلية إلى بعض أحبائه ووصى جميع مريديه وقت موته باتباعه (نقل) عن الميري محمد نعمان الذي هو من اعاظم أصحاب الخواجه محمد الباقي ومن اكابر السادات أن الخواجه لما خصصه بعد التعميم باتباع الإمام قال له على سبيل التحرج و الاستنكاف من اتباعه ان توجه قلبه الفقير ليس إلا جنابكم فقال له الخواجة بالخشونة ما تظن انت في الشيخ أحمد فإن الوفا من النجوم أمثالنا تتلاشى و تضمحل في أشعة انوار شمسه اهـ فلو لم يوجد في حقه قدس سره إلا هذه الشهادة الصادقة من شيخه لكفت دليلاً على فضله الشامخ و قدمه الراسخ فكيف اذا وجد غيرها من شيخه و من كملاء مشايخ عصره و فضلاء علماء دهره إماما صادر من شيخه في مدحه فلنثبت هنا بعضاً منه للاستشهاد (فمنها) ما كتبه إلى بعض أحبائه من كبار وقته بهذا العنوان في أوائل وصوله إلى صحبته ان رجلاً من سهرند يسمى الشيخ أحمد كثير العلم قوي العمل و قد

صحبه الفقير أياماً و شاهد من أحواله عجائب كثيرة يُشبه أن يكون شمساً يتنور العالم منه الحمد لله قد حصل لي اليقين بأحواله الكاملة و له أقرباء و اخوة كلهم من صلحاء الرجال و من طبقة العلماء و صحب الداعي عدة منهم و وجدهم من الجواهر العالية و لهم استعدادات عجيبة وللشيخ المذكور أولاد و أطفال و كلهم اسرار الهية و بالجملة انه شجرة طيبة انبته الله نباتاً حسناً (و منها ما بشره به) مشافهة مراراً بأنه قطب الوقت و قطب الأقطاب الذي رآه في المنام عند اجازة شيخه الخواجكي الأمكنكي ووقت نزوله في بلدة سهرند مراراً كثيرة و هي مشهورة و في ذيل تعريب الرشحات لجامع هذه الحروف و غيره أيضاً مسطورة (و منها) ما قال في حقه أيضاً أني قد تشيخت في هذه السنين الثلاثة أو الأربعة و لعبت أياماً الحمد لله لم يكن لعبي هذا و فتحي هذا الدكان بلا فائدة حيث ظهر مثله في عرصة الوجود (و منها) ما قال أني جئت بهذا البذر من بخارا وسمرقند وزرعته في أرض الهند الكثيرة البركة و كان سعينا و اجتهادنا في تربية الطالبين إلى أن تبلغ معاملته إلى انتهائها و لما فرغت من امره جررت نفسي من المشيخة و احلت الطلاب عليه (و منها) ما كتب إليه يبلغ الله تعالى إلى مرتبة الكمال و الأكمال (ع) . و للأرض من كأس الكرام نصيب لا تكلف و ما هو حقيقة الحال يكتب قال الشيخ الأنصاري أنا مريد الخرقاني و لكن لوكان الخرقاني في هذا الوقت لكان مريداً إلى مع كونه شيخي فإذا كانت صفة هؤلاء الذين تخلصوا عن الصفة هكذا فلم لا يُبذل اسارى آثار الصفات ارواحهم في لوازم الطلب و لم لا يتوجهون إلى مكان وصل منه إلى مشام ارواحهم رائحة المطلوب و توقُفنا و إهمالنا الآن ليس من جهة الاستغناء و عدم المبالاة بل تنظر الاشارة (شعر) إذا ما أراد الطمع مني منيتي * لقلت على رأسي القناعة أحجار * هذا هو حقيقة الحال التي تحرر يهدينا الله سبحانه لما هو المهم و يخلصنا من العجب و الغرور و بقية المقصود ان جناب معدن السيادة الأمير صالح النيسابوري سلمه الله قد أظهر الطلب و حيث كان الوقت غير مقتضي هذا لم ير تضييع أوقاته من مقتضى الإسلامية فلا جرم ارسلناه إلى صحبتكم يصير أن شاء الله تعالى محظوظاً على قدر استعداده و يجد تمام اللطف و كمال التوجه (ومنها) ما كتبه أيضاً يبلغ الله سبحانه الفقراء و المساكين العاجزين ببركات الأولياء المنتخبين إلى مقاصدهم منذ مدة لم يصدر مني عرض الخلوص على ديوان ملجأ الولاية نعم يمكن أن تجعل هذه الكلمة الواحدة قاصداً لجناب صادق الحال الحمد لله يتصور هذا القسم و ماذا اكتب غيره فإن تحرير كلمات الدراويش إلى حضرتكم من غاية عدم الحياء و حكاية الأوضاع الصورية لا مناسبة لها أصلاً و الحاصل ينبغي لنا أن نعرف حدنا و أن نحترز من الفضول و المطلوب الدعاء (و منها) ما كتبه إله ايضاً ليكن مسند الإرشاد أوسع و أنور أن مسودة الرسالة التي في طريقه خواجكان جعلها الخواجة برهان كحل البصر للمشتاقين الحمد لله أنها عالية جدا و لطيفة و لكن ربما يخطر في البال التماس تفتيش أحوال حضرة الخواجه احرار قليلا لعله يُظهر أمور أخرى أيضاً و لما تشرفت بمطالعة تلك اللطيفة الغيبية في ذلك اليوم خطر خاطر في أثناء النعاس أن طرف اليسار أعني عالم الأرواح يتعلق به فلما حضرت حصل التردد من جهة ضعف الحافظة أنه من كان المشار إليه و لكن الظن الغالب أن الإشارة كانت إلى حضرة الخواجة أحرار قدس سره لا بد يرى ذلك في طبقات واحد من الأئمة يمكن أن يظهر شيء (و أيضاً) يفهم من كلماته معنى العصمة (وأيضاً) يظهر في بعض المنامات أنه خلق في أصل الخلقة مندرج النهاية في البداية ما العجب أنه لو كان مخلوقاً

في القابلية المطلقة التي هي فوق نقطة العلم و تحت مقام الوحدة نرجو: أن تبصر هناك أيضاً (و أيضاً) نرجوا أن تنظر إلى مقام الفاروق رضي الله عنه أنه دخل المقام المذكور على طريق النزول أو جاء من طريق آخر و لعل المخلوقية فوق النقطة صارت سبباً لعدم التقرب من ذاك المقام نرجو التفتيش و العناية و الخاطر منتظر جداً (و التماس) آخر نرجوا التوجه أيضاً في باب فناء البشرية أن له مقاماً في غير مقام الفناء في الله و أنه منحصر في الدخول في هذا المقام و الجماعة الذين يظهرون أنهم مخلوقون فوق هذا المقام الظاهر أنهم محفوظون هكذا و لا حاجة لهم إلى تجشم الكسب في ظهور فناء البشرية (وأيضاً) أن الذين فنوا و انمحوا تحت مقام الوحدة و أن ساروا من طريق الجذبة قيومية أو غيرها أيضاً محفوظون من العود إلى وجود البشرية (و أيضاً) نرجوا النظر إلى بيت الجبروت الذي هو مقام الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ينبغي أن يكون هناك أيضاً مقام يجعل امينا من العود المذكور (و أيضاً)نرجوا إحالة النظر في مقام الفناء في الله لعل له طريقاً آخر غير هذا الطريق الظاهر بالتفصيل و لعل بعض الأعزة دخلوا من ذلك الطريق و بقية الأحوال المتوقفة معلومة له كما ينبغي و اسامي مقامات كثيرة وعلاماتها غير معلومة لنا فكيف يمكن أن نكتب التعبيرات إنشاء الله يكون ما هو المرضي و السلام على محمد صادق و جميع الإخوان و الأعزة ١ هـ و بهذه الفقرة الأخيرة يعلم علو المقامات المجددية الخاصة به (و منها) ما كتبه في أواخر عرائضه التي كان ارسلها إليه لبيان أحواله و هي مندرجة في أول المجلد الأول من المكتوبات و ما ذكر من الكشوف طريقه مرضى جداً و صحيح و مستقيم ومستحسن حيث ينكشف اشياء بلا قول و لسان و لا حاجة إلى بيان جميع الوجوه و ما يلزم بيانه بين وقت الملاقاة هذا شهادة شيخه و مدحه (و أما) غيره فيهم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله و أما الكبراء منهم المشار إليهم بالبنان كالشيخ فضيل الله البرهان فوري ومولانا حسن الغوثي و مولانا عبدالحكيم السيالكوتي و مولانا جمال الدين التالوي ومولانا يعقوب الصرفي شيخه و مولانا حسن القباداني و مولانا ميركشاد و مولانا مير مؤمن البلخيين ومولانا جان محمد اللاهوري و مولانا عبدالسلام الديوكي و الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي في آخر أمر بعد أن ضيع في مخالفته برهة من عمره و غيرهم من فضلاء دهره و كملاء عصره كل اولئك اثنى عليه بما هو أهله ورد على من أساء الأدب في حقه و تكلم بما لا يليق بشأنه و كلهم كانوا يتهافتون على معارفه و يستروحون بعوارفه (أما الشيخ فيصل الله البرهانفوري) فقد نقل عنه نقلاً صحيحاً أنه كان يبتهج بسماع أوصافه الجميلة ويلتذ باستماع معارفه الجليلة و يقول أن كلما يقوله قطب الأقطاب يعني الإمام قدس سره ويكتبه من أسرار الحقيقة صحيح و أصيل و هو صادق فيه و متحقق به وعلامة صدق المقال و علو الحال هي الإتباع على وجه الكمال ولي اخلاص تام و حب عام لجنابه من ظهر الغيب قال ذلك بعد أن ذكر عنده بعض أوصاف الإمام قدس سره و كمال اتباعه للسنة السنية و لهذا لما حبس الإمام على ما سيذكر جعل الشيخ المذكور الدعاء بخلاصة وردالنفسه بعد أوقات الصلوات الخمس و كلما اتاه أحد من طرف سهرند للإنابة و الاسترشاد كان يقول له العجب إنك تسكن في جواره يعني الإمام و تكون مريدا لمحل آخر و تتركون الشمس و تستضيئون بالنجوم (و أما الشيخ حسن الغوثي) فقد كان يثني عليه بما هو أهله و يمدحه بما يليق بعلو مقامه و قد كتب في وصفه في كتابه الذي صنفه في بيان مناقب الأولياء هذه العبارات بالإثنين مسند المحبوبية وصدر آراء محفل

و حدانية خدواند مقام فردية صاحب مرتبة قطبية إلخ (و أما مولانا عبدالحكيم السيالكوتي) فقد كان يُعظمه تعظيماً بليغاً يليق بمثله من مثله و يشنع على المنكرين بأشد التشنيع و يقر بكونه مجدد الألف الثاني ويكتب هذا الوصف في مكاتيبه المرسلة إليه بل قيل أنه أول من أطلق هذا الوصف عليه و نقل عنه هذه العبارة في رد شبهة بعض المخالفين أن القدح في كلام الكبراء من غير فهم مرادهم جهل و ليس له نتيجة حسنة فرد كلام ملجأ المشيخة و معدن العرفان الشيخ أحمد من الجهل و عدم الفهم كتبه الفقير عبدالحكيم و قد ثبت بنقل الثقات أنه دخل في قيد أرادة الإمام قدس سره بهو الظن به (انى) سهرند واحد من مريدي الشيخ مير محمد مؤمن البلخي بينة الإنابة و التوبة و السلوك على يد الامام الرباني قدس سره و بلغه سلام كل من شيخه المذكور و السيد ميركشاه و الشيخ حسن القبادياني و قاضي القضاة تولك ثم قال ان شيخي مير محمد مؤمن الكبروي يقول لو لم يمنعني كبر السن و بعد المسافة لا وصلت نفسي على ملازمته و افنيت بقية عمري في خدمته و اقتبست من أنوار أحواله ما لاعين رأت و لا أذن سمعت و حيث ان هذه الموانع موجودة فالمأمول أن يعد هذا المهجور الصوري والحاضر المعنوي من مخلصيه الحاضرين و أن يكون متوجهاً إلى أحواله بالتوجهات الغائبية و افاضات الانوار القدسية و قال أنه أمرني بمبايعتكم و نيابة عنه فقام و بايعه ثم قال وقت انصرافه أن الاعزة هناك يلتمسون أن ترسل اليهم بعض المكاتيب المشتملة على الحقائق العالية فكتب الإمام قدس سره المكتوب التاسع و التسعين و ارسله إليه مع بعض المكاتيب المشتملة للمعارف السامية و نقل عن بعض الاعزة الذي جاء الهند من بلخ أنه قال لما وصل المكتوب المذكور إلى المير المشار إليه و طالعه قام ورقص من كمال البهجة و السرور و قال لو كان سلطان العارفين و سيد الطائفة و أمثالهما أحياء في هذا الوقت لكانوا في خدمته اهـ (ونقل) مثل ذلك عن بعض محققي ذلك الوقت الذي كان في صحبته كثير من العرفاء والعلماء و كان له اطلاع تام على كلمات القوم و احوالهم حيث قال حين سمع خرافات بعض المعاندين أن الحق أن مزاج أهل الزمان ليس لايقاً لإدراك دقائق حقائق هذا النحرير فلوا كان في أيام السلف لعرفوا قدره و مرتبه ودرجة كلامه ولا ورد المتأخرون كلماته في كتبهم للاستدلال بها و الاستشهاد و فطرة أرباب العصر في إدراك كلماته كفطرة سائر الجهلاء في إدراك حكم الحكماء اهـ (وقال واحد) من العلماء العاملين المتورعين ومن المقتدى بهم في ذلك العصر في بيان تصانيفه أن كتب القوم ورسائلهم أما تصنيف أو تأليف و التصنيف أن يحرر الشخص ما هو حاصله من العلوم و الأسرار و النكات والمقامات و التأليف أن يجمع الشخص كلمات غيره بترتيب جيد و قد مضت مدة مديدة من ارتفاع التصنيف من العالم و إنما بقي التأليف فقط و أنا و إن لم أكن ممن مريديه و لكن الحق و الانصاف إن مكاتيبه و رسائله الواقعة في هذا الزمان الاخير تصنيفات لا تأليفات فأني كلما أمعنت النظر فيها لا أرى فيها نقلاً عن الغير الأعلى الندرة و الضرورة و عامتها مكشوفاته و ملهماته الخاصة به و كلها عالية مقبولة مستحسنة و موافقة للشريعة الغراء اهـ (وقال واحد) من أقضى قضاة العصر المذكور في جواب من سئل عنه قدس سره أن الأحوال الباطنية المنسوبة لهذه الطائفة العلية خارجة عن ادراكنا و لكن الذي اعرفه أن أطواره و أوضاعه يعني الإمام قدس سره قد أورثنا يقيناً جديداً صادقاً في طور الأولياء المتقدمين فإنا كلما طالعنا في كتب السلف ما صدر عن كمل المتقدمين من الرياضات العجيبة و

الطاعات الغريبة كان يخطر ببالنا لعل مريديهم كتبوها على سبيل المبالغة و لما شاهدت أوضاعه و أطواره زال عني تلك الترددات كلها بل ربما يخطر ببالي أن محرري تلك الأحوال ربما فرطوا فيها ولم يكتبوها بالتمام اهـ (و أما الشيخ عبدالخالق المحدث الدهلوى) فإنه و إن كتب في أوائل أمره بعض الاعتراضات على بعض معارفه بموجب البشرية و لوازم المعاصرة إلا أنه أدركته العناية الإلهية في الآخر فتاب عما سلف تاب الله عليه و أظهر رجوعه ذلك في مكتوب كتبه إلى حسام الدين أحمد من خلفاء مولانا الخواجه محمد الباقي بالله قدس سره مضمونه أن صفاء باطن الفقير في هذه الأيام في حق الشيخ أحمد سلمه الله تعالى متجاوز عن الحد لم يبق حجاب البشرية و الغشاوة الجبلية في البين ولا أدري أن هذا من أين الانصاف و حكم العقل مع قطع النظر عن رعاية أخوة الطريقة يقتضيان عدم مخالفة أمثال هؤلاء الأكابر و إن لا يؤذي ويساء اشباه هؤلاء الأعزة و قد أحس في باطني بطريق الذوق و الوجدان شيئاً يكل اللسان عن تقريره و الله مقلب القلوب و مبدل الأحوال و لعل أرباب الظاهر يستبعدون ذلك و انا لا أدري ما الحال و على أي مثال و منوال اهـ و كتب أيضاً على أولاده في مكتوب طويل عريض ما مضمونه أن المسودات التي كتبتها اعتراضاً على كلام الميان الشيخ أحمد سلمه الله تعالى اغسلوا كلها بالماء فإن الغبار الحاصل في الخاطر بالنسبة إليه قد تبدل صفاء اهـ و لا يخفى على التنبيه من هذا أن اعتراضه أولاً إنما كان بموجب البشرية و هو كذلك فإن كلام المنكرين كله من هذا القبيل إلا أن الحق سبحانه يختص برحمته من يشاء و ينجيه من هاوية الانكار و يؤويه إلى جنة التصديق بأوليائه و نعم دار القرار و يبقى البعض على ما هو فيه من نار الانكار و بئس القرار و اختلف في سبب رجوع الشيخ من انكاره ظاهراً قيل رأى النبي صلى الله عليه و سلم في المنام و هو يوبخه على إنكاره وقيل تفاءل في حقه بالقرآن العظيم فخرج فإن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم و قيل خرج مرة رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و قيل إنما كان اعتراضه عليه بحسب مكتوب مجعول عليه من طرف بعض أعدائه فلما وقف على ذلك رجع و تاب و اعتذ للأمام قدس سره عما صدر فعفر وانقلب إلى الصفاء الكدر و لم يبق منه أثر و لا مانع من اجتماع كل ذلك و حيث ثبت رجوعه عن ذلك علم أنه ممن ادركته العناية الالهية بأي طريق كان (تنبيه) قد تقدم أنه أمر أولاده بغسل تلك المسودات و الظاهر أنهم فعلوا ذلك و مع ذلك نرى الآن أنه بقي منها بعض النقول حيث وقفنا على رسالة لبعض الفحول بالفارسية ردها عليه رداً بليغاً كلمة كلمة و أجـاب عن كل أعتراض بأجوبة شافية جزاه الله سبحانه خير الجزاء و هو مولانا العلامة الشيخ وكيل أحمد السكندر فوزي سلمه الله سبحانه (ع) وبح بسم من أهوى ودعني من الكني ° و هؤلاء الذين ذكرناهم أكثرهم ممن ادركوا في أواخر عمرهم أوائل ظهور الإمام قدس سره و أما الذين أدركوا زمـان كمـال ظهوره و بايعوه أو اقتبسوا من أنواره من المحققين و المدققين فلا يحصى عددهم إلا الله لو حاول شخص ذكرهم لاقتضى مجلدات كثيرة و قد ألف بالفارسية مناقب شتى و أما هذه الوريقات فلم تقدر أن نثبت فيها إلا قطرة من تلك البحـار ومن جملة كبار مريديه السيد آدم البنوري و الميـر محمد نعمان البدخشي و الشيخ تاج الدين الهندي صاحب الرسالة التاجية المذكور ترجمته في خلاصة الأثر فإنه صحبه بعد وفات الخواجة محمد الباقي بالله قدس سره ثم أبتلي بمرض الانكار مع من أبتلوا ثم أدركته العناية الإلهية لأسباب

يطول شرحها و تاب و أناب و صار باعثاً على رجوع كثير من المنكرين و قصته مذكورة في كتب المناقب الربانية و للإمام قدس سره مكاتيب إليه بعضها مندرج في جملة المكتوبات و بعضها غير مندرج فيها بل مسطور في المناقب تركنا ذكره خوف الإطالة فإن فيما ذكر من المكاتيب كفاية للمكتفي و الله الهادي (المنظرة الخامسة) في إبتلاء الإمام قدس سره بحسد الحسدة اللئام و طعن الجهلة كالأنعام و اعتراضات المعترضين من العوام الذين يعدون أنفسهم من فضلاء الأنام و ما اصابه بسبب ذلك من الأذية و الآلام إلى لقاء الملك العلام (لا يخفى) على اللبيب المتدرب المجرب للأمور أن الشهرة بالفضل والكمال مع حسد الأقران و طعن الجهالة كالشخوص مع الظلال لا يفترقان في غالب الأحوال سنة الله التي قد خلت في عباده خذ من ابينا آدم عليه السلام و أمر بنظرك من مضى من الاعلام إلى هذه الأيام فهل ترى فيهم أحداً لم يبتل بذلك كلا و لذلك قيل (شعر)أن يحسدوني فإني غير لائمهم *

فبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا فالحسد من الجهال هو علامة وجود النعمة في المحسود من الملك المتعال فإنه لولا النعمة لما وجد الحسد ولذا قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى و استحقر من لا يحسد و لا يقذف واستقصر من بالكفر و الضلال لا يعرف ولله در القائل (شعر) ، و أسوأ أيام الفتى يوم لايرى * له أحد يزرى عليه و ينكر (وقال) الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه التحدث بنعمة الله و مما أنعم الله به على أن قام لي عدوا يؤذيني و يمزق في عرضي ليكون لي أسوة بالأنبياء و الأولياء قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون رواه الحاكم و قال كعب الاحبار لأبي موسى الخولاني كيف تجد قومك لك قال مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التوراة إذا و ايم الله ما كان رجل حليم في قوم قط إلا بغوا عليه و حسدوه رواه البيهقي ثم قال، و اعلم انه ما كان كبير في عصر قط إلا كان له عدو من السفلة إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف فأعداء الأنبياء معروفة ثم أخذ يعد من ابتلى بشماتة الأعداء من الصحابة و من بعدهم و مختصرنا هذا لا يتحمل ذكرهم و من له أدنى إلمام بالتواريخ و التراجم لا يخفى عليه أحوالهم حتى قيل لا يكون الصديق صديقاً حتى يشهد سبعون صديقاً بأنه زنديق (فإذا تمهد ذلك) فاعلم أن للإمام الرباني قدس سره من ذلك حظاً أوفى و نصيباً أوفر كيف لا فإنه مجدد الألف الثاني و هل يتيسر التجديد بالسهولة بلا تغيير هذا و انكار ذاك و تقبيح هذا و توبيخ ذاك هيهات فإن التجديد هو تغيير الأطوار و الهيئات و إزالة المنكرات و الهنات و تبديل السيئات بالحسنات مع شيوع أنواع البدع و الخرافات وفشو أصناف الضلالة و الخزافات خصوصاً المقلدين بأرباب التوحيد الوجودي فإنهم كانوا انتشروا في جميع الآفاق و خلعوا ربقة الشريعة عن الاعناق و كانوا ينقلون الكلمات المشعرة بظاهرها بالتوحيد الوجودي عن الجنيد و أبي يزيد البسطامي و اضرابهما من أكابر الصوفية لتأييد مذهبهم الباطل وترويجه بين العوام كالأنعام فكان الإمام الرباني قدس سره يرد عليهم بالشدد ويصرح بأنهم الملاحدة و الزنادقة حقاً مقصودهم أبطال الشريعة الغراء و لم يبال أيضاً من تخطئة الجنيد و أبي يزيد فيما اعجزه تأويل كلامهما و توجيهه كما ستطلع عليه في أثناء مكاتيبه (قال) مولانا شاه عبدالعزيز ابن شاه ولي الله الدهلوى رحمهما الله سبحانه و تعالى و لما استوت هذه الطريقة يعني معرفة التوحيد ونضجت وسلك بعض ناقصي الفهم طريق الالحاد في فهم كلمات عرفاء الطريقة بمرور الأزمنة

واتخذوا هذه المعرفة الغامضة و سيلة لابطال الشريعة و تكليفهاتها و شاع مذهب بعض الشيوخ الذي كان بظاهره واضعاً قدمه في وادي الالحاد شيوعاً تاماً وراج بين الناس رواجاً عاماً أظهر عناية الحق سبحانه حضرة الشيخ أحمد السهرندي قدس سره في الوجود و ألقى إليه علوماً غريبة ليكون من قبيل تعديل الحار بالبارد و الرطب باليابس حتى تستقر و تترشح الهيئة الاعتدالية في أذهان الناس و يرتفع الباطل الممزوج بالحق بالكلية وهذا هو مصداق معنى المجددية اهـ و من كان شأنه هذا هل يسلم من اذية الناس و طعنهم فيه و بهتهم اياه و افترائهم عليه كما قال الإمام قدس سره هذا الكلام في بعض مكاتيبه و ضم إلى ذلك اجتماع الجم الغفير من الفضلاء و العلماء و الكملاء تاركين طرقهم التي كانوا سالكين اياها قبل و لا حاجة إلى بيان ما يحصل لمشايخهم الأول لذلك من الحقد و الحسد و الضغينة في حق الإمام قدس سره فيما هنالك واختراع المكائد و الحيل لإلقائه في المهالك تارة باغراء الناقصين بأنه يهين كبراء المشايخ الكرام كالجنيد و شيخ بسطام و تارة بتنفير القاصرين بأنه ينكر التوحيد الوجودي الذي هو المتفق عليه بين المتأخرين من المشايخ الاعلام و تارة باغفال المخلصين بأنه ينكر مشائخه العظام و يدعي الأصالة في الوصول إلى الملك العلام وتارة بأنه ينوي الخروج عن طاعة الإمام إلى غير ذلك من الافترآت و أنواع البهتان التي لا تصدر عن فرد من أفراد أهل الإسلام (أماماً) تقولوا عليه في حق المشايخ الكرام فهو افتراء محض في حق هذا الإمام فإن من تتبع كلامه يجده مشحوناً بتعظيمهم غاية التعظيم ويقر بفضل الاسلاف العظام غير أنه لما رأى تشبث بعض المبطلين ببعض كلمات هؤلاء الكبراء كان يؤل كلامهم بتأويل حسن و يوجهه بتوجيه مستحسن و إذا اعجزه التأويل كان ينسبهم إلى الخطأ في الكشف و يردفه ببيان أنه صدر منهم في أوائل حالهم و أنهم جاوزوه إلى مراتب كثيرة في نهاية كما لهم و إنهم معذورون في ذلك الخطأ الكشفي بل مأجورون كالخطأ الاجتهادي و هكذا قال أيضاً في مسئلة التوحيد الوجودي يعرف ذلك من تتبع كلامه بالانصاف و ابعد عن نفسه الاعتساف فأين الإهانة و أين الإحتقار و أين النفي و أين الإنكار بل إنما فعل ذلك حفظاً لقاموس الشريعة الغراء و صونا لساحة هؤلاء الكبراء عما كان ينسبه المبطلون إليهم و يتقولونه عليهم ونصحاً لهؤلاء المبطلين و غيرهم ممن عساه أن يقتدي بهم في ذلك و يتمذهب بمذهبهم الباطل فيما هنالك فهل يعد هذا من المثالب أو من أعلى المناقب وأسنى المطالب و لكن لما كان ديدن أرباب الأغراض إثارة الفتن و الشرور كانوا لا يحاشون من ارتكاب أنواع البهتان و أقوال الزور و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور (قال) بعض الفضلاء أن أقوى سبب هيجان هذه الفتنه هو إنكار التوحيد الوجودي و إثبات التوحيد الشهودي فإن استماع أكثر الناس و أذهانهم كانت مملوءة بمسئلة التوحيد الوجودي منذ أربعمائة سنة يعني من عهد الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي إلى عصره قدس سره و إنكار حضرة المجدد مسئلة وحدة الوجود ليس كإنكار علماء الظاهر بل هو يصدق المقام الذي يتكلم فيه الوجودية ويسلمه و يقول أن المقصود الحقيقي فوق هذا المقام و يثبت الغيرية بين الحق والخلق على نهج لا يكون محلاً لوحدة الوجود الحقيقي المتحقق في الخارج الحقيقي بخلاف الوجودية فانهم يثبتون العينية بين الحق و الخلق اهـ و هذا الكلام كلام من حقق كلام الإمام و ظفر بغاية المرام و من تتبع مكتوباته المتعلقة ببيان هذه المسئلة مبتدئاً من المكتوب الحادي و الثلاثين من المجلد الأول إلى آخر المكتوبات الشريفة يظهر له أحوال الإمام

قدس سره في هذه المسئلة و غيرها ظهور الشمس في برجها (و أما حديث انكار مشائخه العظام) و دعوى الوصول بلا واسطة احد إلى الملك العلام فهو أيضاً من افتراءات الحسدة اللئام حاشاه من ذلك ثم حاشاً نعم قد بين المكتوب السابع و الثمانين اسرار المريدية و المرادية فأخذ بعض أرباب الغرض من بعض عباراته هذا الذي إدّعوه عليه كذباً و بهتاناً مع إقراره فيه بوجود التوسط و الوسائط في طريقة المريدية كما لا يخفى على الناظر فيه و من جملة من كاد يزل قدمه فيه الشيخ عبدالحق الدهلوي رحمه الله تعالى لولا أن تداركه الله سبحانه بلطفه كما قدمنا و قد أجاب عنه الإمام قدس سره في المكتوب الحادي و العشرين و المائة من المجلد الثالث فراجعه إن شئت (و أما مسئلة الخروج) عن طاعة الإمام فحاشا من ذلك فإنه قدس سره كان أول من ينصح الناس بطاعة الإمام و إنقياد الحكام و الاتفاق والالتيام التام و يحذر سوء عواقب المخالفة و المجادلة و إخلال الاستسلام و لكن لما كان هذا الأمر من آلة العجزة من اخذ الثأر و الانتقام و سريع التأثير في بلوغ المرام للحسدة اللئام صار الاعداء يتشبثون باذيال هذا السبب بكل وجه ممكن و لم يألو جهداً في تهييج الخاطر و لو من رجل متمكن و قد كان أكثر اركان دولة سلطان الوقت جهانكير خان حتى حرمه و الوزير الأعظم من الرفضة و كان المفتي أيضاً منهم و كان سهام الإمام الرباني قدس سره مفوقة نحوهم دائماً و كان لا يخلو من درهم و تجهيلهم و تحميقهم و تسفيههم دائماً كما لا يخفى على من طالع مكتوباته قدس سره زيادة على صنفه من الرسالة المستقلة في درهم حتى قيل أنه ارسل هذه الرسالة إلى عبدالله خان الأوزبكي الجنكزي أكبر خوانين الأزبك في بخارا أو أشهرهم ليعرضوها على الروافض في بلاد العجم من الصفوية و كان كبيرهم وقتئذ شاه عباس المشهور فإن قبلوها فبها و نعمت و إلا فيجوز قتالهم و سبي ذراريهم ففعله عبدالله خان المذكور و أخذ الهراة و بلاد خرسان منهم بعد أن مضت من استيلائهم عليها قريباً من مائة سنة و صار يحاربهم دائماً و يسبي ذراريهم و يوصلهم اضراراً كلياً إلى آخر عمره كما هو مشهور في التواريخ و كان ضغائن الروافض و احقادهم عليه قدس سره بهذه الأسباب مما لا يمكن وصفه بحيث لو ظفروا به لمزقوه تمزيقاً و كانوا ينتهزون الفرصة لذلك و لما بلغهم ما عليه الحسدة اللئام فرحوا به و اتفقوا معهم على نصب شراك المكائد والمكاره و وشوا به إلى السلطان الذي كان قلماً يفيق من السكر بواسطة مقربية من الروافض قائلين بأنه يدعي التفوق على الكل حتى على الصديق وأظهروا له المكتوب الحادي عشر من المجلد الأول من جملة عرائضه على شيخه في بيان ما ظهر له من الوقائع في أثناء سيره تصديقاً لزعمهم في دعواهم فأرسل إليه السلطان يطلبه عنده مع أولاده و أكبر خلفائه لإهلاكهم فأرسل إليه شاه جهان ولد السلطان المذكور واحداً من خواصه مع المفتي عبدالرحمن و معهما الرواية الفقهية في جواز سجود التحية للسلاطين قائلاً بأنه لو سجد للسلطان فأنا متكفل خلاصه من شر السلطان و كان مخلصاً للإمام الرباني و خبيراً بأن الاعداء إنما يظفرون ببلوغ مناهم من تركه السجود للسلطان فلم يقبله الإمام قائلاً بأن هذه رخصة و العزيمة تركه و لا ملجئ إلى هذه الرخصة خصوصاً لمن يقتدى به غيره و الموت حق لا منجأ منه فترك أولاده و أكابر أصحابه احتياطاً و توجه بنفسه مع بعض أصحابه فلما دخلوا على السلطان سئله عن مضمون المكتوب المذكور فأجابه جواباً مقنعاً حيث لم يكن أهلاً لدرك الحقائق و الاسرار فطاب وقته و أمره بالإنصراف مصحوباً بالسلامة فلما رأى الحساد أن قلب السلطان

قد طاب و أن سعيهم قد ضاع وخاب فلبوا ظهر الجن وقالوا للسلطان أنه مستحق للأذية و المحن فإنه كثير الأتباع وقوي الشوكة لو تخلص من هنا لاحدث الاختلال و الفن أما ترى إلى استكباره عليكم و استخفافه بكم حيث لم يسجد سجود التحية بل و لا حياكم بالتحية العادية و كان الإمام على ما قيل لم يسلم عليه وقت دخوله لكونه سكران فاثر فيه هذه السعاية و ظهر بصفة الغضب و الغواية و سلب عن نفسه حلية الرعاية و بعد أن جرى الكلام في حقه بين أهل المجلس و دار أمر السلطان بحبسه قدس سره في قلعة كوالبار المشهورة بغاية الحصانة و المتانة في تلك الديار فحبس في المجلس المذكور جناب الإمام كما يحبس سواجع الحمام في قفص الكتام و استترت طلعته البهية من الأنام كما يستتر أنوار بدر التم بحجب الغمام و في ذلك يقول سحبان الهند السيد غلام على المتخلص بازاد (شعر) لقد برع الاقران في الهند ساجع * و جدد فن العشق يا للمغرد فلا عجب أن صاده متقنص * الم تر في الاسلاف قيد المجدد هذه المعاملة لله سبحانه حكم خفية و مصالح جليلة فهي محنة جلية و منحة جزيلة (منها) إن الإمام الرباني قدس سره اطلع بالكشف الصحيح أن وراء ما بلغه من المقامات مقامات آخرى كثيرة عالية جداً وأن الوصول إليها موقوف على التربية الجلالية وقد كانت تربيتها كلها بطريق الجمال و أنه ادرك بالكشف أيضاً أنه ينالها بعد أن يتربى بتلك التربية فأخبر أصحابه يوماً أنه يصيبه بلاء و محنة فيما بين الخمسين و الستين ليحصل له تلك المنحة فوقع الأمر كما أخبر و نال من تلك المقامات حظاً أوفر (و منها) أن الوفا من الكفار و الوفا من الفساق و الفجار المحبوسين قد تشرفوا بشرف الإيمان والإسلام و التوبة إلى الله سبحانه من جميع المعاصي و الآثار وصار بعضهم من الفضلاء الاعلام كل ذلك ببركة قدومه قدس سره في الابتهاج التام ذاك المحبس الظلام حتى قيل أن واحداً من كبراء أمراء الهنود المجوس الذي كان حاضراً في مجلس السلطان و قت تشريف صاحب الأيقان أسلم في ذلك المجلس لما رأى من شدة صلابة الإمام قدس سره في الدين و طعرضه للموت بعدم المبالاة بشدة غضب السلطان لتيقنه أن ذلك لا يكون إلا من شدة قوة الإيمان و استيلاء نور الايقان و قيل أن وزير السلطان عين لتوليـة حراسته في الحبس أخاه و كان من غلاة الروافض قصدا بذلك اجراء كمال الشدة بالإمام فلما رأى منه المذكور أنواع الكرامة و عدم الانزعاج و كمال الوقار بل المحبس تاب إلى الله تعالى و نفض عن نفسه غبار الرفض و تحلى بحلية السنية و صار من جملة المحبين و المخلصين فيها لما من نعمة جزيلة في صورة نقمة جليلة و لهذا كان الإمام قدس سره راضياً من السلطان و ممنوناً من معاملته هذا و داعياً له بالخير و كن بعض أصحابه يقصدون الإيقاع بالسلطان و كانوا مقتدرين على ذلك و لكن كان الإمام يمنعهم مما هنالك في النوم و اليقظة و يأمرهم بالدعاء للسلطان بالخير حيث صار سبباً لحصول ما كان يتمناه طول عمره و يقول أن اضرار السلطان اضرار بجميع الخلق يعرف صدق ذلك بالمراجعة إلى مكاتيبه التي بنقل الثقات أن شاهجان ولد السلطان جهانكير لما خرج على ابيه بطلب السلطنة و لم يتيسر له الفتح و الظفر مع كثرة اتباعه و كون أمراء ابيه معه في الباطن شكا حاله إلى واحد من أولياء عصره فقال أن الظفر موقوف على اتفاق اربعة من اقطاب ذلك الوقت عليه و قد إتفق ثلاثة منهم عليه دون الرابع و هو أكبرهم و هو حضرة الإمام المجدد قدس سره فجاء عنده و التمس منه الدعاء بالفتح و الظفر فمنعه الإمام الرباني من مخالفة ابيه و نصحه و أمره بالرجوع إلى موافقته وبشره بصيرورة السلطنة إليه عن

قريب بعد موت ابيه فقبل كلامه ورجع أمره فكيف يسند الحسدة إليه الخروج عليه قاتلهم الله أنى يؤفكون فلما اعتكف الإمام في القلعة المذكورة عدة من الأعوام قيل ثلاثة و قيل اثنان ندم السلطان عما فعله في هذا الشان لأسباب يطول شرحها فأخرجه من الحبس و اكرم و أحسن إليه بأنواع الإحسان و صار من جملة المخلصين والإخوان لكن أمره بالإقامة في معسكره مدة من الزمان ثم أطلق سراحه وأعاده إلى وطنه محفوفاً بالإجلال أو الإحترام فعاد بالوف من الفتوح على ما كان فيه أولاً من الأحوال والمقامات التي يعجز عن وصفها ألسنة الأقلام و لا يُدركها إلا من كان له من الله الألطاف الخفية و أنواع الفتوح فصار يصدر عنه قدس سره من الحقائق و الدقائق و المعارف والأسرار ما لا يقدر على فهمها و دركها إلا أولاده العظام و خلفاؤه الكبار فتم بها مكاتيبه الشريفة ثلاث مجلدات كبار و لذلك ترى ما اندرج في المجلد الثالث غير لائق بكل سالك سيار بل لابد لإدراكها في الجملة من اكتحال بصر البصيرة بكحل العناية و الأنوار بل لا بد له من امداد روحانيته قدس سره كما اقربه المشايخ ذوو الكمالات و الاستبصار و الله الهادي إلى سبيل الرشاد و منه المبدأ و إليه المعاد (و إنما) اطنبنا في بيان كيفية هذه الواقعة لأمرين (احدهما) أن بعض المنكرين اشاعوها بوجه آخر مخالف للواقع فأردنا إظهار حقيقة الحال (و ثانيهما) اعلام أن الأولياء الكبار بل الأنبياء العظام لم يزالوا مبتلين بأنواع البلية و المصائب ليتأسى بهم أولياء زماننا و صلحاؤهم و يتسلوا ولئلايسيء عوام زماننا ظنهم بأولياء عصرهم إذا رأوهم مبتلين بأمثال هذه البلية و هذا اراه من اللوازم لمن يشتغل بنشر مناقب الصالحين و اكثر الناس اهملوه بل كتبوا أوصافهم الملكية دون لوازمهم البشرية فظن العوام أنهم منسلخون منها بالكلية فتعلقت بهم محبتهم التامة ثم نظروا إلى من اشتهروا في عصرهم بالصلاح و التقوى والولاية فوجدوهم متلبسين باللوازم البشرية فساء ظنهم بهم فتضرروا ضررا كليا حيث حرموا من بركاتهم بل صاروا في مقام الطعن فيهم وقدحهم و ذمهم و لم يدروا أن الأسلاف أيضاً كانوا كذلك ما داموا في الدنيا و لم يشعروا أن هذه اللوازم البشرية هي القباب الالهية المذكورة في الحديث القدسي أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري كما قال الإمام الرباني قدس سره و من هذا القبيل صدور بعض الزلة من بعض المشهورين بالصلاح والولاية فإنها ربما تكون في حقه سبباً لترقيه كما بسط هذا الشيخ محي الدين ابن عربي قدس سره في موضع من فتوحاته قال في الحكم معصية أورثت ذلاً و افتقاراً خير من طاعة و أورثت عزاً و استكباراً فاعلم ذلك و ظن خيراً بأولياء الله ولا تسئ الظن بهم بسبب ما صدر عنهم احياناً من الزلة بناء على حكم و مصالح و اعتقد انهم غير معصومين و الله سبحانه يتولى هداك (ولما) نال الإمام قدس سره من الله ما أمله و بلغ ما أم له و بلغ الكتاب أجله ناداه منادي الحق فأجاب النداء و انضم بالرفيق الأعلى والتحق و كان ذلك يوم الثلاثاء الثامن و العشرين من صفر سنة اربع و ثلاثين و ألف و دفن في مقبرة سهرند روح الله تعالى روحه و نور ضريحه ونفعنا ببركة انفاسه الشريفة و محبته المنيفة ورزقنا من شفاعته و حشرنا تحت لوائه مع محبيهم وجماعتهم آمين و تاريخ وفاته رفيع المراتب و هذا الرباعي أيضاً على سبيل التعمية (رباعي) آنك بخموشي سخن آموخت مرا * نارفت بدامان عزادوخت مرا* مي جسبت بكريه دل زسال سفرش * ابر آمسد و كفتاغم دل سوخت مرا *(المنظرة السادسة في بيان من انكره بعد فوته و من مدحه و اثنى عليه . اعلم) أن الناس كما كانوا في حقه فرقتين في حياته بسبب

اختلاف المشارب و الاغراض والمقاصد كذلك افترقوا في حقه بعد فوته أيضاً على هاتين الفرقتين للأسباب المذكورة فمن مبغض قادح و محب مادح و أن كان بين الفريقين بوناً بعيداً بأن كان الأول شقياً والثاني سعيداً فهذا في الجنة وذاك في السعير (قال) الشيخ ولي الله الدهلوى و لقد جرت على الإمام قدس سره سنة الله تعالى و عادته في انبيائه من قبل بإيذاء الظلمة والمبتدعين و انكار الفقهاء المتقشفين و ذلك ليزيد الله في درجاته و يلحق به الحسنات من بعد وفاته إلى أن قال وبالجملة قد بلغ امره إلى أن لا يحبه إلا مؤمن تقي و لا يبغضه إلا فاجر شقي فلا حاجة بنا إلى الذب و الدفع عن الإمام الهمام رضي الله عنه و لا إلى إقامة الدلائل العقلية والنقلية على جواز ما ادعاه اهـ بأدنى تغيير يعني أن حقيقة ما عليه الإمام قدس سره ظاهرة و بينة بطلان ما عليه الخصم و لا شينيته ايضاً جلية ومستبينة و أنوار معارف الإمام منتشرة و منبسطة في جميع الآفاق و الأقطار لا يقدر الخصم العنيد على سترها بغيوم الجحود و الإنكار بل كان انكارهم سبباً لشدة ظهور ذلك النور و زيادة الانتشار والله در من قال (شعر) و إذا أراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود فإن المنكر كلما أظهر شيئاً من سم الانكار و الاعتراض على معارفه السامية أظهر المحبون ترياق أجوبة متعددة و استشهدوا لها بشواهد كثيرة شافية حتى بلغت عدد الرسائل المصنفة من طرف المحبين سبعين رسالة بل زاد على ذلك و أجل ما صنف في هذا الباب رسالة عطية الوهاب الفاصلة بين الخطأ و الصواب للشيخ محمد بك الاوزبكي المكي أفاد فيها كل الإفادة و أجاد غاية الإجادة بحيث أنه هدم بنيان أباطيلهم من الأساس و ارسل إليهم ابابيل الرد و لم يترك لهم مجال رفع الرأس صنفها رداً لرسالة بعض المعاندين في ذاك العصر و قرضها اساطين علماء ذلك الدهر حتى انمحى إنكار المنكرين و اضمحل عناد المعاندين و أنا تركت إثبات الرسالة المذكورة في هذا المحل فان غرضنا الآن ذكر من مدح الإمام و معارفه لا لجواب ورد أهل الشنآت و تركت ذكر أسامي المنكرين و نقل أقوالهم عملاً بقوله صنعم اذكروا محاسن موتاكم و كفوا عن مساويهم و لعلهم تابوا و أنابوا و تاب الله على من تاب و من اصر فقد خاب ورجع بخفي حنين و آب و من تصدى لإظهار الإنكار فأشبال الإمام المعنوية موجودون في كل غاب حاضرون للانتصار بكمال النشاط و الترحاب إلا أني أثبت هنا تقاريظ العلماء المذكورين لكونها مشتملة على فوائد جمة و عوائد مهمة تنكشف لها كل مشكلة مدلهمة و لكون اربابها من فضلاء ذلك العصر و كملاء ذاك الدهر يوقف عند اقوالهم و يقتدى بأفعالهم (فمنها) تقريظ شيخ الإسلام المفتي ببلد الله الحرام مولانا المرحوم المبرور الإمام العلامة عبدالله عتاقي زاده رزقه الله الحسني و زياده (قال) رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين رب زدني علماً الحمد لله المانح للصواب و الموفق للاصابة في الجواب و نشكره أن برأنا من الأغراض و طهر قلوبنا من نكتة الران و اكنة الأمراض و نشهد أن لا إله إلا الله الهادي المنعم بما يرضيه و نشهد أن سيدنا و مولانا محمد صلى الله عليه و سلم عبده و رسوله القائل من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه و نصلي و نسلم عليه و على آله و أصحابه الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر صلاة و سلاماً دائمين ما تكررت العشايا و البكر (أما بعد) فقد اخبرني الجم الغفير الثقات و البالغون حد التواتر مقبول الروايات بأن أولاد الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي النقشبندي و مريديهم الموجودين الآن سالكون مناه الشريعة المستقيمة ملازمون الطاعة و الجماعة

على الطريق الحنفية السهلة القويمة و الهم اخذوا الطريقة المذكورة عن والدهم المذكور وليس فيها ما يخالف الشريعة الغراء و يوقع في محزور و هذا مما لا مرية فيه و لا ريب لأنني احطت علماً بآداب الطريقة النقشبندية و اخذهّا عن جماعة زهاد اجلاء عظماء و إذا تقرر هذا فليعلم أن للشيخ أحمد مكتوبات واقعة باللغات الفارسية مبنيه على قواعد السادات الصوفية باصطلاحاتهم المرضية بل له رضي الله عنه اصطلاحات خاصة رضية و لا مشاحة فيها و قد تصدى بعض مبغضي الطريقةالنقشبندية و الشيخ المذكور و عرب بعض مواضع من المكتوبات و حرف و غال بما يوجب القيل و القال و صدره بالسؤال و طلب مني الكتابة عليه قبل كل فأمتنعت تديناً وقد الح على مراراً كثيرة فاجبته بالحديث السابق من خير إسلام المرء تركه مالا يعنيه ثم زاد في اللجاج و قال اسئل عمن سب و نقص و ذكر كلا ما لا يستطاع ذكره على لسان مسلم و لو حكاية فحينئذ اجبته شفاها باللسان بما هو مقرر عند ادنى الطلبة و في جميع الكتب في باب الردة و طلب الكتابة ايضاً من جماعة علماء اتقياء حنفية و شافعية فلم يوافقوه على ذلك بل أجابوه بالحق المخالف لهواه و كتب عليه شخص من الفضلاء اخذ بظاهر الفاظ التعريب المحرف مع امكان التأويل ووافقه جماعة ممن لا يعبأ بهم وزاد بعض جهال في الهذرمة و طغى و بعضهم نقش ما رسم له فحاكاه كالببغاوليته أن كتب فهم و هل يفهم و لو ظفر بكتابة الموافق الجاهل المتعنت لا جرى عليه مقتضى لفظه شرعاً أن لم ينكره لأنه عرض بالعلماء الأجلاء الذين لا يصلح أن يكون تلميذاً لهم فعليه من الله ما يستحقه و قد اعتذر عنهما بعض العلماء الأجلاء في تعريضه و لولا عنه و جهل الأول و جهل الثاني لحكمنا بكفرهما و لكن لما كانت لهما نوع عذر باعتبار أن العوام لا يكلفون إلا بمعرفة المسائل الجلية دون المسائل الخفية هذه المسئلة من المسائل التي تخفي على مثلها من العوام اعرضنا عن حكم بذلك و لكن مثل هذين الجاهلين ينبغ تاديبها و زجرهما عن الخوض فيما لا وصول لأذهانهما إليه اهـ فما احسن هذا الاعتذار الاعتذار الدال على جهلهما المبين لحالهما و ما للكاتب من الإعتذار و الله دره و مع هذا فقد محوا ما كتباه و انكراه بغاية الذلة و الاستغفار و يكفيهما ذلك خزياً و تعزيراً في سائر الاعصار قال علماؤنا انكار الكفر توبة و قد رد بعض الأفاضل على هذا المعرب المتبع لهواه المحرف لكلام الشيخ بالتعريب و مزجه بالدسائس و زيف كلامه وكلام من يعد فاضلاً و رسد كلام الشيخ المذكور بلفظه الفارسي و عربه بالواقع فأطال و حسن التأويل و المقال و قرظ عليه جماعة علماء أجلاء و إلا حرى ترك التعريب المحتاج إلى التأويل لأن لبعض الألفاظ إذا وقعت فارسية حكماً و إذا وقعت عربية حكماً آخرقال علماؤنا في أماكن متعددة من كتب الفتاوى ذكر عالمة المذهب قاضيخان في فتاواه المشهورة في الشروط المفسدة للبيع رجل اشترى شيئاً على أن يحمله البائع إلى منزل المشتري ان قال ذلك بالعربية لا يجوز و ان قاله بالفارسية جازلان العربية تفرق بين الحمل و الإيفاء و الفارسية لا تفرق و يكون الحمل بمنزلة الإيفاء اهـ و الحاصل أن ألفاظ المكتوبات الصادرة من الشيخ باللغة الفارسية بإصطلاح القوم و لسانهم حيث كانت سالمة عن وصمة قائلها شرعاً و المحذور فيها و لو بوجه ضعيف لا يلتفت إلى التعريب المخل المحتاج إلى التأويل بل يترك كلام المتكلم بلفظه عربياً أو فارسياً الخالي عن التعريب لموافقة الشرع الشريف كما أخبرني من تقدم و لا نتكلف لتعريبها و إن لم

يتغير معناها و مدلولها فكيف مع التغيير الموقع في محذور لو فرض و لا يقدح في الشيخ تعريب ذلك المتعنت مع براءته كما ذكرى وليت شعرى أي حاجة داعية إلى التعريب لنكفر به مسلماًما هذا إلا جراءة و افتراء بلا مراء فإن تكفير المسلم أمر عظيم قال في البحر ناقلاً عن الفتاوى لصغرى الكفر شيء عظيم فلا إجعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية أنه لا يكفر اهـ ثم قال فيه قال في الخلاصة إذا كان في المسئلة وجوه توجب الكف ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسيناً للظن بالمسلم اهـ ثم قال و الذي يحرر أن لا يفتي بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف و لو رواية ضعيفة و هذا الذي ادين الله به و اعتقده ثم أن الفقير في شغل شاغل من مثل هذه الخرافات و الكتابة عليها و التقريظ و الموافقة بالواقعات اليومية المتعين على بيانها بأمر الدولة العلية ادامها الله تعالى وادام احسانها على سائر البرية و إنما أخبرني من تقدم ذكره أن وقع من التعريب و التحريف و الكتابة عليه و الموافقة لو ظهر واصغي إليه مسمع أهل العناد لاقام الفتنة النائمةالداعية إلى الفساد و تخريب البلاد و اضرار المسلمين و العارفين و العباد والعلماء و الزهاد و المشايخ الأمجاد و طلب مني كتابة ما تيسر لدفع هذه المضار العديدة بألفاظ و جيزة مفيدة فوجبت علي يعني الكتابة و سطرت ما ذكر لحق الدماء و الانتصار للعلماء و الصلحاء و المشائخ الاتقياء و الله سبحانه نسأل أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه و يصون لساننا و قلمنا عن اضرار الناس و لا يجعلنا ممن يطيع هواه قال ذلك الفقير إلى الله تعالى عبدالله عتاقي زاده الحنفي القائم بخدمة الفتوى بأم القرى مكة المشرفة عفى عنهما بمنه و بكرمه حامداً مصلياً مكبراً مهللاً تم (قوله) إلاحرى ترك التعريب إلخ (قلت) هذا إذا كان لغرض نفساني بالتحريف أما إذا كان لغرض صحيح سالماً عن التحريف فلا مانع من ذلك و به جرت عادة العلماء قديماً و حديثاً و الله يعلم المفسد من المصلح و هو أعلم بكل شيء (و منها) تقريظ العلامة الشيخ حسن ابن الشيخ محمد مراد التونسي المكي و هو مقدار كراسة سماه بالعرف الندي من نصر الشيخ أحمد السهرندي قد ادرج فيه عوارف المعارف و ضمنه لطائف المنن و من اللطائف و هو حرى بأن يُقال أنه من الفتوحات المكية أو من الألهامات الملكية قال رحمه الله تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ و به العون الحمد لله الذي اوضح لأحبابه سبل الهدايات * و فتح لهم باب الفهم عنه بسابق العنايات * و عصمهم من طريق الهوى و طرق الغفلات و الغوايات * خصهم بتشريف المكالمات و لطيف الإشارات * و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رسول من فطر الأرض و السماوات * إلى كافة الخلق بالدلالات * الواضحة و الآيات البينات * (و بعد) فأني قد كنت وقفت على سؤال ورد من جماعة من الهند مضمونه ما قول العلماء في حق أحمد السهرندي الكابلي القائل كذا و كذا بألفاظ كثيرة مسطورة في السؤال مدعين أنها نقلت من كتابه المشهور و قد كتب عليه إذ ذاك جماعة قائلون بكفره اغتراراً بظاهر بعض الألفاظ ولغير ذلك فلما تأملته ظهر لي بحسب ما و صل إلي و ما قدر لي إذ ذاك من الفهم أن بعض عباراته لا يصدر إلا من عارف إن بعضها غريب في تلك المنازل لا يصدر إلا من مجازف بل بعضها يؤدي إلى الكفر لا محالة فلذلك أمتنعت من الكتابة بعد الالحاح علي في طلبها و حمدت الله سبحانه على ذلك إلى أن اراد الله سبحانه و تعالى إظهار الحق و محاق الباطل فحرك لذلك علماً يقال الشيخ محمد بك فكتب رسالة ميز فيها ألفاظ الشيخ المذكور رحمة الله عليه عن غيرها و بين أن كتابه إنما

هو بألفاظ فارسية و إن فيما عرب منها في السؤال تغييراً بالزيادة و النقصان و تبديل بعض الألفاظ بالمكر والطغيان و نقل عبارات الش بأعيانها من الكتاب المذكور إعانة لمن طلب الوقوف عليها و اظهاراً لما هو الصواب و تبرعاً بالجواب عما اشكل ظاهرة منها اذ لم يكن ذلك واجباً عليه و لا مندوباً كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ثم ارسل بها إلى لأكتب عليها وحيد دهره و فريد عصره شيخنا و بركتنا الشيخ أحمد البشبيشي ادام الله تعالى النفع به و فسح لنا في مدته آمين فأعتذرت إليه مراراً و رمت بذلك فراراً فزاد الالحاح و تقوى الاقتراح فالزمت نفسي العمل بمقتضى قوله (شعر) ما لا يكون فلا يكون بحيلة * ابدا و ما هو كائن سيكون سبق القضاء بما يكون بعمله *فهو مقصدها في جميع انحائها لا تسكن إلا لديه و لا تركن إلا إليه و لد تفيض الأعين و تتحرك القلوب والألسن و لولا يحول بينه و بينها من آثار الرعونات و شدة ميلها إلى الشهوات لما انفكت عنه قتاً من الأوقات فلذلك قوى الأرجاء في الرجوع إليه ووقوع الأتفاق عليه وحينئذ فلا يخفى على كل لبيب يقظ أن الشيخ أحمد السهرندي الكابلي و لي من أولياء الله تعالى و له قدم راسخ

بمحافظته على الشريعة و مناظرته أهل الحقيقة و الدليل على ذلك أما محافظته فلما شاع وذاع من شهرة علمه بإنتشار تلامذته و تلامذة تلامذته و اولاده و حفدته كلهم علماء و منهم من بلغ درجة الأكابر حتى عزله النظير في غالب البلاد كاسلامبول و ما وراء النهر و قد منهم جماعة إلى الحرمين الشريفين ممن بلغ مكة منهم العلم المشهور الشيخ فرخ قد كثر متابع له بها إلى الآن فأنه كان المرجع بها و منهم قطب اوانه والنموذج زمانه شيخنا و بركتنا الشيخ محمد قاسم اللاهوري قدس سره وروح ضريحه آمين قرأت أنا ورفيق لي عليه في المطول و اخبرنا انه ختمه تدريساً نيفاً و ستين مرة و منهم الشيخ المتفنن النقشبند نزيل عين الزمان مددنا و بركتنا شيخنا الشيخ محمد بن سليمان كان يعظمه و يكرمه غاية الأكرام و ما ذاك إلا رعاية لمقام الشيخ أحمد رحمه الله بإكرام كل من ينتسب إليه لما عنده من زيادة العلم بكمال فضله و تحقيق مقامه بمقتضى لا يعرف الفضل إلا ذووه و منهم العلامة الشيخ محمد مراد ذكرانه الآن بإسلامبول يدرس بها و أنه ذو اتباع و منهم الشيخ المحقق العارف بالله تعالى الشيخ بدر الدين و منهم العلامة الشيخ يوسف الدين و منهم الولى العارف بالله تعالى الشيخ محمد معصوم ذكرلي بعض الإخوان من مدرسي مكة المشرفة من أبناء الروم أنه اجتمع بهؤلاء الثلاثة و كان كثيراً ما يذكر الشيخ بدر الدين و يقول ما رأيت في زماننا هذا مثله في كثرة علمه و عمله و مداومته على الذكر و أما الدليل على مناظرته لأهل الحقيقة فإن من له أدنى فهم يدرك ان عبارات كتابه أهلنا الله سبحانه و تعالى بفهمها و جعلنا من طلابه ليست جارية على اصطلاح الفقاء لأنها لا تصدر إلا عن أرباب الأحوال فهي دالة على أنه من أهل الحقيقة عند من بصره الله تعالى لأن الكلام صفة المتكلم وقد قالوا اعرف الرجال بالحق و لا تعرف الحق بالرجال و قال الشيخ زروق في شرحه لحسب الشاذلي رحمه الله تعالى و اعلم أن الكلام صفة المتكلم و ما فيك اظهر على فيك لي أن قال و بالجملة أن احزاب المشائخ صفة احوالهم و نكتة مقالهم و ميراث علومهم و أعمالهم و بذلك جروا في كل امورهم لا بالهوى يعني أن جميع أقوالهم و أفعالهم ليست مقصودة لهم بنوع تكلف أو نوع تصرف كما يدل عليه كلام الشيخ القشيري الآتي بل جميع ما يقع منهم من الحركات و السكنات تصدر عنهم بحسب احوالهم فهي آثارها الدالة عليها لا محالة فظهر بهذا لمن ثبته الله تعالى و نور

بصيرته أن سيدي الشيخ أحمد رحمه الله تعالى ثابت القدم فيما تقدم على أن جماعة منهم لم يصنفوا كتاباً حرصاً على أمتثال ما كلفوا به من كتمان هذه العلوم كما سيأتي انشاء الله تعالى قال ابن عطاء رحمه الله تعالى في لطائف المنن كان أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى لم يصنع كتاباً وكذلك شيخنا أبو العباس رحمه الله لم يصنع في هذا الشان شيأ و السبب في ذلك أن علوم هذه الطريقة علوم التحقيق و هي لا تتحملها عقول عموم الخلق و لقد سمعت شيخنا ابا العباس يقول جميع ما في كتب القوم عبارات في سواحل من بحر التحقيق انتهى المراد قوله في سواحل إلخ .. كناية عن بعدها عن افهام أهل الظاهر لما يقصدونه من استعمال ألفاظ خاصة بهم مجملة و المعاني لمشكلة الظواهر تحاميا

عن الظهور الموجب لوقوع الخلاف منهم فلهذا يجد من صنف منهم كتاباً بالغ في كتمان معانيه بحيث لا يستعمل شيأ مما استعمله غيره من المعاني إلا على طريق الاتفاق و حينئذ التمييز بين اصطلاح الفقهاء و اصطلاحهم لا يكاد يخفى على احد فنعلم حينئذ أن كتاب العارف بالله تعالى الشيخ أحمد رحمه الله تعالى و امدنا بمدده انما هو في علوم الحقيقة و انه جار على اصطلاح القوم و دال على كمال احواله و علو مقامه بلا ريب هذا و اني ادين الله سبحانه و تعالى بذلك و بما عن شيخنا الشيخ محمد بن سليمان نفعنا الله تعالى به من أن الشيخ أحمد رحمه الله تعالى مجدد طريق القوم وكفى بهذا الاستشهاد لمن وفقه الله تعالى للتسليم و حسن الاعتقاد و حيث ثبت ما له من المقام فلا يلتفت لمن اراد نفيه عنه قال الشيخ زرق رحمه الله تعالى في الشرح فأن قلت قد تكلم بعض الناس في الشيخ ابن سبعين كلاماً فاحشاً يوجب عدم اعتباره فكيف يلتفت إلى علومه و اذكاره قلت لا يقبل قول إلا ببرهان و لا يؤخذ شيء الا ببيان و قد ثبت كونه من أهل العلم و العرفان و نقل كونه من أصحاب الحقائق و الأحوال بل حقق ذلك جماعة ممن اتى بعده من الرجال فلا يلتفت إلى انكار المنكر في اسقاط مرتبته وكذا من كان طريقة فلمن كان العلم حرمة فللعلماء ايضاً حرمة و الموفق يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب بل يحدث بها بغير حق و لا اجهل ممن يتعصب بالباطل و مكثر لما هو به جاهل فانظر وفقك الله تعالى و تأمل في عبارة الشيخ زروق رح و ما فيها من الفوائد النورانية حيث رد قول الجرح بعدم البيان ثم عارضه بمجرد ثبوت صفة العلم له ثم اثبت له كونه من اصحاب الحقائق و الأحوال بمجرد النقل ثم حقق له ذلك بمن بعده من الرجال حيث ذكروه بذلك من غير تعرض لطول المدة و قصرها ثم اكد الرد بقوله فلا يلتفت إلخ ... ثم اشار إلى حكمة على مقتضى الشرع و انه لا خصوصية له بقوله و كذا من كان على طريقته ثم التفت إلى تعظيم جانب العلماء بمجرد كونهم علماء للتحريص على ذلك كما قابل ذلك بذم المنكر و التشديد عليه جعله كالمنافق ومقابلة فعله بفعله الموافق ثم ذم التعصب و وصف صاحبه و ذا الجهل المركب بكونهما لا أجهل منها فإذا علمت هذا فتأمل ايضاً في اكتفاء الشيخ رح في الرد بمجرد ثبوت صفة العلم فكيف بمن منحه الله تعالى فضيلة التشارة في البلاد زيادة على ذلك ثم في التفاته رح لثبوت كونه من اصحاب الحقائق و الأحوال بمجرد النقل فكيف بمن كتبت في منافبه المجلدات و اثبت له فيها انواع الكرامات و شهد له بذلك انتشار الأثار الدالة على اتصافة بذلك أي الانتشار فأني قد رأيت مناقبه في مجلد ضخم و اخبرت بثانية منها للشيخ محمد هاشم الكشمي و قد كتب سيد علماء الهند جامع المعقول و المنقول الملا عبدالحكيم السيالكوتي

ما لفظه أن التكلم على كلام الوارث للطريقة المحمدية الشيخ أحمد السرهندي جهل و سفه ودلالة على عدم الوقوف على اصطلاحات الصوفية إلى آخر ما اطاله رحمة الله تعالى و قد وضع على هذا الخط ختمه و هو الآن بيد أولاد الشيخ رحمه الله تعالى و الذي نعلم الآن من نسخ كتابه المشهور في الحرمين الشريفين ثلاث نسخة تامة ثلاث مجلدات بالمدينة المنورة و نسختان مخرومتان بمكة المشرفة ثم في اكتفائه رح بمجرد ذكر جماعة بعده فكيف بمن مضى عليه زمان طويل بعد ذلك فإن عمر الشيخ أحمد نور الله ضريحه نيف و ستون سنة و منذ توفى إلى الآن نحو ستين فهذه نحو مائة و خمسة عشر سنة باعتبار اسقاط مدة بدايته على ان كثيراً من أولياء الله محفوظات من وقت الرضاع في بطون امهاتهم فعليه فهي نحو مائة و عشرين سنة فكيف فيه التجريح بعد هذه المدة و بعد ما ثبت له من الاشتهار المتصل بمن ذكر من كتابه و أولاده و تلامذته إلى يومنا هذا فهل يخفى على أحد أن هذا إلا باب اظهار الفساد نسئل الله العظيم في درئه ورد كيد قاصده في نحره ثم هل هذا السؤال إلا امزلة و مغلطة لأهل الحرمين الشريفين حيث لم يذكروا فيه الشيخ رحمه الله معرفا بأوصافه بل ذكروه مجهولاً خصوصاً مع أحدثوا ما فيه من التغيير و الزيادة و النقصان و هل هذا إلا هوى للنفس و اتباع للشيطان اما يخشى فاعلوه من تعجيل عقوبة الله تعالى غيرة منه عليه أما يعتقدون الموقف و الفضيحة بين يديه و ما أحسن ما قيل (شعر) تذكر يوم تأتي الله فرادا و قد نصبت موازين القضاء و هتكت الستور عن المعاصي *و جاء الذنب مكشوف الغطاء * و احسن منه و ابلغ منه و اسرع رشقاً في النحور قول من يجمع الناس ليوم لا ريب فيه و إليه النشور يعلم ما في السموات والأرض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون و الله عليم بذات الصدور لعمر الله انهم لفي امر لا ينادي و ليده و لا يفارق عبيده و كأني بهم و قد انعكس عليهم الأمر افا أمنوا مكر الله و صروف الدهر كيف و هو كما قيل شعر سرور الدهر مقرون بحزن * فكن منه على وجل شديد ففي يمناه كأس من لجين * و في يسراه قيد من حديد نعوذ بالله من مكر الله نعوذ بالله من مقت الله نعوذ بالله من سخط الله و لا يخفى أن كلام الشيخ أحمد اسكنه الله تعالى في حظيرة قدسه و متعه بجوار انسه ليس جاريا على ظاهره كما تقدم و لا يجوز له استعمال الألفاظ الظاهرة المعاني حيث كان في هذا العلم لوجوب كتمانه قال في روضة المريدين قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما نهينا عن اظهار هذا العلم لغير أهله كما نهينا عن الزنا و لا اقامة الدين الله تعالى إلا بهذا العلم و قال أن الله عز و جل فضح من باح بسره و علمه إلى غير أهله و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و عائين فاما أحدهما فبثثته فيكم و اما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم و عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اني لا علم في قوله تعلى يتنزل الامر بينهن لو قلت لكفرتموني وعن علي رضي الله عنه قال أن بين جنبي علماً لو قلته لخضبتم هذه من هذه ارادوا رضي الله عنهم بذلك العلوم علوم الحقيقة كما صرح بذلك فأهل التمكين لا يظهرون معاني الفاظهم لأن جميعها متعلق بالله تعالى فهي اسرار بينهم و بينه و لهذا كان خطأ الحلاج واباحة دمه من حيث إظهاره ما يكتم و اعلانه بما يسر كما في حل الرموز و فيه ما كل قلب يصلح للسر و لا كل صدف ينطبق على الدر و قيل لأبي يزيد رح مالنا لا نفهم كثيراً ما تقول قال لأن كلام الأخرس لا يفهمه غير امه (قال) الشيخ القشيري رحمه الله في الرسالة و هذه الطائفة يستعملون الفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن

معانيهم لأنفسهم بعضهم من بعض و الأجمال و الستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مشتبهة على الأجانب غيرة منهم على اسرارهم أن تشيع في غير أهلها اذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف بل هي معاني اودعها الله تعالى في قلوب قوم و استخلص لحقائقها اسرار قوم يقولون الأسرار معتقة عن رق الاغيار ويطلق السر على ما يكون مصونا بين العبد و الحق سبحانه و تعالى من الأحوال و عليه يحمل قول من قال اسرارنا بكر لم يفتضهن و هم و أهم انتهى ملخصاً فمن علم ان قصدهم كتمان السر و الاجمال و الستر و ان ظاهر اللفظ غير مراد لهم لا يعترضهم قطعاً فالمعترض على ولى الله سبحانه و تعالى الشيخ أحمد رح باعتياده مرتكب مالا يحل غير عالم بمقاصدهم هذا و قد تلقت العلماء رضي الله عنهم و نفعنا بهم خلفا عن سلف أقوال هذه الطائفة من غير الثقات منهم إلى أشكال ظواهرها مع علمهم بحقائقها و ما تقتضيه من الاتحاد و الحلول و التجسيم و غيرها لعلمهم باستحالة كون شيء من ذلك مقصودا لهم و هو معنى قول الشيخ زروق رح فلذلك قبل كلامهم أي على ما هو عليه و ان كان مشكلاً فإذا النظر إلى كمال أحوالهم لا إلى ظواهر اقوالهم وكمال أهل الطريقة الحقيقة هذا كتاب كمال أهل الطريقة ومعدن الحقيقة الشيخ ابراهيم بن عبدالكريم الجيلي قدس سره و نور ضريحه المسمى بالإنسان الكامل و سائر مؤلفاته و مؤلفات العارف بالله تعالى الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره و سائر كتب القوم إلى يومنا هذا تشترى بأغلى الثمن و تستكتب و يتعب في تحصيلها و مقابلتها مع العلم بما فيها من الاشكالات المتكاثرة منها في الانسان الكامل قوله بانقضاء عـــذاب جهنم و ذهاب اثرها و عود ابليس لعنه الله إلى ما كان عليه من مكان القرب إلى الله تعالى و منها ما في عينيته قوله أن السبع الطباق تحت قوائمي ورجلى على الكرسي وسقف بيتي العرش و منها ما في مواقع النجوم لأبن عربي رح أن الله سبحانه لساناً يتكلم به و اذنا يسمع بها و اما مشكلات الفتوحات فاشهر من أن تذكر فلو نظر العلماء رحمهم الله إلى ظواهر هذه الكتب لما توقف احد منهم في الحكم بتكفير مؤلفيها لكنهم لما علموا احوالهم لم يلتفتوا.

إلى المشكل من اقوالهم و قد شاع هذا و الحمد لله بحيث لا يكاد عالم يجهله الآن حتى انسيت اشكالاتهم و كأنها لم تكن و اقبل الناس عليها لذلك بالإقبال التام حتى صار العلماء يتبركون و يعتنون بمطالعتها بل و تدريسها حتى لا يكاد يخلو عالم من بعضها و من الاطلاع عليها فإن قلت إذا كان عدم التعرض لا يكاد يجهل فكيف قلت في أول الرسالة و قد كتب عليه جماعة قائلين بكفره اغتراراً بظاهر بعض الالفاظ و هل هذا إلا تعرض منهم قلت قد مر قريباً بأن أهل السؤال دلسوا و لبسوا و انهم متبعون اغراضافاسدة و انهم لم يعرفوا الشيخ رحمه الله بل ولم يذكروا من نسبه شيأ لعلمهم لما فيه من صريح مناقضتهم فان والد الشيخ وجده رحمهم الله قد ثبتت لهما الولاية و نسبه يتصل بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه و قد أخذ الطريقة عن والده وجده بالسند المتصل إلى سيد العارفين بالله تعالى الشيخ عبدالقادر الكيلاني كما في مناقبه قدس سره لتميذه العارف بالله الشيخ بدر الدين غير المتقدم فلما لم يذكروا شيأ من هذا بل حذفوه و قولنا حذفوه لغوي تجهيلا لتميم غرضهم بزعمهم اقتضى ذلك تكفيره لا محالة لأنه على هذا التقدير ليس ممن لا تعرض لهم بل هو فرد من افراد الناس فلو ذكر موصوفا بأوصافه التي اشتهر بها أو بعض النسب و لو الفاروقي فقط و نقلت ألفاظه

بعينها من غير تغير لما تعرض له احد و ما كفره أحد منهم قطعا إلا ترى أنا لو سئلنا عما في مواقع النجوم بصورة ما يقول علماء الدين رضي الله عنهم في حق محمد بن عربي القائل بأن لله سبحانه لساناً يتكلم به و له اذن يسمع بها أو عن مقالة الشيخ عبدالقادر رح رأيت ربي بعين رأسي بصورة ما يقول العلماء رضي الله عنهم في حق عبدالقادر ولد أم الخير القائل ... ت ربي بعين رأسي فهل يتوقف أحد في تكفير المسئول عنه على ما فض جهالته بخلاف ما لو قيل في الأول في حق الولى العارف بالله تعالى الشيخ الأكبر محي الدين ابن محمد بن على بن محمد بن على ابن العربي الحاتمي الطائي قدس سره و نور ضريحه و في الثاني في حق سيد العارفين وقبلة الوافدين الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلاني جعلنا الله سبحانه في بركاته وامداده حيث لم يتعرض له أحد من العلماء كما تقدم وفيما نحن بصدده كذلك لما كان السؤال بصورة ما يقول العلماء رضي الله عنهم في حق أحمد السرهندي الكابلي لم يتوقف أحد في تكفيره و ما توقف إلا من كان له علم بشهرته أو بطرف منها أو كان له معرفة باصطلاح القوم فاستدل ببعض عبارات السؤال على مقامه بخلاف ما لو كان بصورة الشيخ العالم الفاروق بالله تعالى مسلك المريدين و موصل السالكين الجامع بين الطريقة و الحقيقة من ملأ علمه الآفاق شيخ وقته على الاطلاق الشيخ أحمد السرهندي الكابلي الفاروقي النقشبندي ابن العارف بالله تعالى الشيخ عبدالأحد ابن ولى الله العارف بالله تعالى الشيخ زين العابدين نفعنا الله سبحانه و تعالى به القائل كذا و كذا بألفاظه بعينها أو تعريبها حيث لم يتعرض لها بلا ريب (فأن قلت) قال الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قد اندرس العمل بأخلاق القوم في هذا الزمان حتى لا يكاد العبد يجد أحداً من المتشيخين فيه يتخلق بشيء من أخلاق القوم فإن قام الارادة قد عز في هذا الزمان فكيف بمقامات العارفين انتهى فعلى هذا لا يكون الشيخ أحمد من المشايخ و لا كتابه مثل كتبهم (قلت) ليس في عبارته ما يقتضى انقطاعهم ليلزم ذلك بل مفهومها عزتهم كما صرح به في آخر مقدمته بقوله لم اقصد بقولى في كثير من الاخلاق لم ار له فاعلاً الفخر و إنما اقصد به بيان عزته ليلقى الاخوان باهم إلى الاهتمام بتحصيله و التخلق به لا غير على أنه ذكر في الاربعين و مائة أن أصحاب النوبة سبعون و أنهم بمصر الآن سنة ستين و تسعمائة (فإن قلت) ليس أهل هذا الزمان كالمتقدمين فلا يستحق الشيخ أحمد أن يعامل معاملتهم فتسلم له اقواله (قلت) أن اردت سلب المشابهة عن المجموع فمسلم و ليس الكلام فيه و إن اردته عن كل فرد فرد فغير مسلم فقط روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال في كل قرن من امتي سابقون و عنه صلى الله عليه و سلم انه قال انما مثل امتي كمثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكبها و هيأ مساكنها وحلق سعفها فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاما فوجاً فلعل آخرها طعما يكون اجودها قنواناً و أطولها شمراخاً و الذي بعثني بالحق نبياً ليجدن ابن مريم من امتي خلفاً من حوارية و عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال خير امتي أولها و آخرها و في وسطها الكدر و عنه صلى الله عليه و سلم انه قال مثل أمتي مثل المطر لا يدري اوله خير ام آخره و الاحاديث في هذا المعني كثيرة جداً على أن هؤلاء القوم لا يغيرهم الزمان فلا فرق بين المتقدم و المتأخر و الظاهر و الخفي والصديق و الولي في أن الزمان لا يكدر انوارهم و لا يحط مقداراهم فانهم مع الموقت لا مع الأوقات و عن بعض العارفين انه قال أن لله تعالى عباداً كلما اشتدت ظلمة الوقت قويت أنوار قلوبهم فهم مثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوى

اشراقها كما في لطائف المنن و أما كتابه نفع الله تعالى به يسر لنا سلوك طريقته فغالب الظن فيه حيث لم اطلع على جميعه انه لو كان معرباً لفاق أو ساوى لما يظهر مِن مَنّ دقه ألفاظه التي وقفت عليها و لعمرى انه لحرى بقوله (شعر) (جميع الاحاديث في هذا المكتوب بل أكثر احاديث المكتوبات مأخوذة من مشكاة المصابيح فليستخرج منها ١هـ)

ما ضرني ان لم أكن متقدماً فالبق يعرف آخر المضمار و ها أنا أذكر لك ما تستكن به نفسك و تراض و تقبض به إنشاء الله عنان التعرض و الاعتراض قال الشيخ زروق رح في وصيته عند عد الشبه و من ذلك قول بعض الصوفية أنا هو و هو أنا مما يوهم الاتحاد و الحلول و قد وقع كثير من هذا النوع لابن الفارض و ابن العربي و التسترى و ابن سبعين مع امانتهم في العلم و ظهورهم في الديانة فعلى المؤمن في ذلك ان يكون قائماً مع الحق بالكلام في القول لا في القائل في مثل أولئك القوم و ما كان من كلامهم موافقاً للكتاب و السنة فأنا اعتقده و ما كان مخالفاً فأنا أكل علمه لأربابه متزهاً قلبي عن اعتقاد ظاهره وإياهم كذا لك انتهى مختصراً و قوله و اياهم كذلك اي و انزههم ايضاً عن اعتقاد ظاهرة فأنهم لا يعتقدونه لأنهم منهيون عنه كما تقدم و قال الشيخ الشعراني رح في لطائف المنن و قد يكون سبب الانكار جهل المنكر بمصطلح القوم و عدم ذوقه لمقاماتهم فالعاقل من ترك الانكار و جعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته لا سيما و لن يبلغنا عن أحد منهم ما يخالف الشريعة ابدا و ربما تكلم العارف في شعره أو غيره على لسان الحق تعالى و ربما تكلم على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم و ربما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم أن ذلك على لسانه هو فيبادر على الانكار و قد سمعت سيدي على الخواص يقول أقل درجات الادب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم و لا يكذبهم و كان سيدي على بن وفا يقول التسليم للقوم أسلم و الاعتقاد فيهم أغنم و الانكار عليهم سم ساعة في ذهاب الدين و ربما تنصر بعض المنكرين و مات على ذلك نسأل الله تعالى العافية ١هـ فإن اردت يا أخي عدم الانكار فأجل مرآة قلبلك فإنك تشهدهم من خيار الناس و يقل انكارك و إلا فمن لازمك كثرة الانكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك فافهم ١هـ مختصر و قال في حل الرموز بعد كلام و لقد انصف ابو حامد الغزالي حيث اجرى هذه الطائفة من الرجال في كتابه المنعوت باحياء علوم الدين فقال عند ذكرهم هؤلاء قوم غلبت عليهم الاحوال فقال احدهم سبحاني و قال الآخر ما أعظم شأني و قال الآخر أنا الله و قال الآخر ما في جبتي إلا الله فهؤلاء قوم سكارى و مجلس السكارى يطوى و لا يحكى معناه و نسلم إليهم احوالهم و لا نرد عليهم اقوالهم لأن كلامهم نطق عن ذوق و ذوق عن شوق و من ذاق فقد عرف و من لم يذق فلا حرج عليه اذا سلم و اعترف ١هـ كلامه المقدس رح و قال في مقدمة شرح تائية الامام العارف بالله تعالى ابن حبيب الصفدي و يجب .

تحسين الظن بأولياء الله تعالى فإن اساة الظن بعموم المؤمنين حرام فكيف بأولياء الله تعالى ولله تعالى في خلقه اسرار لا اطلاع للعوام عليها بل يطلع عليها من شاء من خاصته انظر إلى ما وقع من الخضر عليه السلام من خرق السفينة و قتل الغلام و قوله بعد ذلك و ما فعلته عن امرى فسلم لهم حالهم و لا تتابعهم فيما لا يوافق ظاهرة الشرع و لقد صنف فيهم أهل العناية بهم مصنفات و نصروهم فيها و الوا أحوالهم و اقوالهم المخالفة

لظاهرة الشرع ليس هذا محل ذكره و شرط جواز الاعتراض ان يكون ممن احاط بعلم الظاهرة و الباطن و إلا فهو قاصر فيسعى في اصلاح نفسه اولاً ا هـ و ذكر شيخنا السيد أحمد الحموي نفعنا الله ببركته و بركة علومه آمين في ذيله على كتابه درر العبارات في آخر جواب أجاب به عن سؤال ورد إليه من زبيد عن ألفاظ وردت مشكلة في أشعار مشائخ الطريقة العارفين بالله تعالى فقال بعد أن أجاب بتخريج ذلك على الاستعارات التمثيلية ما نصه فإن عجزت عن التخريج على هذا المنوال و عسر عليك انتزاع حالة تطابق بها الحالة المنتزعة من الشعر فاعتقد ان ذلك الواقع في نفس الأمر و ان قصر ادراكك عنه فسلم لأهل الله و اعتقد براءتهم و نزاهتهم من كل عيب و نقص و اياك ان يخطر ببالك ما يقع فيه كثير من الناس ممن حرم التوفيق من حمل كلامهم بفهمه القاصر و نظره الفاتر على غير مرادهم مما لا يليق بالجناب الإلهي ثم يجعل ذلك سبباً للوقيعة فيهم من غير مستند له في ذلك إلا محض جهله و قصور عقله و ظنه أن فهمه و عقله متناه في الكمال بحيث لا يقصر عن شيء اصلاً بل كلما خرج منه فهو باطل و محال فإن ذلك و العياذ بالله منشأ الحرمان و الخسران و من أين يجب أن لا يهب الله لأوليائه إلا ما يدركه عقل هذا الجاهل القاصر بل ما مقدار عقله بالنسبة للعلوم الكسبية فضلاً عن الوهبية و اياك أيضاً حيث عجزت عن التنزيل على هذا القانون ان تبالغ في التكلف و التأويل و الحمل على ما تعتقد من المعاني كما يفعله كثير من المحبين المعتقدين و إن كان مقصدهم في ذلك جميلاً و غرضهم صحيحاً لكنه يؤدي إلى ارتكاب تكلفات باردة مهملة تخرج الكلام عن رونقه و بهجته و تؤدي إلى حمله على معان في غاية الركاكة و السفالة فترك ذلك والاعراض عنه و تلقي الكلام بالقبول و التسليم و الاعتقاد التام على سبيل الاجمال و عدم العرض لمعانيه و الاعتراف بالعجز عنه كما هو طريق السلف رح من التفويض في متشابه القرآن حتى يفتح الله تعالى بالمعاني الصحيحة ذوقاً احسن و اسلم (قلت) و ما يدل على أن كلامهم رضي الله عنهم ليس مجرياً على ظاهرة ما حكى أن الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي قدس سره لما انشد قوله (شعر) يا من يراني و لا اراه * كم ذا اراه و لا يراني قال بعض اخوته كيف تقول انه لا يراك و انت تعلم انه يراك فقال له مرتجلاً شعريا من يراني مجرماً * و لا اراه آخذاكم ذا اراه منعماً * و لا يراني لائذاً قال بعض المشائخ من هذا و شبهه تعلم أن كلام الشيخ و امثاله مؤول و انه لا يقصد ظاهره و انما له محامل تليق به و كفاك شاهداً هذه الجزئية الواحدة و احسن الظن و لا تنتقد بل اعتقد و للناس في هذا المعنى كلام كثير و التسليم اسلم و الله سبحانه بكلام اوليائه اعلم انتهى كلام شيخنا نفع الله به ((قلت)) انما شبه شيخنا رح التفويض في متشابه القوم بالتفويض في متشابه كلامه تعالى في قوله كما هو طريق السلف إلخ ... لأن هؤلاء القوم تخلقوا وتحققوا بجميع الأسماء و الصفات إلا لفظة الجلالة كما هو مقرر و معنى التخلق تحلي العبد بتلك الاسماء و الصفات بقدر الامكان و اما التحقق فهو ذهاب تعين صفة العبد وظهور صفة الله تعالى فيه قال بهاء الدين في شرح اسماء الله تعالى و اما التحقق بحقائقها فذلك بتجلي الاسم على سر العبد و سريانه في روحانيته سريان النار في اعماق الجمرة بحيث يفني تعين العبد و تكون حقيقة الاسم المتجلي بعينها هي حقيقة العبد حتى يرتفع التمييز في مشاهدته بل تترتب احكام الحقيقة الاسمية على الحقيقة العبدية أن بلغ التحقق بها كمالها كما قيل (شعر) انا من اهوى و من أهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا * فاذا ابصرتني ابصرته * و

اذاابصرته ابصرتنا * و الاشارات إلى هذه المرتبه كثيرة في مقالات القوم باللغات المختلفة و هذا امر ذوقي لا يسمع طور العبارة اكمال شرحها .

و لا يفي إلا بشيء يسير من الاشارات بها ١هـ و بهذا تبين وجه التشبيه و بقوله حفظه الله تعالى و اياك ايضاً ان تبالغ في التكلف و التأويل إلخ... و بما تقدم من وجود كتمان هذا العلم تعلم ان تعرض الفقهاء لكلامهم بالشروح و التحشية و الجواب عن اشكالاتها مما لا ينبغي لما في جميع ذلك من المخالفات لمقصودهم نعم ان أرادوا بذلك تسهيله على اهله كما فعله القشيري رحمه الله تعالى حيث قال في باب شرح الفاظهم و نحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيلاً لفهم من يريد الوقوف على معانيهامن سالكي طريقهم و متبعي سننهم أو كان ذلك شفقة منهم على العوام من اعتقادهم ظواهرها فلا بأس لكن قد سلك هذين المسلكين جماعة فلا احتياج إليهما الآن الا أن يكون اصطلاح حادث فلا بأس فإن القوم لم يصطلحوا على وضع و انما اصطلحوا على استعمال الألفاظ المخصوصة بمعنى أن كلا منهم يستعملها في معان يصنعها لها لما علمت من حرصهم على الكتمان و الاصطلاح على معنى واحد يفوته و توضيح ذلك أنك تجد شراح الفاظهم يذكرون للفظ معاني كثيرة و قد يجمع ما بين كتابين أو ثلاثة من المعاني للفظة واحدة فلم تجدها تتفق اصلاً فيكون المجموع لذلك اللفظ فمن ذلك العبودية قال الشيخ القشيري رحمه الله تعالى في كتابه منشور الخطاب العبودية موافقة الأمر و مفارقة الزجر العبودية ترك التدبير ورؤية التقصير العبودية رفض الاختيار بصدق الافتقار العبوية اداء ما هو عليك و شكر ما هو اليك العبودية حسن القضاء و ترك الاقتضاء ١هـ و قال الشيخ جمال الدين أبو القاسم القاز ابادي في كتابه خلاصة الحقائق قال الكتاني رح العبودية ترك الاختيار و ملازمة الذل و الافتقار و قال ذو النون المصري العبودية ان تكون عبده على كل حال كما انه ربك في كل حال و قال أهل الاشارة العبودية التفويض إلى الخبير البصير و رؤية التقصير في طاعة الملك القدير و قال عالم العبودية أن يرضى العبد بما يفعل الرب و قال ابو عثمان رحمه الله العبودية اتباع الأمر على مشاهدة الآمر و قال عيسى عه م العبودية ترك الدعوى و احتمال البلوى و حب المولى ١هـ و هكذا في غالب ألفاظهم و انما اقتصر بعضهم على معنى واحد تسهيلاً لطالب ذلك كما تقدم عن القشيري رح قال ابن عطاء رح في لطائف المنن قال الجنيد دخلت على السري السقطي فوجدته متغيراً فقلت ما بالك يا استاذ متغيراً فقال دخل شاب آنفا فقال ما التوبة فقلت ان لا تنسى ذنبك فقال بل التوبة أن تنسى ذنبك فما تقول انت يا ابا القاسم فقلت القول عندي كما قال الشاب لأني إذا كنت في حال الجفاء ثم نقلني إلى حال الصفاء أذكر الجفاء وقت الصفاء جفاء فقال الشيخ رح كلام السري اتم من كلامهما كلامهما يخص حالهما و كلام السرى مهيع مورد السالكين ١هـ مختصراً فظهرانه لا حصرفي الاصطلاح و ان الكلام صفة دالة على حال المتكلم كما تقدم و عليه فلا حصر لاصطلاحاتهم كما لا حصر لاحوالهم و لا اعتراض على من تعرض للبيان بقصد ما تقدم للبيان بقصد ما تقدم إذا كان أهلا لذلك هذا و أما توقف الفقهاء و المشايخ عن المسارعة إلى التكفير و ايجابهم العمل بما يقتضي نفيه و إن تكرر المثبت بحيث يكون النافي عشر عشيره و تصحيح القول بعده تكفير أهل البدع و ترجيحه فلا يخفي كثرة النقول في ذلك على من طالع كتب الفروع و العقايد و شفاء القاضي عياض رح غير انها ليست مما نحن بصدده و انما

فيها استلزام كون عدم التعرض للشيخ رح اولويا و الكلام فيما نحن بصدده كثير لكن فيما ذكر كفاية لما اوردناه من تنبيه الغافلين و تحذير المتعصبين عن الوقوع في المهالك بالتعرض للشيخ أحمد رح بالسوء المخالف لقوله صلى الله عليه و سلم اذكروا امواتكم بخير و الاعتراض عليه بما لا علم لهم به أو التعرض لذريته بالأذية فإن اكرامهم اكرام له و اذيتهم اذية له مستلزمة للدخول فيمن آذنه الله سبحانه بحرب كما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان الله عز و جل قال من عادى لي و لياً فقد آذنته بالحرب لحديث بطوله قال المسعودي رح في شرح فالذي يتخلص من كلام علماء الشريعة و الحقيقة أن الولي هو المتقرب إلى ربه تعالى بالعلم و العمل اهـ فمن من الله سبحانه وتعالى عليه بالاتقان و مخالفة النفس و الشيطان تنبه لمراقبته تعالى و تدارك ما احدثه من الخلل و النقصان و من خذل عطلت حواسه وباء بالخسران و لا يخفى ان سعى أهل السؤال انما هو تكثير اجوره ورفع درجاته نفعنا الله تعالى ببركاته كما قال الشيخ الشعراني رح حين وقع له مثل هذا حيث قال ان حسادي يحرفون عني مسائل لم اقل بها قط ثم يكتبون بها سؤلات يستفتون عنها العلماء فيفتون بحسب السؤال ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لي من ذلك اجور لا تحصى من كثرة الوقوع في عرضي بغير حق فلو اني كنت موآخذا احداً من هذه الامة لما رضيت يوم القيامة بأعمال واحد منهم طول عمره في غيبة واحدة (قلت) و اوفى دليل على علو مقام الشيخ أحمد رح رفع الدرجات بعد الممات باستدامة العمل بحيث رزقه العلم خصوصاً و هو في الانتشار إلى يومنا هذا و الولد الصالح خصوصاً و هو متعدد و اذية الخلق خصوصاً وهي عامة له و لذريته فتوفر هذه الأسباب مع ما يلحقه من هموم دعاء الخلق وخصوصه دليل ظاهر على ما ذكر ثم لما مضى شهر بعد كتب هذه الرسالة و وفد رجل يقال له البرزنجي مكة المشرفة وكان القائل بكفر الشيخ رحمه الله و جعلنا في بركاته ثم ارسل إلي بالسلام قائلاً بلغني انكم كتبتم رسالة فمرادي الوقوف عليها و كان ظني انه اذا اطلع عليها يطلب بيان ما ذكر فيها من الاحاديث و ما ادعى في السؤال من التغيير والتحريف و ما ذكر من النقول الدالة على عدم التعرض للشيخ رح و ما نقل عن كتب القوم من المشكلات و ما ذكر من الوقوف على مناقب الشيخ رح و تعدد نسخ كتابه و صحة الاخبار بالوافدين إلى مكة المشرفة من اولاد الشيخ رح و تلامذته و ما ذكر من النقول للاستشهاد و التنظير و غيرها للوقوف على جميع ذلك و الايقان لما ان هذه جادة أهل الانصاف و ترجيح للمحاسبة الباطنة على الظاهرة و لذلك سمحت نفسي بارسالها إليه حالاً رجاء ظهور الحق و وقوع الاتفاق عليه فلما بلغته بادر إلى مطالعتها و امر بكتبها فكتبها هو شخص ثم اتاني بها فسألته هل كتب مناهيها قال لا فقلت لابد من كتبها فإنها بتمامها ارجع إليها و اذكر له ذلك فراح ثم رجع فقال كلمته فأبى و قال ما يحاج فقلت له و هل قابلها قال ثم رجع فقال كلمته فابى و قال ما يحتاج فقلت له و هل قابلها قال لا قلت اذا هي غير الرسالة لما هو مقرر من تحريف كتبة الزمان و لما وقع بين الحاسدين من انعكاس الرجحان و لما حصل لي ما هو قريب من اليقين من انه مفت لأهل السؤال و معين لهم في التغيير لينقل عني ما ليس لي من المقال و ليجد لبحث فيه المجال اذ هي بدون ذلك محصنة بالوالي المتعال و اشد على شأنهم من وقع النبال كتبت هذه الكتابة سائلاً من فضل المطلع عليها ان لا يعتمد على الجردة من المناهي و من الزيادة و انه اذا وجد عليها كتابة قادحة فيها تعرضات

على من يتقي الله تعالى و يخشاه من العلماء فإن كانت صواباً فأنا أول من يزعن لها و يعتقدها و إلا فليعلم المطلع عليها براءتي منها و يعتقد الصواب هذا و قد كتب الشيخ محمد بك نسخة من هذا قبل هذه الزيادة فهي ايضاً صحيحة و إن كان تاريخها مثل المغيرة فان الفرق ظاهر لوجود المناهي في هذه دون تلك و ايضاً تقابل مع هذه فإنها لا تخالف إلا بزيادة المناهي هذه و في اولها و آخرها بعض ألفاظ قليلة لا يختلف بها المعنى و الحاصل أن نسبة ما يخالف هذه إلى غير صحيحة اصلاً و مما يفرق به ايضاً بين المغيرة و هذه التاريخ فإن تاريخ المجردة عن المناهي هكذا تحريراً قبيل فجر يوم الجمعة مستهل شهر جمادى الأخرى سنة اربع و تسعين و ألف و تاريخ المعتمدة ما ستراه قريباً و الله سبحانه و تعالى ولي التوفيق و الحمد لله رب العالمين أولاً و آخراً و باطناً و ظاهراً وهو حسبي و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم قاله الفقير إلى الله تعالى حسن ابن مراد حسن التونسي الحنفي عفى الله عن الجميع بمنه و كرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد النور الذاتي الساري في جميع آثار الأسماء و الصفات وعلى آله و صحبه و سلم تجزت قبيل عصر السبت ثامن شهر الله تعالى رجب الأصم سنة اربع و تسعين و ألف .(رسالة الشيخ العلامة و العمدة الفهامة منبع العلوم والمعارف منشأ الاسرار و اللطائف معدن الدقائق الفرعية و الاصيلة مخزن الحقائق الشرعية و العقلية قدوة فحول العلماء اسوة أعاظم الفضلاء مظهر الألطاف الالهية ومصدر الاسرار اللامتناهية الشيخ أحمد البشيشي المصري الأزهري الشافعي رحمه الله تعالى و نور ضريحه المتوفى سنة ١٠٩٦ ست و تسعين و ألف و تاريخ و فاته مات البشيشي هكذا قال في خلاصة الأثر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمد سبحانه على نعمه المتكاثرة و اشكره على آلائه المتوالية المتظافرة * ﴾ و أصلي و أسلم على أفضل العالمين سيدنا محمد خاتم الانبياء و المرسلين * و على آله و صحبه أجمعين * و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (أما بعد) فقد وقفت على هذه الرسالة التي وضعها الفاضل الشيخ محمد بك لبيان كلام الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الفاروقي النقشبندي فوجدته قد أجاد فيما افاد و بين اصطلاح الشيخ و مقاصده بكلام الشيخ نفسه في مواضع متعددة من مكاتيبه و لا شبهة في أن الألفاظ المصطلح عليها حقيقة عند أهلها فيما اصطلحوا عليه و لا تدل على غيره الا مجازاً فألفاظه بحسب اصطلاحه لا تدل إلا على معان صحيحة لا مخالفة في شيء منها لما وردت به الشريعة المطهرة وحيث كان كذلك فلا تحتاج إلى تأويل اصلاً فالحكم بتكفيره مبني على الجهل باصطلاحه و مقاصده و قد صرح غير واحد بأن الجاهل باصطلاح الصوفية لا يجوز له ان يخوض في كلامهم لأن ذلك يوقعه في رمي اولياء الله تعالى بالكفر و الزندقة كما وقع ذلك لغير واحد و منهم الشيخ أحمد المذكور كما أخبرني بذلك من خبره عندي يفيد اليقين بل تكاثرت الاخبار بذلك حتى كادت تبلغ حد التواتر و لما ذكر ابن المقري في روضه ما حاصله أن من شك في تكفير طائفة ابن العربي فهو كافر قال شيخ الاسلام ذكريا في شرحه هذا بحسب ما فهمه كبعضهم من ظاهرة كلامهم فإن ظاهره عند غيرهم الاتحاد وغيره مما هو مكفر و الحق انهم مسلمون اخيار و كلامهم جار على اصطلاحهم كسائر الصوفية و هو حقيقة عندهم في مرادهم و ان افتقر عند غيرهم ممن لو اعتقد ظاهره كفر إلى التأويل اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره فالمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح و لا يقدح فيه ظاهر كلامهم المذكور عند غير الصوفية لما قلناه لأنه قد يصدر عن

العارف بالله تعالى إذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته و صفاته في صفاته و يغيب عن كل ما سواه عبارات تشعر بالحلول و الاتحاد لقصور العبارة عن بيان الذي ترقى إليه و ليست في شيء منها كما قاله العلامة التفتازاني و غيره ا‍هـ و قد صرح شيخ شيوخنا البرهان اللقاني رحمه الله بأن الحسين الحلاج قتل بعالم يتامله من امر بقتله يعني و لو تأمل كلامه و فهم مقصوده ما وجد له مساغاً لقتله إذا تقرر ذلك علمت أن العارف بالله تعالى الشيخ أحمد المذكور من المسلمين الاخيار المرشدين إلى الله تعالى لأن ألفاظه منصرفة بحسب اصطلاحه إلى المعاني التي قصدها موافقة للشريعة لا تحتاج إلى تأويل اصلاً كما بين هو تلك المعاني الصحيحة التي أرادها من ألفاظه في مواضع كثيرة من مكتوباته بالفارسية و قد قرئ ذلك عندي بحضرة جماعة يعرفون الفارسية امنت تواطئهم على الكذب و لا مخالفة في شيء من المعاني التي بينها لما تقر في شرعنا و لا يقد فيه ظاهر لفظه المذكور الذي يفهمه من لم يعرف اصطلاحه على أن الظاهر القابل للتأويل لا يكفر صاحبه بمجرد ذلك الظاهر بل بعد الوقوف على أنه يعتقد ذلك الظاهر اما إذا لم يعلم انه يعتقد ذلك الظاهر و لفظه قابل للتأويل فانا نؤوله و لا نحكم بكفره كما يفيده قول شيخ الإسلام و أن افتقر عند غيرهم إلى تأويل و كلام هذا الرجل بفرض أن لا اصطلاح له قابل للتأويل كيف و قد وجد له اصطلاح فعلى تقديره لا يحتاج إلى اصطلاح اصلا و لا يضره أن ألفاظه هذه لم توجد لمن تقدمه من القوم لما علمت من أن الإصطلاح لا مشاحة فيه و أن خالف اصطلاح من سبقه و بالجملة فالمكفرون له فهموا منظاهر لفظه ولفظ آخر مفترى عليه أموراً معلوماً نفيها من الدين بالضرورة بحيث لا يتوقف في التكفير بما فهموه فيضه و لا متفقه بل و لا جاهل بالكلية إذ فهمهم ذلك شاركهم فيه كل جاهل و المعاند يرغب في اخراج المسلمين من الإسلام بأدنى شبهة لا سيما قوماً مشهورين بالصلاح يرشدون العباد إلى الله سبحانه و تعالى و قد ذم السبكي هؤلاء الطائفة الذين يتساهلون في تكفير المسلمين و ذلك لأنه لما سئل عن تكفير أهل الأهواء و البدع قال أعلم أنا نستعظم القول بالتكفير لأنه يحتاج إلى أمرين عزيزين احدهما تحرير المعتقد و هو صعب من جهة الإطلاع على ما في القلب و تخليصه عما يشتبه و تحريره و يكاد الشخص يصعب عليه اعتقاد نفسه فضلاً عن اعتقاد غيره الثاني الحكم بأن ذلك كفر و هو صعب من جهة صعوبة علم الكلام و مأخذه و تمييز الحق من غيره و انما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس و اعتدال المزاج و التهذيب و الامتلاء من العلوم الشرعية و عدم الميل و الهوى و بعد تحصيل الأمرين يمكن القول بالتكفير أو عدمه ثم بعد ذلك أما أن يكون التكفير بشخص خاص فشرط مع ذلك اعتراف الشخص به وهيهات أن يحصل و أما البينة في ذلك فصعب قبولها لأنها تحتاج في الفهم إلى ما قدمناه إلى أن قال و لقد رأيت تصانيف جماعة يظن بهم أنهم من أهل العلم و يشتغلون بشيء من رواية الحديث وربما كان لهم نسك و عبادة و شهرة بالعلم تكملوا بأشياء وورووا أشياء تنبئ عن جهلهم العظيم و تساهلهم في نقل الكذب الصريح و اقدموا على تكفير من لا يستحق التكفير و ما سبب ذلك و ما إلا ما هم عليه من فرط الجهل و التعصب و النشأة على شيء لم يعرفوا سواه و هو باطل و لم يشتغلوا بشيء من العلم حتى يفهموا بل هم في غاية الغباوة ا‍هـ و قد غفل المكفرون عن اصطلاحه لعدم تتبعهم لكلامه أو اعتقادهم أن اصطلاح المتأخر لا بد أن يكون موافقاً لإصطلاح المتقدم و لم يميلوا إلى التأويل مع ما يرده اما لغباوة أو

عقد على أن في كلام المتصدي لتكفيره اعترافاً بعدم فهم مراده حيث قال في آخر كلامه أو اراد شيأ فقصرت عنه عباراته بل اعترافاً بعدم تكفيره إذ هو من لازم . اعترافه بعدم فهم مراده فقد اعترف بأنه إذا اراد معنى صحيحاً قصرت عنه عبارته لا يكون كافراً فكيف و عبارته لا تقصرعن إفادة المعنى الصحيح يظهر ذلك للمتأمل المنصف و في كلام السعد و غيره ما يفيد أن العبرة بالمراد لا بالعبارة القاصرة عنه حيث قال هو و غيره فيما نقله شيخ الإسلام و لأنه قد يصدر عن العارف بالله تعالى إذا استغرق في بحر التوحيد عبارات تشعر بالحلول و الاتحاد لقصور العبارة عن بيان حاله الذي ترقى إليه فهذا صريح أو كالصريح بأن العبارة القاصرة التي تشعر بالكفر كالحلول و الاتحاد لا يكفر صاحبها بل هناك امور لا شبهة للمكفر فيها اصلاً منها تكفيره بقوله أن الكعبة لا يراد بها خصوص الابنية و منها ما ذكره بعض الطلبه فيما يتعلق بالوجود و جعله قياساً و نتيجة فإنه لو ادرك لا ستحيى أن يكتب ما كتبه و لكره أن يطلع عليه أحد ممن له نسبة إلى العلم و العجب أن هذا المكفر ممن ينكر على من يقول بكفر طائفة ابن العربي و يعترف باصطلاحهم و يحمل ألفاظهم على معانيها المرادة لهم أو يؤل حتى كاد يتعبد بألفاظ ابن العربي حتى اغتر بظاهر عبارته في الفصوص و قال بإيمان فرعون مع أنه قيل أنه مكذوب عليه لتصريحه في غير ذلك الكتاب ببقائه على كفرهذا الشيخ عبدالوهاب من أهل الكشف حتى أنه ذكر اطلاعه على الجنة و النار و الميزان و الصراط و تلقاه الناس منه بالقبول و هو ادرى بكلام القوم من غيره قال في كتاب اليواقيت و الجواهر في اعتقاد الأكابر قال الشيخ في الباب الرابع و الستين و ثلثمائة أعلم أنه لا يموت أحد من أهل التكليف إلا مؤمناً عن عيان و تحقيق لا مرية فيه و لا شك لكن من العلم بالله و الإيمان به خاصة و ما بقي الاهل ينفعه ذلك أم لا و في القرآن العظيم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأو بأسنا قال و قد حكى الله عن فرعون أنه قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا اسرائيل و أنا من المسلمين فلم ينفعه هذا الأيمان وأطال في الإيمان و أطال في ادلة أنه لم ينفعه ايمانه قلت قال الشعراني فكذب و الله وافترى من نسب إلى الشيخ محي الدين أنه يقول بقول ايمان فرعون و هذا نصه يكذب الناقل و جمهور العلماء قاطبة على عدم قبول ايمانه و إيمان جميع من آمن في اليأس لأن شرط الإيمان الاختيار و صاحب ايمان الناس كالملجأ إلى الأيمان و الإيمان لا ينفع صاحبه إلا عند القدره على خلافه حتى يكون المرأ مختاراً و لأن متعلق الإيمان هو الغيب و أما من يشاهد نزول الملائكة بعذابه فهو خارج عن ... الايمان و الله أعلم اهـ المقصود منه فهلا أول لهذا ايضاً بل هذا أولى بالتأويل لأن ذاك طعن فيه كثير من أئمة عصره و غيرهم و حكموا بتكفيره و لم نسمع طعناً في هذا الرجل عن أحد يعتد به فإن قال أن تقدم بن العربي مقتض لترجحه يقال له التقدم لا يقتضي الترجيح بل لو نظر لذلك ثبت في ابن العربي ما قيل فيه إذ هو متأخر بالنسبة لمن قبله من القوم حتى جعل بعضهم هذا من جملة الرد عليه حيث قال أن ما صدر عنه و عن طائفته ليس من اصطلاح القوم و إن قال أن باب السلوك و الاستغراق قد سد بعد ابن العربي فقد اراد سد باب الوصول له إليه و لا قوة له عليه و بعد التسليم أقل القليل أن يكون هذا الرجل أولى بالتأويل من فرعون فإن بقاء فرعون على كفره يدل عليه ظواهر الكتاب و السنة و صرفهما عن ظاهري بغير دليل لا يجوز و جزم بكفره ايضاً جماهير العلماء حتى كادوا يجمعون عليه إلا من شذ. بل حكى بعضهم فيه الاجماع ففي الزواجر لابن حجر الهيتمي أخذ علماء

الأمة و مجتهدوها الذين عليهم المعول من الآية الأولى اعني قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأو بأسنا اجماعهم على كفر فرعون ورواه الترمذي في تفسيره في سورة يونس من طريقين و قال في أحدهما حديث حسن و في الآخر حديث حسن غريب صحيح و روي ابن عدى و الطبراني انه صلى الله عليه و سلم قال خلق الله يحيى بن ذكريا في بطن امه مؤمناً و خلق فرعون في بطن امه كافراًو اما ما حكاه عنه في سورة يونس بقوله عز من قائل حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا اسرائيل و أنا من المسلمين فهو ما ينفعه إلى آخر عبارته الكافية الشافية القائل هو في اثنائها بعد نقله عبارة ابن العربي التي أخذ منها نسبه القول بصحة إيمان فرعون لأبن العربي فهل هذا الكلام مقرر أو مردود فما وجه رده قلت قال ابن حجر ليس هذا الكلام مقرراً و أن كنا نعتقد جلاله قائله فإن العصمة ليست إلا للأنبياءإلى أن قال على أنه نقل عن بعض كتب ذلك الإمام أنه صرح فيها بأن فرعون مع هامان و قارون في النار و إذا اختلف كلام إمام فيؤخذ منه ما يوافق الادلة الظاهرة و يعرض عما يخالفها إلى ما طاب له اشتباه مما فيه رد لكثير من الجهلاء فجعله اجماعاً و لم يعول على من خالف و أما تأويل كلام هذا الرجل فلم يمنع منه مانع بل صرح العلماء بأن كثيراً من اللفظ الموهم لا يلتفت إلى ايهامه حيث أمكن حمله إلى محمل صحيح و كأنه ظن أن ادخال الكافر في الايمان أسهل من إدخال الكافر في الإيمان أسهل من إدخال المسلم في الكفر و هو ظن فاسد لأنا نستصحب الأصل في كل منهما حتى تحقق ما يخرجه عن ذلك الاصل فالأصل في المسلم بقاؤه على اسلامه حتى تتحقق ما يخرجه عنه و الاصل في الكافر بقاؤه على كفره حتى تتحقق ما يخرجه عنه فظهر أن التأويل للمسلم ليبقى على اسلامه أولى من التأويل للكافر بل لا يجوز الحكم بإسلام الكافر بغير دليل اذ الأصل بقاؤه على كفره و لا يجوز الإقدام على تكفير المسلم حتى يتحقق ما يعتقده من المكفرات كما يدل عليه كلام السبكي رحمه الله و قد بلغني إن شأن هؤلاء القوم يعني المكفرين أنهم ينظرون إلى المسائل التي يكون بعض العلماء مخالفاً فيها لما أطبق عليه الجمهور و يقيم ادلة لنفسه يستدل بها على ما خالف فيه فيأخذون قول ذلك المخالف و يضعونه في رسالة ويردون عليها ما أقامه هو من الأدلة وينسبونها إلى أنفسهم و يرسلونها إلى البلدان حتى اشاعوا تلك الأقوال المخالفة لما عليه جمهور العلماء فمن ذلك القول بإيمان فرعون و من ذلك اختيارهم أن و أنهن الغرانيق العلى من قول النبي صلى الله عليه و سلم إلى غير ذلك مما اشتملت عليه الرسائل التي يبعثون بها إلى البلدان فيأخذها ضعيف العقل قليل العلم فيغتر بها و تصير هي معتقده فإن قصدوا بذلك صرف العامة عن اعتقاد ما عليه الجمهور إلى اعتقاد ما شذ به واحد أو إثنان مثلاً فهذا من الإفساد لا من الاصـــلاح و الارشاد إذ الذي عليه جمهور العلماء هو الحقيق بالاعتماد في الاعتقاد و إن قصدوا بذلك إظهار دعوى الإجتهاد و إنه صارت فيهم قوة الترجيح و الرد على الأئمة فهذا لا يثبت دعواهم إذ لا تميز لهم بذلك إذ كل من له أدنى اشتغال بالعلم إذا أطلع على هذا القول و ادلته أمكنه أن يقول مثل ما يقولون بأن يقول و الذي اختاره في هذه المسئلة كذا و يسرد أدلة صاحب القول كما يسردونها و إن لم يفهم المسئلة و لا شيأ من أدلتها على انه لا يتوهم فيهم أحد تلك الأهلية بل أهل و طنهم حتى الآخذين عنهم لا يثبتون لهم أهلية التعليم فضلاً عن مرتبة الاجتهاد فالله اعلم بمقاصدهم ثم انتقلوا من ذلك إلى تكفير المسلمين وأما من افتى بأن من أول كلام ذلك الرجل فهو كافر فهو جاهل أي

جاهل معتوه و قد اخبرني بذلك من له به خلطة تامة من أهل العلم فأني لا أعرفه و أخبرت أنه ليس فيه أهلية لا قرأ مقدمة أبي الليث فضلاً عن غيرها و إنما يجلس للكذب على العوام يقرئهم مقدمة ابي الليث أو غيرها من الكتب الوعظيات ووافقه آخر أخبرني من يعر انه قرأ أمثلة التصريف على بعض موالى الروم و لا علاقة له بفقه و لا حديث و لا غيرهما من العلوم الدينية و لولا عنه و جهل الأول و جهل الثاني لحكمنا بكفرهما و لكن لما كان لهما نوع عذر باعتبار أن العوام لا يكلفون إلا بمعرفة المسائل الظاهرة دون المسائل الخفية و هذه المسئلة من المسائل التي تخفى على مثلها من العوام اعرضنا عن الحكم بذلك و لكن مثل هذين الجاهلين ينبغي تأديبهما وزجرهما عن الخوض فيما لا وصول لأذهانهما إليه و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و حسبنا الله و نعم الوكيل ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . قاله الفقير أحمد البشبيشي المصري الأزهري الشافعي رحم الله من تابع الحق و أظهر الخفى من الجلي هذا من قبيل إثبات فضيلة شيء باثبات نقص ضده كما قيل إن الا شيأ تتبين بضدها فإن هنا بين نقص الطائفة الثالثة الذين لا يقدرون تمييز بعض مراتب و جودات المخلوقات من الواجب بأنهم لما لم يميزوا بينهما اثبتوا للممكن ما للواجب و وجدوا انفسهم عين الحق بخلاف الطائفة الأولى إنهم ميزوا بينهما و لم يثبتوا ما لاحدهما للآخر فتأمل تعرفه و الا فتحير و لا تستعجل حتى تستوفى الكلام و تحيطه من أوله إلى آخره منه عفى عنه (صورة ما كتبه العلامة العالم بالله تعالى الشيخ عبدالله العباسي الشافعي المكي رحمه الله تعالى) بسم الله الرحمن الرحيم حامداً و مصلياً و بعد فقد وقفت على ما كتبه العلامة الأوحد الهمام الامجد مولانا و سيدنا الشيخ أحمد بلغه الله تعالى كل مقام أحمد فما وجدت لكتابة غيره معنى اذ المعول عليه كلامه فالله اسأل و بنبيه و آله و صحبه أتوسل أن يديم النفع به بجاه سيد الأولين و الآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم قاله الفقير إلى الله تعالى عبدالله العباسي الشافعي .

صورة ما كتبه سنجقدار العلامة القاسم المكي الحنفي عامله الله تعالى بلطفه الجلي والخفي) بسم الله الرحمن الرحيم و به العون الحمد لله حمداً يليق بجلاله و الصلاة والسلام على سيدنا محمد و آله و صحبه صلاة تليق بكماله (أما بعد) فقد احطت بهذا السؤال و الرسالة و الأجوبة نظراً و تأملتها و امعنتها فكراً فرأيت أن النقص في السؤال بالتبديل الذي يدل على أن فاعله صاحب نقص و حظ نفس و افتراء و تسويل أما الرسالة فقد اظهرت لقائلها الفضل و الجلالة كثر الله تعالى امثاله و جعل للمتقين ظلاله اما الاجوبة فكل جواب مبني على فهم المجيب من الخطأ و الأخذ بالظاهر بلا ريب و أما الجواب الملحق بالسؤال لصاحب الرسالة فهو المبين لا محالة و هو جواب مولانا و شيخنا و بركتنا الشيخ أحمد فهو من كل جواب أحمد و ما لنا إلا اتباع أحمد فعليه الاعتماد في المبدأ و المعاد كيف لا و هو الجامع بين المعقول و المنقول و الحاوي لجميع الفنون من الفروع و الاصول فسح الله في مدته و جعلنا ممن يقوم بحجته و في الرسالة و الجواب ما فيه كفاية لأولي الألباب من أدلة السنة و الكتاب و مقامنا التسليم لأهل الباطن ففيه السلامة للدين في الظاهر و الباطن التخلق باخلاق من سلف ممن مضى و زلف قال النبي صلى الله عليه و سلم ذرو العارفين المحدثين من امتي لا تنزلوهم الجنة و لا النار حتى يكون الله تعالى الذي يقضي فيهم يوم القيامة قال المناوى رحمه الله تعالى جمع محدث اسم مفعول

بالفتح أي ملهم و هو من القى في نفسه شيء على وجه الالهام و المكاشفة من الملأ الأعلى فظهر أن المراد بهم الجاذيب الذين يبدو منهم ما يخالف ظاهره الشرع فلا يتعرض له بشيء انتهى نقله العلامة السيوطي في الجامع الصغير عن الخطيب و صححه فإذا كان هذا في المحدثين الذين هم الملهمون المجاذيب فما بالك بشيخ اكبر قد ظهرارشاده في الأصغر و الأكبر و سرى سره في القلوب و نور كيف لا يلتمس لكلامه ما يليق بمقامه فلكل ما مقام مقال و لكل و لي حال و مجال جعلنا الله تعالى من المعتقدين لا من المنتقدين و من المصلحين لا من المفسدين المتعنتين و من المتبعين لا من المتبدعين و افاض علينا من بركات اوليائه أهل حق اليقين ربنا اغفرلنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ربنا افرغ علينا صبراً و توفنا مسلمين قاله الفقير إلى الله تعالى قاسم بن سنجقدار المكي الحنفي حامداً و مصلياً ١هــ، صورة ما كتبه شيخ الحرم المكي السيد محمد افندي الحسين رحمه الله تعالى و طيب ثراه و جعل الجنة منقلبه و مثواه) (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أنعم و تفضل على من يشاء من عباده بالكمال ووفقه لبسط السلوك في طريقة الحقيقة بالإجلال أحمد الله سبحانه و تعالى على ما وهبنا من الانعام و الافضال و صلى الله على نبيه الكريم السيد الحكيم سيدنا محمد صلى الله عليه و على آله و اصحابه أهل المجد و الكمال صلاة دائمة بالغدو و الآصال و سلم تسليماً (اما بعد) فقد وقفت على السؤال الذي صوره صالح الأورنك آبادي و محمد عارف و عبدالله الكوكني من توابع صالح المذكور فوجدته قد ذكروا فيه اقوالاً و زعموا انهم استخرجوها من مكتوبات الشيخ الأجل الهمام الأكمل في الطريقة النقشبندية بل الإمام منبع العلوم و المعارف منشأ الاسرار و اللطائف العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الفاروقي الحنفي النقشبندي رحمه الله تعالى و اعلى درجاته وحيث كان مكتوبات الشيخ رحمه الله تعالى بالفارسية عربوها إلى الألفاظ العربية بمقدار معرفتهم و مقتضى مرادهم نعوذ بالله من اتباع النفس و الهوى وارسلوها إلى فلان احد مجاوري المدينة المنورة ثم بعد وصول ذلك السؤال إليه علق رسالة بتكفير الشيخ أحمد المذكور بسبب الأقوال المكتوبة في السؤال الملائمة لخاطر المرسل إليه و تصدى لإثبات كفره بها و هيهات أن يثبت و طلب من قاضي المدينة المنورة و مفتيها و علمائها أن يكتبوا على ذلك السؤال على وفق مراده فامتنعوا عن ذلك وردوا عليه كلاماً و اجوبة تليق بالعلماء العاملين بعلومهم ثم بعد ذلك اتى إلى مكة المشرفة فسئل الكتابة على السؤال المذكور من قاضيها و مفتيها و علمائها ايضاً فما أحد وافقه على ذلك و اجابوه بقولهم هذا الأمر الذي ارتكبه عظيم فما يوافقك في تكفير مسلم الاكل هالك و لا وافقه بالكتابة من العلماء على ذلك إلا آحاد من الناس ممن لا معرفة لهم بالطريقة و بعضهم وافقه لملائمة هواه و بعضهم لا علم له رأساً و لا حقيقة فحصل ما حصل من القيل و القال بسبب فعل هذا الضال فعل ذلك لتبع هوى من ارسل إليه السؤال أو ما عملوا قوله صلى الله عليه و سلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فما بالك في حقوق العباد لا سيما فيمن اراه تكفير ولى و هو اعلم العباد فيا ويل من تجرأ أن ربك لبالمرصاد فبموجب ما افتروا على الشيخ أحمد النقشبندي و مكتوباته احتاج الأمر إلى تتبع مكتوبات المرحوم الشيخ أحمد المذكور و تعريب الفاظه الفارسية إلى العربية على وجه يتضح الحق به على يد عالم له علم بالعربية و الفارسية و حيث كان الأمر كذلك صرف الشيخ الأجل العالم الفاضل الشيخ محمد بيك همته العلية أي اتباء الله تعالى

الذين ارسلهم الله بالحق و لزم علينا الإيمان بهم و تصديقهم فالاضافة لأدنى ملابسة .و طلب جميع مكتوبات الشيخ أحمد و قابل الأقوال التي في ورقة السؤال مع مكتوبات المرحوم فوجد بعضها غير موافق لها بسبب التحريف و ترك بعض الألفاظ و زيادة اخرى الى ارتكبها هذا الظريف فكتب الرسالة و بين فيها اصطلاحات السادات النقشبندية و مقاصد الشيخ أحمد رحمه الله تعالى و اراد بذلك اظهار وارد بذلك اظهار الحق فإن اتباع الحق أحق و لينحل الاشكال و ليرتفع القيل و القال فعرب الألفاظ الفارسية إلى العربية و احسن و اهتم و اتقن و ارتفع من أله الحق سوء الظن بل رجع الكفر على من تجرأ بتكفير المسلم و ندم كثير ممن كتب على السؤال المذكور و لازم الندم رجاء أن يدخل تحت قوله صلى الله عليه و سلم التوبة الندم لما ظهر لهم أن مبنى الأمر على الهوى و الغرض و البهتان الذي فهم من الزيادة و النقصان و التجرأ الذي لا يليق بالمسلم فعله بل لا يقبله انسان قال صلى الله عليه و سلم من آذى مسلماً فقد آذاني فكيف يكون حال من تجرأ على التحريف و قوله عليه الصلاة و السلام اذكروا محاسن موتاكم و كفوا عن مساويهم و قوله عليه الصلاة و السلام من حسن إسلام المرأ تركه مالا يعنيه فظهر الحق و زهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً فينبغي لحكام تلك الديار أن يخرجوا منها من هو مثل هؤلاء المتجرئين بل يجب أن يؤد بهم بحسب ما يقتضي اقوالهم و افعالهم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه اجمعين قال ذلك و كتبه افقر عباد الله الغني محمد ابن حسن الحسيني شيخ الحرم المكي عفى الله عنهما و عن المسلمين اجمعين (صورة ما كتبه السيد علي بن السيد محمد المعروف بكلاه زاده الديار بكري المكي رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين) رب ليس الهدى غير هداك ولا آلاء إلا آلائك نحمدك اللهم يامفيض الأنوار و يا مزين قلوب العارفين بالاسرار افض علينا انواررحمتك و يسرلنا الوصول إلى كمال معرفتك و هب لنا منك محبتك و صل على محمد لسان حجتك و على آله و اصحابه خير بريتك و على أوليائك المرتاضين المتمسكين بشريعةخير خليقتك بجلال عزتك و كمال رأفتك (أما بعد) فاني لما وقفت على المكتوبات الفارسية التي كتبها شمس فلك الارشاد و بدر اوج الطريقة و السداد و محور دائرة الفضائل و الكمالات و الرشاد القطب الرباني و الغوث الصمداني المرحوم المقدس المبرور الأوحدي العارف بالله تعالى الشيخ أحمد السرهندي الفاروقي النقشبندي قدس سره العزيز ومعربها الذي عربه العمدة العلامة و الزبدة التهامة الفاضل الأكمل و المحقق الاجل العارف باصطلاحات السادات الصوفية و العالم بقواعدها المرضية محمد بيك و عين الله ترعى لسانا عربه فأحسن و اجاد و بنانا نقله إلى البياض من السواد و اتقن و امعن و افاد و شرح و فصل و بين ما هو المراد جعل الله تعالى عمله مبروراً و سعيه مشكوراً و جزاءه في الدارين جزاء مرفوعاً فبعد ما أوضح المعرب الفاضل و بين ما هو المراد من مكتوبات الشيخ الكامل و صرح بأنه لا مخالفة في مكتوبات الشيخ للشرع الشريف قطعاً لا اصلاً و لا فرعاً لقيتها منطوية على الحقائق من الفوائد المرموزة مشتملة على الدقائق من الفرائد المكنوزة متزنة بميزان الشريعة الغراء ممتلئة بلوائح تعجز عن ادراكها القوى لأنها معبر عنها بلسان السادات الصوفية و محرر على اصطلاحات مشارب تلك الطائفة العلية لا لغو فيها و لا تأثيم إلا قيلاً صواباً و مقالاً كخالص التبر مذاباً فياله من كتاب فاخر تعقد عليها الخناصر و قد تصدى بعض مبغضي الطريقة النقشبندية و الشيخ المذكور لجميع الترهات و عرب بعض مواضع من

المكتوبات و غيرها و بدل و حرف بالنقص و الزيادات فيا ويل من غير وبدل و حرف و غوى في بيداء التعدي و تعسف و تكلف و يا خسران من تجرأ عليه باطالة لسان الاعتراض الناشئ عن التعصب والعناد و يا طغيان من تصدى عليه بالتكفير المنبعث عن دناءة النفس وادعاء التعين و الانفراد و لئن سلم عدم التغير والتحريف فبمجرد عدم وصول احد إلى غور مكتوب من المكتوبات التي كتبت على اصطلاحات خفية لقوم موقوفة على السماع لا يلزم أن يكون في نفس تلك المكتوبات شيء من الخطأ و الزلل و الاعوجاج فهلا يمكن أن يكون الخطأ في الناظر إليها من قصور الفهم و قلة التأمل و سائر الموانع في المزاج لأن العقول متفاوتة بمراتب إلى العاشر و كذا القوى و الحواس و المشاعر فكثيراً ما يقع للانسان إنه مرة يعلم و يصل إلى غور شيء من الجلي و الخفي و مرة يصل إلى الخفي و يتوقف في الأمر الجلي وفهمه لا يفي فهكذا علم المخلوق العاجز فمرة يفتح عليه باب الوصول و مرة يظهر له حاجز و اما العلم بكل شيء و الاحاطة بحقيقته في كل زمان و في كل حال فهذا في حيز الامتناع لأنه من شأن عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال فالمنصف المتأمل العالم إذا لم يصل إلى حقيقة معنى و غوره من المعاني المقصودة في العبارات الخفية و تعسر عليه العثور فهو لا يخطئ قائلها بل يحمل على نفسه الخطأ و القصور فيستمد ممن عنده مفاتيح الغيب و بيده مقاليد الأمور و لا يتكلف في حمل الكلام على أمر بعيد من مخالفة الشرع و ايجاب التكفير الشديد و التكفير أمر عظيم لا يتجرأ عليه إلا من هو غافل أو جاهل لئيم قال في البحر و الذي تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف و لو رواية ضعيفة انتهى و إذا تقرر هذا فكيف من تجرأ و أطال لسان الاعتراض على الأولياء المتجردين عن جلابيب ابدانهم المنخرطين في سلك المجردات الواصلين إلى بحر الحقيقة الخائضين في لجة بحر الوصول إلى توحيد الذات العالمين الثابتين على الصراط المستقيم العالي حالهم وشأنهم و لسانهم عن مخالفة الشرع القويم و قد وقف على تلك المكتوبات و معربها علماء مكة المشرفة زادها الله تعظيماً و تشريفاً و تلقوها بحسن القبول في الملفوظ والمدلول بيض الله وجوه اعمالهم و ساعدهم بالطافه الخفية في حالهم و مآلهم فاقتفيت صدورنا الفضلاء اعزهم الله بحرمة الانبياء بالاقبال و الامضاء علماً مني بأني لست من عداد هؤلاء الكرماء و لكن لا بأس بأن يقتضى بهم ميلاً و محبةً و طفيلياً لاعزتنا الاجلاء فعلى الحكام وولاه الامور أن يسعوا في تاديب أمثال هؤلاء المنحرفين بالسعي الموفور و إن لا يخلوهم في ضلالهم القديم بل ينبغي أن يهتموا في التاديب و الزجر بالاهتمام و العظيم حتى ينقطع القيل و القال بين الآحاد و ينسد باب التعصب و التجرأ وينعدم الفساد و الله سبحانه يقول الحق و هو يهدي السبيل و هو حسبنا و نعم الوكيل قاله تراب اقدام الفقهاء وخادم محافل العلماء العبد الفقير إلى الله تعالى الصمد السيد على ابن محمد المعو كلاه زاده جعلهما الله من الفائزين بالحسنى و زياده حامداً ومصلياً و محسبلا و محوقلا و مهللاً و الحمد لله رب العالمين ، و منها ما كتبه العلامة الشيخ مرشد الدين بن أحمد المرشدي تغمده الله بغفرانه ورحمه الله سبحانه مع اسلافه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى (وبعد) فيقول الفقير إلى ربه الغني مرشد الدين بن أحمد المرشدي الحنفي العمري اني وقفت على الرسالة المعربة من الفارسية لشيخ الطريقة و الحقيقة العلامة المرحوم المقدس المبرور الشيخ أحمد الفاروقي النقشبندي و المعرب لها العلامة و العمدة الفهامة الشيخ محمد بيك بين

كلام صاحب الرسالة ورد على من حرفه فظهر على احسن الوجوه فجزاه الله سبحانه خير الجزاء يوم تبيض وجوه و تسود وجوه و قد وقف على الرسالة المعربة علماء مكة المشرفة فكتبوا عليها بعد ان تأملوا كلامه و فهموه و تبين لهم بطلان قول من تكلم على صاحب المكتوبات و تحريره فنقول اللهم ارنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه و ارنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه فوجب على كل من كان بيده القلم و السيف ان ينصر الاسلام و المسلمين بتأييد أولياء الله تعالى فهم في الحقيقة هم العلماء العاملون و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليماً و منها ما كتبه شيخ الاسلام مفتي الانام بمدينة الرسول عليه السلام مولانا السيد اسعد أسعد الله تعالى حاله في الدارين صاحب الفتاوى الأسعدية كتبه أول مرة في أوائل رجب سنة ثلاث و تسعين و الف . بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علماً و فهما وكم من امتلأ قلبه حسدا و ظلما الحمد لله الذي فتح على قلوب أوليائه أنوار اليقين و منع من اختص من اصفيائه بشوطحات يعجز عن فهم معانيها كثير من المتكلمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء و المرسلين و على آله و اصحابه و تابعيهم باحسان إلى يوم الدين (و بعد) فقد شاع في الاقطار الحجازية ذكر سؤال ورد من الهند فيه كلمات غامضة خفية ثم بعد مدة عرض على لا كتب عليه بالرد على قائله و هو رجل اسمه احمد السرهندي فاذا فيه كلمات بعيدة المعنى ركيكة العبارة و المبنى و اخبرت انه معرب من الفارسية و لا يؤمن أن تكون الترجمة غير مطابقة للواقع خصوصاً مع تظاهر حامله بعداوة تامة بلا مدافع فلم ينشرح صدري للكتابة على مالم يقع عندي فيه تحقيق و لعلمي بأن للمشايخ اصطلاحات اتفقوا عليها لا تظهر اسرارها إلا لاعلامهم أو بنور التوفيق قال العلامة ابن عباد في شرح الحكم العطائية ان كلام الأولياء منوط على اسرار مصونة و جواهر حكم مكنونة لا يكشفها الأفهم و لا يتبين حقائقها إلا بالتلقي عنهم فلذلك رددته بغير كتابة عليه ثم جعل يعرضه على كل غث و سمين فيكتبون عليه ما لا يفهمون و يتكلمون بما لا يعلمون فيما لا يعملون و لكن سيجزون به يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم جاءني بعض الاخوان و اخبرني بحقيقة المكتوبات و احسبه صادقاً لصلاح ظاهره و افادني أن فيه زيادة و نقصان اخرجت المكتوبات عن موضعها و إن لم يكن في جميعها بل في مجموعها و رأيت تأويلات حضرة الشيخ محمد فرخ شاه عند ذكر الملاحة من المكتوبات الرابع و التسعين من الجلد الثالث من المكتوبات قال و قد استشكل تلك بعض المعاندين بانه إذا كان حصول الخلة و الولاية المحمدية له صلى الله عليه و سلم موقوفاً على توسط واحد فرد بعد الف سنة يلزم منه أنه صلى الله عليه و سلم لم يكن حبيباً و لا خليلا و هو خلاف الحديث فإنه صلى الله عليه و سلم سمى نفسه حبيباً و خليلاً و جوابه ما قال الشعراني في العهود و المواثيق إذا بلغك عن صوفي ما يخالف الشرع فاحمله على سبعين محملاً فإن لم تقنع بذلك نفسك فارجع إليها باللوم و قل لها يحتمل كلام اخيك سبعين محملاً ولا تحملنه على محمل واحد و قد اجاب رحمه الله بنفسه عن هذه الاشكال و غيره في التنبيه في آخر المكتوب و افتتاحه مسوق لبيان وجه اتباع الحبيب لملة ابراهيم الخليل عليه السلام لقوله تعالى ثم اوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً و مقصوده أن الولاية الابراهيمية بمنزلة السلم للعروج إلى الحقيقة المحمدية فأمر صلى الله عليه و سلم باتباعه ليحصل له بواسطة الاتباع مناسبة بالولاية الابراهيمية و تكون معراجاً للعروج إلى الحقيقة المحمدية التي هي المقام الأعلى فوصل صلى الله عليه و سلم من ذلك الطريق

إلى مقامه الاعلى و احتظ من تلك الولاية في ثمره بقدر الاجمال كما يدل عليه قوله فبالضرورة كان الخروج من هنالك و الدخول في محيط الدائرة دلالة صريحة على انه صلى الله عليه و سلم في عين المركز الاقرب إلى ذات الحق تعالى و غاية الأمر أن ظهور تفصيل كمالات المحيط مشروط بالشروط المذكورة و قوله قدس سره دام يتيسر الوصول لجميع المقامات الابراهيمية لا يتيسر الوصول للحقيقة المحمدية مأول بانه ليس المراد بلفظ الحقيقة عين المركز المعبر عنه بالملاحة بل المراد المركز بجميع كيفياته و خصوصياته و يحتمل ان يكون ظهور بعض دقائق ذلك المقام منوطاً بحصول جميع مراتب المحيط و لا محذور في ذلك لان أصل ذلك المقام الذي لا أقرب منه في مراتب القرب الإلهي ثابت له صلى الله عليه و سلم حيث اتضح ان مقام المحبوبية و الملاحة حاصل له صلى الله عليه و سلم و كذا هو محيط بطريق الاجمال بالمحيط الذي هو الصباحة و الخلة فتحقق انه صلى الله عليه وسلم متحقق بكل من مقامي الخلة و الصباحة و المحبوبية و الملاحة لا كما فهمه المعاندون فقالوا انه صلى الله عليه و سلم لم يكن له مقام المحبوبية و الخلة إلا بعد الف سنة إلا يرى ما في آخر المكتوب المبني لسر الصلاة المنطوقة حيث كتب فيه أن ولاية الخلة تمت له صلى الله عليه و سلم و لم يكتب انه حصل له انتهى من كشف الغطاء عن اذهان الاغبياء خذبده فرخشاه و كذلك رأيت تأويل مقام الصديقية و كونها عرض رؤيا لا غير و باب التأويل لكلام الأولياء مفتوح و لا خير في الحكم بكفر مسلم فكيف بولي من أولياء الله تعالى أسأل الله العصمة و الهداية إلى سواء الطريق و قد صدر عن الأولياء من الكلام المشكل ما هو أعظم من ذلك فتلقاه العلماء رضي الله عنهم

بالقبول خلفاً عن سلف من غير التفات إلى اشكال ظاهرة مع علمهم بحقيقته و ما يقتضيه نظراً إلى كمال احوالهم لا إلى ظاهر أقوالهم و الله تعالى اعلم كتبه الفقيرإلى الله تعالى السيد اسعد الحنفي المدني المفتي السلطان غفر الله له و لوالديه و لجميع المسلمين آمين و حسبنا الله و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين و الحمد لله رب العالمين

(و منها ما كتبه مولانا المفتي المذكور ثانياً في صفر سنة ١٠٩٤ اربع و تسعين وألف بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي حمى حوزة أوليائه بصيانة علماء الدين وحصنى و احصى من سعى في اطفاء نور الولاية بقهره المتين و اعز من أعز دينه الشامخ العماد الراسخ الاصول السامي الاوتاد و الصلاة و السلام الاتمان الاكملان على سيدنا محمد الذي رفع مقامه و شفعه في الخلائق يوم القيامة و على آله و أصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين خصوصاً أوليائه العاملين (أمابعد) فإنه لما رفع إلى السؤال الذي ورد من الهند لكتابتي عليه في اوائل رجب المرجب سنة ١٠٩٣ ثلاث وتسعين و ألف فامتنعت عن ذلك كما ذكرته قبل ذلك ثم عرض على ثانياً في أواخر شهر صفر الخير سنة١٠٩٤ اربع و تسعين وألف مرات متعددة و جعل حامله يلتمس مني الكتابة عليه بكل حيلة و يتوسل لذلك بكل سبب و سيلة فامتنعت غاية الامتناع لأمر الهمني اياه ربي بلا تكلف و لا اصطناع ثم ورد المدينة المنورة رجل هندي من اتباع الشيخ أحمد السرهندي اسمه الشيخ جلال الدين البطحي و عرب بعض كلمات ما في السؤال للشيخ أحمد السرهندي فأفادني هو و غيره ممن اثق بعلمهم وديانتهم أن السؤال المذكور على خلاف ما في نفس الأمر ووافق ظني الواقع و الحمد لله و عرضها على فتاملتها ورايتها

حرية بالقبول بل جديرة بان تكون تاجاً على رأس المكاتبات والقبول فكتبت عليها بالتحسين و جدير بأن تحسن بل و اني لمثلي أن يقول للحسن انت الحسن و لكن لما كانت نصرة الأولياء من أعظم القربات وأقوى المثوبات أحببت أن اتشبه بأهل الصالحات لعل الفيض الإلهي يشملني ببركتهم أنه و لي المكرمات فكتبت ما هو اعلاه ثم في سلخ جمادى الثانية سنة اربع و تسعين وألف ارسل إلينا من مكة المكرمة تعريب الشيخ محمد بيك و تأييد شيخ الإسلام مرجع الخاص و العام و الاستاذ الكامل العالم الفاضل الناصر لدين الله تعالى و الناصر لعباد الله الشيخ شهاب الدين أحمد البشبيشي المصري فقام شكر الله تعالى سعيه للانتصار على ساق رداعاً بذلك أهل العناد و الشقاق و الشيخ الكامل النحرير الفاضل بقية أهل الخير و الصلاح الراقي على مراقي العلم و الفلاح الشيخ عبدالله العباسي الشافعي ومولانا شيخ الاسلام ببلد الله الحرام العالم المحقق و الفاضل المدقق اكليل رؤس الافاضل وواسطة عقد النحريرين ذوي الفضائل عبدالله افندي عتاقي زاده غفر الله ذنبه ومن الحسني زاده و الشيخ الصالح المجتهد القانع المفيد الناصح أخي في الله و محب الله الشيخ حسن بن محمد مراد التونسي و الشيخ العالم ذو الفضائل و المكارم المتلقي للعلوم عن الاساتذة الأكارم الشيخ قاسم سنجقدار و غيرهم من فحول علماء بلد الله الحرام فلا يحتاج إلى ذكرهم بعد ذكر شيخ أم القرى و قد قيل كل الصيد في جوف الفرا فلما رأيت ذلك لاح لي سر قوله صلى الله عليه و سلم الذي رواه في معالم التنزيل يقول الله عز وجل من أهان لي و لياً فقد بارزني بالمحاربة و اني لا غضب لأوليائي كما يغضب الليث للجرو الحديث ودعاني مقلب القلوب ان اقتفي آثارهم و اني أقول و في قولهم الدليل الأعظم و فيهم البحر المتلاطم و عند مقالتهم تلقى عصى التسيار و ما وراء عبادان دار و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل كتبه الفقير إلى ربه القدير اسعد الحنفي ثم المدني حامداً مصلياً محو قائلاً مهللاً و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ثم انتهى ما تعلق به المرام من كلمات هؤلاء الاعلام رؤساء الانام مصابيح الظلام و قد تركت بعضاً منها خوف الإطالة و الاملال و اكتفاء بهذا القدر عن ذكر الكل بالكمال فان في ذلك كفاية لمن ادركته العناية و لنذكر هنا كلمات من سواهم من العلماء العظام والفضلاء الفخام حرصاً على ارشاد من استرشد و تحامياً عن تخييب ظن من استرفد (قال) سحبان الهند مولانا المرحوم السيد غلام علي المعروف بآزاد البلكرامي في ترجمته قُدِسَ سره هو من أعيان سرهند و من مفاخر أهل الهند المجدد للألف الثاني و البرهان الساطع على اشرفية النوع الانساني سحاب هاطل روى العرب والعجم امطاره نير اعظم بلغ المشارق و المغارب انواره جامع العلوم الظاهرة و الباطنة خازن الكنوز البارزة الكامنة و هو في صغر سنه حفظ القرآن و أفحم بتحبير صوته سواجع البستان و في الابتداء تلمذ على ابيه الأوحد مولانا الشيخ عبدالاحد واستفاد منه جماً من العلوم ثم ارتحل إلى سيالكوت و قرأ على مولانا كمال الدين الكشميري بعض كتب المعقولات في نهاية التحقيق و التدقيق و اخذ الحديث عن مولانا يعقوب الكشميري وتناول الحديث المسلسل بالاولوية بواسطة واحدة عن الشيخ عبدالرحمن الذي كان من كبراء المحدثين بالهند و تعاطي عنه أجازة كتب التفسير والصحاح الست و سائر مقروآته و في عمر سبعة عشر سنة فرغ من تحصيل العلوم الدرسية و اشتغل بالتدريس و التصنيف فصنف في تلك الأيام رسالة لطيفة فارسية و عربية ثم ارتحل من سرهند إلى دهلي و اخذ الطريقة النقشبندية عن عبدالباقي و للخواجه المذكور في

حق المجدد عنايات عظيمة و كلمات كريمة ثم جلس المجدد على مسند الارشاد و تلافين و ملأ من فيضه السموات و الاضين و نشأ في حجر تربيته الخلفاء الاجلاء كل واحد منهم آية و مركز لدائرة الولاية وصلت سلسلة من الهند إلى ما وراء النهر و الروم و الشام و المغرب و له مكتوبات في ثلاث مجلدات بالفارسية هي حجج قواطع على تبحره وبراهين سواطع على تبصره و سمعت ان عربها بعض العلماء و لكن ما رأيت المكتوبات المعربة انتهى بأدنى اختصار يقول راقم هذه الاحرف قد اشتهر في الالسنة تأليف محمد بك الأوزبكي المسمى بعطية الوهاب الذي مر ذكره بتعريب المكتوبات لأنه عرب فيه بعض الجمل من المكتوبات أعني التي حرفها المعاند و الا لم يتصد أحد فيما علمنا لتعريب المكتوبات بالتمام كما ذكرنا في ديباجة تعريبنا المكتوبات و الا لما اشتغلنا به نعم قد عرب بعض الجمل منها بتعريب كنز الهدايا الذي جمع فيه شيء من مكتوبات الإمام المجدد و شيء من مكتوبات الامام محمد معصوم قدس سرهما و انتخب أيضاً من مكتوبات المجددية بعض المشايخ الفضلاء انتخاباً جيداً بالتعريب و لا زال العلماء والمشايخ يعربون منها ما تعلق به غرضهم قديماً و حديثاً و إلا فلم اعثر على تعريبها بالتمام و الله سبحانه اعلم (ثم قال) مولانا غلام علي الملكرامي في ترجمة ملا محمود الجونفوري الفاروقي صاحب الشمس البازغة في الحكمة و لا ريب انه لم يظهر بالهند مثل الفاروقيين أحدهما في علم الحقائق و هو مولانا الشيخ أحمد السيرهندي المقدم ذكره و الثاني في العلوم الحكمية و الأدبية و هو الملا محمود صاحب الترجمة انتهى ما تعلق به الغرض من النقل من سبحة المرجان و قال) في الهدية المجددية نقلاً عن مولانا الشيخ عبدالعزيز الدهلوي رحمه الله ما معربه كانت الولايات رائجة و متداولة في قرب زمانه المسعود صلى الله عليه و سلم بين الصحابة و التابعين و هلم جرا إلى زمان الجنيد و اقرانه ثم هلم جرا إلى زمان رؤساء القادرية و الجشتية و صار طريق تحصيلها مدوناً و مبوباً و مفصلاً بخلاف طريق النبوة فإنها لم يذكرها احد في تلك العهود المتطاولة و لم يبين طريق تحصيلها فاختفى طريق تحصيل ذلك المقام وراء حجب الاختفاء و الاستتار إلى أن مرت عليه ألف سنة فأظهر الحق سبحانه حضرة المجدد قدس سره و جعله منشأ ظهور هذا المقام الذي كان مودعاً و مكنوناً في جوهرة الشريف صلى الله عليه و سلم فتيسر سلوك هذا الطريق لآلاف من الطالبين ببركة وجوده قدس سره و عنايته و الحمد لله على ذلك و الآن تبين الطريقة على وجه ينكشف به اختصاص ذلك المقام باتباع المجدد قدس سره كالشمس في رابعة النهار و اعلم ان الطرق كانت قبل المجدد كلها من طريق المحبة و المحبوبية كانوا يسلكون أو لا طريق المحبة ثم كانوا يفوزون اخيراً بمرتبة المحبوبية و كانوا يسعون سعياً بليغاً في لوازم المحبة كذكر الجهر و الوجد و الشوق و الانكسار و التضرع و الصبر و التوكل و طلب مرضاة المحبوب الحقيقي و مراقبة صفاته خصوصاً الاحاطة و المعية و الاستغراق في التوحيد الفعلي و جعل نفسه كالميت بين يدي الغسال ورؤية صفاته و صفات غيره مستهلكة في صفاته تعالى بل جعل ذاته مندمجة في ذاته تعالى و مشاهدة حسنة و جماله تعالى في كل مظهر إلى أن كانوا يمرزون بالأنوار و التجليات في ابتداء السلوك و بالفناء و البقاء في انتهائه و كانوا يشعرون بالاتحاد بل يدعونه كقولهم (ع) أنا من أهوى و من اهوى أنا إلى أن علم الخضر عليه السلام الذكر الخفي لحضرة الخواجة عبدالخالق قدس سره الذي كان ارهاصاً للطريقة المجددية ثم حصلت الطراوة و النظارة لهذا المعنى في عهد الخواجة النقشبندي قدس سره و لكن

امتزجت العلوم التوحيدية بهذه النسبة في عهد حضرة الخواجة عبيدالله احرار قدس سره و غلبتها حتى أوصل حضرة المجدد قدس سره كل ذلك إلى البطون يعني بلغها إلى نهايتها و حصلها و حازها بالكمال و أظهر من حاق صدره طريقاً إلى المحبوب فالغيت تلك التكلفات و زالت الشوق و الوجد و الحالات و التضرعات فكل ما هو موجود فهو في القلب و الروح و السر و الخفي و الاخفى و عناصر البدن حتى تقع الانوار و التجليات من باطن السالك أي يصدر و يظهر منه و ينجر الأمر بالتدريج إلى مقام الخلة و معنى المحبية هو العاشقية و معنى المحبوبية هو المعشوقية و معنى الخلة المصاحبة و الصديقية و كان الأمر سابقاً العاشقية و المعشوقية و هنا الاشتياق و التضرع من الجانبين و المعاملة من الطرفين و في العاشقية الصيحة و القلق و الاضطراب و دق الرأس بالأبواب و الجدران و في المعشوقية الغنج و الدلال و الفخر و المباهات هذا هو بيان طريق الخلة على الاجمال و من اراد تفصيلها فليصحب واحد من أصحاب المجدد عدة من السنين يعني برعاية شروط و آدابه ثم لينظر إلى وجدانه و لتراجع فيه ماذا يظهر له وراء الطريقين السابقين انتهى (وقال) صاحب جواهر الحقائق في كتابه المذكور على ما نقله عنه في الهدية المجدية ما معربه أن الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي من أكابر الصوفية و جامع بين العلوم الظاهرية و الباطنية و صاحب المقامات العلية و الكرامات الجلية و كان أكثر العلماء و العرفاء يعظمونه و يوقرونه وذهب الفاضل الحق مولانا عبدالحكيم السيالكوتي إلى مجدديته و قال أنه مجدد المائة الحادية عشر و اشتهر في زماننا هذا مشاهير العرفاء في الهند و السند و العرب والعجم خصوصاً في الروم و الشام و العراق و بلاد الاكراد و سائر البلدان في سلسلته اشتهاراً تاماً و هو الذي نشر أنواع العلوم و الاسرار و حاز في شرح مقامات الطريقة قصب السبق على السابقين و هو صار معززاً بفهم المقطعات القرآنية و امتاز بحصول اسرار المتشابهات الفرقانية و هو الذي انكشف له اسماء الانبياء الذين مضوا بأرض الهند و اتباعهم و بين مقاماتهم و درجاتهم و هو الذي بين باعلام الهبة مراتب الولاية و النبوة و الرسالة و كمالات أولي العزم و مقامات الخلة و المحبة و اظهر خصوصيات سيد الانبياء عليه الصلاة و السلام و قدس الله روحه وروح سائر الأولياء و افاض علينا من فتوحهم آمين انتهى و هذا قطرة من بحار مناقب هذا الإمام الهمام قدس سره و نبذة من أحواله الظاهرة جمعناها هنا رجاء أن ينتفع بها بعض من لم يقف على كنه اخباره أو سمع من المعاندين خلاف الواقع و هو من أصحاب الأذهان القاصرة و ليس القصد منه استيفاء جميع كمالاته الظاهرة أو التعرض لبيان بعض خصائصه الباطنة كلا فإن هذا مما لا يرام و لا يطمح من رامه بل يلام و أني لنملة عرجاء مساحة مسافة السماء الفسيحة الارجاء و إن كان الاسلم حوالة معرفة أحواله على ملاحظة آثاره و مطالعة أقواله فإنه لا شيء ادل على معرفة الشيء من الاستدلال بآثاره عليه و لذا قيل (شعر) ان آثارنا تدل علينا فانظرو بعدنا إلى الآثار . خصوصاً آثاره قدس سره حيث عمت انوارها كافة الأقطار حتى قال بعض المشائخ أن الإمام ترك بعده كراميتين المكتوبات و الاولاد قلت فإنه الثالث و هو الخلفاء العظام الكرام فإن طريقته كما انتشرت بواسطة أولاده انتشرت أيضاً بواسطة خلفائه و كذلك أولاد أولاده و خلفائه و هلم جرا إلى عصرنا هذا حيث لا تزال تنتشر و تزداد يوماً فيوماً إلى كافة الأقطار على مرور الدهور و الاعصار فهل يكون شيء ادل على علو شانه قدس سره من هذه وهل يحتاج من أمعن النظر فيها إلى الاستدلال بشيء آخر

على معرفة احواله كلا (شعر) و ليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار إلى الدليل * إلا أن المشارب لما كانت مختلفة و الانكار و المعاندة و المخالفة و نشر الاباطيل و الاراجيف جارية غير مفقودة والتقليد في اكثر ابناء الزمان غالباً و التحقيق مفقوداً رأينا الاصلح لهم التداوي من داء الانكار بمرهم نقل اقوال هؤلاء العلماء العظام رحمهم الله تعالى الذين كتبوا ما كتبوا لمحض ابطال الباطل و احقاق الحق من غير النفسانية و الوساوس الشيطانية فمن اختار التقليد فليقلد هؤلاء الاعلام و ليترك قول اللئام و من رفع رأسه عن حضيض التقليد إلى قلل الاستدلال و ذرى التحقيق فليجل نظره في مجالي آثاره قدس سره و ليرجع بصره هل يرى فيها من فطور ثم ليرجع البصر كرتين ينقلب إليه البصر خاسأ و هو حسير و يترنم بلسان حاله بهذه الابيات بعد اعترافه بالتقصير (اشعار) أعجب به من سائر ما عاقه * حجب المراتب لا وصفوا مراتي حتى انتهى لما بدأ بنهاية * للمسائرين وراء وراء وراء في شأنه رتب المديح تقاصرت * فلذاته اللاوصف وصف وفاء و ليكن هذا آخر ما قصدنا ايراده في هذه الجملة الحقيرة على مقتضى الاحوال و نسأل الله سبحانه بها النجاة من سائر الأهوال و لله در من قال (شعر) شنف بذكر ذوي المحبة مسمع * فبذكرهم تنزل الرحمات فبحبهم و بمدحهم و بجاههم * وافى السرور و طابت الأوقات و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين تم الجمع في سنة ١٣٠٩ و اصلاحه بالزيادة و النقصان سنة ١٣١٤ مستهل رجب الفرد اعني ليلة الأحد بعد العشاء الأخيرة ، (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي رفع لواء السنة السنية * و جدد أمر الملة المحمدية * و ايد الشريعة الحنفية * بظهور أهل المزية و بروز أهل الخصوصية ووجود الطائفة المهدية * و الزمرة التقية النقية * و التي بها تغاث البرية * و يدفع عنها كل رزية * و تنجو بها من كل بلية * افاض الله على المسلمين برها و غمر بها و جبر بها صدع القلوب و كسرها * احمده على اولى من هذه النعمة * و كشف الغمة عن الأمة * و أشهد أن لا إله إلا الله الذي بنعمته تتم الصالحات و بمنه تكون الباقيات * و برحمته تكشف الملمات و أشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله منبع العلوم الالهيات * صلى الله عليه و سلم و على آله سفينة النجاة * و أصحابه أولى الدرجات * و سلم تسليماً في جميع الأوقات " اما بعد " فهذه رسالة كنت قد انشئها سنة سبع و ثلاثين و مائتين و ألف ورويت نسبتها إلى غيري لغرض قصدته و الأعمال بالنيات و قد حصل ذلك الغرض و لله الحمد و قد بدأ لي أن أضيف إليها مالم اودعه فيها من كلام العلماء من غير تغير وضعها السابق مع تبيين من اردت بقولي فيها أما بعد فمما منّ الله علي في هذا السفر و كان من موفقة القضاء و القدر النافذين مرورنا على بندر البحرين و اجتماعنا بجناب الفاضل الماجد الخاشع العابد الناصح الزاهد خليفة الشيخ خالد قدس الله سره و مرادي به شيخنا الشيخ اسماعيل و ذلك لأني حين خرجت من البصرة مررت به وهو في قرية خارج البصرة و قد تقدم امره اياي بالسفر فلما آتيته للوداع أوصاني ببعض الوصايا فلهذا قلت و انتفاعنا بلفظه * و استماعنا لوعظه * و اطلاعنا على حقيقته * و اشرافنا على طريقته * فرأيناها الطريقة المثلى * و القول الذي لم يزل في كل العصور يملى * جامعة لحقائق الطرائق و خلاصات الحقائق و لا ينكر منها حرفاً إلا احمق أو منافق " قال " إمامنا الشافعي رضي الله عنه الانكار فرع من النفاق و ذلك لأن المنافقين لو لم ينكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لآمنوا به ظاهراً و باطناً و لقد طرق سمعي بعض مقالات منقولة عن المزورين *

و جهالات منسوبة إلى بعض المشهورين * وانكارامور عليها مدار العلماء العاملين المتقدمين منهم و المتأخرين * فوضع رسالة مثبتة لما انكروه و مبتة لما زوروه * احتساباً لوجه الله الاكرم و انتصاراً لأسم الله الاعظم ونصحاً لأمة محمد صلى الله عليه و سلم * كيلا يقعوا في ورطة الانكار و كيلا يبقى الاخ المنكر على الاصرار * فيؤول به إلى دخول النار * لما اشتهر أنه يخشى عليه من سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك ((و سميتها الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات والرابطة)) و رتبتها على سبعة أبواب الباب الأول في وصية الأخ البار * بمصاحبة الاخيار * و مجانبة الاشرار * الباب الثاني في النقل الموجب للذات * في ذكر اسم الذات الباب الثالث في تعريف رابطة أولى الاجتباء * و ثبوت الرابطة لكل انسان شاء اوابى * الباب الرابع في القول الاسنى * و استحباب الرابطة الحسنى * الباب الخامس في قول أهل الاصطفاء * في رابطة المصطفى * صلى الله عليه و سلم الباب السادس في القول المجمل * في رابطة الأولياء الكمل * الباب السابع فينصح المنكرين الخاص و العام * لحصول حسن الختام * و جعلت الخطاب لواحد في جميع الأبواب رجاء أن يتوجه إلى هذا الكلام بتمامه * و أن يقبل على ربه * و يستغفر من ذنبه * و الله اسئل أن يمن على من تأملها بعين الانصاف باتباع الصواب * و إن يجعلنا و اياه ممن أناب * و إن يهب لنا رضاه أنه الكريم الوهاب * (الباب الأول) في وصية الأخ البار * بمصاحبة الأخيار * و مجانبة الاشرار * اعلم ايها الأخ بصرني الله و اياك طريق الحق و الهدى * و ازال من قلوبنا داء الحسد و جنبنا الاعتداء * انك في زمان دين أهله اتباع الهوى * و رفض التقوي * و طى المليح * و نشر القبيح *و وصل الطلاح وهجر الصلاح * و اشاعة البهتان * و كتمان الاحسان * و مجانبة من قال الله * ومصاحبة من اتخذ هواه * اذا ذكروا لا يذكرون * و اذا رأوا آية يستسخرون * ويطنبون بالنميمة و على الغيبة لا يقتصرون * و اخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون * يبارز أمثلهم الملك القدير * كي يذكر عند الأمير و الوزير * و يعمل ما يوجب الخلود في النار * لكي يمدح بين الفجار * فكره و ذكره تكريرهات * و تقرير الترهات و اضاعة الأوقات و الحرص علي المربقات * و بغض المتقين * و محبة الفاسقين * و اخفاء النصائح * و ابداء الفضائح * و اظهار الود * و اضمار الحقد * و نزع الحياء * و التقمص بالريا * و نفي التواضع والبر * و اثبات العجب و الكبر * إلى قول الزور و إن كثر يجنحون * و به يفرحون * و عليه ما برحون * و عن ذكر الله و إن قل يجمحون * و اذا سمعوه يكلحون * و على فاعله يقدحون * فلا جرم أنهم بالخطأ قائلون * و عن الصواب عادلون * و إلى المراء مائلون * و على الافتراء حاصلون اذا هم رحلوا عن نوادي العدل و في بوادي الجهل هم نازلون * فأولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون * قلوبهم بحب الفساد مشغوفة * و على كسب مال العباد ملهوفة * و عن ذكر ربهم مصروفة * يبذل احدهم في الجهالات و الضلالات و التخليطات و التخبيطات جميع قواه * و يعرض عن ذكر ربه بايعاً دينه بأقل من نواه * و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه * إن طلت بالغيبة لسانك * و اصغيت لها آذانك * عظموا حين رؤيتهم للك شأنك * و رفعوا مكانك و إذا غبت عنهم اظهروا عدواتك * و قرروا بهتانك * فلا مليحك شيعوه * و لا قبيحك يدعوه * قلوبهم مملوة حسداً * كأنهم لم يروا الحشر غدا * أكثرهم طوى بساط الهدي * كأنهم خلقوا سدا * و لا يزالون في قال و قيل * و من لم يوافقوهم يرمونه بالاباطيل * فمن التعطيل أن نحن بذكرهم نطيل * فلا حاجة إلى

التطويل * و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي * و الاعتراف بالاقتراف و التوبة إن شاء الله تعالى دأبي * و الرجاء و حسن الظن بالله حسبي * رحم الله الشيخ القوي حيث يقول (اشعار) فؤاد لا يقر له قرار * و أجفان مدامعها غزار و ليل طال بالافكار حتى * ظننت الليل ليس له نهار و لم لا و التقى حلت عراه * و بان على بنيه الانكسار ليبك معي على الدين البواكي * فقد اضحت مرابطه القفار واضحى لا تقام له حدود * و امسى لا يبين له شعار و عاد كما بدا فينا غريباً * هنالك ماله في الخلق جار فقد نقضوا عهودهم جهارا * اسروا بالعداوة ثم ساروا فعليك يا أخي بحسن الاعتقاد و سلوك سبيل الرشاد و لا يغرك تخبيط أهل العناد قال الفضيل اتبع طرق الهدى و لا يضرك قلة السالكين و اياك و طرق الضلالة و لا تغتر بكثرة الهالكين و ذلك انه لا تزر وازرة وزر أخرى و عن قريب تجتمع الخلائق في الاخرى و يحتار الذين ظلموا و الذين لهم البشرى فعليك بصحبة من ينهضك حاله و يدلك على الله مقاله و اهتد بمقال افضل مرسل صدق مقاله صلى الله عليه و سلم ما نور الافق كوكب الفلك و هلاله انما مثل الجليس الصالح و جليس السوء كحامل المسك و نافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك و أما تبتاع منه و أما أن تجد منه رائحة طيبة ونافخ الكير أما ان يحرق ثيابك و اما أن تجد منه ريحاً خبيثة و قوله صلى الله عليه و سلم خياركم الذين إذا رأوا اذكر الله و هذان الحديثان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجه و الرابطة لأن من ألفاظهما ومعانيهما ما هو مطابق للواقع كما انهما يرغبان في صحبة الصالحين فإنه صلى الله عليه و سلم شبه الصالح بحامل المسك ثم ذكر انه يحصل من مجالسته احدى ثلاث فوائد واحدة مقطوع بها و هي وجدان الريح اذ لا مانع فقال اما ان يحذيك اي يعطيك بلا عوض و العطا هنا أما إفادة علم بلا سؤال و إما إفادة حال بتوجه من ذي كمال قيل و نظرته منه إن صحت إليه على * سبيل ود بإذن الله تغنيه * و أما قوله فإما ان تبتاع منه أي تسأله فيجيبك بما ينفعك هذا من حيث اللسان أو تستمد منه فيمدك بروحانيته و هذا من حيث الجنان و قد يجمع بينهما و هذا الاخذ و الإعطاء الروحاني عند أهله مدرك بالوجدان كالمحسوس فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يلتفت إليه اذ لا يستوي الأعمى و البصير كما لا يستوي المسك و الكير و إني للابكم الفصاحة و حسن التقرير و إما قوله و إما ان تجد منه ريحاً طيبة أي يسري إليك من حاله ما تنتفع به و هذه الجملة مطابقة ظاهرة لفعل التوجه من وجه إذ هو انعكاس حاصل بالفعل تارة من غير استدعاء و إليه الاشارة بإما أن يحذيك و تارة بالاستدعاء و الفعل و إليه الاشارة بتبتاع منه و تارة انعكاس من غير استدعاء و لا فعل و اليه الاشارة بتجد منه ريحاً طيبة عبر بالوجدان دون غيره من الالفاظ لأن الجليس يدرك بذوقه ما يسرى إليه من قلب جليسه الصالح و إذا كانت الطباع تسرق فمن باب أولى أن القلوب المنيرة تسرق وتحصل الفائدة من الجليس الصامت و لا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه و من المعلوم أن من جالس شخصاً سيما إذا كان الجلوس على طريق المحبة و الاعتقاد لابد أن ترسم صورته في ذهنه فمهما تذكره تخيل صورته فإن كان الشخص من أحباب الله فتخيل صورته يدعو إلى محبته و الشوق إليه و محبته مطلوبة و الشوق إليه محبوب فتخيل صورته محبوب إذ من تصور موصوفاً تصور صفاته فإذا كانت صفاته محبوبة عند الله فتصوره الموجب لتصور صفاته المحبوبة محبوب و لا معنى للرابطة سوى هذا و لا يرتاب عاقل في أن الانسان مختار في حركاته الظاهرة و تصوراته الباطنة اذ لا حجر عليه من جهة الشارع إلا أن

تحرك في معصية أو إلى معصية و كذا إن تصور فعل معصية كمن يتصور أنه يزني فهذا محظور بخلاف من تصور أنه يأتي حرثه فلا منع من ذلك و أن قوله صلى الله عليه و سلم خياركم الذين إذا رأوا ذكر الله فهذا كالشرح لقوله أو تجد منه ريحاً طيبة جعل مجرد رؤيتهم محصلة لذكر الله و ذلك لأنهم منسوبون إلى ذكر الله و إذا رأى المنسوب ذكر المنسوب إليه و هو عين الذكر لا سيما اذا كانت رؤيتهم على طريق المحبة و الاعتقاد الصحيح فإنه يحصل بها رفع الحجاب عن القلب فينقش فيه ذكر الله فإن كانت رؤية مع مجالسة فهذه أبلغ من حصول الذكر بسبب انعكاس انوار القلوب و لتيقن يا أخي و تجزم بأني لم اذكر لك جميع ذلك عن ظن و تخمين لا و الذي و سعت رحمته كل شيء بل عن تجربة و تحقيق و الشفيق يجتهد في النصيحة فقل لمن لم يسلك هذا السبيل و لم يذق من شرابه السلسبيل " على نفسه فليبك من ضاع عمره " و ليس له فيها نصيب و لا سهم و الحاصل أن صحبة الصالحين محتاج إليها و قد قالوا الرفيق قبل الطريق و تطهير القلب عن الصفات المذمومة كالكبر و العجب و الرياء و محبة الدنيا و نحوها فرض على كل مسلم بإجماع العلماء لأن جميع الطاعات يترتب وجودهاو الاحسان فيها على تطهير القلب و يكفيك قوله صلى الله عليه و سلم أن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله الحديث و تطهير القلب لا يحصل على الوجه المراد إلا بصحبة مرشد كامل و تأمل عهود الشعراني الكبرى يتحقق عندك صحة هذا القول قال الحبيب سيدي عبدالله باعلوى الحداد عليكم بصحبة الاخيار و التأدب بآدابهم مع التعظيم البالغ لهم و حسن الظن الصادق فيهم فإنما قل انتفاع أهل الزمان بالصالحين من حيث قلة التعظيم لهم و ضعف الظن بهم فحرموا بسبب ذلك بركاتهم و لم يشاهدوا كراماتهم حتى توهموا أن الزمان خال من الاولياء و هم بحمد الله كثيرون ظاهرون و مخفيون و ذلك لأن ظهورهم في كل زمان لابد منه و من اعتقد غير ذلك يخشى عليه تكذيب النبي عليه السلام فإنه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة و صفهم بالظهور و هو شامل للشهرة كالغلبة و النصرة فاعتقاد خلافه مهجور أوو محضور فإن قيل المراد بالطائفة أهل السنة و هم ظاهرون و لله الحمد فيقال لا شك أن مذهب السنة هو الحق وأن أهل السنة بالنسبة إلى فرق هذه الامة هم الطائفة لكن للحق شروط لا يتم إلا بها و ليس كل فرد من أهل السنة جامع الشروط فخواص أهل السنة بالنسبة إلى عوامهم هم الطائفة و منهم المجتهدون في الاحكام و العقائد الدينية و المجاهدون لإعلاء كلمة الله فإن قيل بل المراد بالطائفة أهل العلم من الفقهاء و المدرسين من أهل السنة فيقال و هذا حق أيضاً و هل الطائفة المحققة المهدية إلا أهل العلم لكن إذا كان هذا الفقيه المدرس عدلاً جامعاً لشروط الاسلام فضلاً عن الايمان فضلاً عن الاحسان و المسلم من سلم المسلمون من لسان و مع ان هذه المقامات التي وردت بها الشريعة لا يكون العبد محقاً ظاهراً و باطناً حتى يتصف بها و أما الفقهاء و المدرسون الذين يقرأون درس الغيبة و يقررون مسائل الريبة و يقعون في الاخيار و يزدرون بالفقراء و يتذللون للجهلة و الحمقى من الاغنياء و التجار و كادوا يعبدون الأمراء مع ما يشاهد من أكلهم الحرام و الكبر و العجب و الترفع على الآنام فهؤلاء فسقة الآنام و قد تعرف الفسقة جملة من العلوم و الاحكام و هم أقبح حالاً من العوام و أين هم و أين الطائفة الظاهرة على الحق على الدوام و إنما المراد بالطائفة العدول من العلماء العاملين و المشايخ الكاملين الذين يصدق عليهم قوله صلى الله عليه و سلم يحمل

هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين فهذا الحديث مصرح بأن العدول يحملونه لأن غيرهم لا يعرف منه شيئاً و العدول بالظاهر و الباطن الظاهرون اليوم كالمرشد الكامل العالم العامل العارف الماجد الشيخ خالد و الاكابر من اتباعه و اناس من الحرمين و بغداد و اليمن نعرفهم و الله اعلم بعباده و بلاده و من لا نعرفهم أكثر فهؤلاء على هدى من ربهم و السعيد من كان من حزبهم أما الشيخ خالد فلما هو مشاهد من علو همته و عدم مبالاته بما لا سوى الله من ملك و غيره و جميل مروءته و حسن خلقته و غزارة علمه و اتقانه العلوم العقلية و تبحره خصوصاً في العلوم الشرعية كما أنه وعاء العلوم الدينية و ما يجرى لأتباعه و اتباع اتباعه من الأحوال السنية و الكشوف الالهية و الاذواق و المواجيد و غير ذلك مما رأيناه ووجدناه وشهدناه و قد اشرت منه إلى جمل في الاساور العسجدية لا يدرك معانيها إلا من له قلب و من ذلك عظيم شفقته و رأفته بالمسلمين و اعتنائه بأمة محمد صلى الله عليه و سلم الذي حمله على أن وجه إلى كل قطر قطراً يحيى به اموات القلوب و إلى كل افق بدار يهدي به إلى المطلوب فيالها من نعمة يجب شكرها على المسلمين و كفرها لا يكون إلا من ضعيف الدين عديم اليقين ليس هو من المتقين فإن المتقي ما تحمله النفس على الحسد و لا يؤل به اتباع الهوى إلى جحود فضل أهل التقوى و أما أكابر اتباعه فلما شهدنا من بعضهم الذين رأيناهم من العمل بالعلم و النصيحة و التعليم و حسن السيرة و إخلاص السريرة التي تدل عليها عدم إلتفاتهم إلى الخلق إلا لنفعهم و اعتمادهم على الحق في خفضهم ورفعهم واستغراقهم في العبادة و انهماكهم فيما يوجب لهم السعادة فلا شك انهم من خلاصة الطائفة المذكورة و ممن ذكرهم الله في آية سورة فعليك يا أخي بمحبة هذه الطائفة و صحبتهم و خدمتهم و الانتساب إليهم فإنهم قوم لا يشقى جليسهم فكيف محسوبهم و فقني الله و اياك و هو اكرم الاكرمين (الباب الثاني) في النقل الموجب للذات في ذكر اسم الذات اعلم ايها الأخ شغلني الله و اياك بذكر اسمه الاعظم أن اكثر العلماء بالله و اجلهم نصيباً من الله و اجلاهم شهود الله و أفضلهم صحوا مع الله و امثلهم محوا في محبة الله الذين تكون بدايتهم الله و نهايتهم الله وعلى ذلك أكثر العارفين من المتقدمين و المتأخرين قال الله و اذكر اسم ربك و اسمه الجامع الله و هو علم الذات الواجب الوجود لذاته قال ثعلب اسم مفرد فيه توحيد مجرد قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإن قيل هذا لا دلالة فيه لأنه نزل رداً على من قال ما انزل الله على بشر من شيء فلما الزم بكتاب موسى فلم يجب قيل له قل هذا الجواب إن لم يقله فيقال ما يلزم من كونه رداً أنه غير متعبد به فإن قولنا أيضاً لا إله إلا الله رد على من جعل مع الله إلهاً آخر فهما سيان و في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله و في رواية لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله فهذا الحديث مصرح بأن الله الله من الأقوال التي تقال و انه إذا انصرم الزمان لم يبق أحد يذكر الله بهذا القول و حينئذ تقوم الساعة فكلام الله سبحانه و تعلى و كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم فيهما الهداية الموفق العالم بهذا الذكر و الكفاية للمشكك المنصف و النكاية للمتعصب المتصلف و إما كلام العلماء المحققين الجامعين بين الفقة و غيره من العلوم الشرعية فقد قال الإمام حجة الإسلام الغزالي في الأحياء في كتاب رياضة النفس عند ذكر فوائد الخلوة و عند ذلك يلقنه أي يلقن الشيخ المريد ذكراً من الاذكار حتى يشتغل به لسانه و قلبه

فيجلس مثلاً و يقول الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات انتهى قال الإمام الحبر الجليل النواوي الذي قال فيه التقي السبكي شعراً و في دار الحديث لطيف معنى *أصلي في جوانبه وآوي * لعلي أن أنال بحر وجهي * ترابا مسه قدم النواوي * في حزبه المشهور الله الله ربي لا أشرك به شيئا الله الله ربي لا إله إلا الله انتهى و الكلام على كونه مفردات أو جملة يأتي إن شاء الله و قال الإمام الكبير الفخر الرازي في كتابه اسرار التزيل و أما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة الله فلهم فيه وجوه الحجة الأولى أن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب الحجة الثانية أن من قال لا إله إلا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي لا يجد من المهملة ما يصل منه إلى الإثبات ورح يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات و في الجحود غير منتقل إلى الإقرار الحجة الثالثة أن المواصلة على هذه الكلمة متشعبة بتعظيم الحق و الاشتغال بنفي الاغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد فمن قال لا إله إلا الله فهو مشتغل بغير الحق و من قال الله فهو مشتغل بالحق فأين أحد المقامين من الآخر الحجة الرابعة أن نفي الشيء إنما يحتاج إليه عند خطران ذلك بالبال و خطور شريك الله بالبال لا يكون إلا لنقصان في الحال فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن نكلفهم بنفي الشريك بل هؤلاء لا يخطر ببالهم و لا في خيالهم الا ذكر الله فلا جرم يكفيهم أن يقولوا الله الحجة الخامسة قال الله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فأمره بذكره و منعه من الخوض معهم في اباطيلهم و لعبهم و القول بالشريك من الأباطيل ففيه خوض في ذلك الكلام و كان الأولى الاقتصار على قولنا الله انتهى و قال المجتهد المنور و العلامة المصدر و النحرير المشتهر الشيخ شهاب ابن حجر في الفتاوى الصغرى و ذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً هذا بلسان أئمة الظاهر أما عند أهل الباطن فالحال يختلف بأحوال السالك فمن هو في ابتداء أمره و مقاساته لشهود الاغيار و عدم انفكاكه عن التعلق بها و عن ارادته وشهواته و بقائه مع نفسه يحتاج إلى ادمان الاثبات بعدالنفي حتى يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب الحق المترتبة على ذلك فإذا استولت عليه تلك الجواذب حتى خرجته من شهواته وارادته و حظوظه و جميع اغراض نفسه صار بعيداً عن شهود الاغيار واستولى عليه مراقبة الحق و شهوده فح يكون مستغرقاً في حقائق الجمع الاحدى والشهود السرمي الفردي فالأنسب لحاله الاعراض عما يذكر بالاغيار و استغرقه فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط لأن ذلك فيه تمام لذاته و تمام مسرته و نعمته ومنتهى اربه و محبته بل لو اراد قهر نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى ينفيه أو تعلق به خاطره لم تطاوعه نفسه المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهبية و المعارف الذوقية والعوارف الدينية و قد فتحنا لك باباً تستدل بما ذكرناه في فتحه على ما وراء فافهم مقاصد القوم السالمين من كل محذور ولوم و سلم لهم تسلم و لا تنتقد حقيقة من حقائقهم تندم بل قل فيما لم يظهر لك و الله اعلم انتهى و قال العلامة الشيخ عبدالرؤف المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير في شرح قوله صلى الله عليه و سلم الذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب قال اذكر الله بالقلب بأن تقول لا إله إلا الله مع إخلاص و الذكر ثلاث نفي و إثبات و إثبات بغير نفي و إشارة بغير تعرض لنفي و لا ثبات فالأول قول لا إله إلا الله و الذكر به قوام كل جسد و موافق لمزاج كل أحد الثاني اسمه الشريف الجامع و هو الله اسم جلال محرق ليس كل احد يطيق الذكر به و الثالث ذكر الإشارة و هو هو فدوام ذكر لا إله إلا الله سبب

للبقظة من الغفلة و ذكر الله سبب للخروج عن الغفلة في الذكر إلى وجوه الحضور مع المذكور و ذكر هو هو سبب للخروج عن ما سوى المذكور و قال أيضاً في شرح قوله صلى الله عليه و سلم من سره أن يحب الله و رسوله فليقرأ القرآن قال نظراً في المصحف ثم قال بعد كلام كان بعض المشائخ الصوفية إذا سلك مريداً أشغله بذكر الجلالة و كتبها له في كفه و امره بالنظر إليها حال الذكر قالوا هذا أول شيء يرفع كما قاله عبادة ابن الصامت و يبقى بعده على اللسان حجة فيتهاون الناس فيه حتى يذهب بذهاب حمله ثم تقوم الساعة على شرار الناس ليس فيهم من يقول الله الله و أما كلام المحققين من الصوفية الجامعين بين العلم الظاهر و الباطن فقد قال الشيخ العارف أحمد الغزالي اخو حجة الإسلام في رسالته التجريد في كلمة التوحيد أعلم أن السالك له ثلاث منازل فالمنزل الأول عالم الفناء و المنزل الثاني عالم الجذبة و المنزل الثالث عالم القبضة فأجمل ذكرك في عالم الفناء لا إله إلا الله و في الجذبة الله الله و في عالم القبضة هو هو انتهى باختصار و قال الشيخ عفيف الدين التلمساني في كتابة الكبريت الأحمر العارفون على أن أفضل العبادات حفظ الانفاس مع الله و يكون دخولها و خروجها بذكر الجلالة و هو قولك الله الله و لا إله إلا الله و هو الذكر الخفي الذي لا تتحرك به الشفتان انتهى و قال العارف بالله الشيخ عبدالسلام بن مشيش في آخر صلاته على النبي صلى الله عليه و سلم المشهورة الله الله الله أن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد انتهى و قال ابن عطاء الله الشاذلي في كتابه مفتاح الفلاح الذكر الرابع الله و يسمى المفرد لأن ذاكره مشاهد لجلال الله و عظمته قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون و قال في باب ذكر الخلوة منه و ليكن ذكرك الاسم الجامع و هو الله و احذر أن يفوه به لسانك و ليكن القلب هو القائل و الاذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق في سرك فإذا احسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالتك التي كنت عليها انتهى و قال الإمام العارف الشيخ عبدالوهاب الشعراني في العهود الصغرى أخذ علينا العهدان لا يمضي علينا يوم و لا ليلة حتى نذكر الله عز و جل بتكرير الجلالة اربعاً و عشرين ألف مرة عدد الانفاس الواقعة في الثلاث مائة و ستين درجة اهــ و قال العارف الشيخ يوسف الكوراني في قوله صلى الله عليه و سلم موتوا قبل أن تموتوا و ظاهر صفات الميت أن لا يرى و لا يتكلم و لا يتحرك لا يعجز أحد أن يغمض عينيه و يسكن و يسكت مقدار ثلاثة انفاس أو مقدار استطاعته فقد قال صلى الله عليه و سلم إذا امرتكم فأتوا منه ما استطعتم فإذا فعل ذلك فقد مات و اتى باستطاعته في ظاهره فإذا أضاف عليه الله الله الله بالقلب دون اللسان فقد شارك الخاص بالقدم و إن جعل ذلك مرجعه في كل ما وجد فراغه صار من السالكين الخواص على قدر انسه بالله الله الله و على قدر ثباته فيه يكون من الفائزين الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و نقل جميع ما ورد من كلام العلماء في ذكر الجلالة أمر متعسر جدا بل متعذر إذ يحتاج إلى صرف زمان و تتبع جميع الكتب التفسيرية و الحديثية و الصوفية و الكتب في هذه الفنون لا حصر لها فمن المستحيل الوقوف عليها و من لا يكتفي بإمام واحد من هؤلاء الائمة لا خير فيه و قضية الشبلي المشهورة لا تخفى على من هوله مطالعة في سير الصالحين ذكرها غير واحد منهم الفخر الرازي في اسرار التنزيل و منهم ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح أن رجلاً سأل الشبلي لم تقول الله و لا تقول لا إله إلا الله فقال أن الصديق اعطى ماله فلم يبق معه شيء فتخلل بالكساء بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم فقال له و

ما خليت لعيالك فقال الله فكذا أنا أقول الله فقال السائل اريد أعلى من هذا فقال الشبلي استحي من ذكر كلمة النفي في حضرته و الكل نوره فقال السائل اريد أعلى من هذا فقال الشبلي اخاف أن أموت على الانكار فلا أصل إلى الاقرار فقال السائل اريد أعلى من هذا فقال الشبلي قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فقام السائل فزعق زعق ثانيا فقال الشبلي الله فزعق ثالثاً و مات فاجتمع أقارب الفتى و تعلقوا بالشبلي و ادعوا عليه الدم و حملوه إلى الخليفة فأذن لهم فدخلوا عليه و ادعوا الدم فقال الخليفة لشبلي ما جوابك فقال روح حنت فرنت و سمت فصاحت و دعت فسمعت فعلمت فأجابت فما ذنبي فصاح الخليفة خلوا سبيله و نظير هذا السؤال ما ذكره الشيخ الأكبر محي الدين في الفتوحات أنه سأل أحد شيوخه لم تقولن الله و لا تقولون لا إله إلا الله فقال ما سمعت و لا رأيت أحد يقول أنا الله غير الله فأنا أقول كما يقول انتهى انتهى و ههنا عبارة جميلة ينبغي أن نوقفك عليه لتعلم كيف اعتناء العلماء بهذا الذكر قال القاضي عياض في متن الشفاء في وصف أولياء الله المحبين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قال الشارح الخفاجي يعني أن هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم و باطنهم بمحبته وردهم دائماً ذكر الله و الاعراض عما سواه ممتثلين بهذه الآية مقصود المصنف التمثيل بما تمثل الشبلي لمن قال له اوصني فقال عليك بالله و دع ما سواه و كن معه و ذرهم في خوضهم يلعبون ثم قال و ههنا بحث وهو أنه قيل أن ذكر الله بتكرير لفظ الجلالة بدعة لا ثواب فيها قال الحطاب في شرح مختصر الشيخ خليل سئل العز بن عبدالسلام عمن يقول الله الله مقتصراً على ذلك هل هو مثل سبحان الله و نحوه فأجاب بأنه بدعة لم ينقل مثله عن أحد من السلف و الذكر

المشروع لا بد فيه من أن يكون جمله مفيدة و الاتباع خير من الابتداع و نحوه ما افتاه البلقيني في قوم لا يزالون يقولون محمد محمد كثيراً ثم يقولون مكرم معظم فأجاب بأنه ترك أدب و بدعة لم تنقل قال الخفاجي أقول ما ذكره في اسم النبي صلى الله عليه و سلم من كونه بدعة ظاهر لأنه مع كونه لم يعهد مثله داخل فيما نهى عنه لقوله تعالى لا تجعلوا من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ إلخ ... و أخرجه أبوداود و الترمذي و قال غريب و النسائي في الكبرى و ابن جرير و البغوي و ابن الانباري و ابن عدي و الطبراني و البيهقي كلهم من رواية سهل بن ابي حزم القطعي عن ابن عمر أن الجوني عن جندب بن عبدالله من قال القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ و في رواية الترمذي وغيره من قال في كتاب الله و في رواية من تكلم في القرآن و في الباب عن ابن عمر و جابر و ابي هريرة و حديث ابن من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم و حديث جابر من فسر القرآن برأيه فقد افتري و حديث ابي هريرة من فسر القرآن برأيه و هو على وضوء فليعد اخرج هذه الثلاثة الديلمي في مسند الفردوس و طرقهن ضعاف بل الأخير منكر جداً إلى آخر ما قال بطوله و لم أظفر بلفظ الإمام قُدس سرهُ دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً و أما ذكر الله فقد ورد الأمر به ووعد ذاكره بالثواب في آيات و أحاديث لا تحصى كقوله تعالى الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات و في الحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين إلى غير ذلك و لم يقيد بقيد على

أن الذاكر قصده التعظيم و التوحيد فهو إذا قال الله ملاحظاً لمعناه فكأنه قال معبودي واجب الوجود مستحق لجميع المحامد و لم يزل العلماء و الصلحاء يفعلونه من غير نكير و كان الاستاذ البكري يفعله و يقول بعده استغفر الله مما سوى الله و كل شيء يقول الله و في مجلسه أجله العلماء و المشائخ وهذا هو الحق و قد صنف في رد مقالة ابن عبدالسلام وضده عدة رسائل رأيناه و ممن صنف فيها القطب القسطلاني والمرصفي العارف بالله و الشيخ عبدالكريم الخلوتي و به افتى من عاصرناه اللهم احشرنا في زمرة الذاكرين و لا تجعلنا من الغافلين انتهى فكيف ما أوردناه من كلام الخفاجي مع أن الشيخ عبدالوهاب الشعراني ذكر أن العز بن عبدالسلام سئل إيما أفضل أو أولى للذاكر الاشتغال بذكر الجلالة أو لا إله إلا الله فأجاب بأن لا إله إلا الله أفضل للمبتدئ و الجلالة أفضل للمنتهي انتهى على أنا لا نسلم قول الله مفرداً و إنما هو جملة فعلية لأنه منادى و ياء النداء المحذوفة نائبة مناب الفعل فلا شبه عليك أن كنت جاهلاً و أن كنت عاقلاً فاكتف بكلام واحد من هؤلاء الأئمة فاسمع اسمعك الرب قول الله من داخل القلب و لا جعلك ممن يتعصب فيحجب قول بعض المتوجهين إلى الله الله بلفة ربه ما يتمناه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (أشعار)أن الشياطين أنواع منوعة * منها الموسوس ، و الآتي بتلبيس و شرها من كمثال الناس صورته * فرخ الرجيم أخو الاغوى بتأسيس أن قلت الله قال أحذر تنله لهذا * لا فضل فيه فقل مه ضنا جحموس اذكر قل الله و احذر أن تميل إلى * قول الغوي و تليس لا بليس شرح الخفاجي ينفي كل وسوسة * فلا تبال بوسواس بن طمعوس و اتل العهود و مفتاح الفلاح كذا * شرح المناوي و اهجر كل دعبوس هو الغبي الجهول وهو ذو حمق *يصغي إلى كل ذي زور و تدليس من الغزالي و الرازي و النووي * والشاذلي الالى من كل اريس و القسطلاني و البكري قدوته من ذا يخالفهم من أجل جعسوس اتنكرون علينا أن نقلدهم يا شيعة الافك كلا زمرة السوس يا ويح قوم بغوا و البغي مهلكهم * على كرام أولى ذكر و تقدس الله الله قبح فيه عندكم * الله اكبر يا غارات قدوس فعليك يا أخي بالإقبال على الله و الاشتغال بذكر الله خصوصاً بهذا الإسم الاعظم الذي حصل به الفضل للا إله إلا الله فلو قالها مكلف و لم يتمها به كفر فلا تطع من أنكر و عن الحق استكبر فتقول حين تقير و تحشر ياليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني و كان الشيطان للانسان خذولا و فقني الله و اياك للاقبال عليه بالذكر الموجب للفوز لديه (الباب الثالث) في تعريف رابطة أولي الأجتبا و ثبوت الرابطة لكل إنسان شاء أو ابى اعلم أيها الأخ و فقك الله لسلوك الصراط المستقيم و عصمني و اياك من الشيطان الرجيم أن الرابطة عبارة عن تعلق القلب بشيء لشيء على وجه المحبة و هذا التعلق تارة يكون محموداً و تارة يكون مذموماً و تارة يكون مباحاً لأنه لا يخفى لنا أن يكون مأموراً أو لا فالأول محموداً كحب الله و حب رسوله صلى الله عليه و سلم و الحب في الله و حب ما يقرب إليه و الثاني هو أن يكون منهياً عنه أولاً فالأول مذموم كحب المحرمات و المكروهات و أن لم يترتب على المكروهات عقاب لأنه يترتب عليها عتاب و الثاني المباح كحب الإنسان أهله وولده بالطبع الجبلي الذي لا انفكاك عنه لأحد فقد شمل هذا التقسيم الاحكام الخمسة فإن المحمود يندرج فيه الواجب و المندوب و المذموم يتضمن الحرام و المكروه و المباح معلوم دخوله تحت غير المنهى عنه و هو قولنا أولاً فتعلق القلب حاصل لكل انسان فلو تنبه المنكر اعلم أن ما ينكره عين ما يستحضره و إن الذي

يجهله هو الذي يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله اياها فيه من اساءة الأدب مع الله تعالى ما لا يمكن جحده و لعلم أنه يتأكد عليه أن يعمل عملاً يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا يشعر لشدة سكره في غفلته و ذلك أنه اذا كبر تكبيرة الاحرام سرح في أودية الافكار و الاوهام و اعرض عن ربه و نسي نفسه نسوا الله فأنسيهم انفسهم و اشتغل اما برابطة وقفه أو ملكه أو حرفته أو زوجته أن كانت نفسه مفتونة بها أو لده أو تقرير مسئلة يلقيها ابليس إليه ليخرجه من صلاته مفلساً أو مخاطبة من يرتجي منه زكاة أو صدقة فيقول أياك نعبد و هو مقبل على معبوده الشهودي و رابطته التي هي نصب عينه و يستمر على هذه الحالة حتى يسلم فإذا سلم التسليمة الأولى شرع بالانكار على الرابطة التي يفعلها العلماء العارفون في وقت مخصوص ليحصل بواسطتها انتفاء الغفلة حتى يقبلوا على ربهم في صلاتهم و ذكرهم بقلب حاضر و قد ورد على سؤال من بعض المعترضين و هو أن الرابطة التي تأمرون المريد بها لا تخلو بقرينة الامر بها من أن يكون حكمها الايجاب أو الندب و هما أمران شرعيان لا بد لهما من دليل و الادلة الكتاب و السنة و الاجماع و القياس و غيرها من الأدلة راجع إليها فما الدليل على ندب الرابطة أو وجوبها و أيضاً لا شك أن النبي صلى الله عليه و سلم شيخ الصحابة لأنهم اخذوا عنه الاذكار و غيرهم فلم يبلغنا أنه امرهم بتصور صورته التي هي أكمل الصورالانسانية فلو أمرهم لنقل لا سيما إذا كان ذلك واجباً لأن الواجب مما تتوافر الدواعي على نقله انتهى فأقول الجواب عن هذا السؤال من وجوه الأول أن الرابطة التي نأمر المريد بأمر السادة النقشبندية الذين هم قال الشهاب ابن حجر في الفتاوى الصغرى عن طريقتهم انها الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية مندوبة لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات و نفي الغفلة و الوسائل لها حكم المقاصد و الأمر الذي لم ينه عنه الشرع يسوغ فعله أما على طريق الاباحة أن أدى إلى مباح أو الندب أن أوجب مندوباً أو الوجوب أن حصل واجباً لا يحصل بغيره فقد حصل لنا بالتجربة و نحن قوم أكثر من عدد التواتر انا اذا تصورنا الرابطة انتفت عنا الاغيار كلها و بقي هذا الغير وحده فنعرض عنه ح و هذا مثل انسان له أعداء فتودد إلى بعضهم و سلطه على باقيهم فإذا اهلكهم عنه لم يبق إلا واحد فيقدر على إزالته فيزيله و هذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأمله فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع لأن الرابطة ليست مرادة لعينها بل مرادة لغيرها الثاني قولكم لا تخلو بقرينة الامر بها من أن يكون حكمها الايجاب أو الندب أقول لا نسلم أن غير الشارع إذا أمر بأمر أن يكون حكمه الايجاب أو الندب و إن الإنسان قد يأمر غيره بفعل مباح لغرض ما من الاغراض له أو للمأمور و قد يأمر الطبيب المريض بشرب بعض الأدوية فإن كان امتثال أمر الطبيب واجباً أو مندوباً فما نستعمله من قبيله الثالث قولكم و هما شرعيان لأبد لهما من دليل أقول هذا بناء على قولنا أن الرابطة توصل إلى أمر المندوب و ما أوصل إلى المندوب مندوب فالدليل موجود لا على قولكم كل مأمور به لا يخلوا من أن يكون حكمه الايجاب أو الندب لما ذكرنا من أن غير أمر الشارع قد يخلو منهما و يكون لغرض ما الرابع قولكم و الأدلة الكتاب أقول و هل يعزب عن الكتاب شيء و هو قد جمع كل رطب و يابس قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة و الوسيلة الأعمال الصالحة و لا تكون الأعمال صالحة إلا بالاخلاص و لا يكون العمل خالصاً إلا إذا خلا عن الشوائب و قد حصل لنا بالتجربة أنا إذا أشتغلنا بالرابطة خلت أعمالنا عن شوائب الغفلة و العمل في

الغفلة غير معتد به لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة و زوال الغفلة مقصود و ما أوصل إلى المقص مقص و من لوازم زوال الغفلة الحضور و هو من أشرف الوسائل فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجبة الزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل الخامس قولكم و السنة أقول و هل يشذ عن كلام النبي صلى الله عليه و سلم و تحت كل كلمة من كلامه من بحار المعاني ما يتوصل به إلى خير قال صلى الله عليه و سلم إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى و الأعمال بدنية و قلبية فالحركات و التصورات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوى بها عليها فله ما نوى و لم يدرك مراده فكيف إذا تحقق له حصول المراد و لا يخفى أن قول الجائع للشبعان أنت جائع مثلاً لا يوجب له جوعاً فكذلك قول المعترض ما نرى صحة ما ترونه ما يوجب عدم صحة رؤيتنا فعليه أن يقول ما تدعونه حقاً فأنتم وشأنكم و لا يسوغ له غير ذلك أن نصح نفسه السادس قولكم و الاجماع أقول قد اجمع أهل فن التصوف على عمل الرابطة و قرره منهم الجم الغفير و هو عندهم طريق مشهور و إجماعهم على عمل في مذهبهم حجة يجب قبولها على من تمذهب بمذهبهم و مسورد اقاويلهم إنشاء الله و لا يسوغ لغيرهم الاعتراض عليهم بمالم يحط به علماً السابع قولكم و القياس أقول قال الفقهاء يسن للمصلي أن لا يجاوز بصره اشارته و ذلك لأنه أجمع للهم و ادفع للتفرق فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الاغيار والاستجلاب الحضور الثامن قولكم فما الدليل على ندب الرابطة إلخ ... أقول الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلد و إنما على المقلد تصحيح النقل فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفن فسيأتي على أنه لا يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية كما أنه لا يلزمنا أن لو طلب منها نص لمسئلة في الفقة إيراد كلام غير الشافعية التاسع قولكم لم تبلغنا اهـ أقول ما يلزم من عدم بلوغه اياكم عدم ثبوته و لا يلزم من جهلكم به عدم علم غيركم به و لعله بلغكم و جهلتموه و مر عليكم و لم تعرفوه و هل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي صلى الله عليه و سلم في مرآة القلب الذي رآه مؤمناً و انطباع صورة الشخص المؤمن في ذهن النبي عليه السلام و لو لا ذلك لم يعد في الصحابة من رآه النبي صلى الله عليه و سلم و هل أمر أوضح من دعاء النبي صلى الله عليه و سلم إلى مبايعته المستلزمة للرؤية المستلزمة لانطباع الصورة و إذا انطبعت الصورة في الذهن ظهرت لرائيها في مخيلته مهما تذكر المرئي شاء أو ابى و لو كان عدواً فاستحضار صورة النبي صلى الله عليه و سلم و تخيلها الذي هو المراد بقولنا تصورها محبة له و اشتياقاً إليه لا يقول بمعناها الا أحمق خبيث فالأمر بمستلزم شيأ مستلزماً شيأ آخر مر بذلك الشيء الامر العاشر قولكم لا سيما إذا كان واجباً أقول لم يقل أحد من أهل التصوف بوجوب الرابطة و لا باستحبابها باستحبابها لذاتها بل لما توصل إليه من الخاب و المريد يلقن الرابطة و هو مخير في فعلها و تركها فإن ظهرت له فائدتها تأكد عليه فعلها و إن تركها فقد ترك أدباً من الآداب هذا كله في البدايات و أما في النهايات فلا رابطة له سوى استغراقة في شهود من ليس كمثلة شيء فما هو صورة تمثيل و لا تقابل و لا تقبل الحادي عشر قدرنا مع هذا كله أنه لا دليل لنا و لا عمل بهذا العمل أحد قبلنا و إنما نحن عملنا لما نرى من فائدته فهل ورد فيمن تصور صورة محبوبه و تخيل أنه يقبل يده أو رجله أو يضعه على رأسه أو جبهته أو يعنقه أو يدخله في قلبه نهي من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس (شعر) في سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه أن لم أكن منهم فلي * في حبهم عز و جاه و إذا

تقرر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انتفاء الغفلة فالاشتغال بها من مهمات آداب الطريق إذ من المعلوم أن زوال الغفلة مطلوب وهو مفتاح السعادات و أن الحضور روح العبادات و زوال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده و من أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين و عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة و ذكرهم من لزوم محبتهم و محبتهم فرض لقوله صلى الله عليه و سلم و هل الدين إلا الحب في الله و البغض في الله الحديث و محبتهم محبة الله لقوله صلى الله عليه و سلم حاكيا عن الله تعالى و أوجبت محبتي للمتحابين في الحديث و عدواتهم محاربة مع الله لقوله تعالى على لسانه نبيه صلى الله عليه و سلم من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب الحديث فما استعمله الصفوة من عباد الله عين ما حكاه صلى الله عليه و سلم فالذي أرى انك تصم سمعك عن الافتراء و لا تصحب من كذب وافترى و تصون لسانك عن المرأ و تنقاد للحق و تخضع و في ردي عن طريقي لا تطمع و أن تعدل كل عدل لا ينفع (شعر) و الله أنا ما أقنع * بسرى الوجه المبرقع فليواصلني بكلي هو اوو يقصى و يقطع حبه ملء وجودي * فيه أرنو و اسمع عمت عين حسودي * عن صعودي حين أطلع راقياً نحو حبيبي * قائلاً ماشئت فاصنع لست اروى منك تالله * و لا و الله أشبع مذهبي مذهب خلى * في الهوى و الحق أوسع فأنا الشيخ زماناً كنت فيه أنا مرضع و أنا اليوم رضيع * لست عن ثديك ارفع أي ثدي لك حتى * أنا في درك اكرع أو ما تنظرني في * كل حين بك أفجع و إلى حجرك أدنو * وبراسي لك أخضع راجياً انك تحويني * و ذاك العيش يرجع فإذا كنت انيسي * وجليسي كيف أفزع أنني اشكر نعماك و في ذكرك أخشع ما دعاني لك الأك * و لي إليك مرجع فلذا ترك المنكر * مهما شاء يشفع يدعي ان سبيلي غير ما للحق يشرع ولعمري انه التائه * في بيداء بلقع ايها المنكر اني * شئت في الغي تقنع انت ما تبصر نهجي * بل طريقا فيه تسبع ليست الابصار تعمي * لكن القلب المطبع هذا ونحن لا نستدل للرابطة من دليل ودليل من قلدناه من العلماء كاف واف بالمقصد فالانكار متوجه على الجنيد والجيلي والدسوقي ونحوهم الذين قرروا الرابطة بكيفياتها كما ستراها ان شاء الله في باب رابطة الاولياء عصمني الله وإياك من الانكار ووفقنا لا تباع على النبي المختار ومحبة الصادقين الابرار (الباب الرابع) القول الاسنى في استحباب الرابطة الحسنى أعلم أيها الأخ أرشدك الله الله أن الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله و الوسائل لها حكم المقاصد قال سيدي الحبيب عبدالله بأعلوي الحداد في كتابه اتحاف السائل الحضور مع الله روح العبادات و هو المقصد منها و به يعبأ المحققون و الأعمال التي تصدر مع الغفلة بروزها إلى العقوبة و الحجاب أقرب منها إلى المكاشفة و الثواب فالرابطة تفيد رفع الحجاب ورفع الحجاب مطلوب و كل ما أفاد المطلوب مطلوب فالرابطة مطلوبة فقد هلك من لا رابطة له و كل انسان له رابطة لكن شواهد الرحمة الهابطة قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فرابطة رسول الله صلى الله عليه و سلم دائمة و امثاله و امثالها قوله صلى الله عليه و سلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي ورابطة الأولياء قوله صلى الله عليه و سلم حاكياً عن الله تعالى ما و سعني أرضي و سماواتي الحديث ورابطة المريدين قوله صلى الله عليه و سلم حاكياً عن ربه تعالى أيضاً و جبت محبتي الحديث و هذا أمر لا يدركه الإنسان إلا بالذوق و الوجدان فإن أحببت يا أخي أن تسلك سبيل الرحمة النابطة و تكون لك على التقوى مرابطة فعليك بطريق الرابطة فإنها تعلق القلب و تعلق القلب بطاعة الله ورسوله منتج محبة الله ورسوله

و الرابطة يحصل بها زوال الغفلة و جمع القلب على الله و ذهاب القسوة من القلب و الخشونة و نزول الرحمة و كل ذلك يثمر المحبة فإني يا أخي قد حققت ذلك و أبصرت ربح من سلك هذه المسالك و تيقنت أنك غر لم تدر ما هنالك أو مغرور تلقى نفسك في الانكار الذي هو أفصح المهالك إفترى إني أصغي لهذا لك أو أميل إلى زخرف أقوالك أو يخفي على دقيق احتيالك هيهات هيهات ذلك (شعر) فلا تلحني فيما أعاني فإنما * غرامي كهل و العذور رضيع دعاني الهوى حتى أدعي الغيب انني * شهادته و الحاضرون هجوع محاني عن عيني و عن عين عينه * فصيفي شتاء و الخريف ربيع و عن غائبي عن شاهدي و هوانه * كذاك و لا يخفى عليه صنيع فؤاد هيامي فيه حتى إذا جنا * سقامي ذنباً فالغرام شفيع و ما ساءني ما ساء من سوء محنة * فمحنة قلبي أن تسيل دموع أبي الوجد إلا أن يريق مدامعي * دما و هيامي في الوجود يشيع * هل الحب إلا ما حوته اضالعي * فلله حب ضمنته ضلوع * لسبب الحشا إني بعشقي سنا الرشا * سليب الحجى مني الفؤاد لديغ فهب لي آذناً تسمع القول لا حجى * يرجح ما تدعو له و يطيع فإن قال الأخ المنكر تاب الله عليه قد عرفنا على هذا القول أن الرابطة تعلق القلب و هذا القول بعمه و الحب في الله واجب و محبة الصالحين ثابتة لكن من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذهن و لو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها و إن استحضاركم بسبب تعلق القلب و أنه جائز و الجواب عن هذا من وجوه الأول قولك من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها أقول أن هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه كما حصلت لك إضدادها باستغراقك في معبودك الذي تبهناك عليه و لكنها لا تعمى الابصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور ألا ترى إنك إذا كبرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة أو برابطة الحاكم أو الوزير أو مالك أو اهلك أو بكل في ركعة و سجدة و تنسى من أنت واقف بين يدية و لا تستحي منه و تنسى نفسك و تخرج من الصلاة و لا تدري أي شيء قلت انكر ذلك ما اراك تجحد ذلك الثاني قولك أن استحضاركم بسبب تعلق القلب أقول لا يخفي أن ستحضار الشيء سببه تعلق القلب به و أهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلفون استحضار صورة محبوبهم و لا يحصل لهم إلا بالتكلف لأنهم دائماً يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة و من كان شغله نفي ما سوى الله لا جرم انه لا يستحضر احد إلا بسبب تعلق القلب مع التكلف للفائدة التي ذكرناها و أنت تشهد أن سببه تعلق بالقلب و لا تكتموا الشهادة و ذلك لانك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك فإذا كبرت للصلاة ظهرت لك صورها و صارت قبلتك التي تسجد إليها و نسيت ما سواها لتعلق قلبك بها و استيلائها عليه و انتقاشها في نفسك فإنه يحصل لك و يجوز لك استحضار هذه المثالب و نحن يحرم علينا السعي في حب هذه المطالب و انت محق و نحن مبطلون أهكذا يكون الانصاف ما هذا إلا الإعتداء و الخلاف الثالث قولك أنه جائز أقول من العلوم أن الأصل في الأشياء الحل مالم تثبت الحرمة فكل شيء لم ينه الشرع عنه فهو مباح و فعله جائز فحركات الإنسان و تصوراته المباحة فعلها جائز فإن أوصلت إلى مندوب في فعلها مندوب فالرابطة فعلها و باعتبارالاصل جائز وباعتبار ما توصل إليه مندوب الرابع عدم علمك بحصول مطالبنا ما يجوز لك سلبنا و لا الإنكار علينا بمالم تحط به علماً كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مقصودنا الخامس قد علم وقرر و اشتهر أن

المصلي يسن له النظر إلى موضوع سجوده في جميع صلاته و يسن للأعمى و من هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحل سجوده و المراد من ذلك جمع القلب و الحضور و عدم التفرقة و هذا من أنواع الرابطة أفلا تجعل تخيل الرابطة كتخيل الأعمى النظر إلى موضوع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة فإن المقصد واحد إلا أن أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام و ليتوصلوا بها إلى رابطة الصلاة و هي ان تعبد الله كأنك تراه السادس إذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملاً و اثبت كل منهم فائدته و قرر منفعته فهل يجوز لأحد تكذيبهم مع استحالة تواطئهم على الكذب و مع أن عمولهم عيون الناس أهل العلم و الفضل و ما أنت و علمت بالنسبة إليهم إلا كفحام عند جوهري أو كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي فالأولى إنك تعترف لهم و إذا فاتتك صحبتهم لا تتوتك محبتهم و إذا لم تحبهم فلا تسبهم (شعر) و إذا كنت بالمدارك غراه * ثم ابصرت حاذقاً لا تمار * و إذا لم تر الهلال فسلم لا ناس رأوه بالابصار * السابع قد علمت ان أحكام الشرع لا تثبت إلا بدليل و إن يكون نصاً لا محتملاً و لاعاماً مخصوصاً ككل بدعة ضلالة لما يلزم عليه من الفساد إذ من البدعة ما هو واجب و لو تنزلنا و فرضنا أن عمل الرابطة لا دليل لنا عليه و إنما فعلناه حصل لنا من الفائدة بالتجربة فالإنكار علينا من أي وجه و ما دليله و لقد أصبت بقولي في الرسالة المهملة الحروف (شعر) . حسد المرا و المراد و مراد الله * ما لا مرئ سواد عماد * ما اراد إلا له اسعاد * لموك واردى مراده الحساد الثامن و هو ضرب مثل أمر الملك طبيبه الحاذق الحكيم بمداواة أهل مملكته من أمراض غلبت على أكثرهم اضرها البطن حتى آلت بالأكثر إلى عدم القيام بالخدمة و كان الطبيب حكيماً ماهراً و عالماً راسخاً و عارفاً كاملاً و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فقال في نفسه تنفيذ هذا الأمر من أهم المهمات واوجب الواجبات و تعليمه لمن يتأهل للقيام بعمله موجب لدوام الأجر و المثوبات و خير العمل ما نفع و إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث أحدها علم ينتفع به فعمد إلى بعض المرضى ممن تفرس فيه و عرف أنه يكون أهلاً للقيام بهذه الوظيفة و تنفيذها على الوجه المراد إذا عوفي فعالجه حتى عوفي ثم علمه الطب و الحكمة و اخبره بالأدوية و خواصها و اعطاه دواء البطن و قال له خذ هذا الدواء و انفع به الناس و لا تسئل عليه اجراً و كن محتسباً لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك فإن أحب الأعمال إلى الملك عملك هذا فقال سمعاً و طاعة فنظر النائب بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو فإذا هو عسل أبيض فقال الحمد لله فيه شفاء للناس فأتاه شخص أحمق مثلك أيها الأخ بصرك الله بعيبك ووفقك لترقيع جيبك فقال ما هذا الذي عندك فقال دواء البطن للمبطونين فقال أرني اياه فاظهره في ظرف مختوم على فيه فاشمه من قبله فقال له ما هذا دواء البطن هذا سم اتيت تملك الناس به هذا سم ساعة فقال يا أخي هذا عسل مصفى هدا للذين آمنوا هدئ و شفاء و الذين لا يؤمنون في آذانهم و قر و هوعليهم عمى فذقه حتى تعلم فقال له ما أنت أعلم مني و لا أعرف من ذاق هذا هلك أيها الناس هذا ما أنزل الله به من سلطان و أكثر الناس حمقى * و شبه الشيء منجذب إليه * فترك الناس التداوي به مع شدة حاجاتهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور فلا يزال يتكلم في ذم الدواء و المداوى و المتداوي و يصد عنه من أراد شفاء مرضه الذي عطله عن خدمة الملك و ستذكرون ما أقول لكم و لتعلمن نبأه بعد حين التاسع من المعلوم انا لم نبتكر شيئاً جديداً و إنما قلدنا من تقدمنا

من العلماء العاملين و الاكابر العارفين من أهل المذاهب الأربعة كما سترى تقريرهم الرابطة و كيفياتها بل اقسم أن جميع حركاتي و سكناتي في الطريقة هو ما هو عليه أئمة مذهب الشافعية و قد استوفت كتبهم جميع ما نتعاطاه من الأعمال المخصوصة فما وجه الإنكار علينا مع اتباعنا أئمة الدين و العلماء العاملين كالغزالي و النووي و القاضي زكريا و ابن حجر و الشعراني و المناوي اتظن أن إنكارك ما يتوجه على أولئك السادة الأبرار و الأولياء الأخيار و أولي الأنوار و الأسرار أما تخشى محاربة الواحد القهار أما علمت أن الإنكار عليهم يؤل بصاحبه إلى سوء الخاتمة و دخول النار تظن أن إنكارك ظاهراً و اعترافك باطناً ليس من التلبيس و مشاكلة ابليس و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علوا تنبه لنفسك أيها المغرور و احش عواقب الأمور أنك ميت و انهم ميتون و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون و هذا السؤال ما يتحمل هذه الأجوبة و إنما أوردناها نصيحة و إفادة و ترغيباً و ترهيباً و لكل امرئ ما نوى و نسأل الله أن يمن عليك بالهداية وسلوك سبيل الأبرار و إن يجنبك الإصرار في سبيل الأشرار أنه ولي المؤمنين و أعلم يا أخي أن سبب الانكار أحد الأمرين لا يخلوا من أحدهما كل منكر الجهل و هو الأكثر وعدم العمل بالعلم و هو الأغلب على من ينتسب إليه فإن كنت جاهلاً يا أخي فلا تقف ما ليس لك به علم فتقع في الظلم و لا تقل هذا حلال و هذا حرام لتحكم بغير ما انزل الله و من لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون و إن كنت عالما فاعمل يا أخي بعلمك و لاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله و ما أحسن ما قلت في الرسالة المهملة الحروف أما والله للحلم و العلم هما المراد و لأدراكهما أرسل الرسل إلى الأمم كمحمد صلى الله عليه و سلم على روحه ما عود عاس و آل وماد و كصالح و لوط ورسول عاد و لا أحد اهملهما إلا وهلك حالاً و حال المعاد و آل أمره إلى أسوء مهاد و هل الهدى حاصل إلا لسالك سلكهما وواصل إلى سوح وداد ملكهما و حلاة الملك اساور هداه و حلله و أمده و أصلح عمله لا والله لا ود الأوده و لا مد الأمده و لا موالد إلا موالده و لا عوائد إلا عوائده و لا هدى إلا هداه و لا معول الاعلى ما اسداه . اشعار .. هو الملك المطاع و ما سواه * له ملك و ملوك وطائع * هو المولى المراد و ما عداه * كآل ما علا صحراء لامع و هل آل كماء الورد اسمي * و هل أحد رآه و هو طامع * إلا وحد الهك و ادعه لا * آله سواه و هو الله سامع * أما و الله ما مولاك ساه * و لالاه و لا واه و هالع * هو الحكم المصور و هو عدل * و حول الله مسموع المسامع * له ملك السماء و كل ملك * و مالكه و مردوع ورادع * أما و هداه هو الله مولى السوى * علا محلهم المصارع * اما و علاه هو الدهر سام * و معلوم السمو لدى المطالع * أما وعلوه لله داع * إلى دار السلام إلا مسارع * أما و الله ما هو صاح إلا * إله واحد صمد وواسع * أوحده و لم ارما سواه * و لم اره سواه لدى المطالع * أما الأود دهراً اراها *كمدرار السماء أما أطالع * الم ار ما أرى الكرماء لما * عمواو هم الأولى حلس الصوامع * أرى صر حالة روح وراح * و لولا الروح لم اسل المدامع * و لولا الراح ما للروح سكر و لا السكر ما للصرح صادع * الم اعلم و هل علم كعلم امرئ اعلا مطالعه المدامع * دعاه الحو اطوار اعدادا * و صار مسامر الصحو المطاوع * اصاح اعلم و علم كل حر * مسرما و أي و لو اللوامع * و دع كل امرئ الماء لهو * إلا وارحل إلى المولى و سارع * وودع كل ما الهاك طرا * و سله لا سواه سؤال راكع * و صل على إمام الرسل طه * و سلم ما ارعوى ورع

ر طائع * (الباب الخامس) في قول أهل الاصطفاء في رابطة المصطفى صلى الله عليه و سلم اعلم ايها الاخ في الله الهمك الله رشدك و جعلك عبده لا عبدك أن رابطة الشيخ الكامل توصلك إلى رابطة رسول الله صلى الله عليه و سلم و ثمرتها الفناء في النبي صلى الله عليه و سلم و ذلك من اجل النعم واوفر القسم و ما يلقاه إلا ذو حظ عظيم و الفناء في النبي عليه السلام موجب للولوج في حضرة القدس و الهيمان في مفاوز الانس و التعرض لنفحات الله تعالى مأمور به و محبة رسول الله صلى الله عليه و سلم فرض روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده و الناس أجمعين و النفس تدخل في عموم قوله و الناس اجمعين و قد وقع التنصيص بذكر النفس في الحديث عبدالله بن هشام و هو ان عمر رضي قال للنبي صلى الله عليه و سلم لأنت أحب إلي يا رسول الله من كل شيء إلا من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم لا و الذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر رضي الله عنه فانك الآن أحب إلي من نفسي فقال صلى الله عليه و سلم الآن يا عمرو يكفيك قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم فمن هو أولى بك من نفسك فكيف لا ينبغي أن يكون أحب إليك منها قال سهل رضي الله عنه من لم ير ولاية رسول الله صلى الله عليه و سلم في جميع أحواله و ير نفسه في ملكه ع م لا يذوق حلاوة سنته و عن أبي هريرة رض عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال من أشد الناس لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله و ماله و في الشفاء سئل على رض كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه و سلم قال كان و الله أحب إلينا من أموالنا و أولادنا و آبائنا و أمهاتنا و من الماء البارد على الظمأن و عن زيد بن اسلم رض خرج عمر رض ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت و إذا عجوز تنفش صوفاً و تقول على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار * ياليت شعري و المنايا أطوارا * هل تجمعني و حبيب الدار * فجلس عمر يبكي و في الحكاية طول وروى أن عبدالله بن عمر رض خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح وا محمداه فانتشرت قال و اعلم من أحب شيأ آثره و آثر موافقته و الالم يكن صادقاً في حبه و كان مدعيا فالصادق في حب النبي ع م من تظهر علامات ذلك عليه قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم يا بني أن قدرت أن تمسي و تصبح ليس في قلبك غش لأحد فأفعل ثم قال يا بني ذلك سنتي فمن أحب سنتي فقد أحبني فقد أحبني و من أحبني كان معي في الجنة و من علامات حب رسول الله صلى الله عليه و سلم كثرة ذكره و تعظيمه وتوقيره عند ذكره و اظهار الخشوع و الانكماش مع سماع اسمه كان أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا و اقشعرت جلودهم و بكوا و كذلك كثير من التابعين قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب و قال آخر إيثار المحبوب على جميع المصحوب و قال آخر الميل الدائم بالقلب الهائم و قال آخر موافقة الحبيب في المشهد و المغيب و قال آخر ان تهب كلك لمن أحببت و حقيقة الحب الميل إلى ما يوافق الإنسان و تكون موافقته له إما بإدراكه كحب الصور الجميلة و الأصوات الحسنة و الأطعمة والأشربة اللذيذة و أشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو استلذاذ بإدراكه بحاسة عقله و قلبه معاني شريفة باطنة كمحبة الصالحين و العلماء و أهل المعروف و المأثور عنهم السير الجميلة و الأفعال الحسنة

فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم و التشيع من أمة إلى أخرى إلى ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان و هتك الحرام و احترام النفوس و هو صلى الله عليه وسلم جامع للمعاني الموجبة للمحبة كلها انتهى و قال الشهاب بن حجر في شرح الهمزية عند قول الناظم فاملاء السمع من محاسن يمليها عليك الإنشاد و الإنشاء فإنها تحدث للسامع سكراً وارتياحاً طرباً و تحرك النفس إلى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة و الشوق تخيل المحبوب و احضاره في الذهن و قرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب و الذهن عتاق الشراب . شعر : سلوى عن محبتك المحال * و لو يا منيتي عز الوصال و اين شبيه حسنك في البرايا * فتمسي إذ يكون به اتصال * على أنه ليس و صلك لي بكاف * فكيف و مانعي منه الدلال فما بيني و بين سناك بون * فعيني في لحاظك لا تزال * و لو أن الغبار أزيل عنها * احلتني محلاً لا ينال فوا عجباً * من سكناك داري * وحق الحق سكنت الجبال * ورماه من هذا التنائي * و مع هذا لبهجتك انفصال * اتبعدني لشؤم قبيح جرمي * حبيبي أي ذنب لا يقال * و أي شفيع حق تقبلوه * و أي تنصل لكم يقال و حقك إنما عذري اعترافي * بأن عظيم ذنبي لا يزال * و علمي أن ماء مولى عفو * و ظني أن نائله أنال * ألا ياليت شعري أي وقت * أرى أني لأخمصك النعال * حبيبي كيف عنك أطيق صبراً * و أنت الخالص المحض الجمال * و هل الاجمالك شام طرف * بغير إضافة لولا الخيال * ظهرت فبان وجهك في المرايا * بلا حصر و ذاك هو الظلال فما هو انت إلا انتاكن * لأجل الوهم قبل بدا الهلال * فتلك ذكا و بدر التم سارا * و قد حلاهما منك النوال * و لي من صورة المحبوب زدب * فحظي منك يا املي حلال فجد لي يا حبيب وعد وجودي * و اعد مني شهودي يا كمال * و كن لي شاهد المشهود صفواً * بلا كدر فلا يبدوا الجلال * لأنت منحتني مجداً بوجدي * فمن قبس الغرام لي اشتغال * اردت الحب من قدم فشوقي * له في كل اعضائي مجال * فلا انلك من حرق ووجد * فاحمالي مع البلوى ثقال * فصل على دهرك يا جمالي * اتحسن من مراحمك انفصال * و اطلع شمس حسنك في سمائي * اغر فما معي إلا السؤال * فأنت ذخيري و لأنت كنزي * و عزي كل ما وقع الزوال * و أنت معولي في كل أمر * لديه لا يفيد الاحتيال و في اليوم العظيم لأنت غوثي * و حرزي عندما يقع النكال * فلا و الله أرغب عنك حتى * و لو حشيت بأجفاني الرمال صلى الله عليه و سلم و صلى الله ما طرفت عيون * و ما تجني غصون أو تمال * على خير الخلائق ذي المزايا * محمد المجللة الجمال * قال في حسن التوسل في زيارة خير الرسل صلى الله عليه و سلم و من فوائد الصلاة على النبي عم محبة المصطفى للمصلي على رسول الله صلى الله عليه و سلم بل زيادة المحبة المذكورة اللازمة لها ازدياد الشوق مع استحضار المحاسن النبوية في القلب و الجنان بحيث يمثل خياله به و لا يكاد يفتر من ذكر القلب و اللسان * لو شق عن قلبي يرى وسطه * ذكرك و التوحيد في سطر و قال الشيخ أحمد بن عبدالحي الحلبي في آداب الصلاة على النبي ع م تنبيه اعلم أنه يتأكد على المصلي على النبي عم أن يتصور وقت الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم صورته النبوية الكريمة في مرآة قلبه كأنه بين يديه سائلاً من الله الصلاة و السلام عليه لأنه إذا واظب المصلي على ذلك تدوم عليه غيابات أنواره الكريمة المحمدية شعر . بأبي أيها النبي الكريم * و الرسول المطهر المعصوم * و الحبيب الاسمى الزكي المرجى * و المراد المقرب الصميم و الخليل الذي نجا قاب قوسين * و

حيث الخطاب و التكليم * و العليا الذي به عمر الكون * و من قبل رسمه معدوم * و الحليم الذي له الخلق المصرص * في الذكر انه لعظيم * و الجواد الذي على كل مخلوق قاله العم و فضل قديم و الشجاع الذي إذا صال فالموت * له السيف و العماد الجسوم * تملك الجميع بالاشارة ان شئت * و لكنك الرؤف الرحيم و المطاع الذي متى تأمر السحب * اتت حسبما تقول الغيوم * ترسل الغيث حيث ما تقصد الغوث * فما في النبات قط هشيم * فيرى الجدب هارباً خوف بطش الخصب * فالشكر في الرخا مقيم فلأنت الغياث و الغوث ذو الخطوة و الاصطفاء و العلوم * و الملاذ الذي متى امه المكروب زالت هومه و الهموم * و المهاب الذي لو انهر العالم مالت اسمائه و الرسوم * من يجاريك في سماء المعالي * أو يباريك أيهذا الوسيم سعدت عين من رآك * و كذا من رؤيا سناك يروم باب الدهر في رضائك عسى تلقاه منك الرضوان و التكريم * فهو ساع للعهد راع فيا خيبة من فاته الك التعظيم * اي شيء في الملك أو ملكوت الله ما أنت اصله الموسم * أو ما جاور روى عنك الصدق لي فيه عنك موسوم أن نور النبي أول مخلوق و منه التفصيل و التقسيم * فلأنت الأصل الأصيل و كل * من سنا نور ذاته مرقوم * و لأنت النور الجلي و من ضوئك نارت كواكب و نجوم * و لأنت الأخير و الأول المختار * و المعتنى به المرحوم و لأنت الرحيم يا رحمة الله و منهاج دينك المستقيم و لأنت الذي محاسن أوصافك في الصحف كلها مرقوم * و لقد كنت قاسم البر و الخير فمنك الندى و منك العلوم * طبت من طيب الى طيب في طيب فالثناء عليك يدوم * من يطيق الثناء عليك قد اهدتنا مدحك الكتاب الكريم لكن الحب يقتضي الذكر للمحبوب و الحمد ما حوته الرقوم * فاقل قربت و البضاعة مزجاة فجهد المقل من جسيم * فعليك الصلاة ما طرفت عين و سالت عين وزانت نجوم * و عليك الصلاة من موجد الخلق و محي العظام و هي رميم * و عليك الصلاة ملأ السموات تلاها الشريف و التسليم و على الآل و الصحابة و الاتباع ما هب في الوجود نسيم * و قال الشيخ أحمد بن عبدالحي أيضاً تنبيه أيضاً و أعلم أن من ثمرات الصلاة على النبي عدم انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً متاصلاً انتهى جعلنا الله و اياك من الرابطين على اشرف أنواع الرابطة و المخصوصين بالرحمة الهابطة الله و لي المؤمنين (الباب السادس) في القول الجميل في رابطة الأولياء الكمل اعلم أيها الأخ من الله علي و عليك بمحبة أوليائه و سلك بنا سبيل المهتدي بهداه أن سفيان الثوري قال لا نجاة يوم يحشر المطلون إلا لنبي أو تابع نبي أو محب لو أن عارفاً بالله في مشرق الشمس يدلي بحقيقة ورجل محب له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب استعداده و تهذيب محبته و إن الرجل ليعانق الرجل و إن بينه و بينه لا بعد مما بين المشرق و المغرب و قلب العارفين يكسب و قلب المريدين يكتسب فيه انتهى و قال سيد الطائفة جنيد وأقرب الطرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ و استفادة علم الواقعات منه حتى يفنى تصرفه في تصرف الشيخ انتهى و قال المحقق الاردبيلي شارح المشكاة في رسالته المكية الشرط السابع دوام ربط القلب بالشيخ و استفادة علم الواقعات منه من جهة الارادة التامة لأنه الرفيق في الطريق قال تعالى يا أيها الذين آمنو اتقوا الله و كونوا مع الصادقين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة ثم قال فصل المريد أن تيقن أن روحانية الشيخ غير متحيزة بموضوع دون موضوع و كل ما يكون غير متحيزاً استوت عليه الأمكنة كلها ففي أي موضوع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ و إن كانت تفارق

شخصيتها و البعد إنما يتعلق بالمريد و إذا تذكر المريد الشريخ بقلبه قرب إليه فيتعلق قلبه به فاستفاد منه فإذا احتاج المريد إلى الشيخ ليحل واقعته يستحضره بقلبه و يسأله عما يشاهده لا باللسان الظاهر بل بلسان القلب فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقيب السؤال و لانما تيسر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ و من هذا الوجه يفصح له لسان القلب و ينفتح له طريق القلب إلى الله تعالى فيجعله محدثاً انتهى و قال سيدي ابراهيم الدسوقي يا أولادي ان صح عهدكم معي فأنا منكم قريب فإن أخذتم عهدي و عملتم بوصيتي و سمعتم كلامي و لو أن أحدكم بالمشرق و أنا بالمغرب رأيتم شيخ شخصي فمهما ورد عليكم شيء من مشكلات سركم او شيء تستخيرون فيه ربكم فوجهوا وجهك و اطبقوا عين حسكم و افتحوا اعين قلبكم فإنكم تروني جهارا و تستشيروني في جميع أموركم فمهما قلته لكم فاقبلوه و امتثلوه و ليس هذا خاصاً لي بل عام بكل شيخ صدقتم في محبته و قد يعلم ذلك شيخكم و قد لا يعلمه هكذا جرت سنة أولياء الله مع مريديهم انتهى و قال الشيخ أحمدبن ابراهيم بن علان الصديقي في شرح قصيدة الشيخ أحمد بن عبدالدائم الانصاري الشاذلي الشهير بابن بنت الميلق قدس سره التي أولها (شعر) من ذاق طعم شراب القوم يدريه * و من داره عدا بالروح يشريه عند قول الناظم * إذا رأى ذكر المولى برؤيته * أي رأى هذا العبد ذكر المولى برؤيته كما ورد في وصف الصالحين الذين اذا رأوا ذكر الله لأن نور قلبه مشرق على وجهه سيماهم في وجوههم فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه و من تم له ذلك فاز بالسعد و القرب قال ابن علوان * سعدت اعين رأتك و قرت * و كذا عين رأت من رآكا * و مثل ذلك الشمس إذا اشرقت على جدار و في مقابل ذلك الجدار جدار آخر فيشرق ذلك الجدار الذي اشرقت عليه الشمس و عنده أي عند الناظم طريقة معروفة مشهورة عند المشائخ يسمونها بالرابطة و هي رؤية وجه الشيخ فانها تثمر ما يثمر الذكر بل هي أشد تأثيراً من الذكر لمن عرف شرطها و آدابها و من ذلك كان تربية النبي صلى الله عليه و سلم * للصحابة رض فكانوا يستغنون برؤية طلعته السعيدة و ينتفعون بها عن كل رياضة و مجاهدة أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة و لهذا كانت درجة الصحابة لا تضاهى و الاجتماع بالمشايخ و لو ساعة مرتبة بها يتباهى انتهى و قال ابن ابي داود الحنبلي صاحب كتاب تحفة العباد في كتابة آداب المريد و علامة صحة ارادة المريد تعلق قلبه بشيخه و استغراقه في مشاهدته في الغيبة و الحضور حتى لا يشهد معه من الخلق أحداً غيره فإذا صح له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السرمدي و هذا الذي لا يشهده إلا أهل المعرفة بالله الغبي الجاهل المفتون بشهوة نفسه الأمارة بالسوء أو الجامد الذي ليس عنده شيء من الروحانية قال بعضهم (شعر) إذا أنت لم تعشق و لم تدر ما الهوى * فكن حجراً من يابس الصخر جامداً ، انتهى قال ابن عطاء الله الشاذلي في كتابه مفتاح الفلاح في آداب الذكر قالوا يعني المشائخ و إن كان أي المريد تحت نظر شيخ يخيل شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه و هاديه و يستمد أول شروعه في الذكر من همته معتقداً أن استمداده منه هو استمداده من النبي صلى الله عليه و سلم لأنه نائبه قال الشيخ عبدالوهاب الشعراني في رسالته مدارج السالكين الأدب السابع أن يخيل خيال شيخه بين عينيه و هو عندهم من أهم الآداب و آكدها و قال ايضاً في البحر المورود أعلم يا اخي أن ربط أحدنا قلبه بشيخه حي أو ميت ينفعنا و لو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله شيخنا لأن ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله لا لذاته و محال أن

ان يوجد الحق تعالى عند السراب الذي ظنه الظمآن ماء و يعتقد عند عبد من عباده مشهور بالصلاح مع أن السراب ليس له حقيقة بخلاف الصالح له وجود و حقيقة فافهم انتهى و قال الشيخ تاج الدين الحنفي في كتابه المشهور بالتاجية الثانية طريقة الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة و تحقيق بالتجليات الذاتية فان رؤيته يقتضى هم الذين إذا رأوا ذكر الله فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال و تتوجه للقلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة و الفنا عن النفس و إن وقفت من الترقي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن في خيالك و تعتبر من كتفك إلى قلبك امراً ممتداً و تأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتد و تجعله في قلبك فإنه يرجى لك حصول الغيبة والفنا انتهى ، و قال الشيخ ابراهيم ابن عمر الملا الاحسائي في رسالته فإن لم تمكنه مصاحبة الشيخ لتعذره يبعد عنه فعليه بإحضاره في خياله و يعتقد أنه في حضرته وصحبته و يتصور نفسه كأنها بين يديه و يحفظ ذلك التصور في خياله و يفنى في وجود الشيخ بكليته ثم يتوجه من وجود الشيخ إلى الله تعالى و يتكلف ذلك و يكرره مرة بعد أخرى إلى أن يشرق النور الإلهي على لطيفته إشراقاً يكشف الغطاء عن اسرار المعاني فيكون بالله لا بغيره و لا بنفسه انتهى ، و الكلام في الرابطة لا نهاية له و فيما ذكرناه كفاية للموقف فتأمل بنفسك و ميز علمهم من علمك و انظر هل حصل لك من العلم ما حصل لادناهم و هل وجدت من اليقين ما وجد ادنى من و الأهم هيهات هيهات كما لا يستوي سائسة الخمير و أصحاب الملوك كذلك لا يستوي أهل الشهوات و اتباع أهل السلوك (أشعار) هم القوم أن تجهل و أن كنت تعلم * لقد شهدوا المحبوب و الناس قد عموا إلى الله فروا بالقلوب ليحصلوا * لديه فيا بشراهم حين يمموا لهم همم لما تزل تعتدي بهم إلى رتب يسمو إليها التقدم فهم بين سلاك الطريق إلى الحمى و بين أخي وجد يشيب و يهرم و بين أخي سكر و ذا واخ الفنا * و بين أخي فكر يغيب و يلحم و بين اخي صفو و هذا مشرف * و بين أخي محو و هذا مكرم و بين أخي سعي و بين أخي هوى * و بين أخي دهش و هذا مهيم و بين أخي شوق و بين متيم * و بين أخي ذوق يتم و يعظم فهذا السبب مثل مادا مدله * و هذا سليب مثل ما ذاك مغرم . تجاروا إلى محبوبهم و تسابقوا * و قاموا على الاقدام و الناس نوم إذا ذكر المولى تطيش عقولهم * و ذا الطيش اهنى العيش لو كنت تفهم سواء عليهم أن قدحت و إن مدحتهم إنما القوم الأولى في الملاحم رضوا عنك في الحلين إذ أنت عبد من احبوا و كلا يصدر السوء منهم . فاعلم ذلك و اياك في الطعن على أهل هذه المسالك فإنه يوقع في المهالك و الله يتولى هداك (الباب السابع) في نصح المنكرين الخاص و العام لحصول حسن الختام فإنما الأعمال بالنيات يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن كفر عنكم سيأتكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي و الذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا و اغفر لنا إنك على كل شيء قدير و اعلم أيها الأخ أن الدين النصيحة و إن من افرض النصائح أن ينصح الإنسان نفسه و لا يدخلها مداخل السوء و لا يلقيها في مهالك الإنكار على أولياء الله فإن كان انكارك عن جهل فيجب عليك التثبيت أولاً و مطالعة كتب العلماء المشتملة على سيرهم و ارشادهم و تعبدهم و يحرم عليك انكار مالم تعلم قال الله تعالى و لا تقف ما ليس لك به علم و قد آل الأمر إلى أن الأمور ثلاثة أمر تبين لك رشده فاتبعه و أمر تبين لك غيه فاجتنبه و امر اختلف فيه فارجعه إلى عالمه هذا وما انكرته غير مختلف في صوابه و انما عليه

جمهور العلماء العاملين فيا ليت شعري إنكار هذا على الإمام سفيان أم على جنيد سيد الطائفة اتنكر على من لم يعمل إلا بنصوص أهل مذهبه و أهل مذهبك و لم يسلك إلا سبيلهم و قد اوردنا كلامه و اريناكه لتعلمه وهم أكابر العلماء و أهل السياسة و الحكماء و أهل السيادة و الأدباء و أهل العبادة و النجباء اترى بترك الغزالي و الفخر الرازي و أبو الحسن الشاذلي و ابن عطاء الله و ابن داود و الشعراني و ابن حجر و نحوهم و يصار إليك ما أظن ذلك ما أرى من يترك قولهم و يأخذ قولك و يدع سيرهم و يتبع سيرتك إلا مغرورا قد ذهبت حجاه أو شقيا متبعاً هواه قد اضله الشيطان و اغواه و بلغ منه مناه فلا حول و لا قوة إلا بالله الا اخبرك بما آل بك الانكار إليه لقد صد منك إنك قلت ينبغي أن يجعل الله بين عينيه بدل الرابطة فأقول إن كنت تعتقد أن الله شبيه شيأ من خلقه الدال عليه قولك بدل الرابطة فأنت مجسم أو انه لا يخلو من كينونته في شيء أو على شيء فأنت حلولي أو جهوي تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً و إن كنت تقصد إنه سبحانه منزه عن المكان و أنه ليس كمثله شيء و إن كل ما خطر بالبال فالله بخلافه فاعلم ان الرابطة يتصرف فيها عاملها و يقررها تارة جالسة و تارة قائمة و تارة مارة و كيف شاء و ذلك على الله محال و انك قد اخطأت في التعبير و اسأت في التقدير فاين تنزيهك لمن ليس كمثله شيء و هو السميع البصير إلا انبئك بما أوصلك الانكار إليه حررت قراطيس ووصت ابا ليس يصدون المسلمين عن هذا الامر النفيس الذي من لازم المتلبس به التسبيح و التقديس و صلاة الليل و صلاة الضحى و احياء ما بين العشائين و الطلوعين مهما أمكن و ذكر الله على الدوام و الكف عن اكثر الآثام أن لم يكن عن جميعها فانظر كيف نصحت أمة محمد صلى الله عليه و سلم بإبعاد اهله عن سنته يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله و تخونوا أماناتكم و انتم تعلمون أفلم يدبروا القول بل جاءهم بالحق بل آتيناهم بذكرهم و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم أم على قلوب أقفالها . اترى رسول الله صلى الله عليه و سلم يرضى عنك بهذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم هذا تنبيه و تذكرة وما يتذكر إلا من ينيب إلا ادلك على ما هو خير لك من إنكارك الطريقة و رابطتها الانكار على من يرتكب الكبائر المجمع على تحريمها و أنت تراه في بلدك مقبلاً و مدبراً و تسمعه بأذنك ليلاً و نهاراً و إنكار ذلك واجب عليك فأنظر كيف تركت الواجب و اشتغلت بما لا يعنيك بل يسوءك و يعيبك إلا ادلك على ما هو أوجب من هذا ايضاً أن تأمر اهلك بطاعة الله و ترك معاصيه و تعلمهم ما يجب عليهم من أمور دينهم قبل أن يطالبون يوم القيامة فانهم رعيتك و أنت مسئول عنهم فاهمالك اياهم دليل على عدم ديانتك إلى ادلك على ما هو أعم من هذا أن تحجر نفسك عن معاصي الله و تكف جوارحك خصوصاً لسانك الذي يكبك في قعر جهنم من كثر كلامه كثر سقطه و من كثر سقطه كثرت ذنوبه و من كثرت ذنوبه كانت النار أولى به فكم من فرية حققتها و كم خديعة دققتها و كم غيبة رققتها و كم طعن أطعته و كم زور أذعته و كم عورة كشفتها و الأذكر يوم تشهد عليهم ألسنتهم و يود لو أن بينها و بينه أمدا بعيداً إلا ادلك على أدق من هذا طهر قلبك من الخديعة و الخيانة و الغش و الحقد و الحسد و الطمع و الرياء والعجب و حب التكاثر و المباهات و الفخر و الكبر الذي حملك على عدم تسليم الحق لأهله قال في الاحياء من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف من سوء الخاتمة و ادنى النصيب التصديق به و تسليمه و الرابطة من جملة مسائل هذا العلم و نكتك نطالع في باب

النزاع و هي ليست فيه إنما هي في جملة الخبر وصلة الموصول و العائد محذوف اذ هو مفهوم المنطوق و منطوق المفهوم كأنك تطالع في باب الزكاة و قسم الصدقات والوقف ليست هي هنالك إنما هي في باب الطهارة و أركان الصلاة اشرفها الطمأنينة كما ان الحج الوقوف بعرفة و لذلك تطالع في باب الهمزة فصل الجيم و هي في باب الهمزة فصل الدال فدع علم الجدال واسمع هذا المقال العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع و علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم (شعر)شكوت إلى وكيع سوء حفظي * فأرشدني إلى ترك المعاصي * و قال اعلم بأن العلم نور * و علم الله لا يؤتى لعاصي * و لو أن العلم المراد و المعبر عنه بالنور هو ما حصل لك لكان كثير من أهل الاعتزال أولى به منك فإن منهم من هو أكثر منك علماً و أثقب فهما و وأسرع تقريراً وانصع تحريرا إنما هي نفس انتقشت فيها بعض الرسوم و اشتغلت عن الحي القيوم فاترك الانكار فإنه قد علمنا ما جهلته و عرفنا ما عرفته من بسيط و مهذب و لهما و الله زبدة المطلب المبرد و حده و تدع كل مودة شغلت عن ذلك (شعر) أما والذي قد أوجب النصح انني * منحتك محض النصح فاغنمه تهتدي * و كن مستفيداً ما منحتك شاكراً * منيحي و لا تكفر جميلي فتعتدي * فإن لأهل الله أعظم حرمة * متى ينتقصها المرء بالسوء يقصد * فيحيى حياة بالمعاصي مشوبة * و يسكن في دار المشين في غد * فياويل عبد يدعي الرشد و هو ذا * يروح ببغض المتقين و يغتدي و يختال في ثوب الغواية معجبا * و هيهات من يرشد عن الغي يبعد إذا ما رمى أهل العبادة بالقلي * و بارز أهل الله بالكلم الردي فقد حارب المعبود فالله خصمه * فيلبسه ثوب الشقاء المجود فبالغرور جر صاحبه إلى * غرور فحيد عنه و قارب و سدد * و قال الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته قمع المعارض هذا ما اخترته من المقالب مما يناسب المقام و التقطته من المقالات لهذا النظام تنبيها على مقام الأولياء و اشارة إلى علو رتبة الاصفياء و تحذيرا مما تأتيه مقالة الأغبياء الطاعنون الهم في عداد الأزكياء القادحون بأفهامهم الفاسدة فيما لا يفهمون و الخائضون بقلة تدبيرهم فيما لا يعلمون لا هم وقفوا عند نص القرآن و لا هم امتثلوا ما روي عن سيد ولد عدنان و لا هم عملوا بما قرره أئمة الشأن و لا هم جنحوا إلى طريقة جارية على قانون الحق و العرفان قال الله تعالى فيما روي في الأحاديث القدسية بين حفاظ الشرق و الغرب من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب و في لفظ من آذى و ليا فقد استحل محاربتي و اني له بالسلامة و في حديث مرفوع من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة رواه أهل الأمانة و في آخر قدسي من اخاف و ليا فقد بارزني بالعداوة و أنا الثائر لأوليائي يوم القيامة و فيما أوحى الله إلى موسى ع م من أهان و ليا أو اخافه فقد بارزني بالمحاربة و بارزني و عرض لي نفسه و دعاني إليها و انا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي أيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني أو يظن الذي يبارزني ان يسبقني أو يفوتني و كيف و انا الثائر لهم في الدنيا و الآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري انتهى فقد أوضحنا لك القول المبين و افصحنا عن الحق المستبين فادفع الشك باليقين و راجع أصول هذه النقول و تثبت بما تقول فما بعد العين ما يقال و ماذا بعد الحق إلا الضلال فأرحم نفسك و استغفر عما أودعت أمسك و اترك أهل الشكوك و الظنون قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون و هذا آخر ما قصدته من المقال العريض المري المقبول لدى كل مؤمن عن قميص الهوى عري و من خبث الباطن بري و أنا المسكين الضعيف حسين الدوسري غفر الله له ما مضى و من عليه بالرضى

أنه خير مسئول و اكرم مأمول و صلى الله على سيدنا أفضل رسول و على آله و أصحابه أهل القرب و الوصول ماتعين الحق و تبين الصدق آمين معرب فقرات الخواجه عبيد الله احرار قدس سره و بسم الله الرحمن الرحيم يا من شرح صدور العارفين بتجليات جلاله اعنا على ذكرك و شكرك و اغرقنا في لجة بحر برك فنحمد ربنا غواصين بحار اظهار صفات كماله لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك صل بجلال قدسك على أكرم حامد لك محمداً أحمد محمود من جنتك ، و انسانك وارجد موحد تجليت عنه بعينك و نفسك صلى الله و سلم و بارك عليه و على سائر بيت مقدس سيما على آله و صحبه أركان البيت الأقدس و بعد فإن الله تعالى أوجد العالم لآدم و أوجد آدم للخاتم و أوجد الخاتم لنفسه فجعل الكل مظهر وحدته مشرقاً عليهم من سماء التوحيد بشعاع شمسه فظهر شروقه ظهور الذرة و اضاء بالشمس الذي هو في رابع السماء لكنها لا يمكن ادراك الذرة إلا بدخول الشمس من الخوخة فإن الشعاع إذا دخل منها تقوم الذرة عليه في صورة خيط بمقدار وسع الخوخة وضيقها كذلك الذرة التي كانت في عالم العمى إذا اذابت بإشراق الحق حين نظر إليها قال السماء ثم استوى إلى السماء وهي دخان فتحقق منها الجهات الست المنزه باريها عنها فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فما ظهر من الوجود ليس إلا من ذوبان الذرة على نفسها من هيبة نظر الناظر الباطن الظاهر و العلويات كلها بمنزلة الخيط الشعاعي ابدى الظهور و إن اختلفت النشآت بظهور مقتضيات المتقابلات فالخوخة التي لا تسد في النشأتين هي الحقيقة المسماه بحقيقة الحقائق وهي الحقيقة المحمدية عليها أفضل الصلوات و أكمل التحيات و خيط الوجودات السيالة قائم بالشعاع المحمدي في كل بيت مقدس من آدم إلى انقراض هذا العالم بانعدام البيت الذي يصلح لان يكون مكان الخوخة المذكورة نبوة و صديقية فإن الانبياء صلوات الله و سلامه عليهم مقدسون قلباً و قالباً عن التوجه إلى غير الله فقلوبهم بيوت الحق في النشأة الدنيوية و الكتب المنزلة عليهم مأدبة الحق و مائدته و لسانهم هو الداعي إلى الله سراجاً منيراً و لا ترفع مائدة إلا بوضع الأخرى قال الله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فالشرائع السالفة نسخت بالمائدةالمحمدية و البيت المحمدي كان أعظم البيوت المقدسة لا جرم نزلت مائدته اعم الموائد قال الله تعالى و ما أرسلناك إلا كافة للناس فلا ترفع مائدته أصلا بل يوضع طعام بدل طعام آخر و المائدة بحالها رحمة من ربه و فضلاً كما أن موائد الأنبياء عليهم السلام انتهت فلا يؤكل عليها إلا طعام يخص بها كذلك ينبغي أن يطلب الطاعم القدر المشترك من المطاعم في جميع الموائد عليها فيطعم منها كما يطعم و هو يطعم و لا يطعم فالحمد لله الذي جمع بين النبي و الصديق ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فالمائدة المحمدية ممدودة و لكن لا يطعمها إلا كل صديق يصلح أن يكون لمن انزلت هي عليه صديقاً و في الهجرة إلى الحق عن الباطل في جميع الأحوال رفيقاً شفيقاً و اختصاص ابي بكر رضي بالنبي صلى الله عليه و سلم من بين الأمة لأنه رأس الصديقين و رئيسهم و ما زفت المائدة المنزلة على محمد صلى الله عليه و سلم إلا في زمنه و آمن الناس به ثانياً بعد ارتدادهم و قاتل من فرق بين الصلاة و الزكاة حتى قال لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لقاتلتهم عليها فأيد الدين بعد انهدامه بقتاله أهل الردة و مانعي الزكاة قال ع م نحن نقاتل على التنزيل و أبو بكر يقاتل على التأويل و معناه بيان مقتضى المقامين من النبوة و الصديقية لا الحصر

كما يدل عليه ورود الخبر الصحيح في مقاتلة ابي تراب رضي مع البغاة أيضاً فكل من كان همه تأييد الدين أنه صديق زمانه يطعم من المائدة سواء طعم غيره أو لم يطعم إلا أن الصديق لأهل زمانه لا بد و أن يسعى لطعام غيره أيضاً و الأولياء كلهم بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و أقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله و الله يرزق من يشاء بغير حساب و هؤلاء الصديقون قائمون على المائدة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها لمد المائدة على قلوبهم التي لا يسعها غير الله فيتهم التعرض في ايام دهرهم للنفحات الربانية امتثالاً لقوله عليه السلام أن لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها و لا يتعرض لها إلا الراسخ في العلم فانهم من أهل التأويل إذ ليس تعلقهم متعلق سوى التفادي بأرواحهم للحبيب الحقيقي من فرط الحب كالصديق في الغار و ابي تراب في الفراش و الطريق إليه صلى الله عليه و سلم بعده منحصر في هذين فلذا يدل على ذلك امره عليه السلام بسد الخوخات إلى المسجد إلا خوخيتيهما أو خوخة احدهما و سلسلة المشائخ كلهم منتهية إلى النبي صلى الله عليه و سلم من طريق ابي تراب رض الا سلسلة الذهب و هي للنقشبندية فانها واصلة إلى النبي عليه السلام من طرق اربع أحدها إلى الخضر عليه السلام و ثانيها إلى الصديق من طريق الامام جعفر رض فإنه أخذ من جده قاسم بن محمد و القاسم اخذ من ابيه محمد و محمد اخذ من ابيه ابي بكر رض و ثالثها و رابعها إلى علي كرم الله وجهه من طريق سيد الطائفة جنيد و طريق سلطان العارفين ابي يزيد البسطامي و لأجل هذا سميت هذه السلسلة بسلسلة الذهب و فضلت على غيرها من النسب و أسود غابات التأويل كلهم مطوقون بهذه السلسلة العظيمة التي هي ادراج النهاية في البداية فيذوق المبتدي فيها جاشنيا أي ذوقاً من غيب الهوية و لا يحصل في غير هذه الطريقة الذوق المذكور إلا بعد الرياضات الشاقة و ربما أيضاً لا يحصل بعدها و السر في ذلك أن الاسد من شأنه أن يصطاد فيطعم و يطعم غيره و لا يطوق بسلسلة الذهب إلا الأسود و المنتهي في هذه السلسة هو المطوق بها فهو في صيد الحقائق و المعارف أسد المعارك في وقته يطعم و يطعم كما كان و حيد زمانه و فريد أوانه و أعرف العارفين بالله في دورانه تغمده الله بمغفرته و رضوانه و نعمه بمشاهدة جماله في أعلى جنانه حيث فني عن حظوظ نفسه و غني بما كان يوهبه خيراً من نفسه أنعم الله عليه بجلائل نعمه الصورية و المعنوية و فضائل حكمه الدنيوية و الأخروية فكان يتعرض لنفحات ربه في ايام دهره صاعداً لعزلان عوالم الغيب بمخالب المشاهدة و العيان قائداً لها إلى مضيق الشهادة بمساعدة فرسان البيان معجز للفرس كلهم بفروسيته فعجزوا عن تحديه و لو في أدنى عبارة الميدان و انتفعوا بموائد بيانه على قدر أذهانهم و احتظوا بعوائد عيانه بعد طلوع بدر برهانهم فاقتضى الحال أن ينتفع بها العرب كانتفاع العجم ليتحقق بين الفريقين أنه كان ليث هذه الآجام كان على الحقيقة بياناً للشريعة و الطريقة * فما كان المسمى غاصب الاسم ثم توحد في طريقته الأنيقة * حرى أن يعم الناس طرا * بشرعته وهي له سليقه * حسام الحق مسلول من الغمد * ضياء الصدق أظهر في بريقه * كلام الله فرقته ثلاث * فميز أنت من كل فريقه * طريق ابي تراب كان يمشي * كصديق له في الحب ليقه * ولا تعجب بتسمير الخلائق * فهم يأتوك من ملذ سحيقه * و أنت الكمية العظمى بحق * حقيق أن تدالف على الحقيقة * فذق طعم المعارف

كي تجدها * فقد ذاق الصفا من ذاق ريقه * و هذا ريق مولانا نبيه * لسان الفردوس و هي لنا و ثيقه * ذوقها لأبيه بالتماسه لذلك فادرج فيها بأقرب المعارج و المسالك فنقول انه يقول سبب هذا التاليف المختصر ان والدى رزقه الله و ايانا العمل بما فيه بناء على حسن ظنه بهذا الفقير امرني لما رجعت من الغربة إلى وطني أن اكتب له شيئاً من كلام أهل الله يكون العمل به سبباً للوصول إلى المقامات العالية و العلوم . الحقيقة الخارجة عن طور النظر و الاستدلال قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فوجب امتثال أمره على هذا الفقير لأن الأدب مع الحضرة الربوبية تقضي الأدب معه إذ الوالد واسطة وصول اثر ربوبية الحق جل و علا إلى الولد و قال بعضكم في بيان الحقيقة من آداب المرا مع الحضرة الربوبية تعظيم المظاهر التي قبلت اثر الربوبية لأنهم مظاهر تلك الأثر مثل الأب و الأم و سائر من هو من قبيلها إذ هذا التعظيم راجع إلى الرب حقيقة و إليه يرجع الأمر كله فامتثلت امره و ذكرت في هذا المختصر ما يكون سبباً لحصول المعرفة المطلوبة من الانسان فالملتمس من الناظر فيه أن لا يسند الكلام إلى مؤلفه بل يراه في قبضة تصرف الحق جل ذكره كالقلم في يد الكاتب فإنه إذا لم ينسب الأمر إلى مؤلفه دخل في زمرة الذين علومهم حاصلة من الحق بلا واسطة لأن الوجود المجازي عندهم في حكم العدم كما قال بعض العارفين من أصحاب العيان مخاطباً لأرباب النظر و البرهان انكم اخذتم علومكم ميتاً عن ميت و نحن أخذنا علومنا من الحي الذي لا يموت و من كان وجوده مستفاداً من غيره فحكمه عندنا حكم اللاشيء فليس للعارف معول غير الله قطعاً و بالله نستعين و عليه أتوكل و لا حول و لاقوة إلا بالله قال الله تعالى و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون قال المفسرون المراد بالعبادة ههنا هي المعرفة إذ العبادة بحسب تبادرها إلى الفهم تتعلق بأعمال الجوارح و لو حمل إلى ما هو المتبادر منها لا يستقيم المعنى إذ الغرض و الغاية من خلق الخلق ليس مجرد الأعمال الظاهر بل الأعمال الظاهرة تابع للمعرفة و المعرفة هي المقصد بالذات و بعض الصوفية اراد العبادة بالمعنى الأعم إذ العبادة عندهم تشمل الأعمال الظاهرة و الباطنة و المعرفة عمل القلب و لا حاجة إلى التأويل و المحققون متفقون على أن المعرفة لا تحصل إلا بمتابعة النبي صلى الله عليه و سلم و متابعته موقوفة على العلم بما يجب متابعته فيه رواه الشيخان من حديث نعمان بن بشير رضي الله عنه فاعلم أن للنبي قولاً ع م و فعلاً و حالاً فالقول يتعلق بلسانه و الفعل يتعلق بظاهره حاله يتعلق بباطنه فمتابعته صلعم في قوله أن لا يجرى على لسانه ما يخالف شرعه عليه ع م مثل الغيبة و الكذب و الكلام الذي فيه ايذاء للمسلم و غير ذلك و ان يتكلم بما يكون سبباً لنورانية قلبه مثل قراءة القرآن و الادعية المأثورة عن النبي عليه السلام و يرغب عباد الله إلى شريعته و يجب ان يكون في قراءة القرآن و الأدعية بحيث يعبر بلسانه عما في قلبه فإنه لو لم يكن كذلك كان شاهد الزور هذا إذا كان عالماً و اما إذا كان اميا فليعتقد بقلبه أن القرآن كلام الله عز و جل فيشرع في قرآته بالتعظيم و حضور القلب بملاحظة عظيمة ربه الكريم و متابعة فعله ع م و ان يزين ظاهره بشريعته و لا يترك سنته و آدابه فإنه بمقدار ما ترك منها ينقص من دينه و أيضاً متابعته عليه السلام في فعله بمعاونة الأخوان المؤمنين بيده و سائر الجوارح فيما يحتاجون إليه كله موجب صفاء و نور خصوصاً اذا كانت معاونته في قضاء حوائج المتوجهين إلى جناب الحق سبحانه لأن الله تعالى أظهر هذه الطائفة لنبيه فيجب منهم دوام التوجه إليه إذ قلبهم في حالة التوجه إلى الحق

مرآة مصقولة يظهر فيها جماله و قد يقع لهم التوجه بواسطة البشرية إلى الأكل و الشرب و اللباس و غير ذلك فيتكدر باطنهم بمقدار تعلق ظاهرهم بالامور المذكورة اللازمة لهم بالضرورة و بمقدار ذلك الغبار يحجبون من مشاهدة جماله فصاحب الدوله الذي وفقه الله لكفائة أمورهم الضرورية له نصيب تام من معانيهم ضرورة اذ كفايته لأمورهم سبب رجوعهم إلى حالهم من مشاهدة الحق فكأنه هو الذي وجههم إلى الله بالدوام و احسن من هذا في تحقيق هذا الكلام أن يقال الموفق لقضاء حوائج المتوجهين إلى الله أن كان شاكراً لربه بما انعم عليه في التوفيق المذكور فهو مظهر اسمه الكافي تبارك اذ الشكر منه يدل على انه ما اسند الأمر إلى نفسه حيث قال الحمد لله الذي جعل كفاية أمور و ليه على يدى فهو ح متخلق بالاسم الكافي وورد في الحديث النبوي أن من تخلق بخلق من اخلاق الله فهو محرم على النار و لباطن النبي صلعم مراتب من النفس و القلب و السر و غيرها و قد أعطاه الحق عز اسمه بحسب كل مرتبة منها كما لا يناسب تلك المرتبة و يجب على المسلم متابعة المذكورة إلا بالوقوف على آدابها و معرفة آدابها على حسب الكمال ليس في وسع احد من الانبياء و الاولياء و لكن للمجتهد فيها على قدر حاله من تلك الكمالات نصيب فمتابعته في مرتبة نفسه أن يخالف هواها منجماً لها عن الميل إلى خلاف الشرع فإذا داوم على هذا تحصل لنفس المتابع مناسبة تامة بنفسه ع م و بقدر المناسبة ينجذب نفس المتابع من نفس المتبوع مثل الفتيلة التي تجذب النار إلى نفسها بواسطة دخان الزيت فيترقى عن درجة التقليد بقدر انجذابه عن صفات النبي ع م و قس على هذا متابعته له في سائر المراتب لتحصيل الكمالات المناسبة لتلك و اذا كملت المناسبة و بينه و بين النبي عم بواسطة المناسبة حق للمرأ ان يكون محبوباً لله تعالى قال الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فيطلعه الحق ح على اسراره في الملك و الملكوت و هذه المحبة عائدة إلى النبي ع م إذا اتصافه بأوصاف النبي ع م سبب لها و ان كان استعداده لذلك الاتصاف محض فضل الله و كرمه و لو ابصرت بعين الحقيقة وجدت الحق هو المحبوب لذاته و هو المحب أيضاً يحبهم و يحبونه كلام له فلا يحب سواه لأنه العلة إذ صاحب الجمال لا يحب المرآة لذاتها بل لأنها آلة لمشاهدته لجماله والحق سبحانه تعالى في مرآة و جودت الانبياء و الأولياء بمقدار استعدادهم يتجلى بذاته و صفاته و كل مرآة صقالتها بحسب الاستعداد أكثر فالتجليات فيها أتم و أظهر و لهذا وقع التفاضل بين الأنبياء بعضهم على بعض اشارة إلى ما قلنا من التفاضل و لما كان استعداد المرآة المحمدي صلى الله عليه و سلم أكمل من المجموع لا جرم ظهور آثار التجليات بحسب الذات و الصفات فيه اتم من الكل و امته بواسطة متابعته لهم منها نصيب تام فألبسوا لذلك من الله تعالى خلعة الخيرية بالنسبة إلى الأمم المتقدمة كما قال الله كنتم خير أمة اخرجت للناس و من هنا قال ع م و لقد تمنى اثنا عشر ألف نبياً أن يكون من أمتي إذ علم المتمنون أن حصول تلك المراتب العلية موقوفة بمتابعته عليه فعلو هممهم اقتضى أن يكون لهم الكمال الموقوف بمتابعته فتمنوا ان يكونوا من امته واذا علم أنه لا تنال مرتبة من مراتب الكمال الا بمتابعة النبي صلى الله عليه و سلم فيعلم أيضاً أن متابعة صلى الله عليه وسلم على حسب الكمال انما هو بكون القلب منزها عن التعلق بغير الحق سبحانه منقطعاً عن العلائق البدنية و العوائق الكونية بالكلية و انقطاع القلب عن غير الله لا يحصل الا بلسع حية الحب لكبده المشوي بنار الشوق و القلق و المحبة و ان كانت من المواهب لكن ظهور هذه الموهبة بالتدريج موقوفة على حصول شرائط

ملاكها تخلية القلب عما سوى المحبوب الحقيقي و للوصول إلى حصول هذه الدولة العظمى طريقاً ما سلكها احد إلا وصل المقصود وهي أن يذكر اسم المحبوب الحقيقي ابتداء بلسانه و يحضره بقلبه منزلاً اسمه على مسماه المحيط علمه بالاشياء من غير فتور في هذا الذكر حتى يخرص حديث النفس في القلب بذكره فإذا رأى قلبه ذاكراً للمحبوب و انحصر في ذكره حديث النفس ينبغي أن لا يرضى بذلك فيترك الذكر بل يداوم على الذكر حتى يلتذ قلبه من ذكره فيترقى بالمداومة المذكورة أيضاً إلى أن ينقطع قلبه عن الالتذاذ بغيره من سائر اللذات الدنيوية و الأخروية فلا يبقى لقالبه مع متعلق سواه فيكون كله مشغولاً بحيث لو اراد ان يحب غيره و لو بالتكلف ما يتمكن من ذلك و المكالمة و المناجاة اللتان يحصلان للسالك انما هما في هذه الحالة فيصير مع بحيث لو تكلم مع أحد كان الكلام معه و كذا لو نظر إلى أحد كان ناظراً إليه و هذا هو الحضور المنزه عن الغيبة المعبر عنه في الحديث القدسي بقوله و لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و لسانه الذي ينطق به و يده الذي يبطش به ورجله الذي يمشي به و عقله الذي يعقل به فح لا تمنعه الاشتغال الصورية الضرورية عن هذه العلاقة الخفية المعنوية إذ تمكن باطنه عن مناجاة الحق وهو بظاهره مع الخلق فهو كائن بائن و هذا المعنى عبارة عن بلوغ السالك كما قالت رابعه رض (شعر) و لقد جعلتك في الفؤاد محدثي ٭ و ابحت جسمي من اراد جلوسي ٭ فالجسم مني للجليس مؤانس ٭ و حبيب قلبي في الفؤاد انيسي فصاحب الدولة الذي حصل له في الدنيا هذا التعلق الخفي بالحق سبحانه إذا فارق روحه من بدنه يحصل وصال و اتصال دائمي بربه فإن القلب الذي شغفه الحب و إن كان واصلاً إلى محبوبه في هذا العالم و لكن يقع عليه حجاب رقيق لأجل المقتضيات البشرية فلما انقطع الروح عن الجسد زال ذلك الحجاب بالكلية اذ زوال العلة التامة للشيء يستلزم زوال معلولها والجسد علة الحجاب الرقيق و قد زالت مزاحمته لروح المحب المذكور بالموت الطبيعي فلا حجاب لهذا الروح بعد الموت اصلاً (فصل) اذا اردنا أن نشغل أناساً بمحبة محبوب فطريقه أن يلقى في الجارحة الفلانية لمحبوبه كذا و كذا نعمة مما يستلزم التوجه إليه فينبغي أن تحبه لأنك اذا احببته تلتذ بمحبته فتفوز بوصاله و الانسان مجبول بمحبة ما يلتذ منه فيميل قلبه بمجرد استماع نعمه إلى محبته و لكنه ما يعرف طريق تحصيل هذه السعادة فالطريق له أن يلقى اليه ما يمكنك الاستمداد بها إلا بأن تكثر من ذكره و تزجر قلبك عن الاشتغال بغيره فيميل إليه و اذا داوم على الذكر يزداد الميل فيلتذ قلبه من هذا الميل بازدياد اللذة إلى أن تستحكم العلاقة التي هي الارتباط الخفي فلا يبقى في يده زمام اختيار القلب اذ شغفته محبته فيحبه سواء اراد او لم يرد فلا تسع القلب محبة الغير بل لا يسعه الاشتغال باسم المحبوب فينسى الاسم من غلبة المسمى عليه و يترقى من هذا الحال إلى مرتبة استيلاء نفس الحب كما قال العامري لليلى دعيني فقد شغلني حبك عنك باصطباغ طرفيه بصبغة و هي الوحدة الحقة صبغة الله و من احسن من الله صبغة اذا علم ان حصول المحبة انما هو في الاشتغال باسمه فاعلم أن أفضل الاذكار ذكر لا إله إلا الله اذ هذه الكلمة مركبة من النفي و الاثبات والحجب الحاصلة للعبد انما هي بواسطة انتقاش الصور الكونية في القلب و في هذا الانتقاش اثبات الغير و نفي الحق فلا يحصل القرب إلا برفع الحجاب و ذلك باثبات الحق و نفي الغير كما هو المفهوم من هذه الكلمة الطيبة فالمبتدي اذا اراد أن يشتغل بها فليقصر امله و ليحصر حياته في النفس الذي هو فيه و في هذا

النفس الذي تيقنه آخر انفاسه أن يشتغل بالذكر المذكور و طريقه أن يمحى عن قلبه غير الحق بقول لا إله ويلاحظ الحق عز و جل بالمعبودية و المحبوبية في قول إلا الله بحيث يضمر في قلبه كل مرة يقولها أن لا معبود إلا الله و ليكن اشتغاله بالذكر منزهاً عن الترك و تطرق الفتور فإذا عرضته غفلة فليعتقد من باب التمثيل إن كان معه درثمين عديم النظير و هو الآن ضالة فيتحزن لذلك بلا ريب كذلك يتحزن من فوات الحالة المذكورة و هذا التحزن علامة تأثر القلب عن الذكر فإذا دام على هذه الحالة يصل إلى مقام لو ترك الذكر بلسانه فالقلب مشغول به و لكن لا يكتفي بذلك بل يستوعب اوقاته للاشتغال به على القاعدة المقررة للنقشبندية من الصاق اللسان بالحنك الأعلى وحبس النفس في السرة و رعاية الحركات الثلاث مبتديا من السرة و منتهياً إلى القلب و الحركة الوسطى إلى المنكب الأيمن في النفي و الاثبات إلى أن يصل مرتبة يغلب ذكر الحق على سائر الأشياء و يداوم على الذكر حتى يتدارج إلى انفراد حقيقة القلب بالمذكور لاستيلاء سلطان المحبة عليه فلا يبقى في القلب محبة الغير فيتحقق تعلقه بالحق فيستوي على عرشه الأعظم متكلماً سميعاً بصيراً مريداً قديراً و حصول هذه السعادة للقلب انما هو لأن الله تعالى خلق القلب بحيث ما يمكنه إلا أن يكون متعلقاً بشيء فإذا انقطع تعلقه عن الغير بالطريق المذكور لم يبق إلا انه يتعلق بالحق سبحانه اراد العبد أو لم يرد و في هذه المرتبة يصير الذكر صفة ذاتية للقلب و حقيقة الذكر التي هي منزهة عن الحرف و الصوت تتحد مع جوهر القلب المعبر عنه بالنكتة الذاتية فيحيط الحبيب بفضاء القلب بعد إحاطة ذكره بالفضاء المذكور و شتان ما بين الاحاطتين فإن احاطة الحبيب بفضاء القلب انما هي نتيجة المحبة المفرطة المسماة بالعشق فيترقى من هذا المقام إلى أن يفنى الوجود الموهوم في الوجود الحقيقي فيصير الذاكر عين المذكور و تتبدل الذاكرية بالمذكورية فيظهر للذاكر في حقيقة قولهم لا يذكر الله الا الله و اذا حكم بفناء وجوده الموهوم فيحكم بفناء جميع الأشياء الموهومة أيضاً فيتجلى له قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه و يكشف جمال قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عن وجهه برافع الاستار فيكون موحداً حقيقياً كما قال (شعر) ما وحد الواحد من واحد ° اذ كل من وحده جاحد ° توحيد اياه توحيده ° و نعت من ينعته لاحد ° ففي البيتين إشارة إلى حصول هذه المرتبة العليا لخواص عباده في دار الدنيا و كانت المتابعة سبب حصول هذه المرتبة العلية فمن اراد هذا التحصيل فليجالس من يوافق ظاهره الشريعة المحمدية و باطنه بواسطة المتابعة في المراتب المذكورة مظهراً للكمالات اذ القلب مجبول على التأثر من الجليس أن خيراً فخير و ان شراً فشر بحيث لو جلس أحد مع محزون يتأثر من حزنه و اذا جلس مع مسرور يتأثر من مسرته و ان جالسهما يتمكن فيه الصفتان و هذا من كمال قابلية القلب و لو لا هذه القابلية لما حصلت له الكمالات المذكورة فمن جالس هذه الطائفة يتأثر باطنه عن باطنهم فيميل قلبه إلى الحق جل و علا و بمقدار ميله ينقطع عما سواه و بمقدار انقطاعه يزيد الميل فازدياد الميل سبب ازدياد الانقطاع و ازدياد الانقطاع سبب لميل آخر و هلم جرا إلى أن لا يبقى له ميل إلى الغير وربما يحصل هذا الحال لبعض ارباب القابلية في صحبة هذه الطائفة بنظرة واحدة فينقطع قلبه عن غير الله و يتوجه بكلية قلبه إلى ربه و مولاه وهذا هو الوصول في مرتبة من المراتب و لكن الثبات على هذه الحالة مشكل لا يعرفه الا ارباب معاملة القلب و قد يحصل هذه السعادة للسالك في صحبة أهل الله و ما يشعر بها لضعف استعداده و الثبات عليه منوط بدوام

الصحبة و حفظ شرائطها و آدابها ظاهراً و باطناً فإن ترك ادبا من تلك الآداب بعد عن قلوبهم و سقط عن اعينهم فلا يبقى له تلك الحالة التي فاضت على قلبه بواسطتهم لانتهاء الرابطة بينه و بينهم .

ورأينا كثيراً من الناس حصل لهم التأثير التام من صحبة هذه الطائفة فما قدروا على رعاية الآداب فزال الذوق المذكور (شعر) عناية أهل الله لولا تواتر * على الخلق لاسودت صحائفهم وزرا * و لكنهم أهل لكل جميلة * فيعفون عنا ما نقول لهم عذرا جعلنا الله ممن سبقت لهم العناية فلا تضرهم كثرة الجرم و الجناية ووفقنا لقبول الصدق من قائله ودر الحق إلى رسائله ذوقنا رحيق التحقيق من كؤس التوفيق فلا تشرد عن كلام أهل الله بل تستقبله بالصدق و التصديق فطوبى لمن كان قابليته قابلة لقبول الهداية مثل الصديق فينفق الله ما عنده من المال و لا يخشى من ذى العرش الفاقة و الأقلال وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بانفاق الأموال انفق ابو بكر رضي الله عنه جميع ماله فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم عليه كساء مربوط طرفاه بشوكة النخل فسأله النبي ع م ما إدخرت لعيالك قال الله ورسوله ثم اتى جبريل في زي الصديق إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال أن الله أمر أهل السموات كلها أن يوافقوا ابا بكر في زيه كرامة له اللهم وفقنا و سائر المسلمين لموافقته والحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه اجمعين ثم الحمد لله على الا تمام و الصلاة و السلام الكملان على خير الأنام و آله و صحبه البررة الكرام (تمت الفقرات) (للشاذلي قدس سره) اللهم اعلني على فرش أمنك بمنك و احرسني بحارس حفظك و صونك وردني برداء الهيبة واجلسني على سرير العظمة و توجني بتاج البهاء و انشر على لواء العز و املأ باطني خشية و رحمة و ظاهرى عظمة و هيبة و مكني ناصية كل جبار عنيد و شيطان مريد و اعصمني و ايدني في القول و العمل برحمتك يا ارحم الراحمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم من قال بقلبه و لسانه دستور يا أصحاب الوقت اردس و اوحظ بحكم النيابة عنكم أمن عن ارتجاج الكلام عليه في ذلك المجلس و امدوه كلهم بالعلوم و المعارف شعر أو لم يشعر ، قصيدة للشيخ ناصر الدين المشهور بابن بنت الميلق رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) من ذاق طعم شراب القوم يدريه * من داره غدا بالروح يشريه ولو تعوض ارواحا و جاد بها * في كل طرفة عين لا يساويها و قطرة منه تكفي الخلق لو طعموا فيشطحون على الأكوان بالتيه وذو الصبابة لو يسقي على عدد الأنفاس و الأكوان كأساً ليس يرويه يروي و يظمأ ما ينفك شاربه * بصحو ويسكر و المحبوب يسقيه في ريه ظمأ و الصحو يسكره * و الوجد يظهره طورا و يخفيه يبدوا له السر من آفاق و جهته * و ليس الاله منه تبديه له الشهادة غيب والغيوب له * شهادة والفناء المحض يبقيه له لدى الجمع فرق يستضيء به * كالجمع في فرقه ماء زال يلقيه يدنو و يعلو و يرنو و هو مصطلح * في الحالتين يميز و توليه له الوجودات اضحت طوع قدرته * و ما يشاء في الاطوار يأته للقوم سر مع المحبوب ليس له * حد و ليس سوى المحبوب يحصيه به تصرفهم في الكائنات فما * يشاء شاؤ أو ما شاؤه يقضيه ان كنت تعجب من هذا فلا عجب * لله في الكون اسرار ترى فيه * لا شيء في الكون إلا وهو ذو اثر * فما المؤثر غير الله قاضيه ليس التضاد مناعا لقدرته * من حيث قدرته تأتي تعاليه و انما من وجوه الحادثات له * تمانع في محل الظل يحويه وللتقدير

وجوه ليس يحصرها * عد و كل وجود فهو واديه لو كنت تدري وجود العبد كنت ترى * فيها الكمال كما النقصان تنفيه و العبد هذا هو الحر الذي حصلت * له الخلافة جل الله معطيه أوصافه ظهرت من وصف مبدعه * و كل مظهره يبدي تجليه اذا رؤى ذكر المولى برؤيته * و فاز بالسعد و التقريب رائيه عبد عليه سمات العز لائحه * و خلعة العز و التحكيم عاليه ان كنت تقصد ان تحظى بصحبته * فأسالك على سنن طابت مساعيه اخلص ودادك صدقاً في محبته * و ألزم ثرى بابه و اعكف بناديه واستغرق العمر في آداب صحبته * و حصل الدر و الياقوت من فيه و ابذل فؤاداً وبالغ في أوامره * إلى الوفاق و بادر في مراضيه * و احذر بجهدك أن تأتي و لو خطأ * ما لا يحب و بعد عن مناهيه و كن محب محبيه و ناصرهم * و الزم عداوة من اضحى يعاديه . و اعلم يقيناً بأن الله ناصره * ان لم يكن ناصراً فالله يكفيه وانزل الشيخ في اعلى منازله * و اجعله قبلة تعظيم و تنزيه و لست تفعل هذا ان ظننت به * نقصاً و الا خللاً فيما يعانيه و اترك مرادك واستسلم له ابداً * و كن كميت تجلى في اياديه اعدم وجودك لا تشهد له اثراً * و دعه يهدمه طوراً و يبنيه متى رأيتك شيئاً كنت محتجباً برؤية الشيء عما انت ناويه و لا ترى ابداً عنه غنى فمتى * رأيت منه غنى يخشى تناسيه ان اعتقادك ان لم تأت غايته * فيه فيوشك أن تخفى مباديه و غاية الأمر في أن تراه على * منهج الكمال و أن الله هاديه و من امارة حقا أن تؤول ما * كلبك أشكال ارظهاراً لخافيه و المرء ان يعتقد شيئاً و ليس كما * يظنه لم يخب فالله معطيه و ليس ينفع قطب الوقت ذا خلل * في الاعتقاد و لا من لا يواليه إلا اذا سبقت للعبد سابقة * يعود من بعد هذا من مواليه و نظرة منه أن صحت إليه على * سبيل ود بإذن الله تغنيه و الناس عبدان مجذوب و سالك ما * دعى إليه بتعليم و تنبيه و الجذب الخفة عبد بغتة يبدي * عناية نحو أمر ليس يدريه و هو المراد و مخطوب العناية لا * يحس كلفة تكليف تلاقيه طورا يرد عليه الحسن تكملة * له فيصد ما قد كان ناويه تراه يعبد لا يلوى على شغل * سوى العبادة يستحلي تفانيه و قد يغيب عن الاحساس مختطفاً وذو العناية حفظ الحق يحميه ترى الحقائق تبدو منه في نسق * مع الكشوف لأن الله يلقيه و ذو السلوك تراه في بدايته * يجاهد النفس زارعي لباقيه يمشي على نهج أهل الصدق ملتزماً * شروطهم خائفاً مما يرجيه كم من مريد قضى ما قال وفيه حق القضاء عليه في تقاضيه و كم مريدوني من بعد عزمته يهوى به الحظ في أهوى مهاويه و الجذب أن جاء من بعد السلوك له * فضل على الجذب مما السعي تاليه فالجذب هذا الذي التفضيل فيه هو الجذب الذي ظهرت حسنا بواديه و في الحقيقة لولا الجذب ما سلكت طريق حق و لا رنيت مراقيه لولا العناية و التخصيص قد سبقا في دعوة العبد ما قامت دعاويه أن المريد مراد و المحب هو المحبوب . محبون فاستمل هذا من اماليه أن كان يرضاك عبداً أنت تعبده . و إن دعاك مع التمكين تأتيه و يفتح الباب اكراماً على عجل . و يرفع الحجب كشفا عن تدانيه . و ثم تعرف ما قد كنت تجهله مما عن الحصر قد جلت معانيه . و ترتوى من شراب الأنس صافية * ياسعد من يأت مملوأ بصافيه وصل يارب ماغنت مطوقة على النبي صلاة منك ترضية .

فهرسة المجلد الاول من تعريب المكتوبات الشريفة الموسوم بدرر المكنونات النفيسة

***

